الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الأول
السنة الحادية والستون
المحرم ١٤٠٩ هـ
اغسطس - سبتمبر ١٩٨٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من يوم الهجرة النبوية الشريفة

لفضيلة الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

اليوم مطلع العام الهجرى الجديد ، نامل ان يكون موقظاً للشعور بثقل الاعباء التى تنوء بها كواهل الشعوب الإسلامية ، وحافزاً للهمم ، وهادياً إلى شرف الغاية .

يستقبله كل مسلم وكل مسلمة ، فتعاوده ذكرى هجرة رسول الله محمد ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فى سبيل الدين ، تلك الهجرة التى استمدت روحها وخطها من وحى الله ، ونسجها من خلق رسول الله ﷺ ، واستقرت احداثها ومقاصدها فى قلوب ومسامع الاجيال مثلاً مضروبا لقواد الإنسانية عامة وقادة المسلمين خاصة ، يستلهمون منها الصبر على مكاره الراى ، والاستمساك فى مزالق الفتن ، والاستبسال فى مواطن المحن والاستشهاد فى سبيل المبدأ الحق والاعتقاد الصادق .

← دروس من يوم الهجرة النبوية

لقد بلَّغ الرسول رسالة ربه ، حين أمره فى قوله سبحانه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ثم جهر بدعوته ، وصدع بالحق الذى جاء به حين نزل عليه قول ربه فى القرآن : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ..

ولقد تألبت ضده حماقات الشرك والعصبية وعداوات الحسد والمنافسة فما وهن عزمه ، وما استكانت عزيمته ، حين أبت قفار مكة أن ينبت بها هذا الدين ، هذا الغرس الإلهى ، وبعد صبر ومصابرة ومثابرة ، وإعداد واستعداد ، وتكوين للعصبة أولى القوة بالإسلام وبالإيمان ، وبصدق العزم على بيعهم أنفسهم وأموالهم لله نصرة لدينه هاجر الرسول ﷺ تحرسه وتحميه عين الله ورعايته :

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .. قالها الرسول لصاحبه فى الغار إخبارا بوعد الله وحفظه ..

وهنالك فى دار الهجرة ـ بالصدق وبالإيمان وبالصبر ، وبالرجولة وثباتها وإقدامها أثمر غرس الدعوة الإسلامية وانتشر نور الله وصارت القلة المؤمنة من المهاجرين والأنصار ملة ، وصارت القرى الثلاث التى شرفت بخُطَا رسول الله ﷺ « مكة ـ الطائف ـ المدينة المنورة » بمثابة قارات ثلاث ، فقد امتد الإسلام ـ فى مدة وجيزة ـ إلى آسيا وأفريقية وأوروبا .

هذا هو العام الهجرى الجديد يهل ، فهل راجعنا السجل ، سجل الألف وما بعدها من أعوام الهجرة منذ كانت ، لنقرأ ما خطه التاريخ من أمجاد أمة .

إن فعلنا عثرنا على مجد العرب والمصريين بل والمسلمين أجمعين ، وسمعنا صوت الأجداد يهيب بنا أن نستلهم الدين ، ونستحث القادة ، ونجمع الشمل ، بدلاً من مجرد قرع الطبول بالويل والثبور ، وقتل الزمن فى تأييد رأى وتفنيد رأى ، أو فى زفاف البشرى ، لو فعلنا لخجلنا من هذا الموقف السلبى ضد الأحداث ، وفقط نصور الخطط بالكلام ، ونطلب النصر فى الأحلام .

انطوت صفحة عام هجرى ، ولم تسجل فى أوطان المسلمين ـ لا سيما العرب ـ غير الأسى والألم فهذه الأهواء المتصارعة ، والأقلام المتنازعة المتدافعة ، فى غير قضية ، وإنما فى أطماع متعارضة وفردية طاغية ، وأثرة تسف ، وخصومة تكيد ولا تكف ، وشعوب تكابد داء الغرور فى زعمائها ، وتكاد تستجير بعدوها من أوليائها ، ننظر هذه الشعوب ، فنرى فى يدها العتاد ، وفى طبعها الاستعداد ، ومع هذا فما تزال وضيعة الشأن فى الحياة لا يثقل بها الميزان ، لأنها تفرقت سدى ، واستثمر عدوها هذا التمزق فأشعل الفتيل ناراً وما أن تطفأ حتى تندلع هنا وهناك .

هذه فلسطين البائسة ، من صبيب دماء أبنائها كان المداد ، ومن نشيج بكائها كان هذا الكلم ، بيعت فى سوق السياسة منذ وقعت فريسة ، تزايد فى هذه السوق أهلها العرب بالحق

والحق رأى واجتهاد ! وبالقانون ، وما القانون إلا ورق ومداد من صنع الإنسان الذى تتغلب عليه الأهواء والمطامع .

ثم يهود العالم كله بقيادة الصهيونية يدخلون هذه السوق بالذهب .. وما أدراك ما الذهب ؟ به يكون الباطل حقاً ، وينزوى الحق حتى يجد من ينتصر له ، وإلى أن يفيق الأنصار ، يظل العرب فى فلسطين مقضيا عليهم بالفشل والتشريد . حتى تهودت القدس أو كادت ، فقد وقعت أسيرة منذ أكثر من عشرين عاماً ، يدافع أهلها بأجسادهم عن الأقصى وسائر مقدسات المسلمين والنصارى فى هذه البقاع التى كرمها الله ، فقد جردوا من كل سلاح إلا الإيمان بالله ، وبأن النصر مع الصبر ، وبأن مع العسر يسراً ، ذلك أنهم استمعوا إلى قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى القرآن حثاً على حماية المساجد ودور العبادة فى سورة الحج : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ . .

استمعوا إلى هذا فأيقنوا أنهم مكلفون بالدفاع عن مساجدهم ولو تكلفوا ذات نفوسهم وأولادهم ، فأقاموا أجسادهم دون جدران المسجد الأقصى ، يتلقون بدلاً منها الطعنات والطلقات ومعاول الهدم وحفر الأنفاق ، وإخوانهم فى الأوطان الأخرى من حولهم ينظرون إليهم نظر العواد إلى المريض ، يؤنسونه بالبكاء ، والبكاء لا يدفع الموت .

لو انتفعنا بذكريات الهجرة واستفدنا من دروسها لما بددنا الجهود فى التجارب وأفسدنا أمورنا بالتردد ، ذلك أن لنا تاريخاً إنسانياً حافلاً ، فيه لكل عظيمة موقف ، ولكل ملمة تجربة وأن لنا دستوراً كاملاً فيه لكل قضية دليل ومخرج ، فإذا التمسنا دليلنا من وحى الله ، واقتبسنا استدلالنا من روح السلف الصالح ، واستقمنا كما استقام سلفنا على الطريقة التى سنها الله وانتهجها الرسول ﷺ لاتجهنا جميعاً إلى الغاية ، وانتهينا عندها إلى القوة والوحدة .

لنذكر أن رسالة الإسلام التى هاجرت مغلوبة من مكة إلى المدينة انطلقت غالبة من الشرق إلى الغرب بفضل مبدئها الإلهى الذى قامت عليه ودعت إليه ونادت به ، وهو توحيد الله وتوحيد الكلمة وتوحيد الغاية ، حيث توحدت العقيدة والعبادة بتوحيد القبلة والشريعة ، ولقد استوثق الأمر لأهلها ما استمسكوا بها ، حتى إذا ما تراخت القوى منهم فى الإسلام عقيدة وشريعة تقاسمتهم الأطماع والأهواء وتمكن من رقابهم الأعداء وجرهم التخاذل

والتواكل إلى ما صاروا إليه اليوم ، ولن يفلتوا منه إلا إذا اعتصموا بحبل الله جميعاً ولم يتفرقوا عنه .

ذلك أن الإسلام روح فهو حياة ، وعقيدة وهو قوة ، وشريعة ، وهو دستور ومحبة وهو سلم وسلام ، كتابه يعلو ولا يعلى عليه فلا تستمسكوا بسواه ، وإنه لعجب أن نتشدق بالدساتير التى صنعناها فى أوطان المسلمين ، ونتنادى بحماية هذه الدساتير بينما لنا دستور واحد من صنع الله ، ونتغافل عنه وربما نتعامى حين يعتدى على كتاب الله وحين تمتهن أحكام الله مع أن السلام لم يعش إلا فى ظل الإسلام ، السلام مع الله ، والسلام مع النفس ، والسلام مع المجتمع ، وسيظل كذلك وئاماً فى الأسرة وسكينة فى النفس ورضا فى العيش وثقة فى الحاكم متى استقام على أمر الله واسترشد فى حكمه بما شرع الله .

والأمل فى الله أن يهدينا وحكامنا إلى خيرى الدين والدنيا ، مع الأخذ فى الحسبان بما قضى به الله فى قوله جل شأنه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

إن الإسلام دين الله ، وفرق بين ما وضعه الخالق وبين نظام يضعه المخلوق ، الإسلام تحية أهله السلام ، والصلاة فيه مقرونة بالسلام وسمة أهله كما جاء فى القرآن : ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ . .

فى ذكرى هجرة الرسول ﷺ ينبغى أن نأخذ أنفسنا بالهجرة التى شرعها الله ، فنهجر المنكرات ونقبل على الطاعات ، ونجاهد أنفسنا استقامة على طريق الله المستقيم ، بنية صادقة ثابتة ، نبتغى بها إصلاح أنفسنا وأوطاننا ، نجتمع بها ولا نتفرق نقول الحق ونعرض عن قول الزور وإشاعة البهتان والضلال ، تحت مسميات وسمات لم تنبت فى عرفنا ولا على أرضنا وإنما شاعت وذاعت بين عبدة الآلة التى تحترق مع وقودها دون أن يكون لديهم روح تمدها بالقوة والعزم ، ودون أن تكون لهم صلة وثيقة بالله الذى خلق فسوى وقدر فهدى ..

إن حقائق كثير من الأمور الجارية لم تتضح من الجدل الدائر حولها ، لأن بعض الكاتبين فى شأنها قد يكون ألحن بحجته من الآخر ، فتاه الناس بين هؤلاء وأولئك ، مع أن مهمة كل هؤلاء أن يقولوا للناس حسنا تبيانا للحق وحماية له واستهدافاً لغاية نبيلة هى وحدة الأمة والسير بها بخطوات حثيثة إلى نمو عقلى وعلمى وإسلامى يصل بها إلى ما تصبو إليه من رفاهية مما أحل الله وأباحه لبنى الإنسان ولا يلحدون فى آيات الله ، حيث توعد الله سبحانه من يفعل هذا فقال فى سورة فصلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا . . ﴾ . .

وفى حياة الرسول ﷺ فى المدينة دار الهجرة كان بعض هؤلاء الذين دأبوا على لحن القول

وتحريف الكلم عن مواضعه ، ذلك قول الله في سورة "محمد" : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ.وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ . .

في ذكرى الهجرة لابد أن نوجه القول إلى أولئك الذين يروعون الآمنين في كل وقت ويشغلون الناس بقضايا غيرها أولى منها بالمواجهة ، هؤلاء الذين اعتدوا على مسجد لأنه في ظنهم ينافس مسجدهم أي أنه مسجد ضرار أو أنه يهيىء بعض الهدايا لإهدائها إلى المصلين يوم العيد ، الم يعلم هؤلاء أن للمساجد حرمتها ، وأنه لا يحل لأى مسلم بل ولا لأى إنسان أن ينتهك هذه الحرمة ، وأن كل المساجد لله ، كما جاء في القرآن الكريم في سورة الجن : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ . . الم يعلم اولئك الذين يعطلون الشعائر في بعض المساجد أن الله سبحانه قال في سورة البقرة : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . .

اذكروا ايها الناس جميعاً قول الله سبحانه وتعالى في سورة التوبة : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ . .

إن للمساجد رسالة ، فعلى القائمين عليها إجادتها وإحسان أدائها وعلى الغير من كافة الجهات والسلطات احترام هذه المساجد والتمكين من أداء رسالتها في نطاق آداب الإسلام وأدب الدعوة إلى الله كما فصلها القرآن وشرحتها سنة رسول الله العملية والقولية والتقريرية .

في ذكرى الهجرة ونحن نعيش عصراً مادياً في كل مظاهره ، ينبغى أن نحيي في نفوسنا ـ نحن المسلمين ـ أصول الإسلام وأخلاق القرآن حتى لا نغرق في المستنقع الذي غرق فيه غيرنا فانحل فيهم رباط الأسرة ، وانفرط عقد وحدتها ، وانحسر سلطان الابوين ، وضعفت أو كادت أن تزول قيادتهما ، مع أن الأسرة هى اللبنة الأولى في مجتمع المسلمين إذا صلحت ، فتآلفت وتواصلت قوى هذا المجتمع ، وصلح أمره كله ، فكان الصدق والوفاء والأمانة والرحمة والتعاون على البر والتقوى ، وكان المجتمع الإسلامي كما كان قوياً متماسكاً متناصراً متراحماً ، متكافلاً متحلياً بأدب الإسلام وأخلاقه . .

في ذكرى الهجرة يسعد الأزهر الشريف أن يذكر بالتقدير قرار إيران بقبول وقف الحرب مع العراق . . ذلك القرار الذي انتظره العالم الإسلامي على اختلاف شعوبه ، بل العالم كله . . ويحث الأزهر الشريف : إيران والعراق على تذليل كل عقبة تحول دون إنهاء هذه الحرب التى أفقدت المسلمين الكثير من الأنفس والأموال وأضاعت قضايا كانت في حاجة إلى هذه الجهود التى انفقت وما تزال سواء في تزويد الحرب أو في وقفها .

ويذكر الأزهر الشريف بمزيد من التقدير ، رغبة العراق ودعوته الدائبة إلى وقف الحرب والصلح الذي تتفرغ به الدولتان إلى إصلاح ما فسد واعمار ما تخرب من البلاد والعباد .

ويدعو الأزهر الشريف كافة الحكومات والشعوب الإسلامية خاصة إلى مساندة وتأييد إنهاء الحرب والتعاون مع طرفيها على تذليل كافة الصعوبات لدى المؤسسات الدولية التى تتولى هذا الأمر في المحيط الإسلامي .

وينبه الأزهر الشريف إلى ضرورة الحذر من العدو الأول للإسلام وللمسلمين الذي أوقد هذه الحرب وغذاها واستراح إلى الاستمتاع بلهيبها ، وبالدمار والخراب الذي تخلف عنها وآثارها لا فى الميدان فحسب ، بل في بلاد المسلمين بوجه عام ، وكان الرابح الوحيد هم تجار السلاح وصناعه ، فقد وجدوا سوقاً رائجة وحرباً مستعرة لمدة ثماني سنوات .

إن هذا العدو وأولياءه وأتباعه سيحاولون التعطيل وإثارة الفتن والقلاقل في بلاد المسلمين ليشغلوهم عما يجرى فى فلسطين ، ولا ينبغى أن تظل الحكومات والشعوب الإسلامية فى موقف المتفرج بل لابد أن يبادروا إلى تأييد الفلسطينيين بكل الطرق حتى يثبتوا دفاعاً عن أرضهم وعن عرض كل المسلمين ، بل وعرض الإنسانية كلها التى فرطت حين تغافلت عن استباحة الصهيونية أرض فلسطين واجتياحها وطرد أهلها منها ، فى عصر تتنادى فيه المؤسسات الدولية بحقوق الإنسان وبالسلم والسلام .

فى هذه الذكرى الشريفة ينبغى أن نذكر أن الهجرة كانت عملاً جليلاً ، فمنذ أن أذن الله لرسوله بالهجرة إلى يثرب موطن القوم الذين آمنوا بالله وبرسوله وبكتابه والذين أعطوا العهد والميثاق أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم ونساءهم والرسول يخطط ويختار لكل عمل عامل .

فهذا الصبي على بن أبى طالب يبيت فى مكان نوم الرسول حفيظاً على الأمانات المودعة لدى الرسول بوصفه الأمين ليردها على أهلها ، وهذه الصبية ـ أسماء بنت أبى بكر ـ لها مهمة وراعى الغنم له مهمة ، بل وقائد رحلة الهجرة ومرشدها عبد الله بن أريقط ، ولم يكن قد أسلم بعد .. له مهمة .

فهل نفقه ما فى هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حكم وأحكام ؟ ويقلع من غاب عنهم هذا الفقه عما لغوا به من باطل القول وزوره في كثير من أمور العقيدة والشريعة فى الإسلام دون سند .

نعم ينبغى أن ننعم النظر ونفقه ما فى ترتيب الهجرة والتخطيط لها والاستعانة بالخبرة ونتعلم منها ما لم نكن نعلم من شئون الدين والدنيا ، وأن نفقه أن الدعوة إلى الله وإلى الإسلام علم وعمل ، وأن الإسلام قام عليهما ، وليس على الأماني والأحلام .

أليس في كتاب الله قوله سبحانه في سورة التوبة : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . .

أليس الله قد قرن العبادة بالعمل في قوله سبحانه في سورة الجمعة : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . .

لنذكر نعم الله التى لا تعد ولا تحصى ، كما قال سبحانه في سورة النحل : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . . لنذكر هذه النعم التى لا يملكها إلا الله ولا يعطيها أو يمنعها إلا الله ، ولنعلم أن نعم الله لا تطلب بمعصيته ، وإنما تنال بطاعته وبالاستغفار والتوبة والتقرب إلى الله ذلك قول الله سبحانه حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ . . وفى سورة هود : قوله تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ . .

لنذكر أن الله سبحانه قد اختص هذه الأمة بأسباب الصلة به اتقاء لعذابه ، وما كان يعاجل به الأمم السابقة حين أسرفوا في العصيان ومرقوا من الطاعة وكذبوا الرسل .

نعم لنذكر أن الله سبحانه خاطب رسوله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القرآن الكريم بقوله فى سورة الأنفال : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ . . سبب انتهى بانتقال رسول الله إلى الرفيق الأعلى وبقى السبب الآخر وهو الاستغفار والتوبة والدعاء والتضرع .

لقد غفلنا عن هذا السبب فى غمرة المادية الطاغية ، حين الم بمصر العزيزة طيف جفاف النيل ، وتوقع نضوب موارده ، وتعالى الصراخ ، وتنادى هؤلاء وأولئك إلى حلول لم يجدوا فى أيها منفذاً ، وغفلوا عن : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . . وأن الله هو الذى يرسل الخير، وأن الصلة بالله قد أبانها القرآن في هذه الآيات وغيرها ، وأن وعد الله لا يتخلف وها هو الله الرحمن الرحيم قد لطف بهذا الشعب فجرى النيل بإذن الله استجابة لدعاء الصالحين ورحمة بالناس وبسائر المخلوقات التى جعل الله في الماء حياتها من زرع وطير وضرع : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ . .

إن فى شكر النعمة استبقاء لها ومزيداً منها ، ذلك وعد الله في كتابه فى سورة إبراهيم : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ . . وفى سورة القمر في شأن قوم لوط : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ. نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾ . . ولقد حملت الأنباء ان الخير قد عم ، وأن الأمطار قد هطلت على جهات كثيرة في البلاد العربية .

فهيا أيها المسلمون إلى شكر الله سبحانه على هذه النعمة ، وسؤاله المزيد من فضله ،

←

وأن يرفع عنا البلاء والغلاء . وأن ينبت لنا الزرع ، ويحيي الضرع ، عرفاناً لقدر هذه النعم وقدر مهديها ..

نداء أوجهه إلى رجال الدعوة جميعاً في كافة أنحاء العالم الإسلامي ، وفي مصر بخاصة ، أدوا سجدة الشكر وعلموها الناس عقب صلاة الجمعة القادمة في المساجد ، وفي كل مكان تؤدى فيه الصلاة ، ومن قبلها استغفروا الله وتوبوا إليه ، وادعوه فقد تفضل الله سبحانه على هذه الأمة فوعد بالإجابة ، فقال في سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ . . وقال في سورة غافر : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

في ذكرى الهجرة نذكر حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ المتفق عليه (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) .. ونذكر الحديث الشريف الذي رواه البخاري عن ابن عباس (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) ، وأن الجهاد متنوع الميادين فمنه جهاد الأعداء ومنه جهاد النفس ونهيها عن غيها وإلزامها طاعة الله ، وطلب العلم جهاد ، وطلب الرزق من طرق حلال جهاد ، والإنفاق على الزوجة والأولاد والأبوين جهاد ، كما ثبت بالأحاديث الصحيحة الشريفة ، وليبدأ كل منا بجهاد نفسه وأهله حتى نعود بالمجتمع إلى كمال الإسلام وتمام الإيمان وصدق اليقين ، ولندع إلى الله على بصيرة بآداب هذه الدعوة كما شرعها الله في كتابه وعلى لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب الذكرى الذي قال الله له في القرآن في سورة آل عمران : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ . . وقال عنه في سورة (ن): ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . .

وباسم الأزهر الشريف : أقدم أخلص التهاني إلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الأمة الإسلامية بهذه الذكرى المباركة .. وأن تكون بدءاً لعام وعهد جديد حافل بالمودة والمحبة والألفة والتعاون فيما بينهم لخير الشعوب الإسلامية في الدين والدنيا.ذلك قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ . .

شيخ الأزهـــــر
(جاد الحق على جاد الحق)

غرة المحرم ١٤٠٩ هـ
١٣ من أغسطس ١٩٨٨ م

الجوار المتبادل

للدكتور علي أحمد الخطيب

تأكد لقريش - بعد فوات الأوان - حصول رسول الله - ﷺ - على عَهْدٍ بـ « جوار » مع زعماء الأنصار من قبيلتي : الأوس والخزرج أهل « يثرب » صارتا به مسئولتين عن حماية رسول الله - ﷺ - وصحبه رضوان الله عليهم - ولو أدى ذلك إلى « حرب الأحمر والأسود من النلس » .

وإنما تأكد ذلك لقريش - بعد فوات الأوان - بسبب إحكام التدبير لتلك الجلسة التى التقى فيها رسول الله - ﷺ - بالأنصار ، فقد حضر هؤلاء الموسم لا يعلم مشركُهم عن مسلمهم شيئا ، فلما حان اللقاء انسل إليه المسلمون دون أن يشعر بهم أصحابُهم المشركون - ومضوا إلى « شعب العقبة » ، وهناك كان العباس بن عبد المطلب - وكان لازال مشركا - قد احتاط لرسول الله - ﷺ - فأوقف عليا - رضى الله عنه - عيناً على رأس أَحَدَىْ ممرّ الشعب ، وأوقف على الآخر أبا بكر - رضى الله عنه - فتأكد - بذلك - ألا يُخْلُصَ للقوم إلا من كان منهم . وكان العباس - إذا ارتفعت الأصوات - يقول - رضى الله عنه : اخفوا جرسكم[1] ; فإن علينا عيونا !

قال كعب بن مالك - يحدث عن تلك الليلة :

« ... نمنا تلك الليلة مع قومنا - فى رحالنا - حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله - ﷺ - نتسلل تسلل القطا[2] مُستخفين حتى اجتمعنا - فى الشعب - عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا »[3] .

وألقى - عز وجل - النوم على مشركى « يثرب » فلم يشعروا بتلك الجماعة من صحبهم التى قضت ليلتها مع رسول الله - ﷺ - قال :

---

(١) صوتكم .

(٢) نوع من اليمام يؤثر الحياة فى الصحراء معروف بالخفة وعدم الجلبة .

(٣) هما : أم عمارة : نسيبة بنت كعب من بنى مازن بن النجار . وأسماء بنت عمرو بن عدى من بنى سَلَمة .

الجوار المتبادل

« فرجعنا - إلى مضاجعنا - فنمنا حتى أصبحنا : فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا فى منازلنا ، فقالوا :

يامعشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه - والله - مامن حى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم - منكم .

فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون : ماكان من هذا شىء ، وما علمناه .. وَصَدَقُوا .. ، لم يعلموا .

وبعضنا ينظر لبعض » .

بل كان على رأس الحالفين ابن أبىّ بن سلول - رأس المنافقين فيما بعد - أكد لقريش أن شيئا من ذلك لم يحدث .

وكان ذلك بفضل إحكام اللقاء .

●● ●● ●●

وَعَمِيَتْ قريش عن الحقيقة فترة زمنية كانت كافية لينفر الكثير من الحجيج من « منى » إلى ديارهم ، ومنهم أهل يثرب .. خرجوا سالمين .. إلا واحدا هو - رضى الله عنه - موضوع دراسة « الجوار المتبادل » .

على أنه ينبغى إلقاء نظرة على تدبير قريش الرهيب الذى أتى عليه تماما هذا الحدث الأخير فجرده من أثره ومحتواه .

لقد نجحت قريش من قبل فى أن تغطى أرض الجزيرة بدعاية ضد رسول الله ﷺ - حسبك أن تقرأ عنها الخبر التالى لتعلم إلى أى مدى فازت قريش بإبعاد الناس عن محمد - ﷺ .

روى الإمام أحمد - بمسنده - فى هذا الشأن عن جابر - رضى الله عنه روايتين(٤) لمضمون واحد ساقه الإمام ابن كثير جامعا بينهما قال - رحمه الله :

مكث رسول الله - ﷺ - بمكة عشر سنين ، يتبع الناس فى منازلهم : بعكاظ ومَجَنَّة ، وفى المواسم ، يقول :

من يُؤْوِينى ؟ من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة ؟

فلا يجد أحدا يؤويه ، ولا ينصره حتى إن الرجل ليخرج من اليمن ، أو من مضر ، فيأتيه قومه ، وذوو رحمه فيقولون : احذر غلام قريش . لا يفتنك ويمضى (أى رسول الله - ﷺ) بين رحالهم ، وهم يشيرون إليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله إليه من « يثرب » فآويناه وصدقناه » .

إلى هذه الدرجة نجحت قريش فى إبعاد الناس عنه - عليه الصلاة والسلام - حتى ليتلقى الركب تحذيرا من قبيلته قبل أن يتجه إلى الأرض الحرام ، فإذا حل فيها ، يرأوا رسول الله -

---

(٤) انظر « المسند » ٣٢٢/٣ و٣٣٩ - الميمنية .

ﷺ - يسير بين مضاربهم داعيا إلى الله وحده أشار بعضهم إلى بعض للتعريف بشخصه تأكيداً للبعد عنه .

وكان فى نجاح البيعة تلك الليلة الخالدة انهيار لتدبير قريش فقد وقع ما حذرت منه ، وضاع جهدها هباء ، وانتصر - عليه الصلاة والسلام .

وكان الحديث فى تلك الليلة واضحا فاصلا حدد ما يريد رسول الله - ﷺ قال أبو أمامة الأنصارى - رضى الله عنه - لرسول الله - ﷺ : « سل - يامحمد - لربك ماشئت ، ثم سل لنفسك بعد ذلك ماشئت ، ثم أخبرنا : مالنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك ؟

قال ﷺ :

أسألكم لربى أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئا .

وأسألكم - لنفسى وأصحابى - ان تُؤْوُنا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم .

قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟

قال : لكم الجنة .

قالوا : فلك ذلك .

قال جابر الأنصارى - رضى الله عنه : فقمنا إليه فبايعناه » .

ومن عباراته - عليه الصلاة والسلام - بشأن هذه البيعة للأنصار - كلمات لم يتحدث بها رسول الله - ﷺ - لغير القوم - فيما أعلم ، فقد قال لهم :

« دمى ودمكم واحد .. وذمتى ذمتكم .. أنا منكم وأنتم منى(*) » .

وياله من شرف !!

وقرر لهم - عليه الصلاة والسلام - اثنى عشر نقيبا : تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، وتمت لتلك البيعة مقوماتها : عهدا وقبولا وتنفيذا .

●●

كان لابد أن نبسط القول عن هذا « الجوار » نظرا إلى أنه « أهمُّ » عهد فى الإسلام ، انطلق - بعده - الدين إلى آفاق الأرض ليس يستطيع أن يصده أحد ، ولقيمته الفاصلة ولآثاره الهائلة كان حَنَقُ قريش حين تأكدت الخبر فخرج رجالها يطاردون أهل « يثرب » ، فلم يدركوا منهم إلا اثنين من الخزرج هما : المنذر بن عمرو ، وسعد بن عبادة - رضى الله عنهما .

فأما المنذر فأعجزهم مطاردة فلم يدركوه ، ووقع سعد بأيديهم .. وكان منتظراً أن يُلِمَّ بسعد من العذاب ما تشتفى به قريش بعض الشىء لولا جوار تبادله مع رجال من قريش ، كان وقعه على نفوسهم أشد نكالا وأعظم ألما فقد كفهم عن الرجل فأبقى فى نفوسهم غصصا يجترونه غيظا وكمداً ، فابتلعت قريش غضبها لا عن حلم ، بل عن عجز كان ضريبة مباشرة لموجبات « الجوار » .

هذا « الجوار المتبادل » يقوم بين طرفين ليسا من موطن واحد مهما تباعدت بهما الديار -

←

(*) انظر الحلبية وابن كثير فى تلك البيعة .

يتعهد فيه كل منهما بـ « جوار » أخيه وحمايته ، ودفع الظلم عنه وعمن يلوذ به من طرف أخيه . ويتم عقده على ذلك .

وقد يبدو ـ للوهلة الأولى : أنه عهد خرج عن « الجوار » إلى « الحلف » لأنه يقوم بين طرفين متكافئين(٦) .

نقول :

ليس حلفا .. لكنه « جوار » لفارق دقيق ، فإنه حيث تُطْلَبُ ثمرته .. يكون أحد الطرفين أضعف ما يكون قوة ، وأطلب ما يكون حماية ، يقابله ـ حينئذ ـ الطرف الآخر الذى يقوم بحمايته ، فإذا هو أقوى ما يكون قوة ، وأمكن ما يكون حماية ؛ فيسرع بحماية أخيه ، فهو جوار ـ إذاً ـ لا حلف ، إذ الحلف طرفاه متكافئان على كل حين .

●●

ما أن وقع سعد بن عبادة ـ رضى الله عنه ـ بأيدى القوم ـ حتى ربطوا يديه إلى عنقه بشِرَاك رحله ، ثم أقبلوا به يضربونه ويجذبونه بِجُمَّتِهِ حتى دخلوا به مكة ، وإنه لكذلك إذ رأى سهيل بن عمرو ، وكان وضيئا جميلا شعشاعا حلواً من الرجال ، فتوسم سعد فيه خيرا ؛ فإذا بسهيل يرفع يده فيلكمه لكمة شديدة .

قال سعد : فقلت ـ فى نفسى : لا ـ والله ـ ما عندهم بعد هذا من خير ! وإنه لفى هذه البلوى قد نسى جواره إذ تقدم منه أبو البَخْتَرِىّ بن هشام ، فقال له : ويحك ، أما بينك وبين أحد من قريش « جوار » ولا « عهد » ؟ قال سعد : قلت : بلى ، والله ، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم تجاره ، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى ، وللحارث بن أمية بن عبد شمس .. قال أبو البخترى : ويحك فاهتف باسم الرجلين ، واذكر مابينك وبينهما .

قال سعد : ففعلت .

وانطلق أبو البخترى فوجد الرجلين بالكعبة ، فقال لهما :

إن رجلا من الخزرج الآن ليضرب بالأبطح ليهتف بكما !

قالا : من هو ؟

قال : سعد بن عبادة .

قالا : صدق ، والله ، إن كان ليجير لنا تُجَّارَنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده .

فانطلقا إليه فخلصاه .

واضح من ذلك أن إعلان « الجوار » سبيل حاسم فى رفع الأذى،وأن حدثا فريداً فذا ـ فى هذا الباب ساقه الله ـ عز وجل ـ إلىَّ وإن فيه لدلالة حية على مدى أثر « الجوار » فى كف الأذى وقمع العدوان حتى أثناء قيام أشد الظروف ضراوة ، وأدعاها للقسوة ، وأسرعها تلبية إلى إنزال الثأر والانتقام .

---

(٦) انظر افتتاحيتى مجلة الأزهر : المحرم وربيع الأول ١٤٠٨ هـ

وقع الحدث بالحرم ـ قلب مكة ـ بين مكى ومدنى ، وقريش على أحر ما تكون حنقا وغيظا وأطلب ما تكون ثأرا وانتقاما من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه ـ رضوان الله عليهم ـ قرشيين أو مدنيين ، وكان الحادث بين مكى ومدنى ، ووقع بعد هجرة رسول الله ـ ﷺ ـ وخلوصه وصحبه سالمين .. إلى المدينة .

والحدث رواه الإمام البخارى فى صحيحه ، والإمام أحمد ـ بمسنده ـ كلاهما بموضعين ، وألم الإمام شهاب الدين بن حجر برواياته المتعددة وأودع خلاصتها بشرحه : فتح البارى[٧] ، ونحن نقدم جُزْأَهُ الذى يعنينا ـ فى ضوء ذلك كله .

تآخى أمية[٨] بن خلف بن أبى صفوان ـ وهو من قريش ـ وسعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ وهو من المدينة ، وكان إخاء قديما من قبل أن يسلم سعد ـ رضى الله عنه ، وهو إخاء يستلزم فى مقدمة مايستلزمه جوار كل منهما لأخيه ، فكان أمية إذا ارتحل شمالا فمر بالمدينة نزل على سعد ، كذلك كان سعد إذا انطلق جنوبا فدخل مكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ مهاجراً ونزل المدينة ، انطلق سعد إلى مكة معتمراً فنزل على أمية ، ولعلمه بالأحداث أراد ألا يحرج أمية ، فقال له : انظر لى ساعة خلوة لعلى أن أطوف بالبيت .

فقال أمية : ألا تنظر حتى يكون نصف النهار !

فخرجا قريبا من نصف النهار ، وأخذ سعد ـ رضى الله عنه ـ فى الطواف ، فإذا أبو جهل فقال : يا أبا صفوان ، من هذا معك ؟

قال أمية : هذا سعد .

فقال أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنا وقد أويتم الصباة[٩] ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ، أما ـ والله ـ لولا أنك مع أبى صفوان مارجعت إلى أهلك سالما[١٠] .

●●

بانتهاء هذا العرض للجوار المتبادل يتبين للقارىء أن الجوار المتبادل ـ فيما قدمنا من أحداث هو جوار « خارجى » يخالف ماقدمنا من جوار « داخلى » كجوار أبى طالب والمطعم بن عدى ـ وكلاهما من قريش ـ لرسول الله ـ ﷺ وهو قرشى ـ عليه الصلاة والسلام .

تم كلا الجوارين « داخل » القبيلة .

وإتماما للجزء الآخر والأخير من الجوار الخارجى : ثمة جوار يطلبه المستجير من أحد السادة من غير قبيلته ليجد فى ظله أمنا وأمانا ، فإذا أجابه إليه انتقل المستجير إلى أرض المجير وأقام فى حمايته ، فهو جوار خارجى غير أنه يتم دون إلزام المستجير بتحمل الإجارة فى مكان آخر .

ولديك لكل أكثر من مثال[١١] .

---

(٧) انظر صحيح البخارى بابى : المناقب والمغازى ، وحديثى المسند لابن حنبل : (٣٧٩٤ ـ ٣٧٩٥) وراجع لابن حجر ـ فتح البارى ٧/٢٠٠ الأميرية .

(٨) ويكنى باسم ولده صفوان ، فيقال له : ياأبا صفوان .

(٩) الخارجين على الدين ، يقصد المسلمين المهاجرين .

(١٠) فى بقية الخبر طرافة وجودة ، وبيان بإحدى معجزات النبى ﷺ .

(١١) راجع مجلة الأزهر ـ ربيع الأول ص ٢٥٧ ... وما بعده .

حديث عن الجمعة وأول مسجد وخطبة الجمعة فى الإسلام

قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٩ - الجمعة .

البيـــــان

كان النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة لا يستطيع أن يُجَمِّع بمن أسلموا معه من أهلها ، بسبب عداوة قريش لهم وللإسلام ، فلذا كان المسلم فيها يصلى منفردا فى أى مكان لا يتعرض فيه لأذى قريش .

ولما هاجر - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة بنى أول مسجد فى الإسلام « بقباء » فى طريقه إلى المدينة ، وأما أول جمعة فى الإسلام فقد صلاها أسعد بن زرارة فى المدينة ببعض من أسلم فيها ، وذلك قبل هجرة النبى - ﷺ - إليها .

قال ابن سيرين : جمَّع أهل المدينة قبل أن يقدم النبى - ﷺ - إليها وقبل أن تنزل الجمعة ، وهم الذين سموها الجمعة ، وذلك أنهم قالوا : إن لليهود يوما يجتمعون فيه فى كل سبعة أيام وهو يوم السبت ، وللنصارى مثل ذلك وهو الأحد ، فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل يوما لنا نذكر الله ونصلى فيه ونستذكر - أو كما قالوا - فقالوا : يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة - أبو امامة رضى الله عنه فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم ، فسمُّوه يوم الجمعة حين اجتمعوا ، فذبح لهم أسعد شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم ، فهذه أول جمعة فى الإسلام - هكذا روى ابن سيرين .

وعقب القرطبى على هذه الرواية بقوله : إنهم كانوا اثنى عشر رجلا ، ومن هذه الرواية عرفنا أن يوم الجمعة كان يسمى فى الجاهلية : يوم العروبة ، ثم سماه الأنصار يوم الجمعة لاجتماعهم فيه .

وقيل : أول من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤى بن غالب بعد أن كان يسمى يوم العروبة ، وهو أول من قال : أما بعد - حكى هذه الرواية أبو سلمة .

وأما أول جمعة جمعها النبى - ﷺ -

للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

بأصحابه ، فكانت فى طريقه إلى المدينة مهاجرا ، وذلك أنه - ﷺ - نزل بقباء - حين اشتد الضحى - على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول[1] ، فأقام بقباء إلى يوم الخميس ، وأسس مسجدهم ، وكان أول مسجد بناه النبى - ﷺ - فى الإسلام ، ثم خرج يوم الجمعة إلى المدينة ، فأدركته الجمعة فى - بنى سالم بن عوف - فى بطن وادٍ لهم ، وكانوا قد اتخذوا فيه مسجدا ، فجمع بهم وخطب فيهم وهى أول خطبة للجمعة خطبها النبى بالمدينة .

ومن هذه الرواية عرفنا أن أول مسجد بنى فى الإسلام ، كانَ فى بنى سالم بنْ عوف ، بنوه قبل الهجرة ، وأن أول مسجد بناه النبى - ﷺ - كان بقباء كما تقدم وقد خطب النبى - ﷺ - خطبة عظيمة فى مسجد بنى سالم بن عوف فى بطن الوادى ، قال فيها :

(الحمد لله . أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، وأعادى من يكفر به ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الأجل .

من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرّط وضل ضلالا بعيدا .

أوصيكم بتقوى الله فإن خير ما أَوْصَى به المسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، واحذروا ما حذركم الله من نفسه ، فإن تقوى الله - لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه - عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة .

ومن يصلح الذى بينه وبين ربه من أمره فى السر والعلانية ، لا ينوى به إلا وجه الله يكن له ذكرا فى عاجل أمره ، وذخرا فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[2] هو الذى صدق قوله وأنجز وعده ، لا خلف لذلك ، فإنه يقول تعالى ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[3] فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية ، فإنه ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾[4] ، ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما .

←

(١) ومن تلك السنة بدأ تاريخ الإسلام .
(٢) آل عمران - ٣٠ .
(٣) ق - ٢٩ .
(٤) الطلاق - ٥ .

حديث عن الجمعة

وإن تقوى الله تُوَقِّيَ مَقْتَهُ وتوقى عقوبته ، وتوقى سخطه ، وإن تقوى الله تبيض الوجوه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة ، فخذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله ، فقد علمكم كتابه ، ونهج لكم سبيله ، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فأكثروا ذكر الله تعالى ، واعملوا لما بعد الموت ، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله ، يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ما لا يملكونَ منه ، الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) .

هذا ما نقله القرطبى ، ولم يذكر معه الخطبة الثانية ، ولعل ذلك كان فى أول الهجرة ، ثم تحول إلى خطبتين .

والجمعة بضم الميم أو تسكينها قراءة ، وفيها الفتح لغة ولم يقرأ به ، والمقصود بنداء الجمعة أذانُها ، وسمى نداء لما فيه من طلب الحضور إلى الصلاة وإلى الفلاح فى قول المؤذن : حى على الصلاة حى على الفلاح ، أى أقبلوا عليهما .

الأذان فى عهد الرسول وعهود الصحابة

كان النبى - ﷺ - إذا صعد المنبر يوم الجمعة ، أذن مؤذن ليدعو الناس إلى الصلاة ، فإذا نزل أقام ، أخرج ابن ماجه فى سننه من حديث محمد بن إسحاق عن الزهرى ، عن السائب بن يزيد قال :

ما كان لرسول الله - ﷺ - إلا مؤذن واحد . إذا خرج - أى من حجرته - أذن - وإذا نزل أقام ، وأبو بكر وعمر كذلك ، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث(٥) . على دار فى السوق يقال لها الزوراء(٦) ، فإذا خرج أذن المؤذن ، وإذا نزل أقام .

وقال الماوردى : فـأما الأذان الأول فمحدث ، فعله عثمان بن عفان ليتاهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها .

وفى الحديث الصحيح أن الأذان كان على عهد رسول الله - ﷺ - واحداً ، فلما كان زمن عثمان زاد الأذان الثالث على الزوراء بعد الإقامة أذانا ، وفى ذلك يقول ﷺ : « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » يعنى الأذان والإقامة ..

قال القرطبى : ويتوهم بعض الناس أنه أذان أصلى للجمعة ، فجعلوا المُؤَذِّنِيْنَ ثلاثة فكان وهماً ، ثم جمعوها فى وقت واحد فكان وهماً على وهم ، ورأيتهم يؤذنون فى مدينة السلام بعد أذان المنار أى المئذنة ، رأيتهم يؤذنون بين يدى الإمام تحت المنبر فى جماعة ، كما كانوا يفعلون عندنا فى الدول الماضية ، وكل ذلك محدث .

---

(٥) ويكون أولاً ، وإنما جعل ثالثاً ، لأن الأذان والإقامة أذانان وهو الثالث .

(٦) كانت هذه الدار لعثمان على مرتفع بسوق المدينة اسمه الزوراء ، فسميت داره باسمه .

حكم أداء الجمعة

أداء الجمعة فرض عين على كل مكلف ، وعلى ذلك الأمة والأئمة ، وغلط من قال : إنها فرض كفاية ، قال تعالى ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أى فاسعوا جميعاً أيها المكلفون لأدائها وسماع الخطبة قبلها .

● وثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين »(٧) وفى سنن ابن ماجه عن أبى الجعد الضمرى - وكانت له صحبة - قال - قال رسول الله ﷺ « من ترك الجمعة ثلاث مرات متهاوناً بها طبع الله على قلبه »(٨) .

● وثبت عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ - « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه »(٩) .

« فاسعوا إلى ذكر الله »

المراد من السعى إلى ذكر الله المشى لحضور خطبة الجمعة وصلاتها ، بدون إفراط فى السرعة ، جاء فى الحديث مقابلة السعى بالمشى ، وجعل ذلك من خصائص الجمعة ، فقد أخرج الستة فى كتبهم عن أبى سلمة من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون - أى تسرعون فى المشى - وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » .

والأمر بالسعى للوجوب ، واستدل بذلك على فرضية الجمعة ، حيث رتب الأمر بالسعى إلى ذكر الله على سماع نداء الجمعة ، وكما ثبتت فرضيتها بهذا النص ثبتت بالسنة والإجماع ، وقد صرح بعض الحنفية بأنها بدل من فرضية الظهر ، وبتكفير جاحدها وهى تجب على المكلف المقيم ، أما المسافر فإنها مستحبة بالنسبة إليه ، وسيأتى لذلك مزيد بيان .

ومن كانت داره بعيدة عن المسجد ، فعليه أن يبكر بالمضى إلى المسجد ، ليتخذ له مكاناً فيه قبل ازدحامه . بالمصلين ، وعليه أن يبكر بالوضوء والغسل حتى لا تفوته الجمعة وخطبتها ، ولا ينتظر الأذان الأول .

وقد أنشىء فى المساجد دورات مياه تابعة لها يمكن لمن لم يتوضأ فى بيته أن يتوضأ فى هذه الدورات بحيث لا تفوته خطبة الجمعة ولا صلاتها .

ومعرفة أوقات الصلوات أصبحت ميسورة لوجود الجداول (النتائج) التى تحدد كل وقت ، والساعات التى يعرف بها الوقت مبكراً ، ليستعد المكلف للصلاة قبيل وقتها ، فلا يعلق أحد صلاته بسماع الأذان الأول .

والتبكير إلى الصلاة يوم الجمعة مندوب ، وفى ذلك يقول - ﷺ - « من راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن

---

(٧) صحيح مسلم : كتاب الجمعة ، باب التغليظ فى ترك الجمعة ٢/٥٩١ رقم ٤٠ ط الحلبى من رواية عبد الله بن عمر ، وأبى هريرة .

(٨) سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب فيمن ترك الجمعة من غير عذر ج ١/٣٥٧ رقم ١١٢٥ ط / الحلبى .

(٩) سنن ابن ماجه : المصدر السابق رقم ١١٢٦ . وقال فى الزوائد : الحديث إسناده صحيح ، ورجاله له ثقات .

حديث عن الجمعة

راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » أخرجه البخاري ومسلم .

وقد ذهب الإمام مالك إلى أن التبكير المستحب كله في ساعة واحدة قبل الجمعة ، وحمله سائر العلماء على ساعات النهار السابقة لأذان الجمعة .

ولا بأس باستعمال السيارة والدراجة ونحوهما في الوصول إلى المسجد - وإن كان المشي أفضل - ففي البخاري « أن أبا عَبْس أبن جبير واسمه عبد الرحمن - وكان من كبار الصحابة - مشى إلى الجمعة راجلاً وقال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول « من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار » .

على من تجب صلاة الجمعة

الخطاب في قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ . . . ﴾ الآية موجهة إلى المكلفين بإجماع الأئمة ، ويخرج منه المرضى والزمنى والمسافرون والعبيد والنساء بالدليل والصبيان ، والشيخ الذي لا يمشي إلا بقائد عند أبي حنيفة ، فهم غير مكلفين بصلاة الجمعة لعذرهم .

روى أبو الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة ، إلا مريض أو مسافر أو امرأة أو صبي أو مملوك ، فمن استغنى بلهو أو تجارة استغنى الله عنه ، والله غني حميد » خرجه الدارقطني .

ونزيد على ما تقدم أنه لا يحل لأحد تجب عليه الجمعة أن يتخلف عنها إلا لعذر لا يمكنه معه الإتيان إليها ، كالمطر الوابل مع الوحل ، ومن الأعذار أن يتخلف من أجل صديق حضرته الوفاة ، ولم يكن عنده من يقوم بأمره ، وقد فعل ذلك ابن عمر .

ولو حضر هؤلاء الذين لا تجب عليهم الجمعة ، فصلوا مع المصلين ، وسمعوا خطبة الخطيب ، قبلت صلاتهم وأثيبوا عليها وعلى سماع الخطبة ..

وينبغي لأولياء أمور الصبيان أن يحضروهم لصلاة الجمعة ليتعودوا على التقوى قبل البلوغ .

الطهارة قبل الصلاة

لم يرد في الآية شرط الطهر قبل صلاة الجمعة ، وثبت شرط الوضوء بالقرآن والسنة في جميع الصلوات ، بقوله عز وجل : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾[10] الآية ، وقال ﷺ :

- « لا يقبل الله صلاة بغير طهور »[11] وأما الاغتسال لصلاة الجمعة فسنة ، لقوله ﷺ :
- « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل »[12] .

وفي صحيح مسلم بسنده عن أبي هريرة

---

(١٠) سورة المائدة ، الآية ٦ .

(١١) سنن النسائي ، كتاب الطهارة ، باب فرض الوضوء ج ١ / ٧٥ ط مصطفى الحلبي .

(١٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه - الصلاة باب ما جاء في الوضوء يوم الجمعة ٢ / ٣٦٩ رقم ٤٩٧ ط الحلبي عن سمرة بن جندب وقال : حديث سمرة حديث حسن .

قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ، ثم راح إلى الجمعة فاستمع وأنصت ، غفر الله له ما بين الجمعة إلى الجمعة ، وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مس الحصا فقد لغا » اى أتى بأمر ساقط لا خير فيه ، وإذا كان منهياً عنه فالكلام فى أثنائها أولى بالنهى ، ومن ذلك قوله لصاحبه أنصت – كما جاء فى السنة – فإن المطلوب هو الانصات مع الصمت ، وعدم العبث بتحريك حبات السبحة ، ونحو ذلك .

إذا اجتمعت الجمعة مع العيد فى يوم واحد .

لا تسقط الجمعة لكونها فى يوم عيد ، خلافا للإمام أحمد بن حنبل فإنه قال : إذا اجتمع عيد وجمعة سقط فرض الجمعة لتقدم العيد عليها ، واشتغال الناس به عنها ، وحجته فى ذلك أن عثمان أذن فى يوم عيد لأهل العوالى أن يتخلفوا عن الجمعة ، ولعله فعل ذلك لمشقة حضورهم مرتين للصلاة الجامعة ، اما أهل بلد الجمعة فإنه لم يأذن لهم فى التخلف عنها ، لعدم المشقة بالنسبة إليهم .

وقد رد قول ابن حنبل بأنه اعتمد على خبر الواحد من الصحابة وهو ليس بحجة إذا خولف فيه ، ولم يجمع معه عليه ، فالأمر بالسعى إلى الجمعة فى يوم العيد شأنه كشأن سائر الأيام .

وفى صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال رسول الله ﷺ يقرأ فى العيدين وفى الجمعة ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ و﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ قال : « وإذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما أيضاً فى الصلاتين » – أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : تجب على من فى المصر[13] سمع النداء أو لم يسمعه ، ولا تجب على من هو خارج المصر وإن سمع النداء . حتى سئل : وهل تجب الجمعة على اهل زبارة بينها وبين الكوفة مجرى نهر – فقال لا – ولعل ذلك لعدم جسور تسهل عبور النهر .

ونحن نقول : إن المشقة فى عصرنا هذا لا وجود لها ، فتجب الجمعة على من عزف وقتها وإن لم يسمع نداءها .

العدد المطلوب لصحة الجمعة

اتفق العلماء على أنه لابد فى الجمعة من العدد ، لقوله ﷺ : « الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة » ، رواه أبو داود على شرط الشيخين ، لكنهم اختلفوا فى مقداره :

فقيل أثنان أحدهما الإمام ، وبه قال النخعى والحسن بن صالح وداود .

وقيل : ثلاثة أحدهم الإمام ، وبه قال الأوزاعى وأبو يوسف ومحمد والشافعى فى القديم وغيرهم .

وقيل : اربعة أحدهم الإمام ، وبه قال ابو حنيفة وغيره .

وقيل : سبعة أحدهم الإمام .

وقيل : تسعة .

وقيل : اثنا عشر .

وقيل : عشرون .

وقيل : ثلاثون والإمام منهم .

←

(١٣) « المصر » المدينة .

حديث عن الجمعة

وقيل : أربعون بالإمام وهو قول الشافعى فى الجديد .

وقيل : جمع كثير بغير قيد ، وهو مذهب مالك . وقيل غير ذلك(١٤) .

« فاسعوا إلى ذكر الله »

المراد من ذكر الله خطبة الجمعة وصلاتها ، والدليل على وجوب السعى للخطبة أن فيها ذكر الله تعالى وأنه يحرم البيع فى أثنائها ، ولولا وجوبها ما حرمته .

وللخطبة أهمية فى إرشادِ المصلى إلى ما فيه طاعة الله والبعد عن معصيته والحث على التآلف والحب فى الله ، وحب الوطن ، وخدمة المجتمع ، والبذل فيما ينفع المسلمين ، ولهذا ينبغى أن يختار لها القادرون على الوعظ والارشاد والتأثير فى نفوس المصلين .

للجمعة خطبتان

يجب فى كل منهما حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وقراءة آية فى إحداهما ، والدعاء المتصل بشئون الآخرة ، ولو اقتصر فى الخطبة على ذلك لكان كافيا فى صحتها وصحة صلاة الجمعة بعدها ، ولكن ينبغى عدم الاقتصار على ذلك ، بل يعالج فى الخطبتين أمراض المجتمع ، والإرشاد إلى ما فيه خير الإسلام وعزة المسلمين .

وينبغى أن تكون وسطا بين التطويل الممل والإيجاز المخل ، وأن تكون نابعة من القب ، وأن يكون الخطيب مثلاً صالحاً فيما يَحُض الناس عليه أو ينفرهم منه ليكون لوعظه اثر جيد فى طهارة النفوس .

« وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »

اى اتركوه وقت خطبة الجمعة وصلاتها ، واستمعوا للخطبة من أولها تستفيدوا بها ، ولما كان البيع لا يخلو عن شراء اكتفى بالنهى عن احدهما ، لأن فيه نهيا عن الآخر .

والأمر بترك البيع حينئذ للوجوب ، وقال القرطبى : ورأى بعض العلماء . جواز البيع عند الأذان وقبل صلاة الجمعة ، وتأول النهى به ندبا ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ اى افضل لكم من البيع ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ما ينبغى وما لا ينبغى .

وعلى القول بحرمة البيع والشراء عند أذان الجمعة وما بعده لا يفسخ العقد بل يصح ، نظير ما قالوه فى الصلاة فى الثوب المغصوب أو فى الأرض المغصوبة ، وهو أنها تصح مع الحرمة .

وقال ابن العربى هو فاسد ، وقال مجاهد مردود ، لهذا ننصح المسلم أن يأخذ بالأحوط ، ويمتنع عن البيع والشراء إذا نودى لصلاة الجمعة فالسعى إلى الله أفضل ، والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الإسلامية

---

(١٤) راجع الألوسى فى أواخر كلامه عن يوم الجمعة .

في رياض السنة النبوية المطهرة

الهجرة الشرعية فريضة تمت

أ.د. رءوف شلبي

روى ابو داود فى سننه قال :

حدثنا عثمان بن ابى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح - فتح مكة : لاهجرة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا .

كتاب الجهاد حديث رقم ٢٤٨٠ مجموعة الكتب الستة .

١ - المادة اللغوية للهجرة تفيد التحول المكانى او الوجدانى فالفعل "هَجَرَ" يفيد التحول عن الوصل إلى الانقطاع، وبابه نَصَرَ، ومصدره هجرا وهجرانا والاسم منه هجرة، والتهاجر هو التقاطع، والهجرة من أرض إلى أرض تعنى ترك الأولى والتحول إلى الثانية ، ويستعمل الهجر فى الهذيان، ويوصف الكلام بأنه مهجور بمعنى باطل .

ولأن الهجرة سير قد تقع فى الهاجرة نصف النهار، ومنه الهجير: اشتداد الحر ويقال إن التهجير والتهجر: السير فى الهاجرة ، والتهجر التشبه بالمهاجرين .

فالمادة تدور حول التحول من مكان إلى مكان، أو حالة إلى حالة، أو وصف إلى وصف .

٢ - والهجرة النبوية من مكة إلى المدينة قد وقعت وسجلها القرآن الكريم فى سورة التوبة يقول الله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ٤٠ التوبة

وقد قال العلماء : إن الهجرة وقعت فى الإسلام على ضربين :

الأول : من دار الخوف إلى دار الأمن

كهجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة وهى مطلوبة غير مفروضة[1] .

الثانى : من دار الكفر إلى دار الإيمان بالمدينة المنورة ، وقد انتهت حكما وثوابا بفتح مكة؛بل نسخت بقول النبى-صلى الله عليه وسلم: لا هجرة بعد فتح[2] .

يقول ابن حجر : وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة إلى أن فتحت مكة فانقطع الاختصاص،وبقى العموم لمن قدر عليه ويقول : كانت قبل الفتح واجبة ثم نسخت[3] والحديث الذى رواه أبو داود يشير إلى الهجرة بهذا الخصوص وهو انتقال أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من مكة يوم أن كانت دار كفر إلى المدينة لأنها تحولت إلى دار الأمن والإيمان .

وقد جعل الله هذه الهجرة إحدى صفات ذلكم الرعيل الأول فى قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ ٢٠ التوبة .

فقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الخصائص أفضل من السقاية والعمارة ذلك لأن الإنسان ليس له إلا مجموع أمور ثلاثة : الروح ، البدن ، المال .

أما الروح فيحصل للإنسان بتحولها إلى الإيمان عن الكفر مرتبة من مراتب السعادة .

وبالهجرة ينقص المال ويتعب البدن وقد يهلك ، ولا شك أن المال والنفس من أعز مايحب الإنسان لنفسه فتعريضهما للنقصان دليل على طلب الفوز بالأعلى والأكمل،وهو رضوان الله سبحانه وتعالى ، وكل ذلك ليس بطلب دنيا أو مال أو منصب أو جاه،بل لتكون كلمة الله هى العليا فكانت الخصائص التى يستحق بها المسلم الصادق الفوز بالدرجات العليا .

أربعة : الإيمان ، الهجرة ، الجهاد فى سبيل الله بالمال ، وبالنفس، وقد حقق جيل الصحابة المهاجرين من مكة إلى المدينة هذه الصفات فخصوا بها ، وبقى لمن بعدهم صدق النية وصدق الجهاد فى سبيل الله،والدليل على ذلك مرويات البخارى قال :

حدثنا عمرو بن خالد حدثنا زهير حدثنا عاصم عن أبى عثمان حدثنى مجاشع قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم-بعد الفتح فقلت : يارسول الله ، جئتك بأخى لتبايعه على الهجرة . قال: ذهب أهل الهجرة بما فيها ، فقلت: على أى شىء تبايعه ؟ قال : "أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد" فلقيت معبدا بعد - وكان أكبرهما - فسألته فقال : صدق مجاشع .

فقد حكم رسول الله ﷺ أن الهجرة الشرعية الواجبة على مسلمى مكة قد انتهى حكم فرضيتها وقدر ثوابها بعد الفتح،والذى بقى هو الإسلام والإيمان لمن أراد الدخول فى

(١) راجع فتح البارى جـ ١ ص ١٦ ، ٣٠ فتح البارى جـ ٧ ص ٢٢٩ .

(٢) راجع تفسير الفخر الرازى جـ ١٦ ص ١٢ .

(٣) فتح البارى جـ ٧ ص ٢٢٦ .

دين الله، والجهاد لمن أراد أن يتبع رسول الله ﷺ فى غزواته وسراياه .

ويؤكد الإمام البخارى هذه الحقيقة الشرعية فى مروياته أيضاً فيقول :

حدثنى محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد : قلت لابن عمر رضى الله عنهما : إنى أريد أن أهاجر إلى الشام قال : لاهجرة ، ولكن جهاد فَانْطَلِقْ فاعرض نفسك فإن وجدت شيئا وإلا رجعت .

وتؤكد مرويات البخارى رضى الله عنه أن ذلكم الحكم كان يردده عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فيقول :

حدثنا إسحق بن يزيد حدثنا يحيى بن حمزة قال : حدثنى أبو عمرو الأوزاعى ابن عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد بن جبر المكى : أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان يقول : لا هجرة بعد الفتح .

وتؤكد أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ذلكم الفهم الدقيق لهذه المرويات فيقول البخارى : حدثنا إسحق بن يزيد حدثنا يحيى بن حمزة حدثنى الأوزاعى عن عطاء ابن أبى رباح قال : زرت عائشة مع عبيد الله ابن عمير فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يفتن عليه .

فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية[4] .

وجاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن الهجرة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك إن شأن الهجرة شديد فهل لك من ابل ؟ قال : نعم . قال : فهل تؤدى صدقتها ؟ قال : نعم ، قال : فاعمل من وراء البحار فإن الله لن يترك من عملك شيئا .يقول ابن حجر فى شرح الحديث : إن الهجرة كانت واجبة على أهل مكة على الأعيان قبل فتح مكة فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحذرهم* شدة الهجرة ومفارقة الأهل والوطن .

تلكم هى أحكام الله ورسوله فى شأن الهجرة الشرعية التى يترتب عليها القبول والثواب ، وقد استقر رأى الناس علمائهم وعامتهم على هذا وسارت الحياة الإسلامية سيرتها الطيبة حتى ظهرت فتنة تدعو إلى الهجرة، وتفهم بعقليتها الخاصة فهما يخالف هذه الأحاديث الصحيحة وتلك التجارب المتعددة. ومظنة هذا الفهم حديث رواه أبو داود يقول : حدثنا إبراهيم بن موسى الرازى أخبرنا عيسى عن حريز بن عثمان عن عبد الرحمن أبى عوف عن أبى هند عن معاوية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لاتنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها .

ومثله حديث رواه الدارمى فى الجهاد باب الهجرة لا تنقطع ، وأغرب ما فى هذا الحديث

---

(٤) راجع فتح البارى جـ ٨ ص ٢٥ ، ٢٦ .

* ذلك قبل أن يؤذن لرسول الله ﷺ بالهجرة

في رياض السنة النبوية

أن أحد رواته من المبتدعة وهو : حريز بن عثمان قال فيه صاحب ميزان الاعتدال حريز ابن عثمان الرحبي الحمصي - ورحبة بطن من حمير - كان مبتدعا مات سنة ١٦٣ هـ على أن الحديث لا يشير إلى الهجرة الشرعية بل إلى الهجرة بمعنى الانتقال المندوب وإلى ذلك أشار الخطابي بقوله :

كانت الهجرة في أول الإسلام مندوبا إليها غير مفروضة وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ ١٠٠ النساء .

فلما اشتد أذى المشركين على المسلمين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة، وأمروا بالهجرة معه ليتعلموا منه أمر دينهم ويتفقهوا فيه، وكان عظم الخوف في ذلك الزمان من قريش وهم أهل مكة فلما فتحت مكة وخنعت بالطاعة زال ذلك وارتفع وجوب الهجرة وعاد الأمر فيها إلى الندب والاستحباب فهما هجرتان : فالمنقطعة منهما هي الفرض والباقية هي الندب. فهذا وجه الجمع بين الحديثين على أن بين الإسنادين ما بينهما بإسناد ابن عباس متصل صحيح وإسناد معاوية فيه مقال[٥] ا . هـ

على أن الأمر الذي يشير إليه الخطابي هو الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان ، لكن تكفير دار المسلمين هذا إجحاف بالمصادر الإسلامية ، واستخفاف بسند أهل الحديث وتخريب لجهود الصحابة رضوان الله عليهم وتحقير لعقلية المسلم المعاصر؟ فقد كانت الهجرة من مكة إلى المدينة منهجا فاصلا ليتعرف المسلمون على أسلوب جديد في الدعوة إلى الله شرحتُه بإسهاب في كتاب : الدعوة الإسلامية في عهدها المكي فمن شاء فليرجع إليه إن كان يريد أن يطلب العلم، وأن يعرف الحق دون هوى أو لجاجة .

وملخص حديث الهجرة :

أنها في الإسلام هجرتان :

* هجرة مفروضة قد انتهى زمانها ورجالها فتلك الهجرة كانت على المسلمين في مكة أيام الإسلام الأولى وقد انتهت شرعا بفتح مكة .

* وهجرة مندوبة كانت في أول الإسلام فرارا من أذى المشركين وهي التي نفذها بعض الصحابة رضوان الله عليهم إلى الحبشة .

وتبقى هذه الصورة لكل مسلم في دار غير دار المسلمين إذا لم يأمن على دينه وحريته في أداء شعائره .

* فمن تأول غير ذلك فقد افترى، والله يقول في شأن المفترى ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ ولقد حق القول عليهم فمن شاء فليعتبر . هذا والله أعلم .

أ . د رءوف شلبي
وكيل الأزهر

---

(٥) الكتب الستة : سنن أبي داود جـ ٢ ص ٨ .

(٦) المراجع : فتح الباري جـ ١ ، ص ٧ ، ص ٨ سنة أبو داود ص ٣ . تفسير الفخر الرازي ط ١ وابن كثير ص ٢ والدعوة الإسلامية في عهدها المكي .

رسل الله إلى إبراهيم

للأستاذ الدكتور
محمد محمد خليفة

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ . قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ العنكبوت ٣١ ، ٣٢ والآيتان مكيتان .

المراد بالرسل : ملائكة الله الذين أرسلوا لبشارة إبراهيم وتدمير قرية الفواحش .

البشارة : هي البشارة بالولد والنافلة وهي إسحاق ويعقوب والقرية : سدوم .

لقد دعا لوط على قومه حين رآهم يأتون الفاحشة فقال : ﴿ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ واستجاب الله الدعاء ، وأمر الملائكة بإهلاكهم وتدمير القرية عليهم ، وأرسلهم مبشرين ومنذرين أما التبشير فكان لإبراهيم ، بالإنجاب من سارة ، وأما الإنذار فكان لأهل قرية سدوم لأنهم كفروا ، وعصوا الله ، وأفسدوا بإتيان الفواحش التي أنكرها الله عليهم في آية أخرى في قوله : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ .

ولقد سبقت رحمة الله غضبه ، ولهذا قدم البشارة على الإنذار والإهلاك .

ولم يعللوا للبشرى ، ولكنهم عللوا للإهلاك بقولهم : ﴿ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ ، وظلمهم كان لكفرهم ومعاصيهم .

ولما سمع إبراهيم أمر الإهلاك هزه الإشفاق على ابن أخته أو ابن أخيه لوط فقال : إن فيها لوطا أي من هو بريء من الظلم فكيف تهلكونها وهو فيها ، وذلك ليعلم منهم الحال الذي سيكون عليه لوط (وهكذا أن يكون المؤمن من التحزن لأخيه المؤمن والدفاع عنه ونصرته) .

←

• الكاتب : مدير المعاهد الأزهرية الأسبق.

رسل الله إلى ابراهيم

أو لأن إبراهيم يعلم أن الله لايهلك قوما وفيهم رسوله .

ولذلك تعجب إبراهيم حينما سمع أمر الإهلاك فقالت الملائكة : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾ أى نحن أعلم منك بمن فى القرية ثم قالوا ليطمئنوا إبراهيم ﴿ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾ ونهلك الباقين وفيهم امرأة لوط .

وفى الكلام قسم مقدر تقديره : والله لننجينه وأهله ، أما امرأته فقد استوجبت لنفسها الهلاك (وإنها لمن الغابرين) أى الماضى ذكرهم لا من الذين ننجيهم أو من الغابرين بمعنى الماكثين فى القرية حتى ننزل بأس الله فتهلك مع الهالكين ، وفى لسان العرب جاءت غبر بمعنى مكث ، وقد قدر الله أن تمكث امرأة لوط مع الماكثين وجعل مأواها فى الآخرة مع شريكتها امرأة نوح حيث بين الله مأواهما وجنايتهما فيما كان من خيانتهما وذلك فى قوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ .

الميثاق

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴾الأحزاب ٧ ، ٨ والآيتان مدنيتان

﴿ وَإِذْ ﴾ فى قوله : وإذ أخذنا معمول لفعل مقدر تقديره : واذكر حين أخذنا من النبيين ميثاقهم ، والميثاق الذى أخذه من جميع النبيين : أن يبلغوا رسالة الله التى أرسلوا بها ، وقوامها : التوحيد وأن يدعوا جميع الناس أو من أرسلوا إليهم إلى الدين القيم دين الحق ، والنبيون الخمسة الذين ذكرهم بأسمائهم يندرجون تحت النبيين فكأنهم ذكروا مرتين : مرة فى نطاق النبيين ، ومرة ذكروا بأسمائهم .

محمد فى قوله﴿ مِنكَ ﴾﴿ نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ ، خصوا بالذكر لبيان فضلهم وأنهم من أصحاب الشرائع ، وقدم محمد صلى الله عليه وسلم (فى قوله : منك) لبيان عظم شأنه ، وأنه أفضل المفضلين ، ولولا ذلك لقدم المتقدم فى الزمن .

وذكر موسى وعيسى عليهما السلام لأنهما كان لهما فى زمن محمد صلى الله عليه وسلم قوم وأمة فذكرهما احتجاجا على قومهما لبيان أن الله أخذ عليهما الميثاق أن يبلغا ماأرسلا به من توحيد الله وحده وأن يدعوا إلى الدين القيم .

وذكر إبراهيم عليه السلام لأن العرب جميعا على اختلافهم يفضلونه ويؤدون شعائر حج بيت الله الذى دعا الناس جميعا إلى حجه .

وذكر نوحا ، لأنه الأصل الثانى للناس ، والأصل الأول : آدم ، والثانى : كان نوحا لأن الطوفان لم يبق فى الوجود غير من حملهم نوح فى السفينة ، والخلق تناسل مرة ثانية من نوح ومن آمن به وبرسالته ولم يؤمن إلا القليل

(وجعلنا ذريته هم الباقين) وآدم كان مخلوقا لعمارة الكون ، ونبوته كانت إرشادا لأولاده ، ولهذا لم يكن فى زمنه إهلاك قوم ولا تعذيبهم كبقية الرسل الذين كذبهم أقوامهم فأهلكهم الله ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ .

وقد وصف الميثاق الذى أخذه من النبيين بأنه ميثاق غليظ ، وأراد بالوصف الذى خلعه على الميثاق : عظم شأنه وجلاله .

وقيل : إن غلظه مؤيد باليمين بالله على الوفاء بالميثاق الذى حملوه وكأن الأنبياء اقسموا على أن يبلغوا رسالاتهم مهما أوذوا فى سبيل تبليغها وقد فعل أخذ الميثاق (ليسأل الصادقين) يوم القيامة (عن صدقهم) أى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم وأدوه .

والمراد بالصدق فى قوله : عن صدقهم : عهدهم وشهادتهم ، أى يسألهم عن العهد ويستشهد فيشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا فى العهد والشهادة وقد آمنوا .

أو ليسأل من صدقوا الأنبياء عن تصديقهم ، لأن من صدق الصادق فهو صادق أو ليسأل الأنبياء : ما الذى أجابتهم به الأمم ، وفيه تبكيت للكافرين ، ومن ذلك قول الله لعيسى : ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ وعيسى لم يقل ذلك وإنما أراد أن يشهده على اتباعه بأنهم خالفوا ما جاء به ، بل خرجوا على أساس دعوته التى قوامها توحيد الله .

وعطف قوله : وأعد للكافرين ... على مادل عليه قوله : ليسأل الصادقين كأنه قال : فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين عذابا اليما .

د . محمد محمد خليفة

البحث عن الأديان القديمة

مثلت الأديان من قديم ، اسس الحضارة ولونت مظاهرها ووجهت تياراتها ، فبسبب العقيدة الدينية بنى قدماء المصريين اهرامهم الشاهقة فى الفضاء ، وحفروا القبور فى اعماق الأرض البعيدة ، وبسببها قامت حروب ، واندثرت ممالك وقامت اخرى .

وقد كشفت حركة الحفريات التى نشطت منذ بداية القرن التاسع عشر عن أسرار دينية وعقائد وطقوس ، لم تكن لتعرف لولا هذا النشاط فى الحفريات والبحث عن الآثار القديمة ، وكان الناس قبل هذا التاريخ قانعين بما هو باد من النقوش والرسوم على جدران المعابد والقبور ، ظانين أن هذا كل ما ترك السابقون فلما انبعثت هذه الحركة تبين لهم أنهم ما كانوا يعرفون إلا قليلاً ، وأغراهم ما عرفوا باستمرار البحث والمزيد منه .

وتبدأ الحركة بسنة ١٧٩٩ حيث عثر أحد الضباط المرافقين لنابليون بونابرت فى حملته على مصر على حجر رشيد ، وبقراءته وفك رموزه كشفت كنوز وتواريخ وعقائد ذات أهمية بالغة ، وكانت هذه الكشوف باعثاً على حملات كثيرة فى أرض الرافدين بالعراق وفى بلاد الأناضول وحول نهر الهند وفى فلسطين وما حولها ، ولا تزال الحركة دائبة . وحجر رشيد اكتسب اسمه من بلدة رشيد التى عثر عليه بها ، وهو حجر من البازلت الأسود مساحته ٤٥ × ٢٨ بوصة ، عليه كتابة بثلاث لغات ، كل كتابة فى قسم مستقل يفصله عن الذى فوقه أو تحته فراغ ضئيل ، والكتابة السفلى باللغة اليونانية ، وفوقها كتابة باللغة الديموتيقية ، وهى آخر تطور من اللغة المصرية القديمة ، واستعملت بعد سنة ٩٠٠ ق . م ، وفى الأعلى كانت اللغة الهيروغليفية التى لم يكن أحد يعرف عنها شيئاً .

وفى سنة ١٩٨١ م - أى بعد العثور على الحجر بعامين ، انتقل إلى حوزة بريطانيا ، وهو الآن من الذخائر الثمينة فى المتحف البريطانى . وكان العالم الأثرى الانجليزى توماس يانج Thomas yaung أول باحث استطاع أن يعرف شيئاً من رموز الحجر ، مستعينا بالكتابة اليونانية التى كانت مقروءة ، وكانت مرسوما كهنوتيا يرفع الشكر والتقدير للملك بطليموس الخامس - وكان اسم الملك مميزاً تحيط به دائرة فى الكتابات الثلاث . وكان هذا جهد ما عمل توماس . وظل الحجر بعد ذلك نحو ثمانية عشر عاماً لم يستطع أحد أن يحل من رموزه شيئاً . ثم

لفضيلة الدكتور
عبد الجليل شلبى

تولى العالم الفرنسي ـ فرانسوا شامبليون Francais Champalion دراسة هذه المشكلة بعزم وتصميم ، واستطاع أخيراً أن يصل إلى معرفة اللغة الهيروغليفية ، وأن يقدم إلى العالم لغة جديدة ، وللأسف لم يعش طويلاً بعد هذا النجاح بل عاجلته منيته سريعاً . ولكن معرفة لغة المصريين القدامى فتحت أمام الأثريين أبواب الكنوز والأرصاد ، وتتابعت الحملات الكشفية فى مصر ، ثم أغرى الآخرون بالكشوف الأخرى فى الشرق .

عرف الكثير عن ديانة المصريين القدماء ، وكان كشف مقبرة توت عنخ آمون كشفاً عن عقائد وطقوس وابتهالات وأدعية ـ وكان هذا الملك الشاب قد دعا إلى توحيد الآلهة ، واعتبر الشمس إله الكون وخالقه ، وصاغ لها الأدعية والابتهالات الكثيرة .

ولم تترك الديانة المصرية فى ديانات الشرق الأوسط آثارا مباشرة كثيرة لأن آلهة الشرق كانت آلهة زراعية ، ونجد آثار الديانة البابلية وقوانين حمورابى بادية فى الكتاب المقدس ، دون الديانة المصرية ، وللعالم الأثرى الكبير جيمس بريستد ـ رأى عنى به الدارسون ، فهو يرى أن المصريين بسطوا نفوذهم على حدبة الهلال الخصيب ـ وهو أول من استعمل هذه التسمية ـ ونقلوا معهم أفكارهم الدينية حتى أرض الرافدين ، وتغذى بها كل من البابليين والفرس ، فلما انحسرت موجة الفتح المصرى ، وتلاها موجات الفاتحين كان هؤلاء ينقلون فيما ينقلون ديانة المصريين ، وأورد بريستد ـ فى كتابه فجر الضمير ـ تسابيح وابتهالات صاغها إخناتون توسلا إلى الشمس ـ وهى هى بعينها فى مزامير داود فى « سفر المزامير » فهى بلا ريب منقولة .

● ويخطو « بريستد » خطوة أوسع فيرى أن فكرة التوحيد التى نادى بها موسى ـ عليه السلام ـ هى فكرة إخناتون أو هى محورة منها[1] ، وقد عاش موسى فى مصر بعد إخناتون بنحو مائة عام . ومذهب إخناتون لم يكن مقبولاً لدى المصريين ، ولكنهم اكرهوا عليه طوال ما عاش فلما مات ، مات المذهب ، ولكن بقيت أفكاره وربما بعض أتباعه فتلقفها موسى ، ولكنه لم يعتبر الشمس هى الإله الأعلى .

---

(١) مجلة الأزهر :

لا علاقة دينية بين موسى عليه السلام وإخناتون : فإن ما جاء به موسى وحى تام كله من الله سبحانه : قال تعالى يخاطب موسى : ﴿ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى . وأقم الصلاة لذكرى . إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾

والآيات شاملة لعقيدة التوحيد والعبادة واليوم الآخر والثواب والعقاب . وهل كان لموسى ـ عليه السلام ـ أن يستمد من « وثنى » ولو كان إخناتون :

وخطوة أخرى نادى بها آخرون ، وهى أن يثرون « شعيب » صهر موسى[٢] كان كاهنا انفعل برأى إخناتون ثم لقنه موسى ، ويبدو أن هذا الرأى محاولة لتقريب المسافة الزمنية بين موسى وإخناتون ، أو هى محاولة لتوضيح طريق أقرب لنقل فكرة التوحيد .

ولعل هذا أهم ما فى العهد القديم مما نقل من الديانة المصرية أو هو أقصى ما يمكن افتراضه .

وإذا انتقلنا من النيل إلى الرافدين وجدنا تشابهاً بين الآثار الكتابية هنا وهناك فقد كان البابليون ـ كالمصريين ـ فى أول الأمر يستعملون الصور للتعبير عن الأفكار ، ثم استعملوا الخط المسمارى ، ثم انتقلوا أخيراً إلى أبجدية تستعمل الحروف ، وكان الملوك يستعملون الكتابات الثلاث فى المرسومات والأشياء الهامة لديهم ، وقد سجل الملك دارا Darius فى سنة ٥١٦ ق . م انتصاراته على قمة جبل صخرى كان يسمى بهستن Behistun وهو جبل معروف يبلغ ارتفاعه ألفا وسبعمائة قدم ، وذلك تحاشياً لما قد يصيبها من أيدى العابثين ، ولكى تُعرف لمن يعرف ومن لا يعرف القراءة كتبت باللغات الثلاث ، وكتبت الرسوم بالحجم الطبيعى ، كان على الجانب الأعلى من اليمين صورة دارا وأمامه شخصان يرفعان الابتهالات والشكر إلى الإله .. « أهورا مازدا » للانتصارات التى منحها هذا الملك ، وعلى الجانب الأيسر من الأسفل صورة جوماتا gaumata مغتصب العرش ، وأمام الملك تسعة من القواد المتمردين ، قد ضم بعضهم إلى بعض وأيديهم مربوطة وراء ظهورهم ، وتحت اللوحة التى عليها التمثال فى مساحة تعدل ١٠×١٨ قدما خمس شرائح مكتوب عليها نص فارسى يصف القصة نفسها ـ قصة انتقام الملك دارا من أعدائه ، وعلى يسار الخط الفارسى وفى مثل المساحة يوجد عمود بالخط الميدانى الساسانى ، وفى الصخرة العليا يوجد النص البابلى هذا بأجمال موجز الأثر الكتابى .

ومرت أعوام وأعوام والباحثون يدرسون هذه الكتابة فما عرفوا من أسرارها إلا شيئاً هينا أو لم يعرفوا . حتى جاء العالم الكبير هنرى ـ ك . رولنسون Henry C . Raw-linson فحل هذه الرموز ، وكان موقفه منها موقف شامبليون ـ كان رولنسون قد درس اللغة الفارسية فى الهند ، ثم عاد ضابط اتصال فى السفارة البريطانية فى إيران ، فشغل نفسه بحل رموز هذا الأثر . والجهد الذى بذله هذا الشاب الانجليزى ـ الذى كان فى الخامسة والعشرين من عمره ، قل أن يوجد له نظير بين أعمال المتسابقين ومخاطراتهم ، فالكتابة كانت تبعد عن الأرض بنحو مائة وخمسين قدما ، ولكنه صمم أن ينجح فى عمله ، وأن يكون قريباً من الصخرة قرباً يمكنه من نقل نقوش وكتابات لا يعرف

(٢) مجلة الأزهر :
سبق لمجلة الأزهر أن ناقشت موضوع هذه المصاهرة ـ انظر مجلة الأزهر هدية صفر وعدد ربيع الآخر ص ٤٨٢ . سنة ١٤٠٧ هـ .

منها شيئاً ، وهكذا علق نفسه أمام صخرة الجبل الملساء واستمر يزاول عمله حتى نقل الكتابة المكونة من ثلاث لغات ، وإذا كنا نقدر هذه المهارة التى استطاع بها رجل مثقف فى القرن التاسع عشر ، فإننا أكثر تقديراً لهؤلاء المهرة القدامى الذين نقشوا هذه الكتابات ، وبعد نقل هذه النقوش عكف رولنسون على مقارنة الكتابات الثلاث ومعرفة إشاراتها وابجديتها ، وكان هذا عملاً شاقاً أيضاً ، والفرق بين مجهود هذا الشاب الانجليزى وعمل شامبليون ـ أن حجر رشيد كان على الأرض بنفسه ، ولم يكن شامبليون بحاجة إلى تسلق صخور ، والبقاء معلقاً فى الفضاء كما فعل صاحبه .

وفى سنة ١٨٤٦ م نشر « رولنسون » ترجمة باللغة الفارسية ، وكانت مرسوماً ملكياً من الملك دارا وقد أعانته معرفته باللغة الفرنسية على تبين العلاقة ـ بينها وبين اللغة البابلية واستغرق زمن تسلقه ونشر بحثه أحد عشر عاماً . نشر بعدها اللغة البابلية مع ما لها من قواعد وطريقة تعبير .

وأهم ما كان فى هذا الكشف أنه وضح أن اللغة البابلية تنتمى إلى مجموعة اللغات السامية وأنها ذات قربى وشبه باللغة العبرانية لغة الإسرائيليين .

وبهذا الكشف عرفت مقابر وقصور للبابليين كانت مطمورة لا يعرف الناس عنها شيئاً ، ثم كان مفتاحاً قيماً لدرس الكتاب المقدس ومعرفة الديانة اليهودية وتاريخ اليهود القديم .

ولئن كانت الديانة المصرية لم تترك آثاراً بارزة مباشرة فى الكتاب المقدس ـ فإن الديانة البابلية تبين بوضـوح أن الإسرائيليين استعاروا منها أو حاكوها فى أشياء كثيرة .

وأعرض بعض الأحداث المشتركة وطرق انتقالها فى حديث آخر . يتبع

عبد الجليل شلبى

رجال القراءات

الإمام خلف البزار الكوفي

هذا عاشر ائمة القراءات المتواترة الذين عرفوا بالأمانة .والثقة ، والضبط ، والإتقان ، والإحسان .

وهو الإمام خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم بن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب ابو محمد الأسدى . ويقال خلف بن هشام بن طالب بن غراب . الإمام العلم ابو محمد البزار[1] البغدادى اصله من فم الصلح ـ بكسر الصاد ـ أحد القراء العشرة ـ واحد الرواة عن سليم عن حمزة .

مولده ونشأته

ولد سنة خمسين ومائة ـ وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ـ وابتدأ فى الطلب وهو ابن ثلاث عشرة . وكان ثقة كبيرا زاهدا ، عابدا عالما . عاملاً . قال الشمس بن الجزرى : روينا عنه انه قال : اشكل علىَّ باب من النحو فأنفقت ثمانين الف درهم حتى حفظته . أو قال : عرفته .

وروينا عنه ايضا انه كان يكره أن يقال له البزار ويقول : ادعونى المقرى المقرى . قال أحمد بن إبراهيم وراقه : سمعته يقول : قدمت الكوفة فصرت إلى « سُلَيم » . فقال : ما اقدمك ؟ قلت أقرأ على أبى بكر بن عياش . فدعا ابنه وكتب معه ورقة إلى أبى بكر ـ لم ادر ما كتب فيها ـ فأتيناه ـ فقرأ الورقة وصعد فىَّ النظر . ثم قال : انت خلف ؟ قلت : نعم . قال : أنت الذى لم تخلف ببغداد أحداً ، اقرأ منك ؟ فسكت فقال لى : اقعد هات ، اقرأ . قلت : عليك ؟ قال : نعم . قلت : لا والله لا اقرأ على من يستصغر رجلا من حملة القرآن . ثم خرجت . فوجه إلى سليم فسأله أن يردنى . فأبيت . ثم ندمت ، واحتجت فكتبت . قراءة عاصم عن يحيى بن آدم .

---

(١) البزار : بزاى معجمة وينتهى بالراء المهملة .

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

أخذ خلف القرآن عرضا عن سليم بن عيسى ، وعبد الرحمن بن أبى حماد ، عن حمزة ويعقوب بن خليفة الأعشى ، وأبى زيد سعيد بن أوس عن المفضل الضبى .

وروى الحروف عن إسحاق المسيبى ، وإسماعيل بن جعفر ، وعبد الوهاب بن عطاء ، ويحيى بن آدم ، وعبيد بن عقيل . وروى رواية قتيبة عنه فيما ثبت عندنا من طريق ابن شنبوذ والمطوعى أداء وسماعا . وسمع من الكسائى الحروف ولم يقرأ عليه القرآن .

تلاميـــذه

قرأ عليه أحمد بن يزيد الحلوانى ، وأحمد إبراهيم وراقه ، ومحمد بن يحيى الكسائى الصغير ، وإدريس بن عبد الكريم الحداد ، ومحمد بن الجهم ، وسلمة بن عاصم ، وخلق سواهم كثير ، ولذلك انتشرت قراءته .

عنايته بالحديث

حدث عنه مسلم فى « صحيحـه » ، وأبو داود فى « سننه » ، وأحمد بن حنبل ، وأبو زرعة الرازى ، وأحمد بن أبى خيثمة ، ومحمد بن إبراهيم بن أبان السراج ، وأبو يعلى الموصلى ، وأبو القاسم البغوى ، وعدد كثير .

وثقـه ابن معـين والنســائى وقـال الدارقطنى : كان عابدا فاضلا .

قال الحسين بن فهم : ما رأيت أنبل من خلف بن هشام . كان يبدأ بأهل القرآن . ثم يأذن للمحدثين ، وكان يقرأ علينا من حديث أبى عوانة خمسين حديثا . وورد أن خلفا كان يصوم الدهر .

وفاته : توفى فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين .

راويــاه

روى قراءة الإمام خلف إسحاق الوراق ، وإدريس الحداد فأما إسحاق فهو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله أبو يعقوب المروزى ثم البغدادى ، ويعرف بـ « وراق خلف » وراوى اختيار خلف فى القراءة عن خلف نفسه ، كان ـ رحمه الله ـ ثقة قرأ على خلف اختياره ، وقام به بعده ، وقرأ على الوليد بن مسلم ، وكان قيما بالقراءة ، وأقرأ خلقاً كثيرا .

←

توفى سنة ست وثمانين ومائتين .

وأما إدريس فهو إدريس بن عبد الكريم الحداد ، أبو الحسن البغدادى كان إماما ضابطا متقنا ثقة . قرأ على خلف بن هشام روايته واختياره وعلى محمد بن حبيب الشمونى .

روى القراءة عن إدريس خلق كثير منهم ابن مجاهد وابن مقسم . سئل عنه الدارقطنى ، فقال : ثقة وفوق الثقة بدرجة .

توفى يوم الأضحى سنة ثنتين وتسعين ومائتين عن ثلاث وتسعين سنة .

طرق اسحاق الوراق عن خلف

أما إسحاق الوراق عن خلف فمن طريق السوسنجردى ، وهو أبو الحسين أحمد بن عبد الله بن الخضر بن مسرور . وكان ثقة ضابطا متقنا .

توفى فى رجب سنة اثنتين وأربعمائة ، عن نيف وثمانين سنة .

ومن طريق بكر بن شاذان ، وهو أبو القاسم . وكان ثقة واعظا ، مشهورا نبيلا .

توفى فى شوال سنة خمس وأربعمائة .

ومن طريق محمد بن إسحاق الوراق . وتوفى قديما ووقع فى كتب ابن مهران مايقتضى أنه توفى سنة ست وثمانين ومائتين .

وطريق أبى على الحسن بن عثمان النجار المعروف بـ « البرصاطى » وكان مقرئا حاذقا ضابطا .

وتوفى فى حدود الستين وثلاثمائة .

وغير هؤلاء عن إسحاق كثير .

طرق ادريس عن خلف

وأما إدريس فمن طريق أبى إسحاق إبراهيم بن الحسين بن عبد الله النساج ، المعروف بالشطى . وكان مقرئا ضابطا متقنا .

وتوفى فى حدود السبعين وثلثمائة .

وطريق أبى العباس الحسن بن سعيد بن جعفر المطوعى ـ السابق فى رواية ورش .

وطريق أبى الحسن أحمد بن عثمان بن جعفر بن بويان . السابق فى رواية قالون .

وغير أولئك كثير وإذ قد انتهينا من هذا العرض للقراء العشرة . فإننا نحب أن نلفت النظر إلى أن جملة (الطرق) للأئمة العشرة جميعا على وجه التقريب : هى تسعمائة طريق ، وثمانون طريقا ، وذلك بحسب تشعب الطرق من أصحاب الكتب .

وفائدة ما فصل من الطرق ، وذكر من الكتب هو عدم التركيب فى القراءات مع عزو كل قراءة إلى إمامها ، فإنها إذا ميزت وبينت ارتفع وقوع الخلط بينها ، قال الإمام ابن الجزرى فى طيّبته :

وهذه الرواة عنهم طرق
أصحها فى نشرنا[٢] يحقق

باثنين فى اثنين وإلا أربع
فهى زها ألف طريق تجمع

سنده

قرأ خلف على (سُلَيْم) صاحب حمزة . كما تقدم ، وعلى (يعقوب بن خليفة الأعشى) صاحب أبى بكر ، وعلى (أبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى) ، وصاحب المفضل الضبى ، و(أبان) العطار .

وقرأ أبو بكر ، والمفضل ، وأبان على (عاصم) . وتقدم سند عاصم .

وروى الحروف (ويقصد بها : القراءات) عن إسحاق المسيبى صاحب (نافع) . وعن يحيى بن آدم عن أبى بكر أيضا . وعن الكسائى . ولم يقرأ عليه عرضا . وتقدمت أسانيدهم متصلة إلى النبى - ﷺ .

مذهبه فى القراءة

إن قراءة الإمام خلف لم تخرج عن قراءة الكوفيين إلا فى حرف واحد - هو قوله تعالى : من سورة الأنبياء - ٩٥ : ﴿ وحرام على قرية ﴾ قرأها بفتح الحاء والراء بعدها ألف بينما قرأها الكوفيون إلا حفصا وخلفا « وحِرْمٌ » بكسر الحاء وتسكين الراء وحذف الألف [٣] .

وروى عنه أبو العز القلانسى فى ارشاده السكت بين السورتين[٤] فخالف الكوفيين - قاله فى النشر .

ابراهيم عطوة عوض

(٢) يريد كتابه : النشر فى القراءات العشر .
(٣) قال أبو شامة - فى إبراز المعانى : « وحِرْم وحَرام » لغتان كـ (حِلّ وحلال) .
(٤) يراد بالسكت بين السورتين قطع الصوت زمنا يسيرا من غير تنفس فى آخر السورة مع حذف البسملة فى أول السورة التالية .

وضع الأسرة في الإسلام

شرع الإسلام مبادىء تحدد مدلول الطبيعة الاجتماعية لبناء الإنسان على مستوى الفرد ، والأسرة ، والجماعة او المجتمع العام ، على اسس حكيمة وعادلة ... وكان ذلك للاستعلاء بالإنسان - خليفة الله على الأرض - اجتماعياً ، وإعطائه اسسا ملهمة لما يجب ان تكون عليه مظاهر السلوك والعلاقات على اساس إنساني لمجتمع افضل وامثل :

فعلى مستوى الأسرة ومايسيرها من علاقات حدد الإسلام مبادىء سامية فى مظاهر السلوك . فللأسرة قوامة يتحملها من أهّل لحملها . وعليها مسئوليات : فدخول البيوت بإذن وغض البصر واجب ، والإعراض عن اللغو مطلوب ، والتحاب والتواد مرغوب .

● وبالنسبة لكل ما من شأنه زعزعة البناء الأسرى ، وفيه خطر على بنيانها واستمرارها .. فالإسلام يحسم الأمر فوراً وقطعاً بالردع المحذور دون تردد : فالموءودة ستسأل : بأى ذنب قتلت ، والمسلم يمارس « الجنس » النظيف والعفيف بالزواج وعدم الاقتراب من الزنا ، لأنه « فاحشة ومقتا وساء سبيلا » ، والمسلمون والمسلمات راعيات وحافظات للعفاف والطهارة وحافظون ، وكل افراد الأسرة الصغيرة والكبيرة مؤدبون لا يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا .

●●●

والزواج اقتران إنسان بإنسانة ، وتحمل المسئوليات المرتبة عليه لأنه زواج الحقوق والواجبات ، وبشهادة الله ورسوله ، والميثاق الغليظ .

ووجد الإسلام نماذج لا ترضى - قبل رسالته - من صور الزواج ، وحقوق الزوجين وواجباتهما وتعدد الزواج بلا حد ، والتعسف فى استعمال حق الطلاق .. وكان لابد من علاج من الإسلام كخاتمة لأديان السماء .. ولم يكن الأمر سهلا فى الخيار : فالبتر للمسائل والحسم ، مع الشيوع والعموم يعرض المجتمع لاهتزاز البنية كلها .. فكان لابد من التدرج والحصر والإحاطة بالضمانات التى تهذب وتصلح وتعدل من السلوك ، تمهيداً للإذابة دون ردود عكسية ، فاختار الإسلام هذا الحل الوسط ، لأنه الدين الوسط ، الذى جعل ارتباطه كيانيا بين الإنسان والكون والمادة والروح : ، فالإنسانية فى وحدته متناسقة متحدة غير متنافرة .

وقوام الأسرة فى الإسلام : زواج يتسامى

للدكتور : توفيق محمد شاهين

بالإنسانية ، مؤلف من زوج وزوجة : وثمرته بنون وحفدة ، وتترتب عليه مسئوليات وحقوق وواجبات ، لا زواج جسد ومتعة يولد صراعاً خفياً بين حيوانية الغرائز المندفعة والأنانية المتحكمة ، والطمع البادى والمستتر .. فيمزق الإنسان ويحيره بين مثل يتغنى بها مظهريا ، ويتنكر لها سلوكيا .

فقد أعطى الإسلام المرأة حقها من العناية والرعاية والتقدير ، وسوى بينها وبين الرجل فى الاعتبار البشرى وشئون الدنيا والدين « بعضكم من بعض » وفى إطار طبيعة تكوينها وإمكاناتها حدد لها الدور الذى تستطيع القيام به للإسهام فى الحياة والإسعاد ، فالنساء شقائق الرجال .

وأى باحث منصف لا ينكر أن الإسلام أعطى المرأة من الحقوق ، وأكسبها من المنزلة ما لم تكن قط لأختها من قبل ، ولن تنالها أخرى من بعد ، لأن الإسلام ماكان ليغفل حقها وواجبها وهو المنهج الثابت المرتضى للحياة .

وطرح النقاش وإثارة الجدل العقيم حول هذا الموضوع بين الماديين والملحدين إنما هو من قبيل الفتنة ، ولإحلال العقائد الاجتماعية أو القومية أو الوطنية محل العقيدة الدينية ، ولزحزحة هذا الدين عن طبيعته ووظيفته كمنهج حياة متكامل ، ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣ آل عمران) إنما يكون ذلك من أصحاب الزيغ فى التفكير .

● ولكل من الجنسين ما هيأته له طبيعة الخلق والتكوين بما يحقق الدور المطلوب والصالح ، بما يحقق الهدف ويدفع إلى الغاية ، فكان هناك الداعى والمستجيب ، والمريد والمتقبل ، على أن يقوم كل بدوره فى نجاح وإيجابية بدفع قوى وإنسانية ورضاء .

أما حق الرعاية والمعيشة للمرأة فقد كفلته شريعة الواجب فى الإسلام ماكفلته للذكر سواء بسواء ، وعند البحث والمقارنة لا نجد دستور قانون أو دينا سابقا سبق الإسلام فى هذا : فللمرأة حق **التملك** ، **والإرث** ، **والتجارة** ، **والتصرف** ... مع أن لها حماية الفرض الواجب بنتا ، وزوجة وأختا وأمًّا .

ولا عائق لحرية المرأة فى الإسلام حيث تجب الحرية وتقتضى المصلحة ، اللهم إلّا حافظ الحرمات ، وآداب العفة والحياء ، ومانع الغواية والتبرج والفضول ... بما يضر ولا ينفع ، ويشقى ولا يسعد . ويهدم ولا يبنى .

● وهكذا يؤكد الإسلام على جعل أخلاقه فى القلب والسلوك ، كنظام عضوى شديد التماسك ، قوامه عقيدة دينية راسخة ، وتشريع وقيم أخلاقية للتطبيق العملى ،

(●) الكاتب : مدير المركز الإسلامى فى أتاوا ـ كندا .

وضع الأسرة فى الإسلام

لا مجرد نظريات باردة مبتوتة الصلة بواقع الفرد المسلم .

●●●

ومن سماحة الإسلام أن شرع المساواة بين الرجل والمرأة على أساس الحقوق والواجبات ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ . وللواقعية لا يكون من العدل عموم المساواة فى كل الاعتبارات ، مع التفاوت فى الخصائص التى كانت مع أصل الخلقة ، ومقتضى الطبيعة ، وماتترتب عليه الحقوق والواجبات .

ومن ثم كان ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء آية ١١) بما زاد فى واجبه ، فسبحان ﴿ الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ وذلك لتهيئة المجتمع الأمثل فى عدالة توزيع المسئوليات ، وترتب الحقوق والواجبات ، بمقتضى تكليف قوامه مراعاة الجهد والطاقة ، والنفع والمصلحة ، والمناسبة للبيئة والزمان .

● والزواج فى أشرف معانيه شريعة إسلامية ، به عمارة الكون ، وازدهار الحضارة ، وذكر للإنسان ، وحقيقة السكن الروحى والنفسى والجسدى ، والمودة الصريحة ، والرحمة السابغة ، والانسجام ، ورعاية المشاعر والأحاسيس ، فى محبة وتقدير متبادل ، وإحسان وكفاية ، وتعاون مثمر فى تثبيت كيان الأسرة صغيرة أو كبيرة .

وبالتالى يحمى من أضرار الانحراف والشذوذ وأمراض التحلل .

● وللمرأة حرية الرضاء ، واختيار الزوج ، وفرض الإسلام صداقها بما لاحد لأكثره تكريما لها وتشريفا ، وأوصى الزوج بصيانتها وإعفافها ، والصبر على مالا يرضاه منها ، لتقلب مزاجها وطبيعتها ، والخيرية لمن يحسن عشرتها . وعرفت الأديان السابقة تعدد الزوجات بلا حصر ، فهذب ذلك الإسلام وحدده وأباحه للضرورة الملجئة .

● فإذا عرض ما يكدر صفو الحياة ، ولم تجد المساعى الحميدة والمستطاعة لإصلاح ذات البين ، فلا مفر من القسوة المكروهة بارتكاب أبغض الحلال إلى الله تعالى وهو « الطلاق » ، بإحسان : رجعى ، على أمل التقارب واستئناف الحياة السعيدة ، أو البائن حين لا يُغير الانتظار الأمر والواقع المرير ، فيكون الطلاق حلاً يضع حدًا لمصاعب ومتاعب لا تطاق ، وقد أباحته الكنيسة حديثا بموافقة اثنى عشر الف كردينال كعلاج لحالات استعصت على الحل وتأبت على السهولة : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة آية ٢٢٩) ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعاً حَكِيماً ﴾ (النساء آية ١٣٠) .

وبذلك نجد الإسلام فى زمن بسيط عبر عن حلول عملية معقولة ، مالم تستطع أديان أخرى تكملته خلال قرون ، فما أبيح الطلاق وهو بغيض كريه إلا لما هو أشدّ منه بغضا وكراهة .

●●●

● ولم يغمط الإسلام حق الرجل ، وهو القوام (من القوامة) ، فأعطاه درجة تفضيل ، تقتضيها الفطرة والواقع والواجب

أولا ، واجب السعي والإنفاق ، والتفوق العام في المجالات التي أكد الزمن تفوق الرجل فيها وفي المجالات التي تسابق فيها الطرفان ، فسبق الرجل في كل أطوار التاريخ منذ فجره حتى معاصرته .

● ولم يكن حرمان المرأة من هذه الدرجة تعنتا ؛ لأن الطبع والمشاهدة أكدت حق الرجل فيها : في الأسرة ، والحياة الاجتماعية ، ولم تكن للمرأة بها طاقة لتوليها ، وهذا ـ على كلٍ ـ لا يغض من شأنها ، وحسبها أنها شقيقة الرجال : تسهم في مجالها بالعطاء والتضحية والوفاء .

● وفريضة الواجب فرضت للزوج حسن الرعاية والطاعة ، والاحترام والتقدير ، وحفظ النفس والمال والعرض ، وحسن التدبير للمعيشة والعناية بالأولاد ، ونشر أريج السعادة في المنزل .

وكان حافز الطاعة مثيرا ، ودفعه قويا في جانبي المرأة والرجل كزوجين بين الأولاد من جهة أخرى ، فإن أطاعت زوجها دخلت جنة ربها ، وأولادها يطيعونها ، لأن الجنة تحت أقدامها .

ومن هذا وذاك نجد الإسلام كرم الإنسان من حيث هو إنسان ، بقطع النظر عن جنسه والاعتبارات البشرية الأخرى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء آية ٧٠) ؛ لأن له رسالة وخلافة في الأرض يجب عليه أن يؤديها وأن يحافظ عليها ، حتى يرتفع إلى قمة الإنسانية .

● وحين يشيخ أو يقعد عن الكسب ، تبدأ رعاية الأبناء له عطفا وبرا ، ومودة ورحمة ، وحنانا وإحسانا ، والأمر يدور على الجزاء والعاقبة « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم » .

وجاءت نماذج القرآن الاجتماعية ، ومايحكيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نماذج عالية ، توحي بالقدوة والأسوة ، وتجيز الأصلح وتشير باتباعه ، ليصل الإنسان الكامل إلى مجتمع أكثر كمالا ، ثم يكون نموذجا فذا لما يجب أن يكون عليه إنسان الحياة ، الذي يجد في الإسلام خير تشريع ، يؤكد في واقعية وبساطة « قارية المجتمع » و« مظاهر حركيته » ، عبر روح عملية بناءه رائعة .

●●●

● والمال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والأولاد ثمرة الزواج المبارك ، وأكبادنا التي تمشي على الأرض ، وعماد المجتمع وأمل المستقبل ، ولهم لذلك في الإسلام حظهم من العناية والرعاية والتربية ، لأنهم على أوفق الآراء حق المجتمع كما أنهم حق الوالدين ، ومن ثم ، فحقهم الاستقبال باسم الله ، وشكره على الإنعام بهم ، بما يرجى معه الاستزادة : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم آية ٧) وملاعبتهم رحمة وتوجيههم واجب ، وتربيتهم التربية الحسنة عبادة .

● وقد أثبتت البحوث الحديثة في المؤتمرات المعاصرة : أن حضانة الأم لطفلها حصانة ، وإرضاعها له غذاء وشفاء ، ومكوثها معه خير قدوة وعامل أمان ، وأثبتت التجارب المعملية أن أي جهاز غير جهاز الأسرة لا يعوض عنها ، ولا يخلو من الأضرار ، فضلا عن أن نموه الجسمي والعقلي والنفسي حين يلتصق بأمه فيسمع دقات قلبها ، ويرضع ثديها ..

وضع الأسرة فى الإسلام

يكون أصحَّ من غيره صحيا ، ونموه أسرع من غيره حين ينشأ فى المحاضن الجماعية .

● وأخيرا فقط اكتشف الغرب فضل وصايا الإسلام ، يقول (ساموپل سمايلز الانجليزى) : « إن النظام الذى يقضى بتشغيل المرأة فى المصانع مهما نشأ عنه من الثروة فى البلاد ، فإن النتيجة كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية ؛ لأنه هاجم هيكل المنزل ، وقوض أركان الأسرة ، وفرق الروابط الاجتماعية ، ولأنه يسلب الزوجة من زوجها والأولاد من اقاربهم بنوع خاص ، كل ذلك لا نتيجة له إلا اهتزاز أخلاق المرأة ؛ إذ أن وظيفة المرأة الحقيقية هى القيام بالواجبات المنزلية ، مثل ترتيب مسكنها ، وتربية أولادها ، والاقتصاد فى وسائل معيشتها ، مع القيام بالاحتياجات البيئية ، ولكن المعامل تسلبها من كل هذه الواجبات ، بحيث أصبحت المنازل غير المنازل ، وأصبح الأولاد يشبون على غير التربية التى تلقى فى زوايا الإهمال ، فاختفت المحبة الزوجية ، وخرجت الزوجة عن كونها الظريفة والقريبة والمحبة للرجل ، وصارت الزميلة فى العمل والمشاق ، وباتت معرضة للتأثيرات التى تمحو غالبا التواضع الفكرى والأخلاقى ، الذى عليه مدار الفضيلة .

فالخلل جاء نتيجة لمزاحمة الرجل فى اختصاصه بغير حاجة ملجئة ، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قضى على ابنته فاطمة بالعمل فى المنزل ، وعلى زوجها الإمام على ـ رضى الله عنهما ـ بالعمل خارجه . وما أصوب وأحكم قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[1] .

ويبادل الأولاد آباءهم وأمهاتهم الجميل إحسانا ورعاية وطاعة وخضوعا ورحمة .

●●●

● والفرد فى دين الإسلام له كيانه واعتباره ، وهو للجماعة والجماعة له ، وهم جميعا متساوون فى الاعتبار البشرى ، وتحميلهم المسئولية ـ أفراداً وجماعات ـ إشعار لهم بالقيمة الإنسانية وتقديرا لسلوكهم بعد أن أهلوا لذلك ، وهم بعدئذ مسئولون عن هذا السلوك رشداً أو غيا : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ (الآية ٣ ـ الإنسان) .

وآثار تلك المسئولية تعود إلى الفرد نفسه أولاً ، وبعض آثارها يرجع إلى مجتمعه الصغير أو الكبير بعد ذلك ، ومن ثم فهى مسئولية تضامنية ، كل يتحملها ويسهم فيها بطرف ومسئول عن رعايتها :

فللزوجة حقوق ـ وإن كانت كتابية ـ على زوجها بالمعروف ، وعليها مسئولية الرعاية الداخلية للبيت والأولاد ، وللزوج حقوق عليها تواكب مسئوليتها كإنسانة رشيدة تقوم بواجبها ، وعلى الوالدين حسن توجيه وتربية الأولاد .

(١) رواه البخارى ـ الاستقراض وأداء الديون .

والتعرف على منهج الإسلام كرسالة وغاية في الحياة ، إذ « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . كما أخبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ[2] .

● وحق الوالدين على الأبناء بعد بلوغهم سن الرشد الرعاية والطاعة والعناية والرحمة والإحسان .

والمجتمع يرعى الفرد ، وهو بالتالي يرد الجميل له ، جزاء إحسان بإحسان .

ويتسامى الإسلام في تبعات الحقوق والواجبات والمسئولية ، حين : « **يدفع افراده للإيثار لا الأثرة** » .

لأن الحرية والمسئولية الممنوحة لهم لم تكن حرية شهوة وهوى وأنانية ، وإنما كانت دفعاً ذاتياً للإنسانية نحو الأكمل والأفضل ، فكانت الواجبات قبل الحقوق ، وكان الإيثار قبل الكفاية درجة فضل :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الآية ٩ ـ الحشر) .

وإذا عزت درجة الإيثار فلا أقل من تكافل الأشعريين ، حين كانت تنوبهم الخصاصة ، فيجمعون ما عندهم بغية القسمة بينهم بالسوية ، يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حقهم لصنعهم المسئول :

« **فهم مني وانا منهم** »[3] .. !!

● ووضع المسلم والمسلمة هكذا في دائرة الواجبات والمسئولية ، تحت رقابة ذاتية ، يوجه الأفراد والمجتمع لاتجاه واحد ، وحركات متناسقة متصلة للإنتاج الكمي والكيفي ، ابتغاء وجه الله في محبة وقوة ، وبابتغاء العزة ، لا انتظارا لحافز مادي كشأن الماديين والملحدين ، ممن أهمتهم المادة والإنسان ، **وليس الله خالق الإنسان** ، ولذا حذر القرآن المعجز من اتباع الماديين والملحدين ، حينما نستمع لقوله تعالى في أول سورة إبراهيم :

﴿ الر . كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (الآيات ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ سورة إبراهيم)

فمن صفاتهم تفضيل متاع الدنيا على الآخرة والعمل لها ، والصدّ عن سبيل الله بالغواية ، وعدم الاستقامة ، وتشويه قيم الإسلام بالضلال والإضلال ، ومع ذلك فكيد الشياطين ضعيف ، وظلام الدنيا ، لايطفىء شمعة .

والحق احق أن يتبع .

● ولكنّ المفسدين يتصدرون التوجيه بعيون معصوبة ، وقلوب زائغة ، عليها أقفالها المحكمة ـ فامتد خطرهم ونشاطهم إلى آفاق بعيدة ، ونواح عديدة ..

وكانت المرأة هنا الهدف .. وكانت صيحات مايسمى « حركات تحرير المرأة » بغرض إلغاء آثار الذكورة والأنوثة ، والتغيير الشامل

←

(٢) صحيح البخارى .

(٣) صحيح مسلم .

وضع الأسرة فى الإسلام .

فى العلاقات الاجتماعية والأسرية والجنسية ، على نحو مايحكيه الأستاذ الدكتور محمد البهى فى كتابه :

(خمس رسائل إلى الشباب المسلم المعاصر) حين أشار إلى هذا التغيير المطلوب والمزمع إلى :

● مساواة الطفل غير الشرعى بالطفل الشرعى ، وقد نجحت فى ذلك البلاد الاسكندنافية .

● وإلى عدم اعتبار الزنا سبباً خلقياً يبرر مسئولية الزوجة فى طلاقها من زوجها ، وقد الغى الآن فى الدانيمارك .

● وإلى إباحة المعاشرة الجنسية فى غير علاقة زوجية ، فى علاقة صداقة أو فيما يسمى بزواج المجموعة أو فى تبادل الزوجات والصديقات ، وإباحة العُرى فى المجتمعات العامة ، وتم ذلك فى السويد وغيرها .

● وإلى جعل الطلاق حقا للزوجين دون تدخل من الدولة عن طريق القضاء ونُفِّذَ ذلك فى رقعة كبيرة من **الأرض** .

● وإلى تيسير قيام الزوجية لمن هم دون العشرين وفوق السادسة عشرة بدون الحاجة إلى **إذن الوالدين والأهل** .

● وإلى إباحة عرض أفلام الجنس فى توضيح « العلاقة الجنسية » والحمل والولادة .

● وإلى إباحة نشر الصور العارية وكتب وأفلام الإثارة الجنسية ، وفتح معرض عالمى فى الدانيمارك سنة ١٩٦٩م لذلك .

● وتوجيه الشباب منذ المرحلة الأولى فى المدرسة إلى معرفة الجنس من بدء الحمل إلى وقت الولادة .

● وإلى إباحة « اللواط » بين الرجال « والسحاق » بين النساء فى قوانين المجتمع ، ويشترط فقط فى إباحة اللواط بلوغ سن الرشد بين الرجلين .

● وتيسير رعاية الأم فى غير علاقة زوجية ، وتيسير إسقاط الجنين وتناول حبوب منع الحمل ، وجواز التلقيح الصناعى من غير ماء الزوج ، بشرط موافقة الزوجين .

● وقد ساعد على كل ذلك ماتميز به العصر الحديث من تقدم وثورة فى الاقتصاد والصناعة والاجتماع والسياسة والتقدم التكنولوجى الهائل .. وترتب على ذلك ـ فى إيجاز ـ :

● اهتزاز القيم الإنسانية فى نفوس الشباب .

● والثورة على الأوضاع المعروفة والتمرد على كل سلطة توجيه .

● وعدم المبالاة بأى قيم أو أعراف والتخلى عن المسئولية .

● تشجيع حفلات الشباب واختلاطهم فى كل المجالات للانطلاق من كل قيد باسم « الجنس من اجل السلام » .. إلى آخر هذه العوامل

التخريبية التى انتشرت انتشار النار فى الهشيم ، وتهدد بخطر داهم لا يبقى ولا يذر .

وتتركز الحملات باستمرار ضد الإسلام والمسلمين ، محاولة تشويه معالمه ، وزحزحته عن التوجيه باسم « العلمانية » والحطّ من قيمته لتنفير أبنائه منه ، وإخراجهم من دائرة الاعتقاد به ، وإهمال تعاليمه ..

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (الصف آية ٨) .

●●●

● وجدير بالمسلم أن يعتصم بدينه ، ويعتز بإسلامه ، ويحاول جهده أن يقيم دولة الإسلام فى أسرته ، تمهيداً لقيامها فى الدولة الكبيرة بفضل الله ..

وليحذر جهده هذه الصيحات الهدامة والعلاقات الآثمة الشاذة ، فما نتج عنها سوى الانحلال والتحلل والانحراف ، فضلا عن فشو الأمراض الجسدية والنفسية والعصبية مما دمّر جوّ الأسرة ، وعكر صفو المجتمع ، وأجج نيران العداوة والبغضاء ، وأهاج أمواج الشك والريبة ..

وقد أخبرنا رسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله « لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا »[٤] .

وكفى برعب (الإيدز) والأمراض السرية واعظا !

وما زاد انحلال الغرب وانحداره إلا أوارا وسعارا ، وتأثير ضار على الجهاز العصبى ، وخواء الروح ، واهتزاز المقومات الأساسية للذات ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً ﴾ (الكهف ٥٩) .

● وستبقى المسيرة الخالدة للإسلام حين قادها بتوازن مقدس بين المادة والروح والجسد والنفس ، ومن ثم تدخل بالتشريع ليحل النافع ويحرم الضار ومايزعج :

﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾ (البقرة آية ١٣٨) .

● وسيظل الأمل يراودنا فى إشراقة الإسلام تطل على الدنيا من جديد ..

ويسألونك متى هو . قل عسى أن يكون قريباً

ويؤكد الفيلسوف الألمانى « شبنجلر » أن « الدورة الحضارية القادمة فى الأفق ستكون حضارة الإسلام » .

﴿ .. وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ ﴾ (الآية ٤ ـ الأحزاب)

دكتور / توفيق محمد شاهين

---

(٤) ابن ماجه ـ كتاب الفتن .

رسل الأزهر

في بلاد النيجر

للعيون في اللغة دلالات مختلفة ومعان .. فهناك العيون التي تبصر ، وهناك العيون التي تتنسم الأخبار ، وتلك التي تروى الظما ، فتنقل بين العيون ماشاء الله لك أن تتنقل ، تكن قد رأيت وارتأيت وارتويت .

ابو العيون

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد فإننى أضع بين يدىْ القارىء الكريم صفحات أسميتها « عيون الأزهر في بلاد النيجر » تيمنا بالأزهر الشريف ، المنهل الروحى لأسرة « أبى العيون » ، وصاحب السهم الأوفر في نشر تعاليم الإسلام ، والعربية لغة القرآن ، في شتى بقاع الأرض ، والنبع الصافى الذى استقيت ، واستقى معى أهل النيجر من عيونه .

والغرض من هذه الصفحات ، التى رويت من خلالها ذكرياتى عن النيجر في الفترة من ١٣٩١ ـ ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧١ ـ ١٩٧٦ م هو التعريف بشعب مسلم ، مجهول لدى الكثيرين منا ، يعيش في قلب أفريقيا ، وأتمنى أن يعيش أيضا في قلب كل قارىء مسلم .

وقد اجتهدت أن أرسم في صفحاتى هذه صورة لشعب طيب ، عانى كثيرا ، وحرم كثيرا ، وكان زاده الوحيد الذى قاوم به طوال المعاناة والحرمان هو تمسكه بالإسلام ، في فترة شهدت فيها البلاد تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية خطيرة .

كما حاولت بالمثل أن أقدم صورة صادقة ، بلا (رتوش) ولا تشويه :

عن حياتنا في النيجر ، وطننا الثانى بعد مصر بكل مباهجها ومغانيها .

عن حياة الدبلوماسيين بالخارج بشواغلها وهمومها .

عن الجنود المجهولين من أبناء الجالية المصرية الشرفاء .

للسيد السفير
جمال الدين محمود أبو العيون

عن الأزهر منارة الإسلام فى بلاد تعتز بالإسلام .

والله أدعو أن أكون قد وفقت فيما هدفت إليه . وأستغفره سبحانه إن كنت قد شططت أو جانبت الصواب ، وماتوفيقى إلا بالله .

ترجمة حياة المؤلف

ـ ابن المغفور له الشيخ محمود أبى العيون ، سكرتير عام الجامع الأزهر والمعاهد الدينية (سابقا) .

ـ ولد فى ٢٤ فبراير ١٩٢٧ .

ـ تخرج فى كلية الحقوق (جامعة فؤاد الأول) ١٩٤٧ .

ـ حصل على دبلوم الشريعة الإسلامية من نفس الكلية ١٩٥٠ .

ـ التحق بالسلك السياسي (١٩٥١ ـ ١٩٨٧) .

ـ ملحق دبلوماسى بالمفوضية المصرية فى بوخارست رومانيا / (١٩٥٢ ـ ١٩٥٣) .

ـ سكرتير ثان بالسفارة فى (بون) ففرانكفورت / المانيا الغربية (١٩٥٧ ـ ١٩٦٢) .

ـ مستشار بالسفارة فى نيقوسيا / قبرص (١٩٦٤ ـ ١٩٦٨) .

ـ قائم بالأعمال (مستشار ثم وزير مفوض) ثم سفير فى نيامى / النيجر (١٩٧١ ـ ١٩٧٦) .

ـ سفير فى كولومبو / سرى لانكا (١٩٧٩ ـ ١٩٨٣) .

ـ أنشأ (متحف الزعيم المصرى أحمد عرابى باشا) بمدينة كاندى بسرى لانكا وهو أول متحف مصرى يقام خارج مصر .

ـ أنشأ إدارة شئون مجلسى الشعب والشورى بوزارة الخارجية (١٩٨٣ ـ ١٩٨٧) .

ـ اختير عضوا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية منذ ١٩٨٨ .

١. قوافل الزمان

مطلوب منك أن تغمض عينيك ثم تفتحهما على منظر طريف لن تنساه أبداً .. منظر قوافل الجمال وهى تعبر الجسر الوحيد على نهر النيجر عند مدينة (نيامى) ، ثم وهى تتوقف أمام مبنى شاهق الارتفاع ، ليطل منها رجال مُلَثَّمُون ، تكاد تختفى ملامحهم السمراء خلف ثيابهم الزرقاء الداكنة ، فلا يكاد يظهر منها سوى عيونهم اللامعة المتطلعة فى دهشة إلى ذلك المبنى الضخم . وأصابعهم تتابع عيونهم ، وتعد طابقا فوق طابق ، حتى تتم اثنى عشر طابقا ، ثم يهزون رءوسهم غير مصدقين .. تماما كما يفعل السياح حينما يحضرون إلى مصر ليشاهدوا الهرم الأكبر لأول مرة .. لذلك لم يكن من الغريب أن

رسل الأزهر فى بلاد النيجر

يطلقوا فى النيجر اسم الهرم على تلك العمارة المرتفعة التى يرفرف عليها علم مصر والتى يعلوها بأحرف كبيرة خضراء اسم « النصر » .

أنت الآن فى عام ١٩٧١ .

تستطيع إذا كنت قادما بالطائرة إلى العاصمة نيامى أن تشهد ذلك المنظر الفريد

بوضوح ، منظر المدينة الصغيرة الراقدة فى حضن الصحراء ، والتى تشبه إلى حد كبير ضاحية المعادى بمبانيها التى لا يتجاوز ارتفاعها طابقين أو أحيانا ثلاثة ، عدا عمارة النصر المصرية التى تتوسطها والتى تبدو من الطائرة وكأنها تاج يزين وسط العاصمة بعلوها وشموخها .

ومن المؤكد أنك سوف تحس بالفخار .. فأنت أو أخوك أو أحد أقربائك أو معارفك قد ساهم بغير شك فى تشييد هذه العمارة الضخمة التى شاء الله ـ سبحانه ـ أن يحقق قيامها على يدى رجل عظيم ووطنى مخلص يعد من أنجح الاقتصاديين المصريين فى عصره هو السيد / محمد غانم رئيس مجلس إدارة شركة النصر للتصدير والاستيراد .

ولعلك تتساءل الآن : عن الحكمة من تشييد عمارة مصرية كبيرة فى مثل هذه الأصقاع النائية من أفريقيا ؟ ولقد رددت مثلك هذا السؤال من قبل حتى جاءنى الجواب على لسان الصديق العزيز مصطفى فوزى مدير الاستثمارات بشركة النصر ورفيقى فى رحلة افتتاح العمارة ، وقد أجابنى وعلى شفتيه ابتسامته الهادئة الوديعة :

« سوف أقص عليك القصة باختصار .. أنت تعلم دور الاستعمار الأوروبى الغاشم فى أفريقيا ، وكيف استعبد أهلها ، ونهب كنوزها ، وعمد إلى تزييف تاريخها ومحو شخصيتها ، وعزلها عزلة تامة عن العالم الخارجى ، إلى أن تبدلت الصورة بعد الحرب العالمية الثانية ، وأخذت موجة الاستعمار فى الانحسار فى الخمسينيات .. وكان لمصر دورها المعروف فى مناصرة تلك المستعمرات حتى حصلت على استقلالها وبدأت تنعم بشمس الحرية .

ولم ينس الاستعمار وهو يتراجع أن يهيىء لعميلته إسرائيل ركيزة فى المستعمرات ، فسمح لها بإنشاء قنصليات ، تحولت غداة الاستقلال إلى سفارات ، فى حين وضع العقبات أمام مصر التى ظلت تكافح لتجد موطئا لأقدامها هناك ، حتى اهتدت إلى طريق عملى سديد ، فكان أن قامت شركة النصر بافتتاح نيف وثلاثين فرعا لها فى أفريقيا لإثبات الوجود المصرى وكسر الاحتكار الأجنبى المسيطر على أسواقها .

واستطرد مصطفى فوزى يقول وقد ازدادت ابتسامته اتساعا : « والمسألة ببساطة أننا اقتنعنا ـ بعد معايشتنا للشعوب الأفريقية الشقيقة ـ بأهمية الدور المصرى فيها ، كما اكتشفنا الأهمية المنتظرة للنيجر بالذات ، فهى من جهة تعد ملتقى الطرق فى غرب أفريقيا ، ومن جهة أخرى تبشر الظواهر بوجود ثروات كثيرة فى باطنها ، وفى مقدمتها المعدن النادر الذى لا غنى عنه لصناعات

المستقبل ، وهو معدن (اليورانيوم) فكان أن عرضت شركتنا على حكومة النيجر تشييد هذه العمارة لتكون مستعدة لاستقبال الأعداد المتزايدة سنويا من الخبراء الأجانب ، بالإضافة إلى الدبلوماسيين والسياح فرحبت الحكومة بالعرض واهدتنا قطعة الأرض التى اخترناها لتشييد العمارة عليها .

وسوف تدهش إذا علمت أن العمارة التى تكلف إنشاؤها فى ذلك الحين مليونا ونصف مليون جنيه استرليني قد شادتها بالكامل الخبرات المصرية : تصميما واشرافا وتنفيذاً ، كما ساهمت فى تشييدها السواعد المصرية التى نجحت فى تدريب العديد من المواطنين النيجيريين على أعمال التشييد والعمران حتى تم هذا الإنجاز الرائع .

وكنت قد تلقيت من السيد محمد غانم - إثر اختيارى مستشاراً قائما بأعمال السفارة المصرية فى النيجر - دعوة كريمة للمشاركة فى الاحتفالات التى تقرر إقامتها بمناسبة افتتاح العمارة المصرية فى (نيامى) ، وعمارة أخرى كبيرة فى ابيدجان (ساحل العاج) فى ابريل ١٩٧١ ، وهكذا سافرت فى الطائرة التى خصصت لنقل المدعوين الرسميين إلى النيجر ، حيث شاركت فى الحفل الكبير الذى اقيم يوم أول مايو عقب الاحتفال بعيد العمال ، الذى شرفه الرئيس هامانى ديورى رئيس جمهورية النيجر وقتئذ بحضوره ، كما شاهده كبار المسئولين بالدولة ، والوزراء وفى مقدمتهم وزير الخارجية السيد مايدا محمودو ، ورجال السلك الدبلوماسى الأجنبى ، وجم غفير من الأهالى الذين احتشدوا فى شبه مظاهرة ، وراحوا يتزاحمون حول العمارة ومصاعدها الكهربائية التى راوها لأول مرة وكأنها أرجوحة من أراجيح الملاهى .

وكان أسعد الحاضرين رئيس الجمهورية الذى امر بإطلاق اسم جمال عبد الناصر على الطريق الذى تقع فيه العمارة ، ولما صعد إلى سطحها اعلن وهو فى قمة الابتهاج أنه سعيد كل السعادة أن يرى بلاده لأول مرة من أعلى قمة فى العاصمة .

ولما انفض الحفل وتفرقت الجموع ، وجدت فرصتى لتفقد العمارة بصحبة زميلى المستشار (السفير فيما بعد) صلاح الدين علوبة القائم بأعمال السفارة المصرية وقتها (وهو ابن المجاهد الكبير المغفور له محمد على علوبة باشا) ووجدتها تستحق الإعجاب مثلا ، فهى مكونة من جناحين ملتصقين ، يضم كل منها (اثنين وعشرين) شقة . بمصعد كهربائى مستقل ، وفى أسفلها حديقة واسعة تصلح لأغراض شتى ، وتضم محلات عديدة و(كافيتريا) ذات شرفة رحبة ، وفى أعلى العمارة طابق كبير يحتل مساحة الجناحين معا ، ويصلح لأن يكون معرضا أو مركزا تجاريا كبيراً أو مكانا لأى مشروع ناجح .

وصحبنى زميلى إلى دار السفارة الواقعة فى الطابق الأول من العمارة لأشاهد مكتبى المنتظر بها ، ثم إلى دار السكن المخصصة لرئيس البعثة ، وهى عبارة عن فيلا لطيفة فى الطابقين السابع والثامن . ولما خرجت إلى شرفة مسكنى المنتظر ، ونظرت من عل ،

رسل الأزهر فى بلاد النيجر

داعبتنى نسمة من الهواء عليلة رغم حرارة الجو الشديدة ، وراقنى منظر المدينة الهادئة وهى تكسوها الخضرة ، والنهر الوديع وهو يجرى منسابا بالقرب من عمارتنا الحبيبة ، وحدثنى صديقى علوبة عن النيجر وعن ذكرياته فيها ، فقال : إنه رغم حبه للبلاد وأهلها إلا أنه لم يشعر للأسف بالاستقرار طيلة العامين السابقين ، فقد كان عليه أن يفتتح أول سفارة لمصر فيها عام ١٩٦٩ ، فكانت بداية شاقة بطبيعة الحال ، ثم كان عليه أن يساهم فى الإشراف على بناء العمارة المصرية ، وهى مهمة شاقة كذلك ، وهو يعتقد انه ادى واجبه كاملا فى هذه الناحية ، وأنه قد آن أوان سفره إلى فنلندا بشمال أوروبا لتمضية السنتين الباقيتين له فى الخارج . وقلت له : إننى شخصيا أستعد للحضور مع أسرتى للنيجر قبل بدء العام الدراسى الجديد بها ، فتمنى لى حظا سعيدا فى عملى الجديد ، وتمنيت له بدورى السعادة والتوفيق .

ومرة أخرى مرت القوافل أمام عينى وهى تعبر الجسر الوحيد على النهر عائدة إلى موطنها ، فرحت أشيعها ببصرى حتى توارت تدريجيا عند الأفق الغربى لتلحق بغيرها من قوافل الزمان .

٢- الرمال الملتهبة

يحكى أن صيادا كان يعبر نهر النيجر قاصدا زيارة أمه التى تقيم فى أكواخ للصيادين مقامة على ضفة النهر ، حين قابله أحد الأجانب وسأله عن وجهته ، فأشار الصياد إلى الشاطىء المقابل وأجاب : « نيامى » أى : « أنا ذاهب إلى أمى » فظن الأجنبى أن « نيامى » هو اسم القرية ، ودونها على خريطة كان يحملها ، ومن ثم أصبح اسم تلك القرية - التى انتشر فيها العمران حتى غدت مدينة - (نيامى) ونمت المدينة بسرعة ، وتكاثر عدد سكانها ، حتى اختيرت لتكون عاصمة لكل النيجر .

والنيجر دولة من جيران مصر ، لا يفصلها عنها سوى ليبيا ، وصحراؤها هى الامتداد الطبيعى لصحرائنا الغربية ، كما أن عدداً من قبائلها ينسبون أنفسهم إلى مصر ، ويقولون : إن أجدادهم القدامى وفدوا إلى هذه البلاد عبر الصحراء بحثاً عن المرعى فى وقت لم تكن فيه هناك حدود فاصلة بين دولة وأخرى فى هذا الخضم اللانهائى من الرمال المنبسطة .

ولماذا نذهب بعيداً ؟ إن الحدود التى تفصل بين النيجر وجيرانها حاليا ماهى إلا حدود مصطفة خطها قلم الاستعمار على خريطة أفريقيا .. والدليل على ذلك أن القبائل التى تعيش داخل النيجر ماهى إلا امتداد أو فروع لنفس القبائل التى تعيش حتى الآن عبر الحدود خارج النيجر .

وموقع النيجر فى قارة أفريقيا كموقع القلب من جسد الإنسان ، وهى محاطة بالجيران من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم ، فمن الشرق تحدها تشاد ، ومن الشمال ليبيا

والجزائر ، ومن الغرب مالى وبوركينا فاسو ، ومن الجنوب بنين ونيجيريا .

وإن شئت أن ترى النيجر مجسمة أمامك ، فما عليك إلا أن تقبض أصابع يدك اليسرى بشدة ، ثم ترفع معصمك أمام عينيك وكأنك تنظر إلى ساعتك ، وعندئذ ستشاهد النيجر وكأنها أمامك على الخريطة .

وإذا افترضنا أنك فى طائرة تجوب بها البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، فسوف تظهر لك النيجر على هيئة سهل شاسع ، مساحته حوالى مليون وربع كم[٢] ، فهى أكبر قليلا من مساحة مصر (مليون كم[٢]) ، ويبلغ طول ذلك السهل من الشرق إلى الغرب (١٥٠٠) كم ومن الشمال إلى الجنوب (١٢٠٠) كم ، وارتفاعه حوالى (٣٠٠) متر ، وتغطيه الكثبان الرملية إلى مالا نهاية ، وفى وسط سلسلة من الحواجز البركانية ، أعلاها قمة الآير التى يبلغ ارتفاعها (٢٣٠٠) متر ، مما يسمح بسقوط بعض الأمطار عليها ، ولذا تكثر فيها المراعى الخضراء التى تضفى على المنطقة جاذبية لا نظير لها . وتعد مدينة أجاريس فى هذه المنطقة نقطة الكثافة السكانية الوحيدة والملتقى الهام لطرق القوافل .

وفى شرق الآير يقع سهل التترى ، الذى تغطى كثبانه الرملية معظم النيجر الشرقى ، وقد تصل سلسلة الكثبان الرملية فى طولها إلى ما يقرب من ٢٠ كم وارتفاعها عدة أمتار ،

وأخيراً هناك السهل الكثبانى المعروف بسهل (بيلما) الكبير أو سهل (الكاوار) ، وهو منطقة صحراوية خالية ، تتخللها فى بعض أجزائها واحات تعد متعة للنظر ، كما يوجد بالقرب منها سهل مملح يعرف بمنطقة ملاحات بيلما .

فإذا انتقلت إلى جنوب البلاد فسوف تصادف مناطق خضراء مأهولة بالسكان لوقوعها بين بحيرة تشاد شرقا ونهر النيجر غربا ، وأيضا بفضل الأمطار الموسمية التى تأتى بها الرياح من الجنوب وتقل تدريجيا كلما اتجهنا إلى الشمال .

وقد اشتقت جمهورية النيجر اسمها من نهر النيجر الذى يجرى فيها على امتداد (٣٥٠) كيلو مترا قرب حدودها الغربية وهو نهر احتار فيه المستكشفون قديما حيث ظنوه فرعا من فروع نهر النيل ويبلغ طوله (٤٢٠٠) كم ، وهو بذلك ثالث أنهار أفريقيا طولا بعد النيل ، ونهر الكونغو ، وهو ينبع من غينيا فى غرب أفريقيا ، ويخترق مالى والنيجر ونيجيريا قبل أن يصب فى خليج غينيا ، ومياهه ضحلة ، وخاصة عند النيجر ، كما انه تعترضه صخور جرانيتية تعوق الملاحة فيه ، ولذلك لم يستفد أهل النيجر منه مثلما استفادت مصر من نهر النيل .

وفى أقصى الجنوب ، حيث تلتقى حدود النيجر مع بوركينا فاسو وبنين ، تجد النهر قد تعثر فى سيره محدثا تعرجات ضيقة أشهرها

رسل الأزهر فى بلاد النيجر

فرع (واو) الملىء بالأحراش والحيوانات الطليقة .

وهناك نهر آخر أقل شهرة ، وهو نهر (كومو دوجو يوبى) ويبلغ طوله حوالى (١٠٠٠) كيلو متر ، وهو ينبع من نيجيريا ، ويشكل جزءاً من الحدود الفاصلة بينها وبين النيجر بطول ١٥٠ كيلو مترا . ثم يتوغل فى أرض النيجر ليصب بعد ذلك فى بحيرة تشاد جنوب شرقى النيجر .

ويقال إن بحيرة تشاد كانت فى الأصل بحراً كبيراً ، والآن لا يزيد عمقها عن بضعة أمتار ، وتتزاحم فيها الجزر ، وتبلغ مساحة الجزء الواقع منها فى النيجر حوالى (٣٠٠٠) كم٢ ، والباقى موزع بين نيجيريا والكاميرون وتشاد .. ومعظم سكان النيجر ربما سمعوا عن البحر ولكن لم يروه بأعينهم ، فهو يبعد آلاف الكيلو مترات ، وأقرب الموانىء إلى النيجر فى الجنوب كوتونو عاصمة بنين (١٢٠٠) كم ، وفى الغرب داكار عاصمة السنغال (٢٠٠٠ كم) وفى الشمال الجزائر (٢٥٠٠ كم) وكان لبعد النيجر عن البحر تأثيره الواضح على مناخها ، فهى شديدة الجفاف ، بالإضافة إلى كونها شديدة الحرارة ، لأنها تقع بين مدار السرطان وخط عرض ١٢° شمال خط الاستواء .

والفصول المناخية فى النيجر تختلف عن مثيلتها فى مصر ، فهى لا تنقسم ـ كما هو الحال عندنا ـ إلى الفصول الأربعة المعروفة ولكن إلى أربعة مواسم هى : موسم المطر ، ويسمونه الشتوى ، (يونيو ـ سبتمبر) وموسم الجفاف الشديد (أكتوبر) وموسم البرد (نوفمبر ـ فبراير) ثم موسم الحر الشديد (مارس ـ يونيو) وفيه تصل درجة الحرارة إلى ٤٠° مئوية فى الظل ، ولك أن تتخيلها فى الصحراء المكشوفة التى هى أشد وطأة وتطرفا ، لتعلم لماذا أطلقوا عليها وصف : الرمال الملتهبة .

تلك هى النيجر ، بسهولها ومرتفعاتها وصحاريها وأنهارها ، ولقد يسعدنا بعد أن عرفنا شيئا عن طبيعتها أن نلتقى بسكانها لنتعرف عليهم من قرب ، فمن هم ؟ ومن أين وفدوا على هذه البلاد !

يتبع

جمال الدين أبو العيون

العسل

في القرآن والسنة والطب

بقلم: واصف عبد الحليم عبد الله

يقول سبحانه جل وعلا :

قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً . يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

والوحي هنا بمعنى الإلهام والإرشاد .

ويقول الهادي البشير صلى الله عليه وسلم « عليكم بالشفاءين : العسل والقرآن »[2] .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وقد جمع الحديث الشريف بين شفاءين : شفاء النفوس وشفاء الأبدان ، فالقرآن هدى الأرواح وشفاؤها ، والعسل شفاء الأجساد وطبها ،

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « تداووا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم) .

ويثني الرسول صلى الله عليه وسلم على

←

(١) سورة النحل : الآيات ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) ابن ماجه .

العسل فى القرآن والسنة

بلال فيقول : « مثل بلال كمثل النحلة تأكل طيبا ، وتضع طيبا ، وقعت فلم تكسر ولم تفسد » (رواه أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى) كذلك فى العسل شفاء للنفس والجسد لقوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾[3] صدق الله العظيم .

ولفظ الشفاء ورد فى الآية الكريمة نكرة ليفيد عموم الشفاء وعدم التخصيص ثم هو من نعيم الجنة قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾[4] .

وقال صلى الله عليه وسلم « شفاء أمتى فى ثلاث : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار » صدقت يارسول الله وفى رواية « لا أحب أن اكتوى » ابن ماجه .

وقدم الرسول صلى الله عليه وسلم العسل فى هذا الحديث وذلك لاهميته كغذاء وأهميته كدواء ، وليس للعسل أعراض جانبية كتلك التى تتوقع من استعمال العقاقير الطبية .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لعق ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم البلاء » (أحمد وابن ماجه ورمز له السيوطى بالصحة) ويقصد باللعق هنا لعق العسل وقد اثبتت التجارب أنه يشفى ويساعد على شفاء العديد من الأمراض . منها : الجروح وامراض الجلد بأنواعها لما يتمتع به من خاصية قتل الجراثيم والتعقيم ، كما يساعد على نظافة الجروح ويساعد على سرعة التئامها ، وقد أتى بنتائج باهرة فى سرعة التئام العمليات الجراحية الخطيرة مثل (بتر الثدى) .

والعسل يزيد من مخزون الكبد من السكر الحيوانى وتنشيط عملية التمثيل الغذائى فى الأنسجة والجلوكوز يزيد من نشاط الكبد فيزداد أثره فى تكوين (ترياق سم البكتريا) وبذلك تزداد مقاومة الجسم للعدوى هذا بالنسبة للكبد ، أما القلب والأوعية (الإكلينيكية) فله خاصية توسيع هذه الأوعية وهو يزيد من « تروية » عضلة القلب وتغذيتها .

وإلى القارىء بعض استخدامات العسل فى الطب الحديث :

(١) استعمال العسل فى علاج أمراض التنفس :

يقول : (د . س . جارفيس) فى كتابه الطب الشعبى : العسل دواء ممتاز لمعالجة بعض أمراض المسالك التنفسية . وذلك بمضغ المادة الشمعية بعد تجريدها من العسل فعند مضغ قطعة من شمع النحل يؤدى ذلك إلى تحسن الجدار الداخلى للمسالك التنفسية .

كذلك استعمال العسل لعلاج (جفاف الأنف والبلعوم والحنجرة) عن طريق محلول من العسل فى الماء بنسبة ١٠٪ يوضع فى جهاز رذاذ للاستنشاق .

(٣) سورة النحل الآيات ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) سورة محمد ﷺ : الآية ١٥ .

أوصى بذلك (ن يويريش) فى كتابه عن عسل النحل .

وبخصوص علاج اللوزتين اجريت دراسة فى مستشفى بـ(روسيا) للأطفال وكانت النتائج مشجعة فى هذا المجال وتتلخص طريقة هذا العلاج فى مزج (٥٠) جرام عسل يضاف إليها نصف مليون وحدة من البنسلين المبلور ، وتحفظ فى مكان جاف ومظلم عند درجة حرارة ٥ ـ٧م ثم تدهن اللوزتان بالمزيج من خلال قطعة قطن ثلاث مرات كل يوم بعد الطعام ولمدة ١٢ ـ ١٥ يوما .

العسل فى علاج الرئة

يستعمل العسل فى علاج أمراض الرئة ومنها « السل الرئوى الأولى بمزيج من العسل وبتلات الورد .. وكان الأطباء يوصون المرضى المصابين بالنزف الرئوى بشرب العسل النقى أو المزوج بعصير الجزر أو اللفت .

(ب) استعمال العسل فى علاج أمراض القلب :

ثبت بالتجربة العلمية أن العسل يعمل على تقوية القلب ، ورفع الضغط المنخفض ويزيد من نسبة (الهيموجلوبين) فى الدم ويزيد أوزان الأطفال الضعاف إذا تناولوا (٣٠) جراما من العسل يوميا .

كذلك من الجدير بالذكر أن من أهم مكونات العسل : الجلوكوز ذلك السائل السكرى الذى يستعمل لعلاج معظم الأمراض ومنها أمراض الدورة الدموية .. فهو أهم علاج للتسمم ، وله دور فعال فى تنظيم ضغط الدم .

(جـ) العسل .. وأمراض الجهاز الهضمى :

لم يعرف الإنسان وجبة غذائية أنفع وأخف من عسل النحل فالغذاء المكون من العسل فقط أو ممزوجا مع الأطعمة الرئيسية الأساسية ، يقلل من الحموضة لدى المرضى الذين يشكون من الحموضة العالية فى المعدة وعلى ذلك يمكن وصف العسل علاجا للاضطرابات المختلفة فى المعدة والأمعاء .

فأما عن اعتقاد البعض أن العسل لا يناسب صحتهم نظرا لضعف الكبد لديهم ، فإن التجارب المستمرة عليه فى جامعة (بولونيكا) بإيطاليا تثبت أن للعسل تأثيرا مقويا لمرضى الكبد . كذلك مما هو معلوم عن البنكرياس أن يقوم بإفراز (انزيمات) خاصة لتحويل السكريات الصناعية إلى (نشا) حيوانى يمكن للجسم الاستفادة منه عند الحاجة .

ذلك بعض ماكتشفته التجارب العلمية الحديثة عن أثر العسل فى علاج بعض الأمراض وهو قلٌّ من كُثُر مما لا يعلمه إلا الله خالقه ـ عز وجل ـ سبحانه بيده الخير وهو على كل شىء قدير وبالله التوفيق .

مراجع

١ ـ الشفاءات ، للأستاذ حلمى الخولى .
٢ ـ مستشفى عسل النحل ، للأستاذ عبد اللطيف عاشور .
٣ ـ نحل العسل والطب الشعبى ، للعالم الأمريكي (س . جارفيس) ترجمة د . أمين رويحة .
٤ ـ النحل ، واصف عبد الحليم عبد الله مجلة الوعى الاسلامى ـ الكويت .

الفتاوى

إعداد

عبد الحميد السيد شاهين
صفوت عبد الجواد

السؤال من السيد /

ماحكم الشرع فى العمل او فتح نادى فيديو للأفلام الهندية والعربية والاجنبية ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين أما بعد فنفيد أن إنشاء (نادى فيديو) التكسب منه حرام بناء على مايعرض فيه من اشرطة تخالف الإسلام وتدفع الشباب إلى الفساد والفجور والاعتداء على القيم الإسلامية السليمة وكل ما كان كذلك فهو حرام لما يؤدى إليه من شرور ومفاسد والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد / على بن سالم بن جاسم

نرجو الإفادة عن بيان الحكم الشرعى فيما إذا اودع العميل لدى البنك مبلغا وقدره مليون درهم بدون مصروفات ولا فوائد على أن يقوم البنك بإعطاء عميله هذا كتاب ضمان فى حدود مبلغ الوديعة وزيادة ١٥٪ منه دون فوائد ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد أنه مادام العميل قد أودع البنك مبلغا من المال دون اشتراط فائدة ابتداء لصالحه على البنك فإن هذا جائز شرعا لخلوه من الفائدة المحرمة وكذلك يجوز للبنك أن يمنح عميله كتاب ضمان بمقدار ١٥٪ من قيمة الوديعة بعد نفاذها بدون فائدة والله تعالى أعلم ،،،،

السؤال من السيد /

١ ـ ماحكم الشرع فى جمع التبرعات يوم الجمعة بين الخطبتين مع العلم أن الضرورة تحتم ذلك حيث إن المسجد اهلى وعليه التزامات صرف مرتبات خطيب الجمعة ومقيم الشعائر وخادم المسجد ومصاريف صيانة .

البقية ص ٨٤

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

في ذكرى الهجرة

الحرية والطير

في ذكرى الهجرة

عادت تطل على الدنيا معانيها   وتملأ الكون إشراقا مرائيها
عادت بكل جلال الحق ساطعة   بكل ومضة نور من لياليها
ذكرى على الدهر مازالت منائرها   تشع بالنور للدنيا ومافيها
تجلو الغيوم عن الأفهام كاشفة   مارسبته الليالى فى دياجيها

* * *

أم القرى صفحة التاريخ تذكرها   وكيف طوَّف بالآيات تاليها
محمد فذُّها المعصوم تعرفه   يُقر بالفضل قاصيها ودانيها
وكيف بشر بالتوحيد وانطلقت   (الله اكبر) ترقى فى مراقيها
نور من الله يسرى فى مدارجها   فينبت الخير والبشرى بواديها

* * *

فى ليلة روعتها ندوة عقدت   يطوف بالشر والأحقاد ساقيها
اخانها الراى ؟ أم ضل الصواب بها ؟   وحاد عن خطوات العقل حاديها
راحت تقطع - فى جهل - وشائجها   وتطفىء المشعل الهادى بايديها
هل كان أحمد إلا نبت واديها ؟   هل كان أحمد إلا من غواليها ؟
قد اجمعوا كيدهم - والشر رائدهم -   ان يخمدوا جذوة بانت خوافيها
والمصطفى فى أمان الله منطلق   لغاية جلّ ربّ الكون مُعليها
ومر بالقوم والأبصار قد عميت   وأصبحوا طرفة للناس تَرْوِيها

* * *

وموكب النور نحو الغار غايته   والغار يسبح فى اضوائه تيها
قد كان قفراً تجول الضاريات به   فصار انس الليالى فى صحاريها
به توارى رسولُ الله يصحبه   خير الأخلاء عن انظار رائيها
بمدخل الغار دارَ الكفرُ دورتَه   وداخل الغار خوف من عواديها
أفديك من عصبة لو أنها نظرت   من تحت أقدامها نالت مراميها

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

وينطق الصادق المختار مبتسما		هوّن عليك فإن الله مخزيها
عادوا يجرون ذيل الخزى وانتشروا		يفتشون دروبا فى بواديها
ويضرب اللهُ أمثالا لمن كفروا		لو أدركوا ماحوته من معانيها

* * *

مابال يثرب للترحيب قد خرجت		وفى مشارفها نادى مناديها
أهلاً بدرا فراحت تجتليه سنا		وراح يهتف بالآمال داعيها
ظلت - إلى نوره - تهفو مشاعرها		وعاش - فى قلبها - اغلى امانيها
فاليوم قد عانقته بعد طول سُرَى		وصافحت ركبه الغالى دراريها

* * *

لبيك ياداعى التوحيد سوف ترى		فى آل يثرب آمالا ترجيها
الأوس والخزرج التامت جراحهمو		بفضلك اليوم وانجابت غواشيها
هم عسكر الفتح حزب الله منطلقا		يبنى الحياة على حق ويعليها
يؤسسون على اسم الله دولتهم		الحق رائدها والعدل قاضيها
والمصطفى مَثَلٌ اعلى ، واسوتهم		اخلاق احمد جلت فى تساميها

* * *

ياهجرة المصطفى والنفس حائرة		والمسلمون حيارى فى فيافيها
من استظلوا بظل الله تبصرُهُمْ		وقد تشابه حاميها وطاغيها
تنازعتهم رؤى الأطماع فاختلفوا		والذئب يحظى بدانيها وقاصيها
الأرض والعرض والإسلام فى خطر		فمن يرد العدا عنها ويحميها ؟

* * *

ياسيدى ، يارسول الله ، بارقةٌ		من الضياء إذا اشتدت دياجيها
لتستفيق قلوب المسلمين على		هدى من الله للآمال يهديها

الحرية والطير

للشاعر/ سيد عبد الرءوف سيد

باسمها الطير تغنى فى الفضاء   سابحا فى جوه كيف يشاء
إن يضق بالعيش ينشد فسحة   فى دنى أخرى على متن الهواء
يترك الحبَّ نثيرا إن يكن   شركا يحرمه رحب الفضاء
إن فى تغريده حرا على   فنن أو جدول أشهى غذاء
حوصلات حرة ما طعمت   واستساغت مطعما دون عناء
ربما أدماه طفل ساذج   رصد العصفور رصد الرقباء
رامه فى الأسر حيا فأبى   قافزا ينشد مأوى فى خباء
قد أبى الأسر على ضعف به   وارتضى العصفور موت الشهداء
سطرت منه الدما أنشودة   هى للأحرار فى الهيجا غناء

من أعلام الأزهر

العلامة عبد العظيم الغباشي

جاحظ العصر

عبد العزيز البشري

فضيلة الشيخ العلامة الدكتور عبد العظيم الغباشى

من بركة الأزهر الشريف ان ثلة من علمائه رزقهم الله العلم ومع العلم رزقهم الولاية ، وهى منحة الله لمن يختاره من عباده الصالحين : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(١) ، ومن هذا الرعيل الخاص شيخى واستاذى فضيلة الشيخ الدكتور عبد العظيم احمد نور الدين الغباشى شيخ ، اصول الدين ، وعميد اهل التفسير وعلوم القرآن .

عرفته وأنا طالب فى معهد الزقازيق حيث وهب نفسه للعلم ونأى بنفسه عما ترنح فيه البعض من الانشغال بشئون الماليات وطلب الدرجات فكنا نراه ـ حين يشتد وطيس معارك المطالب وتموج الحياة العلمية بأخبار المطالب المالية ـ كنا نراه زاهدا فى هذا النشاط مثابرا على دروسه محبا لطلابه محترما لزملائه العلماء .

وكنا نراه فى معهد الزقازيق وقد علته هيبة وكساه وقار ودرجَتْ إليه سكينة ورحمة كأنما كانت حياته كلها ذكرا وفكرا ، وعلما ، وورعا وتقوى .

وولد فضيلة الشيخ عبد العظيم الغباشى يوم ١٩٠٩/٦/٥ فى (كفر مناقر) بمحافظة (بنها) وحفظ القرآن الكريم وتدرج فى مراحل التعليم بالأزهر حتى تخرج فى كلية أصول الدين عام ١٩٣٧ م وكان أول دفعته ، ولذلك لم يجد له إلا طريق العلم الراقى فلم يلتحق بتخصص التدريس ليخرج مدرسا ؛ بل التحق (بتخصص المادة) وكانت النظام الذى يُخَرِّجُ نوعا خاصا من العلماء الأفذاذ ويمنحهم (درجة الأستاذية) التى هى أفضل فى نظامها العلمى وأداء امتحاناتها من نظام (الدكتوراه الحديث والقديم) فقد كان الطالب يلتحق بهذه الدراسة لمدة يعقبها تحضير لرسالة علمية وكم تأخذ من العمر والبحث ؟؟ حتى تناقش ويمنح صاحبها درجة الأستاذية .

الشيخ عبد العظيم الغباشى هو أحد هذا الجيل الرائد الفذ الجليل تخرج فى الأستاذية عام ١٩٤٧ ، وكانت رسالته فى (علوم القرآن الكريم) .

---

(١) سورة يونس الآية ٦٢ .

أ.د./ رءوف شلبى

وهذه الأصالة العلمية تنحدر من بيت كريم طاهر يحب كتاب الله ويحترم العلماء وقد نشأ الشيخ أثناء طلب العلم فى بيت خاله بالقاهرة وكان من علماء الأزهر فهذه النشأة الطاهرة كانت من الأسباب التى هيأها الله سبحانه وتعالى لظهور نبوغ الشيخ عبد العظيم فى العلم وامتيازه فى تحصيله وسبقه على أقرانه .

كان الشيخ عبد العظيم الغباشى داعية منذ كان طالبا وكان له فى كل ليلة جمعة من كل أسبوع (ندوة علمية) نظمها للناس فى ضيافة العائلة وكانت تسمى (التخت بوشى) كان يبصر الناس بأمور دينهم ويوضح لهم ما خفى عليهم ، ويحثهم على مكارم الأخلاق ، ويحضهم على معونة الفقراء وإغاثة الملهوف وكفالة اليتيم وستر العيوب ، ويقضى لهم فى مدلهمات أمورهم ، وييسر عليهم عقبات حياتهم كما كان له درس العصر فى مسجد (عصفور) فى مدينة (بنها) عاصمة (القليوبية) يؤمه جمهور غفير من الناس يستمعون إلى الفقه والعقيدة والفتوى والأخلاق والآداب والفضائل التى كان ينشرها كالعبق العطر من درسه الجليل وتفسيره العظيم .

تدرج فى وظائفه العلمية مدرسا بمعهد (قنا) سنة ١٩٤٨ فبلغ فيها الرسالة وأدى الأمانة ، وراح يجوب البلاد تنقلا من (قنا) إلى (الزقازيق) ثم إلى (المنصورة) ، وبنى فى بنها عاصمة إقليمه (معهدا أزهريا) افتتحه (الرئيس محمد نجيب) عام ١٩٥٣ م ولم تمنعه درجة الأستاذية من هذا التطواف فى المعاهد ولا من هذا النشاط الشعبى الواسع ؛ فقد كان عالما ربانيا يؤدى رسالته حتى استقر به المقام فى القاهرة حيث نقل إليها أستاذا بكلية أصول الدين عام ١٩٥٩ م فكان العالم المبرز فى التفسير والحديث ونهضت من هذه الدراسات نهضة كبيرة كان من أثرها هذا الجيل من العلماء الذى أشرف على رسائلهم من مصر ومن خارج مصر ، وفى مقدمة أبنائه من علماء مصر : الدكتور أحمد عمر هاشم عميد كلية أصول الدين بالزقازيق ، والأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعى رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين بالقاهرة ومن الخارج الدكتور نعمت الله شهرانى من علماء الأفغان وأحد المجاهدين الكبار ، وغيرهم الكثير .

ولم يقتصر فضل الشيخ الجليل فى العلم على مصر وجامعة الأزهر بل سافر إلى (كلية الشريعة) فى بغداد عام ١٩٦٤ م وإلى (جامعة أم القرى) عام ١٩٦٨ م وكان مشرفا على الدراسات العليا (بجامعة الملك عبد العزيز) واستمر فى أداء رسالته العلمية يشرف مصر والأزهر بخلقه الرفيع وبركته الواسعة حتى فاضت روحه الطاهرة فى ١٨ يناير سنة ١٩٧٨ بمكة المكرمة ودفن بها وقرت عينه بأغلى أمنية كان يريدها لنفسه .

وهكذا يثوب العلماء الأطهار إلى ربهم وقد رضى عنهم ورضوا عنه .

● الكاتب : فضيلة وكيل الأزهر .

عبد العزيز البشرى

جاحظ العصر الحديث

١

لا أدرى لماذا لا يتردد الآن اسم عبد العزيز البشرى كما تتردد أسماء طه حسين وعباس العقاد ومحمد حسين هيكل ومصطفى الرافعى وإبراهيم المازنى ولم يكن فى زمانهم أقل شهرة ، ولا أضأل مكانة ، لقد كثرت البحوث عن زملائه لدى الجامعيين وتوالت عنهم المقالات فى الصحف ، والندوات فى المحافل وظل اسمه مهجورا ، حتى جهله من ألَّفَ المسلسل التليفزيونى عن العقاد ، فقال عنه : إنه أخذ يبحث عن عشرة قروش ، حتى وجدها فهرول إلى منزله ، ومات قبل أن يدفع بها إلى أهله ! وهكذا نكذب على علم من أعلام الأدب عاش موفور الكرامة ، كبير المنصب ، رخيَّ العيش ، ثم ابتلى بمن أساء إليه ميتا ، وإلى أسرته أحياء ، فضجوا فى الصحف ، وانصفهم الأستاذ مصطفى أمين بمقال رنان ذكر فيه أن زعماء الأمس كانوا يسهرون الليل الطويل ليقرءوا فى الصباح ما يكتبه عنهم عبد العزيز البشرى فى المرآة ، إذ اختص كبار الدولة بمقالات ناقدة مصورة ، سارت مسيرة الشمس ، وحاول محاكاتها النظراء فلم يبلغ المقلّد مبلغ المبدع ، لأن عبد العزيز فنان ممتاز !

أدب البشرى عند النقاد :

لا أنكر أن نتاج البشرى من ناحية (الكم) وحده قد يكون أقل من نتاجٍ من ذكرت من الرصفاء ، لأن الكاتب الكبير شُغِلَ بكتابة الخطب والمقالات والمذكرات لنفر من ذوى الوجاهة ، ليس لديهم بلاغة القلم ، ويحبون أن يواجهوا الجمهور بما يشرفهم فى دنيا البيان ، وقد قال الأستاذ (محمد كرد على) فى مذكراته :

إن مقالات فلان وفلان بمجلة الهلال لم تكن صادقة النسبة إلا إذا صُحِّح توقيعها باسم البشرى ، وفى هذا كثير من الحق . لأن قلم عبد العزيز واشٍ نمام ، ومهما حاول التنكر فلابد لأريج الوَرد أن يفوح . ولكن المسألة لا تقف عند الكم العددى . إذ أن (الكيف) هو جوهر الحكم ، وكل ما لدينا من آثار البشرى رائع رائع

للدكتور
محمد رجب البيومي

لا يجعله من كبار الأدباء فى عصره فحسب ، بل يجعله جاحظ العصر الحديث ، وناقدو الأدب لا يشكُّونَ لحظة فى نسبة البشرى للجاحظ ، لأن ماعُرف لدى الأديب العباسى من سطوة التأثير ، وشدة التدفق وحلاوة الاسترسال ، ونصاعة البيان قد عُرِف للبشرى ، ولا يفترق عنه الجاحظ إلا فى تأليفه العلمى متكلما وباحثا ، اما مقالاته ورسائله وقصصه الأدبية فقد وجد مثيلها فى إبداع البشرى . لأن قوة الروح لدى الكاتبين مع حلاوة النادرة . وسهولة التعبير مما كان قاسماً مشتركا بينهما . وقد كسب البشرى ما يصح به تقدم الزمن من أفكار لم تكن فى عهد الجاحظ ، فساعدت على جدته المعاصرة . ولم تتأخر به إلى زمان بنى العباس ، على أن هذا التشابه الروحى ، والانسجام النفسى هما اللذان ساقا اللاحق إلى محاكاة السابق بدءا ، فالانتظام على صراطه عاقبة ، ولم يخف البشرى إعجابه الشديد بأستاذه إذا شاد به فى كثير مما كتب ، وقد تحدث عنه فقال[1] :

« وهو شديد التمكن من النفس ، قوى الحجة يملك من ناصية البيان مالا أحسب أن قد ملكه بعده كثير ، فهو لا يزال يمهد على لسان هذا للرأى ، ويفلج بالحجة ، ويبعث بالشاهد فى عقب الشاهد ، ويضرب المثل بعد المثل ، حتى يأخذ عليك مخانق الطرق فلا تجد بعدها محيصاً من الإذعان والتسليم ، ثم يبعث لك الطرف الآخر ، فما يزال يدافع تلك الحجج ، وينقض ماقام بين يديك من الأدلة والشواهد ، ثم مايزال يبريها ويفريها حتى تستحيل هباء يتفرق فى الهواء ، ثم يردك إلى مكانك الأول ، ثم يعود بك إلى الثانى ، ويظل يرجحك بين الرأيين المختلفين بقوة حجته وسلاطة بيانه ، حتى إذا قدر أنه دوخك وأرضى شهوتك بإذلال ذهنك ، رحمك فعدل بك إلى حديث آخر » .

هذا بعض ماكتبه البشرى مصوراً سطوة الجاحظ المنطقية ، وجدله العلمى فى حلبة الصراع ، أما الجاحظ الفكاهى المتندر ، صاحب القصص الاجتماعى الطريف ، والتصوير البيانى الآخذ ، فهو الذى يجرى مع البشرى فى أبهج الحلبات وقد ألمع إلى ذلك الأستاذ محمد كرد على حين تحدث عن الجزء الأول من المختار فقال[2] .

« وهو نسيج وحده فى أسلوب الجد فى الهزل ، والهزل فى الجد . ساعده على هذا الإبداع والإمتاع تمكنه من ناصية اللغة ،

←

(١) المختار جـ (١) للبشرى ص ٤٥ .

(٢) مجلة الرسالة العدد ١٢٤ .

عبد العزيز البشرى

وقبضه على قياد الآداب ، إلى مافطر عليه من ظرف شفاف ، إذا تنادر وإذا تهكم ، والبشرى كالجاحظ إذا عرضت له النكتة قالها لا يبالى ، وإذا اقتضته الحال أن يتهكم تهكم ، يدخل السرور على قلب قارئه ، ويعلم ولا يشق عليه ، وقليل جداً من فصحاء جيلنا من تهيأت له الذرائع إلى إتقان فنه هذا الاتقان ، وقليل مثله من عرفوا الحياة ولابسوها ، كما أرادت ، ثم قابلوها بالضحك والسخرية ، وقليل منهم من خبروا المجتمع المصرى خبرته فكتب ما توقع منه نفعا فى رفع مستواه الأدبى » .

ومما قاله الأستاذ محمد كرد على : ندرك أنه شهد للبشرى بالتمكن من ناصية اللغة الفصحى وقبضه على قياد الآداب ، أولاً ، وبالتندر والفكاهة ذات الروح المبهج السار ثانيا ، وبدراسة المجتمع المصرى وملابسة أحواله عن خبرة ممارسة ثالثا ، وهذا القول الموجز الدقيق ، قد وافق ما ارتآه الدكتور طه حسين فى أسلوب البشرى ومصادر تكوينه ، حين كتب فصلا دقيقا عن أدب عبد العزيز صدّر به الجزء الثانى من كتاب المختار ، وقال فيه ببعض التصرف :[٣]

« إنه جمع خصالا ثلاثا ، فلاءم بينها أحسن الملاءمة ، وكون منها مزاجا معتدلا رائع الاعتدال ، فهو مصرى قاهرى كأشد ما يمكن أن يكون الإنسان مصريا قاهريا ، يحس كما يحس أبناء الأحياء الوطنية ، ويشعر كما يشعرون ، لولا أن ثقافته ترتفع به إلى هذه الطبقة الممتازة التى تحسن الحكم على الأشياء ، وهو على كل حال قاهرى الحس قاهرى الشعور قاهرى الذوق فهذه خصلة .

والخصلة الثانية : أنه بغدادى الأدب كأشد ما يكون الأديب بغداديا ، قد عاشر أبا الفرج الأصبهانى وأصحابه فأطال عشرتهم ، وتأثر بهم ، وانطبعت نفسه وعقله ولسانه بطابعهم ، فهو إذا تحدث إلى المثقفين ، تحدث بلغة الأغانى ، لا يكاد يصرفه عن هذه اللغة صارف إلا أن يأتى من قرارة نفسه المصرية القاهرية ، فإذا هو يلقى النكتة المصرية بارعة رائعة لاذعة فهذه خصلة ثانية .

والخصلة الثالثة : أنه قد ألم بحظ من حياة المترفين الذين عرفوا الحضارة الغربية وتمثلوها ، واستمع لأحاديثهم وشاركهم فى هذه الأحاديث . فأخذ من هذه الحضارة الأوروبية شيئا يسيرا خفيف الظل ، قوى التأثير يستطيع أن يلائم مصريته الموروثة وبغداديته المكتسبة » .

من النشأة إلى ارتياد الأسلوب :

نشأ عبد العزيز البشرى نشأة دينية ملتزمة فوالده الأستاذ الأكبر سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر ، وإمام الحديث النبوى فى عصره ، وإخوته من حفظة القرآن صغارا ، ودارسى علومه وآداب لغته بالأزهر كباراً ، وهو على طريقتهم ينهل من موارد العلم الدينى

(٣) مقدمة الجزء الثانى من المختار ص ٨ .

بجامعته الكبرى حتى يأخذ أرقى شهاداتها حينئذ ، ثم يجذبه الادب إلى مضمار الصحافة فيتردد اسمه كاتبا مصورا فى عهد الطلب ، ولا يُستغرَبُ من مثله أن ينشأ على حب البيان القوى ، لأن مدرسة الإمام محمد عبده البيانية قد عملت على إحياء الأسلوب الأدبى ، ووجهت الأنظار إلى بلاغه القرآن ، حين اختص الأستاذ الإمام كتابى عبد القاهر الجرجاني عن أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز بالشرح والاحتذاء ، فتطلع النابهون من طلبة الأزهر إلى نمط جديد من القول الساحر ، يشذ عما تعورف من قبل فى دنيا المحسنات المتكلفة والألاعيب اللفظية الركيكة ، ونشأ من أمثال أحمد حسن الزيات والمنفلوطى ومحمد الهيـاوى وعبـد الـرحمن البـرقـوقى وعبد العزيز البشرى من صفوة تلاميذ الإمام من يطمحون إلى إعادة أساليب البلغاء فى أزهى عصور العربية متأثرين بابن المقفع والجاحظ وابن عبد الملك وأبى الفرج الأصبهانى من ذوى الأسر المحكم ، والتدفق السيال ، ولكل من هؤلاء رأى فى الأسلوب الأدبى يسمو به عن السطحية فى المعنى ، والركاكة فى التعبير ، وطبيعى أن يكون للكاتب رايه فيما ينتحيه من الاتجاه ، وأن يكثر الحديث عما يعشق من الوان الإبداع !

وقارىء البشرى فى مقالاته النقدية يراه منسجما مع نفسه ، إذ يصدر عن اعتقاد فنى لا ينحرف عنه فى مجال التطبيق ، وعهدنا بنفر من الناقدين يرسمون الخطط الواسعة دون أن يلتزموا بتطبيقها ، إذ ليس كل ناقد مبدعاً ، وليتهم وقفوا عند قواعد النقد فيُعرف لهم مكانهم المحدود ولكنهم يتجاوزونه إلى الإنشاء فيرسبون ! ومن حظ البشرى أنه لم يكن مغرورا فى تقدير مواهبه ، بل كان يظن القصور فى كل ما يبدع وإن سَحَر القارئين ، وذلك ما ساعده على الجودة والتريث ، بل ذلك ما جعل الكم العددى من إنتاجه لا يقاس بمن يكتبون كل يوم سواء واكبوا الإلهام أم جانبوه ، وقد عبر الكاتب المتواضع عن إحساسه نحو نفسه حين قدم كتاب المختار فقال فى مفتتح الجزء الأول « إننى أول ما عالجت الكتابة وتعلقت بصنعة القلم كنت أدرك تمام الإدراك أننى ناشىء لا أجيد البيان ، فإذا كانت لى طبيعة فلن تتهيأ لى الإجادة إلا بعد شدة معاناة ، وطول تمرين ، وظللت على هذا دهراً وأنا فى ارتقاب الأحسن مما يثبت للأنظار لأحفظه وادخره للجمع ثم الطبع ، فلا أراه قد تهيأ لى ، فلا أبرحُ أُهمل كل ما ينتضح به القلم ، وظللت كلما اطرد بى الزمن اشعر بأن المدى بينى وبين الكمال الذى أنشد يطول ولا يقصر ، وأن الغاية التى اطلب تبعد على الأيام ولا تقرب ، حتى لقد جعلت نفسى تبرم وتضيق كلما وقع لى عفواً شىء من تلك الآثار ، ثم لقد أصبحت تعفيتها ، وإتلاف ما يقع لدى منها عادة من تلك العادات التى تتصل بالفطر والطباع ، حتى لو قد خرج المقال ، فأزهانى به شيطان الفتنة بالنفس ، وهتف به الصحاب ، وغير الصحاب ، فإنه لا يتعذر منى على ذلك المصير[4] . وهذا القول ضرورى جد ضرورى

(٤) المختار جـ (١) ص ١٤ .

← عبد العزيز البشرى

لناشئة هذا الزمن ، ممن يحسبون أنهم على شىء . فيتيهون كل التيه بما يسطرون ، وليسوا وحدهم فى وادى التيه ، بل إن من المشهورين من يتحامل على نفسه فى غير ساعات النشاط ليفاجىء القراء بما يتخاذل ويتهاوى دون حرج . وله فى هذا الغث المتساقط رأى حميد يعلنه فى مجال المباهاة ، فإذا أنِس إعراضاً طفيفا من غيره ، لم يحمله على إعادة النظر فيما كتب ! بل حمله على الغيرة والحسد !

إن المواهب البشرية مهما عظم حدها لدى الإنسان محدودة بقدرته الفردية ، ولن تبلغ مدى الإبداع إلا لأفراد يعدون فى كل جيل على الأصابع ، فما لنا نرى كل من يخط الأسود فى الورق الأبيض يعد نفسه ذا شأو رفيع !

أدب البشرى بين الإنصاف والجحود :

كان أدب البشرى أدبا ذاتيا ينبع من أغوار نفسه ، فهو لم يكن ليعبر إلا كما يعبر الشاعر حين يصدر فى فنه الكتابى عن إحساس خاص يعتمل فى ذاته . إنه فتح عينه ، وأصاخ بسمعه لكل ما يرى ويسمع ليتخذ منه مصدراً للحديث ، ووسيلته إلى ذلك المقال الأدبى المطبوع ، وكان فى استطاعته أن يضيف العلم إلى الأدب فيغدو كاتبا عالما كما نرى عند زملائه ، ولكنه باستثناء كتابين مدرسيين ألفهما استجابة لوزارة المعارف فى « التربية الوطنية » وتاريخ الحقبة المعاصرة للأدب فى كتابى : « المفصل » و« المنتخب » أقول باستثناء هذين الكتابين المدرسيين لم يتخذ غير المقالة متنفسا لخواطره ، وهو فارسها الأول فى عصره ، وأعجب العجب أن يظهر كتاب يحمل اسم (فن المقالة) فيتحدث بإسهاب عن معاصرى البشرى مستشهداً محللاً ، ولا يتحدث عن البشرى إلا فى سطور ضئيلة حديث المؤاخذ اللائم فى أكثر ما خط ، فهو يقول[٥] :

« وأسلوب البشرى وسط بين الترسل والسجع ، يختار له الألفاظ المجلجلة ذات الجرس القوى والعبارات الضخمة الرنانة لكى يستأثر بانتباه القارىء ، ويوهمه بأن الكتابة عمل ضخم رائع يحتاج إلى ذخيرة من الأوابد ، ومقدرة على معاناة التفصح الثقيل ، والتعالم المجوج ، ولكن هذا الأسلوب يتفاوت بتفاوت الغرض ، فهو حين يميل إلى الفكاهة والمداعبة يلتزم تقصير الفواصل ، وإيراد العبارات الرشيقة التى لا تعصف بما تحتاج إليه الفكاهة من سرعة ولمح » .

هذا ما يقوله دارس جامعى لم ينقل عن خبرة علمية دارسة ، ولكنه احتذى الدكتور زكى مبارك حين هجم على البشرى فى مقال سنشير إليه بعد حين ، وزكى مبارك لم يتخصص فى تشريح المقالة الأدبية . بل نثر خواطره الذاتية كما اتفق ، فما بالنا نجد دارسا جامعيا متخصصا ينقل عنه وبين يديه آثار البشرى فى أربعة أجزاء غير كتاب « المرآة » تنطق بغير ما ذكر ، بل بين يديه مقدمتان رائعتان لعلمين من أعلام

---

(٥) فن المقالة : للدكتور محمد يوسف نجم ص ٨٠ .

البيان : هما خليل مطران وطه حسين تقرران غير ماقرر ، وكان عليه إذا شاء أن يخالف كلامهما فى كتاب متخصص أن ينقل ما قالاه ليدحضه بالدليل ، لاسيما ومكانه منهما مكان التلميذ الصغير ، ولكنه لم يتحيف البشرى وحده بل تحيف الزيات والرافعى معه وكانه تلقى فى الكلية دروسا عمن لا يعترف بغير الجامعيين من الكتاب فردد ماسمع !! ولعله يطبع الكتاب مرة تالية فيميل إلى الإنصاف .

البشرى فى ميادينه الثلاثة :

قلنا إن البشرى صدر عن ذاته وحدها فيما تقدم به للقارىء من فن أدبى ، إذ عالج المقالة النقدية والمقالة الاجتماعية والمقالة الوصفية معالجة من تأمل فيما حوله قارئا ومشاهدا بعد خبرة مطمئنة ، ومراس دقيق ترفدهما الموهبة العالية والذوق الرائق ففتح الله عليه فى هذه المناحى الثلاثة من مناحى المقالة الأدبية ما جعله فى الصدر الأول من البلغاء ، وماقرنه بالجاحظ إمام البيان العربى على مد العصور ، إذ عادت روحه المتوثبة فى هيكل البشرى ليعيد فى القرن الرابع عشر ماقام به إمام العربية فى القرن الثالث من إبداع ، فإذا انتقص منتقص أدب الجاحظ الذاتى فله أن ينتقص أدب البشرى إذ كانا يضيئان من زيت واحد ! وهيهات أن تجد الدليل .

المقالة النقدية والبيان العربى :

تجد البشرى فى المقالة النقدية خبيراً بالأسلوب الأدبى فى العربية على مد العصور ، فهو قد درس أساليب البلغاء ليصطفى منها مذهباً يوائم هواه ، وقد عاش فى عصر كثر فيه الضجيج حول القديم والحديث ، واصطدم المجددون والمحافظون اصطداماً عنيفا نعرف أثره فيما دار حول الإبداع الأدبى من عراك اقتحمه الرافعى وشكيب أرسلان وطه حسين ومحمد حسين هيكل وغيرهم من أساطين الكتاب ، وعالجه البشرى دون أن يتعرض لخصومة ما ، لأنه اقتنع باتجاه فدعا إليه فى هدوء ، ولم يكن محاربا جهيرا يصارع فى جبهة دامية فيثير الضجيج كما كان الرافعى وطه مثلا ، ولكنه كان كأستاذ فى كلية بين طلاب ، يقدم الحجج فى رفق ، ويمهد للإقناع فى ثقة ، ويلقى بالدليل فى ثبات ، وأسلوبه الأدبى شاهد علمى على منحاه ، فهو يدافع عن نفسه فى الواقع حين يشيد بمدرسة البيان ، تلك التى انحدرت من سماء الإلهام الأقدس حين احتذت أسلوب القرآن الكريم .

ينظر البشرى فى اتجاهات الإبداع النثرى المعاصر ، فيعلن أنه يختار الفن الأدبى الذي يفيض بما تجيش به العواطف[٦] ، ويصدق فى الترجمة عما يعتلج فى النفوس ، ويصور دخائل الصدور ، وهو يلتفت فيرى أدباء من معاصريه جروا من العربية على عرق ، وتفتحت نفوسهم لمنازع بلاغتها ، واستظهروا الكثير من روائعها ، على أن أكثر هؤلاء إذا اجتمع أحدهم لحديث العاطفة لم ينفض ما يحس هو وما يشعر وإنما نراه يترجم عما كان يجده السلف الأقدمون من مئات السنين ، لأنه جعل همه إلى المحاكاة والتقليد ، ليكون كالسابقين ، وهؤلاء يتناقص

(٦) المختار : الجزء الأول : موضوع : كيف نبعث الأدب من ص ٦٦ إلى ص ٨١ .

عبد العزيز البشرى

عددهم على الزمان حتى أشفقوا على الزوال .

هذا فريق أما الفريق الثانى فشباب لم يبلغوا حظا مذكوراً فى العربية ، أقبلوا على أدب الغرب فجعلوا يحاكونه ويترسمون خطاه فيستحدثون أخيلة لم تتراء فى أحلامهم ، ويسوون صوراً لم تتمثل لخواطرهم ، ويريقون عواطف لم تترقرق فى نفوسهم ثم يستكرهون هذه الأمشاج من المعانى على نظام ليس فيه من العربية إلا مفردات الألفاظ ، يشد بعضها إلى بعض بمثل قيود الحديد برغم تنافرها وتناكرها ، بحيث لو أطلقت من عقالها لتطايرت إلى الشرق والغرب لا تلوى على شىء . فيخرج من هذا وذاك كلام لا يستوى للطبع ، ولا يستريح إليه الذوق ، وكيف له بشىء من هذا ولم ينتضح به طبع ، ولا رهف له حس ولا تحركت به عاطفة ، فهو أدب مصنوع مكذوب .

أما الطريق الصحيح لدى البشرى فأن نتلمس طريقاً من الأدب يكون عربى الشكل والصورة ، مصرى الجوهر والموضوع ، فعلينا أن نبعث الأدب القديم ، وننثُل دواوينه ، ونستظهر روائعه ، ونتروى منها بالقدر الذى يفسح فى ملكاتنا ، ويطبعنا على صحيح من البيان . فإذا أرسلنا الأقلام جاء الأسلوب فى نسقه العربى الأصيل متصلة معانيه بما نشعر من الأحاسيس ، وإذا كنا فى حاجة شديدة جداً إلى مطالعة آداب الغرب وإطالة النظر فيها ونقل ما يتهيأ نقله إلينا منها فى لسان العرب ، فإن ذلك لا يجدى علينا إلا إذا هذبناه ، وسوينا من خلقه ، ولوّناً من صوره حتى يتسق لطباعنا ، ويوائم مألوف عاداتنا ويستقيم لأذواقنا فى نظام من البلاغة العربية محكم التنضيد .

هذا منحى البشرى فى تجنيد ما يراه من الأسلوب النافع ، والذين عارضوه ، هم الذين يعارضون البيان العربى فى أجلى مراقيه وهم أنفسهم الذين عابوا أسلوب الرافعى بأنه ينحو منحى الجملة القرآنية ، وهو نقد تبشيرى لا أدبى ! لأن أدباء المسيحية من المنصفين يحفظون القرآن ليقتبسوا من نوره البيانى مالا يجدونه فى غيره ، وقد قال الشاعر اللبنانى الأستاذ أمين نخلة « إننا نحن المسيحيين العرب عيوننا فى الإنجيل وقلوبنا فى القرآن » وقد كان مكرم عبيد ووهيب دوس يخطبان فى السياسة بالندوات العامة وفى مجلسى النواب والشيوخ مستشهدين بآيات الكتاب الكريم فى فخر واعتزاز ، فإذا اتجه نفر إلى خصومة البيان الأدبى ، فهم يجهلون أسرار الفن الأصيل ، لذلك تجد أحدهم يفرح بالعبارة البليغة حين تقع مصادفة فى أسلوبه ويكاد يطير بها طيرانا ، ولكنه يهاجمها فى ما يقدمه من نقد كليل ، لأنه يرى نفسه بعيداً كل البعد عن إحكامها الدقيق ، وأنه يكلف نفسه رهقا أى رهق حين يجعل بيانه أنموذجا من الأدب الرفيع ، وقد يحمد هؤلاء للدكتور طه حسين ماقد يشرق فى أسلوبه الأدبى من صفاء مطبوع ، ولكنهم يحمدونه لغير ما يقرءون لديه فى مثل (على هامش السيرة) و(الأيام) و(دعاء الكروان) و(الوعد الحق) و(مرآة الإسلام) ، بل لما شذ فيه من أفكار صادفت هوى لديهم ، فحملتهم على الولوع بكل ما يقول ، ولو رجعوا إلى أسلوب طه فى جوهره المصفى لرأوا فيه نور البلاغة العربية فى فنها الأصيل .

يتبع

من العلوم الكونية

الإيدز الرعب القاتل

بقلم
د. مصطفى أحمد حماد *

تقديم :

قبل عام ١٩٨١ م لم يكن العالم قد عرف شيئاً عن مرض الإيدز إلى ان أعلنت السلطات الصحية الأمريكية عن اكتشاف المرض في منتصف نفس العام على وجه التحديد . ومن وقتها والعلماء والمتخصصون يبحثون ويناقشون ويحللون لكي يعلموا الكثير عن سبب المرض وطرق انتقاله وكيفية مواجهته وارتباط كل ذلك بالعلاقات الاجتماعية السائدة . ومع هذا كله يبقى لدى اقتناع شخصي وهو أن الإيدز غضب رباني يصبه رب العباد صباً على أهل الانحلال والفساد .

التعريف بالمرض :

الإيدز AIDS (مرض نقص المناعة المكتسبة) سببه « فيروس » يوجد في سوائل الجسم مثل : الدم والسائل المنوي والدموع واللعاب . وحتى الآن لم يثبت أن العدوى تنتقل عن طريق التلامس مثل المصافحة أو السُعال أو الوجود مع المريض في غرفة واحدة وقد ظهر أول ما ظهر بين الشباب الذين يمارسون الشذوذ الجنسي .(١)

مصدر المرض :

يعتقد العلماء أن مصدر المرض هو نوع معين من القرود « القرد الأخضر » وهو يعيش في وسط أفريقيا ومنه انتقل إلى الجنس البشري* . ولكن كيف تم ذلك ، لا أحد يدري على وجه التحديد . وينتشر المرض بعد ذلك كالنار في الهشيم في أمريكا الشمالية وفرنسا وألمانيا الغربية وبريطانيا وكثير من البلاد

←

● الكاتب : مدرس مساعد الأدوية البيطرية ، الفارماكولوجيا البيطرية ، معمل بحوث صحة الحيوان . شبين الكوم .

● يرى بعض العلماء أن إسقاط الأمر - بصورة ما - على افريقيا - إن هو إلا محاولة خبيثة لدرء عار هذا المرض عن الغربيين لا سيما بعد انتشاره منهم إلى مختلف انحاء العالم ، ومن وجهة نظرهم لا يستبعد أن تكون مواطن بعينها - في أفريقيا - استقبلت المرض من الغرب .

١ . د / رفعت كمال - كتاب اليوم الطبي - العدد ٤٣ « أكتوبر ١٩٨٥ م » .

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦) : « الإيدز » .

الإيدز... الرعب القاتل

الأوروبية ، اضف إلى ذلك انتشاره فى أفريقيا وآسيا .[٢]

عزل فيروس الإيدز :

ظل السبب الحقيقى لمرض الايدز لغزا غامضاً حتى ربيع عام ١٩٨٤ م حين نجح كل من الدكتور « روبرت جالو » من معهد السرطان الأمريكى ، والدكتور « لوك مونتانيه » من معهد « باستير » فى باريس ، نجح كل واحد منهما على حدة فى عزل « فيروس » قالوا إنه يحتمل أن يكون هو سبب حدوث الإيدز . وتمر الأيام ليصبح الاحتمال حقيقة مؤكدة .[٣]

طرق نقل العدوى :

ينتقل فيروس الايدز بطرق مختلفة وتشمل :

١ ـ الجماع الجنسى المباشر بين المصابين بالفيروس عن طريق اعضاء التناسل فى الذكر والأنثى أو عن طريق الشرج فى الشواذ جنسياً . ومن الغريب أن يكتشف الباحثون أن خلايا الشرج والقولون تقوم بإنتاج بروتين يساعد فيروس الإيدز على اختراق الجسم البشرى .

٢ ـ من الأمهات المصابات بالفيروس إلى مواليدهن . وقد تم اكتشاف الأجسام المضادة للفيروس فى ١٤٪ من السيدات الحوامل فى زامبيا وأوغندا . ولكن خطورة اللبن بما يحتويه من فيروسات المرض لم تُدرس بعد بالنسبة للأطفال الرُضع .

٣ ـ عن طريق الحقن والإبر الملوثة بالفيروس وكذلك الدم الملوث ومشتقاته .[٤]

خطورة فيروس الإيدز :

تأكد للعلماء أن فيروس الإيدز يهاجم الخلايا الليمفاوية المعروفة باسم « تى٤ » والمتخصصة فى مقاومة ميكروبات الأمراض وكذلك بعض أنواع السرطان . وعندما يهاجم الفيروس الخلايا يفرز نوعاً من البروتين له القدرة على تدمير هذه الخلايا تماماً ، ثم يتكاثر بأعداد هائلة فى فترة وجيزة جداً ليصبح الدم بعد ذلك مملوءاً بالفيروس . وعند ذلك ينهزم جهاز المناعة تماماً ويسيطر المرض على الجسم وتكون النهاية .[٥]

اعراض المرض :

تشمل أعراض هذا المرض الخطير تضخماً بالغدد الليمفاوية فى أماكن متفرقة من الجسم مع وجود أورام حمراء داكنة تزيد فى الحجم ، ونقص واضح فى وزن الجسم مع فقدان الشهية والتعب لأقل مجهود والعرق الغزير ليلاً مع ارتفاع درجة الحرارة والسُعال الجاف مع ضيق عند التنفس والإسهال وصعوبة التوافق الحركى ، وأخيراً ظهور بقع بيضاء سميكة على كل أجزاء الفم من الداخل ثم تكون النهاية التى لا مفر منها .[٦]

الإيدز والمستقبل :

تأكد لدى أهل البحث والعلم فى اجتماع باريس عام ١٩٨٦ م أن من يصاب بهذا الفيروس سيموت إن عاجلاً أو آجلاً . وبالرغم من أن هناك عديداً من الأدوية تؤثر على فيروس المرض فى المعمل إلا أنها جاءت مخيبة للآمال عند اختبارها على المرضى .[٧]

الإيدز ونظرة إسلامية واعتبار :

ونأتى إلى الإسلام لنرى كيف يحمى المسلم من هذا البلاء وغيره فنرى الصورة مشرقة يعلوها البهاء . فالإسلام يعنى عناية كبيرة بأن تكون الأسرة المسلمة على مودة ورحمة فيقول عز من قائل : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ . « النساء / ١٩ » . فهذا مبدأ توجيهى فى صميم الحياة الزوجية له شقان :

أحدهما أمر حاسم للرجال بأن يحسنوا معاشرة النساء ومقياس الإحسان هنا هو « المعروف » . فالرفق بالزوجة معروف ، وتمكينها من العيش المناسب لمستواها الاجتماعى « معروف » ، ولقاء أهلها بالبشر والإكرام « معروف » ومشاورتها فى شئون البيت والأطفال « معروف » . أما إلقاء حبل الزوجة على غاربها فليس بمعروف ، وأما تمكينها من البذخ والإسراف فيما لا ينفع فليس بمعروف والإذن لها بأن تقابل فى بيتها أصدقاء الزوج فى غيبته فليس بمعروف وكذلك السماح لها بأن تخرج من بيتها فى صحبة قريب للتنزه أو لزيارة أسرة فذلك كله ليس من المعروف .

والشق الآخر هو أن البيوت والزوجيات لا يلزم أن تُبنى دائماً على الحب ، ولو توقف بقاء الزوجية على عامل الحب وحده لانفصمت آلاف الزوجيات . فالزوجية شركة فيها مصاحبة وفيها ملاطفة وفيها أولاد وفيها تعاون على تذليل صعاب الحياة ، وفيها مع هذا كله أمل فى المستقبل ، فلعل شيئاً من ذلك يحيى العاطفة ويفتح القلوب ويكون فى ما يكره خيراً كثيراً .(*٨)

ويحرص الإسلام ايضاً على كيان الأسرة المسلمة فنجده يتحدث فى صراحة واضحة عن جرائم خلقية إذا ما تركت هزت كيان الأسرة هزاً عنيفاً وعجلت بالدمار والفناء ، ونركز هنا على : الزنا والسحاق واللواط . يقول رب العزة فى الكتاب العزيز الخالد : ﴿ الزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ

(٤ ، ٧) : « الإيدز فى أفريقيا ـ أ . د / على زين العابدين ـ مجلة العلم / مايو ١٩٨٧ م .

* مجلة الأزهر :

لا شك أن الثقة والمشاعر الإنسانية المخلصة سبيل حاسم إلى الحب . وعلى هذا كان رأى عمر رضى الله عنه حين قال : أو كل البيوت بنيت على الحب ، فأين الرعاية والتذمم .

(٨ ، ٩) : « المجتمع الإسلامى كما تنظمه سورة النساء » . للشيخ محمد محمد المدنى ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ـ لجنة التعريف بالإسلام .

← الإيدز ... الرعب القاتل

أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ « النور / ٣ » . ويقول رب العزة : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا . وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ « النساء / ١٥ / ١٦ » . ومن هذه الآيات الكريمة يتضح تحريم الإسلام للزنا لأن فيه اختلاطا للأنساب وانهيارا لسلامة المجتمع الإسلامي وفوق هذا كله غضب وانتقام رب العزة جل جلاله . وتتحدث الآية رقم ١٥ في سورة النساء عن السحاق وهو الفاحشة بين امرأة وامرأة ومن ذا الذى يرضى بأن يتزوج امرأة تكون مريضة بهذا الداء فاسدة الأنوثة ؟ . وتتحدث الآية رقم ١٦ عن فاحشة اللواط وهى الجريمة بين رجل ورجل فتجعل الرجل يخسر رجولته وشخصيته وكماله وسموه على النحو الذى هيأه الله عليه ومن هذه المرأة التى ترضى بأن يكون زوجها ملتوياً عن طبيعة الرجال متقبلاً لهذه الجريمة المنكرة ؟[٩] .

ويجمع تحريم ذلك كله قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ (المؤمنون والمعارج) .

وإذا ما كانت الأسرة فى مودة ورحمة تجد أباً طاهراً لا يقرب الفواحش وأماً طاهرة عفيفة تعرف ربها حق المعرفة سلمت من كل خطر وأمنت من كل شيطان .

الخلاصة :

لا أجد ختاماً أفضل من قول رب العزة : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ « الأعراف / ٥٨ » . فبيت الإيمان يخرج لنا طهارة وسلاماً وأما بيت الكفر والنفاق والانحلال فيخرج لنا شياطين الفساد وبغايا الفسق والفجور .

د . مصطفى احمد حماد

من روائع الماضي

يهذي في كتاب تأويل القرآن الكريم

لفضيلة الإمام الأكبر الأسبق

محمد الخضر حسين

رحمه الله

إعداد وتقديم

عبد الفتاح حسين الزيات

من البدهيات أن الإسلام مستهدف من كَثْرَةٍ خارجة عنه وقِلَةٍ داخلة فيه : عملاء من القلة للكثرة ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة هذا الدين ومتانته ، مما ملأ قلوب أعدائه حقداً وغلاً وحسداً ، فأخذوا يتحينون الفرصة تلو الأخرى لمحاولة الوثوب على هذا الصرح الرباني الشامخ ، ومحاولة العبث في كتاب الله المجيد ليقضوا ماربهم ويشفوا صدور قوم لا يؤمنون : وفاتهم أن هذا الكتاب محفوظ بحفظ الله له . قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ومن أولئك البهائية ومن على صراطهم ، ولقد صدرت فتوى الأزهر صريحة في البهائية والماسونية والروتارى والليانز وما ذلك كله إلا فروع لخَبَثٍ قديم تصدى له الأزهر في حينه .. وإليكم جانباً من الدليل . قال الإمام الأكبر الأسبق ـ رحمه الله :

من روائع الماضى

علم الله أن فى البشر عقولا لا تدرك وجوه الخير .

وأن فى وجوه الخير ما لا تصل إليه العقول بنفسها .

وعلم أن فيمن يعقلون بعض هذه الوجوه أولى أهواء نزاعة إلى الشر .

فانزل كتابا يدعو إلى توحيد الخالق ويهدى إلى مكارم الأخلاق ، ويسن للقضاء والسياسة العامة احكاماً عادلة ، وينبه على بعض سننه فى الخليقة لندرك بالغ حكمته ، ويذكرنا بايام امم قد خلت من قبلنا لنتعظ بها ، ونحذر سوء منقلبها ، ويقص علينا من انباء رسله مايصف لنا صبرهم على ماأوذوا ، وتاييده لهم بما يقطع عذر المنكرين لرسالتهم ، ويخبر عن بعض الحقائق الغائبة عن ابصارنا لنزداد علماً بسعة خلقه وكمال قدرته ، ونفقه ان مالدينا من وسائل العلم لا نكسب به من العلم إلا قليلا .

وقد شاء الله تعالى أن ينزل هذا الكتاب على سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وقضت حكمته أن ينزله بلسان عربى مبين : بلسان أمة اختصت لذلك العهد بمزايا تهيؤها لأن تتقبل دعوته ، وتفقه مقاصده ، وتشيد بجانبه دولة تقيم لمن تقلدوه عزة ، وتمد على رءوس دعاته حماية يتقلبون فى ظلالها ، ويبلغون الأمم هداية الله تحت رايتها .

أنزل الله كتابه الكريم ، وعهد ببيانه إلى رسوله العظيم صلى الله عليه وسلم ، فتلقى عنه أصحابه ذلك الكتاب وبيان ما كان يخفى عليهم من آياته ، فما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى تركها شريعة غراء ليلها كنهارها ، وما انقرض عهد أصحابه رضى الله عنهم حتى ورثها عنهم التابعون وأدّوها إلى الذين جاءوا من بعدهم بأمانة وتقوى ، وما زال القرآن يدرس ، والراسخون فى العلم لا يختلفون فى فهم آياته إلا آيات لا يمس الخلاف فيها أصلا من أصول الدين ، وليس فيما يعتد به من هذا الخلاف مايخرج فيه الفهم عن أساليب اللغة العربية ومقتضى وضع ألفاظها .

حتى ظهر أشخاص قلّ فى علم اللغة نصيبهم ، أو خف فى علم الشريعة وزنهم ، فتناولوا القرآن بعقول لا تراعى فى فهمه قوانين البلاغة ، ولا تدخل إلى تفسيره من باب السنة الصحيحة ، فادخلوا فى تفسير القرآن آراء سخيفة ومزاعم منبوذة ، ووجدت هذه الآراء وهذه المزاعم عند بعض العامة وأشباه العامة متقبلا .

وشر من هؤلاء طائفة الباطنية الذين هم رهط من المجوس ائتمروا على أن يكيدوا للإسلام بتأويل القرآن على وجوه غير صحيحة ، ليصرفوا الناس عن محجته البيضاء ، ويأخذوهم إلى ماشاءوا من نحل خاسرة وأهواء ، ولولا رجال يدرسون الدين ببصائر تنفذ إلى لبابه ، ويرزقون إيمانا يسوقهم إلى دفاع الخبائث عن حياضه ، لكان لأولئك المضلين جولة أوسع مما جالوا ، واستدراج للنفوس أكثر مما استدرجوا .

وعلى الرغم مما فى كتب العلماء المصلحين من حق واضح وحجة دامغة لم ينقطع شر هذا الرهط الذين يمكرون بكتاب الله ، ويحرفون كلمه عن مواضعه ، ليقضوا مأرب ويشفوا صدور قوم لا يؤمنون .

وها هى تلك الفرقة البهائية قامت منذ عهد غير بعيد تتبع خُطا الباطنية : تجهد نفسها إجهادهم ، وتهذى فى تأويل كتاب الله هذيانهم ، وقد تسنى لها أن تستهوى بعض النفوس الغافلة أيام كان دعاتها يراءون الناس ويضعون على السنتهم مسحة من الدين الحنيف ، أما اليوم فقد غرهم الغرور ، فأعلنوا نحلتهم وجعلواالناس على بينة من باطن امرهم ، فما لهم بعد هذه العلانية إلا أن ينقض بناؤهم ، ويحذر المسلمون أينما كانوا حبائل دعاتهم .

ويضاهى البهائية وأسلافهم الباطنية فى العمل لتقويض أصول الإسلام على طريقة التأويل نفر يضعون على رءوسهم بياضا ، ويحملون فى صدورهم سوادا ، لم يرسموا لأنفسهم نحلة دينية ، وإنما هى الغواية لعبت بعقولهم ، وإكبار خصوم الدين ران على قلوبهم ، فانطلقوا إلى القرآن الكريم يؤولونه على مايوافق شهواتهم ، ويقضى حاجات فى نفوس ساداتهم ، يفعلون هذا ولا يرقبون فى اللغة العربية ذمة ، ولا يرعون لِسُنَّةِ أفضل الخليقة حرمة ، وتراهم ينبذون مايقرره أئمة العربية او ائمة الدين نبذا لا يتكىء على دليل ، ويطلقون السنتهم فى هؤلاء الأئمة الذين خدموا الدين والعلم والأدب ، وإنما يعرف فضلهم العالم الناقد النبيل .

ومن هؤلاء النفر شخص سولت له نفسه أن يخوض فى آيات الله كالذين خاضوا فيها على عماية ، فكتب جملاً قصيرة قذف فيها شيئاً من وساوسه ، وسماها تفسيرا ، بل تناهى فى الافتتان بها فسماها « الهداية والعرفان » .

والذى يقرأ هذه الجمل لا ير[illegible] ان صاحبها جامد على المحسوسات ، جاحد لكثير مما أخبر به القرآن ، منكر لأحكام قررها القرآن والسنة وأجمع عليها الصحابة وائمة الإسلام من بعدهم جيلا بعد جيل ، ولكنه يريد أن يدل على إنكاره بما يرتكبه فى الآيات من سوء التأويل .

ونضع بين أيدى القراء امثلة من هذا الكتاب ليعلموا ان رياسة الأزهر الشريف قد قضت بسعيها فى حجزه وإتلافه واجبا ، هو حماية العامة من ان يقرعوا إلحادا فى آيات الله غير مقرون بما يكشف القناع عن وجهه الفظيع ، وضلاله البعيد .

تاويله لآيات المعجزات :

ينكر ذلك المؤول المعجزات صراحة فقد قال فى صفحة ٣٠٦ : « وإن آيتهم (اى الرسل) على صدق دعوتهم لا تخرج عن حسن سيرتهم ، وصلاح رسالتهم ، وأنهم لا يأتون بغير المعقول ، ولا بما يبدل سنته ونظامه فى الكون » وقال فى ص ١٦١ : « وبعد هذا تعلم أن الله ينادى الناس بأنهم لا ينبغى أن ينتظروا من الرسول آية على صدقه فى دعوته ، غير ما فى سيرته ورسالته » .

من روائع الماضي

وقد جرى هذا المؤول وراء طائفة البهائية فإنهم ينكرون للرسل عليهم الصلاة والسلام معجزات . صرح بإنكارها داعيتهم المسمى (أبا الفضل) فقد ذكر المعجزات فى كتابه المسمى بـ(الدرر) وقال : وكثير من أهل الفضل وفرسان مضمار العلم اعتقدوا أن جميع ماورد فى الكتب والأخبار من هذا القبيل كلها استعارات عن الأمور المعقولة والحقائق الممكنة مما يجوزه العقل المستقيم . ثم أخذ يؤول بعض ماورد فى تلك المعجزات من قرآن وحديث على نحو الوجهة التى ضل فيها هذا المؤول من بعده .

لم ينقل عن أحد ممن يؤمن بالرسل صلوات الله عليهم ـ إنكار المعجزات التى هى خوارق عادات يغير الله بها بعض سننه الظاهرة لتكون حجة على صدق من يبعثه داعيا إلى سبيله ، وإنما ينكرها طائفة ممن أنكروا بعثة الرسل إذ قالوا : إن الرسالة تتوقف على المعجزة ، والمعجزة خرق للعادة ، وخرق العادة محال ، ودعوى استحالة خرق العادة قد أثخنتها الأدلة طعنا ، فلا يقيم لها النظر الصحيح وزنا . وكم من عقول ضلت سبيل الرشد ، وأفتها عدم التفرقة بين مالا يكون عادة ومايقضى العقل بألا يكون ، فيغلطون فى تصور مايستبعد العقل وقوعه استنادا للعادة ، ويخالونه من قبيل مالا يمكن وقوعه ، واستبعاد العقل لشىء لم تجر العادة بوقوعه لا يقف أمام نصوص شريعة قامت الآيات البينات على أنها تنزيل من رب العالمين ، وليس مايقصه القرآن من معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا تغييراً لبعض السنن الكونية الظاهرة ، وتغيير هذه السنن لا يقضى بمنعه عقل يقدر قدرة الخالق قدرها ، ويسلم أن هذه السنن من صنعها .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ . نص فى أن الله تعالى أرسل مع الرسل المتقدمين آيات غير سيرتهم وصلاح رسالتهم ، وقد مر المؤول على هذه الآية ولم يمسها بتحريف .

وإذا كانت معجزات النبى صلى الله عليه وسلم التى هى خوارق عادات قد شهدها الصحابة ، وعرفها السلف لا تأخذهم فى صدق أحاديثها ريبة ، ونقلت إلى من بعدهم على طرق يكتنفها الصحة من كل جانب ، وكانت بمجموعها بالغة حد التواتر الموجب للعلم ، استبان لنا أن المراد من الآيات التى منع من إرسالها تكذيب الأولين آيات خاصة هى ما اقترحه قريش من نحو إحياء الموتى على ماذكره المحدثون والمفسرون فى سبب نزول الآية .

والمعنى ما صرفنا عن إرسال مايقترحونه من الآيات إلا أن أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود قد كذبوا بها ، فَتَوغُّلُ المقترحين فى الضلال إلى حد من لا يرجى منه الانتفاع بالآيات يجعل إرسال الآيات التى اقترحوها بعد إراءتهم آيات تثبت الرسالة وتقوم عليهم حجة ، خاليا من الفائدة ، وعدم إرسال هذه الآيات المقترحة لا يقتضى ألا يظهر على يده صلى الله عليه وسلم آية من غيرها لم تقترح عليه أو اقترحها عليه غير من نزلت فيهم آية ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ

بِالْآيَاتِ ﴾ فهذه الآية بملاحظة أنها نزلت فى آيات خاصة اقترحها عليه قوم بأعيانهم ، لا تدل على أن الله لا يرسل أى آية من غيرها .

ينكر ذلك المؤول المعجزات ، فأخذ يَتَقَصَّى الآيات الواردة فى شأنها ، وينحو بها نحواً يخرجها عن أن يكون فيما تدل عليه خارق للعادة ، ولا يندى جبينه حياء أن يتعسف فى التأويل ، فيأتى به بعيداً من مواقع حسن البيان خارجاً عن المعقول من دلالة الألفاظ .

فانظر ماذا صنع فى قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ . فقد ذهب بالعصا إلى معنى الحجة ، وقال : « يصور لنا كيف كشفت حجته تزييف حجتهم حتى سلموا له وآمنوا به » . وقال فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ : « تفهم من تمثيل هذه الرواية أن الله أعد موسى وهيأه للدعوة وأراه كيف يتغلب على خصمه بالبرهان والحجة » وقال عند قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ : « انظر كيف يكون التمثيل فى قوة الحجة والبرهان » .

وقد اتبع المؤول فى هذا مهذار البهائية المسمى أبا الفضل فقد ذكر فى ص ٥١ من كتابه المسمى « الدرر البهية » أن أهل الفضل ـ فيما يزعم ـ فسروا العصا بأمر الله وحكمه ، وقال : إن موسى عليه السلام بهذه العصا غلب على فرعون وجنوده ، ومحا حبائل عتوه وجحوده ، وذكر فى صفحة ٥٣ من ذلك الكتاب أن اليد البيضاء عُبِّر بها عن الرسالة .

فى القرآن مجاز واستعارة وكناية ، ولكنه يسلك هذه الطرق على الوجه الذى يأتيه البلغاء من العرب ، وشأن البلغاء ألا يخرجوا عن الحقيقة إلى حد هذه الطرق إلا أن يكون سهل المأخذ ، واضح المقصد ، أما ما يبدو على وجهه تكلف أو يكون فى دلالته التواء فمعدود فى معيب الكلام ، وداخل فيما يذهب بمزية الفصاحة ، وتأويل الآيات على ماقاله المؤول وسلفه البهائى يجعلها من قبيل المجاز الذى ينبو عنه الذوق لتعسفه ، ويبعد منه الفهم لخلوه من القرينة المشيرة إلى أنه مستعمل فى غير ما وضع له ، فالمؤول ومُعَلِّمُهُ البهائى لم يقدروا الله حق قدره ، إذ صرفوا كلامه عما يدل على سعة قدرته وخرجوا به عن حدود البلاغة وهو مثلها الأعلى ، والمختص بذروتها القصوى .

وانظر ماذا صنع فى قوله تعالى : ﴿ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ . فقد حرف قوله : « أخلق لكم من الطين » عن حقيقته ، وقال يفيدك التمثيل لإخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته إلى خفة العلم ونوره وتردد هنا فى معنى إبراء الأبرص فقال :

« فهل عيسى يبرىء هذا بمعنى أنه يكمل التكوين الجسمانى بالأعمال الطبية ، أم بمعنى أنه يكمل التكوين الروحى بالهداية الدينية » ويدلك على أنه يذهب فى تأويل الآية إلى غير مذهب المسلمين قوله عند قوله تعالى : ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ﴾ : واعلم أن قصة موسى فى العصا واليد كقصة عيسى فى إحياء الموتى وشفاء المريض كلاهما يتشابه فى معناه على الناس .

←

من روائع الماضي

وقد مشى فى هذا خلف ذلك البابى المسمى أبا الفضل إذ تصدى فى كتابه المسمى « الدرر البهية » لبيان معنى هذه المعجزة فقال فى صفحة ٥٢ يتحدث عن حال بنى إسرائيل : « حتى انتهت دورتهم وانقضت مدتهم وماتت قلوبهم وبرصت بالذل جباههم وجنوبهم فرجعوا من أسر الفراعنة إلى أسر القياصرة ، وعن عبادة المصريين إلى عبادة الرومانيين حينئذ طلعت شمس الحقيقة عن أفق بلاد الجليل ، وارتفعت نغمات الإنجيل فأحيا الله تعالى بأنفاس عيسى عليه السلام بعضا من تلك النفوس الميتة وبرأ بيده المباركة جملة من الجباه المبروصة » .

زخرف من القول ، وتحت هذا الزخرف جحود لمعجزات الرسل عليهم السلام وصرف لآيات الله عن معانيها المفرغة فى لفظها العربى المبين ، والتى عرفها المسلمون منذ نزل بها الروح الأمين متظافرين عليها جيلا بعد جيل .

يقول الله تعالى : ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ . والمعنى الذى يعقل من الآية أنى أصور لكم من الطين شيئا على هيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا حيا بأمر الله ، وأبرىء الأعمى والذى به وضح ، وأعيد الحياة إلى جسم من فقد الحياة ، افعل كل ذلك بأمر الله .

وأما نحو إخراج الناس من ثقل الجهل إلى خفة العلم ، وإبراء الجباه المصابة ببرص الذل ، فلا يصح حمل الآية عليها إذ القرآن برىء من أمثال هذه الاستعارات البالغة فى التكلف والتعقيد غاية تذهب عندها الفصاحة وحسن البيان .

وإذا قرأت فى بعض كتب التفسير ما يسمونه الإشارات ، ووجدت فى الحديث عن هذه الآيات ما يقارب او يماثل كلام المؤول او البهائى ، فاعلم أن أصحاب الإشارات غير من يسمونهم الباطنية ، فالباطنية يصرفون الآية عن معناها المنقول أو المعقول إلى ما يوافق بغيتهم بدعوى أن هذا هو مراد الله دون ما سواه ، وأما أصحاب الإشارات فإنهم كما قال ابو بكر بن العربى فى كتاب القواصم والعواصم : « جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها ، واقروها على نصابها ، لكنهم زعموا أن وراءها معانى غامضة خفية وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ ، فعبروا إليها بالفكر ، واعتبروا منها فى سبيل الذكر .

فأصحاب الإشارات لا ينفون كما ينفى الباطنية وأذنابهم المعنى الذى يدل عليه اللفظ العربى من نحو الأحكام والقصص والمعجزات ، وإنما يقولون : إنهم يستفيدون من وراء تلك المعانى وعلى طريق الاعتبار ، معانى فيها موعظة وذكرى ، وعلى ما بين مذهبهم ومذهب الباطنية من فرق واضح نرى فى اهل العلم من نازعهم فى إلصاق تلك المعانى بألفاظ القرآن ، وقال : إن ما جاء فى صريح القرآن والسنة من مواعظ وحكم يغنى عن ارتكاب هذه الطرق البعيدة التى هى فى الأصل نزعة قوم شأنهم الصد عن هدى الله وتعطيل أحكام شريعته الغراء .

وأنكر ذلك المؤول أن يكون عيسى عليه

السلام قد تكلم في المهد فسام قوله تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ سوء التأويل ، فقال : « في دور المهد وهو دور الصبا ، علامة على الجراة وقوة الاستعداد في الصغر » يريد انه يكلمهم في سن اعتيد فيها الكلام .

جاء في الجامع الصحيح للإمام البخارى ما يدل على أن عيسى عليه السلام تكلم قبل أوان الكلام ، تجد هذا في حديث « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة » وذكر في أولهم عيسى عليه السلام ، وروى ابن جرير الطبري بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنه أنه قال في تفسير المهد « مضجع الصبى في رضاعه » والمهد في الأصل مصدر مهد أى بسط ووطأ ، وهو كما في لسان العرب اسم لموضع الصبى الذى يهيأ له ويوطأ لينام فيه ، فكان على المؤول إذ فسره بدور التمهيد للحياة أن يقيم على هذا شاهدا من كلام العرب ، ويبدى الوجه الذى دعاه إلى الإعراض عن حديث رسول الله ﷺ ، وإلا كان هذا التأويل علامة على جراته واستعداده لأن يخوض في آيات الله بغير علم وعلى غير أصل .

انكر أن يكون عيسى عليه السلام قد تكلم في المهد ، وتأول آية : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ . على ما سمعت وبمثل هذا التأويل تناول قوله تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ . فقال : « أى كان ذاك النهار ولدا صغيراً ، فكيف يأمرنا وينهانا ونحن كبار القوم ، فهذا ابن حرام » .

ولما رأى أن ما قبل الآية وهو قوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ يدفعه عن هذا العبث ، صرفه عن وجهه فقال : « تحمله على ما يحمل عليه المسافر ومنه تفهم أنه كان في سياحة طويلة » .

لم يكف المؤول أن يخرج فيما يكتب عن قوانين اللغة فطاش إلى أن يقول في التاريخ ما لا يعرفه التاريخ ، فمن أين اطلع على أن مريم عليها السلام كانت في سياحة طويلة : كان على المؤول أن يثبت هذه السياحة الطويلة من التاريخ او من القرآن ثم يقول : « ومنها تعلم أنها كانت تحمله على ما يحمل عليه المسافر » ، ولكنه قلب الكلام فأتى إلى قوله تعالى : « تحمله » الذى هو ظاهر في أنها تحمله بنفسها ؛ وحرفه إلى معنى تحمله على مركوب ، وأذن لك في أن تأخذ منه انها كانت في سياحة طويلة .

ومقتضى إنكاره لمعجزات الرسل أن لا يسلم أن عيسى عليه السلام خلق من غير أب ، وقد كتب عندما وصل إلى آيات هذه المعجزة بلسان يدل على إنكارها في غير صراحة فقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ : « استنكرت لما طرا على فكرها أن الولد يأتيها من غير السبب المعروف » . وقال في قوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ : « اختصار في التعبير لا يعوق دور الحمل الطبيعى » ، وقال عند قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ : « فيه ملحوظة ظريفة هى أن موسى لم يذكر له اب ولكن قومه لم ينكروا أباه او يقولوا فيه كما قالت النصارى في المسيح ابن الله بناء على أن المسيح نسب إلى أمه ولم يذكر له اب» فإذا نظرت إلى قوله « لما طرا على فكرها أن الولد يأتيها من غير السبب المعروف » . ثم إلى قوله في حديثه عن موسى عليه السلام « بناء على أن

المسيح نسب إلى أمه ولم يذكر له أب » إذا لاحظت هذا وهو صادر ممن ينكر المعجزات عرفت أنه لا يعترف كما لايعترف اليهود بأن عيسى عليه السلام خلق من غير أب .

وحرف قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ فقال : « اضرب بعصاك البحر : اطرقه واذهب إليه » . وقال : « هذا بيان لحالة البحر يصوره لك بأنه مناطق بينها طرق ناشفة يابسة » .

وقال هذا ولم يتحدث عن الفاء فى قوله تعالى : ﴿ فَانفَلَقَ ﴾ وظاهر تأويله أن يكون المعنى فذهب إلى البحر فانفلق فيكون الانفلاق قد وقع عقب الذهاب إلى البحر ، والمؤول يقول : يصور لك البحر بأنه مناطق بينها طرق ناشفة يابسة ، ثم إن قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ظاهر فى تصوير حال البحر عند انفلاقه ليريك كيف ينجى رسله على طرق يفتحها من أجلهم ، فتقف الأهوال حولهم ، لا يمسكها أن تطغى عليهم إلا قدرته التى يدخل تحت سلطانها كل ما يدخل فى حيز الإمكان .

ومما هو ظاهر فى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ . فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ . وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ . فالمعقول من هذه الآية أن الطريق الذى سلكه موسى عليه السلام إنما تنحى عنه الماء حال مروره به ، وأن فرعون اقتفى أثره عندما رأى الطريق الذى يسير فيه موسى وقومه يبسا ، ولما انحدر فرعون وقومه فى هذا الطريق عاد الماء إلى حاله وغشيهم من اليم ما غشيهم فكانوا من المغرقين ، وأما قول المؤول : إن فرعون أضل الطريق اليبس الذى اهتدى إليه موسى ، فمن الأشياء التى يفرضها ويحمل عليها الآيات انكارا للمعجزة .

وحرف قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ فقال : « بعرشها بملكها يريد أن يضع خطط الحرب ونظام الدخول فى البلد فطلب الخريطة التى فيها مملكة سبأ ، ليهاجمها ويريها أنه جاد غير هازل » .

يقول الله تعالى : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ ويقول هذا المؤول : « يأتينى بخريطة مملكتها » وإذا كان طلب خريطة مملكتها لوضع خطط الحرب فما وجه عرض هذه الخريطة عليها بعد أن جاءت مسلمة ، وما حكمة سؤالها عن مطابقة هذه الخريطة لحال مملكتها ؟!

عبث يهذى به حول كتاب الله ، فلا تقوى تحجمه عنه ، ولا حكمة يفرق بها بين الجد والمزح فترفعه عن أن يقول ما يضحك الناس منه .

وحرف قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فتاولها على وجه ينكر به ان يكون إبراهيم عليه السلام القى فى النار وخرج منها سالماً ، فقال : « معناه نجاة من الوقوع فيها » . وذكر أن نجاته كانت بالهجرة أى من وطن قومه إلى ناحية فلسطين .

وظاهر الآية أنه ألقى فى النار وقد سلب الله منها حرارتها ، فإن حمل على معنى إيجاد حائل بين النار وجسم إبراهيم فهو تأويل غير بعيد ، أما صرف الآية إلى معنى عدم الوقوع فى النار فتأويل لا داعى إليه ، ولا مسوغ له إلا ضيق الذهن عن تصور بشر يلقى فى النار ولا تحرقه النار ، وإذا لم يقل القرآن (فألقوه فقلنا يانار كونى برداً) فلسبك الآية فى إيجاز يلائم حد الإعجاز ، فالجملة التى تدل على إلقائهم له فى النار بالوضع والمطابقة حذفت من النظم استغناء عنها بذكر ما يستلزمها ولا يستقر معناه فى ذهن السامع إلا بتقديرها ، وهو قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِى بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

وحرف قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ . فقال : « الإسراء يستعمل فى هجرة الأنبياء ، والمسجد الحرام الذى له حرمة ، والأقصى الأبعد ، مسجد المدينة » .

وقصد المؤول إنكار واقعة الإسراء فحمل الآية على هجرته عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة .

أجمع أهل العلم على أن أوائل هذه السورة نزل بمكة أى قبل الهجرة ، ولو كان هذا المؤول ممن يفقه فائدة معرفة ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة فى تفسير كتاب الله تعالى ، لما تجاسر على تفسير الآية بواقعة الهجرة ، وقد روى واقعة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس جمع عظيم من الصحابة رضى الله عنهم - منهم جابر بن عبد الله ، وابن عباس ، وأنس ابن مالك، وأبو هريرة، ومالك بن صعصعة ، وجاءت هذه الروايات فى الكتب الصحيحة مثل الجامع الصحيح للإمام البخارى والجامع الصحيح للإمام مسلم ، فلو كان هذا المؤول ممن درس كتب السنة ، وكان ممن يستضىء فى تفسير كتاب الله تعالى بسنة رسول الله ﷺ لما رمى بنفسه فى حفرة لا يسمع صيحته فيها إلا فارغ الذهن من مبادىء الدين ، أو مزلزل العقيدة مالقى ضليلاً إلا مال به عن السبيل .

يتبع

طرائف

أدب الرجل مع زوجه

حُسن العشرة ، ولطافةُ الكلمة ، وإظهار المودة ، والبسط فى الخلوة ، والتغافل عن الزّلة ، وقلة المجادلة ، وبذل المؤونة بلا بخل ، وإكرام أهلها ، ودوام الوعد الجميل ، وشدة الغيرة عليها .

أدب المرأة مع زوجها

دوام الحياء منه ، وقلة المماراة له ، وحسن الاستماع لكلامه ، والحفظ له فى غيبته ، وترك الخيانة فى ماله ، وإظهار القناعة ، واستعمال الشفقة ، ودوام الزينة ، وإكرام أهله وقرابته ، ورؤية حاله بالفضل ، وقبول فعله بالشكر ، وإظهار الحب له عند القرب منه ، وإبداء السرور عند الرؤية له ...

الحاسد

ليس الحاسد هو الذى يطمع أن يساويك بأن يرقى إليك ، بل هو الذى يريد أن تساويه بأن تنزل إليه .

صلاح الأمة

قال سفيان الثورى لأبى جعفر المنصور : إنى لأعلم رجلاً إن صلح صلحت الأمة ..

قال : ومن هو ؟ .

قال : أنت .

للأستاذ

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

مواقف

الحكمة ضالة المؤمن

سمع الشعبى الحجاج بن يوسف الثقفى ، وهو على المنبر ، يقول :

أما بعد ، فإن الله كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يغرنكم شاهدُ الدنيا عن غائب الآخرة ، واقصروا من الأمل لقصر الأجل ..

وسُمع إبراهيم بن هشام وهو يخطب على المنبر يقول :

إن يوماً أشاب الصغير ، وأسكر الكبير ، ليوم شره مستطير[1] .

حكمة من حكيم

أوصيكم بأمرين أفلح من فعلهما : لا تُدْخلوا أجوافَكم إلا الطيِّب ، ولاتخرجوا من أفواهكم إلا الطيب .

« دعـــــاء »

إلهى إن عفوت فخير راحم ، وإن عذبت فغير ظالم .

إلهى إن كنت لا ترضى إلا عن أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون .

وإن كان لايرجوك إلا أهل وفائك فبمن يستغيث المستغيثون .

---

(١) ذلك يوم القيامة .

الفتــاوى - بقية

٢ ـ رأى الفقه فى ختم الصلاة جهراً وما الحكم ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأنه يحرم جمع التبرعات أثناء خطبة الجمعة لأن فيه لغوا وانشغالا للناس عن الخطبة كما أن فيه تخطى الرقاب وذلك كله محرم وليكن جمع التبرعات بعد الصلاة .

٢ ـ وختم الصلاة جهراً : جاء فى البخارى أن ابن عباس قال كنت أعرف انقضاء صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بالتكبير ، ويقول كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته ، وبذلك فختم الصلاة جهراً مشروع بشرط الا يرفعوا رفعا يشوش على المصلين وإلا كان حراماً والله تعالى أعلم ،،،،

السؤال من السيد /

عندنا مقبرة قديمة لم يدفن فيها منذ مائة سنة واصبحت مكانا للقاذورات التى تلقى فيها ونحن نحتاج إلى بناء مسجد فوقها مع العلم بأن هناك ضريحاً لولى من أولياء الله فما الحكم ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه حفاظا على هذه العظام وتكريماً لها تجمع كلها وتدفن فى المقبرة العامة ثم يبنى فوقها المسجد . أما الضريح فلا يكون فى المسجد وإذا ترك فليكن خارج بناء المسجد فى غير جهة القبلة والله تعالى أعلم ،،،،

السؤال من السيد /

امرأة أخذت نصيب أمها من جدها بطريق الوصية الواجبة فهل لباقى الورثة أن يشاركوا هذه البنت فى الوصية بحجة أنهم كانوا أخوة لأمها المتوفاة وما الحكم ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن الوصية الواجبة التى أخذتها البنت عن أمها من جدها هى خاصة بها فقط لا يشاركها أحد من الورثة فيها والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد / د . هلال

توفيت امرأة عن زوج ، بنت ، أولاد أخ شقيق ذكور وإناث . فمن يرث وما نصيبه ؟

الجــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن للزوج الربع فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيباً يقسم بينهم بالتساوى ، ولا شىء للإناث من أولاد الأخ لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم ،،،،

اللغة والأدب والنقد

الربعي وآراؤه النحوية

العباس عم الرسول

"صلى الله عليه وسلم"

الربعي وآراؤه النحوية

الفصل الأخير

سادساً : رأيه في إعراب « ذا » من « حبذا »

من صيغ التعجب « حبذا » لإفادة المدح ، و« لا حبذا » لإفادة الذم ، فالأولى مثل « نعم » والثانية مثل « بئس » .

وقد جمعها ابن مالك في ألفيته فقال :ـ

ومثل نعم حبذا الفاعل ذا
وإن ترد ذما فقل لا حبذا

فـ « حبذا » مثل نعم في المعنى والعمل مع زيادة أن الممدوح بها محبوب للقلب ، و« لا حبذا » مثل بئس في المعنى والعمل مع زيادة أن المذموم بها مكروه للقلب .

وقد جمعا في قول كنزة أم شملة في مية صاحبة ذي الرمة :ـ

الا حبذا أهل الملا غير أنه
إذا ذكرت مي فلا حبذا هيا

وأصل « حبذا » حبب ذا « بضم الباء الأولى » بمعنى صار حبيبا ، ثم أدغم فصار « حب » .

وقد اختلف فيها على أربعة مذاهب :ـ

الأول : مذهب الخليل [1] وابن كيسان والفارسي وهو أن « حب » فعل و « ذا » فاعله ، ويلزم الإفراد والتذكير وإن كان المخصوص بخلاف ذلك ، كما أنه لا يجوز اتباعه بواحد من التوابع ، واستشهد على ذلك بقول جرير يهجو الأخطل :ـ

ياحبذا جبل الريان من جبل
وحبذا ساكن الريان من كانا
وحبذا نفحات من يمانية
تأتيك من قبل الريان أحيانا

وقول الشاعر :ـ

حبذا أنتما خليلي إن لم
تعذلاني في دمعى المهراق

وقول الحطيئة :ـ

الا حبذا هند وأرض بها هند
وهند أتى من دونها النأى والبعد

ففى الأبيات المتقدمة لزمت « ذا » الإفراد والتذكير مع مخالفة المخصوص لذلك كما أنها لم تتبع بواحد من التوابع .

وزعم السيوطي وابن خروف أن هذا مذهب سيبويه ، وأرى أن سيبويه لم يقل ذلك ، وإنما ذهب إلى أن « حب » تركبت مع « ذا » وصارتا كلمة واحدة هي اسم مرفوع ،

(١) انظر كتاب سيبويه جـ ٢ ص ١٨٠ .

وقد جاء في كتابه ذلك حيث قال :ـ

« وزعم الخليل ـ رحمه الله ـ أن « حبذا » بمنزلة حب الشيء ، ولكن « ذا » و« حب » بمنزلة كلمة واحدة ، نحو لولا « وهو اسم مرفوع » انتهى كلام سيبويه .[٢]

واختلف في سبب لزومها الإفراد والتذكير وعدم الاتباع فالأكثرون على انها كالمثل والأمثال لا تغير وهو مذهب سيبويه والخليل والمبرد .[٣]

وذهب ابن كيسان إلى أنه على حذف مضاف ، والتقدير في حبذا هند : حبذا حسن هند ، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فأخذ حكمه .

وذهب أبو علي الفارسي إلى أنه على إرادة جنس شائع فلم يختلف كما لم يختلف فاعل « نعم » إذا كان ضميراً .

الثاني : مذهب شيخنا الربعي وهو أن « ذا » زائدة ، وليست اسماً مشاراً به ، وحالها كحال « ذا » في ماذا صنعت ؟ والمخصوص فاعل « حب » واستدل على زيادتها بجواز حذفها كما في قول عبد الله بن رواحة :ـ

باسم الإله وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا
فحبذا ربا وحب دينا .[٤]

وأرى أن هذا المذهب ضعيف ، وما استدل به من جواز حذفها ليس دليلاً على زيادتها ، لأنه ربما حذفت لضرورة الشعر .

الثالث : مذهب المبرد وابن السراج وابن عصفور ، وهو أن « حب » ركبت مع « ذا » وصارتا كلمة واحدة هي اسم مرفوع على الابتدائية ، والمخصوص هو الخبر ، أو مرفوع على الخبرية والمخصوص مبتدأ مؤخر .[٥]

وقد نسب ابن عصفور هذا المذهب لسيبويه ، وأنا مع ابن عصفور في نسبته لسيبويه ، لأنه ـ كما قلت آنفا ـ هو مذهب سيبويه .[٦]

وما عرض به ابن خروف على ابن عصفور خطأ منه ، لأن الحق مع ابن عصفور فقد قال ابن خروف إن سيبويه يرى أن « حب » فعل

←

(٢) انظر الكتاب جـ ٢ ص ١٨٠ ، والهمع جـ ٢ ص ٨٨ ، وشرح ابن الناظم ص ١٨٥ وشرح الاشموني جـ ٣ ص ٤٠ .
(٣) انظر الكتاب جـ ٢ ص ١٨٠ والمقتضب للمبرد تحقيق الأستاذ الدكتور / عبد الخالق عضيمة جـ ٢ ص ١٤٥ .
(٤) انظر شرح الكافية للرضي جـ ٢ ص ٣١٩ ، والهمع جـ ٢ ص ٨٨ ، وشرح ابن هطيل على مفصل الزمخشري مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٩ نحو تيمور ورقة ٢٩٤ .
(٥) انظر المقتضب للمبرد ـ ط بيروت ـ جـ ٢ ص ١٤٥ ، والأصول لابن السراج تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي جـ ١ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .
(٦) انظر الكتاب جـ ٢ ص ١٨٠ .

و« ذا » فاعل ، والمخصوص مبتدأ خبره جملة « حبذا » المتقدمة ، ثم عقب بقوله : وأخطأ عليه من زعم غير ذلك .

وقد جاء في حاشية الصبان : قال البعض : « وفيه من إساءة الأدب مع ابن عصفور مالا يخفى »[٧] .

الرابع : ذهب جماعة من النحويين إلى أن « حب » تركبت مع « ذا » وصارتا كلمة واحدة هي فعل والمخصوص هو الفاعل ، ونسبه السيوطي في الهمع للمبرد[٨] وهي نسبة خاطئة ، لأن المبرد ـ كما ذكرت آنفا ـ يرى أنهما تركبا وصارا كلمة واحدة هي اسم .

قال ابن هشام عن المذهب الرابع : وهذا أضعف ما قيل ، لجواز حذف المخصوص كما في قول مرار بن مياس أو مرداس بن هماس : ـ

الا حبذا لولا الحياء وربما

منحت الهوى ما ليس بالمتقارب

والفاعل عمدة لا يجوز حذفه .[٩]

مما تقدم نرى أن أرجح هذه المذاهب وأولاها بالقبول هو المذهب الأول الذي يرى أن « حب » فعل و« ذا » فاعل ، وأنهما لم يركبا ، بل بقي كل على وضعه في الأصل .

قال العلامة ابن مالك : والصحيح أن « حب » فعل باق على فعليته مقصود به المحبة والمدح ، وجعل فاعله « ذا » ليدل بذلك على الحضور القلبي ، ولم يغير لجريانهما مجرى المثل .[١٠]

سابعاً : رأيه في إعراب النكرة الواقعة قبل أو بعد مخصوص حبذا

يقع كثيراً قبل مخصوص « حبذا » أو بعده نكرة منصوبة نحو قولك : حبذا رجلا زيد ، وحبذا رجلين الزيدان ، وحبذا رجالا الزيدون ، وحبذا امرأة هند وامرأتـين الهندان ، ونساء الهندات وكذا لو عكست وأخرت النكرة عن المخصوص .

فمن مجيء النكرة قبل المخصوص قول الشاعر : ـ

الا حبذا قوما سليم فإنهم

وفوا إذا تواصوا بالإعانة والصبر

ومثل قول الراجز : ـ

يا حبذا مرجوا الثرى السخى

من يـرجه فعيشـه العيش

ومن مجيئها بعد المخصـوص قول الشاعر : ـ

حبذا الصبر شيمة لا مرىء را

م سبـارة مـولـع بـالمعـالى

ومثل قول الشاعر : ـ

يا حبذا المال مبذولا بلا سرف

في أوجـه البر إسرارا وإعلانا

وقد اختلف في هذه النكرة على أى شيء نُصبت ؟

---

(٧) انظر حاشية الصبان جـ٣ ص ٤٠ .

(٨) انظر الهمع جـ٢ ص ١٨٠ .

(٩) انظر المغنى جـ٢ ص ٦١٧ .

(١٠) انظر شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك ص ٨٠١ .

فذهب جماعة من النحويين إلى أنها إن كانت مشتقة فهى منصوبة على الحالية، نحو : حبذا محمد رسولاً ، وإن كانت جامدة فهى منصوبة على التمييز ، نحو : حبذا محمد رجلا .

وذهب الأخفش والفارسى والربعى إلى أنها حال مطلقاً [١١] .

وذهب أبو عمرو بن العلاء إلى أنها تمييز مطلقا .

وذهب أبو حيان إلى أنها إن كانت مشتقة واريد تقيد المدح بها فهى حال وإن لم يقيد المدح بها ، أو كانت جامدة فهى تمييز .

فمثال مجيئها حالاً على رأيه : حبذا هند مواصلة ، اى فى حال مواصلتها ، ولا يجوز دخول « من » عليها حينئذ .

ومثال مجيئها تمييزاً : حبذا زيد راكبا ، ويصح دخول « من » عليها حينئذ اى من راكب .

وذهب جماعة إلى أنها منصوبة على المفعولية بفعل مضمر تقديره « أعنى » وليست حالاً ولا تمييزاً ، ونسب هذا الراى لابى حيان ايضاً ، وعده السيوطى غريباً . وقال : الأولى التأخير عند الفارسى والتقديم عند ابن مالك .

وقال الجرمى وابن خروف هما سواء في الحال ، ثم قال الجرمى : تقديم التمييز فيه قبيح ، وقال ابن خروف أحسن .

وقال أبو حيان : الاحسن تقديم التمييز وكذا الحال إن كانت من « ذا » وإن كانت من المخصوص فالتأخير احسن .[١٢] .

هذه هى الآراء التى عثرت عليها لشيخنا الربعى في بطون الكتب واسأل الله تعالى ان ينفع بها وأن اكون قد وفقت لإخراجها بالطريقة التى تيسر على القارىء فهمها .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ...

(١١) انظر الهمع جـ ٢ ص ٨٩ .

(١٢) انظر الهمع جـ ٢ ص ٨٩ .

العباس عم الرسول

"صلى الله عليه وسلم"

لم يشرف أحد في الجاهلية والإسلام كما شرف العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، فلقد أسلم وصار صحابيا ، وعاش في العالم الإسلامي مكرماً ، وتولى أحفاده حكم الإمبراطورية الإسلامية من سنة ١٣٢ هـ إلى سنة ٦٥٦ هـ . ولما سقطت بغداد انتقل من أحفاده من تولى الخلافة في مصر ليحفظ للعروبة مجدها ولغتها ودينها إلى أن صارت مصر إلى يد سليم الأول سنة ٩٢٣ هـ . وباختفاء ولده لم يعرف للمسلمين وحدة ولا جامعة إسلامية حقة .

ومن شرفه في الجاهلية أنه كان رئيس قريش وهو لم يبلغ الحلم . روى « ابن عبد ربه » في كتابه « العقد الفريد » الجزء الثالث حيث تحدث عن نسب قريش ووظائف بطونها من سدانة وندوة ولواء ورفادة ..... وجاء الحديث عن بني هاشم فقال :

« كانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحلوان النفر في بني هاشم ؛ فأما السقاية فمعروفة (ماء زمزم ينقع فيه الزبيب لسقى الحجيج) وأما العمارة فهو : ألا يتكلم أحد في المسجد الحرام بهُجر (باطل) ولارفث (الفحش من القول) ولا يرفع فيه صوته ، وكان العباس ينهاهم عن ذلك ، وأما حلوان النفْر فإن العرب لم تكن تملك عليها في الجاهلية أحداً ، فإن كان حرب أقرعوا بين أهل الرياسة ، فمن خرجت عليه القرعة أحْضروه صغيراً كان أو كبيراً . فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بني هاشم فخرج سهم العباس وهو صغير فأجلسوه على المِجَنّ (الترس) .

وهذا الخبر الذي ساقه ابن عبد ربه ـ وهو الناشيء في كنف بني مروان من بني أمية بالأندلس بعيداً عن بني العباس ـ يعطينا أمرين في غاية الأهمية ، ويردان على بعض المستشرقين الذين يجعلون الحديث عن العباسيين والهاشميين بوجه عام في الجاهلية مصحوباً بسيادتهم ضرباً من التزيد والانحياز .

الأمر الأول : أن القرعة كانت بين أهل الرياسة ، ومن أهل الرياسة ؟ الجواب من ابن عبد ربه الأندلسي : « أقرعوا بين بني هاشم » فلم يدخل بينهم أي بطن من بطونهم

للأستاذ: السيد حسن قترون

مع أن حرب بن أمية كان رئيس قريش وكنانة فى تلك الحرب، ومعنى ذلك أنه القائد، أما الرئيس فهو من وقعت عليه القرعة من بنى هاشم وهو العباس بن عبد المطلب.

وهذا هو الأمر الثانى.

وحرب الفِجار التى يتحدث عنها العقد الفريد كانت بين قيس وقبائلها، وقريش وكنانة وقريش بعض قبائل كنانة .. ولقد حضر تلك الحرب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكان صغيراً فهو أصغر سناً من عمه العباس بسنوات ثلاث، وسئل العباس: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: هو اكبر منى وأنا أسن منه .. وأعجب الناس بهذا الجواب الموفق.

ويقول أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى (١٣٦ ـ ١٥٨ هـ) فى مَعْرِض التفاخر، والخطاب للخارج عليه من بنى عمومته النفس الزكية (محمد بن عبد الله بن الحسن العلوى):

ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة، فأجابه اثنان أحدهما أبى. (يريد العباس) وكفر اثنان أحدهما أبوك (يريد أبا طالب) .. ولقد علمتَ أن مآثرنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم، وكانت للعباس دون إخوته، فنازعنا فيها أبوك (على بن أبى طالب) إلى عمر، فقضى لنا عمر عليه، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حياً إلا العباس فكان وارثه دون بنى عبد المطلب، وطلب الخلافة غير واحد من بنى هاشم فلم ينلها إلا ولده، فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وبنوه القادة الخلفاء، فقد ذهب بفضل القديم والحديث.

وما قاله أبو جعفر المنصور حق وصدق، فلنرجع إلى العباس لنكون معه فى جاهليته وإسلامه، فهو جدير بالمصاحبة والمجالسة، فله عزه ومجده وسماحته ووفاؤه وذكاؤه. ولنكن معه فى بيته فى مكة، وستراه قد تزوج بامرأة فاضلة هى «لبابة الكبرى بنتْ الحارث» ينتهى نسبها إلى هلال بن عامر من مضر، وأنجبت بنيِن وبنات، والبنون هم: الفضل، وكانت به تُكْنَى، كما كان يكنى به العباس، فهو أبو الفضل وهى أم الفضل، وكان الفضل جميلاً، وأردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجته، ومات بالشام فى طاعون عمواس وليس له عقب ..

هكذا يقول ابن سعد فى الطبقات الكبرى، ومنذ سنوات دارت مناقشات حادة على صفحات جريدة «الأخبار» حول الشيخ شبل وأنه من نسله، والتاريخ لا يعرف ذلك.

والولد الثانى: عبد الله وهو الحبر ومن نسله الخلفاء، ومات بالطائف سنة ٦٨ هـ وعبيد الله وكان من أجواد العرب، مات بالمدينة وله عقب.

العباس عم الرسول

وعبد الرحمن مات بالشام وليس له عقب .

وقُثَم وكان يشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان خرج إلى خراسان مجاهداً فمات بسمرقند وليس له عقب ومنزلته إلى اليوم عظيمة فى مرقده حيث العناية به كاملة - كما قرأت .

ومَعْبد قتل بإفريقية شهيداً وله عقب .

ولهم أخت أسمها أم حبيبة بنت العباس .

وفى هؤلاء الأولاد يقول أحد أخوالهم وهو عبد الله بن يزيد الهلالى :

ما ولدتْ نجيبةٌ من فَحْلِ
بجبلٍ نعلمه أو سهلِ
كستة من بطن أم الفضل
أكرمْ بها من كهلةٍ وكهْلِ

لكن العباس له أولاد من غيرها ، منهم : كثير بن العباس وكان فقيها محدثا ، وتمام بن العباس وكان من أشد أهل زمانه ، وصفية واميمة وامهم أم ولد ، والحارث بن العباس وأمه مضرية من بنى هذيل ، وللحارث عقب منهم السرىّ بن عبد الله والى اليمامة .. وليس له عقب ولا لتمام عقب .

وأم الفضل أم البنين سيكون لها ذكر فى المواقف الإسلامية وهى خالة « خالد بن الوليد » وأخت أم المؤمنين ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

العباس والإسلام :

حين كان أبو طالب يناصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته ويقف من قريش المواقف الحاسمة وهو على دين قومه . كان أبو لهب بن عبد المطلب مع قريش قلباً وقالبا يعادى الدعوة الإسلامية حتى دمغته الدعوة وعرضته للسخرية ، نقد نزل فى شأنه قرآن ينعى عليه موقفه من ابن أخيه « الصادق الأمين » وحتى بعد وفاة أخيه أبى طالب نراه بعد أن أخذته الحمية حمية القرابة يعود معادياً ، لأن أبا جهل وسوس إليه أن محمداً قال : إن عبد المطلب فى النار ..

فى ذلك الحين كان حمزة قد أسلم وعزَّ به وبعُمَرَ الإسلام ، وبقى العباس يرقب الحوادث وبيته يستنير بنور الإسلام ، فأم الفضل من السابقات إلى الإسلام .

وأول موقف له هو ما جرى بينه وبين أبى جهل بن هشام فى رؤيا (عاتكة بنت عبد المطلب) فقد رأت رؤيا قصتها على أخيها العباس وحذرته من إفشائها ، لأن تأويل الرؤيا فيه نكبة لقريش بعد ثلاث .. وأفضى العباس بها إلى صديقه الوليد بن عتبة ، والوليد حدث بها أباه .. وأبوه أخبر بها أبا جهل ، فما كان من أبى جهل إلا أن تعرض للعباس يناوئه ويسخر من بنى عبد المطلب الذين تنبأت فيهم امرأة كما تنبأ محمد (صلى الله عليه وسلم) وأقبلت نساء بنى هاشم يلمن العباس على موقفه .. وخرج يريد الإيقاع بأبى جهل .. وإذا بأبى جهل يسمع صوتاً يحذر قريشاً من محمد الذى يتعرض لعير قريش وتجارتها ، فيسرع خارجاً من المسجد . وبعد ثلاث كانت غزوة بدر ونكبة قريش ، فقد هزمت ، أصيب رجالها بالقتل والأسر وحضر العباس الغزوة مع قريش فوقع أسيراً .

وقبل بدر كان موقفه الرائع الذى يدل على حبه محمداً صلى الله عليه وسلم وحرصه على أن يظهر على أعدائه ويعلو نداء دينه ، لقد حضر معه بيعة العقبة الأخيرة ، فإذا قرأت ما حدث وكيف أخذ لابن أخيه حتى يضمن له الفلج والنصر رأيت عجباً ، فحين التقى رسول الله بمن أسلموا من الأوس والخزرج بمكة فى موسم الحج وكان بمنزل عمه العباس قالوا له : متى نلتقى ؟ فقال العباس ـ وكان رجلاً يقظاً :

إنَّ معكم من قومكم من هو مخالف لكم فأخفوا أمركم حتى ينصدع هذا الحاج ، ونلتقى نحن وأنتم فنوضح لكم الأمر . فتدخلون على أمر بيِّن ، فوعدهم رسول الله الليلة التى فى صبحها النفر الآخر أن يوافيهم أسفل العقبة . وأمرهم ألا ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً .. وقد كان ، واجتمع بهم الرسول ليلاً ، وكان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال : يامعشر الخزرج ـ وكانت الخزرج والأوس تدعى الخزرج ـ إنكم قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه إليه ، ومحمد من أعز الناس فى عشيرته ، يمنعه والله من كان منا على قوله . ومن لم يكن منا على قوله منعة للحسب والشرف ، وقد أبى محمداً الناس كلهم غيركم ، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبَصَر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبةً ، فإنها سترميكم عن قوس واحدة فارتئوا رأيكم وائتمروا أمركم ولا تفترقوا إلا على ملأ منكم واجتماع ، فإن أحسن الحديث أصدقه .. وأخرى ، صفوا لى الحرب ، كيف تقاتلون عدوكم ؟ فأسكت القوم ، ثم تكلموا وكان وصفهم فيه التجربة الصادقة وكانت الخطة ناجحة ، وكانت ليلة لها ما بعدها .. فقد هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم ، وبعد الهجرة وفى العام الثانى وفى رمضان كانت غزوة بدر وكان العباس أسيرا .. وقال للرسول : أنا مسلم ، فقال ما معناه : ظاهر أمرك ضدنا ، وأمره أن يدفع فداءه وفداء ابن أخيه : عقيل بن أبى طالب ، وفى هذه الآونة كانت أم الفضل فى مكة تتلقى البشارة بنصر رسول الله وَدَحْر عدوه.

رجع العباس بعد فدائه إلى مكة فكان عين الرسول التى يرى بها ما تدبره قريش ، فيطلعه على كل ما يضر الدعوة الإسلامية .

قال ابن سعد ، وذكر أن العباس ونوفلا وعقيلا رجعوا إلى مكة ليقيموا ما كانوا يقيمون من أمر السقاية والرفادة والرئاسة وذلك بعد موت أبى لهب ، وذلك يفسر لك موقف أبى سفيان الأموى من الدعوة فهو خائف إن ترك قريشاً أن يظهر بطن من غير بطون عبد مناف فتكون له الرياسة وأبو سفيان رأس بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

ومما يروى أثناء الجهاد النبوى أن الحجاج بن عيلاط السلمى قدم مكة بعد فتح خيبر ، وكان له مال فى قريش يريد أن يحصل عليه ، فأخبرهم بما يسرهم أنه قد ظُفِر بمحمد (صلى الله عليه وسلم) وقتل أصحابه وساء العباس خبره وأفزعه وفتح بابه وأخذ ابنه قُثَم فجعله على صدره وهو يقول :

« يا قُثَم ياقُثَم ياشبه ذى الكرم »

←

العباس عم الرسول

حتى أتاه الحجاج فأخبره بسلامة رسول الله وأنه قد فتح خيبر وغنَّمه الله تعالى ما فيها ، فسر العباس ولبس ثيابه وغدا إلى المسجد فدخله وطاف بالبيت .. وعجبت قريش من صبر العباس وجلده ثم أخبرهم بالحقيقة بسلامة رسول الله وأنه فتح خيبر .. فكبت المشركون . وعلموا أن الحجاج قد كذب عليهم ورد أمواله إليه .

ثم خرج العباس إلى المدينة مهاجراً فأطعمه الرسول من غنائم خيبر ، وبدأ يظهر مع الرسول فى الميادين العظيمة فشهد فتح مكة ويوم حنين ولزم مقتضيات الإيمان . ومن ذكريات العباس قوله : « شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين فلزمته انا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فلم نفارقه والنبى صلى الله عليه وسلم على بَغْلةٍ .. فلما التقى المسلمون بالكفار ولى المسلمون مدبرين ، وطفق رسول الله يركض بغلته نحو الكفار . قال العباس وانا آخذ بلجام بغلته وأبو سفيان آخذ بركابه فقال رسول الله : ياعباس ناد ياأصحاب السمرة .. قال عباس وكنت رجلاً صيتاً يعنى عالى الصوت ، فقلت بأعلى صوتى : أين أصحاب السمرة ؟ فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها فقالوا : يالبيك يالبيك ، فاقتتلوا هم والكفار ، والدعوة فى الأنصار يقولون : يامعشر الأنصار ، ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث ابن الخزرج .. فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته فقال : « هذا حين حمى الوطيس » وكانت هزيمة الكفار .

وفى غزوة تبوك جاء أسقف غزة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله هلك عندى هاشم وعبد شمس وهما تاجران وهذى أموالهما .. فدعا النبى أبا سفيان بن حرب ، فقال : اقسم مال عبد شمس على كبراء ولد عبد شمس ، ودعا العباس فقال : اقسم مال هاشم على كبراء بنى هاشم ، وهاشم وعبد شمس أخوان ولدا فى بطن واحد .

لكن ابن هاشم فى السيرة النبوية عند « ترتيب وفاة أولاد عبد مناف » يقول : وكان اسم عبد مناف المغيرة ، وكان اول بنيه هلكاً هاشم بغزة من أرض الشام ، ثم عبد شمس بمكة ، ثم المطلب بِرَدْمَان من ارض اليمن ، ثم نوفلا بسلمان من ناحية العراق ، فهاشم مات بغزة ، وعبد شمس مات بمكة على حد رواية ابن هشام ، والأمر يحتاج إلى تحقيق ، ولو ثبت أن عبد شمس مات بغزة لكان عجيباً أن يكون هو وهاشم توأمين وضمهما قبر واحد .

والاستطراد جاء من تولى العباس مهمة تقسيم الميراث على كبراء بنى هاشم ، فهو المقدم دائماً ، وموقف أسقف غزة من مال الأخوين يدل على رعاية الأمانة فى ذلك الزمان ، وما زلنا إلى اليوم نرى لها أهلاً .

وعاش العباس فى المدينة معززاً مكرماً ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يغضب حين يبلغه أذى يقع على العباس من المهاجرين أو الأنصار ، جاء عمر بن الخطاب إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ألم تر عباسا فعل بى كذا وكذا وفعل فأردت أن أجيبه ، فذكرت

مكانه منك فكففت عنه ، فقال : يرحمك الله ، إن عم الرجل صنو أبيه ..

ومرض العباس فعاده الرسول فوجده يتوجع ويتمنى الموت ، فقال له : ياعم رسول الله لا تتمنَّ الموت ، فإن تكن محسناً فإن تؤخر تزدد إحساناً إلى إحسانك خيرا لك ، وإن تكن مسيئاً فإن تؤخر فتستعتب من إساءتك ، فلا تتمن الموت .

وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى وعاش بعده عمه العباس ، وشاهد خلافة أبى بكر وعمر وأغلب سنوات عثمان ، وله مع عمر وهو خليفة قضايا منها : ميزاب العباس نزل منه ماء على عمر وهو ذاهب للصلاة فأمر عمر بإزالته ثم عاد ووضعه فى مكانه معتذراً ، ومنها طلب عمر منه أن يبيع منزله لتوسعة مسجد رسول الله . وبعد نزاع حكما بينهما أبى بن كعب رضى الله عنه فقص عليهما حديثاً فحواه الا يدخل فى المسجد ما هو فيه إثم ، ولما علم عمر بصحة الحديث بشهود شهدوا تنازل عن طلبه ضم منزل العباس ولكن العباس تنازل عنه للمسجد ، وقضايا أخرى كان عمر ينصف فيها العباس حتى قال له يوما : والله ياأبا الفضل لأنا بإسلامك كنت أسرّ منى بإسلام الخطاب لو أسلم لمرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى عام الرمادة سنة ثمانى عشرة من الهجرة حين جفت الأرض وامتنع المطر وهلك الضرع واستغاث عمر بكل الولايات الإسلامية لدفع الضر لجأ إلى عم رسول الله العباس مستسقيا به لينزل المطر ، روى بعضهم قال : رأيت عمر آخذا بيد العباس فقام به فقال : « اللهم إنا نستشفع بعم رسولك صلى الله عليه وسلم إليك » قالوا : فما رجعوا حتى سقوا ، وحين دون عمر الدواوين وجعل أعطيات للمسلمين بدأ ببنى هاشم ، وكان أول من بدأ به منهم العباس عم الرسول ، وفرض له مثل أهل بدر خمسة آلاف ، ولم يفضل أحدا على أهل بدر إلا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم .

وتوفى العباس يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من رجب سنة ٣٢ هـ فى خلافة عثمان ابن عفان وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بالبقيع فى مقبرة بنى هاشم .

وكانت جنازة العباس أفخم جنازة شهدتها المدينة ، فقد بعثت بنو هاشم مؤذناً يؤذن أهل العوالى : رحم الله من شهد العباس بن عبد المطلب ، فحشد الناس ونزلوا من العوالى .

وذهب رسول عثمان .. والعباس خال أم عثمان - إلى قرى الأنصار يؤمها قرية قرية حتى بلغ مساكن بنى حارثة وما ولاها فحشد الناس رجالاً ونساء ، وغلب عليه بنو هاشم وأمر عثمان الشرطة بالتدخل إلى أن وصلت الجنازة إلى البقيع ..

قالوا : وغسله على بن أبى طالب وأبناؤه عبد الله وعبيد الله وقثم وصلى عليه عثمان ابن عفان رضى الله عنه . رحم الله العباس فلقد كان لحجاج بيت الله ساقيا ، ولمسجد رسول الله بالمدينة حافظا وراعياً .

السيد حسن قـــرون

الأبداع الأدبي

بين اكتشافه الواقع وتحويله إلى وعاء للمعتقدات السياسية •

قضية الواقعية في الأدب :

إن أية دراسة علمية للرواية الحديثة لابد ان تطرح موضوع « الواقعية » على بساط البحث العلمي : ليس من وجهة « تاريخية » المذهب : وإنما من ناحية المدلول العلمى للمصطلح ، ودقة دلالته على روايات النقد الاجتماعي من عدمه ، ذلك لأن هذا المصطلح أصبح يطلق على الشيء ونقيضه ، وبالأخص فى مقالات التعريف بالأعمال الأدبية التى تظهر تباعاً منذ بدايات هذا القرن في الصحافة والمجلات العربية ، ومنذ القرن التاسع عشر في الصحافة والمجلات الألمانية .

لذلك يتحتم علينا أن ننظر إلى « الواقعية » من زاوية التطور العلمي للمصطلح ودلالته من وجهة مقارنة .

١ ـ قضية الواقعية في نظرية الأدب الألماني وتاريخه :

لقد دارت مناقشات علمية كثيرة وعنيفة ومتناقضة حول التحديد الزمنى للعصر الواقعى في الأدب الألماني[١] .

وما يهمنا هنا ليس استعراض هذه المناقشات ؛ وإنما تناول الارتكاز العلمى « للواقعية » ؛ لإبراز الخلفية العلمية التي تتحرك في إطارها الروايات موضوع المقارنة .

يرتبط مفهوم الواقعية عندهم بنظرية « المحاكاة » (Mimesis) لارسطو .

والمحاكاة يمكن ان تفهم بعيداً عن تاريخ المصطلح وتطوره على انها التصوير التقابلى (الفوتو غرافي) للواقع . والمحاكاة او التقليد (Nachahmung)

بمعنى عرض الواقع قصصياً بصورة تطابقية ، أو تقليد الطبيعة لم يكن وارداً في تصور أرسطو . فالمحاكاة عند أرسطو هى محاكاة ممثلى المسرحيات لأبطالها في الغايات

• هذه الدراسة تتناول بالعرض والتحليل اهم ما جاء فى كتابى المنشور في المانيا الاتحادية (الغربية)

و(هاينرش بول ١٩١٨ ـ ١٩٨٥) أهم ادباء المانيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وحاصل على جائزة (نوبل) في الأدب .

(١) انظر :

Brinkmann , R. (Hrsg.): Begriffsbestimmung des Litrarischen Realismus. 2. Aufl . Darmstadt 1974 (Wege Der Forschung Bd . 212) .

هذا الكتاب يعرض بداية هذه المناقشات العلمية وتطورها ، كما يعرض أيضاً الموقف الحالى لهذه المناقشات .

عــرض ودراســة
د. عبد الله محمد أبو هشــة

الخلقية . لذا فإن للمسرحية عنده المكانة الأولى في نظرته لأنواع الأدب في كتابه « الشعر »[٢] . ولهذا أسباب فلسفية ترتكز على الأسطورة وفهمه لها ، وعلى فلسفة الإلزام والقدرية[٣] .

أما عن مفهوم « محاكاة الواقع » في العصر الحديث[٤] فقد تحرر من الالتزام بقدرية الأسطورة عند ارسطو ، واكتسب التزاماً من نوع آخر **هو التزام بإنسانية العمل الأدبي ، وارتباطه بحياة الإنسان ، وتفسيرها تفسيراً سببياً بحيث يجعل العمل الأدبي قائماً على السببية الإنسانية في إطار الزمن الذى يرويه ويحكيه .**

وبذلك فُهِمَ الواقع على أنه واقع « الظواهر » الاجتماعية والإنسانية التى يشكلها الأديب قصصياً في عمله الأدبي .

وفي هذا الإطار فهم الاتباعيون (الكلاسيكيون) « محاكاة الواقع » بواسطة الأديب ـ الذي سموه العبقري ـ **على أنها خضوع الفرد للأخلاق العامة وخضوع الأديب للقواعد التى اصطلح عليها المجموع** ـ من خلال الوحدات الثلاث المكان والزمان والحدث ـ أى خضوع الخاص للعام .

أما الابتداعيون (الرومانتيكيون) فقد فهموا أن (الواقع) الذي سيحاكيه الأديب ما هو إلا واقع العقل والروح أى واقع الخيال . فهو عندهم واقع يصنعه الأديب من خلال تخيله لإعادة تشكيل جزئيات الواقع في صورة جديدة رافضاً للواقع الكلاسيكي بقيوده النظرية الصارمة ، ولقد عبر الشاعر الألماني (چين باول ـ Jean Paul) عن هذه الفكرة عند الابتداعيين (الرومانتيكيين) بقوله : « ما الذي بقى للروح الشاعرة بعد انهيار شكل العالم ؟

هذا العالم الذي اتجه انهياره إلى داخله [.....] ولأن الفناء والنهاية لازمة الأجساد ، والبقاء واللانهائى هو عالم الروح الذي لا يحده حد ، وبه ومنه وحده تشرق امبراطورية الشعر والأدب عبر حرائق الفناء »[٥] .

←

(٢) انظر :
Aristoteles : Poetik . Uebersetzt Uon Olof Gigon . Stuttgart 1961 . S.36 .

(٣) للاستزادة يمكن الرجوع إلى نفس المصدر ص ٦٨ .

(٤) العصر الحديث في تاريخ الأدب الألماني يقصد به غالباً عصر (جوته) وما بعده .

(٥) انظر :
Jean Paul : Vorschule der Aesthetik . S 23 . In : ders . , Werke . Hrsgg . Von Norbert Miller . Bd . 5 . Muenchen 1963 . S . 93 .

← الابداع الأدبى

وبعد العصر الابتداعى (الرومانتيكي) اصبح دور الادباء ليس تعدي الحرائق والتحليق فوقها في ممالك الخيال ؛ وإنما اصبح دورهم هو تناول مواضع الحرائق هذه بالعرض الأدبي لشكوى ما فقده العالم بسبب هذه الحرائق . فهذه الحرائق ليست إلا العوامل الموضوعية (التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية التى شملت المجتمع) والتى ستحدد مفهوم الواقع خلال القرن التاسع عشر اكثر فاكثر .

فالأدباء (كيللر وفونتانى ورابي : -Kel ler , Fontane und Raabe) اصبح هدفهم في اعمالهم الأدبية الواقع التاريخي الاجتماعي . وليس المقصود بذلك أن هدفهم هذه العوامل والحقائق بصورة بحثية ميدانية كما في العلوم الطبيعية أو كما حاول (إميل زولا) ، وكانت نتيجة ذلك انفصال الحقائق التاريخية عن اللغة ، ودخولها اطار التقنين العلمي الميداني الوثائقى ، ولكل ذلك أصبح الأدب يتأثر بصورة متزايدة بمناهج العلوم الطبيعية في تناول الحقائق وعوامل وجودها .

فأدباء الواقعية يتناولون الظواهر والعوامل الموضوعية في المجتمع بالعرض القصصى لها . وفي إطار تناولهم للعوامل الموضوعية تعود الظواهر إلى عوامل وجودها ، وهذا يعني انفصال مظهر الأشياء عن جوهرها . كما أن العرض القصصي للعوامل التى أوجدت الظاهرة كان عرضياً فيه الكثير من المضامين الأدبية الهجائية والنقدية التي تعنى الوعى بالظاهرة وعوامل وجودها بغية تغييرها ، وهكذا دخل الأدب طوراً آخر ـ غير التطهير لأرسطو والعرض الجمالى عند الكلاسيكيين مضافاً إليه الخيال وإعادة اكتشاف العالم عند الرومانتيكيين ـ هو طور الدخول في نسيج الحياة الذي أصبح هو مركز الوعى فيها من أجل تغييرها إلى الأفضل دائماً .

أما في القرن العشرين فإن أشهر مناقشة دارت حول الواقعية كانت بين (جورج لوكاتش) من ناحية وبين كل من (برتولد بريخت) و(أرنست بلوخ) من ناحية ثانية .

(جورج لوكاتش) يطالب ـ ربما للمرة الأخيرة ـ بعودة منظور وحدة جوهر الأشياء ومظهرها . ولقد اشتهرت نظرية (لوكاتش) باسم « نظرية الانعكاس » ومنطلقها مقولته « بأن التفكير الماركسى غير المرتبط بالوعى الفردى هو القادر وحده على فهم العالم القائم وتفسيره »[٦] ، ويرى أن تفكير الطبقة المتوسطة (البورجوازية) عندما يعبر عن العالم يعبر فقط إما عن الأفكار (ويقصد بذلك جوته وعصره) أو يعبر عن الظواهر الميدانية (ويقصد بذلك الأدباء الطبيعيين) والمذهب الطبيعي الذي يستعير له تعبير (لينين) « المادية الآلية » اى الميكانيكية[٧] .

و(لوكاتش) يرى أن الواقع موجود خلف

---

(٦) انظـر : Lukacs, Georg : Kunst und Objektive Wahrheit . In : Ders . , Werke . Bd .4 : Probleme Des Realismus I . Neuwied / Berlin . 1971 . S . 607 —

(٧) انظـر : Gaede, F .: Realismus Von Brant bis Brecht . muenchen 1972 . S . 93 .

الظاهرة الميدانية ، وأن هذا الواقع هو الهدف المعرفي الأساسي الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بالطريقة الجدلية ، التى يطالب الأدباء بالالتزام بها ، وأنها بها وحدها تتحقق « موضوعية التحزب لفكرة ما » ، والتى هى الواقعية بذاتها[٨] .

وهنا يتضح لنا تناقض أفكار (لوكاتش) ، إذ أن الطريقة الجدلية في المعرفة ، التى يطالب بها لا تسعى إلى « الموضوعية فى المعرفة ، بمعنى صحة كل المنطلقات المعرفية دون تحزب لإحداها ، وإنما « هى الاقتناع التام بموضوعية الطبيعة والمجتمع وقوانينهما »[٩] .

فالموضوعية عنده ليست حيادية ؛ وإنما هى موضوعية مذهبية ، ترى أن الواقع الوحيد هو الواقع الاجتماعي من منظور ماركسي ، ولذلك يفهم لوكاتش العرض الروائى أو القصصي لهذا الواقع على أنه الدعوة إلى الماركسية ، إذاً فإن تناول المجتمع أدبياً سيتحول إلى منشورات قصصية للترويج للماركسية . وهذا فى رأيى سبب تدهور المستوى الأدبي بصورة عامة في البلاد الشيوعية عنه في هذه البلاد قبل تطبيق المذهب الشيوعي فيها ، والأدب الروسى اوضح مثال على ذلك . كما أن مطالبة (لوكاتش) بوحدة مظهر الأشياء وجوهرها قد تناقض مع الواقع الاجتماعي ذاته ، بل أيضاً مع منطلقات النظرية الماركسية في المعرفة ، التى ترى عدم تطابق جوهر الأشياء ومظهرها عندما يقرر (ماركس) ذلك قائلاً :

« فكل العلوم ستصبح عديمة الجدوى فيما لو اتحد شكل الأشياء وجوهرها »[١٠] .

إذاً فإن مناداة (لوكاتش) بوحدة شكل الظاهرة وجوهرها في العمل الأدبي الواقعى شىء يتناقض تماماً مع طبيعة الأدب الواقعي ؛ إذ أن موضوع العمل الأدبي الواقعي هو التناقض بين شكل الظاهرة وجوهرها ، وهذا هو الذي يبرر وجود العمل الأدبي من أساسه .

فالثورية مثلاً إن لم تكن تحمل التناقض والاختلاف بين شكلها وجوهرها فلم كل هذه الأعمال الأدبية في كل آداب العالم والتى تعرض أساساً لآلام التحول الثوري الذي يبدو كشعار ذى بريق يتناقض بالنظر المتامل مع جوهره التحولي وما يصاحبه من إحباطات وتجاوزات :

كذلك المؤمن بالعدالة والتضامن الاجتماعي أو الاشتراكية يدير حواراً مع نفسه حول معتقداته ، وهو من جانب آخر لا يتطابق مع غيره من البشر ؛ ناهيك عن هذه القضايا في إطار التطبيق وما يصاحبها من اختلاف بين مقولة المظهر وحقيقة التطبيق . وهكذا كل ما يتعلق بالحياة الإنسانية والمجتمع ، وإن لم يوجد هذا التناقض لما اصبح الجهد الإنساني مستوجباً لكشف التناقض والاختلاف وتقليل تداعياته الضارة ، ولو توقف الجهد البشري لضاع الجوهر الذي هو هدف دائم للإنسان ، وهكذا

←

(٨) نفس المرجع ص ٦١١ .
(٩) نفس المرجع ص ٦١١ وما بعدها .
(١٠) نفس المرجع ص ٦٠٨ .

نستطيع ان نرى أن شكل الشيء وجوهره لا يمكن اتحادهما في واقع الحياة أو المجتمع .

وبرغم ان (ارنست بلوخ) ينطلق ايضاً في تفكيره العام من المادية التاريخية ؛ إلا أنه يختلف في نظريته عن منطلقات (لوكاتش) ومراميه ، ويتطابق مع المنظور الذي يتواءم مع طبيعة الأدب الواقعي . فعنده « أن الواقع المروى أو بتعبير آخر اسباب التمزق التي ترويها لنا القصة موجودة في الأزمة التي يسببها التغير الاجتماعي [١١] .

ويثير (برتولد بريخت) رداً على (لوكاتش) قضية (اتساع وتنوع) الموضوعات الأدبية عموماً ، وأن العمل الأدبي يجب أن يكون مقنعاً لقارئه أو لمشاهده ، ويؤكد على الأهمية القصوى للمغزى الإنساني العام للعمل الأدبي . فهو يرى أن المغزى التربوى ذا الوسائل المتعددة يعطى الأعمال الأدبية القدرة على رواية الحقيقة وعرضها عرضاً واقعياً [١٢] .

وبذلك يكون الأدب الألماني قد أفلت بفضل (بلوخ) و(بريخت) من أسر القيود المذهبية التى اراد (لوكاتش) أن يكبله بها ، وإن كان بعض ادباء المانيا الشرقية قد انساقوا وراء نظرية (لوكاتش) وَفَقَدَ ادبهم لذلك قدرته على رواية الواقع ، فانقطعت صلته بالقارىء ، بينما وصل الأديبان (بريخت) و(بلوخ) إلى مكانتهما العالية في عالم الأدب لأنهما لم يحولا أعمالهما الأدبية إلى أبواق للمذهب الماركسي ؛ وإنما فرقا بين طبيعة السياسة وطبيعة الأدب ؛ على الرغم من انتمائهما للمذهب الماركسى فلسفياً .

وسبب تناقضات نظريةِ (الانعكاس) (للوكاتش) أراه فى أنه لا يعترف بالفرق بين الواقع وبين معتقداته السياسية (الأيديولوچية) ؛ لأنه يرى أن الأدب وعاء للمعتقدات السياسية التى يجب أن يكون الواقع ايضاً وعاء خاضعاً لها ، فهو بنظريته هذه يريد أن يلوى عنق الواقع ولا يريد إطلاقاً رؤيته كما هوَ بتناقضاته . ولذلك افلتت من (لوكاتش) معرفة الخصائص الذاتية للأدب الواقعى ومعه الأدب الناقد للمجتمع ، وحصر نفسه في البحث عن إجابة على سؤال واحد هو : إلى اى مدى يعكس الأدب ويصور الحقيقة التاريخية (الآنية الاقتصادية والاجتماعية من منظور ماركسى ، وبالتالى أهمل الواقع بكل تفاعلاته الدينية والثقافية وخبراته المعرفية ، التى تخلق ـ مجتمعة ـ الوعى الفردى والجماعى ، الذى يهيمن وحده بالكم والنوع المعرفى على كل العوامل الأخرى في المجتمع ، سواء بإيجادها أو بتوجيهها .

(يتبع)

(١١) انظـر :
Bloch , Ernst : Das Problem de . Expression is mus nochmals . In : Ders., Erbschaft Dieser Zeit . Frankfurt A . M . 1962 . S . 270 . (Gesamtausgabe Bd . 4) .

(١٢) انظـر :
Brecht, Bertold : Ueber Den Realismus . In : Ders ., Gesammelte Werke . Bd . 19 . Frankfurt A . M . 1967 . S . 340 .

٣ إمام النحاة

وقضية الاستشهاد بالحديث

للأستاذ الدكتور: السيد رزق الطويل

فى علاج هذه القضية سعيا وراء استبانة موقف سيبويه من الاستشهاد بالحديث نواصل القول فى استخراج الأحاديث الواردة فى كتاب سيبويه، وأسلوبه فى تناولها، مع تخريجها من مظانها فى كتب الحديث.

الحديث الثالث:

يقول سيبويه فى سياق الحديث عن عمل اسم التفضيل فى الاسم الظاهر: وتقول: «ما رأيت رجلاً أبغض إليه الشر منه وإليه» و «ما رأيت أحداً أحسن فى عينه الكحلُ منه فى عينه» ومن ذلك: «ما من أيام أحب إلى الله فيها الصومُ منه فى عشر ذى الحجة»، وإن شئت قلت: ما رأيت أحداً أحسن فى عينه الكحلُ منه. أو ما رأيت رجلاً أبغض إليه الشر منه، وما من أيام أحب إلى الله الصوم من عشر ذى الحجة.. فإنها المعنى الأول، إلا أن الهاء ههنا الاسم الأول، ولا تخبر أنك فضلت الكحل عليه.. ولا أنك فضلت «الصوم» على الأيام.. ولكنك فضلت بعض الأيام على بعض، والهاء فى الأول هو الكحل، وإنما فضلته على نفسه فى هذا الموضع، على نفسه فى غير هذا الموضع، ولم ترد أن تجعله خيرا من نفسه البتة»[1].

فقد استشهد سيبويه فى هذا الموضع بحديث نبوي لا ريب.

وإذا بحثنا عن هذا الحديث فى كتب السنة نجده فى سنن أبى داود عن ابن عباس بهذا اللفظ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» حديث رقم ٢٣٢٨ جـ ٣ صـ ٣٢٠ سنن أبى داود ـ تحقيق الشيخ حامد الفقى.

والذهبى فى ميزان الاعتدال جـ ٤ صـ ١٠٠ رواه بهذا اللفظ.. «ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من أيام العشر».

وفى صحيح الترمذى ـ أبواب الصوم ـ «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر» وفيه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد فيها من عشر ذى الحجة».

● الكاتب: عميد كلية الدراسات العربية والإسلامية ـ الأزهر ـ القاهرة.

(١) الكتاب جـ ٢ صـ ٣٢ (هارون) وجـ ١ صـ ٢٣٢ وصـ ٢٣٣ بولاق.

وعندما نلقى نظرة على الروايات المختلفة لهذا الحديث نراها جميعاً تخالف رواية سيبويه ، لكن الاستشهاد قائم فى أكثر الروايات ، فنحن لا نرى كلمة « الصوم » الموجودة فى نص سيبويه ، لكن نرى ما يحل محلها ، وهو المصدر المؤول (أن يتعبد) فى رواية الذهبى ، وإحدى روايتى الترمذى ، إذ يعرب فاعلاً لاسم التفضيل « أحب » وهو **الموقع الإعرابى نفسه** الذى يقع فيه لفظ « الصوم »[٢] .

وفى الروايات الأخرى نرى فاعل اسم التفضيل « أحب » ضميراً مستتراً يعود على « العمل الصالح » المتقدم على نحو ما رأينا فى رواية أبى داود ، والرواية الأخرى للترمذى ، وفى هذه الحالة تكون الروايتان خارجتين عن موضوع الاستشهاد الذى عرض سيبويه لأجله هذا الحديث بصورته التى ذكرها .

والذى يلفت النظر أن هذا الحديث قد تعدد الاستشهاد به فى كتب النحو بعد سيبويه . فقد استشهد به المبرد فى كتابه المقتضب ، كما استشهد به ابن بابشاذ (٤٦٩ هـ) فى شرح المقدمة المحسبة ، واستشهد به الصيمرى من نحاة القرن الرابع[٣] وابن الحاجب (٦٤٦ هـ) فى كتابه شرح الوافية ، كما استشهد به ابن مالك فى كتابيه : شرح عمدة الحافظ ، وعدة اللافظ ، والكافية الشافية ، وكل هؤلاء رووه بالرواية التى جاءت فى كتاب سيبويه ، أعنى بذكر الصوم فاعلا لاسم التفضيل « أحب » ولم يشر واحد منهم إلى أنه حديث ، أو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم إلا ابن مالك فى الكافية الشافية .

وحرص هؤلاء جميعاً على الاستمساك بهذه الرواية التى تخالف ما جاء فى كتب الحديث تدعو للتأمل ، لأن هؤلاء الأعلام ما كانت تغيب عنهم هذه المخالفة ، وفيهم سيبويه ، وابن مالك ، وله منزلته فى الحديث ، وصلته الوثيقة به ، مع حرص على ربط الدراسات النحوية بنصوصه ، واستعانته بها فى حل مشكلاته .

الحديث الرابع .

يقول سيبويه فى باب ما يكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواتهن فصلا : وأما قولهم : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه ، وينصرانه .. ففيه ثلاثة أوجه ، فالرفع وجهان ، والنصب من وجه واحد .

فأحد وجهى الرفع أن يكون المولود مضمراً فى « يكون » و « الأبوان » مبتدأن ، وما بعدهما مبنى عليهما ، كأنه قال : حتى يكون أبواه اللذان يهودانه وينصرانه ..

والوجه الآخر : أن تعمل « يكون » فى « الأبوان » ويكون « هما » مبتدأ ، وما بعده خبر له والنصب على أن تجعل « هما » فصلا[٤] .

---

(٢) يرفع اسم التفضيل الاسم الظاهر ، وذلك بأن يكون اسم التفضيل بعد نفى ، مقصودا به تفضيل شىء على نفسه باعتبار محلين أو وقتين .

(٣) التبصرة والتذكرة للصيمرى حـ ١ صـ ١٨٠ ت د . فتحى مصطفى ـ مركز البحث العلمى ـ جامعة أم القرى .

(٤) الكتاب حـ ٢ صـ ٣٩٣ وصـ ٣٩٤ هارون وحـ ١ صـ ٣٩٥ ، صـ ٣٥٦ بولاق .

ففى هذا النص من كتاب سيبويه استشهاد بحديث آخر هو قوله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه » .

وقد ورد هذا الحديث فى عدد من كتب السنة الصحيحة بألفاظ فيها بعض الاختلاف مما يجعل الحديث غير صالح للاستشهاد فى الموضع الذى استشهد به إمام النحاة .

رواه البخارى فى كتاب الجنائز ، وكتاب القدر بلفظ « فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه » وروى فى الموطأ ـ باب الجنائز ـ باللفظ الذى رواه به البخارى .

وفى مسند الإمام احمد ورد بصيغ مختلفة ، إحداهما « ما من مولود إلا يولد على الفطرة حتى يكون أبواه اللذان يهودانه وينصرانه » حـ ١ ص ٣٤٦

وفى سنن أبى داود ـ كتاب السنة (باب ذرارى المسلمين) ـ « ... فأبواه يهودانه وينصرانه » رواه الأعرج عن أبى هريرة حـ ٣ صـ ٨٣ برقم ٤٥٤٩ .

وفى صحيح الترمذى (أبواب القدر) « ... فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يشركانه » .

والملاحظة الجديرة بالتأمل أن كل هذه الروايات خلت من موطن الشاهد الذى أراده سيبويه ، وأصبح من المتعين علينا أن نبحث عن مصدر هذه العبارة « حتى يكون ابواه هما ...»

لقد صدّر سيبويه الحديث بقوله : « قولهم ...» فهو لم يقصد أن يسوقه حديثاً يستشهد به ، وإذن نقول : إن كان ساقه على أنه كلام فصيح سمعه فمن المستبعد أن يتزيد فيه ، لأن التزيد لو كان وارداً فيما كتبه سيبويه كانت قضية بالغة الخطورة ، تسقط القيمة العلمية لكتابه الذى يعد المرجع الأول ، والأوثق للنحويين جميعاً .

ولأجل هذا استبعد هذا التفسير الذى قاله الدكتور محمود حسنى ؛ إذ قال : « فكأن سيبويه ساق الحديث النبوى هذا للاستفادة منه فى ميدان النحو بعد تخليله هذا الضمير لتوضيح ما يذهب إليه ، ويبدو أنه أحس بالمخالفة ، وتخوف أن ينسبه بعد ما ادخل فيه ما ادخل »(٥) .

هذا التفسير طعن فى أمانة سيبويه ، وأنه قد يتصرف فى لفظ الحديث من أجل أن يصح له الشاهد النحوى ، وهذا أمر جد خطير ، ثم يتحرج سيبويه ، فلا ينسب هذا الحديث للنبى صلى الله عليه وسلم .

ينبغى أن نعلم أنه من الأمور الواضحة عدم إكثار سيبويه من الاستشهاد بالحديث ، نظرا لأن بعض المحدثين أجاز الرواية بالمعنى ، فهل يأتى سيبويه ، ويستبيح لنفسه أن يغير فى لفظ الحديث ؟! وإذا فعل هذا فمن اين تأتى الحجية النحوية لقوله ؟!

كما نعلم أن منهج سيبويه فى الأحاديث القليلة التى استشهد بها الا ينسبها ، ولهذا تفسير سنحاول التعرف عليه بعد .

وقد جاء بعد سيبويه من النحويين الثقات من استشهدوا بهذا الحديث باللفظ الذى رواه سيبويه ، وهم من نحاة القرن الرابع .

ومنهم من نحا منحى سيبويه فى منهج الاستشهاد ، وهو عدم الإشارة بأنه حديث

---

(٥) مجلة المجمع الأردنى ـ العددان ٣ ، ٤ ـ السنة الثانية ص ٥٠ .

ومنهم من صرح بأنه حديث .

من الطائفة الأولى ابن النحاس المتوفى سنة ٣٣٧ هـ .

يقول فى الاحتجاج على جواز الإضمار فى كان وأخواتها للاسم ، ويكون ما بعدها خبرا لها ، قال فى شرح قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[٦] « ويجوز عند سيبويه والفراء : (ظل وجهه مسودٌّ) يكون فى « ظل » مضمر ، والجملة خبر ، وحكى سيبويه : « حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه ، وينصرانه »[٧] .

ومن الطائفة الأخرى ابن جنى ، فقد استشهد على اللفظ الذى ذكره سيبويه ، مختلفاً عنه فى انه صرح بأنه حديث . قال فى المحتسب ، وهو يوجه قراءة أبى سعيد الخدرى لقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَانِ ﴾[٨] « .. يجوز فى الرفع هنا تقديران ، أحدهما : أن يكون اسم كان ضمير الغلام ، أى : فكان هو أبواه مؤمنان » والجملة بعده خبر كان . والآخر : أن يكون اسم كان مضمراً فيها ، وهو ضمير الشأن والحديث ، أى « فكان الحديث أو الشأن أبواه مؤمنان » ، والجملة بعده خبر كان على مامضى ، إلا أنه من هذا الوجه لا ضمير عائداً على اسم « كان » ، لأن ضمير الشأن لا يحتاج من الجملة التى هى بعده خبرا عنه إلى ضمير عائد عليه منها ، من حيث كان هو الجملة فى المعنى ، ومثله قول النبى صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه ، وينصرانه » إن شئت كان ضمير المولود فى « كان » اسما لها و « أبواه » ابتداء ، و « هما » فصل لا موضع لها من الإعراب ، و « اللذان » خبر كان والعائد على اسم « كان » الضمير فى « أبواه » لأنه أقرب إليه مما بعده »[٩] .

ومن هذه الطائفة أيضاً الصيمرى ، قال : « وحكى عيسى بن عمر : أن ناسا من العرب يقرءون : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ بالرفع على الابتداء والخبر ، قال قيس بن ذريح :

تبكى على لبنى وأنت تركتها
وكنت عليها بالملا أنت اقدرُ •

« أنت » مبتدأ و « اقدر » خبر ، والجملة خبر « كنت » .

وفى الحديث المرفوع كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه ، أو ينصرانه » .

فيجوز أن يكون « هما » فصلا ، على أن نضمر فى « يكون » ما يعود على المولود ، فيجعل اسم « يكون » ويجعل « أبواه » مبتدأ و « اللذان يهودانه » خبر المبتدأ و « هما » فصل[١٠] .

البقية ص ١٠٩

• يلفت النظر فى هذا البيت أن شطره الأول من بحر وشطره الثانى لايستقيم على نفس البحر .. مجلة الازهر

(٦) سورة النحل/٥٨

(٧) إعراب القرآن الكريم لابن النحاس ت : د . زهير الغاز م . المعانى بغداد سنة ١٣٧٧ هـ .

(٨) سورة الكهف/٨٠ والقراءة المذكورة شاذة .

(٩) المحتسب فى القراءات الشاذة ـ لابن جنى ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ت د . على النجدى وزميليه . ص ٣٣ ، وص ٣٤ .

(١٠) التبصرة والتذكرة للصيمرى جـ ١ صـ ٥١٤ ،

من خير ما نشر

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

تختار « مجلة الأزهر » في هذا الباب خير ما نشر بالصحافة نفعاً وجدة وأملاً في التقدم والازدهار للأمة ، على مدى شهر حتى لا يفوت القارىء شىء نافع مفيد ، وإذا كانت الحصيلة محدودة في هذا الباب فإننا نرجو أن نجد المزيد.

نقدم ـ ابتداء ـ في هذا العدد ما نشرته « الأخبار » وهي صحيفة قومية للسيد : وجيه أبو ذكرى بالعنوان التالى :

تفويض على بياض لزكى بدر !

رجل وامرأة يعملان في الخليج ، تركا ابنهما وابنتهما في القاهرة فى مسكنهما الفاخر بمصر الجديدة ليتلقيا العلم في الجامعات المصرية ، لأن الجامعات هناك لا تقبل دخول الأبناء « الأجانب » ، الوالدان يحضران عدة أسابيع لقضاء الأجازة مع الابن والابنة ، يعطيانهما بلا حساب ، وفي إحدى الإجازات اكتشفت الأم أن صحة كل منهما تتدهور ، عرضت عليهما الذهاب إلى الطبيب فرفضا ، وكانت صحة « الولد والبنت » هى الحوار اليومي بين الوالدين .

ومرة .. (دخل الوالد فجأة غرفة ابنته .. فوجد الابن يمسك بحقنة من البلاستيك .. مغروزة في ذراع ابنته .. وما إن شاهد الابن الجامعى والده .. حتى أخرج الحقنة من ذراع شقيقته وألقاها من الشباك .. وخلفها حقنة أخرى .

وذهل الرجل .. وعلم أن ابنه مدمن هيروين .. وأن ابنته أيضاً مدمنة) . وأن هذا هو غذاؤهما اليومي .. ومات الأب .. بالسكتة القلبية .. فلقد كان يتصور أى شىء فى الدنيا

←

من خير مانشر

إلا أن يرى ابنه .. وابنته وقد أدمنا هذا المسحوق اللعين .

لا أدرى حتى الآن .. ماذا فعلت الأم ؟ .. وكل معلوماتى أنها مأساة هزت .. الأسرة من الأعماق ، وراح ضحيتها الأب .. وعندي أسماء أبطال هذه المأساة !!

* * *

هنا .. (بجوار مؤسسة أخبار اليوم .. وفي الشوارع الضيقة .. فى بولاق .. وعندما ينتصف الليل .. تشهد بكل سهولة ويسر .. فتيات في عمر الزهور .. يدخلن تلك الأزقة .. يقضين الليل مع صغار تجار هذا المسحوق يقدمن أنفسهن لهن .. نظير جرعة من الهيروين) .

هنا .. بجوار مؤسسة أخبار اليوم .. وفى المكان الذي أعدته محافظة القاهرة جراجاً .. تحول الجراج إلى وكر .. من السهل أن تشهد فتيات صغيرات يركبن السيارات .. ويدخلن الجراج بعد العاشرة مساء .. وفي ساحة الجراج يكون أفراد عصابة توزيع هذا المسحوق اللعين قد استعدت لوصول المدمنات .. وكل « حقنة » لها ثمن !!

هنا .. بجوار مؤسسة أخبار اليوم .. وفى الحوارى الضيقة « يباع كل شىء » .. للفتيان والفتيات . « جهاراً نهاراً .. وكأن الوطن بلا شرطة .. أو قانون طوارىء !! » .

** ** **

استمعت إليه وقلبى يقطر دما .. إنه صديق .. ورئيس محكمة .. يرى فى ابنه الشاب كل مستقبله .. ويرى فيه أمل الدنيا كله .. ويرى فيه خير شباب مصر .. علمه مـا هو الخلق .. والعـدل .. والشرف .. والأمانة .. وحماية الحق .. علمه كل المعانى النبيلة في الحياة .. علمه كيف يسلك مسلكه .. ويكون محترماً عظيماً بين كل أفراد أسرته القريبة والبعيدة .. علمه البعد عن العيب .. يراه امتداداً مستقبلياً له .. يراه درعاً لأمه وإخوته أعطاه كل ما يريد .. فى حدود إمكاناته كمستشار ورئيس محكمة !!

قال لى : فى البداية .. لاحظت أننى كلما اقترب منه يحاول الابتعاد عنى ، يحاول أن يدخل البيت سراً ، ويدلف إلى سريره ، ويتحاشى فى مرات أخرى الحديث والحوار معى . شغلنى هذا السلوك !!

يقول المستشار : لا تسألنى كيف عرفت أن ابنى يتعاطى هذا المسحوق اللعين .. كانت معرفتى هى أضخم كوارث عمرى .. أخفيت الأمر على زوجتى التى هى أمه .. خوفاً عليها من موت محقق .. أو مرض لعين .. أخفيت الأمر على اخوته .. ورغم قسوة الكارثة .. إلا أننى استطعت أن أعرف أنها المرة الثانية له .. ومعنى هذا انه تجنب حالة الإدمان .. وأنا كرجل قانون .. حاولت أن أعرف مصادر هذه السموم القاتلة .. أخذته في سيارتى الصغيرة .. ومررت على أماكن بيع هذه السموم .. فوجئت بأنها تحولت إلى أماكن عامة .. وأن هذه السموم تباع علناً وعلى قارعة الطريق ، فكرت أن اذهب إلى اللواء زكى بدر وزير الداخلية .. وأخبره بما رأيت .. ولكنى خجلت .. علمت من ابنى أن هذه السموم قد انتشرت بين الفتيات أيضاً .. فعرفت بحجم الكارثة والمؤامرة على شباب مصر وفتياتها .

سألت المستشار : ما الدوافع التى أدت إلى أن يفكر ابنك في التعاطى .. رغم عدم وجود مشاكل عنده .. وبدلاً من أن يرد لك جميل صداقتك به .. أراد ـ بما فعله ـ أن يقتلك ؟

قال : أصدقاء السوء .

* * *

(سمعت ، أن أكثر من فتاة ، ذهبن إلى إدارة مكافحة المخدرات في ميدان العتبة ، وطلبن من المسئولين إما علاجهن أو إعطاءهن هذا المسحوق اللعين ، فلقد فقدن كل ما يملكن ، ولم يعد فى إمكانهن شراء « حقنة واحدة » ، ولا يملكن مصروفات العلاج الباهظة) .

* * *

(من كل ما سبق ، لم تعد مشكلة الهيروين ، مجرد مشكلة عابرة) بل اصبحت قضية قومية ، وأرى أن تكون القضية القومية المصرية الأولى ، فليس سراً أنها جاءت إلى مصر فى مقتل ، حيث اتجهت إلى الشباب ، ولأول مرة تتجه إلى « أم المستقبل » ، فالأم المصرية ، سواء الأمية ، أو حاملة الدكتوراه ، هى الحماية الوحيدة للأسرة والمجتمع ، (وأن الأم المصرية ـ الراقصة والراهبة ـ تختلف تماماً عن أى أم في الدنيا ، فهى رمز العطاء بلا حدود ، وهى سياج المجتمع الحقيقي ، وها هم أعداء الوطن قد اتجهوا إلى أعظم مقدسات المجتمع وهى أم المستقبل ، بعد أن توغلوا بشدة بين صفوف الشباب) .

* * *

عودة إلى حديث صديقي المستشار ..

قال :

ـ إن حادثة ابنى .. كشفت لي استفحال هذا الأمر الخطير .. وتقليدية مكافحته .. وعدم انتشاله من قاع اهتمامات المجتمع بأحزابه وإعلامه إلى قمة الاهتمامات القومية .. فهى ضرب في مقتل لأروع ما في المجتمع .. وهى استنزاف رهيب لاقتصادنا .. وهى تعطيل رهيب أيضاً لطاقات شباب مصر .. وهى إفساد هائل للأسرة المصرية على طريق قتل هذه الأم .

ـ والحل ؟

ـ كما ذكرت .. أن نرفع هذه القضية من قاع اهتماماتنا إلى القمة .. وإلى السير بالمدمن إلى معرفة تاجر التجزئة .. ومن تاجر التجزئة إلى تاجر الجملة .. إلى التاجر الكبير .

ـ ولكنهم يفلتون من مواد القانون .. ولدينا محامو تجار المخدرات عباقرة في فك القيود عن هؤلاء القتلة .

ـ سيصفق المجتمع كله لوزير الداخلية إذا استخدم قانون الطوارىء ضد هؤلاء الذين يقتلون كل لحظة شابا أو فتاة .

* * *

سكت محدثى وقال : فى عام ١٩٦٤ ، اعتقل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ١٢٠ الف مواطن فى أقل من ٤٨ ساعة قبل سفره إلى السعودية ولقاء الملك فيصل ، وقد استطاع أن يجد الأماكن والسجون التى تتسع لهذه الآلاف من السياسيين ، كما استطاع أن يجد الأجهزة التى تمكنت من اعتقال هذا العدد . (واتصور أن الشعب ، كل الشعب يعطى للواء زكى بدر تفويضاً على بياض لاعتقال ـ طبقاً لقانون الطوارىء ـ كل تجار المخدرات فى مصر ، رحمة بمستقبل مصر) .

قال : إننى أناشد .. كل شاب .. كل فتاة .. أن تكتب لوزير الداخلية عنوان ذلك البائع الذى يقدم لهم السموم ويقتل فيهم المستقبل والطموح .

من خير مانشر

قال : أناشد من كل قلبي الذي يتمزق .. جميع قضاة مصر ألا تأخذهم رحمة بهؤلاء

التجار ..

.. خلصوا المجتمع منهم ..

وقال : أستحلفك [بالله] .. الا تترك هذه القضية .. فهى أهم القضايا .

قلت : أعدك بهذا .

ومسح الرجل دموعه .. وانصرف .

فضيلة الشيخ / محمد الغزالى

هـذا ديننـا

خداع العناوين أمر بغيض حقاً .. ويبدو أن الأوروبيين قديماً وحديثاً يتقنون هذا الفن من الخداع ، ويسيرون وراءه نحو أغراضهم المدنية .

فتحت الدعوة إلى السلام يستعدون للقتال ويتقنون صناعة الموت .

وتحت طلاء من المدنية يقترفون ألوان الهمجية ويثقلون كواهل الشعوب بالديون والآلام ..

وقد باد فى صمت أغلب سكان أمريكا واستراليا الأقدمين ، ولم تبق منهم إلا فلول تشهد بما أصاب آباءهم من اضطهاد واستئصال .. وفي الوقت الذي يخبىء القوم فيه مخالبهم وأظافرهم خلف قفازات من حرير تراهم يصفون غيرهم بما هو منه براء !

فالمدافعون عن أرضهم وعرضهم إرهابيون .

والمسلمون ينشرون عقائدهم بالسيف .. والإسلام دين مادى يخدم الغرائز ! أما هم فأصحاب روحانية لا نظير لها فى الماضى والحاضر .. وتبحث عن هذه الروحانية المزعومة فلا تجدها إلا فى لياليهم الحمراء وحاناتهم الطافحة بالآثام .

قبل ان تذوب ثلوج القطبين

يؤكد خبراء البيئة أن الكرة الأرضية أصبحت الآن محاطة بغلاف من الغازات الضارة بنسبة زائدة مما أدى إلى رفع درجة حرارة الأرض ، وأدت إلى تغييرات مدمرة على بيئة الكرة الأرضية ، ودارت حول هذه المشكلة مناقشة فى الكونجرس الأمريكي لبحث سبل تجنب كارثة مؤكدة تحيق بالأرض في المستقبل القريب إذا استمر معدل بث هذه الغازات ، وأخطرها ثاني أكسيد الكربون والكلورفلور وكربونات والميثان إلى الغلاف الجوى وهى الغازات التى تنتج عن حرق الوقود الطبيعي من بترول وفحم وغاز حيث تتصاعد منها كميات هائلة من الغازات تعمل على الاحتفاظ بحرارة الشمس القادمة إلى الأرض ومنع نفاذها إلى الفضاء الخارجى .

ومن أخطر عوامل هذه الكارثة انصهار ثلوج القطبين الجنوبي والشمالي وهو ما يحمل في طياته خطر غرق مدن ساحلية بأكملها ، بل وقد تمتد مياه البحار والمحيطات إلى عمق أكبر .

الأستاذ/ سميرة فكرى .

الرضاعة الطبيعية .. ضد البلهارسيا

أثبتت الدراسات التى قامت بها جامعة

الأزهر .. أن لبن الأم يحقق مناعة طبيعية ضد مرض البلهارسيا .. وأن ٨٠٪ من الأطفال الذين يرضعون من ثدى الأم لا يصابون بالبلهارسيا .. وأن لبن الأم يحقق المناعة أيضاً ضد أمراض الحصبة وشلل الأطفال والنزلات المعوية خاصة في الأربعة شهور الأولى .. وكذلك الأحماض الأمينية اللازمة لسلامة الجهاز العصبي واكتمال النمو العقلي .. ولا يعوض ذلك أى نوع من أنواع اللبن الصناعي .

... ـام النحـــاة بقية

فقد سار الصيمرى على رواية سيبويه غير أنه خالف منهجه ، ومنهج أكثر الأوائل فى أنه نص على أنه حديث ، بل أضاف شيئاً آخر أدخل فى دراسة الحديث ، وهو النص على أنه حديث مرفوع .

لكن يبقى أمر يحتاج إلى تفسير ، وهو مخالفة روايات النحويين لروايات المحدثين ، فبم نفسر هذه المخالفة ؟

هل أراد سيبويه أن يستخدم لفظ الحديث فى الاستشهاد بصرف النظر عن أنه حديث ، وكما يستخدم أية عبارة يرويها عن الأعراب ؟! إن كان الأمر كذلك فما كان يصبح له أيضاً أن يتصرف فى اللفظ ، ولم لا تكون هذه رواية للحديث صحت عند سيبويه ، ورآها موطناً لاستشهاده فاستشهد بها وإن لم يصرح بكونها حديثاً ؟

يعزز هذا فى تقديرى ما نص عليه الصيمرى من أنه حديث مرفوع .

كما أنى لا أتصور أن يسايره فى الرواية ابن النحاس ، وابن جنى ، وهما علمان لهما باعهما الواسع فى البحث العلمى لمجرد التقليد لإمام النحاة دون أن يكون تحت أيديهما سند صحيح بهذا اللفظ . أو على أقل تقدير نقول : إن اتباعها لرواية سيبويه فيه « دليل على أن سيبويه ثقة لا يكذب ، ولا يحرف ، ولا يتزيد ، ولثقتهما به تابعاه فيه على ما رواه ، وإن روى فى زمانهما كما رواه سيبويه ، ففيه تأكيد أيضاً على صدق سيبويه ، واحترامه للنصوص من غير الحديث ، فهو يوثق كل ما يرويه بنسبته إلى شيوخه ، أو إلى من يوثق به إن كان هو الراوى ، أو السامع ، فكيف يعقل منه أن يتزيد ، ويغير فى نص الحديث كى يحتج به ؟! ألا يمكنه بدلاً من إفساد ذمته وإبعاد الناس عن الوثوق به أن يأتى بعبارة تشبهها من كلام العرب ، ويدخل فيها « هما » ويحتج بها على الموضع من غير أن يكتسب ذنباً ، أو يقترف إثماً ؟! يضاف إلى ذلك أن هذا مما يطعن فى ديانته وصدقه[١١] .

نخلص من هذا كله إلى أن هذا احتمال نرجحه ، وهو أن رواية سيبويه التى التزمها من بعده النحاة لعلها رواية للحديث تفرد بها ، ولا سيما أن سيبويه اشتغل بالحديث قبل اشتغاله بالنحو .

(١١) موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث ص ٥٤ ، ص ٥٥ .

أنباء وآراء

الاحتفال بالهجرة بالأزهر على مستوى الجمهورية

تقرر الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية الشريفة كل عام بالأزهر الشريف ومعاهده على مستوى الجمهورية من أسوان إلى الأسكندرية .

مقر الاحتفال فى القاهرة بالجامع الأزهر الشريف إحياء لتلك الذكرى العطرة التى استمد بها الإسلام مجده وانتشر ذكره فاقبلت عليه الأمم .

تقرر كذلك أن يكون الاحتفال أول (يوم اثنين) يأتى من شهر المحرم كل عام .

الأزهر يدين انتهاك حرمة المسجد الأقصى

أدان الأزهر الشريف العدوان الذى أقدمت عليه إسرائيل . بانتهاك حرمة المسجد الأقصى ، وحفر سراديب تحته وبجواره والاعتداء على حرمته وطالب ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية باتخاذ موقف إيجابى لحماية بيت المقدس من الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة عليه .

جاء ذلك فى البيان الذى أصدره الإمام الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وطالب فيه الدول العربية والإسلامية بتقديم كل عون مادى وسياسي ومعنوى للفلسطينيين لكى يواجهوا أطماع إسرائيل فى المقدسات الإسلامية ، واستهانتها بالأعراف والمواثيق الدولية وأحكام الديانات السماوية التى تعتز بقدسية المساجد ودور العبادة .

شيخ الأزهر
المسلمون يرحبون بقرار إيران

أعلن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ترحيب الأزهر الشريف بقرار إيران قبولها قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ وأكد شيخ الأزهر فى تصريح لوكالة أنباء الشرق الأوسط : أنه بصدق النية نحو استمرار هذا القبول ووقف كل الأعمال العسكرية بين إيران والعراق ـ يحمد المسلمون هذا الموقف لإيران .

(تعدد الزوجات) قرار كنسى لقوم دون آخرين

أذاع (راديو) لندن مساء الخميس ٢١ من ذى الحجة ١٤٠٨ هـ قرار الكنيسة الإنجيلية بالسماح لمن تزوج بأكثر من واحدة فى بعض الدول باعتناق النصرانية .

أكد مضمون الخبر أسقف شرق كينيا فى محاولة إنقاذ مايسمى بتعاليم الكنيسة فقال :

إعداد: د. أحمد عبد الرحيم السايح

إن القرار الجديد لا يخالف التعاليم المسيحية، وأن على الكنيسة في **بعض مناطق افريقيا** أن تقبل بمتعددي الزوجات ويعني ذلك أن تعدد الزوجات صار في النصرانية مباحا لقوم دون آخرين.

أصدر القرار - في بريطانيا - أساقفة الكنيسة الإنجيلية.

-سبق أن أقدم سبعة من كبار اللاهوتيين في انجلترا على دراسة نشرت باسم « أسطورة الإله المتجسد » قرروا فيها أن المسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - بشر، ولم يعبأوا بثورة الكهنة عليهم متحدين إياهم في مناظرات عامة.

أصدرت مجلة الأزهر دراسة كاملة عن الكتاب نشرت بمجلد ١٤٠٦ ص ٦٩٤.

٣ معاهد ابتدائية ثانوية أزهرية للغات بطنطا

يبدأ الأزهر في العام الدراسي القادم تجربة جديدة للتدريس بمعاهده باللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية.

تتم التجربة في ثلاثة معاهد أزهرية منشأة بطنطا داخل نطاق مجمع إسلامي كبير أقيم بالجهود الذاتية على مساحة ثلاثة آلاف متر وتكلف مليون جنيه، تم الاتفاق مع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على أن تبدأ الدراسة بمعاهد المجمع مع بداية العام الدراسي القادم ووافق فضيلته على أن تكون الدراسة بمعاهد المجمع باللغات الأجنبية بجانب اللغة العربية ابتداء من أولى مراحله للمساهمة في تخريج دعاة يجيدون اللغات الأجنبية للاستفادة منهم في نشر الدعوة الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

لجان للفتوى بعواصم ومراكز المحافظات

قرر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إنشاء لجنة للفتوى في كل عاصمة محافظة ومركز للرد على أسئلة المواطنين واستفساراتهم الدينية.

تتكون هذه اللجان من علماء يمثلون المذاهب الفقهية الأربعة، ويرأسهم رئيس المنطقة الأزهرية على أن يكون المقر الدائم لهذه اللجان هو المعهد الثانوي. صرح بهذا فضيلة الدكتور رءوف شلبي وكيل الأزهر.

الأزهر يصادر مصاحف بها أخطاء

قامت إدارة البحوث والترجمة والنشر بمجمع البحوث الإسلامية بمصادرة النسخ المعروضة من (مصحف جيب) طبع بدار ابن كثير ببيروت الطبعة التاسعة ١٤٠٥ هـ لأن به أخطاء فادحة في جوهر القرآن الكريم وأصدرت الإدارة تحذيراً لجماهير المسلمين من شراء هذا المصحف وهو مصحف أنيق له "سوستة" ومقاسه مقاس الجيب الصغير. وتوالي الجهات المختصة حملاتها على المكتبات والأكشاك لمصادرة النسخ الموجودة.

أنباء وآراء

سيراليون

إذاعة تبث برامج دينية بالعربية فى سيراليون

افتتحت فى سيراليون إذاعة إسلامية تبث البرامج الدينية باللغة العربية واللغة الانجليزية بالإضافة إلى اللغات المحلية .

تخدم هذه الإذاعة ثلاثة ملايين مسلم هم عدد المسلمين فى سيراليون والذين تبلغ نسبتهم ٧٥٪ من عدد السكان هناك .

من ناحية أخرى يجرى الآن بناء مركز إسلامى كبير على مساحة ١٠ آلاف متر ويضم مسجدا ومدرسة ومكتبة إسلامية .

والمعروف أن للأزهر مبعوثين فى سيراليون منذ استقلالها عام ١٩٦١ .

المغرب

لإحياء استخدام « الحروف العربية »

يقوم معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط بالتعاون مع البنك الإسلامى للتنمية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، واليونسكو ـ بتنفيذ برنامج خاص لتحقيق إعادة الحرف العربى إلى سابق مكانته التى كان يحتلها فى لغات الشعوب الإسلامية عبر تاريخها ، والقيام بوضع أبجدية شاملة لكل مجموعة لغوية من المجموعات اللغوية التى تتحدث بها الشعوب الإسلامية غير العربية .

كما يتبنى البنك الإسلامى للتنمية برنامجا لمحو الأمية فى عدد من الدول الأفريقية باللغات المحلية مع استعمال الحرف العربى إلى جانب برنامج لترجمة معانى قصار السور القرآنية إلى عدد من اللغات المحلية بين الدول الأفريقية .

تركيا

تقدم ملموس للبنوك الإسلامية فى تركيا

حققت البنوك الإسلامية فى تركيا تقدما ملموسا فى زيادة أموال المودعين لديها وذلك وفقاً لما ذكرته الدوائر المالية التركية .

قالت هذه الدوائر إن البنوك التى صرحت لها السلطات التركية بالعمل منذ ثلاث سنوات فقط مودع بها ١,٨٪ من قيمة الودائع المصرفية فى تركيا وفقا لإحصائيات عام ١٩٨٧ .

وقد أكد المسئولون عن هذه البنوك أن زيادة إقبال المواطنين الأتراك على إيداع مدخراتهم فيها يرجع إلى زيادة أرباحها عن البنوك الربوية فضلا عن مطابقة أعمالها لأحكام الشريعة الإسلامية .

المغرب

مشروع طبى عالمى لهيئة الإغاثة الإسلامية

بدأت هيئة الإغاثة الإسلامية مشروعا طبيا كبيرا لعلاج المسلمين فى العالم ، يضم كبار الجراحين والأطباء فى التخصصات المختلفة ، ويشرف عليه طبيب مسلم عربى متخصص فى جراحة القلب .

يركز المشروع الطبى فى مرحلته الأولى على الدول الفقيرة ومناطق الأقليات الإسلامية ، ويقوم بإجراء العمليات الجراحية النادرة وعلاج الأوبئة المنتشرة فى مناطق المجاعات بأفريقيا .

فهرس العدد

دروس من يوم الهجرة النبوية الشريفة .
لفضيلة الشيخ : جاد الحق علي جاد الحق ١

الحوار المتبادل .
د . علي أحمد الخطيب ٩

حديث عن الجمعة وأول مسجد وخطبة الجمعة في الإسلام .
للشيخ محمد الحديدي الطير ١٤

في رياض السنة النبوية المطهرة « الهجرة الشرعية » .
أ . د . رءوف شلبي ٢١

رسل الله إلى إبراهيم .
للدكتور : محمد محمد خليفة ٢٥

البحث عن الأديان القديمة .
لفضيلة الشيخ عبد الجليل شلبي ٢٨

رجال القراءات « الإمام خلف البزار الكوفي » .
لفضيلة الشيخ : إبراهيم عطوة عوض ٣٢

وضع الأسرة في الإسلام .
للدكتور : توفيق محمد شاهين ٣٦

رسل الأزهر في بلاد النيجر .
للسفير : جمال الدين محمود أبو العيون ٤٤

العسل في القرآن والسنة والطب .
بقلم : واصف عبد الحليم ٥١

■ الفتـاوى ..
إعداد : عبد الحميد السيد شاهين .
صفوت عبد الجواد ٥٤

الشعر والشعراء

إشـراف د . حسن جاد

في ذكرى الهجرة .
للشاعر : رشاد محمد يوسف ٥٦

الحرية والطير .
للشاعر : سيد عبد الرءوف ٥٨

من أعلام الأزهر

العلامة الدكتور عبد العظيم الغباشي .
أ . د . رءوف شلبي ٦٠

عبد العزيز البشري « جاحظ العصر الحديث » .
د . محمد رجب البيومي ٦٢

من روائع الماضي « كتاب يهذي في تأويل القرآن الكريم » .
إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات ٧٣

طرائف ومواقف .
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٨٢

اللغة والأدب والنقد

الربعي وآراؤه النحوية .
د . سعيد منصور عرفة ٨٦

العباس عم الرسول ﷺ .
للأستاذ / السيد حسن قرون ٩٠

الابداع الأدبي بين اكتشافه الواقع
وتحويله إلى وعاء للمعتقدات السياسية .
عرض ودراسة : د . عبد الله أبو هشة ٩٦

إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث .
د . السيد رزق الطويل ١٠١

من خير ماكتب .
إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام .
عادل رفاعي خفاجة ١٠٥

انباء وآراء ..
إعداد : د . أحمد عبد الرحيم السايح ١١٠

القسم الانجليزي

إشراف د . انس النجار

المقالة الثانية :
للأستاذ عبد الحكيم أحمد طه ١١٩
المقالة الأولى :
د . أنس مصطفى النجار ١٢٦

the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) is the history of a nation during the most opulent years of human enlightenment and civilization; the era of Divine Revelation that establlished the doctrines of Islamic theism. The Muslim nation as it stands nowadays has the greatest advantage to possess the exact, unaltered, precise original version of the Holy Quran. Muslims also possess compilaitons of the Honourable Hadith and Sunnah, that have been subject to severe process of rigorous analysis, verification, authentification, referencing classification by the great masters who put down the very extensive scientific foundations of the science of Hadith and Sunnah.

of Islamic doctrines, and the gathering and documentation of the Holy Quran. No man in the history of mankind has influenced his followers as well as his opponents throughout the years of his life and for all the generations of humanity to come; as the Prophet Muhammad, who delivered the most distinguished Divine Message that directly concerns the totality of human life. An analytical study of the Prophet's life will expose his style of implementing the doctrines of Islam as revealed in the Holy Quran; upon himself, his family, and all members of the growing Muslim Community. Such practices in time became very familiar and conversant to all the Prophet's companions, who developed memorization of the Prophet's sayings (Hadith) methodologies in Islamic teachings, his interpretations, his practices, his decisions, his judgement, his conduct, and all matters pertaining to human life and death. The compilation and consolidation of this wealth of knowledge became known as the Traditions of the Prophet (Sunnat Al-Rassul).

The Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) gave optimal paramount importance to the writing, documentation, classification, memorizing of the Holy Revelation of the Quran. He instructed that nothing else should be written, fearing that the Divine Revelation would be mixed with his own words. Finally, the Holy Quran, was compiled during the time of Abu Bakre Al-Siddiq. Later on, the Sunnah and Hadith of the Prophet were collected, classified and documented after very rigorous and meticulous analysis based on a strict methodology of referencing and narration. Essentially, the Sunnah is a practical application, interpretation, demonstration of the doctrines and teachings of the Holy Quran. Most of the material of the Sunnah was compiled and documented after the life of the Prophet from precision of memory and narration. The faculty of memorization was very highly developed among the Arab nation at that time; and narrations passed through the generations with very strict control and assurance, subjected to rigorous analysis and verification.

This system of analysis and verification developed into specialized scientific disciplines such as the science of narrators, science of classification, science of referencing, and the science of jurisdiction and jurisprudence. These sciences have given the Sunnah and Hadith of the Prophet, the truth, authenticity, foundation and reliance that are certainly far superior to that of any other document in human history. The Sunnah and Hadith of

it is an educational cultural dialogue between the Messenger Prophet, and the Angel Gabriel; for the purpose of optimizing the true essentials of Muslim theism in the minds of those present. The companions of the Prophet who in time became the narrators of Hadith and Tradition, the tutors of Islamic doctrines and teaching, the authorities of Islamic concepts and true understanding. The information outlined in the discourse was very well known to all those present. The Prophet Muhammad knew it very well being the Messenger of the Revelation; the Angel Gabriel having been the medium of relay, also knew it; and the companions present, also knew that information having been given the continuous perpetual instruction and teaching by the Prophet. Nothing of what had been said was unknown, however, the real purpose of the question and answer session was to define with precision distinct clarity, propriety and proportion, the basic elements of Muslim theism, its scope, boundaries, characterization and gradation from the most simple exteriors to the most inherent and intimate interface with the Creator.

The last aspect in connection with this Hadith is essentially connected with the Honourable Tradition (Sunnah) of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him); this matter deals with its authenticity and reliability in extracting laws of Islamic jurisprudence. For a proper judgement and understanding of this matter, we must realize that all nations in the history of mankind must have some means of documentation of their history. This documentation may take one of two forms either scribed or narrated, classified, and referenced. Both forms of documentation may suffer errors, additions, and deletions; and it becomes the duty of the historian to purify the facts of history by utilizing and implementing scientific means of analysis and verification in the process of history documentation.

With this brief prelude, we come to the history of Islam from the birth of the Prophet Muhammad to the very start of the reign of Bani Ummayah. This coincides with the last four decades of the sixth century and the first half of the seventh century B.C., corresponding to fifty years before Hijrah and forty years after. This period of very great significance includes the life of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) his Hadith, his actions, his conduct and decisions, and the Revelation of the Holy Quran. It also includes the frontier years of Muslim rule in the reign of Abu Bakre, Omar, Osman, and Aly, the period of pan Islamization, the implementation

The second grade is that of Iman, which is a higher grade than Islam, totally structured and dependent upon it. Iman is an interior consolidation and ramification of faith, hidden within the self, an excercise of inner submission and acceptance of theistic credence, and absolute belief in Allah. No man has the ability to discover it or observe it in another man. Only Allah knows what the inner self of every individual contians, that which is hidden and deep seated within its closed confines. It is the climax of belief; a transformation from the exterior identity by acknowledgement and practices, to a concrete precipitate of inner belief.

The third and optimal grade is that of Ihsan, which is categorized above Iman, totally structured and dependant upon it. Ihsan, is the beauty of excellence and goodness, an absolute refinement of the human soul. It is the coherent interface between man and his Creator, between the lover and the beloved. If that is not achieved, it becomes a relationship of intimate guardianship, guidance and protection from Allah towards His human subject.

This stepwise development of the grading of Muslim theism is indeed a sign of Allah's mercy on mankind. If Islam had been only the optimal grade of Ihsan, it would have been suitable only to the very few and highly selective; unsuitable for the wide spectrum of human capabilities; unacceptable and inexpedient for the generalization of all times in history and all places on earth. Again, if Islam had been only the middle grade of Iman, it would have become an occult metaphysical concept that is impossible to prove define or deny to one's self or to another. Again, if Islam had been only the exterior identity of verbal acknowledgement and practices, it would be only a religion of outward appearances, interested only in the surface and not in the substance; and would be incapable of promoting the human mind and self into refinement and excellence. In its reality and intelligent understanding, Islam is a very wide path, along which travel all the diverse and very different patterns of human categories. They all compete, from those majority with simplest common identity, to those few with selective distinction. They are all on the path to Allah, each performing according to his constitutional ability, understanding, and commitment. They all seek to improve, progress and promote in grading.

Another aspect of understanding of this Hadith is that

universality cannot be viewed as a stretched hairline that requires skills and talents beyond human capabilities in order to maintain standing balance. It is also not the sharp edge of a sword on which no man can achieve standing adjustment. It is also not a narrow corridor that only allows the passage of one. Islam in the reality of intelligent understanding is a very wide path, the width of all human capacities and preparedness. Along this extensive path, all human individuals travel in a competitive races; from the very slow cripple to the fast marathon runner; from the prime winner to the very last comer. The religion of Islam is essentially a wide race track that accomodates and houses all those moving along its path, the fastest and also the slowest. The Lord of the path and the Creator of those who travel along the path is Allah, who ordained that all are accepted to travel the path.

From this basic understanding, it is imperative that Islam should be a gradation of category and grading of performance. It starts at the bottom for the majority on the path, the common Muslims; and grades up to the very few of distinction and excellence - the rank of Ihsan; and in between the two extremes in performance, there are the pious - the rank of Iman. These gradings are functions of the individual's belief and faith in relation to Allah, and the preference in rank is rewarded only by Allah. it should be very well understood that worldly rights and resources are precisely equally distributed among all humans, absolutely independent and irrespective of the rank of grading achieved on the path. These rights and resources are also fully granted even to those outside the path of Islam.

The first grade is that of Islam, the doorway to the identity which is characterized by exterior commitments and requirements. These entail the acknowledgement that Allah is One with no associate partner and that Muhammad is the Prophet of Allah and the Messenger of the Holy Revelation; and the submission to perform the religious requirements of Salat, Zakat, Siyam (fasting), and if possible pilgrimage (Haj). By these outward practices, the individual gains his Muslim identity. No power whatsoever can deny him that identity, and no authority can test him or search his interior self to judge the authenticity of his faith. It is the mercy of Allah upon mankind, that the name of Islam was coined to this grade of the religion, and attributed to it all the doctrines, jurisdictions, duties, rights, and laws of the Islamic faith.

THE MUSLIM THEISM

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXI, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)

Before embarking on a comprehensive analsyis of this very important honourable Hadith, it is an exigent requisite to preface this analysis with a limelight on the Hadith.

The religion of Islam is characterized by being an embodiment of wholesome entirety addressing all mankind as human creatures of all races, sexes, ages, languages, cultures, societies, and at all times in history since the Revelation. Islam with this description of expansive

purpose, the justice of cause; Abu Bakre lived through the inferno of heretic mutiny to emerge triumphant and victorious by Divine Will and support. The disciple of the Prophet, the first companion, the Khalifah of Rassul Allah, the man whose faith outweighed the faith of a nation, was at long last composed and thankful. Al-Madinah was victorious, and the authority and Muslim influence was once again dominant all over the Arab Peninsula, and all Arab tribes with no exception proclaimed Islam and submitted to the Muslim administration at Al-Madinah. The great achievement of a very great man, Abu Bakre Al - Siddiq the successor of the Prophet, the man who was sworn in by unanimous conensus, the man who was granted fealty to administer the affairs of the Muslim nation, and to implement in honesty and truth the doctrines of the Islamic faith.

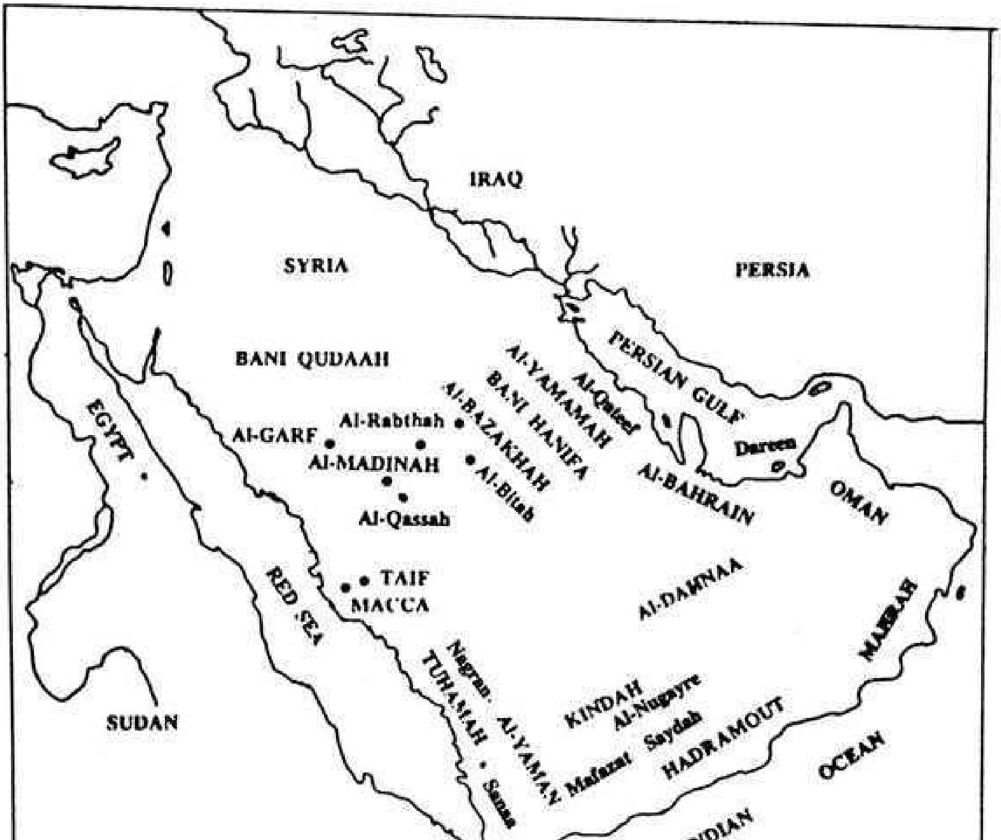

totally freed from apostate renegade groups. The forces of Labeed, Al-Muhager and Iqrima were continually increasing in numbers by the tribes who returned into Islam.

The situation was becoming very grave, and the people in the fortress finally realized that they had no chance of survival. The confident jubilation of victory highly supported the patience of the Muslim forces, the whole country around to the coast was returning into Islam. They could afford to await the outcome of the fortress of Al-Nugayre without storming it. Finally, Al-Ashaath ibn Qays requested audience, and asked freedom with nine of his kinsmen in return of opening the gates of the fortress for the Muslim troops to enter. Al-Muhager agreed and asked Al-Ashaath to write the names of the nine. Al-Ashaath wrote the names of the nine, sealed the letter, but forgot his own name. The nine were allowed out, and Al Ashaath opened the gates of the fortress for the Muslim forces to occupy it completely without fighting, took in prisoners and possessions as spoils of war. According to Islamic Law, one fifth of the spoils was sent to Al-Madinah, and also the prisoners. Al-Ashaath forgetting to write his own name, among those to be freed was not included. However, Iqrima convinced Al-Muhager to let Abu Bakre have the final say regarding Al-Ashaath. At Al-Madinah, Al-Ashaath apologized to Abu-Bakre, proclaimed Islam and sincerely pledged loyalty. Abu Bakre finally pardoned Al-Ashaath, who later proved himself, showed valour and bravery in later conquests, and regained the dignity and esteem of his rank among his people.

At long last, the mutiny and apostasy against Islam was completely subdued. The whole of the Arab Peninsula from the Persian Gulf east, to the Red Sea west; from the Syrian borders north, to the Indian Ocean south; once again returned to social order and stability under the banner of Islam. Al-Muhager ibn Ummayah was appointed to govern Al-Yaman; Iqrima returned to Al-Madinah; and Zeyad ibn Labeed remained to govern Hadramout. Abu Bakre at Al-Madinah looked around him at the lucid intelligible stillness and the calmness of self possession and self control. The flaming mutiny against Islam had been defeated, and the war against the apostates had ended with overwhelming victory and triumph. Abu Bakre wept with hommage, tribute and glorification to Allah for His Divine support. His tears trickled down his face to wet his beard when he remembered the day of his succession, and the very heavy responsibility placed on his shoulders after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). With faith, firm belief, self confidence, the reality of

dominion of Islam established social and administrative stability in this corner of the Arab Peninsula. The Muslim worriors under the command of Iqrima and Al-Muhager were preparing their strategy to move eastward, and confront the apostate forces in Kindah and Hadramout, the final stage in the war against the apostate opposition.

The territory of Hadramout lies on the Indian ocean between Al-Yaman west, and Mahrah on the east; with Kindah to the north-west. When the Prophet(prayers and peace upon him) died, the Muslim ruler of Hadramout and Kindah was Zeyad ibn Labeed. The tribes of Kindah followed the apostates of Al-Aswad Al-Ansii, except few of them from Al-Sakoon who remained loyal to Islam and supported Zeyad. When the Prophet died, the stigma of mutiny against Islam was highly accentuated Zeyad Ibn Labeed with the tribes supporting him attacked and defeated one of the strong gatherings of the renegades. Returning with the prisoners and captives, Zeyad passed by a camp for Al-Ashaath ibn Qays, an outstanding figure in Kindah, highly respected and loved. When Al-Ashaath saw the prisoners from the people of Kindah, he pledged to free them; went into a battle with Zeyad, defeated Zeyad and freed the prisoners; and therefore established an enmity with Muslims, although he himself was a Muslim. Zayed ibn Labeed wrote to Al-Muhager ibn Ummayah to speed for his support. Al-Muhager and Iqrima had met, crossed the Mafazat Sayhad together to march into Kindah. When Al-Muhager received the message of Zeyad ibn Labeed, he left Iqrima in charge of all Muslim armies, and hurried with a mounted battalion to help Zayed. Al-Muhager and Zeyad ibn Labeed attacked the forces of Al-Ashaath; defeated them, and Al-Ashaath with those that survived, escaped and took refuge in the fortress of Al-Nugayre.

The town of Al-Nugayre was strategically fortified. The fortress had three routes that lead to it. Zeyad ibn Labeed occupied one of the routes, Al-Muhager ibn Ummayah occupied the other. The third was left for the people in the fortress to receive supplies. However, on the arrival of Iqrima, he occupied this third route and enforced total seige on the fortress. He also sent regiments of mounted men to explore the whole territory of Kindah and penetrate through Hadramout to the coast. These regiments were ordered by Iqrima and Al-Muhager, as instructed by Abu-Bakre, to summon people back into Islam. People complied and willingly acknowledged their obediance to Islam. Those who resisted and insisted to apostate, deny Islam, and continue to renegade against peace and social stability were followed, hunted and put to the sword. The complete region of Hadramount and Kindah was

governorates, killing Shahre and proclaimed himself ruler of the whole territory of Al-Yaman from Nagran to Sanaa. This self-proclaimed king also alledged prophethood. Finally, Al-Aswad was murdered by his army commanders, and with his death, the whole territory of Al-Yaman became in complete lack of authority, confusion and total chaos; each region segregating itself with independence and self-rule. The death of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him), the succession of Abu Bakre, and the ensuing stormy apostasy in most regions of the Arab Peninsula; included the already disturbed Yaman tribes and added to their maniacal passion to severe all ties with the Muslim administration at Al-Madinah. Two main figures were struggling for power amidst all this couldren of turmoil at Al-Yaman.

The first was Qays ibn Abd Yaghooth who claimed Al-Yaman for the Arabs and called for the extermination of all non-arabs. He was backed and supported by the followers of Al-Aswad Al-Ansii after his death, and by leading personalities as Amre ibn Madii Kareb. The second was Fairouz, a previuos chancellor for Shahre ibn Bazzan; who was a Muslim commissioned by Abu Bakre to rule Sanaa after capturing it from Qays ibn Abd Yaghouth. Fairouz was supported by all Yamanees from Persian descent especially the Muslims among them.

The final events came about when the army of Iqrima moved west to Al-Yaman, and the army of Al-Muhager ibn Ummayah marched south from Al-Madinah to enter Al-Yaman from the north. The approach of these two armies made the renegade forces and their leaders very apprehensive, anxious and disturbed about the outcome of the situation, now that the two Muslim armies were marching into Al-Yaman. The two renegade leaders Qays ibn Abd Yagouth and Amre ibn Madii Kareb differed and mistrusted each other. Amre attacked Qays, took him prisoner and handed him over to the Muslim commander Al-Muhager; as a price for his own safety. Al-Muhager, however, took both men as prisoners and send them to Abu Bakre at Al-Madinah to deal with both men as he considered suitable. After a brief discourse with both men, Abu Bakre pardoned both men after swearing allegiance and obedience to Islam. Both men lived truthful to Islam, and showed marked bravery during Islamic conquests that followed.

Al-Muhager continued to march from Nagran till he reached Sanaa, clearing all the north of Al-Yaman of all renegade opposition. Iqrima did the same in the south. The whole of Al-Yaman once again accepted Islam and became free from mutiny, dispute, apostasy and tribal opposition. The

and Arfagah wishing them to give due consideration to Iqrima's opinion.

The troops of Iqrima, Huzaifah, and Arfagah were joined by Gieffer and his followers. These were confronted by the apostate forces of Zu Al-Tag Laquit ibn Malik. A very fierce battle took place where the apostate forces proved to be more than a challenge to Muslims. As the Muslims were suffering some disorganization among their ranks, they were joined by worriors from Bani Abd Al-Qays of Bahrain; and the final victory was for the Muslims. Huzaifah remained at Umman tc stabilize matters and summon people into Islam; Arfagah took the share of Al-Madinah from the spoils of war to hand to Abu Bakre; and Iqrima commanded his army and marched to Mahrah.

Iqrima moved west from Umman to Mahrah, and his forces were joined by sporadic Muslim groups from the various tribes who remained on Islam. When he reached Mahrah, Iqrima found two groups struggling for power. He wisely requested the weaker of the two groups to return into Islam and join his forces. They answered the summons and joined forces with Iqrima. The combined Muslim forces confronted the other group and utterly defeated them. Iqrima remained sometime at Mahrah, and sent to Abu Bakre the fifth of the spoils of war that belonged to Al-Madinah. Now, another territory of the south was gained back into the arena of Islam. The army of Iqrima increased in number, Muslim tribes from Al-Bahrain, Umman, and Mahrah were very eager to struggle on the path of Allah, to establish the word of Allah as supreme. Iqrima marched out to meet Al-Muhager ibn Ummayah Al-Makhzoumi, to confront together the remaining renegade forces in Hadramout and Al-Yaman. The strategy planned by Abu Bakre at this stage was to deal with Al-Yaman before Hadramout, and that Iqrima ibn Abi Jahle would cross from Mahrah to Al-Yaman without engaging his troops in any combat in Hadramout; and that Al-Muhager ibn Ummayah Al-Makhzoumi would march south along the coast of the Red Sea passing by Makkah, Al-Taif, Nagran, to enter Al-Yaman from its northern borders.

Al-Yaman occupies the south west mountainous ridges and plains of the Arab Peninsula between the Red Sea and the Indian Ocean. During the life of the Prophet, Al-Yaman was under Persian rule until its king Bazzan accepted Islam and remained as ruler of Al-Yaman by the Prophet's concession, and the majority of its tribes proclaimed Islam. When Bazzan died, the Prophet divided Al-Yaman into several governorates and appointed Shahre ibn Bazzan to govern one of them. Al-Aswad Al-Ansii from the south of Al-Yaman became the figurehead of a munity, claiming and attacking all these

origin, who were called Al-Abnaa (the sons). The King of this region was Al-Munzer ibn Sawy Al-Abdii who accepted Islam during the life of the Prophet, and who summoned his people to Islam. Al-Munzer died in the same month of the Prophet's death, and the whole population of Al-Bahrain renegated against Islam. However, Al-Garood ibn Al-Mualla Al-Abdii convinced his people of Bani Abd-Al-Qays to remain on their Islam. All the remaining tribes of Al-Bahrain insisted to apostate under the leadership of Al-Hutam ibn Dubayah. The Muslims with Al-Garood were tightly beseiged by Al-Hutam and his followers of the renegades; and numerous muslims died from hunger and weakness.

During these events, Abu Bakre had commissioned Al-Allaa ibn Al-Hadrami to command an army to march to Al-Bahrain to fight the apostates there. On the way, this Muslim army was joined by Muslims from other tribes especially those of Bani Hanifah who had returned to Islam. After a confrontation in trenches between the Muslim army under the command of Al-Allaa ibn Al-Hadrami, and the renegade army of Al-Hutam ibn Dubayah; the Muslims were finally victorious, and the renegades escaped to the island of Dareen where they were followed and defeated again. Al-Alaa ibn Al-Hadrami wrote to Abu Bakre of the overwhelming victory, established law and order in the territory of Al-Bahrain, and summoned the apostate tribes to return to Islam, which they willingly accpeted. As matters were settling at Al-Bahrain, Al-Mussanna ibn Harithah Al-Shaibanii was travelling north with his men along the Persian Gulf clearing that region from sporadic escaping groups of renegades, till he reached the borders of Iraq. This particular achievement had its repercussions on the Muslim conquests of Iraq and Persia that followed in later years.

The country of Umman was, during the time of the Prophet, subject to Persian rule, with Gieffer as ruler who accepted Islam on the summons of Amre ibn Al-Aas. When the people of Umman disavowed Islam after the Prophet's death, ibn Al-Aas escaped to Al-Madinah, and Gieffer escaped into the mountains. The leader of apostasy in Umman was Zu Al-Tag Laquit ibn Malik Al-Azadii, who like several others claimed prophecy. Abu Bakre had commissioned Huzaifah ibn Mihsen Al-Ghalfany to confront the renegades in Umman, and Arfagah ibn Harthamah to fight them in Mahrah. Their orders were to march together, go into combat together, with Huzaifah to command in Umman, and Arfagah to command in Mahrah. Also, after the defeat of Iqrima ibn abi Jahle by Bani Hanifah, Abu Bakre had ordered him to march to the Persian Gulf territories to assist the Muslim armies there. Abu Bakre wrote to Huzaifah,

ABU BAKRE AL-SIDDIQ
WAR AGIANST APOSTATES

PART V

THE LAST CAMPAIGNS

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The south of the Arab Peninsulá constitutes the territories on the Persian Gulf and the Gulf of Aden to the east, Indean Ocean to the south, and the Red Sea to the west. These territories include Al-Bahrain, Umman, Mahrah, Hadramout, Kindah, and Al-Yaman. To the North of this half circle and its middle lies the fearful empty desert expance of Al-Dahnaa. The geographical position of these territories presented difficulties of connections with the rest of the Arab tribes liying north; and facilitated the authority of the Persian Empire across the Persian Gulf to influence the social and political life of the residents of these regions. For such reasons, the tribes living in these states were the last to accept Islam during the Prophet's life, and were the first to apostate against Islam after his death. The precise dates of the battles against the apostates in these territories is not precisely recorded, however, these battles took place between the eleventh and twelveth years of Hijrah. The strategy planned by Abu Bakre for these campaigns was to start from Al-Bahrain south to Ummán along the Persian Gulf, then all the lands along the Indian Ocean till Al-Yaman on the Red Sea. This strategy was wisely decided because Al-Bahrain was close to Al-Yamamah where the Muslims had achieved sounding victory over Bani Hanifah who finally returned to Islam. On the other hand, Al-Bahrain was a much easier encounter to start with than Al-Yaman.

Al-Bahrain is a narrow strip of habitable land stretching from Al-Qateef north to Umman south. This territory was inhabited by Bani Abd-Al-Qays, Bani Bakre, and Bani Rabiah, together with a population of various Persian and Indian

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 61, PART 1

MUHARRAM, 1409, HIJRAH

Editor:- Dr. Anas Moustafa El-Naggar, MD., Ph.D

CONTENTS

1. Abu-Bakre Al-Siddiq.

War Against Apostates, Part V.
The Last Campaigns.
By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Muslim Theism.

By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH
SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

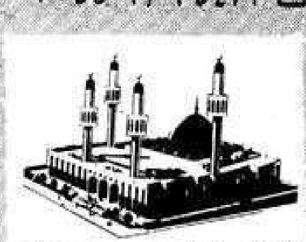
مسجد لاجوس

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير قريش

تمت المبايعة على « معاهدة الجوار » بين رسول الله - ﷺ - واليثربيين ، وهي معاهدة بمقتضاها تُجير الأوسُ والخزرج رسولَ الله - ﷺ - والمهاجرين - رضوان الله عليهم - إذا حَلُّوا بالمدينة .

وتلك العهدة - بكل نصوصها ، وعلى مختلف رواياتها ورُواتِها المعاصرين للأحداث ومن تلاهم[1] - لا تمثل بطبيعتها عدوانا على احد .

ذلك ان عُهدة « الجوار » بطبيعتها لا تمنح - اصلا - لطالب عدوان ، ولا لخليع[2] .

وقريش تعرف ذلك جيداً .

كذلك فإن معلوماتها عن تلك العهدة لا يمكن ان تحمل اكثر من نصوصها .

←

جوار قريش

لكن قريشا أبت إلا أن تفسر تلك العهدة على أنها « حلف » بين الفريقين لحربها[٣] ؛ وهو تفسير يخالف « الواقع » بقدر ما يطرح على الأحداث « عقدة الذنب » التى ناءت بها قريش فتوالى - بها - وِزرُها عبر السنين .

وهى لذلك لازالت ترى فى « محمد » - ﷺ - ما تراه فى كل البشر :
إنسان أوذى ، وعُذِّبَ أتباعه ، فسعى لينتقم ، وليضرب قريشا ومكة ضربة يشفى بها صدره وصدور المعذبين من المهاجرين جزاء ما اقترفوا فى حق المؤمنين .

وَأنَّى لقريش - وقد كذبته - أن تُقِرَّ لنبوته - عليه الصلاة والسلام - أو لمبادىء رسالته بما فيها من شِرْعةٍ وسلام وجلال .. ؟!

إنها - لو قد فعلتْ - لاطمأنت ، ولتأكدت أنه - صلوات الله وسلامه عليه - أول من يرعى حق الكعبة ، ويؤمن بحرمة البيت ، ويسعى لسلام الحرم ؛ بل إنه الإنسان الوحيد - حينئذ - المسئول عن ذلك كله ، وشريعة الله - جل جلاله - على يديه هى الشريعة التى دعمت هذا الحق ، وأرست قواعده ليكون البيت أمنا وسلاما دائما .

ثم إنهم ليعلمون : أنه - ﷺ - على نفس شريفة تسمو على النقمة والانتقام ، وتستجيب للصفح والغفران .

وحاشاه - صلوات الله وسلامه عليه - أن يعتدى عليهم ، أو على غيرهم من قبيل وديار .
ثم إن « الجوار » فى ذاته « حماية » لا « عدوان » ، وليس من حق المستجير أن يدفع بمجير : فردا كان أو قبيلة إلى حرب قوم لم يجنحوا عليه - وهو مقيم بأرض المجير - بعدوان ، فأما إذا كان عدوان فقد لزم الدفاع .

وتلك شِرْعَة العرب أجمعين ، وعهدته - ﷺ - لم تخرج على « فقه » الجوار ، ولا كانت بِدْعًا فى ساحته .

نضيف إلى ذلك أمرا له أهميته ، هو ما قام به النبى - ﷺ - إبان سنوات عدة - من دعوى القبائل والشخصيات الشريفة التى كانت ترد الحرم لحج أو عمرة - إلى الإسلام ، فإنه - عليه الصلاة والسلام - كان يعرض نفسه أثناء ذلك عليهم طالبا منهم أن يجيروه - مما جعل رءوس القبائل فى الجزيرة على علم بما يريده - عليه الصلاة والسلام .

وما كان يريد - إلى إسلامهم - إلا الجوار .

وتلك نتيجة لم تفطن لها قريش : فلم تفطن - بالتالى - إلى شك تلك القبائل فيما ادعته على رسول الله - ﷺ - فضلا عن تكذيبهم لها لعلمهم أن محمدا - عليه الصلاة والسلام - إنما طلب « جواراً » ولم يسع لـ « حلف » يقاتل به قريشا ويسيء به إلى الحرم .

● ● ●

فى ضوء هذا التحليل نرى خطأ ما نسب إلى ابن إسحاق فى عبارة أوردها ابن كثير - رضى الله عنهما - فى سيرة المصطفى - عليه الصلاة والسلام - وذلك حيث يقول :

« فلما رات قريش أن رسول الله - ﷺ - قد صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا ، وأصابوا منهم منعة ، فَحَذِروا خروج رسول الله - ﷺ - إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم »(٤) .

وتعنى العبارة بهذا النص أن الرسول - ﷺ - قد ائتمر لحربهم ، وأن قريشا قد عرفت ذلك .

وهذه دعوى ليس بين يديها دليل ، وطبيعة رسالته الشريفة - صلوات الله وسلامه عليه - مناقضة لها بعيدة عنها ، ثم ... هذه الحوادث التى تلت تلك العهدة خير واقع يؤكد أن العدوان القرشى الذى تتالى على المسلمين منذ اعتبرت قريش ما حدث « حلفا » لا « جوارا » هو الذى ألجأ المسلمين إلى امتشاق الحسام .

وفى الحق أن ابن إسحاق إمام فى السيرة وحَبْرٌ من أحبارها ، والعبارة على غير ذلك قد أوردها الإمام علىّ بن برهان الدين الحلبى فى سيرته ، فقال :

←

← جـــوار قـــريـــــش

« فلما رأت قريش أن رسول الله ـ ﷺ ـ صار له شيعة وأصحاب من غيرهم ، ورأوا خروج أصحابه إليهم ، وأنهم أصابوا منعة ، لأن الأنصار قوم أهل حلقة وبأس حذروا أن يخرج رسول الله ـ ﷺ ـ وأن يجمع على حربهم »(٥) .

فهذا تفكيرهم ، لا أن الرسول ـ ﷺ ـ قد أجمع لحربهم ، وشتان بين العبارتين .

وعبارة الحلبى ـ رضوان الله عليه ـ ساقها كعادته ـ فى السيرة الحلبية ـ مصحوبة بشرح لكل لفظ يرى فيه صعوبة ، أو غرابة كقوله :

قوم أهل حلقة ـ اى سلاح .. حذروا ـ أى خافوا .. إلخ .

ولست أشك فى أن النسخ عبر القرون قد أحدث فى عبارة ابن كثير أثره فأضاف إليها ، وحذف منها .

وفى الحق ـ كذلك ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ ما كان ليجمع على حرب قريش حتى جنحت إلى العدوان ، وتوالى عدوانها فى مسلسل متصل الحلقات .

د. على أحمد الخطيب

---

(١) من جيل الرواة الصحابة لهذه العهرة : جابر بن عبد الله ، وعبادة بن الصامت ، وكعب بن مالك ، وكلهم من الأنصار ـ رضوان الله عليهم ، ثم تلاهم رواةُ الأخبار كابن إسحاق والشعبى وغيرهما ـ رحمهم الله .

(٢) الخليع : المخلوع الذى خلعه قومه لجناية ارتكبها فلا يُؤخَذُون بجنايته ، ولا يُطالَبُون بدمه ـ انظر : مقدمة قبل الهجرة عدد المحرم ١٤٠٨ هـ والذى يليه من مجلة الأزهر .

(٣) الحلف : معاهدة على التناصر والإعانة مطلقا بين طرفين متكافئين .

هذا : وينبغى أن أشير هنا إلى خطأ وقعتُ فيه عند ابتداء هذه الدراسة فسبقتُ إلى اعتبار عهدة الجوار (حلفا لا ظلم فيه) فأما بعد بيان موقع الطرفين بكل من الحلف والجوار ، وتحديد الفارق بينهما فإن هذه العهدة بين رسول الله ﷺ ـ والأوس والخزرج إنما هى جوار طلب فيه رسول الله ﷺ المنعة من القوم .

والحق أحق أن يتبع ، وسوف أستدرك ذلك فى الكتاب بمشيئة الله تعالى .

(٤) ابن كثير ٢/٢٢٧ .

(٥) الإمام على بن برهان الدين الحلبى ـ إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية ـ ٢/٢٥ .

الرئيس ضياء الحق

الــــى اللـــــه ..

ضيـــاء الحـــق .. !

ضياء الحق .. ما اجمل هذا الاسم الكريم لمسمى كريم كان ضياءً للحق ورضى بالحق ، وسعيا للحق فعليك السلام .. ضياء الحق .

ليس على الموت نأسى إذا انطلق بعبد الله .. « ضياء الحق » إلى عالم الخلود ؛ فلحق بالرفيق الاعلى شهيدا إثر ضربة غدر لا يقدم عليها مؤمن بالله واليوم الآخر .. إنما يقدم عليها من ضاق بحق الإسلام وشريعة القرآن .

فالموت حق ...

إنما نأسى على رجل مَدَّ كلتا يديه للإسلام والمسلمين ، ونال به المسلمون ـ وفى مقدمتهم : مِصْرُ ـ خيراً كثيراً لا ينكره إلا غربى بالنزعة او احمر بالْوِجْهَةِ ، او علمانى بالأجرة ، أو باطنى يكيد للإسلام والمسلمين .

يومان فقط مضيا إثر إعلانه عن « الشريعة الإسلامية » قانونا لبلاده ، وإذا (ضَاء) نجمُ الشريعة (ازوَرَّ) له الغربى والاحمر والعلمانى والبهائى والباطنى ، وما لهؤلاء وهؤلاء من « أهداف » يخشون عليها الإسلامَ والمسلمين .

عرف ضياء الحق مكانه من الإسلام وحق الإسلام عليه فادرك واجبه ، واهتدى إلى صراطه ، فقدَّر علماء الإسلام ، وارسى لباكستان الارض الطيبة .. قوة العصر ، وعمل على تقوية الاواصر بين المسلمين وجمع كلمتهم ، واعطى المجاهدين فرد كيد الملحدين ، وحَذِرَ كيدَ إسرائيل وخيب مسعاها فيما تريد من قضاء على قوة بلاده ، وإسرائيل لا تزال تكيد للمسلمين حتى بـ « الدواء » تحشوه حشوا كثيفا بوباء العصر .

والله محيط بكيد الكافرين .

سلام عليك ضياء الحق .

فلقد كنت أملا قريبا أعطى المسلمين .

ولم تكن « أمنية » حُلْمٍ لعاجزين .

لماذا يحلف الله بمخلوقاته

ونحن لا نحلف بها !

سورة الفجر ١ ـ ٤ ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾

مقدمة :

من الأمور المتفق عليها انه لا يجوز الحلف بغير الله أو أسمائه الحسنى ، استبعاداً لشبهة الإشراك بالله تعالى ، أو جعل المحلوف عليه من المخلوقات مساوياً فى القدر والتعظيم لله رب العالمين .

ولكننا نرى المولى سبحانه يحلف بمخلوقاته وهى دونه قدراً ، ولا شركة لها فى ملكه تعالى ، ومن ذلك ماجاء فى هذه السورة من الإقسام بالفجر والليالى العشر ، والشفع والوتر . والليل إذا يسر ، كما حلف بغيرها كما فى قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ وقوله : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ .

والجواب أنه تعالى يحلف بها لتوجيه عباده إلى ما فيها من آيات تدل عليه وترشد إليه ، أو إلى مافيها من النعم ليشكروه عليها ، أو إلى مافيها من مكانة دينية ، ليقدروها ويعرفوا حقوق الله فيها ، أو إلى غير ذلك من المعانى الرفيعة ، ولم يحلف بها لأنها شريكة له فى الألوهية ، فذلك معروف من الدين بالضرورة ، ومعروف بالأقيسة العقلية ، قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ ومن الأمثلة النقلية والعقلية معاً قوله سبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات والاحاديث والأقيسة العقلية الناطقة بتوحيده جل وعلا .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدي الطير

التفسير :

١ - ٢ ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾

المراد بالفجر أول النهار بعد ظلام الليل ، ويسمى الصبح ، قال تعالى : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ وسُمِّى فجراً لانفجار الظلمة عن النهار فى كل يوم لا فى يوم معين ، وبهذا قال على وابن عباس - رضى الله عنهما - وابن الزبير وغيرهم ، وهو رأى الجمهور .

وقيل المراد به فجر يوم النحر فحسب ، ولا دليل على ذلك من الكتاب أو السنة ، فآية الله وبرهانه فى فجر كل يوم لا فى فجر يوم النحر دون سواه ، وهذا هو القسم الأول فى هذه السورة .

والقسم الثانى فيها قوله سبحانه : ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ والمراد بها ليالى عشر ذى الحجة ، ابتداء من أوله حتى ليلة النحر ، وبهذا قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما .

وقد أقسم الله بها لفضلها ، ففيها ليلة الوقوف بعرفة وليلة عيد الأضحى ، ولأن العبادة فيها لها أجر عظيم ، فقد أخرج الإمام أحمد والبخارى عن ابن عباس يرفعه إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - قال « مامن أيام فيهن العمل أحب إلى الله تعالى من أيام العشر .. » إلى آخر الحديث .

ومن العلماء من قال : إنهن ليالى العشر الأخير من رمضان ، وزعم بعضهم الاتفاق عليه ، واستدل أصحاب هذا الرأى بالحديث المتفق على صحته قالت عائشة - رضى الله عنها - « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل العشر - تعنى العشر الأواخر من رمضان - شدَّ مِئْزَرَهُ وأحيا له وأيقظ أهله » ولأنها ترجى فيها ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر .

وقال آخرون : هن العشر الأوائل من المحرم ، لأن فيها يوم عاشوراء ، وقد ورد فى فضله ما أخرجه الشيَّخان وغيرهما عن ابن عباس قال : « قدم النبى - صلى الله عليه وسلم - المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال - عليه الصلاة والسلام - ما هذا اليوم الذى تصومونه ؟ قالوا : هذا يوم عظيم نجَّى الله - تعالى - فيه موسى ، وأغرق آل فرعون فيه ، فصامه موسى - عليه السلام - شكراً ، فقال صلى الله عليه وسلم : نحن أحق بموسى منكم ، فصامه - صلى الله عليه وسلم - وأمر بصيامه » .

وسرُّ الخلاف فى تعيين المراد منها ، أنه - صلى الله عليه وسلم - لم يعينه ، وتركه لاجتهاد الأئمة ، حتى يشغلها المسلمون كلها بالعبادة فيعظم ثوابهم .

وتنكير « ليالٍ عشر » للتعظيم والتفخيم .

←

٣ ـ ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾

هذا هو القسم الثالث فى هذه السورة ، والشفع : الإثنان أو الأربع ونحوهما ، والوتر الفرد ، وقد اختلف العلماء فى بيان المراد منهما اختلافاً كثيراً ، قال صاحب الكشاف : قد اكثروا فى الشفع والوتر ، حتى كادوا يستوعبون أجناس مايقعان فيه ، وذلك قليل الطائل جدير بالتناهى عنه ، وكأنه يريد إطلاقهما فى كل شفع ووتر من أى جنس ، فكأنه أقسم بجميع مخلوقاته ، لأنها مابين شفع ووتر ، وذلك أولى من تعيين المراد منهما من غير دليل يعول عليه ، وهذا هو ماقاله مجاهد ، فقد قال : الخَلْق كله شفع ووتر فأقسم سبحانه بخلقه ، وروى عنه رأى آخر حيث قال : الله تعالى هو الوتر ، وخلقه سبحانه الشفع ـ الذكر والأنثى ـ .

٤ ـ ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾

هذا هو القسم الرابع فى السورة ، ومعناه وحق الليل حين يسرى ويمضى ، وهو كقوله تعالى فى سورة المدثر ﴿ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ وكقوله فى سورة التكوير ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ أى إذا ادبر ـ كما قاله الفراء ، والإقسام بالليل حين يولى ويذهب ، لما فيه من الدلالة الواضحة على قدرة الله ـ تعالى ـ حيث رفع عن أهل الأرض ظلمته ليحل محله النهار ، وهذا القسم مقابل للقسم الأول ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ فهو يأتى بعد إدبار الليل ليسعوا فى ضوء نهاره على أرزاقهم بعد أن استراحوا فى ظلمة الليل ، فما أعظم دلالة هاتين على قدرة الله ـ تعالى ـ وحكمته وحرصه على مصالح عباده ، ولو أبقى الليل أو النهار سرمدا إلى يوم القيامة لكان ذلك فى غير مصلحتهم ، ولهذا امْتَنَّ الله على عباده بمتابعة كل منهما لصاحبه ، فقال تعالى فى سورة القصص : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ولفظ « يسر » أصله يسرى بالياء ، فحذفت الياء وصلا ووقفا عند الجمهور من غير جازم ، تخفيفاً لِلَّفظ ، واستغناء عنها بكسر الراء ، وليتفق مع رءوس الآى .

٥ ـ ﴿ هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾

الحِجْرُ بمعنى العقل ، وهو مثلث الحاء لغة ، وأصله لغة بمعنى المنع ، وأطلق على العَقْل لأنه يمنع صاحبه من المكاره والمضار ، ويقال لِمَنْ ملك نفسه ومَنَعها من الدنايا : إنه لذو حجر ، وقال الفراء : العرب تقول : إنه لذو حجر إذا كان قاهراً لنفسه ضابطا لها ، والاستفهام فى لفظ (هل) يراد منه التقرير ، كما تقول بعد ذكر دليل واضح على مُدَّعاك : هل دلَّ ذلك على ماقلناه ؟ والمقصود منه فى الآية الكريمة تحقيق وتقرير فخامة القسم بهذه الأشياء التى أقسم بها ، وكونها مستحقة للتعظيم بالإقسام بها ، وأن المحلوف عليه أمر خطير وجدير بأن يحلف بها على أنه حق لاشك فيه ، وهذا المحلوف عليه مقدر ، أى ليُنزلن بكم العقاب ياأهل مكة لإشراككم بربكم ، وهذا المقدر هو جواب الإقسام بهذه الأشياء ، مأخوذ مما جاء بعد القسم من عقاب عاد وثمود وسواهم لشركهم وكفرهم

والمعنى الإجمالى لما تقدم : وحق الفجر والليالى العشر والشفع والوتر من مخلوقاته ، والليل إذا يسرى لتعاقبُنَّ ياأهل مكة على كفركم وشرككم ، إن ذلك القسم العظيم لذى عقل فالمحلوف عليه كذلك : وقال أبو حيان : الذى يظهر أن الجواب محذوف يدل عليه ماقبله من آخر سورة الغاشية ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ وتقديره : لإيابهم إلينا وحسابهم علينا - وهذا رأى جيد ، فإن الإقسام بهذه الأشياء العظيمة جاء عقب سورة الغاشية التى مضت قبله .

٦ - ٨ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ ﴾

عادٌ هؤلاء هم قوم هود الذى أرسله إليهم وكانوا مشركين ، وقد أطلق عليهم هذا الاسم لأن عاداً جدهم ، وإطلاق اسم الجد على ذريته أمر مألوف ، وهو شائع حتى ألحقه بعضهم بالحقيقة .

وقد ذكر الله فى هذه الآيات أنهم عاد إرم ، ولكنه فى آيات أخرى أطلق عليهم عادا الأولى ، كما فى قوله تعالى فى سورة النجم : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ فهل هما عادان ، إحداهما عاد إرم كما فى هذه الآيات ، أم هما عاد واحدة يطلق عليها الاسمان . عادٌ الأولى وعاد إرم ذات العماد .

وجمهور المفسرين على أنهم عاد واحدة أطلق عليها الاسمان ، وهم قوم هود كما تقدم ، ووصفهم بالأولى لأنهم أول الأمم هلاكا بعد قوم نوح - عليه السلام - وإطلاق لفظ إرم عليهم لأنه لقب جدهم .

قال عماد الدين بن كثير : كل ما ورد فى القرآن من خبر عاد فالمراد بعاد فيه عاد الأولى .. إلخ . وقيل إن إرم اسم جدتهم أو بلدتهم ، ولذا أنث وصفه بقوله تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ .

وقال قوم : هما عادان . الأولى قوم هود ، ويقال لهم : عاد إرم أيضا ، وأما عاد الأخرى فهى قبيلة كانت بمكة مع العماليق ، وبه قال الطبرى ، وقال المبرد : هى ثمود ، وقد وصف الله عادا فى هذه السورة بأنها ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ ﴾ وفسر بعضهم هذا بأنهم طوال القامة ، وأنه تعالى لم يخلق مثلهم طولاً وقوة فى البلاد ، وذلك بتشبيه قاماتهم بالأعمدة ، أى ذات الأجسام الطويلة القامة إلى حد لا يوجد مثله فى البلاد ، ونسب هذا القول إلى ابن عباس ومجاهد ، وقد بالغ بعض المفسرين فى تقدير طولهم فقال : إن طول الواحد منهم كان أربعمائة ذراع ، وهذا الكلام لم يرد عن المعصوم - صلى الله عليه وسلم - فلا يعقل أن يصل طول أحدهم إلى ذلك ، وهو من أباطيل القصاصين الذين لم يشهدوا خلقهم حتى يقولوا ذلك الهذيان .

إن الإنسان القديم لم يزد طوله عن الأجسام العادية ، كما دلت على ذلك أجساد الموتى التى مر عليها آلاف السنين ، وهى مقبورة تحت الأرض ، وليس تفسير النص بأنهم طوال الأجسام أمراً ضروريا ، ولذا فسره بعض المفسرين بغير ذلك ، فقد روى عن قتادة أنها ذات الخيام والأعمدة ، وكانوا سيارة فى الربيع ، فإذا هاج النبت رجعوا إلى منازلهم ، إلى غير ذلك مما ذكروه ، وكلها غير

← لماذا يحلف الله بمخلوقاته

مناسب لقوله تعالى : ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ ، فهذا يدل على أنهم كانوا أهل حضارة عالية ، ويقتضى أن يكون لفظ (إرم) اسماً لأرضهم التى بنوا فيها منازلهم ، وانشئوا فيها مدنهم وبلادهم ، ويكون تقدير الآية مع ماقبلها : ألم تر أيها الرسول . كيف فعل ربك بعاد ، سكان إرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد .

ولابد أن تكون أرضهم وبلادهم فى شبه الجزيرة العربية ، لأنه تعالى - كان يُنْذِرُ قريشا بأن ينتقم منهم كما انتقم من عاد إن استمروا على كفرهم ، فلابد من أن تكون عاد بحيث تعرفها قريش عيانا ، ويدل على ذلك صراحة قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ وهذه الأحقاف أرض بين عمان وحضرموت ، بنوا فيها مدنهم ومساكنهم ، كما يدل على ذلك قوله تعالى فى قريش : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ : أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ فالله ينذرهم بحقيقة يعلمونها مشاهدة ، لأنها فى شبه الجزيرة العربية .

ومن أصرح الأدلة على ذلك قوله تعالى فى سورة طه : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾ وهذا هو رأى جمهور المفسرين ، قال الألوسى : تعليقا على قوله تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ قال - والأكثرون على أنها - أى إرم - مدينة عظيمة فى أرض اليمن ، والوصفان لها ، والمراد بالوصفين ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ إلخ .

وجاء فى القرطبى تعليقاً على ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ أى ذات الأبنية المرفوعة على الأعمدة ، وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور ، قال ابن زيد « ذات العماد » يعنى إحكام البنيان بالعمد ، وفى الصحاح : والعماد الأبنية الرفيعة تذكر وتؤنث ، ثم قال : والواحدة عمادة : اهـ . وجاء فى وصفها ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ فى العمران والحضارة ، فقد كانت لهم قصور مرفوعة حسنة الشكل ، يحيط بها البساتين وغير ذلك من أنواع الجمال والعظمة التى لم يخلق مثلها فى سائر بلاد الدنيا .

ووصفها بهذه الصفة جعل محمد بن كعب يقول : إنها الأسكندرية ، فهى التى لا يوجد مثلها فى الدنيا ، وجعل ابن المسيب والمقبرى يقولان إنها دمشق ، وهو اختيار ابن العربى ، قال القرطبى نقلاً عنه : ليس فى البلاد مثل دمشق ، ثم أخذ ينعتها بكثرة مياهها وخيراتها ، ثم قال : وإن فى الأسكندرية لعجائب ، لو لم يكن إلا المنار لكفى ، وهى مبنية الظاهر والباطن على العمد ، ولكن لها أمثال ، فأما دمشق فلا مثل لها - كذا قال .

والقائلون بذلك غفلوا عن النصوص القرآنية التى تقتضى أن مقر عاد فى شبه الجزيرة العربية ، وأن قريشا يمشون فى مساكنهم .

٩ - ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾

وصف الله ثمود فى هذه الآية بأنهم جابوا الصخر بالوادى ، ومعنى جابوا قطعوا ، من

الجوب وهو القطع ، أى قطعوا الصخر وفصلوه من الجبال المجاورة لواديهم الذى يعيشون فيه ، ليبنوا به قصوراً وعمائر فى واديهم ، وكان يدعى : وادى القرى ـ كما قاله محمد بن إسحاق ، ومساكنهم كانت بالحِجْر من هذا الوادى ـ بين الحجاز والشام ـ كما حكاه ابن كثير فى كتابه (الكامل فى التاريخ) وكانوا أهل حضارة وعمارة وثراء ولم يكونوا كالأعراب الذين يرتحلون لطلب الكلأ ـ أى العشب ـ وفى حضارتهم يقول الله تعالى : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ ﴾ أى ماهرين فى صناعة نحت الجبال وبناء بيوتهم بصخرها ، وقيل فى معنى الآية : إنهم كانوا ينحتون الحجارة ليتخذوا فى الجبال بيوتا ، وقيل : إنهم قطعوا الصخر وشقوه ، وجعلوه واديا ومسيلا لمائهم ، وماقلناه أولا هو ظاهر النص .

١٠ ـ ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ ﴾

الأوتاد جمع وتِد بكسر التاء ، وهو مايدق فى الأرض من خشب أو حديد لتربط فيه الخيمة ، والمراد بأوتاد فرعون جنوده الكثيرون الذين كانوا يثبتون ملكه كما تثبت الأوتاد الخيمة ، وقيل : لأنه كان يدق للمعذب أربعة أوتاد ويشده بها مبطوحاً على الأرض ، فيعذبه بما يريد من ضرب أو إحراق أو غيرهما .

وفرعون هو ملك مصر فى العهد القديم ، والمراد منه هنا فرعون الذى أرسل له موسى وهارون عليهما السلام ، وقد أغرقه الله وجنوده لشركهم .

والمعنى الأول لذى الأوتاد أكثر ملاءمة لمقام الإنذار لقريش ، فهو يفيد أنه مع كثرة جنوده وقوته انتقم الله منه لكفره ولم يستعص عليه ، فكيف تفلتون أيها الضعفاء من انتقام الله منكم لشرككم .

١١ ـ ١٣ ـ ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾

فى هذه الآيات الثلاث وصف الله هذه الأمم السابقة ، بأنهم طغوا فى البلاد ؛ فأكثروا فيها الفساد ، فعاقبهم الله عقابا مستأصلاً لهم .

فأما طغيان هذه الأمم وإفسادها ، ففى مجاوزتهم الحد فى الإساءة إلى قومهم أو إلى غيرهم من الأمم ، فضلا عن تكذيبهم لرسلهم وكفرهم بربهم .

فعاد كذبت نبيها هودا ـ عليه السلام ـ وأصروا على الكفر إلا نفرا قليلاً منهم ، فأهلكهم الله تعالى بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما ـ أى متتابعة أو قاطعة لهم ، من الحسم بمعنى القطع ، فلم تبق منهم أحداً ، وقد جاء فى سورة القمر ؛ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ . تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ والريح الصرصر الباردة ، أو الشديدة الصوت لسرعتها وشدتها .

وكان هذا اليوم الذى بدأت فيه هذه العقوبة يوم نحس وشؤم عليهم ، وقد استمر

هذا اليوم بنحسه عليهم المدة السابقة ، حتى قطع دابرهم فلم يبق منهم أحدا ، فقد كانت هذه الريح لشدتها تنزعهم من شوارعهم ، أو من الشعاب أو الحفر فتصرعهم فيموتون فورا . وكانوا لطولهم كأنهم أصول نخل منقعر ، أى منقلع من مغارسه ساقط على الأرض .

وثمود مثلهم فى الطغيان والإفساد والكفر ، فبعث الله إليهم رسولاً منهم هو صالح - عليه السلام - فقالوا له ﴿ يَاصَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ وقال له سيدهم ورئيسهم : أخرج من هذه الصخرة ناقة عشر ، فإن فعلت ذلك صدقناك ، فأخذ عليهم المواثيق بذلك ، وأتى الصخرة وصلى ودعا الله ربه - عز وجل - فتمخضت كما تتمخض الحامل ، وخرج منها ناقة كالتى طلبوها وهم ينظرون ، ثم ولدت مثلها فى العظم ، فأمن به بعضهم وبقى آخرون على كفرهم ، وأمرهم أن يتركوا لها الماء يوما لا يشربون منه ، ويحلبون لبنها فى هذا اليوم كما يشاءون ، فإذا كان اليوم التالى يكون الماء لهم فلا تشرب منه ، وكانوا يتزودون فى يومهم هذا من الماء ليشربوا منه ويغتسلوا فى يوم الناقة وقد حذرهم نبيهم صالح من قتلها حتى لا يهلكوا ، فقتلها بعضهم يُدْعى قُدار بن سالف بتحريض منهم ، لأنها تحرمهم من الماء فى يومها ، فهرب فصيلها إلى الجبل ولم يدركوه ، فتوعدهم نبيهم صالح بالإهلاك بعد ثلاثة أيام ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ فلما جاء اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء كصوت الصاعقة ، فوقفت قلوبهم عن الحركة ، وأصبحوا فى ديارهم جاثمين هلكى ، ونجى الله صالحا ومن أمن معه ، قال تعالى فى سورة هود : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ وانتقل صالح إلى فلسطين ثم إلى مكة فأقام بها حتى مات ، وقيل إنه انتقل إلى حضرموت فمات ودفن بها ، والله أعلم .

ولما سار النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى غزوة تبوك مرَّ بقريتهم ، فقال لأصحابه : لا يدخل أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ، وأراهم مرتقى الفصيل فى الجبل ، وأراهم الفج الذى كانت الناقة تشرب منه - انظر الكامل لابن الأثير .

وفرعون وقومه مثلهم فى الطغيان والإفساد بل أكثر ، حتى ادعى فرعون أنه إلههم ، قال تعالى حكاية لكلامه لقومه : ﴿ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ وقال : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى. فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ .

وقد أرسل الله إليهم موسى وأخاه هارون - عليهما السلام - ليدعواهم إلى عبادة الله تعالى وترك ظلم العباد ، قال ابن عباس - رضى الله عنهما - وغيره إن الله تعالى لمَّا قبض يوسف - عليه السلام - وهلك المَلِك الذى كان معه ، وتوارثت الفراعنة ملك مصر ، ونشر الله بنى إسرائيل ، لم يزل بنو إسرائيل تحت يد الفراعنة حتى جاء فرعون موسى - وكان أعتاهم على الله وأعظمهم قولا وأطولهم عمرا - وكان سيِّىء المعاملة لبنى إسرائيل ، حيث جعلهم خَوَلاً - أى خدما - وكان يسومهم سوء

العذاب ويقتل أبناءهم ويستحيى نساءهم ، لأن كهانه أخبروه أنه سيخرج من بينهم رجل يكون هلاكه على يديه[1] فأمر بأن يقتل كل طفل ذكر ، فلما بلغ موسى الأشد أعطاه الله الرسالة ومعه أخاه هارون ، وأوحى الله إليهما أن يقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ففعلا ، وأراه موسى ـ عليه السلام ـ معجزة العصا فكذبه فرعون وزعم أنه ساحر عليم ، فدعا السحرة لميقات يوم معلوم فأبطلت العصا سحرهم فآمنوا به ، فاشتد مع قومه فى الطغيان عليهم ، فسلط الله عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع ، والدم ، فضجوا إلى موسى أن يدفع عنهم هذه الكوارث ، ووعدوه الإيمان فى كل مرة ، وكانوا إذا كشف الضر عنهم ظلوا على كفرهم وطغيانهم ولم يُفوا بمواعيدهم .

فلما طال الأمر على موسى أمره الله أن يسير ببنى إسرائيل فخرج بهم ليلا والقبط لا يعلمون ، وكانوا وقتئذ ستمائة ألف وعشرين ألفا ، فلما علم فرعون بهجرتهم خرج بجيشه ليردوهم ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ وخافوا أن يقتلهم فرعون وجيشه ، فطمأنهم موسى ـ عليه السلام ـ قائلاً : ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ وضرب البحر بعصاه فانشق فيه اثنا عشر طريقا بعدد أسباطهم ، فلما دنا فرعون وجيشه من البحر وأبصروا الطرق التى حدثت فيه قال لأصحابه اقتحموا خلفهم فلم يدركوهم لأنهم قد عبروا جميعا إلى الشاطىء الشرقى فكانوا ينظرون هلاكهم وهم فرحون[2] فأنت ترى أن الله تعالى أهلك عادا وثمود وفرعون وجيشه ، ووصف إهلاكهم بقوله ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ وقد أكثر المفسرون فى تفسير هذه الآية ، ومن ذلك ماقاله الفراء : هى كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب .

ونحن نقول : إن معنى الآية : فانتقم الله من هذه الأمم المشركة انتقاما متتابعاً مستأصلاً هو سوط العذاب وأداته عند الله تعالى ، وليس كسياط الناس وأدواتهم التى ينتقمون بها ، وقد أطلق فيها الصب على متابعة الانتقام بكثرة هائلة ، وأطلق سوط العذاب على هذا الانتقام على سبيل المجاز .

١٤ ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

هذه الآية تعليل لما قبلها من التعذيب ، وإيذان بأن كفار قريش سيصيبهم من العذاب ما أصاب أضرابهم المذكورين إن استمروا على شركهم ، والمرصاد المكان الذى يرصد فيه الراصدون ويترقبون ، وفى الآية استعارة تمثيلية لحفظ الله أعمال العصاة وإحصائها لينتقم منهم ، لأنه تعالى ليس له مكان مطلقا ، سواء أكان مرصاداً أم غيره ، وفسرها ابن عباس بأن الله تعالى يسمع ويرى ، والله أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الإسلامية

(١) لعل كهانه قالوا له ذلك تأويلا لرؤياه ، فإنهم لا يعلمون الغيب الذى انفرد به الله ومن اجتبى من رسول .

(٢) خلاصة ما جاء فى الكامل لابن الأثير .

آيات موسى التسع

قال تعالى :

﴿ وَلَقَد آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْأَلْ بَنِى إِسْرائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً ﴾ « الإسراء ١٠١ » واكد الله سبحانه وتعالى على آيات موسى عليه السلام ـ التسع ، مرة أخرى فقال تعالى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ . إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِى تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ . « النمل ١٠ ، ١١ ، ١٢ » .

وقد كثرت آيات موسى عليه السلام التى أيده الله بها ليصدقه قومه بما جاءهم به من الله ، فقد كان القوم أشد الأقوام عنادا وكبرا وصلفا وغرورا . واختلفت الآيات التى أيد الله بها موسى عليه السلام وتنوعت .

وآيات موسى التى أيده الله بها ، وذكرها القرآن الكريم منها : العصا واليد ، جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى . قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى . قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى . وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى . لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ « طه ١٧ ـ ٢٢ » .

ومنها : إنفلاق البحر لقوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ . وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ . وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ . إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ « الشعراء ٦٣ ـ ٦٧ » .

ومن آيات موسى : الطوفان والجراد والقمل

بقلم: حلمى الخولى

والضفادع والدم، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ « الأعراف ١٣٣ ».

ومنها: خروج الماء من الحجر: لقوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ « البقرة ٦٠ »..

ومنها: الصاعقة والبعث لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ « البقرة ٥٥ ».

ومنها: الغمام والمن والسلوى قال تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ « البقرة ٥٧ ».

ومن آيات موسى: الرجز ـ الطاعون ـ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ « البقرة ٥٨، ٥٩ ».

ومن آيات موسى: رفع الجبل. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ « الأعراف ١٧١ ».

ومنها: الأخذ بالسنين ونقص الثمرات لقوله تعاله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ « الأعراف ١٣٠ ».

ومنها: إحياء القتيل لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ « البقرة ٧٢ ـ ٧٣ ».

وغير ذلك من الآيات التى أيد الله بها نبيه موسى عليه السلام.

ولكن ما الآيات التسع التى ذكرها الله بنص القرآن الكريم فقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ ثم أكد ذلك مرة أخرى بقوله تعالى: ﴿ ...... فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴾ ؟!

جاء فى تفسير ابن كثير عن آيات موسى التسع أنها: « العصا واليد والسنين والبحر

آيات موسى التسع

والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم . قاله ابن عباس[1] » .

وقال ابن عباس ـ أيضاً ـ ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة : هى يده ، وعصاه ، والسنين ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم[2] » . « وجعل الحسن البصرى السنين ونقص الثمرات واحدة وعنده أن التاسعة هى تلقف العصا ما يأفكون »[3] أى أن البصرى يقول عن آيات موسى التسع إنها : اليد ، والعصا ، والسنين ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد والقمل ، والضفادع ، والدم وتلقف العصا ما يأفكون .

وجاء فى « ظلال القرآن عنها : « والآيات التسع المشار إليها هنا هى : اليد البيضاء ، والعصا ، وما أخذ الله به فرعون وقومه من السنين ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم[4] » .

وأكدت « الظلال » على ذلك مرة أخرى قال : « والق عصاك .. فقد ألقى عصاه . فإذا هى تدب وتسعى وتتحرك حركة سريعة كحركة ذلك النوع السريع من الحيات .. ـ الجان ـ وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء .. وكان هذا وأدخل موسى يده فى فتحة ثوبه ـ وهى جيبه ـ فخرجت بيضاء مشرقة لاعن مرض ، ولكن عن معجزة ، ووعد ربه أن يؤيده بتسع آيات من هذا النوع الذى شاهد منه اثنتين .. ولم يعدد هنا بقية هذه الآيات التسع التى كشف عنها فى سورة الأعراف ، وهى سنون الجدب ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم » .

وجاء فى تفسير النسفى عنها قول ابن عباس رضى الله عنهما : « هى العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والحَجَر ، والبحر ، والطور الذى نتَقَهُ على بنى إسرائيل » ويقصد بالحَجَر ـ انفجار الماء منه ـ والبحر ـ انفلاق البحر ـ .

« وعن الحسن ـ فى تفسير النسفى أيضاً ـ : الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور[5] أى أن آيات موسى التسع كما قال الحسن : هى العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والطوفان ، والسنون ، ونقص الثمرات .

وجاء فى تفسير النسفى صفوة التفاسير للصابونى حول آيات موسى التسع : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات .. أى والله لقد أعطينا موسى تسع آيات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهى : العصا ، واليد ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وانفلاق

---

(١) تفسير القرآن العظيم . ابن كثير حـ ٣ ص ٦٦ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) فى ظلال القرآن . سيد قطب حـ ٤ ص ٢٢٥٢ .
(٥) تفسير النسفى ٢ / ٣٢٩ .

البحر ، والسنن »[٦] .

وعند الأستاذ نوفل أنها : العصا ، ولها آيات ثلاث : صيرورتها ثعباناً ابتلع حبال السحرة وعصيهم ، وانفلاق البحر بضربة منها ، وبضربة أخرى للحجر انفجر منه الماء .

والرابعة : رفع الجبل فوق قومه ، والخامسة : نزول الجدب والبلاء بقوم فرعون ، والسادسة : الطوفان ، والسابعة : تكمن في الجراد الذي عصف بزرعهم ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

والثامنة : يده ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ أدخلها في جيبه وأخرجها شديدة البياض بلا سوء ولا مرض ، والتاسعة : وهي أسبقها في الترتيب ـ كلام الله ـ سبحانه ـ له[٧] .

من هذا العرض نستبين أن جملة ما دار حوله أهل التفسير ـ لهذه الآيات ـ إنما هو العصا واليد والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وتلقف العصا ما يأفكون ، وانفلاق البحر بضربها ، وكذلك الحجر عن الماء ، والجبل ، وكلام الله ـ سبحانه ـ لموسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

وهذه أربع عشرة آية .

فما آيات موسى التسع منها ؟

إننا سنعتمد ـ في بيانها ـ على القرآن الكريم وحده ؛ ليكون ما نراه قولاً فصلاً بإذن الله وهدايته ، والحل ـ في ذلك عندي ـ يكمن في كلمة (آية أو آيات) فما ذكر من هذه المعجزات مشفوعاً في الكتاب العزيز بكلمة (آية) أو (آيات)عددناه منها ، وفي بيان ذلك نقول :

ـ الآية الأولى والثانية : العصا واليد . قال تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى . قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى . قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى . وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾ « طه ١٧ ـ ٢٢ » .

وقد كان لفظ القرآن صريحاً وواضح الدلالة على أن العصا واليد آيتان لقوله تعالى : ﴿ آيَةً أُخْرَى ﴾ أي أن يدك آية ثانية تضاف إلى الآية الأولى وهي العصا . وقال القوصي : في تفسير ﴿ آيَةً أُخْرَى ﴾ معجزة أخرى تضاف إلى « العصا »[٨] . وقال النسفي في تفسيرها : « أي خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى »[٩] .

ـ أما الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فنجدها مجملة في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ

←

(٦) محمد علي الصابوني ـ صفوة التفاسير ١٧٨/٧ .
(٧) باختصار عنه راجع للأستاذ عبد الرزاق نوفل : آيات في آيات ، الصفحات ٤٦ ـ ٥١ .
(٨) تفسير القوصي ص ٤٠٧ .
(٩) النسفي ٣ / ٥١ .

آيات موسى التسع

وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُّجْرِمِينَ ﴾ « سورة الأعراف الآية ١٣٣ » والنص القرآني هنا واضح الدلالة والقطع على أن كل واحدة من الخمس آية بدليل قوله تعالى : ﴿ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ أى أن الطوفان آية ، والجراد آية ، والقمل آية ، والضفادع آية ، والدم آية . وقوله تعالى ﴿ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ أى « ظاهرات لا يشكل على أى عاقل أنها من عند الله إذ لا يقدر عليها غيره »[١٠] .

— أما الثامنة فهى : الأخذ بالسنين ونقص الثمرات وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ . فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ « الأعراف ١٣٠ ـ ١٣٢ » والرأى عندى أن الأخذ بالسنين ـ جمع سنة ـ معناه الجدب والقحط ـ وهذا يعنى نقص الثمرات وذلك آية واحدة وليس آيتين من آيات موسى التسع ، كما قال بذلك بعض المفسرين ، لأن الجدب والقحط ينتج عنه ـ منطقياً ـ نقص فى الثمار ونتاج الأرض عامة .

— أما التاسعة : فنجدها فى قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ . وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ « الشعراء ٦٣ ـ ٦٧ » .

نص الكتاب العزيز ـ كما نرى ـ على أن انفلاق البحر (آية) .

وفى ضوء نص القرآن العظيم قدمنا استنتاجنا ، فإن يكن صواباً فهو من الله الكريم ، وإن يكن ثم خطأ فإنه ـ سبحانه ـ لن يحرمنى الأجر فإنه ذو الفضل العظيم .

حلمى الخولى

---

(١٠) القوصى ص ٢١٢ .

لا طِيَرة ولا صفر

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبى

روى البخارى بسنده قال : حدثنا محمد بن الحكم حدثنا النضر أخبرنا إسرائيل أخبرنا أبو حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : لا عدوى ، ولا طِيَرةَ ، ولا هامة ، ولا صفر .

الطِّيَرةُ : التشاؤم وأصل هذه العادة جاهلى ، إذ كان أهل الجاهلية يُعْنَوْن فى مسيرة معاشهم على توجه الطير ، بمعنى إذا أراد أحدهم أن يخرج لأمر أخذ طيرا وأرسله فإن طار يمنة تيمن به وسر واستبشر وأقدم على عزمه وإن رآه طار يسرة تشاءم ورجع . وآية الجهل عقلا فى هذا السلوك أن الطير لا يعقل حركته ولا يدرك وجهته ففعلته ليست مصدرا من مصادر طلب المعرفة،وطلب العلم إذن من غير مظانه جهل من فاعله .

ولم تكن العقلية الجاهلية كلها على هذا المستوى من الجهل ، بل ندر فيهم عقلاء رفضوا التطير كما رفضوا الأصنام والأوثان وقد سجل الشعر الجاهلى هذا الموقف فى قول القائل :

الـزجر والطـير والكهـان كلهم
مضللـون ودون الغيب أقفال

فلما جاء الإسلام نهى المسلمين عن التمسك بهذه العادة لأن المقاليد بيد الله ، وثقة المسلمين فى ربهم تدفعهم للتفاؤل لا إلى التشاؤم ، ففى الحديث الذى رواه البخارى أيضاً يقول النبى ﷺ : لا طيرة وخيرها الفال ، قالوا وما الفال يارسول الله ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم .

فالإسلام يريد أن يبنى شخصية سوية لها قدرة على اختيار بدائل العمل الإرادى حسب الدوافع الشريفة والغايات النبيلة ولها قدرة

لا طيــــرة ولا صفــر

أيضاً على تحمل القضاء والقدر ، فهما فعل الله الذى لا يسأل عما يفعل ، وفعله لا يخرج عن حكمة ، وصدق الله العلى العظيم ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ .

لاهامة : تقرأ بتشديد الميم وتخفيفها والخلاف فى المعنى أن الذى شدد الميم قصد الهوام ذوات السموم أو الهوام التى تؤذى الناس .

والذى خفف الميم قصد الأسطورة التى ابتدعتها الجاهلية وهى : أن العرب فى جاهليتهم كانوا يعتقدون أن الرجل إذا قتل ولم يؤخذ له بالثأر خرجت من رأسه هامة وهى دودة تدور حول قبره وهى تقول : (اسقونى ، اسقونى) فإن أخذ بثأر صاحبها ذهبت وإن لم يؤخذ بثأره ظلت تدور وتقول : اسقونى ، اسقونى .

واليهود يشتركون فى جاهلية العرب فى هذه الأسطورة إذ يعتقدون أن هذه الهامة تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب بعدها .

وقد ذكر الشارحون لمعنى الهامة تفسيرات أخرى منها : أن الهامة طير الليل كأنه البومة مثلا وهى طائر يتشاءم منه إذا وقعت البومة على بيت أحدهم ويعتقد أنها نعت إليه نفسه أو أحداً من أهله .

وبعضهم فسر الهامة بأنها عظام الميت تصير هامة فتطير ويسمى ذلك الطائر (الصدى) فالنفى على أية حال واقع عدم صحة الأسطورة وأنه لا أساس لها من العلم ولا العقل ولا الاعتقاد الصحيح وأنها أوهام جاهلية لا يصح التمسك بها بعد أن جاءكم من الله نور وكتاب مبين .

وهذا النفى ملحوظ فيه معنى النهى فالنفى منصب على عدم وجود حقيقة لهذه الأساطير والنهى منصب على تكليف العقلية المسلمة بأن تترك هذا المسلك الجاهلى .

لاصفر : عندما هبطت أرض الملايو عام ١٩٧٠ فاجأتنى ظاهرة الاستحمام فى النهر فى أول شهر صفر وقيل لى إن الاستحمام فى النهر فى شهر صفر يمنع النحس طوال العام فكان هذا المعنى إضافيا بالنسبة لما جاء فى كتب أهل الحديث من معنى الصفر ، فقد قال العلماء : الصفر بفتح الصاد والفاء داء يأخذ البطن ، وشرح العلماء هذا الداء بأنه حية تكون فى البطن تصيب الماشية والناس قالوا : وهى أعدى من الجرب عند العرب قديما .

وقال بعض العلماء الصفر هو الحية ويكون النفى منصبا على عدم صحة وجود هذه الخرافة والنهى عن الاعتقاد فيها

وربط بعض العلماء بين لاصفر والنسىء فقد قال الطبرى : وقيل فى الصفر قول آخر وهو أن المراد به شهر صفر ، وذلك أن العرب كانت تحرم صفر وتستحل المحرم فجاء الإسلام وألغى النسىء وأبطل فعل الجاهلية ورد الشهور إلى أوائلها فلذلك قال النبى ﷺ لا صفر .

وهكذا يواجه الإسلام العادات والتقاليد التى لا تتفق مع العقيدة والقيم الإسلامية التى تؤمن بوجوب حركة الإنسان وسعيه فى الحياة واعتماده على الله فى الوصول إلى غاياته العليا وحياته الفاضلة ، فإن الإيمان بالله

وقدره خيره وشره يحرس الوجدان المسلم والعقلية المسلمة من أن يتسرب إليها وهم الشيطان ووسوسته ونزغاته وقد حددت السنة فى حوارها مع الأعراب هذا المعنى بصورة واضحة .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

لا عدوى ولا صفر ، ولا هامة . فقال أعرابى : يارسول الله فما بال إبلى تكون فى الرمل كأنها الظباء فيأتى البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها ؟ فقال : فمن أعدى الأول .

والرسول ﷺ يريد بهذا أن يربى شخصية سوية بعيدة عن الوهم والكهانة والتواكل والدعة وأحلام اليقظة وإنا لنقدم هذه الصورة إلى غلاة المستشرقين وتلاميذهم فى الشرق الإسلامى الذين يرمون الإسلام والمسلمين بتهمة التواكل لإيمانهم بالقضاء والقدر ويربطون بين تخلف المسلمين المعاصر وعقيدتهم التى لم يفهمها بعد أهل الفكر الغربى بشقيه الأساتذة المستشرقين وتلاميذهم المستغربين .

فإن الإسلام يحاول أن يقلع من خلايا عقل المسلم وسويداء شعوره فكرة الأسطورة وأحلام اليقظة والركون إلى أوهام الكهان وخزعبلات التقاليد الجاهلية والعادات المذمومة ، كما يحاول الإسلام أن يقدم للبشرية شخصية سوية تؤدى واجبها بإرادتها وسعيها مع توكل على الله ، لأنه جل جلاله صاحب الملك والملكوت ولا يقع فى ملكه إلا ما أراده ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة .

لا عدوى : الكل يؤمن أن الوقاية خير من العلاج فذلك أمر فطرى وقد حرص الإسلام على توسيع فكرة الوقاية خير من العلاج فى قول النبى ﷺ :« لا توردوا المرض على المصح» ويقول ﷺ :«وفر من المجذوم كما تفر من الأسد». وقد أدرج سيدنا عمر رضى الله عنه هذا الحرص من الإسلام فقال قولته الشهيرة : نفر من قضاء الله إلى قضاء الله .

غير أن العدوى أخذت شوطا كبيرا فى معامل كليات الطب ومراكز الأبحاث الطبية فهى موجودة بالفعل وتعانى وزارات الصحة من تطعيم الناس للوقاية من الإصابة بالأمراض المعدية فالوقاية من الأمراض المعدية داخل فى الأسلوب الإسلامى الوقاية خير من العلاج وفر من المجذوم ولا تورد ممرض على مصح فكيف يتوجه اللفظ النبوى (لا عدوى) .

وقد تحدث العلماء حول هذا الموضوع أحاديث جمة فقالوا : لا عدوى تؤثر بذاتها دائما بفعل الله أو لا عدوى لصاحب المناعة أو لا عدوى مطلقا فالمرض ينشأ عند كل فرد ابتداء يدل عليه أن العدوى لو كانت بذات فاعليته لما انتهت واستمرت ومرض الجميع وما كان هناك برء من داء .

وقيل لا عدوى فى بعض الأمراض وبعضها فيه عدوى كالجذام والجرب للملامسة والمخالطة والحق أن هذا الموضوع يحتاج إلى دقة فى التصور الإسلامى لموضوع الأسباب هل هى مؤثرة بذاتها أو بغيرها ؟ والذى

لا طيرة ولا صفر

يستطلع آيات القرآن الكريم يتأكد أن السبب ليس مؤثرا بذاته .

فهناك سبب ناقص وقد أنتج مثل دعاء سيدنا زكريا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا . وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ .

فكان الجواب ، ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا . قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ ، ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ .

فرزقه الله ولدا على غير أمل لضعف السبب المباشر لكن بقدرة الله وحده نتج عن السبب الضعيف ما أراده الله استجابة لدعاء سيدنا زكريا عليه السلام .

وهناك سبب كامل ولم ينتج مثل : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ ﴾ فهل أحرقته النار ؟

المعروف أن سيدنا إبراهيم لم تحرقه النار لأن الله قال لها ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

لقد نجاه الله تعالى من النار مع أن السبب كامل ولم يؤثر لأن الله جل جلاله عطل السبب عن وظيفته وهو جل جلاله بديع السموات والأرض .

من خلال هذا التصور على المسلم أن يدرك معنى « لا عدوى » يعنى ليس هناك (ميكروب) يؤثر بذاته وإنما هى مقادير الله سبحانه وتعالى ومع هذا فالمسلم الذى يؤمن بهذه الحقيقة مطالب :

١ - بالوضوء والأفضل أن يكون لكل صلاة .

٢ - والاغتسال سنة وفرضا .

٣ - وتنظيف الأطراف التى ابتلى الله بها سيدنا إبراهيم وجعلها سنة فى البشرية من بعده .

٤ - واتخاذ الزينة الطيبة عند كل مسجد .

٥ - ولبس الجديد عند كل عيد .

٦ - ولبس الثياب النظيف الأبيض كل يوم جمعة .

فأسباب الوقاية من الأوبئة مرعية على مستوى الوجوب والسنة ولو أن المسلمين أخذوا بتوجيهات الإسلام وحافظوا على قيمه لما حل بهم ما هم عليه الآن من التخلف والضعف والهوان .

فلا ينبغى عقلا وفهما أن يقاس الإسلام بحال المتخلفين لأنهم انتسبوا إلى دين راق ولم يأخذوا بقيمه الرفيعة . وتعاليمه السامية .

أسأل الله تعالى أن يفقهنا فى دينه وأن يحفظنا بالاستعانة على شرعه وأن يهدينا سواء السبيل .

والله أعلم

(أ . د/ رءوف شلبى)
وكيل الأزهر

تطوير الكفاءة القتالية

لجيش الإسلام فى عصر النبوة

وآثاره الاستراتيجية

لــواء ا. ح
محمد جمال الدين محفوظ

الإسلام والتطوير :

● من أهم ما يتعين على الأمة الإسلامية أن تتدبره فى هذا العصر الذى تتطور فيه أسلحة الحرب وأساليب القتال تطورا مذهلا تقطع الأنفاس ملاحقته ، هو توجيهات الإسلام فى مجال تطوير القوة .

ففى هذه التوجيهات أقوى الحوافز التى تدفع الأمة بكل قواها نحو طىّ مسافة التخلف واللحاق بمقتضيات هذا العصر ، وكل عصر .

● والحق أن القرآن الكريم لم ينبه عقول المسلمين وقلوبهم إلى شىء بعد التوحيد مثلما نبههم إلى سنة التطوير ، وقد دعاهم إلى كشف آثار هذه السنة والانتفاع بها ، وحذرهم من تجاهلها أو الوقوف فى وجهها ، قال تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . (يونس ١٠١) ونعى على المقلدين وعلى الذين يأبون التطور ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ . (البقرة ١٧٠) .

● ثم إن المنهج العلمى « منهج الاستقراء » فى الملاحظة والتجربة والتفكير المنظم ، وأساس كل ابتكار وتقدم : « منهج إسلامى » ، وهو المنهج الذى قامت عليه الحضارة الحديثة كما يشهد التاريخ والمنصفون من علماء الغرب . فلو تأملنا التكليف القرآنى بإعداد القوة فى قول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ . (الأنفال ٦٠) لوجدنا ما يلى :

←

← تطوير الكفـاءة القتالـية

(١) أنه تكليف « قائم » و « باقٍ » حتى تقوم الساعة .

(٢) وورود لفظ « قوة » منكرًا دون تقييده بشكل معين ، يقضي منطقيا أن « تتطور القوة » في شكلها ونوعها وتركيبها وأساليب استخدامها لتناسب روح العصر الذي يحتويها .

(٣) والأمة الإسلامية إن لم تفعل ذلك ، ولم تأخذ بأسباب التطور والتقدم ، تخلفت عن مقتضيات عصرها ، وفقدت قوتها التي أمرها الله بإعدادها فعاليتها وقيمتها ، وعجزت عن إرهاب الأعداء ، وتعرضت الأمة للخطر والهلاك .

سنة الرسول القائد :

وعلى الأمة الإسلامية بعد ذلك أن تتدبر ما جرت عليه سنة رسول الله ﷺ في هذا المجال ، فلقد كان عليه الصلاة والسلام حريصا كل الحرص على ملاحقة عصره في مجال تركيب الجيوش وكفاءتها القتالية وتطويرها ، وقد اتخذت عمليات التطوير والدعم عدة اتجاهات نذكر منها ما يلي :-

(١) تطوير القوة الضاربة وزيادة خفة الحركة للجيش .

(٢) تطوير القوة البشرية .

(٣) تطوير مستوى الرمي (قوة النيران) .

(٤) تطوير التسليح .

(٥) اكتساب الخبرات القتالية في جميع أشكال العمليات .

أولا : تطوير القوة الضاربة وزيادة خفة الحركة للجيش

● « القوة الضاربة » هي تلك القوة من التشكيلات المقاتلة التي تستخدمها القيادة لتوجيه الضربات التي تحدث خللا في توازن العدو وتساعد على القضاء عليه ، وكانت في عصر النبوة (القرن السابع الميلادي) تتكون أساسا من الفرسان راكبي الخيول .

● والباحث المدقق يجد أن القوة الضاربة في الجيوش الكبرى المعاصرة لظهور الإسلام وهي جيوش فارس وبيزنطة كانت تتكون من الفرسان ، وأن الاستراتيجية العسكرية لكل من هاتين الدولتين العظميين كانت تستخدم نظرية « قوة الصدمة » التي يحدثها الفرسان حاملو الرماح في القتال .

● فإذا ما نظرنا إلى جيش الإسلام في عصر النبوة ، فسوف نجد أنه بدأ بلا قوة ضاربة ، ففي غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة كانت قوة المسلمين ثلثمائة وبضعة عشر كلهم من الراجلين (المشاة) ولم يكن معهم سوى فرسين اثنتين وهو شيء لا يشكل قوة على أي نحو ، فالنسبة أقل من واحد بالمائة إلى مجموع الجيش ، فهل بقي الجيش على هذه الحال ؟

● لقد بلغ عدد الفرسان في قوة جيش المسلمين في غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة عشرة آلاف فارس وكان مجموع الجيش ثلاثين ألفا ، أي أن نسبة الفرسان إلى مجموع الجيش قفزت إلى نسبة الثلث (٣٣,٣٪) وقد حدث هذا التطور خلال فترة زمنية لم تتجاوز سبع سنوات . (من السنة الثانية إلى التاسعة من الهجرة) . (انظر اللوحة) .

كيف طور الرسول القوة الضاربة ؟

١ ـ تشجيع المسلمين على اقتناء الخيل :

لقد رغب عليه الصلاة والسلام المسلمين فى اقتناء الخيل ، ومن ذلك أنه جعل للفرس سهمين ـ عند توزيع الغنائم ـ ولصاحبه سهما ، وجعل للراجل (المشاه) سهما واحدا ، وذلك لكى يعين الفارس على إعاشة فرسه وإعدادها للحرب فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهما قال فسَّره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم فإن لم يكن له فرس فله سهم . (رواه البخارى) .

وكان من أثر ذلك أن كان بعض الفرسان الأشداء يخرج للقتال بفرسين يحارب عليهما ويأخذ أسهمهما كما فعل الزبير بن العوام فى غزوة حنين وفى حروب الشام المختلفة ، فقد روى الشافعى من حديث مكحول : « أن النبى ﷺ أعطى الزبير خمسة أسهم لما حضر خيبر بفرسين » .

واقتنى المسلمون كثيرا من الخيول وأعدوا أكثرها للجهاد فى سبيل الله حتى كان لعروة البارقى الصحابى سبعون فرسا لهذا الغرض وهو الذى روى الحديث الشريف : « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم » (رواه الشيخان) .

٢ ـ شراء الخيول من حصيلة الغنائم :

ولتوفير المزيد من الخيل للجيش فقد استخدم المسلمون حصيلة الغنائم فى بعض

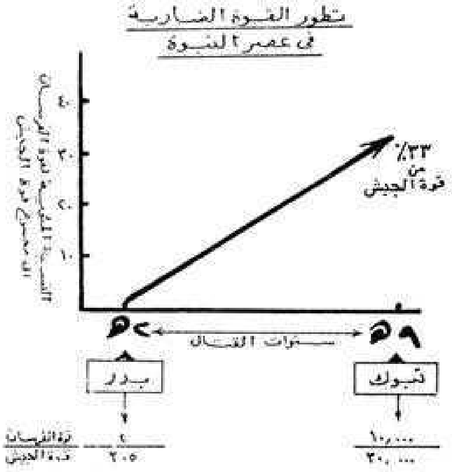

الغزوات فى شراء الخيول ، ومن ذلك أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا »[1] .

٣ ـ تدريب المسلمين على الفروسية :

وحث الرسول ﷺ على ترويض الخيل والفروسية وفنون القتال عليها فقال عليه الصلاة والسلام : « عاتبوا الخيل فإنها تعتب » أى أدبوها وروضوها للحرب والركوب فإنها تتأدب وتقبل العتاب (النهاية فى غريب الحديث والأثر) .

ومن صور تشجيعه عليه الصلاة والسلام للمسلمين فى هذا المجال إجراء المسابقات ومكافأة الفائزين فيها ، فعن ابن عمر رضى

←

(١) ابن هشام السيرة النبوية : تحقيق مصطفى السقا وآخرين ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ـ ١٣٧٥ هـ القاهرة ـ القسم الثانى (حـ ٣ ، ٤) ص ٢٤٥ .

تطويـر الكفـاءة القتالـية

الله عنهما : « أن النبى ﷺ سابق بين الخيل وأعطى السابق » (رواه أحمد) .

٤ ـ حث المسلمين على رعاية الخيل :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « نهى رسول الله ﷺ عن إخصاء الخيل والبهائم ، ثم قال ابن عمر : فيهما نماء الخلق » (رواه أحمد) وكانت العرب فى الجاهلية تجز ناصية الفرس (أى شعر مقدم الرأس) إعلانا وإيذانا بالثأر ، فدعا الرسول ﷺ إلى نبذ هذه العادة .

ثانيا : تطوير القوة البشرية

وقد أخذ تطوير القوة البشرية لجيش الإسلام وتنميتها اتجاهين : الأول من حيث الكفاءة النوعية عن طريق رفع مستوى التدريب القتالى ، والثانى من حيث زيادة حجم الجيش .

١ ـ التطوير النوعى للقوة البشرية :

فقد عنى الرسول ﷺ بتدريب رجاله على السلاح والرماية وفنون القتال على الخيل وعلى ألوان التربية البدنية والرياضية التى تبنى الجسم القوى السليم ، وقد طبق عليه الصلاة والسلام فى هذا المجال مبدأ هاما هو « الاستمرار » فى التدريب بلا انقطاع ، الأمر الذى يؤدى إلى رفع مستوى الكفاءة القتالية إلى الأفضل دائما . وقد حذر عليه الصلاة والسلام المسلمين من الانقطاع عن التدريب

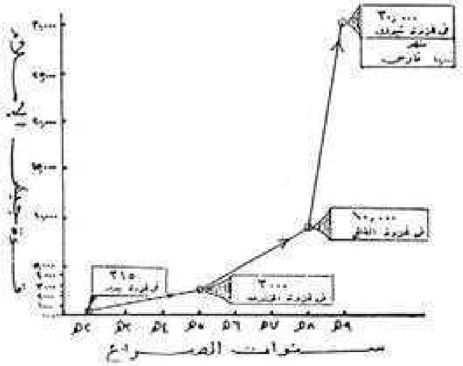

فقال : « من علم الرمى ثم تركه فليس منا ، أو فقد عصى » (رواه أحمد ومسلم عن عقبة ابن عامر) .

أضف إلى ذلك عنايته ﷺ بتعليم المسلمين القراءة والكتابة ومحو أميتهم ، فقد أمر كل أسير كاتب من المشركين من أسرى بدر أن يعلم عشرة من الصحابة الكتابة والقراءة ، وجعل هذا سبيل تحرره وإطلاق سراحه ، فعن ابن عباس قال : « كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل لهم رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة » (رواه أحمد) .

ثم إن الرسول ﷺ حرص على تدريب رجاله على فن التفكير والتعبير عن الرأى وحل المشكلات بالطريقة العلمية وذلك من خلال تطبيق مبدأ الشورى حتى قال عنه أبو هريرة رضى الله عنه : « ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ » (رواه أحمد والشافعى) .

٢ ـ التطوير الكمى للقوة البشرية :

كان حجم جيش الإسلام فى بدر فى السنة الثانية للهجرة ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ثم زاد إلى ثلاثة آلاف فى غزوة الخندق فى السنة الخامسة للهجرة ، وإلى عشرة آلاف فى غزوة فتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة ، ثم قفز إلى ثلاثين الفا فى غزوة تبوك فى العام التاسع للهجرة .

ويرجع هذا التطور فى حجم القوة البشرية للجيش الإسلامى إلى ما يلى :

(١) انتشار الإسلام بعد الهجرة وزيادة حجم الجيش بالتالى .

(٢) فى العام السادس للهجرة عقدت هدنة الحديبية ، وقد كان من أهم نتائجها الاستراتيجية أن يزداد الإسلام انتشارا ، وفى ظل هذا المناخ المستقر زادت قوة الجيش إلى درجة لم يكن ليبلغها من قبل ، ففى أقل من ثلاث سنوات بلغت عشرة آلاف مقاتل عند فتح مكة فى السنة الثامنة للهجرة .

(٣) وأخيراً كان من أهم الآثار الاستراتيجية لفتح مكة واستسلام العدو الرئيسى للإسلام (قريش) أن اقبلت القبائل العربية على الدخول فى الإسلام حيث كان منها من كانت من قبل تخشى بطش قريش ، وهكذا قفزت قوة الجيش فى خلال عام واحد إلى ثلاثة أمثالها (من عشرة آلاف فى فتح مكة عام ٨ هـ إلى ثلاثين ألفا فى تبوك عام ٩ هـ) (انظر اللوحة) .

ثالثا : تطوير مستوى الرمى (قوة النيران)

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : « صعد رسول الله ﷺ المنبر يوما فقرأ قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ ثم قال : الا إن القوة الرمى ، إن القوة الرمى ، إن القوة الرمى » (رواه مسلم) وبذلك يقرر عليه الصلاة والسلام أن « الرمى هو جماع القوة » ولقد اشتهر الفرس بالمهارة الفائقة فى الرماية ، يقول الطبرى : « بلغ من مهارة الفرس فى الرماية أن أحدهم كانت ترفع له الكرة فيرميها ويشكها بالنشاب » (أى السهم) وقد أدرك الرسول ﷺ تفوق الفرس على العرب فى هذا المضمار فقال لأصحابه عنهم : « هم أقوى منكم رمية »[٢] ، فهل وقف المسلمون أمام هذا التفوق مكتوفى الأيدى ؟

إن المتأمل فى سنة الرسول ﷺ فى حث المسلمين على التدريب على الرمى يكشف عن حرصه عليه الصلاة والسلام على رفع مستوى كفاءتهم فى الرمى إلى أقصى حد على نحو ما بينا فى تناولنا لتطوير الكفاءة النوعية للقوة البشرية .

رابعا : تطوير التسليح

● وحرص الرسول ﷺ على تزويد الجيش بالأسلحة المعاصرة والتى لم يألفها من قبل

←

---

(٢) التراتيب الإدارية للإدريسى ط فاس ١٣٤٦ هـ حـ ١ ص ٢٧٨ .

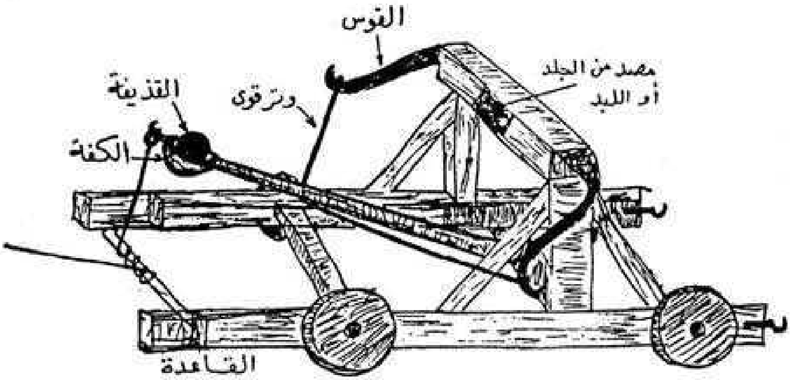

منجنيق لقذف الأثقال

وعلى تدريب المسلمين عليها ثم استخدامها فى القتال الأمر الذى ينطوى على تطوير فى أساليب القتال . ايضاً وفى الكفاءة القتالية للجيش بالتالى .

● فجيش المسلمين لم يكن لديه أسلحة الحصار أو دك الحصون والاسوار ، وهذه الأسلحة كانت لدى الجيوش الكبرى فى ذلك الوقت (فارس وبيزنطة) وقد حصل المسلمون على هذه الأسلحة من خلال ما يلى :-

(١) فى غزوة خيبر فى المحرم من السنة السابعة للهجرة وجد المسلمون فى أحد حصون خيبر وهو حصن الصعب أسلحة ثقيلة دبابات ومنجنيقا غير الدروع والسيوف وقد ورد فى بعض كتب السيرة أن المسلمين نصبوا المنجنيق الذى وجدوه فى حصن

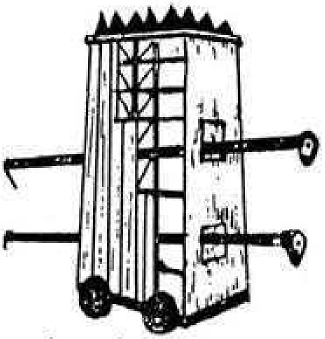

دبابة مزودة برأس الكبش

الصعب على أحد حصون منطقة الشق مما ادى إلى تسليم اهله ، ويرجح هذا القول أن ابن خلدون روى أن الرسول هَمَّ بنصب المنجنيق على خيبر فلما ايقنوا الهلكة سألوه الصلح[٣] .

(٢) واستخدم المسلمون فى حصار الطائف المنجنيق والدبابات فى شوال من

(٣) السيرة الحلبية حـ ٢ ص ٧٤٣ نقلا عن المقريزى + تاريخ ابن خلدون حـ ٢ ص ٢٤١ .

السنة الثامنة للهجرة ، وقد كان لبنى دوس (إحدى القبائل المقيمة بأسفل مكة) علم بالرماية بالمنجنيق وبمهاجمة الحصون فى حماية الدبابات ، وكان أحد رؤسائها الطفيل بن عمرو قد صحب الرسول ﷺ منذ غزا خيبر ، وكان معه عند حصار الطائف ، فأوفده النبى ﷺ إلى قومه يستنصرهم ، فجاء بطائفة منهم ومعهم أدواتهم فبلغوا الطائف بعد أربعة أيام من حصار المسلمين إياها[٤] .

(٣) وحرص الرسول ﷺ على أن يتعلم المسلمون صنعة الدبابات والمنجنيق وغيرهما من الأسلحة الثقيلة ، قال ابن إسحاق : « ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عُروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة ، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور »[٥] .

● ولقد غنم المسلمون كثيرا من أسلحة القتال كالرماح والسيوف والقسى والدروع خلال بعض الغزوات وخاصة غزوات بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وخيبر ، وقد ورد فى المصادر أن المسلمين غنموا مما وجدوه فى حصون بنى قريظة : ١٥٠٠ سيف ـ ٢٠٠٠ رمح ـ ٣٠٠ درع ـ ٥٠٠ ترس وحجفة[٦] (وهى ترس من جلد بلا خشب ولا رباط من عصب) ووجدوا فى حصون خيبر كمية كبيرة من الأسلحة ومن ذلك أنهم وجدوا فى حصنى الوطيح والسلالم وحدهما : ٤٠٠ سيف ـ ١٠٠٠ رمح ـ ١٠٠ درع ـ ٥٠٠ قوس عربية بجعابها .

● على أن المسلمين لم يكتفوا فى تطوير قوتهم بملاحقة عصرهم فى أسلحة القتال من خلال « نقل التكنولوجيا الحديثة المعاصرة » على النحو الذى ذكرناه ، بل إنهم ـ وهو ما نوجه النظر إليه ـ تناولوا هذه الأسلحة بالتحسين والتطوير والتعديل على يد الخبراء من أبنائهم الذين تعلموا تلك الصناعة وأتقنوها ، فكان لها أثرها الواضح فى حصارهم للمدن المحصنة ذات الأسوار العالية فى حروب العراق والشام وفتح مصر .

وقد اعترف بذلك الإمبراطور البيزنطى « ليو » الذى حكم بيزنطة فيما بين عام ٨٨٦ إلى ٩١٢ ميلادية مع ما عرف عنه من تعصب ضد العرب والمسلمين ، فقد نقل عنه فون كريمر فى كتابه « الشرق تحت حكم الخلفاء » أنه قال : « إن الجندى العربى ما كان يفترق عن الجندى البيزنطى فى المؤن والسلاح » .

خامسا : اكتساب الخبرات القتالية فى جميع أشكال العمليات

يقول كلاوزفتز : « يمكن للقوات العسكرية المدربة جيدا أن تقوم بجميع الأعمال العسكرية »[٧] . ولقد أثبت المسلمون عمليا من خلال الغزوات التى قادها الرسول ﷺ ، والسرايا التى تولى قيادتها الصحابة رضوان الله عليهم ، أنهم قادرون على القيام بكفاءة عالية بأعمال القتال التالية على سبيل المثال :

---

(٤) محمد حسين هيكل : حياة محمد ـ دار الكتب المصرية ١٣٥٤ هـ القاهرة ص ٥٢٠ ـ ٥٢١ .

(٥) ابن هشام : السيرة النبوية القسم الثانى (حـ ٣ ، حـ ٤) ص ٤٧٨ (وجرش : مدينة تقع شرقى جبل السواد من أرض البلقاء وحوران من أعمال دمشق) .

(٦) السيرة الحلبية حـ ٢ ص ٦٦٦ .

(٧) ليدل هارت ـ الاستراتيجية ، الاقتراب غير المباشر ـ ط البحوث العسكرية ص ١٣٥ .

تطويــر الكفــاءة القتالـــية

(١) العمليات الدفاعية : مثل غزوة بدر واحد والخندق .

(٢) العمليات الهجومية والإغارات : مثل غزوة بنى سليم ـ ذى أمر ـ بحران ـ ذات الرقاع ـ دومة الجندل ـ بنى المصطلق ـ بنى لحيان ـ فتح مكة ـ حنين ـ تبوك .

(٣) عمليات المطاردة : مثل غزوة السويق ـ حمراء الأسد ـ ذى قرد .

(٤) عمليات الحصار والقتال فى القرى الحصينة : مثل غزوة بنى قينقاع ـ بنى النضير ـ بنى قريظة ـ خيبر ـ الطائف .

(٥) مفارز (دوريات) الاستطلاع والقتال مثل : غزوة ودان (الأبواء) ـ بواط ـ العشيرة .

● فنجاح المسلمين فى هذه العمليات المنوعة شهادة من التاريخ على ما كان يتمتع به جيش الإسلام الأول من كفاءة قتالية عالية ودليل ناصع على أصالة نظريـات العسكريـة الإسلامية التى تعلمها المسلمون ودربوا عليها على يد الرسول القائد ﷺ ، فليس من شك فى أن المعارك القتالية هى المحك الرئيسى الذى تظهر فيه قيمة النظريات والعقائد الحربية .

● ثم إن المسلمين من خلال الغزوات والسرايا قد اكتسبوا خبرات قتالية فى مواجهة القوات غير المنظمة (كالمشركين واليهود) وفى مواجهة الجيوش المنظمة (الروم) وعلى أساس هذه الخبرات أصبحوا مؤهلين عسكريا لمواجهة الفرس والروم بعد عصر النبوة .

الآثار الاستراتيجية لتطوير الكفاءة القتالية لجيش الإسلام الأول

اولا : تامين الدعوة وقيام الدولة الإسلامية :

● فقريش العدو الرئيسى ، اقبلت على الإسلام بعد أن ظلت عشرين عاما تصد عن سبيل الله بكل أساليب الضغط والإيذاء والحرب .

● والمستضعفون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، عادوا إلى بلادهم تحت أعلام الإسلام والسلام .

● وأتم الرسول ﷺ فى أول يوم لفتح مكة ما دعا إليه منذ عشرين عاما وما حاربته قريش أشد الحرب فيه ، أتم تحطيم الأصنام والقضاء على الوثنية فى البيت الحرام .

● وتمت كلمة ربك فى شبه الجزيرة العربية ، وتوافر الأمن والاستقرار للدولة الإسلامية لأداء رسالتها السامية لخير البشرية .

ثانيا : استعداد المسلمين لمواجهة الفرس والروم :

فالرسول ﷺ لم يلق ربه إلا وكان جيش الإسلام معدا لمواجهة القوتين العظميين فى عصره فارس والروم ، وقد وقعت هذه المواجهة على الفور ومنذ عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

البحث عن

الديانات القديمة

٢

د. عبد الجليل شلبى*

ما كاد العالم الأثرى الكبير « رولنسون » يعلن عن توصله إلى حل رموز الكتابة البابلية والفارسية القديمة حتى توالت الرحلات الكشفية إلى ارض الرافدين ، وتسابق علماء الآثار من انجلترا وفرنسا والمانيا وروسيا إلى هذه الاراضى وإلى آسيا الصغرى يبحثون عن المخلفات المطمورة تحت الأرض ، وقد عثروا ومازالوا يجدون آثارا قيمة تكشف عن حضارة الأمم المتوالية التى عمرت هذه البلاد ، وتلقى مزيدا من الضوء على التاريخ البابلى ، وصلة الحضارة والفكر البابلى القديم بالكتاب المقدس وديانة اليهود .

وأشهر المستكشفين الأثريين الذين برزوا فى هذا الميدان : بوتا ، ولايارد ، ووريش ، وأوبرت ، وسارزك .. ولسنا بحاجة إلى التعريف بهم ، ولكن ستأتى أعمال منسوبة إليهم .

كان بوتا Botta العالم الفرنسى يعمل فى أرباض نينوى بين عامى ١٨٤٣ ، و ١٨٤٦ م فكشف عن ألواح فخارية عليها كتابة مسمارية لم يستطع أن يحل رموزها ، وتركت للباحثين ـ اتباع شامبليون ـ كى يصلوا إلى محتوياتها .

وفى منتصف القرن التاسع عشر ـ وفى وقت قريب من وقت بوتا ، كشف لايارد عند نينوى ونمرود Nimrud امكنة أثرية أخرى تحوى

←

(*) الكاتب : الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية .

آثارا قيمة ، ثم عثر آخرون على آثار أخرى توضح حضارات الرافدين القديمة .

ولا يعنينا أن نقف عند الآثار الكثيرة التى كشفت ، وإنما يعنينا الجانب الدينى ، وأيضاً لا نقف عند كل الآثار الدينية ، **(وحسبنا مما يتصل بالكتاب المقدس قصة الطوفان وقوانين القصاص والحياة الاجتماعية . وكانت قصة الطوفان البابلى اهم ما اثار علماء الآثار ودفع بهم إلى هذه الأراضى ، وكانت هذه الحملات كلها فى وقت متقارب هو اواسط القرن التاسع عشر ، ولم تنقطع الأعمال الحفرية إلى الآن)** .

فى سنة ١٨٥٩ م عثرت الحملة التى كان يقودها رولنسون على قصر كبير فى أرباض نينوى ، وكان هذا القصر هو الاستراحة الملكية لآشور بانيبال - رأس الأسرة الآشورية والذى حكم بين سنتى ٦٦٨ ، ٦٢٦ ق م . وقد أحرز هذا الملك انتصارات حربية ، ولكن الشهرة التى خلدته هى شهرة مكتبته الكبيرة التى حوت آداب البابليين وثقافتهم ، وأسفار هذه المكتبة الواح من الطين نقش عليها ، وهى طين غض ، كتابات مسمارية ، ثم أحرقت حتى جمدت وثبتت عليها نقوشها فلا تمحى ولا تبهت ، ومحتويات هذه المكتبة خليقة بالتقدير ، بها دين وتاريخ ورياضيات وفلك ، وقوانين عامة منوعة ، ووثائق تاريخية عامة ترجع إلى مئات السنين قبل آشور بانيبال ، وقد كان هذا الملك عالما حصيفا جمع قوانين السابقين ونسقها ، وقد ماتت معه مملكته ودفنت كنوزه معه ، وكانت ثرية جداً ، أخرج رولنسون منها اكثر من عشرين الفا من الألواح ، وهى الآن فى المتحف البريطانى ، ونقلت صوراً منها المتاحف الأخرى .

وفى سنة ١٨٧٢ م أعلن جورج سميث الذى كان مشغولا بحل هذه الرموز المسمارية أن لوحا منها يحوى قصة الطوفان ، ووجد أنها ذات شبه كبير بقصة (طوفان نوح) التى جاءت فى التوراة ، وليس المهم هو مجرد ذكر القصة ، ولكن التفاصيل الكثيرة من الوحى ببناء السفينة وفيضان الماء وصفات السفينة ورسوها .. الخ - تشترك فى القصتين .

فهناك اثنتا عشرة لوحة تروى ملحمة النمرود ، وتدور حوادثها على مغامرات بطل شجاع يدعى (جالجاميش gilgamish) وهو يقابل أوديس بطل الأوديسا اليونانية ويقابل شخصية نوح فى الكتاب المقدس ، وقد شغل حديث هذه القصة اللوحة الحادية عشرة كلها ويرجع التاريخ الذى كتبت فيه هذه اللوحة إلى سبعة قرون . ق . م . ولم يكن العبرانيون قد وجدوا بعد .

تذكر القصة البابلية أن الآلهة غضبوا على اهل الأرض ، وعزموا على افنائهم بالغرق ، وجاء إله الأرض - إى - Ea فأنذر يوت نابشتيم Ut - Napishtim هذا التقى الورع أن ينجو بقومه بصنع سفينة كبيرة تسعهم وكل ما يحتاجون إليه ، ففعل : صنع السفينة وطلاها بالقار وأدخر فيها طعاما وماء كافيين ، ثم أدخل فيها كل أنواع الكائنات الحية ، ثم أخيرا دخل مع أسرته . ثم جاءت العاصفة

فاستمرت سبعة أيام . وفى نهاية اليوم السابع نظر البطل من كوة فرأى الأرض . ثم رست السفينة على قمة الجبل .. نذير Nazir - وبعد سبعة أيام أخرى ، أطلق - يوت نابشتيم - حمامة وعصفورة وغرابا - وعادت الحمامة والعصفورة ، ولكن الغراب لم يعد ، ثم أخرج سائر الحيوانات ، وعلى رأس الجبل قدم الضحايا والقرابين للآلهة .

هذه خلاصة القصة . وتفاصيلها شائقة القراءة ، ولا تخلو من ألفاظ جارحة ونقتطف منها بعض فقار طبقا للترجمة الانجليزية ، ففى الإنذار بالفيضان جاء الانذار والتوجيه إلى بطل القصة هكذا .

اهدم بيتك وابن سفينة ، واطرح كل ممتلكاتك ، لتستبقى الحياة والأرواح ، اصعد إلى السفينة واحمل فيها بذور كل شىء حى .

اجعل أبعاد السفينة متساوية طولا وعرضا وعمقا . واجعل لها سقفا .

وأحضر البطل ألواح السفينة ، وقدر سعتها بما يقرب من فدان ، وأضاف لها سبعة أسطح جانبية ، وقسم السفينة - طبقا لما أمر به - سبعة أقسام أو تسعة ، ثم أحكم ألواحها بالقار .

وعند انبثاق الخيوط الأولى للفجر ارتفعت سحب سوداء فى الأفق ، ثم انفجرت الرعود حتى ذعرت الآلهة ، وصعدت إلى السماء العليا عند الإله الكبير أنو Anu - وهى ترتعد كالكلاب ، وكان الإله (اشتار) يصرخ كالنساء .

واستمرت ثورة الطبيعة كمعركة الجيش سبعة أيام ، وبنهاية اليوم السابع بدأت العاصفة تهدأ وانقطع المطر ، وبدأ الماء يتناقص ، ونظر القائد فوجد الأرض الفضاء مستوية أمامه ، وقد انطمرت أجساد الآدميين تحت الطين وصارت طينا ، وفتح كوة فسقطت أشعة الشمس على وجهه ، وأحزنه هذا المصير فأخذ يبكى ، ووجد ربوع المملكة ومقاطعاتها الأربع عشرة قد انطمرت .

ثم ظهر جبل نذير ورست عليه السفينة يوما وثانيا .. وسابعا ، والسفينة قارة راسخة .

يقول بطل الرواية :

فى اليوم السابع أطلقت حمامة ، فذهبت وعادت لأنها لم تجد مكانا تستقر عليه - ثم أرسلت عصفورة فذهبت أيضاً ثم عادت ، ثم أرسلت غرابا فوجد أن الماء قد تناقص فحلق هنا وهناك وتعب ما شاء ، ولم يعد . ثم أطلقت بقية الحيوانات ، وقربت الضحايا وأقمت لها المحارق ، وتصاعدت رائحة الشواء فجاءت الآلهة من كل صوب تتهافت على القتار كأنها الذباب .

ومن يقرأ قصة الطوفان فى الإصحاحات السادس والسابع والثامن من سفر التكوين يجد أن بين القصتين مشابهات كثيرة واختلافات قليلة ، وسفر التكوين لم يورد الآلهة الكثيرة ، ولكن به إنذار نوح ، وغضب الرب على أبناء آدم وعزمه على إبادتهم بالغرق ، ثم بناء السفينة ذات المقاييس

←

والسطوح ، وحمل المخلوقات بها ، وإطلاق الطيور الثلاثة .. كل ذلك متحد فى القصتين . وأوجه التشابه كثيرة ، وإن شئت فالقصة هى القصة والاختلاف فقط فى التفاصيل والإضافات التى رتبت الأحداث الكبرى .

ولاتخلو القصة البابلية من اضطراب ، فهى بعد أن تذكر ظهور الأرض مستوية واستحالة الأجسام البشرية وغير البشرية إلى طين ، تعود فتذكر أن الطيور لم تجد مكانا بارزا من الأرض كى تستقر عليه .

ومن هنا ذهب الدارسون إلى أن القصة العبرانية منقولة ، ولا مجال لأخذ البابليين من العبريين لأنهم أسبق منهم[1] .

وقد ذكرت قصة الطوفان بشىء من التفصيل فى القرآن الكريم فى سورة هود ، وجاءت إشارات إلى غرق قومه فى غير سورة . وانفرد القرآن بذكر قصة ابن نوح الذى خالف أباه ، وقال « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » - وتحاشى القرآن أوصاف السفينة ، وكان طبيعيا - وهو كتاب التوحيد الا يذكر الآلهة العديدين ، وأن يتنزه عن ذكر الضحايا التى تغرى الآلهة حتى يتساقطوا عليها كالذباب .

ويتفق الدارسون على أن حادث طوفان قد حدث ، ويختلفون فى أوصافه وأحداثه ، وفى الألواح البابلية ذكر لأحداث طوفان أخرى قد حدثت ، مما حدا بالمؤرخين إلى القول بأن الأنهار فى أرض بابل كانت تفيض وتغرق بكثرة ، وأن هذا الطوفان الكبير كان أعظمها أثرا .

وإذا أغضينا عن البحث فى حقيقة الطوفان وأحداثه يأتى سؤال آخر ، هل كان طوفانا عاما أغرق العالم كله ، أم كان خاصا ببقعة من الأرض لم يتجاوزها إلى غيرها ؟

وهذا سؤال لم يجد بعد جوابا .

علماء الجيولوجيا يقررون أن طوفانا كهذا لا يمكن أن يعم جوانب الأرض ، وآخرون . ومنهم المرحوم عباس العقاد - يقولون : إن قوما معينين هم قوم نوح فعلوا ما يستحقون عليه الإغراق فما ذنب الآخرين الذين لم يفعلوا آثاما ، والذين لا علم لهم بنوح ولا قومه حتى يعاقبوا وإذن فلابد أنه كان طوفانا محليا .

وهل كانت الأرض كلها مأهولة فى هذا الوقت ، أم كانت البشرية التى انبثقت عن آدم لا تعدو هذا المكان ؟

وهناك شىء آخر ذو أهمية كبيرة ، وهو أن علماء « الانثروبولوجى » ، والباحثين عن أحوال البدائيين فى الجزر البعيدة والمنقطعة يجدون بينهم أحاديث عن طوفان غمر البلاد ، ولكن تختلف صورته بين قوم وآخرين . وقد نقلت القصة عن الهنود الحمر فى أمريكا بصور عديدة وهى كذلك منقولة عن سكان الجزر المنقطعة فى المحيطات .

وللآن لم يتوصل أحد إلى إجابة قاطعة ، ولم ينقطع البحث .

الدكتور / عبد الجليل شلبى

---

(١) أخرج الباحث الكبير جيمس . ب . بريتشارد كتابا عن « صلة نصوص الشرق الأدنى القديم بالعهد القديم . وصدرت كتب أخرى حول هذا الموضوع لعل أوسعها هو كتاب « الفولكلور فى العهد القديم » ترجمة نبيلة إبراهيم ، ونشر دار المعارف .

رسل الأزهر

في بلاد النيجر

للسيد السفير
جمال الدين محمود أبو العيون

٢

٣ ـ غزاة الصحراء

إذا كنت في النيجر ، وصافحت اذنيك كلمات لها رنين يذكرك ببعض الكلمات المتداولة عندنا في مصر ، فلا تحسبن ان مدلولها هناك كمدلولها في مصر ، ومثال ذلك كله الفولاني ، (فلان الفلاني) ، وكلمة الهوسا (بلا هوسة) والطوارق (من الطارق ، برى برى ، (البربرى) فهذه كلها اسماء لقبائل استوطنت النيجر منذ قديم الزمان . والعديد من هذه القبائل يؤكدون ان اصلهم من مصر . وسواء اكانت هذه حقيقة تاريخية ام انها من وحى الأساطير فإنها تدل على عمق الروابط التى تجمع بين الشعبين على مرّ العصور .

وسكان النيجر ، وعددهم ٥ ملايين نسمة تقريباً ، لا يمثلون جنساً واحداً ، وإنما هم اخلاط من أجناس شتى ، تدفقت عبر القرون من أطراف القارة المختلفة إلى قلبها ، سواء لأغراض اقتصادية أو سياسية أو دينية ، ولا تزال تلك الأجناس تحتفظ بلغاتها وخصائصها المتميزة حتى الآن على الرغم من تعايشها معاً على أرضها منذ آلاف السنين .

ويمكن بصفة مبدئية أن نقسم سكان النيجر إلى قسمين ، بدو رحل،وقبائل مقيمة .

أما البدو الرحل فهم؛ قبائل الطوارق والفولانية .

وأما القبائل المقيمة فهى: الهوسا والجرما ـ سونغاى ، بالإضافة إلى قبائل الكانودى (برى برى) والطوبو ، وهما أقلية تسكن أقاصى البلاد .. وإليك كلمة مختصرة عن كل جنس :

أما الطوارق ، فهم الملثمون سكان الصحراء ، وينتشرون فى دائرة كبيرة تشمل جنوب ليبيا والجزائر وموريتانيا وشمال النيجر ومالى ، ويحيط الغموض بتاريخهم ، فالبعض ينسب أصلهم إلى المصريين ، والبعض الآخر يقول : إنهم من شعوب البحر المتوسط الذين عبروا البحر هربا من الاضطهاد ، أو أنهم من البربر الذين يعيشون فى شمال أفريقيا ، وهم محاربون أشداء ، يسكنون الخيام ، ويركبون الجمال ، ويمضون حياتهم فى التجوال مع قطعانهم بحثاً عن المرعى . ولعل أصل اللثام عندهم هو وقايتهم من شرّ العواصف الشديدة المحملة بالرمال . والنساء بعكس الرجال تماماً ، فهنّ سافرات ، وتنسدل شعورهن الناعمة على أكتافهن ، وللمرأة عندهم نفوذ كبير ، وتؤدى دوراً هاماً في المجتمع ، فهى موضع الاستشارة في العديد من الأمور ، كما أن الجميع يحترمونها ويجلونها وللطوارق لغتهم الخاصة قريبة الصلة من البربرية ، كما أن لهم كتابتهم الخاصة التى لا يعرفها غيرهم .

والفولانية هم القسم الثانى من القبائل الرحل ، ويطلق عليهم أيضاً اسم « الفلاّتة » ، ويقولون : إن أجدادهم نزحوا من مصر فى عصور سحيقة ، وساروا بامتداد ساحل البحر المتوسط حتى وصلوا إلى غرب أفريقيا . والواقع أنهم يمتازون بجاذبية الوجه وجمال الأسنان وبريق العيون التى هى بالفعل أشبه بعيون المصريين ، وهم يمضون وقتاً طويلاً فى تزيين وجوههم وتسريح شعورهم المجدولة ولبس الحلىّ والمصاغ .

وننتقل الآن إلى القبائل المقيمة ، وأشهرها (الهوسا) ، وتُكتب في بعض الكتب العربية « الحوصا » ، وهم يمثلون أكثر من نصف سكان النيجر ، ويعيشون مستقرين في الجنوب ، ويعتبرون امتداداً للهوسا المقيمين فى شمال نيجيريا على الجانب الآخر من الحدود ، وهم يشتغلون بالزراعة ، وخاصة زراعة الذرة البيضاء ، والفول السودانى ، وبالصناعات الحرفية كالجلود والنسيج . كما ذاع صيتهم كتجار مهرة ، فهم يتجولون في وسط وغرب أفريقيا منذ قرون . ولغة الهوسا تكتب بأحرف عربية ، وتنتشر في بعض بلدان وسط أفريقيا .

وأخيراً هناك قبائل الجرما ـ سونغاى ، وهم يقطنون الجزء الغربى من البلاد ، ويمثلون حوالى ربع السكان ، ويقال : إن أصلهم من مصر ، ويمتازون بروحهم القتالية ، ويشتغلون بالفلاحة وتربية الحيوانات ، وخاصة الخيول ، كما أنهم ماهرون فى الإدارة .

وقد استطاع الإسلام أن يدخل هذه القبائل ، وأن يوحدها جميعاً ، قاضيا بالتدريج على العادات الوثنية التى ترجع هناك

إلى خلفية قديمة من المعتقدات الناجمة عن طقوس مرتبطة بالأرض وتقديس الأجداد ، وهكذا مهد الإسلام في هذه البلاد لرقى سريع جعلها في دائرة النور والتاريخ ..

٤ - الإسلام والاستعمار والاستقلال

أما قصة دخول الإسلام إلى النيجر فهى قصة دخوله إلى غرب افريقيا عامة ، حيث كانت تعيش القبائل الوثنية ذات الأصول واللهجات المختلفة متنافرة متحاربة حتى وصل الفتح الإسلامى إلى شمال وغرب القارة ، ومن ثم دخل التجار[1] المسلمون إلى تلك البقاع مجهولة التاريخ ، فاختلطوا بسكانها ، وتزوجوا منهم ، فأحبوا سماحة الإسلام ودخلوا فيه طائعين مختارين ، وكان لدولة المرابطين في المغرب العربي فضل كبير في نشر الإسلام الصحيح بينهم متفقهين بالمذهب المالكى ، حتى أنهم ليطلقون حتى الآن اسم « مَرَابُو » .. على العالم المتفقه في الدين أو المتصوف ، وهذا الاسم مشتق من كلمة « مرابط » .

وبفضل الإسلام دخلت الكتابة العربية ، وتوحدت البلاد ، وظهرت ممالك وامبراطوريات مزدهرة في بلاد النيجر الحالية ، فكانت هناك في الغرب امبراطورية .. « سونغاى » .. التى خلفت امبراطورية مالى القديمة ، وامتدت لتشمل أجزاء من النيجر ، وكانت عاصمتها مدينة (جاو) العظيمة ، وهى التى ورد ذكرها في كتب المؤرخين والرحالة العرب كمركز تبادل تجارى هام بين مصر وامبراطورية غانا القديمة وموقعها الحالى موريتانيا ، وتدين امبراطورية سونغاى بعظمتها إلى مؤسسها « سنىّ على برّ » وأيضا إلى « أزكية محمد » الذى أتم لها تنظيمها العسكرى والإدارى ، ولم تزل الامبراطورية قائمة حتى سقطت عام ١٥٩١ إثر تعرضها لهجمات عسكرية مغربية مسلحة .

وكانت هناك في الوقت نفسه امبراطورية منافسة في الشرق ، هى امبراطورية « كانم بورنو » ، إحدى أوسع امبراطوريات القارة ، وكانت تسيطر خلال وجود زعيمها « إدريس الأومة » عند نهاية القرن ١٦ على مناطق شاسعة حول بحيرة تشاد . وقد سقطت هذه الامبراطورية عام ١٨٩٣ . بعد عشرة قرون من قيامها على يد « رباح زبير » الذي كان حاكماً لإحدى الممالك المتاخمة .

وأخيراً كانت هناك عدة ممالك صغيرة من الهوسا مستقلة بعضها عن بعض ، وكانت كل منها تمثل مركزاً تجارياً وثقافياً مزدهراً ، وقد دخلها الإسلام منذ القرن (١٣) الثالث عشر ، ومعه الكتابة العربية . وبرغم الصراعات الداخلية بين هذه الممالك الصغيرة فقد استطاعت الصمود أمام هجمات امبراطوريتى السونغاى والبورنو اللتين كانتا من الناحية العسكرية أكثر استعداداً

---

[1] كان هؤلاء دعاة للإسلام استعانوا بشىء من التجارة حتى لا يكونوا كَلًّا أو عالة على أحد .

وتفوقا ، وأخيراً تم توحيد هذه الممالك وإدخالها كلها في الحكم الإسلامى في عام ١٨٠٤ بفضل الزعيم الفولانى الكبير السلطان « عثمان زان فوديو » سلطان سوكوتو .

الاستعمار الفرنسى :

وفى عام ١٨٩٩ بدأت أولى البعثات العسكرية الاستعمارية الفرنسية بمهاجمة تلك الممالك (الهاوسية) عندما أفلتت من سيطرة الفولانية ، كما استطاع الفرنسيون قتل رباح زبير عام ١٩٠٠ وبعثرة قواته التى كانت تسيطر على بورنو ، وعلى العكس من ذلك قابلت القوات الفرنسية مقاومة شديدة فى بلاد الجرما ومن قبائل الطوارق فى الأير التى استمرت فى كفاحها المسلح حتى بعد الحرب العالمية الأولى بشكل متصل .

وفى عام ١٩٠٠ اعتبرت النيجر أرضاً عسكرية ثم مستعمرة فرنسية عام ١٩٢٢ ، وكانت أول عاصمة لها (زندر) ثم انتقلت العاصمة إلى (نيامى) عام ١٩٢٧ .

وقصة الاحتلال الفرنسي للنيجر ليست سوى حلقة فى سلسلة الصراع الرهيب بين الدول الأوروبية الكبرى حول استعمار القارة البكر خلال القرن التاسع عشر ، وخاصة بين انجلترا وفرنسا ، حيث قام البريطانيون يستعمرون معظم شرقى أفريقيا في حين كان الفرنسيون يحتلون معظم غربيها ووسطها ، ويسيطرون على الأقاليم المعروفة باسم السودان الفرنسي ، وهى الممتدة من السنغال على المحيط الأطلنطى غرباً حتى حدود السودان المعروف حالياً شرقاً .

وبلغ الصراع بين الفريقين أشده عام ١٨٩٨ حين تقدمت القوات الفرنسية من وسط أفريقيا فى اتجاه السودان لاحتلال منابع النيل ، فتصدت لها القوات المصرية (تحت قيادة جيش الاحتلال البريطاني وقتئذ) عند فاشودة ، وبعد فترة مال الانجليز والفرنسيون للتهادن استعداداً لمواجهة عدوهما المشترك : (ألمانيا) فانسحب الفرنسيون من فاشودة ، ثم كان الوفاق البريطاني الفرنسى عام ١٩٠٤ وبموجبه أطلقت كل من الدولتين يد الأخرى فى ممتلكاتها بالقارة .

وظل الاستعمار جاثما بكل قواه على إفريقيا طوال الحرب العالمية الأولى وبعدها ، حتى إذا قامت الحرب العالمية الثانية كانت المستعمرات الفرنسية هى شاطىء الأمان الذي لجأ إليه الجنرال ديجول لمساندة حركة فرنسا الحرة ، وبعد الحرب سمحت فرنسا لمستعمراتها ومن بينها النيجر بإرسال نواب عنها إلى البرلمان الفرنسى . وفى عام ١٩٥٧ ، تم التصويت في باريس على قانون يخول الحكومة الفرنسية منح مستعمراتها فى أفريقيا بعض الاستقلال ، وبموجب هذا القانون أصبح للنيجر جمعية تشريعية ومجلس حكومي يرأسه الحاكم العام الفرنسى ويديره زعيم (حزب سوابا) : السيد « جيبو بخارى » .

وبعد عودة ديجول للحكم عام ١٩٥٨

أجرى استفتاء لاتخاذ قرار بشأن مستقبل الممتلكات الفرنسية فى أفريقيا ، فاختارت النيجر وغيرها الاستقلال الداخلي مع بقائها فى الأسرة الفرنسية الكبيرة (الفرنكوفون) .

واعتبر هذا الاختيار هزيمة لجماعة جيبو بخارى الذى كان يتوقع تصويتاً سلبياً للاستفتاء من شأنه أن يفتح امام البلاد فرصة للحصول فوراً على السيادة الوطنية ، فاضطر بخارى للاستقالة ، وحل محله منافسه (هامانى ديورى) الذي كان يشغل منصب نائب فى البرلمان الفرنسى .

واعلن ديورى فى ١٨ ديسمبر ١٩٥٨ الجمهورية ، ثم انتخب رئيساً للجمهورية عام ١٩٦٠ . وفى ٣ اغسطس من نفس العام أعلن استقلال النيجر بالاتفاق مع بقية زعماء الانتنت أو مجلس الوفاق (فولتا العليا وداهومى وساحل العاج) الذين اتبعوا نفس الطريق فى بلادهم ، وقد ظل هامانى ديورى فى الحكم حتى ١٥ ابريل ١٩٧٤ حين اقيل إثر انقلاب عسكرى تزعمه المقدم « سينى كونتشى » ، وبه بدأت صفحة جديدة في تاريخ البلاد .

يتبـــــع

جمال الدين ابو العيـــــون

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لـــــدى قطـــــاع الاشتراكات :

مؤسسة الأهرام ــ شـــــارع جـلاء ــ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

* جمهورية مصر العربية

ملیم	جنيه
٤٠٠	٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »

١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها .

* با[illegible] دول العالم .

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسســــة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

فضل الإسلام على البشرية

الإسلام دين الأنبياء والمرسلين ، والقرآن منهاج المصلحين المتقين ، وسيدنا محمد خاتم المرسلين وهو الذى أرسله ربه رحمة للعالمين والله يقول :
﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ . قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .
[سورة يونس - ٥٧ - ٥٨]

جاء الإسلام والناس - فى جاهليتهم - قد ضلوا الطريق إلى الله فاتخذ كلُ إلهه هواه ، ويومئذ خضعت للأصنام الأعناق والجباه ، وقدس الناس القوة والمال والجاه ، وتفاخروا بالأنساب والأحساب ، وتقاتلوا لأتفه الأسباب ، وبلغ الجور أشده ، ولم يؤت العقل البشرى رشده ، فعاشوا فى جهالات وضلالات حتى مَنَّ الله عليهم ببعثة رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام ، ونزول القرآن الذى بدل الله به ظلام الحياة نوراً ، وذل الأمين عزا والله يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (سورة النساء - ١٧٠) .

لقد كانوا يقولون : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (سورة المؤمنون - ٣٧) . وبلغ بهم الجحود أن اقسموا بالله لا يبعث الله من يموت : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ .. ﴾ (سورة النحل - ٣٨)

لذلك كانت الحياة الدنيا هى الأولى والآخرة لايهتمون إلا بها ، ومن هنا عاش الإنسان لنفسه وهو يجهل أن من عاش لنفسه فقط يصبح أنانياً انتهازياً ، ومن عاش لنفسه أنانياً عاش بُغير كرامة ، ولكن الإنسان لم يخلق ليعيش وحده وإنما وجد ليعيش لنفسه ولوالديه ولولده ولبلده وللأقربين وللناس أجمعين . فلا يعمل لنفسه بذاتية خاصة مطالبها شخصية كلها تتمتع وتأكل وتشرب ولا هم له إلا ماينفعه وحده !! فلما ظهر الإسلام ظهرت معه حقوق الإنسان كاملة غير منقوصة فللفرد على المجتمع حقوق لابد من كفالتها وعليه للمجتمع واجبات فى مقابل ذلك لابد من أدائها ، فمثلاً من حق الفرد أن يتمتع بالحرية لتكفل له كرامته وعزته وإنسانيته ولكن على أساس أن الناس

لفضيلة الشيخ

محمد حافظ سليمان

سواسية كأسنان المشط إلههم واحد هو الذى خلق ورزق وهو واهب الحياة لكل كائن حى ، وهو الذى كرم بنى آدم وقد خلقهم ربهم من نفس واحدة : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (سورة النساء ـ ١)

والإنسان إذا تحرر من عبادة غير الله ـ الذى لايقال لغيره ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ كان رجلاً قوياً بقوة الإيمان عظيماً بعظمة الإسلام جليلاً بجلال الحق يصل ماأمر الله به أن يوصل وينهى عن الفساد فى الأرض وتلك هى الحرية فى الإسلام .

الحرية والعقــل ..

الحرية لابد أن تستعمل استعمالاً عاقلاً يكون فى إطار الدين فلاانحلال ولاسفه باسم حرية الرأي ، فليس من الحرية أن يتطاول الصغير على الكبير أو الطالب على أستاذه ، فهذه خسة وضعة يأباها الإسلام .. ولقد صنع الإسلام ـ فى أيامه الأولى ـ نماذج إنسانية مثالية يعجز الزمان عن الإتيان بمثلها حيث جعل من بين رعاة الإبل والغنم قادة الأمم ، وكوّن من بين سكان البيداء والصحراء أئمة الفضائل وأساتذة الأخلاق ، ومع هذا فالإسلام قادر دائماً على أن يجعل المجتمعات فى القمة من مكارم الأخلاق ، فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وذلك بالعودة إلى أخلاق القرآن الذى أدب به ربنا رسوله فأحسن تأديبه ، وأدب به هو أصحابه فأحسن تأديبهم فأسسوا بنيان الحياة على العدل والحق ، وفهموا حقيقة الحرية الأخلاقية التى جـ[illegible] بها الإسلام لإسعاد البشرية فكانت حرية تعمير لاتدمير ، حرية سمو ونبل لا حرية خطر كبير وشر مستطير يبيح القول البذىء والخلق الرديء الذى يقتل العزائم ويوهن القوى ويفسد الذمم ويذهب بكرامة الأفراد والأمم ، إن الحرية فى الإسلام هى مراعاة حرية الآخرين أولا ، فلا حرية لنفسك [illegible] مراعا[illegible] حرية غيرك ، [لايؤمن أحدكـ[illegible] يحب لأخيه مايحب لنفسه] . لأن الناس إخوة [إنما المؤمنون أخوة] ، والإسلام يسالم من يسالمه « ولايحارب إلا من يحاربه » وهو يدعو إلى السلم والصفح والعفو والرحمة والتراحم والتعاون على البر والتقوى ، لأنه دين قيم يؤلف بين قلوب أبنائه مهما اختلفت الألوان والأوطان والله حرم دم المسلم وماله وعرضه كما حرم التعاون على الإثم والعدوان . ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ . وحياة التكافل والتآخى الصادق هى التى يريدها الإسلام لأتباعه : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب [illegible]رىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم : « كل المسلم على

فضل الإسلام

المسلم حرام دمه وماله وعرضه إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا ، التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره ، ألا يبع أحدكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ») « رواه مسلم » .

تلك هى الحقوق التى لم تعرفها البشرية إلا بالإسلام الذى يرفع مستوى الإنسان بحريته وبتنمية مواهبه الخيرة بتوجيهها لصالح الجماعة فى أجمل صورة وأكمل مظهر .

تحرير العقول من الأوهام

لقد حرر الإسلام عقل الإنسان من الخرافات والأوهام ، وعبادة الأوثان والأصنام وجور التقاليد بتصحيح الاعتقاد وتطهيره من الإلحاد بالدعوة إلى التفكير فى ملكوت الله ، لأن آيات الله فى الأكوان تتلاقى مع آيات الله فى القرآن الذى يخاطب العقل والروح بالمنطق والوضوح .

ليأخذ العقل سبيله إلى الوصول إلى الحقائق بثاقب رأيه وفكره من غير تقليد أو تبعية مذلة أو جحود للحق فلايجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، لأن أقبح أنواع العمى عمى القلوب عن معرفة الحق والهدى مع وضوح الأدلة وشهادة البينات ، فليس عسيراً على العقول ولا بعيداً عن فطرة الإنسان أن يهتدى إلى ربه : ﴿ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ولكن انطماس بصيرة الحاقدين تحجبهم عن رؤية الحق المستبين .

أي عقل يتعامى عن صنع الله الذى أتقن كل شيء ؟ ثم هو يذهب إلى عبادة النار أو الحيوان أو الشمس والقمر كما يؤمن بهذا الماديون ، وفى هذا احتقار لشأن الإنسان الذى تراه يعيش فى ظلمات الجهالات ، وويل للإنسان من نفسه الأمارة بالسوء ، وويل له من إلغاء عقله وقلبه وسمعه وبصره ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ (سورة الروم ـ ٨) .

ونقول للجاحدين وللذين يلحدون ولا يؤمنون بدين وللفجار الملاعين الذين يخرجون كل يوم بدين غير دين الله ـ نقول لهم ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ ونقول لهم : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ ونقول لهم : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ . فَأَنَّى تُصْرَفُونَ . كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة يونس ـ ٣١ ـ ٣٣) .

ونحن نسوق إليهم هذه الآيات القرآنية التى ترشد العقل إلى الآيات الكونية حتى لا يضل من حبط عمله وخاب أمله عن معرفة بديع السموات والأرض وقد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال ، وراح يتخبط فى المتاهات والظلمات ومنهم ـ أي من الناس مَنْ أضله الله على علم حتى بعد أن ركب الإنسان الجو بساطاً ممهداً وطوى المسافات فى لحظات ، ثم وضع قدمه على سطح القمر ثم هو لا يؤمن

بالله العظيم مدبر أمر هذا الكون ومالكه ، لأنه صانعه والله يريد من عباده أن يكتشفوا ماإستطاعوا من علوم تكمن فى هذا الوجود فى حدود عقولهم ليستثمروا خيرات الدنيا الكثيرة الوفيرة لخدمة الإنسان لا للإضرار به وتهديد حياته .

حريــة الاعتقــاد ..

أما حرية الاعتقاد فقد صانها الإسلام ، فكل إنسان له أن يعتقد مايشاء من العقائد ولكن الإسلام يعرض فضائله على الناس من غير أن يحمل الناس حملاً او يكرههم على اعتناقه ﴿ لَاۤ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ ﴾ ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ وقد اباح الإسلام للمراة الكتابية أن تتزوج بمسلم وتبقى على دينها وقد اقر الرسول اليهود على دينهم فى المدينة لما هاجر إليها وسالمهم فلم يسالموه ، ولأن هذا الدين لم يكره احداً على اعتناقه قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة يونس ـ ٩٩) .

وليس بين الله وبين عبده وساطة تقربه إليه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (سورة البقرة ـ ١٨٦) .

اي تكريم للإنسان بعد أن جعل الله العبد يخاطب ربه مباشرة يدعوه فيستجيب له لأنه قريب مجيب ؟ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فلا وسيط بين العبد وربه إلا صالح العمل .

حرية التملك

الملكية ـ فى الإسلام ـ مصونة بشرط الا تضر والا تكون وبالاً على صاحبها وعلى المجتمع ، لأن الملكية الشخصية وحرية التصرف محترمة فى شريعة الله بشرط ان تخضع لأوامر الله من زكاة تؤدى وتؤخذ بقوة القانون أحياناً إذا هيمن الشح على صاحب المال وتسلط عليه منع الحق المعلوم للسائل والمحروم ، فلا يسخو ببذل عون او برٍّ بالمحتاجين أولى المسغبة ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ . يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (سورة البلد ـ ١١ ـ ١٧) . إن المسلم يرق لآلام الناس فيسعى لتخفيفها (الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء) « الترمذى وابو داود » لأن نظرية الإسلام فى ملكية المال تفرض على المالك الا يكون مسرفاً ولا مقتراً ، لأن هذا لايتمشى مع صفات عباد الرحمن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما .

فليس لأصحاب الأموال أن يسرفوا كما يشاءون فى طعامهم وشرابهم ولباسهم وأمور معيشتهم ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (سورة الأعراف ـ ٣١) . ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ (سورة طه ـ ٨١) .

ولقد أقر الإسلام التوسع فى الملكية الخاصة تمشيا مع الفطرة مادام هذا عن طريق كسب حلال وحرم الربا والاحتكار

←

فضل الإسلام

والشح وتطفيف الكيل والميزان وللمرء حرية الصيد فى غير الحرم ، وله أن يستخرج المعادن من جوف الارض وله الحق فى أن يحترف ويعمل فى المهن التى ترضى دينه وضميره الحى من بيع وشراء وتجارة فيما أحل الله .

المال كله من رزق الله

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ ﴾ (سورة البقرة ـ ١٧٢) ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَاسَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (سورة إبراهيم ٣٤) ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ (سورة المائدة ـ ٨٨) ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ (سورة النحل ـ ٨٠) ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (سورة البقرة ـ ٦٠) وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ مانيهى عن اكل أموال الناس بالباطل كالغش والرشوة والربا الذى هو مفسدة للإنسان ومضيعة للأموال التى سيمحقها الربا ويهلكها .

وأحل الله البيع وحرم الربا

الربا من اكبر الكبائر ، والمرابون المحترفون فى إصرار من غير توبة فى حرب مع الله لأنهم يعرضون ويأخذون زيادة عند السداد ثمنا للصبر فى نظير تأجيل السداد الأمر الذى جعل النقود سلعة تباع وتشترى والنقد فى الإسلام لا يلد نقداً ، ونقول للذين يبررون الربا اليوم ، ويستبيحون التعامل به من غير أن يتوبوا ـ ويقولون إنما البيع مثل الربا فيجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين : فأبطل الله قياسهم هذا بقوله سبحانه : وأحل الله البيع وحرم الربا. فماذا بعد هذا ؟ وليس بعد قول الله قول .

إن المال المختلط بالربا سيمحقه الله بنص القرآن ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ . وسيزيد كل مال فيه صدقات فما نقص مال من صدقة ، وسيباركه الله تعالى وسيضاعف ثوابه وأما الربا فسيؤدى إلى تغيير صفة المال الأصلية وهى التداول بين الناس وذلك بجعل النقود سلعة تباع وتشترى الأمر الذى يؤدى إلى عدم استقرار النقد بفقد قيمته الثابتة ـ نسبيا فى القوة الشرائية على الأقل ، لأن النقود فى يد المرابين لها بذاتها ثمن من جنسها ولكن الإسلام جعل النقود وحدة قياس ، كما أن الكيل والميزان كذلك ، ومن الخير للمجتمعات أن تظل الوحدات ثابتة نسبيا فلا ربا ولا تطفيف فى الكيل والوزن لتظل القيمة مستقرة فى أداء وظيفتها بين الناس فى تعامل ينتج الطيبات من الرزق الحلال كالتجارة والزراعة والصناعة وفى كل المنافع التى تنتظرها الأيدى العاملة فى كل المجالات والاتجاهات النافعة .

الربا لا يحقق التراحم

الربا لا يحقق التراحم ولا التعاطف ولا التكافل الذى جاء به الإسلام ولهذا حرمه تحريما باتاً لاشك فيه لأنه يؤدى إلى مفاسد اجتماعية ، فهو يخلق الضغينة ويسبب الغل

والشح والحقد ويصد عن البر والخير ويورث البغض بين الأفراد والمجتمعات لأن الربا ينشر الكسل والشلل الذى يصاب به المرابون ، لأنهم يعتبرون الربا عملا مربحا بذاته بدون أى عمل ، وهذا شلل اقتصادى واضح ووباء اجتماعى خطير وهو بلاء شره مستطير على المحتاج والفقير وذلك.لأن النقد فى الإسلام لا يلد نقداً بدون عمل ينفع الأفراد والأمم .

والتعامل بالربا اختيار سيىء والله يقول : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ « سورة الروم ـ ٣٩ » والله سبحانه يقول فى المرابين الذين سيقومون من قبورهم يوم القيامة كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ « سورة البقرة ـ ٢٧٥ ـ ٢٨٠ » .

إن الإسلام كرم الإنسان وسما بمنزلته وجعله سيد ماله فى حياته ولم يجعله أسيرا له يحبه أكثر من نفسه وولده ووالديه والأقربين ولكن المؤمنين قد وقاهم الله شح أنفسهم : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

الإسلام يدعو إلى السمو الإنسانى

ولاريب أن الإسلام دين شامل لشئون الحياة كلها ونظام جامع متكامل يزكى النفوس ويطهرها من طاعة الشيطان والهوى فلا يضن بالعون ولا يحجب الخير عن الغير لكنه يشيع الرحمة وينشر السخاء بين عباد الله ليؤكد فى نفسه معانى الإنسانية التى تصنع الاستقامة والإسلام ينسع صورة مضيئة للقرض الحسن لبيان الفرق بين الربا المحرم والقرض الحسن .

الربا والقرض الحسن

وقد يسأل إنسان : إن الربا قرض وقد حرمه الله ، وهو يأمرنا بالقرض الحسن ، وأباح الإسلام البيع المؤجل ، ونقول لمن يسأل إن الربا زيادة فى المال الذى اقترضه المقترض من المقرض ثمنا للصبر وهذا محرم ، وأما القرض الحسن الذى يحبه ربنا فهو قرض بغير شرط يجر منفعة « كل قرض جر نفعا فهو ربا » : فلا يجوز للمقرض أن يأخذ هدية من المقترض ، وأما البيع المؤجل فهو بيع سلعة بثمن زائد عن ثمنها المعجل ، وكل ما يقبل جنسه السلم يجوز قرضه ، وعلة التحريم فى الربا هى استغلال حاجة المقترض .

فضل الإسلام

دعوة الإسلام إلى القرض الحسن

ولما كان النقد لا يلد نقداً بذاته في الإسلام فإنا نجد الإسلام يحل الطيبات ويحرم الخبائث : ولهذا جعل القرض الحسن من أعظم القربات عند الله تعالى : وقد اقترن بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (سورة المزمل - ٢٠) .

﴿ ... وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴾ (سورة المائدة - ١٢) ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (سورة الحديد - ١١) .

إن القرض الحسن يأخذ بيد المحتاج بدون مقابل فهو تيسير على المعسرين وهو تنقية لجو الحياة من الربا والمرابين وسموم المتعاملين بما يخالف الدين الذين يأخذون وهم قاعدون فيعطلون الإنتاج ويظلمون أنفسهم والعباد فهم يساهمون في إفساد الحياة بأنانيتهم وانتهازيتهم وقسوة قلوبهم فلا هم لهم إلا إشباع نهمهم ، ولكن المؤمن تراه رقيق القلب دقيق الإحساس طيب الشعور نحو الناس يخفف آلامهم ويضمد جراحهم بقوة إيمانه وكريم إحسانه .

الإسلام يدعو إلى التقدم والعمل المتقن

كثير من الناس يسيء إلى الإسلام باسم الإسلام من أولئك الذين يزعمون أن التعطل تسليم بالقضاء والقدر وتفويض لأمر الله تعالى ، وبذلك يدسون الإهمال في التوكل - أي في نظرهم - وهذا هو التواكل بعينه والتخاذل والتكاسل والفشل : وهذا قتل للوقت . بالخمول الكريه يؤدي إلى ضعف الإرادة وفتور العزيمة وقد نسي المصابون بهذا أن الإسلام دين العمل والتعمير والإنتاج والاقتصاد والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. وأن التوكل على الله إن لم يقترن بالعمل سيكون وبالا وخذلانا يمقته رب العالمين الذي يقول :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ... ﴾ (سورة الجاثية - ١٣) .

ويقول ربنا جل جلاله : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (سورة تبارك - ١٥) لقد أمرنا الله بالسعي على الرزق الحلال من ابوابه الكثيرة كالتجارة والزراعة والصناعة وفي هذا ابتغاء لفضل الله واتكال على الله والله يقول : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الجمعة - ١٠) .

وبعـــد

فإن الناس في ظل الإسلام أعزاء أقوياء رحماء .. كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، فما أعظم التراحم الإسلامي والتعاطف الإنساني الذي يترك التفرق والتمزق ، ليعيش الناس في أمن وسلم واستقرار حياة .

محمد حافظ سليمان

كتاب الخراج

لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم

المتوفى ١٨٢هـ - ٧٩٨ م

للأستاذ الدكتور
على أوزالك*

قبل "خراج ابى يوسف" وبعده أُلفت رسائل وكتب كثيرة تحت عنوان الخراجَ والأموال . والذى يتبادر للذهن ان هذه السلسلة من الكتب تتناول الناحية الاقتصادية من إدارة الدولة . ولكن إذا تفحصنا ماتضمنته هذه الكتب رايناً انها تشمل فى نفس الوقت النواحى الإدارية والسياسية والاجتماعية والقضائية : فكتب الخراج والاموال فى الحقيقة تتناول دخل بيت المال من جهة والصرف من بيت المال من جهة اخرى . وإذا اقتربنا اكثر إلى المسالة باسلوب العصر قلنا : هى ميزانية الدولة من جهة الدخل والصرف .

من المعلوم أن هارون الرشيد كان قد سأل - أبا يوسف قاضى القضاة - أسئلة كثيرة متعلقة بإدارة الدولة المالية والسياسية فأجاب أبو يوسف عن هذه الأسئلة إجابات غاية فى الحكمة وأضاف إلى كتابه رسالة حثّ فيها الخليفة على الأخذ بالأفضل والأفيد دائما . فكانت هذه رسالة إصلاحية قيمة . ومضافا إلى هذه الرسالة أنه درج فى كتابه بنصائح مفيدة خلال إجاباته عن أسئلة الخليفة .

فى الحقيقة كانت هذه الميزة عادة موروثة منذ عهد أمير المؤمنين أبى بكر رضى الله عنه ، لأنه كان يكتب إلى قواده وولاته رسائل يذكر فيها ماينبغى أن يراعوه مع الناس فى المعاملات الدينية والإدارية والمالية والاجتماعية وغير ذلك .

←

* دكتور بكلية الإلهيات بجامعة مرمرا استانبول - تركيا

كتاب الخراج

وكل ذلك بطبيعة الحال كان مضافا إلى ما نزل فى القرآن الكريم وما ورد فى الأحاديث النبوية فى الأحكام والمعاملات . فكأن أبا بكر رضى الله عنه كان يطبق مافهم من حديث معاذ رضى الله عنه حينما أرسل واليا أو عاملا أو قائدا إلى اليمن . روى أبو داود فى سننه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا إلى اليمن قال : « كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ » قال : « أقضى بكتاب الله » . قال : فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ » . قال : « فبسنة رسول الله » . قال : « فإن لم تجد فى سنة رسول الله ولا فى كتاب الله ؟ » قال : « أجتهد رأيى ولا آلو » فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال : « الحمد لله الذى وفّق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » .

(سنن أبى داود ٢/١١١ كتاب الأقضية)

فى الحديث الشريف حث على الاجتهاد عندما تحل (المسألة) من المسائل ليس لها حكم سابق ؛ فعلى العلماء أن يجدُّوا بشأنها حتى يصلوا ـ فى ضوء الكتاب العزيز والسنة الشريفة ـ إلى البت فيها ، فإن الحياة فى تطور مستمر يطرح ـ بدوره ـ مسائل متجددة .

وما من شك فى أن تطور الحياة ـ فى ذاته ـ قد تتشعب معه الحاجات والمصالح مما يقتضى إنشاء إدارات مختلفة لسد حاجات الناس ، وهذا ماحدا بعمر ـ رضى الله عنه ـ إلى إنشاء نحو إحدى وأربعين مؤسسة ـ مدة خلافته ، كما قال مولانا شبلى نعمان فى تاريخه عن صدر الإسلام ، ويعتمد أبو يوسف فى (كتاب الخراج) على عمر ـ رضى الله عنه ـ فى أكثر ما عرض له من مسائل .

رسائل إصلاحية :

ولقد زخر ميدان العلماء برسائل إصلاحية كثيرة كتلك التى ورد منها فى مقدمة كتاب الخراج لأبى يوسف ، وكان بعضها مستقلاً كرسالة ابن المقفع . وهذه الرسائل تضم تعليمات أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، كذلك يضم بعضها رسائل خلفاء من بعدهم كرسالة عمر بن عبد العزيز إلى عماله وولاته وهى رسائل ـ فى مضمونها جميعا ـ تبرز أن النجاح فى إدارة شئون الناس وتحقيق العدالة بينهم إنما يعتمد على أساسين مهمين .

أولهما : أن يكون الشخص الذى يتولى أمور الناس عالما صالحا متدينا على خلق كريم حليم النفس واسع الصدر متزن الشخصية أمينا ، وهذا هو الشرط الأول المطلوب لتحقيق العدالة بين الناس .

وثانيهما : وضوح النظم والقوانين المستمدة أساسا من الشريعة الإسلامية وما من شك فى أن الشخص ـ على هذا النهج الذى أوضحناه ـ خير من يتفهم هذه القوانين وها نحن نذكر ـ على سبيل المثال ـ شيئا من هذه الرسائل ثم نعود إلى كتاب الخراج أصل هذا الحديث .

رسالة عبد الله بن المقفع (١٠٩ ـ ١٤٥هـ / ٧٢٧ ـ ٧٦٢م) فى الصحابة.هذه الرسالة حلقة هامة فى الدعوة إلى الإصلاح

العام لأنه يذكر فيها ضروب الفساد فى الجهاز العسكرى وفى شئون الأحكام وضروب الفساد فى طبقة البطانة أو صحابة الخليفة وضروب الفساد فى شئون الأرض والخراج وغير ذلك . ثم يذكر الحلول الصحيحة لإصلاح هذه الأخطاء مع توصيات مفيدة .

رسالة عبيد الله بن الحسن العنبرى (١٠٥ ـ ١٦٨هـ / ٧٢٣ ـ ٧٨٥م) إلى المهدى . وكان العنبرى قاضياً على البصرة .
أشار العنبرى فى رسالته إلى حاجة الناس إلى الأئمة أى الرؤساء والأمراء وأهمية دور الإمام فى الإدارة .

والعنبرى يركز كلامه على مجالات أربعة :

١ ـ الثغور وقوامها بتزويدها بأهل الخبرة والشجاعة والحنكة والتجربة وإدرار العطاء على الجند .

٢ ـ الحكام والأحكام : فالحاكم لابد من أن يكون ورعا عاقلا مع فهم صحيح وعلم بالكتاب والسنة .

٣ ـ الفىء : يطلب العنبرى فيه التخفيف حتى يتبقى لدافعيه مايصلحهم ويصلح أرضهم فذلك أعمر للبلاد وأدر للخراج .

٤ ـ الصدقات : ويجب أن تؤخذ من مواضعها وتصرف لمستحقيها .

رسالة معاوية بن عبيد الله بن يسار (١٠٠ ـ ١٧٠هـ / ٧١٨ ـ ٧٨٦م) اتصل بالمهدى العباسى قبل خلافته فكان كاتبه ووزيره ، ولما آلت الخلافة إلى المهدى فوّض إليه تدبير المملكة والدواوين ، له كتاب فى الخراج وقدم فيه رسالة ذكر فيها أحكام الخراج الشرعية ودقائقه وقواعده مع توصيات إصلاحية .

يأخذ أبو يوسف من هذه الرسائل مايصلح العباد ويزيد عليها مايراه مفيداً ، لذلك يتميز كتاب الخراج لأبى يوسف عن الكتب السابقة واللاحقة بخصائص يليق ذكرها هنا .

أولاً : أنه يشمل توصيات إصلاحية للخليفة .

ثانيا : يتناول كثيراً من المشاكل الإدارية والمالية والسياسية والاجتماعية ويداوى كل هذه المشاكل بما يناسبها من الأحكام الشرعية والاجتهادات العقلية .

ثالثا : أنه سلك طريقا جديداً ذا أهمية بالغة هو أنه حينما أراد أن يبنى حكما جديدا حاول أن يحصل على عمل حكمه من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من سيدنا عمر رضى الله عنه . وطبّق هذه القاعدة فى كل مشكلة واجهها ، فإن لم يحصل على شىء من السنة أو من تطبيقات عمر ، اعتمد على آراء أبى حنيفة وابن أبى ليلى . ثم يجتهد رأيه . من أجل ذلك كان كتاب الخراج لأبى يوسف منبعا عظيما ومصدرا غزيرا فى إنشاء الدولة : إداريا وماليا .

وفى إمكاننا الآن أن نقول إن منهج أبى يوسف واحد من المناهج التى تصلح فى الجوانب الشرعية والإدارية والمالية فى زماننا

كتاب الخراج

هذا ، فإنه منهج ناجح فى إدارة شئون الدولة الإسلامية . تلك الدولة التى من حقها أن تكون مثالاً للناس أجمع كما حصل فى التاريخ ، ويتخلص المسلمون من هذه النظم الغربية المخالفة للإسلام فى أكثر موادها .

العمل على كتاب الخراج :

لاشك فى ان كتاب الخراج حاز قبولاً عند العلماء منذ تأليفه ، ولقد أدى الأستاذ إحسان عباس خدمة عظيمة بإخراجه لهذا الكتاب ، لأنه حققه وعلّق عليه وذكر المخطوطات الموجودة منه فى مكتبات استانبول . وأضاف للكتاب مقدمة قيمة جداً مع فهارس مفيدة . وهذا العمل فى (خراج أبى يوسف) يُسهّل فهم الكتاب وفهم مايقصده مؤلفه وفقه الله .

ونحن نضيف إلى ما عمله الأستاذ إحسان عباس مايأتى :

إن كتاب الخراج ترجم إلى اللغة التركية ثلاث مرات فى أيام الدولة العثمانية .

الأولى : ترجمة لكتاب الخراج . لايعلم مترجمها . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٣٢٧١ .

الثانية : ترجمة كتاب الخراج لأبى يوسف . أعدها (رودوسلى زاده محمد افندى) سنة ١١١٣هـ . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة أسعد افندى تحت رقم ٥٧١ ـ ٥٧٢ .

الثالثة : ترجمة كتاب الخراج لأبى يوسف . للأستاذ محمد عطاء الله . وهذه الترجمة جيدة جداً . وكان (حسين جميل باشا) والى حلب قد طلب من محمد عطاء الله ترجمة الكتاب ثم قدّم هذه الترجمة إلى السلطان عبد الحميد الثانى من آل عثمان . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٤٦٥٢ .

وثمة ترجمة رابعة للكتاب وهى مطبوعة قد ترجمتها سنة ١٩٧٣م . حينما كنت باحثا فى كلية الاقتصاد بجامعة استانبول . ونشرت هذه الترجمة فى كلية الاقتصاد ١٩٧٣ ولقيت اهتماما وأعيد طبعها مرات ، وقد أضفت مقدمة للترجمة كتبت فيها حياة أبى يوسف ومنهجه فى كتابه باللغة التركية .

وقد ترجم كتاب الخراج لأبى يوسف إلى اللغة الفرنسية أيضا وطبع سنة ١٩٢١ ترجمة :

E. Fagnan
Librairie Orientaliste

● دكتور بكلية الإلهيات بجامعة مرمرا استانبول ـ تركيا

مسئولية المدرسة والإعلام نحو أبنائنا

للأستاذ محمد عبد السميع شبانة *

مسئولية المدرسة نحو ابنائنا :

تهدف إلى رعاية طاقاتهم وتوجيهها بما يناسب استعداد كل طالب والاستعلاء بها بعيداً عن الاتجاهات الخاطئة ، لتكون فى صالح المجتمع ومن رسالة المدرسة الكشف عن مواهب الطلاب وإبرازها ووضع الإمكانات التى تصقلها وإتاحة الفرص التى تضمن لها النمو حتى تزدهر وتصبح معالم مضيئة فى مستقبل الأمة .

فيجب الدقة فى اختيار المناهج المدرسية بحيث تتناسب مع عقول التلاميذ وتتوافق مع مداركهم ، وأن تغرس فيهم القيم النبيلة وأن تتفق مع أخلاق الأمة وتربطهم بدين الله والالتزام بشريعته ، فإن المدرسة تربية وتعليم . يجب أن تهدف المناهج إلى النهوض بالوطن وتوفير الرخاء له مع الأخذ بكل ما ابتكره العلم واستحدثته الحضارة الإنسانية حتى نساير التطور ولا يتخلف ابناؤنا عن مواكبة النهضة الهائلة التى وصل إليها العالم فى دوله المتقدمة ، ومن مسئولية المدرسة أن تشد أبناءها إلى ارتياد المكتبات وتنشئتهم على ذلك حتى يتعودوا القراءة والبحث فتزداد معارفهم وتنضج أفكارهم . وهذا يحتاج لإشراف من الأساتذة لإرشادهم إلى الكتب الهادفة البناءة وحمايتهم من الكتب الضارة .

وإنشاء مكتبة الفصل إلى جانب المكتبة الرئيسية للمعهد أو المدرسة يساعد على نمو عادة القراءة عند أبنائنا ، ومن المفيد أن تنظم المدارس زيارات لدور الكتب بين وقت وآخر ليكونوا على دراية بقاعات المطالعة والبحث ويروا التراث العظيم الذي تضمه في أروقتها .

● الكاتب : موجه أول بالأزهر الشريف .

مسئولية المدرسة والإعلام

ينبغى أن نوجه أبناءنا إلى قراءة التاريخ الإسلامى وما فيه من بطولات ومواقف عظيمة وأن نهيىء لهم الكتب الميسرة المؤلفة فيه لتكون موافقة لقدراتهم .. وقراءة التاريخ مدخل هام إلى تكوين ثقافة الإنسان ونضج شخصيته .

كما أنه يتحتم على المدارس والمعاهد أن تهتم بالرياضة البدنية كدعامة هامة فى تربية أبنائنا فهى تكسبهم الأجسام السليمة والعقل الناضج وهذا يستدعى إنشاء الملاعب والعناية بها وبعث روح التنافس الشريف بين فرق المدرسة فتتربى فيهم مشاعر الحب والتعاون . يقول عمر رضى الله عنه : « علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا » .

كما أن التزام الأساتذة بما يجب أن يكون عليه المربون من السيرة الطيبة والمظهر اللائق والخلق الحسن من أعظم مسئوليات المدرسة نحو أبنائها فإنهم المثل العليا لطلابهم ، وكم من موقف عظيم لأستاذ دفع تلاميذه لعشق مادته والتفوق فيها والعكس كذلك صحيح . كما يجب أن تكون لإدارة المدرسة قدراتها المتميزة فى الحزم والربط حتى تستطيع مراقبة الطلاب مراقبة دقيقة وتكون لها مبادرة إلى كشف أى تصرف خاطىء من بعض الطلاب فور وقوعه وعلاجه بحكمة ودقة قبل أن ينتقل تأثيره الضار إلى الطلاب لأن التلميذ الفاسد أشبه بالثمرة المعطوبة تؤذى بقية الثمار .

كما أن للإشراف الاجتماعى رسالة كبيرة فى التعرف على مشاكل الطلاب والقضاء على أسبابها بالتعاون مع البيت وتطبيق الأسس التربوية فى علاجها كى نجنب أبناءنا آثارها المدمرة لو تركناها تكبر معهم من غير القضاء عليها .

ومن مسئولية المدرسة الحرص على أن يؤدى أبناؤها الصلاة عن عقيدة راسخة ويتحقق ذلك بإعداد مكان مناسب للصلاة فى المدرسة ، وأن تخصص المدرسة فسحة لصلاة الظهر فى جماعة فى مصلى المدرسة لكل الطلاب مع الأساتذة وإدارة المدرسة فتسمو بالصلاة غرائز الطلاب وتصفو مشاعرهم فى رحاب الإيمان وتقوى عندهم الحصانة ضد كل انحراف فالله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾(١) .

وأمر آخر يجب أن يكون محل نظر المسئولين عن التربية والتعليم فى بلدنا هو العناية بدروس التربية الدينية بحيث يكون لها مكانة بارزة بين مواد المنهج المدرسى ، وأن يحاسب الطالب أو الطالبة على التقصير فيها بالرسوب كبقية المواد ، وأن نعمل على اختيار مؤلفات مناسبة فى التربية الدينية تهدف إلى تعريف أبنائنا بالعقيدة الإسلامية الصحيحة وحمايتهم من البدع والخرافات وإعطائهم فكرة مبسطة عن العبادات والمعاملات فى الإسلام ، وتكليفهم بحفظ أجزاء القرآن

(١) العنكبوت ٤٥ .

الكريم على مدى سنوات الدراسة مع تفسير آيات مختارة في أسلوب سهل واضح .

هذه مسئولية المدرسة وهى تكتمل مع مسئولية البيت والدولة فإذا ما راعينا الله فيها ووفيناها بأمانة نكون بذلك قد أدينا لأمتنا حقها علينا وسلكنا بأبنائنا الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه فمن أدب ابنه صغيراً قرت عينه به كبيراً .

مسئولية الإعـلام نحـو ابنائنا :

مسئوليتنا نحو أبنائنا تنبع من عاطفة لا تنضب ورغبة أمينة في تحقيق السعادة لهم ، وتجنيبهم مواطن الزلل وعثرات الطريق وإعدادهم ليحملوا الأمانة نحو أمتهم ونحو حماية أرضها وحضارتها وتراثها .

ووسائل الإعلام أعظم تأثيراً في المجتمع ، وتتميز بقدراتها المتعددة ، ولذلك كان دورها كبيراً في توجيه ابنائنا وتهيئة الأجواء الصالحة التى تتفتح فيها ملكاتهم وتنضج مواهبهم ، وتضع اقدامهم على أرض صلبة بالعلم والإيمان .

وسواء اكانت وسائل الإعلام مقروءة أو مرئية أو مسموعة فإنها جميعها مسئولة عن ابنائنا وشبابنا بقدر كبير لا يقل فى خطورته عن دور البيت أو المدرسة إن لم يكن اكثر .

فالانطباع الذي ينعكس على أبنائنا من البرامج التليفزيونية يترك تأثيره عليهم سلباً أو إيجاباً حسب مادة البرنامج وإعداده والهدف منه : وكم كان لبعض المسلسلات التى قدمت للمشاهدين آثار مدمرة على بعض شبابنا من طلاب المدارس فقاموا بتقليد حوادثها في عمليات سطو وسرقة ضبطت وقتها واعترفوا بتأثير المسلسل عليهم .

ومظاهر العنف التى تجتاح مجتمعنا ، من أسبابها أفلام العنف التى يستوردهـا التليفزيون مع أنها لا تتفق مع أخلاقنا وتقاليدنا فينبهر بها المراهقون وتترسب فى أعماقهم حتى إذا وجدت منفذاً تفجرت فى أشكال مختلفة للجريمة فتعددت حوادث القتل والخطف والسرقة .

وكان يمكن أن نحمى أولادنا من السقوط في حبائل الشيطان لو تحرى التليفزيون الدقة فيما يقدمه وتحاشى عرض أفلام العنف ومسلسلات الجريمة .

كما أن تجسيم الصحف للجرائم التى تقع والمبالغة في ذكر تفصيلاتها وكيف وقعت ، يؤثر على النفوس الضعيفة التى تستهويها المغامرات الشريرة فتنطلق فى محاكاتها .

إن وسائل الإعلام مطالبة أن تغرس القيم النبيلة فى نفوس شبابنا ، وأن تنمى فيهم الإحساس بالحب والخير والجمال وتحثهم على التخلق بأخلاق الإسلام والتأدب بآدابه حتى يكونوا فى حصانة من الانحراف والزلل وأن تعمق فيهم روح الانتماء للوطن ليبقى أثيراً فى قلوبهم عزيزاً عليهم يحمونه بأرواحهم ويعلون من شأنه .

وشبابنا ـ والحمد لله ـ فيهم خير كثير ولن تنقص الحوادث الفردية التى تقع من طهارتهم وتمسكهم بدين الله ، فلنتق الله في ابنائنا ونحسن توجيههم التوجيه السديد ونراقب الله فيهم ونحافظ على طاقاتهم الخيرة حتى لا تتبدد وتتحول إلى الشر تحت ضغوط

مسئولية المدرسة والإعلام

الكلمة المقروءة التى لاأمانة فيها والأغنية الخليعة التى تفجر غرائز الجنس والبرامج التليفزيونية الهابطة التى تهدم ولا تبنى وأتساءل عن الدوافع إلى عرض الأفلام الساقطة التى تقوم على الجنس والمخدرات، كيف يسمح المسئولون بعرضها فى دور السينما والإبقاء عليها وهى سبة فى جبين مصر، تقتل الفضيلة وتهدم الأخلاق ؟!

فلم يعرف تاريخ السينما فى مصر قبل ذلك هذا الاسفاف والانحطاط .. حتى الإعلان عنها يقتحم العيون فى وقاحة فى الطرقات وفى التليفزيون والصحافة وكم يترك هذا الوضع من مرارة فى نفوس المواطنين الذين يحرصون على أمتهم ويخافون على أبنائهم .

ما ذنب الشرفاء أن تعرض عليهم فى غدوهم ورواحهم وفى بيوتهم المشاهد الماجنة التى يبرزها إعلان عن فيلم مستهتر ؟

ما قيمة الأموال التى تعود على الصحف وخزانة التليفزيون من الإعلان عن هذه الأفلام الهابطة الفاسدة، أمام ما تهدمه من قيم فى نفوس أبنائها وقتل شبابهم ؟

إن مصر لم تكن فى ماضيها القريب والبعيد بهذه الصورة التى تصورها الأفلام عنها وعن أبنائها . فمصر الأزهر ومصر صاحبة الألف مئذنة ومصر القرآن ومصر الإسلام لا تموج بالعربدة الجنسية وهوس المخدرات كما تصورها هذه الأفلام . ولكن مصر نقية طاهرة وأبناؤها مؤمنون مكافحون يرفضون الانحراف ويتصدون لأية ظاهرة سيئة تبرز للقضاء عليها .

فلماذا يحمل بعضنا معاول الهدم لينالوا من أمتهم ؟ كيف يرضى إنسان غيور على بلده أن يشترك فى هذه الجريمة النكراء التى تهدم الضمائر وتخرب الذمم ؟!

هل عقمت أفكار المنتجين عن تقديم أفلام جيدة تتفق مع تاريخنا وأخلاقنا وترسى القدوة الحسنة لأبنائنا فى إطار من مقتضيات الشرع الشريف ؟

إن استمرار إنتاج الأفلام الساقطة والإبقاء على عرضها فى دور السينما جريمة فى حق الأمة وينبغى أن يتصدى لها المسئولون فى وزارة الثقافة فهذه مسئوليتهم نحو شباب مصر الذين هم درع الأمة وبناة نهضتها .

أطالب وسائل الإعلام أن يكون هدفها إنقاذ شباب مصر وحمايتهم من الحملات الشرسة التى تدبر لإفساده حتى تنهزم مصر .

وأنتم يا حملة الأقلام أعطوا أبناء مصر الكلمة المضيئة التى تنير طريقهم فما أعظم رسالة القلم الذى شرفكم الله بحمله .

يا رواد الإعلام فى كل مكان اتقوا الله فى أبناء مصر وأعطوا الأمانة حقها نحصد جميعاً الخير فى حاضرنا ومستقبلنا .

محمد عبد السميع شبانة

الفتاوى

إعـداد :
الأستاذ عبدالحميد السيد شاهين
الأستاذ على حامد عبدالرحيم

السؤال الأول :

وقع حادث لأسرة مكونة من ثلاثة افراد : زوجان وابنتهما ، فماتت البنت ثم ابوها ، وعاشت امها اى الزوجة يوماً ثم توفيت . علماً بان كلا من الزوج والزوجة ترك ابويه واخوة . والتركة مكونة مما ياتى :

1 ـ مفروشات بقائمة على الزوج ، ومفروشات خارج القائمة جددت جميعها .

ب ـ مبلغ مالى نحو عشرة آلاف جنيه .

يرجى الإفادة ع .. عبد الكريم .

الجواب :

بما أن البنت ماتت أولاً وليس لها مال يورث فلا يرثها أحد لعدم وجود تركة .

ولما كانت وفاة الزوج قبل وفاة زوجته . فإن الزوجة ترث الربع لعدم وجود الولد ، ولأم الزوج الثلث فرضاً والباقى لأبيه تعصيباً .

وأما الزوجة فلا يرثها إلا ابواها ، للأم الثلث وللأب الباقى ، ومن حق الزوجة ما فى بيت الزوجية من أثاث ما جدد وما لم يجدد .

وأما الأخوة من كلا الجانبين فليس لهم حق فى الميراث .

السؤال الثاني :

توفى والدى إلى رحمة الله . فى حالة غيابي .. ودفن في مقبرة لأحد اصدقائنا ـ وبعد عودتى بنيت مقبرة ، واريد نقل والدى إليها ـ وقد مضى على وفاته اكثر من

الفتـــــاوى

ثلاثة اعوام . فهل يجوز ذلك أم لا ..

افيدونا م - ابـو شريف

- شرقية

الجـــواب :

يجوز نقل الميت مطلقاً بعد ستة أشهر فأكثر عند الإمام مالك لسبب أو لغير سبب - ويرى الجمهور كراهة نقله .

السـؤال الثالث :

لى بنتان وولد : البنت الصغرى والولد فى حالة طيبة من الثراء والبنت الكبرى ارملة تربى ابنتها اليتيمة .

وقد قمت بتسجيل منزل موروث لى للبنت الكبرى الأرملة منذ زمن - بيعا نص فيه على قبض الثمن - فهل هذا مخالف للشرع .

م الشاطبى

الجـــواب :

تمليك المال لأحد الورثة أولغيرهم فى الحياة هو من باب العطية والهبة وقد اختلف في ذلك العلماء .

فذهب الجمهور إلى جواز ذلك مع عدم الكراهة إن كان بسبب مشروع كصغر وفقر وعجز وكثرة أولاد - فإن كان لغير سبب مشروع فهو جائز مع الكراهة -

وقال الإمام أحمد إن كان لغير سبب مشروع فهو حرام ، وإن كان السبب مشروعا فهو جائز بلا كراهة .

« تصويب »

فى مقال « البحث عن الأديان » المنشور بعدد شهر المحرم سنة ١٤٠٩ هـ ص ٢٨ ، وفى السطر الثالث عشر من النهر الثانى وقع خطا صوابه « فى سنة ١٨٠١ » وصـ٣١ اللغة الفرنسيـة وصحتها الفارسية .

لذا لزم التنويه ..

من أعلام الأزهر

عبد العزيز البشرى

الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى

عبد العزيز البشرى

جاحظ العصر الحديث

٢

عاش البشرى فى مصر كما عاش الجاحظ فى العراق ، مفتوح العين ، مستوفزَ الحس ، جيد الالتقاط لكل ما يلحظ ، ويخطىء من يسجل تاريخ الصدر الأول من عصر بنى العباس دون أن يرجع إلى ما كتب الجاحظ عن شتى نواحى المجتمع ، حين تحدث عن العِلْية من الرؤساء ، كما تحدث عن الأوساط من التجار والصناع ثم عن السفلة من اللصوص والفتاك وذوى الكزازة والشح من البخلاء ، وأولى النَّهَم بين المتطفلين والماضغين ، وفى ذلك كله تاريخ اجتماعى لأحداث العصر يجبَ أن يضاف إلى ما كتبه الطبرى والمسعودى وابن الأثير عن أحداث السياسة .

كذلك أبدع البشرى إبداعاً حين تحدث فى المرآة عن زعماء السياسة وأبطال الاقتصاد والقانون والإدارة والبيان والفن ، كما تحدث فى غير المرآة عن شتى طوائف الشعب من المقرئين والملحنين ورجال الصحافة ثم من المتطفلين والسوقة والشحاذين وماسحى الأحذية والنادبين فى المآتم ، والصائحين فى الأفراح فكشف الستائر الغاشية على تجارى الدم فى العروق ، ورسم هجسات النفوس ، وصوَّر منازع اللؤم ، وبواعث الاحتيال ، ودواعى الملق ، وأسباب التغطرس الكاذب ، والاستعلاء البغيض بما لا يكاد يبلغه كاتب.

وقد خُلِق البشرى كثير الحركة ، دائم التنقل ، فهو يغشى مجالس العلية ممسيا ، ويخالط الجمهرة الكادحة مصبحاً ، وله مع أولئك وهؤلاء وبين هؤلاء وأولئك أصدقاء وأعداء ، ووافون وغادرون ، بل إنه ما كان يرتصد يومه الأطول متنقلاً بين المقاهى والنوادى والمنازه والمحافل إلا ليرضى حاجة فنه فى استكناه المشاعر ، ونفض الأحاسيس ، وهو لا يقف عند المظهر الخارجى وإن رسمه أبدع الرسم بل ينتقل إلى ما يستر من أهواء ويُخفى من منازع ، ولم يكن البشرى قاسياً على النفس البشرية

للدكتور محمد رجب البيومي

حين يصور نقائصها المخزية بل كان رحيماً بها في أكثر المواقف، وأقول أكثر المواقف، لأن ضبط النفس الدائم مما يتعذر على كبار العقلاء من ذوى الاتئاد المتزن، والذى يكاد يصل في بعض الأحيان إلى درجة الجمود، فما ظنك بأديب تموج نفسه بالمشاعر، فيسرع نبضه وترتفع حرارته، وتجيش مشاعره !! لابد له حينئذ أن يثور حين الغضب، وأن يهيج حين الشذوذ كما يبتسم عند الفرح، ويضحك لدى التنادم بالأفاكيه !

وفى كل ما كتبه عبد العزيز البشرى في هذا المجال تاريخ اجتماعى حافل، يجب أن يهتم به من اقتصروا على الأحداث السياسية وكأنها كل شيء في تاريخ البلاد، وأكثرنا يمر بما مر به البشرى، فلا يلحظ منه شيئاً، ولكن الأديب الكبير يراه في عدسته المكبرة واضحاً ناطقاً فينقله إلى صفحته دون عناء وكأنه يتناول فاكهة شهية يستمرىء طعمها اللذيذ !

أمامك مثلاً طائفة الشحاذين وهم من الشهرة بحيث لا يخلو منهم مكان، والذين يتحدثون عنهم في الغالب نفر من مادة الإصلاح الاجتماعى يحاربون التسول في منطق علمى يبحث عن الجذور ليستأصل الثمار، وأبحاثهم تتوالى دائماً وتلقى في الندوات وتسجل في الكتب، وتنشر في الصحف دون أن تعمل على سحق البلاء ! أما البشرى فيستبطن هذه الطائفة استبطان من رصد الحركات، ووالى السير في الطريق خطوة خطوة وراء السائل الملحاح، ثم هو لا يكتفى بأن يكتب عنهم مقالاً أدبياً مشبعاً يقضى به حاجة نفسه، كما يقدم الدارس بحثه الاجتماعى في الموضوع نفسه ثم يفرغ إلى سواه، ولكنه يعاود الكرة مثنى وثلاث وهو في كل مرة يجد الطريف، لأن الناس إذا تشابهوا في المظهر فقلما يتشابهون في المخبر، وإذا وقف البشرى على الجديد في هذا النطاق فلابد أن يبدىء ويعيد.

إنه في مقال أول بالجزء الثانى من المختار، يهجم على قارئه فيعلن أنه لا يعرف طائفة من أشد الناس أثره، ولا أورم أنوفاً من السادة الشحاذين ! ويقول إنه لا ينعتهم بالسادة على وجه التأدب كما يتبادر للذهن. بل لأنه الحق الذى لاشك فيه، أما مظهر هذه السيادة فقد بسطه البشرى في صفحات مليئة بأعمالهم المفاجئة حين يتسلطون على الناس في المقاهى والطرقات والأندية ولا يتزحزحون فتيلاً حتى يقبضوا (المعلوم) وحين يصيحون في منتصف الليل فيزعجون النائم، ويقلقون المريض، ثم ينتقل من العموم إلى الخصوص فيتحدث عن الأستاذ رفيق بك العظم وقد علت به السن، والحت عليه العلل وهو من يوم نشأته مضعوف هزيل، مرهف الأعصاب وقد امتُحن فوق هذا بالأرق، يدخل في فراشه في الساعة التاسعة فيظل يتطاول إلى النوم ويستدرجه بألوان التكلف والتصنع إلى ما بعد الثانية صباحاً، وبينما هو يستدرج الكرى، ويدافع الأرق، حتى دخل في البرزخ

عبد العزيز البشرى

المدود بين النوم واليقظة ، وهو تلك الرقعة التى تتراءى لك فيها الأحلام ، وتعى فى الوقت نفسه ما يدور حولك من الكلام ، إذا هاتف يهتف من الطريق بصوت كأنه صوت الهد ، أو زمزمة الرعد :

رغيف عيش ، وصحن طبيخ لله . وإذا الرجل يهب من سِنَتِهِ على أظافره ، وإذا الحدث يُعجله عن اتخاذ حذائه ، فيسرع حافياً إلى السلم ليقول لمولانا الشحاذ ، يخرب بيتك ! صحن طبيخ ! من الذى يسهر الآن ليسخن لك الطعام ! قل هاتوا رغيف وقطعة جبن !!

هذا عن مقال الشحاذين فى المختار ، اما مقال الشحاذين فى (قطوف) فإنه من النوع الطريف الذى يرصد ما طرأ على هؤلاء من تجديد إذ كانوا قديماً يعتمدون فى المسألة على إلحاح الجوع ، والعجز عن السعى ، بألوان من الأمراض والأسقام ، والآفات المقعدة ، كما كانوا لا يظهرون إلا فى رثاثة الثوب وتهدم الجسم ، ويتسكعون فى الأزقة والدروب ، ولا يلجئون إلى المنازل بل يترصدون الناس فى المرافق العامة ، اما الآن فهم يلبسون اجمل الثياب ، ويظهرون فى احسن مظاهر الشباب ، ويجلسون معك فى المقهى جنباً لجنب ثم يأتى أحدهم إلى أذنك ليهمس إليك وكأنه يحاذر ان يسمعه احد فيقول : إنه يجهز العرس لابنته وأنه يحتاج إلى عدة جنيهات ، ويستطرد البشرى فى أمثال هذه العجائب فى لباقة نادرة نعهدها لديه فى أكثر ما يقول .

ولا نطيل فى عرض ما قال عن المتطفلين والفتوات وأرباب الكيوف والمخدرات ، فقد جاء فى هذا المجال بما يضحك الثكلى حقاً ، وقد مات أحد هؤلاء فكتب عنه مقالاً بديعاً فى صدر جريدة الأهرام ونشره بخاتمة الجزء الثانى من المختار ، فلنترك حديث هذه الطبعة إلى حديث الكبار ! ممن نالوا حظاً وفيرا من نقد الأديب الكبير .

إن روح النقد الفكاهى لا تفارق البشرى فى حديثه عن رئيس الوزراء لعهده ، إذ يتحدث عنه بحرية مفرطة كما يتحدث عن المتطفلين والشحاذين ، لأن الأديب من طراز البشرى ينظر إلى النماذج البشرية حيث كانت ، ويرى عوامل الصدور والارتقاء لا تخفى مظاهر الضعف والكسل ، بل ربما ساعدت على إبرازها ، لأن صاحب المنصب الكبير فى ملتقى العيون دائماً ، فحركاته مرصودة ، ومواقفه مشهودة ، وأعداؤه من الكثرة بحيث لا يغفلون عن هنته ، ولم يكن البشرى متجنياً على الرئيس الكبير إذ كانت بعض مواقفه السياسية مما أوجب السخط العام وأثار الحفيظة فى النفوس ، إذ جاء عقب وزارة سعد زغلول وسلم للإنجليز بما يطلبون ، وهو بعد موضع الملاحظة « الكاريكاتورية » للفنان الأصيل لضخامة جسمه ، حيث بلغت مبلغاً لم يجد قلماً أرقى من قلم البشرى فى تصويره الدقيق ، إذ بدأ مقاله عن احمد زيور بقوله :

« اما شكله الخارجى وأوضاعه الهندسية ، ورسم قطاعاته ، ومساقطه الأفقية ، فذلك كله يحتاج فى وصفه وضبط مساحاته إلى فن دقيق ، وهندسة بارعة ، والواقع أن زيور رجل - إذا صح هذا

التعبير ـ يمتاز عن سائر الناس في كل شيء . ولست أعني بامتيازه في شكله المهول طوله ، ولا عرضه ولا بُعدِ مداه ، فإن في الناس من هم أبدن منه ، وأبعد طولا ، وأوفر لحماً ، إلا أن لكل منهم هيكلاً واحدا .

أما صاحبنا فإذا اطلعت عليه أدركت لأول وهلة ، أنه مؤلف من عدة مخلوقات لا تدرى كيف اتصلت ، ولا كيف تعلق بعضها ببعض ، وإنك لترى بينها الثابت وبينها المتخلخ ، ومنها ما يدور حول نفسه ، ومنها ما يدور حول غيره ، وفيها المتيبس المتحجر ، وفيها المسترخي المترهل ، وعلى كل حال فقد خرجت هضبة عالية مالت من شعافها إلى الأمام شعبة طويلة أطل من فوقها على الوادى رأس فيه عينان زائغتان ، طلة من يرتقب السقوط إلى قرارة ذلك المهوى السحيق » !

هذا الوصف الخارجي الرائع أتبعه البشرى بوصف للسجايا والصفات ، وفيه من التندر الضاحك ما لايُتاح لغير خليفة الجاحظ ، وقد لا تكون هناك صلة شخصية بين الكاتب وزيور ، إلا ما يعرفه المواطن من الأخبار العامة عن مسئول كبير ، يقوم على شئون الدولة فالعاطفة ليست من الخصوص بحيث تحتاج إلى استعادة ذكريات تُثنى من عناية العبث الفكاهي ، ولكن الأديب مصور مجسم رأى فرسم وأوضح وبالغ في الظل والضوء !

تصوير رائع ينفرد به البشرى في مراياه ، إذ حاول كبار الكتاب أن يبلغوا مبلغه في رسم الشخصيات ظاهراً ، وتصوير الخلجات باطناً فما رجعوا بطائل ، حاول فكرى أباظة وحسين شفيق المصرى ومحمد إبراهيم هلال وتوفيق فرغلي وعبد الحميد حمدى وكلهم من صفوة الأدباء أن يبدعوا إبداعه ، فبعدوا وما قاربوا ، وهم في غير هذا المجال ذوولسن مبين ، لأن روح البشرى تتعاصى على التقليد وإذا كان من المبدعين من له مدرسة من ناشئة المحتذين ، وأيفاع المقلدين فقد بقى البشرى أستاذاً دون تلميذ !!

وليس من التناقض في شيء أن يكون صاحب هذه الفكاهة الضاحكة ، حزيناً في أعماقه ، إذ قد تكون الفكاهة محاولة للهروب من واقع متأزم ، والبشرى إنسان حساس مرهف ، وبإحساسه يفطن إلى مواضع الألم في المجتمع حين يشهد ارتفاع الأقزام ، وانخفاض الرءوس ، وحين يرى الإباحيّ يرتدى عباءة المتزمت ، والجاهل يتشح بسروال العالم ، وينال من التقدير ما لا يستحق ، أضف إلى ذلك ما تعاوره من المرض المتقطع وما رزىء به من فقد بعض البنين ، كل ذلك يجعلك تلمس الآهة الحبيسة في تلافيف ما تسمعُ من الضحكات ، أمّا إذا كان الموضوع خالصاً للألم فإنك لا تقرأ للبشرى حينئذ كلمات يكتبها القلم ، بل ترى دموعاً يسيل بها الجفن ، وللبشرى إذ ذاك من تيقّظ الشعور ، وتوهج الإحساس ما يجعلك تحس وهج الجمر ، وهو كامن خلل الرماد ! لقد شاهد الكاتب احتضار ابنه « حسن » في ليلة دامسة تنفس صبحها عن دجى شديد ، ففزع إلى القرطاس يسيل فيه دموعه المترقرقة من ينابيع حسرته ، فإذا به ينقل المأساة من صدره إلى صدور قرائه . وإذا هو لا يتكلف

عبد العزيز البشرى

شيئاً حين يصف لوعته الحارة فيقول « لقد استحالت كل جارحة فىّ نفساً تعانى من سكرات الموت ما لا يعلم مدى أوجاعه وآلامه وبرحه إلا الله ، فهذه تُزَمّ بملازم الحديد زَماً ، وهذه تضغمها أنياب النمور ضغماً ، وهذه توخز بالإبروخزا ، وهذه تخر بالمدى خرا ، وهذه تفريها المخالب فريا ، وهذه تشويها النارشيا ، وكيف لى بعذاب نزع واحد ، ولم يصبح لى كسائر الناس نفس واحدة ، وإنما هى نفس تساقط أنفسا ! لاشك يابنى أنك مضيت إلى الجنة ، فإذا احببت أن تعرف مبلغ عذاب أهل النار فاشده بعض ما أنا فيه ، واحر قلباه ، إننا نعيش فى هذه الدنيا عيش الآمن فى سربه ، بل عيش الذى عاهد القدر على أن يسلّم على الزمان فلا تكرثه الكوارث أبداً ، وإنا لنشعر فى أنفسنا المراح فنعبث ونضحك ، ولقد يضحك لضحكنا خلق من الناس ، وما ندرى : ماذا يضمر القدر بعد ساعة واحدة ، بل بعد دقيقة واحدة ، فلقد يكون فيما يضمر القدر ما يقد المتن قدا ، وما يهد النفس هدا ، وكذلك كان شأنى فيك يابنى » .

على أن حياة البشرى النفسية كانت لا تعرف الاستقرار ، فهو يعلن أنه ما اطلعت عليه ساعة من نهار إلا رأى نفسه مشغولاً عنها بالانحدار إلى التى تليها ، ولا صار فى يوم من الأيام إلا أحس أن همه فيما بعده ، فهو من يوم أن طالع هذه الدنيا كأنه على سفر دائم لا لبثة فيه ولا هوادة ، ولا مناخ لراحة أو زاد ، وإنه ليتساءل حائراً[1] ! ترى ما حاجتى أو ما حاجة هذا السائق الخفى الذى لا ينى عن دفعى دائماً إلى الأمام ؟ فما كنت فى ساعة من الدهر إلا استشرفت لما بعدها ، ولا طلع على يوم من أيام العمر إلا تشوفت إلى غده ، ولا دخلت على سنة إلا تعجلت السنة التى من ورائها حتى لو تهيأ لى أن تجمع أيام عمرى فى سجل واحد ، لأسرعت إلى تقليب صفحاته حتى آتى من فورى على آخرها ، وفى آخرها آخر العهد بالحياة ، فما أرانى غير قصة خيالية أنا ممثلها ، وأنا فى الوقت نفسه شاهدها ، فما إن جد لى منها منظر إلا تاقت نفسى لما بعده ، ولا حل منها فصل إلا تعجلت غايته والتحول إلى ما وراءه » .

وفى هذا القلق الدائم أبدع البشرى مقالاته ، لأنه يستمد وقوده منه ، فهو يحلل كل دقيقة تمر به ، وإذا استشعر لها بعض الألم حينا ، فإن ألم الأديب الكبير نعمة لا نقمة ، ومن لطف الله به أنه كان محبوباً فى عمله الحكومى ، وكان لشهرته الأدبية لا يجد من رؤسائه غير الاحتفاء والترحيب ، ولو سمحت ظروفه الوظيفية بغير ذلك ، ما تيسر له أن يعد ساعات النهار قلقاً متبرماً ثم هو ينشىء أروع المقالات ، وينادم بأحلى النوادر وأطيب الأحاديث .

إن من سمة الأدب الحى ألا يخلق على التكرار ، فأنت تطالعه عدة مرات دون أن

(١) المختار جـ ١ ص ١٧٤ .

يفقد حلاوته ، أو تخف جدته ، كاللحن الغنائى تسمعه ما تسمعه ثم تجد نفسك فى حاجة إلى استعادته ، وإذا كان الشعر الصادق يجبر قارئه على ترداده ، تنفيساً عن مشاعر دفينة ، وترويحاً عن أحاسيس مكظومة ، فإن فى أدب البشرى الكثير مما يرتفع إلى مستوى الشعر البليغ ، وما تجد نفسك فى أمسّ الحاجات إلى معاودة روائعه ، وكأنك تجول فى روضة معطار تتفقد زهورها ، وتأكل من ثمارها ، وتستنشق نسائمها .

لقد كتب البشرى قصة عاطفية تحت عنوان (حياء) تصور الحب العذرى الحبيس ، هذا الحب القاتل الذى يضطرم فى الأحشاء دون أن ينم عنه اللسان ، بل دون أن تُفصح عنه العينان إذ يجتهد صاحبه أن يُخفى ذات نفسه ، كيلا تحس لَيْلاهُ بشىء من شجونه ، فتغضب ، وهنا تقع الكارثة التى لايفوقها حدث ما ، وما كانت قصة البشرى ذات أحداث مفاجئة تتطلب الانتباه ، وتستهوى الأنظار حتى يرجع تأثيرها إلى توالى المشاهد ، وترادف المفاجآت إن هى إلا تصوير لرجل أحب فعف فكتم ! ولكن انفساح الأمد فى التصوير الخالب ، والصدق الآسر ، والإيحاء الرامز جعلك من هذه القصة تصلى من الوان الاحاسيس ما يرتفع بنفسك طهرا وشرفاً ومروءة ، وما يطرب ذوقك إبداعاً وإيحاء وترنيماً .

وهل يكون الشعر غير ذلك .

فما لنا نقصره على خواطر تضطرب فى سلاسل القوافى والأوزان ، والاستشهاد هنا ببعض ما قال الكاتب المبين فى قصته مما يضائل منها ، لأن القصة لا تستوى ناهضة فى دنيا الخاطر إلا إذا ذكرت جميعها من ألفها إلى يائها ، وهل يمكنك أن تعرض من الوجه الجميل عينا ، أو أذناً ، أو خدا ليدل شىء على جمال أشياء ، كذلك لا يمكنك أن تستعير عدة سطور لتدل جذوة واحدة على ما يتأجج به البركان من جذوات ، لقد خصها الأستاذ خليل مطران بحديث لامح فيما كتبه بمقدمة الجزء الأول من المختار إذ شدت انتباهه شدا عنيفاً ، وهو القارىء والدارس لآداب الغرب ، والمترجم الدقيق لروائعه القصصية . ولكنه وجد حقاً عليه أن يقول عن قصة (حياء) للبشرى إن فى ما هو أغرب فى سرد ما سَردَ من وقائعها ، وفى صدق تصوير لصاحبها بحسه ومعناه ، وفى مختلف أطواره ، وفى إحكام السياق إلى أن أطْفَئ(٢) من الرسوب فى أبعد قرارة من النفس معنى من أدق معانى الحياء !! الله الله فى دقة الوصف ، واستشفاف ألطف ما يتحرك به الحس فى أطواء النفس . الله الله فى روعة الأسلوب وصفاء العبارة ، وبلاغة تمهيد الفواتيح للخواتيم » !!

ومن أبدع ما كتب البشرى فصل رائع عن قارىء القرآن الشيخ أحمد ندا ، وقد امتد صيته فى الربع الأول من هذا القرن ، حين لم تنتشر شرائط التسجيل لتحفظ روائع أدائه

البقية ص ٢١٣

(٢) ذائع .

الشيخ
محمد بن سعيد عياد الطنطاوى

أستاذ اللغة العربية بجامعة بطرسبورج
(١٨١٠ - ١٨٦١)

علم من اعلام الدين واللغة والادب نشا وتعلم فى رحاب الأزهر الشريف فى الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادى، حتى تخرج منه ثم مارس مهنة التدريس فيه بضع سنوات قبل ان يقوم برحلته العلمية إلى الامبراطورية الروسية القيصرية سنة ١٨٤٠ ميلادية ويقضى فى عاصمتها مدة تقرب من ربع قرن من الزمان، اتقن خلالها اللغة الروسية واستطاع بجده واجتهاده وعمله ان يصل فى مهنة التدريس إلى درجة الأستاذية لكرسى اللغة العربية بجامعة « بطرسبورج ».

يصفه المرحوم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن صاحب كتاب" أعلام من الشرق والغرب" بأنه كان من أعلام النهضة الأدبية فى القرن التاسع عشر، ومن الطلائع الذين اتجهوا فى دروس اللغة والأدب والشعر وجهة جديدة، وقد اتسعت هذه الطريقة فيما بعد على يد الشيخ حسين المرصفى (صاحب كتاب الوسيلة الأدبية) الذى كان من علماء الأزهر، وتولى التدريس فيه والمتوفى سنة ١٨٨٩ ميلادية.

ذلك هو الشيخ محمد بن سعيد بن سليمان عياد المرحومى الطنطاوى الذى تلقى العلم على يديه المئات من المصريين، والمئات من الشخصيات الأجنبية فى مصر ثم فى الدولة الروسية القيصرية، بعضهم ليسوا من الروس فحسب، فكثير منهم كان من أبناء الشمال الأوروبى وبعض الدول الأوروبية الأخرى.

مولده ومحتده

ولد الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى فى قرية (تجريد) من قرى محافظة الغربية سنة ١٢٢٥ هجرية التى توافق سنة ١٨١٠ ميلادية إلا أن موطن والده هو قرية (محلة مرحوم) التى كان لها وزن كبير فى الماضى البعيد إذ كانت عاصمة إقليم

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

الغربية قبل أن تحتل مكانتها مدينة طنطا إثر أن بنى فيها على بك الكبير (مسجد السيد أحمد البدوى) فصارت عاصمة ذلك الإقليم وازدادت شهرتها فى تحفيظ القرآن الكريم [...] وفى هذه البيئة القرآنية حفظ الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى القرآن الكريم ، وقد غلبت عليه النسبة إلى مدينة طنطا فصار مشهورا بها منذ أيام طلبه العلم فى الجامع الأزهر .

سفره إلى القاهرة لاستكمال طلب العلم بالأزهر وتدريسه فيه .

وفى سنة ١٢٣٨ هجرية التى توافق سنة ١٨٢٢ ميلادية توجه الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى إلى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف فقد كان ـ ومازال ـ المركز العلمى والدينى والثقافى الأول فى العالم الإسلامى والعربى ، وإلى ما شاء الله تعالى ، وفى الأزهر اتجه الشيخ إلى دراسة علوم اللغة العربية ، وبعد وصوله إلى القاهرة بخمس سنوات توفى والده فكان عليه أن يدبر شئون حياته إلى جانب الاستمرار فى دراسته فسمح له بالتدريس فى الأزهر ، خصوصا بعد أن نال إجازة التدريس فى علم الحديث ، ولم يفته الاهتمام بعلوم اللغة وآدابها فكان يلقى دروسا أخرى فى الشرح والتعليق على كتب الشعر والأدب حتى اعتبر من أوائل علماء

الشيخ محمد عياد الطنطاوى

الأزهر الذين اتجهوا فى التدريس وجهة أدبية ، وكان مما قام بتدريسه لطلبته ديوان الحماسة ومقامات الحريرى ، فكان يشرح غريب الألفاظ ويبصر متلقى العلم بمواطن الحسن والقبح فيها لكنه لم يترك شرحا مخطوطا لأى من هذين الكتابين .

اساتذته وزملاؤه فى الأزهر الشريف :

تلقى الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى العلم على لفيف من علماء ذلك العصر نذكر منهم :

الشيخ محمد بن سعيد

١ ـ الشيخ حسن العطار الذى تولى مشيخة الأزهر فيما بعد ، وقد كان لديه من النزعات الأدبية ما جعل له مقاما ملحوظا فى الجامع الأزهر وفى غيره فى ذلك الزمان .

٢ ـ الشيخ محمد الزبيدى صاحب قاموس تاج العروس .

٣ ـ الشيخ إبراهيم الباجورى .

أما زملاؤه فكان منهم الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى والشيخ محمد قطة العدوى محقق كتاب العروض وبعض كتب التراث الأخرى .

قيامه بتدريس اللغة العربية للأجانب المقيمين بمصر مهد له طريق السفر للبلاد الروسية

عندما أبدى بعض الأجانب المقيمين فى مصر فى عصر محمد على رغبتهم فى دراسة اللغة العربية اختير الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى للقيام بهذه المهمة وكان ذلك سنة ١٨٣٥ ميلادية فى المدرسة الانجليزية بالقاهرة وأتيح له التعرف بشخصيات مختلفة إلى كثير من المستشرقين فعرفوه وتردد اسمه فى دوائرهم ، ومن تلاميذه مستشرقون من فرنسا وألمانيا وأبناء الامبراطورية الروسية وقتئذ نذكر منهم :

١ ـ الدكتور برون الفرنسى .

أستاذ الطبيعة والكيمياء بمدرسة الطب المصرية وكان يعرف اللغة العربية كتابة وقراءة وحديثا .

٢ ـ الدكتور (فراهن) R.FRAEHN

وهو ألمانى كان والده مدرسا للشرقيات فى كلية قازان الروسية .

٣ ـ المستشرق (جستاف فيل) Weil

وكان مدرسا لتاريخ الشرقيات فى كلية هيدلبرج وله من الكتب تاريخ الخلفاء فى ثلاثة مجلدات ، وتاريخ العباسيين فى مصر فى مجلدين .

٤ ـ المستشرق الفرنسى (فلنجانس فرنيل) F. Fresnel

وله أبحاث فى آثار بابل وترجم لامية العرب للشاعر (الشنفرى) إلى اللغة الفرنسية .

٥ ـ نيقولا موخين ، ورودلف فرين وقد كانا يعملان بالسلك السياسى الروسى لدولتهما بالقاهرة ، وهذان حررا لحكومتهما توصية بالاستفادة من علم هذا الشيخ الأزهرى وذلك بطلبه لتدريس اللغة العربية فى معاهد العلم بالبلاد الروسية وشهدا له بالإجادة والتمكن فيها ، فلما احتاج معهد اللغات الشرقية فى بطرسبورج إلى مدرس للغة العربية وقع الاختيار عليه وكلفت الحكومة الروسية مندوبها القنصلى فى القاهرة (بطرس بكتى) بالاتصال بالشيخ وإقناعه بالسفر والعمل هناك .

ومما ساعد على دعوته للسفر إلى البلاد الروسية عناية تلك الدولة بدراسة اللغات السامية منذ سنة ١٨١٦ ميلادية إذ انشىء فى عاصمة القياصرة فرع للغات الشرقية وكان

الفضل فى ذلك راجعا إلى (أوفاروف) صاحب مشروع المجمع الآسيوى ، وأخذت الحناية باللغات الشرقية تظهر شيئاً فشيئاً فى روسيا بفضل اهتمام (بوشكين) ناظر المعارف فى الحكومة القيصرية ، وكانت تدرس فيه بجانب اللغة العربية اللغات الفارسية والتركية والمغولية والصينية والأرمنية وغيرها مـن لـغـات الشرق ورأى الأستـاذ (جريجرياف) أن يقوى هذا القسم بإنشاء شعبة لتدريس تاريخ الشرق حتى تكون دراسة اللغات الشرقية متمشية جنبا إلى جنب مع دراسة تاريخ أقطارها فقرر الاستعانة بالأساتذة المشارقة أنفسهم فذلك أجدى وسيلة لتعليم اللغات الشرقية للراغبين فيها من الطلاب الروس وغيرهم من الأوروبيين ، وفى مقدمة هذه اللغات اللغة العربية ، فكانت ضمن مناهج الجامعات ، وكانت (جامعة خاركوف) أول جامعة تأخذ بتطبيق هذا المبدأ : تدريس اللغة العربية ثم تلتها (جامعة قازان) فقامت بتدريسها بالفعل عندما استدعى الامبراطور أسكندر الأول المستشرق (دى ساس) فاقترح عليه إنشاء كرسى للغة العربية بجامعة (بطرسبورج) فشغله (ديمانج) ثم خلفه (سبينكوفسكى) الذى تسلم منه الشيخ محمد بن سعيد عياد الطنطاوى هذا العمل إثر نقله من معهد اللغات الشرقية سنة ١٨٤٧ واستمر فيه طيلة حياته العلمية هناك .

سفره لاستلام العمل

بعد موافقة الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى على عرض الحكومة الروسية للعمل هناك دعاه والى مصر محمد على باشا لمقابلته ، وفى هذه المقابلة حثه على دراسة اللغة الروسية وإتقانها ووعده بعطفه والعناية به إذا أجاد فى رحلته ، وفى يوم السبت ٢٠ من المحرم سنة ١٢٥٦ هجرية الموافق ١٦ مارس سنة ١٨٤٠ م سافر الشيخ من القاهرة إلى الأسكندرية حيث استقبله القنصل الروسى ، ثم ركب إحدى البواخر البحرية لتصل به إلى (مدينة اسطنبـول) عاصمـة الخلافـة العثمانية ، وهناك استقبله السفير الروسى ورحب به ، وزيادة فى العناية به كلف أحد موظفى السلك السياسى بالسفارة واسمه : نيقولا موخين (تلميذ الشيخ سابقا بالقاهرة) بمرافقته فى رحلته إلى البلاد الروسية ؛ فاستقلا إحدى البواخر الروسية التى رست بمدينة أودسا على البحر الأسود ، ومن هذه المدينة استقلا عربات البريد التى تجرها الخيول فاخترقت بهما البلاد من الجنوب إلى الشمال حتى وصلا مدينة (كييف) ثم قرية (موهلوف) موطن تلميذه ورفيقه : نيقولا موخين فاستقرا بها بضعة أيام استأنفا بعدها رحلتهما إلى مدينة (بطرسبورج) عاصمة البلاد وقتئذ - وتسمى حديثا (لينجراد) فوصلاها فى التاسع والعشرين من شهر يونية سنة ١٨٤٠ ميلادية بعد سفر دام ثلاثة أشهر ونصف شهر ، قضى الشيخ منها شهرين فى الحجر الصحى وبضعة أيام فى قرية موهلوف ولم تضع هذه الأيام سدى بل استنفدها الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى فى تعلم اللغة الروسية .

← الشيخ محمد بن سعيد

أعماله في هذه البلاد :

بعد وصول الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى إلى بطرسبورج أسندت إليه حكومة القيصر الروسى بعض الأعمال العلمية في وزارة الخارجية الروسية بالإضافة إلى عمله في تدريس اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية وبعد سبع سنوات من تاريخ حضوره - وبالتحديد في ٨ اكتوبر سنة ١٨٤٧ - عين أستاذا في جامعة بطرسبورج للغة العربية بالإضافة إلى عمله في وزارة الخارجية الروسية .

طريقته في التدريس بمدينة بطرسبورج

في تدريسه للغة العربية كان يجمع بين الطريقة النظرية والطريقة العملية فكان يدرس لطلابه قواعد اللغة العربية ، ويشرح أمثال لقمان ويقرأ قطعا تاريخية من مقامات

الحريرى ونظراً لإلمامه وإتقانه للغة الروسية كان يدرس « الترجمة » من الروسية إلى العربية وكذا الخطوط العربية وقراءة المخطوطات والمحادثة باللغة العربية وابتداء من سنة ١٨٥٥ رأى أن يدرس (تاريخ العرب) .

الآثار التى احدثتها طريقته في تدريس اللغة العربية :

شاعت طريقة الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى في الأوساط العلمية في روسيا كلها وتجاوزتها إلى الأوساط الأدبية حتى إننا لنجد اهتماما ملحوظا بالثقافة العربية من أدبائها الكبار .

١ - فالكاتب الأديب (تولستوى) أعاد النظر في دراسة هذه الثقافة ودراسة الإسلام ثم ألف كتابا عن النبى محمد ﷺ قال فيه (لا ريب أن هذا النبى من كبار الرجال المصلحين[1] الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقى والتقدم وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتى قوة وحكمة وعلما ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال) .

٢ - ويقترح أديب روسيا في ذلك الوقت (مكسيم جوركى) على مستشرقى جامعة بطرسبورج زيادة الاهتمام بالثقافة العربية .

٣ - ولم يقتصر الاهتمام بالثقافة العربية في الدولة الروسية على الأوساط العلمية والأدبية وإنما تجاوزها إلى الأوساط الشعبية

---

(١) نؤمن - نحن المسلمين - بأن من يقتنع بالإسلام إقتناعا صادقا يندفع إلى الإيمان به ، فكان حديثه عن المصطفى حديث المعترف بمنزلته الحقة ، فلا يعتبره مصلحا أدى خدمة اجتماعية ، بل يعتبره الرسول الخاتم المرسل للعالمين كافة . لذلك ينبغى أن يؤخذ بحذر شديد ما يلهج به بعض الكتاب الغربيين وغير المسلمين - عنه ﷺ - مجلة الأزهر .

حيث أنشىء العديد من المكتبات الشرقية التى تحتل الكتابات العربية جانبا منها حتى انه كان فى مكتبة بطرسبورج نسخة من القرآن الكريم بخط كوفى محفوظة فى صندوق زجاجى بل إنها نسخة تخص الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وعليها قطرة من دمه .

٤ ـ ولقد تتلمذ على الشيخ الطنطاوى واستفاد من طريقة تدريسه عشرات من المستشرقين الروس إما مباشرة أو على خلفائه وتلاميذه ومنهم المستشرق (كراتشكوفسكى) الذى ألف كتابا عن حياة الشيخ باللغة الروسية تقديرا وإعجابا به .
ومنهم المستشرق الفنلندى الأصل (Wallin فالن) الذى زار مصر وسوريا وجاب الجزيرة العربية فى القرن التاسع عشر .

مؤلفاتـــــــه :

بلغت مؤلفات الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى واحدا وأربعين مؤلفا معظمها مخطوط لم ينشر حتى الآن ، لعل أهمها كتابه فى وصف البلاد الروسية وعنوانه (تحفة الأذكيا بأخبار روسيا) ومنها فى علم النحو (حاشية على شرح الشيخ خالد على متن الأزهرية) و (حاشية على متن الزنجانى فى الصرف) و (حاشية على كتاب الكافى فى علمى العروض والقوافى) ولها نسخة خطية فى مكتبة الأسكندرية وقد قامت مكتبة جامعة بطرسبورج بشراء مجموعة هذه المؤلفات المخطوطة سنة ١٨٧١ ميلادية بناء على طلب الأستاذ (كسوفتش) عميد المدرسة الداخلية التى كان يقيم ويتعلم فيها أحمد نجل الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى بعد وفاة والده حتى يستمر صرف معاش أبيه إليه .

ولقد دارت بين الشيخ الطنطاوى وتلميذه الفنلندى (فالن) رسائل جمعها ذلك المستشرق وطبعها مترجمة إلى اللغة السويدية ، ومجموعة أخرى من رسائل الشيخ محفوظة فى (مكتبة جامعة هلسنكى) كما ترك الشيخ رسالة إلى زميله فى الجامع الأزهر وصديقه رفاعة رافع الطهطاوى يذكر له فيها كيفية معايشة الأوروبيين وانبساطهم وحسن إدارتهم وترتيبهم خصوصا ريفهم والبيوت المحدقة بها الأنهار والبساتين .

مرضه ووفاته :

فى سبتمبر سنة ١٨٥٥ ميلادية ألم الشلل بقدمى الشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى مما اضطره إلى طلب أجازة مرضية من إدارة الجامعة ، وفى أبريل سنة ١٨٥٦ م طلب من الأطباء ان يمدوا له اجازته المرضية ثمانية وعشرين يوما ليسافر إلى (بوهيميا) للعلاج بمياهها المعدنية الساخنة ولكن العلة استفحلت فأقعدته تماما عن العمل ومع ذلك فإن إدارة الجامعة هناك زيادة فى تقديرها له رفضت أى بديل لهذا الشيخ الأزهرى حتى وفاته سنة ١٨٦١ م لأنه كان معظما غاية التعظيم محترما إلى النهاية من جانبها ، وقد رتبت له معاشا عظيما كما شهد بذلك الشيخ يوسف كوتوال مدير « كتبخانة » دار المعارف

الشيخ محمد بن سعيد

بقازان والتى سجلها المرحوم محمد أمين فكرى بك فى أوراقه .

بعض مظاهر تقدير الدولة الروسية للشيخ محمد بن سعيد الطنطاوى

كان لجهود الشيخ المثمرة فى تدريس اللغة العربية وآدابها التقدير والثناء عليه من أقطاب الدولة الروسية القيصرية وغيرهم من الملوك والكتاب أظهروه فى مناسبات متعددة :ـ

١ ـ فى الخامس عشر من أغسطس سنة ١٨٥٠ م استحق الشيخ الشكر القيصرى على جهوده فى التدريس لطلاب جامعة بطرسبورج .

٢ ـ وبعد عامين حاز ميدالية من أحد ملوك أوروبا مكافأة له .

٣ ـ ثم أهداه ولى عهد القيصر الروسى خاتما مرصعا بالجواهر شكرا له على جهوده العلمية .

٤ ـ وقد كتب عنه الكتاب الروس الكثير خصوصا عن ذكائه وطيبة قلبه وأنه إنسان مرح وعطوف وأن ذكاءه واستقامته يستدعيان الاحترام الشديد وأكدوا فيما كتبوه أنه ليس للطنطاوى مثيل آخر فى هذا العالم .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

المراجع :

ـ اعلام من الشرق والغرب للأستاذ محمد عبد الغنى حسن ـ الناشر دار الفكر العربى .
ـ مجلة العربى الكويتية شوال ١٤٠٨ هـ ـ مقال للأستاذ يوسف القعيد .
ـ إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا للأستاذ محمد أمين فكرى طبعة المقتطف مصر ١٨٩٣ .
ـ مقال الاستشراق الروسى بين الشيخ الطنطاوى وكراتشكوفسكى .
جريدة الأهرام ١٩٨٨/١/٢٩ للأستاذ سامح كريم .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

تضرع وإنابة

أيام

عندما يتنفس الصبح

تضرع وإنابة

للشيخ محمد زكي إبراهيم

يارب أذنبتُ لكن ... في خيفةٍ منك ربي
قد كان قلبي يبكي ... وأنت أدري بقلبي
وأنت أدري بصدقي ... مني، وأدري بكذبي
ياغافر الذنب إني ... قد اعترفتُ بذنبي
ياقابل التوب صِلْني ... واقبل بفضلك توبي
مالي إليك شفيع ... إلا اعترافي وحبي
والستر منك دليل ... على قبولي وقربي

عَجِبْتُ - والله - مِنّي ... وطاش - والله - لُبي
لا زلت في التيه أمضي ... لغير وجه وصَوْب
يارب هل من سبيل ... إليك يكشف كربي ؟
ظلمتُ قبلا شبابي ... واليوم أظلم شيبي
إني أثيم مُقَصِّرٌ ... قد ضاق بي كلُّ رحب
بكيت حتى بكاني ... قُساةُ أهلي وصحبي

يارب أذنبت لكن ... في خِيفةٍ منك ربي
كم أرقتني الخطايا ... ولستُ بالمتابي
هل من نجاةٍ لعبدٍ ... على المعاصي مكِبٌ ؟
يارب عفوك أرجو ... إن نلتُ ذاك فحسبي

ألم

للشاعرة نور نافع

والله ما عاد الزمان زمانا ... كلا ولا امسى المكان مكانا
إن الزمان رمى بنا في وهدة ... فمكاننا حيث الزمان أزمانا
لما قتلنا في جفاء صدقنا ... ووفاءنا ووادادنا ورضانا
لما قتلنا الروح والمعنى، وما ... ابتدرت مدامعنا على قتلانا
لما العيون رنت كانا لا نرى ... احدا، ولا احدٌ هناك يرانا
متهالكون، مبعثرون، قلوبنا ... شتى تزاول اى شىء كانا

البعض يهزل، والليالى مُرَّةٌ ... ويظننا سنصفق استحسانا
والبعض لا يدرى، ويحسب انه ... يدرى فيمعن في الهوى إمعانا
والبعض ينظرها بنصف عيونه ... فتراه فيها نائما يقظانا
والبعض يلعب بالنشاب سفاهة ... لم يدر ان نشابه اردانا
والبعض يلهث والسراب يزيده ... لهفا - ويزداد الثرى لمعانا
والبعض يعشق نفسه ما همُّهُ ... ان الذى قد سره ابكانا
والبعض يلتهم الحياة بلحمها ... بعظامها بدمائها بدمانا
وعلا صياحُ القرش. والكف التى ... لعبت به جعلت له سلطانا
رفعته فوق المكرمات، وبعثرت ... كل الفضائل حوله قربانا

ماذا تعلمنا؟ فلم يك فعلنا ... شططا، وكل امورنا استهجانا؟
كنا بروح خالص متلهف ... ينساب من فرط الوفاء حنانا
كنا بطبع في التخلق واحد ... حتى لتحسب كلنا إنسانا
اين ائتلاف الناس. هل ايامه ... ولّت وما عاد الزمان زمانا؟
اين المبادىء والمشاعر، اين من ... فضل تناسينا ومن إنسانا؟
من نحن؟ نبحث بيننا عن روحنا ... وسؤالنا: ماذا تراه دهانا؟
هل تلك مصر بنيلها وسمائها ... ولما تغير فوق ذاك سوانا

عندما يتنفس الصبح

للشاعر محمد عبد الخالق ندا

طيور الروض تهتف للصباح فتبتعث الخلائق من سباتِ
نشاوى ليس من دنّ وراح لقد سكرت بانفاس الحياةِ

***

تُحلّقُ فوق روضتها حبورا تناجي الحسن مؤتلقا بَهِيًا
وتنهل من جمال الكون نورا ترردده نشيدا عبقرياً

***

وكم للطير من نغم شجيٍّ له فى النفس سحر اىّ سحرِ
يردد فى البكور وفى العشى كنور البدر فى الارواح يسرى

***

ومال السَّرْوُ منتشيا يناجي طيورا شاقها العيش الجميلُ
تراها فى انطلاق وابتهاج ومن تغريدها يُشْفَى العليلُ

***

وانفاس الورود لها عبير يشعشع روحنا بعد الخمودِ
حياة كلها حسن ونور كانا قد خلقنا من جديد

***

تجلى مبدع الأكوان صنعا له الآيات رائعة الجمال
تسبحه الخلائق وهى تسعى فسبحان المهيمن ذى الجلال

العلوم الكونية

خصائص المنهج العلمي

نظرية الاختيار الأمثل

خصائص المنهج العلمي في التراث الإسلامي

٤

إسلامية المنهج العلمي حقيقة وضرورة:

استعرضنا في الفصول السابقة من هذه الدراسة أهم خصائص المنهج العلمي في التراث الإسلامي، وذلك من حيث تعريفه ومسلماته وعناصره وأدواته. ولا يصعب على أي باحث منصف أن يستنتج من قراءته للتراث الإسلامي أن المنهج الذي اتبعه علماء الحضارة الإسلامية تأليفاً وتحقيقاً وبحثاً وممارسة هو منهج إسلامي خالص، سواء من حيث الموضوع، أو من حيث الطريقة والأسلوب، أو من حيث المعنى والغاية.

ولهذا فإن أية صياغة لنظرية المنهج العلمي السليم لا تكون مقبولة منطقياً وعملياً إلا إذا عرضت في إطار من التصور الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهما الأساس الذي تنطلق منه العقلية الإسلامية بوجه عام، امتثالاً للأمر الإلهي الذي بدأت به رسالة الدين الخاتم في قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ «العلق - ١»، إذ لا يمكن أن تبدأ آخر الرسالات السماوية بهذا الأمر الإلهي إلا إذا اتسعت دائرة دلالته اللفظية وامتدت لتشمل كل ما يأتيه الإنسان في الجانب الإيجابي، وكل ما يدعه الإنسان في الجانب السلبي، مجرداً في الأسباب والغايات لله الخالق سبحانه وتعالى.

والقول بأن إسلامية المنهج العلمي **حقيقة منطقية وواقعية** يتفق مع ماثبت من أن المسلك الذى اتبعه علماء الأصول وعلماء الحديث في الوصول إلى استنتاج الأحكام وإلى الصحيح من الوقائع والأخبار والأقوال قد انسحبت على أسلوب التفكير والتجريب في البحث العلمي، وأصبحت القواعد التى ساروا عليها في تحرى الحقيقة هى المعوّل عليها لدى الباحثين المحدثين والمعاصرين في

للدكتور أحمد فؤاد باشا

مختلف فروع المعرفة . ومن ثم لم يكن غريباً أن نقرأ فى كتب التراث العلمى للحضارة الإسلامية تعبيرات أصول الفقه وطرائقها . فنرى الحسن بن الهيثم - على سبيل المثال - يستعمل الاستقراء وقياس الشبه فى شرحه لتفسير عملية الإبصار وإدراك المرئيات حيث يقول : « لا يتم الإدراك إلا بتشبيه صورة المبصَر - بفتح الصاد - بصورة قد أدركها المبصِر - بكسر الصاد - من قبل ، ثم إدراك التشابه بين الصورتين ، ولا يدرك التشابه بين الصورتين إلا بقياس » . كما نراه يستعمل لفظ الاعتبار (وهو قرآنى) ليدل على الاستقراء التجريبي أو الاستنباط العقلى [1] .

أما أن إسلامية المنهج العلمى ضرورة ، فهى بالفعل كذلك ، لأنها تخلع عليه من خصائص الإسلام ما يجعله عالمياً وصالحاً لكل زمان ومكان .. وإدراك المسلمين الأوائل لروح المنهج العلمى على هذا النحو هو السبب الأول لتقدمهم ورقيهم . فلا شك أن تطوير العلوم سوف يستمر كما كان معتمداً على التجربة العملية . وحرص العلماء على الدقة المتناهية فى إجراء التجارب ، إنما يفيد فى اختبار صحة الأفكار النظرية . وعندما تعطى التجربة نتائج مختلفة أو مخالفة للنظرية ، فإن هذا بدوره يؤدى إلى نظريات واكتشافات جديدة ..

ومن هنا يقال دائماً إن التجربة العلمية هى التى تصنع المعرفة ، وقد ترتب على هذا الفهم الواعى لطبيعة المنهج العلمى الإسلامي الذى اصطنعه العلماء المسلمون أساساً للبحث والتفكير ، أن كان لهذا المنهج أعظم الأثر فى تاريخ العلم والحضارة . وعندما انتقلت العلوم الإسلامية إلى أوروبا ، فطن علماؤها إلى سر تقدم المسلمين ودعوا إلى اتباع منهجهم بعد أن وجدوه سمة العلوم فى الحضارة الإسلامية .. وقال الحبر الانجليزي (روجير بيكون) : « إنه باتباع المنهج التجريبي الذي كان له الفضل فى تقدم العرب ، فإنه يصبح بالإمكان اختراع آلات

←

---

(١) لمعرفة المزيد فى هذا الشأن نحيل القارىء الكريم إلى كتاب : القرآن والمنهج العلمى المعاصر ، للمستشار عبد الحليم الجندى ، دار المعارف ١٩٨٤ . وفيه عرض شيق لعلم أصول الفقه كما استنبطه الإمام الشافعى من نصوص القرآن ووضع له ضوابطه وشروطه للاجتهاد بمنهج عام للاستقراء والاستنباط والقياس ، تبارى فى الأخذ به العلماء فى جميع فروع العلم ، وتلاحقت فيه الشروح والأعمال التجريبية طوال القرون التى لحقت بعد ، حتى القرن الثالث عشر الميلادى . انظر أيضاً دراستنا عن « الإسلام وفلسفة العلم المعاصر » فى كتاب : الثقافة الإسلامية (بالاشتراك) ، ص ١٠٣ - ١١١ ، ط ٢ منشورات جامعة صنعاء ١٩٨٦ .

المنهـج العلمـي

جديدة تيسر التفوق عليهم .. ففي الإمكان إيجاد آلات تمخر عباب البحر دون مجداف يحركها ، وصنع عربات تتحرك بدون دواب الجر ، وإيجاد آلات طائرة يستطيع المرء أن يجلس فيها ويدير شيئاً تخفق به أجنحة صناعية في الهواء مثل أجنحة الطير[٢] .

وعندما جاء (فرنسيس بيكون) بعد ذلك أطلقوا عليه لقب نبي الحضارة ، ونسبوا إليه فضل اكتشاف المنهج العلمي الذي أنقذ أوروبا من عصور الظلام والانحطاط ، ولقد تأخرت أوروبا في الاعتراف بهذا السبق الإسلامي حتى جاء المؤرخ (بريفولت) الذي سجل في كتابه « بناة الإنسانية » أنه ليس لروجير بيكون ولا لسميّه فرنسيس بيكون الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ، فلقد كان هذا العلم هو أهم ما جاءت به الحضارة العربية إلى العالم الحديث (*) .

المنهج الإسلامي ومقومات الإبداع العلمي :

إن أهمية المنهج العلمي الإسلامي لا تقتصر بعد كل هذا على قدرته على مواصلة تحقيق التقدم القائم على التجربة واستخدام الآلات ، ولكنها تمتد من ناحية أخرى إلى ما يمنحه هذا المنهج للباحث من أسباب ومقومات تساعد على تنمية طاقاته الإبداعية في الكشف والابتكار ، وفي مقدمة هذه الأسباب والمقومات التي يقضي بها المنهج الإسلامي في البحث والتفكير يأتي : **الإيمان الخالص** الذي يجعل العقل أقدر على كشف الحقيقة العلمية وأكثر تهيؤاً لقبولها ، ويمدّ أمامه آفاقاً جديدة لم تكن في الحسبان ، فيميط اللثام بإذن الله تعالى عن الأساليب الخفية والأسرار الكامنة من العلم الإلهي الشامل وراء مظاهر الكون والحياة ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٣] ، وقوله عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[٤] . وهل الكشف العلمي إلا حل لمشكلة يظفر به الباحث بعد عناء تحليل منهجي شاق ودقيق ، أو يناله في فكرة طارئة ، أو في رؤية تتراءى له ، أو يخطر له في حلم أو إلهام ، ويتبع هذا الكشف إقامة الدليل على صحته ليضيف جديداً إلى العلوم التي تجنى البشرية ثمارها على أيدي علمائها

---

(٢) عبد المجيد عبد الرحيم ، مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية ، القاهرة ١٩٧٦ .

(*) تجدر الإشارة إلى أن المستشرقين كثيراً ما يحلو لهم ترديد ذكر « الحضارة العربية » وليس « الحضارة الإسلامية » . وليس بعسير أن نتعرف على دوافعهم الخفية وراء ذلك .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٢ .

(٤) سورة الحديد : ٢٨ ، ٢٩ .

المؤمنين بأن سلّم الرقى إلى الله تعالى هو سلّم المعرفة الصحيحة والعلم القويم .

في ضوء هذه الحقائق الإيمانية للمنهج الإسلامى يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن التعلم لا يحصل كله بالاستعداد والجد ، وأن هناك جزءاً طبيعياً يتلقى بالفتح من الله[٥] . ويذكر ذلك أيضاً ابن خلدون في المقدمة . وكان ابن سينا يقول : « ... كنت كلما تحيرت في مسألة ترددت على الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى فتح الله لى المنغلق وتيسر المتعسر .. » .. وحتى في العصر الحاضر يتوصل الفيزيائى محمد عبد السلام إلى نظرية توحد بين القوى التى تعمل داخل نواة الذرّة وينال عليها جائزة نوبل عام ١٩٧٩ ميلادية ، ويقول في هذا : « إن بحثنا عن الوحدة التى تجمع بين قوى الطبيعة التى تبدو متباعدة إنما هو جزء من إيماننا كفيزيائيين ومن إيمانى كمسلم »[٦] .. أما المفكر الفرنسي روجيه جارودى فيرى أن الإنسان إذا عرف الإيمان عن طريق العقل والقلب أثمرت له هذه المعرفة ثماراً يانعة ، كما يرى في المنهج الإسلامى الذي سبق أن أنقذ امبراطوريات كبرى متهافتة من الفناء في القرن السابع الميلادى أن بمقدوره اليوم توفير حلول لهذا القلق الذى تعانى منه حضارة غربية لم تنجح إلا في أن تحفر قبراً للعالم كله[٧] .

نماذج من الإبداع العلمى في التراث الإسلامى :

مما يدعو إلى التفاؤل ويبعث على الأمل أن الصحوة الإسلامية المعاصرة تواكبها حركة إحياء للتراث الإسلامى . وأن ما وصل إلينا من هذا التراث يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى الكثير من الكشوف والنظريات العلمية التى ينسب معظمها الآن إلى علماء الغرب وحدهم . ولا تزال جهود المخلصين وأبحاثهم تكشف عن حالات الغش العلمى والفكرى التى وقع فيها بعض النقلة والمؤرخين وضلّلوا بها أجيالاً متعاقبة بعد أن دسوها في مؤلفاتهم على أنها حقائق علمية وتاريخية لا تقبل الشك . فإذا ذكرت (الجاذبية) ذكروا اسم (نيوتن) وقالوا إن الزمان لم يَجُدْ قبله إلا بأرشميدس ، وأغفلوا ما قاله الهمدانى

←

(٥) ابن تيمية ، نقض المنطق . وفي هذا الكتاب كان ابن تيمية من أوائل مفكرى الإسلام الذين نقدوا المنطق اليونانى (منطق أرسطو الصورى) ودعا إلى الاستقراء الحسى الذي يأتى بالمعارف الجديدة ويصلح للبحث في الظواهر المادية الطبيعية .

(٦) د . محمد عبد السلام ، من محاضرة ألقاها بجامعة صنعاء في أبريل ١٩٨٢ .

(٧) روجيه جارودى ، ما يعد به الإسلام ، ترجمة قصى أتاسى وميشيل واكيم ، ص ٤٢ ـ ٤٣ ، دمشق . وهنا نود الإشارة إلى أن الاستشهاد ببعض آراء جارودى لا يعنى اتفاقنا معه في كل ما يقوله عن الإسلام ، وخاصة آراءه الجديدة في الشريعة وتدخله في الحدود التى قررها الله لحماية الدين والإنسان والأمن والمال والعرض . انظر في ذلك ما كتبه الدكتور سعد عبد المقصود ظلام في كتابه : لا لجارودى ووثيقة اشبيلية ، دار المنار ١٩٨٧ .

المنهج العلمى

والبيرونى من أن الأرض كحجر المغناطيس تجذب قواه الحديد من كل جانب ، فمن كان تحتها « أى تحت الأرض » فهو فى الثبات فى قامته كمن فوقها . وتناسوا ماقاله الخازن من أن هناك علاقة بين السرعة والمسافة والثقل . وأهملوا الأزياج التى وضعها (البتانى) و(البوزجانى) و(الكندى) وغيرهم(*) . وإذا ذكرت الدورة الدموية قالوا : إن مكتشفها هو (هارفى) وتعمدوا إغفال ما قاله ابن النفيس من أن الدم ينتقل من القلب إلى الرئة ليجدّد الهواء ، ولم يقل الاوكسجين لأنه لم يكن قد اكتشف بعد . وإذا أرّخوا للطب تناسوا أن كتاب الحاوى للرازى والقانون لابن سينا ظلاّ يدرّسان في جامعات أوروبا عدة قرون . وإذا تحدثوا عن الملاحة البحرية نسوا (أحمد بن ماجد) صاحب كتاب « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » ، وأنكروا أن الملاحة في البحرين : الأبيض والأحمر ، وفى المحيطين : الهندي والهادى ظلت اختصاصاً عربياً حتى مطلع العصور الحديثة .(**)

خاتمة :

يتضح من دراستنا لخصائص المنهج العلمى فى التراث الإسلامى ـ وقد عرضناها بصورة إجمالية ـ أننا فى حاجة إلى أخذ العبرة والمثل لما يجب أن تكون عليه صحوتنا الإسلامية مرة أخرى ، بكل عناصرها ومعاييرها التى ارتضاها منهج الإسلام الحنيف ، وطبقه أسلافنا العباقرة فصنعوا به حضارة تزهو على كل الحضارات ، وتدين لها نهضة أوروبا الحديثة وحضارة (التكنولوجيا) المعاصرة . ونظرة واحدة إلى واقع أمتنا العربية والإسلامية تكفى لنتبين منها أننا لا نسهم فى الإبداع الحضارى بالقدر الذى يتناسب مع مجدنا ومكانتنا . إذ ليس إسهاماً أن ننقل عن القوم علومهم و(تقنيتهم) ، حتى لو بلغنا غاية المهارة فى حفظها ومحاكاتها . وليس معاصرة أن نأخذ عنهم ما أصابهم من قلق وسأم وانهيار فى القيم وشعور بالاغتراب . ولن ينقذنا إلا تأصيل ثقافتنا الإسلامية لأنها (أكسير) الحياة للأمة والمجدد الدائب لطاقاتها والباعث لها على المشاركة فى مقومات العصر كلها مع الحفاظ على إنسانية الإنسان . وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٨) .

« دكتور أحمد فؤاد باشا »

(*) الازياج جمع زيج وهى من كلمات اللغة الفارسية القديمة وتعنى السدى الذى ينسج فيه لحمة النسيج ، ثم أطلقت على الجداول الفلكية المشابهة خطوطها الرئيسية لخيوط السدى . وكان لهذه الأزياج أكبر الأثر فى النتائج التى توصل إليها تيكوبراهى ، وكبلر ، ونيوتن عن حركة الكواكب .

(**) نكتفى إلى هنا بهذا القدر من نماذج الإبداع العلمى فى التراث الإسلامى . ويمكن للمهتمين أن يرجعوا إلى مؤلفنا : « التراث العلمى للحضارة الإسلامية . ط ٢ القاهرة ١٩٨٤ .

(٨) سورة الأنعام : ١٥٣ .

نظرية الاختيار الأمثل وتطبيقاتها

للدكتور محمد إبراهيم حسين

نعم الله على الإنسان لا تحصى ولا تعد ، ومن نعمه - عز وجل - على الإنسان المؤمن الاكتشافات العلمية ، فالإنسان المؤمن هو اقدر من يستطيع ان يسخر هذه الاكتشافات فى مرضاة خالقه ومنفعة عباده . والإنسان عادة حين يتوصل إلى كشف علمى معين لا يبتكر شيئاً من العدم ولكن فقط يزيل الغموض ويكشف الستار عن خلق الله فى الكون ، ويسلط الأضواء على كلمات الخالق التى لم نستطع قراءتها فى لحظة من اللحظات «وفوق كل ذى علم عليم» .

ولا يتمثل الكشف العلمى فقط فى مخترع معين ملموس أو دواء جديد أو جهاز كهربى معين وغير ذلك من المكتشفات التى تجد طريقها مباشرة إلى يد المستخدم ، ولكن قد يكون هذا الكشف عبارة عن نظرية جديدة أو بدهية لم تكن معلومة من قبل تفتح الآفاق أمام تيسيرات علمية فى مجال أو آخر أو تؤدى إلى ايجاد علاقة بين فرعين من فروع المعرفة مما ييسر تحقيق فائدة أشمل أو أعم فى تطبيق علمى معين .

ومن أمثلة الحالة السابق عرضها استخدام نظرية (الاختيار الأمثل) فى الربط بين فرعين أساسيين من فروع العلم وهما العلوم الرياضية والحسابية والعلوم الطبيعية والكيميائية مما أنتج خلاصات علمية نافعة حققت تقدما ملموساً فى تطبيقات شتى .

وفيما يلى نعرض لبعض أمور أساسية لنظرية الاختيار الأمثل .

←

نظريـة الاختيار الأمثــل

خلفيـة عامـة

من الممكن بصفة عامة أن نعبر عن أى مشكلة صناعية سواء فى مجال التصميم أو التشغيل أو أى مجالات مكملة أخرى مثل جدولة الإنتاج بمعادلة رياضية ذات متغيرات متعددة . ويكون الهدف الأساسى من هذا التمثيل الرياضى هو : تعيين أقصى أو أقل قيمة لهذه المعادلة الرياضية . ويستخدم أسلوب الاختيار الأمثل بنجاح فى كل المهام العلمية ذات الأهمية العملية وذلك حيث أنه يهدف لايجاد مجموعة من الشروط تؤدى إلى تحقيق أفضل النتائج فى موقف معين .

وقد يبدو هذا الأمر سهلا للوهلة الأولى ولكنه فى الواقع من الأمور شديدة التعقيد حيث إنه يتطلب تحديد نطاق المشكلة بدقة مع دراسة بنود عملية الاختيار الأمثل قبل أداء المهمة كاملة .

تطبيقات نظرية الاختيار الأمثل

إن نظرية الاختيار الأمثل لها تطبيقات عديدة ومتنوعة فى مجالات شتى منها المجالات الصناعية التطبيقية والمجالات العلمية البحتة والمجالات الاجتماعية والأمور السلوكية والشخصية ، وفيما يلى بعض أمثلة لهذه التطبيقات لتحقيق مزيد من التفصيل والإيضاح :

- تحديد أقصر طريق ممكن أن يسلكه بائع متجول فى عدة أحياء سكنية خلال رحلة واحدة .

- تصميم وحدة صناعية واحدة لإنتاج كمية محددة من منتج معين له مواصفات معينة بأقل تكلفة أو يكون محققا أقصى إيراد .
- تشغيل وحدة صناعية أو مصنع معين لتحقيق كفاءة تشغيل ينتج عنها أقصى إنتاج .
- التقييم الإحصائى لبيانات مصنع معين وذلك للحصول على نموذج نظرى كأساس لإجراء أى تطويرات مستقبلية .

- الصيانة الدورية والاستبدال المخطط للمعدات المستهلكة وذلك لخفض تكلفة التشغيل .

- توزيع الموارد أو الخدمات خلال أنشطة متعددة لزيادة الكفاءة الكلية .

- توزيع إنتاج معين على مكاتب توزيع الشركة المنتجة فى أنحاء البلاد مع ربط هذا التوزيع بمصادر المواد الخام وأسواق البيع المتيسرة وذلك لخفض تكلفة النقل .

- تحديد حدود التعرض الإشعاعى للإنسان بجرعة إشعاعية معينة يمكن منع التعرض لجرعات أكبر منها بتدابير وقائية معينة لها أقل تكلفة على أن يكون لهذه الجرعة أقل ضرر صحى على الإنسان .

- تحديد الزمن الأمثل لمجموعة إشارات مرور فى تقاطعات طرق بما يحقق الإنسياب الأمثل لحركة المرور فى الاتجاهات المختلفة .

ـ تحديد كميات ونوعيات الطعام التى تستهلكها أسرة فى مجتمع معين بما يحقق أقصى فائدة صحية وأقل تكلفة ممكنة مع مستوى تذوق مرضٍ .

ـ تحديد كمية المياه اللازمة لرى مساحة معينة من الأرض الزراعية بما يحقق أكبر عائد محصولى وأقل فقد فى كميات المياه المستخدمة .

وفى الواقع فإن تطبيقات نظرية الاختيار الأمثل لا حصر لها ويمكنها أن تمتد إلى كل حركة فى الحياة بما فيها الاتباع الأمثل للقيم والمبادىء الأخلاقية بما يحقق أقصى نفع إنسانى ممكن بأقل ضرر نفسى أو اجتماعى مع الالتزام بحدود الخالق الأساسية التى حددها سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ الصحيحة .

ما الداعى لاستخدام نظرية الاختيار الأمثل ؟

تطبق نظرية الاختيار الأمثل فى شتى أمور الحياة أساسا للوصول إلى المستوى الأفضل فى أمر من الأمور ، فمثلاً فى عملية صناعية معينة يكون الهدف هو الوصول إلى أكبر إنتاجية من مادة خام معينة .

ويبنى هذا المستوى الأفضل ، وخاصة فى العمليات الصناعية ، على أسس اقتصادية وأسس فنية فى آنٍ واحد .

وفى بعض أحوال الاستخدام العملى لنظرية الاختيار الأمثل يبدو نوع من الشك فى نتائج هذا التطبيق ، إما لعدم دقة البيانات المستخدمة أو لأن الافتراضات المستخدمة فى إعداد النموذج الرياضى لتصميم معين مبسطة لحد كبير ولذلك فيجب دائما مراجعة نتائج الاختيار الأمثل .

وبالإضافة لما سبق فقد يكون من الصعب تحقيق شروط الاختيار الأمثل التى تم التوصل إليها بصورة كاملة ولكن من الممكن تحقيق مستوى أقرب ما يكون منها . وقد يبدو الاختيار الأمثل فى بعض الأحيان على درجة كبيرة من المثالية ، ومع هذا فهو يضع الحدود للتطوير الممكن لنظام معين تحت الدراسة ، ولهذا السبب ، فإن الاختيار الأمثل له فائدة كبيرة فى توضيح الإمكانية القصوى لنظام معين وفى بث الثقة عند تطبيق تعديل معين لتصميم أى نظام .

ملامح أساسية للاختيار الأمثل

للاختيار الأمثل ملامح بارزة عديدة يمكن تمييزها عند محاولة تطبيقه ، منها :

● الغــــرض

عند تطبيق الاختيار الأمثل للوصول إلى المستوى الأفضل لنظام معين يجب أن يكون لهذا النظام تحديد واضح للمعالم سواء الكميات الداخلة فيه أو الخارجة منه ، فإذا لم يكن كذلك يصبح من الصعب تطبيق

←

نظرية الاختيار الأمثل

الاختيار الأمثل . فمثلا يمكن تحديد حجم وعاء أسطوانى إذا أمكن تحديد قطر القاعدة والارتفاع . وفى الواقع فإنه لا يوجد حل واحد لأية مشكلة ، ولذلك يجب أن نختار بين عدة حلول ، وعادة ما نختار أفضل الحلول .

وللوصول إلى هذا الاختيار الأفضل يجب تحديد الغرض من هذه الدراسة . ويختلف هذا الغرض من مشكلة إلى أخرى ويكون أساساً فى التطبيقات الصناعية غرضاً اقتصاديا أو فنيا . وعلى هذا فإذا لم يحدد هذا الغرض فلا يمكن إجراء أى تحسين فى النظام وذلك لعدم وجود قاعدة للمقارنة .

● التأثيرات المتضادة

من الملامح المميزة لعملية الاختيار الأمثل ، وخاصة فى عمليات تصميم وتشغيل المصانع ، وجود عوامل وتأثيرات متضادة ، فمثلا يمكن تنفيذ عملية معينة بعدد كبير من العمال الذين لهم أجور قليلة وكفاءة إنتاجية ضعيفة ، ومن جهة أخرى يمكن تنفيذ نفس العملية بأسلوب التحكم الآلى مع اختبارات توكيد الجودة على المنتج مما يؤدى إلى إنتاجية أفضل ولكن يرفع من التكلفة الاقتصادية . ومن الأمثلة الأخرى لهذه التأثيرات المتضادة أسلوب تحديد الجرعة الإشعاعية للعاملين فى مجال الإشعاع فكلما ، زادت التدابير الوقائية كلما زادت التكلفة الاقتصادية وقلت الجرعة الإشعاعية المؤثرة .

وعلى هذا فإنه من الواجب إجراء نوع من التفاضل أو التوازن بين هذه التأثيرات المتضادة للوصول إلى القيمة المثلى التى يقع عليها الاختيار .

● القيــود

على الرغم من أن دراسة الاختيار الأمثل تهدف أساساً لتحقيق أفضل النتائج لموقف معين فإن هذه الأفضلية المطلقة لا يمكن تحقيقها أحياناً بسبب وجود بعض القيود المفروضة على النظام والتى لا يمكن تعديها .

ومثال لذلك عملية استخلاص مادة معينة باستخدام مذيب معين يمكن أن تتحقق الأفضلية المطلقة للاستخلاص فى هذه الحالة إذا استخدمت كميات لا نهائية من المذيب ، ولكن هذا لا يمكن أن يحدث فى الواقع مما يضع قيدا على عملية الاختيار الأمثل يؤدى إلى أفضل اختيار ولكنه ليس الأفضلية المطلقة .

مستويات عملية الاختيار الأمثل

لتوضيح المستويات المختلفة للاختيار الأمثل طبقا لدرجة تعقيد النظام المدروس ستتم الإشارة إلى نظام معين لصناعة كيميائية كما يلى :

- التصميم على مستوى الإدارة ويشمل تقييم المشروع والمقارنة بين المشاريع المختلفة فى المواقع المختلفة .

- المشروعات الجديدة وتتضمن اختيار المنتج وسعة المصنع والمواد الخام .

- العمليات الكيميائية وتتضمن اختيار هذه العمليات والرسومات التوضيحية الخاصة بها .

- خواص الأجهزة وتشمل اختيار نوع الجهاز لأداء مهمة معينة والمواد الداخلة فى صناعته وحجم التجهيزات الخاصة به وتركيبه .

- شروط التشغيل وتشمل نظم التحكم وسياسات الصيانة والإحلال وجدولة الإنتاج ومصادر المواد الخام وتخزينها وأسلوب النقل والتوزيع .

●●

ومما سبق يتضح وجود مستويات مختلفة التعقيد لنظام معين تطبق عنده نظرية الاختيار الأمثل طبقا لطبيعة هذا النظام .

وبعد عرض هذا المختصر عن نظرية الاختيار الأمثل يجب التنويه على أن لهذه النظرية أساليب رياضية دقيقة للتنفيذ للوصول إلى النموذج الرياضى المناسب لنظام معين مطلوب دراسته ويُعطِى تحليلُ هذا النموذج ومعالجته حسابياً القيم المثلى التى نبحث عنها لتحقيق الاستخدام الأمثل .

الشيخ عبدالعزيز البشرى «جاحظ العصر». بقية

الفنى لكتاب الله . ولكن البشرى قد حفظ له مقامه الجهير حين نشر خواطره عنه فكان كأنما صوره تصويراً ، وأعاده فى مجلسه القرآنى بعمامته وجبته . وأسمع الناس صداه الرنان سماعاً يخلده على الزمان . هاهو ذا يصفه فى نوبته الثانية بعد أن فرغ من القراءة فى النوبة الأولى فيقول : فإذا جاءت نوبته الثانية واستوى فى مجلس الترتيل ، رأيت فيه فتاءً وقوةً لا عهد لك بهما من قبل ، وخرج صوته مرناً واضحاً ليس عليه من الصدأ إلا القليل ، ويقرأ ويقرأ ، على أنه لا يأخذ فى قراءته سمتا واحدا بل ما يبرح يترجح فى فنون النغم ، ولكن تحيره هذه المرة ليس فى التماس النغمة التى تُعيذه وتعصمه بل فى التماس تلك التى تُضنيه وتتعبه ، إذ صوته فى أثناء ذلك يقوى ويشتد ، ويعلو ويصفو ، حتى يصير أوضح من الفرند ، وينطلق فى طلب الصيد من هنا ومن هاهنا ، ولا يريغُ من النغم إلا الأوابد ، فإذا أصاب قنيصته راح يلون لها الافتراس ألواناً ويشكل لها الالتهام أشكالاً ، وهو فى أثناء ذلك يقيم الناس ويقعدهم ويطويهم وينشرهم ، ويذيقهم المهول الرائع من الطرب والانبهار ، وما شاء الله لا قوة إلا بالله !

هذا بعض ما قال عن أحمد ندا ، وفيه بلاغ .

(محمد رجب البيومى)

طرائف

« منطق رسول الله ﷺ »

قال الجاحظ يصف منطق رسول الله ﷺ :

هو الكلام الذى قلَّ عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصفة ، ونزه عن التكلفة ، لم ينطق إلا عن ميزان حكمة ، ولم يتكلم إلا بالكلام قد حف بالعصمة ، وشد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق .

« التمهل »

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه يوماً : يا أبت مالك لا تنفذ فى الأمور على عجل ، فو الله لا أبالى في الحق ولو غلت بى وبك القدور .

فقال له عمر : يابنى لا تعجل ، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين ثم حرمها في الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه فتكون فتنة .

« المأمون والخادم »

نادى المأمون الخادم فلم يجبه !

ثم نادى ثانياً ، وصاح : أيا غلام ، فدخل غلام تركى يقول : أما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك صحت : يا غلام ، يا غلام !!؟

فنكس المأمون رأسه ، فما شك أحد أنه سيأمر بضرب عنق الغلام !!

ولكنه قال : إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه .

وإنا لا نستطيع أن نسىء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا .

« ثمانية يهانون »

ثمانية إن أهينوا فلا يلومُنَّ إلا أنفسهم :

الجالس فى مجلس ليس له بأهل .

والمقبل بحديث على من لا يسمعه .

والداخل بين اثنين فى حديثهما ولم يدخلاه فيه .

والمتعرض لما لا يعنيه .

والمتأمر على رب البيت فى بيته .

والآتى إلى مائدة بلا دعوة .

وطالب الخير من أعدائه .

والمستخف بقدر السلطان .

مواقف

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

« استنجاز الوعد »

قال الشاعر :

وعـدت فـأنجـز ولا تبلُنى
بكـد التقاضى وذل السؤال
وصُنْ وجه حر بَراه الزمان
بأنيابـه مثل بَـرْى الخلال
فإن ضاق مالك عن رِفْدِهِ
فجاهك أوسع من كل مال

« اتقاء الذم »

روى عن الحسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ أن شاعرا مدحه ، فأجزل ثوابه ، فلامه بعض أصحابه على ذلك .

فقال :

أترانى خفت أن يقول : لست ابن فاطمة الزهراء ـ بنت رسول الله ﷺ ولا ابن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ولكنى خفت أن يقول : لست كرسول الله ﷺ ، ولا كعلى ـ رضى الله عنه ـ فيصدق ، ويحمل عنه ويبقى مخلداً في الكتب ، محفوظاً على ألسنة الرواة .

فقال الشاعر : أنت والله يا ابن رسول الله أعلم بالمدح والذم منى .

وقد أثر عن أخيه الحسن مثل ذلك ، فقد روى أنه أعطى مالاً كثيراً .

فقيل له : أتعطى شاعراً يعصى الرحمن ويقول البهتان ؟

فقال : إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك ، وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر .

« ادفعها اليه »

مر الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ بسوق الحدادين بمصر ، فسقط قوسه من يده .

فقام رجل من دكانه فأخذها ومسحها بكمه وناوله إياها .

فقال الشافعى لغلامه : كم معك ؟

قال : سبعة دنانير .

قال له : ادفعها إليه ..

« دعاء »

اللهم ارزقنى خوف الوعيد ، وسرور رجاء الموعود ، حتى لا أرجو إلا ما رجيت ولا أخاف إلا خَوَّفت .

من روائع الماضي

يهذي في كتاب تأويل القرآن الكريم

لفضيلة الإمام الأكبر الأسبق

محمد الخضر حسين

رحمه الله

- ٢ -

دعوته إلى الفسوق عن احكام الشريعة :

يريد المؤول ان يفتح لذوى الاهواء باب الخروج عن الدين وتعطيل احكام الشريعة ، فزعم ان المصلحة قد تكون في غير ما امر الله به فحرف قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . وقال : « يفيدك أن المخالفة المحذورة هي التي تكون للإعراض عن امره . واما التي تكون للراى والمصلحة فلا مانع فيها بل هي من حكمة الشورى » .

فالمؤول يجيز تقرير رأى مخالف لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو أمر من الله تعالى ، ويرى في هذا الراى المخالف مصلحة تجعله اهلاً لان يعمل عليه بدلاً من أمر الله . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ومصداق هذه الآية من يحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أن المصلحة فيما حكم به ، ويتناول من يفتى برأى معتقداً أنه أحفظ للمصلحة مما أنزل الله ، فمن يأذن للناس في تقرير رأى مخالف لأمر الله فإنما يقودهم إلى حفرة من النار هي إنكار أن يكون الله تعالى أحكم الحاكمين .

فإن زعم المؤول أنه قصد ما كان يراجعه فيه بعض أصحابه رضى الله عنهم من نحو بعض الآراء الحربية ، قلنا له إنك أطلقت في تأويلك ولم تقصره على هذا النوع من أوامره عليه الصلاة والسلام ، ثم إن مخالفة الأمر عدم العمل به ، وإبداء بعض الصحابة لآرائهم في شيء من تدابير الحروب لا يسمى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

مخالفة للأمر ، بل كانوا يعرضون عليه الرأى فتارة لا يراه صالحاً فيرده ، ولو عملوا على مقتضى رأيهم لحق عليهم وعيد الآية ، وتارة يرى فيه المصلحة فيأمر بالعمل به ، والعمل على هذا النحو من قبيل اتباع أمره ، فأين المخالفة .

إنكاره للجن :

يجيء هذا المؤول إلى الآيات التى ذكر فيها الجن ، ويحمل الجن على غير المعنى الذى عرفه الصحابة ، ومن بعدهم من أئمة الدين وعامة المسلمين ، وأكتفى بأن أسوق ما قاله فى آية هى من أظهر ما يدل على أن الجن خلق غير الإنس ، وهى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ . فإنه بعد أن أحال القارىء على آيات من سور متعددة قال : « بعد هذا تفهم أنه يطلق الجن والجنة على الزعماء المستكبرين من السادة المتبوعين ، ويعبر عن الانس بسائر الناس المقلدين والتابعين المستضعفين » ويفسر الجن فى بعض الآيات بقواد الجيش .

لم ينقل عن أحد من المسلمين على اختلاف فرقهم إنكار الجن ، وإنما ينكرهم طائفة من غير المسلمين ، قال ابن حزم فى كتاب الفصل : « لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما أبدى على أيديهم من المعجزات المحيلة للطبائع ، بنص الله عز وجل على وجود الجن فى العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم » ، وقال : « وأجمع المسلمون على ذلك (وجود الجن) نعم والنصارى والمجوس والصابئون وأكثر اليهود حاشا السامرة فقط ، فمن أنكر الجن أو تأول فيهم تأويلاً يخرجهم عن هذا الظاهر فهو كافر ومشرك » .

وإنما ينكر الجن من جمد عقله فى دائرة من المحسوسات لا يتخطاها أنملة ، ونحن نعلم أن العقل وحده لا يصل إلى العلم بوجودهم ، كما أنه لا يستطيع إقامة الدليل على نفيهم ، بل إذا سئل عنهم وهو صحيح النظر مجرد من كل تقليد أقر بإمكان وجودهم إذ ليس من شرط كل موجود أن يدرك بإحدى الحواس الخمس ، فقدرة الله تعالى تسع خلقاً ينشأ من عنصر لطيف ، فلا يقع عليه النظر ، وإذا أقرت العقول إمكان شىء وأخبر الدين القائم على البرهان بوجوده ، تلقينا خبره بالقبول ، ولم نفرق بينه وبين ما أدركناه بالمشاهدة أو ثبت بالأدلة العقلية مباشرة .

إنكاره للشياطين :

ينكر المؤول الجن ، وينكر أن يكون هناك مخلوق غير الإنسان يقال له شيطان ، تجد هذا الإنكار عندما يرد لفظ إبليس أو الشيطان

من روائع الماضي

فى آية ، فيأبى أن يبقيه على المعنى المعروف فى الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، فانظر إلى أصرح آية فى هذا المعنى وهى قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ كيف تأول لفظ إبليس فيها فقال : « إبليس اسم لكل مستكبر على الحق ، ويتبعه لفظ الشيطان والجان وهو النوع المستعصى على الإنسان تسخيره » . وكذلك تأول قوله تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ فقال : « والشياطين يطلقون على الصناع الماهرين والأشقياء المجرمين » ، ولما وجد قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ نصاً فى أن الشيطان مخلوق يصل أثر فتنته إلى نفس الإنسان دون أن يأخذه بأحد حواسه ، ذهب فى تأويل الآية مذهب من يتظاهر بتفسير القرآن وهو يدس فى تفسيره جحوداً ، فقال : « من حيث لا ترونهم فيها شياطين فيخدعونكم بأنهم من الأولياء الناصحين » .

وإذا حمل بعض المفسرين لفظ الشياطين فى بعض الآيات على أشرار من الإنس كما قال طائفة فى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ : المراد شياطين الإنس ، فما كان هؤلاء لينكروا ذلك الصنف من الجن المخلوق من نار السموم ، وإنما هو تأويل بدا لهم أن اللفظ يحتمله قريباً أو بعيداً ، ولا يستطيعون أن يذهبوا إلى مثل هذا التأويل فى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ فمن حمل مثل هذه الآية على فريق من الإنس فهو ممن لا يؤمن إلا بما يلمس أو يرى ، ولم يجعل الله للعقول المتحجرة على تفسير كتابه سبيلاً .

تأويله للملائكة :

يتخبط المؤول عندما تجيئه آية فيها اسم الملائكة ، فمرة يفسره برسل النظام والسنن فى الكون كما قال عند قوله تعالى : ﴿ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ : « إشارة إلى انه يأتيهم بسنن الله ونظامه أى بتغلبهم على العدو وبقوة الحرب ونظامه ، والملائكة كما قلنا فى ص ٢٤ رسل النظام والسنن فى الكون » ، وقال عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ : « الملائكة رسل النظام وعالم السنن ، وسجودهم للإنسان معناه أن الكون مسخر له » ومرة يجعل الآية التى ذكر فيها الملائكة من قبيل التمثيل كما قال فى قوله تعالى : ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ : يمثل لك السرعة فى إجراء سننه فى الكون وتنفيذ أوامره فى العالم » وفسر جبريل وميكائيل فى قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ بأنهما قسمان من الملائكة ، وقال : « الأول رسول الوحى والإلهام ، والثانى رسول السنن والنظام » . وقال عند تأويل الملائكة من قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾ : « وهذا تابع للإيمان بالله ، فمن

يؤمن بالله يؤمن بخلقه ونظامه ، والملائكة رسل هذا الخلق والنظام » .

فتحريفه الآية بإدعاء التمثيل مرة ، وذكره لسنن الكون ونظمه مرة أخرى ، وجعله جبريل وميكائيل قسمين من الملائكة دون الاعتراف بأنهما فردان منهم ، يدل على أنه يريد من الملائكة معنى غير المعنى المعروف فى صريح الكتاب والسنة ؛ ونصوص الشريعة فى دلالتها على وجود الجن والملائكة متساوية ، وهما من جهة إمكان وجودهما فى منزلة واحدة .

إنكاره لأحكام معلومة من الدين بالضرورة :

اطلق المؤول قلمه فى الإنكار حتى الحد فى آيات الحدود والأحكام المعلومة من الدين بالضرورة ، فانظر إلى ما صنع فى قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ إذ قال : « يعطى معنى التعود أى أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم ، ويظهر لك من هذا المعنى أن من يسرق مرة أو مرتين ، ولا يستمر فى السرقة ، ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده » .

وكذلك حرف قوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ فقال : « يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنى ، وكان من عادتهما وخلقهما ، فهما بذلك يستحقان الجلد » وهذا الذى قاله فى اسم الفاعل من أنه يدل على التكرار والتعود من بهتانه الذى لا يقف عند حد ، فاسم الفاعل نحو السارق أو الزانى إنما يدل على ذات قامت بها السرقة أو الزنى .

ولا دلالة له على تجدد قيام الوصف بالذات ، ولا على تعودها عليه ، هذا ما يقوله علماء العربية فى القديم والحديث

قال ابن مالك فى كتاب التسهيل معرفاً اسم الفاعل : « اسم الفاعل هو الصفة الدالة على فاعل ، جارية فى التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها ، لمعناه أو معنى الماضى » .

فقوله : لمعناه أو معنى الماضى ، تنبيه على أنه لا يدل على أزيد مما يدل عليه الفعل . وهذا وجه الفرق بينه وبين صيغ المبالغة كفعال ومفعال وفعول ، فإن هذه الصيغ تدل على معنى زائد على حدوث الصفة لمن قامت به ، وهو قوتها فيه أو كثرة صدورها منه .

والكوفيون يمنعون عمل صيغ المبالغة فى نحو المفعول ، ويعللون هذا المنع بعدم مجاراتها للفعل المضارع فى وزنه ، وبمخالفتها له فى معناه لأنها تزيد عليه بالمبالغة . ومقتضى هذا أن اسم الفاعل عمل فى نحو المفعول لأنه لا يخالف المضارع فى معناه .

فعلماء العربية من كوفيين وبصريين مجمعون على أن اسم الفاعل لا يدل على أكثر مما يدل عليه الفعل ، وإذا كان علماء العربية الذين قضوا أعمارهم الطويلة فى تقصى اللغة ، والتفقه فى كلام العرب قد تظافروا على أن اسم الفاعل لا يدل على مقدار من الوصف أكثر مما يدل عليه أصل المضارع والماضى ، أفيستطيع المؤول أن ينقض بناءهم بكلمة لا تمت إلى البحث بسبب ، وإنما هى وليدة الهوى والانهماك فى مخالفة أهل العلم .

من روائع الماضي

وعمد إلى الآيات الصريحة فى ملك اليمين وحرفها بالتأويل تحريفاً لا يختلف عن صريح الإنكار إلا أن عليه مسحة من النفاق ، فانظر كيف حرف قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ وحمل الفتيات على الخادمات فقال : « فيه عناية بالخادمات وتسهيل لمن يريدون الزواج ولا يستطيعون النفقات على ذوات البيوتات » وقال عند قوله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ : « عبادكم وإمائكم : خادميكم وخادماتكم » وقد ارتكب فى الآيات الواردة فى هذا الشأن من التأويل ما لا يخطر على بال أصلب الباطنية جبهة ، فانظر إليه ماذا يقول فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ يقول : « والذين يبتغون الكتاب : كتاب الله وما كتب من الزواج والنسل (فكاتبوهم) : عاونوهم على أداء الكتاب » .

ولو قلت له : إن الذين فسروا الآية بأن يكاتب الرجل رقيقه على مال حتى إذا أدى ما كتب عليه صار حراً ، قد أقاموا الشاهد على هذا من كتب السنة واللغة ، فهل لك شاهد على ما تأولت عليه الآية ، وما قلت فى تأويلها من أن المكاتبة : المعاونة على أداء الكتاب ، لما كان جوابه إلا أن هذا المعنى قد نفث فى صدره وهو لا يرجع فى تفسير كتاب الله إلى السنة ولا إلى قانون اللغة ، ولا مرد لهذا الجواب إلا أن تتلو عليه قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ وتقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ .

ومن مقتضى إنكاره لأصل ملك اليمين إنكاره لأن يتمتع الرجل بما ملكت يمينه من الإماء ، وكذلك تجده يحرف الآيات الواردة فى هذا الشأن كما قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ فقال المؤول : « أو ما ملكت أيمانهم من الخدم فإن لهم ما ليس لغيرهم فقد يكون فى الإنسان فروج أى نقائص وعيوب يسيئه أن يراها الناس فيه ولكن لا يسيئه أن يراها خدمه » .

إذا كان فى بعض تأويله ما ينادى بانحرافه عن الهدى إلى مكان بعيد ، ففى بعضه ما ينادى بأن الرجل ليس له فكر يتحامى به فضيحة العبث ، ويحبسه عن أن يقول ما يضحك منه المحزون ، فالمؤول يصرف الآية عن أن تكون للحث على الطهر والعفاف إلى الأمر بستر العيوب والنقائص عن الناس إلا عن الأزواج والخدم ، ولم يكتف بهذا التأويل السخيف فقال عقبه : « ومن البلاغة فى التعبير أن لفظ « أو » أفاد التنويع بين ما يباح للأزواج وما يباح لملك اليمين ، إذ يوجد من العيوب ما لا ينبغى كشفه على الخدم » ولا ندرى كيف يفهم من « أو » العاطفة لما ملكت أيمانهم على قوله « أزواجهم » التنويع بين ما يباح للأزواج وما يباح لملك اليمين ، وهذا الذى يباح للصنفين فيما زعم لم يذكر فى نظم الآية .

والإسلام جاء فوجد عادة الرق جارية بين المتحاربين فهذبها وترك الأخذ بها لاجتهاد الإمام ، ولكنه أوصى بالإحسان إلى الرقيق والرفق به ، وندب إلى تحرير الرقاب ، وجعله كفارة لبعض ما يرتكبه الإنسان من عمل سيء كالظهار ، والفطر في رمضان ، والحنث في اليمين وقتل النفس خطأ ، وجعل في يد الحاكم عتق الأرقاء الذين يلحقهم ممن هم تحت أيديهم ضرر فادح ، وتفويض أمر الاسترقاق إلى الإمام يجعل له الحق في العدول عنه كما هو مفصل في كتب الأحكام .

وأنكر إباحة تعدد الزوجات الذى جرى عليه السلف من الصحابة فمن بعدهم ، وجعل آية ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ خاصة باليتامى فقال : « (من النساء) نساء اليتامى الذين فيهم الكلام لأن الزواج منهن يمنع الحرج في أموالهن » ثم قال « ولتعلم أن التعدد لم يشرع إلا في هذه الآية بذلك الشرط السابق » يعني ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ واللاحق يعني ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ .

ومن البين تجافي هذا المعنى الذى ذكره المؤول عن نظم الآية ، ومن أظهر الوجوه التى يستقيم معها النظم ولا تمس إجماع المسلمين من الصحابة فمن بعدهم بشيء أن يكون المعنى : وإن خفتم أن تهضموا شيئاً من حقوق اليتامى لضعفهن وتحرجتم منها ، فدعوا التزوج بهن ، وانكحوا ما طاب لكم من نساء غيرهن مثنى وثلاث ورباع .

زعمه أن المسلمين يروون الأحاديث النبوية عن اليهود .

لا يبالي المؤول أن يتكلم في غير أمانة ، ويقول ما لا يطابق الواقع ، ومن أمثلة هذا أنه تعرض عند تأويل قوله تعالى : ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ لما ورد في سحر بعض اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم : « ومن الغريب مع هذا الدليل المبين أن المسلمين ينقلون في كتبهم أن النبي سحر بناء على حديث رواه اليهود كما ينقل النصارى أن المسيح صلب بناء على رواية اليهود أيضاً » .

من يقرأ هذه الجملة يفهم منها أن حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم تلقاه المسلمون عن اليهود ، والحقيقة أن الحديث مروي بأسانيد عن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، وفي هذا الحديث أنه علم بهذا السحر من طريق الوحي ، ومن رواته من الصحابة رضي الله عنهم عائشة وابن عباس وزيد بن أرقم ، ثم رواه عن هؤلاء جماعة من الثقات حتى بلغ الأئمة : البخاري ومسلماً والنسائي والبيهقي وغيرهم ، ولا صلة لحديث السحر بيهودي سوى أن النبي صلى الله عليه وسلم أوحى إليه بما فعل اليهودي لبيد بن الأعصم من السحر .

وأنكر بعض الناس هذا الحديث في القديم وأخذهم الريب فيه من ناحيتين (إحداهما) قوله تعالى : ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ فهذا مما قصه الله تعالى عن كفار قريش في سياق الإنكار عليهم ، ومقتضاه نفي أن يكون قد سحر ، والقرآن مقدم على

من روائع الماضى

الحديث ، و (ثانيتهما) أن تأثره بالسحر عليه الصلاة والسلام يقدح فى الثقة بما يبلغه عن الله تعالى من أمر ونهى .

والذين لا يسارعون إلى تكذيب الأحاديث المروية بأسانيد صحيحة ما وجدوا لدفع ما يرد عنها من الشبه طريقاً ، يقولون : إن قريشاً ارادوا من قولهم « مسحوراً » معنى اختلال العقل فيكون مرادفاً لقولهم « مجنون » أو ارادوا أنه مسحور سحراً من اثره هذا الدين الذى يدعو إليه ، وهذا موضع الإنكار عليهم بإجماع ، ويقولون : إن السحر إنما تسلط على جسده وجوارحه الظاهرة ولم يمس شيئاً من عقله وقلبه ، ويدل لهذا حديث ابن عباس رضى الله عنه فى رواية ابن سعد (مرض النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ عن النساء والطعام والشراب) .

وليس من غرضنا الآن البحث عن حقيقة السحر ولا بسط القول فى حديث سحره عليه الصلاة والسلام ، وإنما أردنا أن نريك كيف يحاول المؤول أن يقذف المسلمين بسبة تلقى أحوال النبى صلى الله عليه وسلم عن اليهود ، وانظر إلى قوله « أن المسلمين ينقلون فى كتبهم » فإنها كلمة لا أحسبها صدرت منه إلا فى حال نسيانه أنه استعار ثوب الإسلام ليتمكن من سحر أبناء المسلمين وصدهم عن السبيل .

هذه أمثلة من كتاب حشوه الجحود والهذيان ، نسوقها فى هذه المجلة ليزداد المسلمون علماً بأن مؤلفه مهزول الفكر ، منحرف عن الرشد ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ .

اللغة والأدب والنقد

إمام النحاة

حقيقة الإسلام

الإبداع الأدبى

إمام النحاة

وقضية الاستشهاد بالحديث

٤

« نواصل في هذه الحلقة العمل الإحصائي الذي نتتبع فيه ما أورده إمام النحاة في كتابه من أحاديث قدمها بدون نسبة أو تغير في اللفظ محاولين تبين حقيقة موقفه من هذه القضية الهامة ..

الحديث الخامس (في باب الحكاية)

قال سيبويه : فإن أردت حكاية هذه الحروف - يعني بها ثم وأين وحيث ، في حال الحكاية ؛ إذ يعاملن معاملة زيد وعمرو - تركتها على حالها ، كما قال : « إن الله ينهاكم عن قيل وقال » ومنهم من يقول : عن قيلٍ وقالٍ ، لما جعله اسما ، قال ابن مقبل[1] :

أصبح الدهر وقد ألوى بهم
عن تقوا لك من قيلٍ وقال

والقوافي مجرورة[2]

هذا الحديث الذي ذكر جزء منه في عبارة سيبويه ورد بعبارات مختلفة ، لكن موضع الاستشهاد فيها جميعا لم يتغير ، وهو حكاية « قيل وقال » بدخول حرف الجر عليها .

وقد جاء الحديث في صحيح مسلم - كتاب الإيمان حديث ١٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، وسنن ابن ماجه كتاب الصيام حديث ٣٥ .

وقد استشهد بهذا الحديث بعد سيبويه عدد من النحاة ، منهم المتقدم ومنهم المتأخر ، وفي القضية نفسها التي استشهد لها سيبويه .

فقد أشار الفراء في كتابه : معاني القرآن إلى هذا الحديث ، وهو يتحدث في تفسير الآية الكريمة :﴿ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ وتناول لفظ « الآن » ، وبين أصله وقرر أنه فعل ماض ، ثم حكى ودخل عليه ال ، وبقي على فتحه ، فيقول : وهو ما ورد في الحديث من قولهم : « نهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال »[3] .

غير أننا نلاحظ هنا أن الفراء أشار إلى أنه حديث في الوقت الذي لم يصرح فيه سيبويه بهذه النسبة .

---

(١) ملحقات الديوان ص ٣٩٢ ، وألوى بهم ، أي ذهب بهم فلم يبق غير الحديث والذكرى .

(٢) الكتاب جـ ٣ ، ص ٢٦٩ هارون وجـ ٢ ص ٣٥ بولاق .

(٣) معاني القرآن للفراء جـ ١ ص ٤٦٨ ، ص ٤٦٩ ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٥ .

للأستاذ الدكتور
السيد رزق الطويل

وبذلك لا مانع من القول بأن الفراء أول من استشهد بالحديث فى النحو مصرحا بأنه حديث .

ويحتج الزجاجى (٣٣٧ هـ) بهذا الحديث وهو يتحدث عن « الآن » وسبب بنائها على الحكاية ، يقول : « وقال الفراء والكسائى : إنما هو محكى ، وأصله من (آن - يئين) بمعنى حان يحين ، وفيه ثلاث لغات : « آن لك أن تفعل كذا وكذا » و « أنى لك أن تفعل كذا وكذا يأنى لك » والثالث : أن تقول : « أنال لك أن تفعل كذا وكذا » فدخلت الألف واللام على اللغة الأولى ، فقيل : « الآن فاعلم ، فترك على فتحه ، كما روى فى الأثر أنه « نهى عن قيل وقال » ويحكى مفتوحا على لفظ الماضى ، وبعضهم يرده على « قيل وقال » فيجعلهما اسمين »[٤] .

ونلاحظ أن الزجاج هنا استشهد بهذا الحديث على أنه أثر ، فكان أقل صراحة ، وأكثر تعميما من الفراء الذى سبقه بأكثر من قرن من الزمان .

واستشهد مكى بن أبى طالب القيسى (٤٣٧ هـ) بهذا الحديث فى الموضع نفسه ، مشيرا صراحة إلى نسبته إلى النبى ﷺ ، قال فى معرض حديثه عن الآية الكريمة فى سورة الأعراف : ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ : وقيل إنه فعل ماض منقول إلى التسمية به ، ثم وصف به ، مثل ما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل ينهى عن قيل وقال ... »[٥] .

وفى الموضع نفسه تناول ابن يعيش (٦٤٣ هـ) الحديث فى شرح المفصل .

قال : « وآن » فعل ماض ، فلما أدخل عليه الألف واللام ترك على ما كان عليه فى الفتح ، كما جاء فى الحديث أنه ﷺ « نهى عن قيل وقال » ، و « قيل وقال » فعلان ماضيان فأدخل الخافض عليهما ، وتركهما على ما كانا عليه »[٦] .

الحديث السادس :

تحدث سيبويه فى باب : « ما أسكن من هذا الباب الذى ذكرنا ، وترك أول الحرف على أصله لو حرك به ، لأنه الأصل عندهم أن يكون الثانى متحركا ، وغير الثانى أول الحرف » قال فيه : « وذلك قولك : شهد ولعب ، تسكن العين كما أسكنتها فى « علم » وتدع الأول مكسورا به لأنه عندهم بمنزلة

---

(٤) اللامات للزجاجى ص ٣٦ ت مازك المبارك دمشق ١٩٦٩ .

(٥) مشكل إعراب القرآن لمكى بن ابى طالب ت د . حاتم الضامن - بغداد ١٩٧٥ .

(٦) شرح المفصل جـ ٤ ص ١٠٣ المطبعة المنيرية القاهرة .

ما حركوا ، فصار كأول إبل .. ومثل ذلك : « نعم وبئس » إنما هو فعل وهو أصلهما ، ومثل ذلك « فبها ونعمت » إنما أصلها « فبها وَنَعِمَتْ » وبلغنا أن بعض العرب : نعم الرجل »[7] .

ورد هذا الحديث فى مختصر سنن أبى داود للحافظ المنذرى رقم ٣٣١ حـ ١ ص ٢١٧ عن الحسن بن سمرة وأخرجه الترمذى والنسائى ، وقال الترمذى حديث سمرة حديث حسن ، وقال : رواه بعضهم عن قتادة عن الحسن عن النبى ﷺ مرسلا .

وقال الحافظ ابن حجر : لهذا الحديث عدة طرق ، أشهرها وأقواها : رواية الحسن عن سمرة ، وله علتان : إحداهما أنه من عنعنة الحسن ، والأخرى : أنه اختلف عليه فيها ، وأخرجه ابن ماجه من حديث أنس ، والطبرانى من حديث عبد الرحمن بن سمرة ، والبزار من حديث أبى سعيد ، وابن عدى من حديث جابر ، وكلها ضعيفة[8] .

ولفظ الحديث كاملا كما فى سنن أبى داود عن الحسن عن سمرة « من توضأ فبها ونعمت ومن اغتسل فهو أفضل » .

وقد تردد هذا الحديث فى كتب المتأخرين من النحاة أعنى بعد القرن السادس الهجرى منهم الشلوبين (٦٤٥ هـ) قال فى باب نعم وبئس : « والتفسير واجب إن أضمر الفاعل نحو : نعم رجلا زيد إلا فيما شذ نحو قولهم : « فبها ونعمت »[9] .

استشهد الشلوبين بهذا الحديث فى غير ما استشهد به سيبويه ، وهو لزوم التمييز إذا كان فاعل نعم أو بئس ضميرا مستترا ، والاستشهاد بالحديث على حالة الشذوذ عن هذه القاعدة كما نلحظ أن الشلوبين نحا منحى سيبويه فى عدم الإشارة إلى أنه حديث .

واحتج بالحديث ابن مالك (٦٧٢ هـ) أيضاً فى الموضوع الذى استشهد به الشلوبين غير أنه عد حذف التمييز لفاعل نعم المستتر نادرا بينما عده الشلوبين شاذا .

وقد ذكر ابن مالك الحديث فى شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ على هذا النحو « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل »[10] .

وقد استشهد ابن هشام (٧٦٠ هـ) بهذا الحديث على اللفظ الذى رواه ابن مالك على أن « نعم وبئس » فعلان ، وذلك فى باب علامات الفعل فى كتابيه : « قطر الندى وبل

---

(٧) الكتاب حـ ٢ ص ٥٨ ، ص ٢٥٩ بولاق حـ ٤ ، ص ١١٦ هارون .

(٨) ينظر مختصر سنن أبى داود للحافظ المنذرى حـ ١ ص ٢١٧ والتعليقات عليه ٢ ت حامد الفقى - م السنة المحمدية .

(٩) التوطئة لأبى على الشلوبين - القاهرة ١٩٧٣ ت يوسف أحمد المطوع ص ٢٤٩ .

(١٠) انظر ص ٧٨٥ من هذا الكتاب ت عدنان الدورى م العانى بغداد ، وانظر الجامع الصغير للسيوطى حـ ٢ ص ١٦٩ المطبعة الرابعة م الحلبى مصر ١٩٥٤ ، وانظر النهاية لابن الأثير حـ ٥ ص ٨٣ ت الطناحى سنة ١٩٦٣ بلفظ « من توضا للجمعة فبها ونعمت » .

الصدا » ، « وشذور الذهب فى معرفة كلام العرب » ، كما ذكر هذا الحديث أيضاً عند كلامه عن « نعم وبئس » فى كتابه « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » .

الحديث السابع :

يقول سيبويه فى باب « ما جرى على موضع النفى لاعلى الحرف الذى عمل فى المنفى » : ومثل ذلك أيضاً قول العرب : « لامثله أحد » و «لا كزيد رجل » وإن شئت حملت الكلام على « لا » فنصبت ، وتقول : « لامثله رجل » إذا حملته على الموضع ، كما قال بعض العرب : « لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإن شئت حملته على « لا » فنونته ونصبته »[(١١)] .

فى هذه الفقرة من كلام سيبويه جزء من الحديث الشريف ، نسبه سيبويه لبعض العرب وهو : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد جاء الحديث فى صحيح مسلم حـ ٤ ص ٢٠٧٧ ، ص ٢٠٧٨ ط دار إحياء التراث - بيروت وأورده ابن الأثير فى النهاية فى موضعين :

الأول : فى مادة « حول » قال فيه : « لا حول ولا قوة إلا بالله » الحول ههنا الحركة ، يقال حال الشخص إذا تحرك ، والمعنى : لا حركة ولا قوة إلا بمشيئة الله تعالى ، وقيل : الحول الحيلة ، والأول أشبه » .

والآخر فى مادة « كنز » فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة » أى اجرها مدخر لقائلها ، والمتصف بها ، كما يدخر الكنز[(١٢)] .

وهنا نتساءل : هل استشهد أحد من النحويين بعد سيبويه بهذا الحديث ؟ أو بعبارة أدق : بهذا الجزء من الحديث ؟!!

تقول الدكتورة خديجة الحديثى : ولم أجد أحدا من النحويين بين سيبويه وابن مالك احتج بهذا الحديث على الأوجه الجائزة فى الاسم المعطوف بالواو على اسم « لا » مع تكرر « لا » كما احتج به سيبويه[(١٣)] .

وهذه دعوى عريضة ، تتطلب المناقشة ، ولى عليها هذه الملاحظات :

أولها : تناول المبرد هذا الجزء من الحديث ، واستشهد به فيما استشهد به سيبويه ، وذلك فى كتابه « المفصل » ، وذلك فى سياق الحديث على العطف على اسم « لا » النافية للجنس ، راجع « المقتضب » حـ ٤ ص ٣٨٧ .

ثانيها : استشهد به الزمخشرى فيما استشهد به سيبويه ، وذلك فى كتابه « المفصل » ص ٨١ ، والزمخشرى سابق على ابن مالك .

توفى الزمخشرى (٥٣٨ هـ) يقول : فصل : وفى لا حول ولا قوة إلا بالله ستة أوجه ... » وسار على نهجه شارح المفصل

---

(١١) الكتاب حـ ١ ص ٣٥٢ بولاق .

(١٢) النهاية حـ ١ مادة « حول » ٢ حـ ٤ مادة « كنز » .

(١٣) موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث - د . خديجة الحديثى ص ٦٩ .

ابن يعيش ، فبسط القول فى هذه الوجوه الستة ، وابن يعيش سابق على ابن مالك (٦٤٣ هـ) - راجع شرح المفصل حـ ٢ ص ١١٢ .

وتناول الوجوه الستة فى هذا الحديث الرضى (٦٨٨ هـ) فى شرحه على الكافية وهو معاصر لابن مالك .

ثالثها : موقف ابن مالك من هذا الحديث .

استشهد به فى موضعين :

أولهما : فى عرض الوجوه الستة إذ قال فى كتابه التسهيل : « ويفتح أو يرفع الأول من نحو « لا حول ولا قوة إلا بالله » المساعد على التسهيل جـ ١ ص ٣٤٨ .

وتناول هذه الوجوه أيضا فى شرح الكافية الشافية حـ ١ ص ٥٢٤ .

وذكر هذا الجزء من الحديث مع الوجوه الجائزة فيه فى الخلاصة « الألفية » إذ قال :

وركب المفرد فاتحا كلا
حـول ولا قوة ، والثانى اجعلا
مرفوعـا أو منصـوبا أو مـركبـا
وإن رفعـت أولا لا تنـصبـا

ومن هذا الموضع كان موقف ابن مالك كغيره من النحاة الذين سبقوه حتى سيبويه ، إذ ذكر الوجوه فى هذه العبارة دون أدنى إشارة إلى أنها حديث ، أو جزء من حديث .

وتفسيرى لهذا الأمر أنه راجع لشهرتها وتواترها ، وأنها بلا ريب من مقولات النبوة التى شاعت وذاعت ، حتى أصبحت فى غير حاجة لنسبة أو توثيق .

والآخر : استشهد فيه ابن مالك بهذا الحديث كاملا على جواز مجىء المبتدأ جملة محكية فقال : وتصدير المبتدأ بالمجرد أولى من تصديره بالاسم المجرد ، لأن المبتدأ المخبر عنه قد يكون غير اسم ، نحو : ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ ، و « لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة » و ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾[14] .

ونلحظ أن ابن مالك فى هذا الموضع ، وإن كان قد ذكر الحديث كاملا ، لكنه لم يصرح بنسبته ، شأنه فى الأحاديث الأخرى التى استشهد بها ، وإن كنت لا أزال متمسكا بتفسيرى السابق ، كما لا أشك فى أنه قصد الاستشهاد به حديثا ، بدليل أنه ساقه بين آيات من القرآن ، لم يسبقها : « قال الله تعالى » .

---

(١٤) شرح عمدة الحافظ ص ١٥٨ ، وخرج الحديث فيه فى مسند الإمام أحمد حـ ٥ ص ١٥٦ عن أبى ذر الغفارى ، وفى مجمع الزوائد ١٠/٩٨ ، وكنز العمال ١/٤٠٨ ، ٤٠٩ .

حقيقة الإسلام

تسفر للرافعى العبقرى

محمد عبد الرحمن صان الدين

قلنا فيما سبق : إن كاتبنا الإسلامى مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - لم يكن تقليديا فى إسلامه ، وعباداته .

إنما كان مسلم الفكر والقلم ، مؤمن الروح والوجدان ، مستنير العقل والبصيرة ، يرتاد رياض الإسلام ، يستاف منها شذا الأزهار وعطر الرياحين ، ويشتلر من ثمرها اليانع صافى الرحيق ، ويقدمه لذة للشاربين من الباحثين عن الحقيقة ، الظامئين إلى المعرفة الخالصة من الشوائب الدخيلة .

ولقد اتخذ من المناسبات ومواسم العبادات المفروضة مجالا رحبا لقلمه الناطق بالحق والحكمة ، المعبر عن مكنون النصوص المقدسة التى تخفى على كثير من أهل العلم وأرباب الأقلام ، بأسلوب فى أسمى درجات البلاغة ، وأجمل ما يكون البيان .

وكان فى قمة ما تناوله ذلك القلم المؤمن حقيقة الرسالة المحمدية تحت مجهر العقل والمنطق ، وشواهد الواقع وبراهينه القاطعة ، ليبدد غبار الشُبَه أمام بعض العقول ، وليرسخ الإيمان فى العقل والوجدان بالإسلام العظيم الذى تنوشه السهام والرماح من كل

• الكاتب من رجال التربية والتعليم .

← حقيقــة الاســلام

فج ، من منطلق أن الإيمان بالرسالة الخاتمة مدخل إلى الإيمان بالخالق العظيم ، ومبادىء الدين وقيمه التى أوحى بها إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، لتكون عملا محكما يمارسه المسلم فى سلوكه وتقلبه فى الحياة ، وفى غمار العيش ، فتستقيم له مسالك الدنيا ، ويخصب جدبها . وإلا فلا إيمان بالشريعة الإسلامية السماوية ، وجدوى القيم الربانية إذا غاب أو اضمحل الإيمان بالرسول الذى جاء بها من لدن الخبير العليم . فاطر الوجود ، ورب الملكوت .

ومن ثم كان الرافعى يتحين الفرص ، ويترقب أنسب الأوقات ، ليكتب ما يكتب حين تكون النفوس والعقول مهيأة لتلقى وتقبل ما يبثه من أفكار مشرقة وومضات باهرة تعمل عملها فى كشف حجاب الجهالة عن جواهر الإسلام ودرره .

ولندع قلم الرافعى الذهبى المعانى ينقش على صفحات الخلود ما يرشد إلى حقيقة الإسلام التى تبهر الأبصار ، وتأخذ بالألباب المتفتحة المبصرة التى لم يعمها التدليس والتلبيس .

هذه قطوف عَبِقَة ناضرة من إحدى فرائد كتاب (وحى القلم) ألا وهى موضوع (الإشراق الإلهى وفلسفة الإسلام)[١] .

قال ـ نضَّر الله وجهه ، وطيَّبَ ثراه ـ : « كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجِّر ينبوع الضوء المسمَّى بالنهار ، يولد النبى فيوجد فى الإنسانية ينبوع النور المسمَّى بالدين . وليس النهار إلا يقظة الحياة تحقق أعمالها ، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها .

والشمس خلقها الله حاملة طابعه الإلهى ، فى عملها للمادة تحوُّل به وتغيُّر ؛ والنبى يرسله الله حاملا مثل ذلك الطابع فى عمله للروح تترقى فيه وتسمو .

ورعشات الضوء من الشمس هى قصة الهداية للكون فى كلام من النور ، وأشعة الوحى فى النبى هى قصة الهداية لإنسان الكون فى نور من الكلام .

والعامل الإلهى العظيم يعمل فى نظام النفس والأرض بأداتين متشابهتين : أجرام النور من الشموس والكواكب ، وأجرام العقل من الرسل والأنبياء .

فليس النبى إنسانا من العظماء يقرأ تاريخه بالفكر معه المنطق ، ومع المنطق الشك ، ثم يُدْرَس بكل ذلك على أصول الطبيعة البشرية العامة ؛ ولكنه إنسان نَجْمِىٌّ ، يقرأ بمثل « التلسكوب » فى الدقة معه العلم ، ومع العلم الإيمان ؛ ثم يُدْرَس بكل ذلك على أصول طبيعته النورانية وحدها .

والحياة تنشىء علم التاريخ ، ولكن هذه الطريقة فى درس الأنبياء (صلوات الله عليهم) تجعل التاريخ هو الذى ينشىء علم الحياة ، فإنما النبى إشراق إلهى على الإنسانية ، يُقَوِّمُها فى فلكها الأخلاقى ، ويجذبها إلى الكمال فى نظام هو بعينه صورة لقانون الجاذبية فى الكواكب .

---

(١) أول مقال فى الجزء الثانى من وحى القلم (الطبعة الأولى) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م .

تأمل دقة التصوير ووضوحه للنبوة والأنبياء ، وحقيقة مهمتهم على الأرض .

يمضى الرافعي فى ذلك قائلا :

« وما الشهادة للنبوة إلا أن تكون نفس النبى أبلغ نفوس قومه ، حتى لهو فى طباعه وشمائله طبيعة قائمة وحدها ، كأنها الوضع النفسانى الدقيق الذى ينصب لتصحيح الوضع المغلوط للبشرية فى عالم المادة وتنازع البقاء . وكأن الحقيقة السامية فى هذا النبى تنادى الناس : أن قابلوا على هذا الأصل وصححوا ما اعترى أنفسكم من غلط الحياة وتحريف الإنسانية » .

ويواصل الرافعي الحديث عن الإسلام قائلا :-

« وهو دين يعلو بالقوة ويدعو إليها ، ويريد إخضاع الدنيا وحكم العالم ، ويستفرغ همه فى ذلك ، لا لإعزاز الأقوى وإذلال الأضعف ، ولكن للارتفاع بالأضعف إلى الأقوى ، وفرق بين شريعته وشرائع القوة ، أن هذه إنما هى قوة سيادة الطبيعة وتحكمها ، أما هو فقوة سيادة الفضيلة وتغلبها ، وتلك تعمل للتفريق ، وهو يعمل للمساواة ، وسيادة الطبيعة وعملها للتفريق هما أساس العبودية ، وغلبة الفضيلة وعملها للمساواة هما أعظم وسائل الحرية » .

لازلت أجدنى مدفوعا لإيراد المزيد من تلك القطوف الشهية من قول الرافعي فى موضوعه السالف ذكره فيقول : أجزل الله أجره .

« ومن هنا كان طبيعيا فى الإسلام ما جاء به من أنه لا فضيلة إلا وهو يطبع عليها صورة الجنة بنعيمها الخالد ، ولا رذيلة إلا وهو يضع عليها صورة النار الأبدية وقودها الناس والحجارة ، فلا تنظر العين المسلمة إلى أسباب الحياة نظرة الفكر المنازع : يحرص على ما يكون له ، ويَشْرَهُ إلى ما ليس له ، ويمكر الحيلة ، ويبدع وسائل الخداع ، ويزيد بكل ذلك تعقيد الدنيا - بل نظرة القلب المسالم : يخلع الدنيا ويسخو بكل مضنون فيها ، فيعف عن كثير ، ويعرف الإنسانية ويطمع فى غاياتها العليا ، فيعفو عن كثير ، ويدرك أن الحلال وإن حل فوراءه حسابه ، وأن الحرام وإن غر ليس إلا تعلل ساعة ذاهبة ثم من ورائه عقاب الأبد .

ويخرج من ذلك أن يكون أكبر اغراض الإسلام هو أن يجعل من خشية الله تعالى قانون وجود الإنسان على الأرض ، فمن أى عِطْفَيْهِ التفت هذا الإنسان وجد على يمنته ويسرته ملكين من ملائكة الله يكتبان اعماله بخيرها وشرها ، فهو كالمتهم المستراب به فى سياسة النفس .. وإذا قامت هذه المحكمة الملائكية ، وتقررت فى اعتبار النفس ، قام منها على النفس شرع نافذ هو قانون الإرادة المميزة ، تريد الحسنات وتعمل لها ، وتخشى السيئات وتنفر منها ، فإذا معانى الجسد يحكم بعضها بعضا ، لا لتحقيق الحكومة والسلطة ، ولكن لتحقيق الخير والمصلحة ، وإذا نواميس الطبيعة المجنونة فى هذا الحيوان ، قد نهضت إلى جانبها نواميس الإرادة الحكيمة فى الإنسان ، وإذا كل ما فى الإنسان وما حول الإنسان ، لا يراد منه إلا سلام النفس فى عاقبتها ، وإذا معنى السلام

←

حقيقة الاسلام

هو المعنى الغالب المتصرف فالإنسانية فى دنياها .

وكل أعمال الإسلام وأخلاقه وآدابه فتلك هى غايتها ، وهذه فلسفتها ، لا يقررها للإنسانية حسب ، بل يغرسها فى الوراثة غرسا بالاعتياد والمران الدائم ، لتكون علما وعملا ، فتمكن لسلام النفس بين الأسلحة المسددة إليها من ضرورات الحياة ، فى أيدى الأعداء المتألبة عليها من شهوات الغريزة .

فليس يعم السلام إلا إذا عم هذا الدين بأخلاقه فشمل الأرض أو أكثرها ؛ فإن قانون العالم حينئذ يصبح منتزعا من طبيعة التراحم ، فإما انتسخ به قانون التنازع الطبيعى ، وإما كسر من شرته ، ويولد المولود يومئذ وتولد معه الأخلاق الإنسانية » .

ويمضى الكاتب الإسلامى المفكر فى مقاله إلى أن يختمه بقوله مخاطبا المسلم :

« أيها المسلم ! لا تنقطع من نبيك العظيم ، وعش فيه أبدا ، واجعله مثلك الأعلى وحين تذكره فى كل وقت فكن كأنك بين يديه ؛ كن دائما كالمسلم الأول ، كن دائما ابن المعجزة » .

• • •

يالله .. ما أبدع هذا الكلام وأنداه ، وما أروعه فى مبناه ومعناه !

إنه ومضات العبقرية ، ونفحات الإيمان وإذا استنار الفكر بنور الإيمان تفجرت منه ينابيع الحكمة ، وانبثق منه الضياء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وإنى لأدعك ـ أيها القارىء ـ وما قرأت ، فلا أريد أن أجرى قلمى بالبسط والتحليل حتى لا أنال من جلال ذلك الكلام وعظمته وسحره ، وحتى تسبح فيه بفكرك ، وتنعم به ما شاء لك إدراكك وذوقك ، كما سبحت فيه ونعمت به وهتفت من أعماق قلبى قائلا : أمطر الله جدث الرافعى غامر الرحمات ، وجعل مرتعه الجنات .

محمد عبد الرحمن صان الدين

الإبداع الأدبى

بين اكتشافه للواقع وتحويله إلى وعاء للمعتقدات السياسية

٢

للدكتور عبد الله محمد أبو هشة

قضية الواقعية فى نظرية الأدب العربى وتاريخه :

إن تناول ظاهرة أو مصطلح أو اتجاه فى الأدب العربى يعنى بداهة أن ننظر إلى تطور أى من الظاهرة أو المصطلح أو الاتجاه فى الأدب العربى وتاريخه وعلومه ، وأن ننظر إلى المضامين فى تطورها وفى تشعبها تحديداً لها ، أو توضيحاً لثراء تشعبها فى بيئتها الأدبية واللغوية .

أما النظر إلى اتجاهات الأدب العربى وظواهره من خلال منظار المصطلح الأوروبى ، أو الحديث عن اتجاهات الأدب العربى من خلال تاريخ الأدب الأوروبى قياساً عليه ، أو ادعاء بمعرفته فإن هذا النوع من ادعاء العلم هو العته الثقافى والعلمى بذاته ؛ ذلك لأن عزل الظاهرة أو المصطلح أو الاتجاه الأدبى عن تاريخه اللغوى ، أو عن لغته العلمية ؛ حتى وإن تشابه ذلك مع نظير له فى لغة وتاريخ أدب آخر ؛ فإن هذا هو التزييف العلمى بذاته . إن تم ذلك بحكم جهل القائم به بلغته وأدبه فإن ادعاءه معرفة اللغات والآداب الأوروبية سيكون ادعاءً كاذباً ؛ لأن الفهم العميق للغات والآداب الأوروبية لايتم إلا من خلال (موصل) جيد هو المعرفة الجيدة باللغة الأم وآدابها ، وفيما عدا ذلك ستكون معرفته باللغات الأجنبية وآدابها معرفة سطحية

لا يعتد بها فى الميادين العلمية لأنها لا تقود ولا تؤهل صاحبها للبحث العلمى الجاد . أما إن تم ذلك بتجاهل اللغة والأدب القوميين ، بهدف إلقاء قيمها ومضامينها جانبا ، وإفساح الطريق لقيم أخرى ؛ لأهداف سياسية عقائدية ؛ ماركسيـة كانت أو رأسمالية ـ فكلاهما يحمل فى نظرى نفس أخطار المسخ لثقافتنا ـ فإن ذلك هـو (الخيانة) الثقافية بعينها ، والتى لم تقنن فى تشريع قانونى كغيرها من أنواع الخيانة . فالدول التى تحترم البحث العلمى ، ولدى علمائها انتماء ثقافى واعتزاز باللغة والأدب القوميين ، لديها تقاليدها وأعرافها العلمية التى تنفى مثل هذا النشاط الشاذ من ساحة العلم . أما نحن فى الوطن العربى والعالم الإسلامى فيبدو أننا محتاجون إلى مثل هذه التعبيرات الحادة مثل (الخيانة الثقافية) التى تنبه إلى مثل هذه الأخطار كبديل للأعراف والتقاليد العلمية المانعة الطاردة للانسلاخ الثقافى ودعاته .

ولست ممن يدعون إلى التقوقع الثقافى ؛ بل إننى أدعو بقوة إلى التعرف على ثقافات كل الأمم وآدابها ، لكن بعينىّ وعقلى ؛ كواحد من المنتمين إلى الثقافة العربية الإسلامية ، وليس بعيون مستعارة وعقل مستعار . فمعرفة ثقافات الآخرين بأقصى درجات العمق شىء ، والانسلاخ من اللغة والأدب والثقافة القومية شىء آخر .

الشعراء العرب فى الجاهلية فهموا الشعر على أنه عملية خلق فردية تحتاج إليها الطبيعة ذاتها حتى تصير حقيقة معروفة من خلال الفن ـ الذى هو القصيدة الشعرية هنا . فالإنسان الشاعر أو الموهوب يشعر ويغنى بمساعدة الطبيعة ، التى تظل مصدر الفن . وبذلك نستطيع أن نقول إن الفن أو الأدب يكمل الطبيعة[1] ؛ لأنه هو الذى يحولها إلى حقيقة لغوية أدبية ، ولا توجد حقائق أو وقائع خارج إطار اللغة :

ففهم الثقافات والآداب الأوروبية (لنظرية المحاكاة) عند أرسطو لا ينسحب على الثقافة العربية . وأسباب عدم استفادة الثقافة العربية من نظرية المحاكاة ، كما استفادت الثقافات الأوروبية ، كثيرة ، ويمكن الرجوع إليها[2] ـ فمنذ ترجم (متى بن يوسف) كتاب (الشعر) (Poetik) لأرسطو فى القرن الثامن الميلادى والنقاد والمفكرون العرب يتحدثون عن (المحاكاة) لكن طبقا لفهمهم الخاص الذى لا يتطابق مع الفهم الأوروبى لها ـ فالمحاكاة قد فهمها العرب فهما أقرب إلى

(١) انظر :

أبو حيان التوحيدى : المقابسات ، تحقيق حسن السندوبى . المقابسة رقم ١٩ ، القاهرة ١٩٢٩ ص ١٦٣ وما بعدها .

(٢) لقد عالج هذا الموضوع كثيرون نذكر منهم :

محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ، بيروت ١٩٧٣م ص ١٦١ ـ ١٧٣ .

عز الدين إسماعيل : الأسس الجمالية فى النقد العربى ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧٣ م ص ١٤ ـ ١٤٣ .

روح الأدب أكثر من فهم أرسطو لها ، وذلك عندما فسروها على أنها : (العمل الإبداعى المكمل للطبيعة بواسطة الفنان أو الشاعر وليس المماثل لها) . فأبو حيان يؤكد على التلازم التام بين مفهومى (المحاكاة) و(الجمال) فى كل من الفن والطبيعة(٣) .

وبالطبع فإن نظرية الأدب العربى لم تنضج وتصاغ إلا فى عصر التدوين والاهتمام باللغة والأدب ؛ أما فى العصر الجاهلى فيمكن استخلاصها من الشعر العربى . فأشعار زهير بن أبى سلمى من جانب وأشعار امرىء القيس من جانب آخر ؛ كلاهما نبع مثالى لاستخلاص النظرية فى هذا العصر .

أما بعد ظهور الإسلام وما أحدثه من تحول ثقافى شامل فى الحياة الثقافية ؛ فإننا نستطيع أن نلاحظ الفرق الجوهرى بين الشعر والنثر حتى القرن العاشر الميلادى - نهاية الرابع الهجرى تقريبا - ففى حين أن الشعر ظل بصورة عامة - مع استثناءات أيضا - ميدان تحليق النفس الإنسانية ، ظل النثر بيت الحكمة . كما أن النثر أصبح الأدب الفلسفى . وأدب الحكمة ، وحمل لواء التعليم والخطابة . فهو بذلك أصبح الضوء الكاشف للواقع والموجه له فى آن واحد .

ونجد فى نهاية القرن العاشر الميلادى فهما تنظيريا للأدب عند الإمام أبى حامد الغزالى(٤) كما نجده عند أبى حيان التوحيدى أيضا فى نفس القرن العاشر فى قوله : « ومناشىء الحَسَنِ والقبيح كثيرة : منها طبيعى ومنها بالعادة ومنها بالشرع ومنها بالعقل ومنها بالشهوة »(٥) . لكن النثر العربى لم يستفد للأسف من مثل هذه التنظيرات المتنوعة ، وظل خاضعا للمتطلبات الاجتماعية وضرورات تنظيم شئون الحكم ، بمعنى أن الإبداع الفردى خضع للمطلب الاجتماعى العام ، وظل الواقع هنا هو واقع المنفعة والفائدة الاجتماعية العامة ؛ تربوية كانت أو إدارية أو تعليمية إلخ .

وبجانب هذا النوع من نثر الواقع الاجتماعى المنفعى وجد الفن القصصى فى (المقامة) التى تعتبر فنا قصصيا من نوع فريد .

عبد الله محمد ابو هشه

---

(٣) ابو حيان التوحيدى : المرجع السابق .
(٤) أنظر :
أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين ، الجزء الرابع ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ص ٢٥٦ ومابعدها .
(٥) أبو حيان التوحيدى : الإمتاع والمؤانسة ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٣٩م ص ١٥٠ .

من خير ما نشر

اهمال اللغة العربية .. خيانة عظمى

تحقيق .. مصطفى عبد الله
بركسام رمضان

أعلن الدكتور فتحي سرور أن اللغة العربية في محنة .. جاء ذلك في ندوة اللغة العربية في المرحلة الثانوية التي عقدت على امتداد يومي السبت والأحد (٢، ٣ من ذي الحجة الموافق ١٦، ١٧ يوليو)، قال الوزير: إن اللغة العربية أداة تعبير ومضمون أيضاً، وإن طرق تدريسها أدت إلى النفور منها، ووصل إلى حد الاستهانة بها بمدارس اللغات الذي صاحب التطور الاقتصادي خلال العقد الأخير في مصر وظهور الشركات والبنوك بحيث اتجه صفوة الشباب إلى تعلم اللغات الأجنبية، وهذا منعطف خطير .. خطير.

وقال: إن المصريين توهموا في فترة من حياتهم أن بناء الاقتصاد مترابط بالتعليم الأجنبي، وأدى هذا إلى الاهتمام باللغات الأجنبية وإهمال اللغة العربية، حتى عندما عممت اللغة العربية في المحافل الدولية استخدمت رطانات غريبة منها.

وقال الوزير: إننا لو فرطنا في تدريس اللغة العربية سيتهمنا أبناؤنا بالخيانة العظمى .. وطالب بمنهج يرغب ولا ينفر.

وقال مقرر الندوة الدكتور محمود فهمي حجازي:

اللغة العربية هي السمة الأولى للانتماء في مصر والعناية بها تعميق للانتماء، واللغة العربية ليست مادة (معرضية).

وطالب بضرورة التعاون بين الجهات الإعلامية والخبرات الميدانية في الوزارة، وقال: إن هناك جهوداً عالمية معروضة لتعليم اللغة، وهذه الندوة تهدف إلى تحديد الكتب المقررة والربط بين المهارات التراثية والمعاصرة فيما يتصل بالأدب. وقد قدمت مجموعة كبيرة من البحوث تبلغ حوالي (٣٠ بحثاً) في مجالات مختلفة تناولت في الجانب اللغوي مجموعة من القضايا منها علاقة النحو بالنصوص، وربط الأدب بالبلاغة، ورؤية واضحة للإنتاج الأدبي المعاصر.

واستنكرت الندوة أن يكون التلميذ في مصر بعيداً عن الأدب المصري المعاصر والأدب في البلاد العربية.

فكرة

للأستاذ: مصطفى أمين

كل غزو تعرضت له مصر جاء من سيناء. الهكسوس جاءوا من سيناء، والفرس جاءوا من سيناء. وكل الأبحاث العسكرية تؤكد أن

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعي خفاجه

سيناء هى الباب الذي يدخل منه الغزو الأجنبي(*) وهذا ما فعلته إسرائيل فى حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ .

وفوجئنا بمن يقول إن هناك تفكيراً فى فتح سيناء للاستثمار الأجنبي . ومعنى ذلك أن الإسرائيليين يستطيعون التسرب إلى صحراء سيناء ، وإقامة مستعمرات تكون نقطة الارتكاز لهجومهم القادم .

وإذا لم يدخل الإسرائيليون إلى سيناء صراحة فإنهم يستطيعون الدخول متسترين تحت اسم شركات أمريكية أو أية جنسية من الجنسيات .

والذين يقومون بهذه الدعوة الغريبة يجهلون أنه صدر قانون في عهد الرئيس السادات يحظر على غير المصريين الاستثمار فى سيناء .. فكيف سنخالف هذا القانون ؟ هل سنلغيه أم سنتجاهله ؟

أفهم أن نسمح للعرب أن يشتركوا مع المصريين فى استثمار سيناء .. ولكن لا أفهم أن نفتح الطريق لإسرائيل لتعود من جديد إلى سيناء .. وخاصة أن إسرائيل لم تحاول منذ توقيع معاهدة السلام أن تجعلنا نطمئن لها ولم تحاول أن تخفى عنا نواياهم العدوانية .

فكيف نطمئن إلى نوايا إسرائيل ونحن نشهد في كل يوم اعتداء علينا ، ونرى كل ساعة احتجاجاً على أن دولة عربية تسلح نفسها لتدافع عن أرضها . وكأنها تريد ان تجردنا من لسلاح ليسهل لها غزونا واحتلالنا .

فلننتبه دائماً إلى هذا الخطر ولنحذر أن نفرط فى شبر واحد من أرضنا . فإن سوابق إسرائيل في خرق اتفاق السلام تجعلنا نشك في كل خطوة تخطوها إسرائيل ، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

كانون .. وجه صهيوني قبيح
يخترق عقل النقاد !

للأستاذ / على أبو شادى

تنبهت الحركة الصهيونية منذ بداية تاريخ السينما للقوة السحرية الفعالة لهذا الفن .

ولم تكف منذ تلك اللحظة عن استخدام السينما .. ثم الفيديو للترويج للأفكار الصهيونية . واستطاعت فرض سيطرتها المالية والاقتصادية من خلال إنشاء العديد من الشركات السينمائية الكبرى ، التى تخدم من خلال الأفلام فكرة التفوق العنصرى ووحدة التراث اليهودي وغيرهما من الأفكار الصهيونية المعروفة .

ولأن العقل العربى ، هو إحدى النقاط

←

(*) كما ورد هذا المعنى فى إحدى خطب الرئيس الراحل محمد أنور السادات . مجلة الأزهر

من خير ما نشر

المستهدفة دوماً من قبل المؤسسات الصهيونية ، فإن السينما كانت وسيلة هامة من وسائل الصهاينة في غزو العقل العربي ـ قبل وبعد قيام إسرائيل ـ ولأنه من المستحيل على المؤسسات الرسمية الإسرائيلية

أن تقدم إنتاجها مباشرة للمواطن العربي ، اختارت إنشاء شركات تحمل جنسيات أخرى ، تقدم من خلالها ما تشاء ، وأبرز هذه الشركات في الفترة الأخيرة هي (شركة كانون) التي تحمل الجنسية الأمريكية ويملكها الطيار الإسرائيلي السابق ، والمخرج والمنتج حالياً (مناحيم جولان) ورغم الأسماء الكبيرة التي تحاول بها الشركة أن تجمل وجهها القبيح ، إلا أن إنتاجها العام يقدم في مجمله وجبات دسمة من العنف والجنس (فوق القمة ، ماتاهاري ، عشيق الليدي تشاترلي) وغيرها من أفلام تقوم على تزييف الواقع وتخدير الوعي واللعب على الغرائز واستلاب العقل وتشويه روح الإنسان . ولا يعنيها لا المحتوى الفكري ولا المستوى الفني رغم الصيحات المستمرة من قبل العديد من المفكرين والنقاد الوطنيين الذين يدركون تماماً أبعاد المخطط السينمائي الصهيوني ، رغم التحذيرات المتكررة والتنبيه إلى خطورة أفلام هذه الشركة ، إلا أن هناك عدداً من النقاد في مصر مازالوا يرون في مقاطعة العمل السينمائي ـ حتى لو كان ضد الوطن ـ نوعاً من التصرف غير الحضاري ويدافعون عن وجهة نظرهم تحت شعار مزيف ، هو أن من حقك أن تعرض ما تشاء ، ومن حقي أن أدافع عن نفسي ، بإنتاج أفلام تنافس أفلامك ، وهو قول مغلوط تماماً . فنحن في العالم العربي لا نملك ما ندافع به عن عقول شعبنا إلا الكلمة المكتوبة ، وهي ذات وقع ضعيف ، أما الإنتاج السينمائي الضخم فلا طاقة لنا به ، ولا يمكننا منافسة ذلك المارد الضخم بإمكاناتنا الهزيلة .

ولقد بدأ إنتاج هذه الشركة الصهيونية يتسرب منذ فترة إلى سوق الفيديو في مصر .

إن هناك بعض المثقفين من النقاد يقفون وراء توزيع أفلام (شركة كانون) في مصر ، ويلعبون دوراً خفيا أحيانا ، وعلنيا أحياناً أخرى ، حيث يعمل بعضهم مستشاراً أو شريكاً في إحدى شركات التوزيع ويملك آخر شركة يوزع من خلالها هذه الأفلام ، وهم يقومون بعملية الترويج لهذه الأفلام رغم إدراكهم الكامل لدورها التخريبي في عقل ووجدان المواطن المصري ، وهم من خلال سلوكهم المعيب ، سياسياً وفنياً وأخلاقياً ومن خلال مواقعهم المؤثرة يشكلون طابوراً خامساً يسهم في عملية التطبيع . ويكرسه من خلال مؤسسات مراوغة الجنسية ، وهم يفعلون ذلك أيضاً ، رغم معرفتهم الكاملة بقرارات نقابة السينمائيين ، وهم أعضاء عاملون بشعبها المختلفة ، والتي تنص على مقاطعة كل ما هو صهيوني في السينما .

وغرفة صناعة السينما مؤهلة لو شاءت أن تؤدي دوراً يرد لها بعض ماء وجهها الذي أريق في مناسبات كثيرة .. وتتحرك ولو مرة واحدة من منطلق وطني وقومي بدلاً من منطق « الفلوس » الذي تختاره منهجاً دائماً

لسلوكها ، وحفاظاً على الكرامة الوطنية المصرية وعلى العقل المصرى المهدد بالتدمير من قبل أدوات المؤسسات الصهيونية العالمية .

والغرفة تملك حق رفض أى فيلم من إنتاج هذه الشركة أو من الإنتاج الإسرائيلى .

فضيلة الشيخ/ محمد الغزالى

هــنا ديننـــا

اخشى أن ينسى العرب دينهم ، وأن ينسوا إخوان العقيدة المنتشرين فى المشارق والمغارب وأن يتجاهلوا قضاياهم وأحزانهم الكثيرة .

إنهم إن فعلوا ذلك نسيهم الله ونسوا انفسهم ومكنوا أعداءهم من أعناقهم ووقعوا فى فخاخ ماكرة نصبت لهم هنا وهناك .

إن الأقليات الإسلامية فى العالم تزداد تعاسة وعزلة ، ولا أدرى لماذا لا يكون لطلاب الحرية من هذه الأقليات المهضومة من يمثلها فى المجامع الإسلامية رسمية كانت أو شعبية ؟ مرة أخرى أقول للعرب : لا تفرقوا فى خلافاتكم ولا تغفلوا عن رسالتكم ، إن مستقبلكم رهن عودتكم إلى الإسلام .

الأستاذ/ نجيب محفوظ

دعــوة للحيـــاة

فقدنا الدهشة ، فقدنا الانزعاج ، فقدنا الاهتمام . تلاشت صفات قليلة كثيرة فى حصار الخوف والقلق على لقمة العيش . نحن نعيش فى عصر اللقمة ، يرتعد أناس خوفا من العجز عنها ، ويشك آخرون فى دوام القدرة عليها ، وحتى أصحاب الملايين يتلفتون فى توجس ، ويتفق الجميع فى الاغتراب عن عالم الإنسان وقيمه السامية ومسراته الهادئة . ومن حولنا تتحقق منجزات كبيرة وإصلاحات أساسية .

الأستاذ/ محمد الحيوان

كلمـــة حــب

قال سفير مصر فى تل أبيب : إن العلم المصرى يرفرف فى (تـل أبيب) بفعل الرياح .. وليس بسبب علاقات الود بين الجانبين .

وكيف يكون الود وإسرائيل مستمرة فى سياستها البشعة ضد الشعب الفلسطينى ؟

وقال إن سياسة إسرائيل يمكن أن تؤدى إلى إغراق سفينة السلام .. كما أنه يمكن أن ينسحب العلم المصرى من تل أبيب إذا لم تتوصل الأطراف المعنية إلى حل لقضية الشعب الفلسطينى .

أنباء وآراء

شيخ الأزهر يحذر من خطر الأمية الدينية

أكد فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على أن الامية الدينية التى تعيشها معظم الدول الإسلامية هى العقبة التى تقف امام اى تقدم حضارى لجميع الشعوب الإسلامية ، جاء ذلك فى افتتاح الدورة التدريبية للطلاب الوافدين من العالم الإسلامى التى عقدت مؤخرا .

قال شيخ الأزهر : إن العلم هو المخرج الوحيد لنا من الفرقة والتدهور الذى تفشى فى العالم الإسلامى . وإنه كلما ازداد العلم ارتفعت الافكار واطمأنت القلوب .

●●

أخطار على المسلمين فى غرب أفريقيا

الأخطار التى تهدد المسلمين فى غرب افريقيا كثيرة ومتعددة . فالإرساليات التنصيرية تمارس نشاطاً كبيراً .

والبهائية تملك قوى طائلة ، وتجند افراداً مدربين على مستوى عال من الكفاءة .

رئيس المعهد الإسلامى بجمهورية مالى الشيخ / على جالو يحذر المسلمين من البهائيين والقاديانيين المنتشرين فى غرب افريقيا .

المسلمون فى مالى ٩٠٪ والمسيحيون ٢/١ ٢٪ ، ٢/١ ٧٪ ، وثنيون ، والحركات التنصيرية تركز نشاطها بين المسلمين اكثر من الوثنيين . ومع ذلك فالوثنيون يدخلون الإسلام عن قناعة بأنه الدين الحق .

●●

الإقبال على الإسلام فى ألمانيا الغربية

اعلنت هيئة تسجيل السكان فى (هامبورج) من إحصاءات قامت بها اكدت وجود زيادة مضطردة فى عدد الألمان الغربيين الذين يعتنقون الإسلام .

أعلن ذلك (ما نفريد سورج) رئيس الهيئة .

●●

أوزال يتعرض لحملة عنيفة لأداء فريضة الحج

تورجوت أوزال رئيس وزراء تركيا تعرض الأسبوع الماضى لحملة عنيفة شنتها عليه

إعداد : د. أحمد عبد الرحيم السايح

صحف المعارضة فى بلاده لأنه قام بأداء فريضة الحج هذا العام بدعوى أن هذا العمل من جانب يتنافى مع شعار العلمانية الذى ترفعه وتقوم عليه الدولة فى تركيا منذ أطاح كمال أتاتورك بالخلافة الإسلامية وألغى الكتابة بالحروف العربية وأحل محلها الحروف اللاتينية ، ودعا المرأة إلى السفور وترك الحجاب ، وذلك منذ عام ١٩٢٣ ..

هذه أول مرة يقوم فيها مسئول تركى كبير بأداء فريضة الحج منذ الثورة الكمالية التى تصور البعض أنها أطاحت بالإسلام فى تركيا إلى الأبد ، ولكن بعد خمسين سنة يعود الإسلام أقوى ما يكون .

تزعم الحملة على رئيس الوزراء عناصر إنتهازية ممن يتجرون بالشعارات الشيوعية والعلمانية .

●●

الإيدز.. كارثة حضارة زائفة

تقرير عن ديسمبر ١٩٨٧

كشفت التقارير العلمية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أن واحدا من كل ٦١ طفلا ولدوا خلال الشهر الماضى فقط فى مدينة نيويورك يحملون فيروس وباء الإيدز ! ظهرت هذه الحقيقة المرعبة خلال تنفيذ قرار صحى يستوجب فحص دم كل مولود جديد فى مدينة نيويورك خلال شهر ديسمبر (كانون الأول) المنصرم للاختبار . وغالبية أباء وأمهات هؤلاء المواليد المصابين هم من الشاذين جنسيا أو من مدمنى المخدرات أو كلتا العادتين . وقد أنذرت السلطات الصحية فى المدينة ، أنه إذا ما استمر معدل الإصابة بين المواليد بهذا الشكل ـ وهم يتلقون الفيروس عن طريق دم الأم أثناء فترة الحمل ـ فإن أمريكا ستشهد خلال سنوات قليلة كارثة لا يمكن حصر نطاقها .

●●

العالم العربى وأوروبا

فى العاصمة النمساوية فيينا معرض ضخم دائم عن المخطوطات الإسلامية منذ القرن الثامن .

وقد ضم المعرض ثلاثمائة مخطوطة عربية وإسلامية من مجموع ألف وستمائة مخطوطة تملكها المكتبة النمساوية التى تعد واحدة من اكبر المكتبات فى أوروبا وأعرقها وأغناها بالمطبوعات والمخطوطات العربية والإسلامية القديمة والحديثة .

←

أنبـــــاء وآراء

وتشمل المخطوطات المعروضة جميع المعارف والعلوم السائدة والمنتشرة عند المسلمين فى العصور الإسلامية المزدهرة وذلك لإطلاع الزائر للمعرض على الدور الهام الذى قام به المسلمون فى إيصال الحضارة اليونانية واللاتينية إلى أوروبا من خلال التراجم والبحوث الإضافية للمؤلفات والمخطوطات القديمة بالإضافة إلى شتى العلوم التى اكتشفها ووضعها المسلمون فى العصور المزدهرة .

وقد تم تصنيف المعرض الذى يحمل عنوان (العالم العربى وأوروبا) إلى ١٢ باباً هى : المخطوطات القرآنية والإسلام والمسيحية والفلسفة والرياضيات والفلك والطب والعلوم الطبيعية والجغرافيا والتاريخ وتاريخ الأدب والموسيقى وفن الكتاب والطباعة .

يشاهد الزائر فى مدخل المعرض خارطة للأرض للشريف الأدريسى الذى توفى فى سنة ٥٦٠ هجرية ١١٦٥ ميلادية وهى من منشور المجمع العلمى العراقى .

● ●

توصيات مجمع الفقه الإسلامى تطلب الحد من ظاهرة انتشار المربيات الأجنبيات

مجمع الفقه الإسلامى الذى انعقد مؤخرا فى جدة أصدر عدة توصيات فى مقدمتها : تطهير وسائل الإعلام والإعلانات التجارية من كل ما يثير الشهوة ويدفع إلى الانحراف .
وجعل المواد الدينية مواد أساسية فى كل مراحل التعليم ، وتدريس كل العلوم من منطلق إسلامى .

تضمنت التوصيات أيضاً : العمل على تنشئة الأجيال الجديدة تنشئة صحيحة ، والقضاء على ظاهرة استخدام المربيات الأجنبيات خصوصا غير المسلمات .

● ●

« أينا » وكالة الأنباء الإسلامية الدولية

ترحب مجلة الأزهر بإنشاء « وكالة الأنباء الإسلامية الدولية - أينا - » بجدة ص . ب ٥٠٥٤ راجية لها السداد والتوفيق ؛ فقد كان الميدان الإسلامى عامة خاليا من « وكالة أنباء » تخصه ، وتعنى بالخبر فى ذاته دون توجيه معين يخرجه عن إطاره ، كما تعنى بشئون العالم الإسلامى : قضاياه ونشاطاته وإن هذه الوكالة لحرية بأن تقوم كافة المراكز الإسلامية بتزويدها بأخبارها ومعلوماتها حتى يتسنى للوكالة أن تزود المسلمين فى كل مكان بتعريف شامل عن إخوانهم فى مختلف مواقعهم فتقع الألفة والترابط الذى يريده الإسلام . قال تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ .

وفى ذلك سبيل كريم فى المبادرة إلى قطع دابر الفتن التى تتربص بالعالم الإسلامى .

أكبر تجمع اقتصادى إسلامى

الرئيس التركى كنعان إيفرين افتتح فى أواخر ذى الحجة ١٤٠٨ هـ مؤتمر التعاون الاقتصادى والتجارى للدول الإسلامية « كوفسيك » الذى عقد باستنبول .

بحث المؤتمر الذى استمر ثلاثة أيام كيفية تنفيذ توصيات المؤتمرات الاقتصادية الإسلامية بإنشاء سوق إسلامية مشتركة على غرار السوق الأوروبية المشتركة . كما طرح على أعضاء المؤتمر مشروع إنشاء نظام للأفضليات التجارية بين أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامى ، وتقديم دراسة بخصوص إنشاء شبكة للمعلومات التجارية بين الدول الإسلامية .

حضر المؤتمر وزراء الاقتصاد والتجارة فى خمس وأربعين دولة إسلامية من أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامى .

فهرس العدد

- جـــوار قريـــش
  د . على أحمد الخطيب ١٢٩
- ضياء الحـق .. إلـى الله ١٣٣
- لـماذا يحلـف الله بمخلوقاتـه ؟
  فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير ١٣٤
- آيـات موسـى التسـع
  حلمى الخولى ١٤٢
- لا طيـرة ولا صَفَـر
  الأستاذ الدكتور رءوف شلبى ١٤٧
- تطويـر الكفـاءة القتاليـة
  لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ ١٥١
- البحث عـن الديانـات القديمـة
  د . عبد الجليل شلبى ١٥٩
- رسـل الأزهـر فـى بـلاد النيجر
  جمال الدين أبو العيون ١٦٣
- فضـل الإسـلام علـى البشريـة
  فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ١٦٨
- كتاب الخراج لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم
  الأستاذ الدكتور على أوزاك ١٧٥
- مسئوليـة المدرسـة والإعـلام نـحو ابنائنـا
  الأستاذ محمد عبد السميع شبانة ١٧٩
- الفتـــاوى
  للأستاذ عبد الحميد السيد شاهين ١٨٣

بـاب مـن أعـلام الأزهـر

- عبد العزيـز البشـرى (جاحـظ العصـر الحديـث)
  للدكتور محمد رجب البيومى ١٨٦
- الشيـخ محمد بـن سعيـد عيـاد الطنطـاوى
  المستشار محمد عزت الطهطاوى ١٩٢

بـاب الشـعر والشعـراء
إشـراف د . حسـن جـاد

- تضـرع وإنابـة (شعـــر)
  للشيخ محمد زكى إبراهيم ٢٠٠

● ايـــــام (شعـــــر)
للشاعرة نور نافع ٢٠١
● عندمـا يتنفـس الصبـح (شعـر)
للشاعر محمد عبد الخالق ندا ٢٠٢

العلـوم الكونيـة

● خصائص المنهج العلمي في التراث الإسلامي
للدكتور أحمد فؤاد باشا ٢٠٤
● نظرية الاختيار الأمثل وتطبيقاتها
للدكتور محمد إبراهيم حسين ٢٠٩
● طرائـــف ومواقـــف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٢١٤
● مـن روائـع الماضـي
فضيلة الإمام الأكبر الأسبق محمد الخضر حسين
إعداد وتقديم / عبد الفتاح حسين الزيات ٢١٦

اللغـة والأدب والنقـد

● إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث
الأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل ٢٢٤
● حقيقة الإسلام تسفر للرافعي العبقري
محمد عبد الرحمن صان الدين ٢٢٩
● الإبـــداع الأدبـــي
الدكتور عبد الله محمد أبو هشة ٢٣٢
● مـن خيـر ما نشـر
إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعي خفاجة ٢٣٦
● انبـاء واراء
أحمد عبد الرحيم السايح ٢٤٠

القسـم الانجليـزى
إشـراف د . أنس النجار

● المقالـة الثانيـة
عبد الحكيم أحمد طه ٢٤٧
● المقالـة الأولـى
د . أنس مصطفى النجار ٢٥٢

all muslims, a commulative concentrated dose of fundamental information of facts with which every muslim should be very well acquainted. It was an act of precision teaching and optimized instruction.

Another aspect learned from the Hadith was the methodology and science of interrogation. The prupose was precision teaching, the questions asked by Angel Gibriel were precise, distinct, methodical, sequential and graded from the simplest to the most difficult. This manner of interrogation was in itself an approach to teaching and information; with its preciseness, sequence and grading, the listener would gain the exactness of the reply; and therefore recognize the size of its dimensions. On the other hand, the reply to the questions was complete with no redundancy or repetition, free from tautologism to avoid any mental distraction to the listner. The purpose of the whole scenario between the Angel Gibriel, and the Prophet was to educate the companions the exactness of the various grades of the Muslim faith. Both the questioner and answerer knew the exact replies, the ultimate projection was precision teaching and optimized instruction to the companions present at the time the event took place.

The first questions involved the essentials of Islamic faith which should be precisely known by all Muslims; a knowledge pertaining to his understanding and belief; for that reason, the reply was definitive and conclusive. The last question was about the Day of Judgement, the knowledge of which is selectively particular to the supreme Divine Transcendent knowledge. For that reason, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) gave no definitive reply; instead, the Prophet described the premonitory predictive signs and portents of the Hour; and recited from the Holy Quran "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour" (Surat Luqman, XXXI, 34).

From the text of the Hadith, it is realized that the Creed of Islam is a gradation of category and grading of performance. The initial grade is the identity for the majority and the common; the middle grade is for the pious, those who subject their inner belief to conform with their identity; the final grade is that of rank, distinction and excellence, achieved only by the very few. This grading instigates the Muslim to ascendancy and motivates his incentives for promotion on the path. The path to Allah demands the intention, the effort, the genuine endeavor and devotion. The reward is certain, the reward is from Allah, the All-Knowing, the All-Cognizant.

" ... Allah knows best where (and how) to carry out His mission ... " (Surat Al-Anaam, VI, 124) "It is not fitting for a man that Allah should speak to him except by inspiration or from behind a veil, or by the sending of a messenger to reveal with (Allah's permission, what (Allah) wills, for He is most High Most Wise. And thus have We by our command sent inspiration to thee, thou knewest not (before) What was Revelation, and what was Faith; but We have made the (Quran) a light, wherewith We guide such of our servants as We will; and verily thou dost guide men to the straight way" (Surat Al-Shura; XLII, 51, 52).

The process of the Holy Revelation was that the Divine Power used the Angel Gibriel as the extention arm to contact the human race represented by the Prophets (in this case the Prophet Muhammad - prayers and peace from Allah upon him). This contact was achieved to deliver a message. to all mankind, a message of enlightenment and emancipation.

Sometimes, the Angel Gibriel appeared in the apparition of a human with special signs of his angelic nature that were recognized only by the Prophet. That was the appearance of Gibriel on the occasion of the present Hadith. Gibriel appeared as a beautiful human, handsome in looks and elegant in manner, black hair and white garments. He was a stranger to the assembly, unknown to them; yet showed no signs of the weary tired traveller. However, the significance and importance of the theme of the discourse between the Angel Gibriel and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) focussed the serious attention of the assembly, and rendered the personality of the newcomer a very trivial matter indeed. Some authorities believe that the Prophet himself was denied by divine will (on that very occasion) the recognition of the Angel Gibriel, so that the question and answer session would be from one human to another. The cardinal optimized significance of the questions asked, and the direct specific comprehensive exact answers; entailed in their totality, sequence, and clarity, the most precise axioms of Muslim Theism. These premises were presented in the most logical sequence, in a manner to realize with ease and comprehension the structural dimensions of Islamic Theology in a paradigm presented as a conversation between the Angel Gibriel and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The whole incidence was overwhelming and unusual in its set up, in the personalities involved, and most of all in the dialogue of question and answer between the Angel Gibriel and the Prophet. It was to the companions, and remains to

schooling to instruct, to educate, and to indoctrinate the congregation into pinnacles of human enlightment - the Oneness of Diety, and the eternal message of the Holy Revelation, the Holy Book, the Holy Quran. This honoured assembly was mastered by the Prophet himself; the subjects of discourse were the Holy Quran, its text, interpretations, legislations, concepts, doctrines and teachings. The Prophet would answer questions related to worldly matters and religion, to death; and would discuss matters of propagation and promotion of Islam and matters of strategy and defence. The encyclopedia of reference was the Holy Quran, and the traditions of the Prophet; the master of the assembly was the Messenger of the Holy Book; the attendants were the companions of the Muhagereen and Ansar; and the subject matter of conversation (was always the most benificial knowledge that was ever expounded for the enlightenment of mankind.

The Angel Gibriel would descend with the Holy Revelation to deliver its sacred text to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the apparition of the Angel Gibriel to the Prophet would take different forms and styles. Sometimes the seraphic form of Gibriel would meet with the bodily form of the Prophet; and in this case, by Divine will, the bodily form of the Prophet would adjust in order to cope with the demands of the Angelic encounter. Other times, the Angel Gibriel would dwell within the Prophet and instill the text of the Holy Revelation into the perceptive depth of the Prophet. In this case, the Prophet would undergo a severe trance of physical exhaustion,abstractedness and enchantment, silence, profuse sweating, and pounding respiration. After recovery, the Prophet would relate to the companions what he had received of the Revelation.

With this understanding, we can realize that the real function of Prophethood is to link the infinite domain of heavens with the finite domain of the earth; between the creations, and their Creator; between the singular limits of energy, and the universal boundlessness of energy. The constitutions of Prophets were so constructed by Divine purpose to endure the burden of the link between the heavens and earth. With the usual human precepts, the constitution of Prophethood was beyond normal dimensions. They were ordained with Divine intelligence, knowledge, strength, guidance and protection. These qualities make them exceptional human individuals, characterized by exceptional Divine qualities that differentiate them from the usual human capabilities. The text of the Holy Quran indicates such meanings in several contexts.

LESSONS FROM THE HADITH

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXX1, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)

The text of the Hadith indicates that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him was sitting in the Mosque at Al-Madinah, and around him were a group of companions from the Muhagereen and Al-Ansar. That tutorial gathering was by far the most exalted, heightened assembly of persons ever known in human history. It was a perpetual

march, Al-Muthanna defeated all Persian and alien resistance. He convened with the heads of Arab tribes resident south of Iraq and came to terms to their advantage against Persian rule. Abu Bakre inquired about Al-Muthanna and was told that the man was from the tribe of Bani Bakre ibn Wayil, a tribe inhabiting the west coast of the Persian Gulf, north of Al-Bahrain. Al-Muthanna at the head of his tribe had assisted Al-Allaa ibn Al-Hadramy in his battle against the apostates at Al-Bahrain. The man was known to be of noble birth and of authority in his tribe, known for his valour, chivalry, and adamant leadership . Abu Bakre knew that the Arab tribes in Iraq under the Persian rule were severely subjugated and living under very oppressed conditions; and that these tribes of Bani Lakhm, Taghlib, Iyad, Namre, and Shayban were very eager and willing to contact their roots in the Arab Peninsula.

Abu Bakre reconsidered, and the decision to infitrate the borders of Iraq was a better choice for Muslim expansion than a confrontation with the Romans across the Syrian borders. The Persian Empire was weakening, it lost its influence on the eastern and southern regions of the Arab Peninsula, the Imperial family was in continual dispute and treason, and the governing authority was in disorder. All this would be to the advantage of any Muslim penetration in Iraq. To this decision, the thinking of Abu Bakre grew more inclined. Al Muthanna ibn Harithah came to Al Madinah to convene with Abu Bakre and to explain the exact situation in the south of Iraq, and to invoke Abu Bakre the opinion that Muslim troops should infiltrate into these regions, overtake these lands and annihilate the persian influence in these territories. Abu Bakre finally conceded to the opinion of Al Muthanna ibn Harithah Al Shaybani, the first man to lead Muslim worriors across the northern borders of the Arab Peninsula into Iraq. This was the prelude to the conquest of Iraq by the Muslims, and th downfall of the Persian Empire.

Allah upon him) was to safeguard the northern borders of the Arab Peninsula, and to stipulate in the understanding of Islamic strategy, the importance of such territorial security. On the other hand, these regions north of the borders were well known to the Arab tribes of the Peninsula especially those of Makkah and Al-Madinah in lieu of their very frequent trade journeys to Syria and the several tribes of Arab descendency resident in Iraq. Also, several Arab tribes had some of their clans living as nomads inhabiting the desert stretches north of the Arab Peninsula extending into Syria and Iraq. These considerations crystalized the optimal importance of these regions in the thinking of the Muslim Arabs south of the borders. In the mind of Abu Bakre, this particular issue received special deliberation and speculation. He realized that the Arab Peninsula with its geographical confines would eventually become too limited for the future religious, social and economical aspirations and realizations of the growing united Muslim nation. On the other hand, the territorial safeguards of the northern borders, and the mitigation of the anti-islamic influence the Persian and Roman powers; could not be achieved merely by territorial security of the borders. Last but not least, it was the sacred duty of every Muslim to summon people for the path of Allah. With these considerations in mind, and the fact that Abu Bakre recognized the necessity to solidify the Arab tribes by directing them to one active goal, one that conformed with their nature to strife for gallantry, valour, and bravery. Abu Bakre desired to utilize all those unidirectional rationalities in the service to summon for the path of Allah, at least the Arab tribes inhabiting the neighbouring desert expanses of Syria and Iraq. Abu Bakre in deep silence thought in the true humbleness of the man that desired no perosnal worldly glory, the decision to engage the Muslim nation in a military confrontation with the Roman legions accross the borders in Syria was certainly not an easy decision. He consulted the compansions, war veterans, pious men; he remained silent and in deep thought, supplicating to Allah to grant him the wisdom to the decision that would be beneficial to Islam and the Muslim nation.

As Abu Bakre was preoccupied and concentrated in thought, news reached him that Al-Muthanna ibn Harithah Al-Shaibany was travelling north from Al-Bahrain along the Persian Gulf, leading Muslim worriors from the Arabs of those lands, fighting his way victoriously to reach the borders of Iraq, cross them to become in the precincts of the delta of the Euphrates and Tigress rivers. During his

that he was an ordinary human being, not given the Divine selected qualifications of prophethood. With this very realistic understandings, Abu Bakre administered the affairs of the Muslim nation, and succeeded in the realization of a very coherent political unity that became very apparent soon after the wars against the apostates. This political unity was basically pivoted on two main aspects. Unity cf belief in Islam,establishing common laws of human and civil rights;and the fact that Al-Madinah was the center of authority, and the seat of opinion.Abu Bakre gained this authority by the people themselves to govern them in accordance with an established constituion which was the Holy Quran and the Honourable Sunnah of the Prophet. A constitution that was absolutely accepted in all details by both the ruler and the ruled. A constitution that was fully respected and conserved by every Muslim; and practised to its detail in the life of the individual, and the life of the Muslim nation at large throughout the Arab Peninsula. The acceptance of the Holy Quran and Hadith as sources of Islamic ministership, certianly resulted in establishing terms of mutual understanding and uniformity between the administrative authority at Al-Madinah and the Muslim population of the various arab tribes. Those were the sources of stability and uniformity dominating the internal affairs of the Muslim nation after the wars against the apostates within the geographical limits of the Arab Peninsula.

Outside the geograhical boundaries of the Arab Peninsula, the situation was very different indeed. The Arab Muslim nation in the Peninsula was neighboured by two major strongly dominant empires; the Persian Empire to the East and north east; and the Eastern Roman Empires to the north, and north west. These two empires had developed deep rooted territorial and social influences and relationships with the Arab tribes nearest to their borders. The two strong powers were in continual dispute and enmity. The field of aggression between them was Syria and Iraq, where the heat of battles were always kindled and ignited. The most contemporaneous of these wars to the Islamic reign was when the Persians defeated the Romans out of their strongholds in Syria, Palastine, and even in Egypt. The Persians took the Holy Cross from the church in Jerusalem. Twenty years later, the Romans retaliated and regained the territories of Syria and Palestine, and the Holy Cross. The terms of armistice between the two powers took place in 628 AC, and continued to the time of Abu Bakre.

The policy of the Prophet (prayers and peace from

ascertained of the Reality and Truth of their Faith. Among the great men in the history of Mankind, Abu Bakre will most certainly rank as a rare specimen of human greatness to face alone the mutiny of a nation, refuse compromise, to struggle in fierce battles, to gain Divine support, to emerge triumphant to the pinnacle of eminence, and amidst the grandeor of authority, to milk the ewes of his elderly neighbours with extreme humbleness, without appearances or false distinctins. Abu Bakre, the Khalifah of Rasul Allah, was indeed the greatest of the great.

The territories of the Arab Peninsula were the only regions under the jurisdication of the Muslim administration at Al-Madinah. Abu Bakre divided these regions into governorates of independent administration, and appointed a commissioner on his behalf to minister the affairs of the region. He appointed Attab ibn Ussayd for Makkah, Osman ibn Abi Waqqas for Al-Tayf, Al-Muhager ibn Ummayah for Al-Yaman, Zeyad ibn Labeed for Hadaramout, Yaala ibn Ummayah for Khawlan, Abu Mousa Al-Ashari for Zubayd and Rafaa, Muaz ibn Jabal for Al-Jund, Gareer ibn Abdullah Al-Bagly for Najran, Abdullah ibn Thawr for Garsh, Al-Alaa ibn Al-Hadramy for Al-Bahrain. The functions of each commissioner was to lead the prayers, decide judiciary and tribunal matters, look into disputes, decide and implement penalties, plan and develop finances, ensure and establish the overall wellfare of the region within his jurisdication. No judges were appointed in the reign of Abu Bakre, and the commissioner was himself responsible for all judiciary matters. Every commissioner was to answer Abu Bakre at Al-Madinah in all matters of office. These commissioners were optimally selected with justified suitability. Attab ibn Ussayd of Makkah, and Osman ibn Abi Waqqas of Al-Tayf were appointed by the Prophet himself and remained in office during the reign of Abu Bakre. At Al-Madinah, Abu Bakre at the head of authority appointed Omar ibn Al-Khattab in charge of all matters of arbitration, legal actions, and magistration. Abu Ubaydah ibn Al-Garrah was responsible for the treasury and finances. Osman ibn Affan was to write all correspondance and official scripts for Abu Bakre.

The policy of Abu Bakre being the successor of the Prophet - Khalifat Rassul Allah was based on the precise understanding that he (Abu Bakre) had succeeded in guiding the muslim nation, administrating their affairs within the boundaries of Islamic Shariah, and according to the Holy Revelation and the Sunnah of the Prophet. Abu Bakre was highly knowledgeable in these matters and fully realized

ABU BAKRE AL-SIDDIQ
THE ADMINISTRATION

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

The details of the War against the apostates consumed the major part of the functional life of Abu Bakre as Khalifah. The overwhelming triumph that Allah bestowed upon Abu Bakre was certainly miraculous originating from Divine support. He faced the fierce violance and apostasy of the tribes, and stood patient and firm to confront the flaming mutiny against Islam and against his person as the man responsible for implementing the Islamic Shariah. The whole Arab Peninsula stooped in obeisance and respect to the Muslim authority at Al-Madinah, and to the man who upheld the Words of Allah as the justified elements of his existance; the man who was championed by Divine Will to surfeited success. The man who with patience, humbleness, insight, forcasting sagacity, and above all unfaltering belief in Allah, and confident faith; planned and engineered widespread military strategy to subjugate the whole of the Arab Peninsula to the domain of Islam. The tribes that had apostated and renegated in rage, anger, and wild antagonism; now returned into Islam, calm, serene, content with willing eagerness and honest penance. Amidst all the man slaughter that took place, and the blood pools that were soaked into the desert sands; there were times of supreme forgiveness, pardon, and condonement shown on the part of Abu Bakre as he received the active heads of the renegades being sent to Al-Madinah as prisoners of war by the victorious Muslim armies. The war against the apostates lasted for about one year, during which Muslim worriors gave the grandest example of commitment to Belief, obedience in valour, bravery, boldness, gallantry, manliness and intrepidity. They emerged from the experience more steadfast, purified, solid, brilliant and agile, dynamic in thought, fully

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION
Vol. 61, Part II
Safar, 1409, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq.
The Administration.
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. Lessons From the Hadith.
By: Abdel Hakim Ahmed Taha.

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammed Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

٣٢٢٢٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير قريش

٢

ابت قريش إلا ان تجعل من « عهدة الجوار » « حلفاً » موجهاً إلى حربها ، وحرصت حرصاً بالغاً على هذا التفسير وتمسكوا به جماعات وَوِحْدَاناً :

فالجماعة القرشية التى طرقت مضارب الْيَثْرِبيين بِمِنًى صباح تلك العهدة خاطبت الاوس والخَزرج بقولها :

« إنه قد بلغنا انكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله - ما من حَيٍّ من العرب ابغض إلينا ان تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم » .

وهذا الذى كان على لسان تلك الجماعة هو الذي خاطب به أبو جهل سعد بن معاذ - رضى الله عنه - حين رآه يطوف البيت فى جوار امية بن خلف ، إذ قال له :

« أراك تطوف بمكة آمناً ، وقد آويتم الصباة ، وزعمتم انكم تنصرونهم وتعينونهم ، أمَا - والله - لولا انك مع أبى صفوان ما رجعت إلى اهلك سالماً .. » .

وعلى هذا التفسير كان مُنْطَلَقُ قريش حتى هددت بغزو « المدينة » .

←

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ربيع الاول ١٤٠٩ هـ

اكتوبر - نوفمبر ١٩٨٨ م

الجزء الثالث

السنة الحادية والستون

تفســـير قريـــش

هذا التفسير - وحده - بغض النظر عما صاحبه من ممارسات عدوانية - كان له خطره على المسلمين ، لا سيما وقد قرنته قريش بمطاردة اليثربيين حال قُفُولِهم من منى ، بل إنه لَيُلْجِئُهُم إلجاءً إلى أخذ الحذر فالاستعداد للمواجهة إذا اندفع كفار قريش في العدوان لينالوا المدينة .

وإن الأمر لشديد الحرج ؛ ذلك :

أنه - في مجال تحليل القوى - نجد أن الإسلام - في المدينة - جَدَّ له خصوم من اليهود والمنافقين ، فضلاً عن أنه - إبَّان تلك العُهْدة - كان بالمدينة نفر من المهاجرين يعدون على الأصابع ، فلم تكن الهجرة قد تمت ، ولم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أوى - بعد - إلى المدينة .

كذلك لم يُسلِم كثيرٌ من أهلها ممن ليسوا يهوداً ولا منافقين ، وهذا الفريق الأخير - في ذاته - قوة لا يدرى المسلمون في حساب مَنْ تكون ؟ !

فإذا تركنا مجال القوى إلى ما التزم به اليثربيون أنفسهم في « عهدة الجوار » نجد نصها صريحاً - في كل رواياتها - بالتزام الدفاع عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصَحْبِهِ - رضوان الله عليهم - داخل المدينة ليس غير ، ولم تَجِدَّ - بعد - إضافة أو تغيير يتسع به نطاق العهد فينتهي وضعه إلى ما هو أحسن .

وإذاً فالكفة الراجحة للقوى ليست - في تلك البداية - تميل إلى المهاجرين ، فضلاً عن حرصهم على ألا يكونوا مصدر خطر على المدينة ؛ وإذاً فقريش على حنقها وكمدها لم تندفع إلى هذا التفسير عن « ارتجال » في الأمور ، أو « عفوية » في الأحداث :

إنها لتعلم أن الجوار « عهد » ، وإنه مُعرَّض لكل ما يتعرض له العهد !!

أليس « الجوار » عرضة للرَّد إذا طلب رَدَّهُ مُجيرٌ أو مستجير ! ؟

ألم يمر بنا استرداد ابن الدَّغِنَة جواره لأبي بكر - رضي الله عنه ؟ !

وما كان ذلك حدثاً فريداً من نوعه :

فعقب عودة مهاجري الحبشة إلى مكة لم يدخلها مَنْ دخلها منهم إلا بجوار ، فدخلها عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - في جوار الوليد بن المغيرة ، ثم آلمه أن يكون في جوار مشرك :

« فمشى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وَفَتْ ذِمَّتُك ، وقد رددت إليك جوارك .

قال : لِمَ يا ابن أخي ، لعله آذاك أحد من قومي ؟

قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله ـ عز وجل ـ ولا أريد أن أستجير بغيره .
قال : فَانْطَلِقْ إلى المسجد فَارْدُدْ علىّ جوارى علانية كما أجرتك علانية .
...... فانطلقا ، فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد بن المغيرة : هذا عثمان قد جاء يرد علىّ جوارى .
قال : صدق ، قد وجدته وفيا كريم الجوار ، ولكنى أحببت ألا أستجير بغير الله ، فقد رددتُ جوارَه . » .
إذاً :
هذا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنون ـ رضوان الله عليهم ـ مازالوا بين ظهرانى مكة ، فلم لا يفكر القرشيون ـ بهذا الأسلوب من التفكير والتأويل ـ فى دفع اليثربيين إلى رد جوار محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين ؟
أليس ذلك منطق الأحداث إن لم يكن المسار الطبيعي الذى تهدف إليه قريش ؟ فإذا نَجَحَتْ فى ذلك ، فقد نجحت فى أكثر من شىء :
نجحت في عزل قوة مرهوبة عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه ـ رضوان الله عليهم .
ونجحت فى إبقاء المؤمنين جميعاً داخل مكة .
وَأَمِنَتْ وقوع حرب بينها وبين يثرب .
وفازت ببادرة تمنع غير يثرب أن تقدم على « جوار » أو « حلف » مع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنه لتخطيط رهيب لاسيما ، أن النفر من المهاجرين إلى المدينة ناله شىء من ضيق بعض أهلها بهم قبل أن يُسلِموا :
فهذا سعد بن معاذ ، وأُسَيْد بن حُضَير ، وهما سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك على دين قومه رأيا مصعب بن عمير المهاجر الذي انتدبه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتعليم مسلمى المدينة ـ وكان مصعب بصحبة أسعد بن زرارة ـ رضى الله عنهما ـ بحائط لبنى ظفر ؛ فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما فوقف عليهما مُتَشَتِّماً فقال :
ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة .
ومعه غلام قال بدوره ـ مخاطباً سعد : أتيتنا ـ فى دارنا ـ بهذا الرُّعيد الغريب الطريد ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه .
وجاءهما سعد ـ فقال : والله يا أبا أمامة ، والله لولا ما بينى وبينك من القرابة[1] مارمت هذا منى ، أتغشانا ـ فى دارنا ـ بما نكره . » .

←

---

(١) سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة ـ وكنية الأخير أبو أمامة ـ رضى الله عنهما .

ولولا إسلام الرجلين ـ عقب ذلك ـ لوقع مالا تحمد عقباه .

فقريش سلكت مسلكاً ترى فيه نجاح أَرَبِهَا ، فإن رَدَّ هذا الجوار ، أو بقاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه فى مكة .. أى الأمرين يكون هو فوز يضاف لحسابها .

لكن قريشا فاتها أمر واحد ، لا تعرفه ، ولن تعرفه إلا إذا آمنت !

لقد ضاع من قريش فى حسابها موقع الإسلام من القلوب ... لقد آمن من آمن من اليثربيين ، وإنهم لعلى عُدَّةٍ واستعداد لأن يرضوا ربهم ورسوله على أى حال يواجهون ، فلم يعيروا قريشاً أدنى اهتمام ، وبقى الجوار قائماً ، فاندفعت قريش بثقلها إلى هدفها الثانى : بقاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه ـ داخل مكة ، فمارسوا مع المؤمنين ألوان ما تفننوا من عذاب حتى صار المسلمون ما بين مفتون فى دينه ، أو معذب فى أيديهم ، فما أَذِنَ لهم رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الهجرة حتى كانوا بدورهم يتفننون ـ فى كيفية الخروج سراً تاركين الدور والمال ، وكل شيء يعوق ... تركوا كل ذلك لله ـ عز وجل ـ وأخذوا فى الرحيل خفية .

واستغرقت هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهجرتهم جميعاً ثلاثة أشهر فقط أو قريباً منها لأن المبايعة .. مبايعة الجوار « كانت فى ذى الحجة ومهاجرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ربيع الأول . وعن الحافظ ابن حجر ـ رضى الله عنه :

أن بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ شهرين ونصف شهر على التحرير . »[٢] اهـ

تمت الهجرة على مدى هذا الزمن . وما كان يسيراً على نفوس المؤمنين ، فقد كانت فترة عصيبة جمعتْ فى النفوس الحذرَ إلى القلق ، واستشرافَ الخلاص إلى ترقب الفرص ، فمضى إلى المدينة من استطاع الرحيل ، فأما من قعد به المرض كسيدنا ضمرة بن جندب ـ رضى الله عنه ـ أو أعجزته الحيلة فلم يستطع الفكاك فقد بقى أسيراً فى مكة : رجلاً كان كهشام ابن العاص ـ رضى الله عنه ـ أو امرأة كأم سلمة ، وزينب بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى منعها زوجها أبو العاص بن الربيع ، وبقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة ينتظر أمر ربه ..

د. على أحمد الخطيب

(٢) الحلبية ٢/ ٢٤ ، ٢٥ .

تفسير سورة الفجر

الغنى ليس دليل الكرامة عند الله تعالى والفقر ليس دليل المهانة عنده

(٢)

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

١٥ ـ ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ .
١٦ ـ ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ .. ﴾ إلخ .

لفظ (ما) فى قوله تعالى ﴿ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ ﴾ صلة لتوكيد الكلام بعدها وليست للنفى ، ومن القواعد النحوية المقررة أن لفظ (ما) بعد إذا زائد وليس للنفى مطلقا ، ومعنى ابتلاه امتحنه ، ومعنى ﴿ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ ضيقه .

وهاتان الآيتان مرتبطتان بقوله تعالى قبلهما :﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ كأنه قيل : إن ربك سبحانه لبالمرصاد لأعمال عباده فى الدنيا ليحاسبهم ويجزيهم عليها فى الآخرة ، فلا تطلب إلى السعى من أجلها ، فأما الإنسان فلا يهمه إلا الدنيا وملذاتها ، فإن نال منها شيئا رضى ، وإلاَّ سخط ، وكان اللائق ألاَّ يهمه إلا مايطلبه الله عز وجل ، ولا يكون حاله كذلك .

والآية نزلت فى عتبة بن ربيعة وأبى حذيفة بن المغيرة ـ كما قاله ابن عباس ـ رضى الله عنهما . والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالحكم عام يشمل كل إنسان ـ مؤمن أو كافر ـ .

والمعنى : فأما الإنسان إذا امتحنه ربه بالغنى ، فأكرمه بالمال ونعَّمه بالتوسعة عليه ، فيقول : « ربى أكرمنى » لأننى أهل لذلك ، ←

ولا يشكره تعالى على نعمته بالطاعة والإنفاق فى المبرات، كإكرام اليتامى، وإعطاء المساكين، ولا يدرى أن الله أكرمه ونعَّمه ابتلاء وامتحانا، لا لما يزعمه من علو قدره، وأما إذا امتحنه فضيق عليه رزقه فيقول: «ربى أهاننى» وحط من قدرى، فلم يعطنى كما أعطى من يساوينى، ويحزن لذلك، وربما انصرف عن طاعته لذلك.

والحق أن كثرة الرزق وقلته لا ترجعان إلى كرامة الإنسان أو هوانه على الله تعالى، فالله يغنى من يشاء من المؤمنين والكفار، ويفقر من يشاء منهما، وكل من الغنى والفقر دُولَةٌ بين الناس، ليمتحنهم. هل يشكرون أم يكفرون.

١٧ - ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾.

«كلَّا» كلمة زجر وردع عما قيل قبلها، أى كَلَّا لم أبتل الإنسان بالغنى لكرامة عندى، ولم أبتله بالفقر لهوانه عندى، بل ذلك لمحض القضاء والقدر - كما قال ابن عباس، وقال الفراء: كلا فى هذا الموضع بمعنى: لم يكن ينبغى للعبد أن يكون هكذا، ولكن يحمد الله على الغنى والفقر.

﴿ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ انتقال من توبيخ الإنسان على ماقاله إلى توبيخه على ما يفعل، والانتقال من الغيبة إلى الخطاب لتشديد التوبيخ والتقريع، والجمع باعتبار جنس الإنسان، أى بل لكم أفعال أشدُّ نُكْراً وشرا مما ذكر، وأدل على تهالككم على جمع المال من غير تفكير فى حقوقه تعالى، فلا تؤدون مايلزمكم فيه من إكرام اليتيم بالبر والإحسان إليه.

فإن أَحَبَّ البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مُكْرَم».

١٨ - ﴿ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾

طعامه بمعنى إطعامه، كالعطاء بمعنى الإعطاء، والمراد بالمسكين: مايعم الفقير، فإنهما إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا، والفقير أسوأ حالا من المسكين، وقيل العكس.

والآية تستنكر منهم أن لا يحث بعضهم بعضاً على إطعام المسكين لبخلهم، فالبخيل يحب أن يكون غيره مثله.

١٩ - ﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾

التراث: الميراث، واللَّمُّ الجمع، يقال: لَمَمْتُ بالشىء أَلُمُّه لَمًّا إذا جمعته، ومنه يقال: لَمَّ الله شعثَه، أى جمع ماتفرق من أموره، ويقال: دَارُكَ لَمُومَةٌ، أى تَلُمُّ الناس وتجمعهم.

وقال الليث: اللَّمُّ الجمع الشديد:

والمراد به هنا الجمعُ بين الحلال والحرام، ومايحمد ومالا يحمد، كجمعهم بين نصيبهم ونصيب غيرهم فى الميراث فيأكلونه كما كانوا يفعلون فى الجاهلية، فقد حَرَمُوا النساء والصبيان من الميراث، فكانوا يجمعون نصيبهم إلى نصيب أنفسهم فيأكلونه، ويقولون: لا يأخذ الميراث إلا من يقاتل ويحمى القبيلة، وكانوا يعلمون من شريعة إسماعيل - عليه السلام - أن من حَرَمُوهم

يرثون ، فلم يبالوا بشريعة الله .

وقيل : يجوز أن يكون المعنى أنهم هم الذين يرثون المال ممن قبلهم ويحصلون عليه سهلا بلا تعب ، فيسرفون فى إنفاقه ويأكلونه أكلا واسعا ، جامعا بين المشتهيات من الأطعمة والأشربة ، ولا ينفقون فى المبرات والخيرات ، ولا يفكرون فى الخراب والضياع اللذين ينتظرانهم ، ويعزى هذا المعنى للزمخشرى .

٢٠ - ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً ﴾

أى تحبون المال حباً كثيرا ، لا تبالون بجمعه من حلال أو من حرام ، لأنكم لا تفكرون فى الحساب والجزاء .

٢١ - ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً ﴾.. الآيات

هذه الآية : استئناف جىء به بطريق الوعيد ، تعليلا للردع السابق ، أى ماهكذا يكون الأمر من انكبابكم على الدنيا وجمعكم لها ، فإن من فعل هذا يندم ولا ينفعه الندم .

والدَّك الطرق والكسر - كما قال الخليل ، وتكرره للدلالة على الاستيعاب ، فليس الثانى توكيداً للأول ، وهو مثل قولك : جاءوا رجلا رجلا ، وعلَّمتُ الحسابَ بابا بابا ، أى إذا دكت الأرض دكًّا متتابعا حتى تلاشى كل ماعليها من جبال وتلال وحصون وقصور وغيرها ، وذلك حين زُلْزِلَتْ مرة بعد أخرى فكسر بعضها بعضا ، ومنه قولك : دُكَّ الشىء أى هدم ، وإذا حصل هذا أصبحت الأرض دكاء ، أى متساوية لا شىء فيها مرتفع عن الآخر ، ومنه سُمِّى الدُّكَّانُ لاستوائه فى الانفراش ، وذلك عند النفخة الثانية للبعث والحساب ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً ﴾

٢٢ - ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾

معلوم من الدين بالضرورة أن الله تعالى لا يوصف بالتحول والانتقال من مكان إلى آخر ، فهو - سبحانه - موجود قبل خلق المكان والزمان ، وحاضر بعد خلقهما حضور علم بما يجرى فيهما ، وعلى هذا يفسر مجيئه تعالى فى هذا اليوم بمجىء أمره وقضائه .

وقيل المعنى : وجاءهم الرب - سبحانه - بالآيات العظام ، وهو كقوله ﴿ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾

وقيل : جعل مجىء الآيات مجيئا له - تعالى - تفخيما وتعظيما لشأن تلك الآيات .

وقيل : إن مجيئه - تعالى - كناية عن زوال الشبه فى ذلك اليوم ، وقد صارت المعارف ضرورية ، كما تزول الشبه والشك عند مجىء الشىء الذى كان يشك فيه ، وكلها تأويلات عظيمة للمراد من الآية الكريمة .

والمراد من مجىء الملائكة « صفا صفا » حضورهم مصطفين حول الخلائق ظاهرين لهم ، وقد كانوا فى الدنيا لا يرونهم ، وذلك تعظيما لخطورة الموقف فيه وتهويلا له ، وإبرازا لعظمة العلى القدير .

←

(١) سورة طه : الآيات ١٠٥ - ١٠٧ .

تفسير سورة الفجر

٢٣ - ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾

المقصود من المجىء بها إظهارها وإبرازها لأهل الموقف ، فهو مجاز عن المعنى المذكور . وهو كقوله تعالى : ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾

أى يومئذ تدك الأرض ويجىء قضاء ربك ، ويجىء الملائكة صفا صفا ، وتظهر جهنم لأهل الموقف - يومئذ يحدث ذلك - يتذكر الإنسان ما فرط فيه بتفاصيله ، بمشاهدة آثاره وأحكامه ، أو بإحضار الله له فى ذهنه ، أو باطلاعه على كتابه .

ويجوز أن لفظ (يتذكر) بمعنى يتعظ ، أى يومئذ يحدث ذلك يتعظ الإنسان ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ أى ومن أين تنفعه الذكرى وقد فات أوانها ، فهى إنما تنفعه إذا كانت فى الدنيا ، ولكنها لم تحصل فيها بل فى الآخرة التى هى وقت الجزاء لا وقت الاتعاظ والمتاب .

٢٤ - ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾

هذه الآية جواب لسؤال تقديره : ماذا يقول عند تذكره ؟ أى يقول الإنسان المستحق للعذاب عند تذكره معاصيه : ياليتنى قدمت فى الدنيا الأعمال الصالحة من أجل حياتى فى الآخرة .

٢٥ - ٢٦ - ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ . وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾

الجمهور يقرءون « لايعذِّب » بكسر الذال مشددة ، والضمير فى قوله « عذابه » يرجع إلى الله تعالى ، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله .

والمراد من العذاب هنا التعذيب ، كما يستعمل العطاء بمعنى الإعطاء ، ومنه قول الشاعر :

وبعد عطائك المال الرِّتاعا

: أى وبعد إعطائك المال الرِّتاع ، والرِّتاعُ هى الإبل الراتعة فى مرعاها .

والوثاق بفتح الواو وكسرها مايوثق ويربط به مثل السلاسل والحبال ، والضمير المضاف إليه فى « وثاقه » راجع إلى الله كسابقه ، وكل من عذاب ووثاق مفعول به للفعل الذى قبله ، وليس مفعولاً مطلقا ، فإن المراد لا يفعل عذاب الله ووثاقه أحد ، كما قالوه فى قوله تعالى ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ أى مانفعل إلا ظنا (٢) فكأنه قيل : لا يفعل عذاب الله ووثاقه للكافر ولا يباشرهما أحد سوى الله تعالى ، وفيه تعظيم عذاب الله ووثاقه لهذا الإنسان الذى تقدم شرح أفعاله وأقواله .

وعود الضمير إلى الله تعالى هو اختيار ابن عباس والحسن(٣) .

وقيل إنه عائد إلى الإنسان الذى تقدم ذكر سيئاته ، فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول به لا إلى الفاعل ، أى لا يعذب ولا يوثق أحد من زبانية جهنم أحدا من أهل النار مثل مايعذبونه

(٢) راجع الألوسى .

(٣) راجع القرطبى .

ويوثقونه ، فهو أشد أهل النار عذابا ووثاقا ، لأنه أشدهم سيئات أقوال وقبائح أفعال .

قال الألوسى : الظاهر أن المراد به جنس المتصف بما ذكر .

وقيل : أمية بن خلف . لأن هذه الآيات نزلت بسببه : أهـ بتصرف يسير .

وقرىء لا يعذَّب ولا يوثَق بالبناء للمفعول ، فيكون معناه كالوجه الثانى فى قراءة الكسر ، وفى الآية آراء أخرى فمن أرادها فليرجع إلى الموسوعات .

٢٧ - ٣٠ - ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً . فَادْخُلِى فِى عِبَادِى وَادْخُلِى جَنَّتِى ﴾ هذه الآيات حكاية لما يقال لأهل التوحيد والطاعة ، الذين اطمأنت نفوسهم وسكنت لمعرفة الله ، بعد حكاية من اطمأن بالدنيا وسكن إليها ، وهذا النداء إما أن يكون يوم القيامة ، وإما أن يكون فى الدنيا ، فإن كان فى الآخرة كان المعنى : يقول الله لها إمَّا بالذات .. كما كلم الله موسى .. وإما على لسان ملك - يقول - ياأيتها النفس المطمئنة الساكنة بصدق الإيمان والثقة بوعد الله : إرجعى من مكان حسابك إلى موضع عناية ربك فى الجنة دار الكرامة ، راضية بثوابك الجزيل ، مرضية من الله تعالى ، فادخلى فى زمرة عبادى الصالحين ، وادخلى جنتى لتتمتعى فيها معهم بمالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

والمراد بالنفس : الذات على هذا التأويل :

وقيل : إن هذا النداء للنفس بمعنى الروح ، والمراد بربها صاحبها وجسدها ، وهذا نداؤها عند البعث ، أى ارجعى إلى جسدك الذى فارقته فى الدنيا : وإن كان هذا النداء فى الدنيا فهو عند قبض الروح ، وأيد هذا الرأى بما أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وغيرهما عن ابن جبير قال : « قُرِئت عند النبى - صلى الله عليه وسلم - ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ... ﴾ الآية . فقال أبو بكر رضى الله عنه : إن هذا لحسن ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الملَك سيقولها لك عند الموت » .

والمعنى على هذا : ارجعى بالموت إلى عالم قدس ربك ، راضية بما تؤتين من النعيم ، أو راضية عن ربك مرضية عنده تعالى - فادخلى فى زمرة عبادى الصالحين المقربين الذين يسكنون حظائر القدس ، وادخلى جنتى التى أعددتها لذوى النفوس المطمئنة ، والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الإسلامية

في رياض السُّنة النبوية المطهَّرة

مرحبا بصاحب النسب الزكى وسيد البشر فى الدنيا والآخرة

روى مسلم - فى كتاب الفضائل - بسنده قال : حدثنا محمد بن مهران الرازى ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم جميعاً عن الوليد قال ابن مهران : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعى عن أبى عمار شداد ، أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل .
واصطفى قريشا من كنانة .
واصطفى من قريش بنى هاشم .
واصطفانى من بنى هاشم .

وهذا الحديث عن النسب الزكى يضع سيدنا ومولانا محمداً - صلى الله عليه وسلم - فوق معايير « الدراسات الاستراتيجية » الحديثة التى تتنبأ بسلوك الزعماء ، ومستقبل سلوكيات القادة ، ونجاحهم أو فشلهم ، أو القاسم المشترك الذى يمكن به التعامل معه .

فسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بهذا الاصطفاء أعلى وأكرم من أن يقاس بمقاييس علماء البشر ، ولا استدراك من الناحية (الإيمانية) للمسلم على هذه القيمة ، غير أننا نحب أن نفسر - أو أن نشرح - خصائص هذا الاصطفاء وليكون نبراسا للقيم الحضارية التى أرساها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كمصدر لها فهو القدوة والأسوة حسبما وجه القرآن الكريم أمة المسلمين للتأسى بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ الأحزاب : ٢١ .

ويختص نسب النبى صلى الله عليه وسلم بخصائص عدة منها :

١ - النقاء إلى جوار البيت الحرام .
٢ - الفروسيـــــة .
٣ - حفـــظ الأســـرار .
٤ - البحث عن مكارم الأخلاق .

(*) الكاتب : وكيل الأزهر الشريف .

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبى

٥ ـ الرحمـــــة .

وبيان ذلك :

(أ) البقاء إلى جوار البيت الحرام :

إن عدنان هو : الجد الذى يثبت إليه نسب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ علمياً وتاريخياً .

* لقد ولد لعدنان ولدان :

● عك بن عدنان ● ومعد بن عدنان .

أما عك فقد : نزح إلى اليمن وتزوج من الأشعريين .

وأما معد فقد : استقر بمكة مجاوراً بيت الله الحرام الذى رفع قواعده سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ أصل هذه الدوحة الشريفة .

* ثم ولد له : نزار ، وقضاعة ، وقنص .

أما نزار فقد : استقر بمكة .

وأما قضاعة فقد : انتقل إلى حمير فى بلاد سبأ .

وأما قنص فقد : هلك .

* ثم كان من نزار أولاده : ربيعة ، وأنمار ، وإياد ، ومضر .

لم يستقر واحد منهم إلى جوار البيت الحرام سوى : مضر . ومن خصائص مضر انه : ما رآه أحد إلا قدره وأحبه ، فهو صاحب كنف موطأ .

فسلسلة النسب الزكى مستقرة حول البيت العتيق ، فهو جوار طاهر فى كنف بيت عتيق مُعَظَّم فى آباء ممجدين مؤثلين .

* ثم كان من مضر ولداه : غيلان ، وإلياس .

أما غيلان فقد : افسد الدين .

وأما إلياس فقد : صان ملة إبراهيم وحافظ على الشرائع التى ورثها البيت الإسماعيلى من جدهم إبراهيم ، وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ .

* تقول مصادر السيرة النبوية المعتمدة :

إن الياس أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام وكان فى العرب مثل "لقمان الحكيم فى قومه"[1] .

(ب) الفروسيـــــة :

* ومن إلياس كبير قومه كان ثلاثة نفر : عامر ولقبه : مدركة .

وطابخـــه .

وقمعـــــة .

كان عامر (مدركة) هو : الفارس المقدام الشجاع وهو الجد فى السلسلة الشريفة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستحق هذا اللقب لأنه . أدرك كل عز وفخر .

أما الآخران فقد : كانا كسولين .

(جـ) حفـظ الأســرار :

* ثم ولد له : خزيمة ، وهُذَيل .

←

(١) السيرة الحلبية ، جـ١ ص ١٦ ، ١٧ .

وكان خزيمة : أشرف الناس نفسا فأنجب أربعة : كنانة ، وهي التي : اصطفاها الله من ولد إسماعيل . وأسد ، وأسدة ، والهون .

وكان كنانة هو : جد النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد اختص بأنه يكن ويحفظ أسرار الخلق وهي صفة أمانة الأسرار للمجتمع .

تقول المصادر الموثوق فيها علمياً :

قيل له كنانة : لأنه لم يزل في كِنٍّ قومه بستره على قومه وحفظه لأسرارهم ، وكان شيخا حسنا عظيم القدر تحج إليه العرب لعلمه وفضله وكان يأنف أن يأكل وحده .

* ثم كان منه : النضر . ومالك ، وعبد مناف ، وملكان .

وسمي النضر : لنضارته ، وحسن طلعته ، وبهائه .

(د) البحث عن مكارم الأخلاق :

* ثم كان من النضر مالك ، ويخلد .

يقولون في المصادر الوثيقة للسيرة ، سمي مالكا لأنه : ملك أمر العرب .

* ومنه كان فهر ، وفهر هذا هو : قريش وسمي بذلك : لأنه كان يقرش : يعني يفتش عن خلة(٢) المحتاج ليسدها ويقيل عثرته ، وكان أبناؤه من بعده يقرشون أهل الموسم بمعنى : أنهم يقضون لهم حوائجهم .

* ومن فهر كان أبناؤه : غالب . ومحارب . والحارث . وأسد .

وكان غالب هو : جد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه كان يغلب على الحق .

ومن غالب كان : لؤى وتميم .

وكان لؤى هو : جد النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومنه : كان كعب ، ومنه : كان مرة ، ثم كان كلاب ، وكان كعب يجمع قومه «يوم العروبة» وهو «يوم الجمعة» أو يوم الرحمة ويقال : إنه أول من سَمَّى يوم الجمعة بذلك لاجتماع قريش فيه إليه .

وكلاب : اكتسبها من كثرة استخدامه لكلاب الصيد ، واسمه : حكيم .

وكلاب هو مجمع جدى النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبيه وأمه لأنه أنجب :

قصيا : جد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبيه ، وزهرة : جد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأمه .

ومن خصائص قصي :

الحجابة : وهي حراسة الكعبة .

الرفادة : إطعام أهل المواسم في الحج .

اللـــواء : حق إعلان الحرب وعقد الجيوش .

السقاية : سقاية الحجيج الماء بلا مقابل .

الندوة وهي : الشورى .

ومن قصي كان أولاده : عبد مناف وهو جد النبي ﷺ وعبد الدار ، وعبد العزى ، وعبد قصي .

أما عبد مناف فقد : امتاز في ظل والده بالوقار والاحترام لذاته .

وكان عبد الدار هزيل المقام فرأى قصي أن

---

(٢) أي حاجة المحتاج .

يعطيه شيئاً من الشرف فوزع وظائفه على أولاده . فأعطى عبد مناف السقاية والرفادة ، وهى صفات : الكرم والجود والسخاء المتكرر الدائم وأعطى عبد الدار اللواء ليرفع من ضعفه .

(هـ) الرحمـــــة بالضعفـــاء :

* ثم كان من عبد مناف رجال هم : هاشم ، والمطلب ، وعبد شمس ، ونوفل .

وكان هاشم كريما يحفظ له التاريخ أن قريشا أصابتها مخمصة وهو فى بلاد الشام فاشترى دقيقا وكعكا . وقدم مكة فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريدا ، وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمى لذلك : هاشما .

يقول الكاتبون القدامى : كان هاشم يحمل ابن السبيل ، ويؤمن الخائف ثم ورث هاشم خصائصه فى العدل الاجتماعى إلى المطلب أخيه ، ثم ورثها عبد المطلب بن هاشم من عمه المطلب .

وعبد المطلب له خصائص أضفت عليه ألقابا فهو : (مطعم طير السماء) وهو : (شيبة الحمد) وهو رجل مجاب الدعوة كانت قريش تستسقى به مطر السماء وسمى لذلك : بالفياض .

* ومن عبد المطلب كان عبد الله الذى جعل الله منه المصطفى الخاتم سيدنا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى حمل من أرومته هذه الخصائص العليا :

ــ الجوار إلى بيت الله العتيق والبقاء على ملة إبراهيم الحنيف .

ــ الفروسية والإقدام والشجاعة .

ــ شرف النفس وعلو الهمة .

ــ حفظ الأسرار والأمانة .

ــ مكارم الأخلاق وفضائلها .

ــ رعاية الضعفاء وحماية المحاويج .

وبهذه الخصائص الوراثية التى تعتبر قاعدة فى الدراسات الاستراتيجية يكون سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على السنام من ذروة المجد والشرف المؤثل لجميع زعماء العالم قديماً وحديثا ، وإذن فما هرطق به قليلو الثقافة وضعفاء التفكير من المستشرقين وكتاب الغرب الحاقدين من أمثال : لامانس ، وموير ، ودر منجم ، إنما هو محض افتراء مزيف لا يعتمد على توثيق من مصدر أمين ، ولا يصدر من عقل محترم لنفسه يعرف أصول النتائج من مقدماتها ، ولا سيما ، ماقاله الكاتب الفرنسى (جاستون فييت) .

فما هو الا استخفاف بالعقلية العلمية وزاد لمحبى ومروجى الشائعات والأكاذيب من كتاب يحبون الجهل الماجن على العلم الموثق .

ونحن-العرب المسلمين بما لنا من أمجاد فى الفتح الإسلامي والحضارة العالمية-نثق كل الثقة فى أصول البيت النبوى الكريم الشريف ، وفى القيم الحضارية التى تدثرت به والتى انبثقت عنها .

ثانيا : القيم المنبثقة من النسب الزكى :

(١) رفعة النسب وعدالة الحكم :

القيمة الحضارية الأولى المنبثقة عن هذا النسب أن العدل فى الحكم لا يتحقق بصورة جدية وصادقة إلا إذا كان نسب الحاكم نقيا

شريفا لأن عوامل الوراثة فيه ترجح جوانب العدالة على ما يناقضها من خلال فى الذات وفى السلوك .

وحول هذا ينبغى أن يفهم معنى الحديث الشريف : (الأئمة من قريش)[٣] وبقية الأحاديث التى تثبت شرف النسب الزكى مما رواه مسلم : (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من بنى قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم) .

وما رواه البيهقى عن الحاكم قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله أخرجنى من النكاح ولم يخرجنى من السفاح » .

ولقد شهدت الحياة الإنسانية قلقا فى كثير من الأنظمة فى مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية لتخلف المجتمعات الإنسانية عن هذه القيمة الحضارية .

ويبقى للإسلام وحده أنه الذى يحافظ على القيم الحضارية فى إحقاق العدل عن طريق طهارة الوراثة ، وفى الحديث الشريف : « أنا جد كل تقى » .

ولذا فإن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوصى جماعة المسلمين باختيار هذا النقاء فى الأصول فيقول : « إياكم وخضراء الدمن »[٤] « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس »[٥] .

(ب) استمرارية النقاء لضمان استمرارية إقامة العدل :

وقد فهم بعض المفسرين قول الله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ أنه انتقال الوراثة فى أصلاب أجداد النبى ﷺ من جد طاهر نقى مؤمن إلى جد مثله فى الطهارة والنقاء والإيمان .

ولذا فإن وصية النبى ﷺ لجماعة المسلمين : « إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »[٦] فالإدامة على الطاعة تمنع وقوع المعصية وإن قلت الطاعة كمًا فإنها كطاعة تبقى كيفاً محصناً من الوقوع فى المعاصى ، وهو قدر كاف فى استمرارية النقاء والطهر .

وفى السنة : « أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل » متفق عليه .

فالدوام على الطاعة : يوجد رأياً عاماً اجتماعياً يتحول إلى ضبط اجتماعى يعقبه انضباط فى السلوك الأخلاقى والعمل الإدارى ومحاسبة النفس .

(جـ) مكارم الأخلاق غاية نبيلة لاحترام الكيان البشري :

فإذا مادعا محمد بن عبد الله ﷺ إلى مكارم الأخلاق فإن له من أرومته وأجداده أصلاً وسنداً .

وعندما تشهد أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله

(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه الديلمى والدارقطنى وذكره الواقدى .
(٥) الديلمى عن ابن عمر ، وابن عساكر عن عائشة ، والحلية عن أنس ، وكنز العمال .
(٦) متفق عليه .

عنها ـ بأن النبى ﷺ : « كان خلقه القرآن[٧] ».

دعوته ﷺ لمكارم الأخلاق لها أصل فى أرومته ولها سند فى تطبيقاته وسلوكه .

والقيمة الحضارية تعني : أن من يعلن شعاراً عليه أن يجد له فى سلوكه سنداً وله فى أصله تاريخ .

وإذن فمقياس صدق الزعماء وميزان الحكم عليهم ليس هو الشعار الذى يرفع ، ولا الكلام الذى يقال ، ولكن العمل الذى يصدر عنهم ، والأصل الذى يتواءم مع السلوك الذى يمارسونه ، وقديماً قالت العرب : « كل إناء بما فيه ينضح » .. وهو مثل مضطرد لا يتخلف حسب وقائع الأحداث فى التاريخ .

وقديماً قال الشاعر :

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا
كيما يصح به وأنت سقيم

لاتنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

وقد سجل القرآن الكريم هذه القيمة الحضارية فقال الله ـ « جل شأنه » :
﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ .
« سورة البقرة ـ ٤٤ » .

وفى حياة الدعوة والداعية الصادق جعل الله قوله متأخراً عن ممارساته ، فكان ﷺ يعمل أولاً ثم يقول : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .
« سورة فصلت ـ ٣٣ » .

ثالثاً : الممارسات الحضارية للنبى ﷺ :

من الممارسات الحضارية للنبى ﷺ شمائله التى لاتحصى ولاتعد ، ولكن سنا من شعاعها نلقيه هنا كعلامة على الطريق .

* عدله : ﷺ فقد شهدت به قريش من قبل البعثة فقد ارتضوه حكماً يوم وضع الحجر الأسود فى الكعبة .

وإذا كان الفضل ماشهدت به الأعداء فقد قال النضر بن الحارث لقريش : « قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر ، لا والله ماهو بساحر » .

تقول عائشة ـ رضى الله عنها ـ : « ماخير رسول الله ﷺ فى أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه[٨] .

* وكرمه : فقد ثبت فى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ أجود الناس ،وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ،فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[٩] .

وفى الآثار الوثيقة : أن رسول الله ﷺ ماسئل عن شيء فقال : « لا »[١٠] .

يقول أنس ـ رضى الله عنه ـ : كان رسول الله ﷺ « لايدخر شيئاً لغد » .

---

(٧) متفق عليه .
(٨)راجع الشفاء ، للقاضى عياض جـ١ ص ٨٢ ـ طبع مطبعة الحلبى .
(٩) ، (١٠) الشفاء جـ١ ص ٦٥ ورواه مسلم فى كتاب الفضائل .

- العفو عند المقدرة : ومن كرمه النفسى عفوه عند قدرته على أخذ الحق ممن ظلمه وموقفه الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم فتح مكة[11] مشهور ، وموقفه من الرجل الذى اخترط عليه السيف وهو نائم وقال : من يمنعك منى ؟

فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الله » فوقع السيف من يد الرجل فعفا عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ[12] .

تقول السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ : « مارأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منتصراً من مظلمة ظُلِمَهَا قط مالم تكن حرمة من محارم الله ، وما ضرب بيده شيئاً قط ، إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، وما ضرب خادماً ولا امرأة[13] .

وجىء إليه برجل فقيل : هذا أراد أن يقتلك ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لن تراع ، لن تراع ، ولو أردت ذلك لم تسلط علىَّ)[14] .

- أمانته على رعيته : جاء رجل إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسأله ، فقال له : (اجلس سيرزقك الله) ، ثم جاء آخر ، ثم آخر ، فقال لهم : (اجلسوا) فجاء رجل بأربع أواق فأعطاها إياه ، وقال يارسول الله : إن هذه صدقة ، فدعا الأول فأعطاه أوقية ، ثم دعا الثانى فأعطاه أوقية ، ثم دعا الثالث فأعطاه أوقية ، وبقيت معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوقية واحدة فعرض بها للقوم فما قام أحد ، فلما كان الليل وضعها تحت رأسه فجعل لا يأخذه النوم فيرجع فيصلى .

فقالت عائشة ـ رضوان الله عليها ـ : يارسول الله هل لك شىء ؟ قال (لا) قالت فجاءك أمر من الله ؟ قال (لا) .

قالت : إنك صنعت منذ الليلة شيئاً لم تكن تفعله فأخرجها وقال : (هذه التى فعلت بى ماترين إنى خشيت أن يحدث أمر من أمر الله ولم أُمْضِهَا)[15] .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سفر مع أصحابه فأمر أصحابه أن يهيئوا الطعام بإصلاح شاة فقال رجل : يارسول الله علىَّ ذبحها ، وقال آخر : على سلخها ، وقال آخر : على طبخها .. فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (وعلىَّ جمع الحطب) .

فقالوا : يارسول الله نكفيك العمل .

فقال) « علمت انكم تكفوننى ، ولكن أكره أن أتميز عليكم ، وإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يكره من عبده أن يراه متميزاً على أصحابه » .

وكتب الشمائل زاخرة بخصائصه الشريفة التى تؤكد فى أسلوب علمى الممارسات الحضارية التى انبثقت عن النبوة الخاتمة

(11) إمتاع الأسماع جـ ص ٢٨٦ .
(12) الشفاء ، جـ١ ص ٦٢ ، ٦٣ .
(13) الشفا للقاضى عياض .
(14) روى بلفظ آخر فى مسلم كتاب الغزوات .
(15) راجع ، محمد المثل الكامل ، للمرحوم محمد أحمد جاد المولى ص ٢٦ .

والتى يقوم على منوالها مجتمع الأمن والرخاء والاحترام لجميع أفراد المجتمع .

وتحضرنى مقالة عالم بوذى من علماء جنوب شرقى آسيا وهو يصور إعجابه الشديد بشخصية سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فيقول : « كان محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - أكمل زعماء العالم قاطبة لأنى أجد فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلالا مختلفة وأخلاقا جمة وخصالا كثيرة لم أرها اجتمعت فى تاريخ العالم لإنسان واحد فى آن واحد .

فقد كان ملكاً دانت له أوطانه كلها يصرف الأمر فيها كما يشاء . وهو مع ذلك متواضع فى نفسه ، يرى أنه لا يملك من الأمر شيئا . وأن الأمر كله بيد ربه . وتراه فى غنى عظيم تأتيه الإبل موفورة بالخزائن إلى عاصمته ، ويبقى مع ذلك محتاجا ، ولا توقد فى بيته نار لطعام الأيام الطوال . وكثيراً مايطوى على الجوع .

وتراه قائداً عظيماً يقود الجند القليل العدد الضعيف العُدَد فيقابل بهم الوفا من الجند المدجج بالسلاح الكامل ثم يهزمهم شر هزيمة .

ومع ذلك نجده محبا للسلام يؤثر الصلح ، ويوقع شروط الهدنة على القرطاس بقلب مطمئن ، وجأش هادىء ومعه الوف الصحابة وكل منهم شجاع مقدام باسل ، وصاحب حماسة وحمية تملأ جوانحه .

وتشاهده بطلاً شجاعاً يصمد وحده لآلاف من أعدائه غير مكترث بكثرتهم وهو مع ذلك رقيق القلب رحيم رءوف متعفف عن سفك قطرة دم .

وتراه مشغول الفكر بجزيرة العرب كلها بينما هو لا يفوته أمر من أمور بيته وأولاده ، ولا من أمور فقراء المسلمين ومساكينهم ويهتم بأمر الناس الذين نسوا خالقهم وصدوا عنه فيحرص على إصلاحهم .

وبالجملة إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - إنسان بمعنى الكلمة يهمه أمر العالم كله وهو مع هذا متبتل إلى الله ، منقطع عن الدنيا فهو فى الدنيا وليس فيها لأن قلبه لا يتعلق إلا بالله وبما يرضى الله ، لم ينتقم من أحد قط لذات نفسه ، وكان يدعو لعدوه بالخير ويريد لهم الخير لكنه لا يعفو عن أعداء الله ولا يتركهم ، ولا يزال ينذر الذين قد صدوا عن سبيل الله .

إنك تراه - صلى الله عليه وسلم - زاهدا فى الدنيا عابداً يقوم الليل لذكر الله ، ومناجاته كما تحكى شمائله أنه الجندى الباسل المقاتل ، وتراه رسولاً حصيفاً ونبيا معصوما ، وفى الساعة التى تراه فاتحا للبلاد ظافراً بالأمم يضطجع على حصير من خوص . ويتكىء على وسادة حشوها من الليف الخشن .

وإذا خطر لبال أحد أن يدعوه بسلطان العرب يكون أهل بيته فى فاقه وشدة عقب استقباله الأموال العظيمة الآتية إليه من أنحاء الجزيرة العربية فيضعها فى فناء المسجد أكواما ويوزعها على أهل الحاجة ، وتأتيه بنته وفلذة كبده فاطمة تشكو إليه ما تكابده من حمل القربة والطحن بالرحى والرسول - صلى الله عليه وسلم - يومئذ يقسم بين المسلمين ما أفاء الله عليه من عبيد وإماء فلا تنال ابنته من ذلك إلا الدعاء لها بكلمات يعلمها إياها كيف تدعو بها ربها » .

وجاء عمر ذات يوم إلى حجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - فأجال بصره فيها فلم يجد إلا حصيرا من خوص ، وكل ما كان في البيت صاع من شعير في وعاء ، وعلى مقربة منه شنّ معلق على وتد .. هذا كل ماكان يملكه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يتمالك عمر من البكاء .

فقال له الرسول - عليه الصلاة والسلام - : « مايبكيك ياعمر ؟ » .

فقال عمر : ومالى لا أبكي : إن قيصر وكسرى يتمتعان بالدنيا وينعمان بنعيمها ، وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يملك إلا ما أرى ؟ !!

فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أما ترضى ياعمر أن يكون ذلك نصيب كسرى وقيصر من نعيم الدنيا وتكون لنا الآخرة خالصة من دون الناس »(١٦) ؟ .

ومما لا ريب فيه أنه لا يستحق إنسان أن يكون قدوة للعالم في جميع مناهج الحياة إلا إذا اجتمعت فيه مثل هذه الخلال الشريفة كلها والخصال الإنسانية الكاملة بأجمعها مما يحتاج إليه الناس كافة في معايشهم فتكون لهم في سيرته أمثلة كثيرة ، وفي هديه أمور متنوعة ، تستنير بها كل طوائف الإنسانية وكل فرقة من أمة البشر فيتخذونه في أنفسهم سننا وأدبا ومناهج من حياته الشريفة لحياتهم الاجتماعية والعائلية .

وبذلك يكون الشخص العظيم المقتدى به هاديا للناس بأعماله وأخلاقه وخصاله(١٧) .

تلك شهادة رجل شرقي من بلاد الهند وهو على ملة نضعها في مواجهة تهافت الفكر الأوروبي الذي يتعرض لأمور بيته - عليه الصلاة والسلام - فيطعن أو يسب ، وهو يدعى زورا الحيدة العلمية في البحث ليصدقه من أحب أن يستخف عقله باسم الاستشراق أو العلمانية .

فهل يستطيع أحد من زعماء العصر الحديث أن يقيم من نفسه في المجال الحضاري قدوة أي قدوة لشعبه مثلما كان محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - للعالمين قدوة حسنة ؟ .

إن آخر جملة تتحدى بها الحضارة الإسلامية جميع نظم الحضارات أن سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - قال في آخريات حياته : (من كنت قد جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه)(١٨) . فلم يجد واحداً من جموع الأمة يقول له - صلى الله عليه وسلم - لي عندك قود على رغم طول الممارسات السياسية والعسكرية والاجتماعية .

وهذا هو مفهوم رجل الدولة الحضاري . وهو الأمر الصعب الذي لا يستطيع الحصول عليه رجل دولة في القديم أو في الحديث .

فالعبرة في نظم الحكم إذن ليست هي الثيوقراطية أو الديمقراطية أو الديكتاتورية بل هي لغة الحضارة الجادة . ورجلها صاحب الشمائل الرفيعة الذي يصلح أن يكون قدوة حسنة لجميع الناس .

---

(١٦) صحيح البخاري .

(١٧) بتصرف عن « الرسالة المحمدية » للسيد سليمان الندوي ص ٨٧ - ٨٩ .

(١٨) ابن كثير - البداية والنهاية ٥ / ٢٣٠ ، ٢٣١ .

طلع البدر علينا

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى *

يطيب للمسلمين أن يرددوا بألسنتهم وقلوبهم فى كل مناسبة تتعلق برسولهم الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ سواء أكانت فى مولده أو بعثته أو هجرته هذه العبارة المأثورة من نشيد مشهور، صاغته العاطفة الصادقة، وأملاه الإيمان العميق، والحب الشديد للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك النشيد هو :

طلع البدر علينا ...

والبدر هو النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى أنار بولادته وبعثته وهجرته وتعاليمه الكائنات وبدد الظلمات وأسعد المخلوقات .

وأهل البلاغة يقولون : إن هذا التعبير من قبيل الاستعارة التصريحية التى أقيم فيها المشبه به مقام المشبه ، فالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشبه البدر فى الإشراق والوضاءة والجمال والعلو والرفعة ، والتعبير بالاستعارة أبلغ من التعبير الحقيقى لأنه يؤكد المعنى ويقرره فى الذهن ويثير العاطفة والشعور والإحساس .

وليس هذا التشبيه بكثير على من اختاره الله واصطفاه ونقاه من العيوب وكساه من حلل الكمال ماكساه حتى قال فيه شاعر الإسلام :

خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء
فأجمل منك لم تر قط عينى
وأحسن منك لم تلد النساء ..

الشعراء فى ذلك عالة على القرآن :

والشعراء والأدباء جميعهم فى مدحهم للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووصفه عالة

(*) الكاتب بوزارة التربية والتعليم .

طلع البدر علينا

على القرآن الكريم ، فليس بعد مدح الله لنبيه مدح ، وليس بعد وصفه إياه وصف ، والله - جل وعلا - وصفه بحسن الخلق فقال في حقه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم ٤) .

ودعا إلى التأسي به - وناهيك بما في ذلك من امتداح ضمني - فقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب ٢١) وكفى بذلك شرفا للنبي - صلى الله عليه وسلم - .

ولم يكتف القرآن بهذا بل وصفه بما استعاره الشعراء منه مما يدل على البهاء والجمال والإشراق . قال عنه إنه نور ، وقال عنه إنه سراج منير ..

فقد قال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة ١٥ ، ١٦) .

قال بعض المفسرين : إن النور هنا هو الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

جاء في تفسير القرطبي : نور أي ضياء . قيل : هو الإسلام . وقيل : محمد عليه الصلاة والسلام ،عن الزجاج .

وقد جاء هذا الوصف صريحا في قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ (الأحزاب ٤٥ ، ٤٦) .

قال القرطبي : سراجا منيرا هنا استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه ، وقيل : سراجا أي هاديا من ظلم الضلالة ، وأنت كالمصباح المضيء . ووصفه بالإنارة لأن من السرج مالا يضيء إذا قل سليطه - زيته - ودقت فتيلته .

وقال الزمخشري في الكشاف : جلا الله به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون ، كما يُجْلَى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به ، أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار .

وأورد ابن كثير في تفسيره لهذه الآية من سورة الأحزاب ما أورده الإمام أحمد في مسنده عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوراة ، قال : أجل والله ، إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن « ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا .. وحرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا » مسند الإمام أحمد ٣/ ١٧٤ .

وفسر ابن كثير السراج المنير بقوله : أي أمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند .

العلاقة بين الحس والمعنى :

وغني عن البيان أن المشبه لا يعني أنه هو المشبه به بعينه ، فليس من المعقول أن يكون الشجاع هو الأسد ذاته ، كما لا ينبغي أن يكون الهادي هو المصباح نفسه بما فيه من

زيت وفتيل . وقد فهم المفسرون ذلك . ولكنهم ربطوا بين الصورة الحسية والمعنوية ، وارادوا بذلك أن المظهر ينبيء عن المخبر ، وكمال الصورة الظاهرة يعني جمال الصورة الباطنة فى أكثر الأحوال بين عامة البشر ، ولكنه أمر حتمى بالنسبة للأنبياء والرسل ، ولم يبعث الله رسولاً إلا وهو مرآة لقومه ، ومثل كامل لهم فى الصفات الجسمية والخلقية ، حتى يأنس إليه الناس ، وتستريح إليه الأفئدة وتقبل على كلامه ، فقد جبلت النفوس على الميل إلى الجمال والنفور من القبح .

وقد نجى الله الأنبياء من الأمراض المنفرة - على كثرة مايتعرضون له من بلاء - حتى لا ينفر منهم الناس ...

فليس غريباً أن يصف الواصفون النبى - صلى الله عليه وسلم - بالنور قياساً على القرآن الكريم ، وقد سبق إلى ذلك كعب بن زهير فى قصيدته المشهورة « بانت سعاد » حيث قال :

إن النبى لنور يستضاء بـه
مهند من سيوف الله مسلول

وواضح من تشبيهه بالنور انه بلغ الغاية فى الجمال والكمال الحسى والمعنوى .

وقد ذكر القاضى عياض فى كتابه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » مايشير إلى ذلك بقوله « كان النبى - صلى الله عليه وسلم - اعلى الناس قدراً واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا .. إنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة وفى جبلة الخلقة وجدته - صلى الله عليه وسلم - حائزا لجميعها محيطاً بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك ، بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع .. »

وشبيه بذلك ماذكره صاحب الشمائل المحمدية ..

وقال القاضى عياض : اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه فى حسنها ، فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من احاديث على وانس بن مالك وأبى هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين ، وابن ابى هالة وابى جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس . وغيرهم :

وليس فى ذلك مبالغة ، ولكنه بعض ما يستحقه هذا النبى الكريم الذى جمع الله له فضائل الأنبياء جميعا الحسية والمعنوية ..

أمثلة من هذه الأخبار :

— جاء فى أسد الغابة لابن الأثير :

سأل معاوية أحد المعمرين واسمه « أمد ابن أبد » وكان يقيم بحضرموت ، وقد أتت عليه ثلاثمائة سنة ، استدعاه فقال له : هل رأيت محمداً ؟ فقال أمد : ومن محمد ؟ قال : رسول الله . قال : سبحان الله ، الا عظمته مما عظمه الله سبحانه ؟ ألا قلت : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ نعم . قال : صفه لى . قال : رأيته بأبى وأمى فما رأيت قبله ولا بعده مثله - أسد الغابة ١٣٦/١ .

— وروى أبو عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال : قلت للرُّبَيِّع بنت معوذ : صفى لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يابنى ، لو رأيته لرأيت الشمس طالعة .

أسد الغابة ١٠٨/١ .

— وروى معرض بن معيقيب قال : حججت حجة الوداع فدخلت داراً بمكة ، فرأيت فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأن وجهه

طلع البدر علينا

دارة القمر ، ورأيت منه عجبا ـ أسد الغابة ٥/٢٢٩ .

ـ وأخرج الدارمى والبيهقى عن جابر بن سمرة قال : رأيت النبى فى ليلة أضحيان ـ أى مقمرة مسفرة ـ فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهو كان أحسن فى عينى من القمر .

ـ وأخرج الترمذى والبيهقى عن أبى هريرة قال : ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كأن الشمس تجرى فى وجهه .. ـ الرسول لسعيد حوى جـ١ ص ١٩ ـ .

ولقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدرك ما أعطاه الله من نعمة وأسبغ عليه من فضل :

عن أنس قال : وفد وفدٌ من اليمن وفيهم رجل يقال له ذؤالة بن عوقلة اليمانى فوقف بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال : يارسول الله ، من أحسن الناس خُلقاً وخَلقا طرا ؟ قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : انا ياذؤالة ولا فخر ـ أسد الغابة ٢/١٨١ .

إن كل أوصاف الجمال الخِلقى والخُلقى جمعت لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكأن الله أراد أن يجمع لخاتم الأنبياء والمرسلين كل مزاياهم وسوابق فضلهم ..

وليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

وصفه كعب بن مالك حين نزلت آيات التوبة فقال : فانطلقت إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا هو جالس فى المسجد وحوله المسلمون وهو يستدير استدارة القمر ـ أسد الغابة ٤/٤٨٩ .

وقالت مارية خادم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما مسست بيدى شيئا قط الين من كف رسول الله ـ صلى الله عليه سلم ـ أسد الغابة جـ٧ ص ٢٦٢ .

ـ وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال : مسح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خدى فوجدت ليده برداً وريحاناً كأنما اخرجها من جُوْنَة[1] عطار ـ الرسول لسعيد حوى جـ١ ص ١٩ ـ .

وإن ريحه الطيبة تنتقل إلى غيره وتلازم من يمسه . حدثت أم عاصم امرأة عتبة بن فرقد قالت :كنا عند عتبة ثلاث نسوة ، وإن كل واحدة منهن تريد أن تكون أطيب ريحا من صاحبتها ، وكان عتبة أطيب ريحا منا ، وكان إذا خرج عرف بريح طيبة فسألته عن ذلك فقال : أخذه الشرى ـ طَفْحٌ جلدى ذو بثور ـ على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فشكا ذلك إليه ، فأمر به فقعد بين يديه ثم تفل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى يده ومسح بها ظهره وبطنه ـ أسد الغابة جـ٣ ص ٥٦٨ .

---

(١) سلة .

وجاء فى الشفا : ذكر البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر : لم يكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمر فى طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه .

وصف أم معبد له :

ولقد نزهه الله عن كل وصف يشين الرجل فى منظره أو يعيبه فى خلقته ، ولقد أوردت كتب الأخبار والأحاديث أوصاف الواصفين له التى أجمعت على تحليه بكل كمال ، ومن ذلك وصف أم معبد له ، وقد ذكره ابن الأثير فى كتابه أسد الغابة فى ترجمة حبيش بن خالد جـ١ ص ٤٥١ . قالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجله ، ولم تُزْر به صعلة ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفى صوته صحل ، وفى عنقه سطع ، وفى لحيته كثافة ، أزج ، أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق ، لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، ربعة لا بائن من طول ، ولا تزدريه عين من قصر ، غصن بين غصنين وهو أنضر الثلاثة منظرا(٢) .

وأخرج مسلم عن أبى الطفيل أنه قيل له : صف لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : كان أبيض مليح الوجه ..

لقد جمع الله لنبيه الحسن من أقطاره ، وزادته أخلاقه الكريمة حسنا على حسن وأضافت له فوق كماله كمالا . إنه خيرة الله من خلقه ، فينبغى لهذه الخيرة أن تكون فوق جميع البشر جمالاً وبهاء وصفاء ونقاء ...

وإذا كان الله قد نقاه فى حسبه ونسبه وزينه فى كماله وأدبه فليس عجيبا أن يسوى خلقته على أبدع مثال وأن تكون له آية الحسن والجمال ، وما أصدق قول أبى طالب عمه فى مدحه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقول ابن رواحة فيه :

لو لم تكن فيه آيات مبينة
لكان منظره ينبيك بالخبر

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

(٢) أبلج : البلج إشراق الوجه وإسفاره ـ الثجلة : ضخم البطن ـ الصعلة : صغر الرأس .
الدعج : سواد العين فى شدة بياضها ـ الوطف : طول شعر الأجفان ـ الصحل : بحة فى الصوت .
السطع : ارتفاع العنق وطوله ـ الزجج فى الحواجب : تقوس وامتداد مع طول أطرافها .

الصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم

فى القرآن والسنة

ذكر سهل بن عبد الله التسترى : « أن موسى عليه السلام قال : يارب أرنى بعض درجات محمد وأمته . قال الله : ياموسى إنك لن تطيق ذلك ولكنى أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقى . قال : فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت أن تتلف نفسه من نورها قال موسى عليه السلام : يارب بماذا بلغت به هذه الكرامة ؟ قال : بخلق اختصصته به من بينهم الا وهو الإيثار ياموسى ، لا يأتينى أحد منهم عمل به وقتا من عمره إلا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتى حيث شاء » ، وإن الصلاة على رسول الله واجب نؤديه لنشكره لأننا اهتدينا بنور الإيمان على يديه يقول الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ « الشورى ٥٢ » .

ندعو الله فيها لنصلى على رسول الله ﷺ ، وقد جاءنا بالإسلام ، وبالصلاة على رسول الله ﷺ لتصبح شخصية رسول الله ﷺ ماثلة فى قلوبنا حية بنورها .

الصلاة على النبى ﷺ والقرآن الكريم

يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ « الاحزاب ٥٦ » ، قد اتفق العلماء من السلف والخلف فى المذاهب الأربعة كلها على وجوب الصلاة على النبى ﷺ بناء على نص هذه الآية التى تتضمن الأمر بها فقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين فى هذه الآية بأن يصلوا ويسلموا على النبى ﷺ بعد أن ذكر أن الله وملائكته يصلون عليه ، والأمر للوجوب مع ما فى سياق الآية من الحث على المأمور به .

قال الخازن فى تفسير هذه الآية : اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبى ﷺ ، ثم اختلفوا ، فقيل :

للأستاذ زكريا أحمد محمد نور

تجب فى العمر مرة وهو قول الأكثر .

وقيل : تجب فى كل صلاة فى التشهد الأخير وهو مذهب الإمام الشافعى ، وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد .

وقيل : تجب كلما ذكر . واختاره الإمام الطحاوى من الحنفية ، والحليمى من الشافعية .

والواجب (اللهم صلِ على « محمد » وما زاد على ذلك فهو سنة) ، وجاء فى تفسير أبو السعود :

الآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه .

وقيل يجب ذلك كلما جرى اسمه لقوله ﷺ « رَغِمَ أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علىّ » .

ثم قال أبو السعود فى تفسيره :

والذى يقتضى الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شانه ﷺ ان يصلى عليه كلما جرى اسمه الرفيع .

ويفهم من كلام أبى السعود فيما رواه عن غيره أن الغرض من الصلاة عليه ﷺ هو الاعتناء والاهتمام بإظهار شرفه وتعظيم شأنه .

هذا ولعل السر فى الترغيم المذكور فى الحديث على من لم يصلِ عليه عند ذكر اسمه ﷺ أن فى عدم صلاته عليه دليلا على ضعف الإيمان وقلة الاهتمام بشأن رسول الله ﷺ بدليل قوله « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس أجمعين » .

الصلاة على النبى ﷺ أفضل العبادات

وصلاة الله على النبى ﷺ ثناء ورفع درجات ، أما الصلاة من الملائكة فهى دعاء الله وتقرب من رسول الله واتصال به ، ثم أمرنا بعد ذلك أن نصلى على رسول الله ﷺ فنطلب من الله أن يزيد الصلاة عليه وهو دعاء الرب وذكر له واتصال برسوله وكفى بصلاة الله على رسوله فضلاً عظيماً .

يقول ابن كثير فى تفسيره : إن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده عنده فى الملأ الأعلى ، ثم أمر الله تعالى الملائكة أن تصلى عليه ، ثم أمر الله تعالى العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعاً ويقول الله تعالى :

←

● الكاتب : واعظ الأزهر بأسيوط .

الصلاة على النبى ﷺ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾ « الاحزاب ٤١ ـ ٤٣ » .

●■ ولقد قال النبى ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف[1] وتلك سنة الله التى فطر الناس عليها ، إن الله يتولى من أحبه بالصلاة عليه وملائكته فما بالك برسول الله وقد أحبه الله والله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً أرسل جبريل إلى أهل السماء فيقول : ياأهل السماء إن الله يحب عبده فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم ينادى ياأهل الأرض إن الله يحب عبده فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء وأهل الأرض ويكتب الله له القبول فى الأرض وفى السماء .

ولقد اكرم الله رسوله وأحبه وأثنى عليه بالصلاة عليه ، ولقد جعل الملائكة يصلون عليه ثم منَّ عليه بصفات خاصة كما منَّ على النبيين من قبله ثم اختصه بصفات كمالية سامية وأطلق عليه ﷺ صفتين عظيمتين من صفاته وهما : رءوف رحيم .

ولقد قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ « التوبة ١٢٨ » .

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يصلون على رسول الله ﷺ وهم يعلمون : أن من أفضل العبادة لله ـ سبحانه وتعالى ـ والقربى إليه طلب صلاتِهِ ـ سبحانه ـ على رسوله ـ ﷺ بقولنا « اللهم صلِ على محمد » وغيرها من الصيغ الواردة عنه ـ ﷺ .

وفى الكتاب العزيز حث على هذه الصلاة لما فيها من اتباع لله ـ سبحانه ـ وملائكته ـ عليهم السلام ـ إذ يقول ـ تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (الأحزاب ـ ٥٦) .

إن ـ فى صلاتنا على رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تَخَلُّقاً بأخلاق المولى ـ عز وجل وتَشَبُّهاً بالملائكة ، ثم هى طهارة لنا وتقرب إلى الله ـ تعالى ـ ورسوله ـ عليه الصلاة والسلام .

الصلاة على النبى ﷺ فى السنة النبوية الشريفة

القرآن الكريم هو الأصل الأول فى الدين الداعى إلى السنة ، والسنة هى الأصل الثانى فى الدين وهى المبينة للقرآن والمفصلة لإجماله والمستقلة بالتشريع ، لذلك قال صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى » .

لقد صدقت يارسول الله فهانذا اعرض بعض الاحاديث الصحيحة فى فضل

(١) رواه ابو داود وابن ماجه وابن حبان .

الصلاة والسلام عليك بعد ذكر ما وفقنى الله لذكره فى مفهوم الصلاة عليك فى قرآنه .

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ :« من صلى علىَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً » ونأخذ من هذا الحديث فضل الصلاة على النبى ﷺ لأنه يدل دلالة واضحة على أن صلاة واحدة من أى فرد من أفراد الأمة ذكراً كان أم انثى على النبى ﷺ تجلب إليه عشر صلوات من الله عز وجل ، ومن المعلوم أن الصلاة من الله سبحانه وتعالى معناها الرحمة ، وأن الرحمة الواحدة من الله عز وجل تكفى لسعادة المؤمن ونيله الدرجات الرفيعة عند الله عز وجل . فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء . ونستضيف فى مقالنا هذا الإمام النسائى وصحيحه ليروى لنا عن انس رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى علىَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات » .

ويلفت النظر فى هذا الحديث كبير فضل الله تعالى على من يصلى على النبى ﷺ وروى الإمام الترمزى فى صحيحه عن أبى طلحة رضى الله عنه أنه قال : إن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشر فى وجهه فقلت : إنا نرى البشر فى وجهك يارسول الله . فقال : اتانى الملك ، فقال يامحمد إن ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلى عليك أحد إلا صليت عليه عشرا ، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرا .

وروى هذا الحديث النسائى والدارمى أيضاً بلفظ « جبريل » بدل « الملك » ، وهذا الحديث يدل على عظمة شأن رسول الله ﷺ عند الله عز وجل مع فضل من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم من أمته أو سلم عليه .

وروى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال : خرج رسول الله ﷺ حتى دخل نخلا فسجد فأطال السجود حتى خشيت أن يكون الله تعالى قد توفاه فجئت انظر فرفع رسول الله ﷺ راسه فقال : مالك . فذكرت له ذلك يعنى خشيته من إطالة السجود فقال : إن جبريل قال لى : الا ابشرك ، إن الله عز وجل يقول لك : « من صل عليك صلاة صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه » .

ومن هذا الحديث استنبط استحباب السجود لله عز وجل عند شعور فضله أو إحساس كرمه فى أى شأن من الشئون . فقد أوضح رسول الله ﷺ فيما أجاب به لعبد الرحمن بن عوف أن سجوده وإطالته إلى هذا الحد فى خلوة مع ربه سبحانه كان شكرا له على هذا الفضل العظيم فى تعظيم شأنه وتشريف أمته ، ونعود إلى النسائى والدارمى ليحدثونا عن عبد الله ابن مسعود فقيه الصحابة رضى الله عنه وعنهم أنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى عن أمتى السلام » .

وفى سنن أبى داود والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أحد يسلم علىَّ إلا رد الله علىَّ روحى حتى أرد عليه السلام » . فمن

الصلاة على النبى ﷺ

هذين الحديثين نرى عناية الله سبحانه وتعالى بنبيه ورسوله محمد ﷺ كما نعلم أيضاً فضل السلام عليه ، وتشريف من يسلم عليه من أمته بشرف رد السلام من عنده ﷺ .

وفى شعب الإيمان يروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى علىَّ عند قبرى سمعته ومن صلى علىَّ نائياً - أى بعيداً أبلغته » فيرشدنا هذا الحديث أن كون رسول الله ﷺ فى قبره لا يمنعه عن سماع الصلاة لما له من حياة لا يعلم حقيقتها إلا الله العلى الخبير ، كما يرشدنا الحديث إلى أن المسافات البعيدة مهما كان بعدها لا تحول دون إبلاغ الصلاة والسلام إليه ﷺ وهذا فضل خاص من الله تعالى لنبيه ورسوله وأفضل خلقه محمد ﷺ .

روى الإمام الترمذى فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىَّ صلاة » فكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ سبب لتقريب صاحبها إلى رسول الله وأولويته باللحوق به والفوز بشفاعته يوم القيامة حينما يشفع للمؤمنين من الأمم كلها وحتى لا يبقى فى النار من قال : لا إله إلا الله ومات عليها .

أما سبب أولوية من يكثر الصلاة على النبى بذاته النبوية يوم القيامة والفوز بشفاعته فلا يخفى على المتأمل وهذا وعد الله لنبيه ، ولقد روى الإمام الترمذى فى صحيحه أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة - أى ذنبا وخطيئة - فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم » . وهذا الحديث يرشدنا إلى وجوب ذكر الله عز وجل والصلاة على النبى ﷺ فى كل مجلس من مجالس المؤمنين مرة واحدة على الأقل بدليل قوله ﷺ « إلا كان عليهم ترة » فعلى المؤمنين بالله ورسوله أن لا يغفلوا فى المجالس عن ذكر الله والصلاة على نبيه ، فإن الغفلة آفة القلوب وباعثة على ارتكاب الذنوب والابتعاد عن علام الغيوب .

زكريا احمد محمد نور

الدين روح الإنسان

للأستاذ محمد صابر البرديسي

عن العباس عن النبي - ﷺ - أنه قال : (ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رضىَ بِالله رَبًّا ، وَبِالإسلامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً) « رواه مسلم » .

أولاً : اللغة :

ذَاقَ : اخْتَبر طَعْمَهُ وَخَبَرَه وَجَرَّبَه .

ثانياً : ما يشتمل عليه الحديث :

١ - أفلح من آمن بالله .

٢ - إذا ساء الاعتقاد ساء العمل .

٣ - جزاء من أساء .

٤ - ذاق طعم الإيمان من عرف الله وعمل بتعاليمه .

البيـــان

١ - أفلح من آمن بالله : إن من نعم الله على عباده ، وأعظمها وأجلها قدراً أن هداهم للإيمان ﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾(١)

فمن يهديه الله إلى الإيمان ، يفرح بذكر الله ، ويندفع إلى القيام بفرضه ونفله ، طيبة بذلك نفسه ، منشرحا بها صدره ويتحقق وعد الله له بالفلاح فى قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(٢) وعد الله الصادق الذى لا يخلف وعده .

الفلاح فى الدنيا والآخرة .

الفلاح الذى يحس المؤمن بحلاوته ، ويجد

←

● الكاتب : مدير مكتب الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية .

(١) سورة الحجرات آية ١٧ .

(٢) سورة « المؤمنون » آية ١ .

الدين روح الإنسان

مصداقه فى واقع حياته ، وما يدخره الله لعباده المؤمنين فى الآخرة ، من النجاة والثواب والرضوان .

والإيمان ، اعتقاد وقول وعمل ، اعتقاد بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح ، وأداء للأركان ، فليس الإيمان التسمى باللسان ، والانتساب إليه بالعنوان ، ولكنه ما وقر فى القلب وصدقه العمل : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾(٣) .

وعلى المؤمن أن يظهر إيمانه علانية للناس ـ فى غير رياء ـ بحيث يرونه يصلى مع المصلين ويؤدى شعائر الدين ، فالعمل بالشرائع يوحد المسلمين ويؤلف بين قلوبهم ، ويصلح ذات بينهم ، ويجعلهم أهلاً للنصر على عدوهم .

والتردد على المسجد من علامات الإيمان .

هذا هو الإيمان الكامل ، وهو دين الله ، دين الإسلام .

يقدم للبشرية الأساس السليم والصحيح للإيمان عقيدة وعملاً ، إنه يقدم للبشرية المنهج الصحيح لما ينبغى أن يقوم عليه نظام حياتهم كلها .

وجاء الإسلام خاتم الأديان ليؤكد الشرائع السماوية الصحيحة المنزلة قبله وليصدقها ويهيمن عليها .

ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويكل واقعهم إلى شريعة الله ، كما يكل ضمائرهم إلى الله .

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ﴾(٤) .

إن الدين الإسلامى منهج كامل صالح للحياة البشرية كلها فى كل زمان ومكان ، وهو دين يسر وسماحة وطمأنينة واعتدال .

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(٥)

لقد شاء الله أن يجعل ما حصل عليه الإنسان من خير إنما يكون ثمرة للجهد ونتيجة للعمل ورغبة فى الهدى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ . وشاء الله أن يبلغ المرء من هذا كله بقدر ما يبذل من الجهد ، وما ينفق من الطاقة ، وما يصبر على الابتلاء .

هذا هو الإيمان الذى جاء به محمد ـ ﷺ ـ الذى لا يحقق ثمرته إلا الاجتهاد قدر الطاقة ، وبمجاهدة ما فينا من ضعف بشرى ، وهوى فى داخل النفوس .

٢ ـ إذا ساء الاعتقاد ساء العمل :

إن النواحى الروحانية والأخلاقية

(٣) سورة الحجرات ١٤ .

(٤) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٥) سورة الحج آية ٧٨ .

والدعائم الإيمانية لها أهمية بالغة بالنسبة لسلامة الإنسان ورفاهيته وهي قوة بناءة وحركة دافعة إلى النمو والازدهار ، وتحقيق الذات ، في أسلوب نظيف ، فالنواحي الإيمانية الروحانية تزيد من فهمنا للعالم الذى نعيش فيه وتعيننا على تحسين وسائل الإنتاج ، وتوزيع الضروريات ووسائل الاستمتاع بالحياة ، بالطريقة المثلى وتقلل من الآلام واضطراب الحياة .

إن المشكلة التى نعانى منها اليوم ويعانى منها العالم مشكلة أخلاقية ، ولو سار الناس على أسس أخلاقية دينية إيمانية لعرفوا كيف يستخدمون العلم لتحقيق صالح البشرية ورفاهيتهم .

ويمتاز الإسلام بجمعه بين مطلب الروح ومطالب الجسد فى صياغة حكيمة تجلب سعادة الدنيا والآخرة فلا يحرم المسلم نفسه من متعة مادية ولا ملذة جسدية ، مادام يتناولها عن طريقها المشروع ويحسن كما أحسن الله إليه .

قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(٦) .

وعلى المؤمن أن يعتقد أن الله سخر له ما فى الكون يستخدمه فيما يعود عليه بالخير وعلى الإنسانية بالسعادة والرفاهية .. قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٧) ..

أما من أساء الاعتقاد فى الله واتخذ إلهه هواه ، وضل سعيه فى الحياة ، فقد ساء عمله وإذا ساء العمل ساءت النتيجة ، لأن الاعتقاد الباطل ، آثام وأغلال وتسقط النفس وترتد بها إلى أسفل سافلين .

٣- جزاء من أساء الاعتقاد :

وكل من أساء الاعتقاد وضل طريق الصواب كان فى أسوأ حال ، وأشد اضطراب ، ولا يغرنك ما تراه عليهم من مظاهر الترف والنعيم ، فهم فى داخلهم فى جحيم ، غير ما ينتظرهم فى الآخرة من عذاب أليم ..

هو الإسلام ما للناس عنه
إذا ابتغوا السلامة من غناء
إذا انصرفت شعوب الأرض عنه
فبشر كل شعب بالشقاء

وقد توعد الله سبحانه وتعالى كل من أساء اعتقاده ، وأعرض عن دينه ، وترك طاعة ربه بأن لا يجعل له حظاً سعيداً فى الدنيا ، فلا تقر عينه ولا يطمئن قلبه بل هو دائماً فى خوف وفزع ، وهؤلاء هم حزب الشيطان وأصدقاء الرذيلة وهم الخطر الأكبر على النفوس الطيبة يجذبونها بوسائلهم الخبيثة وحبائلهم الماكرة .

علينا أن نبتعد عن هؤلاء ، وأن نعيش دائماً مع قيمنا ومثلنا وإيمانا بالله ، فلا تكون سعادتنا فى مال نكتنزه ، أو فى سلطان يصل

←

(٦) سورة المائدة ٨٧ ـ ٨٨ .

(٧) سورة الجاثية ١٣ .

إلى أيدينا ، إنما سعادتنا فى صلاة خاشعة نستودعها أرواحنا وقلوبنا ، وصلة قوية بالله تهوِّن علينا كل متاعب الحياة ، واشراقة روح تكون لنا فى لحظات اليأس طوق النجاة ، وتلك هى السعادة فى ذروتها .

٤ - ذاق طعم الإيمان من عرف الله :

إن أساطين المسلمين الفاتحين المنتصرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن كتب الله لهم العزة والتمكين لم يتح لهم هذا الفتح ولم يحقق لهم هذا النصر إلا بتمسكهم بهذا الدين وعملهم بتعاليمه وجعلهم الكتاب والسنة لهم بمثابة الإمام ، فقادهم إلى الأمن والإيمان ، والسعادة والاطمئنان ، وعاشوا فى ظله فى عافية واسعة ونعمة باسقة .. وفى عصورهم ارتقت حضارة الإسلام رقيا لا يتماثل ولا يُضاهى ولا يُنال فأوجدوا حضارة نضرة جمعت بين الدين والدنيا وكانوا ممن قال الله فيهم : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾(٨) .

والحياة الدنيا قد اتسعت الآن فى حس الناس وواقعهم اتسعت رقعتها بما استحدثوه من وسائل الحياة والمتاع .

ولو قام هذا كله على أساس من المعرفة بالله ، وعلى أساس من الحقيقة العميقة ، حقيقة أن الله هو الذى استخلف الإنسان فى الأرض ، وسخر له ما فيها ، وزوده بالمواهب والاستعدادات التى تعينه على الخلافة ويسر له طيبات الحياة كلها ، وأنه مبتلى فى هذا كله ، ليحاسب فى الآخرة على ما قدم فى حياته الدنيا ، ولو قام عمله على هذا الأساس الصحيح لازداد الناس إيماناً وازداد قربهم من الله ، ومنهجه القويم ، الممثل فى الإسلام ، والله الهادى إلى سواء السبيل وهو الموفق .

محمد صابر البرديسى

(٨) سورة الحج ٤٠ ـ ٤١ .

عهد الحديبية
وآثاره الاستراتيجية

للـواء ا . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

﴿ إنَّا فتحنا لكَ فتحاً مُبيناً . لِيَغفرَ لكَ اللهُ ماتقدَّمَ مِن ذنبِكَ وما تأخَّرَ ويُتمَّ نعمتَهُ عليْكَ ويَهديَكَ صِراطاً مُستقيماً . وينصُرَكَ اللهُ نصراً عزيزاً ﴾

صدق الله العظيم

شوق المسلمين إلى مكة :

● كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة بعد الهجرة يصلى إلى بيت المقدس ، وكان يتطلع إلى نزول الوحى عليه بالتوجه إلى بيتِ الله الحرام ، فنزل قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَاكُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (البقرة ١٤٤) وكان ذلك فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

● وكان المسلمون منذ هجرتهم إلى المدينة يحنون لرؤية وطنهم الذى أخرجوا منه بغير حق ويتشوقون لزيارة المسجد الحرام الذى تمتلىء نفوسهم بتقديسه وتعظيمه ، لكن قريشاً آلت على نفسها أن تصدهم عنه دون سائر العرب ، وكان ذلك منها تعسفا وظلما ، فالبيت العتيق لم يكن ملكا لها ، ولكنه كان ملكا للعرب جميعا ، وإنما كانت فى قريش سدانة (خدمة) الكعبة وسقاية الحاج وما إلى ذلك من العناية بالبيت ورعاية زائريه .

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَالَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

(الأنفال ٣٤) .

عهد الحديبية

الخروج لزيارة البيت :

● وفى ذى القعدة عام ٦هـ خرج الرسول صلى الله عليه وسلم معتمرا لا يريد حربا ودعا العرب من غير المسلمين إلى الاشتراك معه وقد بلغ عدد المسلمين ألفا وأربع مائة ، قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : « كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة » (رواه البخارى) وساق المسلمون الهدى أمامهم ولم يحملوا من السلاح إلا السيوف فى أغمادها .

● لكن قريشا لما بلغها نبأ خروج المسلمين دفعت خالد بن الوليد على رأس قوة بلغ عدد فرسانها مائتين عسكرت بذى طوى ، وهو موضع قريب من مكة لمنع المسلمين من دخولها .

الرسول يتجنب الاصطدام :

● لكن الرسول صلى الله عليه وسلم علم بخروج قوة خالد - وكان قد وصل إلى عسفان - فغير طريقه واتخذ طريقا وعرا غير مطروق لكى يتجنب الاصطدام بها حتى وصل إلى (ثنية المُرَار) عند بئر الحديبية .

تبادل الرسل بين الطرفين :

وقد جرى تبادل الرسل بين الطرفين على النحو التالى :

● رسل قريش :

١ - كان أول من بعثته بديل بن ورقاء الخزاعى فى رجال من خزاعة فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته .

٢ - ثم بعثت مكرز بن حفص بن الأخيف فسمع ماقيل لسابقه .

٣ - ثم بعثت الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإطلاق الهدى حتى يراه فتأثر الحليس بما رأى ولم يصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم اقتناعا منه بأنه جاء معتمراً ، بل عاد ليخبر قريشا بذلك ، فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لك ، فغضب وقال : والله ماعلى هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله معظماً له ؟ والذى نفس الحلبس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ماجاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، فقالوا له : مه ، كف عنا ياحليس حتى نأخذ لأنفسنا مانرضى به .

٤ - ثم بعثت عروة بن مسعود الثقفى فأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لم يأت يريد حربا ، وخلال وجود عروة فى معسكر المسلمين رأى بنفسه من آيات حب المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماجعله يقول لقريش : إنى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله مارأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشىء أبداً .

● **رسل النبى ﷺ الى قريش :**

١ ـ بعث النبى صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعى إلى قريش وحمله على بعير له ، لكن قريشا عقرت البعير ، وأرادت قتل خراش لولا أن منعته الأحابيش ، فخلوا سبيله .

٢ ـ ثم بعث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فبلغهم رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال : ماكنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل ، فقال : « لا نبرح حتى نناجز القوم » ودعا إلى البيعة .

بيعة الرضوان :

عن يزيد بن أبى عبيد قال : « قلت لسلمة بن الأكوع : على أى شىء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟ قال : على الموت » (رواه البخارى) .

وإنهم لكذلك إذ ترامى إلى المسلمين أن عثمان لم يقتل ، ثم جاء عثمان بنفسه إليهم فأبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم تبق عند قريش ريبة فى أنه وأصحابه إنما جاءوا لزيارة البيت وتعظيمه .

المفاوضات المباشرة وتوقيع الصلح :

● ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له : « ائت محمدا فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فو الله لا تَحدَّث العرب عنا انه دخلها علينا عَنْوةً ابدا » .

● وقد أثارت شروط الصلح وماجرى عند كتابتها غضب المسلمين وغيظهم حتى لقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يارسول الله ، ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟ فقال الرسول : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى .

● ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه لكتابة العهد وقال له : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : أمسك ، لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم اقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : **اكتب « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يامن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على انه من اتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردَّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عَيْبة مكفوفة ، وانه لا إسلال ولا إغلال ، وانه من احب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن احب أن**

← عهد الحديبية

يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وانك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وانه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك ، فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ، السيوف في القُرُب ، لا تدخلهابغيرها » .

● فلما فرغ الرسول صلى الله عليه وسلم قَدِمَ إلى هَدْيه فنحره ثم جلس فحلق راسه وتبعه في ذلك المسلمون ثم عاد وعادوا إلى المدينة .

الدروس المستفادة والآثار « الاستراتيجية »

أولا : مبدأ المحافظة على الهدف :

لقد كان هدف الرسول - صلى الله عليه وسلم - زيارة البيت ، ولم يكن يريد قتالا ، وقد ظهر من سير الحوادث كيف حافظ على هدفه ولم يسمح لأعمال المشركين أن تخرجه عنه :

● خرج محرما في شهر حرام والسيوف في اغمادها .

● أشرك معه العربَ غير المسلمين ليبين لقريش انه يريد أداء فريضة فرضها الإسلام كما كانت فرضا موروثا معروفا منذ عهد إبراهيم - عليه السلام - .

● تجنب الاصطدام بقوة خالد .

● ولما اغارت قوة أخرى على معسكره وأسرهم المسلمون اطلق سراحهم .

● وعبر عن مقاصده أكثر من مرة من خلال الرسل المتبادلة بين الطرفين .

ثانيا : الحديبية فتح مبين :

● في طريق عودة المسلمين إلى المدينة نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم بسورة الفتح : « فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها ، فقال : يارسول الله ، أو فتح هو ؟ قال : نعم » (رواه الشيخان) .

● وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : « تعدون انتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحا ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية » (رواه البخارى) .

● وقد حظى أهل الحديبية بأعظم تكريم فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : أنتم خير أهل الأرض ، وكنا الفا واربعمائة » (رواه البخارى) .

● والحق أن الأيام أثبتت أن (عهد الحديبية) حكمة سياسية وعسكرية كان لها أكبر الأثر في مستقبل الإسلام ، وفي مستقبل العرب كله ، وهو مايتضح من دراسة آثارها الاستراتيجية .

يتبع

البحث عن الديانات القديمة

٣

د. عبد الجليل شلبى

مازالت الحفريات والكشوف الأثرية تجلو من غوامض الديانات القديمة معالم ذات اهمية كبيرة . ويلفت النظر وجود تشابه بين الديانات والطقوس حتى بين الاقطار المتباعدة . وعنى الباحثون بوجود التشابه والربط بين ديانات الشرق القديم والأصول التى جاءت فى الكتاب المقدس .

وقد تحدثت عن قصة الطوفان ورأى علماء « الانثروبولچى »[1] فيها ، ولا يزال فيها متسع واتحدث اليوم عن عقوبة القصاص ، ـ النفس بالنفس والعين بالعين ... إلخ ـ والمشكلة فى هذه العقوبة انها ممتدة فى أعماق التاريخ القديم . ولا يعرف إلى الآن متى بدأت :

ففى سفر التثنية من الكتاب المقدس تفاصيل واسعة عن هذه العقوبة ، بعضها مقبول كقتل الشخص فى مقابلة من قتله ، وبعضها غير مقبول كقتل صاحب الثور النطاح إذا هو أخبر به ولم يَجُذّ قرونه ولم يكبحه ، وجاء فى القرآن الكريم ﴿ ... كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى ... ﴾ إلخ ، والقاعدة

←

(*) الكاتب : الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الأسبق .

(١) علم تعريف طبائع الإنسان وأحوال معيشته وفنونه وأدواته ومستنبطاته . (يونانية) .

الفقهية هى أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد ما ينسخه ، وهذا يشمل الشرائع والأعراف ، ولا يعنينا بعد هذا أن نسأل متى بدأ هذا القانون أو العرف ؟ ولا من أين جاء ؟

وبعض الباحثين فى أصول الديانات يرون أن قوانين التوراة نقلت نقلاً من قوانين الملك البابلى « حمورابى » ، وشاع هذا الرأى شيوعا يقرب من الإجماع ، وقوته الحفريات التى اجريت فى سقى الرافدَيْن ، وعارض بعض اللاهوتيين فى هذا معارضة شديدة وَأَدْلَى كل من الفريقين بحجج لست الآن بصدد ذكرها وتأييد بعض الآراء ودحض الآخر .

وقد عاش حمورابى هذا قبل موسى بنحو ستمائة عام ، ـ وجاء ذكره فى سفر التكوين باسم « امرافل » ـ وقد ترك مجموعة من القوانين تتكون من « ٣٦٥٤ » مادة ، وجدت منقوشة على حجر بركانى يبلغ ارتفاعه ثمانية أقدام . ووجد منصوباً فى مقبرة الإله « مردوخ » كبير آلهة البابليين ويبدو أن نصْبه فى المعبد ليكتسب صفة القداسة ورضا الآلهة عنه ، وهذه اللوحة الحجرية توجد لها صورة فى كتب التاريخ ، ويوجد فى أعلاها صورة للملك حمورابى وهو يتسلم هذه القوانين من الإله الشمس ، والذى يسترعى النظر أن هذه القوانين مرتبة ترتيباً دقيقاً يشبه ترتيب قوانيننا الحديثة وأنها مستفيضة شاملة . ولم تبق لوحة القوانين فى موضعها حتى عثر عليها الباحثون ، ولكن حدث أن (العيلاميين) حاصروا بابل بعد عهد حمورابى ونقلوا اللوحة معهم إلى عاصمتهم (سوسة) ، ولكنها كسرت إلى ثلاث قطع ، وبقيت كذلك حتى سنة ١٩٠١ ، حيث كانت حملة أثرية فرنسية بقيادة الأثرى الكبير دى مرجان De Margan تعمل هناك فعثرت على هذا اللوح ـ فضمت بعضه إلى بعض ونقل إلى متحف اللوفر بباريس ، والذين حلوا رموز هذا النقش وأيضاً المشرعون المحدثون يعجبون لهذا التقدم التشريعى ، الذى فصل هذه المواد الشاملة فتحدث عن قوانين الكنسيين . والمحامين والأطباء ورجال الأعمال والتجار والزراع حتى أصحاب الحرف . وهذه القوانين تعكس صورة الحضارة التى عاش فى ظلها البابليون فى الألف الثانى قبل الميلاد ، وطبعـا لم يكن حمورابى مبتكـر هذه التشريعات ، بل هو دون ريب جمعها من قوانين سابقة ، وله فضل هذا التجميع والتنسيق ، فما مدى تأثر العبرانيين بهذه القوانين ؟

عنى العالم اللاهوتى الأمريكى ـ (فرد جلادستون براتون Fred Gladestone Bratton) ـ بعرض عدد من نصوص العقوبات التى فى لوحة حمورابى ، وبما جاء فى سفر الخروج من الكتاب المقدس ، وبين أن الصورة واحدة ، وأنها فى كثير من المواد تنقل الصيغة حرفيا ، وذهب يستدل على هذا النقل بأدلة كثيرة منها : أن القوانين تنشئها الحالة الاجتماعية التى تكون عليها الشعوب ، وأن العبرانيين يوم أن كانوا فى سيناء حين تلقى

موسى ـ عليه السلام ـ وصاياه كانوا فى مرحلة اجتماعية متأخرة لا تناسبها هذه القوانين البعيدة عن حياتهم ومداركهم . وقد دخلوا أرض كنعان بعد أربعين سنة يتيهون فى الأرض فوجدوا لديهم قوانين حضارية ، وقد سبق أن بسط البابليون نفوذهم على أرض كنعان ، فلا يبعد أن يكونوا قد وَرَّثُوا الكنعانيين قوانينهم ونقلها عنهم العبريون ، ثم إن إبراهيم أبا العبريين عاش وعاش معه الذين هاجروا معه فى بابل ، قبل أن ينزحوا إلى أرض الكنعانيين . وأقوى من كل ذلك معيشة العبرانيين فى بابل أيام سبيهم على يد نبوخذ ناصر . ولم تظهر الكتابات العبرية إلا بعد العودة من السبى .

وفى سنة ١٩٥٢ أعلن الدكتور نوح كريمر N.Kramer الأستاذ فى جامعة بنسلفانيا اكتشافه لصيغ قانونية نقشها على الأحجار أيضا الملك السومرى ـ (أور ـ نامو Ur. Nummu) ـ وهذا الملك قد عاش قبل حمورابى ، ولم يكن كشفُ الأستاذ كريمر عن طريق الحفريات ، ولكنه وجد فى المتحف التركى فى استامبول لوحة مقاسها ٤ × ٨ بوصة ، ووجد معها مجموعة من الألواح الفخارية ، تبلغ أربعة آلاف قطعة ، وكانت كلها مختزنة فى المتحف منذ سنة ١٨٩٠ ، أى منذ مدة تزيد على ستين عاما . ووجد القوانين التى عليها تشترك مع قوانين حمورابى فى موادها ولكنها أقل منها نظاماً وأقل شدة فى عقوبتها ، أو على حد تعبيره (أقل بربرية) واستنتج هو والباحثون الأثريون أنه لابد أن تكون هناك مجموعات قانونية أخرى مطمورة هنا أو هناك ، جمعت منها قوانين (يور ـ نامو) ثم قوانين (حمورابى) ، وفى كل مرحلة تاريخية ينالها حظ من التنقيح والتهذيب حتى انتهت إلى العبرانيين فى صورتها الأخيرة .

ولا يقف أخذ الكتاب المقدس عند قوانين العدالة والتشريعات الاجتماعية ، بل تجد أيضا الأسفار الأدبية قد اعتمدت على أسس من مخلفات البابليين ، ومن هذه الأسس كتابات شعرية لرجل عابد تقى يدعى (تابو ـ يوتول ـ بل Tabu-Utul-Bel) ويرجع تاريخ هذه الكتابة إلى ألفى سنة قبل الميلاد ، وهذا الرجل التقى يشكو ظلم الأقدار ، وإذا وازنا هذه الشكوى وموقف صاحبها نجد أنها قريبة الشبه جداً من قصة أيوب التى جاءت فى العهد القديم .

هذا التقى ـ تابو يوتول ـ بل ـ يضرع إلى الآلهة فى السماء ، ويشكو تسلط الشيطان على مشاعره ، ويصوغ ابتهالاته فى عبارات شعرية جميلة :

أينما وليت وجهى لا أجد إلا الشيطان ـ الشيطان .

أثقاله تتزايد علىّ كل حين ، وقد عمى علىّ طريق الاستقامة .

طالت ضراعتى للإله ولكنه أبدا لم يول وجهه نحوى .

وصليت كثيراً إلى « الآلهة » ولكنها أبدا لم ترفع رأسها تجاهى .

انظر أمامى وخلفى ولكن الأثقال تحيط بى .

من الذى يعرف أفكار الآلهة فى السماء .

←

البحث عن الديانات القديمة

صليت كثيراً وقربت القرابين ولكنني محاط بالمضايقات شأن من لم يصلِ يوماً ولم يقدم قرباناً(٢) .

وأخيراً يلتفت إليه مردوخ ـ كبير الآلهة ـ ويرسل إليه رسولا يزيل عنه مضايقاته .

وفى سفر أيوب فى العهد القديم نجد صبراً طويلاً وبقاء على عبادة « يهوه » ولكن الكوارث تتوالى عليه ، ونجد أصابع الشيطان وراءها ، فالشيطان يغرى ـ يهوه ـ بضرب أيوب بكارثة ويقول للإله إنه عابد لأنه يتمتع بنعمك ، فإذا سلبت منه نعمة المال فسيكفر ، فيسلبها منه ولكنه لا يكفر ، ويقول الشيطان هذا لأنه يتمتع بالأولاد ، فيميت يهوه أولاده ولكنه لا يكفر ، فيقول الشيطان هذا لأنه متمتع بالصحة ، فيضربه الإله بالأمراض ، ولكنه باق بعد كل ذلك على إيمانه .

وأخيراً يعيد يهوه إليه ماسلب منه .

مع ما فى ابتهالات أيوب وضراعاته من عبارات شعرية رائعة تبدو سذاجة خيال الكاتب ، إذ لا ينبغى للإله العليم أن يكون ألعوبة فى يد الشيطان ، ثم ما ذنب أيوب الصالح حتى يلاقى كل هذه الكوارث .

وتبدو فى النصين فكرة ربط الكوارث والمضايقات بالأعمال السيئة ، كما تبدو فكرة استجلاب السعادة الدنيوية بالأعمال الصالحة ، وهى أفكار قديمة متداولة ، **وتبدو فيهما فكرة تجسيم الإله ، وظهوره فى العواصف والرعود** ، وأحداث الطبيعة العنيفة ، فهى مكررة فى النص البابلى وفى سفر أيوب : « أجاب الرب أيوب من العاصفة وقال : من هذا الذى يظلم القضاء بكلام بلا معرفة ... أين كنت حين أسستُ الأرض ... من وضع قياسها .

واعتذر أيوب فقبل الله اعتذاره « وزاد على كل ما كان لأيوب ضعفا ... وبارك آخره أيوب أكثر من أولاه ... » .

وفى النص البابلى أن الآلهة ـ أو مردوخ ـ أرسل له ساحراً فأصحه من أمراضه ، ومع تشابه النصين فى عدة مواقف يمتاز سفر أيوب بجوانب روحية ومغزى أخلاقى ، ولهذا لا يقول الباحثون : إنه صورة أو نسخة من الأصل البابلى ، ولكن لا يبعد أن يكون مشتقا منه ومبنيا عليه .

وهناك جانب آخر لم يلتفت إليه الشراح الذين تحت يدى كتاباتهم ، وهو أن ظهور الإله فى ظلة من الغمام ، وفى ثورة الطبيعة ـ وهو معلن فى الديانة البابلية ـ واضح أيضاً فى نصوص التوراة ، فقد تراءى الله لإبراهيم فى عمود من السحاب الكثيف من بين شقى

(٢) لا يفوت القارىء أن هذا النص وثنى فليس (تابو ـ يوتول ـ بل) إلا بابلى على دين قومه . والعرض هنا إنما هو للإشارة إلى مابين هذا النص والذى يليه من جزئيات متشابهة .

ذبيحة ليبرم معه عهده ، وكذلك تجلى[3] لموسى على الجبل فى صورة السحاب والدخان .

واللاهوتيون المحدثون الذين لا يستريحون لفكرة النقل عن الأصول البابلية لا ينفون هذا النقل نهائياً ، ولكن يرجعون إلى العقائد البابلية القديمة التى كانت شائعة حتى من قبل وفود الأجداد العبرانيين على أرض بابل ، وهى تختلف عما جاء فى سفر التكوين عن بداية الخليقة ، وخلق السماء والأرض قبل خلق الإنسان ـ وهى لدى البابليين أقرب إلى ديانة اليونان ، إذ تبدو فيها معارك الآلهة واختلافاتهم حتى ظهر بينهم مردوخ وتولى رياسة الآلهة والتصرف فى الكون ، على نحو ماحدث لآلهة اليونان قبل ظهور (زيوس) .

ومهما يكن من أمر هذه الديانات كلها فهى ليست قليلة الأهمية لدى الباحث الإسلامى ، بل هى حقا ذات جاذبية وتشويق ـ ثم تُرِى ماتمتاز به العقائد والتشريعات الإسلامية من دقة ومنطق .

ويجد الناشئون المعنيّون بدرس مقابلات الأديان مجالاً فسيحاً شائقا فى مثل الموازنة بين تشريعات القرآن وتشريعات الكتاب المقدس والتلمود .

عبد الجليل شلبى

---

(٣) ... ليس التجلى ـ فى الآية الكريمة ـ معناه : ظهور ذات الله ـ عزوجل ـ للجبل ... حاشا لله تعالى .. من هذا القول وأشباهه .. إنما التجلى هو أثر له ـ سبحانه ـ يبديه فى شىء يختاره ـ عزوجل ـ لتحقيق مراده ، وكان ـ فى هذا المقام ـ قدرا من نور الحُجُب .

وفى الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمثيل لهذا القدر من النور ـ أشار إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأصبعه ، وقد وضع إبهامه على المفصل الأعلى لخنصره ـ صلى الله عليه وسلم .

يريد : أنه قدر صغير من هذا النوع من النور الفذ . وهذا الحديث قال عنه الإمام الترمذى : حسن صحيح غريب قال الإمام البغوى ـ فى تفسيره للآية بمعالم التنزيل : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ .

قال ابن عباس : ظهرُ نور ربه للجبل : جبل زبير . ...

وعن سهل الساعدى : إن الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا أى مستويا بالأرض ... » والله أعلم ..... الخطيب .

التحذير من السفر إلى الغرب
وخطره على العقيدة والأخلاق

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين أما بعد :

فقد أنعم الله على هذه الأمة بنعم كثيرة وخصها بمزايا فريدة وجعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، وأعظم هذه النعم نعمة الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده شريعة ومنهج حياة وأتم به على عباده النعمة وأكمل لهم به الدين قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

ولكن أعداء الإسلام قد حسدوا المسلمين على هذه النعمة الكبرى فامتلأت قلوبهم حقدا وغيظا وفاضت نفوسهم بالعداوة والبغضاء لهذا الدين وأهله وودوا لو يسلبون المسلمين هذه النعمة أو يخرجونهم منها كما قال تعالى في وصف ماتختلج به نفوسهم ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

وقال عز وجل :

﴿ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

وقال جل وعلا :

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ .

والآيات الدالة على عداوة الكفار للمسلمين كثيرة . والمقصود أنهم لا يألون جهدا ولا يتركون سبيلا للوصول إلى أغراضهم وتحقيق أهدافهم في النيل من المسلمين إلا

سماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

سلكوه، ولهم فى ذلك أساليب عديدة ووسائل خفية وظاهرة فمن ذلك : ما تقوم به بعض مؤسسات السفر والسياحة من توزيع نشرات دعائية تتضمن دعوة أبناء هذا البلد وغيره من بلاد المسلمين لقضاء العطلة الصيفية فى ربوع اوروبا وامريكا بحجة تعلم اللغات الأجنبية، ووضعت لذلك برنامجا شاملا لجميع وقت المسافر . وهذا البرنامج يشتمل على فقرات عديدة منها مايلى :

(ا) اختيار عائلة كافرة لإقامة الطالب لديها مع مافى ذلك من المحاذير الكثيرة .

(ب) حفلات موسيقية ومسارح وعروض مسرحية فى المدينة التى يقيم فيها .

(جـ) زيارة أماكن الرقص والترفيه .

(د) ممارسة الديسكو مع فتيات كافرات فاتنات ومسابقات فى الرقص .

(هـ) جاء فى ذكر الملاهى الموجودة فى إحدى المدن الكافرة ما يأتى : (أندية ليلية . مراقص ديسكو ، حفلات موسيقى الجاز الروك ، الموسيقى الحديثة . مسارح ودور سينما وحانات خبيثة) .

وتهدف هذه النشرات إلى تحقيق عدد من الأغراض الخطيرة منها مايلى :

١ ـ العمل على انحراف شباب المسلمين وإضلالهم .

٢ ـ إفساد الأخلاق والوقوع فى الرذيلة عن طريق تهيئة أسباب الفساد وجعلها فى متناول اليد .

٣ ـ تشكيك المسلم فى عقيدته .

٤ ـ تنمية روح الإعجاب والانبهار بحضارة الغرب .

٥ ـ تخلقه بالكثير من تقاليد الغرب وعاداته السيئة .

٦ ـ التعود على عدم الاكتراث بالدين وعدم الالتفات لآدابه وأوامره .

٧ ـ تجنيد الشباب المسلم ليكونوا من دعاة التغريب فى بلادهم بعد عودتهم من هذه الرحلة وتشبعهم بأفكار الغرب وعاداته وطرق معيشته .

إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد الخطيرة التى يعمل أعداء الإسلام لتحقيقها بكل ما أوتوا من قوة وبشتى الطرق والأساليب الظاهرة والخفية، وقد يتسترون ويعملون بأسماء عربية ومؤسسات وطنية

←

* الكاتب : مفتى المملكة العربية السعودية .

التحذير من السفر

إمعانا في الكيد وإبعادا للشبهة وتضليلا للمسلمين عما يريدونه من أغراض في بلاد الإسلام . لذلك فإني أحذر إخواني المسلمين في هذا البلد خاصة ، وفي جميع بلاد المسلمين عامة من الانخداع بمثل هذه النشرات والتأثر بها ، وأدعوهم إلى أخذ الحيطة والحذر،وعدم الاستجابة لشيء منها فإنها سم زعاف ، ومخططات من أعداء الإسلام تفضي إلى إخراج المسلمين من دينهم ، وتشكيكهم في عقيدتهم ، وبث الفتن بينهم كما ذكر الله عنهم في محكم التنزيل قال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ الآية .

كما أنصح أولياء أمور الطلبة خاصة بالمحافظة على أبنائهم وعدم الاستجابة لطلبهم السفر إلى الخارج لما في ذلك من الأضرار والمفاسد على دينهم وأخلاقهم وبلادهم كما أسلفنا وإرشادهم إلى أماكن النزهة والاصطياف في بلادنا،وهي كثيرة بحمد الله والاستغناء بها عن غيرها فيتحقق بذلك المطلوب ، وتحصل السلامة لشبابنا من الأخطار والمتاعب والعواقب الوخيمة والصعوبات التي يتعرضون لها في البلاد الكافرة . هذا وأسأل الله عز وجل أن يحمي بلادنا وسائر بلاد المسلمين وأولادهم من كل سوء،وأن يجنبهم مكائد الأعداء ومكرهم،وأن يرد كيدهم في نحورهم كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمورنا وجميع ولاة أمور المسلمين لكل مافيه القضاء على هذه الدعايات الضارة والنشرات الخطيرة ، وأن يعينهم على تحقيق كل مافيه صلاح العباد والبلاد . إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد،وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

رسل الأزهر في بلاد النيجر

(٣)

للسيد السفير
جمال الدين محمود أبو العيون

٥ ـ فوفو :

من أجمل ما يسعد ضيوف النيجر أن يستقبلهم الأهالى هناك وعلى شفتى كل منهم ابتسامة ودودة قائلين « فوفو » أى « أهلاً وسهلاً ومرحبا » .

ولقد كان من يمن الطالع أن أصل إلى « نيامى » فى ليلة الإسراء المباركة من عام ١٣٩١هـ . (١٧ سبتمبر ١٩٧٩ م) ومعى أسرتى المكونة من زوجتى وشقيقى وابنتى (٧ سنوات) وابنى (٤ سنوات) . ونزلنا من الطائرة قبيل الفجر لنجد فى استقبالنا أعضاء السفارة والجالية المصرية ولفيفا من أصدقاء السفارة أذكر منهم الأخ محمد شنيب القائم بأعمال السفارة الليبية والأستاذ القاسم البيهقى من كبار رجال التعليم فى النيجر ومدير المدرسة العربية فى مدينة ساى والشيخ على صالح السودانى مدير المدرسة الابتدائية العربية الأهلية الليلية وغيرهم .

وفوجىء المستقبلون بابنتى وهى تهبط من الطائرة مستندة إلى ذراعى وساقها اليسرى موضوعة فى (الجبس) إثر حادث وقع لها فى مصر ، واقتضى بقاء ساقها فى الجبس لمدة ثلاثة أشهر كاملة ، ولم يكن فى الإمكان تأجيل سفرنا بسبب هذا الحادث ، فالدبلوماسى الملتزم جندى مجند ، وهكذا سافرنا والتحقت ابنتى بالمدرسة فى (نيامى) وهى تستند إلى عكازين .

وكنت قد حكيت لأسرتى فى مصر عن مشاهداتى وانطباعاتى عن النيجر لدى زيارتى السابقة لها فى أبريل الماضى ، وعن طيبة أهلها ووداعتهم ، وكيف أنهم يختلفون عن الصورة المشوهة التى أراد الاستعمار أن يصمهم بها بالزعم بانتشار الأوبئة الفتاكة بينهم ، وكذا الأمراض المتوطنة والحشرات السامة . وشرحت لهم أن (نيامى) لا صلة

←

لها إطلاقاً ببلاد « نيام نيام » المزعومة أو الوحوش الآدمية من أكلة البشر ، فكل هذه خرافات وأباطيل . وهكذا استقبلت أسرتى منزلنا الجديد بالاطمئنان والترحاب وقطعنا المسافة بين المطار والعاصمة وطولها حوالى ١٥ كيلو متراً فى دقائق معدودة ، واقتربت بنا عربة السفارة من عمارة النصر مع طلوع الفجر ، فبدت لنا من بعيد كالعروس ليلة زفافها .. واستقبلنا البستانى (أمارو أحمد) بباقة زهور جميلة حملها إلينا من حديقة العمارة . وما أن صعدنا إلى مسكننا بالدور السابع حتى رحنا نتسابق إلى الشرفات لنطلّ منها على الطبيعة الساحرة تحتنا ، وعلى حديقة الحيوان المقابلة للعمارة وفيها الزراف والفيلة والنّعام والطواويس الجميلة ، و (النسانيس) الأفريقية .

وبعد أن استرحنا من مشقة السفر نزلت إلى مكاتب السفارة فى الدور الأول حيث رحّب بى الزملاء ، وكان اليوم يوم عمل برغم أنه يوم جمعة (لأن العطلة الرسمية هناك يوم الأحد) ، فكان أول أمر أصدرته هو إنهاء العمل بالسفارة أيام الجمعة فى الساعة الثانية عشرة ظهراً بدلاً من الساعة الثانية لنتمكن من أداء صلاة الجمعة . وصحبنى الأخ (محمد أبو العطا) ملحق السفارة ، وانطلق بنا السائق هارون إلى المسجد الجامع الذى وجدناه مكتظاً لآخره بالمصلين الذين بدت عليهم الدهشة والارتياح معاً لسابقة لم يروا مثلها من قبل وهى وجود دبلوماسى عربى بينهم بالمسجد .

والمسجد الجامع فى نيامى مسجد كبير ، وهو يتوسط الحى الشعبى ، وله مئذنتان مرتفعتان ، كما أن فيه مقصورة مخصصة للسيدات ، وساحة واسعة يحيط بها سور كبير ، ولونه المميز هو اللون الأبيض ، وهو مفروش بالسجاجيد وتعمل به مراوح مهداة إليه من حكومة ليبيا .

ويجلس المصلون فى المسجد صامتين فى انتظار قدوم الإمام ، فلا أحد يتلو عليهم القرآن كما هو متبع فى مصر . وإمام المسجد هو الشيخ « أحمد سومايلا » (إسماعيل) ، وهو رجل طيب متقدم فى السن ، ولغته العربية محدودة ، ولكن الرئيس اختاره ليكون إماما تكريماً لذكرى والده الذى مات مكافحاً ضد الاستعمار ومدافعاً عن الإسلام .

ويقف الإمام وعلى رأسه عمامة سودانية كبيرة ، مستنداً إلى فرع شجرة طويل يابس ، ويلقى ـ أمام مكبر الصوت ـ خطبة الجمعة باللغة المحلية ، كما يلقى بالمثل خطبة باللغة العربية لا تختلف عن مثيلتها فى الأسبوع الماضى أو الأسبوع التالى ، ثم يصلى بالناس ركعتى الجمعة ، قارئاً فى الركعة الأولى سورة (الغاشية) وفى الثانية سورة (الجمعة) ، ثم ينتشر المصلون فور انتهاء الصلاة منصرفين إلى بيوتهم أو إلى متاجرهم وأعمالهم .

ولقد حكى لى المسلمون فيما بعد عن الاستعمار ، وكيف حاول القضاء على الإسلام بالحديد والنار ، فعمد إلى جمع الكتب العربية أينما وجدت وأحرقها ، ووضع القيود أمام سفر الحجاج ، وأنشأ

المدارس التبشيرية ، وجعلها سبيلا للتعيين فى الوظائف الحكومية بحجة أن أبناءها وحدهم هم الذين يجيدون اللغة الفرنسية ، كما عمد إلى تغيير أسماء الطلبة المسلمين فيها إلى أسماء مسيحية ، وشجع الضباط والجنود الفرنسيين والمستوطنين الفرنسيين على الزواج من مسلمات فى غيبة القانون ، كما فرض المناسبات المسيحية الكاثوليكية وأعياد مايسمونهم القديسين - عطلات يحتفلون بها رسمياً ومنع كلية اتصال أهل البلاد بجيرانهم من العرب .

وعلى الرغم مما بذله الاستعمار الفرنسى من جهود مستميتة لنشر الثقافة الفرنسية والعادات الغربية فى بلد تبلغ نسبة المسلمين فيه ٩٨٪ إلا أنهم اعترفوا أخيرا بالهزيمة ، وبأن المنافس الوحيد الذى صمد أمامهم على مدى الأجيال كان هو القرآن الكريم واللغة العربية .

ولما نزلنا للتجول فى شوارع العاصمة التى يسكنها حوالى ١٣٠,٠٠٠ نسمة ، منهم حوالى ٣٠٠٠ من الأوروبيين ، راعنا أنها تنقسم إلى حيين متميزين : الحى الأوروبى بهدوئه وأضوائه وبيوته الجميلة ذات الحدائق الواسعة ، والحى الشعبى بفقره وإظلامه وأزقته الضيقة وبيوته المبنية بالطين أو بالأسمنت .

وأحسسنا بالألم يعتصر قلوبنا ، خاصة وقد لمسنا فى أهالى البلد الطيبة والسماحة والأمانة المطلقة . وعرف الأهالى أننا مصريون ، وأننا مسلمون مثلهم ، فكانوا يرحبون بنا على جانبى الطريق ، ويحيوننا كلما التقينا بهم بكلمة « فوفو » مصحوبة بابتسامتهم المضيئة ، تلك الابتسامة التى تحيى النفوس والتى تبعث فيها البهجة .. والأمل .. والسلام ..

الأذان :

على الرغم من شدة الحرارة ، ورتابة الحياة ، والهدوء الشامل الذى يبعث على السكينة والدعة ،إلا أننى لم أستطع أن أكف نفسى عن ترداد النظر إلى ساعتى عشرات المرات فى كل يوم وكأننى فى سباق مع الزمن .

فقد انشغلت منذ اليوم التالى لوصولى إلى النيجر بجدول مشحون بالزيارات والمقابلات ، بدءاً بزيارة وزير الخارجية وسائر الوزراء والمسئولين فى الدولة للتعرف عليهم ، بالإضافة إلى زملائى من الدبلوماسيين الأجانب فضلاً عن الالتقاء بأبناء وطنى الذين تعتبر رعايتهم وتوجيههم فرضا واجبا علىَّ « فكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » .

وقد مهد لعملية الاتصالات الرسمية (الحاج عيسى بوبى) مدير المراسم بوزارة الخارجية الذى زرته غداة وصولى ، وبدا لى ودودا للغاية ، حيث دار الحديث بينه وبينى حول الروابط الإسلامية الوثيقة بين شعبى النيجر ومصر ، وكيف أن الدين الإسلامى هو الذى وحد بين أجناس النيجر المختلفة ، وهو بالتالى الذى يوحد بين شعبينا .

ولفت نظرى أن هذا الموضوع بالذات كان هو المحور الأساسى تقريباً الذى دارت حوله أحاديث المسئولين معى ، الأمر الذى أكد لى

رسل الأزهر

قوة وصدق المشاعر الإسلامية لديهم ، ولذلك حرصت على أن يكون من بين زياراتى المبكرة زيارة (المعلم طولـو) رئيس الرابطـة الإسلامية الذى ردّ لى الزيارة بعد أسبوع هو وسائر أعضاء الرابطة وهم : إمام المسجد والفا ايدى (الفقيه إدريس) وجربا موسى وجربا تايير (الترزى) مبدين سعادتهم الفائقة لترددى على المسجد الجامع وآملين أن تمدّ مصر يد المعونة لمساعدتهم .

وبعد أيام وصلنى من الرابطة خطاب رقيق بالفرنسية يذكرون فيه أنهم يجدون من غير المناسب أن تكون المكاتبات بينهم وبين السفارات العربية الشقيقة باللغة الفرنسية ، ولذا فإنهم يأملون من سفارتنا أن تمدهم بآلة كاتبة عربية .. ولم أتردد فى إجابتهم إلى طلبهم ، وأهديتهم آلة كاتبة ممتازة ، من طراز « الممتازة » .

كذلك حضر لزيارتى الحاج (عمر أحمدو) سفير النيجر فى « الدول العربية » ، وذكر لى أنه معتمد فى ثلاث دول عربية فى آن واحد ، هى : المملكة العربية السعودية (رعاية مصـالح الحجـاج النيجيريـين هناك) ، والسودان (حيث توجد جالية نيجيرية كبيرة تتألف من المواطنين الذين يعودون من الحج ويستـوطنون السـودان) وليبيـا (ذات الاهتمامات الكبيرة بجيرانها) . وذكر لى الحاج عمر أنه زار مصر مرات عدة ، وقد سمع أن والدى هو المغفور له فضيلة الشيخ محمود أبو العيون (السكرتير) العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية سابقاً ، وانه نقل ذلك لرئيس الجمهورية والمسئولين فى الدولة ، الأمر الذى عزز مركزى لديهم ، فصاروا يستقبلوننى فى كل مكان بالاحترام الكامل كما لو أن (الأزهر) نفسه قد انتقل إليهم فى (النيجر) .

وقد انتهزت فرصة زيارتى للرئيس هامانى ديورى فأهديته لوحة قرآنية كبيرة مكتوبا عليها بالخط الجميل ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ فتقبلها قبولاً حسناً ، ثم تحدثت معه عن قرب حلول شهر رمضان المبارك ، وكيف أن مصر اعتادت أن تبعث فى كل عام وفوداً من (القراء) إلى سائر الدول الإسلامية لإحياء الشهر الكريم فيها . واستأذنته فى أن أكتب إلى حكومتى لإيفاد اثنين من (القراء) إلى النيجر ، فرحب الرئيس ترحيبا كبيراً بالفكرة التى تحمس لها كذلك جميع إخوانى من أعضاء الجالية المصرية فى النيجر .

وشجعنى هذا التقبل من الرئيس على أن اتقدم إليه باقتراح آخر ، هو إذاعة القرآن الكريم وأذان المغرب من (إذاعة نيامى) خلال شهر رمضان المبارك مثلما نفعل فى مصر وسائر الدول العربية . ولم يتردد الرئيس فى الموافقة على اقتراحى من حيث المبدأ ، وأشار بأن أتحدث مع المسئولين فى الإذاعة لبحث تنفيذ الفكرة ... وذهبت لمدير الإذاعة جانى ايزاكا وشرحت له فكرتى ، وأوضحت له أن كل شىء جاهز عندى ... تسجيلات القرآن الكريم ... وأشرطة الأذان .. واستفسر منى

المدير عن موعد إذاعة الأذان فأجبته بأنه وقت غروب الشمس فى (نيامى) ، فعاد يستفسر عن الوضع بالنسبة لسائر المحافظات فى النيجر ، فقلت له إن هناك مايسمى بفروق التوقيت ، وعلى كل محافظة أن تراعى فروق التوقيت المحلى بها .. وأبدى المدير أنه شخصياً مقتنع بالفكرة ، ولو أنها فكرة جديدة كلية على أهل النيجر الذين يخشى الا يتفهموا مسألة فروق التوقيت ، وأضاف أنه سيتباحث على كل حال مع المسئولين فى هذا الشأن . ووعدنى خيراً ..

وتركت المسألة تأخذ دورها الروتينى اطمئنانا إلى أن عندى موافقة مسبقة من (رئيس الجمهورية) ... وكلما سألتهم عن الترتيبات طمأنونى إلى أن كل شىء يسير على مايرام ... وهكذا أعلنت أصدقائى من أبناء الجالية المصرية بهذا النبأ السار ، وحل أول أيام رمضان ، وجلسنا جميعاً ملتفين حول أجهزة الإذاعة والطعام أمامنا فى انتظار أذان المغرب ... ومرت الدقائق ببطء .. واختفت الشمس وراء الأفق واختفى معها تسجيل الأذان الذى كنا نترقبه بفارغ صبر !! وأصبت وأصيب الجميع معى بخيبة أمل كبيرة .. وأدركت اننى تسرعت فى مطلبى ، واننى اردت أن أعطى القوم جرعة كبيرة من دواء لم يكونوا قد استعدوا بعد لتقبّله ، أو أن هناك ضغوطاً غير منظورة حالت دون تنفيذ ما اتفقنا عليه . وتعلمت من هذا الا اتعجل الأمور قبل نضجها تماما ، فلكل غرس جَنْيُهُ ولكل حصاد وقته وأوانه ، وتصادف أن القراء الذين طلبتهم من وزارة الأوقاف لم يصلنا أى نبأ بشأنهم ، وهكذا مضت الأيام ثقيلة موحشة حتى انقضى من شهر رمضان معظمه ، وخابت عندى آمال كثيرة كنت أعوّل عليها للاحتفاء بهذا الشهر الكريم بالطريقة التى تتناسب مع قدره ومكانته . وقال لى قائل مخففا عنى مادمت قد اديت واجبك كاملاً ، فلا عليك الا تجىء النتائج وفق ما تشتهى » .

طرائف

« الجبار والذئاب »

كان الخليفة أبو جعفر المنصور يمر يوما بمكان تكاثرت ذِبَّابهُ حتى أضجرته ؛ فطلب مقاتل بن سليمان وحدثه فى هذا الأمر وسأله :

لم خلق الله الذئاب ؟

فأجاب مقاتل : ليذل بها الجبارين .

« لا تراجعنى »

كان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى عامل له فى المظالم فيراجعه العامل فيها .

فكتب إليه : أنه يخيل إلى أنى لو كتبت إليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت إلىَّ : أضأنا أم ماعزا ؟! ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت إلىَّ : أذكرا أم أنثى ؟!

ولو كتبت إليك بأحدهما لكتبت إلىَّ : أصغيرا أم كبيرا ؟!

فإذا كتبت إليك فى مظلمة ، فلا تراجعنى فيها .

« نصيحــــة »

لا تجعلن دليل المرء صورته
كم مَخْبَرٍ سَمِجٍ فى منظر حسن

« المأمون وولده »

دخل المأمون يوما على أحد أولاده ، وهو يقرأ فى كتاب .

فقال له : ماهذا ؟

قال : كتاب يشحذ الفطنة ، ويغنى عن العشرة السيئة .

فقال المأمون : الحمد لله الذى جعل لى من ذريتى من يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسمه .

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

« وصية أب »

يابنى : إذا مر بك يوم وليلة ، وقد سلم فيها دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله ـ تعالى ـ

فكم من مسلوب دينه ، ومنزوع ملكه ، ومهتوك ستره ، ومقصوم ظهره ؛ فى ذلك اليوم وأنت فى عافية .

« احــذر »

ثلاثا فى ثلاث عند ثلاث .
الزهو بعلمك عند المناقشة .
والْفَخْر بعملك عند الذين يعرفونك .
والتقصير فى الخير عند سنوح فرصته .

« قالــوا »

الشهامة : أن تغار على حرمات الله .
والنجدة : أن تبادر إلى نداء الله .
والشجاعة : أن تسرع إلى نصرة الله .
والمروءة : أن تحفظ من حولك من عباد الله .
والسخاء : أن لا ترد لله أمراً ولا نهيا .

« دعــاء »

اللهم إنى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة .
وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات .
وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل .

الفتاوى

إعداد/ عبد الحميد شاهين
علي حامد

س : يوجد في الحي مسجد جدد بناؤه على طابقين . ويريد بعض أهل الحي أن يجعل أحد طابقيه دارا للمناسبات . فما الحكم .

جـ : المساجد لله ـ فإذا بني مسجد أو جدد بناؤه جاز تخصيص طابق منه لمنفعة عامة .

لأنه إذا جاز لأهل المحلة هدم المسجد وبناؤه ، وبناء بيت فوقه للإمام ، وكذا هدم المسجد العتيق وصرف ثمنه لمسجد آخر ـ جاز كذلك إعادة بناء المسجد العتيق وبناء طابق فوقه أو تحته للمصلحة .

س : لي بنت من زوجي الأول الذي توفي ثم تزوجت من آخر له ابن من زوجة أخرى ـ فهل يجوز أن يتزوج ابن زوجي الحالي من ابنتي من زوجي المتوفي علما بأنني أنجبت بنتا من زوجي الحالي .

جـ : زواج الشاب من بنت زوجة أبيه من رجل آخر صحيح ولا عبرة أن أم الزوجة أنجبت بنتا من والد الشاب فزواجهما صحيح

س : توفي رجل عن زوجة وأب وأم وأولاد ذكور وإناث ، وإخوة وأخوات أشقاء وشقيقات وأخت لأب . فما نصيب كل وارث ؟ .

جـ : الزوجة ترث الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ـ قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ﴾ .

وللأب والأم .. لكل منهما السدس فرضا .

قال الله تعالى : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ .

والباقي من التركة لأولاد المتوفى .. ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾

ولاشيء للإخوة الأشقاء ولا للأخوات الشقيقات وكذلك لا شيء للأخت لأب لحجب هؤلاء بالأولاد الذكور .

س : رجل عقد على فتاة ثم مات قبل أن يدخل بها ، فهل عليها عدة وفاة وهل ترث .

جـ : المتوفى عنها قبل الدخول تجب عليها العدة ، وهي أربعة أشهر وعشرة أيام ـ لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ .

فالآية عامة في المدخول بها وغير المدخول بها .. والحكمة من ذلك إظهار حق الزوج ـ في الحزن والأسف لوفاته ولها جميع حقوقها من المهر كاملا .. وترث من تركته لأنها زوجة له وإن لم يدخل بها ـ وميراثها الثمن إن لم يكن له زوجة غيرها وكان له ولد .. ولها الربع إن لم يكن له زوجة غيرها ، ولم يكن له ولد .

من أعلام الأزهر

عبد العزيز البشرى

كامل السيد أحمد شاهين

عبد العزيز البشري

جاحظ العصر الحديث

لقد اهتم البشرى بنفر من ائمة القراء فى عصره تشجيعا وتنويها ، فاحمد ندا وعلى محمود والسيد الصواف وحنفى برعى قد نالوا من احتفائه ماطار بذكرهم . والحق ان ترتيل القرآن كان فى حاجة إلى كاتب يرصد رجاله ، ويكشف عن منازعهم الصوتية ، ولابد ان يكون هذا الكاتب عالمًا ازهريا ليفهم أسرار الوقوف ، وتنوع القراءات ، ودقائق النحو والصرف ، ومايعرف بفن التجويد إظهارا وإدغاما ومَدًا وغُنَّة وإخفاء ، ليقيم حكمه الفنى لا على الصوت وحده ، بل على مايحيط به مما يتصل بعلوم القرآن الكريم ، ونحن نرى مقرئى اليوم فى حاجة إلى نقد علمى فنى ، يقوم به متخصص بحاث ، لان اشرطة (الكاسيت) قد فتح بها المجال لإذاعة الجيد والردىء من انواع الإلقاء ، وإذا جاز ذلك فى الأغانى العاطفية ، فإن آيات الذكر الحكيم تستلزم تشددا يمنع الانحراف ، ولى فى هذا المجال مقال « هادف » اكتفى بالإشارة إليه .

وقد أخذ كاتب ما على البشرى أنه لم يخص المناحى الإسلامية بثمار قلمه على نحو ممتد كما فعل مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ، وأنا افرق بين الروح الإسلامي وبين الموضوع الإسلامى ، فالروح الإسلامى شعور عام يسيطر على الكاتب فى كل مايسطر بحيث يتقيد بضوابط الخلق المحمدى الرفيع ، فى كل موضوع يعالجه وإن لم يمت إلى قواعد الدين وتاريخ الإسلام بسبب ، فالصدق فى القول ، والارتفاع عن الإسفاف ، والإخلاص فى التوجيه ، والتماس الأعذار عند قيام أسبابها ، كل ذلك يندرج فيما نسميه الروح الإسلامى ، وهو ما التزم به البشرى دون نزاع ، فأنت لا تأخذ عليه شبهة انحدارٍ تميل بقلمه إلى الإسفاف .

أما الموضوع الإسلامى فلم يكن من الكثرة فى نتاج البشرى ، بحيث نقرنه بالرافعى أو المنفلوطى رحمهما الله ، ولكن الكاتب قد تحدث فى فصول متتالية عن الهجرة النبوية ، وعن يسر الإسلام ، وعن أسباب

للدكتور محمد رجب البيومي

انتصاره فى النشأة الأولى ، لأن المجلات الأدبية كالرسالة والثقافة كانت تصدر الأعداد الممتازة فى المناسبات الدينية ، فتأتى بروائع ، المقالات لأمثال المراغى وشلتوت ومحمد عرفه والعقاد والزيات والرافعى وأحمد أمين ومحمد أحمد الغمراوى ، وعبد العزيز البشرى مع هؤلاء ، إن لم يكن فى طليعة هؤلاء ، وهو كاتب يتكىء على نفسه دائما ، فلا يعمد إلى موضوع تاريخى ليشرحه بأسلوبه الأدبى مكتفيا ببلاغة العرض كما نعهد لدى بعض النظراء ، ولو فعل ماوقع فى الملام ، لأن المناسبة تدعو للذكرى ، ولكنه يتخذ من حادث كالهجرة متنفساً لخواطر وضيئة تبين انتصار الحق متى كافح عنه صاحبه ، مهما قامت الحوائل ، كما هو فى مقال آخر يتحدث عن يسر الإسلام ، ومواءمته للفطرة الإنسانية مما يجعله الدين الطبيعى للبشر ، وإذا كانت الحرب العالمية الثانية قد شغلت الناس شغلا يحتمه الواقع الأليم ، حين تنطلق صفارات الإنذار كل مساء ، وحين تظلم الأماكن وتختفى الأنوار ، وحين يهاجر سكان المدينة إلى الريف إيثاراً للسلامة ، فإن هذه الحرب اللعينة قد فسحت باب المقارنة لدى الكاتب الكبير إذ ينتقل إلى الجهاد الإسلامى الأول فى عهد النبوة وما تلاه ليوضح كيف أوصى الإسلام بالرحمة والعفو والمن والفداء ، والإنذار قبل الهجوم ، وليبين كيف تحولت هذه الأخلاق الإسلامية الرائعة إلى مناقضات اليمة فيما نشاهد على أيدى الألمان والطليان والإنجليز ممن ينتمون إلى المسيحية دون أن يتقيدوا بتعاليم المسيح .

أجمل ما فى البشرى أنه لا يصوغ آراءه الإسلامية فى حديث وعظى يفقد تأثيره النفسى ، ولكنه يزاوج بين الفكرة والصورة مزاوجة تجعل المقال الدينى قطعة أدبية رائعة ، وهو حينئذ لا يتكلف الجودة ، لأنها من طبيعة أسلوبه المكين يصدر عنها كما يصدر النور عن شمس النهار .

لقد كان البشرى من القلائل الذين مهدوا إلى وظيفة الخيال فى التعبير الأدبى منذ أوائل هذا القرن ، فقد وقر لدى بعض المتأدبين حينذاك أن الخيال تزويق سطحى يبتعد عن الحقائق حين يأتى بألوان من المغالاة البعيدة ، وأكثرها تلفيق عقلى ، يحاول أن يجمع بين المتناقضات بأوهى رباط ، ولكن البشرى يفند هذا اللغو السطحى حين يؤكد أن الخيال الأدبى الصحيح مهما يغلُ(١) أو يحلّق ، ومهما يلون من الألوان فإنه مستمد فى

←

(١) المختار جـ ١ ص ١٠٦ .

عبد العزيز البشرى

تصرفه من الحقائق الواقعة ، مبتدىء منها منته إليها ، فمن الوقائع مادته ، وهى مستعارة فى كل مايبدع من ألوان ، والشاعر والكاتب لا يطلقان خياليهما فى فنون المعانى لمجرد العبث بقلب الأوضاع ، ومسخ الأشكال . إنما الغاية كل الغاية أن تجلو عليك هذه الأخيلة صوراً طريفة لهذا الذى أدركته من الواقع ، أو تترجم لك عما يدق عن فهمك من المعانى ، أو تكمل بين يديك ماترى أن الطبيعة قصّرتْ فيه ، والصورة الأدبية فى هذه الحالة وإن كانت خيالاً فى خيال فإنها لقوة موضعها ، ودقة صنعها ، تشبه عندك الصور الواقعية بل قد تلتبس عليك بالحقائق الثابتة .

أقول هذا مستشهدا بموجز أتصرف فيه من كلام الكاتب الكبير لأؤكد أن البشرى فيما يصدر من البيان على دراية تامة بأثر الخيال الأدبى فى التعبير ، وأنه إذا كان من رجال الإسلوب المبين فى هذا العصر ، فإنه لم ينحُ هذا المنحى إلا بعد طول تأمل واقتناع ، على أنه جاوز الخيال الجزئى فيما يعرف بالاستعارة والكناية والتشبيه إلى الخيال الكلى ، الذى يجعل الخيال إطاراً متسعاً لموضوع عام ، يسبح الكاتب فى نواحيه ، وهذا الإطار الفسيح يخلق من الجدة والطرافة والبراعة فى أدب الكاتب مايدهش به القارىء دهشا يأخذ عليه كل متجه ، إذ يفجؤه بالطريف غير المتوقع ، مفاجأة تنزل من النفس منزلة الارتياح الهانىء إذا أتت من بابها الطبيعى غير المتكلف ، فحققت للكاتب مايريد .

لقد دعت الإذاعة الحكومية منذ نشأتها الأولى عبد العزيز البشرى ليُلقى كلمة فى افتتاحها ، وتوهم السامعون أنهم سيسمعون محاضرة عن فوائد المذياع ، ولو فعل الأديب ذلك لصادف مقتضى الحال دون نشاز ، ولكنه أطرف السامعين إطرافا بوثبة من وثبات الخيال الكلى البهيج ، حين تخيل أعرابيا أقام عمره الأطول فى البادية ، ثم زار المدينة فجأة ، ليرى صندوق المذياع يتكلم ! فما عسى أن يقول الأعرابى فى هذا الخشب الناطق كالإنسان ، هنا يتجلى الخيال الكلى المصور كأبدع مايكون الخيال حين يعرك إنسان أذن الصندوق ، فتحمر حدقته ، ثم يسمع له حسيس مالبث أن استحال زمزمة وهمهمة ، يقول البشرى على لسان الأعرابى وقد سماه الشيخ عدلان :[٢] .

هنا والله خلْتُ أن الأرض زلزلت علىّ وأحسست قلبى يتمشى من الروع فى صدرى ، فجمعت ثوبى للهرب ، فجذب صاحبى فضل ردائى ، ولو تركنى ما أصبت المهرب إذ تخاذلت ساقاى ، وأظلم مابينى وبين الطريق ، وجعلت ألتمس آية الكرسى أعتصم بها من هذا الشيطان ، فأذهبها الرعب عنى ، ولما رأى صاحبى هول مابى ، قال : خفض عليك ياشيخ ، قلت : وهذا العفريت ؟ قال : لن ينالك منه مكروه فما يجد له من

---

(٢) المختار جـ ١ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .

إساره فكاكا ، قلت : أيسجن سليمان المردة فى قماقم من نحاس . وأنتم لاتبالون أن تسكنوها فى جماجم من الخشب ، فقام عنى وعرك الأذن الثانية للصندوق ، فسرعان ما سكن هديرها ، وإذا العفريت يتحدث فى لين صوت ، واطمئنان نبرة كما يتحدث عرفاء القوم إذا اجتمعوا ، وإذا هو ينطق بالحكمة بعد الحكمة ، ويرسل العبرة بعد العبرة ، فأفرخ ذلك من روعى حتى كادت ترتد إلى نفسى ، ثم قام الرجل فعرك أذن الصندوق مرة ثالثة ، فجعلت عينه تدور فى محاجره حتى استقر ، ولم يرعنى إلا أن اسمع صوتاً كشدو الغناء ، راح يشتد ثم يلين فيشف ، ويحلق ثم يهبط ويسف ، وآناً يطرد ويستوى ، ثم ينثنى ويلتوى ، والكبد تتياسر معه وتتيامن . والقلب يتطاير ثم يجتمع ويتطامن ، والنَّفَس يرتفع كلما ارتفع ، ويقع معه حيثما وقع !

ثمانى صفحات رائعات كلها من هذا الطراز ، أفيتسع المجال لنقلها ؟ أم نكتفى بالإشارة إلى ما أبدع الخيال الكلى لدى البشرى من بدع آسر ، وقول ساحر !

وإذا كان الموضوع السياسى مما يكتب عادة بأسلوب تقريرى لا صلة له بالخيال ، فإن الأستاذ البشرى قد شاء له إلهامه البديع أن يكتب فى السياسة دون أن يغفل الاستعانة بالخيال تجسيداً للحقائق ، وتصويراً لها ، فكان ما أسعد به القراء فى هذا المجال آية الآيات ، فحين انهزمت إيطاليا مدحورة فى الحرب العالمية الثانية ، وسقط المارشال جرزيانى قائد إيطاليا فى ليبيا ، وحاكمها المستعمر ، وكان قد تعقّب الأحرار من أبناء البلاد وزعمائها تقتيلاً وتشريداً ، وعلى يده الآثمة تم إعدام البطل الشهيد (عمر المختار) ، وقد حسب أن مركزه السياسى سيتوطد حتى الممات ، حاكماً مستعمراً فى الغرب الإسلامى ، ثم أبدت الأحداث ماجعله ضحكة ساخرة بين الهازئين !

هنا تجيش الخواطر فى نفس الأديب العربى الكبير إذ يرى هزيمة الطاغية عقاباً صادقاً لما اقترفه فى حق الأحرار ، وفى مقدمتهم عمر المختار ، وهنا يستعين بخياله الوثاب ليكتب على لسان عمر المختار ، ومحل إقامته جنة عدن مع الشهداء والصديقين خطابا إلى المارشال جرزيانى ومحل إقامته جهنم فى اللظى المحرق ، ليحدثه عما أسلف فى حقه من جور فادح وعما انتقم به الله عاجلاً غير آجل حين أخزاه بالفضيحة النكراء ، ويصل الخطاب إلى صاحبه فيكتب رداً باكيا يكاد يقطر حسرة وخزيا لما اجترم ، وفى الخطابين عرض دقيق لأحداث سياسية خطيرة ، وتحليل « فنى بارع » لنكبات إيطاليا المتلاحقة فى الشرق والغرب ، وتعليل دقيق لهذه النكبات التى جلبها الهر الضعيف حين ارتدى كذبا ثوب الأسد المقدام ، فكشفته الحرب كأسوأ مايكشف به رعديد جبان ! وكم كان البشرى بارعاً حين ابتدأ رد جرزيانى بهذا المطلع البارع(٣) .

←

(٣) قطوف : للأستاذ البشرى جـ ١ ص ٥٢ .

عبد العزيز البشرى

« سيدى المختار ، السلام عليك ورحمة الله ، ولا شك أن هذا إخبارٌ لا دعاء ، فأنت من مثواك فى الجنة فى رحمة دونها كل رحمة ، وفى سلام ليس يعد له سلام ، وإنى أشكرك شكراً جليلاً على خطابك الذى فرضت فيه لى ضميراً ، إذ ظننتنى أتمثلك فى صباحى ومسائى ، وفى غدوى ورواحى ، بما أسلفت إليك ، وما أجرمت عليك ، إذ الواقع أنك لم ترد لى على خاطر ، اللهم إلا ساعة فضضت كتابك ، وأزلفت عينى إلى توقيعك ! على أنى جد مشغول بالجزع على ماكان إلى الآن ، والهول والدعر مما يكون بعد الآن .

ومضى الخطاب يعرض تاريخ إيطاليا ، وفشل جنودها الحربى المتلاحق ، وكيف صبّحوا الأبرياء العزل بالدمار ، حين زين لهم الشيطان أن يملكوا المستعمرات كانجلترا ، وتكون النتيجة الهزيمة الفاضحة أمام من ؟ أمام البانيا وأمام اليونان وأمام طرابلس ، يقول البشرى على لسان جرزيانى :

تقول لى فى كتابك : إنك لو كنت « ماريشالا » فى رواية تمثيليه ، لكسرت على الاقل طبقا ، أو صدعت كرسيا ، أو قرضت بأسنانك ستارا ، الا فاعلم ياسيدى أن الله قد عقد لسانى ، فى هذه الحرب ، ورمى يدى بالشلل ، وهيهات الفعل او القول لأشل اليد معقود اللسان ، وإذا كانت هذه الأهوال الكارثة قد علمتنا ، فقد علمتنا شيئا واحداً ، هو أن الحرب ليست جيوشا تزم الأفق ، ولو زودت بجميع الفواتك والمهلكات ، ولا هى أساطيل تزحم نواصى البحار ، ولا هى طيارات تسد جو السماء ، إنما الحرب أولاً وأخيراً هى الرجال ! » .

هكذا تحدث عبد العزيز فى صميم السياسة الدولية ، وهكذا جاء حديثه السياسى فى إطار بديع من خياله الرائق ، وتصويره الأنيق .

قلت : إن البشرى قد انفرد بتصويره الرائع فى (مراياه) ، وقلت إن كثيراً من الأدباء قد حاكوه فبعدوا وما قاربوا وهم فى غير هذا المجال ذوو لَسنٍ مبين ، وذكرت عدة أسماء ، ولم أذكر بينها اسم الأديب الكبير الأستاذ محمد الههياوى رحمه الله ، لأن الههياوى تأثر بالبشرى حقا إذ كان السابق إلى رسم الصور الإنسانية فى المرآة بجريدة السياسة ، فأتاح للههياوى أن يعارضه فى مجلة الكشكول وبين الرجلين الكبيرين من التقارب الأدبى ما تقام له الموازين النقدية فى مجال الترجيح ، ولو جمع الههياوى صوره الرائعة فى سفر خاص كما جمعها البشرى لكتب لها خلوداً أدبياً إذ يسهل تداولها مجموعة فى حيز خاص ، ولكن الههياوى كتب أكثر من ألف مقال فى شتى الصحف ولم يجمع منها شيئا ، ومن بينها صوره الكاريكاتورية فى الكشكول ، ولنا أن نضع أمام القارىء بعض ما قاله البشرى فى الدكتور محجوب ثابت مقرونا ببعض ماقاله الأستاذ الههياوى ليرى كيف انتقل أثر البشرى إلى صاحبه ، لا بمعنى انه اخذ منه مالم يكن لديه ، بل بمعنى انه نبهه إلى مالٍ ثمين كان فى خزينته دون أن يعلم من أمره شيئا !

قال الأستاذ البشري[٤] :

« لا شك في أن الدكتور محجوب ثابت يُعد بحق في ميراثنا القومي ، ولو ـ لا أذن الله ـ جرى عليه القدر لكان لابد للأمة من محجوب ثابت بأى طريقة من الطرق ، نعم هو في ميراثنا القومي لا يقل عن آثار سقارة ، وجامع السلطان حسن ، ومقابر الخلفاء ، ولقد أصبح على الزمان جزءاً من تقاليدنا الأهلية ، كحفلة المحفل ، وركبة الرؤية ، وشم النسيم ، ولما فكر المرحوم محمود بك رشاد في جعل العلم المصرى محلى بصور بعض الآثار القديمة ، فرعونية وإسلامية ، لم ير المصور بدا ، من أن يرسم بجانب الهرم ، وأبى الهول ، وجامع برقوق ، وحضرة سيدى أبي السعود ، صورة الدكتور محجوب ثابت ! » .

وقال الأستاذ محمد الههياوى في الدكتور محجوب ثابت :

« قد تَروعك منه هيئة البواب ، ورثاثة الأثواب ، وقد تلقاه وهو في أجمل هيئته فتحكم أنه آيبٌ من سفر بدد ليله ونهاره ، وحمل ترابه وغباره ، وربما كان الصواب أنك لقيته ولم تنقضِ ساعة منذ خرج من الحمام مغتسلاً نظيفاً ، وهو طيار كأنما خلقه الله جناحى حمامة ، يسمع الناس أن الحرب وقعت في طرابلس فلا يكاد اليقين بوقوعها يأخذ مكانه في نفوسهم ، حتى يسمعوا أن طبيباً مصرياً لحق بالمقاتلين يعالج الجرحى ، ويداوى المرضى ، ثم يكون هذا الطبيب محجوب ثابت ، وتتحدث الأنباء أن الحرب وقعت في البلقان فيذهب الناس في تصديقها مذهب الشك ، ثم تجىء أنباء أخرى بأن الدكتور محجوب ثابت هبط ميدان القتال في بعثة من الأطباء ينشر الرحمة ويكشف الآلام فيصبح الشك يقيناً »[٥] .

وفي كتاب عبد العزيز البشرى الذى ألفه الدكتور جمال الرمادى نماذج شتى للمرايا التى عورض بها البشري ، ولعلها تسعف من لا يستطيع الوصول إلى مجلدات الكشكول ، ودونها الصِّعاب !

وبعد ، فهل كان مثل البشرى في ألمعيته المتوقدة ، وبصره الناقد ، وإحساسه الدقيق ، وقدرته البليغة على التصوير الساحر مستحقاً لهذا الهجوم الجرىء الذى شنه الدكتور زكى مبارك[٦] على أسلوبه المطبوع ، فيرميه « بأنه يتصيد الأوابد ، من مجاهيل القاموس واللسان والأساس ، وتلك حال المبتدئين من الناشئين ، كما يندر أن تجد في نثره صفحة خلت من التكلف ، ويندر أن تشعر بأنه خلا لحظة إلى قلبه يستلهمه ويستوحيه ، فهو مشدود في كل وقت بزمام التفصح الثقيل ! » .

إن الذى يفند هذا الادعاء ليس أمراً

←

---

(٤) في المرآة ص ٤٣ .

(٥) عبد العزيز البشرى : للرماوى ص ٢٥٧ .

(٦) مجلة الرسالة (٢٠ يناير سنة ١٩٤١) العدد (٣٩٤) .

عبد العزيز البشرى

عسيراً ، ولكنه قراءة ماأسلفنا من مختارات البشرى فى هذا البحث ، ومتابعة ماعقبنا به من الخواطر الأدبية ، ففى ذلك مايعصف بهذا الاتهام ليصير هباء فى الفضاء ! وقد صَاوَلَهُ الدكتور زكى مبارك أكثر من مرة ، ولم يشأ أن يرد عليه ، وربما فهم من ذلك أنه لايأبه لمثله ، فواصل الانتقاد ، ولكن الحق أن البشرى أحد أمراء البيان فى هذا العصر وحسبه أن يكون جاحظ الأدب الحديث .

وما دمنا قد ألمحنا إلى نقد الدكتور مبارك لأسلوب البشرى فإننا لانتحرج من الإشارة إلى بواعث بعيدة عن المجال النقدى المحايد ، كانت بين الدوافع المغرية بتنقص البشرى ، إذ سبق أن تورط الدكتور مبارك فى الحكم على عمل علمى للأستاذ الأكبر الشيخ سليم البشري ، حين زعم أن شرح الشيخ لنهج البردة كان من تأليف ولده عبد العزيز ، وهو زعم باطل لأسباب أوضحتها من قبل فى مجلة الأزهر[٧] ، وقد ارتاع عبد العزيز لهذا الافتيات الصريح ، لأنه فى جوهره الدقيق يطعن فى ذمة شيخ الأزهر الإمام الأكبر حين قبل أن ينسب إليه مالم يقل ، كما يطعن فى مقدرته العلمية حين عجز عن شرح أبيات شعرية تقال فى مدح رسول الله ﷺ ، مع أن الشيخ الباجورى شيخ الأزهر الأسبق قد شرح بردة البوصيرى ، ولامية كعب بن زهير فى مدح الرسول الكريم ، هنا رد البشرى رداً عاصفاً ، وكان عَلىّ مبارك أن يؤثر السكوت ، ولكنه كرر فى إلحاح ، فتغيرت النفوس ، ومهما يكن من شىء فقد انتقل الجميع إلى رحمة الله ، وبقيت الحقائق فى أيدى الباحثين ، كما بقى أدب البشرى صفحة وضيئة فى سجل البيان العربى ، يَرِدُها القراء فى احتفاء بالغ وشوق شديد .

د . محمد رجب البيومى

---

(٧) مجلة الأزهر : عدد ذى الحجة سنة ١٣٩٩ هـ نوفمبر سنة ١٩٧٩ م .

الأستاذ المرحوم

كامل السيد أحمد شاهين

للأستاذ محمود عبد الرازق عقباوى

من خير الرجال وأحسنهم أخلاقاً وأعلاهم علماً ، وأوفرهم ذكاء ومعرفة واسعة ، ذواقة فى نقد الشعر وكلام العرب ، طلق المحيا باسم الثغر ، شديد الوقار ، كثير الاحتشام ، حسن السمت ، تقابله فتشعر أنك فى محضر رجل عظيم قوى الإيمان صافى السريرة .

مولده ونشأته :

ولد بقرية كفر عليم مركز قويسنا محافظة المنوفية فى يناير سنة ١٩١٦م وتربى فى رعاية والده المرحوم الأستاذ السيد أحمد شاهين أحد علماء الأزهر الشريف ، وكان - حين ولادته - يعمل مدرساً بمعهد أسيوط الدينى ، ثم نقل إلى كلية الشريعة بالقاهرة ليقوم بتدريس الفقه وأصوله على مذهب الإمام الشافعى ، فوالده أحد حملة العالمية / درجة تخصص المادة (الدكتوراه) ، وظل بها حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى عام ١٩٥٥ .

أشرف - رحمه الله - على تربية نجله وأتاح له أبوه نشأة ذكية وهيأ له أسباب الثقافة التى تؤهله لكلية اللغة العربية ، فامتاز صاحب الترجمة - أثناء وجوده بالكلية - بفضيلة التوفر على تحصيل العلم والتنافس فيه .

تخرج فى كلية اللغة العربية عام ١٩٤١ ثم نال إجازة التدريس سنة ١٩٤٣ وباعتباره أول دفعته عينته وزارة المعارف بالأسكندرية بمدرسة أميرية ثم نقل إلى مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية الابتدائية بالقاهرة عام ١٩٤٥ ثم نقل إلى معهد القاهرة عام ١٩٤٧ ثم سافر إلى بعثة فى السودان فى نفس العام ، وقد ودعه بمحطة القاهرة مساء وفد من أصدقائه الحميمين أمثال الدكتور أحمد الشرباصى - رحمه الله - والدكتور على محمد العمارى أمدَّ الله فى عمره وقد انتحوا بالشيخ كامل ناحية بعيدة عن ضوضاء القطر المزعجة وتباروا فى إلقاء الكلمات الفياضة إجلالاً وتكريماً للزميل العزيز الذى يعتبر عندهم شخصية فذة لها ذكراها التى لا تغيب عنهم .

كامل السيد أحمد شاهين

ثم عاد بعد انقضاء فترة بعثته ليقوم بالتدريس بمعهد القاهرة فترة وجيزة انتقل بعدها إلى الكويت فى بعثة ثانية وظل يعمل بها حتى تولى مشيخة معهدها الدينى ، ثم عاد بعدها ليكون عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر ـ كلية البنات الإسلامية ـ وظل يعمل بها حتى اختاره الله إلى جواره عام ١٩٦٧ .

مؤلفاته : له كتاب فى علم الصرف لم أعثر عليه ، وله كتاب فى علمى العروض والقوافى يسمى اللباب يدرس لطلاب الأزهر بالمعاهد الثانوية للصفين الأول والثانى الثانويين (القسم الأدبى) وقد بذل فيه جهداً عظيماً ، وفى الحق إنه كتاب منقطع النظير يكاد لا يكون فى ميدانه مايماثله ، وقد قال عنه الأستاذ كامل مبينا منهجه :

دعانى إلى تصنيف هذا الكتاب ماوجدت من إعراض الطلاب عن هذا العلم ، واستسخافهم له ، وبرمهم به مع سهولته ويسره ودنو مطلبه ، ولقد هديتُ إلى أن سر هذا الضيق هو الطريق الذى درج عليه التأليف فيه فالمؤلف يحشد نحو خمسين مصطلحا عروضيا ويطلب إلى التلميذ أن يستوعبها حفظا وإدراكا دون أن يفهم ماخلقت لأجله وما تفيد فيه ، ثم رأيتهم يرتبون البحور على حسب الدوائر التى ألفها الخليل وهى تقضى بجعل الطويل أول بحر مع أنه يوزن بتفعيلتين ، والطالب فى أول أمره لا يستطيع أن يزن بـ (صنجتين) ولا يتاح له ذلك إلا بعد التدريب على غيره من البحور ذات التفعيلة الواحدة المكررة .

١ ـ ولما كانت قواعد التربية الأولى تقضى ألا يُدعى الطالب إلى حفظ شىء يجهل مرماه فقد نثرت المصطلحات العروضية فى البحور نثرا ، وعرضت لها عند الحاجة إليها وإن دعا ذلك إلى التكرير فنحن فى أمس الحاجة إليه للتذكير .

٢ ـ كانت قواعد التربية تقضى بأن ينتقل الطالب من السهل إلى الصعب ، فقد بدأت بالبحور ذوات التفعيلة الواحدة المكررة ثم بالبحور ذوات التفعيلتين المكررتين ، ثم بالأبحر ذوات التفعيلات المختلفة ليكون الطالب عند عبور الأبحر الأولى على مرانة تمكنه من جواز مابعدها وهكذا .

٣ ـ ورغبة فى أن يدرب الطالب على التقطيع التزمتُ أن يكون كل مثال فى كل ضرب عبارة عن بيتين أقوم بتقطيع أحدهما ، وأدع الآخر للطالب ليقطعه مستعينا بالبيت الذى سبق تقطيعه .

٤ ـ وإتماما للفائدة أتبعت كل بحر بتدريبات متنوعة مصنفة غير جارية على نحو مسبوق ، ولا متأسية طريقا عُرف بل هى بكر عذراء ، ثم أتبعت كل طائفة من البحور بتطبيقات عامة ليتبين بها الطالب جملة قوته ويعرف حقيقة إدراكه .

٥ ـ وقد وجدت أن العروضيين إذا أخذوا من التفعيلة شيئا ووافق الباقى تفعيلة أخرى مألوفة حولوا مابقى من التفعيلة الأولى إلى التفعيلة الأخرى ـ وهذا ـ وإن كان أحسن فى المذاق إلا أنه يحسن مع المبتدىء أن تبقى التفعيلة إذا حذف منها شىء ـ على حالها ، ليتعرف على هذا المحذوف مثلا إذا دخل

الحذف (مفاعلن) صارت (مفاعى) أما إذا حولت إلى فعولن كما يفعل العلماء فذلك جدير بأن يصرف الطالب عن التعرف على مابها من تغيير .

٦ ـ ... ولقد عمدت إلى السهولة واليسر والبسط فى البيان لأننى رأيت أن الإيجاز فى هذا العلم لا يلائم عقل الشباب الذى ليست له دراسة سابقة ، على أنه كثيرا مايغرى بالاستظهار ويصرف عن الفهم والتدبر ، وإذا كان للتعليم فى مصر آفة تفسده وتحول دون الانتفاع به فإنما هى الاعتماد على الذاكرة ، والانصراف عن النظر والتفكير ، فإن رأى الأساتذة والطلاب فى هذا الكتاب طولاً فلا يروعنهن ذلك ؛ فإنه من اليسر والوضوح بحيث يستطيع الطالب أن ينعم فى النظر فيه فإذا هو ملم بما قصدت إليه إلماما كافيا ويقول رحمه الله فى ص ٧ (مقدمة فى معرفة علمى العروض والقوافى وبيان الحاجة إليهما) نظمت العرب الشعر تعبيرا عن عواطفها فى الحب والغزل وانفعالاتهم فى الحماسة والنخوة ونظمته إشاعة لأمجادها وتسجيلاً لآثارها ونظمته وصفا لما يحيط بها من أطلال وديار وحيوان ، ومايقع تحت أبصارها من مجالى الطبيعة ، نظمته فى كل ذلك وفى غير ذلك مما تتبعته فى كتب تاريخ الأدب العربى ، وكانت فى نظمها هذا قاصدة إلى التأثير وحمل السامع على أن يشارك الشاعر فيما يعتمل فى صدره ويشيع فى نفسه وكانت أدوات هذا التأثير ثلاثا :

أولاها : انتقاء التعبير المثير بذاته .

وثانيتها : وضع هذا التعبير فى قالب موسيقى هزاز .

وثالثتها : التزام لوازم فى آخر هذه القوالب

عامر السعيد شاهين

تصون هذا التأثير وتزيده .

وقد وضعت علوم ثلاثة لهذه الأدوات الثلاث فوضع علم النقد الأدبى إن صح (أن) ماظهر منه يسمى علما وهو يتضمن علم البلاغة ـ الذى يتناول الوقوف على المطابقة لمقتضى الحال وطرق التعبير عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة من حيث إن كلا من المطابقة وتنوع التعبير لهما مدخليّة فى التأثير ، ووضع علم العروض لضبط القوالب الموسيقية وحصرها وبيان مايجوز أن يدخل إجراء هذه القوالب من تحوير بزيادة أو نقص لا يختل به النغم ، ومايمتنع من ذلك لأنه يختل به ويخدش أذن الشاعر المطبوع ووضع علم القافية لبيان مايلتزم فى أواخر أبيات القصيدة من لوازم حتى يكون لها نظام واحد فلا تضطرب موسيقاها ولا يفسد ترتيبها .

←

كامل السيد أحمد شاهين

وعلم العروض وعلم القافية عِلمان ينبغى للأديب الإحاطة بهما حتى ذى الطبع المصقول والأذن المميزة .

(أ) ذلك أن بعض القوالب الموسيقية التى يعبرون عنها بالبحور تجده شديد التقارب حتى ليخرج الشاعر من بحر إلى بحر من غير تنبيه ويتورط فى هذا الخلط كبار الشعراء وصغارهم على السواء ، والوازنون من علماء العروض هم الذين يستطيعون أن يردوهم عن هذا الخلط ، ويمدوهم بما هو الصواب .

وإذا كان ذوو الطبع المواتى والأذن المرهفة يتورطون فى شىء من هذه الأخطاء فغيرهم من الأوساط ، ومن دون هؤلاء أقرب إلى الخطأ ، وأدنى من التخبط ولا يعصمهم إلا تعلم العروض واتخاذه ميزاناً لما ينتجون .

(ب) والممارسة الطويلة لعلم العروض تعين على إظهار المواهب الشعرية المستورة وتفتح المغاليق من الفطرة الشاعرة .

(جـ) على أن كثيراً من التراث الأدبى لا يفهم إلا حيث كان القارىء ملماً باصطلاحات علمى العروض والقافية ، انظر إلى قول القائل :

وبقلبى من الجفاء مديد
وبسيط ووافر وطويلُ

لم أكن عالماً بذاك إلى
أن قطع القلب بالفراق الخليل

فمن ذا الذى يفهم البيتين وما فيهما من (معنى وتورية) إذا لم يكن عالما بمصطلحات العروض ؟

وكثيراً ما يطالعك فى كتب النحو والصرف أن الشاعر ارتكب مخالفة من المخالفات ، لأن الوزن الجاه إلى ذلك ، فإذا لم تكن على بينة من أمر الوزن فكيف تستريح إلى مثل هذه التعديلات ، لا جرم انك - إذا جهلت الوزن - مضطر إلى تقبلها تلقينا لايعتمد على إدراك وحاشاك أن تطمئن نفسك إلى مثل هذا الموقف ؟

وإذا صح ذلك مع شاعر قديم عرفه العلماء فكيف أنت بالشاعر الذى لم تقف على خبره إذا ارتكبت مخالفة ما : أتردها إلى ضرورة الوزن وأنت تجهله ، أم تبادر إلى تخطئته وأنت لم تستبن أمره ؟ وفى القافية قد يستعمل الشاعر بعض الاصطلاحات التى وضعها العروضيون ، ولقد أولع بذلك المعرى كما فى قوله :

بعد عن الناس خير من لقائهم
فقربهم بالحجى والدين إزراء

كالبيت افرد لا (إيطاء) يدخله
ولا (سناد) ولا بالبيت (إقواء)

فأبو العلاء حين يعتزل الناس ، يأمن على نفسه من النقص فى العقل والدين وهو فى هذا كالبيت المفرد الذى ليس بعده بيت آخر ، فإنه لا يتصور أن يدخله الإيطاء ولا الإسناد ولا الإقواء ؟ فهل تستطيع أن تدرك الشبه بين أبى العلاء المعتزلى وبين البيت المنفرد إذا لم تعرف ما الإيطاء وما السناد وما الإقواء ؟

ولقد يخون الطبع المواتى فى القافية كما يخون فى الوزن فلقد رووا عن النابغة :

مسقط النصيف ولم ترد إسقاطه
فتناولته واتَّقَتْنا باليد

بمخضب رخص البنان كأنه
عنم يكاد من اللطافة يعقد !!

فهذا عيب ظاهر وقع فيه فحل من فحول الجاهلية . فما الظن بغيره من أوساط الشعراء وخفافهم ؟

وفي الحق أن لنا أن نفخر بهذا المُؤَلَّف الذي ألفه هذا العالم الجليل فيسر الله ـ سبحانه ـ له أن يكون درة لا يعلقها (زبد) ولا يعقلها إلا العالمون .

طريقته في الكتابة :

كان له أسلوبه المتميز الذي يسره لقلمه تذوق الأدب العربي تذوقاً دقيقاً عميقاً في مجالاته المختلفة متسماً بالصدق والقوة فصارت له سليقة عربية خالصة جعلت لألفاظه اتساقاً حلواً وطلاوة جذابة[١] .

كانت الكتابة سلاحه في الدفاع عن قضاياه والذود عن حماه ، محتفظاً فيها بشخصيته وطابعه المنبثق عن ينابيع الإلهام الصادقة في نفسه ، وقد حدثت بصفحات الرسالة محاورات أدبية ومعارك قلمية في البلاغة كان قطباها الأستاذ / أمين الخولي والدكتور علي العماري فأدلى الأستاذ كامل بدلوه في الدلاء لا ليقف بجانب زميله بالفصل الدراسي بالكلية الأستاذ العماري ولكن ليقف إلى جانب الأستاذ الخولي في كتابه ومحاضراته بالجامعة (تجديدات في البلاغة ، أو البلاغة بالجامعة) فنشأت معارك قلمية تمحصت بسببها حقائق وتبينت طرائق بين الفريقين فكان يرى الخولي أن آراءه تعطي مفهوماً جديداً وابتكاراً وتخفيفاً وتجعلنا ننظر إليها نظرة جديدة غير التي ألفناها حتى يعد مجدداً أَوْحَد ، وكان يرى الأستاذ العماري أن تجديدات الأستاذ الخولي تحمل في ثناياها معاول هدمها ثم كان الحق مع الأستاذ الدكتور العماري ، فإن آراء الخولي لم تعش ، عاش صاحبنا حياته في وقت ارتفعت فيه هنا وهناك في البلدان العربية صيحات كثيرة تدعو الأدب للمشاركة في النضال والوقوف مع الشعب العربي في معاركه وجعلت شعارها (الأدب في سبيل الحياة)[٢] وتنكران يكون الأدب للأدب أو الأدب لذاته « أو الفن من أجل الفن » وكانت مجلة الرسالة ميداناً يدعو إلى التسلح بالعلم والتحرر من ربقة التقليد الذي لا أصل له في قوميتنا .

وكان الأستاذ كامل يمتاز بالعاطفة المتأججة والإحساس المشبوب يجاري فيه الأقدمين بمتانة نسجه القوي وألفاظه المنتقاة وكان يجهر بآرائه وهو بها مقتنع . متصلاً في ذلك بحبل الإسلام المتين غير ذائب في الدعوات الشاذة والمروق الفاتن ، وكان وعاء ذلك مجلة الأزهر ، ومجلة الرسالة وغيرهما .

وإليكم نماذج من بعض ماكتبه الأستاذ كامل على صفحة الرسالة مناشداً وزارة

---

(١) ... وكلمة للتاريخ :
لقد كان احمد حسن الزيات رئيس تحرير مجلة الأزهر ، وكنت أعمل معه (أمينا للتحرير) فكانت هناك عدة مقالات لكاتبين لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة ـ كان الزيات يحرص على قراءة مقالاتهم ، بل كان يحتفل لها باستعداد خاص لا أجده يستحضره لغيرهم من الكتاب ، في مقدمتهم الأستاذ كامل صاحب الترجمة ، وفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي الداعية المعروف .... د /الخطيب .

(٢) الشعر والشعراء في العراق للأستاذ أحمد أبي سعد (المقدمة) .

المعارف الإصلاح والتنظيم وحسن التجهيز وهى بلا شك آراء علمية متطورة ، كتب بعنوان : (وعلى هذا فنحن ندور) .

هاهو ذا العام الدراسى قد ابتدأ بعد أن تحيفته عوامل وأسباب نستكره الخوض فيها ، ونرجو أن تكون عوامل خير واستعداد وتهيؤ لا عوامل تخوف واستيحاش وإجفال - بدأ العام الدراسى بعد شهور خمسة قضتها الوزارة فى فتح المدارس وتنظيم المصروفات ، وإجراء التنقلات والترقيات وغير هذا مما هو من نصيب المدرس أو الناظر أو المراقب وكلهم بحمد الله يقظ مفتح العين مترقب عامل دءوب متنسم لأخبار الترقيات والعلاوات متخصص فى تطبيق الكادر سباق إلى ذوى الحظوة المقربين ليقفز درجة أو ينال مرتبة ، وقد ابلت وزارة المعارف بلاءها السنوى فَنَال من نال وحُرم من حرم ، وبات الجميع بين مفطور القلب أسوان ومفتر الثغر فرحان .

وأما الذى نسيته الوزارة والقوامون على تصريف شئونها واغفلته شر إغفال ولم يذكرها به مذكر فذهب ضياعا وراح هدرا فهو حق التلميذ ، فللتلميذ الحق الأول لدى وزارة المعارف وليس حقه هذا فى مصروفات تزاد أو تنقص ولافى غذاء يخفف أو يجود ....

ابتدأ العام الدراسى ونظرنا فإذا المقررات هى هى وإذا الكتب هى هى منذ عشرة أعوام حتى لكأنما سار هذا الموكب الحافل من المدرسين والمفتشين طوالها لا يلمسون عيبا ولا يحسون عوجا ، ولا يرضون عنها بديلا ، وكأنهم رضوا ما آتاهم المفتشون ولصقاؤهم من كتب خالدة باقية على الزمن يتغير كل شىء ولا تتغير ، وتعيش فى جو يجر التلميذ والمدرس إليه كرهوا أم رضُوا ، تعبوا أم استراحوا فإنما هو تأليف فلان أو فلان من الخيرة الأعلام الراسخى الأقدام ! يتغير كل شىء ويتطور وتخرب الأرض وتعمر ، وتقوم الحرب وتضع أوزارها ، وتثور الشعوب وتخمد ثورتها ، والكتب المدرسية ماضية فيما هى فيه ، لا تتأثر بهذه الأحداث .

وأى عيب فى هذا ؟

أليست حقائق الأشياء ثابتة مالها من زوال ؟!!

آراؤه فى مناهج وزارة (المعارف) :

يقول - بشأن الجمود على دراسة الأدب العربى فى إطار نماذج مرتبطة بالعصور متناسية من أعلام الأدب من تميز بوجهة أو مدرسة وما يستتبع ذلك من حفظ التلميذ لنصوص لا يتفاعل معها ولا إحساس له بعصرها - :

وقد اقترحنا علاج هذه المشكلة : أن يقرر مع العصر روايات لها فائدتها فى إنارة العصر المدروس وأحواله الاجتماعية فرب رواية تكون اجدى على التلميذ من قراءة كتاب من موسوعات أدب اللغة(٣) .

اقترحنا أن تقرر رواية عنترة بن شداد مع العصر الجاهلى ، ورواية شاعر ملك مع العصر الأندلسى . ورواية فارس بنى حمدان مع

(٣) اخذت وزارة التربية والتعليم فيما بعد بهذا الاقتراح ... مجلة الأزهر .

العصر العباسى الثانى ، وأن تنشأ روايات أخرى لهذا الغرض عينه يراعى فيها الإكثار من الشواهد والتحرى بطابع العصر فلذلك فائدته وجدواه ، وقلنا إن التاريخ الأدبى مغلول بالتاريخ السياسى مقيد به ، ومع اعترافنا بقيم الأحداث السياسية فإننا نرى أن متابعة تاريخ الأدب للتاريخ السياسى خطوةً خطوة وشبرا شبرا مما يتضمن الإسراف على حقائق الأدب وتطوره إلى أبعد مدى ، وقلنا إن الدراسات النثرية فى الأدب لم تأخذ حظاً وأفيا من الدراسة وإن الشعراء خطوا خطوة واسعة على حين أهمل أمر كثير من الكتاب ، ولو أننا تتبعنا الأعمدة التى وضعها الكاتبون فى أدب اللغة لتطور الكتابة لوجدناهم قد راعوا ناحية الوظيفة ، فجعلوا من الكتاب الموظفين أعمدة على حين بقى غيرهم لا يعرف ولا يشار إليه ففى هذه الطريقة تجد (عبد الحميد) وهو موظف ثم بعد تجد (ابن العميد) ثم بعدهما تجد (القاضى الفاضل) وهما موظفان كذلك ، فيملأ العجب جوانحك وتتساءل فى استغراب ودهش . أين إبراهيم بن المهدى وهو ذو أسلوب فى النثر مبتدع ؟ وأين الجاحظ سيد كتاب عصره والذى سوّى لنفسه طريقة لا تزال تؤتسى إلى يومنا هذا ، وهذان مثلان من مثل كثيرة ليس هذا مقام تتبعها ، وأيا ماكان فإنه يجب أن يخطط تاريخ الكتابة تخطيطا جديداً ويخص بقسط من العناية أوفى ، قلنا هذا كله وسمعنا إطراء وثناء وبدت لنا الآذان مفتحة والنفوس منشرحة وَوُعِدْنا بالنظر فكان النظر فى كل شىء إلا فى حق التلميذ فقد بَقِىَ على قِدَمِهِ .

وكم كان بودى أن أنشر مادار بين الأستاذين الجليلين العمارى وشاهين من آراء ونقد فى علوم البلاغة دارت رحاها على صفحات مجلة الرسالة لتعيد من تلك الثروة التى تساعد الثقافة وتؤازر صرح البلاغة لكن .. حيث لا متسع فليتتبعها القارىء ـ إذا أراد ـ فى هذه المصادر :

بدأ الكتابة على صفحات الرسالة الأستاذ الدكتور على العمارى المقال الأول فى العدد ٨٦٧ السنة الرابعة عشرة الاثنين ٦ من شوال سنة ١٣٦٥ ـ ٢ من سبتمبر سنة ١٩٤٦ رداً على الأستاذ أمين الخولى بعنوان البلاغة فى الجامعة ، ص ٩٦٧ .

وفى العدد ٦٨٩ الاثنين ٢٠ من شوال سنة ١٣٦٥هـ ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٤٦ ص ١٠٣٩ مؤازرة من الأستاذ على الطنطاوى الأديب السورى المعروف للأستاذ على العمارى .

وعن علوم البلاغة فى الجامعة المقال الثانى العدد ٦٩٠ الاثنين ٢٧ من شوال سنة ١٣٦٥ الموافق ٢٣ من سبتمبر ١٩٤٦ ص ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ وبقية ب ص ١٠٥١ .

وشكر من الأستاذ العمارى للأستاذ الطنطاوى لتأييده ومناصرته فى صفحة البريد الأدبى للرسالة ص ١٠٩٥ العدد ٦٩١ الاثنين ٥ من ذى القعدة سنة ١٣٦٥ ـ ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٤٦ .

ورد من الأستاذ / كامل شاهين بالرسالة العدد ٦٩٢ الاثنين ١٢ من ذى القعدة سنة ١٣٦٥ ـ ١٧ من أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، ص ١١١٨ ، ص ١١١٩ بعنوان علوم البلاغة بين القدامى والمحدثين وهو يناصر الأستاذ أمين الخولى ويدافع عنه .

كامل السيد أحمد شاهين

ويتحدث الأستاذ العمارى بالعدد ٦٩٣ الاثنين ١٩ من ذى القعدة سنة ١٣٦٥ ـ ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، ص ١١٣١ بنفس العنوان السابق علوم البلاغة فى الجامعة .

وفى العدد ٦٩٤ الاثنين ٢٦ من ذى القعدة ١٣٦٥ هـ ـ ٢١ من أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، ص ١١٦٦ يتحدث الأستاذ العمارى ويرد على نقد مع البلاغيين الذى كتبه الأستاذ كامل شاهين فى عدد الرسالة ٦٩٢ تحت عنوان علوم البلاغة بين القدامى والمحدثين .

وفى العدد ٦٩٦ الاثنين ١٠ من ذى الحجة سنة ١٣٦٥ ـ ٤ من نوفمبر سنة ١٩٤٦ يرد الأستاذ كامل شاهين على الأستاذ على العمارى بعنوان ردٌّ على ردٌّ ص ١٢٣٧ .

وفى العدد ٦٩٨ الاثنين ٢٤ من ذى الحجة سنة ١٣٦٥ ـ ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٤٦ ، ص ١٢٨٣ يتحدث الأستاذ شاهين رداً على الأستاذ العمارى بعنوان (موازين البلاغة بين القدامى والمحدثين) .

وفى العدد ٧٠١ الاثنين ١٥ من المحرم سنة ١٣٦٦ ـ ٩ من ديسمبر ١٩٤٦ يتحدث الأستاذ على العمارى بعنوان علوم البلاغة فى الجامعة ص ١٣٥٩ .

وفى العدد ٧٠٣ الاثنين ٢٩ من المحرم سنة ١٣٦٦ هـ ـ ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٤٦ ص ١٤٢٠ يتحدث الأستاذ العمارى بالعنوان السابق يرد على الأستاذ أمين الخولى وعلى زميله الأستاذ شاهين .

وشاءت الأقدار أخيراً أن يصهر الأستاذ العمارى إلى الأستاذ كامل شاهين ويتزوج أخته ويمتزج العلم بالصداقة والمعرفة بالنسب ويُحكم العلم أواصر المودة والقربى بينهما فتتوثق العرى وتتوطد العلائق ..

علمـــه :

كان ـ رحمه الله ـ على نجابة باكرة وعقلية نادرة ، لا شرود بها ولا تفاوت ، وكان أستاذنا الشيخ أحمد شفيع السيد ـ رحمه الله ـ يقول « إننى أسهر الليل وأظله من أجل هذا الطالب » ويقصد : الطالب كامل شاهين ، وكان المتنافس معه علمياً الدكتور على العمارى أبقاه الله فكانا معاً فى فصل واحد .

ولقد ظهر علمه المنير وأفقه الواسع فى كتابه العروض المسمى باللباب وأضاءت فسمات نفسه العريضة صفحات الرسالة بما سكبه عليها من علم عاطر وأدب عامر .

أخـــلاقـــه :

نسيج وحده لجودة رأيه وبعد همته ونبل شيمه ، وما كان ذلك إلا من استجماع لبه وكياسته وكان متديناً إذا ماخلا لنفسه اتجه إلى الله عابداً مصلياً مُنَزِّهاً مُقَدِّساً ، على صوت خفيض عندما يتحدث وأدب وافر يؤلمك أن تفتقده . عف اللسان غاضا عن العورات .

وفـــاتـــه :

طواه الردى ـ رحمه الله ـ فى السادسة من صباح غرة ربيع الآخر ١٣٧٨هـ الموافق ١٩٦٧/٧/٨ . مشيعـاً إلى مقره بـ(البساتين) بين جلة من إخوانه العلماء يتقدمهم زميله وصهره زوج أخته الدكتور على العمارى .

ولفضيلته من الولد أربعة منهم ثلاثة ذكور ، وجميعهم تخرج بعد تعليم جامعى تام رحمه الله وأجزل ثوابه ، ونفعنا بما ترك من تراث جيد رفيع المستوى .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

إلى الرسول

مولد رسول الرحمة

فى رحابك يا رسول الله

إلى الرسول في يوم ميلاده

مدحتك مفتونا بشرعتك الغرا ... وتلك لعمر الحق آيتك الكبرى
وما في يد التاريخ انصع صفحة ... سواها ، ولا اعلى مكانا ولا قدرا
انرت بها الدنيا فلم يكب سائر ... ولا ضل في انوارها البرّ والبحرا
وقدمتها للعالمين هداية ... فارشدت مِدْلاجا وانقذت مضطرا
وحررت مغلولا وقومت مائلا ... وناصرت مغبونا وادبت مغترا
فاخرجت للدنيا صناديد قادة ... إذا مادجا ليل الورى طلعوا زُهْرا

• • •

وُلدت يتيما لم تُمتَّع بوالد ... يراك على هام الدنا ابنه البكرا
وَودَّعت أُمًّا فارقتك حبيبة ... فيالمصاب فادح يقصم الظهرا
وفي ظل بيت الله عشت طفولة ... قد امتلات نُبْلا وقد عبقت طهرا
ولم ترض ان تحيا على الناس عالة ... وفي العمل الخلاق ما يجلب الخيرا
فتاجرت في مال الطهور خديجة ... فباركتها ربحا واعليتها ذكرا
وفي رعيك الاغنام درس مهذب ... يعلمنا فن السياسة والصبرا
واى جلال عم اغنامك التى ... إذا قورنت ازرت بقيصر او كسرى

• • •

وفكرت في دنيا عجيب مذاقها ... فانا تُرى شهدا وآونة مرا ..
وابصرت ارضا افرخ الشر فوقها ... وقد أشعلت حربا وقد اظلمت جورا
ووادّ بنات ما اقترفن خطيئة ... وَخَمْرًا اضاعت عقل من شرب الخمرا
لقد خالط الجدب العقول فاجدبت ... الم ترهم من جدبهم عبدوا الصخرا

---

* الشاعر : موجه التربية الدينية بالتعليم الثانوى بمنطقة شبرا التعليمية .

للشاعر: أحمد المنشاوى الوردانى

وفى الغار حيث الصمت والأمن وارف ... تطلعت نحو الأفق تنتظر الفجرا
فضاءت بأفق الغار أَوَّلُ آية ... بدأت بها فى كل مكرمة عصرا
وسرت بها فى البيد غيثا فأزهرت ... وتاهت على روض الربى تلكم الصحرا
ولم تعد البيداء كهف مجانة ... وقد سارت الآيات فى رحبها طهرا

○ ○ ○

حملتَ من الرحمن خير رسالة ... إلى عالم يستمرىء الشرك والكفرا
وأوذيت لم تعبأ ومن يحمل الهدى ... فأهون شىء أن يرى الكيد والمكرا
وجمعت بالحب المقدس انفسا ... وَأَدَّبْتَ لم تنطق سفاها ولا هجرا
وصنت على الارض السلام بجحفل ... يَرُدُّ ربيب الشر عن قصده قسرا
وما السلم إلا قوة مستعدة ... تصون على الأحرار حصنهم الحرا
فمن نام فى مرعى الذئاب اقْتَنَصْنَهُ ... وانشبن فى أحشائه الناب والظفرا
لك المعجزات الخالدات على المدى ... بتعميرها تعطى لأمجادنا عمرا
فهذا كتاب الله اعلى منارة ... تقوم به الدنيا وتسمو به الأخرى
كتاب تحدى العالمين بيانه ... عجائبه فى كل أونة تترى
وماضر اهل الارض ان يهتدوا به ... ويتخذوا من آيِهِ النهى والامرا
إذا لم يكن إلاه ذكرى لأحمد ... فما أعظم الهادى وما أطيب الذكرى
محمدُ ياخير الهداة ، لوت بنا ... حوادث عاقتنا فلم نكمل السيرا
ومن قبل كنا سادة الناس كلهم ... لنا العزة القعساء والنهضة الكبرى
تعلم منا الغرب من بعد جهله ... ومِنْ عِلْمِنَا قد جاز أيامَهُ الغبرا
علوتَ على هام الكواكب ساريا ... على مركب لا يعرف المد والجزرا
لعل بذكْرَاكَ الكريمة يقظة ... تحرك موتانا وتصهرهم صهرا
ليسترجعوا الماضى المجيد ويبتنوا ... على صرحه مجدا يخلدهم ذكرا
ويرتفعوا فوق الخلاف ويلتقوا ... ليأسوا جراحات بهم نغرت نغرا
ففيها لمن يبغى الكمال معارج ... وفيها لمن ينسى معالمه ذكرى

مولد رسول الرحمة

صلى الله عليه وسلم

عسر عسران أحمد

من فيض نُورِك قد قَبَسْتُ بياني ... وبطيب رَوْضِك غَرَّدتْ الحاني
الروح فاز بنفحة علوية ... وسخا العطاء وزيد فى الإحسان
هانت فى ساح النبوة تجتلى ... وجه الهدى فى واحة الإيمان
من لى ونفسى تشتفى بحبيبها ... من لى سواه مطهرا أدرانى
الحب فى هذى البرية علة ... والحب فيك ذخائر ومعانى
ولئن تعذب فى المحبة عاشق ... فأنا السعيد بحبك المتدانى
إن كنت أظفر بالرضاء فإنه ... زاد الطريق ومرفأ الحيران
ولئن أويت إلى رحابك إننى ... ذو حظوة بخمائل الرضوان

● ● ●

النور يومض للأنام بشدة ... أمل السفين وطلعة الريان
وقفت له الأفلاك فى دوراتها ... والكون ثاب وأطرق الثقلان
ولد البشير فيا لها من ليلة ... غراء تسطع فى رُبَا الأكوان
تصبو السماء إليه وهى حفية ... وتناقلته ملائك الرحمن
وازدانت الدنيا وكل بقاعها ... نشوى تُبَارِكُ مقدم العدنانى
وضعته آمنة برفق لم تصب ... ألما كما يلقى بنو الإنسان
حُمِل الوليدُ لجده فتهللت ... منه الرؤى وتندت العينان

● ● ●

لك يانبى الله جئتك لائذا ... أَسْعِدْ بقربك طالبَ الغفران
لازال مولدك الشريف لنا هدى ... ومواعظاً دفاقة البرهان
وليذكر التاريخ مولد أحمد ... بالفخر والإجلال والعرفان

في رحابك يا رسول الله

صلى الله عليه وسلم

نور نافع

آثقلتها حرقة النَدمِ ... مهجةٌ تسعى على قدمِ
قد براها الوجد وانزلقت ... ساقها من سيله العرم
كلما قامت تساقط من ... بعضها بَعْضٌ ولم يقم
فإذا ما عندكم وصلت ... فهي أوصال من العدم
خذ يديها يارسول بها ... حبل ود غير منفصم
بين فوج جاء مقتحما ... ثم فوج غير مقتحم
أين كأس يارسول لنا ... أين وصل الزهر بالدِّيَم ؟
قل وعفوا إن طلبت لها ... من سماء العارض العمم
جئتِ بالوعثاء فاغتسلي ... جئت للمعصوم فاعتصمي
ياأبا الزهراء ليت لها ... حين تسعى موضع القدم
ياحبيبي والهوى ذمم ... هل ترى وفيت بالذمم ؟

من روائع الماضى

فضيلة كتمان السر

فضيلة من اسمى الفضائل . وخصلة من أكرم الخصال . تلك هى خاصية (كتمان السر) تقى الإنسان عثرات علاقته بالمجتمع ، وتحميه من السنة القيل والقال : قال الكاتب ـ رحمه الله :

عن ثابت بن أسلم البنانى ، عن أنس رضى الله عنه قال : « أتى علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان ، فسلم علينا ، فبعثنى فى حاجته ، فأبطأت على أمى ؛ فلما جئت قالت : ماحبسك ؟ قلت : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة . قالت : ماحاجته ؟ قلت : إنها سر ، قالت : لا تخبرن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . قال أنس : والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به ياثابت » رواه مسلم[1] .

***

خلة من خلال المروءة والنبل ، وآية من آى

الشرف والعقل ، وسمة من سمات المجد والرشد : تلك هى صيانة السر ، والمبالغة فى كتمانه ، والحرص عليه أن يمس .

وحسبك دليلاً على منزلة هذه الخصلة فى قلوب الناس قاطبة ، إجماعهم على امتداح صاحبها ، ووزنهم عقل الرجل وشرفه ، وهمته ومروءته ، بميزان حفظه للسر ودفنه له ؛ وقديما قالوا : « صدور الأحرار قبور الأسرار » .

ومما لا ريب فيه أن الناس على حفظ الأموال أقدر منهم وآمن على حفظ الأسرار ، فليس كل أمين على المال حفيظاً على السر ؛

ولذا يبلغ المرء من الجهد والنصب فى تخير من يستودعه مكنون سره ، مالا يبلغ معشاره فيمن يستودعه نفيس ماله ؛ ويخاف على سره أن يذاع ، أكثر مما يخاف على ماله الضياع ؛ لأن المال غاد ورائح ، وأما السر

---

(١) وروى البخارى بعضه مختصرا .

لفضيلة الأستاذ الشيخ : طـــه الســـاكت

إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات

فقد يكون فى إفشائه إزهاق روح أو تمزيق عرض .

***

وأولى الناس بأن يقدر هذه الفضيلة قدرها ، من تربوا فى حجر النبوة ، أو تأدبوا بآدابها ، واقتبسوا من نورها .

وهذه قصة رائعة فى كتمان السر ، يقصها ثابت البنانى عن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وثابت هذا من سادة التابعين علما وفضلا ، وعبادة ونبلا ، وكان أثيرا لدى أنس ومقربا عنده ، يفضى إليه بذات نفسه ، ويبثه مكنون صدره ، ويختصه بأكثر ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القصة بينة جلية ، غنية عن البسط والشرح ، وإن تكن موجزة فهى ، على وجازتها ، ترجمة واضحة لمثل عليا فى أخلاق الخادم ومخدومه .

ففيها رفق المخدوم بخادمه ، والتخلية بينه وبين لداته وأترابه ، يلعب معهم لعبا طاهرا بريئا . وفيها الاهتشاش للصبيان والخدم ، وإيناسهم ، وتفريحهم بالتسليم والتحية . وفيها نباهة الخادم وحذقه ، وكتمانه سر مخدومه ، حيا وميتا ، عن أقرب الناس إليه ، وأكرمهم لديه .

وموضع العجب فى خلق أنس ونبله ، أن يكتم حاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) دون أن يستكتمه إياها ، ولو استكتمه لا عتذر بذلك لأمه ؛ وأجمل من هذا وأعجب ، أن يضبط نفسه وهو لا يزال يلعب مع الصبيان ، على حين يتطوع بالأسرار كثير من الشيوخ والشبان .

ولله در أم سليم(٣) ما أعظم تربيتها ، وأجل مدرستها(٤) وأكرم وصاتها لابنها الا يخبرن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا كائنا من كان ؛ لا جرم أنها فرحت بأن يكون ابنها موضع ثقة الرسول الأكرم ، فأحبت أن يزداد عنده ثقة وحبا ؛ ومن أحظى وأسعد ممن وثق به المعصوم وأحبه ؟!

لقد كانت أم سليم صادقة الفراسة ، كريمة الهبة ، إذ أتت بابنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه إلى المدينة وهو غلام حدث ، فقالت : يارسول الله هذا أنيس ، غلام يخدمك ، فادع الله له ؛ فدعا له وقبله . ولقد صدق فراستها أنه خدم النبى صلى الله عليه

←

(٢) قال شراح الحديث : هى حاجة من حاج بيته صلى الله عليه وسلم ، ولو كانت من العلم ماوسع أنسا كتمانها .

(٣) اشتهرت بكنيتها هذه ، حتى كأنها اسمها لا تعرف بغيره ؛ وليس لها ولد يدعى سليما . وهى وابنها أنس وزوجها أبو طلحة وابنها عبد الله بن أبي طلحة من أعظم بيوتات الأنصار شرفا وفضلا ، وحسبك أن النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يدخل بيتا بعد بيوت أزواجه غير بيت أم سليم ، فقيل له ؛ فقال إنى أرحمها ! قتل أخوها وأبوها معى !

(٤) إشارة إلى بيت حافظ إبراهيم وهو مشهور .

وسلم عشر سنين ، مقامه بالمدينة ، فما قال له اف قط ، ولا لشيء صنعه لم صنعته ؟ ولا لشيء تركه لم تركته ؟!

ذلك مثل من الطراز الأول فى الأمومة وتربيتها ، والبنوة وادبها ، إلى جانب النموذج الأسمى فى حفظ السر وكتمانه .

***

ومثال آخر لا يقل عن سابقه جلالا وروعة ، فى كتمان السر وإن لم يستكتم ، يرويه البخارى عن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهما قال : لما تأيّمت حفصة من خُنيس بن حذافة السهمى ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد شهد بدراً ، توفى بالمدينة ـ لقيتُ عثمان بن عفان ، فعرضتُ عليه حفصة فقلت : إن شئت انكحتك حفصة بنت عمر ؛ قال : سأنظر فى امرى ، فلبثت ليالى ، فقال : قد بدا لى الا اتزوج يومى هذا . قال عمر : فلقيت أبا بكر فقلت : إن شئت انكحتك حفصة بنت عمر ، فصمت ابو بكر فلم يرجع إلى شيئا ، فكنت عليه أوجد منى على عثمان ، فلبثت ليالى ، ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحتها إياه ؛ فلقينى ابو بكر فقال : لعلك وجدت علىَّ حين عرضت علىّ حفصة فلم أرجع إليك شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت إلا انى قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم اكن لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها لقبلتها .

وموضع العبرة فى هذا المثال أن الصديق لو أجاب الفاروق لكان مفتاتا على النبى صلى الله عليه وسلم ، بل لكان مسيئا إلى حفصة وابيها ؛ لأن دخولها فى حظيرة أمهات المؤمنين لايعدله شيء بعد الإيمان بالله ورسوله أما التعريض بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما تهابه السنة المؤمنين ، فضلاً عن سيد الصديقين ؛ على أن عدوله صلى الله عليه وسلم عنها كان محتملاً ، فلو ان أبا بكر اذاع بالسر أو عرَّض به ، ثم رغب عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأخذ عمر من الهم والغم ، وهو الجلد الشجاع ، مالا قبل له باحتماله ! فليصمت الصديق إذاً ، وليؤثر الصمت ، إذا كان هو الحزم والكيْس ، على وجد الفاروق وغضبه ، حتى يقضى الله امره .

وقد خار الله لعثمان ، وعمر وابنته جميعا ، فزوج ذا النورين خيراً من حفصة ، أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان عثمان قد تأيم من شقيقتها رقية ؛ وزوّج حفصة خيراً من أبى بكر ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ .

ولم يجد أبو بكر فى نفسه حرجا بعد أن أعلن النبى صلى الله عليه وسلم خطبته ، أن يعتذر لصديقه الذى عتب عليه وغضب ، لأنه لم يحر عند السؤال جوابا ، وتركه فى حيرة من امره ؛ بل رأى حقاً عليه فى باب المكارم أن يزيل مافى نفسه بإبداء المعذرة واضحة صادقة .

***

ومن هذا الطراز فى كتمان السر إلى أن يحين إبانه ، قصة الزهراء مع الصديقة رضى

الله عنهما : روى الشيخان عن عائشة قالت : كنَّ أزواجُ النبى صلى الله عليه وسلم عنده ، لم يغادر منهن واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشى ، القرآن مرتين ، بعد أن كان جبريل يدارسه كل عام مرة فحسب ؛ وعلم أن سيكون أشد الناس حزناً عليه هى ابنته فاطمة التى لم يترك من بعده ذرية سواها ؛ فأحب أن يهوّن عليها وقع المصيبة الجلى رحمة بها وحنانا ؛ فلما جزعت بشّرها بأنها أقرب أهل بيته لحوقا به ، كما فى إحدى روايات مسلم ، وبأنها سيدة نساء المؤمنين فى الجنة .

فطنت الزهراء إلى أن مناجاة أبيها لها بهذا الحديث من الأسرار الخطيرة التى لابد من كتمانها فى حياته ، وإلا فلِمَ خصها بالنجوى دون أزواجه ؟

وعبثا حاولت الصديقة من بين أمهات المؤمنين أن تلج باب هذا السر ، لأن الزهراء ـ وهى أكرم ابنه لأعظم أب ـ قد أغلقته فأحكمت إغلاقه ، حتى إذا قضى الله قضاءه فتحته إذ لم تجد فى فتحه ضرراً ، بل رأت فيه نفعاً وخيراً . ومن هذا استنبط العلماء أن من السر مايجوز إظهاره ، وقد يستحب ، إذا انتهى أجله ، وقصدت المصلحة من وراء إعلانه ؛ وقد يجب إظهاره إذا كان وصية

بخير ، أو قضاء لدين أو أداء لحق ؛ وأما إذا لم يكن فى إظهاره مصلحة ، فمن الخير والإيمان أن يكتم أبداً ولو مات صاحبه .

هذه ثلاثة أمثلة من النماذج العليا فى كتمان السر ، فى كل واحد منها هدى لمن أراد أن يكون للأسرار كتوماً ، وللمروءات أهلا ، وللثقة والمكارم موضعا .

ماتخطىء مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فلما رآها رحب بها فقال : مرحبا بابنتى ! ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ؛ ثم سارها فبكت بكاء شديداً ؛ فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت . فقلت لها : خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين نسائه بالسِّرار ، ثم أنت تبكين ؟ فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها : ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : ماكنت أفشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره . قالت : فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : عزمت عليك بما لى عليك من الحق لما حدثتنى ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥) ؛ فقالت : أما الآن فنعم . أما حين سارنى فى المرة الأولى فأخبرنى أن جبريل كان يعارضه القرآن(٦) فى كل سنة مرة ، وأنه عارضه الآن مرتين ، وإنى لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقى الله واصبرى ، فإنه نعم السلف أنا لك ! قالت فبكيت بكائى الذى رأيت ! فلما رأى جزعى سارنى الثانية ، فقال : يافاطمة ، أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة ؟ قالت : فضحكت ضحكى الذى رأيت .

رأى النبى صلى الله عليه وسلم أمارات تدل على اقتراب أجله ، ومنها مدارسته

(٥) تقول أقسمت عليك لما فعلت كذا أى إلا فعلت .

(٦) أى يدارسه إياه ، فيقرأ جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم يتابعه .

العلوم الكونية

أشعة الليزر ومجالات استخدامها

في ٧ مايو عام ١٩٦٠ اعلن « تيودور مايمان » في « مؤتمر اخبار نيويورك » عن اكتشافه لأول جهاز « ليزر » كمصدر جديد للضوء المركّز . ولم تمض بضع سنوات على هذا الاكتشاف حتى ظهرت آثاره الهائلة على حركة التقدم العلمي والتقني في مختلف المجالات ، ولا يكاد يمر يوم حتى نسمع عن طفرة علمية هنا أو هناك يكون لتقنية الليزر فيها دور كبير .

فما الأساس النظرى لعمل هذا المصدر ؟

وما طبيعة الأشعة الصادرة عنه ؟

وما آفاق استخداماته في الحاضر والمستقبل ؟

نظرية عمل الليزر :

من المعروف أن الطابع الديناميكي لتقدم العلوم يتحقق بتواصل جهود العلماء وتنافسهم في السبق إلى كشوف علمية جديدة ، وأن عملية التصحيح المستمرة لمسار المعرفة العلمية تتم بتراكم المعارف والخبرات عبر تاريخ طويل ، حتى تصل إلى الدرجة التى تسمح معها وقائع جديدة بظهور كشف علمى خطير ، على أنقاض معلومات نظرية وتجريبية قديمة . ومن يتتبع مراحل التطور التاريخى لنظرية الضوء بصورة عامة سوف يجد أن اكتشاف أشعة الليزر على يد مايمان في عام ١٩٦٠ كان سيصبح مستحيلاً بدون مشوار طويل بدأه علماء الإغريق ، ثم تلاهم علماء الحضارة الإسلامية وفي مقدمتهم الحسن بن الهيثم مؤسس علم البصريات التجريبى ، ثم تتابعت جهود العلماء بعد ذلك في عصر النهضة الأوربية الحديثة حتى توافرت معلومات أساسية هامة عن الذرات ومستويات طاقاتها وسلوكها وتطور نماذجها ونظرياتها .

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

وبقدوم عام ١٩٠٠ كان العالم المعروف « ماكس بلانك » قد توصل إلى نظرية جديدة من دراسته لتفسير توزيع الطاقة الإشعاعية الصادرة عن الأجسام الساخنة غير العاكسة المسماة « الأجسام السوداء » . وتقضى نظرية بلانك هذه بأن بعض الكميات الفيزيائية كالطاقة والشحنة تتخذ (قيما صغيرة غير متصلة) تسمى كمّات Quanta ، تزداد أو تنقص ، بالامتصاص أو الإشعاع ، بقيم غير متصلة أيضا . وفى عام ١٩١٣ استخدم العالم الدانمركى « نيلز بور » نظرية (الكم الجديدة The quantum theory) لتفسير ابتعاث الضوء من الذرات بافتراض أن الإلكترونات التى تدور حول نواة الذرة لها مدارات مستقرة لا تشع فيها طاقة أثناء الدوران ، ويحدث الإشعاع فقط عندما ينتقل الإلكترون من مدارات ذات مستويات طاقة أعلى إلى مدارات ذات مستويات طاقة أقل . فعندما تكتسب الذرة طاقة من مصدر خارجي فإن إلكترون أو أكثر ينتقل من مداره المستقر إلى مدار أعلى غير مستقر ، وتكون الذرة حينئذ فى حالة مثارة Excited state ، ولكى تعود الذرة إلى حالة الاستقرار الأصلية Ground state فإن عليها أن تفقد تلقائيا ما اكتسبته من طاقة زائدة وذلك على شكل ضوء مكون من كمّات تعرف باسم « الفوتونات » Photons ويطلق على هذا النوع من الانبعاث الإشعاعى اسم « الانبعاث التلقائى » Spon-taneous emission . وفى عام ١٩١٧ افترض « أينشتين » أن الفوتون الذى سيتحرر تلقائيا من ذرة مثارة يمكنه أن يؤثر على ذرة أخرى مثارة ، ويحثها على أن تعود إلى حالتها المستقرة بإطلاق فوتون آخر له نفس طاقة الفوتون الأصلى ونفس طوره وطوله الموجى ، ويواصل الفوتونان انتشارهما معاً متلازمين فى نفس الاتجاه لكى يحثّا ذرات أخرى على إطلاق فوتونات إضافية تلحق بهما على نفس المنوال فى نظام متتابع . وبذلك تؤدى (فرضية) أينشتين إلى أن الضوء المنبعث بهذه الطريقة يكون ذا شدة عالية نتيجة لتداخل الفوتونات المكونة له ـ والتى لها نفس التردد والطور ـ تداخلاً بنائيا . وهذا النوع من الانبعاث الإشعاعى هو الشرط الضرورى لتوليد ماعرف بعد ذلك باسم أشعة الليـزر ، ويطلق عليه اسم « الانبعـاث المحثوث » Stimulated emission لكنه بدوره يحتاج إلى ظروف خاصة لتحقيقه عمليا .

ويمكن تبسيط النظرية الحديثة لعمل أجهزة الليزر بأن نفترض نظاما معينا من الذرات الموزعة فى مستويين فقط للطاقة :

أحدهما : هو مستوى الحالة المستقرة ، أو المستوى الأدنى .

والآخر : يمثل مستوى الحالة المثارة ولكى تنتقل ذرة ما من حالتها المستقرة إلى حالتها المثارة فإن ذلك يتطلب امتصاص فوتون

←

ضوئى طاقته تساوى الفرق بين طاقتى المستويين . وتحت ظروف الاتزان الحرارى Thermal equilibrium يتم توزيع الذرات بين المستويين طبقا لقانون (ماكسويل - بولتزمان) ويكون عدد الذرات فى مستوى الطاقة الأدنى أكبر من عددها فى مستوى الحالة المثارة . وعندما تتعرض مجموعة من الذرات وهى فى هذه الحالة لفوتونات من الضوء ذات طاقة مساوية للفرق بين طاقتى المستويين فإنه يحدث أن تمتص بعض الذرات غير المثارة طاقة إضافية من فوتونات الضوء الساقط وتنتقل إلى مستوى الحالة المثارة ، كما يحدث أن بعض الفوتونات الساقطة قد تحثّ أو تحفز بعض الذرات المثارة على أن تهبط إلى المستوى الأدنى ، وينبعث نتيجة لذلك فوتون له نَفْسُ تردد وطور الفوتونات الأصلية الساقطة على النظام ، مما يعمل على زيادة شدّتها . وبتكرار عملية الإثارة والانبعاث المحثوث يتضخم الضوء وتنطلق أشعة الليزر على شكل حزمة رفيعة جداً لها طول موجى معين .

يتضح مما سبق أن تضخيم الضوء يتطلب أن تطغى عملية الانبعاث المحثوث للفوتونات على عملية الامتصاص ، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا إذا انعكس توزيع الذرات فى النظام بحيث يكون عددها فى مستوى الحالة المثارة أكبر منه فى مستوى الطاقة الأدنى ، ويحدث مايسمى بحالة التوزيع « السكانى » العكسى أو المعكوس Inverted population .

لكن هذه الحالة غير طبيعية ولا تحدث تحت ظروف التوازن الحرارى إلا إذا كان نظام الذرات المستخدم ذا ثلاثة مستويات للطاقة Three - level system بدلاً من مستويين .

أحد هذه المستويات الثلاثة هو مستوى الطاقة الأدنى .

والثانى : هو مستوى الإثارة لعملية التوزيع العكسى .

والثالث:هو مستوى إثارة أعلى لا تدوم فيه الذرة إلا برهة قصيرة جداً بالمقارنة بفترة دوامها فى المستوى الثانى . بالإضافة إلى توافر وجود المستويات الثلاثة يجب القيام بعملية ضخ Pumping للطاقة ضوئياً أو كهربياً أو كيمائيا أو حرارياً - على حسب نوع الليزر - لكى يستمر تراكم الذرات فى مستوى الإثارة المطلوب .

هذا الضخ من شأنه أن يؤدى إلى رفع الذرات من المستوى الأدنى إلى مستوى الإثارة الأعلى ، ثم لا تلبث هذه الذرات أن تعود تلقائيا إلى مستوى الطاقة المطلوب لتتراكم هناك ويتحقق التوزيع « السكانى » العكسى .

ومن الناحيةْ العملية يجب أن يتم اختيار نظام الذرات ذى المستويات الثلاثة للطاقة بدقة فائقة بحيث يكون معدل العودة التلقائية إلى مستوى الإثارة المطلوب لعملية التوزيع العكسى أكبر بكثير من معدل الهبوط إلى المستوى الأدنى .

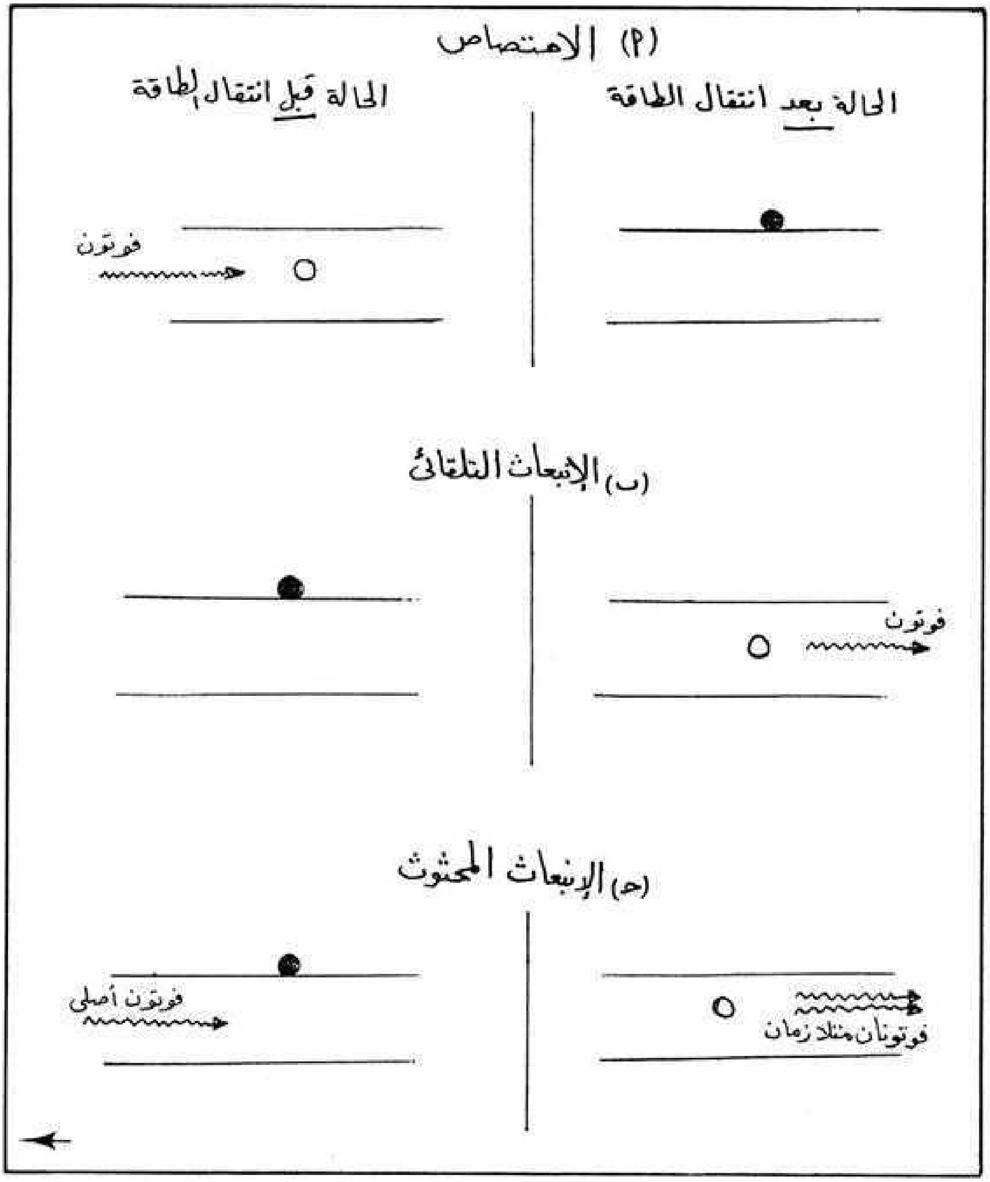

رسم يوضح الفرق بين الامتصاص والانبعاث التلقائى والانبعاث المحثوث قبل وبعد انتقال الطاقة بين مستويين .

انواع اجهزة الليزر :

تجدر الإشارة إلى أن اسم « الليزر » يطلق على الجهاز الذى يولد حزمة ضوئية مضخمة بطريقة الحث . وكلمة « ليزر » هى التعريب

أشعة الليزر

المتفق عليه للأصل الانجليزى Laser المستخدم فى معظم اللغات والذى يجمع الأحرف الأولى للعبارة الانجليزية :

« Light Amplification by the Stimulated Emission of Radiation »

وهى تعنى حرفيا تضخيم الضوء بطريقة الانبعاث المحثوث للإشعاع . ومنذ اكتشاف (مايمان) لأوّل (ليزر) حتى الآن ظهرت انواع عديدة لأجهزة الليزر نورد أمثلة لها فيما يلى :

١ - الليزر الياقوتى النابض Pulsed Ruby Laser :

هذا هو أول ليزر أنتجه (مايمان) مستخدماً بللورة ياقوت أحادية على شكل أسطوانة طولها بضعة سنتيمترات . يتكون الياقوت من أكسيد الألومنيوم مضافاً إليه أكسيد الكروم بنسبة (٠،٠٥) فى المائة (بالوزن) . تصقل نهايتا البللورة بحيث تكونان متوازيتين ومستويتين ، ثم تفضض إحدى النهايتين تفضيضا كاملاً بينما تفضض الأخرى جزئياً بحيث يُسمح لانعكاس بعض الضوء ونفاذ بعضه الآخر . يستخدم مصباح تفريغ ذو قدرة عالية ليقوم بعملية الضخ وتسبب إضاءته الشديدة إثارة ذرات الكروم وحدوث التوزيع « السكانى » المعكوس . وعندما تعود الذرات المثارة إلى المستوى الأدنى ينبعث ضوء أحادى اللون طوله الموجى (٦٩٤٣) أنجستروم(*) ويقع فى منطقة الضوء الأحمر من الطيف المرئى ، ويعزى إليه تألق بللورة الياقوت باللون الأحمر . يمكن لهذه الفوتونات المنبعثة تلقائيا أن تبدأ عملية الحث ، وتولد الانعكاسات المتتالية بين نهايتى بللورة الياقوت تفاعلاً متسلسلاً يسفر عن تضخيم الضوء لدرجة تجعله ينطلق على شكل نبضات Pulses ضوئية شديدة .

إن الليزر الياقوتى لا يعمل إلا بشكل متقطع وذلك لأن عملية الضخ الضوئية لا يمكن أن تحدث إلا بصورة ومضات وأن الحرارة المنتشرة فى بللورة الياقوت تحتاج إلى وقت كاف لكى تتبدّد . ولقد أدخلت بعد ذلك تعديلات على الليزر الياقوتى زادت من القدرة العظمى للنبضات العملاقة التى يصدرها بحيث وصلت إلى أكثر من ٢٥ تيراوات(**) .

٢ - الليزر الغازى Gas Laser :

وفيه يستخدم خليط من غازى : الهليوم والنيون فى الحصول على أشعة ليزر متصلة ذات قدرة صغيرة لا تتعدى بضعة ميلى واتات . وفى هذا النوع من أجهزة الليزر يتم ضخ الطاقة كهربيا بواسطة التفريغ الكهربى Electric discharge الذى يؤدى إلى توزيع ذرات النيون فى مستويات الإثارة الممكنة حتى يتحقق التوزيع « السكانى » المعكوس ويشرع الليزر فى العمل دون توقف طالما أن عملية التفريغ الكهربى لا تزال مستمرة . وتنتقل الحزمة الضوئية فى أنبوبة الغاز جيئة وذهابا

البقية ص ٣٥٥

(*) الانجستروم يساوى جزءا من مائة مليون من السنتيمتر .

(**) التيراوات يساوى مليون مليون وات .

اللغة والأدب والنقد

إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث

حمزة والإسلام.. بطولة عقيدة

إمام النحاة

وقضية الاستشهاد بالحديث

٥

نواصل في هذه الحلقة الخامسة العمل الإحصائي الذى نتتبع فيه ما أورده إمام النحاة في كتابه من أحاديث قدمها بدون نسبة ، أو تغير في اللفظ ، محاولين كشف حقيقة موقفه من هذه القضية ..

الحديث الثامن :

قال سيبويه في باب مايضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف حيث قال : « وذلك قولك : الناس مجزيون بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، والمرء مقتول بما قَتَلَ به إن خنجراً فخنجر ، وإن سيفاً فسيف ، وإن شئت أظهرت فقلت : إن كان خنجراً فخنجر ، وإن كان شراً فشر ، كأنه قال : « إن كان الذى عمل خيراً جزى خيراً » أو « كان خيراً » و« إن كان الذى قَتَل به خنجراً كان الذي يُقْتَل به خنجرا » والرفع أكثر وأحسن في الآخر ، لأنك إذا أدخلت الفاء في جواب الجزاء ، استأنفت مابعدها ، وحسن أن يقع بعدها الأسماء ... »[1] .

تحليل هذا النص وتوثيقه :

شاع الاستشهاد بالجزء الأول من هذا الحديث بين النحاة المتأخرين ، وبخاصة ابن مالك الذى نص على أنه حديث .

قال في كتابه الكافية الشافية في سياق الحديث عن حذف « كان » مع اسمها : وفي الحديث « المرء مجزى بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر » وفيه أربعة أوجه ، هذا أجودها ، وتقديره : إن كان عمله خيراً ، فجزاؤه خيراً »[2] .

وقال في شواهد التوضيح في الموضوع نفسه : « وحذف كان واسمها ، وبقاء خبرها كثير في نثر الكلام ونظمه ، فمن النثر قول النبي صلى الله عليه وسلم ، « المرء مجزى

(١) الكتاب جـ١ ص ٣٥٢ بولاق .

(٢) الكافية الشافية جـ١ ص ٤١٨ ، ص ٤١٩ .

للأستاذ الدكتور
سيد رزق الطويل

بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر » . أى إن كان عمله خيراً فجزاؤه خير ، وإن كان عمله شراً فجزاؤه شر »(٣) .

استشهد ابن مالك فى هذين الموضعين بهذا الجزء من الحديث على ماستشهد به سيبويه ، مع اختلاف فى لفظ الحديث لا يتغير معه موطن الشاهد ، فعلى رواية سيبويه « الناس مجزيون » وعلى رواية ابن مالك « المرء مجزى » كما نلحظ أن ابن مالك فى الموضعين أشار إلى أنه حديث شريف .

اما تخريج هذا الحديث :

فقد جاء فى مختصر المقاصد ص ٢٠٥ برقم « ١١٣٣ » ذكر الحديث بهذا اللفظ ، وقال : ورد عن ابن عباس موقوفاً .

وقال صاحب كشف الخفاء جـ١ ص ٣٩٨ تحت حديث : « الجزاء من جنس العمل » : وقع فى كتب النحاة كشروح الألفية ، وتوضيحها : الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر » .

وكأن صاحب كشف الخفا لا يراه حديثا ، ويؤيد ذلك ماجاء فى مختصر المقاصد من انه موقوف على ابن عباس رضى الله عنهما .

الحديث التاسع :

قال سيبويه : « وأما حيهل التى للأمر فمن شيئين ، يدلك على ذلك « حى على الصلاة » وزعم أبو الخطاب أنه سمع من يقول « حىَّ هلَ الصلاة »(٤) .

ورد فى هذا النص جزء من حديث شريف رواه البخارى فى باب الأذان ، ورواه مسلم فى صحيحه باب الأذان أيضاً جـ١ ص ٢ ص ٢٨٧ .

وتردد الاستشهاد بهذا الجزء من الحديث فى كتب النحو بعد سيبويه .

ونلحظ أن سيبويه يعزز استشهاده بنقل من الأخفش الكبير أبى الخطاب يذكر فيه أنه سمع هذه العبارة من العرب الفصحاء دون أن يشير إلى أنه حديث ، وهى بلا ريب عبارة إسلامية ، وفى أغلب الظن جزء من حديث .

الحديث العاشر :

قال سيبويه فى باب « ماينتصب فيه المصدر كان فيه الألف واللام ، أو لم يكن على إضمار الفعل المتروك إظهاره » : « ومن ذلك قول بعض العرب : أغُدَّةً كغُدَّةِ البعير ، وموتا فى بيت سلولية » ؟ أى أأغدُّ غُدَّةً كغدةِ البعير وأموت موتا فى بيت سلولية »(٥) .

أخرج البخارى هذه العبارة بهذا النص « غدةٌ » بالرفع من غير استفهام مع الأحاديث فى باب غزوة الرجيع ، على لسان عامر بن الطفيل »(٦) .

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ص ٧١ ، ت محمد فؤاد عبد الباقى ـ م لجنة البيان العربى ـ القاهرة ١٩٥٧م .

(٤) الكتاب جـ٣ ص ٣٠٠ (هارون) .

(٥) الكتاب جـ١ ص ٣٢٨ (هارون) .

(٦) عامر بن الطفيل ، كان سيد بنى عامر فى الجاهلية ، اسلم ثم ارتد ، فدعا عليه الرسول الكريم هو وأربد بن قيس اخو لبيد لأمه فقال : « اللهم اكفينهما بما شئت ، فانزل الله على اربد صاعقة ، واخذت عامرا الغدة ، مجمع الأمثال للميدانى جـ٢ ص ٥٧ ، ص ٥٨ .

وقد استشهد السهيلى بهذا الجزء من الحديث فيما استشهد به سيبويه .

قال السهيلي (٥٨١هـ) : وأما قول عامر بن الطفيل « أغُدَّةً كغدّةِ البعير » ؟ فقد أورده سيبويه فى كتابه ، فقال : « أغدة كغدّة البعير ، وموتا فى بيت سلولية » ؟ وحيلة سيبويه من باب المصادر المنتصبة بالأمثال المختزلة التى لا يجوز إظهارها لقيام المنصوبات مقامها فكأنه قال : « أأغُدُّ غُدَّةً » ؟ و« أأموت موتا فى بيت سلولية »[٧] .

تقول الدكتورة خديجة الحديثى : ولما كان هذا القول منسوبا إلى عامر بن الطفيل وليس من الحديث النبوى فهو خارج عن الاحتجاج بالحديث ، لكنه قول من أقوال العرب الذين يحتج بكلامهم لكونه ممن عاش فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو من فصحاء العرب وسادتهم »[٨] .

وهذا الحكم محل مناقشة :

ذلك لأن الحديث الشريف فيه من كلام الصحابى الذى روى ، فقد يصف شيئا ، أو يقص حدثا أو يحكى واقعة ، وفيها عبارات وكلمات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينظر لمجموع ذلك على أنه حديث ، ومن هنا أخرجه البخارى فى باب غزوة الرجيع .

فإذا وثقنا فى النص المرويّ نثق به بكل تفصيلاته ، والاحتجاج بأى جزء منه يعد احتجاجا بالحديث ، لأنه فى جو الحديث وفى سياقه .

ولم يقل أحد بأن المقصود بالحديث هو الأجزاء التى هى من « قيل » رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو قلنا بهذا للزم أن نخرج الأحاديث التى تتناول أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتصف تقريراته .

على أن هذا الجزء من الحديث ذكره سيبويه باعتباره قولاً مسموعاً من العرب ، وعلى هذا النهج استشهد به السهيلى فى القرن السادس ، وهذه خطة سيبويه فى كل ماتناوله من الأحاديث كما أسلفنا .

الحديث الحادى عشر :

يقول سيبويه فى باب « تسمية المذكر بالمؤنث » : واعلم أنك إذا سميت المذكر بصفة المؤنث صرفته ، وذلك أن تسمى رجلا بـ« حائض » أو « طامث » ... ثم يقول : « فأما ماجاء من المؤنث لا يقع إلا لمذكر وصفا ، فكأنه فى الأصل صفة لسلعة أو نفس ، كما قال : « لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة » والعين عين القوم . وهو ربيئتهم ، كما كان « الحائض » فى الأصل صفة لشىء لم يستعملوه »[٩] .

استشهد سيبويه فى هذا النص بحديث شريف .

وهذا الحديث رواه الترمذى فى كتاب

---

(٧) أمالى السهيلى د . محمد البنا ـ م السعادة ـ القاهرة ص ١٢٠ ، ص ١٢١ .

(٨) موقف النحاة ص ٤٧ .

(٩) الكتاب جـ٢ ص ٢٠ بولاق .

الحج ، باب ماجاء فى كراهية الطواف عريانا[10] .

وسار على نهجه فى هذا الاستشهاد الزجاج فى باب « ما كان من المؤنث على أربعة أحرف سمي به مذكر » قال : « اعلم أن ماكان على أربعة أحرف وكان مؤنثا ، أصلا فى المؤنث أم مشتقاً للمؤنث ، سميت بهمذكرا ، لم ينصرف المعرفة ، وانصرف فى النكرة .. قال : والمؤنث الذى يكون صفة للمذكر ، نحو قولهم : « رجل ربعة » و« رَجُل نُكَحةً » و« جَمَل خُجَأة » قال الخليل : لفظ المذكر فى هذا الذى وصف بالمؤنث بمنزلة « سلعة » كما جاء فى الخبر : « لا تـدخـل الجنـة إلا نفس مؤمنـة مسلمة »[11] .

ففى هذا النص استشهد الزجاج بالحديث جريا على منهج سيبويه .

بل إننا نلحظ انه رفع الاستشهاد إلى الخليل بن أحمد ، كما فعل سيبويه فى كتابه ، وما يعرضه سيبويه فى كتابه من رأى الخليل أو غيره دون أن يناقشه فهو من رأيه .

ورواية الحديث عند الزجاج تختلف عن رواية سيبويه ؟ إذ نرى الأول أضاف لفظ « مؤمنة » قبل « مسلمة » .

الحديث الثانى عشر :

قال سيبويه فى باب إنّ وأنَّ « مبهنا المواطن التى تفتح فيها الهمزة ، والتى تكسر فيها » : وتقول : « لبيك إن الحمد والنعمة لك » ولو شئت قلت : « أن » ، ولو قال إنسان : إن « أن » فى موضع جر فى هذه الأشياء ، ولكنه حرف كثر إستعماله فى كلامهم ، فجاز فيه حذف الجار ، كما حذفوا « رُبَّ » فى قولهم .

وبلد تحسبه مكسوحا

لكان قولا قويا ... »[12] .

فى هذا النص من كلام سيبويه جزء من حديث شريف هو « لبيك إن الحمد والنعمة لك » أخرجه البخارى فى صحيحه ـ كتاب الحج .

وأخرجه مسلم فى باب الحج ١٩ ، ٢٠ باب ماجاء فى التلبية .

ورواه مالك فى الموطأ ـ كتاب الحج ـ باب العمل فى الإهلال .

كما جاء فى سنن النسائى ـ مناسك الحج .

ولا نكاد نرى أحداً من النحويين استشهد بالحديث فى هذا الموضع بعد سيبويه سوى ابن السراج (٣١٦هـ) قال فى ذكر المواضع التى تقع فيها إن وأن : وتقول : « لبيك إن الحمد والنعمة لك » وإن شئت قلت : أنَّ الحمد »[13] .

---

(١٠) جاء هذا الحديث بلفظ : « لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة ولا يطوف بالبيت عريانا .. » الترمذى جـ٣ ص ٢٢٥ رقم الحديث ٨٧١ .

(١١) ماينصرف ومالا ينصرف للزجاج ـ ت هدى قراعة ـ القاهرة ١٩٧١ ص ٥٥ .

(١٢) الكتاب جـ٣ ص ٢٦٨ هارون .

(١٣) الأصول فى النحو لابن السراج ـ ت د . عبد الحسين الفتلى ، م النعمان ـ النجف سنة ١٩٧٣ جـ١ ص ٣٠ .

حمزة والأسلام

بطولة عقيدة

في يوم صفت سماؤه واعتدل هواؤه خرج فتى الفتيان حمزة بن عبد المطلب إلى الصيد في أرباض مكة، قد رضي عن نفسه وعن فرسه، فجال وصال فيها يصيد ويستريض، لا يعرف الهم سبيلا إلى قلبه، لا يفكر فيما تفكر فيه قريش، ولا يهتم بأقاويلهم ومايهدفون إليه في أحاديثهم وتجمعاتهم، ولكنه في ذلك اليوم حدث له عند عودته مادعاه إلى أن يخوض فيما يخوضون فيه وأن ينازلهم في ميادين تنتظره منذ ست سنين.

قال ابن إسحاق حدثني رجل من أسلم كان داعية: أن أبا جهل مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض مايكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو التيمي في مسكن لها تسمع ذلك. ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعاً من قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز فتى في قريش، وأشد شكيمة، فلما مرَّ بالمولاة وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت مالقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام، وجده هاهنا جالسا فآذاه وسبَّه وبلغ منه مايكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم.

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجَّة منكرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول مايقول؟ فرُدَّ ذلك علىَّ إن استطعت، فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله قد

للأستاذ : السيد حسن قترون

سببت ابن أخيه سبا قبيحا . وتم حمزة على إسلامه ... فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ وامتنع وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ماكانوا ينالون منه(١) .

وقد ذكرت لك إسلام حمزة لأعطيك صورة عن مكانته وبطولته قبل أن يكون أسد الله وأسد رسوله .

وحمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم غير شقيق وأمه هالة بنت أهيب بنت عم آمنة بنت وهب وآمنة أم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وهو أخوه من الرضاعة أرضعته ثويبة مولاة عمه أبى لهب ، كما أرضعت عبد الله بن جحش وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، فهو حبيب إلى قلب رسول الله ويشار إليه بالبنان من المسلمين .

ولقد هاجر إلى المدينة فيمن هاجر ونزل على سعد بن خيثمة وآخى رسول الله بينه وبين زيد بن حارثة ، ولما بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم غزواته عقد أول لواء لحمزة قالوا : بعثه رسول الله سرية فى ثلاثين راكبا خرجوا من المدينة حتى بلغوا قريبا من سِيفِ البحر يعترض لعير قريش وهى منحدرة إلى مكة قد جاءت من الشام وفيها أبو جهل بن هشام فى ثلاثمائة راكب فانصرف ولم يكن بينهم قتال .

وكانت غزوة بدر فكان بطلها المعلم وفارسها المقدَّم ، وبدأت المعركة بمقاتل من قريش هو الأسود بن عبد الأسد المخزومى وكان شرسا سيىء الخلق حلف ليشربن من حوض المسلمين أو ليهدمنه ، وانطلق نحو الحوض فخرج إليه حمزة ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره يسيل الدم من رجله ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبرُّ يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض .

وكانت المبارزة إذ خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد بن عتبة حتى إذا برز من الصف دعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة .

فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قالوا أى القرشيون : مالنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يامحمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، واستجاب الرسول للنداء فأخرج إليهم أقرب الأقرباء قائلاً : قم ياعبيدة بن الحارث ، قم ياحمزة ، قم ياعلى ، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ فرد عليهم عبيدة وحمزة وعلى ، قالوا : نعم أكفاء كرام ، فبارز عبيدة ـ وكان أسن القوم ـ عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز على الوليد بن عتبة ، فقتل حمزة شيبة ، وقتل على الوليد ، واختلف عتبة وعبيدة بينهما ضربتين كلاهما جرح صاحبه جرحاً قاتلاً ، وكر حمزة

(١) الحديث والأحاديث التالية عن مراجع السيرة النبوية على صاحبها أزكى السلام وأسمى التحية .

حمــزة والإســلام

وعلى بأسيافهما على عتبة فقضيا عليه . واحتملا صاحبهما إلى موقع المسلمين .

وسأل أحد أسرى قريش عبد الرحمن بن عوف : من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره ؟ قال : ذلك حمزة بن عبد المطلب . قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل .

وجاءت غزوة أحد التى أوقد نارها كفار قريش ثأرا لقتلاهم ولما أصابهم فى بدر ، لقد أعدوا للحرب عدتها وأوقفوا مكاسبهم من تجارتهم التى نجا أبو سفيان بها عليها ، وكان تآمُرٌ على حمزة من هند بنت عتبة وبنى نوفل ، واختاروا لاغتياله وحشى بن حرب غلام جبير بن مطعم ، وقد وعده جبير بالعتق ووعدته هند بالمال والذهب ، وحين كانت الحرب فى أشد وقدتها قتل وحشى حمزة خلسة أو اغتيالاً .

وقد سئل وحشى بعد أن أسلم كيف قتلت حمزة ولِمَ ؟ يقول : كنت غلاماً لجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل ، وكان عمه طعيمة قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد قال لى جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق ، وكنت رجلاً حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة ، قلَّما أخطىء بها شيئا ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأبصره حتى رأيته فى عُرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدا فو الله إنى لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال له : هلم إلى يابن ... فضربه ضربة فما أخطأ رأسه ، وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت تحت سرته حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينهض نحوى فغلب وتركته وإياها حتى مات . ثم أتيته فأخذت حربتى ثم رجعت إلى المعسكر ، فقعدت فيه ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلته لأعتق وأنال العتق .

فلما فتحت مكة هرب إلى الطائف خوفا من الرسول صلى الله عليه وسلم فلما ارتأت الطائف الإسلام امتلكه الهم والغم وعميت عليه المذاهب . يقول : فقلت : ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد ، فو الله إنى لفى همى إذ قال لى رجل : ويحك إنه ـ والله ـ مايقتل أحدا من الناس دخل فى دينه ، وتشهد شهادته . فلما قال لى ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدعه إلا بى قائماً على رأسه أَتَشَهَّدُ بشهادة الحق . فلما رآنى قال : أوحشى ؟ قلت : نعم يارسول الله . قال : اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة ؟ فحدثته فلما فرغت من حديثى . قال : ويحك ، غيب عنى وجهك فلا أرينَّك ، فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى حتى قبضه الله .

ولا جدال فى أن مقتل حمزة أدخل على قلب رسول الله وصحابته حزناً جسيماً ، ومما زاد فى الأحزان أن المشركين بقروا بطنه ، وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع أكلها فلفظتها .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة بن عبد المطلب حيث استشهد ، فنظر إلى منظر لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه ونظر إليه قد مُثِّلَ به فقال : رحمة الله عليك فإنك كنت ـ ماعلمت ـ وصولا للرحم فعولا للخيرات ولولا حزن من

بعدك عليك لسرنى أن أتركك حتى يحشرك الله من أرواح شتى . أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين منهم مكانك . فنزل جبريل عليه السلام والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بخواتيم النحل .

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَاتَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ .

فعفا رسول الله وصبر ونهى عن المثلة ، وكفر عن يمينه[٢] .

وعن ابن عباس قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجى ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات . ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ـ كما هو عدد الشهداء يوم أحد .

لم يأخذ الفقهاء بهذا الحديث ، فالشهيد عندهم لا يغسل ولا يصلى عليه . لقوله صلى الله عليه وسلم فى شأنهم : « لفوهم فى دمائهم فإنه ليس من جريح يجرح فى الله إلا جاء جرحه يوم القيامة يدمى ، لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك ... » .

وفى شأن الشهداء نزل قوله تعالى من سورة آل عمران :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

قال ابن إسحاق :

ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عيناه بالدموع فبكى ثم قال : لكن حمزة لا بواكى له . فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمر نساءهم أن يتحزمْنَ ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالوا : ولما سمع رسول الله بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : أرجعن يرحمكن الله فقد اسيتن بأنفسكن . قال ابن هشام ونهى يومئذ عن النوح .

ويتصل بذلك أن النبى عند منصرفه إلى المدينة لقيته حمنة بنت جحش ، فلما لقيت الناس نُعى إليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله ﷺ :

« إن زوج المرأة منها لبمكان » لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها .

مات حمزة عن ولدين : (يعلى) و(عمارة) وأنجبا ولا عقب لهما . وبنت اسمها « أمامة » اختصم فيها على وجعفر وزيد بن حارثة ولكل حجة ، وكل منهم يريد أن تكون عنده ليكفلها ، فقضى بها رسول الله لجعفر بن أبى طالب من أجل أن خالتها أسماء بنت عميس كانت زوجة له .

رضى الله عن حمزة أسد الله وأسد رسوله .

وكان يقال : اللهم ارض عن خيرى الناس حمزة والعباس .

---

(٢) انظر تفسير ابن كثير ، نهاية سورة النحل .

الأعلام الإسلامي الطباعي

في الدول غير الإسلامية في أفريقيا

اصبح المسلمون يواجهون بالوان عديدة من الغزو الفكرى عبر قنوات الإعلام الشرقى منها والغربى بقصد زعزعة عقيدتهم ونشر « ايدلوچيات » غريبة بينهم تهدف إلى استقطابهم إلى الشرق تارة وإلى الغرب اخرى .

واعطى العصر الحديث بما أحدثه من ثورة « تكنولوجية » هائلة فى حقل الاتصال فرصا هائلة للتأثير على المسلمين ، وتنافست أمم شتى فى تلقين العربى والمسلم ماتريده من مبادىء وأفكار ، وقامت أجهزة إعلامية خاصة للتبشير من قلب العالم الإسلامى . كعوامل مساندة للمبشرين المنتشرين فى شتى بقاع المسلمين بنسب متفاوتة .

وتحظى أفريقيا ـ بقدر كبير ـ باهتمام الجهات الموجهة للتبشير . حيث نجد المبشر يلبس زى الطبيب أو المهندس الزراعى أو المدنى .. وتساعد هذه الجماعات أجهزة إذاعية حديثة . محلية وخارجية . تمولها الكنيسة وتشرف عليها ، وتدرب العاملين بها على أحدث الأجهزة وتتيح لهم التعرف على أوضاع المناطق المستهدفة ودراستها . بغية الاقتراب من أهل البلاد وميولهم وظروفهم ولهجاتهم ، وهم يسعون جادين لتنصير أفريقيا خلال سنوات قليلة .

لذا رأينا أن هذه الدراسة قد اكتسبت أهميتها من المنطقة التى حددها الباحث : « الدول غير الإسلامية فى أفريقيا » واختار منها أثيوبيا ليطبق على إعلامها ، دراسته وذلك باعتبارها أقدم دولة نصرانية فى أفريقيا ..

وقد حوت الدراسة عشرة فصول عدا المقدمة والنتائج .

فى الفصل الأول : تحدث عن الإعلام الإسلامى الطباعى وتطوره .

وفى الثانى : عن أهدافه ومنهجه فى الدعوة .

وفى الثالث : عن معوقات الاتصال وصعوبة تغيير الاتجاهات .

للأستاذ عاطف شحاته زهران

وفي الرابع : عن الجوع وتغيير الاتجاهات في أفريقيا .

وفي الخامس : عن الغزو الفكري والتصورات غير الصحيحة عن الإسلام .

وفي السادس : عن القائم بالاتصال في مجال الإعلام الإسلامي الطباعي .

وفي السابع : عن الاتصال في إطار المنظمات والهيئات والجامعات الإسلامية .

وفي الثامن : عن الاتصال الإسلامي بأثيوبيا عبر التاريخ .

وفي التاسع : عن الإسلام في اثيوبيا في الوقت الحاضر .

وفي العاشر : عن الإعلام الإسلامي في أثيوبيا . ونحن نعرض لبعض الفصول من الكتاب .

لقد رأى المؤلف أن هذا العصر يشهد مدا إسلاميا . وهناك محاولات متعددة لوضع العراقيل أمامه . فقد أطلق البعض على الإسلام نعوتا غريبة عنه مثل : العنف والدم والقتل والدمار . نتيجة الجهل بالدين الحنيف[1] . وصدر الكتاب في ٤٣٦ صفحة عن دار المعارف بمصر .

ويرى - ونحن نوافقه - أن دور الإعلام الإسلامي يجب أن يتقدم ليعبر عن الإسلام تعبيرا موضوعيا قائماً على الوضوح والصراحة بهدف تزويد المسلمين وغير المسلمين بالمعلومات الصحيحة والحقائق الواضحة التي تعبر عن جوهر الدين.

الأهداف والمنهج :

في الفصل الثاني من هذه الدراسة تحدث المؤلف عن عالمية الدعوة الإسلامية . وأهداف الاعلام الإسلامي ومنهجه في الدعوة .

فالإسلام يتميز منذ ظهوره بأنه دين دعوة من الناحية النظرية ومن الناحية التطبيقية كما يقرر (توماس أرنولد) فالقرآن يأمر بالدعوة ، وينهى عن الإكراه في الدين ، ولم تأت مهمة تبليغ الرسالة في تاريخ الإسلام بعد فترة من بدء الدعوة ، ولكنها القيت على عاتق المؤمنين منذ البداية ص ٨٥ .

وقد حدد للإعلام الإسلامي هدفين أساسيين .

أحدهما : هدف تنسيقي تركيبي ، والآخر انتقائي توجيهي .

فالأول : يعمل على تماسك الأمة الإسلامية ، واعتصامها بحبل الله . أما الهدف الانتقائي التوجيهي فهو إلقاء الضوء على كل جديد مع دراسته وتقويمه بمعايير الإسلام وعلى هدى مبادئه بحيث يتحرك الإعلام الإسلامي دائما على قاعدة قوامها

←

(*) الكاتب : بإدارة البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية .

(١) نرى - ومعذرة ابتداء للمؤلف - أن ذلك ليس جهلا بالدين فهذه الجهات دارسة للإسلام جيدة جدا لكنها تتعمد التشويه .... مجلة الأزهر .

« الثبات فى الأصول والتطور فى الفروع »[٢] ومن هنا كانت أهم مهام الإعلام الإسلامى تتمثل فى تقديم الإسلام كما فى القرآن والسنة ، ودحض مفتريات أعداء الإسلام وأباطيلهم وتأكيد معنى الحرية والوحدة الإسلامية ، ودعم اللغة الفصحى ، وبعث الفكر الإسلامى الأصيل ، وبناء الحضارة الإسلامية والثقافة العربية من خلال الوسائل الإعلامية والربط بين الدين والأخلاق ، وبين الدين وكل معطيات الحضارة ص ٩٦ ، ٩٧ .

وتحدث المؤلف عن الغزو الفكرى فى الفصل الخامس وعالج موضوعه وأشار إلى إشاعة التصورات غير الصحيحة عن الإسلام . وقد اتخذ أعداء الإسلام اتجاهين لتحقيق مآربهم :

أحدهما : مقاومة الإسلام بنشر شائعات حاقدة عن الإسلام والمسلمين بقصد تشكيك المسلمين فى دينهم ، وتكوين صور شائهة عن الإسلام لدى غير المسلمين .

الثانى كان عبر التبشير ودعاوى الاستشراق . بعد أن تهيأ المناخ بتشويه الإسلام قانونا وتاريخا وحضارة .

والإعلامى المسلم يجب أن يخطط ليواجه ذلك كله تخطيطا مدروسا ليعرف جمهوره الذى سيخاطبه ، والمؤثرات الواقعة عليه ووجهات النظر التى سبق طرحها . والتى تمس هذا الإعلام من قريب أو من بعيد ... ص ١٤٣ .

الدراسة التطبيقية :

وفى الجزء الأخير من الكتاب تحدث المؤلف عن الإعلام الإسلامى الطباعى فى إحدى الدول غير الإسلامية فى أفريقيا . واختار أثيوبيا ليجرى عليها دراسته التطبيقية . وعلل لاختياره ذلك بما يعانيه المسلمون فيها من اضطهاد ، وما يواجهون من تحديات كبيرة . ويمثل هذا الجزء قطب الدائرة فى الكتاب .

وحدد الباحث عدة أغراض لدراسته وحاول التعرف على اتجاهات الصحافة الأثيوبية فى العصر الحاضر . واكتفى بالتطبيق على صحيفتين .

إحداهما : تصدر بالانجليزية وهى : The Ethiapion Herald وهى تابعة لوزارة الإعلام والإرشاد الوطنى فى البلاد . وتصدر فى ست صفحات . والثانية : صحيفة أسبوعية تصدر باللغة العربية وهى : (العلم) وتصدر عن نفس الجهة . واختار عينات دراسته من الأعداد الصادرة فى سنة ١٩٨٢ . وأجرى عليها تحليلات خرج منها بنتائج منها :

١ ـ احتلت القضايا السياسية المقام الأول فى اهتمام الصحافة الأثيوبية .

٢ ـ تمثل الاهتمام بالقضايا الاقتصادية فى التركيز على جعل الملكية العامة هى الأساس فى الدولة ، وتوزيع المواد الأساسية

---

(٢) كنا نود أن نجد تحديدا لهذا التطور نفهم منه مداه ، ولا يكون بهذا الإطلاق الذى يمكن استغلاله لدى الطاعنين على الإسلام فيتخذونه قاعدة ترمى إلى التحلل من هذه الفروع ... مجلة الأزهر .

توزيعا عادلاً على الجمهور ، وفضح النظام الإقطاعي .

٣ ـ القضايا الدينية لم تنل أى اهتمام فى الصحيفتين فى فترة الدراسة .

الإعلام الإسلامى فى إريتريا :

بالرغم من ضم اريتريا إلى أثيوبيا الا انها يمكن النظر إليها على أنها منطقة لها كيانها الخاص وثقافتها المستقلة وطابعها الخاص . وإعلامها المختلف عن الإعلام الاثيوبى .

ومنذ ضمها إلى أثيوبيا أصبحت تتعرض لثلاثة أنواع من الإعلام هى : الإعلام الحكومى ، والإعلام الحزبى والإعلام الصادر عن حركات التحرير الاريترية ..

نتائج الدراسة :

وفى الختام عرض المؤلف للنتائج التى أسماها : مقترحات الدراسة ، وتزيد على العشرين مقترحا منها :

١ ـ تأسيس هيئة للدعوة الإسلامية فى الخارج تتولى التنسيق والإشراف بين كافة الجهات الإسلامية .

٢ ـ التنسيق بين أجهزة الدعوة فى البلاد الإسلامية .

٣ ـ رسم خريطة للإعلام الإسلامى فى الخارج توضح فيها كيفية الإعلام للأقليات الإسلامية ، وطرق الإعلام عن الإسلام بين أصحاب الأديان السماوية غير الإسلام ، ووضع اللادينيين فى العالم .

٤ ـ إجراء دراسات ميدانية للأماكن التى ستوجه إليها الدعوة الإسلامية فى كل منطقة .

٥ ـ الأخذ بمبدأ التخصص فى الإعلام الإسلامى .

ملاحظات أخيرة :

(أ) لقد استطاع المؤلف ان يتغلب على مشكلة تواجه الباحثين الإعلاميين . حين نجدهم يصبغون بحوثهم بالصبغة الغربية مما يشعرك انها مؤلفات غربية لكتاب ليسوا من بنى جلدتنا . وقد استطاع المؤلف أن يتغلب على هذه الظاهرة وصبغ كتابه بالصبغة المعقولة . وهذه ميزة تحسب له .

(ب) لما كان الإعلام الطباعى هو المقصود بالدراسة هنا دون سواه . فقد ضاعف المؤلف من اهميته على حساب غيره من الوسائل الأخرى التى يمكن ان تؤدى دوراً اكثر فعالية فى هذه المنطقة بالذات (افريقيا) حيث تنتشر الأمية والفقر ، وعندئذ يصبح الاتصال عن طريق الإذاعة والاتصال الشخصي اهم واجدى بين قوم لا يقرءون وفيهم من لا يجد ثمن الصحيفة .

(جـ) كان من الأولى ان يقوم الباحث بدراسة ميدانية تعطى نتائج اوثق بعد معايشة المنطقة التى اختارها لدراسته التطبيقية . وإن كانت ثمة ظروف حالت دون ذلك المح لها فى كتابه مما اضطره للاعتماد على المطبوعات لتحليلها واستخراج بعض النتائج منها ، مع التسليم بان المطبوعات تتحكم فيها عوامل شتى كالرقابة وغيرها مما يجعلها لا تعبر تعبيراً صادقا عن مجتمع الدراسة .

(د) وقع خطا فى ص ١٩٠ من الكتاب حيث ذكر قول الله سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ .. ﴾ فقال آية (٥) من سورة آل عمران والصواب انها رقم ٤ من سورة إبراهيم ، ونأمل ان يتنبه لذلك فى الطبعة التالية .

من خير ما نشر

حوار محمد عبد القدوس :

العمل بالشريعة أمر

فى البداية قلت لفضيلة الإمام الأكبر : الشعب بجميع فئاته ، طالب ويطالب بتطبيق الشريعة ، والوصول إلى الإسلام منهج حياته ، ما رأى فضيلة الإمام فى الأسلوب الأمثل الذى يحقق للشعب مطالبه ؟

أجابنى قائلاً : إن العمل بالشريعة الإسلامية أمر من الله سبحانه وتعالى فى كتابه القرآن الكريم وعلى لسان رسوله محمد ﷺ لا تقبل مخالفته ، فإن طاعة الله واجبة ، ولا شك أن الإسلام عقيدة وشريعة .. منظم لحياة الناس وصلاتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .. فضلاً عن تنظيم طرق عبادتهم لله تعالى : وهى الخمس التى بنى عليها الإسلام ولا يقبل من مسلم أن يمارى فى شىء من ذلك .. والشعب مطلوب منه أن يكون مسلماً محققاً أصول العقيدة والشريعة .. يدل على ذلك التكاليف التى نص عليها القرآن صراحة .. فإنها تخاطب المسلمين جميعاً : أفرادا وأمة ..

وإذا كان السؤال يبتغى التعرف على منهج التطبيق الرسمى للشريعة فى أمور : التقاضى ، والنظم الإدارية ، والاقتصادية ، والسياسية ، فإن الأمر يحتاج إلى إعداد واستمداد كل هذا من الأصول الشرعية فى القرآن والسنة مع الاستنارة والاستفادة بأقوال السابقين من المجتهدين بمراعاة تغير الأعراف والعادات وغير ذلك مما يجب اعتباره عند التشريع .

فضيلة الشيخ / محمد الغزالى :

هذا ديننا

مأساة الإسلام تكمن فى أن ناسا يتقدمون بتقاليد الشعوب على أنها تعاليم الوحى بل إنهم يتقدمون بالأخطاء التاريخية على أنها توجيهات سماوية ! وستبقى الحضارة الغربية الحديثة حاكمة ، ما بقى هؤلاء يدعون ويكابرون ، ولن تصح مسيرة العالم إلا بعودة الإسلام ذاته على أيدى أولى الألباب ومن لهم قلوب .

الدكتور محمد على محجوب

إعدام تجار المخدرات علنا

ظاهرة إدمان المخدرات وكيف نقضى

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

عليها . الحل هو إعدام المهربين وتجار المخدرات علنا وفى ميدان عام حتى يراهم من تسول له نفسه أن يحترف هذه اللعبة المدمرة ليس عندى حل غير هذا .. لابد من إعدام التجار والمهربين وعلاج المدمنين وتسجيلهم فإن عاد إلى الإدمان بعد الشفاء لابد من عقوبة رادعة بالعزل عن المجتمع وفى ذلك عبرة لمن يعتبر .

للأستاذ : وجيه أبو ذكرى

عندما يصبح الإعدام رحمة !!

الشجاعة فى التهريب ، تأتى من أمر واحد ، هو عدم الحسم فى العقوبة ، فالقانون - برغم أن عقوبة الجلب هى الإعدام - لم يعدم حتى الآن مهرباً مصرياً واحداً . يقال : ثمة ثغرات فى الإجراءات ، ويقال ويقال ويقال .

ولكن .. مما لا شك فيـه أن مصر مستهدفة .. وأن الأنواع الجديدة من المخدرات هى قنابل حقيقية تسقط على مصر فتدمر شبابها ، وأن القضية أخطر بكثير من تصور أى مسئول ، وأنه لا حل لها إلا الإعدام علنا لمهربى المخدرات والتجار .. والعمل على علاج المدمنين .

يا كُلَّ من له علاقة بهذه الظاهرة الخطيرة التى هبت كالعاصفة السوداء على مصر ابتداء من عام ١٩٧٩ : إن العاصفة قد قتلت مئات من الشباب ، وأمرضت آلافاً أخرى ، ودمرت عشرات من البيوت ، وتسللت إلى الفتاة المصرية لأول مرة فى تاريخ مصر .

يا كُلَّ من له علاقة بهذه الظاهرة : اعدموا بلا رحمة قتلة شباب مصر وفتياتها .. وصدقونى .. القضية أخطر مما يتصوره أى مسئول .

للأستاذ : مصطفى أمين

فكرة

فى الوقت الذى كان تليفزيون إسرائيل يذيع فيه نبأ إطلاق القمر الصناعى الإسرائيلى ، كان تليفزيون بلادنا يذيع نبأ إطلاق الرغيف الطباقى الجديد . ولا يمكن أن نلوم مصر وحدها .

إن هذا الحدث الخطير يستدعى أن تعقد الدول العربية والإسلامية مؤتمرا فوراً وأن تبحث كيف يمكن أن تتعاون معا لتحول هذا التخلف العلمى إلى تقدم علمى ، ولدى هذه الدول من الأموال الطائلة ما يمكن أن يجعلنا نسبق إسرائيل علمياً . وهذا يقتضى قبل كل

من خير ما نشر

شىء أن نوقف فوراً الخلافات العربية والنزاعات الإقليمية .

إننا نعلم أننا جميعاً فى خطر إذا استمرت هذه الخلافات الصغيرة التى تجعلنا صغارا فى عالم لا مكان فيه إلا للكبار . فى استطاعتنا لو اتحدنا أن نطلق مئات الأقمار .

الأستاذة / نوال مصطفى

كل يوم

الإعدام فى ميدان عام .. إنه الحل الذى يطالب به الشعب كله قصاصا من هؤلاء المتوحشين .. الذين فقدوا آدميتهم تماماً .. وتلاشت الرحمة من قلوبهم .. إنهم النوعية الجديدة التى انتسبت إلى البشر .. مرتكبو جرائم الاغتصاب البشعة التى بدأت تتكرر بشكل ملفت ومخيف فى الآونة الأخيرة .

والموقف الآن يحتاج فعلاً .. إلى إعادة النظر من رجال القانون .. لجعل جريمة الاغتصاب من جرائم الأمن العام ، وأن تتم محاكمة المغتصبين فوراً .. وعلنا ..

ربما يرتدع المتوحشون .

الأستاذة / امتثال محمد الجاحر .

اللغة القومية والتعليم

يجب أن يسود التخاطب والتعامل باللغة العربية السليمة الميسرة ـ قدر الإمكان ـ كما يجب الحث على تشجيع النشء على تلاوة وحفظ سور وآيات من القرآن الكريم ، لأن لغة القرآن وأسلوبه قمة البلاغة ، ومن نشأ فى رحابه وتعود على تلاوته مع الأحاديث الشريفة سهلت عليه اللغة العربية الواضحة ، وصح نطقه من حيث مخارج الحروف ووضوح التخاطب السليم .

نفايات مشعة للبيع !

ذكرت صحيفة « لاريبوبليتا » أن إحدى الشركات الأمريكية عرضت على رجل أعمال بنمى أن يستورد بصورة سرية « ١٥٠ » طناً من النفايات المشعة من أوروبا لكى يدفنها فى بنما ، وأن يتم استيرادها باعتبارها منتجات كيماوية إلا أن رجل الأعمال البنمى ـ رفض العرض .

للأستاذ : صلاح حافظ

كمبيوتر .. انجليزى .. أو فرنسى لماذا ؟

قررت وزارة التربية والتعليم أن تضيف إلى مناهجها دراسة الكمبيوتر .. ثم اختارت أن تشترى للمدارس « كمبيوترات » انجليزية وفرنسية ، بعضها توقفت مصانع الخواجات عن إنتاجه ، ومعظمها عاجز عن التخاطب إلا باللغات الأجنبية .

وقد تبينت أن فى العالم « كمبيوتر » عربياً لم اسمع به منذ سنوات ، لماذا لم تتجه الوزارة رأساً إلى كمبيوتر عربى ، بدلاً من أن نبدد فلوسنا سنوات على « كمبيوترات » ترطن بلغات أخرى .. ثم نعود نطلب « فلوس »

جـديدة للتعـريب وشراء « الكمبيوتـر » العربى ؟

وانا لا اكتب إعلاناً . إنما أثير قضية . وأنبه إلى إنجاز عربى يستحق التحية . وإلى تقصير عربى فاضح فى مساندة هذا الإنجاز والاستفادة منه .

وذكر التقرير أن نسبة الإصابة فى أفريقيا تشكل ١٣٪ من المجموع العالمى وأن المجموع العالمى للإصابة يتراوح ما بين ٥ ، ١٠ ملايين شخص .

وذكر التقرير أن الإصابة فى مصر بلغت ٣٢ شخصا نصفهم مصريون وجميعهم اصيبوا نتيجة نقل دم .

تقرير لمنظمة الصحة :

الإيدز يهدد نصف البشرية

كشف تقرير لمنظمة الصحة العالمية عن إحصاءات مخيفة حول انتشار مرض الإيدز فى العالم أكد فيه أن استمرار انتشار المرض بالمعدلات الحالية يمكن أن يصيب نصف البشرية فى الحقبة القادمة .. وذكر التقرير أنه فى هذه الحالة يصبح للإصابة بالمرض تأثير كبير على القوى البشرية وبالتالى على الإنتاج .

أشعة الليزر . بقية .

بين مرآتين تصنعان من مواد عازلة كهربيا Dielectrics لها معامل انعكاس يزيد على ٩٩٪ ويبدو شعاع الليزر الصادر عن خليط (الهليوم ـ نيون) ذا لون أحمر فاتح (٦٣٢٨ انجستروم) ، لكنه يضم أيضا طولين موجيين فى المنطقة تحت الحمراء . ولقد ظهرت حديثا انواع ليزر مشابهة تستخدم بخار المعادن مثل ليزر (الهليوم ـ كادميوم) الذى يشعّ فى المنطقة الزرقاء (٤٤١٦ انجستروم) والمنطقة فوق البنفسجية (٣٢٥ انجستروم) ويستفاد منه فى التفاعلات الكيميائية الضـوئية : Pholochemical reactions .

٣ ـ انواع اخرى :

توجد الآن مجموعة كبيرة من أجهزة الليزر التى تختلف أسماؤها باختلاف المادة الليزرية التى تستخدمها . فهناك الليزرات التى تستخدم أشباه الموصلات والليزرات السائلة والليزرات الأيونية وغيرها . وفى الوقت الحاضر أصبح بالإمكان الحصول على اشعة ليزر ذات أطوال موجية مختلفة تغطى المدى بين المنطقتين دون الحمراء وفوق البنفسجية . وفى ليزرات المحاليل العضوية يمكن توليد مدى طيفى عريض نسبياً وذلك عن طريق اختيار المحلول العضوى المناسب ، حيث يبلغ المدى الطيفى لكل محلول حوالى ٤٠ نانو متراً(***) ، وبإجراء عملية توليف لأشعة الليزر الناتجة يمكن الحصول على أطوال موجية ضيقة أو متلاحمة .

أ . د . احمد فؤاد باشا

(***) النانومتر يساوى جزءا من الف مليون من المتر .

أنباء وآراء

حول الهيئة التأسيسية للمجلس الاسلامي العالمى للدعوة الاسلامية والاغاثة

* لقد انعقد فى رحاب الأزهر الشريف ـ المؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية لبحث شئون الدعوة الإسلامية فى الفترة من ١٥ ـ ١٩ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ ٤ ـ ٨ من مارس سنة ١٩٨٨ م .

* وكان من ضمن مقرراته وتوصياته فى البند « ثالثا » : « التنسيق بين الجهات القائمة على شئون الدعوة الإسلامية ، وعن الإغاثة فى العالم الإسلامى » .

وفى سبيل ذلك : وافق المؤتمر على مايلى :

أولا : ضرورة تنسيق جهود العاملين فى هذين المجالين وذلك بإنشاء (المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة) .

بمراعاة أن يضم هذا المجلس المنظمات والمؤسسات التى تعمل فى مجال الدعوة والإغاثة وإعداد الدعاة ، والتى يمتد نشاطها خارج حدود بلد المقر .

ثانيا : يختص المجلس بالتخطيط والتنسيق والتعاون والمتابعة .

ثالثا : وتقوم فى كنف هذا المجلس ثلاث إدارات فرعية متخصصة هى :

(أ) إدارة الإغاثة وتضم الجهات العاملة فى الإغاثة .

(ب) إدارة إعداد وتدريب الدعاة : وتضم الجهات العاملة فى هذا النوع من التعليم والتدريب .

(جـ) إدارة تمويل الدعوة والإغاثة : وتضم الجهات العاملة فى تمويل الدعوة والإغاثة .

رابعا : يتولى الأزهر بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامى والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت الدعوة لاجتماع تأسيسى لصياغة النظام الأساسى واللوائح التنظيمية لهذا المجلس وفروعه فى أقرب وقت ممكن .

خامسا : يضم الاجتماع التأسيسى الجهات الآتى ذكرها :

١ ـ الأزهر الشريف بمصر .

٢ ـ رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

٣ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى الشعبى ببغداد .

٤ ـ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت .

٥ ـ منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم .

إعداد: السيد خضير
عمر البسطويسى

٦ ـ لجنة مسلمى أفريقيا بالكويت .

٧ ـ الرياسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالرياض .

٨ ـ رابطة الجامعات الإسلامية بالمغرب .

٩ ـ رابطة علماء المغرب والسنغال بالرباط .

١٠ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى بجدة .

١١ ـ اتحاد البنوك الإسلامية بالقاهرة .

١٢ ـ بيت الزكاة بالكويت .

١٣ ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بمكة المكرمة .

١٤ ـ وكالة الإغاثة الإسلامية بالخرطوم .

١٥ ـ لجنة الإغاثة الكويتية بالكويت .

١٦ ـ اتحاد الهلال الأحمر العربى بالرياض .

١٧ ـ المؤتمر الإسلامى الشعبى لبيت المقدس بالأردن .

١٨ ـ مؤسسة اقرأ بجدة .

١٩ ـ ممثلو وزارات الأوقاف وإدارات الشئون الإسلامية التى يمتد نشاطها فى أمور الدعوة والإغاثة خارج موطنها وهى القائمة فى البلاد الآتية :

(أ) جمهورية مصر العربية .

(ب) المملكة المغربية .

(جـ) الجمهورية العراقية .

(د) دولة الكويت .

(هـ) دولة قطر (رياسة المحاكم الشرعية) .

(و) دولة الإمارات العربية المتحدة .

(ز) المملكة الأردنية الهاشمية .

* ولقد كان هذا القرار تتويجا لقرارين سابقين :

أحدهما : اتخذه المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة الذى انعقد فى القاهرة فى الأزهر الشريف فى الفترة من ١٨ ـ ٢٤ من صفر ١٤٠٦ هـ ١ ـ ٧ من نوفمبر ١٩٨٥ م .

والآخر : فى المؤتمر الذى عقده المجلس الأعلى العالمى للمساجد فى مكة بتاريخ ٧/١٠/١٩٨٧ م .

* وقد جاء فى الفقرة (رابعا) من البند (٣) من توصيات وقرارات مؤتمر بحوث الدعوة الإسلامية (على الوجه السابق) مايلى :

(يتولى الأزهر بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامى والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت الدعوة لاجتماع تأسيسى لصياغة النظام الأساسى واللوائح التنظيمية لهذا المجلس وفروعه فى أقرب وقت ممكن) .

* ولقد اجتمع ممثلو هذه الجهات الثلاث بالأزهر الشريف يوم الخميس ٢٧ من شعبان ١٤٠٨ هـ ـ ١٤/٤/١٩٨٨ م وناقشوا معالم النظام الأساسى لهذا المجلس واللائحة التنفيذية له .

* وعهدت هذه اللجنة إلى شيخ الأزهر صياغة مشروعى النظام الأساسى واللائحة التنفيذية لهذا المجلس ودعوة المؤسسين الذين اعتمدهم المؤتمر إلى الاجتماع لنظرهما

أنباء وآراء

بالأزهر الشريف بالقاهرة فى يومى الأربعاء والخميس ١٠ و ١١ من صفر ١٤٠٩ هـ ـ ٢١ و ٢٢ من سبتمبر ١٩٨٨ م .

* هذا : وقد احتوى النظام الأساسى فى مادته الأولى أن هذا المجلس يسمى : (المجلس الأعلى العالمى للدعوة والإغاثة) ويكون مقره الرئيسى القاهرة .

* كما بينت المادة الثانية مهام هذا المجلس واحتوت المادة الثالثة بيان الجهات المؤسسة وأجازت المادة الرابعة لكل هيئة أو جماعة أو منظمة لها نشاط فى مجال الدعوة الإسلامية والإغاثة الانضمام إلى المجلس بالإجراءات المحددة فى هذا النظام .

* ونصت المادة الخامسة على أن تكون القاهرة هى المقر الدائم لاجتماعات المجلس وله أن يجتمع فى أى مكان يحدده المجلس بأغلبية أعضائه الحاضرين .

* ثم تتابعت أحكام النظام الأساسى محددة زمن دور الانعقاد السنوى العادى ، والانعقاد بصفة غير دورية ، وسياسة المجلس واختصاصاته ، وأن قراراته ملزمة لأعضائه سواء صدرت بالإجماع أو بالأغلبية ، وتشكيل الأمانة العامة للمجلس ، وبيان هيئات المجلس وتشكيلاتها واختصاص كل هيئة ، والموارد المالية ، كما رتب هذا النظام تشكيل لجان متخصصة فى مهام المجلس المتنوعة .

* وأن الأزهر الشريف يسعده أن يرحب بالسادة المشاركين فى الاجتماع التأسيسى للمجلس العالمى الإسلامى للدعوة والإغاثة بوصفهم ممثلين لهيئاتهم المؤسسة لهذا المجلس للنظر فى جدول الأعمال المقترح على النحو التالى :

١ ـ مناقشة مشروع وثيقة إنشاء المجلس ومشروع اللوائح المالية والإدارية :

٢ ـ انتخاب رئيس المجلس ونائبه .

٣ ـ تعيين الأمين العام للمجلس ونوابه .

٤ ـ انتخاب المكتب الدائم : الرئيس والمساعد .

٥ ـ النظر فى طبيعة الموظف الذى سيعمل فى لجان المجلس .

٦ ـ كيفية التمويل وإدارته .

٧ ـ مايستجد من أعمال .

* والله نسأل أن يحقق الخير وأن يهدينا إلى سبيل الرشاد .. .

٢ من صفر ١٤٠٩ هـ
١٣ من سبتمبر ١٩٨٨ م

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

جدول أعمال
اجتماع المجلس التأسيسى للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

١ ـ مناقشة مشروع وثيقة إنشاء المجلس الأعلى العالمى للدعوة الإسلامية والإغاثة وإقراره ومشروع اللائحة المالية والإدارية الخاصة به .

٢ ـ انتخاب رئيس المجلس ونائبه .

٣ ـ تعيين الأمين العام للمجلس ونوابه .

٤ ـ انتخاب المكتب الدائم : الرئيس والمساعد .

٥ ـ النظر فى طبيعة الموظف الذى سيعمل فى لجان المجلس .

٦ ـ كيفية التمويل وإدارته .
٧ ـ ما يستجد من أعمال .

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

قرار بالنظام الأساسى للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

تقـديـم :

لقد جاء دين الإسلام خاتما للرسالات السماوية وجاء محمد ـ ﷺ ـ خاتما للأنبياء والمرسلين : بعثه الله إلى الناس كافة ، فكانت دعوته عامة لا تتوقف عند زمن ، ولا يحدها إقليم ، ولا تقتصر على جنس أو لون أو فئة من البشر .

كانت دعوة للناس جميعا ولكل زمان ومكان . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[1] فلما انتقل الرسول ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى ، بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة . انتقل واجب الدعوة ـ على سبيل فرض الكفاية إلى أمته : إلى المسلمين جميعا : حكاما ومحكومين ـ يقوم بها بالنيابة عنهم خاصتهم من علماء الإسلام : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2] .

من أجل هذا كان نشر الدعوة الإسلامية ، وتوضيح مبادئها ، وتصحيح مفاهيمها وتبليغها للناس أجمعين ، فى مشارق الأرض ومغاربها من واجبات العلماء والفقهاء بأمور الدين .

وهى رسالة من أسمى الرسالات وأعظمها ، لاسيما بعد أن اتسعت آفاقها ، وتنوعت مجالاتها ، وتواصلت أساليب العرض لألوان الفكر فى زمننا هذا حتى غدا تلبيس أحكام الإسلام بكثير من المفاهيم التى يبثها أعداء الله أمراً واقعا ، مما اقتضى ضرورة تخصيص مجموعات من العلماء لهذه المهمة يقومون بأمرها ويصححون المفاهيم الخاطئة ، لتستقيم مع الأصول الصحيحة لعقيدة الإسلام .

ولقد يزيد من صعوبة مهمة الداعية ـ بجانب ماتقدم ـ نمو أعداد المسلمين ، وانتشار جماعاتهم فى كافة بقاع العالم ، واتساع نطاق بلادهم وأوطانهم ، مع تباين اللغات واختلاف البيئات .

مما أدى إلى قيام هيئات ومؤسسات وجمعيات كثيرة ، تحمل مسميات عديدة فى مختلف البلدان ، تباشر مهمة الدعوة كل على حسب جهده ، وطاقته ، دون تنسيق أو تخطيط .

ومن ثم تَنَادَى بعض المصلحين من رجال الدعوة إلى ضرورة التنسيق بين أجهزة الدعوة ، لتحقيق الفائدة المرجوة منها ، على نطاق أوسع ، بحيث تتكامل جهود المؤسسات والهيئات والجمعيات العاملة فى هذا الميدان .

←

(١) الآية (٢٨) من سورة سبأ .
(٢) الآية (١٢٢) من سورة التوبة .

وهذا بعينه ما رددته المؤتمرات الإسلامية فى كثير من اجتماعاتها ، ونخص منها المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية (المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية) الذى عقد بالقاهرة فى ١٨ ـ ٢٤ من صفر ١٤٠٦ هـ ـ الموافق ١ ـ ٧ من نوفمبر ١٩٨٥ . ومؤتمر المجلس الأعلى العالمى للمساجد المنعقد فى مكة المكرمة بتاريخ ١٣ ـ ١٥ من صفر ١٤٠٨ ـ الموافق ٦ ـ ٨ من أكتوبر ١٩٨٧ . والمؤتمر الحادى عشر لمجمع البحوث الإسلامية (شئون الدعوة الإسلامية) الذى عقد بالقاهرة فى ١٥ ـ ١٩ من رجب ١٤٠٨ هـ ـ الموافق ٤ ـ ٨ من مارس ١٩٨٨ .

حيث تدارس الموضوعات التالية :

(أ) التنسيق بين نشاط الهيئات التى تقوم بالدعوة الإسلامية .. والتنسيق بين الهيئات التى تتولى أعمال الإغاثة ..

(ب) وضع الأقليات الإسلامية فى العالم ومسئولية المسلمين تجاهها ..

(جـ) القضايا المعاصرة للأمة الإسلامية .

* وكان من مقرراته إزاء الموضوع الأول : (إنشاء مجلس إسلامى عالمى للدعوة والإغاثة) .

ولقد حدد المؤتمر معالم عمل هذا المجلس وما يتفرع عنه .. وناط بالأزهر الشريف بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت إعداد مشروع النظام الأساسى واللوائح التنفيذية لهذا المجلس وفروعه .

ثم دعا شيخ الأزهر معالى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى الدكتور / عبد الله عمر نصيف ، ومعالى الشيخ يوسف الحجى ـ الأمين العام للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت لاجتماع عقد بمكتب شيخ الجامع الأزهر الشريف يوم الخميس الموافق ٢٧ من شعبان ١٤٠٨ هـ ـ ١٤ أبريل ١٩٨٨ م . نوقشت فيه معالم النظام الأساسى لهذا المجلس واللائحة التنفيذية له .

ثم دعيت الهيئة التأسيسية للمجلس للاجتماع بالقاهرة يومى الأربعاء والخميس ١٠ ، ١١ من صفر سنة ١٤٠٩ هـ ـ ٢١ ، ٢٢ من سبتمبر ١٩٨٨ م لنظر هذا النظام فأقرته على الوجه التالى :

النظام الأساسى للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

المادة الأولى : ينشأ مجلس عالمي يسمى « المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة » . يكون مقره الرئيسى (القاهرة) .

المادة الثانية : يقوم المجلس بالتنسيق والتخطيط لكل ما يتعلق بشئون الدعوة الإسلامية والإغاثة فى العالم وبصفة خاصة فى الأمور التالية :

١ ـ دراسة الوسائل والإمكانات التى تساعد على نشر الدعوة الإسلامية فى كافة بقاع العالم .

٢ ـ بحث ودراسة المشكلات التى تواجه أجهزة الدعوة واقتراح الحلول الملائمة لها ، ودراسة التقارير التى تضعها الجهات العاملة

فى حقل الدعوة الإسلامية وإصدار التوصيات بشأنها .

٣ ـ العمل على دعم القيم الدينية والالتزام بها فى أجهزة الإعلام المختلفة .

٤ ـ متابعة ودراسة أحوال الأقليات الإسلامية ، ودعمها استرشادا بما يتوافر من دراسات ومن تقارير المراكز الإسلامية لهذه الأقليات .

٥ ـ تعزيز الجهود المبذولة لنشر الدعوة الإسلامية ، والتعريف بالإسلام ، وتحقيق التضامن بين المسلمين فى مختلف بلاد العالم .

٦ ـ حماية الدعوة الإسلامية ، ووسائلها ، وبث التعاليم والقيم الدينية الصحيحة ، والتصدى للتيارات والمذاهب المناهضة للإسلام وذلك بكافة الطرق المشروعة .

٧ ـ دعم أواصر التعارف والتضامن بين الشعوب الإسلامية بالتنسيق فى عقد المؤتمرات والندوات واللقاءات ومخيمات الشباب الإسلامى .

٨ ـ إيفاد الدعاة بعد اختيارهم وتدريبهم لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية الصحيحة إلى مختلف البقاع وبخاصة إلى مجتمعات الأقليات الإسلامية .

٩ ـ تخصيص المنح الدراسية لأبناء الشعوب والأقليات فى الجامعات والمعاهد والمدارس الإسلامية . والتنسيق فى هذا بين الجهات المانحة ، وضمان حسن اختيار الدارسين وكفالتهم .

١٠ ـ إعداد وطبع ونشر وتوزيع المصحف الشريف وترجمات معانيه ، وكذا الكتب والمجلات والرسائل التى تُعرِّف بالإسلام فى قيمه ومبادئه ، وكذلك المطبوعات التى تدفع عن الإسلام ما يوجه إليه من فرية أو يلحق بمبادئه من تزييف . ونشر مطبوعات هذا المجلس على الناس بمختلف اللغات .

١١ ـ متابعة وتوجيه المساعدات التى تقدم إلى الشعوب الإسلامية فى حالات الكوارث والنكبات العامة تحقيقا لمبدأ التكافل والتضامن بين المسلمين .

١٢ ـ تشجيع وإنشاء الكليات والمعاهد والمساجد التى تعمل على نشر الثقافة الإسلامية فى الأقطار المختلفة ، وإقامة مراكز إعداد وتدريب الدعاة .

١٣ ـ متابعة وتشجيع المدارس والمساجد التى تخصصت فى تحفيظ القرآن الكريم فى كافة الدول الإسلامية .

١٤ ـ توفير الدراسات والمعلومات والإحصاءات التى يمكن الاستفادة منها فى أعمال المجلس .

١٥ ـ الاستفادة من الخريجين من الجامعات والمعاهد وإلحاقهم بمراكز إعداد وتدريب الدعاة ومعاونتهم فى الالتحاق بالأعمال المناسبة لهم .

المادة الثالثة : يتألف المجلس من الهيئات والمنظمات والجمعيات التى أقر المؤتمر عضويتها وهى :

١ ـ الأزهر الشريف .	بالقاهرة
٢ ـ رابطة العالم الإسلامى .	بمكة المكرمة
٣ ـ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية .	بالكويت
٤ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى الشعبى .	ببغداد
٥ ـ منظمة الدعوة الإسلامية .	بالخرطوم
٦ ـ لجنة مسلمى افريقيا .	بالكويت
٧ ـ رابطة الجامعات الإسلامية .	بالمغرب

٨ ــ رابطة علماء المغرب والسنغال .	بالرباط
٩ ــ منظمة المؤتمر الإسلامى .	بجدة
١٠ ــ اتحاد البنوك الإسلامية .	بالقاهرة
١١ ــ بيت الزكاة .	بالكويت
١٢ ــ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية .	بمكة المكرمة
١٣ ــ الوكالة الإسلامية الافريقية للإغاثة .	بالخرطوم
١٤ ــ لجنة الإغاثة .	بالكويت
١٥ ــ اتحاد الهلال الأحمر .	بالرياض
١٦ ــ المؤتمر الإسلامى الشعبى لبيت المقدس .	بالأردن
١٧ ــ مؤسسة (اقرا) .	بجدة
١٨ ــ الندوة العالمية للشباب .	بالرياض
١٩ ــ جمعية الإصلاح الاجتماعى .	بالكويت
٢٠ ــ جمعية الإصلاح الاجتماعى .	بالبحرين
٢١ ــ جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعى	بدبى
٢٢ ــ جمعية احياء التراث الإسلامى .	.بالكويت
٢٣ ــ إدارة احياء التراث الإسلامى .	بقطر
٢٤ ــ الرياسة العامة لإدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد .	بالرياض
٢٥ ــ مؤسسة الملك فيصل الخيرية .	بالرياض

٢٦ ــ وزارات الأوقاف وإدارات الشئون الإسلامية فى البلاد التالية :

أ ــ جمهورية مصر العربية .

ب ــ المملكة المغربية .

جـ ــ الجمهورية العراقية .

د ــ دولة الكويت .

هـ ــ رياسة المحاكم الشرعية بدولة قطر .

و ــ دولة الإمارات العربية .

ز ــ المملكة الأردنية الهاشمية .

المادة الرابعة : لكل هيئة ، أو جماعة ، أو منظمة ، لها نشاط فى مجال الدعوة الإسلامية والإغاثة خارج إقليمها حق الانضمام للمجلس بناء على طلب تودعه الأمانة العامة الدائمة ويعرض على المجلس فى أول اجتماع له يعقد بعد تقديم الطلب .

المادة الخامسة : يتكون المجلس من الأعضاء المؤسسين والمنضمين إليه وتكون القاهرة المقر الدائم لاجتماعات المجلس وله أن يجتمع فى اى مكان آخر يحدده المجلس بأغلبية أعضائه الحاضرين .

المادة السادسة : للمجلس دور انعقاد سنوى فى شهر المحرم من العام الهجرى بدعوة من رئيسه ، أو نائبه عند غيابه للنظر فى جدول أعماله .

المادة السابعة : يجوز للمجلس أن ينعقد بصفة غير عادية كلما دعت الحاجة إلى ذلك بناء على دعوة الرئيس ، أو طلب خمسة على الأقل من أعضائه ، ولا يدعى المجلس للانعقاد إلا بموافقة الأغلبية المطلقة لأعضائه على الحضور .

المادة الثامنة : ينتخب المجلس رئيسا له ونائباً للرئيس لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد .

المادة التاسعة : يكون لكل عضو فى المجلس صوت واحد .

المادة العاشرة : مايقره المجلس يكون ملزما لجميع الأعضاء سواء كان القرار بالإجماع أو بالأغلبية المطلقة .

المادة الحادية عشرة : فيما عدا الأحوال المنصوص عليها فى هذا النظام يكتفى بأغلبية أصوات الأعضاء الحاضرين .

المادة الثانية عشرة : يتمتع المجلس بأهلية قانونية بالنسبة لما يلى :

(١) تملك الأموال الثابتة والمنقولة

والتصرف فيها وقبول الهبات والتبرعات والوصايا والأوقاف التى تخدم أغراضه .

(ب) التعاقد .

(جـ) التقاضى .

المادة الثالثة عشرة : يكون للمجلس أمانة عامة تتألف من أمين عام وعدد كاف من الموظفين .

المادة الرابعة عشرة : يختار المجلس من بين أعضائه الأمين العام لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة ، ويكون الأمين العام الممثل القانونى للمجلس وينوب عنه أمام الهيئات الأخرى ، ويرأس الجهاز التنفيذى للمجلس .

المادة الخامسة عشرة : اختصاصات الأمانة العامة : تتولى الأمانة العامة بإشراف الأمين العام للمجلس الأمور الآتية :

١ ـ الأعمال التمهيدية لمؤتمرات واجتماعات المجلس واللجان الأخرى وتبليغ قراراته إلى الأعضاء .

٢ ـ طلب اقتراحات الأعضاء قبل انعقاد المؤتمر أو المجلس .

٣ ـ أعمال أمانة سر المجلس واجتماعاته ومؤتمراته واللجان الأخرى وتوجيه الدعوة إلى الأعضاء .

٤ ـ تقديم تقرير سنوى للمجلس عن أعماله .

٥ ـ تحضير مشروع الميزانية والحساب الختامى .

٦ ـ تنسيق وطبع المقترحات وإرسالها إلى الأعضاء قبل انعقاد المجلس أو المؤتمر بشهر واحد على الأقل .

٧ ـ تنفيذ قرارات وتوصيات المجلس .

٨ ـ تزويد أعضاء المجلس بما تتلقاه من معلومات ومقترحات .

المادة السادسة عشرة : موارد المجلس المالية :

١ ـ الاشتراك السنوى لعضوية المجلس ويحدد كل عضو بإقرار يرد إلى أمانة المجلس قيمة اشتراكه خلال ثلاثة شهور على الأكثر من تاريخ تصديق المجلس على هذا النظام على الا يقل عن ثلاثة آلاف دولار أمريكى سنويا .

٢ ـ التبرعات والهبات والوصايا والأوقاف التى يوافق عليها المجلس وتتفق مع أغراضه .

٣ ـ عوائد استثمار أموال المجلس .

المادة السابعة عشرة : يتبع المجلس اللجان الدائمة الآتية :

١ ـ لجنة التعليم والدعوة ومقرها القاهرة .

٢ ـ لجنة الإغاثة العامة ومقرها جدة .

٣ ـ لجنة المعلومات والمتابعة ومقرها مكة المكرمة .

٤ ـ لجنة التمويل والاستثمار ومقرها الكويت .

٥ ـ لجنة النشر والإعلام ومقرها بغداد .

ويختار المجلس رؤساء هذه اللجان .

المادة الثامنة عشرة :

(أ) تشكل هيئة رئاسة المجلس من رئيس المجلس ونائب الرئيس والأمين العام ورؤساء اللجان الدائمة التى يشكلها المجلس .

(ب) يمثل الرئيس المجلس أمام الهيئات الرسمية والدولية وفى المناسبات .

المادة التاسعة عشرة : تختص هيئة رئاسة المجلس بالآتى :

١ ـ متابعة أعمال التنسيق بين المنظمات

والهيئات والجمعيات العاملة فى مجال الدعوة الإسلامية والإغاثة والتخطيط لها .

٢ ـ متابعة تنفيذ قرارات وتوصيات المجلس .

٣ ـ التوجيه والإشراف العام على جميع اللجان والهيئات القائمة على تحقيق أهداف هذا المجلس .

٤ ـ النظر فى الأمور الهامة التى لا تدخل فى اختصاص لجان المجلس .

المادة العشرون : تتألف لجنة التعليم والدعوة من أعضاء يمثلون الجهات الآتية :

١ ـ الأزهر الشريف بالقاهرة
٢ ـ رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة
٣ ـ مؤسسة « اقرأ » الخيرية بجدة
٤ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى بالرياض
٥ ـ بيت الزكاة بالكويت
٦ ـ اتحاد البنوك الإسلامية بالقاهرة
٧ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى الشعبى ببغداد
٨ ـ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت
٩ ـ منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم
١٠ ـ رابطة الجامعات الإسلامية بالمغرب
١١ ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى بالكويت
١٢ ـ وزارة الأوقاف والشئون بالأردن والمقدسات الإسلامية .
١٣ ـ وزارة الأوقاف والشئون بالمغرب الإسلامية .

المادة الحادية والعشرون : تختص لجنة التعليم والدعوة بالمسائل الآتية :

- وضع خطط ومشروعات تبليغ الدعوة الإسلامية ونشر الثقافة الإسلامية (المرحلية ـ والسنوية) إلى الناس كافة وعرضها على المجلس لإقرارها .
- تحديد أهداف مرحلية يسعى الداعية إلى تحقيقها .
- اقتراح إنشاء المؤسسات التعليمية والثقافية (مهنية وتربوية وتعليمية) ودعمها كالمدارس والجامعات والمكتبات والأندية الثقافية ومراكز إعداد وتدريب الدعاة .
- وضع خريطة احتياجات المسلمين فى الدول المختلفة من الدعاة .
- اقتراح عدد المنح الدراسية المطلوبة للراغبين فى الدراسة بالمدارس والجامعات الإسلامية ، وشروط منحها ، ووضع أسس الاستفادة القصوى من هذه المنح والعمل على حل مشكلات الدارسين
- اقتراح أفضل السبل والوسائل لتطوير التعليم وأساليب الدعوة وفقا لتطورات المعاهد .
- دراسة المشكلات التى تواجه الدعاة فى كل دولة .
- متابعة تنفيذ خطط الدعوة والتعليم ونشر الثقافة الإسلامية .
- وضع برامج إعداد الدعاة وتدريبهم للقيام بمهمة الدعوة بمراعاة تغاير البيئات الإسلامية فى العرف والعادة ، وإنشاء المراكز اللازمة لذلك .
- تقديم تقرير سنوى للمجلس عن نشاطه فى هذا المجال وبما تم تنفيذه من خطط التعليم والدعوة .

المادة الثانية والعشرون : تتألف لجنة الإغاثة العامة من أعضاء يمثلون الجهات الآتية :

ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية .بجدة

- منظمة الدعوة الإسلامية. بالخرطوم
- الهيئة الخيرية الإسلامية بالكويت العالمية.
- البنك الإسلامى للتنمية. بجدة
- لجنة الإغاثة. بالكويت
- صندوق التضامن الإسلامى.
- اتحاد البنوك الإسلامية. بالقاهرة
- الوكالة الإسلامية الأفريقية بالخرطوم للإغاثة.

المادة الثالثة والعشرون : تختص لجنة الإغاثة بالمسائل الآتية :

- وضع خطط المساعدات ، وإعانات الإغاثة ، وسياسة توزيعها بما يكفل كافة احتياجات الأفراد والجماعات الإسلامية من كساء وغذاء وإيواء وعلاج وتعليم وما يحتاجه كل ذلك من إقامة مستشفيات ودور علاج ومؤسسات ثقافية وتعليمية وأندية ومكتبات وغير ذلك بما يحقق كفالة الشخصية المسلمة وتنميتها دينيا واجتماعيا وصحيا وعلميا واقتصاديا .
- التنسيق مع الجهات الدولية والعالمية للإغاثة .
- بيان أولويات توزيع المساعدات والإعانات على خريطة سكان العالم الإسلامى .
- بحث الطلبات الخاصة بالمساعدات التى تقدم أو ترد للمجلس .
- تقديم تقرير سنوى عن نشاط المجلس فى هذا المجال .
- متابعة تنفيذ خطط الإعانات والمساعدات .

المادة الرابعة والعشرون : تتألف لجنة التمويل والاستثمار من أعضاء يمثلون الجهات الآتية :

- الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت .
- البنك الإسلامى للتنمية بجدة .
- اتحاد البنوك الإسلامية بالقاهرة .
- مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض .
- رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .
- مؤسسة اقرأ الخيرية بجدة .

المادة الخامسة والعشرون : تختص لجنة التمويل والاستثمار بالمسائل الآتية :

- وضع خطة عامة لجمع التبرعات ومتابعة تنفيذها .
- تشكيل لجان فرعية لجمع التبرعات فى الدول والبلاد المختلفة من مصادرها الشرعية هبات / تبرعات (نقدية أو عينية) إعانات - أوقاف - وصايا ، والتى تقدم من الأفراد والهيئات : (أهلية أو حكومية دولية أو محلية) مادامت لا تتعارض مع أهداف ومقاصد المجلس .
- وضع خطة عامة لاستثمار أموال المجلس للاستفادة من عوائدها فى تحقيق أغراضه تعرض على المجلس لإقرارها .
- للجنة أن تستعين فى تحقيق أغراضها بخبراء المال والاقتصاد والاستثمار الإسلاميين وخبراء الشريعة .
- تقديم تقرير سنوى بحجم أموال المجلس وعوائده .

المادة السادسة والعشرون : تتألف لجنة المعلومات والمتابعة من أعضاء يمثلون الجهات الآتية :

١ - الأزهر الشريف القاهرة .

٢ ـ رابطة العالم الإسلامى مكة المكرمة .
٣ ـ مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض .
٤ ـ مؤسسة اقرأ الخيرية بجدة .
٥ ـ البنك الإسلامى للتنمية بجدة .
٦ ـ وزارة الأوقاف العراقية .
٧ ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بجدة .
٨ ـ منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم .
٩ ـ وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية بالأردن .
١٠ ـ رابطة علماء المغرب والسنغال بالرباط .

المادة السابعة والعشرون : تقوم لجنة المعلومات والمتابعة بجمع وتبادل المعلومات والإحصاءات والبيانات عن كل ما يتعلق برسالة المجلس من مختلف بلدان العالم والمراكز الإسلامية بالخارج وتنظيم الاستفادة منها وتزويد المجلس ولجانه للاستعانة بهذه المعلومات فى إصدار قراراته وتوصياته .

المادة الثامنة والعشرون : تتألف لجنة النشر والإعلام من أعضاء يمثلون الجهات الآتية :

١ ـ الأزهر الشريف بالقاهرة .
٢ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى الشعبى ببغداد .
٣ ـ وزارة الأوقاف الكويتية .
٤ ـ رابطة العالم الإسلامى .
٥ ـ المؤتمر الإسلامى الشعبى لبيت المقدس فى الأردن .
٦ ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى بالكويت .
٧ ـ وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية فى المملكة الأردنية الهاشمية .
٨ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى بالرياض .
٩ ـ رابطة علماء المغرب والسنغال بالرباط .

المادة التاسعة والعشرون : تختص لجنة النشر والإعلام بالمسائل الآتية :

١ ـ وضع الخطط والدراسات الكفيلة بالنهوض بالإعلام الإسلامى فى الوسائل المسموعة والمقروءة والمشاهدة .
٢ ـ إعداد مشاريع برامج تليفزيونية وإذاعية بما يخدم أهداف المجلس .
٣ ـ وضع الخطط والدراسات الكفيلة بمواجهة الإعلام المعادى للإسلام والمسلمين .
٤ ـ اقتراح خطط للتنسيق بين المنظمات والهيئات العاملة فى مجال الإعلام الإسلامى .
٥ ـ التنسيق بين الجهات القائمة على طبع المصحف الشريف وترجمة معانيه إلى اللغات الأخرى .
٦ ـ متابعة ماينشر ضد الإسلام والرد عليه .
٧ ـ إعداد موضوعات الدراسات ، واقتراح تأليف الكتب ، والتنسيق بين الأجهزة القائمة بها فى المجالات الآتية :

(أ) عرض الإسلام وتوضيح مبادئه لغير المسلمين .
(ب) نشر الكتب التى تعرِّف بالإسلام وبالثقافة الإسلامية .
(جـ) مواجهة الفرق والتيارات الهدامة

التى تستهدف العقيدة الإسلامية وتناهض القيم الدينية الصحيحة .

٨ ـ اقتراح أسماء الدراسات والكتب التى ينبغى ترجمتها إلى اللغات الأخرى .

٩ ـ التنسيق بين الأجهزة العاملة فى الإعلام خارج العالم الإسلامى .

١٠ ـ التنسيق فى الإعلام الخاص بالقضايا الإسلامية الرئيسية .

أحكام عامة

المادة الثلاثون : للمجلس أن يعتبر أى عضو لا يقوم بواجباته المنصوص عليها فى نظامه الأساسى منفصلا عن المجلس وذلك بقرار يصدر عن ثلثى الأعضاء الحاضرين .

المادة الحادية والثلاثون : إذا رأى أحد الأعضاء الانسحاب من عضوية المجلس عليه أن يقوم بإبلاغ عزمه على ذلك كتابة إلى رئيس المجلس قبل دورة انعقاد المجلس بثلاثة أشهر على الأقل وعلى المجلس البت فى طلبه فى أول جلسة تعقب تقديم الاستقالة أو الانسحاب .

المادة الثانية والثلاثون : يكون تعديل النظام الأساسى للمجلس بموافقة ثلثى أعضائه وإذا لم يتوافر هذا النصاب يعاد عرض التعديل المقترح على المجلس فى الجلسة التالية وعندئذ يكفى موافقة ثلثى الحاضرين .

المادة الثالثة والثلاثون : الهيئات التى تتقدم بطلب الانضمام إلى المجلس يجوز دعوتها لحضور جلساته وجلسات اللجان بصفة مراقب إلى حين البت فى طلب العضوية .

المادة الرابعة والثلاثون : ترفع تقارير اللجان إلى هيئة رئاسة المجلس للبت فيها .

المادة الخامسة والثلاثون : على رؤساء اللجان الدائمة إبلاغ الأمين العام بالمواعيد المقترحة لاجتماعات هذه اللجان ، وجدول أعمالها حتى يجرى التنسيق بينها .

وعلى الأمين العام إخطار جميع أعضاء المجلس بذلك ويحق لكل عضو حضور أية لجنة منها والمشاركة الكاملة فى أعمالها .

المادة السادسة والثلاثون : يعتبر هذا النظام سارى المفعول بمجرد توقيعه من الأعضاء ولكل عضو أن يصدق على هذا النظام بالطرق المقررة لدى الجهة التى يمثلها .

● **كما قرر أعضاء المجلس ما يأتى :**

١ ـ تفويض هيئة رئاسة المجلس فى إصدار اللائحة المالية والإدارية .

٢ ـ إرسال برقية شكر للسيد رئيس الجمهورية لاستضافته أعضاء المجلس وتفويض فضيلة رئيس المجلس فى القيام بذلك . وبرقية أخرى للسيد الدكتور رئيس مجلس الوزراء ..

٣ ـ التصديق على ما انتهى إليه المجلس من انتخاب :

(أ) فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : رئيسا للمجلس .

(ب) السيد المشير عبد الرحمن سوار الذهب رئيس منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم نائبا للرئيس .

(جـ) السيد كامل الشريف رئيس المكتب التنفيذى للمؤتمر الإسلامى الشعبى لبيت المقدس أمينا عاما للمجلس .

كما وافق المجلس على تسمية رؤساء اللجان على الوجه التالى :

(د) الأستاذ الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى رئيسا للجنة المعلومات والمتابعة بمكة .

(هـ) معالى الشيخ يوسف الحجى رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية رئيسا للجنة التمويل والاستثمار بالكويت .

(و) الدكتور فريد ياسين القرشى رئيس هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بجدة رئيسا للجنة الإغاثة بجدة .

(ز) السيد الدكتور بشار عواد معروف أمين عام المؤتمر الإسلامى الشعبى ببغداد رئيسا للجنة النشر والإعلام .

(حـ) الأزهر الشريف :

لجنة التعليم والدعوة

ويفوض فضيلة شيخ الأزهر فى اختيار أحد علماء الأزهر رئيسا لها .

٤ ـ أن يرسل كل عضو من أعضاء المجلس تقريراً مفصلا عن الهيئة أو المنظمة التابع لها ونشاطها فى داخل المقر وخارجه والنظام الأساسى الذى تسير عليه على أن يصل ذلك فى مدى شهر من تاريخ انعقاد الجلسة .

٥ ـ يكون مكتب شيخ الأزهر هو المقر المؤقت حاليا والذى ترسل عليه المراسلات (ويكتب على المظروف خاص بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة) .

٦ ـ تفويض رئيس المجلس فى قبول الهبات والتبرعات والوصايا والأوقاف التى ترد للمجلس .

٧ ـ الموافقة على انضمام هيئة الأعمال الخيرية بعجمان (دولة الإمارات العربية المتحدة) إلى عضوية المجلس .

تنويهـــــات

١ ـ وافق المجلس على إصدار بيان صحفى لأعمال المجلس يتضمن :

- انعقـاد الهيئـة التـأسيسيـة للمجلس .
- الموافقة على النظام الأساسى له .
- إن مهمة المجلس الرئيسية هى التنسيق بين الهيئات والمنظمات الإسلامية التى تتولى شئون الدعوة والإغاثة .
- اتخاذ القاهرة مقراً له .

٢ ـ على اللجان تحديد مواعيد اجتماعاتها وجداول أعمالها وإبلاغ ذلك للأمين العام للتنسيق وإخطار الأعضاء بها .

٣ ـ الأعضاء المشاركون فى اجتماعات اللجان أو هيئة المجلس أو دورته (عادية أو غير عادية) يتحمل كل منهم نفقات سفره وإقامته مدة انعقاد اللجنة أو الهيئة أو المجلس فى أى مكان يكون الانعقاد .

هذا : وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السادة الحاضرين على هذا اللقاء الطيب المثمر سائلا المولى جل وعلا العون والتوفيق ..

ثم رفعت الجلسة وقد أشرفت الساعة على الثالثة من بعد ظهر يوم الخميس ١٤٠٩/٢/١١ هـ الموافق ١٩٨٨/٩/٢٢ .

الرئيــس
شيــخ الأزهـــــر
جاد الحق على جاد الحق
١٦ من صفر ١٤٠٩ هـ
٢٧ من سبتمبر ١٩٨٨ م

بيان ختامي
عن المجلس الإسلامي العالمي للدعوة الإسلامية والإغاثة

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله ... وبعد

فإنه فضلا من الله ونعمة وبتوفيقه سبحانه ، قد اجتمعت الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في يومي الأربعاء والخميس ١٠ ، ١١ من صفر ١٤٠٩ هـ الموافقين ٢١/٢٢/ من سبتمبر ١٩٨٨ في جلسات متعاقبة تدارست خلالها مشروع النظام الأساسي للمجلس .. وقد أقرت الهيئة هذا النظام وأصدرته .

حيث تقرر فيه اتخاذ القاهرة مقراً للمجلس ، وأن يتكون من هيئة رياسة يرأسها رئيس المجلس ، ومن لجان خمس هي : لجنة الدعوة والتعليم ومقرها القاهرة ، ولجنة الإغاثة العامة ومقرها جدة ، ولجنة المعلومات والمتابعة ومقرها مكة المكرمة ، ولجنة التمويل والاستثمار ومقرها الكويت ، ولجنة النشر والإعلام ومقرها بغداد .. وأن تكون هيئة رياسة المجلس مكونة من : رئيس المجلس ، ونائبه ، والأمين العام للمجلس ، ومن رؤساء اللجان سالفة الذكر .. كما وافقت الهيئة التأسيسية بالإجماع على اختيار شيخ الأزهر رئيساً للمجلس ، والسيد المشير عبد الرحمن سوار الذهب نائباً للرئيس ، والسيد الأستاذ محمد كامل الشريف أميناً عاماً للمجلس .. وقد نص النظام الأساسي على أن مدة رئيس المجلس ونائبه أربع سنوات ومدة الأمين العام ثلاث سنوات .

ثم انعقدت الهيئة بوصفها المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ، واتخذت ما يلي من قرارات وتنويهات :

أولاً : وافق المجلس على انضمام هيئة الأعمال الخيرية في عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة إلى عضويته .

ثانياً : قرر المجلس تفويض رئيسه في قبول التبرعات والهبات والوصايا والأوقاف التى ترد إلى المجلس .

كما تحددت قيمة الاشتراك السنوى لعضوية المجلس ، والمواصفات التى تشترط في الهيئات والمؤسسات والجمعيات الإسلامية التى تتقدم للانضمام إليه مستقبلاً ، وإجراءات القيد في العضوية ..

والمجلس يعلن للناس كافة ، وللمسلمين خاصة في جميع الأقطار والأمصار أن مهمته العمل على تنسيق جهود وأعمال الجهات والمؤسسات والهيئات الإسلامية العاملة في مجال الدعوة الإسلامية والإغاثة ، ويضع في

اعتباره دعوة الناس جميعاً إلى العمل الإنسانى والإسلامى بالحكمة والموعظة الحسنة كما هو مبدأ الإسلام الذى جاء به القرآن في قول الله سبحانه فى سورة النحل ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ ..

وإنه بحمد الله قد سادت بين السادة أعضاء المجلس روح الأخوة التي وصفها الله فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وكانت المشورة فى جلسات المجلس فى نطاق الحوار الهادف ، وتمت كل مقررات المجلس بالإجماع .

وقد أنهى المجلس أعماله بتوجيه الشكر والتقدير إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك على استضافة مصر الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، وقرر إرسال برقية تحمل هذا الشكر ، وكذلك شكر السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء والحكومة المصرية عامة لترحيبها بهذه الاستضافة ، وتيسير أعمال المجلس ، حتى أنهى أعماله في هذه الدورة .

وفى ختام الجلسة .. وجه شيخ الأزهر تقديره للسادة أعضاء المجلس المشاركين فى اجتماعاته على الروح الطيبة التى سادت اللقاءات ، والجدية التى مارس كل الحاضرين فى ظلها أعمالهم ...

وعلى الله قصد السبيل .. وهو ولينا ونعم النصير ..

شيخ الأزهـــــر
جاد الحق على جاد الحق
١١ من صفر ١٤٠٩ هـ
٢٢ من سبتمبر ١٩٨٨ م

« اللجنة العليا للدعوة الإسلامية »

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الدورة العالمية العاشرة لأئمة ودعاة العالم الإسلامى والممثلين لأكثر من ثلاثين دولة إسلامية ، كما قام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج على الدارسين فى الدورة التثقيفية التى نظمها الأزهر بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامى ، والاتحاد الدولى للبنوك .

حضر الاحتفال الشيخ عبد الله العقيل الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامى ، والدكتور أحمد النجار الأمين العام للاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية . وفضيلة الدكتور عبد الودود شلبى الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية والمشرف على هذه الدورات . كما حضره سفراء الدول العربية والإسلامية ، وعدد كبير من العلماء والدعاة .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● تفسير قريش . د . علي أحمد الخطيب	٢٥٧
● تفسير سورة الفجر . للشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير	٢٦١
● في رياض السنة النبوية المطهرة . للأستاذ الدكتور رءوف شلبي	٢٦٦
● طلع البدر علينا . للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني	٢٧٥
● الصلاة على النبي ﷺ . للأستاذ زكريا أحمد نور	٢٨٠
● الدين روح الإنسان . للأستاذ محمد صابر البرديسي	٢٨٥
● عهد الحديبية وآثاره الاستراتيجية . للواء أ . ح . محمد جمال الدين محفوظ	٢٨٩
● البحث عن الديانات القديمة . للدكتور عبد الجليل شلبي	٢٩٣
● التحذير من السفر إلى الغرب . لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز	٢٩٨
● رسل الأزهر في بلاد النيجر . للسفير جمال الدين محمود أبو العيون	٣٠١
● طرائف ومواقف . للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٣٠٦
● الفتـاوى . للشيخ عبد الحميد شاهين، للشيخ علي حامـد	٣٠٨
من أعلام الأزهر	
● عبد العزيز البشرى . د . محمد رجب البيومي	٣١٠
● كامل السيد أحمد شاهين . للأستاذ محمود عبد الرازق عقباوي	٣١٧
الشعر والشعراء — إشراف د . حسن جاد	
● إلى الرسول ﷺ في يوم ميلاده . للشاعر أحمد المنشاوي الورداني	٣٢٦
● مولد رسول الرحمة ﷺ . للشاعر عمر عمران أحمد	٣٢٨
● في رحابك يارسول الله . للشاعرة نور نافع	٣٢٩
● من روائع الماضي لمجلة الأزهر . إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات	٣٣٠
● العلوم الكونية : أشعة الليزر ومجالات استخدامها . للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	٣٣٤
اللغة والأدب والنقد	
● إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث . د . سيد رزق الطويل	٣٤٠
● حمزة والإسلام . للأستاذ السيد حسن قرون	٣٤٤
● الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية . للأستاذ عاطف شحاته زهران	٣٤٨
● من خير ما نشر . إعداد : عبد الفتاح السيد عبد السلام، عادل رفاعي خفاجة	٣٥٢
● أنباء وآراء : إعداد : عمر البسطويسي، السيد خضير	٣٥٦
القسم الانجليزي — اشراف د . أنس النجار	
● المقالة الثانية . للأستاذ عبد الحكيم أحمد طه	٣٧٧
● المقالة الاولى . د . أنس مصطفى النجار	٣٨٢

believers, and also chaste women among the people of the book revealed before your time; when ye give them their due dowers, and desire chastity, not lawdness, nor secret intrigues. (Surat Al-Maida, V, 6). With these directions, Muslims are allowed to eat the food of the people of the book" except what is specifically restricted in the generality of food. Muslims men are permitted to marry women from among the people of the book with their consent. Also Muslims should not discuss matters pertaining to religions except with respect, rationality and wisdom, and no compulsion should be excercised. This understanding is well instructed in the Holy Quran "And dispute ye not with the people of the book, except with good means; unless it be with those of them who inflict wrong and injury. Say, we believe in the Revelation, which has come down to us and in that which came down to you. Our God and your God is One and it is to Him we submit (in Islam). (Surat Al-Ankabut, XXIX, 46). In reality, Muslims and the "people of the book" should coexist in peace in coutries of Muslim faith and in coutries of non Muslim faith. The call to Allah through Islam is everlasting and continual in example,and in wisdom; and Allah provides the final light of guidance to the Path of Truth and Reality. The Christians and the Jews are non-believers according to Islamic analysis. The Jews remained to believe only in the message of Mousa, and the Christians remained to believe only in the message of Christ. According to Islamic understanding, religious messages complete each other, the message of Mousa, then the message of Christ, and finally the message of Muhammad which completes the overall dimensions of the totality and wholesomeness of Theism and Belief that is offered to mankind from Allah for guidance.

The second category of unbelievers are those who are not the "people of the book", those who worship other gods, those who worship idols, those who worship nature, and those who are heretics. Those are few among human societies, for mankind by his nature and instinct is in search for the Creator, and the call and impulse for belief remains rooted in mankind. With this category of unbelievers, Muslim should not deal except in emergency, should not eat their food, should not intermarry, and all dealings and transactions should be limited to obligatory needs. However, any pacts or promises should be respected to its terms.

The outward .display of presentation in submission to Islam is indeed the perpetual balance and equilibrium of real freedom of faith. Since the heart is the actual seat of belief, Islam in its outward presentation of a verbal statement and functional actions, Iman remains to be inherent in the heart, with no authority except Allah to its reality of proof. Let us now understand the exact dimensions of the pillars of Islam - the verbal statement of "there is no god save Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah"; and the four functional actions of Salat, Fasting, Zakat, and Hajj.

money transactions have all been particularized and chartered in an Islamic system of social practices. Any attempt to defraud, corrupt, degrade these values is in reality an act of treason to Muslims, and therefore an act of hypocrisy to Islam. No man with conviction of faith, piety in his heart can infringe on these values with blemish and deformity except a hypocrite.

Now, we return to the alternations of Islam as external functional appearances and practices, and Iman as inherent conviction and unfaltering belief. Sometimes this inherent conviction and unfailing faith exists in the heart of man, but the external appearances and practices are non-existant or take place in secrecy. This condition may actually take place, and several examples are known of people who conceal their faith and belief in Allah. They expose themselves as non-Muslims by deleting the external appearances and practices of Islam. The reasons being beyond their capabilities to confront the social and family consequences and declare the totality of Islam, by performing its external practices and gaining its identity. These individuals are considered non-Muslims, in our judgement. They do not enjoy the rights of Muslims, and are not subject to the ordinances and duties of muslim jurisprudence. In the judgement of Allah, those individuals are believers. However, they should have the strength and confidence through their faith and true conviction to jump the hurdle of difficulty and commit themselves to the external features and practices of Islam, perform them with zeal and gain the qualification, the rights, the ceiling of the identity, and the recognition in the face of the Muslim society and Ummah.

The last situation, is the case where there is no external appearances of practices and therefore no social identify as Muslim; and there is also no belief or faith inherent in the heart. In this case, the individual is not a muslim and not a believer, in the judgement of Allah and society. The Holy Quran, and the honourable Sunnah categorized this class into two, and gave definition, characterization to each and justified the proper connections of Muslims with them. The first class of these non-Muslims are those that qualify under the term "the people of the book. These are precisely the Christians who follow the Mesiah - Jesus son of Mary (peace be upon them) and who practice the doctrines of the Gospel. Included in this class, are also the Jews, the followers of Moses (peace be upon him) who practice the doctrines of Torah. The Holy Quran has provided directions to Muslims of their relationship with the "people of the book". This day all things good and pure are made lawful to you. The food of the people of the book is lawful unto you and yours is lawful unto them. Lawful unto you in marraige are chaste woman who are

This type of hypocrisy appeared with the rise and ascent of the new creed of Islam and the call for human reform. It appeared during the life of the Prophet (prayers and peace be upon him) at Al-Madinah, particularly from among the Jews. The Prophet knew the signs of hypocrisy, suspected, but did not exploit their realities in search of their truth. It was only through the Holy Revelation that these hypocrities were exposed. In the text of the Holy Quran "The hypocrites are afraid lest a Sura should be sent down about them, showing them what is really passing in their hearts" (Surat Al-Tawba, IX, 64). "Certain of the desert Arabs round about you are hypocrites as well as among the Al-Madinah folks; they are obstinate in hypocrisy. Thou knowest them not: We know them, twice shall We punish them, and in addition shall they be sent to a grievous penalty" (Surat Al-Tawba, IX, 10). With this understanding, any accusation of hypocrisy after the completion of the Revelation, is unfounded, even if true. Only Allah knows the reality of the inner self of the individual. In the text of the Holy Quran" (Allah) knows the deceit of the eyes, and all that the hearts of (men)conceal (Surat Ghafer, XL, 19).

The second type of hypocrisy is the hypocrisy in the rituals of worship; Prayers, Fasting, Zakat, and Hajj. These are all external practices which are prescribed, and to which every Muslim is committed to perform and practice according to the canons pertaining to each. In their reality and depth, these rituals of worship are laudation, glorification, eulogy, praise, and tribute to Allah. If they are done, with reverence, sincerity and candidness, Allah accepts and rewards. If they are performed as outward appearances to impress the Muslim identity with self devotion and conviction, the utlimate end is with Allah alone. It is well versed in Islamic teachings that Prayers are the intimate link between man and his Creator; and so are the purposes of the other rituals or worship. In the face of external appearances, we deal and judge with what is visually seen, or is verbally said; but Allah knows well the inner self and what the hearts conceal. Even if evidence and proof exist of hypocrisy in worship, we as human can only interfere with advise and councel but certainly cannot withdraw the Muslim identity from others.

The third form of hypocrisy is that which takes place in social dealings and relationships. This is a very common feature in current materialistic societies which has unfortunately infused and proliferated in Muslim societies as well. Islamic doctrines and teachings cared particularly with the precision and honesty of social dealing and relationships. Exactness of terms and conditions, meticulous contracitng systems, accuracy in measures and weights, specifications of

community, and a pious believer in the judgement of Allah. The practice of the external features of Islam are rewarded by Allah alone.

On the other hand, when the external practice and presentation exist alone without the depth of adoration and devoted worship; the individual is considered a Muslim in the community; but unfaithful and unbelieving in the judgement of Allah. Such an individual is subject to all the jurisprudences of Islam, enjoys all the rights, and bears all the duties of Muslims. His heart is empty of reality and true faith, vacant from Iman. He is not rewarded from Allah for his "external practices" of Islam, which become mere appearnaces without intention and without conviction of faith. The Holy Quran differentiates distinctly between Islam and Iman.

"The desert Arabs say : "We believe" - say "Ye have no faith, but ye only say we have submitted; for faith has not yet entered your hearts. But if you obey Allah and His Apostle, He will not belittle any of your deeds, for Allah is Oft forgiving - Most Merciful".

"Only those are believers who have believed in Allah and his apostle, and have never since doubted, but have striven with their belongings and their persons in the cause of Allah: Such are the sincere ones."

Say "what will ye instruct Allah about your religion? But Allah knows all that is in the heavens and on earth. Allah has full knowledge of all things".

They impress on thee as a favour that they have embraced Islam. Say "count not your Islam as a favour upon me; nay, Allah has conferred a favour upon you that he has guided you to the faith, if you be true and sincere".

"Verily, Allah knows the secrets of the heavens and the earth, and Allah sees well all that ye do". (Surat Al-Hujurat, X LlX, 14,15,16,17,18).

It is worthwhile at this stage to understand the dimensions of the vicious term "hypocrisy", a term that no one can prove, and no one can defend. Hypocrisy generally means that one exhibits contrary to his inner reality; and with this characterization, hypocrisy becomes the pool of corruption, desgrace, weakness, cowardice, deciet and fraudulence. In Islamic understanding, hypocrisy can be classified into three major categories. The first is hypocrisy in the faith, in which the hypocrite shows the outward appearances and practices of Islam, and hides within himself his inner reality of unbelief.

One with no associate, and that Muhammad is His Messenger and Prophet; to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat); to observe fasts during the month of Ramadan; and to perform Pilgrimage for those who are able.

The concept of display and presentation of the submission incurs the understanding that Islam is a social characterization of the individuals of the Ummah, it is an identity of the Islamic society, the external morphological social features of the muslim community. It does not discriminate between the different human groups or races, this is evident in the Holy Quran; "O mankind ! We created you from a male and a female, and made you into nations, and tribes, that Ye may know each other. Verily, the most honoured of you in the sight of Allah, is he who is most righteous...>" Surrat Al-Hujurat, XLIX, 13). It is evident that in the text of the Holy verse, Allah addresses all mankind at large in its totality from the origin of its creation from male and female; and to its ultimate purpose of peaceful coexistance, and the pinnacle of preference is righteousness.

Islam also rejects the identity of geography; the Earth submits in absoluteness to the properties of its creation; with the understanding that the Earth is muslim. Irrespective of the identity of belief of the humans who inhabit a particular region, the Earth en mass is muslim. Geographical divisions, political segmentation, historical impacts, may affect global changes and differences; nothing, however, can affect the embracing universality of Islam inherent in all creation. Also, nothing can affect the diffusion of Islam into human minds, wherever mankind exists.

The external features and "presentation" of Islam are evident in the five ordinances which constitute a statement and four actions. The verbal confession of a statement and the performance of the four actions are essentially external functions of the appearance. These external practices may imbibe the inner love of true faith to surmount to the beauty and grandeur of devoted worship "Iman"; or may remain superficial, naked and devoid, unable to achieve the inner love of true faith, and by time degenerate to risk falling into the pitfalls of hypocrisy and falseness. In this context, it is necessary to elaborate on the understanding of Islam as "external features and presentation", and Iman as the piousness of devoted worship". When these external presentations and features of Islam are combined with "Iman" as the belief in Allah, His angels; His Holy Scriptures; His Apostles, the day of judgement; and fate good or bad; the ultimate situation is that this particular individual is a Muslim amidst the Muslim

WHAT IS ISLAM ?

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXl, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)

Islam is the surrender, resignation and absolute obedience to the Message of Allah as delivered by His Messenger Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) in the Holy Revelation of the Quran. This Message precipitated into certain injunctions, precepts, ordinances and decrees that have developed into sacramental doctrines of Islamic theism. The display and presentation of this submission is the strict practice and performance of the five pillars of Islam without addition or deletion. The witness that Allah is

rebel tribes in that area, as ordered by Abu Bakre at the start of the Iraqi campaign. That situation was disappointing to the Khalifah at Al-Madinah, to the Muslim worriors under the command of Ayyad. The only compensation for everybody was the Muslim victory in the south of Iraq. Khalid felt very stagnant, remaining for a year without active combat. He could not disobey Abu Bakre, however, he could manipulate his activities to suit the orders of Abu Bakre. He decided to move north to Al-Anbar and Ein Al-Tamre.

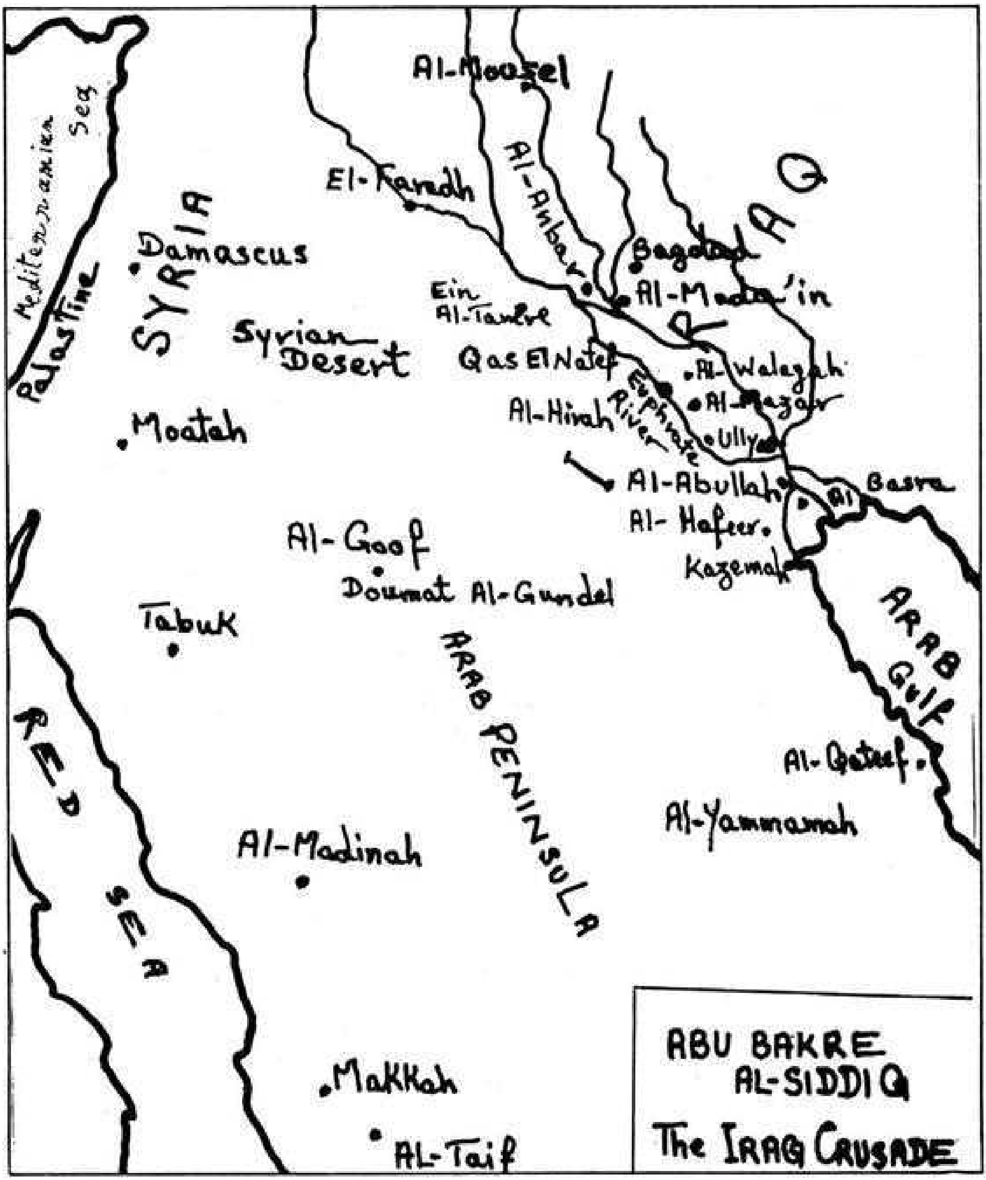

This attitude of behaviour on the part of the Persians and Christian Arab tribes did not demote the active thinking of Khalid ibn Al-Walid. Khalid considered that the real safeguard of Muslim presence in the territories occupied was by the capture of Al-Hirah, the main city in the south of Iraq. The governor of Al-Hirah was a Persian called Azathbah who acted on behalf of the King of Persia. Al-Hirah was the capital of the old Arab Iraq, and held a special favour and prestige in the hearts of the Arab tribes of Iraq. Azathbah recruited his troops and ordered his son to cut the waters flowing into the river to Amgeshia. The boats carrying the Muslim troops were marooned on the dry river bed. Khalid recognizing what had happened, speeded with his horsemen to the mouth of the river, attacked the son of Azathbah and his men, defeated them and opened the waters to flow into the river. The ships carrying the Muslim troops were again sailing afloat to reach the vicinity of Al-Hirah. Azathbah fled affected by the death of his son, and the death of Ardasheer, King of Persia. The inhabitants of Al-Hirah took refuge in the city bastions and prepared to defend the city. After a brief siege, the people of Al-Hirah requested a peace treaty, and that was arranged between Khalid ibn Al-Walid and several governers of the districts of Al-Hirah, in return of a compensation (Jiziah) to be paid annually to the Muslims in return for offering protection to the people of the districts of Al-Hirah. These districts included Qus Al-Nateff and others. The people of Al-Hirah were allowed the full freedom to practice their Christian faith and to have the property of their lands and trade. The news of these peace treaties reached Abu Bakre at Al-Madinah, who approved the treaties and wrote to Khalid his further instructions.

Khalid took Al-Hirah as his headquarters, and proclaimed it the first Islamic capital outside the Arab Peninsula. He left the civil and social administration to members of its population with full justice and freedom to prevail. This new policy introduced by Muslim occupation created an atmosphere of social order, peace, stability, social and individual self respect. The people of Al-Hirah and all the occupied territories in the south of Iraq, from the coast of the Arab gulf south to the precincts of Al-Mada'in north; had never experienced such social justice and prosperity during the days of the Persian occupation. Khalid ibn Al-Walid organized his troops and stationed strongholds in strategic places. The strict order of Abu Bakre to Khalid, was to remain at Al-Hirah and not march to Al-Mada'in until further isntructions. Khalid remained at Al-Hirah for one whole year without any fighting engagement.

During that time, Ayyad ibn Ghanm found difficulty at Doumat Al-Gundel, and was not successful in subjugating the

Abu Bakre to the Muslim commanders in Iraq. Khalid ibn Al-Walid garrisoned the main body of his troops at Al-Mazar, and commissioned guard forces to be stationed at Kazimah, Al-Hafeer, Al-Basrah, and at Al-Abullah. He remained at Al-Mazar, awaiting news of the Persian forces.

The new Persian command under Bahman Jazawiah decided to recruit Christian Arab Tribes to fight the Muslims alongside the Persian forces. This massive consortium of troops marched south from Al-Mada'in to Al-Walagah to prepare for a decisive battle against the Muslims. The news of the Persians reached Khalid ibn Al-Walid_at Al-Mazar. He planned his strategy, secured his supply lines and moved north with the bulk of his forces to confront the combined forces of Persians and Christian Arab tribes at Al-Walagah. After a severe battle, the Muslims were victorious. The spoils of battle were very abundant, which was lawfully divided among the Muslim worriors after the share of the treasury at Al-Madinah which was sent to Abu Bakre with news of the victory, and request for instructions of strategy and general policy. The commands of Abu Bakre were always to be just, humble, honest, not to plunder, not to kill children, women, old men, or any body who did not take part in combat against Muslims; and to allow farmers the free cultivation of their lands and trade.

The defeated Christian Arab tribes became very distressed with the disaster at Al-Walagah, more so than the Persians themselves. These tribes took the initiative and contacted the Persian command to arrange for another confrontation against the Muslims with a combined strength of Persian and Christian Arab tribal forces. They arranged to join forces at Ullyass on the Euphrates River between Al-Hirah and Al-Abullah under the command of Bahman jazawiah. Khalid ibn Al-Walid strategically circled back to Al-Hafeer to safeguard his back, and then marched north to Ullyass on the Euphrates River. At Ullyass, Khalid engaged the Christian Arab tribes and defeated them. The Persian forces then went into battle against the Muslims. The encounter was vehement, and fierce fighting took place, which ended after rigorous efforts with triumph for the Muslims. After the victory at Ullyass, Khalid overtook Amgeshia. Again, the spoils of battle were collected and distributed, sending the share of the treasury to Abu Bakre with heralds of the triumph. The decisive military superiority of the Muslims was a severe blow to Persian pomp and arrogance. The Persian military establishment became distorted and very reluctant to venture into another confrontation against the Muslims. The Christian Arab tribes were dispersed in the deserts and in the lands between the Euphrates and Tigress Rivers.

Persian rule. Khalid ibn Al-Walid recruited about ten thousand worriors from the Muslims who fought on his side during the wars of the apostates. Khalid arranged to meet with Al-Muthanna at Kazemah. Khalid divided the total Muslim forces into three contingents. The first commanded by Al-Muthanna, the second by Addii ibn Hatem Al-Taii, and the third commanded by Khalid. The destination was Al-Hafeer a village of water wells to the north west of Kazimah. The Persian commander Hormuz gathered his troops to confront the Muslim forces. Both armies faced each other, and both Khalid and Hormuz went into a duel in which Khalid killed Hormuz. The Persian army rapidly dispersed and retreated. Khalid ibn Al-Walid commanded Al-Muthanna to pursue them. Al-Muthanna continued his pursuit of the retreating Persian troops to reach Al-Basrah, then Al-Abullah and further penetrating the lands north to reach the environs of Al-Mazar on the tributaries of the Euphrates River.

The policy dictated by Abu-Bakre was very strictly implemented. The farmers of Iraq in the territories overrun by Muslims were left in peace to cultivate their lands without any interference. They were relieved from the tyranny and subjugation of the Persian rule. Khalid divided the spoils of war between his worriors, after sending the lawful share of one-fifth to Abu Bakre to be put in the mulsim treasury. Khalid secured his lines of supply and posted security forces at strategic points. The first victory over the Persian forces on the battlefield raised the enthusiasm and eagerness of the Muslim worriors fighting outside the Arab Peninsula. Their presence in what was to them foreign lands, was instigated essentially by their duty to strive for the call to the path of Allah and to summon to Islam. This was perpetuated by their love for adventure, gallantry, and the strength in triumph, and lawful rewards from the spoils of battles.

Al-Muthanna ibn Harithah reached south of Al-Mazar where his scouts informed him that the Persian armies were gathering at Al-Mada'in under the command of Qaren ibn Qeryans. These armies were travelling south to Al-Mazar. Al-Muthanna wrote to Khalid informing him of the exact situation. On receiving that information, Khalid hurried with his troops to reinforce Al-Muthanna at Al-Mazar. There at Al-Mazar, the Muslim armies went into combat with the Persian forces, and once more, the Muslim armies were victorious. The defeated Persian forces retreated to the river mounted ships and prevented the Muslims from following them. The victorious Muslim armies remained at Al-Mazar re-organizing their ranks, collecting and dividing the spoils of war. The farmers were assured of thier land ownership, property, trade and social rights. This was specifically and repeatedly instructed by

ABU BAKRE AL-SIDDIQ
THE IRAQ CRUSADE
(Part 1)

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

Abu Bakre took time to deliberate and consider in the resignation and self denial of a true muslim. The decision to allow Muslims to infiltrate across the northern borders into Iraq was not any easy decision. He consulted companions of the Prophet, war veterans, pious men, and people with foresight and wisdom. He deeply supplicated to Allah to grant him the decision that would be for the benefit of Islam and Muslims. Al-Muthanna ibn Harithah Al-Shaibany had already penetrated the Iraq borders with Muslim worriors travelling north along the Arab Gulf to reach the environs of Kazimah south of Al-Basrah. Al-Muthanna ibn Harithah came to convene with Abu Bakre at Al-Madinah, to explain the exact situation and invoke Abu Bakre to the decision to cross the Iraq borders and emancipate Arab tribes and Iraqi farmers from the yoke and oppression of the Persian rule. Abu Bakre finally conceded; inherent in his mind the deep desire for the spread and propagation of Islam, the Muslim crusade into Iraq.

Abu Bakre ordered Al-Muthanna to continue fighting the Persian troops in the territories south of Iraq. When the news of victory reached Abu Bakre, he decided to support Al-Muthanna by sending other Muslim troops into Iraq. Abu Bakre commissioned Kalid ibn Al-Walid to recruit Muslim troops and march north from Al-Yammamah where Khalid was residing and to meet with Al-Muthanna. Abu Bakre also commanded Ayyadh ibn Ghanm to march north from Al-Madinah to Doumat Al-Gundel to subdue the rebels in that area, and then travel east to Al-Hirrah into Iraq territory. Abu Bakre ordered the Muslim commanders crossing into Iraq to be very linient and just with the Iraqi farmers, not to fight them, not to take them prisoners, to allow them cultivate their land and trade their crops, and to relieve them from the dire affliction of the

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION
Vol. 61, Part III
Rabie Al-Awal, 1409, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq.
The Iraq Crusade.
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. What is Islam ?
By: Abdel Hakim Ahmed Taha.

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ
نوفمبر ١٩٨٨ م
الجزء الرابع
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

وضاع جوار قريش !

للعرب تعليق رائع على « كَدَثٍ » لم يتوافر له عنصر « الإحكام » فأودى بفاعله :

فقد أراد مَنْ لا يحسن السباحة أن يعبر نهراً ، فأتى بقراب لجلد حيوان ونفخه بِفَمِهِ حتى كدَّسَهُ هواء ، ثم أَوْكى رقبته بوِكاء[1] ، واندفع به فى النهر كحزام واق ، حتى إذا توسط النهر انحل الوكاء ، فتسرّب الهواء ، وغرق هذا العابر ، فقالت - فيه - العرب :

« يَدَاكَ أَوْكَتَا وفُوك نَفَخ » .

أى : أنت صانع هلاكك ومدبره ، فما ائتمر عليك أحد ، ولا أقحم نفسه عليك إنسان ، وصار التعليق مَثَلاً لمن يُوَبَّخُ على فشله بما كسبت يداه .

وهذا المثل أصدق ما يكون على قريش ، وهى تمارس ألوان العدوان على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين - رضوان الله عليهم - وبخاصة بعد وقوع « عُهْدَة الجوار » مع المدنيين ، فإنها حين كانت تأتمر بالمؤمنين إنما كانت تأتمر برءوس زعمائها حتى ألقت بهم فى « أتون بدر » فما بعدها فذهبوا وقوداً للجحيم .

وممارسات قريش العدوانية هذه إنما انطلقت من شيء واحد ، هو اعتبارهم « المدينة » عدوا محارباً يُعِدُّهُ محمدٌ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للقضاء عليهم ، فتبادروا للتصدى لهذا « العدو » بكل سبيل . ومن هنا كانت هذه الممارسات التى اتخذت طابعين :

طابع سريع التنفيذ له ممارساته .

وطابع بطيء التنفيذ طويل المدى مستمر الضربات إلى أن يتم تنفيذ « حلم » القوم بالسيادة على المدينة .

وقد لا تكون هاتان السياستان تكونتا من القوم سريعاً عقب العهدة ، لكن ممارساتهما وُجِدَتا على أى حال ، ونشطتا فى تتابعهما :

فكان بعضها سافراً ضد رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

وبعضها سَوْماً من عذاب المؤمنين بمكة .

وبعضها عدواناً مباشراً على المدينة أو أهلها .

ولقد أمكن - بعون الله تعالى - حصر هذه الممارسات ، ولكن .. لعلها ليست كل شيء فعلمها عند ربى .

ولا ننسى أن نُذكِّرَ المتابِعَ لهذه الحلقات بحرص مؤمنى مكة ، من كان منهم بالمدينة ، أو كان بمكة ، وفى مقدمتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الا يورطوا المدينة فى أذى فضلاً عن أن يكونوا سبباً فى دفعها إلى حرب ؛ فهم يبغون السلامة ، يريدون أن يكونوا ضيوفاً كراما خفافاً يفرغون لرسالة ربهم ،وينصحون بها فى دعوة خالصة التقوى، نقية السريرة .

وأبت قريش إلا ما تريد ؛ فقد كان لا يرضيها إلا ردع هؤلاء المهاجرين ، ثم درسٌ قاسٍ ينزل بالمدينة وأهلها تسترد قريش بعده زعامة الجزيرة ..

أبت قريش ، وأبى الله إلا ما يريد .

ولقد قدمنا - فيما مضى من حديث - بعض هذه الممارسات ، وسوف نشير إليه سريعاً ليتوافر لنا حصر الجميع فى إطار واحد ؛ قلنا :

- كان تفسير « عهدة الجوار » بأنها حلف لمحاربة قريش هو - فى ذاته - عدوان أوّل موجه إلى المدينة .
- تَبِعَهُ - ثانياً - مطاردة اليثربيين مطاردة جماعية تبغى إلحاق الأذى بهم عقب قفولهم من مِنى إلى دِيارهم عقب الحج ، وتمكنهم من أذى سعد بن عُبادة - رضى الله عنه - ولولا جوار أنقذه لكان من الهالكين .. وذلك عدوان واضح على المدينة .
- مَنْعُ قريشٍ أهلَ المدينة من ممارسة الشعائر الدينية بالأرض الحرام بعد هذا العدوان ، فلم يتمكن من أدائها إلا من دخلها منهم بجوار من مكىّ ، ووقعت هذه المصادرة للمدنيين فقط من بين سكان الجزيرة ، والعدوان - على المدينة فى هذا الأمر - واضح .
- إنزال العذاب بالمؤمنين فى مكة ، والتفنن فى ألوانه حتى جأروا منه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم .
- وقفت قريش تمنع المؤمنين من الهجرة لاعتبارها كُلَّ مهاجرٍ قوة تضاف إلى خصمهم فى

المدينة ، من أجل ذلك رصدوا عيونهم على المسلمين فماهاجر من هاجر منهم إلا خفية .

● فلما وقعت الهجرة ، وتمكن منها من هاجر سعت قريش إلى إرجاع المهاجرين بأسلوب مختلف عما فعلته فى الحبشة ، فقد طلب سفيرا قريش إلى الحبشة إرجاع المهاجرين جميعاً إلى مكة ، فلم يتحقق من ذلك شيء فَرَأَوْا - بالنسبة للمدينة - إعادتَهم وِحْداناً ، وتقدمهم - إلى ذلك - أبو جهل نفسه ؛ فقد احتال ، ومعه شقيقه الحارث بن هشام لإعادة أخيهما لأمهما « عَيَّاش بن أبى ربيعة » رضى الله عنه ، حدث ذلك ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا زال مقيماً بمكة لم يبرحها ، فذهبا إلى أخيهما المهاجر بالمدينة ، ومكرا به ، وأتياه من حيث برّه بوالدته وحدبه عليها حتى أقنعاه بالعودة معهما ؛ لأنها « نذرت ألا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك » فَرَقَّ لها ، ولم تصرفه كلماتُ عُمرَ إذ قال - يثنيه : « إنه - والله - إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ؛ فوالله ، لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة لا ستظلت » .. وما أن كانوا بظاهر المدينة حتى عَدَوْا عليه فأوثقاه ، وأعانهما عليه الحارث ابن يزيد القرشى من كنانة ، ودخلا به مكة موثقاً ، وجلداه نحوا من مائة جلدة ، فَعَلَا ذلك كله ليجعلا من عياش عبرة لمن تحدثه نفسه بالهجرة ، ونادى أبو جهل - فى أهل مكة :

« هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفهائنا » .

وتبعه فى ذلك أناس ، واستمرت ممارسة هذا اللون دهراً طويلاً .

● ثم كان تآمرهم برسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقتله ، جاء فى "الدرر" ص ٥٨ :

« فلما رأت قريش أن المسلمين قد صاروا إلى (المدينة) وقد دخل أهلها الإسلام ، قالوا : هذا شرٌّ شاغل لا يطاق . فأجمعوا أمرهم على قتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم » وفى « الحلبية » ٢/ ٢٥ .

« إن هذا الرجل - يعنى النبى - صلى الله عليه وسلم - قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإنَّا - والله - لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه ، فأجمعوا فيه رأيا » .

فكان إجماعهم على قتله - صلوات الله وسلامه عليه - فبَيَّتوه ورصدوه وأنجاه الله - سبحانه - وخرج سليماً ، وقد أُذِنَ له فى الهجرة صحبة الصديق - رضى الله عنه .

وليس يعنى ذلك أن التفكير والتدبير لقتله - عليه الصلاة والسلام - قد انتهى بهجرته ، فقد توالت هذه المؤامرات بعينها حتى اشترك فيها منافقون ، وقام لها يهود .[٢]

● استولت قريش على ما أمكنها من أموال المهاجرين المستضعفين ، ومنهم صهيب الرومى - رضى الله عنه - لم يُترك لهجرته حتى تَرَكَ لهم ماله .

● الاستمرار فى مقاومة الدعوة ، فمن ذلك ما فعلوه حين علموا بما حدث بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسُراقةَ بن مالك ؛ فقد تحدث سراقة إلى قومه - وكان زعيماً مطاعاً فيهم - بما كان من شأنه مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وَأَمَارات صدقه وبره ، واشتهر ذلك عنه .

قال ابن كثير :

« فخاف رؤساء قريش مَعَرَّته ،[٣] وخشوا أن يكون ذلك سبباً لإسلام كثير منهم ، وكان سراقة

أمير بنى مُدْلج ورئيسهم ، فكتب أبو جهل ـ لعنه الله ـ إليهم : فى أبيات تضمنت :

بنى مُدْلج إنى أخاف سفيهَكم   سُرَاقَةَ مُسْتَغْوٍ لِنَصْرِ محمدِ
عليكم به ألَّا يُفَرِّق جمعكم   فَيُصْبِحَ شَتَّى بعد عِزٍّ وسؤدد »

قال : « ذكر هذا الشعر (الأموى) فى مغازيه ـ بسنده ـ عن أبى إسحاق ، وقد رواه أبو نُعيم ـ بسنده ـ من طريق زياد عن ابن إسحاق ، وزاد ـ فى شعر أبى جهل ـ أبياتاً تتضمن كفراً بليغاً »[٤] .

● فتحت قريش ذراعيها لإيواء المنافقين من « المدينة » وبخاصة من تقدم منهم بأذى للمسلمين كذلك سعوا إلى اليهود لتكوين جبهة ضد المؤمنين ـ فى عقر دارهم ـ وتلك من سياسات قريش طويلة المدى ، من ذلك أنه :

استقبلت قريش الحارث بن سويد مرحبة به ، وكان منافقاً خرج مع المسلمين (يوم أحد) فلما التقى الجمعان عدا على المُجَذَّر بن زياد البلوى فقتله ولحق بقريش فأوته[٥]

ثم كان أبو سفيان « فأرسل رجالاً من قريش إلى المدينة فحرقوا بعض نخلها ووجدوا أنصارياً فقتلوه » وهكذا امتدت أيديهم إلى التخريب فى المدينة .

● جلب السلاح لمحاربة المسلمين وهذه إحدى سياسات قريش لإشعال الحرب ـ فِعلاً ـ وتلك السياسة هى التى دفعت بالمؤمنين المهاجرين إلى رصد قوافل قريش لإنهاك اقتصادها ، وقد استطاعت سرية لعبد الله بن جحش ـ رضى الله عنه ـ أن تصادر قافلة منها فاستاقوا عِيرَها إلى المدينة،وكانت عيون المسلمين على علم بنشاط قريش لجمع السلاح قبل (بدر) وسجل ذلك شعراً المؤمن الكفيف عبدُ أبو أحمد بن جحش ـ رضى الله عنه ـ ومن أبياته فى ذلك قوله :

إلى الله وجهى والرسولِ ومن يُقِمْ   إلى الله يوماً وجهَهُ لا يُخَيَّبُ
وكُنَّا وأصحاباً[٦] لنا ، فارقوا الهُدى   أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كَفَوْجَيْنِ أمَّا منهما فَمُوَفَّقٌ   على الحق مَهْدِىٌّ ،وفوجٌ مُعَذَّب

● ثم تصل قريش إلى أوج غرورها ـ قبل بدر ـ إذْ هددت كتابة بحرب المدينة ، واستباحة حرماتها بعد هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليها ، فأطاحت ـ بيدها ـ مالها من حصانة،إن كانت،فلم يجد المسلمون بدا من اتخاذ أسباب السلامة ، وتطويق ما أمكن من قوافل قريش :

فكان من ذلك وقائع ، روى أبو داود فى سننه ـ رضى الله عنه ـ بسندِهِ ، قال :

إن كفار مكة كتبوا إلى ابن أُبَىّ ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يومئذ ـ بالمدينة ـ قبل وقعة بدر :

(إنكم آويتم صاحبنا ، وأنا نُقسم بالله لَتُقَاتِلُنَّهُ أو لَتُخْرِجُنَّهُ ، أو لنسيرَنَّ إليكم بأجمعنا حتى نقتلَ مقاتلتكم ونستبيح نساءكم) .

فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبى ، ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فلما بلغ ذلك النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لَقِيَهُم فقال :

لقد بَلَغَ وعيدُ قريش منكم المبالغ ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم ،

تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم » .

فلما سمعوا ذلك من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تفرقوا »[٧]

وبعــد ..

فمن الملاحظ أن أحداثاً من هذه الممارسات وقعت بعد (بدر) وليس يعنى وقوعها بعد بدر أن ليس لها نظير من قبل بدر ، فقد كانت مؤامرات آثمة تحاك فى الظلام ، ومثلها عادة يحتاط له فلا تصيبه عين التاريخ ، وكم من أحداث تمت فى الظلام حتى خفيت عن معاصريها ، فضاعت وضاع معها التاريخ .

هذا ، ثم إن أعتى هذه الممارسات فعلاً وأشرسها ضراوة كان قبل بدر حتى انتهى إلى هذا التهديد السافر بغزو المدينة ، ولست أدرى : بم أصف كُتَّابا غربيين ومن جاراهم من شرقيين عابوا على المسلمين رصدهم لتجارة قريش .

أكان ذلك عن جهل بالتاريخ ؟!

أم هو الحقد على الإسلام والمسلمين ؟!

.. هما معا لتشويه منزلة النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه ـ وصحابته المرضيين ـ رضوان الله عليهم ؟!

أيما كان :

فقد أذن الله ـ سبحانه ـ لرسوله صلى الله عليه وسلم ـ فى القتال بعد هجرته ـ عليه الصلاة والسلام . وأمام القارىء ممارسات قريش التى يجب أن تواجه ، وتُرْصَد ، ويُقْضَى عليها ، فكانت سراياه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغزوته قبل بدر ، وهى سرايا وغزوات قام بها المهاجرون ـ فقط ـ وانتهت إلى :

أ ـ تأمين الطريق أمام المسلمين بما أقامه رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ـ من عهود مع بعض القبائل كالعهد بين المسلمين ومجدى بن عمرو الجهنى بـ(العيص) بلد قريب من المدينة) ومصالحته لبنى ضمرة فى غزوة (ودّان) وحِلْفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ معهم ـ على نصرة المسلمين ومحالفته لبنى مدلج وحلفائهم فى غزوة العُشَيْرة .

ب ـ استطاعت بعض السرايا ـ كما مر ـ أن تحيط بقافلة وتَفُتَّ بذلك فى عضد قريش، وبإذنه ـ سبحانه وتعالى ـ لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القتال ـ صار قتاله ـ عليه الصلاة والسلام للأعداء على مبادىء خمسة كان المبدأ الأول منها :

« اعتبار مشركى قريش محاربين لأنهم بدءوا بالعدوان ، فصار للمسلمين قتالُهم ومصادرة تجارتهم حتى يأذن الله بفتح مكة ، أو تعقد هدنة وقتية بين الطرفين »[٨]

ثم وجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى القرشيين سهماً صائباً، إذ نَصَّت وثيقة الموادعة التى وضعت فى المدينة ـ بعد الهجرة وقبل بدر ـ على إسقاط "جوار" قريش نفساً ومالاً ، فجاء فيها:

« ٢٠ ب (وإنه لا يُجير مشرك مالا لقريش ، ولا يحول دونه على مؤمن)»
وفى « ٤٣ (وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها)»[٩] .
وهكذا فقدت قريش ـ فى ضوء سياسة هادئة صبورة رشيدة موفقة :
١ ـ أمان الطريق .
٢ ـ جوارها المتبادل بينها وبين القبائل .
٣ ـ أرضا لقبائل يمكن توجيه الحرب منها ضد المدينة .
أو بلسان العصر « أصبحت قريش فى عزلة » فإن من يحارب مع قريش سوف يحارب قريشاً إذ المهاجرون بعض قريش ، وذلك ما تأباه العرب .

د. على أحمد الخطيب

الهوامـــش

١ ـ ربطها بحبل

٢ ـ راجع لابن الأثير ـ أسد الغابة ـ الترجمة رقم ٠٩١ : ط الشعب . حيث : مؤامرة صفوان بن أمية وعمير بن وهب بن خلف الجمحى القرشى لقتله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانظر بمراجع السيرة الشريفة ، وبخاصة « الشفاء » للقاضى عياض شيئاً من هذه المؤامرات . قَبِيْحَة : بيان عمن اخترط سيفا لقتله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو راقد ، ولمنافق مَرَّ بفرسه فى سرعة جنونية ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائم على شريط ضيق أسفله مهوى وَعْرٌ ، يريد بذلك الا يتمكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من النجاة فى الوقت المناسب لسرعة المفاجأة ، ثم أمر الشاة المسمومة .. إلخ كل ذلك ، ومن والله محيط بكيدهم حافظ لرسوله صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ تطلق المَعَرَّة ، ويراد بها : الأذى والمساءة والمكروه ، والغُرْم ، والإثم ، والشِّدة . إلخ ..

٤ ـ ٢٤٩/٢ .

٥ ـ روى أيضاً أنه قتل معه قيس بن زيد أحد بنى ضبيعة ، ولم أعثر على هذا الصحابى ـ رضى الله عنه ـ بأسد الغابة .

٦ ـ كذا بالنصب .

٧ ـ سنن أبى داود ١٣٩/٢ ، ١٤٠ ط أولى سنة ١٣٧١ مصطفى البابى الحلبى . وانظر . د/ محمد حميد الله ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص ٤٨ ط ٣ الإرشاد ـ بيروت ١٣٨٩ .

٨ ـ انظر للشيخ محمد الخضرى بك ـ نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ص ١٣٤ ، ١٣٥ مطبعة الآداب مصر ١٣٢٨ .

٩ ـ انظر ابن كثير ٢٢٣/٢ ود/ محمد حميد الله ـ المرجع السابق ص ٤٤ و٤٦ .

ميلاد الرسول

صلى الله عليه وسلم

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

درج الناس فى هذا العصر على ان يقيموا الاحفال والمادب فى مناسبات اجتماعية ، وسياسية ، تنوعت من جيل إلى جيل ، وكان تاريخ ولادة إنسان اى إنسان محل الاحتفاء من أهله وذويه يكرمونه فى حياته ، ويذكرونه بعد مماته وسرت هذه العادة بين المسلمين فانبروا فى جهات عديدة من اوطانهم يتلهفون على استقبال كل يوم مشهود لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل ايامه صلوات الله وسلامه عليه مشهودة معدودة فى الأيام الخوالد .

وإذا كان المسلمون يذكرون اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول : يستقبلونه بالفرح والسرور ، باعتباره تاريخ يوم ازدانت فيه الإنسانية بولادة الرسول الذى اصطفاه الله ختاما لأنبيائه ورسله واختصه بمعجزات عديدة توجت بالقرآن الكريم ، كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد .

فإن مولده صلى الله عليه وسلم كان إرهاصا ببلوغ الإنسانية رشدها ، وأنها تأهلت لتلقى رسالة الله إلى الناس ـ الإسلام ـ كلمة الهدى ودين الحق ، وأن ولادته فى (مكة المكرمة) قد أشاعت فيها النور والسرور ، والصفاء والدعة وأذنت بتجديد دعوة إبراهيم فى بيت الله الحرام ، وأنه بهذه الولادة وبذات المولود اعتدل الزمان ، وخشع لذكره الكهان وتصدع ـ رهبة لدينه ـ الإيوان ، بالرغم من ولادته فى كنف اليتم ، فلم تتسابق إليه المراضع ، بل ظفرت به مرضع لأنها لم تظفر آخر المطاف بغيره .

نذكر ـ نحن المسلمين ـ ، بل ، بنى الإنسان ـ أن الله سبحانه شاء لنوره وبرهانه أن يشرقا فى هذا المنزل المتواضع كما شاء أن يظهر مجده وسلطانه فى هذا اليتيم الوادع ، ولعلمه وقرآنه أن ينزلا على هذا الأمى لتكون آيته مبهرة للعيون والأفئدة ، ودعوته أبرع فى العقول والألباب ..

ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

جلت حكمة الله ، فلو اتخذ رسله من الملوك لا تهمت المعجزة والتبس على الناس أمر القدرة ، قدرة الله الكبير المتعال .

ولد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، مثل الله الأعلى للإنسان الكامل ، الذى رباه الله وأدبه ، وصوره خَلْقا وخُلُقا سويا ليرسم الأخلاق بالمثل ويعلم الدين بالعمل وينظم الحياة بالقدوة .

نعم : فقد اجتمع فى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ماتفرق فى جمع الناس من خصال الرجولة ، وخلال البطولة ، وخلائق النبل ، مع أن بيئته العامة لا تملك من ذلك إلا القليل متفرقا فى الأفراد والزمان .

كانت ولادته وحياته صلى الله عليه وسلم قانونا إلهياً خالداً لصاحب الدين ولصاحب الدنيا كذلك ، وما تزال وسائل الجهاد التى حدد بها أسلوب العيش وأقام بها ميزان المجتمع عناوين فخمة فى صفحات العلم والسياسة والأخلاق .

فلقد رعى على بعض أهله ، وسعى لبعض قومه واتجر فى مال زوجه فكان فى جلائل الأمور كما كان فى صغيرها صادق العزم ، كريم العهد وثيق الذمة ، راجح العقل حلو المعاشرة ، لين العطف ، وصفته زوجه خديجة فقالت : (يحمل الكل ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق) .

لقد جهر بدعوته إلى الله بعد أن خَافَتَ بها فى قومه ثلاث سنين ، وتألبت عليه عناصر الشر فما صرفته عن عزمه ، ثم تجلت فيه مواهب الكمال الإنسانى حيث حشد قوة النفس وقوى الصدق ، فجاهد بالصدق ، وجالد بالصبر ، وصاول بالرأى وحاور بالمنطق ، وتلك مزيّته على سائر النبيين والمرسلين إذ كان كل نبى وكل رسول يبرز على قومه فى بعض المزايا ، لكن رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم قد أتم الله عليه مانقص فى غيره ، فكان رسولا للدين وللدنيا وللتشريع ومع هذا فهو علم فى البلاغة ، ودستور فى السياسة ، وقائد فى الحرب .

فهلا تذاكرنا ـ نحن المسلمين ـ ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلق قويم ، فهو الأمين وهو الصادق وهو الوفى بالعهد وبالوعد وهو بالمؤمنين رءوف رحيم .

هلا تذاكرنا طريقه فى الدعوة إلى الله حيث أثنى الله سبحانه عليه فى كتابه فقال فى سورة آل عمران[1] : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

فهل لأولئك النفر من المسلمين الذين غلظت قلوبهم ، وانغلقت عقولهم فأساءوا إلى الدين بهذه الغلظة التى اتخذوها وسيلة فى الدعوة إلى الله وأشاعوا الخلف بين المسلمين ، وأقاموا الفرق والجماعات المتصارعة باسم الدين وأشاعوا أوصافا وأخلاقا يأباها الإسلام وأحيوا مواتا من الفكر الضال المضل ، هل لهؤلاء فى هذه الذكرى المباركة التى تمر بنا ـ أن يقرءوا سيرة رسول

---

(١) الآية : ١٥٩

الله صلى الله عليه وسلم وسنته فى فهم وتدبر وأن يتمثلوا طريقته وينهجوا سبيله فى الدعوة إلى الله ، فلا قسوة ولا جفوة ، ولا غلظة ، ولا سفاهة فى القول ، وإنما كما قال الله فى سورة النحل[٢] ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

وكما قال فى سورة التوبة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

هل لأولئك الذين يتبارون فى الدعوة إلى الفتن واختلاق أسباب الاختلاف والنزاع أن يعلموا أن الله سبحانه حذر من صنيعهم فقال فى سورة الأنفال[٣] ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

وهل لاولئك الذين يثبطون المسلمين ويدخلون عليهم اليأس فى دينهم ودنياهم أن يتفهموا قول الله سبحانه فى سورة الأحزاب[٤] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا. وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيرًا ﴾ .

فيقدموا البشارة والبشرى ، ويدعوا إلى الصفاء والنقاء ، والأخوة وحسن التعامل فى شئون الدين والحياة ، ويعدلوا عن بث اليأس فى القلوب ويعرضوا أحكام الإسلام ميسرة مبشرة لا منفرة .

هل لأولئك الذين لاهم لهم إلا نبش القبور وإظهار ماندثر ، من فكر نسب إلى المسلمين زوراً وبهتاناً ، أو غلوا فى الدين من غير سند أن يذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الذكرى قال فيما رواه الشيخان عن أنس رضى الله عنه :

(يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) .

وقال فيما رواه ابن حبان عن أبى هريرة :

(إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ..)

وهل لبعض الأقلام التى دابت على أن تقول فى الإسلام بغير علم أن تكف عن هذا وأن تكتب فيما تحسن ، حتى لا تخسر اسمها وتبور بضاعتها .

فى ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ينبغى أن يراجع المسلمون ـ حكاما ومحكومين ـ موقعهم الآن بين الأمم وما صاروا إليه من فرقة وهوان ـ فتقطعت بينهم أواصر الأخوة التى جمعهم بها على الإسلام ، والألفة والمودة التى نشأ عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم حيث كان الصف الإسلامى واحداً مستقيما لا ترى فيه عوجاً ولا أمتا ، وكان المسلمون كالجسد الواحد قيادتهم واحدة ودستورهم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

←

---

(٢) الآية : ١٢٥

(٣) الآية : ٤٦

(٤) الآيتان : ٤٥ ، ٤٦

ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

فى هذه الذكرى المباركة ينصح الأزهر الشريف المسلمين : حكاما ومحكومين أن يتمسكوا بدينهم ويرجعوا إلى ربهم ، ويوثقوا صلاتهم حتى يكونوا على قلب رجل واحد ، لاتتوزعهم الأهواء ، ولايستقطبهم الأعداء ، بل يكونون يدا على من سواهم ذلك قول الله فى كتابه فى سورة آل عمران(٥) .

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ..

لنتذكر أن الإسلام جاء وسطا وأنه دين الله وليس مذهبا من مذاهب البشر وأن فى كتاب الله تبيانا لكل شىء فما حاجتنا أن نتجه شرقا أو غربا أو شمالا أو جنوبا وأن نستورد مذاهب وأفكارا ليست من الإسلام فى شىء .

لنذكر نحن المسلمين أن الله دعانا إلى التوبة ومحاسبة النفس فلننظر ماذا بقى فى نفوسنا من الإسلام وماذا فى أخلاقنا من أخلاقه ، وهل أدينا الأمانة أم أضعناها ، وهل أقمنا شرع الله أم غفلنا عنه وانبهرنا بكل جديد وإن كان ضاراً غير مفيد .

لنذكر كيف جمع الإسلام الشعوب المختلفة على مائدة القرآن فصارت أمة واحدة وثيقة العرى لم تتفرق إلا بعد أن أحيا أعداؤها فيما بينها ـ الشعوبية والعرقية ، وصولا إلى تمزيق صفها وإبعادها عن معالم دينها ، وصرفها عن ملتها وعن قرآنها .

فما أجدر المسلمين ـ وقد حلت بهم هذه الذكرى العطرة ـ أن يخشعوا إجلالا لها . فقد جاء صاحبها بالتوحيد وبالوحدة وبالسلام والوئام والمحبة .

وإنه لجدير بالزعماء والرؤساء أن يجدوا سبيلاً فى جمع الكلمة ووحدة الصف وأن يتخذوا منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم سبيلاً إلى هذا العمل الفريد المجيد ..

وباسم الأزهر الشريف أهنىء المسلمين عامة بحلول هذه الذكرى ، ذكرى ميلاد الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه ، كما أهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء .

وأدعو الله أن يوفقهم إلى قيادة شعوب الأمة الإسلامية إلى ماتستقيم عليه الحياة حتى يرتفعوا بأمتهم ويحتلوا مكان الصدارة فى الوجود ، ولايكون هذا إلا إذا اتخذوا ـ فى السر والعلن ـ من أحكام الله منهاجاً ومن سنة رسول الله علاجاً ، ومن سيرة السابقين الصادقين فى الإسلام قدوة وإماماً .

صلى الله وسلم على صاحب هذه الذكرى وهدى الأمة إلى الاقتداء به تحقيقا لدعوته ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ .. ﴾

---

(٥) من الآية : ١٠٣

وفد نجران المسيحي

في سورة آل عمران

لفضيلة الشيخ :

مصطفى محمد الحديدي الطير

هذا المقال من الآثار الطيبة لفضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى محمد الحديدي الطير العالم العامل المعروف الذى مضى إلى لقاء ربه تاركاً بين أيدينا تفسيره للقرآن الكريم ومراجعته للتفسير الوسيط ، ومؤلفاته العديدة في العقيدة وما اختلف من شئون المسلمين ، وعلمه المدون الذى وقع حجة للإسلام لدى المناوئين ، وسيرة فذة - في هذا العصر - بما جمعت من خلق كريم .

ذلك مما قدمت يد فضيلة الدكتور مصطفى محمد الحديدي - رحمه الله - نبراساً وعبرة لمن يذكر ويعتبر ، ويودان يلقى الله - عز وجل - على شيء مما قدم الراحل الكريم .

فلأسرته من المجلة والعاملين بها خير العزاء ... صبر جميل والله المستعان ...

مجلة الأزهر .

كان العرب في أطراف الجزيرة العربية ، ينتظرون ما يسفر عنه الكفاح بين نبينا محمد ﷺ وبين قريش ، فإن ظفرت قريش فهم معهم ، لأنهم وثنيون مثلهم ، ولأنهم أئمتهم وقدوتهم ، فهم أهل بيت الله الذى يقدسه العرب أجمعون ، كما أن أهل الكتاب منهم لم يكونوا مقرين بنبوته ﷺ ، ولكنهم مع ذلك لايريدون مجابهته ، فلعل النصر يكون في جانب قريش ، فيكفونهم خطر المواجهة معه ، فإن كان في جانبه ﷺ فقد أمنوا من انتقامه منهم .

فلما فتح المسلمون مكة في السنة الثامنة الهجرية واستسلمت لهم قريش ، بل ودخلوا في دين الله أفواجاً ، لما حدث ذلك اقبلت القبائل العربية على الإسلام ، وأهل الكتاب على المصالحة فأرسلوا وفودهم لتحقيق أحد هذين الأمرين ، وكان عدد الوفود وفيراً ،

وفد نجران المسيحى

فمن أجل هذا سمى هذا العام عام الوفود ، ومن هذه الوفود وفد نجران المسيحى ، وفيما يلى بيان مادار بينهم وبينه ﷺ ، وما نزل فى شأنهم من الآيات فى سورة آل عمران .

بيان ماكان من أمرهم

ذكر محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ، أن وفد نجران كانوا نصارى ، وفدوا على رسول الله ﷺ بالمدينة فى ستين راكباً ، فيهم من أشرافهم أربعة عشر رجلاً ، وفى هؤلاء ثلاثة يرجع أمرهم إليهم (العاقب) أمير القوم وصاحب آرائهم ، واسمه عبد المسيح (والسيد) ثمائهم ـ أي ملجؤهم ـ وغياثهم فى الشدة ، وصاحب مجتمعهم ، واسمه الأيهم ، وثالثهم أبو حارثة بن علقمة أحد بكر بن وائل ، ويلاحظ أن كلمتى (العاقب والسيد) لقبان شرفيان ، وليسا اسمين لهما ، وقد تقدم بيان اسم كل منهما ، فدخلوا على رسول الله ﷺ إثر صلاة العصر ، عليهم ثياب الحَبِرات[1] ـ جبب وأردية ـ فقال أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مارأينا وفداً مثلهم جمالاً وجلالة » .

وحانت صلاتهم فقاموا فصلوا فى المسجد النبوي إلى المشرق ، فقال النبى ﷺ : « دعوهم » ثم اقاموا بها أياماً يناظرون رسول الله ﷺ فى عيسى ، ويزعمون انه ابن الله ، إلى غير ذلك من أقوال شنيعة مضطربة فى شأنه ، ورسول الله ﷺ يرد عليهم بالبراهين الساطعة وهم لايبصرون ، ونزل فيهم صدر سورة آل عمران إلى نيف وثمانين آية ، إلى أن دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة ـ أي الملاعنة بأن يقول كلا الطرفين : ولعنة الله على الكاذب أو على الظالم منا .

هذه خلاصة ماذكره ابن اسحاق .

والأصل فى المباهلة اللعنة والدعاء بها ، ثم شاعت فى مطلق الدعاء ، كما يقال : فلان يبتهل إلى الله تعالى فى حاجة .

وجاء فى رواية ابن جرير عن الربيع قال : إن النصارى أتوا رسول الله ﷺ فخاصموه فى عيسى ابن مريم وقالوا له : مَنْ أبوه ؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان ، فقال لهم النبى ﷺ : ألستم تعلمون أنه لايكون ولد إلا وهو يشبه أباه ؟ قالوا : بلى ـ أي نعم نعلم ذلك ـ ، قال : ألستم تعلمون أن ربنا حى لايموت ، وأن عيسى يأتى عليه الفناء ؟ قالوا بلى ، قال ألستم تعلمون أن ربنا قَيِّم على كل شيء ، يكلؤه ويحفظه ويرزقه ؟ قالوا : بلى ، قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً إلا ماعُلِّم ؟ قالوا : لا ، قال : ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء ، وأن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ، ولايحدث الحدث ؟ قالوا بلى ، قال : ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غُذِّىَ كما يُغَذَّى الصبى ، ثم كان يأكل الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث ؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف يكون هذا كما زعمتم ، فعرفوا ثم

(١) جمع حَبِرة ، ضرب من الثياب اليمانية .

ابوا إلاّ جحوداً ، فأنزل ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . . ﴾ الآيات .

والواقع أن هذا الوفد وغيره من المسيحيين مضطربون فى عقائدهم فى عيسى ـ عليه السلام ـ فهم يقولون تارة هو الله ، وأخرى هو ابن الله ، وثالث عقائدهم فيه أنه ثالث ثلاثة ، ويعبدون الصليب ، فأنزل الله صدر سورة آل عمران ، ذكر فيها اختلاف أمرهم فيه ، وأبطل جميع مقالاتهم ، وأثبت وحدته تعالى فى الربوبية ، فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا ، وأنه وحده له الخلق والأمر لاشريك له فيه ، ورد عليهم مابتدعوا من الكفر ، وماجعلوه له من الأنداد ، وبيَّن أنه لا إله إلا هو وأنه الحى الذى لايموت ـ وقد مات عيسى فى قولهم ـ كما أثبت أنه القيوم القائم على ملكه لايزول وقد زال عيسى ، إلى غير ذلك مما جاء فى النصوص القرآنية فى صدر (آل عمران) .

حججهم فى ربوبيته

١ ـ وهؤلاء وأمثالهم يحتجون لربوبيته ، بأنه كان يحيى الموتى ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا ، ولا يشاركه فى مثل ذلك أحد .

٢ ـ وأنه لم يكن له أب ، وأنه تكلم فى المهد ، وصنع مالم يصنعه أحد قبله من ولد آدم .

٣ ـ وأن الله تعالى يقول : فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا ، فلو كان واحداً لقال : فعلت وأمرت وخلقت وقضيت ، ولكنه هو وعيسى ومريم ـ كذا قالوا .

الرد على تلك الدعاوى والحجج

١ ـ هذه المزاعم كلها باطلة ، فإن إحياءه للموتى محصور فى عدد يعد على الأصابع ، لتكون معجزة تؤيده لدى بنى إسرائيل الذين زعموا أن موسى السامرى خلق لهم عجلاً جسداً له خوار ، وأنهم عبدوا العجل لذلك ، كما عبدوا آلهة الشعوب المجاورة كما نصت عليه كتبهم ، فكان من اللائق ، أن تكون معجزة نبيهم أكبر مما صنعه السامري ، ولكي ينزلوا عن غطرستهم وكبريائهم .

ولو فكروا قليلاً لعلموا أن الله تعالى هو الذى أحياهم ، فهو الذى خلق الخلائق كلها قبل عيسى وبعده وفى عهده باعترافهم ، وأن عيسى ليس له شىء من كل ذلك إلا فى العدد المحدود الذى يعد على الأصابع ، وكما أنه تعالى خلق جميع الخلائق فقد خلق عيسى وصوره فى بطن أمه ، ولا يستطيع هؤلاء المجادلة فى ذلك .

ثم إن هذه المعجزة صغيرة جداً بالنسبة لمعجزة بعض الأنبياء ، فالنبى صالح أخرج لقومه ناقة من الصخر وخلفها وليدها ، وكان من أمرها أنها تغذى قوم صالح يوماً كاملاً من لبنها والماء لها فى هذا اليوم ، وفى اليوم التالى يكون الأمر بالعكس ، فهل إحياء أربعة ـ مثلاً ـ يماثل ما فعله صالح ، والنبى موسى أعطى عصا خشبية انقلبت حية والتهمت مافعله سحرة فرعون ، وضرب بها البحر ، فانشق فيه اثنا عشر طريقاً بعدد أسباط قومه ، فعبروا على أرض يابسة والماء عن يمينهم وشمالهم لا يضيرهم ، وضرب بها الصخر فانفجر بهذه الضربة اثنتا عشرة

وفد نجران المسيحى

عينا ، لكل سبط منهم عين ، وكل ذلك مسجل فى كتبهم ، فهل إحياء الخشب وإتيانه بهذه العظائم أعجب ، أم إحياء أربعة من الآدميين .

ونبينا محمد ﷺ كانت له معجزات أعجب ، فقد طلبت منه قريش أن يروا القمر منشقاً ، فدعا الله تعالى ، فانشق القمر شقين على مرأى منهم جميعاً ، ومثل هذا الحدث الأكبر كان من شأنه الإضرار بالأرض وأهلها وبالمجموعة الشمسية ، ولكن الله حفظ الجميع وتمت أعظم معجزة ، وفيها يقول الله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ وله معجزات أخرى ، فيها ذكرى للذاكرين .

أما « خلق عيسى كهيئة الطير من الطين فبإذن الله ، وقد حدث مثل هذا لأبى الأنبياء ابراهيم ـ عليه السلام ، فقد طلب من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، فقال الله له ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ فذبحها وخلط بعضها ببعض ، ثم جعل على كل جبل منهن جزءاً كما أمره ربه ، ثم دعاهن بأسمائهن فأتوه سعيا .

وقد حدث لإبراهيم معجزة أخرى لاتقل عن إحياء الموتى ، وهى أنه حين ألقاه الملك الوثنى فى النار جعلها الله عليه برداً وسلاماً ، فانتقلت من الضد إلى الضد .

أما إبراء المسيح عيسى للأسقام وإخباره بالغيوب ، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، فإن ذلك من تمام معجزته التى أجراها الله علي يديه ، ليصدقه بنو إسرائيل الذين عبدوا العجل وآلهة الشعوب من حولهم كما تقدم .

ويضاف إلى ذلك أن مثل هذا الإحياء للموتى ، ماحدث من إبراهيم بإذن الله ، وقد روى القرآن قصته فقال فى سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . وعلى هذا لايختص عيسى بإحياء الموتى ، والأمر فى كل هذه المعجزات راجع إلى الله تعالى فهو الذى أجراها على يد أنبيائه لتكون معجزات لهم ، وآيات على أنهم مرسلون من الله ، فهى بمثابة أن يقول الله : صدق عبدى فى كل مايبلغ عنى ، وقد خص كلًّا منهم بما يناسب عصره فيها .

٢ ـ أما إخبار عيسى ـ عليه السلام ـ بالغيب ، فقد شاركه فيه يوسف عليه السلام ولم يختص به كما زعم وفد نجران المسيحي ومن على دينه ، فلما كان يوسف فى السجن قال لرجلين سجينين معه ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا . . ﴾ (٢) .

أما إبراء الأسقام فقد حدث من غيره ، فقد رد النبى ﷺ عين قتادة فى مكانها فكانت أحسن عينيه ، كما عالج عينى عليٍّ من رمد شديد ، فشفى فوراً ، إلى غير ذلك . وكثير من

(٢) سورة يوسف ـ من الآية ٣٧ .

الصالحين يحدثون عن الغيب ، بل إن الطير قد تحدث عن الغيب لسليمان ـ عليه السلام ـ في قصته مع ملكة سبأ ، فقد أخبره عن عظمتها في قومها ، وأنها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وهذا أعجب من تحدث الإنسان عن الغيب .

٣ ـ وقد زعم الوفد المسيحي من آل نجران أن عيسى ابن الله ، لأنه ولد من غير أب وهذا استنباط فاسد ، واستدلال كاذب ، فقد حدث ماهو أعجب من ذلك قبل أن يخلق عيسى بآلاف السنين ، فقد خلق آدم من التراب ولم يكن له أب أو أم ، ولم يستحق آدم عندكم وعند غيركم أن يوصف بالبنوة لله تعالى ، وإنما وصف بأنه عبد الله كسائر الأنبياء ، فلماذا لم تجعلوه ابن الله مع أن خلقه أعجب من خلق عيسى ، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[٣] .

والله تعالى خلق الإنسان اربعة أنواع : من ليس له أب ولا أم وهو آدم ومن له أب وليس له أم وهو حواء ، فقد خلقت من أحد أضلاع آدم . ومن له أم وليس له أب وهو عيسى . ومن له أب وأم وهو سائر البشر ، لتعلموا أن الله على كل شيء قدير .

الا فليعلم هؤلاء أنه لاحاجة لله في أن يكون له ولد ، فإن الولد يطلب لكي يكون وارثاً لأبيه بعد موته ، أو يعينه في شيخوخته ، والله تعالى حي لايموت ، ولاتعتريه شيخوخة ، فهو الذي خلق كل شيء ودبره ، فما وجه الحاجة إلى ولد يكون لله ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

٤ ـ وأما أن الله تعالى حين يتكلم يقول : خلقنا وحكمنا ، وهذا يدل على أنه ثلاثة . « الأب والابن ومريم » عند طائفة من المسيحيين ، أو هم الأب والابن وروح القدس عند طائفة أخرى منهم ، فهو كلام فارغ لايصح أن يقوله عاقل ، فإن المعظم لنفسه يقول فعلنا وقضينا ومن أولى بالتعظيم وبالعظمة من الله تعالى .

وإذا كان الله تعالى موجوداً وحده قبل خلق الكائنات وبعد خلقه لها ، أفليس من السفه أن يزعم بعضهم بعد خلق أم عيسى وابنها ـ أو بعد خلق عيسى وروح القدس (جبريل) أن يزعموا ـ أن الله ثالث ثلاثة .

عبادتهم للصليب !

ماأغرب عقيدة هؤلاء الناس ، يزعمون أن عيسى ابن الله أو أنه هو الله ، ثم يزعمون أنه صلب ومات ، ولذلك عبدوا الصليب .

كيف يعرض الإله نفسه أو ابنه للقتل من مخلوقاته ، ومن الذى كان يدبر الكون في أيام هذه الخرافة ، يقولون إنه فعل ذلك تكفيراً لخطايا عباده ، ويحهم ، أعجز الإله عن أن يقول للخاطئين من عباده عفوت عنكم ، وماهذه السياسة الخرقاء ـ أن يعرض نفسه لأكبر جريمة يفعلها عباده ، وهى القتل تكفيراً لخطاياهم ، ولا توجد خطايا أعظم من قتل الإله أو ابنه ، فهو بذلك يحملهم على ارتكاب اكبر الجرائم في الوقت الذى يريد فيه تكفير خطاياهم ، وتتميماً لهذه الخرافة عبدوا الصليب الذى زعموا أنه صلب عليه ، أي عبدوا هيكل الجريمة ، إنها لإحدى الكبر .

(٣) آل عمران ـ ٥٩ .

وفـد نجـران المسيحـى

يقول الله تعالى ﴿ وَمَاقَتَلُوهُ وَمَاصَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ حيث جعل صورة يهوذا الخائن كصورة عيسى فى الوقت الذى رفع فيه عيسى إلى السماء ، فأخذوه وقتلوه ، وكان يقول لهم انا يهوذا ، فيقولون له : إذا كنت يهوذا فأين عيسى ، فيجيبهم قائلاً : إذا كنت عيسى فأين يهوذا ، وهكذا تمت لعنة الله على هذا الخائن .

وقد كتب القديس برنابا فى إنجيله هذه القصة على هذا النحو ، ونفى قتل عيسى ، كما انه كتب عن سيدنا محمد ﷺ وعن رسالته كتابة عظيمة ، فجزاه الله عن الحق خير الجزاء وهذا الإنجيليباع فى المكاتب الكبرى فينبغى للمسلم أن يضمه إلى مكتبته .

المبـــاهلة

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَاجَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ . وتعليقاً على هذه الآية نقول : بعد أن أسمع النبى ﷺ وفد نجران ماجاء من الآيات فى شأن الله وشأن عيسى التى وصلت إلى نيف وثمانين آية من سورة آل عمران ، أصر هذا الوفد على موقفه من الإسلام ، حيث رفضوا الإيمان بما جاء به محمد ﷺ ، ولازموا عقائدهم فى الله وفى المسيح ، وقد تقدم بيانها ـ بعد أن حدث ذلك أمر الله نبيه أن يدعوهم إلى المباهلة ومعنى الآية : فمن جادلك فى شأن عيسى بعدما جاء من العلم بشأنه فى الآيات التى صدرت بها سورة آل عمران ، فقل لمن جادلك فى شأنه ، اقبلوا بالرأى والعزيمة يَدْعُ كل منا ابناءه ونساءه ونفسه ، ثم نتباهل ـ اي يدعو كل منا ان ينزل الله *لعنته على الكاذبين فى شأن عيسى .

وكذلك فعل نبينا محمد ﷺ فدعاهم إلى المباهلة ثقة منه بأن الحق فى جانبه ، ولكنهم خافوا ولم يحضروا للمباهلة ، أخرج البخاري ومسلم (أن العاقب والسيد أتيا رسول الله ﷺ فأراد أن يلاعنهما ، فقال أحدهما لصاحبه : الا تلاعنه ، فوالله إن كان نبياً فلاعننا لا نصلح ولا عقبنا من بعدنا ، فقالوا له : نعطيك ماسألت ، فابعث معنا رجلاً أميناً ، فقال ﷺ : « قم ياأبا عبيدة ، فلما قام قال : هذا أمين هذه الأمة ») .

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس (أن ثمانية من أساقفة أهل نجران قدموا على رسول الله ﷺ منهم العاقب والسيد ، فأنزل الله ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا . . ﴾ الآية ، فقالوا : أخرنا ثلاثة أيام ، فذهبوا إلى بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ، واستشاروهم ، فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه ، وقالوا :هذا هو النبي الذى نجده فى التوراة ، فصالحوا النبى ﷺ على الف حلة[٤] ، فى صفر والف في رجب ودراهم) . وفى الموضوع روايات أخرى ، وحسب القارىء ماتقدم ، والله تعالى أعلم ..

---

(٤) الحُلَّة هى البردة : وهى كساء أسود مربع ، قاله صاحب المختار .

حاجة البشرية إلى هداية الإسلام وعلمه

٣

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبي

روى البخارى بسنده قال : حدثنا محمد بن العلاء قال : حدثنا حماد بن سلمة عن بريد بن عبد الله عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير .

وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا .

وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه مابعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

رواه البخارى فى كتاب العلم
ورواه مسلم فى كتاب الفضائل

مثل مابعثنى الله به :

المثل يطلق فى اللغة على الشبيه يقال : مِثْلُهُ وَمَثَلُهُ كما يقال شبهه وشبهه ، ويطلق على مايضرب به من الأمثال كقولهم : تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ، ويداك أَوْكَتَا وفُوكَ نَفَخَ ، والصيف ضيعت اللبن .

والمراد بالمثل فى الحديث الشريف : الصفة العجيبة المرغبة فى الخير .

● الهدى : ما يدل على أبواب الخير والبر والمعروف والنجاة .

● العلم : له إطلاقات كثيرة منها : الإيمان ، ومنها كذلك معرفة الأدلة الشرعية ، ويجوز أن

يدخل فى مفهوم العلم هنا كل مايدل البشرية على الخير والسعادة فى الدنيا والآخرة .

● كمثل الغيث نظير المطر الذى ينتظره الناس بلهفة ، لأن الغيث معناه المطر الذى يأتى عند شدة الحاجة إليه .

● أصاب أرضا : جملة حالية تفيد تحقق نزول الغيث على الأرض إشارة إلى تحقق نزول الوحى إلى الأمة التى اختارها الله لتكون خير أمة أخرجت للناس .

● فكان منها نقية : يعنى طيبة ، وهى صفة لموصوف محذوف تقديره : أرض طيبة ، يوضح لنا حذف الموصوف ماروَاه مسلم فى حديثه : طائفة طيبة .

● قبلت : من القبول بمعنى أنها بطبيعتها مهيأة لاستقبال الغيث ، وأنها فى انتظاره وفى تشوق إليه لاستعدادها لقبوله .

● فأنبتت الكلأ (الفاء) للترتيب مما يدل على أن استعداد الأرضَ كان طيبا ، فترتب على استقبالها الماء أنها أنبتت الكلأ : الزاد الصالح للآن وللمستقبل ؛ لأن الكلأ يطلق على النبات : رَطْبِه ويابسه قال أهل اللغة الكَلأ : العشب رطباً كان أو يابساً ، وسمى بذلك لأنه يكلأ الناس فى معاشهم بمعنى يحفظ لهم معاشهم .

● والعشب : هو النبات الرطب . وذلك من عطف الخاص على العام .

● وكان منها أجادب : قسم من الأرض النقية التى تمنح الناس بذاتها عطايا والأجادب هى الأرض الصلبة التى لا تشرب الماء ، ولا يتسرب فى تربتها ، وتحفظه للناس لينتفعوا به وهو جمع اختلف علماء اللغة فى مفرده فقيل : وَاجِدُهُ أجدب مثل أفضل وأفاضل ، وقيل : وَاجِدُهُ أجدُب بضم الدال مثل أكلب جمع كلب .

● وفى رواية أخرى « أجارد » جمع واحدة جرداء ، وهى الصلبة التى لا تنبت .

● فنفع الله بها الناس : الضمير فى (بها) عائد إلى الأرض الصلبة ، لأن طبيعتها التى أمسكت الماء هى السبب فى الانتفاع بالماء ؛ إذ لو كانت من النوع الذى يتشرب الماء كالأرض الرملية لما انتفع بمائها أحد ، وقيل : الضمير عائد إلى الماء وهو فى نظرى ضعيف ؛ لأن لفظ الماء مذكر قال أهل اللغة : الماء معروف ، والهمزة فيه مبدلة من الهاء فى موضع اللام ، وأصله موه بتحريك الميم والواو ، وجمع القلة أمواه ، وجمع الكثرة مياه ... الخ .

● وأصاب منها طائفة أخرى ، إنما هى قيعان ؛ إعادة الفعل (أصاب) للإفادة بالتغاير بين طبيعة هذه الأرض عما سبقها : فإن كانت الأرض الأولى طيبة تنقسم إلى قسمين :

فمنها مايقبل الغيث فى ذاته فينبت الكلأ والعشب .

ومنها ما لا يقبل فى ذاته بل يحفظه بذاته فينتفع الناس منه - بالرِى أو الرَّى - ففيها اتحاد فى النفع كل حسبَ صلاحياته التى فطر عليها .

أما الصنف الثالث فهو قيعان أرض سبخة مالحة غير قادرة على النفع ، لا فى ذاتها ولا بذاتها ، فهى لا تمسك الماء مثل

الأجادب ، ولا تنبت كلأ ولا عشبا مثل الأرض النقية .

وبهذا الحديث يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد قسم المجتمع الدولى الذى بعث رحمة إليه أقساما ثلاثة :

● صنف من الناس يقبل الإسلام فيرقى به ذاتيا ، ويرقى به الناس حضاريا فينفع نفسه بالإيمان ، وينفع الناس بهذا الإيمان فى إرساء حضارة قائمة على الإيمان بالله وبقية عقائد الإسلام .

● وصنف يحمل الإسلام إلى الناس لينتفعوا به ويعيشوا على حضارته فهو مصدر خير للبشرية ، وقد قامت الحياة الإسلامية فى الأندلس على هذا الأساس حيث نقل المسلمون إلى أوروبا حضارة الإسلام ثم انزووا داخل خصوماتهم فنفعوا أوروبا بالعلم والإسلام ، ولم ينتفعوا هم بهذه الحضارة التى غربوا عنها فيما بعد .

● وصنف لا يصلح معه الرشاد والنور والهداية ولا يستجيب لنداء الله والحق والمنطق الفصيح الواضح .

وفى نفس الوقت فإن الحديث يشير إلى ظاهرة تاريخية وهى أن المجتمع الدولى ـ إبان بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ـ كان فى حاجة ماسة إلى هدايته عليه الصلاة والسلام ؛ فقد كان فى كل صقع من أصقاع الأرض من يتشوق إلى الهداية بعد أن ضلت العقائد وغَيَّرَ أتباع الرسل مانُزِّل إليهم من عند ربهم وطفح الكيل فى أوروبا بالرق وعبادة البشر وضلت الأخلاق طريق الإنسانية الحميدة وصارت القلة القليلة من البشرية هى صاحبة الحرية فى كل ماتصنع وصارت الأكثرية مثل البهائم فى رق رقيق داخل مجتمع بهيم الأرض والعرض والناس يملكها شرذمة ممن سموا أنفسهم بالنبلاء ، وبات الحكم مابين مؤسسة عسكرية تغدر كل يوم وتقتل كل ساعة ، كما كان الحال فى الدولة الرومانية القديمة ، أو وارث يملك الناس ويتحكم فى رقابهم .

ويمشط كلَّ حين المجتمع فى طبقات متعددة كما كان الحال فى دولة الفرس .

أو جور وهوى نفس تلعب به الأهواء كما كان فى الجزيرة العربية حيث كان الدستور الذى يحكم هو غلبة القبيلة فكذاب ربيعة عندهم خير من صادق مضر والعكس سليم ومتواتر .

بينما كانت الحياة الإنسانية أيضا فيها من يتشوف عن حرارة إلى الحرية والأمن والكرامة فكانت بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

* لتصحيح العقائد التى زاغ عنها أهلها .
* وتضع كرامة الإنسان فى رحاب الإيمان بالله الذى يضمن لها موازين العدل والكرامة .
* ولتقيم العلاقات الإنسانية على الرحمة والمودة والتعاون والبر والمعروف .
* ولتضع نظاما اقتصاديا يهدف إلى الرخاء والطمأنينة بدل النهم والشراهة والتكالب .
* ولتقيم مجتمع العدل والقسطاس والإخاء .
* وترفع مكانة العلم والمعرفة .
* ولتضع الحرب أوزارها فى الثأر والبطولة

والنهب والسلب والتوسع الامبراطورى ونهب ثروات الشعوب .

● ولتلغى التفرقة العنصرية والطبقية الاجتماعية وترفع لواء ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

هذه الهداية التى جاء بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأخذ بيد البشرية ينتفع بها من شرح الله صدره للإسلام فيفقه دين الله على أنه انضباط لشئون الحياة فى شتى مجالاتها فينتفع بها فى نفسه فقط ، أو ينفع بها نفسه وغيره فيعلم الناس كما تعلم ، ويزرع ويتاجر ويعمل لينفع نفسه وينفع أهله ومجتمعه فأحوال المسلمين لا تعدوا النفع فى الذات وكف شر النفس عن الناس ، أو النفع فى الذات والنفع للغير وهى الصورة الإسلامية التى يرغب فيها الحديث الشريف .

والقسم الثالث الذى لا يرفع بذلك رأسا ؛ لأنه مستهتر يزين له الشيطان هواجس عقله وحدسه وظنه : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ . ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا . . . ﴾ إلخ ماتوسوس به أمانى الغافلين عن المحجة البيضاء .

وتدور أحوال الناس على هذه الوتيرة فالإسلام كالإخاذ[1] ينهل منه كل حسب قدراته وينأى عنه من لم يشرح الله صدره للهداية فإنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء .

● ومن لطائف هذا الحديث الشريف أنه مثل الإسلام بالهدى والعلم وليس فى الهدى عنف ، ولا فى العلم انحراف عن الحق . والدعوة إلى هذا الدين لا يجوز أن تخرج على مبادىء هذا الدين من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن .

فإن الإسلام يقرر : انه ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ .
﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ .
﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ . ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ .

وعلى الذين يتصدون للدعوة أن يعرضوا أنفسهم على هذا الحديث فيفهموا : نقيه من أجادبه ، من قيعانه .

ويعرضوا عقولهم على : من فَقُهَ وانتفع ، ومن لم يرفع بذلك رأسا .

ورحم الله حجة الإسلام الإمام الغزالى إذ يقول فى (التهافت) : وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه .

● ومن لطائف هذا الحديث أيضا : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان واقعيا ؛ فإنه

(١) أى الغدير .

عليه الصلاة والسلام شبه أصناف البشر فى قبولهم للهداية والعلم ، ورفضهم إياها بأصناف الأرض وقرر أن نزول الهدى والعلم ـ وحياً من عند الله ـ لا يستلزم اتحاد الناس جميعاً فى القبول فقط أو الرفض فقط ولا ادَّعى أنه لن يحيد أحد عما جاء به لأنه جاء بالحق الواضح .. فالحق الواضح له أهله يتبعونه ويحبونه ويحبهم .

وهذا هو الفارق الأساسى بين أسلوب النبوة وأسلوب الزعيم والقائد الذى يود أن يرغم الناس على قبول فلسفته إن بالتبعية الخرقاء ، أو السوط المتجبر ، أو الخوف الذى يخلع القلوب .

● ومن لطائف هذا الحديث أنه لم يحصر جميع حالات الإنسان من قبوله الهداية والعلم أو رفضهما فتحا لباب الأمل فى القبول على الله وشرح الصدر للدخول فى دين الله ؛ بل اكتفى صلى الله عليه وسلم بالمراكز الأساسية التى تدور حولها أحوال البشر من قبول للهداية والعلم وانتفاع بهما على تغاير فى نسب هذا القبول وهذا الانتفاع أو عدم قبولهما إذ لو تم الحصر لكان كالمنع والإخبار فى ثبات كل صاحب حالة على ما هو عليه ،لكنه صلى الله عليه وسلم وهو بالمؤمنين رءوف رحيم أشار إلى ركائز الهداية والقبول والرفض كمجالات يتحرك فيها الوجدان البشرى ، فعسى الله أن يشرح الصدور والقلوب والعقول لتدخل فى دين الله أفواجا فكم تحول من قبل صناديد من الكفر إلى الإيمان مثل هند بنت عتبة وأم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ، وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل ...

وفى العصر الحديث كم من قسيس أسلم وعظيم من أوروبا رضى بالإسلام دينا وصلى الله على سيدنا محمد الرحمة المهداة فقد أوتى جوامع الكلم وصدقه الله فى كل ما قاله فهو لا ينطق عن الهوى وسوف تظل البشرية فى حاجة إلى هدايته وعلمه وسوف يدخل فى دين الله الحنيف رجال لهم قدم عال برهانا دائما على أن محمداً حقا هو رسول الله إلى العالمين .

(أ . د . رءوف شلبى)
وكيل الأزهـــــر

عقد الحديبية

وآثاره الاستراتيجية

ثالثا : الآثار الاستراتيجية للحديبية :

١ ـ اعتراف قريش لأول مرة ـ فى تاريخ الصراع ـ بالمسلمين طرفا مساويا لها .

٢ ـ إقرار قريش للمسلمين « بحق » زيارة البيت وإقامة شعائر الحج وينطوى ذلك على اعترافها بأن الإسلام « دين مقرر معترف به » من أديان شبه الجزيرة .

٣ ـ أصبحت المنطقة التى تقع جنوب المدينة منطقة أمينة بعد أن كانت قبل ذلك مصدر الخطر الأكبر الذى يهدد الدعوة ويهدد المسلمين .

٤ ـ وانحصر بذلك الخطر فى المنطقة الشمالية التى تضم خصمين : هما اليهود فى خيبر وما حولها ، والأعراب شمال المدينة ، الأمر الذى يمكن المسلمين من القضاء على هذين الخصمين ، ليصبحوا بعد ذلك متفرغين للتحول ـ فى الوقت المناسب ـ نحو الخصم الأكبر : قريش ، وإلى هدفهم الرئيسى : مكة المكرمة .

٥ ـ ومن نتائج الهدنة التفريق بين قريش وحلفائها الطبيعيين يهود خيبر الذين كانوا لا ينفكون يحرضون القبائل على المسلمين .

٦ ـ وفتح المجال لعقد محالفات مع القبائل التى أصبحت لا تتهيب الانضمام إلى المسلمين مادامت قريش قد التزمت بتأمين من يدخلون فى عقد محمد عليه الصلاة والسلام ، وخير دليل على ذلك أن خزاعة كانت تميل قلبيا إلى المسلمين ، وكان الإسلام قد انتشر بين أفرادها لكنها لم تستطع أن تحالف المسلمين خوفا من بطش قريش ، فلما عقد عهد الحديبية أعلنت ـ قبل أن يجف مداده ـ حلفها للرسول ﷺ .

قال الزهرى : « فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده »[1] .

٧ ـ وفى ظل مناخ الهدنة المستقر زاد الإسلام انتشارا ، فزادت بالتالى قوة جيش المسلمين حتى أصبحت عشرة آلاف مقاتل فى فتح مكة[2] فى السنة الثامنة للهجرة بعد أن كانت فى غزوة الخندق عام ٥ هـ ثلاثة آلاف .

٨ ـ وكسب المسلمون عطف كثير من

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية : القسم الأول (حـ ١ ، ٢) ص ٦٠٦ .

(٢) المرجع السابق : القسم الثانى (حـ ٣ ، ٤) ص ٣١١ ـ ٣١٤ .

القبائل وكثير من قريش نفسها بسبب موقفها من المسلمين ومنعها إياهم من زيارة البيت وتعظيمه ، وقد وصل هذا التعاطف حد التهديد بقيام حرب أهلية فى صفوف قريش وهو ما تمثل فى تهديد زعيم الأحابيش الحليس بن علقمة لقريش بأن ينفر برجاله نفرة رجل واحد إذا هى لم تترك المسلمين يزورون البيت .. ولقد كان هذا التعاطف من جانب القبائل من العوامل التى سهلت على المسلمين عملية فتح مكة فيما بعد .

٩ ـ وعاد المسلمون الذين كانوا هاجروا إلى الحبشة إلى المدينة بعد أقل من شهرين من عهد الحديبية[٣] .

١٠ ـ ومهدت الحديبية لما جاء بعد ذلك بشهرين من بدء مخاطبة الرسول ﷺ الملوك ورؤساء الدول الأجنبية يدعوهم إلى الاسلام[٤] .

رابعا : التزام المسلمين بالعهد :

● وقد شاء الله أن يبدأ تطبيق شروط الصلح عمليا من جانب المسلمين منذ اللحظات الأولى لإبرامه ، وذلك أن (أبا جندل بن سهيل بن عمرو) جاء إلى المسلمين وهو يتعثر فى قيوده إذ كان من المسلمين الممنوعين من الهجرة ، فانتهز فرصة وجود المسلمين عند الحديبية وهرب إليهم ليحموه ، لكن الرسول ﷺ قال له : « ياأبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا العزم بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله . وإنا لا نغدر بهم »[٥] .

● وقد شاء الله أن يكون هذا الشرط الذى أخذته قريش على المسلمين بأن يردوا إليها من يلجأ إليهم وظنته كسبا لها ، وبالا عليها إلى حد أنها طلبت بنفسها تعطيله ، وذلك أن أبا بصير بن أسيد الثقفى رضى الله عنه فر من قريش بعد إسلامه ولجأ إلى المسلمين فأرسلت فى أثره رجلين يطلبان تسليمه ، فأمره الرسول ﷺ بالرجوع معهما ، فرجع فلما قارب ذا الحليفة عدا على أحدهما فقتله وهرب الآخر منه ، ثم رجع إلى المدينة فقال : يارسول الله وفت ذمتك أما أنا فقد امتنعتُ بدينى أن أفتن فيه أو يعبث بى ، ثم غادر المدينة حتى نزل (العيص) على ساحل البحر فى طريق تجارة قريش إلى الشام وانضم إليه سبعون رجلا من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة ، فقطعوا طريق التجارة على قريش حتى استغاثت برسول الله ﷺ تسأله أن يؤويهم

(٣) الأحابيش : قوم من العرب رماة سموا بذلك لاسودادهم أو لتجمعهم أو نسبة إلى حبشى (بضم الحاء وسكون الباء) جبل بأسفل مكة .

(٤) ابن هشام : القسم الثانى ص ٣١٤ ـ ٣١٥ .

(٥) الدنية : الذل والأمر الخسيس .

فلا حاجة لها بهم ، فأواهم عليه الصلاة والسلام[٦] .

خامسا : القيادة العسكرية الناجحة فى نظر الاسلام

● إن القيادة العسكرية الناجحة هى التى تستطيع أن تجمع بين نمطى القيادة : الإقناعية والإرغامية فى توازن دقيق ، وإن القائد الناجح هو الذى يستطيع « بقدرته وكفاءته » أن يقنع مرءوسيه بقبول قراراته والأهداف التى يختارها ، كما يستطيع « بقوته » أن يرغمهم بسهولة على قبول قراراته وأهدافه إذا اقتضت مصلحة العمل ذلك .

وهذه القيادة الناجحة هى التى نجدها واضحة فى دراستنا لأعمال الرسول ﷺ العسكرية :

● فقد جرت سنته ﷺ على أن يستشير أصحابه ، لكنه فى عهد الحديبية لم يفعل ذلك ، فقد كان يصر على نواياه السلمية التى تؤمن له الاستقرار الضرورى لانتشار الإسلام ، وكان يقصد من التفاهم مع قريش أهدافا بعيدة جداً ليس من مصلحة الدعوة ولا من مصلحة المسلمين الإخبار عنها .

● فيكون عليه الصلاة والسلام بذلك قد جمع بين النمطين ، بأن جعل القيادة الإقناعية هى الأساس ، وجعل القيادة الإرغامية عند الضرورة ، كذلك تنتهى بنا دراستنا إلى أن المرءوسين - أمام هذا الأسلوب فى القيادة - سوف يطيعون قائدهم « اقتناعا لا خوفا » لأنهم سوف يقنعون انفسهم بأنه لابد أن هناك ما يبرر ما ذهب القائد إليه ، وذلك لثقتهم فيه ، وحبهم له ، وتقديرهم لمقدرته وكفاءته .

● وخير دليل على ذلك أنه لم يقع من المسلمين - برغم ما واجهوه فى الحديبية من مواقف مثيرة للغضب والدهشة - مثل ما وقع فى صفوف قريش من مظاهر الخروج عن الطاعة إلى حد التهديد بالحرب الأهلية كما ظهر من موقف الأحابيش ، بل كانوا مثالا لضبط النفس والطاعة والانضباط والثقة فى حكمة القائد .

سادسا : الهدنة ثمرة لامتلاك المبادأة :

● لقد كان المتصور أن تسفر المفاوضات بين سهيل والرسول ﷺ عن الاتفاق على نقطة واحدة هى أن يرجع المسلمون إلى المدينة هذا العام على أن يأتوا للعمرة فى العام المقبل ، فقد كان لب المشكلة هو أن قريشا كانت تخشى على هيبتها ومكانتها إذا هى سمحت للمسلمين بدخول مكة وخاصة بعد أن حاولت منعهم بالقوة (قوة خالد) ، وعلى الجانب الآخر فإن المسلمين إذا أصروا على دخول مكة فسوف

---

(٦) عيبة مكفوفة : أى صدور منطوية على ما فيها لا تبدى عداوة ، والمراد أننا نكف عنك وتكف عنا .. والإسلال : السرقة الخفية ، والإغلال : الخيانة .

ينشب القتال وهو ما لا يريدونه ، ولم يكن من مقاصدهم حين خرجوا من المدينة ، فيكون الحل الوسط للخروج من هذا الموقف هو « تأجيل » الزيارة للعام المقبل ، والدليل على ذلك أن تعليمات قريش إلى سهيل بن عمرو « اقتصرت » على هذا المعنى : « ائت محمدا فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا » .

● أما أن يتضمن الصلح بالإضافة إلى ذلك قيام هدنة لعشر سنين ، فذلك أمر لا يخفى على الباحث المدقق :

إنه دليل واضح على « تغيير اتجاهات قريش » نحو الرسول ﷺ والمسلمين ، وعلى « تحولها » من موقف العدو المتربص الذى صمم على القضاء على الإسلام والمسلمين ، إلى موقف المهادنة ومراجعة النفس وإعادة النظر فى المواقف ، وهنا يبرز التساؤل عن السر فى هذا التغيير وهذا التحول ؟

● الحق أن هذا التحول والتغيير فى موقف قريش واتجاهاتها هو ثمرة لانتزاع المبادأة منهم بعد الخندق عام ٥ هـ ، ففى هذه الغزوة ألقت قريش بكل ثقلها لغزو المدينة ، وأضافت إلى هذا الثقل « كل » ما تستطيع حشده من قوى أخرى حليفة كالقبائل العربية واليهود ، لكنها مع ذلك فشلت فى تحقيق هدفها ، وهنالك رصد الرسول القائد ﷺ بفراسته « ملامح الضعف فى خصمه » وقدر أن قريشا قد فقدت الأمل فى الانتصار عليه بعد ذلك ، فكان قراره الخطير الذى انتزع به المبادأة من يدها فقال : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم » (رواه البخارى) .

● فلا مراء فى أن الرسول ﷺ كان يفاوض قريشا من « موقع قوة » ، وأنه لو كانت قريش مازالت تملك المبادأة والقدرة على معاودة الكرة لغزو المسلمين ، لما رضيت بقيام الهدنة عشر سنين .

محمد جمال الدين محفوظ

مع القرآن الكريم

الأحرف السبعة

لم يسجل التاريخ لأمة من الامم من العناية بكتابها تعليماً وحفظاً مثل ما سجل لهذه الأمة المحمدية من العناية البالغة بالقرآن الكريم حفظاً وتحفيظاً ودراسة وتدويناً لكل ما له صلة بهذا الكتاب العزيز من قرب او بعد ـ مدى القرون من فجر الإسلام إلى اليوم وإلى ما شاء الله، وذلك بعض مصداق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[1] ﴾

يستظهره الصغير والكبير والناشىء والكهل في المدن والقرى وأصقاع الإسلام كلها. فلا يكاد يسهو تالٍ عن كلمة منه أو حرف أو حركة في أبعد هذه المواطن حتى يجد فوراً من يرده إلى الصواب ويرشده إليه، وكان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يعمل بغاية الاهتمام على تحفيظ صحابته كل ما نزل من القرآن إثر نزوله ويحضهم ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ على تعلم القرآن وتعليمه قائلاً: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[2] وكم من حديث صحيح ورد في هذا الصدد.

ولم يكن الأمر موقوفاً على مؤمني مكة، فما أن أخذ الإسلام ينتشر في المدينة حتى بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مصعب بن عمير رضي الله عنه في العقبة الأولى إليها ليُقْرِىء الأوس والخزرج القرآن، ويعلمهم أحكامه، قال ابن كثير ـ ٢/١٨١: «فنزل مُصْعَب على «أسعد بن زرارة» فكان يسمى بالمدينة: المُقْرِىء».

وكانت صُفَّةُ المسجد النبوي بعد الهجرة كدار أو (فصل) للقراء يتدارسون عليها القرآن ويتعلمونه، ثم يُعلِّمُونه فحمله عنهم من عَلِمَهُ لأهل البلاد المفتوحة على تجدد الفتوح، وكان جماعة من كبار الصحابة قد تفرغوا لتعليم الناس القرآن في المدينة المنورة بأمر النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى امتلأت المدينة بالقراء، فكان لمعاذ بن جبل ـ ثم لابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ عناية

---

(١) الحجر آية ٩.

(٢) رواه البخاري والترمذي وابو داود والبيهقي ـ انظر فيض القدير للمناوي ج ٣.

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

عظيمة بتعليم القرآن وأحْرُفِهِ لأناس لا يحصيهم العدّ فى مكة المكرمة ، وكان ابن مسعود رضى الله عنه قد عَلَّم القرآن وأحرفه لعدد عظيم من أهل الكوفة ، ويرفع بعض ثقات أهل العلم عدد هؤلاء إلى نحو أربعة آلاف قارىء ما بين متلق منه مباشرة،أو آخذ عمن أخذ منه . كذلك كان أبو موسى الأشعرى يصنع صنيعه بالبصرة وقد حدث الحافظ ابن الضُريس أبو عبد الله محمد بن أيوب البجلى فى كتابه « فضائل القرآن » عن مسلم بن إبراهيم عن قُرَّةَ عن أبى رجاء العطاردى البصرى الصحابى ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : « كان أبو موسى يطوف علينا فى هذا المسجد ـ يعنى مسجد البصرة ـ فيقعدنا حَلَقاً حَلَقاً يُقرئنا القرآن » اهـ .

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يعلم القرآن كل يوم بجامع دمشق من طلوع الشمس إلى الظهر ، ويُقَسِّم المتعلمين عشرة عشرة ، ويعين لكل عشرة عريفاً يعلمهم القرآن ، وهو يشرف على الجميع يراجعونه إذا غلطوا فى شىء . انظر (تاريخ دمشق لأبى زرعة الدمشقى ، وتاريخ ابن عساكر) .

وهكذا كان أصحابهم وأصحاب أصحابهم(٣) وهاهو الإمام ابن عامر ـ رضى الله عنه ـ أقدم القرّاء السبعة طبقة كان له ـ وحده ـ بدمشق أربعمائة عريف يقومون بتعليم القرآن بإشرافه(٤) .

القراءات المتواترة

سبق لنا ـ فى عشر مقالات تَتَالَتْ ـ إحاطة القارىء بإفاضة عن القراء العشرة وقراءاتهم ، فأحاط لكل قراءة بأكثر من مثال ، وينبغى أن نسرع بتدارك ما قد يسبق إلى الذهن . فقد يفهم إنسان أن معنى القراءات السبع أو العشر أن « كل آية تقرا بسبعة وجوه أو عشرة » .. وليس الأمر كذلك ، وإنما وجه الواقع ـ فى هذا الأمر ـ أن بعضا من آى الذكر الحكيم ورد فيه أكثر من حَرْف ، يعنى أكثر من قراءة ، فالأحرف هى القراءات فى مصطلحنا فهى إذاً قراءات واردة فى « أبعاض » من الكتاب العزيز ، مروية بواسطة الأئمة السبعة ، بل العشرة تواترا ،

(٣) راجع « تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الحِرَف والصنائع والمعاملات الشرعية » للعلامة أبى الحسن على بن محمد المعروف بالخزاعى التلمسانى المتوفى ٧٨٩ هـ .

(٤) ... كان يحسب من اجترأ على هذا الإمام بالنقد ، ثم جنح إلى نقد القراءات المتواترة أن يُلِم ـ أولاً ـ بعلم الحروف ، ويسلك سبيل هذا العالم الفذ حتى يكون فى مستوى نقده فأبسط قواعد النقد إلمام الناقد وعلمه بالفن الذى ينقده ، ورحم الله العلامة ابن الجزرى فقد أفاض ـ فى بحث ممتع ـ فى « النشر » للرد على هؤلاء .

فيكون إنكار شيء من تلك القراءات في غاية الخطورة :

ذلك أن من القراءات المتواترة ـ وقد علمنا ميدان ورودها بدقة ـ ما تَعْلَمُ الجماهير تَواتره بالضرورة ، فإنكار شيء منه يعتبر رداً لما جاء به رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحكم ذلك معلوم .

ومنها ما يَخْفَى فلا يعلم تواتره إلا حذاق القراء المتفرغين لذلك الفن ؛ فلا يجوز لأحد أن ينكره خاصة إذا أقيمت له الحجة عليه ، وإلا التحق بالقسم الأول .

ولولا هذا التحقيق لكان للإمام الجليل محمد بن جرير الطبري وللإمام الزمخشري تطاول على القراءات ما كان ينبغي أن يكون ، فكلاهما ـ رضوان الله عليهما ـ إمام فرد في التفسير ، وحجة فيه ، شق له طريقاً هو صاحب أعلامه ، ومقيم سوائه ، والمرشد إلى بُنَيَّاتِهِ . وكان دلو الطبري ـ رحمه الله ـ في القراءات محدوداً ، واعتماده على ما ألف يعتبر من بدايات التأليف في هذا الفن فهو غير كاف للإحاطة بشئونه ، وكان اعتماده على ماألفه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام ـ وليس كتابه كل شيء . فإنه من بدايات التأليف في هذا الفن . ورحم الله الجميع وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء .

إنما نريد أن ننبه إلى ما يجب على المسلم من الاحتراس الشديد بصدد هذه القراءات فلا يذهب إلى إنكارها .

المتواتر بيد الأئمة المختصين

يعتبر ما في التفسير لأبي عمرو الداني ، و « حرز الأماني » للشاطبي(٥) من قراءات الأئمة السبعة ـ كله متواتر إلا في مواضع يسيرة بَيَّنَها أهلُ هذا الفن ، وكذا القراءات الثلاث المكملة للعشر كما في « المنجد(٦) » و « النشر الكبير » ، وفي الأول منهما ـ أعنى المنجد ـ بسط ما يحصل به تواتر العشر في كل طبقة مع أنه لم يستوف سرد قرائها .

هذا ، واختلاف هؤلاء القراء ـ فيما وقع الاختيار عليه لدى كل منهم ، بعد اعترافهم بتواتر قراءات الآخرين وتجويز القراءة بها ، سواء اعتبرناها : وجوه قراءة واحدة ، أم هي الأحرف السبعة ـ محفوظ مدى الدهر .

والأول رأى القائلين بأن الأحرف السبعة كانت في مبدأ الأمر ثم نسخت بالعرضة الأخيرة في عهد النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلم يبق إلا حرف واحد ، ومنع من الست الباقية لمصلحة ، وإليه جنح ابن جرير ومن تبعه .

---

(٥) الإمام الداني هو الحافظ أبو عمرو سعيد بن عثمان الداني الأندلسي صاحب تصانيف كثيرة ت ٤٤٤ هـ والإمام الشاطبي هو الإمام القاسم بن فيرة مؤلف الشاطبية وغيرها من علوم القرآن كعلم الرسم والفواصل وعدد الآي وعلم العربية .

(٦) « المنجد » من أهم كتب ابن الجزري طبع بتحقيق الدكتور عبد الحي الفرماوي .

والثانى : رأى القائلين بأنها هى الأحرف السبعة المحفوظة ، كما هى فى العرضة الأخيرة .

ولقد تواترت الأحاديث فى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، وتشعب التفسير فيها ، والواقع أن القرآن الكريم كان ينزل معظمه بلغة قريش ، أى على حرف واحد إلى أن فتحت مكة ، وبدأ الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً ، وأخذت وفود القبائل العربية المختلفة تتوافد ، فأذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ على لسان نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يقرءوه على لغاتهم ولهجاتهم تيسيراً لهم لصعوبة تحولهم من لغتهم إلى لغة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بمرة واحدة . فمن كانت لغته نطق الحاء عَيْناً مثلاً ـ لا يُحْمَلُ على نطقها حاءً كالأصل ، والأمثال كثيرة يدل على ذلك حديث أُبَىّ بن كعب رضى الله عنه عند البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم .

قال الإمام الطحاوى فى « مشكل الآثار » : إنما كانت السبعة للناس فى الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم ، فوَسَّع لهم فى اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً ، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب ، وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقدروا بذلك على حفظ ألفاظه فلم يسعهم حينئذ أن يقرءوا بخلافها ا . هـ .

فأما قول ابن عبد البر الذى نقله القرطبى ـ رضى الله عنهما :(بأن تلك السبعة الأحرف إنما كانت فى وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه الأحرف السبعة ، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد). اهـ .

فهذا القول مماثل لما ذهب إليه الإمام ابن جرير ، وهو مردود ، فإن العرضة الأخيرة اشتملت على الأحرف السبعة ، كذا قاله ابن الجزرى .

وقد أطال الطحاوى النفس فى (مشكل الآثار) فى الجزء الرابع منه (١٨١ ـ ١٩٤ هـ) فى تمحيص هذا البحث بما لا تجد مثله فى كتاب سواه ، ومن جملة ما يقوله فيه ـ بعد أن أخرج حديث (ما لم تختم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب[٧]) : « فكان فى هذا الحديث ما دل على أن السبعة الأحرف هى التى ذكرناها وأنها مما لا تختلف معانيها ، وإن اختلفت الألفاظ التى يلفظ بها ، وأن ذلك توسعة من الله تعالى عليهم لضرورتهم إلى ذلك وحاجتهم إليه . وإن كان الذى نزل على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إنما نزل بألفاظ واحدة ا . هـ »

قال الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ فى اختلاف الحديث ـ عند كلامه على (اختلاف ألفاظ التشهد فى الصلاة) :

(٧) ليس معنى الحديث إطلاق الحرية للقارىء فإنما ذلك مرتبط بالسماع ، لا أن يقرأ كما يشاء .

وقد اختلف بعض أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى بعض الفاظ[٨] القرآن عند رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم يختلفوا فى معناه فأقرهم وقال : « هكذا انزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » .

قال الشافعى ـ رحمه الله ـ عقب ذلك : فما سوى القرآن من الذكر أولى أن يتسع هذا فيه إذا لم يختلف المعنى .

وقال السخاوى ـ رحمه الله ـ مثله ، وسبقه لنحوه يحيى بن سعيد القطان ، فإنه قال : القرآن أعظم من الحديث ورخص أن تقراه [أى القرآن] على سبعة أحرف .

وأسند الخطيب فى الكفاية (٢١٠) إلى يحيى بن سعيد أنه قال : أخاف أن أضيق على الناس تتبع الألفاظ ؛ لأن القرآن أعظم حرمة ووسع أن يقرأ على وجوه إذا كان المعنى واحداً . اهـ .

وفى فتح البارى ـ عند شرح حديث عُمَر وهشام فى اختلافهما فى قراءة سورة الفرقان ، وقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « انزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » . أى من المُنَزَّل ، وفيه إشارة إلى الحكمة من التعدد المذكور ، وهو التيسير على القارىء ، وهذا يقوى قول من قال : المراد بالأحرف « تأدية المعنى باللفظ المرادف ، ولو كان من لغة واحدة ؛ لأن لغة هشام (بلسان قريش) وكذلك عمر فقد اختلفت قراءتهما » نبه على ذلك ابن عبد البر .

وذهب أبو عبيد وآخرون إلى أن المراد اختلاف اللغات وهو اختيار ابن عطية ـ يعنون أفصحها ـ وقد أنزل أولا بلسان قريش ، ثم سهل على الأمة أن يقرءوه بلسان غير قريش وذلك بعد دخول كثير من العرب فى الإسلام .

وحاصل ما ذهب إليه هؤلاء : أن معنى قوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (أنزل القرآن على سبعة أحرف) أى نزل موسعاً على القارىء أن يقرأه على سبعة أوجه ، وذلك لتسهيل قراءته إذ لو أُخِذُوا بأن يقرءوه على حرف واحد لشق عليهم ، ثم ذكر ابن حجر ما قاله ابن قتيبة ـ فى (مشكل القرآن) من أن الهذلى يقرأ (عتى[٩] حين) ، والأسدى يقرأ (تِعْلَمُون) بكسر التاء ، والتميمى (يهمز) والقرشى (لا يهمز) فيسر عليهم بمَنِّهِ ، ولو كان المراد أن كل كلمة منه تقرأ على سبعة أوجه لقال مثلاً : أُنْزِلَ القرآنُ سبعة أحرف ، وإنما المراد أن يأتى فى الكلمة وجه أو وجهان أو ثلاثة أو أكثر إلى سبعة .

وقال ابن عبد البر : أنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى الأحرف ـ اللغات .

(٨) أى قرأ كل منهم بقراءة من تلك القراءات .

(٩) أى عَتَّى لا حَتَّى لأنه هكذا طبيعة لسانه .

ولاحظ ابن حجر أن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهى ، أى إن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها فى لغته ، بل المراعى فى ذلك السماع من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم .

فتلخص ـ من ذلك : أن القراءات السبع المدونة فى « التيسير[١٠] » وفى « الشاطبية » قراءات متواترة فى أبعاض القرآن . لا خلاف فى ذلك .

وهذه القراءات المتواترة إلى اليوم :

إما وجوه حرف واحد كما تقول فى البُخْلِ : البَخَل ، وفى حتى : عَتَّى .. إلخ . وتكون الست الباقية نسخت فى عهده ـ صلى الله عليه وسلم .

وإما أن تكون هى هى الأحرف السبعة بعينها كما هى محفوظة فى العرضة الأخيرة المعروفة بـ « الجمع النبوى » وفى جمع « أبى بكر » رضى الله عنه وجمع « عثمان » الذى كان نسخاً دقيقاً عن صحف أبى بكر رضوان الله عليهم أجمعين .

ومصاحف عثمان ـ رضوان الله عليه ـ هى التى وزعت على الأمصار واشتغل المسلمون بالنسخ خمس سنين متوالية ثم من بعد ذلك إلى ما شاء الله .

وخلاصة القول أن أولئك الأئمة الكرام الذين نسبت إليهم هذه القراءات لم يخترعوها ، وإنما عكف كل منهم على (حرف) منها لا مدخل للرأى فيه ولا للقياس فأتقنه فنسب إليه ، ولا خلاف فى تواترها بحال .

والله ـ سبحانه ـ ولى التسديد .

إبراهيم عطوة عوض

تنويه

سقط سهوا فى العدد الماضى اسم الدكتور مرعى مدكور مؤلف كتاب : الإعلام الإسلامى الطباعى فى الدول غير الإسلامية فى افريقيا . والذى قدمت المجلة عرضا له على صـ ٣٤٨ بقلم عاطف شحاتة زهران . لذا لزم التنويه .

---

(١٠) التيسير للإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى .

المؤمن يأتي الطاعة راغبا

لا يريد إلا وجه الله

يفكر فى شرف الحق وضعة الباطل ، يفكر فى عظمة الخالق المبدع عز سلطانه أنه رب العالمين ، وانه يحب الحق ويكره الباطل ، وان من اتبع الحق استحق رضوانه فكان سبحانه وتعالى وليه فى دنياه وآخرته ، فما يختار له إلا كل ما يعلمه خيرا له وانفع واشرف حتى يتوفاه راضيا مرضيا ، فيرفعه إليه ويقربه لديه ويحله فى جواره منعماً مكرماً فى النعيم المقيم والشرف الخالد العظيم الذى لا تبلغ الأوهام عظمته .

أما من ركن إلى الباطل فقد استحق سخط رب العالمين وغضبه وعقابه فإن آتاه شيئاً من نعيم الدنيا فإنما ذلك لهوانه عليه ليزيده بعدا عنه وليضاعف له العذاب الأليم فى الدنيا والآخرة ، هذا العذاب الذى لا تبلغ الأوهام شدته .

فالمؤمن إذاً هو الذى يأتى الطاعة راغباً يفكر فى نسبة نعيم الدنيا إلى رضوان رب العالمين ، وكذلك نعيم الآخرة . ونسبة بؤس الدنيا وشقاوتها إلى سخط رب العالمين ، وعذاب الآخرة . ويتدبر قول الحق سبحانه عز وجل : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ . وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ . وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ . وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . الآيات البينات من الآية ٣١ إلى ٣٥ من سورة الزخرف .

ومفهوم هذا أنه لولا أن يكون الناس أمة واحدة لابتلى الله المؤمنين بما لم تجر به العادة من شدة الفقر والضر والخوف والحزن .

(*) الكاتب : مفتش بشئون القرآن ـ منطقة القاهرة ـ .

لفضيلة الشيخ

محمد محمد على الرماح

وحسبك أن الله عز سلطانه ابتلى أنبياءه وأصفياءه بأنواع البلاء - هذا حديث كعب ابن مالك فى الصحيحين قال : قال رسول الله ﷺ :

« **مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيؤها الرياح تصرعها مرة وتعدلها مرة أخرى حتى ياتى أجله ، ومثل المنافق كمثل الأرزة المجزية التى لا يصيبها شىء ، حتى يكون انجعافها مرة واحدة** » .

ومقصود الحديث تهذيب المسلمين فيأنس المؤمن بالمتاعب والمصائب يتلقاها بالرضا والصبر والاحتساب راجيا أن يكون بلاؤه خيرا له عند ربه ، ولا يتمنى خالصا من قلبه النعم ولا يحسد أهلها ولا يسكن إلى السلامة وما فيها من نعم ولا يركن إليها بل يتلقاها بحذر وخوف خشية أن تكون إنما هيئت له لاختلال إيمانه بخالقه ، فترغب نفسه إلى تصريفها فى سبيل الله فلا يخله إلى الراحة ولا يبخل ولا يعجب بما أوتيه ولا يستكبر ولا يغتر .

أخرج الترمذى وغيره من حديث سعد بن أبى وقاص قال : **سئل النبى ﷺ : أى الناس أشد بلاء ؟**

قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان صلبا فى دينه اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة هون عليه .

وقد ابتلى الله أيوب عليه السلام بألوان من البلاء أشار إليها الكتاب العزيز ، وابتلى يعقوب عليه السلام بفقد ولديه وفى القرآن الكريم تصوير لشدة حزنه وبلائه ، وابتلى محمداً عليه الصلاة والسلام بما نراه فى أوائل السيرة فكلفه ربه أن يدعو قومه إلى ترك ما نشأوا عليه من الشرك والضلال ويصارحهم به سراً وجهراً ليلاً ونهاراً ويدور عليهم فى نواديهم ومجتمعاتهم وقراهم واستمر ﷺ على جهاده هذا نحو ثلاث عشرة سنة يتلقى أذاهم مع أنه قد عاش فيهم من أربعين سنة أو تزيد لا يعرف قومه منه إلا الخير يمدهم به ما أمكنه من سبيل ، ثم كان على درجة عظمى من الحياء والغيرة وعزة النفس . ومن كانت هذه حاله يشتد عليه غاية الشدة أن يؤذى ، وأن يتطاول عليه ويسخر منه هذا ويسبه ذاك ، وثالث يبصق فى وجهه ، ورابع يحاول أن يضع رجليه على عنقه إذ سجد لربه ، وخامس يضع سلى الجزور على ظهره إلى من يأخذ بمجامع ثوبه ويخنقه ، وآخر ينخس دابته لتلقيه على الأرض وذاك عمه أبو لهب يتبعه حيث ذهب يؤذيه ويحذر الناس منه ويقول : إنه كذاب ، إنه مجنون . وصنف يغرر به السفهاء من الناس فيرجمونه بالحجارة حتى تسيل قدماه دما ، وصنف يحصره وعشيرته فى أحد شعاب مكة ليهلكوا جوعا ، ويميلون على أتباعه بمختلف ألوان

العذاب من الصخر المُحَمَّى إلى الإلقاء فى النار ، فقد ألقوا بواحد من أتباعه - عليه الصلاة والسلام ، على قطع تتلظى من النار فما أطفأها إلا ودك[1] ظهره .

ذلك كله وغيره .. وما كان رسول الله ﷺ يدعوهم إلا لما ينفعهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور .

ذلك هو محمد - صلوات الله وسلامه عليه - قدوتنا فى الطاعة رغبة لله ، وفى الله ، وعلى ذلك كان صحابته الراضون المرضيون ، وعلى ذلك من أراد الخير من أمته عليه الصلاة والسلام .

محمد محمد على الرماح

للتصحيح

وقع خطأ ص ٣٠١ من العدد الماضى إذ ورد فيه التاريخ التالى السطر الثامن : « عام ١٣٩١ هـ ١٧ سبتمبر ١٩٧٩) وصحته ١٧ سبتمبر ١٩٧١ .

(١) دهن لحم ظهره .

البحث عن الديانات القديمة

٤

للأستاذ الدكتور
عبد الجليل شلبى

مع ان الحفريات فى مصر وارض الرافدين ونهر الهند و فى اسيا الصغرى كشفت عن حضارات ومدنيات عريقة . كانت الحفريات فى ارض فلسطين اقوم عند المؤرخين والباحثين فى تاريخ الاديان ، هذا لانها كشفت عن طقوس وتقاليد دينية تتصل مباشرة بالكتاب المقدس واعمال اليهود المقيمين فى ارض المعاد .

وذهب المعنيون بهذا التاريخ يلتمسون من الآثار التى كشف عنها فى هذه البقعة مصداقا لما جاء فى نصوص العهد القديم وأدلة على صحته كله .

وأشهر ماكشف عنه فى فلسطين هى لفائف البحر الميت ، وهى لفائف مطوية كتبت على الجلود وأوراق البردى ، ثم حفظت فى أنابيب فخارية كبيرة ، ووجد منها أسفار كتبت باللغة العبرانية ، ونسخة كاملة من العهد القديم ،

ولكن الذى نال اهتماماً أكثر هو ماتحدثت به هذه اللفائف عن رهبان اليهود ورمزهم المتحنثة ونظام حياتهم الديرية أو المترهبة ، ويبدو أنها ـ لم يكشف عنها إلا من نحو ستين عاما كانت قد تركت آثارا انتقلت إلى المسيحية بعد زمن متأخر من ظهورها ، ففى أوائل القرن السادس الميلادى قام الراهب

←

(●) الكاتب : الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية .

البحث عن الديانات القديمة

« بندكت النورسى Benedict Of Norsia . بإنشاء عدد من الأديرة فى إيطاليا ، وسن لها نظاما لا يكاد يختلف عن نظام الجماعات اليهودية فى « وادى القمران » والبحر الميت ، وهذه أول ديرية مسيحية ، والمنهج اليهودى البارز فيها هو اكتفاؤها الذاتى ، بعمل الديريين فى الزراعة فيما حولهم ، وأيضا فى أعمال غير زراعية ، وبذا يخرجون مايكفيهم ولا يعيشون على الهبات والعطايا .

ولا أتحدث الآن عن الجماعات اليهودية التى كشفت عنها لفائف البحر الميت ، وإنما أورد شيئا مما يتوافق فيه هذه الكشوف ونصوص الكتاب المقدس .

وممن اعتزوا بكشوفات فلسطين وأولوها عناية فى كتبهم المؤرخ اللاهوتى « فريد جلادستون براتون Fred . g. Bratton » وكتابه « تاريخ الكتاب المقدس » من الكتب التى نالت شهرة ودرست بالجامعات الأمريكية . ومن كلامه : أن كل ضربة معول فى تراب فلسطين وراءها قصة تاريخية ، ذلك أن هذه الأراضى كانت مراداً لحضارات متتالية ، لكثرة الممالك والحكام الذين توالوا عليها من الكنعانيين والفلسطينيين والبابليين والآشوريين والفرس والمصريين واليهود ثم الدول الأوروبية العديدة ، وكل دولة أو حكومة حكمتها تركت بها آثاراً ما غير انه لا طبيعة التربة الفلسطينية مما يحفظ الآثار ـ كما فى مصر والعراق . ولا العبرانيون ـ الذين هم مثار البحث ـ كانوا ذوى عراقة فى الحضارة أو ذوى آثار تخلد ؛ فتراث اليهود روحى بحت يتمثل فى كتبهم المقدسة وحياتهم الدينية ، والمصدر الأساسى لتاريخهم هو العهد القديم وماكتب حوله أو الحق به .

ويبدأ تاريخهم السياسي بدخولهم أرض كنعان على يد (القائد يوشع) ـ خليفة النبى موسى (عليهما السلام) ـ وقبل ذلك لم يكن لهم قرار سياسي ، وإذن فآثارهم التى تنبىء عن تاريخهم وتصدق كتابهم تلتمس فقط فى هذه البقعة . واتخذ الباحثون مدينة بيسان (بتشان) Beisan وقلعتها القديمة مركز بحث لحفرياتهم ، وعمل هناك عدد من البعثات ربما كان أشهرها وأنشطها هى البعثة التى أعدها متحف جامعة بنسلفانيا الأمريكية ، وأسندت رياستها إلى الباحث الأثرى الكبير (الدكتور آلان رو Alan Rowe) وقد استطاع بحفرياته أن يكشف عن الهجومات المتتالية على الربوة أو القلعة التى كانت تسمى بها بيسان ، وأن يظهر الصلة بين أديان الأمم العديدة التى توالت حكوماتها على هذه البقعة من منذ سنة ١٥٠٠ ق م حتى العصور الوسطى حيث كانت مستعمرة رومانية .. وقد تكشفت له طبقات ومستويات عديدة .

فمن الآثار المصرية وجد تمثال لرمسيس الثالث . ونقش كتابى لرمسيس الثانى يقول إنه استخدم عمالا ساميين فى بناء مدينة له بمصر . وهذا يوافق ، أو هو قريب مما جاء فى سفر الخروج : « فجعلوا عليهم (على بنى إسرائيل) رؤساء تسخير كى يذلوهم بأثقالهم ، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ، ورعمسيس » .

ومن آثار البابليين كشف عن معبد إله الحرب « داجون » والإلهة عشتروت

Ashtereth . ووجد مكتوبا على جدار القلعة : إن الفلسطينين ـ فى حروبهم مع بنى إسرائيل ـ نصبوا أو ثبتوا جثمان الملك شاعول على الجدار ، وشاعول هذا هو سول Saul ـ الذى جاء فى القرآن الكريم باسم طالوت ـ الذى كان يحارب جالوت . وقصته جاءت فى سفر صمويل الأول آخر قضاة بنى إسرائيل ، وفيه تفاصيل تزرى بهذا الملك ـ أول ملك لإسرائيل : قال السفر : وحارب الفلسطينيون إسرائيل فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى .. وضرب الفلسطينيون يوناثان وأبيناداب وملكيشوع أبناء شاعول ، واشتدت الحرب على شاعول فأصابه الرماة .. فانجرح جداً . فقال لحامل سلاحه : « استل سيفك واطعنى .. فلم يشأ .. فأخذ شاعول السيف وسقط عليه .. فجاء الإسرائيليون وسكنوا بها .. الأردن » .

« وفى الغد لما جاء الفلسطينيون ليعروا القتلى وجدوا شاعول وبنيه الثلاثة .. فقطعوا رأسه ونزعوا سلاحه .. ووضعوا سلاحه فى بيت عشتاروت وسمّروا جسده على بيت شان » .

والعبارة مذكورة فى سفر الأيام الأول بتغيير طفيف . ومنه : ووضعوا سلاحه فى بيت الهتهم وسمروا رأسه فى بيت داجون .

ومن الخلافات التى لا علاقة لها بالحفريات أنه ذكر (سفر صمويل) أن الإسرائيليين أخذوا جثة شاعول فأحرقوها ، وفى سفر الأيام : أخذوا جثة شاعول وبنيه وجثث بنيه . إلى يابش ودفنوا عظامهم .

قال الدكتور براتون : إن كلا المعبدين ـ معبد داجون ، ومعبد عشتروت ـ كان غنيا بالآثار المتصلة بديانة الكنعانيين والفلسطينيين . ففى وسط الصالة الكبيرة وبجانب بقايا عمود محطم من البازلت يوجد عامود مصرى أقيم تذكارا للإله أنتيت Antit أو عشتروت ، وفوق رسم الالاهة نقش فيه : عنتيت (عشتروت) ملكة السماء ، سيدة جميع الآلهة » .

هذه الآلهة هى التى صارت عند البابليين « إشتار » ، وعند الرومان فينوس وهى رئيسة الآلهة عند الكنعانيين .

أما معبد داجون فكان يحوى بهوا واسعا سعته ٧٣ × ٢٦ قدما ، وبه ثلاثة ممرات كالتى فى المعبد السابق ـ معبد عشتروت ـ وساحة تماثيل للآلهة ، وصورة لرمسيس العظيم على رأسه خوذة الحرب ، وهو يرمى عن قوسه أسيرين من الكنعانيين ، وفى مواجهته إله الحرب « داجون » وهو يمسك بيديه مفتاح الموت والحياة . وقد جاء فى سفر صموئيل الأول فى الحديث عن معركة الفلسطينيين ! « وأخذ الفلسطينيون تابوت الله وادخلوه إلى بيت داجون ، وأقاموه بقرب داجون » . وجاء ذكر داجون أيضا فى سفر القضاة فى الحديث عن شمشون الجبار الذى خدعته دليلة ، إذ اجتمع الفلسطينيون ليذبحوا ذبيحة عظيمة لداجون إلههم ... » .

والواقع أن هذه النصوص التى يفخر بها انصار العهد القديم لا تدل على شىء أكثر من أن معلومات تاريخية مذكورة فى العهد القديم صدقتها بحوث الآثاريين والحفائر من قريب أو من بعيد . ولكن أى الجانبين مستند للآخر ؟ وهل ذكر هذه النتف العارضة يكفى دليلا على صدق كل ما قيل ؟

البقية ص ٤٣٦

دور الأزهر في استقدام الطلاب الوافدين

أولا : الأزهر الشريف

١ - دور الأزهر الثقافى فى أفريقيا :

للأزهر الشريف دور في انتشار الثقافة العربية في افريقيا ، فإن كثيراً من بلدانها ارسلت بابناء لها مبعوثين إلى الأزهر منذ القرن الخامس عشر ، جاءوا لدراسة القرآن الكريم والتفقه في الدين ، ودراسة العربية وتعتبر الأروقة التي انشئت به للطلبة الوافدين من كل جنس شاهدا حيا على ما له من اثر في ميدان التعاون الثقافي الإسلامي .

ولم تقتصر جهود الأزهر في هذا المجال على قبول الطلاب الذين يفدون إليه من جميع الأقطار ، بل إنه يقوم إلى جانب هذا بالنصيب الوافر في نشر الثقافة الإسلامية والعربية والتعريف بالإسلام في جميع أنحاء العالم عن طريق البعوث التعليمية التي يوفدها إلى مختلف الأقطار ، والكتب الدينية والعربية والمصاحف التي يرسلها إلى الجماعات والأفراد . وعن طريق التوجيه العلمى والدراسي للمعاهد الإسلامية في الخارج ، والإرشاد الديني الذي يقدمه للمسلمين في مختلف البلاد بواسطة الرسائل والمحاضرات والإفتاء فيما يعرض لهم من وقائع ومشكلات .

والمبعوثون من الأزهر للدول الأفريقية فئات :

منهم المدرسون للمواد الدراسية في المراحل التعليمية المختلفة .

ومنهم الوعاظ وأئمة المساجد .

ومنهم المبعوثون بهدف الدعوة الإسلامية في البلاد غير الإسلامية .

● الدكتورة رجاء إبراهيم سليم .

حصلت على درجة الأستاذية « الدكتوراه » عن موضوعها : « التبادل الطلابى بين مصر والدول الأفريقية » . بمرتبة الشرف الأولى من جامعة القاهرة .

وعلى درجة التخصص « الماجستير » عن موضوعها : « الطلبة الوافدون الدارسون في الولايات المتحدة من جامعة : « ويسترن متشجان » .

للدكتورة
رجاء إبراهيم سليم

ومنهم رؤساء البعثات وأعضاء المجالس الإسلامية . وقد ازداد انتشار الإسلام عن طريق هذه البعثات الإسلامية فى كثير من الدول الأفريقية .

ويقوم الأزهر الشريف ـ عن طريق المراكز الإسلامية ، وعن طريق مبعوثيه فى الدول الأفريقية برعاية الجوانب العلمية المختلفة فى شئون المسلمين بالدول التى بها مراكز إسلامية والدول التى ليس بها مراكز إسلامية ، وذلك بهدف إفادتهم دينيا وعلميا فى أحوالهم وشئونهم ومتطلبات حياتهم الشخصية كعقود الزواج والفتاوى الشرعية والاستفسارات الدينية ، وتثقيفهم دينيا : وذلك عن طريق تعليم اللغة العربية لمن يرغب فى ذلك وشرح القرآن الكريم ، وتنظيم محاضرات تتناول الأحداث الإسلامية ودلالتها ، وإصدار مجلات دورية ونشرات تتناول أخبار المسلمين وشئونهم كما يزود هذه المراكز بالكتب والأثاث وما تحتاجه من مدرسين .

وبعض هذه البلدان أنشىء به معاهد دينية ذات برامج عربية إسلامية .

كذلك يقوم الأزهر بتزويد مكتبات هذه المعاهد بالمصاحف المحققة التى تعد للتوزيع بعد فحصها فحصا دقيقا بواسطة لجان خاصة ، وكذلك الكتب الدينية . ومن المعاهد التى حظيت بنصيب كبير من العناية فى هذا المجال على سبيل المثال لا الحصر :

فى الصومال : معهد الدراسات الإسلامية ، ومعهد (برعو) الدينى .

وفى السودان : معهد أم درمان الدينى ، ومعهد (الأحفاد) والمعهد الدينى بحلفا ، ومعهد شجرة جوردون والمعهد الدينى فى ملكال ، ومعهد جوبا .

وفى إريتريا معهد أسمرة الدينى .

ويهتم مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف ، بعقد المؤتمرات بهدف ربط الأزهر وعلمائه بالمسلمين خارج حدود مصر ، وبخاصة الدول الأفريقية ، ويدعى لهذه المؤتمرات المهتمون بشئون الإسلام والمسلمين فى هذه الدول ولبحث الحلول لمشكلات المسلمين : سواء كانوا جاليات أو اكثرية تمثل قاعدة الوطن .

ومن المؤتمرات المشابهة لمؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية . مؤتمر الجامعات الأفريقية بالكونغو كينشاسا عام ١٩٦٧ ، ومؤتمر الخرطوم عام ١٩٧٠ ، ومؤتمر أكرا عام ١٩٧٠ .

وقد عقد المجمع منذ إنشائه حتى عام ١٩٨٣ تسعة مؤتمرات ، وبلغت مؤتمراته حتى الآن أحد عشر مؤتمرا .

وقد قام المجمع بدور كبير فى استقدام الطلاب من جميع أنحاء العالم ، وتيسيرا على كثير من الطلاب الوافدين إلى الأزهر ، أعدت لهم دراسات خاصة فى اللغة العربية ، يفيد

دور الأزهر فى استقدام الطلاب

منها طلاب البلاد الناطقة بغير اللغة العربية تمهيداً لإلحاقهم بالفرق الدراسية التى تناسبهم . وتعميما للفائدة من هذه الدراسات الخاصة ، تم تعديلها بحيث تشمل - إلى جانب دراسة اللغة العربية - دراسة العلوم الإسلامية لمن يريد من هؤلاء الوافدين للتزود بالثقافة الإسلامية والعربية ، دون الانتساب إلى الدراسة النظامية فى معاهد الأزهر .

٢ - دور الأزهر فى استقدام الطلاب الأفريقيين :

أنشأ الفاطميون الجامع الأزهر عام ٣٦١ هجرية ليكون المسجد الرسمى للقاهرة العاصمة الجديدة ، وليتلقى به الطلاب أصول المذهب الشيعى ، وليكون مركزا لنشر الدعوة الفاطمية ، ومناهضة الخلافة العباسية فى بغداد ، والخلافة الأموية فى قرطبة ، بغية انتزاع زعامة العالم الإسلامى منهما . ولقد ظهرت فكرة الدراسة بالجامع الأزهر فى أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمى عام ٩٧٥ م (٣٦٥ هـ) .

كان نظام الحلقة الدراسية هو أساس الدراسة ، على أن الجامع الأزهر بدأ يأخذ مكانته فى النهوض بالحياة الثقافية فى مصر ، وبخاصة فيما يتعلق بالثقافة المذهبية ، منذ عهد الخليفة العزيز بالله ولما قامت الدولة الأيوبية السنية المذهب على أنقاض الدولة الفاطمية الشيعية ، قضت على كل أثر للشيعة ، وكان الأزهر هدفا أساسيا للحملة على التشيع ، يكان تعطيل صلاة الجمعة بالأزهر إيذانا بإهمال شأنه ، فقلت مكانته التى كانت له أيام الفاطميين .

انتعش الأزهر فى العهد المملوكى بعد النكسة التى أصابته على يد الأيوبيين وعادت مرة أخرى مكانته العلمية ليكون حفيظا على لغة القرآن ، وعلوم الشريعة ، وصار الأزهر فى العهد المملوكى مسجدا للعبادة ، وجامعة عليا للدراسات الإسلامية والعربية ومركزا لأعمال الدولة الرسمية . وبلغ عدد طلاب الأزهر حينذاك ٧٥٠ طالبا من أبناء الريف المصرى ومن الفرس والأفارقة ومن شمال أفريقية ، وخصص لكل جنسية من هؤلاء رواق يقيمون به ، وكان نظام الأروقة قائما فى الأزهر منذ عام ٨٠٨ هجرية ، ١٤١٥ ميلادية .

أ - الأروقـة :

من التقاليد التى اشتهر بها الأزهر أنه خصص لكل طائفة من طلابه رواقا يقيمون فيه إقامة مجانية طوال سنوات دراستهم .

والرواق : جناح أو عدة حجرات أو حجرة واحدة تخصص لإقامة الطلبة . وكان للطلبة المصريين القادمين من خارج القاهرة رواق خاص بهم ، وللطلبة الوافدين من كل قطر من أقطار العالم الإسلامى رواق يفرد لهم .

وإلى جانب التقسيم الجغرافى الإقليمى للأروقة كان هناك تقسيم آخر يقوم على أساس المذهب الدينى الذى يعتنقه الطالب ، وكانت بعض أروقة الغرباء تكتظ بالطلبة القادمين من

بلاد كان السفر بينها وبين مصر ميسرا . كالشام وشمالى افريقية ، مثل رواق الشام ورواق المغاربة ، فى حين كان عدد الطلبة قليلا نسبيا فى أروقة أخرى نظرا لقدومهم من بلاد نائية جداً بالنسبة لوسائل المواصلات فى ذلك الوقت كبخارى وما جاورها .. وبخارى - حاليا - داخل نطاق البلاد الروسية .

وكان لكل رواق رئيس يسمى « شيخ الرواق » ينتمى إقليميا إلى طلبة الرواق وكان شيخ الرواق يرعى مصالحهم ، وتخاطبه الجهات المسئولة فى شئونهم . ولم يبدأ استخدام الأروقة مساكن للطلبة إلا فى عصر متأخر ، هو عصر دولتى المماليك البحرية والشراكسة ، ثم شهد العصر العثمانى نشاطا ملحوظا فى إنشاء أروقة جديدة ، وانكمشت بعد ذلك حركة بناء الأروقة فى عصر « محمد على » وخلفائه .

كانت الأروقة تكفل للطلبة حياة متكاملة فى جوانبها العقلية والروحية والجسمية ، وكان لكل رواق كبير مكتبة يشرف عليها قيم ، وكان فى معظم الأروقة أماكن تسمى (خلوات) يتعبد فيها من يرغب الخلوة من الطلبة . وكانت الأروقة الموجودة الخاصة بأفريقيا هى :

١ - رواق شمال السودان ، ورواق شرق السودان ورواق السنارية ، ورواق دارفور ، ورواق جنوب السودان وهذه الأروقة خاصة بالسودان .

٢ - رواق الجبرت ، ويتبع هذا الرواق الوافدون من الحبشة وإريتريا والصومال وزنجبار .

٣ - رواق أوغندا وجنوب افريقية ، ويتبعه الوافدون من الكونغو وشرق أفريقيا .

٤ - رواق صليح ويتبعه الوافدون من السودان الفرنسى وتشاد .

٥ - رواق البرناوية ويتبعه الوافدون من نيجيريا وساحل العاج والسنغال وباقى أفريقية الغربية .

٦ - رواق المغاربة ويتبعه الوافدون من تونس والجزائر ومراكش .

ولعل من أهم خصائص أروقة الأزهر أنها لم تطبق سياسة التمييز العنصرى على الطلبة الغرباء ، ولم تأخذ بنظام الطبقية ، فكانت الأروقة تستقبل بنى الإسلام دون تمييز عنصرى أو طبقى أو لونى أو اقتصادى . وكانت سياسة الباب المفتوح التى أخذت بها الأروقة فى قبول الطلبة تطبيقا عمليا لمبادىء الإسلام .

وقامت الأروقة بدور بارز فى دعم الترابط بين الشعوب الإسلامية فى المشرق والمغرب ، وكان لها فى سبيل دعم هذا الترابط وسيلتان :

أولاهما : تكوين قاعدة شعبية واسعة ، تمثلت فى الطلبة الغرباء ، وكان هؤلاء يعودون إلى أوطانهم بعد انتهاء دراستهم ، وسرعان مايشغلون المناصب القيادية فى مجالات القضاء والافتاء والتدريس .

أما **الوسيلة الثانية** : فى دعم الترابط بين الشعوب الإسلامية ، فقد تمثلت فى الصفوة الممتازة فى المجتمعات الإسلامية فى المشرق والمغرب ، ونعنى بها كبار علماء المسلمين

دور الأزهر فى استقدام الطلاب

الذين وفدوا للأزهر ، وبعد أن ينزلوا - فترة - ضيوفا على بعض كبار علماء الأزهر ، كانوا ينتقلون إلى أروقة الطلبة الوافدين حيث ينزل كل عالم فى الرواق المخصص لأبناء إقليمه . ومن أشهر هؤلاء العلماء ابن خلدون ، وشمس الدين الفنارى ، والمقرى ، والزبيدى ، وابن سوده المرى الفارسى .

استمر نظام الأروقة بالجامع الأزهر نفسه قائما منذ دولتى المماليك البحرية والشراكسة وطوال العصر العثمانى ، ثم حكم محمد على وخلفائه إلى مابعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . ثم صدر قرار من مجلس الوزراء فى نوفمبر ١٩٥٤ ببناء مدينة جامعية تخصص لسكنى طلبة الأزهر كبديل عصرى لنظام الأروقة ، أطلق عليها اسم « مدينة ناصر للبعوث الإسلامية » وتسمى حاليا (مدينة البعوث الإسلامية) وبقيت مشيخة الأروقة قائمة حتى الآن لتقوم بإشرافها المعهود .

ومنذ قيام ثورة ١٩٥٢ خصص للطلاب الوافدين من شتى الأقطار العربية والإسلامية معهد يضمهم باسم معهد البعوث الإسلامية ، ورحب الجامع الأزهر بأبناء المسلمين من جميع الأقطار الإسلامية للدراسة بالمجان .

وكانت الدراسة على نوعين : الأول ، معهد البعوث الإسلامية ، والدراسة فيه ثلاثة مستويات (ابتدائى ثانوى ، عال)[1] والثانى . المعاهد الدينية والكليات .

وقد قرر المجلس الأعلى للأزهر بجلسته المنعقدة فى ١٦ أبريل ١٩٥٥ شروط التحاق الطلبة الوافدين بالدراسات العالية وأقسام الإجازات بالأزهر ، منها أن يؤدوا امتحانا عاما فى المواد الأساسية للكشف عن مدى استعدادهم ، وعلى أساس هذا الامتحان تحدد السنة الدراسية التى يلتحق بها الطالب ، بحيث لاتجاوز السنة الأولى بالكليات ، ووضع المجلس نظاما يكفل لطلاب البعوث الإسلامية فى جميع المعاهد والكليات حفظ أجزاء من القرآن الكريم . كما وضعت قواعد تنظم طريقة الالتحاق والدراسة فى معاهد وكليات جامعة الأزهر ، وقد تم تقديم منح دراسية لأبناء المسلمين للدراسة فيه . وتتفاوت القيمة المادية للمنحة طبقا لمرحلة التعليم التى يلحق بها الطالب (مرحلة المعاهد الإعدادية والثانوية ، ومرحلة الجامعة ، ومرحلة الدراسات العليا) . هذا بالإضافة إلى أن هناك أعداداً كبيرة من الطلاب الوافدين يأتون على نفقة حكوماتهم ، أو على نفقة هيئات إسلامية أو يدرسون ويقيمون على نفقتهم الخاصة .

يتبع د . رجاء إبراهيم سليم

---

(١) هذا التقسيم كان خاصا بالبعوث الإسلامية للطلبة الوافدين ، ثم - بعد ذلك - مع ظهور المعادلات سمح لهم بدخول كليات الجامعة الأزهرية ، وصار هذا المعهد مقصورا على المرحلة الثانوية .

رسل الأزهر في بلاد النيجر

بوبو هاما

٤

للسيد السفير
جمال الدين محمود أبو العيون

كان رئيساً للجمعية الوطنية (البرلمان) ورئيساً لحزب التقدم النيجيرى والحزب الحاكم الذى يعد رئيس الجمهورية سكرتيراً عاماً له ، وكان مهيب الطلعة ، ضخم الجثة ، داكن السمرة ، نفاذ العينين ، كما كان خطيباً مفوهاً ، يتكلم الفرنسية بطلاقة ، ويخلب الباب السامعين ، وكان مشهوراً بغليونه الذى لا يفارق فمه اينما كان .

وكنت فى الأيام الأولى من الشهر المبارك شديد القلق لعدم وصول القارِئَيْن المصريين اللذين وعدتنا بهما وزارة الأوقاف ، وفى اليوم السابع عشر من رمضان فوجئت بوصول القارِئَيْن؛ الشيخ أحمد شحتو والشيخ أحمد الدياسطى ، وكانا فى حالة يرثى لها من التعب والإرهاق ، ولما استفسرت منهما عما الم بهما ، وعن سبب تأخرهما طوال هذه المدة حكيا قصة المغامرة التى وقعت لهما فقالا :

ـــ « فى وزارة الأوقاف وقع خطأ غير مقصود ، وبدلاً من أن يعطونا تذكرتى سفر إلى (نيامى) حجزوا لنا على (فورت لامى) ، (انجامينا) حالياً ، ولم ننتبه لهذا الخطأ لجهلنا باللغات الأجنبية ،

←

رسل الأزهر فى بلاد النيجر

وفى « فورت لامى » استقبلونا فى السفارة مندهشين وصاحوا فينا:« ما الذى أتى بكم يا مشايخ ؟ وإيه الحكاية ؟ أنتم هنا فى تشاد ولستم فى « النيجر » !! واسقط فى أيدينا .. ماذا نفعل ؟ وكيف نتصرف ؟ وتذاكرنا لا تصلح إلا للعودة إلى مصر ؟ .. وماذا بعد العودة ؟ هل نعلن على الناس جهلنا ونقول:إننا « تهنا فى السكة » ؟ .. كلا .. والله لا يكون هذا أبدا .. ولابد من مواصلة السفر إلى « نيامى » ولو على حسابنا الخاص .. وسألنا فعلمنا أنه لا يوجد طيران مباشر إلى نيامى ، بل لابد من السفر أولاً إلى ياوندى (فى الكاميرون) ومنها إلى كوتونو (فى داهومى) ثم إلى نيامى ، واستغرقت رحلة العذاب هذه ١٧ يوماً .. حتى كدنا نقطع الأنفاس ، خاصة ونحن لا نستطيع التفاهم بأية لغة أجنبية، ولولا أن هيأ لنا الله فى مختلف المطارات من المسلمين من كانوا يأخذون بأيدينا، ويستضيفوننا بفضل من الله فى رمضان ، ثم بما أراد الله لزينا الأزهرى من احترام .

ودهشت كثيراً لهذه القصة ، وأعجبت ـ والحق يقال ـ بشجاعة الشيخين، وحسن تصرفهما ، فطمأنتهما ، وأكدت لهما أنهما سيلقيان منا كل رعاية،. وسنعوضهما بإذن الله عن كل مالقياه من متاعب ، وبالفعل بادرنا بالاتصال بالحاج « عيسى بوبى » وبالرابطة الإسلامية،فسرعان ما اهتموا للأمر وحجزوا للشيخين استراحة (بنجالو) فى حديقة فندق جراند أوتيل ، كما خصصوا عربة رسمية لتنقلاتهما ، وبهذا استراح بالهما واستبشرا خيراً ..

ثم إنى دعوت الشيخين لتناول الإفطار بمنزلى بصحبة المترجم المرحوم الحاج عمر ملى ، وهو خريج كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف .. وهنا تتجلى شخصية المصرى الأصيل الذى قل أن يوجد له مثيل فى العالم أجمع ، إذ ما كاد الشيخان يفرغان من تناول الشاى بعد الإفطار حتى ألحا علىّ فى السماح لهما بالتوجه للمسجد الجامع لإحياء الليلة فيه . وعبثا حاولت تأجيل هذه الرغبة للغد حتى ينالا قسطا من الراحة بعد رحلتهما الشاقة ، فقد أصرا على مطلبهما .

وتوجهنا للمسجد الجامع ، فوجدنا أبوابه مغلقة ، لأن الناس هنا يفضلون صلاة التراويح فى الزوايا أو الساحات الشعبية ، ولكن الحاج عمر ملى قام بفتح أبواب المسجد ، وبعد أن صلينا العشاء والتراويح جماعة ، بدأ الشيخان التلاوة ، وتناهت إلى أسماع الناس الأصوات الجميلة ، فدهشوا ودفعهم الفضول للقدوم إلى المسجد ، ومالبث أن انتشر النبأ ، فتوافد الناس زرافات ووحداناً لرؤية الشيخَيْن المصريين وسماع تلاوة القرآن الكريم ..

ولست بمستطيع ، مهما أوتيت من بلاغة ، أن أصف هنا مشاعر الناس وأحاسيسهم تجاه الشيخين ، فقد راحوا يتطلعون إليهما

وكأنهما هابطان من عالم غير عالمنا ، واحتشدوا حولهما فى شبه مظاهرة ، وربما جرؤ البعض على الاقتراب ليمسح بيده على طرف جبة أحدهما تبركاً ، أو ليهوى على كتفه بقبلة محبة واحترام ثم يتراجع مسرعاً وكأنما تجاوز حدوده .

وكان علينا فى الليالى التالية أن نتهيأ لاستقبال الجماهير المتدفقة ، خاصة بعد أن تم تركيب مكبر للصوت فى ساحة المسجد ، وصار يتردد عليه يومياً إمام المسجد ، وأعضاء الرابطة الإسلامية ، والسفارات الإسلامية ، وأغلق الشيخ على صالح السودانى مدرسته الليلة ليحضر المدرسون والطلبة وعددهم يقارب المائتين .

كما حضر السيد « مودور زاكارا » وزير المالية والمشرف على الشئون الدينية ، والذى حدد لنا موعداً لمقابلة رئيس الجمهورية لتقديم القارِئَيْن إليه .

وكانت مقابلة القارئين للرئيس أكثر من موفقة .. فقد حضرتها وحضرها معنا وزير المالية وأعضاء الرابطة الإسلامية ، وبعد أن استمع الرئيس إلى تلاوة من آيات الذكر الحكيم قبل أنامل يديه ورفعها إلى جبهته احتراماً وتعظيماً ، ثم أعرب عن شكره لاهتمام أخيه الرئيس السادات وحكومته بإيفاد الشيخين للنيجر ، وأمر بتسجيل أشرطة إذاعية للقارئين ، ولكيلا تحرم محافظات النيجر الست الأخرى من البركة ، قرر سفرهما بالطائرة ، ومع كل منهما مترجم يتكلم العربية ، إلى مدن : مارادى، وزغدد وأجاديس، وتاوا، وديسا، ودوسو . وقد تأثرت كثيراً وتأثر معى الشيخان الفاضلان لهذه المقابلة ، ورغم إرهاقهما ومشقة السفر فقد رضيا عن طيب خاطر بأداء هذه المهمة ، وتشريفاً لمصر وتكريماً لسفارتنا .

ولقد أحدثت زيارة الشيخين المصريين ضجة إعلامية كبرى ، فقد نشرت صحيفة « أخبار النيجر » شبه الرسميـة صور مقابلاتنا مع الرئيس ، بالإضافة إلى نداء من الرابطة الإسلامية ، وأمام المسجد الجامع بدعوة المسلمين للاحتفال بليلة القدر المباركة فى المسجد مع مشاركة القارئين المصريين فى الاحتفال الذى تقرر إذاعته على الهواء ..

والطريف أن وكالة الأنباء الفرنسية اهتمت للنبأ (أو انزعجت منه) فاتصلت بنا تليفونياً تستفسر عن البعثة المصرية وحقيقة المهمة التى قدمت من أجلها . وقد أكدنا لها أنها مجرد بعثة دينية بمناسبة شهر رمضان ولا خطر على أحد !! ..

وفى اليوم التالى صحبت القارئين لمقابلة الرئيس بويوهاما فى مكتبه ، ولما وصلنا إلى

رسل الأزهر فى بلاد النيجر

دار البرلمان تركت الضيفين فى قاعة الانتظار ، بينما استأذن لهما من الرئيس . ومررت فى طريقي بثلاث حجرات للحرس والسكرتارية والمكتبة حتى وصلت إلى مكتب الرئيس الفخم الذى يتصدر حجرة طولها حوالى عشرة أمتار أو يزيد ..

وسلمت على بوبوهاما بالاحترام اللائق ، وهنأته بشهر الصيام ، فقال « أنا مريض ولذا فأنا مفطر » ، وبعد أن شرحت للرئيس مهمة القارئين استأذنته في دعوتهما

وعدت بعد دقائق بالشيخين المعممين ، ودخلنا مكتب بوبوهاما ، وإذا بى أفاجأ بمنظر لن أنساه ما حييت .. فقد اختفى غليون بوبوهاما ، واختفت معه كل « أدواته » فقد استحيا الرجل أن يبدو مفطراً أمام القارئين المصريين ، فأخفى « العدة » كلها احتراماً لحملة القرآن الكريم

ليلة القــدر

ليلــة القــدر .. ومــا أدراك مــا ليلــة القدر .. ؟ ! ما شاء الله .. هذا هو المسجد الجامع وقد فتحت أبوابه ، وتلألأت أنواره ، وانبعثت من مكبرات الصوت فيه أصوات قرائنا الرخيمة وهم يتلون آيات الذكر الحكيم ، وازدحمت ساحته على سعتها بالمسلمين الذين توافدوا من كل مكان للمشاركة فى الاحتفال بالليلة المباركة ، وعلى رأسهم الرئيس بوبوهاما ، ووزراء الدولة ، والسفارات الإسلامية ، والجالية المصرية ، وأعضاء الرابطة الإسلامية ، وغيرهم

وأذيع هذا الحفل ، الذى شهدته العاصمة (نيامى) لأول مرة ، على الهواء ، فترددت فى كل انحاء النيجر أصوات التلاوة المباركة ، والتواشيح الدينية ، والصلاة على الرسول عليه افضل الصلاة والسلام ، وكلمات الخطباء وفى مقدمتهم بوبوهاما الذى سجل شكره لحكومة مصر وشعبها على هدية رمضان التى دلت على الإخاء العميق بين الشعبين ، وهكذا أمضينا ليلة لا تنسى من ليالى العمر بفضل الله ، ثم بوجود القارئين المصريين اللذين أشاعا فينا ما لا مزيد عليه من البهجة والسرور .

وحان موعد سفر القارئين . وكنت قد أبرقت لمصر لحجز تذاكر العودة لهما على اقصر الطرق واقلها مشقة ، فجاءنى الرد

بالحجز لهما على أطول الطرق وأقلها نفقة ، وهو طريق نيامى ـ كوتونو ـ دوالا ـ فورت لامى ـ الخرطوم ـ القاهرة !! ..

وتغاضيت عن هذا الرد ، وقررت أن أتصرف على مسئوليتى ، فحجزت لهما عن طريق نيامى ـ باريس ـ القاهرة مباشرة ليصلا مصر فى ليلة العيد وينعما بقضائه مع أولادهما وأهلهما ، فهذا أقل تكريم لهما .

وفى مطار نيامى احتشد المودعون ، وفى مقدمتهم وزير المالية السيد مودور زاكارا وسفير الجزائر والقائم بأعمال ليبيا وأعضاء الرابطة الإسلامية والجالية المصرية ، وتعانق الجميع ، وبكى الكثيرون منهم لهذا الوداع المؤثر ..

سافر الشيخان .. ولكن بقيت ذكراهما عطرة تتردد ردحاً طويلاً فى النيجر ، سواء فى قلوب الأهلين ، أو عن طريق الإذاعة التى راحت تذيع تلاوة القرآن الكريم بصوتيهما ثلاث مرات يومياً ، وهو الأمر الذى لم يحدث من قبل .

وهلّ عيد الفطر المبارك بأنواره على مصر وسائر الدول العربية فى يوم الجمعة ١٩ نوفمبر ، وكان المفروض أن يحتفل به النيجر فى نفس اليوم كالمعتاد ، لولا عقيدة راسخة فى النفوس هناك ، وهى أن العيد إذا صادف يوم جمعة ، فإن هذا يكون نذير شؤم على البلاد ، وعليه فقد أعلن أن يوم العيد يوافق يوم السبت ٢٠ نوفمبر ، ومن ثم توجهنا لأداء الصلاة فى ظاهر المدينة ، اتباعاً للسنة الشريفة ، عند قرية أرليف الصغيرة فى طريق المطار ، وحضر الصلاة رئيس الجمهورية وكبار المسئولين والسفارات الإسلامية ورجال الدين وغيرهم ، وبعد الصلاة انتقلنا إلى رئاسة الجمهورية لنقدم التهانى إلى الرئيس .

وكنت قد أعددت مفاجأة العيد لشعب النيجر الذى شرفنى وأكرمنى خلال شهر رمضان ، فارتديت بمناسبة العيد الـ « جراند بوبو » ، وهو الزى الشعبي السائد فى البلاد ، وهو مكون من ٣ قطع ، سروال وقميص داخلى وحرملة فضفاضة ، واخترت اللون الأبيض ، بالإضافة إلى طاقية بيضاء وضعتها على رأسى .. ولا أستطيع أن أصف هنا مدى السرور والابتهاج الذى قوبلت به وأنا فى هذا الزى الذى اعتبرونى به واحداً

منهم ، كما لا أنسى صوت الإمام وهو يصيح بعربيته المحدودة : « هذا حسن .. هذا حسن .. » ، وهكذا صرت أرتدى هذا الزى الوطنى الجميل فى كل المناسبات الدينية ، فضلاً عن يوم الجمعة .. والواقع أننى وجدته مريحاً للغاية ، ومناسبا لجو البلاد الحارة ، فهو يسمح بدخول الهواء مكيفاً بين طياته فلا يتسبب فى عرق ولا سخونة ..

وكانت المفاجأة الكبرى بعد ذلك دعوة كريمة تلقيناها من رئيس الدولة ديورى هامانى وقرينته الحاجة عائشة ، هى الأولى من نوعها ، حيث دعانى ومعنا عشرين من أعضاء الجالية المصرية ، لتناول العشاء فى قصره ثانى أيام العيد ، كما وجه دعوة مماثلة إلى كل من السفارات الإسلامية ، وهى سفارات : ليبيا والجزائر ونيجيريا ، وقد أذيعت أثناء الحفل تلاوة من آيات الذكر الحكيم ، وأناشيد مصرية ، وأغان نيجيرية ، فكان حفلاً لم يسبق له مثيل ، سعدنا به كما سعد به جميع أفراد الجالية المصرية الذين اعتبروه تشريفاً لهم وتكريماً لبلادهم ، مما انعكس بالتالى على ولائهم للسفارة وإخلاصهم فى عملهم .. وقد علمت أن البعض نصحوا للرئيس بعدم إقامة مثل هذا الحفل الذى قد يعد سابقة ملزمة ، ولكنه أصر على إقامته تعبيراً عن امتنانه لما قامت به سفارتنا المصرية لاحياء شهر رمضان المبارك .

كيف حدث ذلك ؟ وكيف تم هذا التلاحم السريع بين السفارة المصرية وحكومة وشعب النيجر ، ولما ينقضى شهران على وصولى ؟ لا أجد تفسيراً لذلك سوى الشوق الدفين للإسلام الذى ظل حبيسا فى صدور أهل النيجر لأجيال طويلة ، والتعطش الشديد لتعويض ما فاتهم ، وإحساسهم بإخلاص السفارة فى نواياها تجاههم وصدق مشاعرها نحوهم ذلك أننى بفضل الله لم أمارس عملى منذ وصولى إلى النيجر كدبلوماسى يمثل دولة أجنبية ، بل اعتبرت نفسى – وبحق – واحداً منهم فقد أحببتهم بغير حدود .. وفتحت لهم صدرى ومكتبى ومسكنى فى كل وقت وبغير رسميات .. لقد وجدت أهل النيجر على الفطرة السليمة ، بعيداً عن تعقيدات الحضارة

وشكلياتها ، مثلهم فى ذلك مثل الطفل البرىء الذى يلتقى بهذا فيحبه ويتعلق به ، ويلتقى بذاك فينفر منه ويعرض عنه ، تهديه إلى ذلك فطرته السليمة التى تميز بين الصديق والعدو مهما تخفى الأخير خلف قناع أو تفنن فى خداع .

حدث تقديم وتأخير

اخر الكلام فى العمود الاول من صفحة ٣٣٣ فى نهاية السطر الثالث قوله : «فاقبلت فاطمة تمشى»بقية هذا القول جاءت فى العمود الثانى من نفس الصفحة وهى قوله : ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً .

و اخر كلمة فى الصفحة وهى قوله:دراسته يتبعها القرآن مرتين : فيكون قوله وللمكارم موضعا هو اخر المقال .

الفتاوى

حكم كتابة القرآن على قواعد الإملاء

س ١ : هل يجوز كتابة القرآن حسب قواعد الإملاء ؟

محمد ناجي - اسكندرية

جـ : اتفق رأى المسلمين على وجوب كتابة القرآن الكريم على ما كتب عليه فى عهد الخليفة : عثمان بن عفان رضى الله عنه - حتى لا تمتد إليه يد التحريف أو التبديل على مر العصور ، والقـراءة تكون بـالتلقى والتلقين .

سئل الإمام مالك رحمه الله كما جاء فى المقنع : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ، فقال : لا ، على الكتابة الأولى ، ولا مخالف له من علماء الأمة ، وبعض العلماء يجيز الكتابة حسب قواعد الإملاء فى الألواح التى تمحى بالماء .

سجود التلاوة

س ٢ : ما الكيفية التى يؤدى بها سجود التلاوة ؟

يوسف عمر

جـ : سجود التلاوة عندما يقرأ المسلم المتوضىء بعض آيات القرآن التى يطلب فيها السجود عليه أن يكبر ويسجد ثم يكبر حال الرفع من السجود ولا يقرأ تشهدا ولا يسلم ، وسجود التلاوة سنة للقارىء إذا كان جالسا للقراءة متجها نحو القبلة والمستمع .

روى الإمام أحمد ومسلم والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ، يقول ياويله - أمر - ابن آدم - بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار .

فى الميراث

س ٣ : توفى رجل عن ثلاث بنات ، وأولاد بنتين ، وابن ابن فمن يرث وما نصيبه ؟

جـ : فى تركة المتوفى وصية واجبة لأولاد البنتين بمقدار ما كانت تستحقه كل بنت منهما لو كانت على قيد الحياة طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول بها من أول أغسطس ١٩٤٦ فى حدود الثلث ، بشرط الا يكون الجد

إعداد/عبد الحميد شاهين
علي حامد

قد أعطى الأولاد مثل نصيب أصلهم .

والمسألة من خمسة عشر جزءا منها أربعة أجزاء وصية واجبة لأولاد البنتين ، جزءان لأولاد كل بنت يقسمان للذكر مثل حظ الانثيين .

والباقى أحد عشر جزءا - للبنات الثلاث ثلثاه بالتساوى والباقى لابن الابن تعصيبا ، والله أعلم .

س ٤ : توفيت سيدة ولها زوج وثلاثة بنين وبنتان فما نصيب كل من الورثة

محمود شاكر - بنها -

جـ : للزوج الربع والباقى للأولاد للذكر مثل حظ الانثيين .

فالمسألة : من أربعة للزوج ١ من ٤ .

والباقى يقسم للذكر ضعف الأنثى .

والله أعلم

حكم تعليق الصور

س ٥ : ما رأى الإسلام فى تعليق الصور والتماثيل فى البيت ؟

خلف الله السيد - برخيل - البلينا

جـ : الصور إذا كانت مجسمة مكتملة الأعضاء كالتماثيل ، فقد اتفق العلماء على تحريمها ، واستثنوا من ذلك لعب الأطفال وإذا كانت غير مكتملة الأعضاء (كأن تكون نصفية ، أو كانت غير مجسمة - فقد حرم بعض الفقهاء تعليقها - وأجازها البعض وكرهها البعض) .

وأما الصور « الفوتغرافية » فإذا كانت نصفية فتجوز عند الجميع إذا اقتضتها الضرورة كوثيقة السفر وغيرها .

أما إذا كانت كاملة الأعضاء واتخذت للتقديس أو للإثارة كالصور العارية فحرام وفى ذلك جاء حديث الرسول ﷺ أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون .

البحث عن الديانات
بقية

فى كلا المعبدين ـ على أى حال ـ أشياء كثيرة مما يتصل بعبادة عشتروت من المحاريب والآنية والصناديق المقدسة ، والمصابيح والفازات والأكواب .. الخ ، وهذه كلها تعطى فكرة عن الطقوس والعبادات التى كانت متبعة بين قوم وثنيين .

وكشف هناك أيضا عن معبد كبير بناه الفرعون المصرى ستى الأول حول سنة ١٣٠٠ ق م ، وبعض هذا المعبد له سقف وبعضه مكشوف للسماء ، والجزء ذو السقف يحوى مذبحا أو على الأدق حجرة لتقديم الضحايا والقرابين ، وبه أفران حجرية ، وكميات كبيرة من الدقيق وآنية فخارية تحوى حبوب السمسم ، مما يوحى بأنها أطعمة مقدمة للآلهة .

وتحت هذا المعبد مباشرة وجد معبد آخر بنى فى عهد امنحتب الثالث فى نحو سنة ١٤٠٠ ق م ، وبين محتويات هذا المعبد المصرية وجدت تماثيل للإلاهة عشتروت متناثرة هنا وهناك ، واستمرت الحفريات أعمق وأعمق لتكشف عن معبدين كنعانيين يرجع تاريخهما إلى سنة ١٥٠٠ ق م . ولم يكونا على شاكلة المعابد السابقة ، ولكن يتجلى فيهما الطابع الكنعانى البحت .

والقاسم المشترك فى معابد الكنعانيين هو المذبح ، ويوجد عادة أمامه إناء للدم المسفوح أو الخمور ، تنساب إليه من حجر المذبح ، وقد استفاد العبرانيون من هذه المذابح واستعملوها بعد أن فتحوا بلاد الكنعانيين . ولكن الكنعانيين كانوا قد استردوا أراضيهم من الإسرائيليين إلى حين . وهذا الخلط بين المعابد يوضح كيف تغذت الديانة الإسرائيلية من جيرانها الكنعانيين وغير الكنعانيين .

وهكذا لم يكن الإسرائيليون موحدين فى كل عهودهم ، وهذا سر ماتفيض به الشكوى من شعب صلب الرقبة ، ترك ديانته السماوية ليعبد آلهة الأمم المجاورة ، وجاء فى القرآن شكوى النبى « إلياس » ـ « أليشع » من أن قومه يدعون « بعلا » ـ هو البلعيم إله الكنعانيين ، أما الكتاب المقدس ، فيتعدى الشعب ليصف الملوك ، ومنهم طالت ، وسليمان ، وداود ، بالانحراف وعصيان الرب(١) .

وكما توضح الحفريات صدق بعض الأحداث فى العهد توضح أيضا انحرافات الإسرائيليين .

عبد الجليل شلبى

---

(١) وهذا الجزء من كتابات العهد القديم ضد أنبياء بنى إسرائيل إنما هو الاختلاق المحض الواضح فيه ـ جداً ـ التحريف ـ فإن الله سبحانه وتعالى ـ أعلمُ حيث يجعل رسالته ، وإنما جعلها سبحانه فى (المُصْطَفَيْنَ الأخيار) الذين اصطفاهم من بين خلقه أكمل أخلاقا وآدابا لم يمسسهم سوء فى العِرْض أو الدين ، وكان القرآن ـ وحده ـ الكتاب الذى كشف عن تلك الأباطيل وأعطى الأنبياء حقهم الكامل فيما كانوا عليه من عصمة لا يأتون معها إلا ماأمرهم به رب العالمين ، وهم الذين قاوموا حنث ووثنية بنى إسرائيل وكشفوا عن زيفهم فمال عليهم بنو إسرائيل ذبحا وتقتيلا . عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

أشواق وذكرى

أفيقي..!!

ياظماء النفوس

أشواق وذكرى

للشاعر: مصطفى أحمد دردير

يا إلهي وملجئي ورجائي   يا غفورا يا راحم الضعفاء
صعدت أشواقي إليك دعاء   فاض من قلبي فاستجب لدعائي
ملئت نفسي بالجوى فاستهلت   عبراتي تشي بسر عنائي
وتعالت نجواي للملأ الأعلى أنينا يهز قلب الفضاء
هام عشقا بالنور قلبي وماحيلة من كان من تراب وماءْ
وإذا ما سما لك القلب يوما   شده نحو الأرض داعي اشتهائي
يا إلهي فاضت دموع اشتياقي   لجلال الأنوار في العلياء
وأهاج الحنين في أضلعي آياتك العظمى فاستطال بكائي
في شراك الدنيا تعلق قلبي   وتمادى في مُهْلك الاهواء
وغدا مفتونا بزهرتها لا   يرعوي في صبح ولا إمساء
أيها القلب إنما العيش لهو   وغرور مآله لانقضاء
فتبصر لا يخدعنك عن السير بساط مصيره لانطواء
وتذكرت المصطفى فصفت رو   حي وحنت لذكره الوضاء
النبي الأمي لم يُحْصِ يوما   فضلَه حاذقٌ من العلماء
صاحب الحوض واللواء وماحي   كل شرك وخاتم الأنبياء
ما أظلت كالهاشمي سماء   أو مشى مثله على الغبراء
أين مني محمد أين مني   هديه يمحو حالك الظلماء
أين مني صحابة بينهم كنت سراجا متمم الأضواء
من حموا دينهم وساروا على درب الهدى والمحجَّة البيضاء
فاغفر اللهم الخطايا وكفر   بالرضا ذنب عبدك الخطاء

أفيقي..!!

للشاعر: عبدالستار سليم

غفلت فطوقت جيدى الذنوب ... ويا للنفس إن نام الرقيب
تُعاقر حظها سفها وعيبا ... كأن حروف قصتها العيوب
وتأخذني إلى الزلات قسرا ... وتجريحُ القتاد لها يطيب
تعاهدني وتنقض كل عهد ... وتنوى أن تتوب .. ولا تتوب
إذا الاغراء عنّ لها بدرب ... يشوب العزم منها ما يشوب
فما تقوى على الإغراء إلا ... كما يقوى على الحلم الغضوب

●● ●●

الا يانفس حسبك واستقيمى ... وثُوبى .. قد غوى من لا يثوب
أعابثة إذا ما الصبح وافى ؟! ... وعابثة إذا وافى المغيب ؟!
وتَسبيكِ الغوايةُ حيث كانت ... كما يسبى الفراشات اللهيب !!
افيقى .. غُصَّ بالاوزار حلقى ... وجلل شمس مسعاى الشحوب
إذا لم ترتدع نفس .. فَذَرْوًا ... تذريها الشمائلُ والجنوب

ياظماء النفوس

للشاعر: رشاد محمد يوسف

ياظماء النفوس من كل صوب ... إن قرآننا هو الينبوع
اقبلوا ترتووا فهذا معين ... أصله طاهر نقى رفيع
واجتنوا من قطوفه دانيات ... ساقها الخالق اللطيف البديع
ياظماء النفوس صحوة قلب ... وخضوع لربكم ورجوع
حولكم عالم يضج من الظلم ... حقوق الشعوب فيه تضيع
ونفوس العباد ارهقها الفقر ... وغطى الحياة قهر وجوع
عاصفات الحروب تمعن فى البغى ... وسفك الدماء سيل مريع
والأعاصير احرقت كل شىء ... جف قلب الثرى ومات الربيع
ياظماء النفوس هذا التردى ... فيه للشر والضلال نزوع
عاد فينا «مسيلم» من جديد ... فغوت فرقة وضل قطيع
صدقوا زعمه وهاموا حيارى ... انكرتهم شواطىء وربوع
سمموا الفكر والثقافة والعلم ... فغطى الحروف سم نقيع
شوهوا الفن فاستحال خبالا ... عبث دائم وفكر وضيع
وتراث الجدود وهو معين ... كم تساقت بشاطئيه الجموع
قال عنه العداة: مصدر جهل ... وجمود وشاع فيه الخضوع
فإذا الصقوا الهوان بأصل ... كيف بالله تستقيم الفروع ؟!
هم عداة الهدى فكل نبى ... بيتوا غدره وساء الصنيع
اليهود اليهود شر أناس ... ضاق موسى بغدرهم (ويسوع)
وعفا احمد الكريم مرارا ... وهم الشر والفساد الفظيع
ياظماء النفوس ليس بغير ... الدين يرجى تقدم وسطوع

يا النساج..

للشاعرة: نور نافع

سالت دموعك أيها الدَّنِفُ   وبدا عليك الوجد والكلفُ
إن الهوى يامنيتى تلف   ولقد شربت من الهوى مُرَّهْ
سالت وشاهد عشقك الناسُ   لما شربت وصرّت الكاسُ
والروح بين الصدر أنفاسُ   والعين كل قوامها نظرهْ
دنِفٌ وللمعشوق عشاقُ   عرفوا الجوى والذل واشتاقوا
ليلا وإصباحا وما ذاقوا   من وصلهم فى حبهم قطرهْ
من أنت بين الصنف والعدد ؟   فى ملك ذاك الواحد الأحد
يامهجة ذابت من الكمد   ضمى الجراح وكفكفى العَبرهْ
من أنت ياضعفا على ضعف ؟   ياسائراً لكن إلى الخلفِ
قدم تجرك خارج الصف   مالت بسيرك يمنة يسرهْ
لا حول ياإنسان لاقوهْ   تختال عند مشارف الهوهْ
لولا يدٌ لله مرجوه   هل كل حين تسلم الجرهْ
قل لى فماذا أنت ياقلبى   حسبى أنا مما جرى حسبى
فالدرب يفضى بى إلى الدرب   وأغيب ثم أعاود الكرَّهْ
ياقلب جرك للهوى (عشمُ)   ومشى على أعقابك الندمُ
والعمر يامسكين منهزم   ياحسرة ياقلب ياحسرهْ
ياحسرة ياقلب لو ندرى   أن الزمان جرى وكم يجرى
لو كنت ترقب طلعة البدر   كل يرى فى بدركم بَدرهْ
ياسيدى ياعالما حالى   متجاوزا عن سوء أفعالى
إنى ألوذ بعهدك الغالى   أسرفتُ كم أوغلتُ ؟ كم مره ؟

من أعلام الأزهر

العالم العلامة الشيخ الجليل مصطفى محمد الحديدى الطير

وطرف من حياته (رحمه الله)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .. وبعد :

فلعل « اعلام الأزهر » تحظى لأول مرة بالحديث عن عالم جليل قدم نفسه بنفسه فانتفع هذا الباب بذلك دون قصد منه ، وهذا هو العالم العامل فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى محمد الحديدى الطير رحمه الله .

لقد أعد القدر اللقاء ..

فقد أنطلق شاب راشد - إن شاء الله - إلى منزل الشيخ « بالمطرية ليحدثه الشيخ عن شيء من تاريخ حياته افتتاحا من الشاب إلى الحديث عن العلامة الجليل الشيخ « محمد أبو زهرة » لاصطحابهما فترة من الزمن ليستطيع هذا الشاب . الأستاذ ناصر وهدان أن ينتفع بهذا التاريخ فى رسالته عن الشيخ « محمد أبو زهرة » وهى رسالة ماجستير يعكف على تاليفها .

من هنا طرق الأستاذ وهدان منزل الشيخ أكثر من مرة وتوسع فى هدفه حين أراد أن يلم إلماماً دقيقاً بحياة فقيدنا .. فقيد الأزهر الأستاذ الشيخ الطير فكان هذا الحديث النادر الفريد لباب « من أعلام الأزهر » ويتميز هذا اللقاء بما أملاه الشيخ عليه رحمة الله وأذن له فى نشره وختمه بتوقيعه ، وكان ذلك أحسن ما نقدمه عن الفقيد رحمه الله ..

أحمد الحواص

التقيت به فى منزله على مدى أربعة لقاءات فحكى لى طرفاً من تاريخ حياته فقال : الأمور التى مرت بى كثيرة ، ويحتاج سردها إلى ترتيب حتى تكون الموضوعات مترابطة قدر الطاقة ، ولكن أسأل الله أن تسعفنى الذاكرة بذلك .

إعـداد : الأستاذ ناصر وهدان
تقديم : الأستاذ أحمد محمد الخواص

* مولده ونشأته

ولدت فى « ١٩٠١/٩/٧ م » بمدينة المنزلة التابعة لمحافظة الدقهلية ، وباسمها تسمى بحيرة المنزلة ، أكبر البحيرات القديمة ، وهى مدينة قديمة قبل الفتح الإسلامى ، ثم فتحها « عمرو بن العاص » كما هو مسجل فى التاريخ ، وكانت مشهورة بالمنسوجات الفاخرة ، وقد بنى فيها « عمرو » مسجداً ، وقد رأيت بقايا مئذنته ، وحوائطه المتداعية . وكان التعليم يقوم به الفقهاء فى « الكتاتيب » وأشهرها كُتّاب الشيخ « مرسى حمادة » فكان غالب تلاميذه من أبناء الأثرياء ، فالتحقت به فترة ، ثم حضر من تركيا الشيخ « محمد بطل » بعد إقامة طويلة فيها وكان من أبناء هذا الإقليم ، واشترك مع الشيخ « مرسى حمادة » على أن يديرا هذه المدرسة[1] التى بناها الأهالى بالجهد الذاتى ، وكانت تسمى مدرسة « الأنصارى » لقربها من قبره الذى تعلوه قُبَّة ، واستمرت الدراسة على هذا النحو حتى بعث أهل البلد إلى مدير الدقهلية يطلبون ضمها إلى مدارس مديرية الدقهلية .

وكان يشرف على التعليم (المستر/ دانلوب الإنجليزى) فكان خصماً للتوسع فى بناء المدارس ، وكان ناظر المعارف - أى وزيرها - وقتئذ (سعد باشا زغلول) ، وكان يحاربه فى

سياسته ، ويَحُضُّ على بنائها ، وكان يذهب لافتتاحها بنفسه ، فلما أخبره مدير الدقهلية بطلب الأهالى أمره بضم المدرسة ، وتعيين المعلّمين اللازمين لها ، ولم يكتف بذلك ، بل حضر لافتتاحها ونحن بها ، وكان يوما مشهوداً .

* تعليمه (القسم الابتدائى بالأزهر)

ولَمّا أتممت دراستى بها التحقتُ بمعهد (دمياط) الدينى ، وكانت الدراسة به وقتئذٍ

(١) التى هى كُتّاب الشيخ حمادة .

فى جامع (البحر) ، ومدرسة ملحقة به ، وكان تابعا للأزهر ، وكانت الدِّراسة فى قانون الأزهر وقتئذٍ على ثلاث مراحل (الابتدائية ، الثانوية ، والعالية) وكانت الدِّراسة فى كل مرحلة مدتها خمس سنوات .

وكانت الدراسة فى معهد (دمياط) وقتئذٍ مقصورة على القسم الابتدائى ، وكان يدرس به من العلوم كثير وخطير ، ولكن الطلبة كانوا يستوعبونها وينجحون فيها ، وكان زمن الدراسة يوميا للمواد المختلفة من ساعتين إلى ساعة ، وكانتْ تبدأ من الساعة الثامنة ، وتنتهى فى الخامسة ، يتخللها فترة لصلاة الظهر والغداء ، وكان الطلاب يصلون الفجر فى المسجد يؤمهم شيخ المعهد ، ويبقى معهم حتى مشرق الشمس ، فيذهب الطُّلاب للإفطار على عجل ، ثم يعودون إلى المعهد قبيل الثامنة ، وكان يُدَّرس فى هـذه الفترة « العَرُوض ، والقوافى ، والتفسير ، والبيان ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والحساب ، والجبر ، وتدبير الصِّحَّة إلى جانب العلوم الأساسية .
وكان شرح (القَطْر) فى النَّحو يُدَّرس فى السنة الثالثة الابتدائية ، مع أنه كان يُدَّرس فى بعض الأوقات فى دار العلوم ، مع أنها من المعاهد العليا ، وكان استيعاب هذه العلوم الضخمة ونجاحهم فيها يعتبران إعجازاً أو شبيهاً بالإعجاز ، والفضل فى ذلك يرجع إلى تقوى الطلاب ، وامتناع المعوقات ، وتفرغهم للعلم .
وإن تعجب فعجب أن يُمْتحن طالب الشهادة الابتدائية تحريرا وشفويا فى علوم القسم كلها ، وتبلغ سبعة وعشرين علما ، وبالاطلاع على قانون رقم (١٠) يُعْرَف ذلك .

ثورة سنة (١٩١٩)

قام بهذه الثورة (سعد باشا زغلول) ، يعاونه فيها صفوة من زعماء الأمة ، وكان الاعتماد فيها على الطلبة ، وبخاصة طلبة الأزهر ، وقد ضَاعَتْ هذه السنة على طلاب الأزهر وحدهم ، دون باقى الطلاب ، لشدة بلائهم فيها .
وقد قضيتُ هذه السنة مريضا ببلدى (المنزلة) فلما عادتْ الدراسة فى سنة (١٩٢٠م) عُدتُ إلى معهد (دمياط) محطما من المرض ، ومع هذا نجحتُ فى جميع العلوم ، وكان ترتيبى (٤٦) على مستوى جميع المعاهد .

* القسم الثانوى

كان العمل فى هذا القسم دائبا ، وقد تفتَّحت فيه جميع الطاقات ، ثم بدا لنا أن نطلب قصر الدراسة فيه على أربع سنوات ، فاستجابوا لهذا الطَّلب مشروطا بالنجاح فى بعض مواد السنة التالية تحريريًّا عقب الأجازة السنوية ، وكُنَّا وقتئذٍ فى السنة الثانية ، فذاكرنا المادتين المطلوبتين من السنة الثالثة ، فنجحتُ ، ومعى (١٧) سبعة عشر طالبا ، ولم ينجح (٢٣٣) طالبا ، وقد تعبوا كثيرا فى اعتبارهم ناجحين ، حتى أُجِيبُوا إلى مطلبهم ، ولما تقدمتُ لنيل الشهادة الثانوية الأزهرية نجحتُ ، وكنتُ (السادس) على مستوى جميع المعاهد الثانوية .

* القسم العالى

كانت الدراسة فيه شاقة لصعوبة علومه ، وبخاصة فى السنة الأخيرة ، حيث قرر الشيخ (المراغى) تدريس كتاب (الإحكام فى أصول الأحكام) للآمدى ، وإلغاء كتاب (جمع الجوامع) وكلاهما فى علم أصول الفقه ، وكان (الإحكام) كتاباً غير مشروح ، وأسلوبه غير مألوف فتعب فيه المدرسون والطلبة ، وكان يدرسه لنا الشيخ (طه المرصفى) فكان يقاسى كثيراً فى تحضير الدرس ، وقد لاح لى أن أعاون الشيخ ـ فى البحث بأسلوب الطالب لا بأسلوب الباحث ، فكان يَعْجب لما وفقنى الله فيه ويقرُّه ، واشتهر شرحى للجزء الخاص بنا بين الطلاب ، وكانوا يتمنون طبعه ، ولكن الله ـ تعالى ـ لم يقدره .

والامتحان فى الشهادة العالية تحريرى ، وشفوى ، ويعطى لكل طالب مقدار معين من ثلاثة علوم هى « الأصول والفقه والبيان » تحضر المعلومات المتعلقة بها ، ويناقش فيها واحداً بعد آخر ، ثم يمتحن شفوياً فى سائر العلوم من غير تعيين .

وقد طالعت لأحد زملائى تعيينه ، فعجبت اللجنة للمعلومات التى جاء بها ، وهنأته على ما وفق إليه وكان خبر الكتاب قد وصل إلى كبار العلماء ، فزارنى الشيخ « محمود شلتوت » الذى كان شيخاً للأزهر بعد ذلك ، وكان معه الشيخ « محمد الشافعى الظواهرى » من قدامى أساتذتى ـ فقال كل منهما : جئنا لنسمعك لأن موعد امتحانك غداً ، وجعلا يناقشاننى فى علم الأصول حتى انتهيت ، فقلت : ما رأيكم ؟ فقال كلاهما : ستكون الأول ، ولم يصل أحد إلى مثل ما وصلت إليه ، فشكرت لهما ، وذهبت فى صباح الغد لأداء الامتحان الشفوى ، فعجبت اللجنة لهذه المعلومات ، وتجاوزوا القانون فبشرونى بأننى سأكون أول العالمية بعد ضم التحريرى إلى الشفوى .

وكانت النتيجة كما قالوا ، فكنت أول العالمية سنة ١٩٢٩ م فى عهد مشيخة الشيخ « المراغى » الأولى ، وحصلت على جائزة من الملك « فؤاد » مقدارها ستون جنيهاً ، وهى تساوى الآن آلاف الجنيهات كما أخذت جائزة من وقف « رياض » باشا ، وأخرى من وقف « زينب » هانم .

* قسم التخصص القديم

أنشئت بعد العالمية أقسام وشعب للتخصص فيها ، والحصول على أرقى الشهادات ، وقد تخصصت فى شعبة « التفسير والحديث وعلم النفس والتربية » وكلتا الشهادتين ـ العالمية والتخصص ـ بتوقيع الملك « أحمد فؤاد » ، والحاصل على شهادة التخصص يحصل على لقب « العلامة » أى صاحب العلم الكثير .

* بعثة الصين

كان الأزهر يريد إرسال بعثة إلى الصين سنة ١٩٣٢ م فألِّفتْ لجنة لاختيار الذين تخرجوا من فرقتنا ، وممن تخرجوا قبلها ،

← من أعلام الأزهر

وبعد ظهور النتيجة كنت الأول عليهم جميعاً ، فاستدعيت لمقابلة فضيلة شيخ الأزهر ، وكان فى مكتبه عالم من الصين اسمه « نعمة الله ماهنداو » فعرف كلينا بالآخر ، وقال العالم الصينى : « إنه سيكون صديق البعثة فى بلاده » . وذكر أنه ابن لصاحب مجلة إسلامية فى مدينة « بكين » تدعى « شروق الإسلام » - غير أن والدى عارض فى سفرى لتقدمه فى السن ، فاعتذرت وسافر من بعدى .

وكانت لجنة الاختبار من أعلى الشخصيات فى الأزهر ، فقد كان رئيسها شيخ الأزهر وقتئذ وهو الشيخ « محمد الأحمدى الظواهرى » ، وأعضاؤها وكيل الأزهر ، والشيخ « عبد المجيد سليم » مفتى الديار المصرية ، و« خالد باشا حسنين » المشرف على العلوم الحديثة فى الأزهر .

* التدرج الوظيفى

كنت الأول فى مسابقة بعثة الصين سنة ١٩٣٢ ، ثم مدرساً بمعهد القاهرة الأزهرى ، فمدرساً أول به ، فعميداً لمعهد « دمياط » الأزهرى إلى سبتمبر « ١٩٦٦ م » ، فأستاذا للتفسير بالدراسات العليا بكلية أصول الدين ، فعضواً باللجنة العلمية الدائمة لترقية هيئة التدريس بجامعة الأزهر ، فعضواً بمجمع البحوث الإسلامية .

* مجمع البحوث الإسلامية

أثناء عضويتى بالمجمع شاركت فى اللجان الرئيسية فى بحوث علوم القرآن ، وعلوم السنة بالمجمع ، وكنت عضواً فى لجنة التفسير الوسيط ، فرئيساً لها منذ سنة ١٩٦٨ م حتى الآن سنة ١٩٨٨ م .

ومما حدث لى أنه منذ ثلاث سنوات تحدث إلىَّ بالتليفون أستاذ أمريكى فى العلوم السياسية بجامعة شيكاغو ، وزميل فى الرابطة المصرية الأمريكية بمصر - تحدث إلىَّ بأنه يريد لقائى لتوجيه أسئلة عن الدين الإسلامى ، وقال لى : « سمعت ثناء عليك ممن سألتهم عن الشخصية الدينية التى يمكن الحصول على معلومات دقيقة منها عن الغرض الذى أريده ، فقيل لى : إنه الشيخ / مصطفى الطير ، وأعطونى رقم التليفون ، ويسعدنى أن تحدد موعداً ومكاناً للقاء ، وحددت له مجمع البحوث الإسلامية ، بمدينة نصر على أن يكون اللقاء فى الساعة العاشرة صباحاً من يوم الأربعاء التالى لهذه المحادثة . ومن عجب أننى حضرت فى نفس الموعد فوجدته ينتظرنى فى الصالة ، وأدرك كلانا أنه هو الشخص المقصود لكل منا .

وذهبنا إلى حجرة التفسير الوسيط ، حيث توجد اللجنة فى انتظار حضورى لعقد جلستها الأسبوعية ، وقد تحدث « المستر / ليونارد بانيدر » باللغة العربية الركيكة ، وأبدى لى رغبته فى أن يحصل على معلومات عن الدين الإسلامى من المصادر الصادقة غير المغرضة ، ويسعدنى أنهم دلونى عليك وحثونى على لقائك ، وكل ذلك بمسمع من

أعضاء لجنة التفسير ، وهى مؤلفة من أصحاب الفضيلة الشيخ « محمد مرسى عامر » والشيخ « عبد المهيمن الفقى » ، والشيخ « سيد شريف » ، والشيخ « إبراهيم السويركى » ، وفضيلة الشيخ « مصطفى الطير » رئيس اللجنة .

وقد توجّه بأول سؤال ـ ضمن سبعة أسئلة(٢) ، عن الإسلام وهل هو دين ودولة أم هو دين فقط فبدأت أجيبه عن هذا السؤال ، وكان يكتب ما أقوله ، فطلبت منه الورقة التى يكتب فيها ، فوجدت كلاماً غير مستقيم لضعف الرجل فى العبارة من الناحية العربية ، وقلت فى نفسى : « لعله يأخذ الحديث فيحرفه لعدم فهم ما أقول لضعفه فى اللغة العربيــة ، فقلت له : « مستـر / ليونارد .. الأسئلة حاضرة عندك كلها . فقال : نعم ، فقلت : أملها على هذا الأستاذ ، وأشرت إلى الشيخ « إبراهيم السويركى » فأملى عليه سبعة أسئلة ، وقلت له : « متى تريد الجواب عليها ؟ فقال : إنى مسافر إلى أمريكا بعد أربعة أيام ، وسأعود بعد أسبوعين ، فقلت : إذن ستجد الإجابة على أسئلتك كلها مكتوبة ومستوفاة .

وهذه الأسئلة والاجابة عليها فى كتابنا « عطاء الرحمن من شريعة القرآن » ابتداء من صفحة « ١٩٤ » وقد استوعب الرد تسعاً وثلاثين صفحة من الكتاب .

وقد عالجت فى هذا الكتاب أمور الشباب ، وحالة الضياع والحيرة عند بعضهم ، فعالجتُ هذه الحالة ، معالجة علمية دقيقة سهلة ، وطبعت الكتاب فى المجمع ليكون الكتاب قليل التكاليف ، ويباع بسعر التكلفة .

والواقع أن مسألة الشباب وقراءتهم للكتب الأجنبية ، وانتشار المادية ، وغيرها مما أثر فى مجرى حياتهم فشعرت بأبـوتى لهؤلاء الشباب ، وأن على الأب أن يعالج شئون أبنائه برفق وهو الذى كان ، ولذلك تجد الكتاب محتوياً على موضوعات مثيرة ، وستعرفها من قراءة فهرس الكتاب .

ومن قبل هذا الكتاب ألفت كتاب « نافذة على الإيمان » لنفس هذا الغرض ، واتبعت أسلوباً جديداً فى التدليل على وجود الله ـ تبارك وتعالى ـ يجد القارىء بعد قراءته راحة وطمأنينة فى صدره .

وموضوعاته ، موضوعات هامة ، فى علاج أخلاق الشباب ، ودلالتهم على خالق السموات والأرض ، وغير ذلك من موضوعات ستثير فى نفسك منادياً يناديك « ادع الله أن يثيب هذا المؤلف على ما قصده من تأليف هذين الكتابين وسواهما » .

* الأوسمة والنياشين الحاصل عليها

ومن مظاهر التقدير التى حُظِيتُ بها طوال فترة حياتى العلمية ، أننى حصلت على وسام

(٢) راجع كتاب « عطاء الرحمن من شريعة القرآن » ص ١٩٥ وما بعده للمؤلف ـ ط / مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٥ م .

من أعلام الأزهر

العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى العيد الألفى للأزهر الشريف .

وقبل ذلك كنت الأول فى شهادة العالمية سنة ١٩٢٩ م وحصلت على جائزة المملكة المصرية من الملك « فؤاد » ، وعلى جائزة أخرى من وقف « رياض » باشا ، وعلى جائزة ثالثة من وقف « زينب » هانم ، كما تقدم بيانه .

* الجهود الوطنية البارزة التى قام بها

فى فترة الشباب ، وبعد تخرجى مباشرة اذكر اننى - بحمد الله - اغلقت مدرسة تبشيرية بمدينة « المنزلة - دقهلية » ، وكانت تديرها « مس / اسطنسن » وقد أوشكت أن تُنَصِّرَ فتاة اسمها « وفيقة الشرقاوى » فأنقذتها ، وفتحت مدرسة استوعبت جميع تلميذات المدرسة البروتستانتية وكل ذلك تم بسلام وحكمة ، والحمد لله رب العالمين سنة ١٩٣٢ م .

إنتاجه ، ونشاطه العلمى

من أهم المؤلفات والبحوث العلمية التى نشرت لى :

١ - عقد الجمان فى تبيان غريب القرآن .

٢ - توضيح النسفى فى التفسير .

٣ - تيسير النهاية فى فقه الشافعية .

٤ - الإسلام يحارب الجوع .

٥ - هادى الأرواح .

٦ - غذاء الأرواح .

٧ - الهجرة المحمدية .

٨ - التفسير المعاصر من عهد الإمام « محمد عبده » إلى اليوم . « انتفع به كثير من طلاب الدراسات العليا من مصر والبلاد العربية ، فى تحضير رسائلهم نحو هذا الموضوع » .

٩ - نافذة على الإيمان « أُلِّفَ لهداية الشباب الحائر » .

١٠ - عطاء الرحمن من شريعة القرآن « أُلِّفَ لنفس الغرض السابق » .

١١ - البابية ، والبهائية ، والقاديانية ، والمهدية فى نظر الإسلام .

١٢ - كشف الغطاء عن الربعين الأولين من سورة النساء .

١٣ - اقباس من نور الحق « جزءان » .

١٤ - من أمجاد الرسالة المحمدية .

١٥ - أصدق الأنباء فيما تشابه من أخبار الأنبياء .

إلى غير ذلك من كتب أخرى - مخطوطه - فضلاً عن الأنشطة العلمية التى أقوم بها منها :

١٦ - تحرير مقال « دراسات قرآنية » شهرياً بمجلة الأزهر .

١٧ - بحوث أكاديمية إسلامية بمجلة الأزهر ، وفى غيرها من المجلات والصحف العربية .

١٨ - رياسة لجان التفسير ، والحديث ، ومتشابه السنة فى مجمع البحوث الإسلامية .

١٩ - مقرر لجنتى التفسير والحديث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية « سابقاً » .

* أمنية الشيخ

لقد كانت امنيتى أن أكتب (معانى للقرآن الكريم) صالحة للترجمة إلى اللغات الأجنبية ولكن الصحة واهنة ، والله يختار لذلك من يراه أهلاً لكتابته بعدى .

وبعد ..

هذا هو العالم العلامة الشيخ الجليل / مصطفى الطير - رحمه الله - وتلك نبذة مختصرة عن حياته ، ومشواره العلمى ، فقد كان - ذخراً للإسلام والمسلمين ، ندعو الله أن يتغمده برحمته .

اجرى الحوار
ناصر وهدان

ملحق اللقاء

مراجع البحث

١ - ثلاثة لقاءات تمت بمنزل الشيخ أولها بتاريخ الأربعاء « ١٩٨٨/٨/١٧ م » . وآخرها بتاريخ الخميس « ١٩٨٨/٩/١ م » . ولقاء رابع بتاريخ الاثنين « ١٩٨٨/٩/١٩ م » .

٢ - مقال مكون من ثلاث صفحات كتبه الشيخ بخط يده بعنوان « طرف من حياتى » .

٣ - استمارتان كتبهما الشيخ :

الأولى بتاريخ : ١٩٨٠/٩/١٦ م بملفات مدير الشئون الإدارية بالمجمع .

والثانية بتاريخ : ١٩٨٧/٤/٢٥ م بملفات الأمانة الفنية بالمجمع .

٤ - سجل أعضاء المجمع :

فصل بعنوان / نبذة عن أعضاء المجمع الحاليين - دورة « ٤ » ص ٢٦ .

القصاص

أساس صالح للعقاب

من السنن البدهية فى الحياة أن يكافأ فاعل الخير على فعله وأن يجازى مرتكب الشر عما اقترفت يداه . وجاء الإسلام وأقر هذه السنة وجعل بعض العقوبات الناجمة عن جرائم نفسية أو باطنية من اختصاص المولى عز وجل لأنه وحده الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور .

أما الجرائم الظاهرة ، والتى يمكن إثباتها ، فقد وضعت لها عقوبات دنيوية محددة يوقعها الحاكم ، أو من ينوب عنه فى الإطار الذى يحدده الإسلام وحسب حجم الجريمة وهو مايعرف بالقصاص . قال الكاتب ـ رحمه الله :

نبذة تاريخية :

الجريمة قديمة قدم الإنسان ، وباقية مابقى المجتمع الإنسانى ، والإجرام ظاهرة اجتماعية يستحيل محوها والقضاء عليها مادام الإنسان لا يستطيع أن يعيش منفرداً ، إذ أن الاختلاط بين أشخاص تتعارض مصالحهم ، وتتباين طباعهم ، وتختلف طرق تربيتهم ، وتتغاير ظروفهم لابد أن يؤدى إلى الاحتكاك ، وكثيراً مايؤدى الاحتكاك إلى الإجرام . وإذا كانت الشرائع الدينية والقوانين الوضعية تنهى عن الجريمة وتعاقب عليها ، فليس الغرض من ذلك القضاء النهائى على الإجرام ، بل إنقاصه إلى أقل قدر ممكن .

ولعل أول جريمة ارتكبت على سطح الأرض ـ فيما نعلم ـ هى جريمة القتل حين قتل قابيل أخاه هابيل ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ

للأستاذ الدكتور
أحمد محمد إبراهيم
إعداد وتقديم :
عبد الفتاح حسين الزيات

الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ . فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ .

وتعتبر جريمة القتل من أخطر الجرائم على المجتمع لأنها تفقد الإنسان حياته ، ولذا فعقوبتها فى كل القوانين من أقسى العقوبات ، وغالبا يعدم القاتل .

وليس اعتبار القتل خطراً وليد التقدم الحديث ، ولكنه اعتبار عرفه المجتمع منذ وجد . ففى الزمن القديم كانت كل قبيلة تحيا مستقلة عن غيرها ، ولها نظامها وقانونها الذى هو كلمة الرئيس الأعلى الواجبة التنفيذ هذا فيما يتعلق بالقبيلة فى داخلها ، أما علاقة القبيلة بغيرها من القبائل فلا حكم إلا للقوة ؛ فالحق للقوى ولو كان معتديا . وكان الاعتداء على أحد أفراد القبيلة يعتبر اعتداء على القبيلة بأجمعها ، يتضامن الجميع فى الانتقام من الجانى وقبيلته التى ترى هى أن من واجبها حماية الجانى والدفاع عنه ، وكثيراً ماقامت الحروب الطويلة بين القبائل المختلفة لاتفه الاعتداءات . وكان من المعتقد أنه إذا لم ينتقم من الجانى وقبيلته فقد حكم على القتيل بالهلاك الأبدى ، ولن يذوق شبحه الحائر طعم الراحة ؛ وبذلك كان للانتقام للدم صفة تكفيرية ؛ فهو بالنسبة لأولياء القتيل واجب دينى ومقدس لا يمكن التخلص منه دون أن يتعرضوا لبغض الميت واستنكار الأحياء[1] .

والقصاص شريعة موسى عليه السلام ، وذلك واضح من قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ . والنص على القصاص موجود بالتوراة المتداولة الآن ؛ فقد جاء بسفر التثنية : نفس بنفس ، عين بعين ، سن بسن ، يد بيد ، رجل برجل[2] .

وعلى العكس مما تقدم نص إنجيل متى ؛ فقد جاء فيه :

سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فاقول لكم لا تقاوموا الشر بل من

(١) القانون الجنائى لجرسون ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) الإصحاح ١٩ آية ٢١ وانظر أيضا آية ٤ ـ ١٤ وسفر الخروج الإصحاح ٢١ آية ١٢ ـ ٢٧ وسفر العدد الإصحاح ٣٥ آية ١٦ ـ ٣١ .

من روائع الماضى

لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ، ومن سخرك ميلا فاذهب معه اثنين(٣) .

ثم جاء الإسلام فأوجب القصاص وأجاز لولى الدم أن يعدل عنه إلى الدية : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٤) .

ولما كانت الأحكام الجنائية للشريعة الإسلامية هى الهدف الأساسى لمهاجمى التشريع الإسلامى ، والمعقل الذى يتحصن خلفه المنادون بترك العمل به ، فقد رأينا أن نبحث اتفاق القصاص مع وظيفة العقوبة فى العصر الحديث ، حتى إذا أثبتنا أن القصاص أصلح أساس للعقاب انهارت دعاوى مهاجمى الشريعة وطالبى عدم العمل بها .

• وقبل أن نشرع فى إثبات مانحن بسبيله نتكلم أولاً عن عقوبة الإعدام وعن العقوبات البدنية .

١ ـ عقوبة الإعدام

كانت عقوبة الإعدام مقررة فى القديم لكثير من الجرائم وخصوصاً تلك التى تمس الحكم والحاكمين ، وبتطور الزمن نقصت الحالات التى يحكم فيها بالإعدام إلى الحد المعقول ، ولم يكتف البعض بهذا الإنقاص بل طالب بإلغاء عقوبة الإعدام . وأول من رفع الصوت بالمطالبة بالإلغاء ، العالم الإيطالى بكاريا فى أواخر القرن الثامن عشر ، وقد سمح بوجود عقوبة الإعدام فى أوقات الاضطرابات السياسية . ووافق چان چاك روسو فى عقده الاجتماعى على بقاء عقوبة الإعدام على ألا تطبق إلا على الذين يسبب وجودهم فى المجتمع خطراً . وانقسم أنصار المدرسة الوضعية على أنفسهم ، فبينما نرى لمبروزو وجار وفالو يوافقان على بقائها ، نرى فرى يريد أن يستبدل بها الحبس المؤبد(٥) .

ويستند أنصار إلغاء عقوبة الإعدام إلى عدة حجج لا يجد أنصار إبقائها صعوبة فى دحضها . وفيما يلى هذه الحجج والرد عليها :

١ ـ عقوبة الإعدام غير مشروعة لأن حياة الفرد ملك له وهى شيء مقدس ، فليس لأحد فى الوجود أن يسلبه هذه الحياة ، ولو كان المجتمع نفسه . ثم كيف يأمر القانون بالإعدام فى الوقت الذى يعاقب فيه على القتل ؟

وأما القول بأن العقوبة ليست مشروعة فيرد عليه بأن لكل عقوبة شرطين جوهريين إذا توافرا أصبحت العقوبة مشروعة ، وهما :

(٣) الإصحاح الخامس آية ٣٨ ـ ٤١ .
(٤) سورة البقرة آية ١٧٨ ـ ١٧٩ .
(٥) فارير ص ١٧٠ . لوران ص ٩٢ .

(أ) أن تكون عادلة .

(ب) أن تكون ضرورية .

ويرد على هذه الحجة بكل سهولة ، فأولاً لا قيمة لقولهم كيف يأمر القانون بالإعدام مع أنه يعاقب على القتل ؛ لأن ما يحرم على الأفراد ليس من الضرورى أن يحرم على المجتمع . والدليل على أن للمجتمع حقوقا لا نقر بها للفرد ، أن أموال الأشخاص وحرياتهم محمية لا يجوز أن يعتدى عليها ، إلا أن للمجتمع الحق فى المصادرة والحكم بالغرامة وله أن يحبس الشخص ، وبذلك يعتدى على ماله وعلى حريته اعتداء قد يمتد إلى طول الحياة[٦] .

أما أن عقوبة الإعدام عادلة فلا نزاع فيه متى بلغت الجريمة الدرجة القصوى من الخطورة .

وأما أنها ضرورية فلا نزاع فيه كذلك ؛ فهى ضرورية لاستئصال المجرم وقاية للمجتمع من شره متى ثبتت خطورة نفسيته ، وهى ضرورية لزجر الغير وردعه ردعا كافيا حتى يمتنع عن ارتكاب الجريمة .

ومتى كانت عقوبة الإعدام عادلة وضرورية فقد حازت كل صفات المشروعية[٧] .

٢ ـ عقوبة الإعدام فظيعة وقاسية ووحشية وليست إلا إحياء لعهد البربرة القديم ، وهى تتنافى مع ماوصل إليه المجتمع من تقدم ورقى ومدنية .

ولكن ليست هذه الحجة إلا حجة جوفاء لا تسمن ولا تغنى من جوع ؛ حقا إن الإعدام أقسى عقوبة عرفها الإنسان ، إذ يترتب عليها فقد الحياة . ولكن ماهى هذه الحياة التى يطلب منا الا نقسو عليها هذه القسوة وأن نكون عليها محافظين ؟ إنها حياة شخص انتهك حرمة المجتمع وخرق قوانينه ؛ حياة شخص ارتكب أفظع الجرائم وأقساها وأخطرها حتى استحق أن يحكم عليه بالإعدام .

وأما القول بأن الإعدام بربرة تتنافى وحالة المجتمع ، فليس إلا حجة الضعيف العاجز . هل كل شىء لا يروق فى نظرنا نصفه بأنه بربرى حتى تستبشعه عقول الدهماء ؟ إن هذا مالا يصح أن يلجأ إليه عالم معتد بعلمه .

ثم ماهى المدنية وماهو التقدم والرقى ، تلك الكلمات التى يتشدقون بها ظانين أنهم يطعنون بها خصومهم فى الصميم ؟ هل المدنية الا ينال المجرم جزاء ماقدمت يداه ؟

هل التقدم أن نترك كل قديم مهما كان حسنا مفيداً ؟ هل الرقى أن نسمو بالمجرمين على الأفراد الوادعين ، فلا نحوط حياة الأخيرين بسياج قوى من حماية القانون ، بأن نفهم المعتدين بأنهم سينالون أقسى عقاب إن

---

(٦) مذكرات القللى ص ٢٨٥ . لوران ص ١٨٧ ، بدوى وشيرون ص ١٨٠ .

(٧) دروس على بدوى فى علم العقاب .

من روائع الماضي

اعتدوا على هؤلاء المسالمين ؟ الواقع أنها سفسطة ومغالطة تستند إلى خداع الكلمات .

وما أجمل تلك الجملة التى قالها الأستاذ الفونس كار « نحن نود إلغاء عقوبة الإعدام ولكن ماذا قدم السادة السفاكون » ؟ ونحور نحن هذه الجملة فنقول « نحن مرغمون على إلغاء الإعدام إذا شاء المجرمون ذلك » .

٣ ـ وإن أقوى حجة لأنصار الإلغاء هى قولهم إن عقوبة الإعدام متى حكم بها ونفذت أصبح من المحال أن نصحح آثارها إذا ثبت أن الحكم بها قد بنى على أدلة غير صحيحة .

ورغم مالهذه الحجة من الوجاهة والقيمة فإنها لا تكفى لتبرير إلغاء عقوبة الإعدام ؛ بل الواجب فى هذه الحالة هو أن نأخذ أشد الحيطة قبل الحكم بها ، فعلى القاضى أن يتثبت من قوة الأدلة التى قدمت له ، وأن يكون دقيقا فى بحثه مترويا فى عمله ليكون حكمه أقرب ما يكون إلى العدالة ، وفضلا عن ذلك يجب أن يعد قاتلا من يتعمد تقديم دليل غير صحيح يحكم بمقتضاه بالإعدام ، ويجب أن يمتد العقاب أيضا فيشمل من يقدم بإهمال هذا الدليل .

واستحالة إلغاء أثر عقوبة الإعدام تنطبق أيضا على العقوبات المقيدة للحرية ، فما دام الحكم قد نفذ كله أو جزء كبير منه فلا قيمة للإلغاء ، لأن الظلم قد وقع مهما اختلف مقداره[٨] .

وليست هذه الحجة فى ذاتها إلا حجة نظرية ؛ فالخطأ القضائى فى الحكم بالعقوبة ـ إعداما كانت أم حبسا ـ نادر . وتزداد هذه الندرة فى الإعدام إلى درجة لا مثيل لها ، بحيث يمكننا أن نقول إنه قد تمر أعوام دون أن يحدث فى العالم مرة .

٤ ـ الإعدام عقوبة قاسية لا مبرر لها ، لأن فى الإمكان أن نستعيض عنها بعقوبات أخرى كالحبس المؤبد .. ولكن إذا كانت عقوبة الإعدام قاسية فإن العقوبة التي تستبدل بها تعادلها فى القسوة بل وقد تزيد عليها ؛ فقد فضل بعض السجناء الانتحار على هذا العذاب الذى لا آخر له .

٥ ـ وثم حجة أخرى يستمدونها من الإحصاءات الجنائية وهى قولهم : إنه لوحظ قلة الإجرام فى البلاد التى ألغت عقوبة الإعدام .

وما معنى هذا ؟ هل معناه أن عقوبة الإعدام تشجع على ارتكاب الجرائم ؟ لقد ألغت بعض الدول عقوبة الإعدام وعمل بهذا الإلغاء زمنا ، رجعت بعده هذه الدول عن رأيها وأعادت عقوبة الإعدام إلى الوجود مرة ثانية . فمثلاً الغيت فى إيطاليا عقوبة الإعدام سنة ١٨٨٩ ولكنها أعيدت سنة ١٩٢٦ بالنسبة لبعض الجرائم السياسية . وفى سنة

البقية ص ٤٦٨

(٨) مذكرات القلق ص ٢٨٦ .

العلوم الكونية

أشعة الليزر ومجالات استخدامها

الجغرافيا عند العرب

أشعة الليزر
ومجالات استخدامها

٢

خصائص أشعة الليزر :

ربما يوجد الآن من يطرح سؤالاً هاماً هو : ما الفرق إذن بين ضوء الليزر والضوء الطبيعي ؟ ونجيب :

إن ضوء الليزر يمتاز عن الضوء المنبعث من المصادر العادية باربع خصائص هامة هي :

(ا) الشدة العالية : وذلك لأن موجات الأشعة المنبعثة من المادة الليزرية تكون كلها متطاورة مع بعضها البعض ، وتكون طاقتها الكلية عالية التركيز . أما الذرات في جميع المصادر الضوئية العادية فإنها غالباً ما تعمل مستقلة عن بعضها البعض ، اى أن ابتعاث (فوتون) من إحدى هذه الذرات لا يوجد بينه وبين ابتعاث (فوتون) من ذرة أخرى أى تنسيق أو ترابط . نتيجة لهذا يتكون شعاع الضوء العادى من خليط معقد من الأمواج الكهرومغناطيسية الصادرة عن ذرات مختلفة .

وليست كل هذه الموجات بطبيعة الحال متوافقة في الطور مع بعضها البعض ، ولذا فإنها تجعل شعاع الضوء في النهاية اقل كثيراً في الشدة عما إذا كانت جميع الذرات قد اجبرت على أن تبعث (فوتوناتها) معا وهى متطاورة كما في حالة الليزر .

(ب) صِغَر التفرّق : فحزمة الليزر تكون بعد خروجها من المصدر أقل تفرقاً أثناء انتشارها من حزمة الضوء العادى ، ولذا نجد أن طاقتها لا تتبدد بسرعة .

(جـ) احادية الطول الموجي : وهذا يعنى أن أشعة الليزر تكون ذات لون محدد الطول الموجي ، بعكس الضوء العادى الذى يتألف من خليط من الأمواج المكونة لِطيْف كهرومغناطيسى عريض نسبياً .

(د) التلازم في الزمان والمكان : وهى خاصية هامة لا يتمتع بها الضوء العادى الذى ينبعث من مصادره المختلفة بطريقة عشوائية .

آفاق استخدامات الليزر :

كل تطبيقات الليزر في مجالات البحث العلمى والطب والهندسة والفلك وملاحة

للدكتور أحمد فؤاد باشا

أستاذ الفيزياء بكلية علوم القاهرة

الفضاء ، وغيرها تعتمد على الاستفادة من الخصائص المميزة لأشعة الليزر . فهناك مثلاً تطبيقات عديدة تعتمد على الشدة العالية لهذه الأشعة وزيادة تركيزها للحصول على طاقة عالية جداً تؤدى إلى ارتفاع موضعى عال فى درجة الحرارة يصل إلى عدة آلاف درجة خلال جزء من الثانية . وبذلك يمكن حفر ثقوب صغيرة جداً فى أصلب المواد كالماس ، وفى المعادن والصخور والأسنان وشفرات الحلاقة وغيرها . كذلك تجد هذه الخاصية تطبيقات هامة فى عمليات قطع المعادن أو توصيلها ، وفى عمليات اللحام الدقيق Mic-rowelding كما فى الدوائر المتكاملة Inte-grated Circuits بدون حدوث أكسدة بالقرب من منطقة اللحام . وفى المجال الطبى يستفاد من أشعة الليزر فى عمليات لحام الشبكية فى العين فى زمن لا يتعدى جزءا من ألف من الثانية بدون جراحة أو إزعاج للمريض . وهناك استخدامات أخرى لأشعة الليزر فى الجراحة . وفى علاج بعض الأورام وإحداث تدمير موضعى للأنسجة غير المرغوب فيها فى جسم الإنسان .

أما خاصية التلازم Coherence فى أشعة الليزر ، فقد أمكن الاستفادة منها على نطاق واسع فى مجال الاتصالات Communica-tions على غرار ما يتم بالنسبة لموجات الراديو . فالأشعة الصادرة عن ليزر غازى مثلاً تماثل الموجة الحاملة Carrier Wave فى (الراديو) ، إلا أن الأولى يكون ترددها أعلى مائة مليون مرة . وإذا أمكن تعديل ضوء الليزر فإنه يمكن تحميله بالمعلومات . ولما كان عدد القنوات التى يمكن بثّها على الموجة الحاملة يزداد بازدياد ترددها ، فإننا نستطيع أن نتصور مقدرة شعاع واحد من الليزر على نقل كل المعلومات الموجودة حالياً فى قنوات (التليفزيون) و (الراديو) و (التليفون) و (التلكس) وغيرها . لكن امتصاص الضباب والمطر والسحاب والدخان لأشعة الليزر يعوق انتشارها لمسافات بعيدة عبر الغلاف الجوى . وتهدف الدراسات التى تجرى فى هذا المجال إلى إيجاد حلول عملية سهلة لهذه المشكلة . وقد أثبتت التجارب فى الوقت الحاضر نجاح البث (التليفزيونى) بالليزر بشكل رائع .

وبالنسبة لخاصية صغر التفريق أو الانتشار الزاوى Angular Spread لأشعة الليزر فيستفاد منها فى أغراض الإشارة Signalling والاتصالات الفضائية بين محطة فضاء والأرض أو بين صاروخ ومحطة فضاء . وإن اكتشاف جيروسكوب الليزر Laser gyroscope قد أسهم فى تقدم الملاحة فى الفضاء ، كما أن جهاز (واجد المدى Range Finder) الذى يعمل لقياس المسافة بنفس فكرة الرادار يستخدم فى أغراض حربية ومدنية وعلمية عديدة . فأصبح مهندسو العمارة وكثير من فنون الهندسة

←

أشعــة الليــزر

الأخرى يستخدمون أشعة الليزر فى قياس المسافات والارتفاعات بدقة بالغة تصل إلى جزء من المليلمتر. أما العسكريون فقد استخدموه فى العديد من التطبيقات ومنها تصويب قذائف ومدافع الطائرات من الجو بإحكام بالغ. وقد عكف الباحثون مؤخراً على تطوير وتحديث أنواع جديدة من (واجدات المدى) تعمل فى مختلف الأجواء وذلك ضمن ما يطلق عليه مشروع حرب النجوم أو حرب الكواكب. وتهدف هذه التجارب إلى تصنيع ليزرات طويلة المدى يتم توجيهها من مستعمرات فضائية نحو الصواريخ عابرة القارات لتعطلها فى الفضاء أو تدمرها قبل بلوغ أهدافها.

ولا تقف استخدامات الليزر هذه الأيام عند هذا الحد، بل إن محاولة حصرها هنا يبدو أمراً مستحيلاً، ولكن يكفى أن نشير إلى بعض التجارب الهامة التى تجذب انتباه الباحثين فى الوقت الحاضر، ويؤمل أن تسفر فى المستقبل القريب عن نتائج هامة توجب إدخال تعديلات جوهرية على كثير من النظريات والمفاهيم العلمية كما نتصورها اليوم. من بين هذه التجارب نذكر على سبيل المثال:

١ ـ تجربة قياس بُعد القمر عن الأرض:

وتعرف باسم (LURE) Lunar Laser Ranging Experiment وقد بدأ تنفيذها فى ٢٠ يوليو عام ١٩٦٩ مع أولى خطوات الإنسان على سطح القمر فى إحدى رحلات سفينة الفضاء أبوللو ١١، وذلك عندما قام رواد الفضاء على هذه السفينة بوضع جهاز يحوى مائة مرآة صغيرة لكى تعكس نبضات أشعة الليزر الموجهة إليها من محطات أرضية فى أماكن مختلفة فوق قارات الأرض. ودون دخول فى التفاصيل الفنية لهذه التجربة يمكن القول بتبسيط شديد أن حساب بُعد القمر عن الأرض يتم بتوجيه نبضة ليزر مكثفة التركيز من الأرض إلى المرايا العاكسة على سطح القمر، ولأن الليزر من نوع الموجات الكهرومغناطيسية التى تتحرك فى الفضاء بسرعة الضوء المساوية لمقدار ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر فى الثانية، فإنه يمكن حساب بعد القمر عن الأرض بعد قياس الزمن الذى تستغرقه نبضة الليزر ذهاباً وإياباً[١].

وكان غرض الفريق العلمى القائم على هذه التجربة هو تسجيل ودراسة متوسط بعد

(١) لمعرفة المزيد من التفاصيل حول مكونات هذه التجربة واحتياطات إجرائها وخصائص المرايا العاكسة الموجودة على سطح القمر وأجهزة إرسال أشعة الليزر واستقبالها على سطح الأرض وأنواع الساعات المستخدمة لقياس الزمن بدقة تصل إلى جزء من الألف مليون من الثانية يمكن الرجوع إلى المقالة التالية:

J. Faller and F. Wampler, « The Lunar Laser Reflector », pp 38- 50, in Scientific American magazine, March 1970.

القمر عن الأرض بصورة مستمرة من أماكن مختلفة على سطح الأرض على مدى عدة سنوات أو أكثر . ومن هنا فإن الأهمية البالغة لهذه التجربة لا تكمن فقط فى مجرد تحديد هذه المسافة ، ولكن أيضاً فى تحليل ودراسة مدى التغير الذى يحدث فى قياس هذه المسافة مع مرور الشهور والأعوام .. فهذا من شأنه أن يساعد على حل عدد من القضايا العلمية الهامة المتعلقة بحركة كل من الأرض والقمر وبنظرية تزحزح القارات وبنظريات الجاذبية وغيرها .

وبالرغم من أن التحاليل العلمية لنتائج تجربة LURE لا تزال فى بداياتها إلا أنها قد بدأت تؤتى ثمارها باقتراح إدخال تصحيح يقدر بحوالى مائة متر على القيمة المعروفة حالياً لبُعد الأرض عن القمر (حوالى ٣٨٤ ألف كيلو متر) . وأخذ مثل هذا التصحيح فى الاعتبار سوف يتطلب بطبيعة الحال إعادة النظر فى القيم والثوابت الفيزيائية المعروفة حالياً مثل ثابت الاختلاف المركزى المدارى للقمر . وثابت الجذب العام وغيرهما .

ويوالى فريق علماء تجربة LURE جهودهم لتحسين ظروف القياس بصورة مستمرة ، وذلك بوضع عدد أكبر من المرايا العاكسة على سطح القمر واستخدام نبضات أكثر من أشعة ليزر ذات نوعية أفضل ، مما يعمل على زيادة كمية الأشعة المنعكسة ويمكّن من استخدام (تلسكوبات) ذات حجم أقل لملاحظة النبضات . فهذا يزيد كثيراً من دقة القياسات ويقلل من احتمالات الخطأ .

٢ ـ المصايد الليزرية ..

فى عام ١٩٨٦ نجح فريق من العلماء فى إجراء أول تجربة لاصطياد ذرات بمفردها لبضع ثوان داخل حجم صغير يبلغ حوالى ألف ميكرومتر مكعب(*) وذلك باستخدام القوى المتولدة فى النقطة البؤرية Focal Point لحزمة أشعة الليزر . وخلال العامين الماضيين واصل العلماء نجاحاتهم لعمل مصايد ليزرية تمسك بالفيروسات والجراثيم الفردية ، بل حتى بعض الأحياء الدقيقة متعددة الخلايا ، بحيث يمكن التحكم فى تحريكها بسهولة ومتابعة فحصها أثناء مشاهدتها من خلال ميكروسكوب ضوئى ذى مقدرة تكبير وإيضاح عالية . ويفسر الباحثون نظرية عمل هذه المصايد المستخدمة فى الأبحاث البيولوجية بافتراض وجود قوة حاذقة تسمى قوة التدرج Gradient Force تنشأ فى حزمة الليزر عندما تكون غير متجانسة الشدة . فإذا ما ركزت الحزمة بالقدر الكافى فإن الجسيمات المراد اصطيادها تنجذب لتمكث فى البؤرة ، حيث يكون الضوء أكثر شدّة ، ويكفى تحريك الحزمة للتحكم فى تحريك الجسيمات الحبيسة .

من ناحية أخرى ، ينشغل فريق آخر من العلماء فى الوقت الحاضر بنوع آخر من المصايد الكهرومغناطيسية التى تعتمد على تأثير الليزر فى عملية تحول أيونات بعض الغازات من حالة التحرك العشوائى -Ran

←

(*) الميكرومتر يساوى جزءاً من مليون من المتر .

← أشعـــة الليـــزر

dom motion إلى حالة بللورية -Crystal line state تنتظم فيها الأيونات بطريقة هندسية ، بحيث تبدو كما لو كانت مجمدة فى بنية نظامية متماثلة تشبه كثيراً بناء البللورات العادية . وفى هذا النوع من المصايد الكهرومغناطيسية يتم جمع عدد قليل من الذرات المتعادلة بتبخير قطعة من فلز فى غرفة مفرغة من الهواء ، ثم يسمح بمرور حزمة الكترونات عبر الغرفة لتأيين هذه الذرات . ويستعان بعد ذلك بحزمة ليزر موجهة ضد اتجاه حركة الأيونات لتعمل على إيقافها تقريباً فى مركز المصيدة عن طريق تبريدها المباشر إلى درجة حرارة منخفضة جداً تبلغ بضع ميللى درجات فوق الصفر المطلق(••) . ويؤمل فى المستقبل القريب أن تسهم هذه التجربة فى حل كثير من القضايا الهامة المتعلقة بكشف الغموض عن الكيفية التى تتغير بها النظم الفيزيائية المختلفة من حالات نظامية إلى حالات عشوائية .

وأخيراً ، نتوقع أن نشهد دون انقطاع تطبيقات جديدة لأشعة الليزر التى ما تزال فى انتظار جهود الباحثين والعلماء للإفادة الكاملة من كل خصائصها المميزة .

ا . د . احمد فؤاد باشا

تنبيه إلى خطأ من الناسخ لكتاب مناسك الحج للإمام محمد الخطيب الشربيني

ورد فيه فى هدية ذى الحجة ١٤٠٨ ص ٣٧ النص الآتى : فإذا وصل إلى منى يبدأ برمى جمرة العقبة فيرميها بسبع حصيات ، ثم يحلق رأسه أو يقصر ، ثم يذبح إن كان معه هدى ، ثم يسير إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ، ثم يسعى إن لم يمكن سعى بعد طواف القدوم وقد حل له كل شيء حرم عليه بالإحرام إلا النساء .

والصواب : وقد حل له كل شيء حرم عليه بالإحرام حتى النساء . فليصحح .

(••) الصفر المطلق يقل عن الصفر المئوى بمقدار ٢٧٣,١٦ درجة مئوية .

الجغرافيا عند العرب

للأستاذ ماهر الشيمى

كان رجال الكنيسة الرومانية ـ فى العصور الأولى للمسيحية ـ يجهرون بأن دراسة الكون وأوضاع الأرض لن تفيد الإنسان فى تحقيق أمله فى الحياة الآخرة. وأدى ذلك إلى عزوف الإغريق والرومان عن الرغبة فى المعرفة، وإلى اعتبار هذه الأمور ضربا من السحر. واستمر الحال كذلك فى أوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادى.

وكان العرب أول من خرج على هذه المعتقدات. إذ بعثوا النظريات الإغريقية القديمة، وأخذوا من الثقافات القديمة فى مصر والهند وفارس. ومن يدرس الأدب الجغرافى عند العرب فى العصر الوسيط يجد نظريات وأفكارا تقترب من معلوماتنا الجغرافية الحديثة مثل نظرية «الإقليم الرابع أعدل الأقاليم»[1] وهو مايعبر عنه الآن بالمناطق معتدلة الحرارة أو العروض الوسطى.

غير أن العرب القدامى لم يستعملوا لفظ (جغرافيا) للدلالة على العلم الذى يدرس الأرض، وهو لفظ إغريقى، وإنما كانت لديهم اصطلاحاتهم الخاصة التى استحدثوها، مثل علم الأطوال والعروض إشارة إلى ماكان يعرف قديما باسم «الكوزموجرافيا»، وعلم تقويم البلدان، وعلم المسالك والممالك، وعلم عجائب

(*) الأستاذ ماهر الشيمى الوكيل الثقافى لمنطقة القاهرة الأزهرية.

(١) مضمون النظرية أن نصف الكرة الشمالى فقط هو المأهول بالسكان وبكثافات سكانية متفاوتة بحسب درجة الحرارة السائدة. ولذلك قسم إلى سبعة نطاقات عرضية عرفت بالأقاليم السبعة. والإقليم الرابع يتوسط هذه الأقاليم.

الجغرافيا عند العرب

البلدان . وكلها تعتبر الآن علوما جغرافية مستقلة انبثقت وتفرعت عن علم الجغرافيا العام .

وكانت عناية العرب بالجغرافيا مبعثها ظروف البيئة إلى حد كبير . فقد نشأوا فى بيئة تحتم عليهم أن يلموا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا بالمعلومات الجغرافية المختلفة ، إذ لم يكن فى مقدورهم أن يرتحلوا فى الصحراء إلا إذا عرفوا شيئا عن النجوم والكواكب التى تلمع فى سمائهم الصافية ويتخذون منها علامات ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ، وما كان لهم أن يتنقلوا بإبلهم وأغنامهم وهى أثمن ما لديهم إلا إذا عرفوا موارد المياه ومنابت الكلأ ، وعرفوا الوحوش ومواطنها من البادية .

كذلك اشتملت أشعار العرب على الكثير من الحقائق الخاصة بوصف بيئتهم الطبيعية ، وأصبح الشعر العربى القديم مصدرا هاما من مصادر الكتابات الجغرافية الأولى بما حوى من أسماء الأودية والآبار والجبال وغير ذلك من المعالم الجغرافية ، وكان « الأصمعى » ـ رحمه الله ـ وقد عاش فى القرن الثامن الميلادى ، وهو من علماء اللغة ، يعرف جغرافية بلاد العرب معرفة الحاذق الخبير . وظلت هذه الصلة الوثيقة بين الجغرافيا واللغة العربية حتى عصر متأخر ، فنجدها فى معجم ياقوت الحموى[٢] ، وهو من المراجع الجغرافية ، كما نجدها فى تاج العروس[٣] للزبيدى وهو من معاجم اللغة العربية .

ونستطيع أن نرجع ظهور علم الجغرافيا عند العرب وتطوره بعد ذلك إلى عوامل ذاتية وأخرى خارجية :

فأما الأولى : فأهمها الدين الإسلامى الحنيف الذى يحث على السير فى الأرض والاعتبار بالأمم الغابرة . قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ . (١٠٩ ـ يوسف)

ومنها الوضع السياسى ، فاتساع الدولة الإسلامية أدى إلى قيام أخوة روحية واسعة النطاق . كما أدى إلى زيادة أهمية المعلومات عن أطراف العالم الإسلامى ، وأصبح من الضرورى معرفة الطرق التى تربط بين أجزاء هذه الدولة الفسيحة . أضف إلى ذلك تلك الشعوب المختلفة التى ضمتها الدولة الإسلامية . فكان على العرب أن يدرسوا أوضاع وأحوال هذه الشعوب .

ومن هذه العوامل أيضا التجارة ، فقد كانت الطرق التجارية برية وبحرية تربط الدولة الإسلامية ، بل وتجاوزتها إلى أواسط أفريقيا وشرق ووسط أوروبا وجنوب ووسط وشرق آسيا . ومن الطبيعى أن يرحل كثير من المسلمين فى طلب الرزق تطبيقا لتعاليم القرآن الكريم .

﴿ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤] .

---

(٢) معجم البلدان .

(٣) « تاج العروس من جواهر القاموس » .

(٤) سورة الجمعة : آية ١٠ .

ولذلك نبغ فى الجغرافيا كثير من التجار المسلمين مثل سليمان البصرى ، وابن حوقل الموصلى ، والبشارى المقدسى ، وياقوت الحموى .

ويعتبر التنقل والترحال فى حد ذاته عاملا آخر ، إذ أن هناك ميلا غريزيا لدى العرب للبحث والاطلاع ، وقد كان هذا من اكبر عوامل إغناء المعرفة الجغرافية . فنجد أن معظم جغرافيي العرب من الرحالة :

مثل « أبى إسحق الاصطخرى » ، و« الشريف الإدريسى » ، و« أبى الحسن المسعودى » ، و« ابن بطوطة » وغيرهم . ومما شجع على كثرة الترحال شعور العربى أنه فى بلده ، مادام فى ديار إسلامية ، فضلاً عن أن كلمة « عربى » كان لها هيبة فى سائر أقطار العالم ، فكان الرحالة العرب يلقون من كرم الضيافة وحسن المعاملة مايحبب إليهم الرحلات والأسفار .

كذلك كان طلب العلم عاملاً هاماً . فقد تحمل الرحالة العرب فى سبيله المشاق وركبوا الصعاب ، وخاصة أن الإسلام يحث على ذلك ، قال تعالى ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٥) . فأصبح الترحال فى طلب العلم منذ القرن الأول للهجرة أشبه بالضرورة . ففى طلب العلم رحل رجال من الأندلس إلى بخارى ، ومن بغداد إلى قرطبة . وتعددت مراكز الثقافة فى ديار الإسلام . وكان رجال العلم يتنقلون فى طلبه من إقليم إلى آخر يدرسون على أيدى جهابذة العلماء ويلتقون بأعلام الفقهاء المحدثين واللغويين والأطباء والفلاسفة . فقد رحل « الحافظ بن طاهر القدسى » (المتوفى فى عام ٥٠٧هـ) فى طلب العلم إلى العراق والحجاز ومصر وسوريا وأصفهان والأهواز . كما دخل « أبو ريحان البيرونى » الهند قبل أن يتم المسلمون فتحها وأخذ عن البراهمة علومهم وبرع فيها ودونها فى كتابه « عجائب الهند » .

وأما العوامل الخارجية : فتشمل تأثر الثقافة الإسلامية بغيرها من الثقافات كالفارسية واليونانية : وذلك ابتداء من القرن الثانى للهجرة . ففى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور (٧٥٤ ـ ٧٧٥م) بدأ اطلاع العرب على « العلوم الرياضية » و« الكوزموجرافية » . ويروى أن هنديا وصل إلى العراق عام ٧٧٢م وعرض مؤلفا يبحث فى علم الفلك أعجب به المنصور فأمر أن يترجم إلى العربية ، كما أمر بتأليف كتب أخرى على منواله . وقد ساهم الخلفاء العباسيون مساهمة كبيرة فى تشجيع البحوث العلمية ، فأسس هارون الرشيد « بيت الحكمة » لترجمة أمهات الكتب واستخدم المترجمين من كل البلاد دون نظر إلى جنسياتهم أو دينهم وكان معظمهم من الآراميين النصارى الذين يتقنون اليونانية والسريانية والعربية فى آن واحد . وقد ترجمت فى ذلك الوقت كتب كثيرة : منها كتابى « بطليموس » و« مارنيوس الصورى »(٦) وبلغت هذه النهضة أوجها فى

---

(٥) سورة التوبة : آية ١٢٢ .

(٦) نسبة إلى صور وهو جغرافى رومانى ظهر فى القرن الأول الميلادى . ويعتبر مؤسس الجغرافيا الرياضية .

الجغرافيا عند العرب

عهد المأمون (٨١٣ ـ ٨٣٣م) الذى جمع الكتب من مختلف جهات العالم وعمل بالأخص على جمع المؤلفات اليونانية ، وقد كلفه ذلك الكثير من الأموال . وفيما يروى عن أنه كان يدفع للمترجمين وزن كتبهم ذهبا .

وقد ترتب على ذلك كله أمران :

الأول : ذلك التراث الهائل من العلوم والمعرفة الذى خلفه لنا الأجداد .

أما الأمر الثانى : فهو ذلك النشاط الكشفى الذى أعقب هذه الفترة فلم يزد اطلاع العرب على الكتب الجغرافية لليونان والهنود والرومان إلاّ رغبة فى الاستكشاف .. وبذلك كان النشاط التجارى مصحوباً بالاكتشافات الجغرافية ، وأصبحت الكتب الجغرافية العربية من أهم الآثار الأدبية العلمية التى خلفتها العصور الوسطى :

ففى أفريقيا توغل العرب فى الصحراء الكبرى بعد أن فتحوا الشمال الأفريقى كله ، ولم يأت القرن الرابع الهجرى إلا وقد بلغوا بحيرة « تشاد »[٧] . وكانت الطرق تتوغل فى قلب القارة منطلقة من ثلاث مدن شمالية : هى طرابلس ، والقيروان ، ومراكش ، وكانت رحلة القوافل بين الساحل الشمالى للقارة وتشاد تستغرق تسعة شهور . وكانوا يحملون من تلك البلاد التبر ، والجلود ، والعاج ، وريش النعام . ويحملون إليها الملح ، والتمر ، والحرير ، والتوابل . كما انتشر العرب على ساحل إفريقيا الشرقى ، وأسسوا مدينة « مقديشو » ، و« ممباسا » ، وبمبا (فى جزر زنجبار) ، وغيرها .

أما فى آسيا : فقد توسع العرب عن طريق البر والبحر ، ومن أهم طرقهم فى وسط آسيا « طريق خراسان العظيم » الذى يبدأ بمدينة بغداد ومنها يجتاز (جبال زاجروس) ممتداً عبر البوادى والمرتفعات إلى « بخارى » و« سمرقند » . ثم يصل إلى حدود الصين ، ويتفرع منه طريق آخر إلى الجنوب الشرقى يصل إلى الهند عن طريق « كابول » .

ومنذ القرن الثامن الميلادى ، بدأ العرب يتوافدون على الصين واتسعت تجارتهم معها . وتخبرنا الوثائق التاريخية أن العرب كانوا يعدون بعشرات الألوف فى موانىء الصين فى القرن التاسع الميلادى ، وقد دخلوها من مرفأ « كانتون » . ولم يأت القرن العاشر حتى استحوذوا على معظم تجارة تلك البلاد ، وحتى أصبحت السفن الصينية ذاتها يقودها ربابنة من العرب . وتركزت التجارة فى أيدى عائلات كبيرة كونت فيما بينها مايشبه الشركات الآن . ويقول الجغرافى ابن حوقل[٨] : إنه قابل فى البصرة تاجرا اسمه أبو بكر أحمد السيرافى يملك كل السفن التى تنقل البضائع إلى الهند ، والصين ، وشرق أفريقيا ، وتغص مخازنه بالأحجار الثمينة ، والعطور ، والحرير . ويضيف ابن حوقل : أن المسلمين فى الموانىء الصينية كانوا يتمتعون بكامل الحرية فى أعمالهم

---

(٧) عند التقاء حدود النيجر ونيجيريا وتشاد الآن .

(٨) عاش فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى .

وشئون دينهم ودنياهم ، وكان لهم قاض ينظر فى أمورهم ، كما كانت لهم أحياء خاصة يقيمون فيها . وقد أشار ابن بطوطة أيضا إلى ذلك فى رحلته .

كذلك كانت هناك الطرق البحرية التى سلكها العرب للوصول إلى أقطار الشرق الأقصى . فقد قصدوا ساحل « مالابار » فى الهند ، ومنه إلى سيلان ، ثم تابعوا سيرهم عن طريق خليج (البنغال) إلى « جزر أندونيسيا » ، وأسسوا جاليات إسلامية قوية فى « سنغافورة » ، و« بورنيو » ، و« جاوة » ، و« سومطرة » ، فضلاً عن (الصين) .

ونتيجة لازدهار التجارة العربيـة فى الشرق ، ازدهر ميناء عدن بدرجة كبيرة جعلت المقدسى يسميها (دهليز الصين) لأنها كانت مركزاً تلتقى فيه طرق المواصلات البحرية بين الصين ، والهند ، وبلاد العرب ، ومصر ، وشرق أفريقيا .

كذلك توسع التجار المسلمون فى أوروبا . فـدخلوا بـلاد الـروس حتى أصبحت (استراخان) و(كييف) وموانىء البحر الأسود مألوفة لديهم . وكانوا يستبدلون بضائع البلاد الجنوبية التى يجلبونها كالفواكه المجففة ، والأقمشـة ، والعطور ببضائع البلاد الشمالية كالرقيق ، والفراء ، والجلود ، والعسل ، والشمع ، والأخشاب . ووصل بعض التجار المسلمين إلى (براغ)[٩] التى كانت أكبر سوق للرقيق فى أوروبا فى ذلك الوقت .

وكان العرب يقطعون البحر المتوسط بطوله فى ستة وثلاثين يوماً من أقصى الغرب إلى ساحل الشام شرقاً ، وكان على من يريد أمراً فى هذا البحر فى القرن العاشر الميلادى أن يكسب صداقة العرب وودهم كما فعل تجار « نابولى » بإيطاليا .

وكان التجار المسلمون أينما ذهبوا يحملون معهم الدين الإسلامي الحنيف ، واللغة العربية ، ولهذا انتشر الإسلام فى أعماق القارة الأفريقية فضلاً عن سواحلها الشرقية والغربية . كما انتشر أيضاً فى جزء كبير من بلاد الصين ، وفى جزر أندونيسيا ، والهند ، وأجزاء من شرق ووسط أوروبا ، وانتشرت مع الإسلام اللغة العربية واحتلت منزلة كبيرة فى كثير من بلاد أفريقيا وآسيا .

ماهـر الشيمى

(٩) عاصمة تشيكوسلوفاكيا الآن .

طرائف

« نصيحة »

قال عبد الله بن عباس - رضى الله عنه ، قال لى ابى : إنى ارى أمير المؤمنين - يعنى عمر - رضى الله عنه يدنيك ويقربك ، فاحفظ عنى ثلاثا :

إياك أن يجرب عليك كذبة ،

وإياك أن تفشى له سرا ،

وإياك أن تغتاب عنده احداً .

« إنها مشغولة »

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه - يطعم الناس بالمدينة - وهو يطوف عليهم - وبيده عصا ، فمر برجل يأكل بشماله ، فقال : ياعبد الله كل بيمينك . قال : يا عبد الله إنها مشغولة ، فمضى ثم مر به - وهو يأكل بشماله - فقال : يا عبد الله كل بيمينك ، قال : ياعبد الله إنها مشغولة - ثلاث مرات - قال : وما شغلها ؟ قال : أصيبت يوم مؤتة - قال فجلس عمر عنده يبكى ، ويقول له : من يوضئك ؟ من يغسل رأسك وثيابك ؟ من يصنع كذا وكذا ؟ فدعا له بخادم وأمر له براحلة وطعام وما يصلحه وما ينبغى له ، حتى رفع أصحاب محمد - ﷺ أصواتهم يدعون لعمر - رضى الله عنه - مما رأوا من رقته للرجل واهتمامه بأمر المسلمين .

« لا تقم على باب حتى تدعى إليه »

اقام رجل على باب كسرى سنة ، فلم يؤذن له فقال له الحاجب : اكتب كتابا وخَفِّفْهُ اوصله لك . فقال : لا أزيد على اربعة أسطر .

فكتب فى السطر الأول : الأمل والضرورة أقدمانى عليك .

وفى السطر الثانى : ليس مع العدم صبر على الطلب .

وفى السطر الثالث : الرجوع بلا فائدة شماتة الأعداء .

وفى السطر الرابع : إما « نعم » مثمرة ، وإما « لا » موئسة . فوقع كسرى بأربعة آلاف درهم - اى لكل سطر - فانصرف بستة عشر الف درهم .

« بم ضبطت مملكتك ؟ »

قيل لكسرى ذى الأكتاف ، وكان ضابطاً لملكته : بم ضَبطت مملكتك ؟ .

قال بثمانى خصال : لم أهزل فى أمر ولا نهى ، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً ، ووليت

ومواقف

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

للغنى لا للهوى ، وعاقبت للأدب لا للغضب ، وأوطأت قلوب الرعية الهيبة من غير ضغينة ، وملأتها محبة من غير جرأة ، وأعطيتها القوت ، ومنعتها الفضول .

« كيف سوقكم »

دخل مالك بن دينار السوق فجلس إلى قوم يحدثهم :

فقال : كيف سوقكم ؟

قالوا : كاسدة .

قال : غششتم .

قال : وكيف متاعكم ؟

قالوا : ردىء .

قال : كذبتم .

قال :وكيف كثرته ؟

قالوا : قليل !

قال : حلفتم .

أى بغشكم كسدت ، وبكذبكم رَدُئَتْ ، وبحلفكم قلَّت .

« صديقى »

هون عليك فكل الأمر ينقطع
وخل عنك عنان الهم يندفع
فكل هم له من بعده فرج
وكل أمر إذا ما ضاق يتسع
إن البلاء وإن طال الزمان به
فالموت يقطعه أو سوف ينقطع

« العاقل والأحمق »

العاقل إذا احبك بذل جهده فى المودة والنصرة ، وإذا أبغضك رفع عن الظلم(١) قدره ، وإذا أحسنت إليه اعترف وشكر ، وإن أسأت إليه ستر واعتذر .

والأحمق إذا قربته تكبر ، وإذا أبعدته تكدر ، وكلما رفعت من قدره درجة انحط من قدرك عنده درجة .

« حقا »

ظالمان يأخذان غير حقهما : رجل وسع له فى مجلس فتربع وتفتح ، ورجل أهديت إليه نصيحة فجعلها ذنبا .

« دعاء »

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ، ولا إلى الناس فنضيع .

---

(١) أى ترفع عن أذيتك فلا يفعلها .

١٩٣٠ أعيدت بالنسبة لجرائم القتل ذات الظروف المشددة . وهذا الإلغاء ثم الإعادة يدل على أن الحجة المستمدة من الإحصاءات ليست قاطعة لأنها ليست عامة .

وحقيقة الأمر فى ذلك كما قال جبريل تارد « أننا إذا نظرنا إلى البلاد التى الغيت فيها عقوبة الإعدام نجد أن نسبة الإجرام قد قلت قبل إلغاء الإعدام نظراً لعوامل مختلفة ، وترتب على ذلك أن عقوبة الإعدام قد بطل تطبيقها فى العمل أو كاد . لذلك رأى المشرع أن يلغيها بنص صريح . فهبوط الإجرام فى هذه البلاد لم يكن نتيجة لإلغاء عقوبة الإعدام بل هو سابق على ذلك الإلغاء . وربما كان الأقرب إلى الصواب أن يقال : إن إلغاء عقوبة الإعدام فى هذه البلاد نتيجة لنقص الإجرام لا سبب له »[٩] .

٦ ـ عقوبة الإعدام تمنع من إصلاح المجرم مع أن الغاية الأولى للعقاب هى إصلاحه . ويرد على ذلك بأن العقوبة كما تكون إصلاحية تكون أيضا استئصالية ، ولم يقل أحد بأن عقوبة الإعدام تطبق على كل مجرم ، بل إن ذلك يكون مقصوراً على المجرمين الخطرين أو جزاء لارتكاب جريمة خطيرة .

٧ ـ عقوبة الإعدام غير مفيدة فالمجرم حين يقدم على ارتكاب الجريمة لا ينظر إلى الحد الأعلى للعقاب المقرر للجريمة بل يفكر فى كيفية الفرار من يد العدالة . ثم إن المجرم قد يجد فى الإعدام مجالاً للزهو والافتخار .

والواقع أن القول بأن المجرم لايفكر فى العقوبة لا يمكن أن يصح إلا بالنسبة للمجرم بالصدفة ، أما المجرم الذى اتخذ الإجرام حرفة له وصناعة فإنه يفكر أولاً فى العقاب وفى طريقة تنفيذه[١٠] .

والقول بأن المجرم يجد فى الإعدام مجالاً للزهو والافتخار حين يتظاهر بالشجاعة وقت التنفيذ ، قد يكون صحيحاً فى بعض الأحوال ، ولكن هذا الشعور بالزهو لا يحدث إلا بعد ارتكاب الجريمة والحكم بالعقاب . وليس من المتصور أن يرتكب شخص جريمة من الجرائم بدافع الزهو والافتخار بإظهار عدم المبالاة عند تنفيذ عقوبة الإعدام .

---

(٩) مذكرات القلل ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(١٠) فارير ص ٣٩ . لوران ص ١٩٧ .

اللغة والأدب والنقد

إمام النحاة وقضية الاستشهاد

نظرات في اللغة وأصولها

إمام النحاة

وقضية الاستشهاد بالحديث

(٦)

نواصل في هذه الحلقة استقراء ما استشهد به سيبويه من أحاديث نبوية على صورة ما، ثم نعقب على ذلك بتحديد معالم الموقف الذى كان عليه إمام النحاة إزاء قضية الاستشهاد بالحديث النبوى .

الحديث الثالث عشر :

يقول سيبويه فى باب « ما ينتصب لأنه خبر للمعروف المبنى على ما هو قبله من الأسماء المبهمة » .

والأسماء المبهمة : هذا وهذان وهذه .. وهى وهو وأنا ونحن .. وما أشبه هذه الأسماء ، فأما المبنى على الأسماء المبهمة ، فقولك : « هذا عبد الله منطلقا » و « هؤلاء قومك منطلقين » وقد يكون هذا وصواحبه بمنزلة « هو » يعرف به فتقول : « هذا عبد الله فأعرفه » إلا أن « هذا » ليس علامة للمضمر ، ولكنك أردت أن تعرف شيئا بحضرتك ، وقد تقول : « هو عبد الله » وأنا عبد الله فاخرا أو موعدا ، أى اعرفنى بما كنت تعرف ، وبما يبلغك عنى ، ثم يفسر الحال التى كان يعلمه عليها ، أو تبلغه ، فيقول : « أنا عبد الله كريما جوادا » « وهو عبد الله شجاعا بطلا » ويقول : « إنى عبد الله .. مصغرا نفسه لربه » ، ثم يفسر حال العبيد فيقول : « أكلا كما يأكل العبد ، شاربا كما يشرب العبد »(١) .

فى هذا النص استشهد سيبويه بحديث أو جزء من حديث ، وهو قوله : « إنى عبد الله أكلا كما يأكل العبد ، شاربا كما يشرب العبد » .

وقد ورد هذا الحديث فى عدد من كتب السنن ، مع اختلاف فى اللفظ عن رواية سيبويه ففى كتب الحديث جاء لفظ « يأكل » بدلا من « أكلا » فى رواية سيبويه ، والتى هى موضع الشاهد .

(١) الكتاب ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٦ وص ٢٥٨

بقلم أ . د . السيد رزق الطويل

جاء في شرح السنة للبغوي جـ ١١ ص ٢٨٧ عن عائشة قالت : قلت : يارسول الله ، كل – جعلني الله فداءك – متكئا ، فإنه أهون عليك ، فأصغى برأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ، قال : « لا ، بل آكل ، كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » .

وفي مسند الإمام أحمد ، باب الزهد حـ ٥ ص ٦ جاء الحديث مرسلا ، بلفظ « إنما انا عبد ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » .

ويرى بعض الباحثين إخراج هذا النص من بين الأحاديث التي استشهد بها سيبويه ، وذلك لأن الطريقة التي استشهد بها لا توحي بأنه حديث .

وأن الصياغة تختلف عن الروايات التي ورد بها الحديث في كتب السنن .

وموطن الاستشهاد وهو « آكلا » يختلف في لفظه وفي إعرابه عما ورد في كتب السنن[٢] وفي تقديري أن هذه الملاحظات لا تخرج هذا النص من قضية الاستشهاد بالحديث .

وذلك لأن هذا هو منهج سيبويه في كل ما يستشهد به من أحاديث ، ولو اخذنا بملاحظة الباحث لأخرجنا كل الأحاديث التي عثر عليها في الكتاب .

أما اختلاف الصياغة فهو ظاهرة معروفة في رواية الأحاديث حسب ظروفها وأسانيدها المختلفة ، ولا يمكن أن يستشهدسيبويه بهذا النص على صورته تلك إلا إذا تواتر على أذنه سماعه بالصورة التي استشهد بها ، وهذا أمر لابد من تحقيقه لا فيما استشهد به من أحاديث فحسب بل من عبارات نثرية يسمعها أو يرويها عمن يثق به ممن سمعها من الأعراب .

وقد استشهد المبرد – متابعا لسيبويه – بهذا الحديث في الموضوع نفسه ، دون أن يشير إلى أنه حديث – كما فعل سيبويه – قال المبرد : « ولو قلت : انا عبد الله منطلقا ، لم يجز ؛ لأن « المنطلق » لايؤكدني الا ترى أنك لو قلت : « انا عبد الله منطلقا » لكان المعنى فاسدا ؛ لأن هذا الاسم لا يكون لي إلا في حال الانطلاق ، ويفارقني في غيره ، .لكنه يجوز أن تقول : « أنا عبد الله » – مصغرا نفسك لربك – ثم تقول : آكلا كما يأكل العبيد ، وشاربا كما يشرب العبيد »[٣] .

والفرق الذي نلحظه بين المبرد وسيبويه يتمثل في اختلاف واحد في روايتيهما ، وهو لفظ العبد في رواية سيبويه بينما هو العبيد في رواية المبرد ، وهو لا يؤثر في موضع الاستشهاد بينهما بشيء .

←

---

(٢) مجلة المجمع الأردني ص ٥٣ ، ٥٤ – العدد المزدوج ٣ ، ٤ .

(٣) المقتضب للمبرد حـ ٤ – ص ٣١١ .

غير أن رواية سيبويه أقرب لما ورد فى كتب السنة ، وبخاصة رواية الإمام أحمد ، والتصرف الذى فعله سيبويه أنه وضع اسم الفاعل « أكلا » موضع المضارع يأكل والعلاقة بينهما وثيقة ، بل قالوا إن المضارع سمى بذلك لمضارعته اسم الفاعل فى وقوعه صفة وصلة وخبرا وحالا ، ولا يؤخذ هذا على سيبويه ، لأنه - فيما يبدو - لم يضع فى حسابه أنه يستشهد بحديث ، وإلا لساقه كما تساق الأحاديث .

الحديث الرابع عشر :

أورد السهيلى فى أماليه حديثا ذكر أنه رآه فى كتاب سيبويه .

يقول السهيلى : وأما : بَيِّنَتُكَ أو يمينه - بالرفع - فهذا اللفظ بعينه مسطور فى كتاب سيبويه ، وذكر فيه النصب باضمار الفعل ، كأنه قال : « أحضر بينتك » وأجاز باضمار المبتدأ وتقديره « المحكوم به بينتك »[٤] .

وهذا الحديث الذى اثبته السهيلى لم يشر إليه أحد من الكاتبين عن سيبويه ، أو من وضعوا الفهارس لشواهده ، ومع ذلك فلا أستبعد وجوده فى الكتاب ؛ لأن استخراج شواهد الحديث من الكتاب عمل ليس بالهين ، نظرا لمنهج سيبويه فى تناول الأحاديث ، وعرضه لها ، كما يعرض المسموع من كلام العرب وأمثالهم ، وعباراتهم السائرة .

وهذا الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التفسير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

موقف سيبويه من الاستشهاد بالحديث

على ضوء ما عرضناه من الأحاديث التى عثر عليها فى الكتاب ، وتخريجنا لها ، والموازنة بين رواية سيبويه لها ، وروايتها فى كتب الحديث ، والصورة التى كان عليها استشهاد سيبويه بها وموقف النجاة الأوائل الذين أتوا بعده حتى نهاية القرن السادس الهجرى ، نستطيع أن نتبين - على وجه دقيق - موقف سيبويه ، وأن نعرض عناصر هذا الموقف الذى قد يكون فيه تفسير شامل لموقف النحاة جميعا من قضية الاستشهاد النحوى بالحديث الشريف .

ويمكن أن نوجز عناصر الموقف فيما يلى :

١ - لم تكن قضية الاستشهاد بالحديث قضية مطروحة للبحث بين النحاة الأوائل :

هذا أمر لا ينبغى أن يغيب عن تصورنا ؛ لأن الدراسة المعاصرة لقضية الاستشهاد بالحديث وقع كثير منها فى أخطاء منهجية ؛ إذ قامت على تصور أن النحاة الأوائل ابتداء من الخليل بن أحمد حتى أوائل القرن السادس رفضوا الاستشهاد بالحديث ، أو كانوا معارضين لذلك ، ومن هنا أخذوا يدافعون عن الحديث الشريف ، وعن فصاحته .

---

(٤) أمالى السهيلى - ص ١٠٧ ، ص ١٠٨ .

مع أن هذا الخلاف لم يظهر بصورة واضحة إلا فى القرن السابع .

كما ثبت أن النحاة الأوائل جاءت الأحاديث فى كتبهم ، وإن كانوا لم يصرحوا بأنها حديث ، أو يذكروها منسوبة إلى رسول الله ﷺ .

فعل هذا سيبويه فى كل ما ورد فى كتابه من الأحاديث التى أحصيناها ، وذكرنا تخريجها وسار على منهجه جمهرة من النحاة الأوائل ، ولم يخالف عن هذا المنهج فيما رأيت إلا الفراء الذى كان يصرح بأنه حديث ، وكذا الصيمرى من نحاة القرن الرابع ، ومكى بن أبى طالب من نحاة القرن الخامس .

ومعنى هذا أن النحاة الأوائل ، وبخاصة من كانوا فى القرون الثلاثة الأولى كانوا يلتمسون الشواهد على قواعدهم مما يصل إليهم من كلام فصيح شعرا كان أو نثرا ، وسواء أكان النثر حديثا أم غير حديث ، الذى يهمهم الاطمئنان إلى أن قائله فصيح ، فالذى أخذوه من الحديث كان عبارات شائعة فى عصرهم ، تناقلتها ألسنة الفصحاء ، فأخذ بها سيبويه ، وسار على منهجه مَن بعده ، ولم يكن هذا التصرف من النحويين يحمل رفضا للاستشهاد بالحديث ، كما تصور بعض المعاصرين ، وإنما كان عملا منهجيا يهدف إلى تتبع الفصيح .

مع تقرير ملاحظة جديرة بالاعتبار ، وهى أن علوم الحديث فى هذا العهد المتقدم ، لم تكن قد استوت على سوقها بعد من ناحية التدوين الشامل ، ونقد الحديث ، والرجال ، ووضع الضوابط والمقاييس الدقيقة على الصورة التى انتهت إليها الآن ، وإلا لو كانت علوم الحديث بصورتها تلك أمام النحاة الأوائل لعدوها المصدر الثانى للاستشهاد بعد القرآن الكريم ، ومقدمة على الشعر العربى القديم .

٢ ـ الحديث واللحن ، والرواية بالمعنى :

قالوا فى تعليل عدم كثرة استشهاد النحاة الأوائل بالحديث ، وعدم ذكرهم لما يروونه من أحاديث على صورة لا تدل على أنها حديث ، بل يقولون : قالت العرب كذا ، ومن كلامهم كذا ، أو قالوا كذا ، إن وراء هذا ظهور اللحن فى بعض الأحاديث المروية ، وكثرة الرواة من الأعاجم وإجازة بعض المحدثين رواية الحديث بالمعنى .

وبادىء ذى بدء أقول : إن سيبويه نفسه عاش التجربة ، واشتغل أول أمره بالحديث ؛ لأن دراسته هدف أساسى للإنسان المسلم ، والعلم به نافع ، ثم عدل عنه إلى النحو بعد أن استبان له أن دراسة النحو ضرورة ؛ لأنها تصحح كل مسموع من الحديث أو غيره ، فقد جاء سيبويه لحماد بن سلمة ، يستملى منه الحديث ، فاستملى منه قوله صلى الله عليه وسلم « ليس من أصحابى أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء » فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء ، فصاح به حماد : لحنت ياسيبويه ، إنما هذا استثناء ، فقال سيبويه : والله لأطلبن علما لا يلحننى معه أحد ، ثم مضى ولزم الخليل وغيره ..

لاشك أن هذه الحادثة كان لها صدى فى نفس سيبويه ، وأن إمكان وقوع اللحن من دارسى الحديث وكاتبيه ، ولاسيما من غير الفصحاء ، أو من غير العرب الخلص أمر محتمل الوقوع .

إمـــام النحـــاة

يضاف إلى هذا أن جمهرة العلماء تشهد بوقوع اللحن من بعض الرواة لبعض الأحاديث وبرهان ذلك ما يلى :

ذكر الإمام أبو سليمان حمد بن محمد الخطابى البستى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ صورا متعددة للأحاديث التى وقع فيها اللحن سواء فى تصريف الأسماء أم فى أبنية الأفعال أم فى الإعراب .

ففى النوع الأول قال : روى عن النبى ﷺ أنه قال : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

الرواية الصحيحة بتحريك اللام فى الخلف ، وقد رواه بعضهم بسكون اللام فأزال الخبر عن وجهه وأحال معناه ؛ لأن الرسول ﷺ : لم يقصد بقوله هذا ذم عدول حملة العلم ، إنما أراد به مدحهم ، والثناء عليهم ، وإنما الخلف بسكون اللام خلف السوء ، فقال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾(٥) .

وأما الخطأ فى تصريف الفعل ، فساق له الخطابى هذا الحديث : روى « أنه أتى بأسير يَرْعَد ، فقال لهم : « أدفوه » يريد أدفئوه من الدفْء ، ولم يكن من لغته الهمز ، فذهبوا به فقتلوه ، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان يريد به معنى القتل لقال : دَافُوه أو دَافُوه - بالتثقيل - يقال دافيت الأسير ، ودافقته إذا أجهزت عليه .

وأما الإعراب وما يختلف من معانى الأحاديث باختلافه ، فكقوله : « ذكاة الجنين ذكاة أمه » الرواية بضم الذكاتين على مذهب الخبر ، وقد حرفه بعضهم ، فنصب الذكاة على مذهب الأمر لينقلب تأويله فيستحيل به المعنى عن الإباحة إلى الحظر .

ثم يختم الخطابى هذا الباب بقوله : ومن تتبع هذا الباب فى الحديث وجد منه الكثير ، وفيما أردته دليل على ما أردت ، فواجب على من دأب فى طلب الحديث ، ولهج بتتبع طرقه أن يعنى أولا بإصلاح ألفاظه وإحكام متونه لئلا يكون حظه من سعيه عناء لا غناء معه ، وتعبا لانجح فيه »(٦) .

معنى هذا أن اللحن كان شبه ظاهرة ، وأن التصدى للحديث يحتاج لدراسة نحوية سابقة ، ومن هنا تحرج النحاة الأوائل من كثرة الاستشهاد بل إنهم أمعنوا فى التحرج عندما لم يصرحوا بأنه حديث .

ولا يزال الحديث فى البحث موصولا بإذن الله .

دكتور السيد رزق الطويل

---

(٥) انظر غريب الحديث للخطابى حـ ١ مقدمة المؤلف .

(٦) المرجع السابق .

العقاد

بين نبوءة الإمام محمد عبده وتجهم الزعيم مصطفى كامل لنزعته

للأستاذ: السيد حسن قرون

في العام القابل ١٩٨٩، وفي ٢٨ من شهر يونية يحتفل تلاميذ العقاد ومريدوه وقارئوه وعشاق اللغة العربية والمتبتلون في رحاب الشريعة الإسلامية بمرور مائة عام على ميلاد «الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد» ـ هكذا كان يكتب تحت عنوان مقاله في الصحف والمجلات ـ إن شاء الله ـ

وأنا لا أسبق الأيام حين انبه في هذا العام ١٩٨٨، وفي ذكرى ميلاده في الثامن والعشرين من يونية على واجب الأدباء والنقاد والمريدين وتلاميذ العقاد لا بذكرى هذا العام وإنما بما يجب أن يعمل في العام القابل؛ لأن الدول المتحضرة والأمم صاحبة الماضي العظيم لا تهمل العبقرية في بلادها ولا تغمض العيون عن رواد الثقافة فيها، والعقاد يجيء في مقدمة من نُغْنَى بنتاجهم الأدبي والعلمي وموقفهم الوطني على مدى خمسين عاماً، أو تزيد، تعرض فيها للسجن والتشريد والقلق لا خوفاً على نفسه، وإنما الخوف على وطنه حين كان الاستعمار الانجليزي يجثم عليه ويكتم أنفاسه. ولقد عاش العقاد حتى رأى بعينيه المستعمر يحمل عصاه على عاتقه ويرحل، وكثير ممن عاصروه أو جاءوا بعد رحيله يعرفون مواقف العقاد الوطنية والسياسية والأدبية والعلمية، ولكني أتجه بهم ومعهم إلى البذرة الأولى، والنبتة النامية حين ترعرعت لتشير إلى فذ في الذكاء والطموح وأرمية البطولة، ولذا كان همي أن أقدم للقراء نبوءة الإمام محمد عبده، وموقف الزعيم مصطفى كامل من تلك النبوءة حين بدت تباشيرها:

يقول العقاد في كتابه «أنا» ـ صدر

العقاد بين محمد عبده ومصطفى كامل

الكتاب عقب وفاته (١٢ مارس ١٩٦٤) ، وفي يولية من نفس هذا العام . والعنوان « الإنشاء في المدرسة » ، وبعد أن بين وسائل التشجيع للناشئة ، والموضوعات التي كان يُطلب إليهم الكتابة فيها ، وغالباً في ذلك الحين كانت تجيء على هذا النحو في المدرسة الابتدائية ، أيهما أفضل العلم أم المال ؟ الذهب أم الحديد ؟ الصيف أم الشتاء ؟ الرأى أم الشجاعة ، السيف أم القلم ؟ الحرب أم السلم ؟

وكان من عادة التلميذ عباس محمود العقاد أن يختار أضعف الجانبين حتى اختار الجهل مرة في مفاضلة بينه وبين العلم .

والمدرس المحبوب هو الشيخ محمد فخر الدين يعتبر اختيار الأضعف في المفاضلة دليل القدرة ومرانة القلم ، وأنا لا استغرب موقف العقاد من العلم فله قصيدة يقول في آخرها :

لا رحم الرحمن فيمن مضى
من علّم العالم أن يكتبوا

يقول العقاد : وكان المدرس يعرض كراستي على كبار الزُوّار بين ماكان يعرضه من كراسات التلاميذ فلما زارنا الإمام الأستاذ محمد عبده ذات شتاء أراد الكراسة فتصفحها باسما ، وناقشني في بعض مفاضلاتها ، ثم التفت إلى الأستاذ وقال ما أذكره بحروفه .

« ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعدُ .... » .

ونطق بعدُ بضم الدال غير واقف على السكون ، ويعلق العقاد على وقوف الإمام على المتحرك بأن هذا الاتجاه هي مدرسة كان من أساتذتها الزعيم سعد زغلول الذي جعل من خطباء ثورة ١٩١٩ خطباء يحرصون على بيان الفصاحة والقدرة البيانية هرباً من قول القائلين : « سكن تسلم » فهم لا يهربون من الحقيقة ولا يحرصون على السلامة .

ويعترف العقاد بأن كلمة الإمام « ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعد » ، كانت ولا ريب حافزاً قوياً بين الحوافز الكبرى ، وجاءت بعد عزيمة سابقة فأعانتها ودفعت عنها عوارض التردد والإحجام . وكم للتشجيع من آثار تتجلى في الأعمال الكبار ، لذا لا تهمله التربية الحديثة .

ومن هذا لا نعجب إذا وجدنا العقاد حين يتحدث عن أساتذته ـ أن يضع في مقدمتهم مدرس الإنشاء الأستاذ الفاضل مدرس اللغة العربية والتاريخ الشيخ محمد فخر الدين الذي كان يبغض الصيغ المحفوظة ويسخر منها ، ويفضل الذي يعبر بإنشائه غير مقتبس من غيره ، وكما هو متطور في اللغة لغة التعبير له نظرة عملية في درس التاريخ ، فالعناية بالوطنية وبثها في أنفس التلاميذ هي المهمة الأولى ؛ لأن سلطان الاحتلال الأجنبي كان قد بلغ مداه في مطلع القرن العشرين ، وَمَدْحُ الأستاذ ، فيه ولا ريب عرفان بجميله عليه ؛ فهو الذي قدم كراسته للإمام ، ولولا هذا ما كانت النبوءة ولا كان التشجيع ، ولقد كان هذا داعياً إلى حب العقاد للإمام وتلميذه سعد زغلول وسأتعرض لهذا بعد ذلك .

هذه النبوءة المحبوبة ! فماذا كان من الزعيم الشاب مصطفى كامل ؟

فى كتاب « مع العقاد » للدكتور شوقى ضيف ـ أطال الله بقاءه (صدر الكتاب أيضاً سنة ١٩٦٤) ، يقص علينا قصصا يتعلق بسلوك العقاد مع الأدب والناس ، تخرج العقاد من المدرسة الابتدائية سنة (١٩٠٣) وهو يحمل فى صدره آمالاً عراضا ذكرها المؤلف مثل ميله إلى الجندية لو انتظم فى المدرسة الحربية ، وكان يلمح فى داخله شغفاً بأزهار الحديقة المدرسية ، كما كان يلمح تعلقاً بمعرفة طبائع الحيوان .. جعله هذا يتمنى لو دخل مدرسة زراعية ولم يتحقق له شىء من هذا .. ولكن تحقق له شىء آخر هو ميدان الأدب . يقول الدكتور شوقى ضيف :

وبقى مدة فارغاً من العمل ، فتبرع بالتعليم فى المدرسة الإسلامية الخيرية فى بلدته « أسوان » ، ويريد أن تقبل فراغه ، ويسوق القدر له حادثاً يجعله يصدف عن مصطفى كامل ؛ ذلك أنه قدم إلى أسوان بموسم الشتاء فى سنة ١٩٠٤ ، ومعه الكاتبة الفرنسية « مدام جوليت آدم » ، وكاتبة انجليزية من حزب الأحرار تدعى « مسز يونج » وكان ناظر المدرسة يراسل صحيفة « اللواء » ودعاه إلى زيارة المدرسة ، فزارها مع رفيقتيه ، ودخل حجرة السنة الرابعة ، وتصادف أن كان التلاميذ يأخذون درساً فى اللغة العربية ، فأملى عليهم قول أبى العلاء المعرى :

والمرء ما لم تُفد نفعاً إقـامته
غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يسر

وترجمه للسيدتين الأجنبيتين باللغة الفرنسية بطلاقة ، ثم طلب من التلاميذ أن يشرحوه فاضطربوا ولم يحسنوا الشرح ، وحينئذ تدخل عباس قائلاً :

« إن الغيم الذى يحجب الشمس المحرقة فى أسوان ولا يمطر ولا يسير يُعد نعمة محبوبة » .. وهذا الشرح من العقاد يعد فكرة طريفة ، مع أن البيت ينفى النفع عن الغيم ؛ لأن التشبيه يقتضى ذلك ، فالذى لا ينفع بإقامته أهله سحابة لم تمطر . وانتظر العقاد من مصطفى كامل أن يبدى ارتياحاً لما أورد على سمعه من حسن التخلص ، « ولكنه تجهم له وزوى وجهه ، وكأنما خدش فى الفتى الأسوانى كرامته » ونحن نعرف موقف العقاد من الحزب الوطني ولم يكن على وفاق مع زعيمه الأول ، ولكنا نراه يرثى « محمد فريد » فى قصيدة باكية ، يقول فى مطلعها :

أطلقت وجـدانى ومثلـك يطلق
فالنفس تألم والجـوانح تخفق

ومنها يخاطبه :

كم غيرت منك السنون وبدلت
ووفاء نفسك ثـابت لا يقلق

ما من هوى إلا نسيتَ ولا أذى
إلا لقيتَ وما الختام محقق

سجن ومجهدة وبعد أحبـة
ووداع آمـال وسقم مـوبق

وهى قصيدة طويلة تجدها فى ديوان العقاد (الجزء الثالث) .

العقاد بين محمد عبده ومصطفى كامل

والمهم عندنا موقفه من مصطفى كامل، فقد أظلم ما بينهما بسبب شرح بيت من شعر المعرى، والمعرى حين أنشده لم يدر فى ذهنه ما دار فى ذهن العقاد، وما دار فى ذهن العقاد ليس بعيداً عن المعانى الشعرية، ولا تدفعه الشروح الموضحة لأهداف المعرى فى النفع والضر، والزعيم مصطفى كامل أهم ما يريده من أبناء الشعب أن يكونوا نافعين، ولكن العقاد يذهب بالنفع حسب ما تفيد العبارة .. واقرأ معى البيت مرة أخرى وتأمل معناه.

وتجد العقاد يهتم بالأستاذ الإمام محمد عبده ويدرس حياته دراسة موسعة ويؤلف فيه كتاباً جعله فيه فى منزلة الخلفاء الراشدين هداية وقدوة وسلوكاً فكرياً وعملياً، ولما تولى سعد زغلول وزارة المعارف سنة ١٩٠٧ أجرى معه العقاد حديثاً قالوا عنه: إنه أول حديث صحفى أجراه صحفى مع وزير. وتطور الأمر حسب مجريات الأيام والأمانى الوطنية فكان العقاد لزعيم ثورة ١٩١٩ كاتب مصر الأول أو كاتب الوفد الأول كما يقولون.

وعاش العقاد بعد سعد زغلول فألف فيه كتاباً يعد قمة فى التأليف لعالم السير، وعنوان الكتاب «سعد زغلول سيرة وتحية».

ولما نقل رفات سعد من ضريحه بالإمام إلى ضريحه المقام بجوار داره سنة ١٩٣٦، على ما أذكر نظم قصيدة نشرتها الأهرام عنوانها «فاز سعد»، كانت مقطوعة المطلع:

عرف النفىَ حياة ومماتاً
وأصاب النصر روحاً ورفاتاً

كلما أقصوه عن دار له
رده الشعب إليها واستماتا

كيف يجزيه افتياتا وهو من
كان لا يرضى على الشعب افتياتا

أصبحت دارك مثواك فلا
تخش بعد اليوم يا سعد شتاتا

حبذا الخلد ثمارا للذى
غرس المجد ونماه نباتا

وهى قصيدة جديرة بالدرس والنقد وصناعة الشعر الحديث، ومن الواجب حين الاحتفال، بذكرى مرور مائة عام على وفاته أن تكون مثل هذه القصيدة فى عمل أدبى رائع تقع عليه الأبصار وتدرس فى ظلالها سيرة الزعيم سعد زغلول.

وإذا احتفلنا بنبوءة الإمام وجعلناها من عناصر الدفع إلى الأمام ليتفوق الناشىء عباس العقاد، وليكون هو مدرسة جديدة تصنع الأبطال فى الوطنية والأدب والسياسة والتضحية والمعرفة الواسعة والثقافة التى تتخطى الحدود وتخلط المجلوب بالموجود .. وما من شك فى أن العقاد علم نفسه بنفسه، وأفاد من ثقافات عصره، وسهر لياليه .. قالوا: إنه كان يقرأ فى اليوم والليلة عشر ساعات، وقراءة الأذكياء ليست كقراءة غيرهم، فهم يلتقطون ما لا يراه الناس العاديون.

ونحن نعرف أن المعرى النابغة المتفرد فى الحفظ واختزان ما يلقى عليه نظم الشعر وسنه إحدى عشرة سنة، ولكن العقاد نظم الشعر وهو فى التاسعة من عمره، وقد وعت الكتب ما نظم فى ذلك الحين، وكان نظمه فى العلوم وفوائدها من ذلك الشعر قوله:

علم الحساب له مزايا جمة
وبه يزيد المرء في العرفان
والنحو قنطرة العلوم جميعها
ومبين غامضها وخير لسان
وكذلك الجغرافية تهدى الفتى
لمسالك البلدان والوديان
وإذا عرفت لسان قوم يا فتى
نلت الأمان به وأى بيان[1]

وهو في اللغة والنحو لا يقل عن المتخصصين ، وأعانه على الأداء وكثرة العطاء إتقانه للغة الانجليزية : فبها عرف عوالم محجوبة فجلبها إلى محيط العربية بفهم وفطنة فأغنى وأقنى ولا تحسبنى أقول من موقع الحب والإعجاب وتعهدى لأدبه شعراً ونثراً ، وإنما أعرفه من محاوراته ومجادلاته مع أعلام عصره ، فكان يدخل المعركة الفنية أو الثقافية ويخرج منتصراً بالحق والصدق ، ولو رجعت إلى حواره مع الأديب الطموح مصطفى صادق الرافعى لعرفت مكانة العقاد من اللغة والنحو وفهم الشعر ، ولا أنسى جدالهما حول قول العقاد لضميره :

الآن فاذهب تستريح فإننى
سأظل أقعد بعدها وأقوم

فكان رأى الرافعى جزم « تستريح » لتكون « تسترح » لأنها مجزومة في جواب الأمر « اذهب » ، لكن العقاد يستجهله ويقول له : إن قصد الجزم جزم الفعل وإن لم يقصد لا يجزم ، ويقول له شىء من اثنين إما أن تؤمن بالقرآن وإما أن تكفر فالله يقول : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى .... ﴾ برفع الفعل يرثُ ولم يجزم لأنه لم يقصد الجزاء .. إلى كثير من هذا النوع الذى يدل على تعمقه في النحو ومذاهبه ، ولو قرأت رده على الأب « أنستاس مارى الكرملى » ، الذى تعرض لشعر العقاد في مجلة لغة العرب التى يصدرها في بغداد ، وَعُنِىَ بالنحو كثيراً في منصوبات أبيات الشعر لوجدت في الرد عجبا !

يقول الناقد : « وقال من قصيدة الشتاء في أسوان :

ما طبُّ جالينوس قيس بطبه إلا غرور

وقيس حال من « طب جالينوس » وإذا وقع الماضى حالا وجب تصديره بالواو وقد ، أو بقد ، أو بالواو وحدها ، نعم ورد مثل « كما انتفض العصفور بلله القطر » ، ولكن هذا لا يقاس عليه » ، انتهى النقد .. وكان رد العقاد :

لا ياجاهل يقاس عليه ويقاس ، ففى القرآن الكريم : ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ ثم ساق من الشعر العربى الذى يحتج به ولا سيما العصر الجاهلى ثمانية شواهد بدأها بقول مثلم بن رياح :

تصبح الردينيات فينا وفيهم
صباح نبات الماء أصبحن جوعا

وختمها بقول كعب بن زهير :
سحَّ السقاة عليها ماء مَحْنِيَةٍ
من ماء أبطح أضحى وهو مشغول

←

(١) الأوفق عندى أن يقول : « وأى أمان » .

العقاد بين محمد عبده ومصطفى كامل

وقال له : « هل يكفيك هذا أو نزيد ؟ » ، (ساعات بين الكتب ـ مثال من النقد) تأليف العقاد والمجال هنا لا يتسع لكل الشواهد ، ولا لبعض ما جاء فى هذا الرد على النقد .

وإنما أذكر المثال لهذا العبقرى الذى لا يرضى بما دعا إليه الجاحظ من فهم المرفوعات والمنصوبات والمجرورات دفعاً للخطأ دون التعمق ، لكنه هو لا يخطىء ويصر على التعمق ومباراة الدارسين فى كل تخصص .

وفهمه للشعر هدى إلى مدرسة نقدية حديثة نحن فى حاجة إليها لتعميق الشعور وإفساح الخيال لحركة الكلمة وانطلاقها مع أخواتها فى السياق لتعطى المتعة فى النفس والروح والوجدان ، مثال واحد أقدمه لك فى نقد الشعر وفهمه . والكلام جواب عن سؤال عن ابن الرومى وشعره[٢] .

يقول العقاد عنه :

هو عندى ـ بغير خلجة من الشك ـ وحيد شعراء العالم من مشرقه إلى مغربه ومن قديمه إلى حديثه فى ملكة الوعى والتصوير .. وهى أنفس الملكات التى يرزقها رجال الفنون ، فلا يضارعه فى هذه الملكة شاعر عربى ولا شاعر أعجمى ، ولا يناظره فيها فحل من فحول التشبيه والتصوير فى أدب اليونان والرومان ، ولا فى أدب الغربيين المحدثين ، ولم أعرف بين أدباء الأمم الأخرى التى اشتهرت بدقة التشبيه ـ كأدباء الصين واليابان ـ من يجرى فى غباره أو ينسج على غراره . ومثل واحد يغنى عن مئات الأمثال وهو وصفه لحقل الكتان حيث يقول فى بيتين اثنين :

وجلسٍ من الكتان أخضر ناعم
توسنه دانى الرباب مطيرُ
إذا أطردت فيه الشمال تتابعت
ذوائبه حتى يقالَ غديرُ

فالواعية الفنية وحدها هى التى تغريه بوصف حقل من حقول الكتان التى مرت بألف شاعر منذ الخليقة ولم يلتفتوا إليها ؛ لأن حقل الكتان لا يحسب من موضوعات الوصف التقليدية بين شعراء التقليد ، فليس هو بروضة من رياض الورد والياسمين ، وليس هو بستاناً من بساتين الفاكهة والثمرات ، ولا هو بمتنزه من متنزهات الحسان أو موعد من مواعيد الغرام .. فانظر كيف علق هذا المنظر بوعيه اللاقط المستوعب ؟ وكيف أحصى عليه كل ما يحصيه التصوير فى شرط النقد الحديث بعض طول المشاهدة والمراجعة لآيات الأساتذة من نوابغ التصوير ..

واذكر كيف صنع ذلك بداهة وابتداعاً غير عامد ولا متنبه وهم يتعمدون ما يسجلون من ملاحظات النقد ويتنبهون إليه .

فالنقد الحديث يشترط على المصور النافذ البصر والبصيرة أن يستوعب المنظر فلا يفوته اللون ولا الملمس ولا الزمان ولا جو المكان ولا

---

(٢) السؤال كان منى سنة ١٩٤٢ ، ونشر فى مجلة الرسالة وموجود فى بعض كتبه .

الحركة التى تشيع فيه إن كانت فيه حركة ، أو السكون الذى يشمله إن كان به سكون .

وكل أولئك تجده فى البيتين الاثنين مطبوعاً منقولاً إليك نقل البداهة عن تلك الواعية المستوعبة التى لا تفوتها مدركة من مدركات الحس والخيال : لمح اخضرار اللون ، ونعومة الملمس ، وأحاط بوقت الصورة كما مثلت أمامه فهو وقت الوسن ، وأحاط بجو المكان فهو المكان الذى يطل عليه رباب مسف فويق الأرض يؤذن بالمطر القريب ، وأحاط بالحركة وبمصدرها من ريح الشمال فإذا رءوس الشجر تموج بالحركة الذاهبة الآيبة فكأنها صفحة غدير ؛ لا موضع لنقص فى الصورة ولا محل فيها لزيادة ، وليس أصدق من الوعى الذى أحسن اللقط وأحسن التمثيل فى لمحة عين وفي بيتين اثنين . ثم يقول : مثل هذا القياس الذى تقاس به الواعية الفنية لم يكن مقياسَ أولئك النقاد الذين جهلوا فضل ابن الرومى وأشادوا بفضل سواه .

وهكذا يفهم الشعر العقاد ، وفهمه هذا يفجر فى النفوس معانى تفسح المجال لعلوم البلاغة وفقه اللغة من أقرب طريق .

وما من شك فى أنه يعلم ما يريد من صناعة القلم حين كان يفاضل بين العلم والجهل والحرب والسلم فى كراسة الإنشاء ، وبنظرة الفراسة عَبَّر الإمام عن مستقبل العقاد ولم تصدمه تجهمات الزعيم مصطفى كامل ؛ لأن الفتى عرف طريقه وسار فيها إلى الأمام ولم ينظر إلى الوراء إلا فى شعر الفكاهة والازدراء ، فلنحتفل بذكراه العام والعام القابل ـ وليكن لنا معه لقاء ..

السيد حسن قرون

تصحيح

فى عدد شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٩ وفى مقال « من روائع الماضى » ، صفحة ٣٣٣ حدث تقديم وتأخير فى نهاية السطر الثالث عند قول الكاتب : فاقبلت فاطمة تمشى يتبعه ما جاء فى اول السطر الرابع من العمود الثانى : (ما تخطىء) وما جاء فى آخر العمود الثانى والذى ينتهى بكلمة (مدارسته) يتبعه من اول السطر الرابع من العمود الأول : فتكون الجملة : مدارسته القرآن .

نظرات فى اللغة وأصولها

للعلامة ابن القَيِّم

هذه نظرات تشهد بعلو كعب ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى اللغة وأصولها ، تدل على نظرات صائبة من إمام فقيه ، تنوعت معارفه ، وزكت أعماله ، وآتت ثمارها .. تتبعناها فى مظانها لما فيها من فوائد جمة . ووفاء بحق هذا الإمام المستنير الثبت الحجة ، تتمة لما نشرناه عنه فى هذا الجانب اللغوى .

الصوت والحركات :

يعلل ابن القيم حركات الإعراب والبناء ، ويشير إلى أن الحركة على الحرف ليست له وإنما هى للعضو اللافظ ، وحين نقول : إن الحرف متحرك فإنما ذلك على سبيل التجاوز لا الحقيقة ، ويرى أن الحركة بعض الحرف ..

ويوضح معنى الجزم بالانقطاع الذى لا نتاج له ، لعدم مده ، بخلاف الصوت الخفى للفتحة أو النصبة ، والذى إذا مُدَّ كان ألفا ، ولماذا كانت حركات الإعراب وكان البناء .. نستمع إليه يقول :

• قولهم : حرف متحرك ، وتحرك الواو ، ونحو ذلك .. تساهل منهم ، فإن الحركة عبارة عن انتقال الجسم من حيز إلى حيز ، والحرف جزء من الصوت ، ومحال أن تقوم الحركة بالحرف ، لأنه عرض والحركة لا تقوم بالعرض وإنما المتحرك فى الحقيقة هو العضو من الشفتين أو اللسان أو الحنك الذى يخرج منه الحرف :

فالضمة عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق ، فيحدث مع ذلك صوت خفى مقارن للحرف : إن امتد كان واوا ، وإن قصر كان ضمة ، (كما ذكر ابن جنى أن الحركة بعض الحرف) .

وكذلك الفتحة عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف ، وحدوث الصوت الخفى الذى يسمى فتحة أو نصبة وإن مدت كانت ألفا وإن قصرت فهى فتحة .

للدكتور: توفيق محمد شاهين

وكذلك القول فى القصر .

والسكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف ، فلا يحدث بعد الحرف صوت فينجزم عند ذلك ، أى ينقطع ، فلذلك سمى جزما اعتبارا بانجزام الصوت وهو انقطاعه ، وسكونا اعتبارا بالعضو الساكن .

فقولهم : فتح وضم وكسر هو من صفة العضو .

وإذا سميت ذلك : نصبا ورفعا وجرا وجزما ، فهى من صفة الصوت ، لأنه يرتفع عند ضم الشفتين ، وينتصب عند فتحهما ، وينخفض عند كسرهما ، وينجزم عند سكونهما .

ولهذا عبروا عنه بالرفع والنصب والجر عن حركات الإعراب ، إذ الإعراب لا يكون إلا بعامل وسبب . كما أن هذه الصفات التى تضاف إلى الصوت من رفع ونصب وخفض إنما تكون بسبب وهو حركة العضو .

واقتضت الحكمة اللفظية أن يعبر بما يكون عن سبب عما يكون عن سبب وهوالاعراب .وأن يعبر بالفتح والضم والكسر والسكون عن أحوال البناء ، فإن البناء لا يكون بسبب ، وأعنى بالسبب العامل . فاقتضت الحكمة أن يعبر عن تلك الأحوال بما يكون وجوده تغييراً له ، إذ الحركات الموجودة فى العضو لا تكون إلّا بآلة ، كما تكون الصفات المضافة إلى الموصوف .

وعندى : أن هذا ليس باستدراك على النحاة ، فإن الحرف وإن كان عرضا فقد يوصف بالحركة تبعاً لحركة محلية ، فإن الأعراض وإن لم تتحرك بأنفسها فهى تتحرك بحركة محالها .

وعلى هذا فقد اندفع الإشكال جملة .

وأما المناسبة إلى ذكرها فى اختصاص الألقاب فحسنة ، غير أن كثيراً من النحاة يطلقون كلا منها على الآخر ، ولهذا يقولون فى قام زيد مرفوع علامة رفعه ضمة آخر ، ولا يقولون : رفعة آخره ، فدل على إطلاق كل منهما على الآخر .[١]

* * *

الاشتقاق والمصدر :

وقد فرق علماء اللغة بين المصدر الصريح والمصدر المؤول ، وبينوا أنواع الاشتقاق

←

(١) بدائع الفوائد : ١/٣٤/٣٥ .

نظـرات في اللغة وأصولها

وأصل علماء أصول اللغة « أنواع الاشتقاق ، وقعدوا فقهها وبينوا الفروق بينها ، وبذلك قرت التعاريف والمفاهيم بين المدارس النحوية واللغوية ، على نحو ما زخرت به كتب النحو وأصول اللغة .

ولكن الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ بعقله الواعي ، والمعيته يضع يدنا على موطن الاستعمال الدقيق ، وبيان ثمرة الخلاف ، وبخاصة فيما من شأنه أن يجعل الحكم مختلفا ، والنتيجة ، وكذلك إذا كان ذلك وجهيا ـ بمعنى التلاقى فى بعض الوجوه ، أو لا . ويرينا كيف وظف الفقهاء ألفاظ اللغة وجاءت أحكامهم تبعا لذلك .

ويذكر تدليلا على ذلك الفرق بين « تمليك المنفعة ، وتمليك الانتفاع » : فالأول يملك به الانتفاع والمعاوضة ، والثانى ـ تمليك الانتفاع ـ يملك به الانتفاع دون المعاوضة . ويخرج على تلك القاعدة :

إجارة ما استأجره ، لأنه ملك المنفعة بخلاف المعاوضة على البضع : فإنه لم يملكه وإنما ملك أن ينتفع به . وكذلك اجارة ما ملك أن ينتفع به من الحقوق كالجلوس بالرحاب وبيوت المدارس والربط ونحو ذلك لا يملكها ، لأنه لم يملك المنفعة ، وإنما ملك الانتفاع .
وعلى هذا الخلاف تخرج إجارة المستعار :

فمن منعها كالشافعى وأحمد ومن تبعهما ، قال هو قد ملك المنفعة ، ولهذا يلزم عنده بالتوقيت ، ولو أطلقها لزمت فى مدة ينتفع بمثلها عرفا ، فليس له الرجوع قبلها[٢] .

● ● ●

الاضافة والمشترك :

ويفرق بين حقوق المالك وحقوق الملك ، ونتيجة الخلاف فى هذه الاضافة ، يقول : حقوق المالك شيء ، وحقوق الملك شيء آخر :

فحقوق المالك تجب لمن له على أخيه حق ، وحقوق الملك تتبع الملك ، ولا يراعى بها المالك . وعلى هذا حق الشفعة للذمى على المسلم : من أوجبه جعله من حقوق الأملاك ، ومن أسقطه جعله من حقوق المالكين .

والنظر الثانى أظهر وأصح ، لأن الشارع لم يجعل للذمىّ حقا فى الطريق المشترك .. كما يرى الإمام أحمد[٣] .

وتتعدد المعانى بسبب المشترك اللفظى ، فتأتى ألفاظ المشترك المعنوى ، وتعطى دليلا على ملاحظة وبقاء الفروق اللغوية فيما بين المترادف ، تلمح أحيانا ، وتنسى إذا تنوسى الأصل عند الاستعمال .. وتتنوع المعانى تبعا لاختلاف حروف الربط ، يقول :

(الخبر إن كان عن حكم عام يتعلق بالأمة : فإما أن يكون مستنده السماع فهو الرواية : وإن كان مستنده الفهم من المسموع فهو الفتوى) .

---

(٢) بدائع الفوائد : ٢/١ .

(٣) السابق : ٢/١ .

وإن كان جزئيا يتعلق بمعين مستنده المشاهدة والعلم فهو الشهادة .

وإن كان خبرا يتعلق بالمخبر عنه والمخبر به هو مستمعه أو نائبه فهو الدعوى .

وإن كان خبرا عن تصديق هذا الخبر فهو الإقرار .

وإن كان خبرا عن كذبه فهو الإنكار .

وإن كان خبرا نشأ عن دليل فهو النتيجة ، وتسمى قبل أن يحصل عليها الدليل مطلوبا .

وإن كان خبرا عن شيء يقصد منه نتيجته فهو دليل وجزؤه مقدمته[4] .

ومثال آخر فى هذا المقام يوضح الموضوع ، يقول :

« شهد » فى لسانهم لها معان :

احدها :

الحضور ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ وفيه قولان .

احدهما من شهد المصر فى الشهر ، والثانى من شهد الشهر فى المصر متلازمان .

والثانى : الخبر ، ومنه : (شهد عندى رجال مرضيون وأرضاهم عندى عمر ، أن رسول الله ﷺ ـ نهى عن الصلاة بعد العصر وبعد الصبح) .

والثالث : الاطلاع على الشيء[5] ومنه : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[6] .

الترادف :

الترادف ركن من أركان التنمية اللغوية لاشك فى ذلك .. ومع ثباته وثبوته واستقلاله بنفسه فى العربية إلا أنه لا يمكن التغاضى أحيانا عن الفروق اللغوية بين ألفاظ الترادف ، وبخاصة إذا لم تنس بكثرة الاستعمال ، أو لمح الأصل والفرع أو نسيان الأصل ..

يشير إلى ذلك ابن القيم حين يفرق بين الشهادة والرواية ، يقول : (الفرق بين « الشهادة ، والرواية » .

أن الرواية يعم حكمها الراوى وغيره على مر الأزمان .

والشهادة تخص المشهود عليه وله ، ولا يتعداهما إلا بطريق التبعية المحضة فإلزام المعين ـ أى عند الشهادة ـ يتوقع منه العداوة وحق المنفعة والتهمة الموجبة للرد ، فاحتيط لها ـ للشهادة ـ بالعدد والذكورية ، وردت بالقرابة والعداوة ، وتطرق التهم .

ولم يفعل مثل هذا فى الرواية التى يعم حكمها ولا يخص ..

فلم يشترط فيها عددا ولا ذكورية ، بل اشترط فيها ما يكون مغلبا على الظن صدق المخبر وهو العدالة المانعة من الكذب ، واليقظة المانعة من غلبة السهو والتخليط ...) .

←

---

(٤) السابق : ١/٧ .
(٥) السابق : ١/٨ .
(٦) سورة البروج : ٩ .

ويأتى بمسائل على هذه القاعدة ، منها :

الإخبار عن رؤية هلال رمضان ، من اكتفى فيه بالواحد جعله رواية لعمومه للمكلفين فهو كالأذان . ومن اشترط فيه العدد ألحقه بالشهادة لأنه لا يعم الاعصـار ولا الأبصار ، بل يخص تلك السنة وذلك المصر فى أحد القولين ، وهذا ينتقض بالأذان نقضا لا محيص عنه .

وعلى هذا أيضاً : الجرح للمحدث والشاهد . ومنها الترجمة للفتوى والخط ـ والشهادة وغيرها . ومنها المخبر عن نجاسة الماء .. هل يشترط فى ذلك التعدد لأنه بمنزلة الشهادة ، أو لا يشترط كالرواية والحكم ؟

ويرى : أن القاعدة السابقة لا تجرى على ما بيد الإنسان وتحت تصرفه :

يقول : (قبول قول القصاب فى الذكاة ليس من هذا الباب ـ باب الشهادة والرواية ـ بل هو من قاعدة أخرى ، وهى : أن الإنسان مؤتمن على ما بيده ، وعلى ما يخبر به عنه) .

فإذا قال الكافر ـ يعنى الكتابى ـ هذه ابنتى ، جاز للمسلم أن يتزوجها .

وكذا ، إذا قال هذا مالى جاز شراؤه وأكله .

فإذا قال : هذا زكيته جاز أكله .

فكل أحد مؤتمن على ما يخبر به مما هو فى يده ، فلا يشترط هنا عدالة ولا عدد .

ويقول : (إذا كان المؤذن يقبل قوله وحده مع أن لكل قوم فجرا وزوالا وغروبا يخصهم ، فلأن يقبل قول الواحد فى هلال رمضان أولى وأحرى)[٧] .

العين والمشترك اللفظى :

وعلماء اللغة (أصول اللغة) أشبعوا لفظ العين كلاما ، وتشريحا وتفريعا ، وابن القيم يدلى برأيه فى اللفظ بفلسفة مستقلة ، مستقاة من الإطـلاقات والاستعمـال ومـا يتعلق باختلاف المعنى لها تبعا لتنوع الاستعمال ، والانتقال بها من الحقيقة إلى المجاز ، يقول ابن القيم :

(العين ، يراد بها حقيقة الشىء المدركة بالعيان أو ما يقوم مقام العيان ، وليست ـ اللفظة على أصل موضوعها ، لأن أصلها أن يكون مصدرا وصفة لمن قامت به ، ثم عبر عن حقيقة الشىء بالعين ، كما عبر عن الوحش بالصيد ، وإنما الصيد فى أصل موضوعه مصدر من صاد يصيد .

ومن هنا لم يرد فى الشريعة عبارة عن نفس البارى سبحانه وتعالى ، لأن نفسه سبحانه غير مدركة بالعيان فى حقنا اليوم .

وأما عين القبلة ، وعين الذهب ، وعين الميزان ، فراجعة إلى هذا المعنى .

(٧) بدائع الفوائد ١/ ٥ ـ ٧ بتصرف .

وأما العين الجارية فمشبهة بعين الإنسان لموافقتها لها فى كثير من صفاتها .

وأما عين الإنسان فمسماة بما أصله أن يكون صفة ومصدرا ، لأن العين فى أصل الوضع مصدر كالدين ، والزين ، والبين ، والأين ، وما جاء على بنائه ..

ومما يدل على أنها مصدر فى الأصل قوله تعالى : ﴿ عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾[٨] ﴿ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾[٩] فالعلم والحق مصدران مضافان إلى اليقين فكذلك العين . هكذا قال السهيلى ـ رحمه الله تعالى ـ وفيه نظر :

لأن إضافة عين إلى اليقين من باب قولهم نفس الشيء وذاته ، فعين اليقين نفس اليقين والعين التى هى عضو سميت عينا ، لأنها آلة ومحل لهذه الصفة التى هى العين ، وهذا من قولهم : امرأة ضيف وعدل ، تسمية للفاعل باسم المصدر والعين التى هى حقيقة الشيء ونفسه من باب تسمية المفعول بالمصدر كصيد .. أهـ .

فأصل « العين » المصدر أو الصفة فى الوضع ، وبعض استعمالاتها لصفة تلمح فى المشابهة بهذا الأصل أو مايشابه ، وذلك فى الصفات ، ورد ماراه السهيلى لأن الإضافة من إضافة الشيء إلى نفسه[١٠] .

ثم يرد توهم السهيلى مرة ثانية فى أن إضافة العين إلى البارىء سبحانه حقيقة لا مجازاً فى قوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِى ﴾[١١] ويرد عليه وعلى المعتزلة ما قالوه فى الصفات ويفند قولهم من وجوه ، بما ينصر مذهب أهل السنة والجماعة ..

كما يشير إلى ما ذكره حذاق اللغة وفقهها من أن الأصل اللغوى فى الوضع كثيرا ما ينسى وتنسى حقيقته ، ورب مجاز كثر واستعمل حتى نسى أصله وتركت حقيقته ، كما فى بعض استعمالات لفظ « العين » ، وغيره من ألفاظ المشترك .

ولا يكتفى ابن القيم ببحث اللفظ وإطلاقاته ، ولكنه يرينا ما قيل فى استعمالاته بطرق مختلفة ، من حيث التعدى بحروف مختلفة ، أو من حيث اللزوم ، فيحكى مثلا ما حكاه السهيلى ـ رحمه الله تعالى ـ فى استعمالات لفظ « العين » ثم يستدرك عليه بما يدل عليه الجمع والأفراد حين الاستعمال ، مما يدل على حسه اللغوى ، وبعد نظره وثاقب فكره ..

يقول ولحرف الجر دخل كبير فى تنوع المعنى ، ويشير إلى ذلك ابن القيم : (قال : ومن فوائد هذه المسألة ـ مسألة الإرادة

---

(٨) التكاثر : ٥ .
(٩) الواقعة : ٩٥ .
(١٠) بدائع الفوائد : ٢/٢ .
(١١) طه : ٣٩ .

والمحبة وتلازمها أولا ، عند الأشاعرة وغيرهم أن يسأل عن المعنى الذى لأجله قال تعالى :

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾[12] بحرف على ، وقال تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾[13] بالباء ، ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[14] وما الفرق ؟

فالفرق : أن الآية الأولى وردت فى إظهار أمر كان خفيا ، وإبداء ما كان مكتوما ، فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يغذون ويصنّعون سراً ، فلما أراد أن يصنع موسى ويغذى ويربى على حال أمر وظهور ، لا تحت خوف واستسرار دخلت « على » على اللفظ تنبيها على المعنى ، لأنها تعطى الاستعلاء ، والاستعلاء ظهور وإبداء ، فكأنه يقول سبحانه وتعالى : ولتصنع على أمن لا تحت خوف .

وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلاءة .

وأما قوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ ، و﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ فإنه إنما يريد برعاية منا وحفظ ما تقدم أ هـ هذا كلامه ، أى كلام السهيلى رحمه الله ..

ويعقب ابن القيم بقوله :

ولم يتعرض - رحمه الله تعالى - لوجه الإفراد هناك (على عينى) ، والجمع هنا (بأعيننا) ، وهو من الطف المعانى للآية .

والفرق بينهما يظهر من الاختصاص الذى خص به موسى فى قوله تعالى : ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ ، فاقتضى هذا الاختصاص الاختصاص الآخر فى قوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ فإن هذه الإضافة إضافة تخصيص

وأما قوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ و ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ فليس فيه من الاختصاص ما فى صنع موسى على عينه سبحانه وتعالى ، واصطناعه إياه لنفسه ، وما يسنده سبحانه إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع قد يريد به ملائكته ، كقوله تعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ وقوله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ ، ونظـائـره فتأمل ا - هـ .

يتبع

(12) طه : 39 .
(13) القمر : 14 .
(14) هود : 37 .

من خير ما نشر

عبد الفتاح السيد عبد السلام

عادل رفاعى خفاجة

الأستاذ / محمود مهدى

عفوا .. أبا الزهراء

إن الاحتفال الأمثل بهذه الذكرى الشريفة (ذكرى مولد الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم) هو أن نحتفل بقيام تعاليم الإسلام وهدى رسول الإسلام فى نفوسنا ، ونطبقها فى تعاملاتنا ونجعلها النبراس الذى يضىء طريقنا ويهدينا إلى سواء السبيل هذا هو الاحتفال الأمثل . اما أن نقيم السرادقات ونلقى الكلمات التى لا يتجاوز تأثيرها لحظة النطق بها ونشترى الحلوى لإشاعة الفرحة بين أبنائنا ، وينتهى الأمر بعد ذلك فليس هذا من الواجب علينا تجاه ذكرى مولد رسولنا الكريم فى شىء ! إن الله سبحانه وتعالى أراده أسوة حسنة لنا حيث قال عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ .

وأمرنا أن نأخذ ما جاءنا به ، وأن نترك ما نهانا عنه فقال وقوله الحق : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ . وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

فهل نحن الآن على مستوى هذا الأمر ، أين نحن من هذا الاتباع ، والسير على منهاج الرسول فيما نأخذ ونترك : أم أننا شىء ، وما جاءنا به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شىء آخر ؟!

دعوة العرب لمساندة مصر فى معركتها من أجل البناء

طالبت صحيفة (الأنباء) الكويتية الأمة العربية بالوقوف بجانب مصر فى معركة البناء الداخلى مثلما وقفت معها مصر فى معركتى الحرب والسلام .

من خير ما نشر

وقالت الصحيفة إن من حق مصر التى تؤكد كل يوم (أصالة) وجهها العربى الناصع لأشقائها العرب أن يساندوها وهى تواجه تحديات الضغوط الاقتصادية . ودعت الصحيفة الدول العربية الغنية إلى تخفيض او إسقاط ديونها لمصر ومساعدتها فى مواجهة أعباء ديونها الخارجية .

الأستاذ / نجيب محفوظ

حياتنا السياسية بلا جذور... القاعدة الشعبية

حكومة وأحزاب نعم ولكن بلا قاعدة شعبية ... ووطن بلا قاعدة شعبية كعمارة بلا أساس يحملها ، ويقال إننا مطحونون بأزمة اقتصادية حصرت كل فرد فى هموم ذاته وأقامت بينه وبين الحياة العامة حاجزا غليظا من (اللامبالاة) ! ولكن الأزمة كما تدعو إلى الانحصار فقد تدفع إلى الانتماء والالتفاف حول ينابيع الأمل ...

القاعدة الشعبية ضرورة لا غنى عنها ، إنها حصن ضد الاعاصير الخارجية ودعامة تستند إليها النهضة الداخلية ، هى الجهاز العصبى للأمة تستمد منه وحدتها وامنها وتكافلها مثلما تستمدها من القانون وجهاز الأمن ، لا يجوز أن تفوت ساعة من غير أن نفكر تفكيراً جاداً كيف (نوجدها) وكيف ندعمها لتكون لنا المأوى عند الشدة والمنطلق إلى آفاق التقدم والحضارة .

تليفون للصم

أنتجت إحدى الشركات البريطانية جهاز (تليفون) للمصابين بالصمم يتكون من آلة كاتبة مع شاشة تليفزيونية بالإضافة إلى جهاز التليفون العادى وبدلا من أن يرد الشخص الأصم بالصوت يقوم بكتابة مايريده لتستقبله شاشة جهاز آخر وبالتالى يستطيع الصم تبادل الأحاديث التليفونية ، ويبلغ ثمن الجهاز ١٨٢ جنيهاً استرلينيا .

مادة الثقافة الاسلامية بالجامعات

قررت رابطة الجامعات الإسلامية فى اجتماعها الأخير بكوالالمبور عاصمة ماليزيا تدريس مادة الثقافة الإسلامية فى كل الجامعات التابعة لها وتم تشكيل لجنة من الخبراء لوضع مناهج هذه المادة ولجنة أخرى لوضع كتاب (نموذج) يكون مرجعاً بين أيدى القائمين على تدريس هذه المادة .

الأستاذ / محمد الحيوان

حقوق الفلسطينيين

أمريكا تتحدث عن حقوق الإنسان فى كوبا ونيكاراجوا وبولندا .. وتنسى حقوق الإنسان

فى فلسطين .. وعندما اعترفت أخيراً بذلك قالتها وهى تعتذر لإسرائيل !

أخطار التدخين كما ظهرت فى المؤتمر العربى الأول :

دخان السيجارة يحتوى على ١٥ مادة مسببة للسرطان
كل ١٣ ثانية يموت شخص بسبب أمراض التدخين

أكدت المناقشات والأبحاث التى شهدتها جلسات المؤتمر العربى الأول لمكافحة التدخين خطورة مشكلة التدخين على الصحة العامة والعلاقة المباشرة بين السيجارة وحدوث العديد من الأمراض الخطيرة التى يأتى على رأسها أورام الجهاز التنفسى وبخاصة سرطان الرئة إذ أن ٩٠٪ من نسبة الإصابة به ترجع إلى التدخين كما ان نسبة إصابة المدخن بالسرطان ترتفع (١٠) أضعاف نسبته بين غير المدخنين إلى جانب المخاطر الناتجة عن التدخين ، والتى تصيب الأجنة بالتشوهات الخلقية فى الأطراف والأسنان ونقصان الوزن عن المعدل الطبيعى .

كذلك أكد المؤتمر أنه لا يجوز للشخص المدخن باسم ممارسة الحرية الشخصية أن يؤذى الآخرين بالتدخين .

أنباء وآراء

كرم الرئيس محمد حسنى مبارك ـ رئيس جمهورية مصر العربية أحد عشر عالماً من كبار المفكرين من أمريكا وفرنسا وألمانيا والسعودية وتونس والسودان بجانب عدد من المفكرين المصريين وذلك فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف لعام ١٤٠٩ هـ الذى أقيم بقاعة محمد عبده بجامعة الأزهر .

* * *

اكتشف العلم الحديث فوائد كبرى لاستخدام السواك مصداقاً لحديث السيدة عائشة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) .

فقد أثبتت التجارب فائدة تصنيع مجموعة من المستحضرات الصيدلية الجديدة من السواك تضم مطهراً للفم وأقراص استحلاب كمعجون للأسنان .

* * *

صرح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بأن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ـ والذى ترأسه مصر ـ يقوم برعاية القيم الدينية فى المجتمعات الإسلامية ويهتم بدراسة المشكلات لهذه المجتمعات والإرشاد لما يصلحها .

واستطرد فضيلته بأن هذا المجلس الذى يضم الهيئات الإسلامية البارزة فى البلاد العربية والإسلامية يعنى أول ما يعنى بالتصدى للتيارات والمذاهب المناهضة للإسلام ، ثم بالتنسيق بين الهيئات الإسلامية فى مجال الدعوة ، ونشر الثقافة الإسلامية التى تبرز الوجه المضىء للإسلام .

وأكد فضيلة الإمام الأكبر ارتياح الأزهر الشريف وحرصه على ما جاء بالخطاب الذى وجهه الرئيس محمد حسنى مبارك فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف الذى أقيم بقاعة محمد عبده بجامعة الأزهر يوم ١٢ من ربيع الأول سنة ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٣ من أكتوبر ١٩٨٨ م .

وقال فضيلته : إن الأزهر قد أصدر كتاباً بعنوان (بيان للناس) من جزءين أوضح فيهما الحكم الشرعى لكثير من القضايا الفكرية والاجتهادية التى شاع فيها الخطأ هذه الأيام فى كثير من أقطار العالم الإسلامى .

وطالب فضيلته أجهزة الإعلام أن تحرص على بث الفكر الإسلامى الصحيح ، وأن تذيعه بين الناس على كافة المستويات ، حتى يستبين الرشد من الغى .

* * *

قرر الرئيس الباكستانى بالإنابة « غلام إسحاق خان » وضع القرار الجمهورى

د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ عبد المنعم فوده

الخاص بتطبيق الشريعة الإسلامية موضع التنفيذ الفعلي فوراً ، وينص القرار على أن تكون الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للقوانين فى البلاد وتحويل المحاكم الإقليمية إلى محاكم شرعية إسلامية واعتبار اى قانون يتعارض مع القرآن الكريم والسنة النبوية باطلاً لا نفوذ له . كذلك يقضى القرار الجمهورى الذى كان قد أصدره الرئيس الراحل محمد ضياء الحق فى الخامس عشر من يونيه ١٩٨٨ بتعيين علماء للإفتاء نوابا للمدعين العموميين بالمحاكم لإبداء الرأى فى كل مايتعلق بتفسير الشريعة والسنة والقرآن الكريم ، وتعيين علماء الدين قضاة بالمحاكم .

* * *

تُفتتح الجمعية العربية للتربية الإسلامية بالتعاون مع المركز العالمى للفكر الإسلامى الموسم الثقافي لعام ١٤٠٩ هـ بندوة عن الأزهر والتعليم يتحدث فيها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق ويدير الندوة الدكتور سليم العوا وذلك بمقر الجمعية بالدقى .

* * *

عقد بالكويت المؤتمر الدولى لكبار العلماء والمفكرين الاقتصاديين الإسلاميين ، وهو المؤتمر الذى دعت إليه ونظمته الهيئة الإسلامية العالمية وذلك لمواجهة ما تعرضت له بعض الدول الإسلامية مثل السودان وبنجلاديش والصومال من كوارث قضت على كثير من المواد الضرورية فى تلك الدول وشردت آلافاً من الأسر فى هذه البلاد .

تجسيد قيم الاسلام هدف السودان

أكد الدكتور وزير العدل السودانى والأمين العام للجبهة الإسلامية القومية : أن تجسيد قيم الإسلام فى المجتمع السودانى هو الغرض الحقيقى منذ أن نال السودان استقلاله فى عام ١٩٥٩ . مؤكداً أن الصيغة التى طرحت من خلال الشريعة الإسلامية اليوم أكثر اكتمالا من كل الصيغ التى عرفتها الديمقراطيات فى العالم .

وقال الوزير فى تصريحات له : إن الحكومة السودانية تولى اهتماما أكثر إلى علاقاتها بالدول العربية والإسلامية .

دعوة الدول الاسلامية إلى تطبيق الشريعة

دعا ملتقى الفكر الإسلامى الثانى والعشرون الذى عقد بالجزائر دول العالم الإسلامى إلى ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية وتنسيق كافة التشريعات بينها على هذا الأساس ، كما دعا إلى العمل على التقريب بين المذاهب الإسلامية وتوحيد الفتوى فى الشئون العامة المتجددة فى الأمة الإسلامية على أن يقتصر إصدار الفتوى على الجهات الإسلامية العلمية المتخصصة .

أنباء وآراء

الفلبين وسبل النهوض بالدعوة الاسلامية

أوصى الملتقى الثانى عشر للدعاة الذى عقد فى الفلبين بضرورة عقد مؤتمر شامل لجميع العلماء والدعاة والمثقفين المسلمين فى الفلبين لبحث سبل نشر الدعوة الإسلامية والتصدى للمذاهب والحركات المعادية للدعوة الإسلامية فى ضوء نتائج هذا المؤتمر والمؤتمرات المحلية التى عقدت من قبل . وأوصى الملتقى فى ختام أعماله فى مدينة « سيبو » بالفلبين بضرورة طبع الكتب والنشرات التى تكشف عن الآراء الباطلة التى تنشر ضد الإسلام والمسلمين وترجمتها لمواجهة خطر الإدعاءات الهدامة . وقد تركزت أعمال الملتقى الذى نظمه المجلس المحلى لمساجد الفلبين حول سبل النهوض بالدعوة الإسلامية فى الفلبين وتطوير عمل الدعاة والهيئات والجمعيات الإسلامية القائمة على مهمة الدعوة الإسلامية فيها وتوحيد وتنسيق جهودها .

بدء تطبيق الشريعة الاسلامية فورا

شارك فى الملتقى أكثر من مائة وخمسين عالما من مختلف أنحاء العالم الإسلامى . عقد المؤتمر بمدينة الجزائر العاصمة فى الفترة من ٣٠ أغسطس إلى ٥ سبتمبر ،

أصدر المؤتمر مجموعة من التوصيات كان من أهمها العمل لتوحيد أوائل الشهور القمرية والأعياد والمواسم الإسلامية باعتبار ذلك مظهراً من مظاهر وحدة الأمة الإسلامية ، وإنشاء مركز لدراسات الوحدة الإسلامية يعمل على تحقيق هذه الوحدة بين المسلمين مترفعا عن التعصب والحساسيات السياسية والمذهبية والطائفية .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية « وضاع جوار قريش »	
د . على أحمد الخطيب	٣٨٥
● ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم	
لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	٣٩١
● وفد نجران المسيحى فى سورة آل عمران	
لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير	٣٩٥
● فى رياض السنة المطهرة	
د . رءوف شلبى	٤٠١
● عهد الحديبية وآثاره الاستراتيجية	
لواء محمد جمال الدين محفوظ	٤٠٦
● مع القرآن العظيم : الأحرف السبعة	
لفضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض	٤١٠
● المؤمن يأتى الطاعة راغبا لا يريد إلا وجه الله	
محمد محمد على الرماح	٤١٦
● البحث عن الديانات القديمة	
د . عبد الجليل شلبى	٤١٩
● دور الأزهر فى استقدام الطلاب الوافدين	
د . رجاء إبراهيم سليم	٤٢٢
● رسل الأزهر فى بلاد النيجر	
للسفير جمال الدين أبو العيون	٤٢٧
● الفتاوى	
عبد الحميد السيد شاهين	٤٣٤

باب الشعر والشعراء
إشراف د . حسن جاد

الموضوع	الصفحة
● أشواق وذكرى	
للشاعر مصطفى أحمد دردير	٤٣٨
● الميقى	
للشاعر : عبد الستار سليم	٤٣٩
● ياظماء النفوس	
للشاعر : رشاد محمد يوسف	٤٤٠
● يا إنسان	
للشاعرة : نور نافع	٤٤١
● من أعلام الأزهر « مصطفى محمد الحديدى الطير »	
للأستاذ أحمد محمد الخواص	٤٤٢
● من روائع الماضى « القصاص أساس صالح للعقاب »	
إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات	٤٥٠

باب العلوم الكونية

الموضوع	الصفحة
● أشعة الليزر ومجالات استخدامها	
د . أحمد فؤاد باشا	٤٥٦
● الجغرافيا عند العرب	
للأستاذ ماهر الشيمى	٤٦١
● طرائف ومواقف	
إعداد : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٤٦٦

باب اللغة والأدب والنقد

الموضوع	الصفحة
● إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث	
د . السيد رزق الطويل	٤٧٠
● العقاد بين نبوءة الإمام محمد عبده وتجهم الزعيم مصطفى كامل لنزعته	
للأستاذ السيد حسن قرون	٤٧٥
● من خير ما نشر	
عبد الفتاح السيد عبد السلام عادل رفاعى خفاجة	٤٨٩
● نظرات فى اللغة وأصولها	
للأستاذ توفيق محمد شاهين	٤٨٢
● أنباء وآراء	
د . أحمد عبد الرحيم السايح	٤٩٢

القسم الانجليزى
اشراف د . أنس النجار

الموضوع	الصفحة
● المقالة الثالثة	
فاطمة محمد سرىّ	٤٩٧
● المقالة الثانية	
عبد الحكيم أحمد طه	٥٠٣
● المقالة الأولى	
د . أنس مصطفى النجار	٥١٠

and we have believed. Our Lord ! forgive us our sins, blot out from us our iniquities, and take to Thyself our souls in the company of the righteous."
Our Lord ! Grant us what Thou didst promise unto us through Thine Apostles and save us from shame on the day of judgement: For Thou never breakest They promise." (Surat Al-Imran III, 193,194).

"Our Lord ! Rescue us from this town, whose people are oppressors; and raise for us from Thee one who will protect; and raise for us from Thee one who will help". (Surat Al-Nesaa IV, 75).

"Verily, my Lord Hath guided me to a way that is straight, a religion of right the path trod by Abraham the true in faith and he certainly jointed not gods with God."
Truly, my prayer and my service of sacrifice My life and my death, Are all for God The Cherisher of the Worlds." (Surat Al Anaam-VI, 161, 162).

SUPPLICATIONS FROM THE HOLY QURAN

Collected By :

Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

"They prayed: Our Lord ! Pour out constancy on us And make our steps firm: Help us against those That reject faith." (Surat Al-Baqara, II, 250).

"On no soul doth Allah Place a burden greater Than it can bear. It gets every good that it earns, And it suffers every ill that it earns. Pray: Our Lord ! Condemn us not If we forget or fall Into error; our Lord ! Lay not on us a burden Like that which Thou Didst lay on those before us; Our Lord ! lay not on us A burden greater than we Have strength to bear. Blot out our sins, And grant us forgiveness. Have mercy on us. Thou art our Protector; Help us against those Who stand against Faith". (Surat Al-Baqara, II, 286).

"Our Lord ! Let not our hearts deviate Now after Thou hast guided us, But grant us mercy From Thine own Presence; For Thou art the Grantor Of bounties without measure. Our Lord! Thou art He That will gather mankind Together against a Day about which There is no doubt· for Allah never fails in His promise." (Surat Al-Imran III, 8,9).

"Our Lord ! forgive us Our sins and anything We may have done That transgressed our duty: Establish our feet firmly, And help us against Those that resist Faith." (Surat Al-Imran III, 147).

"Our Lord ! we have heard The call of one calling us to Faith 'Believe ye In the Lord

Allah is The Constraining and The Munificient, implying the power of restrain, and of liberal donation; The Degrading and The Enhancing implying the power to elevate and denounce; The Exalting and The Abasing, implying gifting those with contentment and self control with sagacity; and degeneracy for those with greed avarice and self conciet. The Advancer and The Retarder. These opposing dualities indicate the Divine infinite power along the whole spectrum of opposites, such as those that are common phenomena encountered in human life.

Allah is also The Judge, The Just, The Subtle, The All-Wise, The All-Cognizant, The Congregator, The Splendid, The Guidance, The Superb, The Sufficer, The Vigilant, The Responder, The Benevolent, The Glorious, The Equitable, The Laudabe, The Longanimous, The Prodigal, The August and Liberal.

The Apellations of Allah as recognized by Islam depict and imply His Attributes by which we invoke him to guide our pathway through the realities of life. Mankind should endeavour to recognize, understand and cherish these Divine Attributes in the hope of attaining knowledge and wisdom to gain the grandeur and supremacy of truth.

"And Allah has the Most Magnificient Names, So invoke Him by Them" (Surat Al-Araf, VII, 180).

The Compassion of Allah is through Divine Wisdom, embracing the whole creation, the young and old, the strong and weak, the healthy and sick, the living and the dead, mankind and other creations; in this life and in the hereafter. In an authentic Hadith that Allah said "O mankind, I created compassion and made it hundred parts; I kept ninety nine to myself, and gave you only one part by which they become compassionate among themselves; and by which a mare lifts up its hoof not to stamp her sibling."

The Sovereignity of Allah stipulates the preponderance of Dominion and Will. Everything is under His rule. Even those who reject are under the soverignity and subordination of the undisputed supremacy of Allah.

The Consumate and the Guardian, ascribing the Divine Deity free from imperfections, His attributes free from deficiency, and His Dealings free from blemish or injustice. All perfection is to Him alone and all consummation in existence is an effecuate of Divine Providence.

Allah is The Almighty, The Compeller, The Proud, The Vanquisher. The power and might are unparallelled compellent and irresistable in superiority and grandeur.

The Creator, The Evolver, and The Fashioner; creating out of non-existance by act of the will; designing the causation to exist; evolving the process of development by plan; fashioning the form shape and qualities of the final creation. The creation precedes evolution, and evolution precedes fashioning the characters and traits.

Allah is The Oft-Forgiving, The Exonerating, The Ruthful; designations implying repeated recurrent forgiveness, deliverance from punishment, relief from guilt, conferring benefaction by granting extreme mercy.

The Bestower, The Donor, The Revealer, The Bounteous, The All-Embracing, The Beneficient. These appellations indicate the affluent and munificient grants to all creations. Gratuties are countless, giving the means to maintain life and sustain existance. Through guidance, the obscure is revealed and the enigmatic is disclosed through Divine Providence. His bounty involves pardon instead of retribution, excess in granting fulfills the promise in magnanimity and grace. All in the absolute expance of His infinite embrance of all creation in wisdom and justice. His Beneficience enfolds all goodness, kindness, charity, tolerance and generosity.

fourth name is "Al-Muqiet" The Sustainer Who provides all sustenance for His beings, and maintains their physical and moral existance. This entails infinite knowledge and infinite potentials. The fifth name is "Al-Qayyoum" the Dominating, an appletation that denotes, the essence of his Absolute Self-Subsistence, and all beings rely on Him for subsistence. Nothing is conceived to exist or last except through His will. His Ruling is Autonomous, and His Existence is of necessity essential in His Entity and His Attributes. The existence of every other thing is dependent on His will, and everything is completely and absolutely in need of Him. The smallest microorganism and the most highly developed and cultured human being: are equally completely and absolutely in need of Him. The sixth name is "Al-Samad" The Sanctuary; this implies He Who is not in need of anything or anybody, different from the creations who are constantly in need of Him. All turn to Him as the Sanctuary, Refuge and Haven of those in distress. He is the Ultimte Sanctuary.

Seven of the appellations of the Supreme Being are attributes that designate the detail that are privilage only to Divinity. "Al-Aleem" The All-knowing, His knowledge is absolute and thorough, of the hidden and the obvious. "Al-Samie" The All-Hearing, nothing is beyond His hearing perception though it be inaudible, and infinitesimal "Al-Baseer," The All-Seeing, nothing is beyond His vision, though it be invisible. "Al-Hayi" The Omniscient, designating the infinite, everlasting, transcendent, eternal, radiant, immutable qualities of the Supreme Being of universal knowledge and infinite wisdom. "Al-Wahid" The One, undivisible and unpaired, the immutable Diety Who has no associate or partner. The Absolute One from eternity to infinity for ever to come. Nothing is the like of Him, Single One in unique absolute truth. "Al-Qader" The Potent with exclusive, entire and indivisble unshared power to do or not to do according to His Will and Providence. The Omnipotence of the Supreme Being implies the power to affect any or all ends by absolute effective capability. "Al-Baqi" The Sempiternal, the extreme in eternity with transcendent everlasting infinite existance and continuity, with the perservation of all attributes and designations.

The remaining names of Allah are attributes that are inferred to the infinite universality and wholesomeness of perfection, Unfallibility, Glorification, Sanctity, Transcendence, Omnipresence, Oneness, Sovereignity, Guardianship, Wisdom, Justice, Clemency, Benevolence and the other qualities inherent in the most magnificient names of Allah. These appellations as quoted from the text of the Holy Quran must be conceptualized as specific characteristics and in collective totality and integration attributable only to the Supreme Being.

deity is refuted utterly; for if the gods agree, there will be excess, and if they disagree, there would be disruption of universal cohesion.

The Supreme Being of Allah is not divisible into structures, and is not stuctured from divisions. The Oness of Allah is not compounded, it is a unique Oness of integrity and wholesomeness that is undivisible. The supreme Being of Allah is unborn, and gives no birth; for who of the father or son would reign as god ? Allah takes no consort, for a spouse would be of His like, or of His creation. If from His like, she becomes a partner, and if from His creation, she will be wanted and indispensible. The reality is contrary to both situations, Allah has no partner, and is never in need of His creations. The Holy Quran specifically indicates this meaning "Say: He is Allah, the One and Only, Allah the Sanctuary. He begetteth not nor is He begotton; and there is non like unto Him" (Surat Ikhlas, CXII, 1,2,3,4).

The Oness of Allah is inherent in His attributes and appellations, the greatest and most inclusive and exclusive. Inclusive because it designates The Diety in Whom all the Divine Attributes inhere without exception, and exclusive because only The Diety can be named Allah. The appellations of Allah are specific only of the Supreme Being, eternal, infinite and unconditioned in designation. His Existance is by essence perdurable, everlasting and unending. The creations of Allah show matching as well as diversity and contrasting characteristics; nevertheless congruous to His Divine Dispensation of an infallible integral and balanced order pevading His creations. All appelations of Allah are attributes of infinite perfection suitable only for His Sovereignity.

Six of the names of Allah are absolutely specific to the Supreme Being. The first is "Allah" a designation of Glory and Transcendence - only The Deity can be named Allah. There is no god but Allah - The Omniscient with infinite powers of perception and ratiocination. No slumber can sieze Him nor sleep. His dominion is beyond the cellestial expance of the universe. The second name is "Al-Rahman" The Merciful, implying compassion and willingness to forbear punishment, and to deliver grace and divine benignancy. Such extreme infiniteness of mercy is beyond the human heart and mind to understand or visualize. He is Merciful of this world and of the Hereafter, and the Compassionate of the Hereafter. The third name is "Al-Quddus" The Holy; an attribute of Holiness of such perfection and wholeness that it is incontestably beyond all measures of description, sensibility, thought, or comprehension. The Holy designates His divine actuality. The

namely, the functional actions of Salat, Fasting, Zakat, and Hajj. The roofing of the building is the Iman which offers protection against the uncertainties of the mind. The ornamentation and beauty of the building is reciprocal to Ihsan, the stage of grandeur, absolute impeccable belief.

The ground foundation of Islam, the Shehadah, "there is no god save Allah, and Muhammad is the Messenger of Allah. The statement that "there is no god save Allah" is a declaration of the Oness of Allah in absoluteness as Supreme Being, in Attributes, in Divine functions and Providence. The Oneness of Allah as Supreme Being must transmit the exact understanding of non-duality, undivisibility and unrecurring. There is nothing the like of Him, not embodied in matter, infinite transcendant and dimensionless, unrestricted to time or place, unaltered and beyond perception of the scenes. Supreme in power dominion and preponderance of sovereignty; beyond all measures of description, sensibility, thought or comprehension, needing none yet is needed by all for their existance. Creator of the universe out of non existence by an act of will. All-knowing with knowledge absolute and thorough of the hidden, the obvious, macroscopic, microscopic, the beginning and end, the cause and effect. The majestical beyond conception by the mind, eternal, all prevading in knowledge, mercy, wisdom, justice and omnipotence. The sublime of utmost perfection and absoluteness of potency. The Holy Quran states "He is the Creator of the heavens and the earth... there is nothing whatever like unto Him, and He is the One that is All-Hearing, All-Seeing" (Surat Al-Shura, XLII,11). "To Him is due the primal origin of the heavens and the earth. How can He have a son when He hath no consort. He created all things and He hath full knowledge of all things. That is Allah, your God, there is no god but He. The Creator of all things, then worship ye Him. And He hath power to dispose of all affairs. No vision can grasp Him, but His grasp is over all vision. He is above all comprehension, yet is acquainted with all things" (Surat Al-Anaam, VI, 101, 102, 103).

The proof of the Oness of Allah is indicated in the Holy Quran "If there were, in the heavens and the earth other gods besides Allah, there would have been confusion in both. But glory to Allah, the Lord of the Throne high be He above what they attribute to Him" (Surat Al-Ambiyaa, XXI, 22). This verifies the fact that the duality of gods would cause dispute, confusion, and therefore deficiency of the universal system; contrary to the perfect efficiency of the universal system which dominates the cosmic creation. There is no duality of domination, one system, One Creator, One Controller, One Guardian, One Dominating. The duality of

THE PILLARS OF ISLAM

By :

Abdel Hakim Ahmad Taha

There is no god save Allah

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXX1, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38 The Book of Faith)

The structural relationship between the pillars of Islam, Iman, and Ihsan; is analogous to a residential building. Such building must have a ground; and the ground foundation of Islam is the verbal statement of the Shahadah, the confession "that there is no god save Allah, and that Muhammad is the messenger of Allah". The initial segment indicates the Oness of Allah, and the second segment indicates the reality of the message of Muhammad embodied in the Holy Revelation. Having defined the ground foundation, the structure must possess four pillars for its erection,

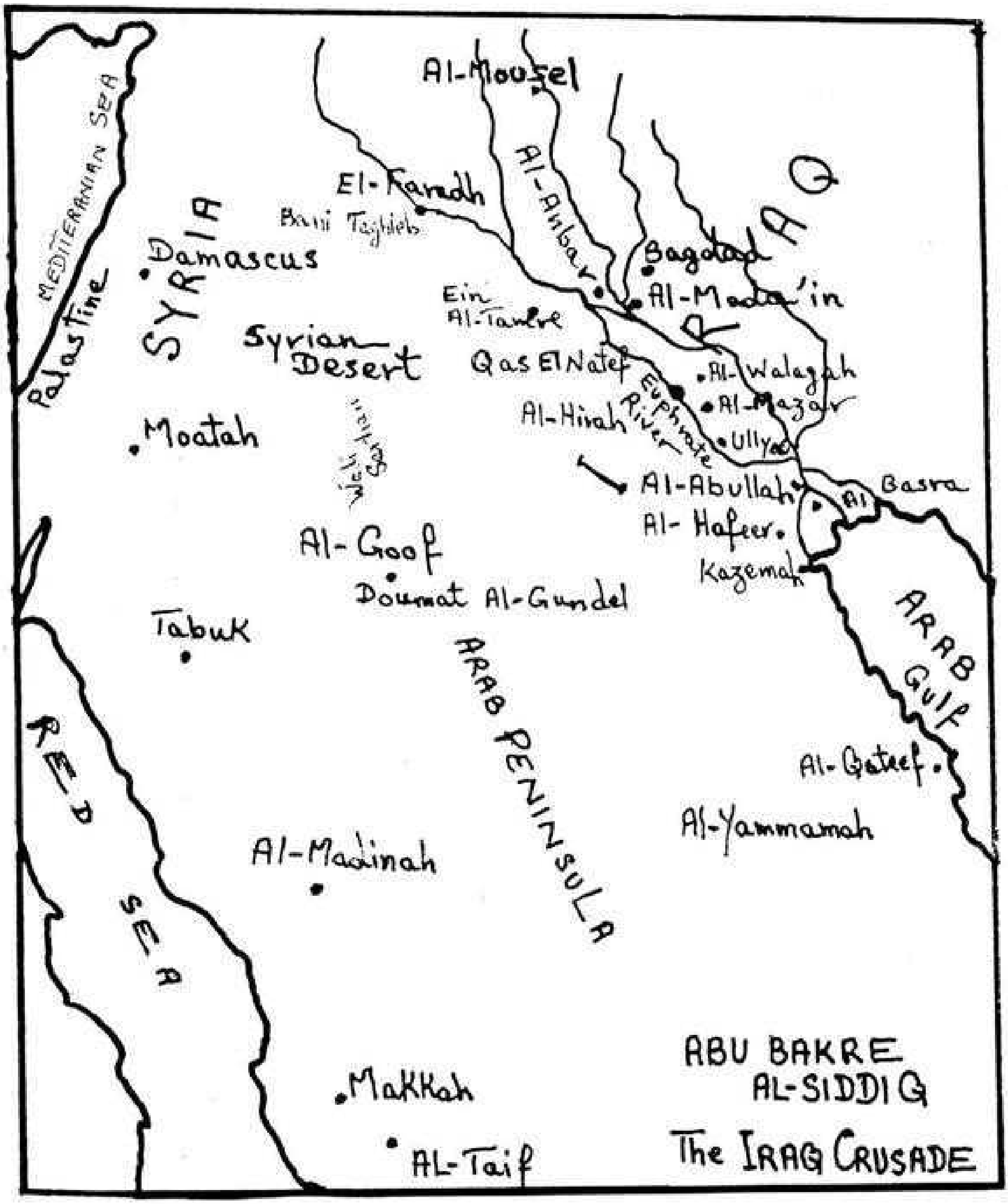

Al-Mousel
MEDITERANIAN SEA
Palastine
SYRIA
Damascus
El-Faradh
Al-Anbar
IRAQ
Bagdad
Al-Mada'in
Ein Al-Tamre
Syrian Desert
Qas El Natef
Al-Walagah
Al-Mazar
Al-Hirah
Euphrate River
Ullys
Moatah
Al-Abullah
Basra
Al-Hafeer
Kazemah
Al-Goof
Doumat Al-Gundel
Tabuk
ARAB PENINSULA
ARAB Gulf
RED SEA
Al-Qateef
Al-Yammamah
Al-Madinah
Makkah
AL-Taif
ABU BAKRE AL-SIDDIG
The IRAQ CRUSADE

of the army were arriving at Al-Hirah. No body in the Muslim army knew or discovered his absence. Certainly the Persians and the nomad tribes were completely unaware that the Muslim army was moving from Al-Faradh to Al-Hirah without Khalid ibn Al-Walid in command.

Abu Bakre came to know of Khalid's pilgrimage after the return of the pilgrims to Al-Madinah. Abu Bakre remained silent and did not intimidate Khalid for his action except on a latter occasion. Khalid remained at Al-Hirah in command of the Muslim forces, and in his thoughts, he was planning his strategy to attack and capture Al-Mada'in the capital of the Persians in Iraq. Such undertaking initiative had to be with the definite consent of Abu Bakre, the Khalifah at Al-Madinah. Khalid remained at Al-Hirah in expectation of his purpose to defeat the Persians at Al-Mada'in, however, what the days kept in the destiny of the unknown was very different to what Khalid had in mind. The capture of Al-Mada'in was on the hands of another man, and at a time after the death of Abu Bakre. The military leadership and distinction of Khalid as a worrior in Islam found its function in another field of battle, in Syria and Palastine against the colossals of the Roman legions of the Eastern Roman Byzantine empire.

to prolong, a situation that made Khalid ibn Al-Walid resort to certain tactics and maneuvers of his own innovations. These resulted in achieving superiority of the Muslims over the Roman legions and their supporters from the nomad tribes. The death toll among the Romans and those with them was enormous.

The consequences of the Muslim victory over the Roman legions at Al-Faradh had far reaching repercussions and implications. The Roman legions with their reputation as an invincible military power, were defeated by a much smaller Muslim force that was far removed from its mother land. A force that had already achieved in several successive encounters decisive triumph over Persian and nomad tribal forces in Iraq. This Muslim military leadership and infrastructure of men and their system of belief, had the zeal and agility of spirit to infilterate and remain triumphant in alien territory for more than one year. These Muslim forces crowned their spectacular victories over the Persians and nomad tribes in Iraq; by reaching Al-Faradh facing the Romans in Syria, and defeating them on their own grounds in the first Roman-Muslim confrontation. The astounding achievements of the Muslims instigated the Romans in Syria and the Persians in Iraq to reconsider matters with a different perspective, since their prestigious authority was affected by Muslim presence in these regions. Abu Bakre as the planner and founder of the Muslim strategy at home and across the border was also evaluating the situation in wisdom and precognitive intelligent profoundness.

Khalid ibn Al-Walid remained at Al-Faradh after the defeat of the Roman forces, for two weeks; and announced the return of his forces to Al-Hirah. The time was the second half of Zu Al-Qidah, and Khalid felt an unresisting desire to perform pilgrimage to visit and adorn the holy shine of the Kabbah in Makkah; the annual season of pilgrimage was nearing in the following month of Zu Al-Hijjah. He decided to go, unable to overcome the driving force that overwhelmed his entire self. His absence might drive his enemies to indulge in a military enterprise against the Muslim forces; and upon this probability he decided to keep his absence on pilgrimage secret. Khalid did not dare to inform Abu Bakre of his intentions, and was ready to bear the consequence of such unpredicted conduct on his part. Khalid earnestly hoped for pardon from Abu Bakre in lieu of his surmounting victories in Iraq. Khalid spread news among his men that he was leading the vanguard flank of the army on its way back to Al-Hirah. With few of his men, Khalid speeded to Makkah, performed pilgrimage and completed its functional rituals, and returned to his army at Al-Hirah at the time when the rear battalions

iraq, left the ground open infront of the triumphant Muslim forces. These forces moved freely without opposition or resistance along the bank of the Euphrates river, travelling north to reach Al-Faradh on the boundaries between Iraq and Syria. The Muslim administration at Al-Madinah had never considered to reach a position of such had never considered to reach a position of such strategic criticality, a position between the Persian occupied Iraq and the Roman occupied Syria. Abu Bakre Al-Siddiq himself when he first conceded to Al-Muthana ibn Harithah to infilterate with his troops into Iraq, and further supporting him with Khalid ibn Al-Walid; never at that time planned or imagined that Muslim forces would occupy such territories deep north into Iraq, to become at a stone-throw distance from the Roman Legions in Syria at that time. Nevertheless, the Roman presence in Syria never left the mind of Abu Bakre, and had always remained a major issue in his thinking and deliberation. Sending Muslim forces under Ayyadh ibn Ghanm to Doumat Al-Gundel to subdue rebels was certainly to secure the northern borders of the Arab Peninsula against any tendency of Roman expansion. Doumat Al-Gundel was at the head of the road to Al-Hirah in Iraq, and at the mouth of Wadi Sarhan which leads to Syria. A city of such geographical strategy is justified to gain the optimal importance in the Muslim security strategy. From the days of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him; to the time of Abu Bakre who afforded to leave Muslim forces there under the command of Ayyad ibn Ghanm for a whole year.

Khalid ibn Al-Walid remained with the Muslim forces at Al-Faradh for one month, such unsurpassed confidence of a leader. The Persians in Iraq to the East, the Romans in Syria to the West, and the alien scattered defeated nomad tribes swarming the whole land between Al-Faradh and Doumat Al-Gundel. The Roman forces neighbouring Al-Faradh resented the long stay of the Muslims. This resentment was accentuated by the humiliated enmity of the tribes of Taghleb, Al-Namre and Iyyad, who proded the Romans to confront the Muslims. The Roman legions moved to the west bank of the Euphrates river opposite the Muslim forces camped on the east bank. The Roman leaders negotiated with Khalid which party was to cross the river, and Khalid answered that the Romans were to cross the river if they wanted to confront the Muslim forces in battle. The Roman legions crossed, and as they did so, Khalid arranged his forces and prepared his men for battle. As the Romans reached the east bank, the Muslims were ready for them, working their swords into their shoulders. The Roman legions and their supports greatly outnumbered the Muslim forces, and were able to achieve good footing on the east bank of the river, and were capable of resisting the Muslim forces and making a stand against them. The fighting appeared

tribes now at Doumat Al-Gundel became twice their number, many retreating tribes from Al-Hirah, Al-Anbar, and Ein Al-Tamre gathered at Doumat Al-Gundel to oppose tne Muslim forces under the command of Ayyadh in revenge for their previous defeats against Muslims under Khalid. When the news reached Doumat Al-Gundel that Khalid was approaching, the heads of the tribes disputed in their decision of how to confront the Muslim forces under Khalid ibn Al-Walid, who became a legend for victory on the battlefield.

Akaydir ibn Abd Al-Malik Al-Kandii was the ruler of Doumat Al-Gundel, and was the one to lead the mutiny against Al-Madinah. Ibn Abd Al-Malik had previously experienced the skill and strategic dimensions and capabilities of Khalid during the Expedition to Tabuk at the times of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Akaydir ibn Abd Al-Malik convened with the heads of tribes and advised them to make truce with Khalid.The tribes refused and insisted to confront Khalid, under the leadership of Al-Zudii ibn Rabeeah. Akayder surrendered himself to Khalid, and was sent prisoner to Abu Bakre at Al-Madinah. Khalid ibn Al-Walid appraoched Doumat Al-Gundel leaving the city between his forces and those of Ayyadh ibn Ghanm. The battle started, Khalid fighting the tribes confronting his forces, and Ayyadh fighting those opposing his forces. The Muslim forces on both fronts were victors and defeated the tribes, attacked their fortifications and compelled them to surrender to the triumphant Muslim forces. After the victory at Doumat Al-Gundel, Khalid ordered Al-Aqra ibn Habis to return to Al-Anbar.

The absence of Khalid ibn Al-Walid away from Iraq, motivated the Persians and the tribes supporting them to find that a suitable chance for them to insurge against the Muslim forces at their various locations. On hearing these news, Khalid speeded back together with Ayyadh ibn Ghanm. On reaching Al-Hirah, Khalid appointed Ayyadh to defend Al-Hirah, and ordered Al-Qaqa ibn Amre to confront the consortium of insurgent forces of Persians and tribes. Khalid decided to raid the tribe of Taghleb personally in its dewllings, being the largest tribe leading the uprising against the Muslims. Al-Qaqa defeated the Persian forces who were scattered and massacred in the retreat. In the meantime, the Muslim forces was now ready to deal with the tribe of Taghleb who were also completely defeated in their dwellings. The spoils of war were collected, distributed among the Muslim worriors with one fifth sent to Al-Madinah.

The conclusive defeat of the Persian forces and supporting tribes of Huzayl and Taghleb in this region of

authorized Al-Qaqaa ibn Amre Al-Tamimi to command the Muslim troops remaining at Al-Hirah. He moved north with the main bulk of his forces along the bank of the Euphrates river towards Al-Anbar, with Al-Aqra ibn Habis commanding the vanguard. The Muslim forces besieged the city of Al-Anbar for sometime, till the Persian commander Shirzad finally capitulated, and surrendered the city to the Muslims. Khalid gave the command of the city to Al-Zuberqan ibn Badre, and moved with his forces west to Ein Al-Tamre.

The Muslim forces reached Ein Al-Tamre after three days of rugged toilsome travel across desert country. Mihram ibn Bahram commanded the Persian forces at Ein Al-Tamre. The Persian forces were supported by several nomad tribes under Oqqah ibn Abi Oqqah. It was agreed that the nomad tribes under Oqqah would confront the Muslim forces at the start, and that the Persian forces would join the battle later if there was need for that. The tribal forces under Oqqah attacked the Muslim army, but were defeated and retreated followed by Muslim forces. When Mihran saw the defeat of the tribes, he escaped while protected by some of his men. The Muslim forces stormed the forticfications of the Persian and occupied the fortifications of Ein Al-Tamre. Most of the occupants of these fortifications were killed, except forty children in a private enclosure in the fortress studying the Holy Bible. The progeny of some of these youngesters later became leading figures in Islamic theology as Muhammad ibn Sirrin, and the hero conquerer of Al-Andalus in Spain, Mousa ibn Nussayr. After Khalid ibn Al-Walid established Muslim occupation of Al-Anbar and Ein Al-Tamre, he send one fifth of the spoils of battle to Al-Madinah with Al-Walid ibn Oqbah as special envoy to Abu Bakre. Al-Walid related to Abu Bakre the details of the situation in Iraq during that year that passed at Al-Hirah. Abu Bakre became more anxious about the situation at Doumat Al-Gundel, and therefore dispatched Al-Walid ibn Oqbah with reinforcements to support the situation of Ayyadh at Doumat Al-Gundel.

Al-Walid ibn Oqbah found Ayyadh in a stagnant situation, with the rebel tribes having the upper hand from the strategic standpoint. Al-Walid discussed the situation with Ayyadh, and finally adviced him to send for Khalid ibn Al-Walid. The messenger of Ayyadh reached Ein Al-Tamre the same day that Khalid had captured the city. Khalid was thrilled and immediately arranged to march to Ayyadh at Doumat Al-Gundel three hundred miles south west of Ein Al-Tamre. Khalid wrote to Abu Bakre of the situation, appointed Owaym ibn Al-Kahil Al-Asslami in command of Ein Al-Tamre, and marched with his troops in the direction of Doumat Al-Gundel, across a vast expanse of rough desert to reach Ayyadh in ten days. The

ABU BAKRE AL- SIDDIQ

THE IRAQ CRUSADE

PART II

By :

Anas Moustafa EL- Naggar, M.D., Ph.D

Al-Hirah was established as the nucleus of Muslim activity in Iraq, and the stronghold of their military strategy. The civil administration was governed totally by members of the inhabitants of Al-Hirah with complete authority to govern the affairs of the population. Khalid ibn Al-Walid as commander of the Muslim forces in Iraq was basically concerned with Persian military movements, and the position of the nomad tribes who supported Persian presence in Iraq. Khalid remained for one year at Al-Hirah as instructed by the Khalifah Abu Bakre Al-Siddiq. His orderes were to remain at Al-Hirah until Ayyadh ibn Ghanm had finished with the mutiny of some tribes at Doumat Al-Gundel; and to proceed together to Al-Mada'in the capital of the Persian - occupied - Iraq. Ayyadh ibn Ghanm was not successful in subjugating the rebel tribes at Doumat Al-Gundel. This situation was very disappointing, and detered the progress of the Muslim crusade in Iraq. Khalid ibn Al-Walid became restless after remaining a whole year at Al-Hirah without any combat activity. He considered that a waste of time and resources, however, he could never disobey Abu Bakre and move to Al-Mada'in alone, without Ayyadh ibn Ghanm.

During that period of restlessness and deliberation, Khalid ibn Al-Walid received news that massive Persian troop movements was taking place around the districts of Al-Anbar and Ein Al-Tamre north of Al-Hirah. Khalid considered that strong Persian forces in this district threatened the Muslims at Al-Hirah and all the occupied territories south; also, such forces would render the capture of Al-Mada'in a very difficult task. These considerations motivated Khalid to move out of Al-Hirah towards Al-Anbar; and since he was not moving to Al-Mada'in he would not be disobeying the authority invested in Abu Bakre as Khalifah. Khalid ibn Al-Walid

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 61, Part IV

Rabie Al-Akhar, 1409, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

==

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq.

The Iraq Crusade, Part II.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.

There is no god save Allah.

By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

3. Supplications from the Holy Quran.

Collected by: Fatimah Muhammad Sirry.

Preparation of the Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ
ديسمبر ١٩٨٨ م
الجزء الخامس
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الجوار في الإسلام

رأينا : كيف صاحب « الجوار » الدعوة ؛ بل كيف احتواها فعملت في إطاره على مراحلها المختلفة منذ بدأ - عليه الصلاة والسلام - الدعوة الجهرية .

لقد كان « الجوار » في كُلّ درع الدعوة وغطاءها .

وهو درع وغطاء كشفت عنه « السيرة النبوية الشريفة » بكل وضوح ؛ فلا غرو أن يكون وَضْعُه درسا للدعاة .

ثم استقر الأمر :

فصار « الجوار » واحدا من معالم السياسة الخارجية في الإسلام ، ذلك أنه « عهد » ينتظم في سلك ما للدولة من حق في إبرام العهود المختلفة التي تهدف - جميعا - إلى ما فيه نفع للمسلمين ورفعة شأنهم : أمنا وعيشا ودفاعا .

الجوار فى الاسلام

والجوار - دون شك - جامع لكثير من مكارم الأخلاق ؛ فإنه يعنى حماية إنسان - أو جماعة - نَفْساً وعرضا واهلا ومالا .

ثم هو - من بعد - ضرورة تواجه الدولة فى شئون لا تجد بدأ من إمضائها .

ثم هو - فى مقدمة ذلك كله - واحد من سُبُل الدعوة إلى الله - تعالى - وتيسير بلاغها للناس ، يقول الحق - جل وعلا :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ التوبة ٦ .

والآية الكريمة وردت فيمن بينهم وبين المسلمين حرب ، أى فى الحَرْبِيِّين ، وهى تعنى : أن فَرْدا ، أو اكثر ، منهم لا علم له بالإسلام ، ويود أن يعلمه من مصادره الأمينة ، فيتقدم إلى المسلمين طالبا دخول بلادهم ليتعلمه ويفقهه ، فوجب عليهم :

أ - الإذن له بالدخول وحمايته .

ب - والإذن له بالإقامة .

جـ - وبيان ما جاء من اجله .

د - ثم توفير الأمن له حتى يخرج من البلاد سالما حتى مأمنه(١) .

والآية الكريمة واضحة فى وجوب توفير تلك الإجراءات جميعا ، فضلاً عن طلبها تعليمه ، وقد وضعت الأساس فى « حق الإقامة » و « مقدارها » كما يراه ولى الأمر .

ثم صار لها اغراض كثيرة : كأداء رسالة ، أو تجارة ، أو طلب صلح أو هدنة ، فكل

---

(١) فإذا هداه الله - سبحانه - إلى الإسلام - اثناء إقامته - صار واحدا من المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم .

رسول بأمر من هذه أو غيرها مما فيه مصلحة الدولة والمسلمين ينبغى « الإذن » له وتأمينه حتى يؤدى رسالته فى « جوار » إسلامى تام ، وحصانة كاملة شريطة أن يلتزم باحترام شعائر الإسلام ـ مدة إقامته ـ فلا يستبيح ببلادنا منكرا من الأمور ، أو يعمل على الإضرار بها ، وتلك شروط لا حيف فيها ، فلازلنا نسمع ونقرأ عن طرد « دبلوماسيين » لقيامهم بالتجسس فى البلد المضيف .

قال ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ فى تفسير الآية : « أى إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله ، وتنتشر دعوة الله فى عباده » .

وَنَقَلَ عن مجاهد ـ رضى الله عنه ـ قوله :

إنسان يأتيك ليسمع ما تقول ، وما أُنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فَتُسْمِعَه كلام الله وحتى يبلغ مأمنه .

قال ابن كثير ـ تعقيبا على ذلك :

« ومن هذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعطى الأمان لمن جاءه مسترشداً أو فى رسالة . كما جاءه ـ يوم الحديبية ـ جماعة من الرسل من قريش ، منهم : عروة بن مسعود ، ومكرز بن حفص ، وسهيل بن عمرو وغيرهم ، واحدا بعد واحد يترددون فى القضية بينه وبين المشركين فرأوا من إعظام المسلمين رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند مَلِكٍ ولا قيصر ، فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك . وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم .

ولهذا لما قَدِم رسولُ مسيلمة الكذاب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له ـ عليه الصلاة والسلام :

اتشهد ان مسيلمة رسول الله ؟

قال : نعم .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« لولا أن الرسل لا تقتل لضربتُ عنقك » .

وتلك حصانة فى أمر الرسل صريحة .

قال ابن كثير :

« والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام فى أداء رسالة او تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب ، وطلب من الإمام ، أو نائبه ، أماناً أعطى أمانا مادام متردداً فى دار الإسلام وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه » .

ولعلمائنا ـ رضوان الله عليهم ـ بشأن الإقامة تفصيل يتناول :

أ ـ مدتها .

ب ـ وحال طالبها : حربيا كان أم معاهدا .

ولهم فى ذلك فِقْهٌ دولى لم يُسْبَقُوا إليه .

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

كلمة شيخ الأزهر في المؤتمر العالمي الخامس للطب الإسلامي

كلمة شيخ الأزهر عن حقوق الطفل في الإسلام

بيان الأزهر والمجلس الإسلامي العالمي

الدولة الفلسطينية

الدولة الفلسطينية

أمل فى الأفق

تواترت الانباء فى الصباح الباكر ليوم الثلاثاء الخامس من ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ ، ١٥ من نوفمبر ١٩٨٨ م ، بأن المجلس الوطنى الفلسطينى قد اصدر قراراً بالإجماع بإعلان قيام الدولة الفلسطينية تحت الاحتلال استنادا إلى الحقوق التاريخية والطبيعية للشعب الفلسطينى وعلى الشرعية الدولية المتمثلة فى قرار الامم المتحدة رقم ١٨١ الصادر فى نوفمبر ١٩٤٧ والخاص بتقسيم أرض فلسطين تحت الانتداب البريطانى إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية .

إن مجرد صدور القرار بالإجماع من المنظمات الفلسطينية ابرز املا وضعه فى الافق العالمى ترنو إليه ابصار أمة طالما نادت به ، وتنادت إليه ، تلك امة الإسلام عربها وعجمها ، أسودها وابيضها ، تحتويه القلوب التى فى الصدور ، تحنو عليه وترتجيه ، باعتبار ان هذه الدولة الفلسطينية ستكون ردءا وحمى لهؤلاء المشردين من العرب ، المنتظرين للعودة إلى تراب فلسطين ومقدساتها ، إلى ارض المجد والجهاد ، ارض كان إليها الإسراء ومنها المعراج ، وكانت عليها صلاة الأنبياء بإمامة رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

إن إعلان الدولة الفلسطينية : قرار ترقبه العرب والمسلمون كافة ، بل وأحرار الناس فى كافة أنحاء الأرض فى زمن تعالت فيه الأصوات وتكاثرت المواثيق التى تتنادى بحقوق الإنسان وبحق تقرير المصير للشعوب ، ومن المؤسف أن أغنياء زعماء بنى الإنسان فى هذا العصر أخذوا هذه الزعامة بالقوة والإرهاب ، وهم الذين تعلو أصواتهم إعلاناً عن هذه الحقوق ، وفى الوقت ذاته ، هم أولئك الذين استعبدوا الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً وهم الذين استنزفوا خزائن الأرض لدى الشعوب التى وقعت فريسة بغيهم وعدوانهم ، وحين رحلوا تركوها وقد نشروا فيها الفساد وبدلوا الأعراف والعادات ، وهزءوا بالقيم التى كانت سمة لهذه الشعوب .

وقد كانت فلسطين من هذه البقاع التى منيت بهذا الاستعباد . وما رحل عنها الانتداب

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

البريطانى إلا وقد سلمها للصهيونية تحقق عليها أحلامها ﴿ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾ وطغوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد .

كل ذلك قد كان بعد إذ اختلف أهل فلسطين على أنفسهم ، وغفلوا عن حماية أرضهم وعرضهم ورحلوا يبتغون الأمن والأمان فى أى مكان .

ولكن جيل « أطفال الحجارة » أشعلوا الثورة وأضاءوا الشعلة . التى تعيد النور إلى الصدور وتقود إلى استرداد الحق وتطهير الأرض وحماية العرض ، وفك إسار القدس ..

هذه ثورة أطفال الحجارة التى شبت عن الطوق بعامها الأول واجتمع حولها الكبار بالإكبار والإجلال يزكون نهجها ويمدونها بما ينميها ويشد من أزرها .

وها هى هذه الثورة تبنت ذلك الأمل الذى بدا فى الأفق « الدولة الفلسطينية » والتى سارعت أمتها باحتضانها فى المحافل الدولية تثبت أقدامها وتعلى من شأنها ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ . وهذا شأن الامتثال لأوامر القرآن ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

وإن الأزهر الشريف ـ وقد التقى غداة هذا القرار بالزعيم الفلسطينى « ياسر عرفات ، أبى عمار » ـ ليؤكد على أن قرار المجلس الوطنى الفلسطينى قد جاء فى أوانه وأن ثماره دانية القطوف إذا ما اتحدت كلمة المنظمات الفلسطينية واتحد زعماؤها داخل الأرض العربية المحتلة وخارجها على جعل هذا الأمل واقعاً ذا كيان ، مصونا من العبث والنكوص . وإذا ما التزموا بأمر الله سبحانه ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

لا سيما وقد جربوا التنازع الذى توالت نكباته والشقاق الذى تناثرت به الجهود ، وتفرقت عليه القوى ، وعليهم أن يلتزموا الوفاء بالعهود وبالعقود ، والا يتركوا مجاهدى « الحجارة » الذين أذكوا النار ـ نار الثورة لاسترداد الحق ـ بعد أن أهيل عليها التراب .. الا يتركوا هؤلاء للضياع فقد صيروا الحلم أملاً بزغ فى الأفق فليجعلوه واقعاً تسترد به القدس ، وتقام به الدولة الفلسطينية لتكون خطوة متقدمة نحو النصر الكبير الذى يترقبه المسلمون ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

بيان للإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف

بشأن مفتريات بريطاني هندي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

وبعد :

فقد ورد إلى الأزهر الشريف أنه صدر في بريطانيا كتاب بعنوان « آيات شيطانية Satanic Verses » لمن يدعى / سليمان رشدي - من أصل هندي ويحمل الجنسية البريطانية يتعرض التجريح لسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ ، ويسيء إلى زوجاته وأصحابه رضي الله عنهم . في أسلوب قصصي : فيه أكاذيب وافتراءات من وهم الخيال لبعدها عن حقائق الإسلام .

ويبدو أن ما دفعه إلى هذا حنق الملاحدة على الإسلام ، والرغبة في الارتزاق من أيدي أعداء هذا الدين الحنيف .

ولقد أثار هذا الكتاب قلق الأوساط الإسلامية في بريطانيا فنهضت الجمعيات والمنظمات الإسلامية هناك للنشر تنديداً بالكتاب ، وتعريفا بما يحمله صاحبه في قلبه من سوء ، ثم رفعت إلى القضاء دعوى ضد دار النشر التي تعاونت معه .

ولقد عقد كل من مجلس سفراء الجامعة العربية ، ومجلس أمناء المركز الإسلامي في بريطانيا جلسات خاصة لاتخاذ مايجب عمله تجاه هذا الجرم الصريح .

وإن الأزهر الشريف ثقة منه بهذه الأنباء التي تواترت عما يحمله هذا الكاتب وكتابه من سوء المقال عن الإسلام ورسوله ﷺ وآل بيته وصحبه ليدعو الهيئات والمؤسسات الإسلامية في بريطانيا إلى التضامن نحو اتخاذ الإجراءات القانونية لمنع تداول هذا الكتاب .

كما يدعو الدول الإسلامية والعربية إلى حظر دخول الكتاب إليها وإلى مقاطعة دار النشر التي أصدرته ومنع مطبوعاتها من التداول في البلاد الإسلامية .

ويدعو الأزهر الشريف منظمة المؤتمر الإسلامي إلى أن تأخذ دورها في مواجهة مثل هذا التزييف لتاريخ الإسلام وحقائق سيرة رسول الله ﷺ .

ويشكر الأزهر كلا من حكومة باكستان وحكومة الهند على مسارعتهما إلى التقرير بمنع دخول هذا الكتاب وحظر تداوله بالبلدين .

ويدعو الأزهر الشريف كافة الهيئات والمؤسسات الإسلامية أعضاء المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة للقيام بما يجب إزاء هذا النشر الخبيث ، وإلى حين اجتماع هيئة رئاسة هذا المجلس في الشهر القادم .

هذا : ولخطورة المعلومات التي وردت إلى الأزهر عن هذا الكتاب وكاتبه ، ومافيه من إلحاد وأباطيل عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ وآله وأصحابه قد وُجِّهَتْ الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية إلى اتخاذ إجراءاتها لمنع دخول هذا الكتاب إلى جمهورية مصر العربية وحظر تداوله فيها .

كلمة شيخ الأزهر في

المؤتمر العالمي الخامس للطب الإسلامي

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فإن هذا المؤتمر الذى حظى بهذه النخبة الممتازة من العلماء الذين أفاء الله عليهم بالعلوم والمعارف المتنوعة ، ترتاد بحوثهم ومحاضراتهم وحوارهم ، جوانب عامة وهامة ، تتصل بالحياة الإنسانية ، وتتواصل مع التراث العلمى للإنسان ، ولاسيما ذلك الذى خلفه علماء الإسلام ، وكان زادا وعماداً لهذه الحضارة التى يتسابق العالم على تنميتها وامتداد ازدهارها والتخفيف من آثارها التى أنتجت الكثير من رسائل التدمير للإنسان ولكل ذى حياة على أرض الله .

وها هم السادة الأجلاء المشاركون فى إثراء هذا المؤتمر ، بل هذين المؤتمرين :

المؤتمر العالمى الخامس للطب الإسلامى .. والمؤتمر الثانى للإعجاز الطبى فى القرآن ..

يوجهون فى بحوثهم الدراسات الطبية إلى التواصل مع التراث الإسلامى الطبى والتلازم بين الفقه الإسلامى والدراسات الطبية المتنوعة من جراحات وعلاج ودواء ووقاية ، لمواجهة أمراض وأوبئة العصر والتعرف على أسبابها الواقعية والنفسية ودور المسجد فى الوقاية منها أو من بعضها ، ومواجهة الإسلام للجرائم : وقاية وعلاجا ، ومسئولية الكلمة وأمانتها وخطر التفريط والإفراط فى تجاوز أعبائها ، حيث قد تقود حرية التعبير إلى التدمير ، وإلى التحلل من كل القيم التى تهدى ولا تضل ، وتعصم ولا تفصم .

إن الأمل معقود أن تنبه البحوث والدراسات إلى ماحاق ويحيق بالإنسانية فى هذا العصر الذى تتسارع خطواته إلى استكشاف ما أودعه الله من أسرار فى مخلوقاته .. لا للانتفاع بها فى مسرات الإنسان المباحة فحسب ـ بل تخطت هذا إلى ابتكار أسباب وأساليب التدمير المتنوعة .

الأمر الذى يوجب على هذا المؤتمر وغيره من المؤتمرات العلمية .. أن تعمل على تصويب مسار الحضارة المعاصرة سلما وعلما ، واستمساكا بالقيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية ، بعد أن استشرت الإباحية ، وانتشرت وظهرت الأوبئة والأمراض والأوجاع التى لم تعهدها الإنسانية فى تاريخها الطويل .

إن واجب العلماء أن يواجهوا هذا الواقع بالعلم والدين ، وبنشر الخلق القويم ، ولنواجه المشكلات التى تزاحمت فى المجتمع الإسلامى بالفحص الدقيق ، والتحليل الذى يستكشف كنه الداء حتى نصف الدواء الذى به يكون الشفاء بإذن الله .

ولقد كان للسلف من علماء المسلمين جهد كبير فى دراسة علم الطب وعلم الأدوية ، وتناقلوا أثرا يقول : العلم علمان : علم الأبدان ، وعلم الأديان ، ولقد ساوى الإمام الغزالى بين علم الطب وعلم الفقه ، باعتبار أن الأول يبحث عن صحة جسد الإنسان وصلاحه ، والفقه يحدد أمور صلاح دينه ودنياه ، ومن المأثور عن العز بن عبد السلام :

(إن الطب كالشرع وضع لجلب مصالح السلامة والعافية ، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام) ..

وسبحان الله القائل : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

* فترة انعقاد المؤتمر ١٠ ـ ١٣ من ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ ٢٠ ـ ٢٣ من نوفمبر ١٩٨٨ م .

كلمة شيخ الأزهر عن

حقوق الطفل في الإسلام

وتحفظاته على مشروع الأمم المتحدة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ ..
وبعد :

يسرنى أن أشرف بالمشاركة فى افتتاح (المؤتمر القومى حول مشروع الأمم المتحدة لحقوق الطفل) .
ويسعدنى أن أحيى هذا الحفل الكريم الذى اكتمل عقده لهدف إنسانى نبيل هو تقنين حقوق الطفل الإنسانى ، أى طفل من أى لون وأية جنسية ، وأية لغة ، فقيرا كان أو غنيا ينتمى إلى الأقوياء فى العالم أو إلى ضعفائه .

هذا المؤتمر الذى تنادت إلى الدعوة إليه . الجمعية المصرية للطب والقانون والرابطة المصرية للقانون الدولى بالتعاون مع المجلس القومى للطفولة والأمومة ومنظمة الأمم المتحدة للأطفال (اليونيسف) .

إن هذا المؤتمر إنما ينعقد لتأصيل حقوق الطفل وتقنينها على المستوى الدولى للإنسانية ورعاية تنفيذها ، واستدراك ماقد يكون من قصور أو تقصير فى العناية بالأطفال فى بعض المجتمعات الإنسانية ، وتدارك مايقع فى بعض هذه المجتمعات من إفراط فى الرفاهية وفى الحرمان منها على السواء .

وهذه ولاشك غاية محمودة ينبغى أن يجدَّ المجتمع الدولى فى الوصول إليها قصداً إلى تعميق الصلات الإنسانية ، ووصولاً بالإنسان كل الإنسان إلى التقارب ، والتساند والتعاون ، بدلا من التقاطع والتخاصم ..

إن الإسلام قد احتفى بالإنسان وكرمه ، وأصل ، وفصل حقوقه فى مراحل حياته المختلفة .
حيث أوجب أن ينشأ طفل الإنسان (حملا) فى ظل عقد زواج صحيح شرعى وحدد حقوقه قبل والديه من قبل ولادته ومن بعدها ، فله ذمته المالية - وهو حمل - فهو يرث ممن يتوفون قبل ولادته ، وتصح الهبة والوصية له ويتحمل فى ماله كافة الحقوق التى على الإنسان للغير كالنفقة وتمتد حقوقه - وهو بعد جنين حمل مستكن- فتتكاثر بسببه الواجبات على أمه الحامل رحمة من الله لهذا الإنسان ، وعلى أبيه نفقة ورعاية لهذه الأم الحامل وبسببه خفف الإسلام من بعض الالتزامات على الأم الحامل ، فقد رخص لها بالإفطار فى شهر رمضان متى خافت من الصوم ضررا على نفسها وحملها ، وفى الصلاة خففت عنها بعض شروطها واعتبرتها من أصحاب الأعذار بسبب الحمل وتربيته فيما بعد ولادته .

وحدد الإسلام واجبات كل من الأبوين نحو الأطفال فى مراحل العمر المختلفة وأناط بهما التعليم والتأديب مع الحنو والتلطف .

ووجه الإسلام إلى العناية بالتنمية العقلية والسلوكية للأطفال وتقويمها ، وتعويد الطفل تحمل المسئولية متى بلغ سن التمييز ، وأوجب العدل فى التعامل والرعاية للأطفال .

ووجه إلى العناية بالمعوقين والمتخلفين وضرورة تأهيلهم للحياة بما يتناسب وقدراتهم . ونظم الإسلام تبادل أدوار المسئولية عن الطفل بين الأبوين منذ ولادته ، وحتى يصير إنسانا سويا رشيداً يواجه أمور الحياة بنفسه ، ورعى الإسلام فى شريعته اليتامى واللقطاء حيث حث على إحسان تربيتهم وتعليمهم وحفظ وتنمية أموالهم ، وتمكينهم من كل حظوظ النجاح فى الحياة كغيرهم من الأطفال مع الرعاية والعناية والعطف والحنان .

إن الطفل أجمل زهرة فى حديقة الحضارة والحياة الإنسانية .. ومن هنا كان حقه فى الحياة والرعاية بتقديم الطعام الصحى المناسب ، والتربية التى تؤهله للعمل الذى يكتسب به رزقه بالطرق المشروعة ، والمعاملة التى طابعها الحب والحنو .

وإذا كان هذا المؤتمر ينعقد اليوم تتابعاً لانعقاد مؤتمرات وندوات سابقة للحوار حول مشروع اتفاقية دولية لحقوق الطفل التى لم يغفلها الإسلام ، فإنى أستأذن حضراتكم فى التحفظ ـ باسم الإسلام ـ على ماجاء بالمواد : السابعة ، والسابعة مكرر والعاشرة ، والحادية عشرة .

ذلك لأن نصوص تلك المواد قد أطلقت للطفل حرية التعبير بشتى طرقها وحرية الدين ، كما أطلقت حرية التبنى . وهى بهذا قد أغفلت مايلتزم به المسلمون من حماية للعقيدة والشريعة الإسلامية . عملا على إقرارها واستقرارها فى قلوب الأطفال المسلمين ، لاسيما واصطلاح النظام العام الوارد فى المادة السابعة بين المحميات اصطلاح لم يتفق واضعوه على تحديد مفهومه ومداه .

ولأن القول بحرية الدين للطفل يدعو إلى التحلل والتخلى عن الدين ، والإسلام يقرر أن الطفل يتبع خير الأبوين دينا ..
ولأن التبنى يرد فى الإسلام على صورتين :

إحداهما : استلحاق شخص معروف النسب إلى غير أبيه ..
والأخرى : استلحاق مجهول النسب يجعله ابنا للمقر بنسبه . مع أنه ليس كذلك فى الحقيقة والواقع .

والإسلام حرم التبنى فى هاتين الصورتين بنص القرآن الكريم .
وهذا لا يمنع من رعاية طفل مجهول النسب أو معروفه ـ رعايته ـ بالتربية والتعليم والإنفاق وبالوصية له والهبة إليه ، كل ذلك مباح دون تغيير لنسبه إن كان معلوما أو استلحاقه بنسب الغير إن كان مجهولا .

ذلك لأن الإسلام دعوة إلى الخير والبر والإحسان والتعاون على البر والتقوى ، فهو لا يمنع رعاية الطفل اللقيط ، بل يحث على العناية به والمحافظة على حياته وكفالته ، ويجرم كل اعتداء أو إهمال يضر به ، أو يودى بحياته .

ثم ملحوظة عامة على الصياغة التى عرض بها المشروع باللغة العربية إذ ينبغى أن يعاد النظر فى صياغة بعض النصوص على وجه يؤدى إلى تحديد مفهومها فى نطاق مفردات وأساليب التعبير العربى ، متوافقا مع مايكون فى اللغات الأخرى المعتمدة لتحرير الاتفاقات الدولية .

هذه كلمة عاجلة ، إثر قراءة عابرة لمشروع اتفاقية دولية لحقوق الطفل ألمحت فيها إلى بعض معالم حقوق الطفل فى الإسلام وأهم مالوحظ على نصوص هذا المشروع .

والأمل أن يجرى حوار المؤتمر فى رفق وأناة يتناسب مع حقوق الطفل زهرة امتداد الحياة الإنسانية دون أن يغفل الدين وأثره البالغ فى الرعاية والعناية بنمو هذه الأزهار وتقويمها ومبلغ علمى أن الإسلام قد أصل وفصل فى هذا المجال ، وصوب ماوقعت فيه الإنسانية من قبله ومن بعده من أخطاء نحو الأطفال مما لا يتسع الوقت لعرض مثل منها ، وانصح الباحثين والمؤتمرين أن يتخذوا من شريعة الإسلام سنداً ومدداً ففيها الدواء لكل داء والحكم العدل لكل قضية .
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ . .

بيان الأزهر والمجلس الإسلامي العالمي
بمناسبة

الانقلاب الغاشم

على المالديف يوم الخميس ٣ ١١ ٨٨

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه .

لقد تحدثت وكالات الأنباء والصحف أمس عن الأحداث التى تعرضت لها المالديف من عدوان أثم لطائفة من المرتزقة على - مالى - عاصمة هذا البلد الوادع الآمن المسلم الذى أقام بناءه على الإسلام ، والقرآن ، والذى يجاهد رئيسه الرئيس مأمون عبد القيوم ، وصحبه ، فى سبيل تنميته بالعلم والتعليم والإيمان .

ولقد تحدثت الأنباء عن احتجاز عدد من الرهائن يبلغ نحو الألفين ، بينهم عدد من الوزراء ، كما تحدثت عن سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى ومايتبع هذا من تخريب وترويع للآمنين الضعفاء من ابناء مالاديف .

وإن المسئولية الآن - كل المسئولية - تنادى الشعوب الإسلامية كافة ، والزعماء خاصة ، أن يسارعوا إلى مساندة هذه الدولة المسلمة وهذا البلد الذى يُرفع فيه الأذان ويتلى القرآن ، هذا البلد الذى يجاهد لإعلاء كلمة الله فى ظلمات المحيط وآفاق البحار .

إن الأزهر الشريف ليدعو الأمة الإسلامية والشعوب والهيئات والزعماء والحكومات إلى الانتصار للحق ، وَجمع الكلمة واتخاذ موقف حازم ، وحاسم لإعادة الأمن المُرَوَّع فى المالديف ، وأن يسارعوا إلى إسعاف هذا الشعب ورئيسه وحكومته بالتأييد والمعونة المادية والمعنوية حتى يتمكن من دفع هذا العدوان وردعه .

وإنه باسم المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة أدعو الهيئات الإسلامية كافة إلى العمل على نجدة إخواننا فى المالديف ودفع الضر عنهم ، وشد أزرهم حتى نرضى الله ورسوله عملا بوصيته ﷺ .

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

وإنه باسم الأزهر الشريف ، وباسم المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة أدعو منظمة المؤتمر الإسلامى إلى المبادرة للوقوف بجانب المالديف ، ومساندتها للحفاظ على أمنه واستقلالها بكافة الوسائل التى تملكها ، وحث الحكومات الإسلامية وكافة المسلمين على البذل والعطاء لنجدة وإغاثة هذا الشعب المسلم .

وإنه باسم الأزهر الشريف وباسم المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة أهيب بشعب المالديف ورئيسه وحكومته أن يكونوا صفا واحداً فى رد العدوان عن أرضهم ، وأن يحافظوا على وحدتهم ، وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا وان يعلموا أن المحنة : منحة من الله لأَخْذِ الأهبة للجهاد والتضحية ، ولتجديد الثقة بالنفس والتوكل على الله سبحانه بعد الأخذ بأسباب النصر .

والله معكم - وإن تنصروا الله ينصركم .

شيخ الأزهر ورئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة
جاد الحق على جاد الحق

من النفس اللوامة

إلى العمل الصالح

قد تعجب من ان (النفس الأمارة بالسوء) جهاز إرسال واستقبال فى وقت واحد ، فهى التى تامر ، وهى التى تستقبل الامر لتاتمر به وتنفذه .

وقد تعجب من ان (النفس اللوامة) جهاز إرسال واستقبال ايضاً ، فهى التى تلوم وهى التى تستقبل اللوم لتصغى إليه ، وتنتفع به .

ولكن لماذا العجب ؟ والنفس فى لغة العرب تطلق على الروح ، وعلى الجسد ، وعلى الإنسان جسدا وروحا . والله تعالى يقول فى سورة الزمر : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ أى من آدم أبى البشر .

ما انت إلا نفسك ، وما نفسك إلا أنت . فمن نفسك إلى نفسك الأمر بالسوء ، ومن نفسك إلى نفسك اللوم على ما يوجب اللوم .

وكل ذى عقيدة صحيحة يشعر فى داخله بأن له من نفسه على نفسه رقيبا هو الضمير ، وأن عليه من دينه سلطانا هو الوازع الدافع إلى الخير ، الرادع عن الشر .

ولا سلطان للشيطان إلا على أتباعه ، فله دوره فى إضلال من استجاب له من البشر ، ولكنه عاجز عن إضلال المتحصنين بالدين المتسلحين باليقين ،العائذين برب العالمين .

وسوف يبرأ الشيطان من أتباعه يوم القيامة :

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ(1) وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ـ الآية ٢٢ من سورة إبراهيم .

وعلامة الهدى والتوفيق والنجاة أن

(١) اى مغيثكم .

للأستاذ/ حامد بدر

يستيقظ الضمير، ويذعن المؤمن لوازع الدين، فتقوم النفس اللوامة بمراقبة ومؤاخذة صاحبها على تفريطه فى حق الله، وحق الناس، وحقها. فهى بكثرة لومها للمسىء تحاسبه بلا توان على ما يتعرض له من تقصير، وكثيراً ما تمنعه من الوقوع فى معصية يهم بارتكابها فتحول بينه وبين الوقوع فيها. وإذا تورط فى خطيئة فهى لا تكف عن تأنيبه حتى يثوب إلى رشده، ويتوب إلى ربه. ومن لا تلومه نفسه على تقصير، ولا يؤنبه على معصية ضمير، فلا وارع له ولا هدف.

اقام الله على الإنسان من دينه وعقله وسريرته وازعا يدفعه إلى الخير، ويحذره من الشر حتى يصبح ويمسى مالكا لزمام نفسه، مسيطرا عليها، آمرا لها بطاعة الله، ناهيا لها عن الهوى.

فالنفس الأمارة بالسوء هى التى تأمر صاحبها بالمعصية حيث لا يمنعه وازع من دين.

والنفس اللوامة هى التى تلوم صاحبها إذا وقع فى معصية أو هم بارتكابها. والنفس المنهية عن الهوى هى نفس من خاف مقام ربه فنهاها عن ارتكاب المعاصى، فاستحق أحسن الجزاء:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ - الآيتان ٤٠ و ٤١ من سورة النازعات.

وبالرغم من أن اللوم لا يكون إلا على التقصير فإنه من النفس إلى النفس دليل على السير فى طريق المتاب، والنفس التى لا تكف عن اللوم كلما دعا إليه داع إنما هى نفس مؤمنة متحررة متفاهمة مع الحق، ولديها استعداد للإنابة والارتقاء. فهى لوامة أى كثيرة اللوم لأنها غير راضية عن الكثير مما يدعو إلى اللوم، وهى لذلك قلقة تريد أن تطمئن، واطمئنانها مرهون برضاها، ورضاها مرهون بالاستقامة الموصلة إلى رضا الله. فهى ماضية فى طريقها لتكون النفس المطمئنة الراضية المرضية التى خاطبها الله تعالى فى القرآن الكريم مبشراً ومكرماً بقوله جل جلاله:

﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ - الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ من سورة الفجر.

● ● ●

ولا يلوم العاقل غيره قدر ما يلوم نفسه، فكلما كان اللوم موجها من النفس إلى النفس كان دليلاً على الشجاعة والقدرة على مواجهة النفس بأخطائها ابتغاء الارتقاء بها.

أما كثرة لوم الإنسان لغيره على كل هفوة فهو ضرب من التسلط البغيض، والتجنى

من النفس اللوامة

المملول وهذا اللون ينبغى أن يكون له إطاره من الحكمة واختيار الحال المناسبة لتوجيهه لتكون له فائدته، وهو مفيد حينئذ إذا قصد باللوم التقويم والتحذير من التعرض للوقوع فيما تسوء عاقبته، فلا شك أن أشد اللوم فى تلك الحال أخف كثيرا مما يصيب الضال لو ترك فى ضلاله بلا نصيحة أو إرشاد.

والوازع الدينى أكبر أثرا عند المؤمنين من القصاص فى الدنيا؛ لأن المؤمن موقن بأنه محاسب فى الآخرة على ما قدم فى دنياه مما اطلع عليه البشر وما لم يطلعوا عليه، وما عوقب عليه فى الدنيا وما لم يعاقب عليه، وأن العقاب فى الآخرة أشد وأخزى، وأن الله - تعالى - بكل شىء عليم، وكل ما يكسبه الإنسان من خير أو شر، من قول أو عمل أو نية مسجل فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ - آل عمران ٣٠.

وإذا كان الوازع الدينى لا يوجد إلا حيث يوجد الإيمان فإن الوازع الدنيوى وهو القصاص ضرورى لتامين المجتمع بمقاومة الجرائم وإرهاب وردع المجرمين الذين لا يخيفهم سوى عقاب عاجل يرونه او يذوقونه فى الدنيا، ولا يخافون يوم الحساب وهو آت وقريب، وإن كانوا فى شك منه مريب.

كما يحاسب المرء على العمل ويجازى عليه، يحاسب على القول ويجازى عليه. فكل كلمة طيبة أو غير طيبة للإنسان مسجلة له أو عليه ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ - ١٨ ق.

والقول الطيب يصعد مقبولا، ومثله العمل الصالح ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ - ١٠ فاطر.

وفى تفسير الجلالين لقول الله تعالى ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ - ٢٤ الحج -: (هدوا) فى الدنيا (إلى الطيب من القول) وهو لا إله إلا الله (وهدوا إلى صراط الحميد) أى طريق الله المحمودة ودينه.

وفى ضوء هذا التفسير يصح لنا إضافة (الدعوة إلى الله) إلى مفهوم القول الطيب، فقول: (لا إله إلا الله) تعبير عن العقيدة الصحيحة، ويتصل بالعقيدة الصحيحة كل قول يحمل توجيها إلى السلوك الإسلامى الدال على الإذعان لما اقتضاه التوحيد، وقضت به شريعة الله تعالى. ويؤيد ذلك المفهوم آيات كريمة أخرى زف القرآن بها أجمل البشرى إلى الذين (قالوا ربنا الله ثم استقاموا)، فنالوا هذا التكريم بالتوحيد والاستقامة، وبأحسن القول الذى هو دعوة إلى الله مع عمل صالح وإسلام:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا

مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ . وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ـ ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ فصلت .

ثم بين لنا القرآن بعد ذلك ما تنتجه (مقابلة الإساءة بالإحسان) من خير عاجل فى الدنيا ، فبكلمة لينة معبرة عن التسامح وسعة الصدر تجىء رداً على إساءة يتحول العداء إلى صداقة وصفاء . ومقابلة الإساءة بالإحسان صفة يتميز بها أهل الصبر ، ولا يتحلى بها إلا من وصفه الله بأنه ذو حظ عظيم :

﴿ وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ـ ٣٤ ، ٣٥ فصلت .

وفى هذه الآيات الكريمة يجد المؤمن طبًا نفسيا يقيه شر البغضاء ، ويحول بينه وبين ما قد يتعرض له من عداوة وشقاق بينه وبين أخيه ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ـ الآية ٨٢ من سورة الإسراء .

ومن القول الطيب كل قول نافع كالتعليم والتهذيب والتوجيه إلى الخير والتحذير من الشر . وهذا القول ينبغى أن يطاع . وقد نوه القرآن الكريم بالمؤمنين الذين يستمعون الحسنى فيتقبلونها ويقولون : سمعنا وأطعنا ، وبالذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه :

﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ـ ٢٨٥ البقرة .

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُو الأَلْبَابِ ﴾ ـ ١٨ الزمر .

ومن رجحان العقل التفكير قبل النطق ، واجتناب اللغو . وفى الحكمة « إذا كمل العقل قل الكلام » .

ويقولون : « إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب » ، وهو قول لا يقبل على إطلاقه ، فعندما يكون للكلام قيمة فهو خير من السكوت ، بينما يجب إمساك اللسان عن الفحش والغيبة والوشاية والكذب .. وقد نهى الله عن الجهر بالسوء من القول إلا المظلوم فإن الله سميع لشكواه ، عليم بحاله ، مجيب لدعوته :

﴿ لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً ﴾ ـ ١٤٨ النساء .

والسكوت حرام إذا تعين الكلام وسيلة لتغيير منكر ونصرة حق .

﴿ إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ ـ ٧ محمد .

والعلماء المتقون العاملون تجد خشيتهم لله علما ، وعلمهم خشية ، وهذا ما يوحى به النص القرآنى الكريم ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ـ ٢٨ فاطر .

من النفس اللوامة

ومن خشى الله حق الخشية لم يخش أحداً سواه ، فلا يتردد فى قول الحق والاعتراض على المنكر لعلمه أن السكوت على منكر إقرار له واعتراف به ومشاركة فيه[٢] .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يأتيان بخير النتائج إذا صدرا من أهل التقوى والاستقامة ، لا من الذين يقولون ما لا يفعلون ، الذين استحقوا المقت الكبير من الله :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ـ ٢ ، ٣ الصف .

وما أروع الصمت تفكيراً فى صنع الله وقدرته ونعمته وحكمته ، وخوفا من هيبته تعالى ونقمته ، وطمعا فى كرمه وفضله ورحمته . وما أنفع الكلمة تأتى نتيجة لهذا التفكير البعيد المدى ، فكأن التفكير هو القول والقول هو الصدى ، وكأن حراسة من الله تسبق الكلمة وتلحقها فهى بين حراستين فى كلتيهما هدى .

وكم من كلمة تشع نوراً ، وتقشع ديجوراً ، ويقام بها عدل ، ويدفع بها جور ، وتحيا بها فضيلة ، وتموت لها رذيلة .. ورب كلمة تقال ، عثرتها لا تقال .

فقل واعمل ما شئت فى مراقبة رب العالمين ، ودع كل قول أو عمل يبعد عن رحاب المؤمنين :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ـ ٧٠ ، ٧١ الأحزاب .

قـــــرار حظـــــر

صرح فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قد أصدر قراره عام ١٩٦٨ القاضي بحظر تداول أو نشر رواية « أولاد حارتنا » التى ألفها الكاتب نجيب محفوظ سواء أكانت مقروءة أم مسموعة أم مرئية .

والأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية تلفت الأنظار إلى هذا الحظر ، وتدعو المسلمين إلى ضرورة الالتزام به ، وبالله التوفيق .

---

(٢) ليس كل سكوت على منكر إقراراً له .. فليراجع القارىء لتفصيل هذه القضية مقال الدكتور وكيل الأزهر بنفس هذا العدد ..... مجلة الأزهر .

في رياض السنة النبوية المطهرة

عزل الحاكم ممنوع بإجماع علماء أهل السنة الصالحين

للأستاذ الدكتور
رءوف شلبى

روى الإمام مسلم بسنده قال : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم حدثنا عمى عبد الله بن وهب ، حدثنا عمرو بن الحارث، حدثنى بكير، عن بسر بن سعيد، عن جنادة بن ابى أمية قال :

دخلنا على عبادة بن الصامت -وهو مريض- فقلنا : حدثنا - اصلحك الله - بحديث ينفع الله به ، سمعته من رسول الله ﷺ فقال :

دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما اخذ علينا ان بايعناه على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا ، واثرة علينا ، والا ننازع الأمر اهله. قال : « إلا ان تروا كُفراً بَوَاحاً عندكم من الله فيه برهان » .

رواه مسلم فى كتاب الإمارة

المنشط : مصدر ميمى من نشط ينشط نشاطا ومنشطا. وهو يعنى أوقات النشاط، أو ما يستلزمه من دوافع وبواعث لمصلحة الدين .

المكره : مصدر ميمى مثله من كره يكره كرها ومكرها. وهو يعنى السمع والطاعة فى الأوقات التى يشتد على النفس تنفيذ الأوامر فيها للمشقة .

والمعنى من الكلمتين : المنشط والمكره استواؤهما لدى الصحابة - رضوان الله عليهم - فى تنفيذ ما بايعوا عليه رسول الله ﷺ دون شعور بالمشقة والحرج ، وإن كانت بعض الأوقات فيها حرج ومشقة لكنها تزول بمجرد التوجه لتنفيذ ما بايعوا الله ورسوله عليه .

الأثرة : الاستئثار والاختصاص بالخير وفيها لغات ثلاث :

الأَثَرة : بفتح الهمزة والثاء .

الأُثْرة : بضم الهمزة وإسكان الثاء .

عزل الحاكم ممنوع

الإِثْرة : بكسر الهمزة وإسكان الثاء .

والمعنى: اسمعوا وأطيعوا ولو أن الحكام اختصوا بأمور الدنيا عليكم ، ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم .

البَوَاح : كُفْراً واضحاً عليه دليل من الشرع لا من العقل أو التخمين .

والواقع أن هذا الحديث أصل عظيم من أصول علاقة الرعية بالحاكم وقد عرف التاريخ الإسلامى أسلوب تنصيب الحاكم وكيفية توليته :

١ ـ بالبيعة من أهل الحل والعقد،وهم وجهاء الأمة الذين يجتمع الناس عليهم مثل ما حدث فى سقيفة بنى ساعدة .

٢ ـ أو بترشيح من رئيس الدولة كتوصيته للأمة أن تنصب واحداً بعينه كما رشح سيدُنا أبو بكر من بعده سيدَنا عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه .

٣ ـ أو الإمام فى حالة الاضطرار عند الموت يؤلف لجنة تختار من يرشَّح للخلافة من بعده . كما فعل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين اغتاله أبو لؤلؤة المجوسى .

٤ ـ أو تكون بالبيعة العامة كما حدث فى بيعة سيدنا على كرم الله وجهه ورضى الله عنه .

لكن التاريخ الإسلامى لم يشهد حدثا خاصا بعزل رئيس الدولة ، والنصوص فى السنة يدور محورها على المحافظة على سلامة الرعية من دم يراق ، أو فتنة تطيح بمستقبل الأمة وأمنها واستقرارها واقتصادها وكرامة الإنسان فيها ، وحول هذا نقرأ فى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال :

إن خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مُجَدَّعَ الأطراف .

وفى رواية فى مسلم أيضاً عن أبى عمران قال :

وإن كان عبداً حبشياً مُجَدَّعَ الأطراف .

ومثل هذا فى البخارى :

اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة .

ومعلوم أن سيدنا أبا ذر كان يطلب الإمارة فمنعه رسول الله ﷺ وقال له فيما رواه مسلم :

يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها .

وفى هذا المقام ينبغى أن نتعرف على خاصية فى السياسة الشرعية للإسلام وهى : أن الأمر إذا دار بين الموت والحياة فإن الإسلام يرجح الحياة ، ويبيح لذلك استخدام بعض المحظورات استبقاء للحياة .

وإن الأمر إذا دار بين الانحراف والعفة ، فإن الإسلام يفضل جانب العفة ويبيح للقادرين تعدد الزوجات ، وإذا دار الأمر بين الفوضى والاستقرار فإن الإسلام يقوى جانب الاستقرار على جانب الفوضى ، ولو بقى من التعاليم عمادها وهو الصلاة ففى الحديث الذى رواه مسلم عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ستكون أُمَرَاء فتعرفون وتنكرون،فمن عرف برىء ، ومن أنكر سَلِمَ ولكن من رضى وتابع ، قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ قال : لا .. مَاصَلُّوا .

يقول الإمام النووى : فى الحديث معجزة

ظاهرة بالإخبار بالمستقبل .. وقد رفع الإثم ﷺ ، عن جماعتين :

جماعة عرفت ضلالة الوالى وجماعة أنكرته .

أما الجماعة الثالثة التى تابعته وهللت له وزَمَرَت(١) فهى المعاقبة والمسئولة .

يقول الإمام النووى : وفيه دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت ، بل إنما يأثم بالرضى به،أو بألا يكرهه بقلبه .

يقول الإمام النووى : وفيه معنى أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئاً عن قواعد الإسلام(٢) .

واتقاء الفتنة فى الإسلام أمر معلوم من الدين بالضرورة ؛ فكم من مرة دعا القرآن الكريم جماعة المسلمين إلى تجنب الفتنة وبَيَّنَ أنها أشد من القتل .

يقول الله تعالى :

* ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ .
* ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾.
* ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾.

فقضية عزل الخليفة قائمة على تفادى هذه الفتنة،ولذلك نجد السنة النبوية توضح لنا ثلاثة مواقف .

الموقف الأول : أنها نهت عن طلب الإمارة والسعى لطلب الحكم .

الموقف الثانى : أنها حددت موقف الرعية المسلمة من الحاكم الفاسق .

الموقف الثالث : أنها وضحت واجبات الحاكم المسلم وواجبات الرعية .

أما فيما يتعلق بالموقف الأول ففيه نصوص دالة على المنع ، وفيه أحداث تطبيقية منع فيها رسول الله ﷺ مَنْ تولى الحكم .

* **أما ما يتعلق بالنص المطلق : فيقول النبى ﷺ فيما رواه البخارى :**

ياعبد الرحمن لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أُعطيتَها عن مسألة وُكِلْتَ إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعِنْتَ عليها ، وإذا حلفتَ على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فَكَفِّر عن يمينك وائت الذى هو خير .

يقول الإمام ابن حجر فى شرحه : « ويستفاد من الحديث: أن طلب ما يتعلق بالحكم مكروه،فيدخل فى الإمارة : القضاء ، والحسبة ونحو ذلك(٣) .

ومن النص المطلق أيضاً ما رواه البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة .

ومثل هذه الرواية عند الطبرانى فى الأوسط من رواية شريك عن عبد الله بن عيسى ، عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : الإمارة أولها ندامة،وأوسطها غرامة،وآخرها عذاب يوم القيامة(٤)

وأما ما يتعلق بالناحية التطبيقية ففى

←

---

(١) زَمَرَ غَنَّى .. وزَمَرَ بالحديث : بثه وأذاعه .
(٢) شرح النووى على صحيح مسلم جـ٤ ص ٥٢٠ مطبعة الشعب .
(٣) فتح البارى جـ١٣ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .
(٤) فتح البارى جـ١٣ ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

عزل الحاكم ممنوع

البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه قال : دخلت على النبى ﷺ أنا ورجلان من قومى ، فقال أحد الرجلين : أمِّرْنَا يارسول الله ، وقال الآخر مثله فقال :

« إنا لانولى هذا من سأله،ولا من حرص عليه » فقد رفض النبى ﷺ تولية أحد الرجلين اللذين سألاه أن يوليهما أمراً من أمور المسلمين .

الموقف الثانى : متعلق بموقف الرعية من الحاكم الفاسق : هل تثور عليه بالسلاح وتعزله ؟ وهذا هو سنام الأمر ، والعمدة فى شرحه هو الإمام النووى فقد نقل عنه الإمام ابن حجر - رضى الله عنهم - قال الإمام النووى :

معنى الحديث الذى روى فى صدر هذا المقال - لا تنازعوا ولاة الأمور فى ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام ، فإذا رأيتم منهم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم ، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين،وإن كانوا فسقة ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ماذكرته ، وأجمع أهل السنة أن السلطان لا ينعزل بالفسق .

وأما الوجه المذكور فى كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل ، وما حكى عن المعتزلة أيضاً فغلط من قائله مخالف للإجماع .

قال العلماء : وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه:ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء،وفساد ذات البين فتكون المفسدة فى عزله أكثر منها فى بقائه[٥] .

أقول :

وهذا الإجماع مستنبط من جملة الأحاديث الصحيحة التى لا تجيز الثورة على الحاكم ، ففى مسلم عن علقمة بن وائل الحضرمى عن أبيه قال : سأل سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله ﷺ فقال :

يانبى الله : أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ، ثم سأله فى الثانية أو فى الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا ، وعليكم ما حملتم .

ويروى مسلم أيضاً عن حذيفة بن اليمان .

قلت : يارسول الله،إنا كنا بِشَرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير شر ؟ قال : نعم .

قلت : هل وراء ذلك الشر خير ؟ قال : نعم .

قلت : فهل وراء ذلك الخير شر ؟ قال نعم .

قلت : كيف ؟

قال : يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى ، ولا يستنون بسنتى ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنسى قال : قلت : كيف أصنع يارسول الله إن أدركت

---

(٥)شرح النووى على صحيح مسلم جـ٤ ص ٥٠٧ مطبعة الشعب .

ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع[٦] .

يقول الإمام النووى : وفى حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ووجوب طاعته ، وإن فسق وعمل المعاصى : من أخذ الأموال وغير ذلك فتجب طاعته فى غير معصية[٧] .

الموقف الثالث : إن السنة الإسلامية الصحيحة وضحت واجبات الحاكم المسلم وواجبات الرعية نحوه .

* أما واجبات الحاكم المسلم فهى رعاية حقوق الله، والنصح للأمة، والرفق بها، وإقامة العدل فيها .

ففى مسلم :

* إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف .

أبو داود وابن حبان وابن ماجه

* إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله .

متفق عليه

* ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة .

* اللهم مَنْ وَلِيَ من أمر امتى شيئاً فَشَقَّ عليهم فَاشْقُقْ عليه، ومن ولى من أمر امتى شيئاً فرفق بهم فارفق به

مسلم

* ما من وال يلى رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة .

البخارى

●● ●● ●●

* وأما واجبات الرعية فالصبر على الحاكم والدعاء له بالهداية ، وعدم الخروج عليه وطاعته فى المعروف ، وعدم طاعته فى المعصية .

ففى السنة :

* لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

* من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج على السلطان شِبْراً مات ميتة جاهلية .

متفق عليه

التـــــوازن :

وقد وقعت صورة « حياتية » فى زمن النبى ﷺ للجماعة الإسلامية التى رأسها حاكم جائر، وهذه الصورة تعطينا التوازن الذى يجب أن يكون بين الرعية المسلمة المستمسكة بالذى جاءها من عند الله ورسوله ﷺ والإثم الذى يدعوها إليه الحاكم الجائر ففى مسلم والبخارى معا :

بعث رسول الله ﷺ سرية، وأمَّر عليها رجلاً من الأنصار، وامرهم أن يطيعوه فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبى ﷺ أن تطيعونى ؟

قالوا : بلى ، قال:قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدتم نارا ثم دخلتم فيها فجمعوا حطبا فأوقدوا نارا ، فلما هموا بالدخول ، فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض،فقال بعضهم : إنما تَبِعْنا النبى ﷺ فرارا من النار أفندخلها ؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه فذكر ذلك للنبى - ﷺ - فقال : لو دخلوها ماخرجوا منها أبداً ، إنما الطاعة فى المعروف .

متفق عليه

فالذى يجمع الأحاديث المتعلقة بالحاكم فى

(٦) شرح النووى على صحيح مسلم جـ٤ ص ٥١٣ ، ٥١٥ .

(٧) المصدر السابق .

عزل الحاكم ممنوع

عدله أو جوره ، صلاحه أو فسقه ، والأحاديث المتعلقة بواجب الأمة نحوه إذا عَدَلَ فله الطاعة فى المنشط والمكره ، وإذا فسق وظلم فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق – يجد أن هناك توازنا يجب أن يقوم به العلماء فى توعية الأمة والحاكم على السواء ، ويظهر ذلك فى قول النبى – ﷺ – .

* إذا كان فى أمتى من يهاب أن يقول للظالم: ياظالم فقد تُوُدِّعَ منهم .

* وفى قوله عليه الصلاة السلام : إن الإمام العادل إذا وضع فى قبره ترك على يمينه ، فإذا كان جائراً نقل عن يمينه إلى يساره .

(رواه ابن عساكر عن عمر بن عبد العزيز)

ويحذر النبى ﷺ جماعة المسلمين من التردى فى براثن الحاكم الظالم فيقول :

من أعان ظالما ليدحض بباطله حقا فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله .

(رواه الحاكم عن ابن عباس)

وآية التوازن بين الحاكم والرعية قول النبى – ﷺ – :

إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه: أحفظ أم ضَيَّع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته .

(النسائى وابن حبان)

وإذا :

* فالخروج المسلح لعزل الحاكم لا يجوز شرعا بإجماع أهل السنة والعلماء الصالحين .

* وطلب الإمارة ممنوع .

* وطاعة الإمام فى معصية مرفوضة .

* وعدم طاعته فى الأمور الواجبة شرعا حرام .

* والنصيحة منه للرعية ، ومن الرعية له واجبة .

* وموقف العلماء هو التوازن بين الحاكم والرعية .

وإذا كانت هذه الصورة التى نقلتها لنا السنة النبوية المطهرة والنبى – ﷺ – مازال قائماً بين أظهر المسلمين يمنعهم من الخروج على الحاكم فكيف اليوم . والمسلمون مستهدفون دولة ، واقتصاداً وعسكريا بل وطعاما ؟!

فالمسلمون يعيشون اليوم عالة على الدول الكبرى التى تحيك لهم المكايد، وتخطط لبقائهم فى سلة المهملات ، وتجعل طعامهم رهنا بأساليب معينة ، أفلا يفيق الشيوخ الذين يتصارعون على المناصب والزعامات ، والشباب المسكين الذى صدق هواجس أصحاب أحلام اليقظة ؟ ولينظروا إلى خريطة العالم ليجدوا أنفسهم – وحدهم – هم الفائرون الثائرون الجائعون مع أنهم على دين الحق وغيرهم يعيش مرفها فى أبهى صور العزة والقوة مع أنهم على الباطل ... ؟

أيها الشيوخ والشباب كفاكم عبثا ، وثوبوا إلى تعاليم الإسلام الحنيف دون تحايل بفلسفات الفرق التى دَرَسَت معالمها ، ولم تخلف لنا إلا الجحيم الذى نصطلى به على السواء .

﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

آية ٢٢ سورة الزمر

وبالله التوفيق

دعوة الإسلام إلى الإخلاص فى العمل

للأستاذ / محمد صابر البرديسى

قال رسول الله ﷺ : « لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كُوَّةٌ لخرج عملُهُ كائنا ما كان » .

رواه الإمام أحمد .

أولاً : اللغــة :

١ ـ صماء : أى صلبة متينة .

٢ ـ كوة : أى فتحة ـ أى نقب فى بيت او غيره .

٣ ـ كائناً ما كان : أى : على أى وجه كان .

ثانياً : ما يشتمل عليه الحديث :

١ ـ الإخلاص خلق إسلامى كريم .

٢ ـ الإخلاص فى السر والعلانية .

٣ ـ النية الخالصة .

البيـــان

١ ـ الإخلاص خلق إسلامى كريم :

الإخلاص : أن يأتى الإنسان بأعماله لوجه الله ـ وحده ـ نقية لا يشوبها رياء ، قياما بالواجب سواء فى العبادات ، أم فى سائر الأعمال ، وهو خلق إسلامى كريم .

الإخلاص من الصفات الروحية التى تسمو بالمرء إلى منزلة رفيعة من الخلق الإنسانى . فأهواء النفس والرياء والغايات الشخصية يحاربها الإسلام ليحل محلها الإخلاص لله .

لهذا أولاه الإسلام اهتماماً تاماً ، وقرنه بالعبادة وكان له مقداره عند الله تعالى وآثاره فى الناس ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ « سورة البينة آية رقم ٥ » .

وقال تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ﴾ « سورة الزمر آية رقم ٢ » .

٢ ـ الإخلاص فى السر والعلانية :

وبالإخلاص يكون الإنسان فى زمرة

←

دعوة الإسلام إلى الإخلاص

المؤمنين . يقول الله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ « سورة النساء آية رقم ١٤٦ » .

وهذا ما امر به الرسول ﷺ يقول على لسان ربه : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ « سورة الزمر آية رقم ١١ » .

والإخلاص « سر بين العبد وربه » وأدق ما قيل فيه أنه : « ما لا يكتبه الملكان ، ولا يفسده الشيطان ، ولا يطلع عليه إنسان » ، وكلما كان العمل بعيداً عن الرياء والسمعة كان مقبولاً ـ ولهذا يقول المصطفى ﷺ : قال الله عز وجل : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لى عملاً أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو للذى أشرك » ـ رواه ابن ماجه .

وعن أبى سعيد بن أبى فضالة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك فى عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك ـ رواه الترمذى .

فالله سبحانه وتعالى لا يتقبل الأعمال من العبد ولا يرتضيها إلا إذا كانت خالصة لوجهه ، وراقب الله فيها فى السر والعلانية فمن أخلص لله ، يسر الله له الأمور ودفع عنه الشرور ، وعاش صافى القلب طاهر الطوية ، سليم السريرة فعلى الإنسان أن يخلص فى عمله وأن يكون ظاهره كباطنه فمهما أخفى من عمل واظهر خلاف ما يبطنه فلابد أن يظهر فـ « مهما تبطن تظهره الايام »

« ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس ـ تعلم » .

وفى حديث للترمذى ـ رضى الله عنه ـ : «فلو عمل ذنباً فى قعر بيت مظلم فى ليلة مظلمة فى جحر لبدا » ـ أى لظهر ـ

وفى القبس الذى معنا : « لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله كائناً ما كان »

٣ ـ النية الخالصة :

ولما كانت الأعمال الخالصة لله وحده لابد لها من سابق نية وعزم نجد الإسلام يهتم بالنية ويجعلها محوراً تدور عليه أعمال العبد . قال رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » ـ رواه البخارى ومسلم ـ ..

فالنية الطيبة ثمرة التربية الخلقية الصالحة التى تجعل الإنسان عضوا ممتازاً

فى المجموعة الإنسانية ، وقد جعلها الإسلام الأصل فى قبول الأعمال عند الله خالصة له .

فالخير ليس خيراً إلا إذا كان عن نية طيبة خالصة لوجه الله ، والعمل الطيب ليس طيباً إلا إذا استنار بأوامره ، ولا شك أن هذا مقياس قويم فى تقدير الرجال والأعمال ، يصحح الأوضاع ويسمو بالمجتمع إلى مستوى رفيع من الكمال ، إذ يجعل الأقوال والأعمال منوطة بغاية واحدة هى أن تكون لله ، فلا يحب المؤمن ولا يبغض ولا يفعل ولا يترك إلا لله .

ولقد ضرب المسلمون الأولون المثل الأعلى فى التمسك بالإخلاص ، فغيروا مجرى التاريخ ، ودانت لهم الممالك وكانوا سادة العالم ، والعكس صحيح حين يستولى الهوى والنفس والشيطان على الناس فيهوى المجتمع إلى الحضيض ، إذ عند ذلك يختفى « الإخلاص مرضاة لله » ليحل محله « النفع الشخصى على أية حال كان » ، ولا سبيل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية إلا بالرجوع إلى الإخلاص ، وقد نبه إلى ذلك الرسول ﷺ فى كلمة لسعد بن أبى وقاص قال له : ياسعد إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعواتهم وصلاتهم » . رواه النسائى .

أى ليس بكبرائهم أو ساداتهم فالوزن الحقيقى فى ميزان الأمم لما تمتلىء به القلوب ، من نقاء وصفاء ونيات صالحة ومقاصد شريفة ، وحب للخير ـ وبغض للشر ، وأن الإنسان ليس له من عمله إلا ما كان خالصاً .

سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء : أى ذلك يكون فى سبيل الله ؟

فقال ﷺ « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » ـ رواه البخارى ومسلم .

وقد يكون العمل الذى يأتى به المرء مما تدعو إليه طبيعته ، أو يقضى به واجبه ، أو تدفع إليه عاطفته ، ولكن الرسول ﷺ مع هذا يرشدنا إلى أن الإخلاص يجعل من هذا العمل عبادة يثاب المرء عليها ، وقربة ترتفع بها عند الله منزلته ..

يقول رسول الله ﷺ : « إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أُجِرْتَ عليها حتى ما تجعل فى فم امرأتك » ـ رواه البخارى ..

نفقة المرأة على زوجها واجبة بحكم الشرع ، وإطعامها إلى جانب ذلك أمر محبب إلى نفسه ، ومع هذا يقرر الرسول ﷺ أن ابتغاء وجه الله فى عمل ذلك الواجب المحبوب سبيل إلى الأجر والمثوبة فيؤجر المرء على ذلك وينال من الله الثواب .

ولا يوجد تشريع يدفع إلى القيام بالواجب ، ويغرى به ، ويطمع فيه مثل التشريع الإسلامى ، الذى يجعل من النية والقصد ، والإخلاص فى العمل سبيلاً إلى مضاعفة الأجر ، وحسن القبول .

نسأل الله أن يوفقنا لعمل الخير والإخلاص فيه ..

والله الموفق ..

من دلالات النبوة

عند خاتم الرسل والأنبياء

قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾

وكان اختيار المولى ـ عز وجل ـ لرسوله الخاتم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكون عربياً مبعوثاً للناس أجمعين ـ اختياراً يمثل صدمة لفرق أهل الكتاب ، ومفاجأة ومفارقة لم يتوقعوها فما منهم من فرقة إلا كانت تتوقع أن يكون ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها .

والله يعلم حيث يجعل رسالته ، ويختار لها فكانت لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مؤيدة بالوحى الذى تنزل عليه على مدى ثلاثة وعشرين عاماً قرآناً عربياً غير ذى عوج منجماً حسب الحوادث والأحوال جامعاً لأحكام الدنيا والدين لا يفرط منهما فى شىء ، قال تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(1) .

وأهل الكتاب بعض بنى البشر الذين أرسل إليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك أخبرتهم أنبياؤهم ، وسجلت تلك الحقيقة الكتب المنزلة على الرسولين النبيين : موسى وعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، ولا حجة لأحد من أهل الكتاب إذا ادعى أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس مرسلاً إليه . قال تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(2) .

وفى الكتاب العزيز : ﴿ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾(3) .

وروى أبو نعيم رضى الله عنه : « من بلغه القرآن فكأنما شافهته » ، وقد أشار القرآن

---

(1) سورة الأعراف ١٥٨ .

(2) سورة المائدة ١٩ .

(3) سورة الأنعام ١٩ .

للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى

الكريم إلى فلاح من استجاب إلى دعوة الإسلام، وانتظم فى صفوف المسلمين فقال سبحانه:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[4].

عقيدة الإسلام فى التوحيد عقيدة فريدة:

فهو فى عقيدته النقية بتقريره التوحيد المطلق لله سبحانه وعدم مساواة أى مخلوق به وتقرير صفات الجلال والجمال لذاته المقدسة يختلف كل الاختلاف عن العقائد الأخرى، لا سيما تلك العقائد التى لا ترى حرجاً فى تقرير البنوة والولادة والشركة والأوصاف البشرية لله ـ عز وجل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً[5].

الآداب والوصايا فى الوحى المكى والمدنى:

والوحى فى مكة وفى المدينة جمع كل الآداب والوصايا والمبادىء الرفيعة الموزعة فى الكتب السماوية السابقة وزاد عليها آداباً ووصايا ومبادىء أخرى احتاج إليها العالم فى تقويم فطرته، وصيانة حياته، وذلك كله إلى جانب ما صحح من عقائد واستن من شرائع لم تكن معروفة فى العبادات السابقة أو فى القوانين القديمة التى كانت سائدة[6].

من اين جاء القرآن الكريم؟

يستعرض المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز جوانب هذه القضية فيقول: هل جاء به من عند نفسه ومن وحى ضميره؟ أم من عند معلم؟ ومن هو ذلك المعلم؟

إنه ليس من عمل صاحبه بل ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[7]، ذلكم هو جبريل عليه السلام تلقاه من لدن حكيم عليم ثم نزّله بلسان عربى مبين على قلب محمد ـ صلى الله عليه وسلّم ـ فتلقنه منه كما يتلقن التلميذ عن أستاذه نصاً من النصوص ولم يكن له فيه من عمل بعد ذلك إلا:

١ ـ الحكاية والتبليغ.

←

(٤) سورة الأعراف ١٥٧.

(٥) راجع لهذا المقام كتاب: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين تأليف الشيخ محمد الغزالى الطبعة الرابعة عام ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.

(٦) المرجع السابق.

(٧) سورة التكوير ١٩ ـ ٢١.

٢ ـ البيان والتفسير .
٣ ـ التطبيق والتنفيذ .

اما ابتكار معانيه وصياغة مبانيه فما هو منها بسبيل وليس له من أمرهما شيء ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[٨] هكذا سماه القرآن حيث يقول : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾[٩] ، ويقول ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾[١٠] .

أما بشأن الإيحاء اللفظي فيقول : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾[١١] ، ويقـول : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴾[١٢] ، وقـولـه ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[١٣] ، وقوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[١٤] ، وقوله : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾[١٥] ، وقوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾[١٦] .

ففى هذه الآيات عبر بالقراءة والإقراء والتلاوة والترتيل وتحريك اللسان وكون الكلام عربياً وكل أولئك من عوارض الألفاظ لا المعانى البحتة .

وبناء على ما سبق فإن القرآن صريح فى أنه (لا صنعة فيه لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا لأحد من الخلق ، وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه)[١٧] .

ثم يستطرد الدكتور محمد عبد الله دراز فيقول :

وفى الحق أن هذه القضية لو وجدت قاضياً يقضى بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التى جاءت بلسان صاحبها على نفسه ، ولم يطلب وراءها شهادة شاهد آخر من العقل أو النقل ذلك أنها ليست من جنس الدعاوى فتحتاج إلى بينة ، وإنما هى من نوع الإقرار الذى يؤخذ به صاحبه ، والقول بأن نبي الإسلام أراد بما قام به الوصول إلى غاية إصلاحية فيعبر إليها على قنطرة من الكذب والتمويه ، فإن ذلك مما يأباه علينا الواقع التاريخي كل الاباء فإن من تتبع سيرته الشريفة فى حركاته وسكناته وعباراته ، وإشاراته ، فى رضاه وغضبه ، فى خلوته وجلوته لا يشك فى أنه كان أبعد الناس عن المداجاة والمواربة ، وأن سره وعلانيته كانا سواء فى دقة الصدق وصرامة الحق فى جليل الشئون وحقيرها ، وأن ذلك كان أخص شمائله وأظهر صفاته قبل النبوة وبعدها ،

---

(٨) سورة النجم ٤ .
(٩) سورة الأعراف ٢٠٣ .
(١٠) سورة يونس ١٥ .
(١١) سورة يوسف ٢ .
(١٢) سورة الأعلى ٦ .
(١٣) سورة القيامة ١٦ ـ ١٩ .
(١٤) سورة العلق ١ .
(١٥) سورة الكهف ٢٧ .
(١٦) سورة المزمل ٤ .
(١٧) انظر فيما تقدم كتاب النبأ العظيم تأليف المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز طبعة عام ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

كما شهد ويشهد به أصدقاؤه وأعداؤه إلى يومنا هذا ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[18] ، ولقد كانت تنزل به نوازل من شأنها أن تحفزه إلى القول ، وكانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالاً ومجالاً ، ولكنه كانت تمضى الليالى والأيام تتبعها الليالى والأيام ولا يجد في شأنها قرآناً يقرؤه على الناس ومثاله ما أرجف به المنافقون بحديث الإفك عن زوجه الطاهرة عائشة رضى الله عنها وأبطأ الوحى وطال الأمر والناس يخوضون حتى بلغت القلوب الحناجر وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس (إنى لا أعلم عنها إلا خيراً) ، ثم مضى شهر بأكمله لم يزد على أن قال لها آخر الأمر (يا عائشة أما إنه بلغنى كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله) ، هذا كلامه بوحى ضميره وهو كما نرى كلام البشر الذى لا يعلم الغيب .

على أنه لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل عليه صدر سورة النور معلناً براءتها ومصدراً الحكم المبرم بشرفها وطهارتها . فماذا كان يمنعه لو أن أمر القرآن إليه أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمى بها عرضه ويذب بها عن عرينه وينسبها إلى الوحى السماوى لتنقطع ألسنة المتخرصين ؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله قال جل وعلا :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[19] .

وأخرى كان يجيئه القول فيها على غير ما يحبه ويهواه ...

حتى في أقل الأشياء خطراً ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾[20] . ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[21] . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[22] .

أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل ؟ ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه واستبقاء لحرمة آرائه ؟

لو كان هذا القرآن يفيض عن وجدانه لكان

←

(١٨) سورة يونس الآية ١٦ .
(١٩) سورة الحاقة آية ٤٤ ـ ٤٧ .
(٢٠) سورة التوبة آية ٤٣ .
(٢١) سورة التوبة آية ١١٣ .
(٢٢) سورة التحريم آية ١ .

من دلالات النبـوة

يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئاً من ذلك الوجدان ، ولو كان كاتماً شيئاً لكتم امثال هذه الآيات ، ولكنه الوحى لا يستطيع كتمانه كما قال جل جلاله : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾(٢٣) .

ولو نظرنا فيما وقع العتاب عليه لوجدناه ينحصر فى شىء واحد وهو أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا ترجح بين أمرين ولم يجد فيهما إثماً اختار أقربهما إلى رحمة أهله وهداية قومه وتأليف خصمه فلم يكن بين يديه نص فخالفه كفاحاً ، أو جاوزه خطأ ونسياناً بل كان مجتهداً بذل وسعه فى النظر ورأى نفسه مخيراً فتخير ، على أن الذى اختاره كان من خير ما يختاره ذو حكمة بشرية ، وإنما نبهه القرآن إلى ما هو أرجح فى ميزان الحكمة الإلهية(٢٤) .

وبعــــــد

فإذا لم تكن هذه هى حقيقة النبوة وسمات الرسالة إلى خاتم الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليه فماذا تكون النبوة والرسالة إذاً ؟

إن القرآن الكريم رسول حى يسأله المرء فيجيبه ويستمع إليه فيقنعه حتى فى عقيدة البعث والجزاء ونراه ينوه بشمول القدرة الربانية والإرادة العليا فى ثنايا أية إجابة على سؤال موجه ، وكيف صيغت المعانى فى أخذ ورد واعتراض ودفع كأنها حوار سيال يتعدى أصحابه حتى يجمع الناس إلى آخر الدهر لا يختص به زمان دون زمان ولا مكان دون مكان فهو خطاب للعقل العام فى جميع البشر .

ولكن المستشرقين عموماً ينقصهم حذق اللغة العربية وتفهم أساليبها البليغة وهذا ما جعلهم يفسرون نصوص القرآن والسنة على غير وجهها لعجزهم عن فهم معانبيا الحقيقية فضلاً عن أغراضهم السيئة ضد الإسلام وشريعته .

فإذا كان بعضهم يهودياً تعذر عليه التخلى عن نزعته اليهودية ، وما استطاع أن يزيل من وعيه أن الإسلام من وضع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أنه كان تلميذاً للكتابيين .(٢٥)

أما المستشرقون الغربيون فإنهم عموماً لم يمارسوا دراساتهم لبحث ما فى الإسلام من حقائق ولكنهم زاولوها كلون من ألوان الفكر التاريخي وهم قد لقنوا من قبل مبادىء وافكاراً خاصة عن الإسلام كلها أكاذيب ومختلقات إذ كانت سلاحا من أسلحة الدعاية الحربية ضد الإسلام والذى كانت علاقته بالغرب متمثلة فى الدولة البيزنطية علاقة حرب وعداء فيجهدون أنفسهم للبحث عن نقائص له وعيوب ويغضون عن كل ما له من مزايا

---

(٢٣) سورة التكوير ٢٤ .

(٢٤) كتاب النبأ العظيم ـ المرجع السابق .

(٢٥) كتاب الإسلام والمستشرقون للدكتور عبد الجليل شلبي صـ ٤٦ طبعة دار الشعب عام ١٩٧٧ .

وآثار طيبة[٢٦] ، حتى صار هذا الجانب جزءاً لا ينفصل عن الثقافة الأوروبية ، ولا يستطيع أحد التخلص منه بسهولة ، يقول جوتشالك : (إن التقاليد الأوروبية الضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ تجعل من الصعب علينا أن نلتزم الحياد فى بحث سيرة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتأثير المسيحية متغلغل فى كل جوانب مجتمعنا لدرجة لا تمكننا من الفصل بين حياته وبين رسالته الدينية ، وهجوم بعض النقاد على القرآن الذى هو دستور الحياة للمسلمين اقل بكثير من الهجوم على سيرة محمد ومقصدهم من ذلك إفهام الأوروبيين أن من تكون حياته على هذا النحو لا يمكن أن يكون جاداً فى دعوته للناس إلى دين صحيح)[٢٧] .

ومع ذلك ورغم هذا الإنكار والجحود فإن الحق ابلج مهما تواطأ عليه أنصار الباطل فهذا هو الأستاذ « إدوار لمبير » ، وهو فرنسى وكان ناظراً لمدرسة الحقوق الخديوية فى القاهرة عام ١٩٠٦ يعلن على الملأ أن الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة وأنه ليس للقانون الرومانى أى أثر فيها .

كما قال الدكتور إيزكو انساياتو : (إن الشريعة الإسلامية تفوق فى كثير من بحوثها الشرائع الأوروبية بل هى التى تعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً) .

اما الدكتور (شيرك) عميد كلية الحقوق بجامعة فينا فقد أعلن فى مؤتمر الحقوقيين قوله : (إن البشرية لتفخر بانتساب رجل « كمحمد » إليها إذ انه رغم أمية استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتى بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد الفى سنة)[٢٨] .

قال جل وعلا : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[٢٩] .

محمد عزت الطهطاوى

(٢٦) كتاب صور استشراقية للدكتور عبد الجليل شلبى نشر دار الشروق الطبعة الثانية عام ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ ـــ ٢٦ .

(٢٧) بحث حوار مع المستشرقين للدكتور محمد شامة من ابحاث المؤتمر الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة صفر عام ١٤٠٦ هـ نوفمبر عام ١٩٨٥ م .

(٢٨) كتاب اراء فلاسفة وعباقرة الغرب فى الإسلام تاليف الأستاذ زكريا هاشم زكريا طبعة الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٨٨ م .

(٢٩) سورة الصف ٩ .

محاولة لاستكشاف

الثقافة الإسلامية

تمهيد :

هناك محاولات كثيرة معاصرة لاستكشاف الثقافة الإسلامية ، ودراسة مفهومها وطبيعتها وخصائصها وجوانبها المختلفة .

ولعل أكبر عقبة تعثرت عليها معظم هذه المحاولات - رغم جدية بعضها - هى عقبة المصطلحات . فالحقيقة أن محاولة فهم الثقافة الإسلامية من خلال المفاهيم والمصطلحات الغربية هى محاولة عقيمة ، إذ أنها محاولة مصطنعة تضع الثقافة الإسلامية فى غير بيئتها الطبيعية ، وتقتطعها من أصولها الإسلامية ، أى من جذورها العريقة وهى جذور الحضارة الإسلامية ، التى تشبه شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

ولا شك أن الثقافة الإسلامية فرع عظيم من فروع هذه الشجرة ، فإذا قطع منها ، أو فصل عنها ، فإنه لا يلبث أن يذبل ويموت .

ولذلك لا تؤدى تلك المحاولات إلى تحقيق رؤية واضحة للثقافة الإسلامية بل - على العكس - تؤدى إلى غموضها وغبشها ، وإثارة البلبلة الفكرية حولها .

إن الثقافة الإسلامية جزء لا يتجزأ من البناء الإسلامي المتكامل ، إنها خلايا فى الجسم الإسلامي الحىّ ، ومن ثم ينبغى أن تدرس من خلال تركيبها العضوى ... من خلال بيئتها الطبيعية ... من خلال سياقها الحضارى : أى من خلال مفاهيم الإسلام ومصطلحاته ، ومن خلال مصادره وأصوله فى القرآن الكريم والسنة .

وفى رأيى المتواضع أن مفهوم (الحكمة) - كما ورد فى القرآن الكريم - هو أدق المفاهيم دلالة على طبيعة الثقافة الإسلامية ، وأوثقها صلة بخصائصها المتميزة .

ولنوضح هذه الحقائق نبدأ بعرض موجز للثقافة بالمفهوم الغربى ، يليه استكشاف للثقافة الإسلامية وخصائصها من خلال مفهوم (الحكمة) ، مع المقارنة - ما أمكن - بين الثقافتين .

* * *

د. أحمد عبدالحميد غراب

الثقافـــة الغربيـــة

مفهوم الثقافة فى الغرب

اصلها اللغوى :

إن الأصل اللغوى لكلمة ثقافة Culture فى اللغات الأوروبية يبين أن لها صلة واضحة بالزراعة وتنمية الزرع وتعهده .

ولذلك نجد الأصل الذى اشتقت منه وهو Cultivate يعنى فى الجانب المادى : تعهد الزرع وتنميتـه ، وفى الجانب المعنوي : تنمية بعض الصفات الحميدة فى الإنسان : كتنمية عقله ، او تهذيب خلقه ، او تقويم سلوكه ، او توثيق صداقته ومودته مع إنسان آخر .

ومن ثم فالثقافة تتصل بالجوانب التى يمكن أن تنمى وتزكى فى الإنسان .

فالفلسفة ثقافة العقل : أى تؤدى إلى تنمية العقل .

والفنون ثقافة الذوق والوجدان : أى تؤدى إلى تنميتهما وتهذيبهما .

ومن هنا كان التركيز فى الثقافة الغربية على المعارف الإنسانية وبخاصة الآداب والفنون ، وكذلك على التراث الكلاسيكى القديم لليونان والرومان (وبخاصة على اللغتين اليونانية واللاتينية وآدابهما) ، باعتبار أن هذا التراث يُكوِّن الجذور الثقافية للآداب والفنون الغربية المعاصرة .

ومن هنا ايضاً يطلق مصطلح الثقافة فى الاستعمال اليومي الشائع فى الغرب ويقصد به عادة : النشاطات الادبية والفنية والموسيقية .

أى النشاطات التى تؤدى إلى تنمية العقل ، وترقية الذوق ، وإرهاف الوجدان ، وهى النشاطات التى تشرف عليها وترعاها وزارات الثقافة والمؤسسات الثقافية مثل : مجلس الفنون Arts Council فى بريطانيا .

تعريفات الثقافـة :

هناك تعريفات كثيرة لمصطلح الثقافة فى الغرب ، ومن أهمها تعريفان(١) :

التعريف الأول :

تعريف عام شامل للثقافة الإنسانية بوجه عام ، وهو تعريف تايلور E.B Tylor (عالم بريطانى فى علم الإنسان : Anthropology)

←

---

(١) راجع مواد :

Civilization And Cultural Evolution

Human Culture :

The new Encyclopedia Britannica : فى

(15 IH Ed 1975) Vol . 4 PP . 657 , Voi . 8/ PP . 1151

فى كتابه : الثقافة البدائية Primitive Culture الصادر سنة ١٨٧١ :

وهو أن الثقافة Culture نظام كلى متشابك ومعقد ، يشمل : المعرفة ، والدين ، والفن ، والأخلاق ، والقانون ، والعادات ، والتقاليد ، أى جميع العناصر التى يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً فى مجتمع .

وطبقاً لهذا التعريف تتميز الثقافة بخصائص أهمها :

(١) أنها ظاهرة إنسانية : أى خاصة بالإنسان ، ولا نجدها عند الحيوان .

(٢) أنها ظاهرة مكتسبة : أى تتعلم وتكتسب ، يتعلمها الفرد ويكتسبها من المجتمع الذى يعيش فيه ، وليست وراثية ، أى ليست من الخصائص البيولوجية الحتمية التى تورث .

(٣) أنها ظاهرة اجتماعية : أى يكتسبها الفرد باعتباره عضواً فى مجتمع ، فلا يمكن أن يكتسبها وهو يعيش وحده فى عزلة .

(٤) أنها نظام كلى متشابك ومعقد ، فليست ظاهرة بسيطة ، بل مكونة من عدة ظواهر متشابكة .

(٥) أنها ظاهرة عامة : توجد فى كل المجتمعات الإنسانية ، ولا تختص بمجتمع دون آخر .

وهذا التعريف هو أشهر التعريفات .

التعريف الثانى : يجعل الثقافة ظاهرة خاصة مرتبطة بمجتمع معين .

وقال بهذا التعريف مجموعة من علماء الإنسان الأمريكيين فى كتاب صدر سنة ١٩٥٢ م ، بعنوان : الثقافة : مراجعة نقدية للمفاهيم والتعريفات .

Culture : A Critical Review Of Concepts And Definitions. **والثقافة ـ طبقاً لهذا التعريف ـ هى : نظام اجتماعى يستمد من تاريخ وتراث مجتمع معين ، ويظهر فى منهج خاص للحياة (متقدم أو متخلف) يتبعه أفراد ذلك المجتمع . وهذا النظام يشمل :**

اللغة ، والتقاليد ، والمؤسسات ، والأفكار الموجّهة ، والعقائد ، والقيم ، التى تسود فى الواقع الاجتماعي .

الثقافة والحضارة :

أما الحضارة : فهى منهج حياة متقدم يظهر خاصة فى المدن والحواضر .

(كلمة حضارة Civilization مشتقة من كلمة لاتينية هى : Civis ومعناها مواطن المدينة . ومن خصائصها : سكنى المدن ، واستعمال الكتابة ، وتقسيم العمل) .

وفى القرن الثامن عشر شاع استعمال الثقافة والحضارة كمترادفين ، يدلان على الرقى فى أسلوب الحياة بمظهريها : المادى والمعنوى ، وهو الرقى الذى يمثل خصائص ذاتية لكل مجتمع : كاللغة والدين والفلسفة والفن .

* * *

أهم خصائص الثقافة الغربية

لاشك أن للثقافة الغربية جوانب إيجابية لا ينكرها منصف ، ومنها على سبيل المثال :

الولوع بالبحث العلمي ، وروح الاستكشاف والاختراع ، واحترام الوقت ، والمقدرة على التنظيم والتخطيط ، واستخدام التكنولوجيا في التقدم (بالمفهوم المادي غالباً) ، وكثرة المؤسسات الثقافية التي ترعى الفكر والعلم وتشجع المفكرين والعلماء .

ولكن هناك جوانب أخرى سلبية ، لا نبالغ إذا وصفنا معظمها بأنها جوانب شريرة ، وهذه الجوانب لا تمثل صفات عارضة أو مؤقتة ، بل تمثل خصائص جوهرية ثابتة في الثقافة الغربية .

ومن أهم هذه الخصائص ما يلي :

(١) ارتباطها الوثيق بجذورها التاريخية والحضارية : أي بأصولها في التراث الإغريقي ـ الروماني The Creco — Roman Lecacy

ومن هنا يبرز اهتمامها الشديد باللغتين اليونانية واللاتينية وآدابهما ، وبالفلسفة اليونانية ، وبالأدب اليوناني القديم الذي يشمل الأساطير اليونانية ، والمسرح اليوناني .

وكذلك اهتمامها الشديد بالفنون اليونانية والرومانية الوثنية التي تمجد الجسد والشهوة ، وبخاصة فنون النحت والموسيقى ، والرقص والغناء (ولاسيما الأوبرا والباليه) . وهذا الاتجاه اليوناني ـ الروماني في الثقافة الغربية كان ـ ولايزال ـ له أنصاره المتحمسون في العالم العربي والإسلامي ، وعلى رأسهم أنصار الثقافة الهللينية والأوروبية من الأدباء أمثال طه حسين[٢] ، ولطفي السيد ، وزكي نجيب محمود ، وكذلك أنصار الفنون الغربية من الحكام أمثال الخديوى إسماعيل ، الذى تسبب في إفلاس مصر بإسرافه في الإنفاق على احتفالات قناة السويس ، وإخراج أوبرا عايدة ، ومحاولاته المحمومة لجعل مصر « قطعة من أوروبا » .

(٢) ثقافة طبقية عنصرية :

إن الثقافة الغربية بجذورها الإغريقية ـ الرومانية القديمة ، وباتجاهاتها الاجتماعية والفكرية الحديثة ـ تصطبغ بصبغتين واضحتين :

١ ـ صبغة طبقية : أي ثقافة الصفوة The Elite فالذين يحصلون على أرقى وأعلى مستوى من هذه الثقافة هم في الواقع الأقلية المترفة من الأغنياء وأبناء الطبقة الأرستقراطية (علية القوم) في الدول الاستعمارية ، وبخاصة في بريطانيا ، حيث يتلقى أبناء هذه الطبقة تربية خاصة في مدارس تسمى المدارس العامة !! Public Schools ذات مصاريف باهظة (لا يستطيع دفعها الأغلبية من عامة الشعب) ، ثم يلتحقون بعدها بالجامعات الأرستقراطية مثل (أكسفورد) و(كامبردج) ، ويتلقون في تلك المدارس والجامعات تلك الثقافة الغربية ،

---

(٢) ولا سيما في كتابه **مستقبل الثقافة في مصر** . حيث « يؤكد » أن مصر تنتمى ثقافياً إلى أوربا ، ويدعونا إلى أن نأخذ الحضارة الأوروبية بخيرها وشرها وحلوها ومرها .

ـ محاولة لاستكشاف الثقافة الإسلامية

التى تشبه ثقافة الفلاسفة فى جمهورية أفلاطون ، التى تقوم أيضاً على فكرة المجتمع الطبقى ، الذى تُعَدُّ لحكمه طبقة الفلاسفة إعداداً طويلاً ودقيقاً .

ولعل الفرق بين طبقة الفلاسفة القديمة وطبقة الصفوة الحديثة أن هذه الطبقة الأخيرة تعد ثقافياً ليس لحكم شعوبها فحسب ، بل بالدرجة الأولى لحكم الشعوب الأخرى التى ينظر إليها غالباً نظرة دونية عنصرية .

ب ـ صبغة عنصرية : وهذه الصبغة واضحة فى الثقافة الغربية وبخاصة فى الدراسات التى تسمى الدراسات الإنسانية Humanities وفى الفنون ، والعلوم الاجتماعية .

يقول المرحوم الدكتور إسماعيل الفاروقى [٣] :

« إن مفهوم الإنسان فى العصر الحاضر ، فى ظل مفاهيم الحضارة الغربية ، يكاد يقوم كله على العنصر (العِرْقِ) كتحديد مطلق للإنسانية ، ومفهوم المجتمع يقوم على العنصر كأساس مطلق للنظام والبناء الاجتماعى ، ولم تتح أبدا فرصة تجربة وممارسة مبدأ عالمية « عصر التنوير » قبل أن يتم رفضه لصالح المبدأ العنصرى الذى دانت له الرومانتيكية .

بل لقد كانت عالمية « عصر التنوير » تجديدات نظرية وموضع شك ... حيث تعتبر أن مختلف شعوب البشر تندرج ما بين رفيع ووضيع على أساسين أحدهما تصور أوروبى موروث ، والآخر يتأتى من تصور دلالة الخصائص الذاتية الداخلية للشعوب الآسيوية والأفريقية والأوروبية .. ولقد حدد هؤلاء المفكرون الإنسان على انه حصيلة لوظائف مجموعة من الحقائق والخصائص والصفات والقدرات والقوى التى تنبثق وتتغذى من تصور غيبي غامض لوطن أو سلالة أو شعب أو دم يمتد فى غموض إلى أبعاد زمنية لا نهائية ، ومن تقاليد تمتد جذورها إلى أعماق وأبعاد لا نهائية فى الزمان والمكان .

والأسوأ أن هذه الأمور لم يتم عرضها وفهمها على أساس من العقل ، وإنما يتم عرضها وتكتسب القناعة بها بأساليب عاطفية ، ومن خلال التهيؤ الذاتى والحدس الشخصى ، وقد وجدت هذه المفاهيم أبلغ وأوضح تعبير عنها فى الفنون ، خاصة الموسيقى والرسم والأدب ..

لقد استمرت الدراسات الإنسانية فى الغرب تتحدث عن « الإنسان » و« الإنسانية » ، لكن بالمفهوم الذى يحصر مضمون هذه المصطلحات فى « الإنسان الغربى » و« الإنسانية الغربية » وهى حين لم تستبعد تماماً من دائرة الإنسانية ملايين « السود » و« الحمر » و« الصفر » فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ـ فلأنها عدتهم مخلوقات قريبة من الإنسانية يمكن أن تستعمر ، وأن تستغل لصالح الإنسانية

(٣) د . إسماعيل الفاروقى : إسلامية المعرفة (المعهد العالمى للفكر الإسلامى . واشنطن ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م) ص ١٠٧ ـ ١١١ .

الغربية ، وهذه دراسات ومفاهيم ، ولكن يجب أن تدرس على أنها عينات ونماذج لعصر مرّ به الغرب في فترة ما من فترات تاريخه وتطوره ، وبذلك تسهم هذه الدراسات في تمكين الإنسان الغربي من فهم ذاته وتاريخ تطوره » .

ويتحدث المرحوم الدكتور / الفاروقي عن العلوم الاجتماعية فيقول :

— إنه بتأثير هذه العنصرية تطورت أيضاً العلوم الاجتماعية الغربية : التاريخ والجغرافيا والاقتصاد وعلم السياسة والاجتماع والأنثروبولوجيا (علم الإنسان) ، وهي تقوم كلها ، كل بطريقته الخاصة ، على أساس نظرة عنصرية مؤداها أن الأمة أو الكيان العنصري ، بمفهومها المحدد جغرافياً وسكانياً وتاريخياً ... هي الوحدة المطلقة للتحليل والتقويم .

وحينما يتحدثون عن « المجتمع » أو « النظام الاجتماعي » ، فإنهم يقصدون كيانهم ونظامهم القومي . بعضهم يذكرها صراحة منذ الصفحة الأولى ، وآخرون لا يصرحون بها على أساس أنها أقوى الفروض الأساسية التي لا تحتاج إلى ذكر . ويؤكد علم الاجتماع بجرأة ووقاحة على المقولة العنصرية ؛ لأنه يتعامل مباشرة مع المجتمع والنظام الاجتماعي وعلى أثره يقفو علم السياسة .

أما علم الجغرافيا والتاريخ الغربيين فلا يتصوران العالم إلا كتابع للغرب . عالم يدور حول بريطانيا أو أمريكا أو فرنسا أو ألمانيا أو إيطاليا ، التي هي بمثابة القلب أو النواة له ..

أما علم الاقتصاد الغربي فقد كان في مراحله الأولى بعيداً عن الموضوعية العلمية بحيث ادعى لنفسه مكانة العلم العالمي ، لكنه أرجع إلى مكانه كتحليل غربي لأمة غربية على أيدي النازيين ..

واخيراً فإن علم الإنسان والأنثروبولوجيا ، يعتبر أجرأ هذه العلوم الاجتماعية جميعاً .

فالإنسانية في نظره صراحة تعني العنصرية ..

وفي القرنين الأخيرين كان تأثير هذا العلم يسوق البشرية إلى سعار من الوعي بالعنصرية ، وذلك من خلال فرز مجموعات ثانوية واحدة بعد الأخرى ، وإقامة نظام من المبادىء والقيم لكل منها ، مستقى من الخصائص الذاتية لها ، أو ما لفقه دعاة هذا العلم ، وأعلنوا أنه ذاتي ومختص بتلك المجموعة العرقية . فبدلاً من إدراك الخصائص العالمية في الإنسان وتأكيدها ، إذا بهذا العلم ينمي ويضخم بشكل كبير ، الجوانب الخصوصية » .

وقد جمع الدكتور ادوارد سعيد في كتابه الاستشراق[٤] مجموعة كبيرة من النصوص والحجج توضح هذا الجانب العنصري في الثقافة الغربية كما توضح الصلة بين الاستعمار والاستشراق في هذه الثقافة .

يتبع

---

(٤) راجع : - Edward Said : Orientalism (London - Henley 1978) PP.5 - 6,31 - 41,86 - 7 , 94 - 6, 108 - 9 , 122 - 3 , 152 - 3, 192 - 4, 222 - 4 , 231 - 4, 321 - 5

وأيضاً د . محمد البهي : **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي** (ط ١١ مكتبة وهبة القاهرة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٢٤ ، ٤٣ ، ٥٦ .

رسل الأزهر في بلاد النيجر

٥

مشيخة مصر العربية

« من هنا ورايح[1] نسميها : مشيخة مصر العربية » ، بدلاً من « سفارة مصر العربية » ، هكذا علق أحد الظرفاء من أصدقائنا المصريين لدى انصرافنا من مأدبة الرئيس . وهذا الصديق هو الدكتور **مدحت الكاشف** رحمه الله ، وكان الدكتور **مدحت الكاشف** يعمل مديراً بالأمم المتحدة فى « نيامى » ، وكان معروفاً بطيبة قلبه ووداعته ، أما زوجته فكانت سيدة فرنسية بعيدة عن مفاهيمنا الإسلامية ، كذلك كان معنا الدكتور **فتحي الرشيدي** ، الأستاذ بمعهد الإدارة التابع للأمم المتحدة ، وهو متزوج من سيدة بلچيكية محافظة . وقد حضرت قرينتاهما حفل الرئيس ، فكان ذلك نقطة تحول بالنسبة لهما ، فقد أحستا بالاحترام العميق للمكانة الرفيعة التى حظيت بها سفارة الجالية المصرية لدى رئيس الدولة ، ونقلتا هذا الانطباع لأصدقائهما الأجانب من الفرنسيين وغيرهم ، بل كانتا تتوسطان لدى السفارة لإمدادهم بالنشرات والمطبوعات الفرنسية التى تتحدث عن الإسلام ، وتشرح رسالته رداً على استفسارات الأجانب الذين ازدادت تطلعاتهم إلى معرفة المزيد عن ديننا الحنيف .

هكذا اتخذت سفارتنا طابعا مميزاً ، وقد ترك هذا الطابع أثره فى نفوس أبناء جاليتنا المصرية الذين اتسمت علاقاتهم بسفيرهم من أول يوم بطابع المحبة والاحترام المتبادل ، فكانوا يعتبرونه قدوة وأباً لهم جميعاً مع فارق السن طبعاً ، ومن الذكريات التى أعتز بها ، تلك التى وقعت لى على حلقات مع زميل مصرى عزيز ، والتى بدأت بحديثه معى ذات يوم قائلاً :

ـ أود أن أوجه لك سؤالاً لولا أننى محرج منك .

ـ اسأل يا أخى ولا حرج ..

● الحقيقة أننى اعتدت ـ لاختلاطى بالأجانب ـ أن أجاريهم حتى لا أتهم بالتخلف .. فأتناول معهم الكأس أو الكأسين على سبيل المجاملة ليس إلا .. ولكننى ألاحظ أنك لا تشرب .. وهذا يحرجنى كثيراً ويجعلنى أخجل من الشرب أمامك .. فبماذا تنصحنى ؟ ..

ـ سؤالك وجيه ، وهو يدل على طيب

---

(١) تعبير بالعامية المصرية يعنى : من الآن فصاعداً .

للسفير/ جمال الدين أبو العيون

عنصرك ، وانك غير مقتنع بما تفعل .. وطبعاً لا تنتظر منى أن انصح لك بالشرب ، كما أننى لا أستطيع فى الوقت نفسه أن أراقبك فى جلساتك الخاصة فأمنعك ، فالأمر إذاً متروك لضميرك ، ولكن إذا سألتنى عن رأيى الشخصى فأنا أتمنى أن يتوب الله عليك من الشراب .

ومضت أيام وأسابيع .. ويوماً قال لى صديقي ضاحكاً : « تصور ما وقع بالأمس لابنى الصغير الذي يبلغ من العمر ثلاث سنوات ؟ .. لقد رأى الخادم (البوى) يصلى الظهر فمضى يقلده فى حركاته راكعاً وساجداً ، ونحن نضحك من منظره !! » .. وانتهزت الفرصة السانحة لأوجه صديقي الذى لمست فى المناسبات السابقة أنه على استعداد طيب لتقبل التوجيه الرقيق :

— « الأمر يا أخى لا يستوجب الضحك بل الرثاء .. فكلامك يدل على أن ابنك من عنصر طيب،وعنده استعداد فطرى للصلاة ، ولكن هذا الاستعداد ـ وحده ـ لا يكفى .. فالمفروض أن الابن يقلد أباه .. فإذا كان الأب لا يصلى فحسابه عند ربه ، ولكن ما ذنب الطفل البرىء إذا ما شب دون أن يتعلم الصلاة ، وفى رقبة من ذنبه ؟ .. حاول أن تصلى أمامه لكى ينشأ الولد على حب الصلاة والإسلام » .. وسكت صديقي محرجاً .. وأحسست أنه يغالب البكاء فى صمت .. ومرّت على هذا الحادث أسابيع وأشهر .. ونقل صديقي إلى مصر .. وقابلته بعدها بسنوات لأفاجأ به ، وقد انقطع من تلقاء نفسه عن الشراب .. وصار مواظباً على الصلاة فى أوقاتها ، بل ويصحب السجادة معه حين يسافر إلى أوروبا .. فقد أدرك أن التبعية فى التقليد،وأن العزة فى التمسك بالقيم والأخلاق .. ثم إن الله فتح عليه وعلى زوجته فأديا فريضة الحج ، وتحجبت الزوجة ، وبارك الله لهما فى أولادهما ..

وفيما يتعلق بأسرتى الصغيرة فقد اتبعت معهم نفس المنهج الذى ربانى عليه أبى رحمه الله ، وهو القدوة الحسنة ، فشبت ابنتى وابنى بفضل الله على المعتقدات الإسلامية الأصيلة ، ولم يتأثرا بالمفاهيم الغربية فى المدارس الأجنبية التى اضطررت لإلحاقهما بها ، فكانا يدرسان فى مدرسة « لافونتين » الفرنسية المناهج العلمية والعملية . وفى عطلة الأحد من كل أسبوع كنت أنتهز الفرصة لأقص عليهما قصة من قصص الأنبياء عليهم السلام ، وأسوق لهما درساً خفيفاً في آداب المعاملة الإسلامية ، وفى الوقت نفسه كنت أحرص كل الحرص على أن يأخذا حظهما من الترفيه البرىء المناسب لسنهما .

وأسجل الفضل كل الفضل لزوجتى التى أعانتنى كل العون فى توجيههما وتربيتهما حتى نشأ بفضل الله نشأة قويمة فى مراحل

« الغربة » ، مع الحرص دائماً على هذا الجانب الترفيهي فى إطاره والتجاوب (البناء) فى المدرسة لكيلا يشعرا بالوحشة والانعزال .. وهما مازالا للآن يحملان أجمل الذكريات للنيجر ، ويحلمان بالعودة إليها فى يوم من الأيام .

حفــلات الســمر

والحديث عن جاليتنا المصرية فى النيجر طريف ومشوق ، وأرجو أن أعود إليه مرات كثيرة بإذن الله ، ويكفى أن أذكر هنا أنها كانت جالية مشرفة ، وأن عدد أفرادها لم يتعد وقت وصولى للنيجر أصابع اليدين . فبالإضافة إلى موظفى السفارة ، وهما الزميل محمد أبو العطا والأخ سمير جلال ، كان هناك مدير شركة النصر الأخ إبراهيم هيبة وهو سكندرى حاضر البديهة لطيف المعشر ، ومساعده المحاسب كامل محمود (وهو رجل ملتزم ومتدين) ثم الأخ مصطفى على فنى المصاعد بالعمارة (شاب فيه رجولة من أبناء حى « السيدة زينب » شهم وخدوم) . وعدا هؤلاء كان منا ثلاثة من الخبراء بالأمم المتحدة ، هم: الدكتور فتحى الرشيدي، والدكتور مدحت الكاشف ، وقد مر ذكرهما ، والدكتور يوسف زكى ، ثم ثلاثة من مدرسى اللغة العربية والدين الإسلامى، وهم المشايخ : زكى عمارة، ومحمد على السيد ومصطفى الهمشرى ، وهؤلاء الثلاثة كانوا يعملون بأقاليم النيجر المختلفة ..

أما عمدة الجالية المصرية فكانت بغير منازع السيدة الفاضلة سميحة عبد البصير قرينة الأستاذ القاسم البيهقى ، وهى مصرية صميمة من شبرا ، تعرّف قرينها إلى أسرتها حين كان يدرس فى مصر ، وتزوج بها ، وهو أصلاً من الطوارق ، وملامحه تشبه المصريين ، كما أنه يتكلم العربية بلغتنا تماماً ، وانتقلت مع زوجها إلى النيجر من سنين طويلة، وعملت معه بالتدريس، فإنها تحمل دبلوم معهد المعلمات بمصر ، وعاشت عيش أهل البلاد ، وارتدت ملابسهم الوطنية، وتعلمت لغتهم ، وأنجبت لزوجها ستة من الأطفال الذين يتقنون التحدث باللغة العربية بلهجتها المصرية المحببة .

وكان قد وفد إلينا بعد وصولنا بقليل خبيران جديدان أوفدتهما مصر للعمل بالنيجر عن طريق إعارتهما لحكومة ليبيا التى تعهدت بدفع رواتبهما ، وكان أحدهما طبيباً بيطرياً ، هو المرحوم الدكتور محمد شكرى (مدير قسم مكافحة الطفيليات بمصلحة الطب البيطرى) ، أما الآخر فكان خبيراً للشباب والرياضة ، وهو المرحوم الأستاذ أحمد وجدى حسن بالمجلس الأعلى للرياضة (وزارة الشباب سابقاً) ، وقد حضرا إلى النيجر خصيصاً ليحلا محل خبيرين إسرائيليين يعملان فى نفس المجال ..

وكان شكرى ووجدى عليهما رحمة الله صديقين حميمين ، وكانت لنا معهما نوادر وحكايات لا تنتهى وإن أنس لا أنسى اهتمامهما بساق ابنتى الصغيرة التى كان الدكتور شكرى يطمئننا عليها أولاً بأول مؤكداً: أن الساق البشرية لا تختلف فى تكوينها التشريحي عن « ساق الجاموسة » ، أما

وجدى فقد اهتم بالإشراف على العلاج الطبيعى لساقها بعد فك « الجبس » عنها حتى عادت بفضل الله إلى طبيعتها فى فترة وجيزة .

وكان وجدى ، باعتباره خبيراً فى الرياضة والشباب ، هو نجم الحفلات الأسبوعية التى اعتدنا إقامتها مساء كل يوم سبت فى (الكافتيريا) الملحقة بعمارة النصر ، ولذلك قصة طريفة :

كانت عمارة النصر فى بدء وصولنا مظلمة موحشة ، لا يزيد عدد الشقق المشغولة فيها عن سبع شقق من أربع وأربعين ، من الشقق السبع : خمس مخصصة للسفارة وشركة النصر ، وشقتان مشغولتان بالسيد جروندان ممثل الأمم المتحدة فى (نيامى) وخبيرة يوغوسلافية ، وقد يرجع السبب فى عدم الإقبال عليها فى بادىء الأمر إلى مفهوم العديد من الخبراء الأجانب الذين كانوا يفضلون سكنى الفيلات ذات الحدائق الواسعة ، ثم إلى الشائعات المغرضة التى أطلقها بعض الحاقدين ، ومؤداها أن العمارة آيلة للسقوط بدعوى أنها مبنية على أرض رخوة ترشح بالمياه الجوفية ، فكان لابد لنا من عمل دعاية مضادة ومكثفة نرد بها على تلك الشائعات وغيرها .

وفى البداية اتفقت مع الأخ كامل محمود محاسب بشركة النصر أن تضىء شرفات العمارة ليلاً لتبدو من بعيد متألقة وجذابة ، وكنا حين ندعو ضيوفنا لزيارتنا بالعمارة نلفت نظرهم إلى ما تنعم به من جو بديع ومنظر للعاصمة من حولنا لايضاهيه منظر فى جماله ، ثم إننا حرصنا على إقامة أول حفل استقبال كبير للسفارة فى (كافتيريا) العمارة بعد أن زيناها بالزخارف العربية الجميلة والأنوار المتلألئة ، فكانت قبلة للناظرين ..

وعند أول يناير ١٩٧٢ فكرنا فى إقامة حفلات سمر فى الكافتيريا مساء السبت من كل أسبوع لتوثيق الروابط بيننا من ناحية ، ولإحياء (الكافتيريا) والدعاية لها من جهة أخرى ، وتحمس أبناء الجالية المصرية للفكرة ، فجمعوا اشتراكات اشتروا التجهيزات اللازمة من أطباق وأدوات للمائدة ، ثم إننا قسمنا العمل بيننا على أن يقوم رب كل أسرة بالتناوب بإعداد الطعام مرة كل أسبوع ، فيكون هو المضيف ، واتسعت الحلقة تدريجياً ، وانضم إلينا أصدقاء لبنانيون وتوانسة ومغاربة وبذا تنوعت الأطباق الشهية من مختلف الأقطار العربية .

فكانت هذه الحفلات متنفسا لنا ولأطفالنا جميعا ، ننتظرها بفارغ الصبر من السبت إلى السبت ونمضى فيها أوقاتنا فى جوّ عائلى وسمر برىء تجتمع قلوبنا عليه أسبوعاً بعد أسبوع ، حتى انقضت ستة أشهر ، وبعدها اضطررنا للتوقف بمناسبة قدوم موسم الحرّ الشديد ولأسباب أخرى أرجو أن أسردها فى حينها ..

دور الأزهر

فى استقدام الطلاب الوافدين

ب ـ مدينة البعوث الإسلامية

بعد أن تضاعف عدد الطلاب الوافدين ، وضاقت بهم الأروقة ، وحرصاً من الحكومة المصرية على توفير الاستقرار السكنى لهؤلاء الطلاب ، تم إنشاء مدينة تاهى للبعوث الإسلامية عام ١٩٥٩ ، وهى تتسع لأكثر من خمسة آلاف طالب ، ويلحق بها كل ألوان الرعاية الدينية والثقافية والصحية والاجتماعية والرياضية . وهذه المدينة ترعى طلابا ينتمون إلى جنسيات متعددة تختلف ألسنتهم ولهجاتهم وتقاليدهم وعاداتهم . وتهدف المدينة ، حسب البيانات الرسمية للأزهر ، إلى توثيق الصلات وإذابة الفوارق بين أبناء الشعوب الإسلامية وتوفير أسباب الراحة للطالب الوافد فى معيشته حتى يتفرغ لدراسته فى جو يعينه على تحصيل العلوم واكتساب الخبرات بصورة جدية .

وتقدم المدينة خدماتها للطلبة ، كما تقوم باختيار عدد من جنسيات مختلفة لأداء فريضة الحج على نفقة المدينة ، هذا بالإضافة إلى صندوق خدمة الطلاب الوافدين الذى أنشىء عام ١٩٦٧ لتقديم قروض وإعانات للطلاب المحتاجين . كما تقدم المدينة لأبنائها أنشطة أخرى تهدف من ورائها شغل وقت فراغ الطالب ، وفى ذات الوقت تعينه على اكتساب بعض الخبرات وتنمية ملكاته . فيوجد بالمدينة مركز لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده وترتيله على يد أساتذه متخصصين ، ومركز للخطابة الدينية واللغة العربية ، يتيح للطالب تعلم فن الخطابة ، ومركز لتأهيل الطلاب على الآلة الكاتبة ، وغير ذلك مما يعطى الطلاب الخبرة وينمى هواياتهم فى مجالات عدة .

٣ ـ الخطوط الرئيسية للسياسة التعليمية بجامعة الأزهر :

إن الأزهر الجامع والجامعة ، مقصد

د. رجاء إبراهيم سليم

طلاب الثقافة الإسلامية ، يفد إليه كثير من المسلمين من شتى أنحاء العالم ليتزودوا من علومه ، ثم يعودوا إلى أوطانهم ليكونوا دعاة للإسلام ، وفى ضوء تلك الأهداف تحددت الخطوط والمبادىء الرئيسية للسياسة التعليمية بجامعة الأزهر فى النقاط التالية :

- أن تكون مفتوحة الأبواب لكل مسلم يطلب العلم والمعرفة .
- أن تعنى فى منهاجها وبرامج تعليمها بكل مايقوى الروح الإسلامية .
- أن تخرج لمصر وللعالمين العربى والإسلامى علماء وخبراء .
- أن توفر للأجيال القادمة ماتحتاج إليه من القيادات العلمية الرائدة ، وتقوم بدعم الدراسات العليا فى الجامعة ، والتنويع فى تخصصاتها الدقيقة وإيفاد البعثات .
- أن تتابع النشاط العلمى العالمى وتستفيد منه وتشارك فى نموه وتطويره ، وذلك بتوثيق الصلة مع جامعات ومؤسسات البحث العلمى ، وتبادل الزيارات العلمية واستضافة الكفايات النادرة لإلقاء المحاضرات ، وإجراء البحوث ، وإيفاد الأساتذة لاستطلاع مايجد فى مجالات البحث العلمى ووسائل النهوض به .

٤ ـ قانون تطوير الأزهر :

صدر القانون رقم ١٠٣ فى ٥ مايو ١٩٦١ الخاص بتطوير الأزهر ، الذى نص على أن الأزهر هو الهيئة الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ، ودراسته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب ، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم الشعوب ، كما يهتم بالحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة الإسلامية ، وتزويد العالم العربى والإسلامى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة والثقافة الدينية واللغة العربية والقرآن الكريم ، وتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، وربط العقيدة بالسلوك ، كما يهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجهات والهيئات العلمية الإسلامية العربية والأجنبية . **وبمقتضى هذا القانون انشىء المجلس الأعلى للأزهر ، ومجمع البحوث الإسلامية . (وإدارة الثقافة والبحوث الإسلامية) وجامعة الأزهر ، ولقد نص قانون التطوير ايضا على أن تتساوى فرص القبول بالمجان** فى كليات جامعة الأزهر للطلاب المسلمين من كل جنس وكل بلد[(١)] .

وتعتبر جامعة الأزهر جامعة المسلمين فى كل أنحاء العالم وهى أسبقهم بهذه الميزة وهى تسوى بين الطلاب الوافدين وبين أبناء جمهورية مصر فى فرص القبول بها وبالمجان وحتى عام ١٩٨٥ ، لم تكن هناك نسبة

←

(١) هذا القانون طَوَّرَ المجلس الأعلى للأزهر وإلا فقد كان موجودا قبل القانون .

دور الأزهر فى استقدام الطلاب

محددة لقبولهم كما فى الجامعات المصرية الأخرى(٢) وقد حددت المادة الأولى من الباب الرابع من قانون التطوير اختصاص جامعة الأزهر ، بكل مايتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر ، وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه وتقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتوضيحه ونشره ، وتؤدى رسالة الإسلام إلى الناس ، وتعمل على إظهار حقيقته وأثره فى تقدم البشر وكفالة السعادة لهم فى الدنيا والآخرة ، كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى والروحى للأمة العربية ، وتعمل على تزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون بالإضافة إلى الإيمان بالله ، الثقة بالنفس وقوة الروح ، والتفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن والكفاية العلمية والعملية والمهنية ، لتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أنواع النشاط والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة ، وعلم الدنيا للمشاركة فى الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فى داخل جمهورية مصر وخارجها من أبناء الجمهورية وغيرهم ، كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية العربية والأجنبية . وأباحت المادة ٣٨ من القانون فرص القبول المتساوية لجميع الطلاب المسلمين من كل جنس ، وكل بلد ، كما أتاحت دراسات خاصة لطلاب البعوث من غير مواطنى مصر حتى يتمكنوا من متابعة الدراسة فى الجامعة مع نظرائهم من الطلاب العرب .

ولم تعد الدراسة بالأزهر مقصورة على العلوم الدينية فقط ، وإنما تعدت ذلك إلى كل التخصصات . فنجد أن عدد الكليات التابعة لجامعة الأزهر فى عام ١٩٨٥ : ٣٩ كلية يدرس فيها الطب والهندسة والعلوم والصيدلة ، إلى جانب الدراسات الإنسانية والدينية ، بعد أن كانت ثلاث كليات فقط ، قبل قانون تطوير الأزهر ١٠٣ لعام ١٩٦١ وهى : كلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية ، وكلية الشريعة .

بعد صدور قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١ ، أصبحت إدارة البعوث الإسلامية ، التابعة لمجمع البحوث الإسلامية ، الجهة المختصة باستقبال الطلاب الوافدين من كل دول العالم الذين يريدون الدراسة بجامعة الأزهر ، حيث تقوم بتنسيق قبولهم بالجامعة ولكن بعد صدور قرار رئيس جامعة الأزهر رقم ٢١ لسنة ١٩٧٨ : بشأن إعادة تكوين الهيكل التنظيمى لجامعة الأزهر ، والذى نشأت بناء عليه (إدارة الوافدين) التابعة للإدارة العامة لشئون التعليم بجامعة الأزهر . وتضم قسمين : .

الأول : قسم تسجيل الوافدين .

(٢) قررت جامعة الأزهر الا يزيد عدد الطلاب الوافدين بكل كلية على ١٠٪ من الطلاب المصريين المقبولين بكل كلية ابتداء من العام الدراسى ١٩٨٧/٨٦ .

والثانى : قسم الاتصال الخارجى والمعادلات الدراسة .

اقتصر دور إدارة البعوث الإسلامية على تلقى أوراق الطلاب الوافدين لإرسالها بدورها لإدارة الوافدين لتنسيقها وتوزيع الطلاب على كليات الجامعة المختلفة . وقد حدد القرار السابق اختصاصات إدارة الوافدين فى الآتى :

- متابعة تطبيق القواعد المقررة فى شأن تسجيل الطلاب الوافدين وشئون دراستهم وامتحاناتهم وتحويلهم ونقل قيدهم .
- الاحتفاظ ببيانات ومعلومات متكاملة عن الطلاب الوافدين المقيدين بالدراسة التأهيلية وبمرحلة الإجازة العالية بالكليات .
- المشاركة فى إعداد دليل قبول الطلاب المستجدين بالجامعة سنويا .
- تنظيم إجراءات القبول للطلاب الوافدين بالسنة التأهيلية ومرحلة الإجازة العالية .
- تتبع الحالات الدراسية للطلاب الوافدين .
- متابعة تحصيل المصروفات الدراسية والرسوم للطلاب الوافدين وقيدها بالسجلات وبحث اقتراح حالات الإعفاء وعرضها على السلطات الجامعية المختصة .
- المشاركة فى الإعداد الفنى لاجتماعات لجنة معادلة الدرجات العلمية وتحضير أعمالها واتخاذ إجراءات تنفيذ قراراتها .
- إعداد دليل المعادلات الدراسية وإبلاغها للجهات المعنية والسفارات .

والأمل كبير فى أن يكثف الأزهر جهده فيما يتعلق بنشاطه الطيب فى الدول الأفريقية سواء فى ذلك نشاطه فى إرسال علمائه إليها ، وفيما يستقبله من أبنائها ؛ فإنه النبع العلمى الفياض الذى تنتظر منه أفريقيا الخير لكل أبنائها ●

المراجع

١ ـ د . شوقى الجمل . دور مصر فى أفريقيا فى العصر الحديث

٢ ـ الأزهر الشريف فى عيده الألفى

٣ ـ الأزهر الشريف ، الأزهر فى ١٢ عاما ،

٤ ـ د . عبد العزيز الشناوى ، الأزهر جامعا وجامعة

٥ ـ وزارة التربية والتعليم ، السجل الثقافى لسنة ١٩٥٥ .

٦ ـ وزارة التربية والتعليم ، دليل الطلبة الشرقيين

٧ ـ الأزهر الشريف ، مدينة البعوث الإسلامية للطلاب الوافدين ، (القاهرة : إدارة الأزهر ، ١٩٨٤) .

٨ ـ الأزهر الشريف ، جامعة الأزهر فى ظل التطوير الجديد

٩ ـ الهيئة العامة للاستعلامات ، الأزهر فى ألف عام .

١٠ ـ عبد الحميد عبد الله سلام : مشكلات التعليم الثانوى بالأزهر وأثرها على اتجاهات القبول بجامعة الأزهر فى الفترة من ١٩٦١ إلى ١٩٧٥ ، رسالة دكتوراه غير منشورة (القاهرة : جامعة الأزهر ، ١٩٧٨) .

١١ ـ أحمد يوسف القرعى ، خير الاهتمام العربى السياسى الفعلى بأفريقيا ، فى العرب وأفريقيا

الفتاوى

الهدية لأحد الوالدين

السؤال : قدمت لوالدتي شيئاً من الادوات المعمرة ، وبقيت الهدية بعينها بعد وفاة والدتي . فهل يجوز لى استردادها ، ام تدخل فى الميراث ؟

ع . م - القاهرة

الجواب : ليس لك استرداد ما قدمت لأمك ، لأنها تملكتها قبل وفاتها عن طريق الهبة والعطية والمنحة من ابنها ، فأصبحت ملكا لها ، فتكون من جملة الميراث بعد وفاتها .

كرامة الإنسان

السؤال : سمعت رجلا ينسب إلى رسول الله ﷺ : مايلى :

١ - إذا اصيب شخص بغصة ولم يجد الماء الذى يزيل به غصته جاز له ان يزيلها بالخمر .

٢ - إذا وجدت جماعة فى الصحراء ، وقد نفد طعامهم وشرابهم واشرفوا على الهلاك - جاز لهم ان ينظروا إلى اكثرهم إعياء فيذبحوه وياكلوا من لحمه . فهل هذا صحيح ؟

محمد حسين ابو جبل

الأردن / اربد / ش الامير نايف

الجواب : أما عن الشق الأول :

وهو إزالة الغصة بشرب قليل من الخمر فى حدود الحاجة والضرورة فإنه يجوز .

أما عن الشق الثانى :

وهو أكل الإنسان لزميل فى الصحراء ليبقى على حياته بإزالة حياة الآخر ، فهذا مما تأباه الأصول الشرعية الإسلامية . نعم يجوز إزالة الجوع بالميتة أو الخنزير .

قال تعالى فى سورة الانعام : ﴿ . . . . وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ .

لا غسل عليك

السؤال : انا شاب من قوم يغلب على حياتهم ركوب الدابة ، وكلما ركبتها ينزل

إعداد/عبد الحميد شاهين
علي حامد

مني المني بدون إنذار ، فهل عليَّ غسل ؟
عبد الرازق ـ ط . م ـ سبراى ـ طنطا

الجواب : الراجح عند الحنفية أن المنى الذى يجب منه الغسل يكون عن انتشار وقذف ... ، وللمنى أوصاف خاصة : فهو غليظ ، وليس رقيقاً ، وله رائحة خاصة . أما إذا نزل بسبب حمل ثقيل ، أو خرج بفتور كما فى حالتك فإنه لا يجب منه الغسل عند الحنفية .

تعليق السلسلة

السؤال : ما رأى الإسلام فى تعليق سلسلة من معدن غير الذهب للرجل ؟
م . عبد الله ـ البلينا

الجواب : تعليق سلسلة فى العنق من غير الذهب لم يرد بشأنها نص بتحريم ، غير أنه تشبه بالنساء وهذا منهى عنه شرعاً[1] .

استبدال جزء من المعاش

السؤال : ما الراى فى استبدال جزء من المعاش ، كاستبدال عشرة جنيهات بألف يقبض منها ثمانمائة وخمسين جنيهاً ، والسداد على اقساط . فهل هذا ربا ؟ .. افيدونا .

حسن .... روز اليوسف

الجواب : استبدال جزء من المعاش للموظف بفائدة ، وغالباً لا تقل عن ٧٥٪ يعتبر ربا فاحشاً ، ولذا كان حراماً لا يحل التعامل به إلا فى حالة الضرورة القصوى ، والحاجة الملحة ، لقول الله تعالى :﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ . وقوله سبحانه : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ .

والحاجة الملحة تنزل منزلة الضرورات التى تبيح المحظورات بناء على ما قرره علماء أصول الفقه .

عن السحر

السؤال : ما رايكم فيما يسمى بالأعمال السحرية ، وهل يمكن اللجوء إلى اى شخص لفك هذه الأعمال ؟

ح . م . روز اليوسف

←

---

١ ـ بعض الناس يصاب بمرض يأتيه بإغماء فجائى فى اى موضع يكون فيه ، فيرى أقرب شىء للتعريف به أن يضع حول معصمه قطعة من فضة مثلاً بسلسلة دون عليها اسمه وعنوانه فإذا كانت هذه السلسلة فى عنقه او حول معصمه ، فهذه ضرورة/والضرورة تقدر بقدرها .

الفتـــاوى

الجواب : يقول رئيس لجنة الفتوى فضيلـة الشيخ عبد الله المشد فى الإجابة عن ذلك : أنا شخصياً أرى أن السحر هو محاولة الساحر أن يظهر الشىء بغير صورته الحقيقية إيهاما وتخييلاً ، وقد دلت الأدلة الشرعية على حرمة هذا ، وأما السحر بقلب حقائق الأشياء فأنا لا أومن بصحته ولا بإمكانه ، وقد نهى النبى ﷺ المسلمين عن أن يتجهوا فى حل مثل هذا عن طريق عراف أو كاهن أو لعب بالورق أو غير ذلك مما يلجأ إليه كثير من مدعى معرفة الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله .

الشك وعلاجه

السؤال : إننى اشك فى كل شىء ، فارى انه نحس حتى الكتب ـ افيدونى .

م . ع . ع

الجواب : هذه الحال من الأمراض النفسية التى تحتاج إلى عرض على طبيب نفسى مختص ـ ولعلاجك من هذه الحال يجب أن تعرض نفسك عليه . كما يجب عليك أن تقاوم فى نفسك تلك الشكوك ، والوساوس حتى لا تفسد عليك عبادتك .

وقد قرر العلماء أن من أصيب بوسوسة أو شك أخذ باليقين ، فإذا تيقن أنه توضأ وشك فى حدث فهو متوضىء ويصلى .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

كن على الأرض مؤمناً

إسلام عمر

خواطر متقاعد

كن على الأرض مؤمنا

قال لى صاحبى ـ واطرق حينا: لست والله افهم الآخرينا
ما دَهَى الناسَ فاستحالوا ذئاباً واستحال الغناء شدوا حزينا ؟!
كيف ساد النفوسَ سوء النوايا وتَنَاسَوْا ودادهم ظالمينا ؟!
إنْ تقرّبتَ فى المساء إليهمْ يتناجون بالنوى مصبحينا
او تقدمت بالجميل من الافعال باتوا بحقدهم جاحدينا
او بذلت الوداد صفوا نقيا نهشوا الود والهوى طامعينا
كم شربتُ العذاب منهم مرارا وجرعتُ السهاد دمعا سخينا
دُلَّنى صاحبى : اعندك حَلٌّ يسعد القلب او يُزيل الشجونا ؟
دُلَّنى صاحبى فقد فاض كيلى دُلَّنى ما الذى تغير فينا ؟

قلت : ياصاحبى حنانك مهلا ما تُرجيِّه ليس سرا دفينا
نَسِىَ الناسُ رَبَّهُمُ وتمادوا فى صحارى ضلالهم تائهينا
كل قول للسامرى اطاعو هُ وساروا وراءه غافلينا
وخبا النور فى القلوب وسادت ظلمة تحرق الحشا والعيونا
نحن كالقابضين للجمر نشقى اترى الجمر يرحم القابضينا ؟
نحن أسرى سجوننا فى الحنايا لستَ ياصاحبى الوحيدَ السجينا
رنة الإثم قاسمتْنا خطانا وغدا الزيف والضلال قرينا
ترك الناس دِينَهمْ كيف ينجو من جفا ربه واهمل دينا ؟!

رشاد محمد يوسف

أنـزل الله للـعبـاد كتـابـا … يبـعث النـور والـهداية فينا
قـد حـوى حكمـةً ونـورا وعلماً … وبيـانـا مفصـلا ومبينـا
كـم هـدى انفسـا وزكـى قلـوبـا … وانـار الصحـاب والتـابـعينـا
فيـه امـن ورحمـة وامـان … وعـذاب السـعيـر للكـاذبيـنـا
فيـه للصـادقـين خيـر جـزاء … يـهـب النفـس حكمـة ويقينـا
فيـه زاد القلـوب مـن كـل خيـر … وشفـاء النفـوس دنيـا ودينـا

لـو اخـذنـا بـه نجـونـا وسُدنـا … ورفـعنـا علـى الحيـاة الجبينـا
لـو اخـذنـا بـه تـلاقـت خطـانـا … وسـعـدنـا بظلـه آمنينـا
لـو اخـذنـا بـه نـعمنـا بـعيش … هـو انقـى هـدى واصفـى مـعينـا
لـو اخـذنـا بـه حفظنـا حمـانـا … وجـعلنـاه جنـة وعيـونـا

قلـت : يـاصـاحبـي حنـانـك هَـذِي … شرعـةُ الله تسـعـد العـالمينـا
شرعـة تمـلا النفـوس نقـاء … ووفـاء لـدى القلـوب مصـونـا
فخـذ الـعفـو في الحيـاة وسـامـح … وصـن الـود واهجـر الجـاهلينـا
كـن علـى الأرض مـؤمنـا وكـريمـا … كـن امينـا تـرى الـوجـود امينـا

إسلام عمر

للشاعر: عمر موسى البرعي

أَعْظِمْ بـهـا حكمـة مـن ابلـغ الحكـم ... قلبـى يُـردِّدُهـا نَشْـوانَ قبـل فمـى
وقصـةُ خلَّـد الفـاروق عبـرتـهـا ... عـلى الـزمـان فشـاقـتْ مَسمـعَ الامـم
قـد قيـل : أُختـك يـافـاروقُ قـد صبـات ... فـاسمـع لـهـا تقـرا القـرآنَ مـن امـم
فـانسـلَّ غضبـانَ يسعى نحـوهـا حنِقـاً ... مـهـدِّدا بصنـوف الشـرِ والنِّقـم
شـدَّ الصحيفـة منـهـا عنـوةً فـابـت ... تـركَ الصحيفـةِ فى عـزم وفى شَمـم
فـراح يصفـعـهـا حتـى اسـال عـلى ... جبينِـهـا الطَّـاهِـر الـزاهـى زكـىَّ دم
لمـا راى الـدَّم ثـارت فى جـوانحـه ... مشـاعـرُ القـرب والإحسـاس بـالـرَّحِـم
وادركتْـهُ مـنَ المـولى عنـايتُـه ... فـراح يشـعـر بـعـد البطشِ بـالنَّـدم
وقـال : يـااختُ هـاتيـهـا لاقـراهـا ... واستبـينَ الـذى فيـهـا مـن الكَلِـم
واهتـزَّ حيـن تـلاهـا قلبـه وَجَـلا ... مِنْ خشيـة الله ذى الآلاء والنِّـعـم
واسْتَشْـعـر النـورَ يسرى فى جـوانِحِـه ... مُبـدِّدا حَلَـكَ الإشـراك والظُّلَـم
وهـمَّ يُسْـرِعُ نحـو المصطفـى امَـلاً ... والقلـب مـن جَـذْوةِ الإيمـان فى ضَرم
هـذى يـدى يـارسـول الله ابسُطـهـا ... وفيَّـةً الـعَـهْـد والميثـاقِ والـذِّمـم
اتيتـك اليـوم بـالإسـلام مـعـتـذراً ... عمَّـا مضى فتقبـلْ عُـذْرَ مـعْتَصـم
فـاصْـدعْ بـه يـارسـول الله فى ثقـة ... لا تَخْش مِـنْ عـابـدى الأوثـان والصَّنـم
اصْبَحَـتْ سَيفَـك فـاضْـربْ بى رقـابـهـمُ ... او فـازم بى - إن تشـأ - فى كـل مضطَـرَم
فكبـرَ الصَّحْـبُ والإعجـاب يَـغْـمـرهُـمْ ... مـن مـوقـف البطـل المغـوارذى الـهِمَـم
اراده الله سيفـا للحنيـف هـدى ... فلـم يَـهِـنْ او يكـن يـومـاً بمُنْـهـزِم
اعــزَّه الله بـالإسـلام مقتـدراً ... كمـا اعـزَّ بـه الإسـلامَ فى الامـم
مَـنْ ادركَتْـهُ مـن المـولى عنـايتُـهُ ... نجـا ، ومَـنْ يـعتصِـمْ بـالله يـغتَنِـم

خواطر متقاعد

للأستاذ/ على حسن سرحان

وَصَلْنَا لِلتَّقَاعُدِ بَعْدَ عُمْرٍ قَطَعْنَاهُ عَلَى كَبَدٍ سِنِينَا
وَمَنْ يَرِدِ المَعَاشَ فَبِئْسَ وِرْداً وَرَدْنَاهُ وَكُنَّا كَارِهِينَا
يُذَكِّرُنَا رَبِيعَ الْعُمْرِ وَلَّى وَأَنَّا فِى الحَيَاةِ مُخَرَّفُونَا
ويأتِى الْعَجْزُ فِى أعْقَابِ عَجْزٍ يساراً حين يأتى او يمينا
وَنُرْمَى بِالسَّفَاهَةِ إِنْ أَشَرْنَا وَإِنْ كُنَّا الْهُدَاةَ النَّاصِحِينَا
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَاباً وَنَشْقَى بِالمطاعم آكِلِينَا
وَنَنْتَظِرُ الثِّمَارَ لِمَا غَرَسْنَا فَيَأْتِينَا الْعُقُوقُ مِنَ البَنِينَا
وَيَنْكَشِفُ السِّتَارُ فَلَا مُعِينُ يُرَجَّى غَيْرَ رَبِّ الْعَالَمِينَا
تَعَالَى المُنْعِمُ البَاقِى وحَمْداً لِمَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ أَجْمَعِينَا
فَيَاجِيلَ الشَّبَابِ أَمَا عَلِمْتُمْ بِأن كُنَّا لَكُمْ حِصْنًا حَصِينَا
وكِيفَ جَحَدْتُمُوُ فضلاً عليكم لمن جَعَلَ الطَّرِيقَ لكُمْ امِينَا
غداً تلقون ما تلقاه منكم وليس يضيع اجر العاملينا

من أعلام الأزهر

عبد المجيد سليم

عالم الشريعة ومفتي الإسلام

يقول حافظ إبراهيم فى رثاء الأستاذ الإمام محمد عبده :

بكى عَالَمُ الإسلامِ عَالِمَ عصره
سراج الدياجى هادم الشبهات

وعالم العصر هو الذى يعرف معضلاته ويضع لها الحلول الناجعة فى ضوء ما يفهم من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما روى عن ائمة التشريع ممن خبروا أمور الناس ، وافتوا فى مشكلاتهم بما يتفق والنهج القويم ، وكذلك كان الأستاذ الإمام وكذلك كان خليفته فى الإفتاء عبد المجيد سليم .

لقد اتيح للأزهرى الناشىء أن ينتسب إلى الأزهر فى عصر الأستاذ الإمام وأن يستمع إلى دروسه فى التفسير والبلاغة وأن يراه مثلاً يحتذى فى إصابة الفهم ، وسعة الاطلاع ، وبلاغة التعبير ، فيبلغ من نفسه مبلغاً كبيراً ، كذلك أتيح له أن يتتلمذ على الشيخ الفيلسوف الزاهد (حسن الطويل) فيقرأ عليه كتب المنطق ، وبعض مؤلفات ابن سينا ، وقد أفاد من سلوكه ما أفاد من علمه ، حيث كان (الطويل) مع سعة محيطه زاهداً متواضعاً ، لا تغره البوارق ، ولا تتجاذبه الأضواء ، بل ينشد الدرس الهادىء فى صحبة أفراد من تلاميذه يصطفيهم اصطفاءً جيداً بعد أن يقف على استعدادهم الطيب ، فإذا تم لهم ما أرادوه من حب الأستاذ والأهم بدروسه البعيدة عن النمط التقليدي فى الأزهر ، وقد يؤخذ عليه أنه يعرض كثيراً ، ويرجح قليلاً ، وذلك شأن بعض المفكرين حين تتكافأ الأدلة ، وتتعادل البراهين فيصعب الميل إلى رأى خاص دون ترجيح أكيد ، أما صاحب الأثر فى التعمق الفقهى لدى الطالب الناشىء فهو شيخه الأستاذ (أحمد أبو خطوة) ، حيث كان من كبار المتضلعين فى الفقه الحنفى ، وقد قرأ من الشروح والحواشى فى الأصول والفروع ما يتعذر حصره ، حيث كانت تعرض الجزئية الصغيرة من أحكام الفقه ، فيفيض (أبو خطوة) فى إيضاح

د. محمد رجب البيومى

ماقيل بصددها من شتى الأقوال ، وكأنها كانت موضع دراسة خاصة قد احتفل لها من قبل ، وكان الشيخ (عبد المجيد سليم) كثير الإشادة به فى أحاديثه ، وقد عقد موازنة بينه وبين أستاذه الإمام محمد عبده فذكر أن الإمام يمتاز بسعة الأفق وقوة التعليل مع بلاغة الأداء ، وأن الشيخ أبا خطوة يمتاز بتتبع المسائل فى كتب الفقه وأدلة الأحكام ، وكلاهما رجع على الطالب المتطلع بما أمده من بصر سديد ، وعلم غزير ، إذ لم يكد ينال درجة العالمية حتى عين مدرساً للفقه والأصول بالأزهر ، وتدريس الأصول من المعلم الناشىء همة وطموح ، إذ عرف عن مدرسيه أنهم من كبار العلماء لا من مبتدئيهم ، وقد انتقل صيته العلمى إلى (عاطف بركات باشا) ناظر مدرسة القضاء الشرعى فاختاره لتدريس الفقه والأصول بهذه المدرسة العالية ، وفى زملائه المدرسين من كانوا أساتذته ، وعلى يد الشيخ عبد المجيد تخرج فى الفقه والأصول « نفر ممتاز » من رجال القضاء الشرعى بمصر ، ولم يشأ الشيخ أن يضع مذكرات لطلابه ، كما فعل زملاؤه بل ارتضى أن يدرس لهم الأصول العريقة من كتب التراث الفقهى ، وأن يعلق عليها بما يفصل المجمل ، ويوضح الغامض وكأنه بذلك يحذو حذو أستاذه حسن الطويل فى درس الفلسفة إذ كان يقرأ كتب السلف شارحاً موجهاً ، فإذا سئل أن يخُط مؤلفاً مستقلاً أعلن أنه لا يبلغ مبلغ سابقيه ! ولكلٍ منحاه المُريح ، وقد ألح

الكثيرون على الشيخ أن يأذن بطبع رسالته الفقهية التى تقدم بها لعضوية هيئة كبار العلماء فلم يسترح إلى هذا الاقتراح ، كما لم يشأ أن يجمع ما أصدر من الفتاوى الفقهية الدقيقة على مدى ربع قرن متصل ، إذ لم ينقطع عن الإفتاء بعد أن تركه إلى مشيخة الأزهر فظل يُسأل ويجيب ، وقد ألهم الله ذوى الرأى فقاموا بجمع ما صدر عنه من الفتوى مع زملائه السابقين واللاحقين ، فى مجموعات شافية تعتبر إحدى الذخائر الغالية فى دنيا التشريع ، وبذلك تهيأ للدارسين أن يُلموا بآراء الفقيه الكبير ، وافية شافية ، ولن يضيع جهد المخلصين .

كان فى طبع الرجل الكبير ميل عن السياسة

← من أعلام الأزهر

الحزبية ، ودعوة « حارة » لطلاب العلم أن ينصرفوا إلى رسالتهم الإسلامية الخاصة بالتعليم والإرشاد ، ولكن صاحب المنصب الديني المرموق لابد أن يُسأل فيجيب ، ومن هذه الأسئلة ما يمت إلى السياسة والسياسيين بالنسب القريب ، وقد يكون السؤال من الخطورة بحيث يواجه صاحب الأمر مواجهة شجاعة تتطلب الرد الشجاع ، وهذا ما عُهد من المفتى الأكبر ، وقد كتبت مقالاً بمجلة الأزهر[1] بسطت فيه فنوناً من هذه المواجهة الحاسمة التى تعددت مواقفها ، وتشابهت ببعض مواقف شيخه الأستاذ الإمام ، إذ حاول مدير الخاصة الملكية بإيعاز من الملك أن يستبدل ببعض ممتلكاته العقارية (الجديبة) أرضاً (خصيبة) من أملاك الأوقاف ، وتلمس الفتوى الميسرة من المفتى الأكبر ، فأعلن لفوره أن الاستبدال باطل إذ لا يجوز شرعاً لغير مصلحة الواقف ، وهى هنا مفقودة ، بل إن الخسارة محققة فعلاً ! وأكبر من ذلك خطراً أن يتلقى سؤالاً عن حكم الشرع فى (رجل يراقص النساء) ، و(يشرب الخمر)(*) فى الحفلات ! وذلك بعد حفلة صاخبة أقامتها إحدى الأميرات وحضرها فاروق ونشرت بعض الجرائد صوراً لبعض ما كان ! وقد أدرك عبد المجيد سليم من المقصود بالفتوى فما تراجع بل جابه المخطىء بانحرافه ، واضطرب القصر لجرأة هذا الإنكار الصارخ كما قالت مجلة المصور ، واتصل بالأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر حينئذ منبهاً على خطورة الفتوى بالنسبة لأثرها الجرىء ، وكان الشيخ المراغى من الغيرة على الحق بحيث لم يخذل أخاه ، بل دعا إلى تصحيح الخطأ عند المخطىء لا إلى تخطئة المصيب !

وصداقة الرجلين الكبيرين كانت محكمة الأواصر من عهد بعيد ، فقد اشتركا معاً فى لجان فقهية قامت ببعض التشريعات المتطورة وفقاً للقواعد الفقهية الملزمة ، وعرف كل صديق لصاحبه مكانه التشريعي ومعدنه الخلقى ، ولكن اتجاه المراغى فى ملابسة

(١) مجلة الأزهر عدد صفر ١٣٨٠ هـ .

السياسة خالف اتجاه المفتى ، فنشأ بعض الفتور بين الشيخين الكبيرين لأمد لم يطل ؛ لأن النفوس الكبيرة إذا تعرض بعض الغيم فى سمائها الصافية لا يلبث أن ينقشع ، وقد أتيح لعبد المجيد سليم أن يؤبن صديقه فى بعض المناسبات الداعية ، وأن يقول إنه كان ذا صفات شريفة جعلته رجلاً عظيماً ، وأجلسته من التاريخ مجلساً مرموقاً ، ثم ألم بما كان من الخلاف الطارىء حين قال « كنت أنا والشيخ المراغى صديقين حميمين ، كلانا يُحب صاحبه ، ويقدر مواهبه ، ولم تكن هذه الصداقة عارضة ، بل كانت أصيلة مرت بها عهود مختلفة ، اشتركنا فيها ، ولكننا اختلفنا بعد أمد من مشيخته الثانية للأزهر ، وكان خلافنا معروفاً للعامة والخاصة من الأزهريين وغيرهم ، وسببه الجوهرى ميله - رحمه الله - إلى ناحية السياسة الحزبية ، وشدة نفورى من ذلك ، إذ أرى الخير كل الخير فى أن يتجنب العلماء مكايد الحزبية ومتاعبها التى تفضى إلى ما لا يُحمد من العواقب ، ولكن هذا الخلاف لم يخرج بى ولا به عن الجادة ، وماينبغى أن يكون عليه أهل العلم من المودة والنصيحة ، فكنت أبدى له ودى ، وأنقد ما أراه موضع النقد ، وكان يتقبل ودى ويبادلنى إياه ، ويعتذر عن عدم مشاطرتى ، أو يبدى من المبررات ما يراه سبباً لفعله ، ولم يكن هذا الخلاف بالذى يقطع ما بيننا من محبة وتعاون ، ولكنه كان خلاف الشرفاء ، والحمد لله »[٣] .

هذا عن الإمام المراغى ، أما الإمام الأكبر (مصطفى عبد الرازق) فقد كان صديق عبد المجيد سليم وزميله فى الدراسة الأزهرية حيث نالا درجة العالمية معاً فى عام واحد ، واشتركا فى التدريس بمدرسة القضاء ، ثم فى مجلس الأزهر الأعلى ، وللرجلين كرامة خلقية ترتفع بهما عن الحزازات الشخصية ، كما أن فلسفتهما الخلقية تميل بهما إلى الهدوء والمسالمة ، ولكن السياسة دفعتهما وجهاً لوجه ، حين أصر القصر على تعيين الشيخ (مصطفى عبد الرازق) شيخا للأزهر دون أن يسمح القانون ، إذ لم يكن الرجل الكبير - مصطفى عبد الرازق - على جلالة علمه وسمو منزله عضواً بجماعة كبار العلماء ، وهو

←

(٣) الشيخ المراغى بأقلام الكتاب ص ٦٧ .

من أعلام الأزهر

شرط أساسي للتعيين ؛ لأن الجماعة حينئذ تمثل القيادة العلمية فى الأزهر ، وشيخ الأزهر رئيس هؤلاء القادة ، فكيف يجيء من غيرهم ! كما أن تعيينه فى هذا المنصب الخطير يُعتبر دفعاً جديداً للأزهر فى أتون السياسة ، فالرجل وزير حزبى من كبار الأحرار الدستوريين ، وله فى السياسة ميل خاص ينحرف به عن قوم ويتجه إلى قوم ، ولابد أن يكون هذا الميل مؤثراً فى اتجاهه الأزهرى ، بل لهذا الميل وحده قد اختاره القصر الملكى ليناوىء الوفد كما ناوأه الإمام المراغى من قبل ، وقد استدعى النقراشى باشا رئيس الوزراء حينئذ فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم وحاول أن يغريه بالمال ، إذ كانت للشيخ عدة آلاف من الجنيهات بوزارة الأوقاف مكافأة علمية لقيامه على مشيخة الأحناف بالأزهر مدةً طويلة ، وقد تجمدت تلك المكافأة سنوات عدةً لاعتراض المالية على أن يجمع الشيخ مرتبين فى وقت واحد ، فلوح له رئيس الوزراء بالإسراع فى صرف المكافأة إذا وافق على تعيين الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وفوجىء الإمام بالعرض الماكر ، فغضب فى وجه مخاطبه غضبةً أزعجته وآثر الانسحاب

الفورى دون استئذان ، ولم ييأس القصر الملكى فأوفد بعض رجاله إليه يهدده فى صراحة ، ويعلن أن المعارضة ستكون مصدر خطر عليه ، فقال الشيخ فى إيمان : أسيحول هذا الخطر بيني وبين المسجد ؟ فخجل رسول القصر ولم يجب !

ثم رأى الشيخ الأكبر أن يصدر بياناً للناس فى الصحف اليومية يُعلن فيه أمر هذا التهديد الملكى .

ومن أعجب الأشياء أن يندفع نفر من المأجورين إلى استهجان بيان الشيخ بحجة أنه يذيع أسراراً ملكية ، على حين يسكتون عن نقد المخالفة الصريحة لقانون الأزهر ويعدونها أمراً طبيعيا لا شىء فيه .

ومصيبة مصر أن تجد فى كل عصر من يؤيد الباطل بوجه وقاح ، فيه من الصخر صلابته المتحجرة ، ثم لا يخجل أن يسب الأبرياء ، وكأنهم بدفاعهم عن الحق قد انخرطوا فى الباطل ، لقد تكرر هذا الموقف فى عهد الثورة ، حين رأت فى أول أمرها أن تتدخل فى شئون الأزهر فتفرض على شيخه الأكبر عبد المجيد سليم أناسا لا يراهم أهلاً للقيادة حين تختارهم إلى المناصب المرموقة ليكونوا أداة لتنفيذ ما تشاء ، بعيداً عن منطق القانون ، ولكن الرجل الكبير لم يفارق صلابته المتشددة ، فرفض كل تدخل يهم به ذوو الغرض عن لهو عابث لا يقدر المسئولية ، وبادر المتغطرسون بمطالبته بالاستقالة إذا أصر ، فقدمها عن طوع ، وبدل أن يشكر

الكاتبون للرجل غيرته على الحق ، سودوا الصحف بنقده واظهروه فى موضع المعارض للحق ، المجابه لعهد التحرير والحرية .

ولكن صوت الإنصاف قد جاء من الخارج لا من الداخل ، حيث كتب مراسل أجنبي مقالاً تحت عنوان : « شخصية الأسبوع » فى جريدة (البروجريه ديمنش) أشار فيه إلى مقترحات الشيخ بشأن ما يراه فى الإصلاح ، ومعارضته لما يملى عليه من أمور لا تتفق والصالح الأزهرى ، كما قالت الجريدة ما نصه :

« إن الشيخ عبد المجيد سليم يتمتع بثقة الغالبية من رجال الدين وكبار العلماء ، » وهو معروف بالتقوى والورع ، وما حاول قط أن يفيد لنفسه ، إذ جعل همه الأول مصلحة الأزهر قبل مصلحة الأفراد ، ومن أجل ذلك كافح فى سبيل إنقاذ هذه المؤسسة الدينية ، وهو لا يخشى إلا الله ولا يساوم على كرامته ، ولذلك يستحق كل تقدير » !

هذا ما نشرته (البروجريه ديمنش) وترجمته مجلة الرسالة بتاريخ ١٩٥٢/٩/٢٢ ، أى بعد قيام الثورة بشهرين فحسب ! وقد استقال الشيخ عبد المجيد سليم ليخلفه الأستاذ الأكبر محمد الخضر حسين ، وليكابد من مرهقات التدخل الثورى ما دفعه إلى الاستقالة ، وكان من المواقف المضحكة أن يطلبه الصاغ صلاح سالم ليدعوه إلى مقابلته سريعاً بالوزارة فى لهجة متعالية ، ولكن الرجل العظيم يقول له فى حزم : « يا صلاح أفندى شيخ الأزهر لا يذهب إلا لرئيس الجمهورية وحده لأن له فى عنقه بيعة ، أما سواه فإذا أراد لقاءه فليحضر إليه !! »

وتلك مواقف يصر أعداء الأزهر على إخفائها ليرموا شيوخه بالوصولية مستشهدين ببعض الصغار من أشباه العلماء ، ليكون فى عثراتهم ما يدمغون به الكبار بغياً دون حق ، وإلا فكيف يقوم شيوخ الأزهر جميعاً أمام الطغيان الداخلى والخارجى ، وكيف يعبرون بمواقفهم النبيلة عن شعور الأمة المصرية تارة وعن شعور العالم الإسلامى بأجمعه تارة أخرى ، ثم يصر كتاب التاريخ المصرى على تجاهل هذه المواقف الحسنة الرائعة وإذا أجبروا على الإشادة بموقف ذاع واشتهر ، فقد عمدوا إلى ستر عشرات المواقف الرائعة كيلا تذيع ، وفيهم من يختلق المعجزات اختلاقاً ليلصقها بالأدعياء كى ينال عرض الدنيا فى منصب لامع ، أو حظوة مقربة ، ثم يتساءلون بعد ذلك ، ما فعل الأزهريون ؟

أما موقف عبد المجيد سليم من الترف الحكومى ، والإسراف الملكى فقد ذاع واشتهر ، وعبارته الجامعة « تقصير وتقتير هنا وتبذير وإسراف هناك » مما سارت مسار المثل الذائع ، وقد أوضحت مناسبتها فى كتابى (علماء فى وجه الطغيان) فليرجع إليه ، فقد اشتمل على كثير من النوادر الباهرة التى تتوج علماء الإسلام بأنضر الأكاليل .

من أعلام الأزهر

كان فى عبد المجيد صوفية زاهدة تنأى به عن المجتمعات اللامعة ، فقد أجمع المسئولون على ترشيحه عضواً بمجمع اللغة العربية ، إذ جرى المجمع على اختيار الأفذاذ من شيوخ الأزهر أعضاء يسهمون فى رسالته ، فكان المراغى وحمروش والخضر حسين وشلتوت وتاج والفحام من الأعضاء النابهين ، ومثل عبد المجيد فى دقته الفقهية . وتبحره الأصولى ، لا يجهل مكانه ، ولكنه أصر على العزوف قائلاً فى تواضع حبيب ، إنه فقيه لا لغوى ، ولن يكون الفقيه فقيهاً مجتهداً من طراز عبد المجيد إلا إذا كان لغوياً يعرف دقائق التفسير الحقيقي والمجازى للألفاظ ، وإذا كان قد آثر الابتعاد عن مجمع اللغة فقد دعا بكل جهوده إلى إنشاء جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية إذ هاله أن تحدث الفرقة بين أبناء الدين الواحد ، لأمور سياسية مضى عهدها منذ قرون ، وأصبحت حالة المسلمين فى حاجة ماسة إلى اجتماع الشمل ، واتحاد الكلمة ، فأقام الندوات المتنوعة ، وكتب المقالات المتشعبة داعياً إلى تقوية الروابط وفض منازع الخلاف مستنداً إلى النصوص القرآنية وما صح من أقوال رسول الله ﷺ ، وماقام به الكبار من أئمة الصحابة والتابعين ثم ضرب المثل بنفسه فقال من مقال رائع نشر بالعدد الأول من مجلة « رسالة الإسلام » التى كانت تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة .

« إن هذه الأمة لا تصلح إلا إذا تخلصت من الفرقة ، واتحدت حول أصول الدين وحقائق الإيمان ، ووسعت صدرها فيما وراء ذلك للخلافات ، مادام الحكم فيها للحجة والبرهان ، وقد أدركنا فى الأزهر على أيام طلبنا العلم ، عهد الانقسام والتعصب للمذاهب ، ولكن الله أراد أن نحيا حتى نشاهد زوال هذا العهد وتطهر الأزهر من أوبائه وأوضاره ، فأصبحنا نرى الحنفى والشافعى والمالكى والحنبلى إخواناً متصافين ، وجهتهم الحق وشرعتهم الدليل ، بل أصبحنا نرى بين العلماء من يخالف مذهبه الذى درج عليه فى أحكامه لقيام الدليل عنده على خلافه ، وقد جريت طوال مدة قيامى بالإفتاء فى الحكومة والأزهر ، وهى أكثر من عشرين عاماً على تلقى المذاهب الإسلامية ، ولو من غير الأربعة المشهورة ـ بالقبول مادام دليلها واضحاً عندى ، وبرهانها لدىَّ راجحاً مع أنى حنفى المذهب ، كما جريت وجرى غيرى من العلماء على مثل ذلك فيما اشتركنا فى وضعه أو الإفتاء فيه من قوانين الأحوال الشخصية فى مصر ، مع أن المذهب الرسمى فيها هو المذهب الحنفى ، وعلى هذه الطريقة نفسها تسير « لجنة الفتوى بالأزهر » ، التى أتشرف برياستها ، وهى تضم طائفة من علماء المذاهب الأربعة ، فإذا كان الله قد برأ المسلمين من هذه النعرة المذهبية التى كانت تسيطر عليهم إلى عهد قريب فى أمر الفقه الإسلامى ، فإنا لنرجو أن يزيل مابقى بين طوائف المسلمين من فرقة ونزاع فى الأمور التى لم يقم عليها برهان قاطع يفيد العلم ، حتى يعودوا كما كانوا أمة واحدة . ويسلكوا سبيل سلفهم الصالح فى التفرغ لما فيه عزتهم ، وبذل الوسع فيما يُعلى شأنهم ، والله

الهادى إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل [٤] .

وقد كان لمقال الشيخ الكبير أثره المدوى فتجاوبت الآفاق الإسلامية شرقاً وغرباً بترديده ، وانهالت على دار التقريب عشرات المقالات المؤيدة الداعية ونشرت مجلة (رسالة الإسلام) بعض ما ورد من أئمة المذاهب الإسلامية وفى طليعتها ما كتبه العلامة الكبير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، إذ نشر مقالاً ممتازا تحت عنوان[٥] (الاجتهاد بين السنة والشيعة) بالعدد الثالث قال فيه : « لقد كنت أعرف ذلك - الدعوة إلى الائتلاف - فى فضيلة الأستاذ الجليل عبد المجيد سليم وفى فريق صالح من إخوانه العلماء ولكن نشوة من الفرح والأمل يجب أن تغمر كل مسلم لإعلان هذا بلسان هذا العالم الكبير المسئول ، ولذلك لا يسعنى إلا أن أوجه للشيخ واصحابه معه شديد الإعجاب وأكرم التحيات والحمد لله رب العالمين . » .

هذا وللأستاذ مقالات أخرى تحوم هذا الحوم ، وفيها من التوجيه السديد ما يبرىء الجراح ، ويشفى الكلوم لو صدقت العزائم وصحت النيات .

د . محمد رجب البيومى

---

(٤) مجلة رسالة الإسلام ، العدد الأول ربيع الأول ١٣٦٨ هـ ص ١١ .

(٥) رسالة الإسلام : رمضان ١٣٦٨ هـ ص ٢٣٩ .

طرائف

« للعبودية أركان »

صحة العقد ، وصدق القصد ، والوفاء بالعهد ، وحفظ الحد .

فصحة العقد : الإيمان بالله ـ تعالى ـ من غير تشبيه ولا تعطيل .

وصدق القصد : الإخلاص لله ـ تعالى ـ .

والوفاء بالعهد : امتثال الأوامر .

وحفظ الحد : اجتناب النواهى .

« الاستهانة بآداب الاسلام »

قال أبو على الدقاق :

من استهان بأدب من آداب الإسلام عوقب بحرمان السنة .

ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة .

ومن استهان بالفرائض قيض الله له مبتدعاً يوقع عنده باطلا فيوقع فى قلبه شبهة .

« قالوا .. »

* ليس من حسن الجوار ترك الأذى ، ولكنه الصبر على الأذى .

* من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه .

* إن أشد الناس غما الذى نزل غيره فى المكان الذى هو أحق به .

* آفة العلم النسيان ، وآفة الكرام مجاورة اللئام .

* إن قصرت يداك عن المكافأة ، فليطل لسانك بالشكر .

* إذا كنت فى بلد غيرك فلا تنس نصيبك من الذل .

« كيف تراه ؟ »

أنشد رجل الفرزدق شعراً وقال له : كيف

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

مواقف

تراه ؟

فقال الفرزدق : لقد طاف إبليس بهذا الشعر في الناس فلم يجد أحمق يقبله سواك .

« من سعادة المرء »

أن تكون زوجته مطيعة ، وأولاده أبرارا ، وإخوانه صالحين ، ورزقه في بلده الذي فيه أهله .

« حقا »

قال أبو العتاهية :

أما والله إن الظلم لؤم
ومازال المسيء هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضي
وعند الله تجتمع الخصوم

ستعلم في الحساب إذا التقينا
غدا عند الإله من الملوم

« من حكم معاوية »

قال : لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي .

« دعاء »

« اللهم عالم الغيب والشهادة ، فاطر السماوات والأرض ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ، وشر الشيطان وشَرَكه » .

■

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

جمال الأسلوب

لفضيلة الإمام الدكتور
عبد الحليم محمود
"رحمه الله"

إذا كان الحكم على الجمال امراً نسبياً فى المشاهدات العامة إلا أنه يختلف بالنسبة لجمال الأسلوب .

وقد شغل الأقدمون انفسهم بهذا الموضوع . حيث إنه يتصل اتصالاً وثيقاً بالذوق الأدبى الذى يخضع لمعايير تكاد تكون محددة ومعترفاً بها منذ القدم . إلى أن جاء التعبير القرآنى ، فكان القمة فى جمال الأسلوب ، قال فضيلة الإمام

أخذ المسلمون يبحثون بحثاً منظماً فى جمال الأسلوب منذ أن أخذوا يبحثون فى مسألة إعجاز القرآن . بيد أن جمال الأسلوب أمر شغل الإنسانية منذ أن وجد فيها شعراء يشدون ، وأدباء يعبرون عن موسيقى الوجدان ، فى نسق من السحر الحلال .

فالهند ، منذ آلاف السنين ، قد بحثت فى جمال الأسلوب ، ونُقلت بعض آراء باحثيها إلى اللغة العربية . وفى ذلك يروى صاحب « زهر الآداب » وغيره : أن معمر بن الأشعث أخذ من « بهلة الهندى » صحيفة تحدد البلاغة عند أهل الهند ، ثم يروى صاحب زهر الآداب ما بالصحيفة ، وهو معروف مشهور ، يذكره كثير ممن يتعرضون للبلاغة ولجمال التعبير .

ولقد بحث اليونانيون فى العناصر التى يتكون منها جمال الأسلوب ، ونُقل الكثير من آرائهم فى ذلك إلى اللغة العربية . ولعل الكتاب المعاصرين لم يحيدوا عن سواء السبيل حين أخذوا يبحثون مدى تأثر آراء علماء الإسلام بآراء اليونان فى هذا الصدد .

وإذا كانت اللغات تختلف وتتباين فإن العناصر التى يتكون منها جمال التعبير تتحد فى جوهرها ، ولعلها لا تختلف إلا فى الشكليات ، ولذلك ينقل المسلمون آراء الأمم الأخرى لاعلى أنها آراء خاصة نشأت فى جو

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

لغوى معين ، وإنما على أنها آراء لها قيمتها رغم اختلاف اللغة والبيئة .

وجمال الأسلوب ، رغم كل ما قيل عن نسبية الجمال ، أمر محقق بل أمر موضوعى ، فهو يجذبه ويشده ويجبر الإنسان جبرا على الاعتراف له بالروعة والسحر . فالتعبير القرآنى ، حينما يمزجه الكاتب بأسلوبه ، يبدو دائماً كالدرة المتلألئة التى تزهو وسط عقد متناسق أو مهلهل . وأسلوب ابن المقفع باق على الدهر ، وأسلوب الجاحظ يعبر القرون فى عظمة وسمو .

ما سر هذا ؟

أهو العبقرية التى لم ترفع عنها الحجب ولم يكشف عنها الغطاء ؟

أهو الإلهام يحظى به الموعودون ؟

أم ان ذلك فن له أصوله وقواعده وله عناصره ومقوماته ؟

سواء اكان هذا أو ذاك ، او كان شيئاً يمتزج فيه الإلهام بالعبقرية وبالإعداد الفنى ، فإن العقل الإنسانى لم يقف مكتوف اليدين امام اكتشاف هذا النوع من السحر .

بدأ العقل الإنسانى إذن ، منذ عصور متطاولة ، يبحث هذا الموضوع ، واشترك فى البحث اعلام البيان انفسهم ، وكان للجاحظ وكان لابن المقفع وكان لغيرهم آراء فى ذلك . ومع كل هذا فقد بقى باب البحث مفتوحاً على مصراعيه ، وبقيت كذلك مسألة « إعجاز القرآن » سراً غامضاً لم يصل - بعد - باحث إلى فصل المقال فيها ، بل لعل من العبث البحث فيها ، فهى معجزة والمعجزات حجر محجور على العقل الإنسانى . وهل رأيت شخصا يؤمن بالمعجزات ثم يبحث فى اكتشاف السر فى عصا موسى ؟

بيد أننا إذا أبعدنا القرآن من هذا الميدان ثم بحثنا عن السر فى البلاغة فإننا نجدها دائماً ، عند التطبيق ، تسخر من التحديد ، بل تسخر فى تهكم لاذع : البلاغة كما يقولون ويعيدون ، وكما يرددون فيكثرون الترديد ، هى مطابقة القول لمقتضى الحال . فإذا أردت التطبيق فإنك تجدها :

ربابة ربة البيت
تصب الخل فى الزيت
لها سبع دجاجات
وديك حسن الصوت

فهذا قول مطابق لمقتضى الحال ، وذلك أن بشاراً كما تروى القصة ، كان يخاطب خادمته ، فلم يكن من مطابقة القول لمقتضى الحال أن يخاطبها بمثل « قفا نبك .. » .

أهذه هى البلاغة ؟

ويقولون : إن من عناصرها « المشاكلة » ؛ وعند التطبيق نجدها تتمخض عن :

قالوا : اقترح شيئاً نُجِدْ لك طبخه
قلت : اطبخوا لى جبة وقميصاً

أهذه هى البلاغة ..؟

ويتحدثون عن براعة الاستهلال، فتتمخض البلاغة فى مقدمة النحو عن: «الحمد لله الذى نصب كذا وخفض كذا وجزم كذا وجر كذا ..»! وذلك كلام تمجه الأذواق.

ولكن البحث مستمر. ولكثير من الباحثين: شرقيين كانوا أم غربيين، قدامى كانوا أم محدثين، آراء لها قيمتها ولها منطقها، شاءت البلاغة أم أبت. من بين هؤلاء الباحثين أديب فرنسى، قضى حياته فى الأدب وفى النقد، وكان ولايزال علماً من أعلام البيان الفرنسى؛ ذلك هو «أناتول فرانس»، وهو أديب يعلم كل من يقرأ الفرنسية أن أسلوبه صورة صادقة لتحديد البلاغة بأنها «السهل الممتنع». وهو فى الوقت نفسه صورة صادقة لرأيه الذى نعرضه أمام القراء، والذى لا يعدو أن يكون شرحاً للسهل الممتنع. ورأى الأديب الفرنسى يشبه كثيراً من الآراء التى قالها الشرقيون من قبل. ولعل القارىء سيلمس وجه الشبه بينه وبين ما يروى عن «بشار» حينما سئل عن السر فى إحسانه فقال: «لأنى لم أقبل كل ما تورده علىَّ قريحتى، ويناجينى به طبعى، ويبعثه فكرى، ونظرت إلى مغارس الفطن، ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفهم جيد، وغريزة قوية، فأحكمت سبرها، وانتقيت حرها، وكشفت عن حقائقها، واحترزت من متكلفها، والله ما ملك قيادى قط الإعجاب بشىء مما آتى به». انتهى كلام بشار.

ويقول الأديب الفرنسى فى كتابه «حديقة أبيقور»:

«إن كل ما لا يستمد قيمته من ذاته، وإنما يستمدها من جدة صياغته، ومن ذوق فنى خاص، يموت بسرعة ويندثر. وما «المودة» الفنية إلا كبقية «المودات» لادوام لها ولابقاء. أرأيت تلك الأساليب المتكلفة التى لاتبغى من وراء تكلفها إلا الجدة؟ إن مثلها كمثل ماتخرجه محلات الخياطة الكبيرة من أثواب فيها الجدة، غير أنها تنتهى بانتهاء الموسم. والفن الرومانى، حينما تدهور، زين رءوس تماثيل الامبراطورات بمثل ماكانت تزين به رءوس السيدات إذ ذاك من زينة وقتية، فلاتلبث هذه التماثيل حتى تصير نابية عن الذوق مستهجنة، ويضطر الفنان إلى التغيير والتبديل، فيلبس التمثال جمة مرمرية مستعارة. فإذا ماسرنا فى الأسلوب على ذلك النسق من الزينة الوقتية فلا مناص من التغيير فيه والتبديل كل عام. وإذا ماأجَلْنا الطرف فى عصرنا الحاضر، عصر السرعة فإننا نجد أن المدارس الأدبية لا تدوم إلا قليلاً من السنين، بل إنها ـ أحيانا ـ لاتلبث إلا شهوراً. إنى لأعرف كتاباً لايزالون فى مقتبل العمر ومع ذلك فإنى أشعر بأن أسلوبهم قد أتىَ عليه الدهر. إن السر فى ذلك لاريب، هو الأثر الذى أحدثه هذا التقدم العجيب الباهر فى الصناعة والآلات. أجل! إنه هذا التقدم الذى يدفع بالجماعات فى سرعة تشدهها. لقد كنا نستطيع، فى عهد السكك الحديدية، أن

نحيا طويلاً على أسلوب مزخرف . أما وقد اخترع التليفون ، فإن الأدب ، وهو دائماً يتبع البيئة ، قد أخذ في تجديد أساليبه بسرعة تدعو إلى اليأس . لهذا فإننا نرى مايراه الأستاذ « لودفيك هلفي » من أن الأسلوب البسيط هو وحده الذى يعبر السنين محتفظاً بقيمته ، نعم إنه يعبر السنين ولا نزعم أنه يعبر القرون ، فإن ذلك من المبالغة بمكان .

« على أن المشكلة إنما هي تحديد الأسلوب البسيط . ويجب أن نعترف أن ذلك ليس بالأمر اليسير . إن الطبيعة ، كما نعرفها وكما هي في البيئات الصالحة للحياة ، لاتعرض علينا قط شيئاً بسيطاً ، وليس للفن أن يتطلع إلى بساطة نَأَتْ عنها الطبيعة . ومع ذلك فإننا جد متفاهمين حينما نقول عن أسلوب ما : إنه بسيط ، وعن أسلوب آخر إن البساطة لاتجد إليه من سبيل .

« ومادام الأمر كذلك فإنه لايوجد في الواقع من الأساليب مايمكن أن يقال عنه : إنه ـ حقيقة ـ بسيط ، وإنما يوجد منها مايبدو أنه بسيط ، وهذا الأخير هو الذى كتب له الثبات بل الثبات الفني .

« بقى علينا أن نبحث عن السر في هذه الظاهرة الموفقة : ظاهرة البساطة . إن الأساليب ، لاشك مدينة بها ، لا إلى قلة العناصر المختلفة فإنها تزخر بها ، بل إلى أن هذه العناصر تكون وحدة صهرت أجزاؤها صهراً بلغ من قوته أن صيرها نسقاً سوياً لايميز الإنسان مافيه من أجزاء . وما مثل الأسلوب البليغ إلا كمثل هذا الشعاع من النور الذى ينساب من نافذتى وأنا أكتب إنه **يدين بضوئه الصافى إلى الاتحاد الوثيق بين الأطياف السبعة المكونة له . وما الأسلوب البسيط إلا كالنور الأبيض إنه معقد التركيب سوى ان شيئاً من ذلك لايبدو عليه** . ليس هنا إلا صورة خيالية أردت بها تقريب الموضوع ، وإني لجد عليم بقيمة مثل تلك الصور إذا لم تصنعها يد شاعر صناع . بيد أني قصدت أن أبين أن البساطة الجميلة المنشودة في الأساليب ليست إلا مظهراً يخفى ماتحته من حقيقة ، وأنها تنتج فقط عن التنسيق الموفق والاقتصاد البالغ في الأجـزاء التى يتكون منهـا الموضوع » .

أما بعد : فقد يتفق القارىء مع وجهة نظر الأديب الفرنسي وقد يختلف ، وسواء كان هذا أو ذاك فالقارىء يرى ـ لاشك ـ أن هذا الرأي له قيمته وله منطقه .

ومهما يكن من شيء فإن مطابقة القول لمقتضى الحال تعلق قيمة القول الفنية بظرف خارجى ، وهذا يصدق على التافه من القول كما يصدق على القيم منه ، بل وينتهى إلى أن الكلام الواحد بليغ في موطن ، غير بليغ في موطن آخر ، وذلك كما ترى سفسطة ونسبية يأباهما العلم .

وإذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق « بمطابقة القول لمقتضى الحال » فإنه جد مختلف فيما يتعلق « بالسهل الممتنع » . **ولعل القارىء**

من روائع مجلة الأزهر

لاحظ أن بشارا وأناتول فرانس يتفقان كلاهما، على ضرورة إحكام النسج، وإعمال الروية، حتى لاتبدو الصنعة، وحتى لا يبدو التكلف، وماذلك إلا لأجل أن يتسم الكلام بسمة البساط أو بسمة السهولة، فيبدو الأسلوب سهلاً، ويمتنع، لما يزخر به من عناصر تتصل باللغة، وتتصل بالتفكير.

لهذا الرأي أنصاره العديدون، وإذا اتخذناه مقياساً للجمال أمكننا أن نفسر هذا الاتفاق، الذى يكاد يكون تاماً، على جمال أسلوب ابن المقفع، وأمكننا أن نفسر الاختلاف فى شأن أسلوب المنفلوطى والرافعي؛ وذلك أن الأول منهما - وإن كان قد أحكم نسجه من جهة اللغة - فليس فيه مايزخر به من عناصر التفكير.

وأما الثاني - وإن كان فيه من عناصر الخيال مايزخر به - فإن التكلف والصنعة يفاجئان القارىء لأول نظرة.

هل نتخذ إذن «السهل الممتنع» مقياساً؟ لعل لأنصار الرافعي، ولأنصار المنفلوطي، ولغيرهما، آراء أخرى؛ ولعل فى مجلة الأزهر سعة للبحث فى هذا الموضوع الذى ماأردت بكلمتى فيه إلا إثارته من جديد.

«المجلد الثامن عشر»

العلوم الكونية

للإنسان وأبحاث الفضاء الكوني

المجلد

الإنسان وأبحاث الفضاء الكونى

تمهيـد :

شهدت ابحاث الفضاء الكونى خلال العقدين الاخيرين تطوراً كبيراً ، بحيث اصبحت الآن على درجة عالية من النضج والتاثير فى مختلف مجـالات النشاط الإنسانى على سطح الارض ، كما تزايدت طموحات الدول التى تندفع قُدماً فى هذا الميدان ، بحيث اصبح من اهم اهدافها تحقيق التواجد الـدائم للإنسـان فى مستعمرات فضائية تمكنه من استكشاف ثروات المجموعة الشمسية ، وتـاكيد سيطرته عليها . وقد شرع اصحاب النزعة العلمية المتطرفة ـ على الصعيد الفكرى ـ فى الترغيب لما يشبه الاعتقاد بان الفضاء الخارجى هو الموطن الطبيعي للبشر .

لكن الإنسان لو انصف وثاب إلى رشده لما اسرف كثيراً فى تقديره لإنجازاته وانتصاراته العلمية . ولاهتدى إلى حقيقة علمه المحدود ومعرفته المتواضعة باسرار هذا الكون الفسيح الذى يزداد مع التطور عمقاً واتساعاً ، وذلك مصداقاً لقول الحق ـ سبحانه وتعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (سورة فصلت : ٥٣) .

وقوله ـ جل شانه ـ : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (سورة الإسراء : ٨٥) .

وقوله ـ عزّ من قائل : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة النحل : ١٢) .

وسوف نعرض فيما يلى لطبيعة العلاقة المتبادلة بين الإنسان والكون من وجهة نظر التحصيل المعرفى ، ثم نلقى الضوء على بعض الأسس والمفاهيم العلمية التى تقوم عليها أهم الأبحاث الجارية فى مجالات علوم الفضاء وتقنياته المتمثلة : فيما نراه أو نسمع عنه من صواريخ فضائية وأقمار صناعية ومتنقلات « مكوكية » ، أو فيما يُزْمَعُ إطلاقُه فى المستقبل القريب من محطات قمرية ومستعمرات مدارية ورحلات استكشافية بعيدة المدى .

(•) الكاتب : استاذ الفيزياء بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة .

د. أحمد فؤاد باشا

الإنسان وتصوراته عن الكون :

امتن الله سبحانه وتعالى على العباد بنعمة الخلق والإيجاد ، وامتن عليهم بتكريم آدم عليه السلام وتعظيم شأنه ، وشرّفه على الملائكة إذ خَصَّهُ بتعليمه أسماء كل شيء دونهم ، وأخبر بامتنانه على بنى آدم بتنويهه بذكرهم فى الملأ الأعلى قبل إيجادهم . ولا شك أن الإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع ، والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء .

قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ . قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (سورة البقرة : ٣٠ ـ ٣٣) .

وقد جاء فى التفسير : أن الله تعالى علم آدم الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها . وقال ابن عباس : علّمه اسم كل شىء حتى القصعة والمغرفة . والحاصل أن الله تعالى أظهر فضل آدم للملائكة بتعليمه ما لم تعلمه الملائكة ، وخصه بالمعرفة التامة دونهم [١] .

من ناحية أخرى ، وفى مقابل هذا التكريم الإلهى للجنس البشرى ، أشار القرآن الكريم إلى الوجه الآخر من حقيقة الإنسان وحدوده ، وأظهره على أن الكون أكبر منه ، وأن مركز الثقل فى بحثه عن الحقيقة لا يوجد فى عقله ونفسه فقط ، بل يوجد أيضاً فى الطبيعة من حوله . قال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة غافر : ٥٧) ، وقال سبحانه : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا . مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (سورة النازعات : ٢٧ ـ ٣٣) . كما أشار القرآن الكريم إلى الأصل الترابى للإنسان وتسويته من مادة قبل أن ينفخ الله فيه من روحه ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ (سورة الروم : ٢٠) .

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٤٩ ـ ٥٢ . وصفوة التفاسير ، ج ١ ، ص ٣٤ ، ط ١ (١٩٨١) .

← الانسـان وأبحاث الفضاء

ومعنى هذا كله أن الصورة الحقيقية للإنسان كما أرادها الله سبحانه وتعالى هى ارتباطه بالعالم الذى يعيش فيه ، لا ليكون جزءاً منه فقط ، بل ليرتبط بتاريخه أيضاً ، ويكون أهلاً للبحث عن الحقيقة وأداء الأمانة . قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (سورة الأحزاب : ٧٢) .

هكذا كان العلم قرين الإنسان منذ خلقه الله تعالى ، فانشغل بالتأمل في كل ما يحيط به من سماء وأرض ، وما يحدث حوله وأمام ناظريه من ظواهر وأحداث . وسعى إلى معرفة العالم الذى يعيش فيه معرفة حقيقية ، تمكنه من التغلب على مصاعب البيئة ، وتوفر له الحصول على مقومات حياته والأمان مما يهددها من أخطار ، وتؤكد له ميزته على الكائنات الأخرى بالقدرة على تحصيل العلم وتحقيق الاستفادة منه لخدمة أغراضه ومصالحه ، واستطاع الإنسان تدريجياً ، بالفطرة والخبرة ، أن يكوّن لديه تصوراً عن أهمية المكان والزمان ، ليس فقط بالنسبة لتاريخه هو على الأرض، ولكن أيضاً بالنسبة لتاريخ الكون بأسره ، وذلك من خلال تأمله فى طبيعة حركته وتفاصيل نظامه ، ومن خلال تعامله مع ظواهره وموجوداته .

وقد ظل الإنسان ردحاً طويلاً من الزمان يعتقد بصحة النظام الذى تخيله الفيلسوف الإغريقى « بطليموس » عن الكون ، والذى يقضى بجعل الأرض سيدة للأجرام السماوية جميعها ومثبتة فى مركز الكون المؤلف من القمر والشمس والكواكب والنجوم التى نراها ثابتة ليلاً . وساد اعتقاد قوى بين القدماء بأن الإنسان الذي يعيش على ارض هذه مكانتها لابد أن يكون سيّد الكون بأسره .

وكان يمكن الاّ يخرج الإنسان من أوهامه الفلسفية ونظرياته الخرافية بسبب تأخره فى العثور على منهج البحث العلمى السليم الذى توصل إليه علماء الحضارة الإسلامية بصناعة الأجهزة وإجراء التجارب وإقامة المراصد فى مختلف عواصم الدول الإسلامية . وكانت الجداول الفلكية التى دوّنها علماء المسلمين فى مؤلفاتهم عن حركات الكواكب والنجوم ذات فائدة كبرى بالنسبة لعلماء عصر النهضة الأوروبية ، من أمثال (تيكوبراهى) و(كوبرنيكوس) و(جاليليو) و(كبلر) و(نيوتن) ، الذين قاموا بتصحيح تصوُّر الإنسان عن الكون ونجحوا فى صياغة قوانين كمية لوصف حركة الأجرام السماوية وجاذبيتها .

وأصبح الفضاء الكونى كما تدل عليه نتائج الأبحاث النظرية والتجريبية فى علوم الفلك والفيزياء والميكانيكا

والرياضيات مشتملاً على بلايين المجرات(**) مختلفة الاحجام والأشكال .

وتحتوى المجرة الواحدة على ملايين النجوم المتوهجة . ويطلق على المجرة التى تنتمى إليها شمسنا ومجموعتها التى نعيش فيها اسم « درب التبانة » او « درب اللبانة » . والكون يعنى كل ما هو موجود ، بدءاً من الارض وما عليها حتى ابعد النجوم والمجرات التى لا يعلم عددها وبُعدها إلا الله(***) .

وقد اكتشف العلماء ان المجرات البعيدة تطير بعيدة عنا فى فضاء الكون السحيق ، كما تبعد ايضاً عن بعضها البعض ، واستنتجوا من تمدد الكون واتساعه على هذا النحو نظرية علمية تقضى بان جميع هذه المجرات كانت قريبة جداً من بعضها عند بدء الكون كله قبل ما يسمى بالانفجار الاعظم Big Bang .

قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (سورة الأنبياء : ٣٠) .

أما المجموعة الشمسية فهى أكبر من أن تحيط بها أفكارنا ، بالرغم من أنها ليست سوى ذرة ضئيلة بالنسبة لهذا الكون الشاسع ، وهى تتكون من الشمس والكواكب والاقمار ، بالإضافة إلى آلاف الكويكبات السيارة والمذنبات والشهب . والكواكب المعروفة اليوم عددها تسعة هى - حسب ترتيب بعدها عن الشمس - عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو . ويوضح الجدول بعض البيانات الفلكية التى تميز هذه الكواكب ، بالإضافة إلى الشمس والقمر(****) .

وتدور كل هذه الأجرام بسرعات مختلفة فى أفلاك محددة شبه دائرية أو بيضاوية الشكل ، يحكمها قانون صارم يحفظ عليها حركتها المنتظمة المعجزة ، فلا ينفرط عقدها ولا يحدث الاصطدام بينها . وصدق الخالق العظيم حيث يقول : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ .

لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (سورة يس : ٣٨ - ٤٠) .

وسبحان العليم الحكيم الذى جعل الأرض مهبطاً لأبينا آدم عليه السلام ، فهى أنسب الكواكب لحياة البشر ، ولو كانت مكان الزهرة مثلاً لكان جوها الكثيف حارًا وخانقاً لكثرة غاز ثانى اكسيد الكربون ، ولو كانت مكان المريخ مثلاً لتجمد بخار الماء ولتلاشى معظم غلافها الجوى فى أرجاء الفضاء . فشتّان شتّان بين ما اختار الله لعباده ، وبين ما يختار البشر لأنفسهم .

←

(**) البليون Billion يساوى مليون مليون (فى انجلترا والمانيا) ، بينما يساوى ألف مليون (فى فرنسا وامريكا) .

والتعريف الثانى هو الاكثر شيوعاً .

(***) الكون فى العقيدة هو كل ما سوى الله .

جدول يوضح بعض البيانات الفلكية المعروفة عن المجموعة الشمسية

اسم الجرم	البعد عن الشمس بالمليون كيلومتر في المتوسط	الكتلة بالكيلوجرام	نصف القطر الاستوائي بالكيلومتر	عجلة الجاذبية بالمتر في الثانية المربعة	الزمن الدوري حول الشمس بالأيام	الزمن الدوري حول المحور بالساعات	سرعة الهروب بالكيلومتر في الثانية
عطارد	٥٨,٢	$٠,٣٢ \times ١٠^{٢٤}$	٢٤٤٠	٣,٦	٨٨	٨٨ يوما	٤,٢
الزهرة	١٠٨	$٤,٩ \times ١٠^{٢٤}$	٦٢٠٠	٨,٥	٢٢٤,٧	٢٠ يوما	[illegible]
الأرض	١٥٠	$٥,٩٨ \times ١٠^{٢٤}$	٦٣٧٨	٩,٨١	٣٦٥,٢٦	٢٣,٩٣	١١,٢
المريخ	٢٢٧	$٠,٦٤ \times ١٠^{٢٤}$	٣٤٠٠	٣,٨	٦٨٧	٢٤,٦١	٥,٠
المشتري	٧٧٨	١٩٠٠×١٠^{٢٤}	٧١٤٠٠	٢٦,٠	٤٣٣٣	٩,٨٤	٦١
زحل	١٤٧٢	٥٧٠×١٠^{٢٤}	٦٠٤٠٠	١١,٢	١٠٧٦٠	١٠,٢٣	٣٧
أورانوس	٢٨٧١	٨٧×١٠^{٢٤}	٢٣٨٠٠	٩,٤	٣٠٦٩٠	١٠,٨	٢٢
نبتون	٤٤٩٨	١٠٣×١٠^{٢٤}	٢٢٣٠٠	١٥,٠	٦٠١٨٠	١٥,٧	٢٥
بلوتو	٥٩١٠	$٥,٤ \times ١٠^{٢٤}$	٢٩٦٠	٨,٠	٩٠٧٣٠	١٦,٠	١٠
القمر	(*)	$٧,٣٨ \times ١٠^{٢٢}$	١٧٣٨	١,٦٢	(*)	٢٧,٣١ يوماً	٢,٣٨
الشمس	(**)	٢×١٠^{٣٠}	$٦,٩٦ \times ١٠^{٥}$	٢٧٣	(**)	٢٥,٣ يوماً	٦٢٠

(*) متوسط بعد القمر عن الأرض يساوي (٣٨٤) ألف كيلومتر، وزمنه الدوري حولها يساوي ٢٧,٣ يوم

(**) تبعد الشمس عن أقرب النجوم إليها مسافة تبلغ نحو (٥٠) ألف مرة قدر بعدها عن الأرض، ويبلغ الزمن الدوري للشمس حول المجرة نحو (٢٢٥) مليون سنة

ملاحظة: رقم المليون مؤلف من واحد إلى يمينه ستة أصفار ويكتب على الصورة $١٠^{٦}$، وعلى هذا فالرقم $١٠^{٢٤}$ مثلاً مؤلف من واحد إلى يمينه أربعة وعشرون صفراً، وهكذا.

الجاذبية الكونية وسرعة الهروب :

شرح العالم الانجليزي (إسحق نيوتن) حركة الكواكب فى مساراتها حول الشمس على أساس **قانون الجذب العام الذى يقضى بأن اى جسمين فى الكون يجذب احدهما الآخر بقوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب كتلتىْ الجسمين وعكسياً مع مربع المسافة بينهما** . وإذا علمنا أن كتلة الشمس تبلغ (٩٩,٨٨٦) فى المائة من الكتلة الكلية للمجموعة الشمسية لأدركنا كيف يمكن لقوة جذب الشمس أن تخضع الكواكب للدوران حولها ، ولولا هذه القوة غير المرئية لا ندفع كل كوكب إلى الخارج بتأثير ما يُسمى بـ « القوة الطاردة المركزية » الناشئة عن حركة الكوكب الدورانية . فكأن قوة جذب الشمس تعادل القوة المركزية الطاردة التى تعمل على إخراج الكوكب عن مداره وإبعاده عن مركز الدوران . وبنفس الطريقة يمكن تفسير حركة الأقمار حول الكواكب وحركة المجّرات حول مراكزها . قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (سورة الرعد : ٢) .

وباستخدام قوانين الحركة والجاذبية المعروفة جيداً لدارسى مبادىء علوم الميكانيكا والفيزياء والرياضيات يمكن حساب الكثير من الكميات الفيزيائية المميزة للأجرام السماوية المختلفة ، وقد أوردنا بعضها على سبيل المثال فى الجدول المبين بالنسبة لمجموعتنا الشمسية .

وهنا ، تكتسب الكميتان : « عجلة الجاذبية » و« سرعة الهروب » أهمية خاصة فى صدد الحديث عن أبحاث الفضاء الكونى . فعجلة الجاذبية لأى كوكب هى التى تحدد أوزان الأجسام المادية على سطحه ، ومقدار تسارعها اثناء سقوطها العمودى نحوه . وطبقاً لقانون الجذب الكونى فإن هذه العجلة تقل تدريجياً مع زيادة الارتفاع عن سطح الكوكب حتى تتلاشى ، ويكون الجسم الموجود عندئذ فى حالة انعدام الوزن .

اما « سرعة الهروب » الخاصة بكوكب ما فتعنى : السرعة الحرجة التى يجب ان تقذف بها الأجسام عند سطحه عندما يراد لها ان تفلت من تأثير جاذبيته ، ويعزى تفسير عدم وجود غلاف جوى حول القمر مثلاً لصغر سرعة هروب جزيئات الغاز عند سطحه . ومن فضل الله علينا أن الأرض تجذب إليها غلافها الجوى الضرورى لحياتنا بنسبة تفوق سرعة إفلات غازاته إلى الفضاء الخارجي . وقد ظل تحقيق حلم الإنسان بالسفر فى الفضاء مرهوناً بقدرته على تحقيق الانطلاق من سطح الأرض بسرعة الهروب المطلوبة . وهى ١١,٢ كيلو متر فى الثانية ، حتى تمكن من صنع صواريخ مناسبة فى خمسينيات القرن الحالى .

(●●●●) نكتفى هنا بهذا الجدول ليساعد على المقارنة بين اهم خصائص المجموعة الشمسية ، ويمكن لمن يريد التعرف على تفاصيل اكثر ان يرجع إلى اى كتاب مبسط فى الفلك مثل :
— الكواكب والنجوم والمجرات ، عبد المنعم السيد عشرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ .
— الموسوعة المصورة للشباب ، ترجمة د . محمد أمين سليمان و د . أحمد فؤاد باشا ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٨٦ .

الجراد

حياته، انتشاره آثاره

جاء في المعجم الوسيط (باب جَرَدَ) : جَرَدَهُ ـ جَرْداً : قَشَرَهُ وازال ما عليه . ويقال : جَرَدَهُ من ثوبه : عَرّاهُ . وَجَرَدَ الجِلْدَ : نزع عنه الشعر . وجَرَدَ الجرادُ الأرضَ : اكل ما عليها من النبات واتى عليه فلم يُبْقِ منه شيئاً . وجَرَدَ القحطُ الأرضَ : اذهب نباتها . وجَرَدَ السيف من غمده : سلَّه . وجَرَدَ القطن : حَلَجَهُ . جَرِدَ المكان : خلا من النبات ، فهو أجْرَدُ ، وجَرِدُ ، وجَرْدُ . وارضٌ جَرِدَةٌ وجرداء . جَرِدَ الرجل : شَرِيَ جلدُه من اكله الجراد ، فهو جَرِدٌ . جُرِدَ الرجل : اشتكى بطنه من اكل الجراد . جُرِدَ الزرع : اصابه الجراد ، فهو مجرودٌ ، ويقال : ارضٌ مجرودةٌ : كثيرة الجراد .

الجراد (Locusts) يشترك مع النطاطات (Grasshoppers) في الانتساب إلى فصيلة الجراديات (Acridiidae) وهي التابعة لرتبة الحشرات مستقيمة الأجنحة (Orthop-tera) في عالم الحشرات .

وتضم فصيلة اكريديدى أى الجراديات الكثير من أنواع الجراد والنطاطات التى تلحق الضرر بالمزروعات وتدمر الحاصلات الزراعية ، سواء كان ذلك في قارة أفريقيا أم في قارة آسيا ، وعلى وجه الخصوص الجراد الصحراوى . وتنتشر من الجراد أنواع مختلفة في مناطق متفرقة من العالم ، منها على سبيل المثال :

الجراد الصحراوى (الرحال)
Schistocerca gregaria

الجراد الآسيوى المهاجر
Locusta migratoria migratoria

الجراد الأفريقى المهاجر
Locusta migratoria migratorioides

الجراد المصرى

● الكاتب : عضو هيئة التدريس بكلية العلوم جامعة الأزهر ، وعضو اتحاد الكتاب بجمهورية مصر العربية .

د. كارم السيد غنيم

Anacridium aegyptium

الجراد الأحمر

Nomadacris septemfasciata

ويتكون جسم الجرادة من رأس وصدر وبطن ، أما الرأس فيغلفها جليد سميك متصلب يسمى عليه ائرا ب (Head capsule) ويوجد بها العيون المركبة والعيون البسيطة وقرنا الاستشعار (الزباني) وأجزاء الفم القاضمة . وتتكون علبة الرأس من مساحات تفصلها عن بعضها حزوز أو دروز (Sutures) ، وهي الجبهة والدرقة والجداريان والوجنة .

وأما الصدر فيتصل بالرأس عن طريق العنق ، ويتكون من ثلاث عقل ، تحمل كل منها زوجا من الأرجل المجهزة للمشي والوثب العالي ، أما العقلة الصدرية الثانية والعقلة الصدرية الثالثة ، فيحمل كل منهما زوجاً من الأجنحة الغشائية الواسعة المساحة ، وهي التي تتصل بالصدر عن طريق دواعم وتتحرك بعضلات قوية فترفرف بقوة تمكن الجرادة من الطيران لساعات طويلة تقطع خلالها مسافات شاسعة .

اما عن دورة حياة الجراد فإنه يتكاثر في أجيال متعاقبة ، وفي العادة يبدأ الجيل بوضع البيض وينتهي بقيام الإناث البوالغ بوضع البيض لإنتاج جيل جديد لاحق . ومن المعروف في الجراد أن البيض الموضوع يفقس لتخرج منه حوريات (Nymphs) ، وهي التي سماها الجاحظ والدميري وغيرهما « دبا » أو « دبى » ، وهذه تضطر للقيام بعمليات انسلاخ حتى تتمكن من النمو والازدياد في الحجم والوصول إلى الشكل اليافع في حياتها ، وهي العملية التي تسمى « التحول » (Metamorphosis) .

للجراد الصحراوي مظاهر ثلاثة في حياته :

المظهر التجمعي (Migratory phase) وهو الذي يتجمع ويطير في أسراب ويهاجر ويسبب الخسائر الاقتصادية للناس .

المظهر الانعزالي أو الانفرادي (Solitary phase) ، وهذا لا يهاجر لأنه لا يتجمع أو يكون أسرابا ، ومن ثم فأضراره الاقتصادية أقل بكثير من أضرار المظهر السابق . لكنه يمثل الخامة الأولية التي منها يتشكل أو يتحول أو ينتج المظهر التجمعي ، وهذه مرحلة أو مظهر يسمى المظهر التحولي (Transition phase) .

ولأطوار الجراد في دورة حياته أسماء عديدة - نرجع إلى علماء التراث العلمي لنتعرف عليها - وأشهرها : الدبى : (بتشديد الدال وتخفيفها وإبدال الياء ألفا أحيانا) ، وهو أول ما يفقس عن البيض ، ومفرده (دباة) ، وأرض مدبية أي كثيرة الدبى . الجنادب ، ومفردها (جندب) ، وهي

حوريات منسلخة من الدبى . الكتفان : ومفردها كتفانة . ويقول الدميرى فى كتابه (حياة الحيوان الكبرى) : هو الجراد أول ما يطير ، وقد يكون هو الجراد بعد الغوغاء . وقيل إن أول الجراد السرء (أى البيض) ثم الدبى ثم الغوغاء ثم الكتفان . خيفان : ومفردها خيفانة . وغوغاء : ومفردها غوغاءة وغوغاة .

فإذا هزلت الجرادة سميت حرشوف ، وقد شبهت خولة بنت ثعلبة زوجها أوس بن الصامت بالحرشاف (أو الحرشوف) ، وهى الجرادة الهزيلة الكثيرة الأكل . وقد وجدنا عند الجاحظ فى كتابه الموسوعى (الحيوان) أن صوت الجراد هو الصوصأة .

انتشار الجراد وأسرابه وغاراته

تكمن خطورة الجراد الصحراوى فى قدرته على الترحال والقيام برحلات الهجرة والطيران التى تقطع فيها مسافات شاسعة وكذلك اقتداره التكاثرى فى أجواء مختلفة حيث ينتشر فى مناطق تضم أربعا وستين دولة هى معظم دول أفريقيا حول خط الاستواء ، وفى آسيا تشمل الدول شبه الجزيرة العربية وفلسطين ولبنان وسوريا وتركيا والعراق وإيران وافغانستان وباكستان والهند وحدود الاتحاد السوفييتى المتاخمة لأفغانستان وإيران وتركيا .

مناطق التكاثر الموسمية للجراد الصحراوى

تشمل هذه المناطق ما يلى :

١ ـ منطقة التكاثر الصيفى : وتضم الهند والباكستان واليمن وعدن وأثيوبيا والسودان وتشاد والنيجر ونيجيريا وموريتانيا ومالى والسنغال .

٢ ـ منطقة التكاثر الشتوى : وتضم شبه جزيرة الصومال وشواطىء البحر الأحمر لليمن والسعودية وإريتريا والسودان ومصر وعمان وساحل إيران على الخليج العربى .

٣ ـ منطقة التكاثر الربيعى : وتشمل بلاد شمال أفريقيا والشرق الأوسط وإيران وأفغانستان وغرب باكستان والحدود الجنوبية للاتحاد السوفييتى وشبه جزيرة الصومال .

تخرج أسراب الجراد من مناطق التكاثر المذكورة ، وتعود إليها ، بقصد المحافظة على النوع ، مع اختلافات الظروف البيئية ، وأهم ما يؤثر على مصر هو الأسراب الناتجة من مناطق التكاثر الصيفى بشرق أفريقيا وخاصة أثيوبيا والصومال وإريتريا والسودان ـ وكذلك الأسراب الناتجة من المناطق الشرقية من الهند وباكستان وإيران والمملكة العربية السعودية حيث تهاجر الأسراب من هذه المناطق إلى منطقة الشرق الأوسط .

حينما يلاحظ المرء تحرك أسراب الجراد الصحراوى فى منطقة من مناطق انتشاره (Dispersion) ، يعرف أن هناك غزوة أو غارة جراد تنذر بالكارثة (Plague) ، أما إذا

لم ير المرء أسرابا فى تلك المناطق فإنه يطلق على هذه الحالة « تراجع » أو « انحسار » أو « سكون » الغزوات (Recession) .

ويلاحظ أنه لا توجد فترات سكون أو دورات منتظمة للغارات ، وبذلك لا يتمكن المراقبون من الاستعانة بتاريخ الغزوات السابقة فى التنبؤ بالتطورات المتوقعة للغزوات المستقبلية . وقد يستمر التكاثر المحدود للجراد الصحراوى عددا من السنوات فى إحدى مناطق التكاثر الموسمية دون أن يخرج منها أسراب ، بينما فى منطقة أخرى قد تتزايد أعداد الجراد بها بشكل سريع ، وتتكاثف الحشرات وتتكون الأسراب ، وتعرف هذه المناطق بالمنابت (Origins) الأصلية للجراد ، حيث تتوقف شدة الغارة الناتجة على مدى مواءمة الظروف البيئية فيها . وهذه المنابت الأصلية لا تتصف بأنها دائمة بل هى مؤقتة ، تتغير من وقت لآخر فى مناطق انتشاره .

الأضرار العالمية للجراد والخسائر الناجمة عن غزواته وهجماته

يعتبر الجراد الصحراوى من أهم الآفات الاقتصادية التى تسبب خسائر فادحة إذا ما هاجرت أسرابها من منابتها الأصلية إلى مناطق انتشارها وغزواتها .

تأكل الجرادة الحمراء الواحدة (وهى التى لم تصل بعد إلى مرحلة نضجها التناسلى) قدر وزنها من النباتات الخضراء ، وهذه الحشرة تزن فى المتوسط جرامين ، فإذا علمنا أن السرب الواحد (الصغير) يضم (٤٠٠) مليون جرادة ، فبعملية حسابية بسيطة يمكن معرفة أن السرب (Swarm) يلتهم نحو (٨٠٠) طن من المزروعات يوميا ، وإذا علمنا أن هذه الجرادة الحمراء تحتاج ١٥ ـ ٢٠ يوما حتى تصل إلى حالة النضج التناسلى لتضع البيض فعلينا أن نعلم أن هذا السرب خلال هذه المدة يلتهم ما بين (١٢٠٠٠) ـ (١٦٠٠٠) طن من النباتات الخضراء . وهكذا تتضح الخسائر الفادحة التى تصيب الإنسان من جراء غزوات الجراد لحاصلاته الزراعية .

ومما يزيد الأمر خطورة أن الغزوة الواحدة قد ينفذها اكثر من سرب واحد ، وهذا ما حدث فى صحراء مصر الشرقية فى الأعوام (١٩٦٨) ، (١٩٧٢) ، (١٩٧٨) ، (١٩٨٢) ، حيث كانت تأتى الغزوة وتقوم بها عدة أسراب ، إلا أن القائمين على مكافحة الجراد بها قد تصدوا لها وقضوا عليها .

ومن أهم الإحصاءات الخاصة بالتقدير المالى لحجم التلفيات الناجمة عن غزوات الجراد ما أوردته منظمة الأغذية والزراعة (الفاو FAO) فى نشراتها ودورياتها ، ومنه :

١ ـ خلال فترات غزو الجراد الذى استمر من عام ١٩٢٥ وحتى عام ١٩٣٥ قدرت قيمة التلفيات التى حدثت بالمحاصيل الزراعية بنحو (١٠٠) مليون دولار سنويا .

٢ ـ فى عام ١٩٥٤ ، وعام ١٩٥٥ ، سجل (٥٠) سرباً من الجراد ، أدت إلى تلف زهاء (٢٥٠) الف طن من محصول الذرة ، كما قدرت قيمة التلفيات التى أحدثتها هذه

الجـــراد

الأسراب بالزراعات وحاصلات الفاكهة فى مراكش بنحو (١٥) مليون دولار .

٣ ـ وفى عام ١٩٦٠ قدرت قيمة التلفيات التى أحدثتها أسراب الجراد فى أثيوبيا بنحو (١٠) ملايين دولار ، من الحبوب ، وهو الغذاء الرئيسى ، مما أدى إلى حدوث مجاعات فى هذه البلاد .

كذلك فمن أهم الإحصاءات التقريبية التى قامت بها المنظمة ايضاً لتقدير الأضرار اللاحقة بالحاصلات الغذائية ، ما يلى :

١ ـ فى عام ١٩٤٤ قدرت الحاصلات التى التهمتها أسراب الجراد فى ليبيا بنحو ١٩٪ من مساحات العنب ، اما فى السودان فقد التهمت أسراب الجراد الصحراوى فى نفس العام زهاء (٥٥٠٠) طن من الحبوب .

٢ ـ وفى السنغال التهمت أسراب الجراد الصحراوى (١٦٠٠٠) طن من الذرة الرفيعة ، وفى غينيا التهمت (٦٠٠٠) طن من البرتقال .

٣ ـ وفى أثيوبيا التهمت (١٦٧٠٠٠) طن تقريباً من الحبوب ، وهذا يكفى لغذاء مليون شخص لمدة عام .

٤ ـ وفى الهند حدث فى عام ١٩٦٢ أن التهمت أسراب الجراد (١٠٠٠) فدان قطن .

علما بأن هذه الأرقام التى أوردتها الإحصاءات السابقة ، أرقام تقريبية ، ولا توجد لدى المنظمة ـ أو غيرها ـ إحصاءات حقيقية ، تحسب الحد الاقتصادى الحرج لهذه الآفة الاقتصادية ، أو التقدير الحقيقى لحجم الضرر الناجم عنها وعن أسرابها . وتتلخص الطريقة التقريبية فى تحديد حجم الأضرار فى ربط ما بين عدد غزوات الجراد لمنطقة معينة وحساب الناتج من الحاصلات ، ووضع ما يسمى « فهارس استهداف الحاصلات » للضرر ، ووضع هذه الفهارس على خرائط .

ومما يوضح حجم الأضرار الناجمة عن غزوات الجراد نعرض المعلومات التالية :

١ ـ تأكل الجرادة الواحدة ـ كما تقدم ـ قدر وزنها ، وهذا يختلف ويزداد تدريجيا من بداية طور الحورية (Nymph) حتى ظهور الطور اليافع (Adult) ، وهو الشكل المكتمل للجرادة الكبيرة ، التى تسبب أسرابها أعظم الضرر .

٢ ـ يعد تواجد الجراد الصحراوى فى جموع غفيرة ظاهرة مميزة له ، فلقد وجد أن الميل المربع من السرب الواحد يوجد به (١٠٠ ـ ٢٠٠) مليون جرادة ، وقد تصل الجموع فى بعض الأسراب إلى نحو (٤٠٠٠٠) مليون جرادة ، والتى يمكن حساب وزنها بنحو (٨٠٠٠٠) طن ، حيث أن نصف مليون جرادة تزن تقريباً طناً واحداً ، علماً بأن الطن الواحد من الجراد يأكل فى اليوم الواحد قدر ما تأكله عشرة أفيال أو خمسة وعشرون جملا أو مائة وخمسون رجلا .

د . كارم السيد غنيم

« يتبع »

اللغة والأدب والنقد

نظرات في اللغة وأصولها

ابن سلام الجمحي

إحياء النحاة

نظرات في اللغة وأصولها

للعلامة: ابن القيم

٢

الكلام اللغوى ، وسرّ المضمرات :

والنحاة يرون أن الكلام لغة كل ما افاد - بينما يفضل ابن القيم ما يراه السهيلي ، من أن (الكلام هو تعبير عما في نفس المتكلم من المعاني ، فإذا اضمر ذلك المعنى في نفسه - اى اخفاه - ودل المخاطب عليه بلفظ خاص سمى ذلك اللفظ ضميراً ، تسمية له باسم مدلوله ..) فكلام النحاة اخص ، وما اختاره ابن القيم من كلام السهيلي اعم واشمل اى جامع مانع .

وعن سر المضمرات يتحدث ابن القيم ، وكذلك عن سر ترتيب حروفها ، يقول : (والمضمرات في كلامهم نحو ستين ضميراً ، وأحوالها معلومة ، لكن ننبه على أسرارها من أحكام المضمرات) :

اعلم أن المتكلم لما استغنى عن اسم الظاهر في حال الأخبار لدلالة المشاهدة عليه ، جعل مكانه لفظاً يومىء به إليه ، وذلك اللفظ مؤلف من همزة ونون .

أما الهمزة فلأن مخرجها من الصدر ، وهو أقرب مواضع الصوت إلى المتكلم ، إذ المتكلم في الحقيقة محله وراء حبل الوريد . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾(٤) الا تراه يقول : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٥) ، ، يعنى ما يلفظ المتكلم ، فدل على أن المتكلم أقرب شيء إلى حبل الوريد ، فإذا كان المتكلم على الحقيقة محله هناك ، وأردت من الحروف ما يكون عبارة عنه ، فأولاها بذلك ما كان مخرجه من جهته وأقرب المواضع إلى محله ، وليس إلا الهمزة أو الهاء ، والهمزة أحق بالمتكلم لقوتها بالجهر والشدة ، وضعف الهاء بالخفاء ، فكان ما هو أجهر أقوى وأولى

(٤) ق : ١٦

(٥) ق : ١٨

د. توفيق محمد شاهين

بالتعبير عن اسم المتكلم الذى الكلام صفة له ، وهو أحق بالاتصاف به » .

وفى تحليل نفيس بين ابن القيم سر اتصال حروف الضمائر وترتيبها ، واختصاصها بحركاتها ، وأصحابها من متكلم أو مخاطب أو غائب ، والثوابت فى أصول حروفها والطوارىء والفرق بين علامات التثنية

والجمع من الحروف الدالة على ذلك ، واختصاص حالات معينة بحروف معينة فى الضمائر دون غيرها .. حتى يصل إلى ضمير « نحن » فيقول عنه فيما قال :

« ... ثم كانت الكلمة آخرها نون وفى أولها : إشارة إلى الأصل المتقدم الذى لم يمكنه الإتيان به ، وهو تثنية « أنا » التى هى بمنزلة عطف اللفظ على مثله ، فإذا لم يمكنهم ذلك فى اللفظ مثنى ، كانت النون المكررة تنبيها عليه ، وتلويحاً عليه .

وخصت « النون » بذلك دون الهمزة ، لما تقدم من اختصاص ضمير الجمع بالنون ، وضمير المتكلم بالهمزة ، ثم جعلوا بعد النون حاء ساكنة لقربها من مخرج الألف الموجودة فى ضمير المتكلم قبل النون وبعدها .

ثم بنوها على الضم دون الفتح والكسر ، إشارة إلى أنه ضمير مرفوع ، وشاهده ما قلناه فى الباب من دلالة الحروف المقطعة على المعانى ، والرمز بها إليها ، وقوع ذلك فى منثور كلامهم ومنظومه :

فمنه : قلت لها قفى . قالت : قاف . ومنه : الاتـا ، فيقول الآخـر : الافا . يعنى : الا ترحل ، فيقول : الا فارحل ، ومنه :

بـالخير خـيراتـا ، وإن شرافـا
وما أريد الشرّ إلاّ أنْ تشـا[٦]

وقولهم :

مهيم ، فى أنا هذا يـامرؤ ؟
وأيــــش ، فــى أى شــىء

و « م الله » ، فى أيمن الله ، ومن هذا الباب حروف التهجى فى أوائل السور) .

وبعد أن يسوق هذا الشاهد ، يعود إلى مزيد بيان لسر ترتيب الحروف فى الكلمات والضمائر ، من أقوال أئمة العلماء ، رابطاً استعمال اللغة بالدين ، يقول (وقد رايت لابن فورك ، نحوا من هذا فى اسم الله ، قال :

الحكمة فى وجود الألف فى أوله : أنها من أقصى مخارج الصوت قريباً من القلب ، الذى هو محل المعرفة إليه .

←

(٦) ورواه ابن منظور فى لسان العرب على هذا النحو :

بـالخـير خـيرات وإن شرًا فـا ولا اريـد الشرّ إلاّ ان تشـا

قال : وزعم بعضهم أنه أراد الفاء والتاء فرخم .

ثم الهاء فى آخره مخرجها من هناك أيضاً ، لأن المبتدأ منه والمعاد إليه ، والإعادة إليه أهون من الابتداء .

وكذلك لفظ الهاء أهون من لفظ الهمزة .

وهذا معنى كلامه ، فلم يقل ما قلناه فى المضمرات إلا اقتضابا من أصول أئمة النحاة واستنباطاً من قواعد اللغة .

فتأمل هذه الأسرار ، ولا يزهدنك فيها نبو طباع أكثر الناس عنها ، واستغناؤهم بظاهر من الحياة الدنيا عن الفكر فيها ، والتنبيه عليها ، فإنى لم أفحص عن هذه الأسرار ، وخفى التعليل فى الظواهر والاضمار ، إلاّ قصد التفكر والاعتبار فى حكمة من خلق الإنسان وعلمه البيان .

فمتى لاح لك من هذه الأسرار سرٌّ ، وكشف لك عن مكنونها فكر ، فاشكر الواهب للنعمى ، وقل رب زدنى علماً)[7] ا ـ هـ .

رأينا ابن القيم يبذل قصارى جهده فى جعل الأمور العلمية مرتبطة بوشائج دينية ، كقوله : « إن مخرج الهمزة من الصدر ، لأن محل المتكلم وراء حبل الوريد ، ويستشهد بالآية الكريمة كما سبق ، وإشارته إلى قوة الهمزة بالجهر والشدة وضعف الهاء .. وأولى الحروف بقرب أو بعد هو ما ناسب أن يكون من قربه مخرجاً قبل غيره ، ولابد من حروف الحلق ما هو أقوى من غيرها جهراً وشدة ، كالهمزة أو الهاء كانت أقرب إلى المتكلم حين لفظه ، حتى يتحقق معنى الآية الكريمة بمعنى ما يلفظ المتكلم ، ثم يحدثنا على الحروف التى تتصل بالضمائر والحال المقتضى لذلك ، بما يقنع القارىء والمتأمل ، والباحث عن السر من المختصين فى اللغويات وأصولها » .

كما يبين الفرق بين احتياج الأشخاص الثلاثة (المتكلم ، والمخاطب ، والغائب) إلى الحروف التى تكون الضمائر المناسبة لهم ، والتى لا يحتاج إليها بعضهم حتى تتضح الأمور اللغوية فى الضمائر ، وفلسفة هذا الضم حين الاحتياج أو عدمه .

ويجعل دلالة الحروف المقطعة دالة على المعانى والرمز بها إليها .. بما يجرنا إلى بحث أصول الكلمات اللغوية فى العربية ، وهل هى ثنائية ، أو أحادية .

وقلنا : إن ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ يريد أن يجعل كل شىء « حتى فى الجانب اللغوى من تقوى القلوب ، ويلبسه ثوب المهابة والجلال » ، فهو يشير إلى ما ذكره ابن فورك ، من أن :

« الألف فى اسم « الله تعالى » فى أول اللفظ لأنها من أقصى مخارج الصوت وقريباً من القلب » .. وقد تحدث ابن جنى ـ رحمه الله تعالى ـ عن ترتيب الحروف وتقاليبها ، وبقاء المعنى فى معظم التقاليب أو كلها .. وغير ابن

(٧) بدائع الفوائد : ١٧٥ ـ ١٨٠ بتصرف .

جنى ولع بالإشارة إلى الأصل الثلاثى أو الثنائى .. والمعنى المستقى من ذلك .. كما صنع ابن سينا ، والخفاجى ، والسكاكى ، وانتهاء بالشيخ العلايلى ـ أمد الله فى عمره ـ بالبحث عن المعنى المستقى من الحرف الأحادى ، كما ورد فى الجدول الفنيقى ..

ولكن ابن القيم يرى أن الألف من اسم الجلالة (الله) كانت فى أول الاسم لقرب مخرجها من القلب .

***

الحرف الواحد ، وأصل اللفظ :

لعل البعض قد أخذته الدهشة حين ذكرنا أن أصول العربية تدور حول الثنائية والثلاثية فى كتابنا المطبوع منذ عامين[8] وقد أشرنا فيه إلى أن بعضهم ذهب إلى أن المعنى فى العربية يرجع إلى الأحادية ، كما فى الجدول الفنيقى ، الذى ذكره الشيخ عبد الله العلايلى فى « مقدمته » .

ووراء هذه المعانى الدقيقة يغوص العلامة ابن القيم ، ليقدم لنا بعنوان : « فائدة بديعة » أن المعنى قد يستقى من حرف واحد ، يقول :

(الاسم من (هذا) الذال وحدها دون الألف على أصح القولين ، بدليل : سقوط الألف فى التثنية والمؤنث) . ويبين لماذا اختصت الذال بذلك ، فيقول :

وخصت « الذال » بهذا الاسم لأنها من طرف اللسان ، والمبهم مشار إليه ، فالمتكلم يشير نحوه بلفظه أو بيده ، ويشير مع ذلك بلسانه ، فإن الجوارح خدم القلب ، فإذا ذهب القلب إلى شىء ذهاباً معقولاً ذهبت الجوارح نحوه ذهاباً محسوساً ، والعمدة فى الإشارة فى مواطن التخاطب على اللسان ،

ولا يمكن إشارته إلا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان ، التى هى آلة الإشارة دون سائر اجزائه ، فأما الذال أو التاء . فالتاء مهموسة رخوة ، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولى منها للبيان .

والذال مجهورة فخصت بالإشارة إلى المذكر ، وخصت التاء بالإشارة إلى المؤنث لأجل الفرق . وكانت التاء به أولى (بالمؤنث) لهمسها وضعف المؤنث ، ولأنها قد ثبتت علامة التأنيث فى غير هذا الباب . ثم بينوا حركة الذال بالالف ، كما فعلوا فى النون من أنا . وربما شركوا المؤنث مع المذكر فى الذال ، فاكتفوا بالكسرة فرقاً بينهما ، وربما اكتفوا بوجود لفظ التاء فى الفرق بينهما ، وربما جمعوا بين لفظ التاء والكسرة حرصاً على البيان . اهـ .

« فالجوارح عنده تتبع القلب ، لأنها خدمه ، وفرق بين التبعية الحسية والعقلية ، والعمدة فى الإشارة اللسان ، ومن عذبته يكون حرف الإشارة .

←

---

(٨) أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية ، للدكتور توفيق شاهين .

ويشير إلى أنهم زادوا « اللام » توكيداً .. وكانت « اللام » أولى بهذا الموطن حين أرادوا الإشارة إلى البعيد ، فكثرت الحروف حين كثرت مسافة هذه الإشارة ـ وقللوها حين قلت .

وكذلك جئت بكاف الخطاب (ذلك) فكأنك تقول له : لك أقول ، ولك أرمز بهذا الاسم . ففى اللام طرف من هذا المعنى ..

« وأما دخول هاء التنبيه (هذه وهذا) فلأن المخاطب يحتاج إلى تنبيه على الاسم الذى يشير به إليه ، لأن للإشارة قرائن حال يحتاج أن ينتظر إليها ، فالمتكلم كأنه آمرٌ له بالالتفات إلى المشار إليه ، أو منبه له ، فلذلك اختص هذا الموطن بالتنبيه ..

وابن القيم ليس حاكياً ولا مقلداً ولا تابعاً ، بل له رأيه وترجيحه واستقلاله ، وإن ذهب علماء اللغة والنحو إلى نحو آخر .. فهو يقول عن حرف التنبيه (الهاء) وعدم جواز أن تعمل معانيها فى الأحوال والظروف ، يقول :

(وعندى أن حرف التنبيه بمنزلة حرف النداء ، وسائر حروف المعانى ، لا يجوز أن تعمل معانيها فى الأحوال ولا فى الظروف ..)(٩) .

كما يشير إلى الصحيح والأصح فى ترجيحه فى العامل فى هذا الباب .. فليراجع هذه المباحث البديعة من شاء مزيداً من البحث الممتع المفيد والعميق ، وليحيط بالموضوع من جميع أطرافه .

***

الاتفاق والاختلاف فى صفات الحروف ومعانيها :

واتفاق الحروف فى الصفات يتبعه اتفاق المعانى واختلاف بعض الحروف فى الصفات ينوع المعانى ويأتى بالفروق بينها ، يقول :

(وأما « حتى » فموضوعة للدلالة على أن ما بعدها غاية لما قبلها ، وغاية كل شىء حده ، ولذلك كان لفظها كلفظ « الحد » فإنها حاء قبل تاءين ، كما أن الحد حاء قبل دالين ، والدال كالتاء فى المخرج والصفة إلاّ فى الجهر ، فكانت لجهرها (فى الحد) أولى بالاسم لقوته ، والتاء (فى حتى) لهمسها أولى بالحرف لضعفه .

ومن حيث كانت حتى كانت للغاية خفضوا بها كما يخفضون « بالى » التى للغاية .

والفرق بينهما : أن « حتى » غاية لما قبلها وهو منه ، وما بعد « إلى » ليس مما قبلها ، بل عنده انتهى ما قبل الحرف ، ولذا فارقتها فى أكثر أحكامها . ولم تكن « إلى » عاطفة لانقطاع ما بعدها عما قبلها بخلاف حتى .

ومن ثم دخلت « حتى » فى حروف العطف ، ولم يجز دخولها على المضمر المخفوض إذا كانت خافضة (لا تقول : قام القوم حتاك .

(٩) بدائع الفوائد : ١٨١/١

ومن حيث كانت ما بعدها غاية لما قبلها لم يجز في العطف : قام زيد حتى عمرو ولا أكلت خبزاً حتى تمراً ، لأن الثاني ليس بحد للأول ولا طرف)[10] . اهـ .

فقد بين ابن القيم صفة بعض الحروف ، ونتيجة ذلك في المعنى . وفرق بين المعنى بناء على اختلاف الصفات ، وفرق بين اللفظتين في العمل كما فرق بينهما في المعنى وضرب أمثلة توضح المعنى وتبينه ، وتظهر العمل والحكم استقصاء للفائدة وبياناً لمزيد من الفوائد البديعة .

ويذكر أحياناً ما يستحسنه ويرجحه ، ويعلن رأيه بصراحة فيما ليس بصحيح : فهو يرد على المتوهمين ، ويذكر ما كان يجب أن يذكره العلماء في المسألة مما أغفلوه ولم ينبهوا عليه ، ويذكر بأمانة العلماء ما ذكره الغير في المسألة مما يرتضيه ويكتفي به ، يقول :

(ليس المراد من كون « حتى » لانتهاء الغاية ، وأن ما بعدها ظرفاً أن يكون متأخرا في الفعل عما قبلها ، فإذا قلت : (مات الناس حتى الأنبياء ، وقدم الحاج حتى المشاة) لم يلزم تأخر موت الأنبياء عن الناس وتأخر قدوم المشاة عن الحاج .

ولهذا قال بعض الناس إن « حتى » مثل الواو لا تخالفها إلا في شيئين :

أحدهما : أن يكون المعطوف من قبيل المعطوف عليه ، فلا تقول : قدم الناس حتى الخيل بخلاف « الواو » .

الثاني : أن تخالفه بقوة أو ضعف ، أو كثرة أو قلة ، وأما أن يفهم منها الغاية والحد فلا والذي حمله على ذلك ما تقدم من المثالين .

ولكن فاته (فات بعض الناس) أن يعلم المراد بكون ما بعدها غاية وظرفاً ، فاعلم ان المراد به أن يكون غاية في المعطوف عليه لا في الفعل : فإنه يجب أن يخالفه في الأشد والأضعف والقلة والكثرة .

وإذا فهمت هذا ، فالأنبياء غاية للناس في الشرف والفضل ، والمشاة غاية للحجاج في الضعف والعجز ، وأنت إذا قلت : « أكلت السمكة حتى رأسها » فالرأس غاية لانتهاء السمكة ، وليس المراد أن غاية أكلك كان الرأس ، بل يجوز أن يتقدم أكلك للرأس . وهذا مما أغفله كثير من النحويين لم ينبهوا عليه . ا ـ هـ[11] .

ويرد ابن القيم التوهم الشائع ، وينسب القول لأهله كأمانة الفضلاء ، ويرجح الأصوب ، يقول : « أو » وضعت للدلالة على أحد الشيئين المذكورين معها ، ولذلك وقعت في الخبر المشكوك فيه ، حيث كان الشك تردداً بين أمرين من غير ترجيح لأحدهما على الآخر ، لا أنها وضعت للشك : فقد تكون في الخبر الذي لا شك فيه ، إذا أبهمت على المخاطب ، ولم تقصد أن تبين له ، كقوله سبحانه : ﴿ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[12] أي أنهم من الكثرة بحيث يقال فيهم : هم مائة ألف أو يزيدون (فأو) على بابها : دالة

(10) بدائع الفوائد : ١/١٨١ .
(11) بدائع الفوائد : ١/١٩٧ ـ ١٩٩ بتصرف .
(12) الصافات : ١٤٧ .

على أحد الشيئين : أما مائة الف بمجردها ، وأما مائة الف مع زيادة ، والمخبر فى كل هذا لا يشك .

وقوله تعالى : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[13] ذهب فى (أو) هذه كالتى فى قوله سبحانه : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾[14] إلى

أنها « أو » التى للإباحة : أى أبيح للمخاطبين أن يشبهوا بهذا ، أو هذا ، وهذا فاسد : فإن « أو » لم توضع للإباحة فى شىء من الكلام ، ولكنها على بابها . أما قوله تعالى ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ فإنه تعالى ذكر مثلين مضروبين للمنافقين فى حالتين مختلفتين : فهم لا يخلون من أحد الحالتين ، « فأو » على بابها من الدلالة على أحد المعنيين ، وهذا كما تقول : زيد لا يخلو أن يكون فى المسجد أو الدار ، ذكرت « أو » لانك أردت أحد الشيئين .

وتأمل الآية بما قبلها وافهم المراد منها تجد الأمر كما ذكرت لك . وليس المعنى أبحت لكم أن تشبهوهم بهذا وهذا .

وأما قوله سبحانه : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ فإنه ذكر قلوباً ولم يذكر قلباً واحداً ، فهى على الجملة قاسية ، أو على التعيين لا تخلو من أحد امرين : إما ان تكون كالحجارة ، وإما أن تكون أشد قسوة ، ومنها كالحجارة ، ومنها ما هو أشد قسوة منها ، ومن هذا قول الشاعر :

فقلت لهم شيئان لابد منهما
صدور رماح أشرعت أو سلاسل

اى لابد منهما فى الجملة ، ثم فصل الاثنين بالرماح والسلاسل : فبعضهم له الرماح قتلاً ، وبعضهم له السلاسل أسراً ، فهذا على التفصيل والتعيين ، والأول على الجملة فالأمران واقعان جملة وتفصيلهما بما بعد « أو » .

وقد يجوز فى قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ مثل ان يكون فيما فى قوله تعالى : ﴿ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ . . . وأما أو التى زعموا انها للإباحة ، نحو : (جالس الحسن أو ابن سيرين ، فلم توجد الإباحة من لفظ « أو » ، ولا من معناها ولا تكون « أو » قط للإباحة ، وإنما أخذت من لفظ الأمر الذى هو للإباحة ، ويدل على هذا : أن القائلين بأنها للإباحة يلزمهم أن يقولوا : إنها للوجوب إذا دخلت بين شيئين لابد من أحدهما نحو قولك للمكفر : أطعم عشرة مساكين ، أو اكسهم ، فالوجوب هنا لم يوجد من « أو » ، وإنما أخذ من الأمر ، فكذا جالس الحسن أو ابن سيرين) اهـ[15] .

اطلنا النقل فى هذه الفائدة البديعة ، لندلل

(١٣) البقرة : ٧٤ .
(١٤) البقرة : ١٩
(١٥) بدائع الفوائد : ١/١٩٩

على تتبع العلامة ابن القيم للجزئيات وتلمس الشاهد والدليل على قوله ، والتعليل المعقول لما يختاره ، ورد التوهم الذى وقع فيه ممن سبقه ، ومناقشة القضايا التى يسوقها مناقشة علمية عقلية ، وإسناد الرأى لقائله ، وبصره بصفات حروف اللغة العربية ومخارجها ، وتنوع المعنى أو اتحاده تبعاً للمخرج والصفة ، ـ وتتبع معانى الحروف والإشارة إلى أحكامها ، وبيان وجه الجواز أو الامتناع فى استعمالها وبيان وجه التجوز فى قول اللغويين والنحاة ، وذكر وجه الحقيقة كأصل فى الاستعمال وإن أهملت بكثرة الاستعمال للمجاز ، أو التجوز فى القول .. الخ ..

مما يدل على رسوخ قدم ابن القيم فى العلوم اللغوية وأصولها ، بجانب كونه فقيها لـه بصر بضروب المعارف الإسـلاميـة وصنوفها ، ومن تتبع أمثال هذه المباحث فى كتبه رأى صدق ما قلناه ، وسعة عقله ووفرة معارفه وعمق تفكيره ، وتلمس الرابطة الدينية ما أمكن ..

واقرأ له على سبيل المثال فى هذا الصدد مباحث : (أصل تركيب لكن) ، و « أم » فى الاتصال والانقطاع ، والسر فى إضمار حرف العطف .. فى كتابه : « بدائع الفوائد » ترى فوائد جمة ، وصدق ما ذهبنا إليه .

***

ابن سلّام الجمحي
وكتابه
طبقات فحول الشعراء

يُعَدُّ محمد بن سلاّم الجُمحيّ من أهم النقاد العرب القدماء الذين قدموا منهجاً نقدياً يعتمد على تصور علمي واضح ، ورائد ، وكتابه خطوة إلى الأمام بعد كتاب الأصمعي « فحولة الشعراء » ، وإذا كان كتابه لم يخلُ من المآخذ ، فإن الجهد الذي بذله كان دعامة قوية للانطلاق بالنقد العربي على النحو الذي سيتضح فيما بعد .

ومحمد بن سلام الجمحي هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجُمَحِيّ ، مولى قُدامة بن مظعون الجمحي ، وُلد بالبصرة عام ١٣٩ هـ ، وتوفى ببغداد فى عام ٢٣١ هـ أو عام ٢٣٢ هـ فى بعض الروايات ، وقد ابيضت لحيته ورأسه ، وله سبع وعشرون سنة ، وقد « سمع شيوخ العلم والحديث والأدب ، وسمع منه شيوخ العلم والحديث والأدب » كما يقول العلامة المحقق « محمود محمد شاكر » فى مقدمة تحقيقه للكتاب ، ومن ثم ، فهو من العلم فى مكانة رفيعة متعلماً ومُعَلِّماً ، ولا غرو أن يكون كذلك ، فهو من بيت علم أو من أهل بيت لهم فى العلم باع ، وبخاصة أبوه وأخوه ، وقد ترك لنا ثروة طيبة من الكتب المؤلفة متنوعة الموضوعات ، وهى كما ذكر الأستاذ شاكر :

- الفاصل فى ملح الأخبار والأسفار (وقيل الفاضل) .
- بيوتات العـــرب .
- طبقات الشعراء الجاهليين .
- الحلاب وأجر الخيل .
- غريب القرآن .[1]

وابن سلام مثال للعالم الأديب الذى استفاد من جهود سابقيه ، وأضاف إليهم ، وتحلّى بروح علمية تجلت فى كتابه الذى نتناوله على وجه الخصوص ..

وقد ذكر محقق الكتاب وجهة نظره فى تسمية الكتاب بـ « طبقات فحول الشعراء » ، ولماذا لم يقتصر على « طبقات الشعراء » ، ويرى أن ابن سلام قد اختار التسمية الأولى « طبقات فحول الشعراء » لأنه كان من أهل جيل يحسنون اختيار الألفاظ للدلالة على

د. حلمى محمد القاعود

معانيهم ومقاصدهم ، لا يعمدون إلى اختيار ألفاظ الثناء ليضعوها فى غير موضعها ، ثم إن ابن سلام نفسه ، قد بين فى مقدمة كتابه ما يعنيه فى تأليف كتابه ..» [٢] ويذكر المواضع التى ذكر فيها ابن سلام لفظة « الفحول » ووصف بها شعراء يتميزون على غيرهم ، ويتابع التدليل على صحة ما ذهب إليه ، بذكر ما ورد فى « الأغانى » لأبى الفرج الأصفهانى ، كما يشير إلى موقف المتأخرين من إطلاق اسم « طبقات الشعراء » على الكتاب ، فيراه ثوباً فضفاضاً لا يطابق ما فى الكتاب ، وإنما هو على الأرجح اختصار ممن ذكره بهذا الاسم ، ويرى أنه بدليل العقل ودليل النقل وجب أن يكون اسم الكتاب « طبقات فحول الشعراء » .[٣] .

وقد توقف الأستاذ المحقق عند لفظة « طبقة » ورأى أن مفهومها فى كتاب « ابن سلام » يعنى تشابه شعراء الطبقة الواحدة من بعض الوجوه فى المنهج ، مع اختلاف ظاهر يتميز به كل واحد منهم عن صاحبه ، وبهذا الاختلاف يكون كل منهم رأساً فى هذا المذهب من مذاهب الشعر .[٤]

ويمكن أن نرى فى مقدمة ابن سلام لكتابه « طبقات فحول الشعراء » منهجاً تنظيرياً ينظر به لمفهوم نقدى ، يليه تطبيق عملى أو نقد تطبيقي على الشعراء الذين وضعهم فى طبقات الجاهلية ونظرائهم فى طبقات الإسلاميين وغيرهم .

والمقدمة تعرض لعدد من القضايا يمكن أن نراها تدور على محورين :

الأول : يتعلق بتصوره لنقد الشعر .

والثانى : يتعرض لمنهجه الذى سار عليه فى كتابه وطبقه على شعرائه .

فالمحور الذى يتعلق بنقد الشعر يمكن حصره فى نقطتين أساسيتين :

الأولى : قضية الانتحال ووضع الشعر .

والثانية : قضية الحكم على الشعر .

وبالنسبة لقضية الانتحال ووضع الشعر ، فقد شغلت محمد بن سلام ، وأخذت من اهتمامه الكثير ، حيث تناولها فى أكثر من موضع ، فذكر أن « فى الشعر مصنوع مفتعل كثير لاخير فيه .. » [٥] وكأنه بذلك يريد أن ينبه إلى خطورة قضية الانتحال ونسبة الأشعار إلى غير أصحابها ، وهى تعنى فيما تعنى أن أحكامنا النقدية ستكون مضطربة ما لم يكن الشعر موثقاً ومنسوباً إلى صاحبه الحقيقى ، وهو يرى أن العلماء قد اختلفوا فى بعض الشعر ، كما اختلفوا فى سائر الأشياء ، « فأما ما اتفقوا عليه ، فليس لأحدٍ أن يخرج منه »[٦] .

ومعنى هذا أن المختلف عليه ينبغى أن يخضع لفحص وتمحيص ، وهذه أول خطوات النقد التطبيقي حتى يكون الحكم صحيحاً .

● الكاتب : بهيئة تدريس كلية الآداب ـ جامعة طنطا .

ابن سلام الجمحى

ويشير ابن سلام إلى أسباب الانتحال والوضع بقوله : « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قد قلت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسنة شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعْدُ ، فزادوا فى الأشعار التى قيلت وليس يُشْكِلُ على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون ، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم ، فيُشْكِلُ بعض الإشكال »[٧] ، ثم يضرب أمثلة على ذلك من واقع الحياة الأدبية فى البصرة ، ويتوقف عند حماد الراوية ويذكر طرفاً من أخباره التى تدل على ما وصفه به من أنه كان « غير موثوق به ، وكان ينحل شعر الرجل غيره ، وينحله غير شعره ويزيد فى الأشعار ».[٨]

وكان ابن سلام قد حمل على محمد بن إسحق واعتبره ممن « أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء معه[٩] » وكان أكثر علمه بالمغازى والسير وغير ذلك ، فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لى بالشعر ، أُوتِينَا به فأحمله ، ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب فى السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعاراً كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف ».[١٠] ، ولنا أن نتنبه هنا إلى رفض ابن سلام لاعتذار ابن اسحق وتعلله بعدم درايته بالشعر فهو يفترض فيه أن يكون عالماً به ، وإلا ينقل كل ما يسمع ، بل ينبغى عليه أن يمحص ويقلب ثم يدون ، ثم يذكر ما نسبه إلى عاد وثمود ، ويحكم عليه بأنه « كلام مؤلف معقود بقواف » أى لا يصل إلى مرتبة الشعر أو هو كلام له قواف فقط ، ثم يبرهن بعد ذلك على عدم صحة نسبة هذا الشعر إلى عاد وثمود برهنة تعتمد على النقل من القرآن الكريم من ناحية ، أو على وقائع التاريخ وعما يقبله العقل من ناحية أخرى ، يذكر مثلاً الآيات الكريمة :

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا .. ﴾[١١] ، ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾[١٢] ، ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾[١٣] ، ﴿ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ﴾[١٤] ، ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ ﴾[١٥] . وفى هذه الآيات ما يؤكد أن عادا وثمود لم يبق من آثارهم شىء لا مادياً ولا معنوياً ، وهو ما يعنى بالضرورة عدم وجود شعر ينسب إليهم[*] .

---

* ليس من شك أبداً فى هلاك الكافرين من عاد وثمود وكذلك أيضا ليس من شك فى نجاة المؤمنين منهم مع أنبيائهم ، نقول ذلك لفتا للقارىء لا تصحيحا بنسبة هذا الشعر الذى أنكره ابن سلام إليهم ، فإنه ـ مما لا شك فيه ـ ثالثا : أن العربية لدى عاد وثمود تختلف جرسا وبناء عن فصاحة عصر القرآن . راجع لذلك تاريخ العرب قبل الإسلام فى موسوعة الدكتور على جواد .. مجلة الأزهر

ثم إن ابن سلام يذكر أن أول من تكلم العربية نسي لسان أبيه : إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وأننا لا نجد لأولية العرب المعروفين شعراً فكيف بعاد وثمود ؟

كذلك يذكر ابن سلام نقلاً عن أبي عمرو ابن العلاء: ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا ، فكيف بما على عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه ؟ فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن اسحاق ومثل ما روى الصحفيون ، ما كانت إليه حاجة ، ولا فيه دليل على علم » .(١٦) .

النقطة الثانية في نقد الشعر ، وهي ما يتعلق بالحكم على الشعر ، وابن سلام يفترض فيمن يحكم على الشعر أن يكون مؤهلاً لذلك بالخبرة والتجربة والثقافة والذوق ، وقد وضع ابن سلام في مقدمة كتابه مقولته الشهيرة : « وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تَثْقَفُهُ العين ، ومنها ما تَثْقَفُهُ الأذن ، ومنا ماتَثْقَفُهُ اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان .. فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به » .(١٧)

ويرى ابن سلام أن مسألة الحكم على الشعر ينبغى ألا تخضع للهوى أو للمزاج الشخصي ويروى هذه الحكاية : « .. قال قائل لخلف : إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالى ما قلت أنت فيه وأصحابك ، قال : إذا أخذت درهماً فاستحسنته ، فقال لك الصراف : إنه ردىء فهل ينفعك استحسانك إياه » .(١٨)

ومعنى هذا أن الاستحسان أو الاستهجان القائم على الرغبة الشخصية فقط ، لا يصح أن يكون حكماً على الشعر ، بل الفيصل في الأمر هو الخبرة والدربة والفطرة السليمة المثقفة .

يرتكز المحور الثاني الذى يتعلق بالمنهج الذى سار عليه ابن سلام في كتابه وطبقه على شعرائه على نقطتين رئيسيتين أيضاً :

الأولى : ترتبط باتباعه منهج المدرسة اللغوية في البصرة .

والثانية : تدور حول تقسيمه لطبقات الشعراء الذين تناولهم في كتابه .

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى ، فإننا نجد اهتماما ملحوظا بمدرسة البصرة اللغوية وذكر علمائها وتمثُّلا لمنهجها ومبادئها ، ولا غرو أن يكون لديه هذا الاهتمام الملحوظ ، فقد نشأ في البصرة ، وتربى على يد شيوخها ؛ وعلم فيها أيضاً ، ومظاهر اهتمامه تبدو واضحة في نقله عن (يونس بن حبيب) و(أبى عمرو بن العلاء) وإشادته بهما ضمنا أو صراحة . ثم تركيزه على قضية اللحن ، وقياسه على القدماء وتفضيله لهم ، ومن ثم ؛ فإن تناول ابن سلام للشعر يعتمد على تلك النظرة التى تهتم بالجانب اللغوى وتحرص على تنقية المعجم الشعرى من الأخطاء ، وتقيس الشعراء بمدى سلامة أشعارهم من هذه الأخطاء ، ومدى اقترابها من النموذج القديم .

←

ابن سلام الجمحى

أما مايتعلق بالنقطة الثانية وهى تقسيم الشعراء إلى طبقات ، فقد قسمهم إلى شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام ، والشعراء المخضرمين ، ووضع كل شاعر فى منزلته ، ومثّل لشعره ، وفقا لمنهج معين اختطه لنفسه مسترشداً بما قاله العلماء أو النقاد بمفهومنا المعاصر . يقول ابن سلام : « وقد اختلف الناس والرواة فيهم ، فنظر قوم من أهل العلم بالشعر ، والنفاذ فى كلام العرب ، والعلم بالعربية ، إذا اختلفت الرواة فقالوا بآرائهم ، وقالت العشائر بأهوائها ولا يقنع الناس مع ذلك إلا الرواية عمن تقدم . فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات أربعة رهط كل طبقة ، متكافئين معتدلين »[١٩] .

وهذه العبارة تمثل منهج ابن سلام وخطته فى تناول الشعراء عبر صفحات كتابه فهو يعترف مقدماً باختلاف الرواة والعشائر ، هؤلاء يتعصبون لآرائهم وهؤلاء يصدرون عن هواهم ، ومع ذلك فالمقياس الذى يقتنع به الناس هو القياس على القدماء باعتبارهم النموذج الذى يحتذى وينسب إليه ، وهو المقياس الذى اعتمده ابن سلام وسار عليه .. ووفقا لهذه الخطة فقد اصطفى الفحول بناء على مايشبه الإجماع لدى العلماء ، وترك الكثيرين ، وجعل فى كل طبقة أربعة شعراء يتشابه شعر كل واحد منهم مع نظرائه ، فى تكافؤ واعتدال .

ويوضح هذا المنهج فى آخر فقرات الكتاب ويقول فيها : « ثم إنا اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم ، إلى رهط أربعة ، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة ، ثم اختلفوا فيهم بعد ، وسنسوق اختلافهم واتفاقهم ، ونسمى الأربعة ، ونذكر الحجة لكل واحد منهم ، وليس تبدئتنا أحدهم فى الكتاب نحكم له ، ولابد من مبتدأ ـ ونذكر من شعرهم الأبيات التى تكون فى الحديث والمعنى »[٢٠] .

وهذه الفقرة توضح البرنامج العملى الذى حفظه ابن سلام فى حديثه عن الطبقات ، فيؤكد على ماسبق أن ذهب إليه من اعتماده الشعراء المتفق على أنهم أشعر العرب « بعد الفحص والنظر والرواية » ، ثم يعلن أنه سيذكر الخلافات التى نشأت حولهم ، مع الدليل والحجة والبرهان ، كذلك فإنه ـ بحثا عن الموضوعية بمفهوم عصرنا ـ يحترز من وهم قد يقع فيه القارىء إذا رآه يبدأ بشاعر معين فيحسبه مقدما على غيره أو يحكم له بالسبق على أقرانه ، ولكن الرجل يعلنها صريحة بأنه لا يقصد ذلك وليس تبدئتنا أحدهم فى الكتاب نحكم له ، والمسألة فيما يراها أنه لابد من بدء أو بداية فيبدأ بواحد منهم .

وقد تعرض تقسيم « ابن سلام » لطبقات الشعراء لكثير من التعليقات ، ولكنّ معظم النقاد يتفقون على أنه قد اعتمد فى ترتيب الشعراء المقدرة الفنية أو الكفاءة الشاعرية القائمة على الجودة والكثرة[٢١] .

فيرى بعضهم أنه أى ابن سلام ممن تنبهوا إلى عنصرين هامين فى التأثير على الشعر والشاعر .

الأول : الظروف الاجتماعية ولها أثرها فى وفرة الإنتاج الشعرى وقلته ، حيث يكثر الشعر فى بيئة ما ويقل فى بيئة أخرى ، ويعلل لذلك ، فالحروب مثلا تزيد فى وفرة الإنتاج الشعرى كما جرى بين القبائل التى دارت رحى الحرب بينها واستمرت وقتا طويلاً أو فترات طويلة فقد كثر فيها الشعر ، لما تفرضه هذه الحرب من تحميس للمحاربين أو تعتمد على طلب الثأر أو نحو ذلك ، وكذلك فإن القبائل التى عاشت فترات الأمن والسلام الطويلة ، قل فيها الشعر ...

العنصر الثانى ، البيئة ولها تأثيرها على الشعراء من حيث لين الشعر أو جزالته ، ولعل هذا يظهر بوضوح فى تعليل ابن سلام لشعر (عدى بن زيد) حيث لان وكثر الوضع والانتحال عليه بسبب سكناه الحيرة والريف مما جعل لسانه يلين ومنطقه يسهل .. وشجع الوضّاعين على الوضع والانتحال[٢٢] ...

وهناك عدد من المآخذ سجلها النقاد على ابن سلام نوجز أهمها فيمايلى :

١ ـ انفراده بين العلماء بضم « الراعى » إلى الثلاثة الإسلاميين ، وعدّه فى طبقتهم من غير حجة أو دليل .

٢ ـ إقامته المفاضلة والتقسيم على أساس الكثرة ، ولم يلتزم بذلك ، كما فعل بالنسبة لكعب بن زهير ، وطرفة بن العبد .. فشعرهما قليل .

٣ ـ ذكر شعراء جاهليين على أنهم إسلاميّون مثل بشامة بن الغدير وأبى زبيد الطائى .

٤ ـ إغفاله شعراء غير مجهولين كعمر بن أبى ربيعة والطرِمّاح بن حكيم والكميت بن زيد .

٥ ـ عدم تحليل النصوص وعدم التعليل للأحكام[٢٣] .

والواقع أن هذه المآخذ لا تقلل من قيمة العمل الكبير الذى قدمه ابن سلام من خلال كتابه فالرجل كان رائداً ، ولا يمكن أن نطالبه أن يصل إلى حد الكمال فى مثل زمانه وظروفه ، ويكفيه أنه فحص ونظر وتأمل ، ثم قدّم هذا الجهد الرائع الذى بنى عليه الكثيرون ..

وإذا كانت هذه المآخذ معقولة ، فإن الدكتور محمد مندور يتعرض للكتاب محاولاً أن يسلبه فضله وقد ردّ بعض المعاصرين على هذه المحاولة ، باعتبار أن الكتاب قد وضع اللبنات الأولى للنقد المنهجى المبنى على أسس علمية من حيث توجيهه إلى تحرير النصوص ، وتحرير الشعر من الدخيل ، والتنبيه إلى صلة الشاعر بما يروى له من شعر ، ووضع لكل هذا أسسا معقولة ، وإن لم تكن كاملة أو مثالية »[٢٤] .

ويرصد الدكتور محمد زغلول سلام بعض قيمة كتاب ابن سلام بالنسبة لزماننا ونوجزه فى النقاط التالية :

←

ابن سلام الجمحى

١ ـ أفاد النقاد المحدثين مثل طه حسين .

٢ ـ جمع النظرات النقدية المتنوعة فأفاد فى التاريخ للنقد والوقوف على أحكام السابقين وآرائهم .

٣ ـ جمع المصطلحات النقدية التى كثر تداولها قبله كالخنذيذ فى وصف الشاعر المقدم ، والطلاوة فى وصف الشعر الجيد ، وشدة الأسر وشدة المتون ، ورقة الحواشى ... وما إلى ذلك(٢٥) .

وبعد ..

فإن كتاب « طبقات فحول الشعراء » مع تحقيق « محمود محمد شاكر » يمثل ثروة نقدية وأدبية لها قيمتها وأهميتها فى زمانها وزماننا وبعد زماننا .

مراجع البحث

(١) طبقات فحول الشعراء (مقدمة المحقق) : ص ٣٤ ـ ٣٧ .

(٢) مقدمة المحقق ـ ص ٢٤ .

(٣) مقدمة المحقق ـ ص ٢٧ .

(٤) مقدمة المحقق ـ ص ٦٥ ـ ٦٩ .

(٥) طبقات فحول الشعراء : ص ٤ .

(٦) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٧) المرجع السابق ـ ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٨) نفسه ـ ص ٤٨ .

(٩) نفسه ـ ص ٥٧ .

(١٠) نفسه ـ ص ٨ .

(١١) سورة الانعام : آية ٤٥ .

(١٢) سورة النجم : الآيات ٥٠ ، ٥١ .

(١٣) سورة الحاقة : آية ٨ .

(١٤) سورة الفرقان : آية ٣٨ .

(١٥) سورة إبراهيم : آية ٩ .

(١٦) طبقات فحول الشعراء ـ ص ١١ .

(١٧) المرجع السابق ـ ص ٥ .

(١٨) نفسه ـ ص ٧ .

(١٩) نفسه ص ٢٤ . ويلاحظ ان ابن سلام خصص جزءاً للحديث عن طبقة أصحاب المراثى وشعراء القرى العربية وشعراء اليهود ورتب القرى حسب جودة شعرائها : المدينة ، مكة ، الطائف ، اليمامة ، البحرين (١/٢٠٣ ـ ٢٩٦) .

(٢٠) طبقات فحول الشعراء ـ ص ٤٩ ، ٥٠ وبداء تبدئة : قدمه تقدمة .

(٢١) راجع تاريخ النقد العربى إلى القرن الرابع الهجرى ص ١٠٥ ، وه فى النقد العربى القديم ، ص ١٥٧ ويورد مثالاً على ذلك « الاسود بن يعفر له واحدة طويلة لو كان شفعها بمثلها ماقدمه ابن سلام على أهل مرتبته ، ثم يلحقه بالطبقة الخامسة بين الشعراء الجاهليين ، وكذلك « كثير » حيث قدمه على جميل حيث وضع الأول فى الطبقة الثانية من الإسلاميين ، مع اقتناعه بان جميلاً كان ارسخ قدما ، واطول باعا فى شعر الغزل والنسيب من صاحبه كثير ويعلل لذلك بقوله : « إن لكثير من فنون الشعر ماليس لجميل » (طبقات فحول الشعراء ١/١٤٣) .

(٢٢) راجع فى النقد العربى القديم ـ ص ١٠٨ .

(٢٣) السابق ـ ص ١٥٩ ، ١٦٠ .
وتاريخ النقد العربى إلى القرن الرابع الهجرى ـ ص ١٠٤ .

(٢٤) تاريخ النقد العربى ـ ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢٥) السابق ـ ص ١٠٨ .

إمام النحاة
وقضية الاستشهاد بالحديث

٧

للأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل

« فى هذا المقال نواصل تحليل موقف سيبويه من هذه القضية الهامة بعد أن قدمنا فى مقالاتنا السابقة إحصاء شاملا لما ورد فى الكتاب من أحاديث ، عرضنا تخريجا كاملا لها » .

وأمر آخر يتصل بموقف النحاة الأوائل ، وفيهم سيبويه من رواة الحديث .

يذكر « يوهان فك » أن هناك عددا من رواة الحديث لم يكونوا يهتمون بما يرد فى الحديث من الخطأ النحوى ، فقال : « وقد صاغ واحد منهم : هلال بن العلاء الرقى (١٨٤ـ ٢٨٠ هـ) فى تعبير شعرى فكرة : أن خشية الله أفضل من الإعراب ، وقد أراد تلميذ للشاعر ، هو الفقيه الحنبلى النجاد (٢٥٣ ـ ٣٤٨ هـ) أن يتنافس معه من جديد لسوء الأثر الذى تركه فى نفوس تلاميذه بمخالفته للعربية ثم يقول : وعلى هذا يتضح أنه حتى عند بعض كبار المحدثين كان إهمال اللغة ظاهرا دون أن يؤثر ذلك فى شهرتهم فإن صدق الناقد العظيم ابن عدى كان ثابتا لا يتزعزع عند معاصريه على الرغم من لحنه »[١] .

كأن اللفظ وسلامته صرفيا ونحويا لم تكن محل اهتمام كثير من الرواة ، وإنما كانت الغاية رواية المعنى الصحيح ، كما كان وراء هذا نوع من التورع أن يغير الراوى اللحن إلى الصواب ، واللحن بلا ريب وقع من راو غير فصيح ، لأن الرسول عليه الصلاةً والسلام كان أفصح من نطق بالضاد .

كما نجد بجانب هؤلاء رواة للحديث يرون ضرورة تصحيح أى لحن يرد فى حديث .

←

(١) العربية : دراسة فى اللهجات والأساليب ـ يوهان فك من ص ٧٨ إلى ص ٨٠ .

فالمحدث الكبير الأعمش الكوفى (٦٠ - ١٤٧ هـ) لم يكن يبالغ فى تجنب اللحن فحسب ، بل كان كذلك يصحح كل رواية ملحونة ؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يصدر عنه لحن أبدا ، وأوصى الدمشقى سعيد بن عبد العزيز التنوخى (٩٠ - ١٦٧ هـ) بمحو كل لحن من الحديث ، كما أن البصرى حماد بن سلمة ، المتوفى سنة ١٦٧ هـ كان يعد أفصح من عبد الوارث بن سعيد (١٠٢ - ١٨٠ هـ) وكان الأخير مضرب المثل فى الفصاحة ، فكان حماد يتشدد مع تلاميذه فى التحرز من اللحن فى الحديث حيث كان يغالى بقوله : « من لحن فى حديثى فقد كذب علىَّ » ويروى أنه كان يشبه من يكتب الحديث ولا يعرف النحو بالحمار عليه مخلاته ولا شعير فيها ، وقد عرفنا فيما سبق موقفه من تلميذه سيبويه[٢] .

نخلص من هذه الشواهد إلى أنه كان فى جو الرواية للأحاديث ما يصرف النحاة الأوائل عن الإكثار من الاستشهاد بها ، مع تقديرهم التام لجلال موضوعها ، وما تحتويه من أحكام وتشريعات .

وبهذا يكون موقف سيبويه - وقد عاش تجربة الرواية كما أسلفنا - سليما وسديدا .

بقى أن نناقش قضية يرددها كثيرون ، ويبدأ القول فيها ابن خلدون وهى أن « تدوين الأحاديث وقع فى الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية » وسأترك مناقشتها للشيخ محمد الخضر حسين ، شيخ الأزهر الأسبق ، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، يقول : إذا عدنا إلى قول ابن خلدون ، وعرضناه على التاريخ وجدنا التدوين وقع بعد أن دخل الفساد اللغة ، ولكن من المدونين من يحتج بأقواله ؛ لأنه نشأ فى بيئة عربية كالزهرى ، ومالك بن أنس ، وعبد الملك بن جريج ، ومنهم من نشأوا فى بيئة غير عربية ، أو عربية انتشر فيها الفساد ، وصارت العربية الفصحى فيها إنما تدرك عن طريق التعلم ، فدعوى أن الأحاديث دونت قبل فساد اللغة ، وأن كلام المدونين لها يسوغ الاحتجاج به فى اللغة غير مطابقة للتاريخ من كل وجه ، ولو تمت على نحو ما قرره ابن خلدون لقامت بها الحجة الفاصلة على الاستشهاد بالحديث فى اللغة من غير حاجة إلى شىء يقصدها[٣] .

وليس معنى هذا أن نسير على درب النحاة الأوائل ، ولا نلجأ إلى الاستشهاد بالحديث إلا فى النزر اليسير ؟ لأن هؤلاء لهم عذرهم ، وقد ذكرنا الصوارف التى صرفتهم عن التعويل على الاستشهاد بالحديث .

أما علماء القرون المتأخرة الذين جاءوا بعد أن توطدت دعائم الحديث وعرف عنها كل شىء ، فلا يصح لهم أن ينحو منحى النحاة الأوائل تماما ؛ لأن هناك قضية لا ريب فيها ، وهى : « أن قسما كبيرا من الأحاديث دونه رجال يحتج بأقوالهم فى العربية ، وأن كثيرا

(٢) راجع معجم الأدباء جـ ١ ص ٢٠ ، ٢١ ، ص ٢٢ ، ص ٢٦ ، جـ ٤ ص ١٢٥ - ص ١٢٧ .

(٣) دراسات فى العربية وتاريخها ص ١٧٦ - الشيخ محمد الخضر حسين - منشورات المكتب الإسلامى بدمشق .

من الرواة كانوا يكتبون الأحاديث عند سماعها ، وذلك مما يساعد على روايتها بألفاظها ، فيضاف هذا وذاك إلى ما وقع من التشدد برواية الحديث بالمعنى ، وما عرف من احتياط أئمة الحديث ، وتحرجهم فى الرواية ، فيحصل الظن الكافى لأصحابه أن تكون الأحاديث المدونة فى الصدر الأول ، مروية بألفاظها ممن يحتج بكلامه »[٤] .

هذا الكلام يقوله الشيخ الخضر وهو باحث معاصر بعد أن توافرت له الأدلة والشواهد وهو قول متزن بنى عليه تصوره لقضية الاستشهاد بالحديث ، ووصل إلى النتيجة التى ارتضاها أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، واتخذوا قرارهم ، وفق ما انتهى إليه الشيخ الباحث .

لكن لا يزال ـ فى تقديرى ـ موقف النحاة الأوائل ـ ومعهم سيبويه ـ منطقيا وسليما ، إذ التزموا منهجا أخذوا به أنفسهم ، ووجدوا كثرة من الأحاديث التى يتناقلها الرواة ، وقع فيها اللحن ، والتصحيف ، والتحريف[٥] .

كما أضيف أن سيبويه فى هذه الشواهد الأربع عشرة ما استشهد بها على أنها أحاديث وإلا لنسبها ـ وهو على صلة بالحديث وعلومه ـ حتى يدعم الاستشهاد بها بإرجاعها إلى رسول الله ﷺ ، وإنما ساقها على أنها عبارات مشهورة دارت على السنة فصحاء لا سبيل إلى الطعن فى لغتهم ، كما كان ينقل العبارات عمن يثق بهم من الأعراب ، أو من يروون عنهم ممن هم موضع ثقته .

والشىء الذى يدعو للحيرة اختلاف بعض الألفاظ فى رواية سيبويه عن الروايات التى وردت فى كتب الحديث .

أنا أستبعد أن يكون سيبويه قام بهذا التغيير ليصح له الاستشهاد ، وإلا لسقطت الثقة بمروياته جميعا !! وما يوجد ثمة باعث ، لأنه لم يعرض أية رواية كما تعرض الأحاديث ؛ لأنه فى الحديث الثانى من الأحاديث التى أثبتناها ، يقول : « على ما سمعنا العرب تتكلم به » ، وفى الحديث الثالث يقول : « ومن ذلك كذا » ويذكر الحديث ، وفى الحديث الرابع يقول : « وأما قولهم » ، وفى الحديث الخامس يقول : « كما قال » ويذكر الحديث وفى السادس يقول : « ومثل ذلك كذا » ويذكر الحديث ، وفى السابع يقول : « كما قال بعض العرب » ويذكر الحديث ، وفى الثامن يقول : « ومن العرب من يقول » وفى التاسع يقول : « زعم أبو الخطاب أنه سمع من يقول » ويذكر

←

(٤) المرجع السابق ص ١٧٦ ـ ص ١٧٧ .

(٥) ذكرنا أمثلة للحن من كتاب غريب الحديث للخطابى ، وأما التصحيف والتحريف فراجع كتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى ت عبد العزيز أحمد طه ـ ط أولى م الحلبى مصر سنة ١٩٦٣ ، وفيه قول ورقة بن نوفل فى النبى ﷺ : هذا لا يقدع أنفه ، بالدال حرف إلى (يقرع) بالراء ، وما حدث به عن عبد الله بن مسعود أنه قال : كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة ، إلى (يتخوننا) ، ومن ذلك كتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة بن الحسن الأصفهانى ت د. محمد أسعد أطلس ـ دمشق سنة ١٩٦٨ وجاء فيه أن المحدثين بالبصرة غيروا زمانا يروون أن عليا رضى الله عنه قال : ألا إن خراب بصرتكم هذه يكون بالريح فما اقلعوا عن هذا التصحيف إلا بعد مائتى سنة عندما وقعت ثورة الزنج (جـ ٢ من الكتاب المذكور) .

الحديث ، وفى العاشر يقول : « ومن ذلك قول العرب » .

وهكذا تدور عبارات سيبويه على هذا النحو حتى الحديث الرابع عشر .

٣ ـ لا يعد نحاة القرون الستة الأولى مستشهدين بالحديث .

وبناء على ما فصلت من هذه الدراسة التى أوضحت بجلاء موقف سيبويه ومن تلاه من النحاة حتى نهاية القرن السادس أستطيع أن أقرر أنهم بموقفهم هذا لا يعدون مستشهدين بالحديث وكان فى حسابهم فعلا التخوف من شيوع اللحن فى الحديث ، وظاهرتى التصحيف والتحريف بجانب من أجازوا الرواية بالمعنى .

والدليل على ذلك هذا القدر الضئيل من الشواهد التى هى أحاديث ، ولا تتجاوز عند واحد منهم هذا القدر الذى عثرنا عليه فى كتاب سيبويه .

أضف إلى هذا ، الصورة التى تم الاستشهاد بها حيث لم تذكر النسبة إلى رسول الله ﷺ ولم يقل : جاء فى الحديث الشريف كذا إلا فى أحيان قليلة جداً عند بعضهم .

هذا الموقف هو التفسير الذى أراه قريبا من الصواب لموقف النحاة الأوائل وقد ثار كثير من الباحثين المعاصرين ضد هذا الاتجاه .

وناقشوا قضية الرواية بالمعنى .

كما ناقشوا قضية ظهور اللحن فى الحديث .

وقضية التصحيف والتحريف .

وقدموا حلولا لهذه المشكلات تجعلنا ننتهى إلى أنه لا ينبغى أن يهدر الحديث الشريف فى الاستشهاد النحوى ، ومنهم الدكتور مهدى المخزومى فى كتابه مدرسة الكوفة ، والأستاذ سعيد الأفغانى فى كتابه أصول النحو ، والدكتور محمد عيد فى كتابه : الرواية والاستشهاد فى اللغة .

وما قاله هؤلاء الباحثون المحدثون لا ينال من موقف النحاة الأوائل ، لأن له ما يبرره ، أو يسوغه ، ويمكن أن يكون ردا على ما اتجه إليه ابن الضائع وأبوحيان .

ونحن عندما نناقش القضية على ضوء المتغيرات العلمية فى البحث ، وما انتهت إليه دراسات الحديث الشريف من نضوج وشمول واستقصاء يكون لها شأن آخر .

فأنا معهم ـ كما سأبين ـ فى أنه ينبغى الاعتماد على الحديث الشريف فى الدرس النحوى المعاصر ، ولابد أن تزاحم شواهده شواهد الشعر الجاهلى .

لكن لا ينبغى لنا فى سبيل هذه الغاية أن نتكلف ، ونعد الأوائل بهذه الشواهد المعدودة مستشهدين بالحديث .

إذ أن هؤلاء السلف فى موقفهم كانوا على أقوم منهج علمى .

ولا يلزم أن نقلدهم فيه بعد هذه المتغيرات حتى لا يحرم الدرس النحوى من معين ثجاج سائغ للشاربين .

٤ ـ قضية الاستشهاد بالحديث ليست قضية الأوائل

لم تكن قضية الاستشهاد بالحديث قضية مطروحة عند نحاتنا الأوائل كما أسلفنا ؛ لأن هناك من البواعث والأسباب ما يفسر موقفهم الذى اتخذوه ، وهو الإقلال من الاستشهاد بالحديث وعرض ما يستشهد منه فى صورة المسموع عن فصحاء العرب .

وإنما هى قضية المعاصرين .

وعندما نشبت القضية وثار غبارها فى القرن السابع الهجرى كان وراء ذلك ما يسوغ إثارتها وقيام الجدل حولها ولابد أن تحسم هذه القضية .

ولقد أتيحت للمعاصرين أسباب النظر فيها ، وتيسرت عوامل درسها مما يهيىء السبيل للوصول إلى نتائج حاسمة .

فعلوم الحديث درست دراسة واسعة مستفيضة .

وجمعت كل الأحاديث فى مئات الكتب ، وأصبحت بين أيدينا .

وأصبح من اليسير التمييز بين الصحيح والضعيف .

وعرفت أحوال الرواة من حيث الضبط والعدالة ، والفصاحة والعجمة .

وبين أيدينا الآن كتب تصدت لبيان ما وقع من لحن فى كتب الحديث .

كما توجد كتب تصدت لبيان ما فى الأحاديث من تصحيف وتحريف ، مما يدفعنا إلى موقف متغير تماما .

هو أن فى الكتب الصحاح جمهرة من الأحاديث تبدو فيها سمات البلاغة النبوية ، وسمو فصاحتها ، وجوامع كلمها ، وليس من الإنصاف للسان العربى أن تهدر ، أو يهمل الاستشهاد بها فى قضايا النحو واللغة بينما نعول على كثرة من أبيات الشعر ما بين مجهول القائل ، أو مصنوع ، أو شعر يقال : إن قائله من الجن ، أو من الملائكة ، أو أن قائله آدم عليه السلام .

على أن هناك أمراً أؤكد أنى لا أستطيع له تفسيرا ، وهو أن الأحاديث التى استشهد بها النحاة من متقدمين ، أو متأخرين ليست على أعلى درجات الصحة ، ففيها الموقوف ، وفيها المرسل فما سبب هذا ؟ ألأن هذه الروايات بصورتها تلك التى نقدها المحدثون هى التى تصلح لشواهدهم ؟!

معنى هذا أن النحاة المعاصرين مطالبون بإعادة النظر فى قضية الاستشهاد بالحديث ، واللجوء إلى الصحاح الواضحة الفصاحة ، والتى لا مطعن فى السنة رواتها لكى يحلوا به الكثير من مشكلات القواعد النحوية .

فأحاديث الأدعية لابد من قبولها شواهد ؛ لأن الأدعية توقيفية ، ولا يتصور التغيير فى ألفاظها .

والأحاديث التى تساق شواهد على فصاحة النبى ﷺ ، وعلى جوامع كلمه .

والأحاديث التى تصدر عن رواة لا يجيزون الرواية بالمعنى .

إمام النحاة

كل هذه أنماط من الحديث تثرى الدراسة النحوية ، والاستشهاد بها مسلك علمى مفيد .

هذه أفكار عرضتها فى هذه القضية التى حظيت بدراسة جادة من الباحثين المعاصرين ، وقد قصدت فى هذا البحث أن أقول كلمة سواء على ضوء موقف إمام النحاة سيبويه حتى نميز بين موقف النحويين فى القرون الستة الأولى ومن أتوا بعدهم ، وكذلك نتعرف ما ينبغى أن نتجه إليه فى دراساتنا المعاصرة حتّى لا نضيع الوقت فى خلافات حادة ، تضيع معها معالم الطريق .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) .

أ . د السيد رزق الطويل

من خير ما نشر

إعداد: عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجه

فضيلة الشيخ / محمد الغزالى

هذا ديننا

لماذا تحسب تضحياتنا صغيرة مهما كبرت، وتحسب تضحيات غيرنا كبيرة ويزاد فيها كماً وكيفاً، لقد عدت بذاكرتى إلى المغارم التى تحملها شعب فلسطين خلال نصف القرن الأخير فوجدت صفحة مجللة بالسواد، مفعمة بالمآسى .. واليوم يلقى عرب فلسطين من الحكم اليهودى شراً مما لقيه اليهود فى ألمانيا النازية ؟ لماذا ؟ وبأية شريعة ؟

الحق أن للعرب ذنباً آخر قد يكون أشد من كل الذنوب لقد وهت علاقتهم بالله وتقطع ما بينهم من أخوة، بل إن بعض العرب حاصر مخيمات اللاجئين قبل أن تحاصرها شراذم اليهود . وظل هذا الحصار بضع سنين حافلاً بالمآسى حتى ألفت طبيبة انجليزية كتابا عن آلام أطفال الحصار ! فلنلم أنفسنا قبل أن نلوم غيرنا .

الليزر لعلاج ضعف البصر

أعلنت ندوة طبية عالمية عقدت مؤخراً فى امستردام عن إمكانية استخدام أشعة الليزر بطريقة تمكن ضعاف البصر من الاستغناء عن النظارة الطبية، وتوقع الأطباء المشتركون فى الندوة استخدام أشعة الليزر فى علاج ضعف البصر خلال ثلاث أو أربع سنوات .

الرصاصـــة السحريـــة

توصل فريق من العلماء البريطانيين فى جامعة كيمبريدج إلى اكتشاف علاج جديد لمكافحة أنواع مختلفة من السرطان الذى يصيب خلايا جسم الإنسان وتتلخص طريقة العلاج الجديد التى تسمى باسم الرصاصة السحرية التى يتم إطلاقها على الخلايا المصابة لتعود وتقوى من دفاعاتها ضد مختلف أنواع الفيروس والبكتريا .

من خير مانشر

الأستاذ / أحمد بهجت

ثقافة الأطفال

الإنسان هو أعظم استثمار مادى .. وبرغم أن الإنسان ليس مادة فحسب ، إنما هو مادة وسر نسميه الروح ، رغم ذلك لا يزال الإنسان هو أعظم استثمار مادى ممكن .. والاستثمار يعنى الإنفاق أولاً ، ويعنى التضحية فى البداية .. وقد يكون هذا الإنفاق كثيراً .. أو مرهقاً .. أو باعثاً على الخوف من نفاد الإمكانات .. ولكن هذا كله غير صحيح .. والصحيح أن كل مال ننفقه فى استثمار الإنسان هو مال له مردود وعائد .. حتى ولو تأخر هذا العائد طويلاً . والأصل أن يبدأ استثمار الإنسان من الطفولة . ولا قيمة لأى استثمار يتجاوز مرحلة الطفولة أو يتجاهلها ، أو يمر عليها مرور الكرام . هذه حقيقة لم تعد موضع خلاف .

لعلاج الإيدز

توصل ستة علماء أمريكيين إلى علاج جديد تجرى تجربته لعلاج الايدز ويؤدى استخدامه إلى قتل خلايا الجسم المصابة بالفيروس . وقد تم استخدام الدواء الجديد مع الفئران والقردة وهو مستخرج من مادة قاتلة تكفى قطعة منها فى حجم حبة الملح لقتل إنسان .

الأستاذ : عبد الفتاح الشوربجى
« عضو مجلس الشعب »

نظرة

نحن شعب له عقيدته ومثله وقيمه وحضارته وهذه العقيدة مستقرة فى وجدان كل ابن من أبناء هذا البلد الطيب ولا مفر ـ بعد كل التجارب المستوردة والتى ثبت فشلها الذريع ـ إلا أن نرجع إلى قواعدنا الأصلية وعقيدتنا التى لا يضارعها شىء لأنها من صنع الخالق وليست نظريات بشرية ، فالأمة الآن أحوج ما تكون لتمسكها بشرع الله لأنه الطريق الوحيد للاستقرار ، والاستقرار الذى ننشده يتطلب العمل الدءوب المخلص الذى لا يصدر إلا عن إيمان بالله ورسوله ﷺ وإيمان وحب للوطن يدفعنا جميعاً ويحفز همتنا لزيادة الإنتاج ونبذ الأحقاد ، وليس من المتصور أن نظل أسرى لاعتقادات واهمة ، ونحن الأمة التى ترك فيها خاتم الرسل ما أن تمسكنا به لن نضل أبدا . وعلى الله قصد السبيل .

خطر يهدد مصر
عن تحقيق بصحيفة الأخبار

ما الحل ؟ وكيف نتعامل مع هذه القضية الخطيرة ؟ هناك حلول متأنية تحتاج إلى مساحة زمنية طويلة ، ولكن انتشار المخدرات بين الشباب يسير أسرع من كل الحلول ، إنها النار فى الهشيم ، ولا يمكن إطفاء هذه النيران إلا بسرعة تنفيذ حكم الإعدام على تجار

المخدرات وتعديل كل القوانين لنصل بسرعة إلى العقاب الرادع .

إن رجال القانون فى مصر يصرخون ، أسرعوا بإعدام قتلة شباب مصر .. ففى إعدامهم رحمة بآلاف الشباب الذين سقطوا فى كمين الإدمان .. ويسيرون بسرعة فى طريق نهايته الموت بعد أن يعبر بكل الجرائم التى نسمع عنها الآن .

الأستاذ : عبد السلام داود

علامة استفهام

هكذا حوصر المدخر المصرى والمستثمر أيضاً حصاراً كاملاً فالذى يدخر أو يملك ما يكفى لإقامة مشروع استثمارى يصطدم اصطداماً حاداً « بالبيروقراطية » والعقبات مما يجعل من هذه المحاولة نوعاً من البلاهة .

والذى يضع مدخراته لدى شركات توظيف الأموال مهدد بضياعها والذى يضع نقوده فى بنك من البنوك الرسمية يعرض نفسه لاقتطاع نصف المبلغ فى حالة وفاته سداداً لضريبة التركات وقد يتعرض للمساءلة : من أين لك هذا ؟ ويدخل فى دوامة طويلة لإثبات أنه حصل على المبلغ عن طريق شريف .

وليس فى حرف مما قلنا أى تجاوز أو مبالغة ، هذا هو واقع الحال فعلاً . ومعنى هذا أننا جمدنا نشاطنا الاقتصادى تماماً فى انتظار معجزة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الأستاذ : محمود عبد المنعم مراد

كلمات

لست أعرف على وجه الدقة لماذا نتأخر فى إصدار القرار رغم وضوح المشاكل ووسائل حلها ، ربما كان الحل يغضب بعض الأطراف ... أو ربما كان التغيير الاجتماعى والاقتصادى يسير بسرعة أكبر مما نتصور ولهذا يتأخر رد الفعل إزاءه ، وتبدو القرارات التى تصدر متأخرة عن موعدها . وربما كان السبب شيئاً آخر لا نعرفه على وجه اليقين .

ونحن لا نطالب بالعجلة والاندفاع دون دراسة ، ولكننا نطالب باتخاذ القرار فى الوقت المناسب بعد استكمال البحث مباشرة ، لا بعد سنوات وسنوات .

أنباء وآراء

● أكد الرئيس محمد حسنى مبارك ـ فى كلمته للمؤتمر الدولى للطب الإسلامى ـ التى ألقاها نيابة عنه الأستاذ الدكتور وزير الصحة راغب دويدار : أن وثيقة إعلان عقد حماية الطفل المصرى ورعايته التى أصدرها سيادته قد صدرت انطلاقا مما أوجبه ديننا الحنيف من أهمية رعاية الطفولة التى هى مستقبل هذه الأمة .

شارك فى المؤتمر علماء وأساتذة الطب من خمس وعشرين دولة إسلامية وعربية ومائة شخصية إسلامية عالمية كذلك حضره عدد من الوزراء وسفراء الدول العربية والإسلامية وأساتذة الطب .

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر يوم الأحد ١٠ ربيع الآخر الموافق ٢٠ من نوفمبر ١٩٨٨ م ، تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك المؤتمر الدولى للطب الإسلامى أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته التى ألقاها فى حفل افتتاح المؤتمر الدولى للطب الإسلامى على واجب العلماء فى مواجهة الواقع بالعلم والدين ونشر الخلق الكريم حتى يمكن إيجاد الحلول للمشكلات التى تزاحمت فى المجتمع الإسلامى بالفحص الدقيق والتحليل الذى يستكشف كنه الداء حتى يصفوا الدواء الذى يكون به الشفاء .

افتتح المؤتمر يوم الأحد ١٠ من ربيع الآخر (١٤٠٩ هـ) الموافق ٢٠ من نوفمبر ١٩٨٨ م .

● أعلن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى لقائه بلجان التوعية الدينية بالمنوفية ، اعتماد مبلغ ٤ ملايين جنيه لإنشاء ٢٣٣ معهدا دينيا فى القرى فى إطار خطة الأزهر لإنشاء معهد دينى بكل قرية .

حضر اللقاء محافظ المنوفية د/يحيى حسن .

● احتفلت الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يوم الأحد ١٧ من ربيع الآخر الموافق ٢٧ من نوفمبر بمدينة البعوث الإسلامية بتخريج دفعة أخرى من الأئمة والدعاة القادمين من مختلف بلاد العالم الإسلامي فى الدورة العالمية العاشرة التى ينظمها الأزهر الشريف .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة مرحباً فيها بالسادة الدعاة حاثاً لهم على وجوب الحذر من الفرق الضالة والغزو الثقافي باسم الدين ، وأكد فضيلته أن الأزهر يقوم بواجبه تجاه الدعوة فى الداخل والخارج ووجوب

د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ عبد المنعم فوده

تحصين الشباب ضد الأفكار والتيارات الوافدة .

وقام فضيلة الإمام الأكبر والسادة سفراء الدول المشاركة بتوزيع شهادات التخرج على سبعين من الأئمة والدعاة يمثلون ثلاث عشرة دولة هى : أفغانستان - ماليزيا - سنغافورة - أندونيسيا - نيجيريا - سيراليون - چيبوتى - زيمبابوى - ملاوى - وموريشيوس - مدغشقر - جزر القمر - اليمن .

● أرسل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ببرقية تهنئة إلى حكومة وشعب دولة الإمارات العربية المتحدة بمناسبة العيد القومي ، أعرب فيها فضيلته عن تمنياته لسمو رئيس الدولة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وشعب الإمارات الشقيق بدوام التقدم والرقي تحت راية الإسلام الحنيف ..

● نفى الدكتور عبد الفتاح الشيخ - رئيس جامعة الأزهر ما نشرته إحدى الصحف الحزبية نقلا عن وزير التعليم الإسرائيلى بوجود تعاون مشترك بين جامعة الأزهر ووزارة التعليم الإسرائيلية حيث إن جامعة الأزهر اشتركت فى حلقة إسلامية بالضفة الغربية المحتلة ، وقال رئيس جامعة الأزهر إن هذا الخبر غير صحيح جملة وتفصيلا .

● شهدت العاصمة الماليزية خلال شهر أغسطس ١٩٨٨ حشدا طلابيا ، شاركت فيه وفود تمثل أكثر من ٢٦ دولة إسلامية لحضور المؤتمر السابع للاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الإسلامية ، وقد أصدر المؤتمر قرارات إيجابية بتوصية الأزهر الشريف والجامعات الإسلامية بالسعودية والخليج بالعمل على توفير التربية الإسلامية فى برامج وزارات التربية والتعليم فى العالم الإسلامى والعربى ، وتقديم مناهج تربوية إسلامية للناشئة .

وطالب المؤتمر بزيادة عدد منح الدراسات الإسلامية لأبناء المسلمين فى آسيا وأفريقيا والأقليات المسلمة فى أوروبا وآسيا وأمريكا .

● أقر مجلس أبناء المركز الإسلامى الأفريقى الذى يتخذ الخرطوم مقرا له : خطة تستهدف بحث السبل الكفيلة بتطوير المجلس ودعم أهدافه فى نشر الدعوة الإسلامية فى كافة الدول الأفريقية . وذكرت مصادر المجلس الذى عقد فى مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية واستمر خمسة أيام أن الخطة تتضمن تقديم الدعم المادى للمركز لمساعدته وتحسين أوضاع المسلمين فى أفريقيا ، ومواجهة حملات التبشير التى تستهدف زعزعة عقيدة المسلمين الجدد ، وردهم عن الإسلام . وجدير بالذكر أن المركز يضم فى عضويته : السعودية ومصر وقطر والمغرب والسودان ودولة الإمارات العربية المتحدة والكويت .

فهرس العدد

الموضوع — **الصفحة**

● الافتتاحية « الحوار في الإسلام » ..
د . علي أحمد الخطيب ٥١٣

مع الامام الأكبر
الشيخ جاد الحق علي جاد الحق

● الدولة الفلسطينية « أمل في الأفق » ٥١٨
● بيان بشأن مفتريات بريطاني هندي ٥٢٠
● كلمته في المؤتمر العالمي الخامس للطب الإسلامي ٥٢١
● كلمته عن حقوق الطفل ٥٢٢
● بيان الأزهر والمجلس الإسلامي العالمي ٥٢٥
● من النفس اللوامة إلى العمل الصالح ..
للأستاذ حامد بدر ٥٢٦
● في رياض السنة النبوية المطهرة ..
« عزل الحاكم ممنوع بإجماع علماء أهل السنة »
أ . د . رءوف شلبي ٥٣١
● دعوة الإسلام إلى الإخلاص في العمل
للأستاذ محمد صابر البرديسي ٥٣٧
● من دلالات النبوة ..
للمستشار محمد الطهطاوي ٥٤٠
● محاولة لاستكشاف الثقافة الإسلامية ..
د . أحمد عبد الحميد غراب ٥٤٦
● رسل الأزهر في بلاد النيجر ..
للسفير جمال الدين أبو العيون ٥٥٢
● دور الأزهر في استقدام الطلاب الوافدين
د . رجاء ابراهيم سليم ٥٥٦
● الفتاوى ..
أ . عبد الحميد السيد شاهين ٥٦٠

الشعر والشعراء
اشراف د . حسن جاد

كن على الأرض مؤمناً ..
رشاد محمد يوسف ٥٦٤
● إسلام عمر ..
عمر موسى البرعي ٥٦٦
● خواطر متقاعد ..
علي حسن سرحان ٥٦٧

الموضوع — **الصفحة**

● من أعلام الأزهر
« فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم »
د . محمد رجب البيومي ٥٦٨
● طرائف ومواقف ..
إعداد : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٥٧٦
● من روائع مجلة الأزهر « جمال الأسلوب » ..
أ . عبد الفتاح حسين الزيات ٥٧٨

العلوم الكونية

● الإنسان وأبحاث الفضاء الكوني ..
د . أحمد فؤاد باشا ٥٨٤
● الجراد ..
د . كارم السيد غنيم ٥٩٠

اللغة والأدب والنقد

● نظرات في اللغة وأصولها ..
توفيق محمد شاهين ٥٩٦
● ابن سلام الجمحي ..
د . حلمي محمد القاعود ٦٠٤
● إمام النحاة ..
د . السيد رزق الطويل ٦١١
● من خير ما نشر ..
إعداد عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعي خفاجة ٦١٧
● أنباء وآراء ..
د . أحمد عبد الرحيم السايح ..
عبد المنعم حافظ فودة ٦٢٠

القسم الانجليزي
اشراف د . أنس النجار

● المقالة الثالثة ..
فاطمة محمد سري ٦٢٤
● المقالة الثانية ..
عبد الحكيم أحمد طه ٦٣١
● المقالة الأولى ..
د . أنس النجار ٦٣٨

Our Lord! bestow on us mercy from Thyself, and dispose of our affair for us in the righ way.
(Surat Al Kahf, xviii, 10)

If the ocean were ink (wherewith to write) the words of my Lord, sooner would the ocean be exhausted than would the words of my Lord, even if we added another ocean like it, for its aid.
(Surat Al Kahf, xviii, 109)

(Moses) said: "O my Lord! Expand me my breast: Ease my task for me· and remove the impediment from my speech so they understand what I say, and give me a minister from my family.
(Surat Taha, xx, 25-29)

He knows what appears in his creatures as before or after or behind them. But they shall not compass it with their knowledge.
All faces shall be humbled before Him, the Living The Self-Sustaining, The Eternal. Hopeless indeed will be the man that carries iniquity.
But he who works deeds of righteousness and has faith will have no fear of harm nor of any curtailment.
(Surat Taha, xx, 110-111)

It is he who knows what is open in speech and what ye hide in your hearts.
"I know not but that it may be a trial for you, and a grant of worldly livelihood to you for a time.
Say: "O my Lord! judge Thou in truth! !Our Lord Most Gracious is the One Whose assistance should be sought against the blasphemies ye utter!.
(Surat Al Anbiaa, xxi, 110-112)

SUPPLAICATIONS FROM THE HOLY QURAN

Collected By : Fatimah Muhammad Sirry

O Thou Creator of the heavens and the earth ! Thou art my Protector in this world and in the Hereafter. Take Thou my soul (at death) as one submitting to Thy Will (as a Muslim), and unite me with the righteous.

(Surat Youssef, xii. 101)

Remeber Ibrahim said: "O my Lord ! make this city one of peace and security: and preserve me and my sons from worshipping idols.

(Surat Ibrahim, xiv.' 35)

"O my Lord! make me one who establishes regular prayer, and also (raise such) among my offspring. O our Lord and accept Thou my prayer.

"O our Lord ! cover me with Thy forgiveness, my parents and all believers, on the day of reckoning.

(Surat Ibrahim, xiv. 40 - 41)

Say: "O my Lord! Let my entry be by the Gate of Truth and Honour, and likewise my exit be by the Gate of Truth and Honour; and grant me from Thy Presence an authority to aid me.

(Surat Al Israa, xvii, 80)

universality in time and place throughout the ages of human existance.

The last of the Prophets was the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) who was chosen to deliver the final message of The Holy Quran, the last divine message to mankind. A message which guides humanity from darkness into light; a message that purifies the souls, redeems the self, educates the mind, and cultivates the character. A message that optimizes justice betwen man and himself, man and his fellow man, man and his milieu; and indicates the exact relation between Allah the Creator and man. The doctrines of Muslim Faith are ecumenic and universal, applicable to all ages and all human societies everywhere. They embrace all the divine principles and articles of faith that came forth in previous religions. They entail a more advanced theology that deal with every form and function of human life. The confession that the Prophet Muhammad is the messenger of Allah as part of the Shahadah is an integral part in the total concept that Allah is One with no associate partner; and that Muhammad is the chosen last Prophet to deliver the last complete Message from Allah to humanity throughout time and place. The final messenger to deliver the last message from Allah to mankind.

The Shahadah in Islam pontificates the confession obediance, testimony, submission to the Absolute Truth that "There is no god save Allah, and that Muhammed is the Messenger of Allah"; and the total acceptance of the doctrines and articles of that Faith. The two statements appear independent from one another, yet they are absolutely inseparable of as a fundamental axiom of Islamic Faith. The Shahadah of the two statements is a consummation of fulfillment of the first pillar of Islam, indicating and maximizing that the true belief in the Oness of Allah is in reality contingent with the belief that Muhammad is the Messenger of Allah. Allah revealed the last Message of faith to the Prophet Muhammad, to receive and convey the Revelation of the Holy Quran. Therefore, it is absolutely imperative to affirm and attest in total recognition that the perfection of belief must combine the full recognition of the Message of Muhammad: and to realize that from that Divine Message, man becomes able to reach the proper conceptualization of the belief in the Oness of Allah. The belief in Muhammad as the last prophet is the belief in the Message of the Holy Ouran; and the belief in the Revelation of the Holy Ouran is the belief in the Oness of Allah.

The first pillar of Islam is the attestation and verbal declaration that "There is no god save Allah and Mohammad is the Messenger of Allah". This is the Shahadah in Islam.

(prayers and peace from Allah upon him); the last and complete doctrines delivered to all mankind throughout the ages and the universe.

Allah bestowed upon His Prophets and Apostles two distinctions that are not granted to any other human. The first distinction was that of absolute chastity and divine protection from the doing of evil, transgression, or misdeed. However, they may go wrong in matters of trade, agriculture, evaluation of situation, loss of battle and similar matters of worldly nature. The absolute chastity and divine protection from evil,becomes an additional asset towards their perfection and ability to carry out their duties as Prophets or Apostles. The second distinction is a supernatural extramundane event or events that particularize its owner with that special Divine gift. Such distinction is mandatory to their prophethood. Such extramundane event or performance is a natural ability bestowed by Divine power; it is not an act of magic, sorcery, necromancy, witchcraft or anything related. The prophetic extramundane performances are divinely arranged from the simplest to the most miraculous and spectacular; some may require prehand training and self association of body and spirit of the Prophet before the timing of the actual event. Such phenomena of divine gift are also granted to individuals of great piety and chastity. Examples of such extramundane phenomena for the various Prophets and Apostles are related with precsion in the Holy Quran. The survival of the Prophet Ibrahim after being put into the fire by the unbelievers; the survival of Jonas after he had been swallowed by the whale· the exactness and precise prediction and interpretation of dreams by Joseph; the subjection of winds and Jinn to the service of Soliman; the several extraordinary events and acts of Moses, as his walking staff turning into a real serpent· the miraculous birth and death of Jesus, and his ability through divine power to heal. to give life to mud birds, and by divine power to bring life to the dead. The Prophet Muhammad was endowed with numerous miracles, however, the most extramundane feature in the life of the Prophet Muhammad was the receiving of the Revelation of the Holy Quran. The way it was revealed, the manner and process by which the Quran was received, the preservation throughout his life in the mind and heart, and the actual implementation and practice of every doctrine of the Holy Book. The miracle of the Holy Quran as an explicity unaltered Divine text remained as such during the life of the Prophet Muhammad, and after his death, and will remain as such to eternity. It is the final complete Holy Book to all mankind and its

equivalent to denial of all, since they are sequential in belonging to the same line of origin of belief, starting with Adam and ending with the Prophet Muhammad, prayers and peace from Allah upon them all. Five of the Prophets were characterized by optimum resolute patience and determined perseverance; these were Noah, Ibrahim, Mousa, Jesus and Muhammad, prayers and peace from Allah upon them all.

All Prophets and Apostles were qualified with outstanding dispositional, emotional intellectual, spiritual and temperamental qualities that differentiated them from other ordinary humans; and that allowed them to perform their selected functions to excellence. They were also free from any human vice, weakness, iniquity, moral badness, that would undermine their duties as prophets. The cardinal predominant qualifications of the prophets and apostles are essentially four characteristics. Truthfulness in whatever they speak, and this conforms with the Truth which they summon people to believe in as revealed from Allah. Honesty, total and absolute,in secret and in public, in word and in action; nothing was added and nothing was deleted from that which was revealed to them. The third characteristic (tabligh) is to unfold, convey and relate the exact words of the revelation to the human race. The fourth characteristic is consistent intelligence superior mental capacity, rational coherent logic, patient teachability, and deep rooted knowledgeable wisdom. Mankind has been directed to believe in what the Prophets and Apostles have brought forth as doctrines and theistic principles; and for such purpose, they were endowed by such superb attributes. These attributes have been ascribed to Prophets and Apostles on several occasions in the text of the Holy Quran. Since the Holy Quran was the Revelation to the Prophet Muhammad, he was repeatedly and with prevalent frequency assigned with such profound qualities and values of character. The Prophets and Apostles although qualified with such expressive qualities of goodness, are, nevertheless, human beings. They are subject to fatigue, illness, physiological functions, profession or trade, poverty, physical functions and injury, death and all such matters consistant with human nature. The records of the life history of the Prophets and Apostles teaches us that in their lives they married, had progeny, were sick, traded, worked with their hands, ate and slept, were oppressed, tormented, persecuted, baycotted, ostracised and denied by people. However, their Messages to mankind remained salient and perpetual, and the essentials and doctrines that they preached were identical, complementary and concurrent. Ultimately terminating with the Message of the Holy Quran was revealed to the Prophet Muhammad

after me ? they said - We shall worship thy God and the God of thy fathers Abrahim, Ismail and Issac - The One true God, and to him we submit in Islam" (Surat Al - Baqara, II, 133). Also, "Abrahim was not a Jew, nor yet a Christian; but was true in faith as a Muslim" (Surat Al-Imran, III, 67).

The definition of an Apostle is one human gifted with a certain Revelation from Allah, without the necessity of having to deliver that Revelation. The definition of a Messenger is one human gifted with a certain Revelation with the necessity to deliver that Message. Therefore, the Messenger has a more specific duty of deliverance of his Revelation. With this understanding, every Messenger is an Apostle, but not every Apostle is a Messenger. Every Messenger was ordered to deliver his Message to a special group of people, most probably his own people: and at a special place, most probably his country. The only exception to that was the Prophet Muhammad (pravers and peace from Allah upon him) who was ordered to deliver his Message to mankind at large; all over the universe, continuously, permanentlv, and everlasting. Therefore, the age of the Message of Muhammad the Prophet of Islam, is the age of Time; the localitv of the Message is everywhere on the earth; and the people of the Message is all mankind in all ages. This is the complete universalitv of the Message of Islam. Every Muslim should necessarily believe in the Prophets and Apostles without any differentiation or distinction, some have been mentioned in the Holy Quran and others have not. Those that have been mentioned in the Holy Quran are twenty five. Eighteen have been mentioned collectively in one verse. In the Holy Quran: - "that was the reasoning about Us which we gave Ibrahim to use against his people. We raise whom We will degree after degree, for thy Lord is All-Wise All-Knowing." "We gave him, Isaac and Jacob, evervone We guided, and before that, we guided Noah and among his progeny, David, Soliman, Job, Joseph, Moses, and Aaron; thus We reward those who are righteous" "And Zakariya and John, and Jesus and Elias all in the ranks of the righteous." "And Ismail and Elisha and Jonas and Lot: and to all We gave preference and favour above all mankind." (Surat Al-Anaam, VI, 83 - 86). The other seven have been mentioned separately in various verses of the Holy Quran; these are Adam, Idris, Hood, Shuaib, Saleh, Zu Al-Kifle, and Muhammad the last of the Prophets. Anv body that denies any of these Prophets and Apostles is not a believer; because he denies a religeous doctrine and a Quranic statement. Denial of one is

the purpose of regulating these intricate inter-relationships and demands of the individual human, and between one individual and another, and within human groups in society; there must be a standarized code of practice controlling individual and group actions and conduct. That code ultimately achieves individual rights and collective social wellfare and prosperity. The underlying constituents of such code must be well defined by Divine ordinance to establish values of morals, justice, rights and virtues. The creation of mankind was associated with a message of a Divine code. The Holy Quran indicates that Adam and Eve came down to earth with a message "... Get ye down both of you, all together from the garden, with enmity one to another. But if, as is sure, there comes to you guidance from Me; whosoever follows My guidance will not lose his way, nor fall into miserv". (Surat Taha, XX 123). Man made codes can never achieve the basic and proper requirements of efficiency and suitability. The human mind is limited in knowledge and understanding due to the subjective materialistic nature of human life and demands. The human thought and conduct is dependent on the variants of social environment: it lacks universality, and structures its svstems on assumptions and transient observations of human social phenomena. It is mixed with prejudice bias, prejudgement, and individual self inclination. For such reasons, man made codes throughout history never proved efficient or satisfactory to establish individual or social human rights or justice.

For such reasons, Prophets and Apostles were selected to bring forth the Divine Messages of the code, to regulate the individual and social life of mankind. These Divine Messages centered on two essential features; the belief in the Oness of The Creator; and to define to humanity the requirements of values from the origin of Divine ordinances and decrees. This is the essence of the Message of Islam as it is the reality of the message of all other faiths. Islam, therefore, is the basic and ultimate faith of all messages brought to mankind by all Prophets and by all Apostles. Belief is in reality an integral unaltered unity irrespective of who of the Prophets carried the message to mankind. The Holy Quran exacts this meaning in several contexts. "The religion of Allah is Islam" (Surat Al-Imran III, 19). The disciples of Jesus said "... We have faith, and do bear witness that we bow as Muslims" (Surat Al-Maida, V, III). The supplication of Ibrahim and Ismail "Our Lord, make us Muslims, and of our progeny, an ummah of Muslims, bowing to Thy Will" (Surat Al-Baqara, II, 128). The advice of Jacob to his sons "when death appeared before Jacob; Behold, he said to his sons - What will ye worship

designations of the Supreme Being (Allah). In the present article, the second statement of the "Shahadah" will be considered.

The statement that "Muhammad is the Messenger of Allah" gives total acknowledgement that Allah selected the Prophet Muhammed to carry and deliver the message of Islam. Inherent in this statement, there is total recognition that Muhammad is the subject of Allah, that Muhammad is the Prophet of Allah, and that Muhammad is the last of all Prophets and Apostles. All the Apostles and Prophets are the descendants of Adam, till the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah) upon them all. They have delivered the same fundamentals of belief, that is Islam (submission) to One Deity. Each Apostle was send to deliver a message of faith and ordinances that were suitable to the mental maturity of the human society at his time, and acceptance of the contents of the message. The Prophet Muhammad was the last of the Messengers and Prophets, who was chosen to deliver the Message from Allah in a state of completeness, entailing all ordinances and guidelines, to be the wholesome doctrine to the human race. All the Prophets were sanctified from sin, and purified from human error; however, they were human in the physical form subject to all human vital physiological functions, to illness, and to death. Allah bestowed upon the Prophets extrasensory qualifications, and associated their lives with miraculous phenomena.

The human race was created as superior to all other creations because of the intricate complexity of human physical, spiritual and mental capabilities. Also, the human race were destined to inhabit the earth, and exploit its riches, by the initiative thoughts of the human mind. Allah gave the human mind the fundamental channels of knowledge, the vision, the hearing, the sensory touch, the taste and the smell; in order to evaluate and characterize matter. Allah also gave man the ability to improvise and invent, to design and engineer, to construct and operate machines. Man was also given the gift to escalate, multiply and amplyfy these fundamental channels of knowledge. Allah also gave the human mind the functions of learning, storing accumulation, and imagination; also the tools of language and numericals for the performance of such functions. Mankind is also created with carnal requirements for food, sex, desire for property, anger, pain, and fear; properties whose extent is unlimited. The collective group instinct is a prevailing human tendency, where the individual effort becomes integrated into a resultant benefit for all. For

THE PILLARS OF ISLAM

"Muhammad is the Messenger of Allah"

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at u." Then, he further asked when will the Hour be established ?: Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXl, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)

The fist pillar of Islam is the confession "Shahadah" that (There is no god save Allah, and that Muhammad is the Messenger of Allah). In a previous article, the initial statement of this Shahadah was dealt with at length, giving extensive comprehensive understanding of the attributes and

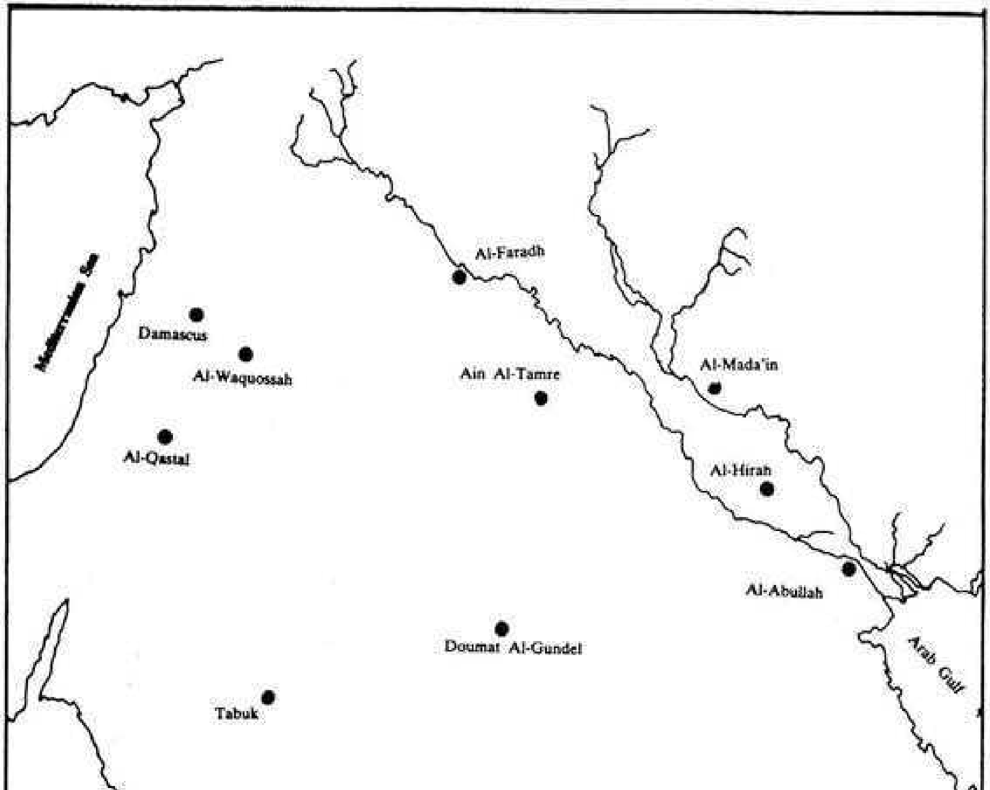
Mediterranean Sea
Damascus
Al-Waquossah
Al-Qastal
Al-Faradh
Ain Al-Tamre
Al-Mada'in
Al-Hirah
Al-Abullah
Arab Gulf
Doumat Al-Gundel
Tabuk
Red Sea
Madina
Makkah
Al-Taif

Ali ibn Abi Taleb, Othman ibn Affan and other persons of thought and capability to advise. Abu Bakre himself gave the matter very deep thought: what is the solution to this very critical and ambiguous situation. Finally, Abu Bakre realized a crucial truth; Muslims never gained battles by numbers; it was always through confident faith in the hearts of men and proper leadership. The situation at Al-Waquossah required shrewd leadership of strategic mentality with gallantry and unreceding personality. Abu Ubaydah ibn Al-Garah was kind hearted inspite of his marked capability; and Amre ibn Al-Aas inspite of his shrewdness was not challenging; and Iqrima inspite of his experience, knowledge, bravery, and military strategum, lacked the precision of evaluation. The rest of the leaders present had no real previous experience in major battles. These facts came to the mind of Abu Bakre, and the precise evaluation of the situation at Al-Yarmuk in Svria was very clear in the mind of the man responsible. Abu Bakre by analyzing the situation to its basic elements, could diagnose the fault, and also finally found the remedial measures.

Abu Bakre Al-Siddiq decided to write to Khalid ibn Al-Walid at Al-Hirah in Iraq to give his command to Al-Muthanna ibn Harithah, and to march with half the Muslim army in Iraq, to join the Muslim forces in Syria at Al-Waquossah on Al-Yarmouk. With all expediency this should be done, without arrogance but with humbleness, without self conciet, but with confidence of faith. Abu Bakre also mentioned in his letter to Khalid ibn Al-Walid never to resort to unaccepted errors in conduct (referring to the time Khalid left his command and went on pilgrimage). Abu Bakre ended his message that Allah champions and supports those who are geniune and true in their faith.

armies made contact with the army of Iqrima and moved to occupy strategic places in the Jordan valley Palastine, and Syria. The Roman command became very concerned about these masses of Muslim forces crossing the Syrian borders and penetrating into Syrian territory. The Roman Emperor Heraclius commanded Roman legions to confront each of the Muslim army. One Roman army under Theodore confronted Amre ibn Al-Aas; another under Fiquar opposed Abu Ubaidah; a third under Daraquis stood against Sherahbiel; and a fourth under Garigah confronted Yazied ibn Abi Sufian. This situation did not allow the Muslim forces freedom of movement and maneuvrability. The strategy of the Roman command was to overcome and defeat the Muslim armies individually by outnumbering them. The total Roman legions numbered eight times that of the Muslim forces. The division of the Muslim force into four armies certainly weakened the Muslim resultant power, and prevented a collective strategum. The commanders of the Muslim armies finally agreed to the opinion of Amre ibn Al-Aas to consolidate forces into one body. This opinion was later supported by the orders of Abu Bakre "join together into one, and confront your enemy, you are the carriers of the message of Allah; you cannot be defeated because of your small numbers, but you will be defeated if you transgress or commit sin. May Allah have mercy upon you, and support you to victory.

With this message from Abu Bakre, the Muslim armies joined together into one force of four armies, each having its own commander, and gathered on the left bank of Al-Yarmouk river. When the Romans saw that, they also collected their armies and faced the Muslims on the right bank of river. They choose an extensive expanse of ground surrounded by three mountainous ridges; this site is called Al-Waquossah. When the Roman troops were settled in their selected site, the Muslim forces crossed the river to the same side as the Romans, and choose for their camp an expanse of ground on the only way open to the Romans. The situation was that the Roman legions were beseiged between the mountainous ridges and the Muslim forces camped on the only way out.

The situation became very stale and monotonous, the Romans could not venture a break through, properly weighing the real potent strength of Muslims; and the Muslims were very reluctant to attack for fear of being trapped and engulfed into the multitudes of the Roman legions. This situation lasted for about eight weeks, and the Muslim commanders finally wrote to Abu Bakre describing the situation in detail. Abu Bakre consulted Omar ibn Al-Khattab,

soil; both forces were very cautious and alert. As the situation was such, news spread that Khalid ibn Al-Walid in Iraq had defeated the Persians at Al-Anbar and Ein Al-Tamre, and that the rebel tribes at Doumat Al-Gandel were defeated. The whole situation was promising, and Abu Bakre was preparing his armies at Al-Madinah for the Syrian crusade. Abu Bakre wrote to ibn Al-Aas "Advance and do not retreat, do not stretch yourself, and supplicate Allah for triumph. With this very short message, the Syrian crusade started.

On receiving the instruction from Abu Bakre, Khalid ibn Said ibn Al-Aas advanced with all his forces, infilterated the Syrian borders and marched towards the Romans and their nomad allies. When the Muslim forces were close, the Roman consortium left their posts and dispersed without resistance. The Muslim forces occupied positions and gained what the Romans left behind. Ibn Al-Aas wrote to Abu Bakre of the situation, and Abu Bakre answered "Advance with caution, do not attack, do not stretch, and be careful of being encircled." Ibn Al-Aas advanced till he reached Al-Qastal, where he defeated a Roman army and continued his march. The Roman command was very disturbed and resolved on aborting the progress of the Muslim worriors into Syrian territory. The Romans and the nomad tribes gathered in huge numbers, and ibn Al-Aas wrote to Abu Bakre explaining the situation. Abu Bakre commissioned an army under the command of Iqrima ibn Abu Jahle and another army under the command of Al-Walid ibn Uqbah; both armies to reinforce the Muslim troops in Syria. Ibn Al-Aas advanced to confront Roman forces under Bahan who retreated in a maneuvre to tempt ibn Al-Aas to stretch his forces into penetration. When this happened, Bahan encircled the Muslim forces and defeated them. Ibn Al-Aas escaped and the defeated Muslim army was saved from utter disaster by Iqrima ibn Abu Jahle who maneuvered the defeated army to safety reaching Syrian borders. There, Iqrima informed Abu Bakre, and awaited instructions and reinforcements.

The defeat of the Muslim army under Khalid ibn Al-Aas did not deter Abu bakre from his intentions. He was convinced and confident that Muslim crusade into Syria would be triumphant. Abu Bakre appointed four commanders to command four separate armies, with order to march across north borders into Syria. The commanders were Amre ibn Al-Aas, Abu Ubaidah ibn Al-Garah, Yazied ibn Abu Sufian and Sherahbiel ibn Hasanah. Abu Bakre drew the full strategy of these armies, the route of travel, and mapped out all points of strategic importance. These armies included the veterans of Islam, men of the Muhagereen and Ansars, companions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); they should be more than a challenge to any Roman legions. The four

foresight, and perception, with your piety and sincere devotion to Muslims and Islam, we are confident that your decision will be with divine support. We will hear and obey with all faith and honest effort in the cause of the message of Islam." Everybody present conceded to the words spoken by Othman ibn Affan. Everybody gave Abu Bakre the liberty and also the responsibility of the decision. Abu Bakre decided to mobilize Muslim armies from all over the Arab Peninsula, from Makkah, Al-Taif, and from Yeman and the territories of the South. It was a crusade that involved the future of Islam and Muslims. Abu Bakre fully recognized the grave responsibility on his hands. He was responsible to those who gave him fealty as Khalifah, and to those who authorized him to take the decision. He was responsible to himself; and above all, he was responsible to Allah. Abu Bakre was a man of deep discretion, profound mental discipline, true piety with extrasensory perception and clairvoyance. These qualities gave Abu Bakre the serousness of intention and the unfailing devotion to the cause. Abu Bakre knew that a Muslim in battle was confident of the outcome, either victory or martyrdom, both of which were very gratifying. Abu Bakre was confident of triumph: the effort was essentially to propagate the message of Allah on earth; that was one most vital element that the oponents of Muslims lacked. Everything else, power, might,collossals of numbers, cannot at any time outweigh true sincere strive in the path of Allah. Abu Bakre decided to infilterate the Syrian borders and confront the Roman military power of the Eastern Byzantine Empire. Abu Bakre wrote to all the clans of the South, and the western and central parts of the Arab Peninsula, summoning them to the Syrian crusade. The clans responded, and Muslim worriers in hordes thronged at Al-Madinah reporting to the Khalifah Abu Bakre Al-Siddiq.

The precise chronology of the events regarding the dispatch and commission of Muslim worriors into Syria, is controversial. What all authors agree upon is that Abu bakre did not think of the Syrian crusade except after the war against the apostates was completely over; and after Khalid ibn Al-Walid had occupied Al-Hira in Iraq. The army of Khalid ibn Said ibn Al-Aas was sent north to safeguard the Syrian borders at the start of the war against the apostates; and remained there since. The decision by Abu Bakre to infilterate the Syrian borders with Muslim worriors came consequent to ibn Al-Aas message to Abu Bakre that the Roman legions were organizing their lines and mobilizing their troops, and that many allied nomad tribes joined the Roman forces. Ibn Al-Aas described the situation that the Roman army with nomad tribes were standing on Syrian soil, opposite the Muslim army with arab tribes standing on Arab

him permission to go into combat with the Romans before they take the initiative of attacking Muslim forces.

Abu Bakre gave the matter much thought and deliberation, and called upon Omar ibn Al-Khattab, Othman ibn Affan, Aly ibn Abi Taleb, Abdel Rahman ibn Aof, and other leading personalities of the Muhagereen and Anasar; to consult them regarding the matter. The decision to order Muslims to infilerate the north borders into Syria was indeed not an easy decision. Several Muslim armies were engaged in the Iraq crusade, and Syria with all its promises of Muslim expansion into what was originally an Arab tribal state; was dominated by Roman occupation, and was part of the extensive Eastern Roman Empire extending from Turkey in the north, down to the north borders of the Arab Peninsula south. The military power and ability of the Roman war machine was mighty, tremendous and well established. A confrontation with the Roman legions may have adverse consequences, however, the thought of Muslim infilteration into Syria remained a major issue in the mind of Abu Bakre. Muslim forces were triumphant in the wars against the apostates all over the Arab Peninsula, Muslim worriers were sweepingly victorious over Persian and allied tribal troops in Iraq, and Muslims, defeated the Roman legions who confronted them at Al-Faradh. Furthermore, the man power of the Muslim tribes still remained unmobilized, especially the tribes of the south. With all these conjugations of thoughts, Abu Bakre consulted men of wisdom, opinion, knowledge of strategy and foresight. The Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) was very concerned about the propagation of the Islamic faith into Syria, the natural extension of Arabs and the Muslim creeed.

Abu Bakre gathered the council of the Muhagereen and Ansar, explained the situation in wholesomeness and exactness to every elemental detail. The first speaker was Omar ibn Al-Khattab who spoke with enthusiasm in favour of Muslim infilteration into Syria to propagate the message of Islam. His opinion was that multitudes of Muslim worriors should be recruited for the Syrian crusade to strive on the path of the message of Allah, confident that Allah would certainly champion those who strive for the cause. Abdel Rahman ibn Aof was more reserved, warning Abu Bakre not to indulge Muslims into an overt war with the Romans. However, the wise strategy was to resort to hit and squirm out maneuvre, in such a manner as to weaken and disorganize the consolidation of the Roman legions. All Muslim tribes in the corners of the Arab Peninsula should be mobilized for such campaign. Finally, Othman ibn Affan addressed Abu Bakre saying "you are the Khalifah, well known among us all for your sagacity, wisdom,

ABU BAKRE AL-SIDDIQ

THE SYRIAN CRUSADE

PART I

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

The repercussions of Muslim victories over the Persian forces in Iraq, and against the Roman legions at Al-Faradh, had far reaching consequences. The Byzantine Emperor of the Eastern Roman Empire, Heraclius came to realise the military power and skill of Muslims, and his strategy turned from calm content to apprehensive caution and alarming suspense. The Khalifah at Al-Madinah, Abu Bakre Al-Siddiq still kept the matter of the northern borders of the Arab Peninsula very much alive in his thinking. Now that the wars against the apostates were over, and the Muslims were achieving outstanding victories over the Persians in Iraq; Abu Bakre seriously contemplated to order Muslim troops to infilterate the norther borders into Syria.

During the early period of the war against the apostates, Abu Bakre had sent three armies to the north of the Arab Peninsula to subjugate renegade arab tribes in that territory. One of these armies under the command of Khalid ibn Said ibn Al-Aas was assigned to reach and establish strategic security of the Syrian bordres north of the Arab Peninsula. Abu Bakre gave strict order to ibn Al-Aas to remain at the borders and to rally friendly tribes to join his forces, and not to venture into any military confrontation except with the consent of Abu Bakre. Several tribes joined the forces of ibn Al-Aas and soon there was a huge Muslim force present on the Syrian border. This display of military spectacle caused great concern and agitation to the Roman command in Syria and Heraclius decided to take action in response, and mobilized his legions to confront the Muslims. News of the mobilization of Roman troops and their intentions reached ibn Al-Aas who wrote to Abu Bakre asking

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOl. 61, Part V

Jummada Al-Ula, 1409, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq

The Syrian Crusade (Part I)

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.

Muhammad is the Messenger of Allah

By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

3. Supplications from the Holy Quran.

Collected by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

Preparation of prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
جمادي الآخرة ١٤٠٩ هـ
يناير ١٩٨٩ م
الجزء السادس
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

أخلاق الإيمان

هي تلك التي تمثلت في رسول الله - ﷺ - حُبٌّ للخير واسبابه ، وبناء لكل خلق كريم ، وبغض للشر ونوازعه ونقض لكُلِّ لَهْوٍ اثيم ، ولهذا وذاك كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليسود الخير والخلق الكريم ، ويغيض الشر والإفك الأثيم .

والمعروف والمنكر حددهما الشرع الشريف ، واحاط بهما ، ولكل منهما «اهلُ الذكر» يُسألون عنهما ، تلك حدود الله ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وكما حدد الشارع «جنس» المعروف و «جنس» المنكر و «أفراد» هذا وذاك ، حدد أيضا من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

ولقد ماجت أمور أخذت من هذا وذاك وأليست هذا بذاك فكان بيان الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

ثم كانت ندوة الجامع الأزهر التى التقى فيها العلماء ، وتحدث فيها فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وألقى فيها بيان العلماء .

والمجلة تقدم للقارىء ذلك كله :

بيان الإمام الأكبر

فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

طالعتنا إحدى الصحف (السبت ١٤ من جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨/١٢/٢٤ م) باخبار تلك المآسى التى وقعت فى بعض احياء القاهرة والضحايا الذين سقطوا قتلى او اصيبوا بعاهات ، هذا فضلا عن الرعب والخوف الذى عم المواطنين ، وشغلهم عن مهامهم واعمالهم ، بحثا عن اولادهم وحماية لانفسهم واسرهم ، كما تناقلت الصحف اخبار جماعات اقامت من نفسها وصيا على دين الله .

وما كان الإسلام وما ينبغى أن يكون ستاراً للإخلال بالأمن ، والخروج على النظام العام ، واغتصاب الأموال ، وسفك الدماء . وما كانت الدعوة إلى الإسلام ، أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا بضوابط نظمها الإسلام فى مثال قول الله سبحانه فى سورة النحل : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ١٢٥ النحل وقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ .

وما كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وسيلة لسلب الأموال ، وإلا صار منكراً من القول وزوراً يجب على المجتمع الوقوف فى مواجهته ومعاونة رجال الأمن فى الحفاظ على الأرواح والأموال التى هددها ويهددها هؤلاء الذين نصَّبوا انفسهم حراساً على دين الله ، وما كانت المساجد كل المساجد إلا بيوتا لذكر الله وعبادته .. كما فى قوله تعالى فى سورة النور ٣٦ ، ٣٧ :

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

وما كانت عمارة المساجد إلا بالعمل الصالح فيها والذى يتفق مع مهمتها التى اقيمت من أجلها ، تلك التى يشير إليها قول الله سبحانه فى سورة الجن : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن مسجد الضرار الذى تتفرق به جماعة المسلمين ، ويقع فيه أو بسببه ما يضر بالأمة ، ويوهن من قوتها ، ويفرق كلمتها .. فقال الله سبحانه فى سورة التوبة :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ . أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ومسجد الضرار هذا .. مسجد يجب على المسلمين اجتنابه حتى يثوب أهله إلى رشدهم ويرجعوا عما اقترفوا من تفريق الكلمة وبث النزاع والقلق وإشاعة الرعب والخوف فى المجتمع ووجب على الناس كافة أن يأخذوا على أيدى هؤلاء الذين روّعوا النساء والأطفال ، وعطلوا الأعمال ، واهدروا الحرمات ، وأن يعاونوا أولى الأمر على ردهم عن غيهم وردعهم بكل الوسائل ، حتى يتوبوا ويجلسوا إلى العلماء يعرضون عليهم شبهاتهم ، ليردوهم إلى الحق والصواب فى الإسلام .

مسجد الضرار ـ فى هذا العصر ـ هو ذلك المسجد الذى دأب أهله على إثارة القلاقل وإذاعة الفتن واتخاذه موئلا للأسلحة والمتفجرات .

وما كانت المساجد فى الإسلام إلا لتلقى العلم ومدارسته وتلاوة القرآن ومدارسة علومه وذكر الله ـ كما شرع الله ـ بالصلاة والتسبيح ، وأداء الفرائض والنوافل ، وجمع الكلمة .. ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ . ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ ..

وما كان فى الإسلام جماعات ولا جمعيات تخترق النظام الذى ارتضاه الناس لحياتهم فى ظل أحكام الله وشريعته ..

وإذا كان ثمت أخطاء أو خروج عن شرع الله كانت النصيحة التى افترضها الله على المسلمين وأعلنها رسول الله ـ ﷺ ـ فى قوله الذى رواه مسلم ..

(الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟
قال : لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) .

ولعل هؤلاء الذين اعتادوا الشغب باسم الدين وباسم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يتفهمون كلمة النصح والنصيحة ، فليس من حق كل مسلم أو مسلمة ولا من واجبه أن يتجاوز النصيحة إلى استعمال العنف لتنفيذ ما يرى ، وقد يكون ما رآه خطأ فى حكم الإسلام ..

ولعل هؤلاء الذين ألفوا أن يطلقوا كلمة الكفر والتكفير ـ دون أن يتفهموا موقعها فى الإسلام ـ لعلهم يثوبون إلى رشدهم ، ويعرفون أن الله سبحانه مرسل الرسلَ ومنزلَ الكتب وخالقَ الناس جميعا هو القائل فى سورة البقرة : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ .

بيان شيخ الأزهر

فكيف يكره إنسان على قبول نصيحة فى الدين أو فى الدنيا ؟ إن الأمر .. أمر نصح وإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقدوة حسنة فى الفعل قبل القول ، فإذا كان ثمت إصرار على خطأ كان ولي الأمر هو المسئول عن تقويمه ..

ذلك أن الرسول - ﷺ - كما قال فى الحديث الذى رواه مسلم ..
(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) ..

هو القائل - ﷺ - فى الحديث المتفق عليه :
(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ..

فلننظر الحديثين معا ولنجمع بينهما لنعرف تحديد وتوزيع المسئولية فى الأمر بالمعروف وفى النهي عن المنكر وتغييره .

وإن الأزهر الشريف وهو يدعو أولئك الذين ضلوا الطريق إلى الحق أن يعودوا إلى رشدهم ، وأن يوقفوا هذا الشغب ، وأن يعرفوا أن الإسلام حكم بحرمة الأنفس والأموال ، وباحترام وطاعة أولياء الأمور ، ونصحهم إذا استوجب الحال النصح . كما يدعو الأمة جميعا إلى الوقوف بحزم ضد هؤلاء الذين اتخذوا لأنفسهم سلطانا على الناس فى دينهم ودنياهم دون سند .

وإن الأزهر الشريف ليدعو القائمين على أمور التعليم فى الجامعات والمدارس والمعاهد على اختلاف أنواعها ومراحلها إلى أن يفتحوا الأبواب ويدعو العلماء إلى لقاء الطلاب والأساتذة لقاءات عامة يوضحون لهم حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ..

وإن على الجمعيات الإسلامية ذات الصيغة الشرعية أن تذود عن المجتمع هذا الإفك الماحق وأن تعمل على ذلك بكل ما وسعها من جهد . وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة فى يسر وأناة وحلم ، وأن على وسائل الإعلام بعامة أن تواجه هذه القضايا باسم الدين الذى ارتضاه رب العالمين للناس ، وأن تحجب تلك الأقلام التى تبث السم ، وتثير ، ولا تنير ، وتضل ولا تهدى ، ولنعلم جميعا أن حرية التعبير المتاحة لا ينبغى أن تكون وسيلة إلى التدمير ، تدمير القيم الدينية التى رسخت فى قلوب الشعب ، فالحرية المسئولة هى الأولى بالتقدير والاعتبار ..

إن الأزهر الشريف لينصح الناس جميعا والمسئولين خاصة أن يعملوا على وقف كل سبل الإثارة وأن يحفظوا على الناس احترامهم للدين وأحكامه وأن يسارعوا إلى إزالة كل مخالفة له ، وليعلم الجميع أن

علاج جميع أدوائنا فى كل نواحى الحياة لا يكون إلا بالرجوع إلى دين الله ، فهو الذى به تصح أبداننا واقتصادنا وسياستنا ومجتمعنا ، ولنأخذ ذلك طاعة لله سبحانه الذى قال فى سورة الأعراف :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ..

وإن الأزهر الشريف ليدعو كافة العلماء فى جامعة الأزهر ومعاهده وعلماء الدعوة العاملين فى الوعظ والإرشاد وفى المساجد ، بل والعاملين فى كافة مرافق الدولة أن يقولوا للناس حسنا وأن يواجهوا هذا الفساد الذى تحمله طائفة انغلقت على فكر غير سديد ، واتخذت من نفسها وصياً على الشعب ، بل وعلى الدولة ، تثير الفتن والقلاقل والشغب ، وتهلك الأنفس والأموال ، وتشغل الأمة عن بذل الجهد فى سبيل الاستقرار الاقتصادى والأمنى ، تلك دعوة تكليف بأن يتصدر العلماء فى المساجد والنوادى والمدارس والجامعات .. وكل الأماكن التى يتمكنون ـ بموافقة أولى الأمر فيها ـ من اللقاءات المفتوحة بالجماهير كل الجماهير من الطلاب والعمال فى كافة مواقعهم موجهين إلى الاستمساك بالدين فى العبادة والمعاملة والخلق الحسن ، وإلى الوقوف ضد الإخلال بالأمن والشغب وإلى معاونة السلطات على وقف أعمال تلك الجماعات التى لم تعد ترعى فى الله إلاّ ولا ذمة ..

إن الإسلام حق وحقيقة وليس شعارات أو أقوالا ينقضها العمل ؟ وإن تلك الأعمال المدمرة التى نشرت تنذر بالخطر على المجتمع ..

إن الأمور بمقاصدها ، وأن الأزهر الشريف ليدعو إلى الوقوف بحزم وعدل ضد هذه الفتنة القائمة باسم الدين ، إذ الإسلام منها وممن يحترفونها براء (ومعظم النار من مستصغر الشرر) .

فليأخذ المجتمع كله حذره ، وليطهر مساجده وأنديته من قالة السوء ، ومن مثيرى الفساد ومن الداعين إلى الخروج على النظام .. ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ وليكن الحوار والإقناع وصولا إلى الحق فى أية قضية .. فذلك مبدأ الإسلام كما فى قول الله سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

نشر فى ١٦ من جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨/١٢/٢٦م

كلمة الشيخ الشعراوى

شاء الله ـ ولا راد لمشيئته ـ أن يكون بالأزهر الشريف هذا اللقاء الذى تم عقب ظهر الأحد الثانى والعشرين من جمادى الأولى ، وفيه كانت تلك الكلمات :

كلمة فضيلة الشيخ الشعراوى قبل إعلان بيان العلماء :

الحمد لله على نعمة الإيمان به ، وشرف الإسلام له . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير من استقبل عن السماء هدى الأرض وبعد :

فما أحب أن ألقى البيان الذى انتهى إليه أساتذتى وإخوانى ، وتلاميذى قبل أن أقدم بين يديه كلمة بسيطة ؛ لأن البيان عادة يتمثل فى الإيجاز الدقيق المستوعب ، والذى أحب أن أقوله :

إن مسألة الإيمان والكفر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أُتُّخِذَتا الآن مطية للوصول إلى أغراض دانية لا ترتفع إلى السماء أبدا ، ولكنها ستظل فى حضيض الأرض .

يجب أن نَعلمَ أن كلَّ صوت يتكلم دون أن يَسْمَعَ الآن مدسوس عليكم جميعاً ليشوه اجتماعكم . فكلُّ إنسان يتكلم بجوار إنسان فليحكم عليه أنه مدسوس علينا .

قضية الإيمان :

أن نؤمن بإله أى (موجود) ، وبإله (واحد) ، أى (لا تعدد له) ، لا فى أفراده ولا فى ذاته .

فمن قال الكلمة التى تؤديها فهو مؤمن ، نَدَعُ لله سرائره ، ونحكم على علانيته حين يقول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

وحين يتهم أحدٌ أحداً بشىء ذلك نقول له ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : هلا شَقَقْتَ عن قلبه .

فإذا كان الإنسان قد شهد (أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) .

فقد أخذ كلمة الإيمان ، وليس لأحد أن يتهمه بها ، فإذا ما أخذ هذا الحكم ، استقبل عن الله ما يريده من عباده ، فإذا أنكر حكماً من أحكام الله المنصوص عليها نصاً ، فقد كفر ؛ لأنه لا فائدة من الإيمان بإله واحد إلا بأن نتلقى عن ذلك الإله الواحد ، فمن أنكر شيئاً ثبت عن الله بالنص فهو كافر بوجود ذلك الإله .

قد يكون مؤمناً بإله واحد ، ولكنه يَرُدُّ حكماً من أحكام الله عليه فيكون كافراً؛لأن ذلك نقض لقضية الإيمان الأولى :

إبليس يعلم أنه لا إله إلا الله .

ويقول : بعزتك لأغوينهم أجمعين .

ويقول : أنظرنى إلى يوم يبعثون .

ويقول الله له : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان .

ويستثنى إبليس عن الإغواء : (إلا عبادك منهم المخلصين) .

إذاً فهو يؤمن بالإله الواحد الفاعل القادر ، ولكنه حينما رَدَّ الحكم على الله ، نقض ذلك الإيمان ، فأبعده الله عن حظيرته ، ولعنه .

وذلك هو الفارق بين رَدِّ الحكم على الله ، الذى يعتبر صاحبه به كافراً ، وبين استقبال الإنسان الحكم بالإيمان بالله ، ولكنه لم يقدر على نفسه ، فعصى ، وشرّع الله تجريماً ، وشرع الله قصاصاً ، وشرّع الله حداً ، وتشريع الله عقوبة لجريمة من المسلمين إيذان بأنها قد تقع .

آدم عصى ، وإبليس عصى ، فما الفرق بين معصية إبليس ، ومعصية آدم ؟

معصية إبليس أنه رَدَّ الحكم على الله فَكَفَر ، ولكن آدم اتهم نفسه قال : حكمك يارب صحيح ، ولكنى لم أقدر على نفسى ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ - الأعراف ٢٣ .

ذلك هو الفارق .

إذاً فالكفر ليس له إلا معنيان :

المعنى الأول : ألا تؤمن بوجود إله واحد .

والمعنى الثانى : أن ترد الحكم الثابت بالنص الصريح على ذلك الإله الواحد .

أرونى فى مصر ، من ينكر هذه القضية ، من الذى لا يقول فيها : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومآذنها تعج بلا إله إلا الله محمد رسول الله . وكل واحد منا يقولها !!

إذاً ، فمن يجرؤ على أن يسمى من يقولها كافراً !!

ومن منا رد الحكم على الله ؟

لم يرد أحد الحكم على الله فيما فيه نص صريح واضح ، وإن اختلف العلماء فى الفرعيات .

فمجيء النص (محتملا) للفهم والاجتهاد ، إذن من الله بأن نختلف فيه ، ولكن الخطر أن يذهب مجتهد إلى رأى فيكفر من دونه ، ولذلك كان أدب المجتهدين ، يقولون : ما وصلت اليه صحيح يحتمل الخطأ ، وما وصل إليه غيرى خطأ يحتمل الصواب .

ذلك هو الأدب .

وأما مسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقد حدد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مراحلها مستوعبة لحالات النفس الآمرة والنفس الناهية ، والنفس المأمورة ، والنفس المنهية ، وقدَّر كل ظروفها : بيده يُغَيِّر ، إن لم يستطع فبلسانه يغير ، إن لم يستطع فقلبه يغير .

وليس معنى بقلبه يغير أن تقول : اللهم إن هذا منكر لا يرضيك ، لا،إنما ينبغى أن نخضع حركتنا تبعاً له فلا نكلم من يفسق ، ولا نكلم من يأتى منكرا ، لا نكلمه ولا نصاحبه ، ولا نجامله وذلك هو التغيير بالقلب ، وإلا كنا منافقين ، لا نراه أهلاً للخير ومع ذلك نجامله ونعزيه ونهنئه ونعاونه ، ونَبَش فى وجهه ذلك هو التغيير بالقلب ، تلك هى المراحل .

فأرونى فى مصر ، مصر الكنانة ، مصر التى قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أهلها فى رباط إلى يوم القيامة) .

من يقول عن مصر : إنها أمة كافرة ؟ إذاً فمن المسلمون ؟ من المؤمنون ؟ مصر التى صدرت علم الإسلام إلى الدنيا كلها ، صدرته ... إلى البلد الذى نزل فيه الإسلام ، هى التى صدرت لعلماء الدنيا كلها علم الإسلام .

أنقول عنها ذلك ؟ ذلك هو تحقيق العلم فى أزهرها الشريف .

أما دفاعاً عن الإسلام فانظروا إلى التاريخ !

من الذى رد همجية التتار عنه ؟ إنها مصر .

كلمة الشيخ محمد متولى الشعراوى

من رد هجوم الصليبيين عن الإسلام وعن المسلمين ؟ إنها مصر ، وستظل مصر دائماً رغم انف كل حاقد أو حاسد أو مستغِل أو مستغَل ، أو مدفوع من خصوم الإسلام ، هنا او خارج (هنا) إنها مصر ! ستظل دائماً ، ولكن لنعلم جيداً : أن علم الإسلام حينما انتقل إلى هنا كانت مصر محكومة حكماً طبيعيا كان الإسلام مطبقاً ، ولكنها بليت بالاستعمار ، وللاستعمار جنود استوردوا لنا كثيرا من التقنينات فغلبونا ، ولكنه حينما زال الاستعمار ظن الناس أن الاستعمار بكل ألوانه زال .

لا ..

ليس الاستعمار وجود محتل فى الأرض ، ولكنه قد ينأى عن الأرض ويترك له أعواناً يذيعون ما يحب ، وأعواناً يشجعون ما يجب .

وقد يحتلون بشىء آخر ، بغير وجود احتلال عسكرى فى البلد ، ولذلك كان يجب علينا أن نتريث ، وهذا التريث حفاظ على الشمعة . الشمعة قد لا تنير مكاناً واسعاً ، ولكننا نحافظ عليها لأن من الممكن ان نكثّرها فتنير أكثر ، أو نأخذ منها ناراً نشبها حريقاً على أعدائنا : فليس من السهل أن نترك من يطفىء الشمعة ليطفئها نهائياً ، استبقوا هذه الشمعة ، استبقوها لنأخذوا منها النور للمحب ، والنار للمبغض ، استبقوها واعلموا جيداً أننا لا نستطيع أن تكون كلمتنا من رأسنا إلا إذا كان قوتنا من فأسنا .

لاحظوا جيداً : كيف نأكل ؟ من أين نطعم ؟ لا تعادوا قبل أن تعدوا،فإن العداء قبل الإعداد هو عين الفساد . والفساد . والفساد .

ياقوم لا تستمعوا لأحد لأن دينكم واضح ، دينكم فطرى .

واعلموا أن خصوم الإسلام لم يقدروا على الإسلام ، بذواتهم ، فدخلوا عليه من أبنائه وجعلوا لكل واحد أملاً فى أن يكون أميراً أو حاكماً ، ولذلك أعلنت أنا دائماً : أنا لا أريد أن أَحْكُمَ بالإسلام ، ولكننى أريد أن أُحْكَمَ بالإسلام .

الإسلام أمين علىَّ أن أكون محكوماً له . بأى واحد من أدنى الأرض ، ورجله على رأسى ورقبتى ، ولكنى لا أحب أن أَحْكُمَ أنا بالإسلام . لأن طالب الولاية ، لا يُوَلَّى .

نقول ـ لطالبها : ابْعُد عنها ! فإذا كان الأمر كذلك ، فإنه يجب علينا أن نتنبه جيداً إلى ما يراد بنا من كيد وما يراد بنا من شر .

واعلموا جيداً أننى كما قال أخى[1] : لست من رجال السلطة فأنا الوحيد فى مصر الذى رد قرارات جمهورية ولم يستمع لها فى تاريخها كله ملكية كانت أم جمهورية ، فلا يستطيع أحد أن يتهمنا ـ أبداً ـ بأننا علماء سلطة ، وإنى أريد منكم جميعاً أن تكونوا طائفة تقف وقفة حق وإنصاف بين دعاة إلى الإيمان كما يقولون ، وبين دعائم أمان كما يقولون .

أريد منكم أن تقفوا وقفة منصفة ، وقفة لله ، وأن تكونوا أنتم الطائفة الثالثة التى تحاول أن تصلح ، فإن لم يُصْلِحْ واحد فلنكن جميعاً يداً واحدة عليه .

---

١ - يقصد فضيلة الشيخ محمد الغزالى .

بيان العلماء

وفيما يلى نص البيان الذى اذاعه فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى باسم العلماء :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعــد :

فإن الإصلاح الذى ينشده الإسلام للمجتمع فى شئونه كلها يعتمد ـ أول ما يعتمد ـ على الإقناع والتربية والحوار العاقل ويرفض رفضاً حاسماً اللجوء إلى العنف أو الإكراه أو استباحة حقوق الآخرين باسم الدين .

وقد وضعت الشريعة الغراء طرقا واضحة لتغيير العوج والانحراف ليس فيها الاتهام بالكفر ، أو الطفرة فى بلوغ الهدف ، وذلك ما عنته الآية الكريمة فى قول الله ـ سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(النحل ١٢٥)

ولقد تعددت الأحاديث النبوية الشريفة التى تنهى عن تكفير المسلم ، ومن ذلك ما أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر ؛ فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه)[١] .

وأخرج البخارى ومسلم ـ أيضاً ـ عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (من دعا رجلاً بالكفر ، أو قال : عدوُّ الله ، وليس كذلك ، إلا حار عليه) .

أى رجع عليه ما قال .

ونحن نعتقد فى إيمان المسئولين بمصر .

نعم ؛ لأنهم يقولون : (لا إله إلا الله . محمد رسول الله) . ولا ينكرون على الله حكماً ، ولا يردون للإسلام قضية . وأنهم يعملون جاهدين ـ إن شاء الله ـ على أن تبلغ الدعوة الإسلامية مداها تحقيقاً وتطبيقاً ، ولكن انتظار الظرف المناسب[٢] هو الذى يدعو إلى التريث ؛ ولذلك نوجه إلى جمهور الشباب أن يكونوا وقافين عند حدود الله ، وأن يبتعد كل منهم عما يسىء إلى الإسلام ، وأن يدرك أن التغيير الذى طالبت به الشريعة يكون على مراحل رتيبة فصلها الحديث الصحيح الذى يقول :

(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ؛ فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ..) .

وقد اتفق العلماء على أن تغيير المنكر باليد واجب على كل الأمر ، وعلى مل إنسان فى حدود ولايته ، وأن تغيير المنكر إذا ادى إلى مفسدة أشد كان التوقف واجباً ؛ لأن إباحة تغيير المنكر بغير ضوابط يؤدى إلى شيوع الفوضى .

إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، وتدعيم الفضائل ، والقيم الدينية كلها مطلوبة من الحكومة الحاكمة الآن . والله ـ سبحانه وتعالى ـ يؤدى بنا وبهم إلى خير الطريق وأقوم السبيل .

وهو خير المسئولين والمدعوين .

(١) قال الشيخ الشعراوى : شارحاً للحديث : أى إن كانت ـ أى الكلمة ـ صادقة يكون المقول له هذه الكلمة كافراً ، وإن كانت كاذبة يكون القائل هو الكافر . (٢) قال الشيخ هنا : أى الكلمة من الرأس بعد اللقمة من الفأس .

تفسير سورة الفاتحة

لا يفوتني أن أترحم على شيخنا « مصطفى الطير » الذى كان يؤدى هذا الواجب فى مجلتنا العزيزة علينا ـ مجلة الأزهر ـ وفق الله القائمين على تحريرها فى مواصلة أداء رسالتها .

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

سورة الفاتحة هى « الطريق إلى الله » ، وهى « أم القرآن » . حوت مقاصده الثلاثة : التوحيد ، والتشريع ، والقصص .

وقد أمرنا الله إذا قرأنا القرآن أن نستعيذ به من الشيطان الرجيم .

ويتلخص الطريق إلى الله ، كما ترشدنا إليه هذه السورة فى سبع خطوات ، إجمالها :

١ ـ التجرد من المعصية .
٢ ـ الدخول فى الطاعة .
٣ ـ الطاعة نعمة تستحق الشكر .
٤ ـ قد تكون النعمة تحمل فى طياتها النقمة فاستوجبت الرحمة .
٥ ـ كل شىء يترتب الجزاء عليه .
٦ ـ المُخَلِّص من الآفات والنجاة منها .
٧ ـ الإفصاح عن المطلب .

تلك هى خطوات السورة وما تحتويه من مضمون :

فالتوحيد فى الآيات الثلاث ، والتشريع فى الآية الرابعة ، والقصص فى الآيات الثلاث الأخرى ، ولن أتناول بالتفصيل تحقيق الإعجاز القرآنى إلا بمقدار متجنبا الدراسات (الأكاديمية) التى محلها الكتب .

فالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تعنى شعورا بعظم المعصية ، وإحساسا بوجوب التخلص منها ، والالتجاء إلى الله لا إلى غيره .

والشيطان : كل متمرد من الإنس والجن مجسما كان أو مجردا فى أى غريزة من الغرائز تلك الغرائز التى تشاركنا البهائم فيها ، كالشهوة

د. محمد عبد المنعم القيعى

والرجيم بمعنى المرجوم ممن يَتَخَلَّص من وساوسه فإنه يرجمه ويمقته .

وللأسماء دلالتان : دلالتها على المسمى بها ، ودلالتها على ما يشير به المشتق منها . وما يتركب منه الاسم من حروف .

فلفظ الجلالة : «الله» له خصائصه ، فيوصف ولا يوصف به ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ وهو من «لاه ، يلوه» إذا احتجب فهو محتجب بكمال نوره وشدة ظهوره ، والإنسان هو المحجوب عنه بما عاقه عن الوصول إليه ، وهو من «لاه، يلاه» إذا ارتفع . ومن عَلِمَ أن الله تعالى أن يتجلى بما شاء وكيف شاء ، وأنه منزه فى تجليه ، قريب فى تعاليه ، لا تقيده المظاهر عند أرباب الأذواق ، زالت عنه إشكالات ، واتضحت لديه متشابهات .

ومن خصائص اسمه ـ سبحانه ـ أن الحرف الأول «الهمزة» والأخير «الهاء» من حروف الحلق ، ويشير بذلك إلى أن كل شىء منه ابتداء وإليه انتهاء ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

وهو محلى بالألف واللام ، ولا يثبت مع حرف النداء سواها تقول (ياالله) ، فإذا ناديت العبد قلتَ إما : (ياإنسان) ، أو قلت : (ياأيها الإنسان) وفى ذلك إشارة إلى محو الوسائط بيننا وبينه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ .

وإذا لاحظنا الأسئلة الموجهة للنبى ﷺ وَسَّطَهُ الله فى الإجابة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ وكقوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾[1] وهكذا لا وساطة بيننا وبينه ، فهو معنا بعلمه اينما كنا ، وأنى نكون .

وفى لفظ ـ الشيطان ـ معنى البعد والاحتراق تقول (شطن) اذا بعد وتقول (شاط) إذا احترق .

أما الخطوة الثانية : وهى الدخول فى الطاعة فتمثله (البسملة) ، لأن العبد يستعين بمعونة الله له ، وهو سبحانه (رحمن رحيم) رحمته عمت كل شىء ، وشملت ما ينال من دقيق وجليل ، ورحمته لازمة لذاته قبل وجود الخلق ، وأثناء وجودهم ، وبعد فنائهم ، وتلك البسملة موجودة فى أول كل سورة ليتعلم من ينظر فى القرآن أن يتخلق بالرحمة المناسبة له ، والرحمة ـ فى جانب الله سبحانه ـ ليست كرحمتنا تنبعث من رقة القلب ، وتنطلق بالعاطفة ، بل هى رحمة تليق به ، يُسميه المسلم بما سمى به نفسه ويصفه بما وصف به ذاته ، وفى اعتقاده أنه سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾ .

الخطوة الثالثة : أنه لا نعمة أعظم من طاعة العبد لربه ، وهى التى تبقى معه ولا تفارقه ، وما عداها أعراض تزول عنه : كنعمة الصحة ، ونعمة المال ونعمة الأولاد ، كل هذا سيفارقك ولا يبقى معك إلا ما أطعت به ربك ، وكل نعمة

● الكاتب : أستاذ ورئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين ـ القاهرة ـ جامعة الأزهر .

١ ـ وإجابة الرسول ﷺ لا تنافى أن لاوساطة بين المخلوق والخالق فهو لم يجب من نفسه وإنما بإيحاء الله له .

تفسير سورة الفاتحة

تستحق أن تقابلها بالشكر عليها ، لا أن تستأثر بها لنفسك ، وشكر أى نعمة من جنسها ، فنعمة المال شكره بذل شىء منه لمن يستحقه ، ونعمة العلم تعليمه للناس ، ونعمة الصحة العطف على المريض ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وقول العبد ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يعبر به عن شكره لخالقه ولنتأمل لفظ (رب) فهو يعنى التربية الكونية والخلقية ، وهناك نعمتان ما خرج موجود عنهما ، ولابد لكل مُكَوَّن منهما : نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، فهو سبحانه أوجد من العدم ، وهو سبحانه يرعى الناس بعنايته ورعايته ، ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ .

والخطوة الرابعة : أن على العبد أن يلاحظ حق الله ، وحق الناس فى النعمة التى أنعم الله بها عليه ، فرب نعمة تحمل فى باطنها معنى النقمة والاستدراج ، فقد قال سبحانه : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ .

و(العالمين) جمع عالَم وهو : ماسوى الله ، فكل كائن مربوب ، والله رب العالمين ، نسترحمه لأنه الرحمن الرحيم ، وقد جعل الحديث الشريف رحمة الله مائة جزء أنزل ـ سبحانه ـ جزءا واحدا ، وأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا ، فمن ذلك الجزء الواحد يتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه ، وكررتُ هذه الآية ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ فى البسملة لوجودهما فى ذاته ، وفى الفاتحة للرحمة بهما فعلا فى كائناته .

والخطوة الخامسة : لابد لكل عمل من جزاء ، ولا يملكه على الحقيقة إلا مالك الملوك ومالك الدنيا والآخرة .

وخص ﴿ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، لأنه يوم الجزاء ، وفى قوله «يوم» إشارة إلى أن الدنيا كالليل البهيم ، يدعى فيها من يشاء مايشاء ، فإذا انقشعت ظلمة الليل ، نادى ملك الملوك : لمن الملك اليوم ؟ فلم يجبه أحد ، فيجيب نفسه : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

والدين من « دانه » إذا جزاه ، « ودان له » إذا انقاد ، « ودان به » إذا أقر . فكل من الإقرار والانقياد والشعور بالجزاء عناصر أساسية للدين .

والخطوة السادسة : أنه لامُخلِّص إلا هو سبحانه ، ووسائل خلاص العبد عبادته لربه ، واستغاثته به ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ لا نعبد غيرك ولا نستعين بسواك .

وقدَّم العبادة لأنها حق الله ، وأخر طلب العون لأنه حق العبد .

وفى العبادة عنصران أساسيان : الطاعة ، والمحبة . وقال : « نعبدك » وقائل ذلك واحد ولايناسبه إلا نون الجمع لا نون التعظيم ، إذ التعظيم لايناسب العبادة التى هى خضوع وانكسار ، وكأن العبد يقول : [إذا كنت قد قصرت ، فقد خلط عملى بعمل الآخرين ، فكلنا نعبدك ، رجاء أن تدخلنا فيمن قلت فيهم : « هم الجلساء ، لا يشقى بهم[٢] جليسهم »] .

٢ ـ جزء من حديث صحيح رواه .

والخطوة السابعة : وهى الإفصاح عما يطلبه العبد امام ربه ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

والهداية هى البيان والإرشاد ، وخلق الهدى فى نفس الطالب ، ويقول المسلم ذلك طلبا للزيادة كما قال : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ .

والصراط المستقيم : هو الطريق الذى كان عليه النبى ﷺ ومن اتبعه واهتدى بهديه ، من صحابة وتابعين وتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . روى الإمام أحمد بسنده إلى ابن مسعود رضى الله عنهما قال : خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً » . وخط عن يمينه وشماله ثم قال : « هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾(٣) .

والخط المستقيم هو ما كان عليه ﷺ واصحابه . ما آمن احدهم إلا كان هواه تبعا لما جاء به محمد ﷺ .

والذين انعم الله عليهم هم الذين بينتهم آية اخرى فى سورة النساء : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ نسأل الله ان نكون منهم .

والمغضوبُ عليهم ، والضالون » كل من ضل عقله ، واغلق قلبه ، وتحديد فريق من الفرق لا يعنى إلا ضرب الأمثال لمن أبعد نفسه عن الحق وهو يعلمه ، ولمن غاب عنه الحق جهلا منه ، وكأن المستقيم على شرع الله هو من تحقق من صحة ما جاءه عن الشرع وأعمل عقله ليفقه معناه ، وغاص ببصيرته إلى مغزاه ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

وقد أمرنا ان نقول بعد قراءة الفاتحة (آمين) اى استجب دعاءنا .

فما دعونا لأنفسنا ، بل لسائر الناس ، وما التجأنا إلا إليك كما علمتنا بقولك ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ .

فعليك أيها القارىء العزيز أن تتدبر كتاب ربك ، وأن تتنبه إلى ما يتيسر لك من مدلولات ألفاظه ، فهو كتاب ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

أ . د . محمد عبد المنعم القيعى

٣ ـ وكذا رواه الحاكم وقال : صحيح ولم يخرجاه .

مكانة النفس في القرآن

قال العليم الخبير : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ . « سورة الشمس : ٧ ـ ١٠ » .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فإن للنفس البشرية مكانة عظيمة عند الله ، ومن ثم أقسم بها فى عدة مواضع ، ولا يجىء القسم على هذه الصورة إلا بشىء ذى مكانة ، وتكريم ، ومن الغريب أن نفس الإنسان بين جنبيه ، ومع ذلك لا يعرف حقيقتها ، ولا تركيبها ، وهذا دليل على أن الله سبحانه استأثر بحقيقتها ، ومعرفتها ، جاء فى التنزيل العزيز :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ « ١٦ من سورة ق » .

ومادامت النفس مخلوقة لله ، فمن حق الله عليها أن يكلفها ما تطيق ، فإن نفذت التكليف سعدت فى الدنيا والآخرة ، وإن امتنعت عن تنفيذ التكليف شقيت فى الدنيا والآخرة ، ومن حكمة الله أن جعل النفس البشرية مطيعة لصاحبها يأمرها فتأتمر ويزجرها فتنزجر ثم هى فى حالة الطاعة فى سرور واطمئنان ، وفى حالة المعصية فى قلق واضطراب .

وكذلك نجد الرسول الأعظم محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعرف مصدر النفس البشرية ، وأن الله خالقها والمتصرف فيها كيف يشاء ، فيقول فى أكثر من حديث : « والذى نفسى بيده .. كذا » .

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ .

أقسم سبحانه بالنفس[1] وتسويتها ، أى خلقها ، وهى آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، أو هى كل نفس مخلوقة ، قال مجاهد : سواها : سَوَّى خَلْقَها وعَدَّل .

وإنما أقسم المولى جل ثناؤه بالنفس ، ويقسم بخلقه لما فيه من عجائب الصنعة والقدرة الدالة عليه ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أى عرفها طريق الفجور ، والتقوى . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ . قال : « اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها »[2] .

---

(١) وقيل : (ما) فى (ما سواها) بمعنى من ، أى ومن سواها ، وهو الله ـ عز وجل .

د. محمود محمد رسلان

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ هذا جواب القسم بمعنى لقد أفلح ، و« أفلح » فاز « من زكاها » أى مَنْ زكى الله نفسه بالطاعة .

﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ أى خسرت نفس دسها الله عز وجل بالمعصية ، وقيل : أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال ، وخاب من دسّ نفسه فى المعاصى .[3]

وقال ابن الأعرابى : « وقد خاب من دسّاها » أى دس نفسه فى جملة الصالحين وليس منهم .

ومرة أخرى تقرن النفس بيوم القيامة فى القسم للدلالة على مكانة المقسم به ، وعظم شأنه كما فى قوله سبحانه : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ « القيامة : ١ ، ٢ » .

ومن تصريف الله وقدرته أن جعل النفس البشرية على أنواع تحدث عنها القرآن وقسمها إلى : أمارة بالسوء ، ونفس لوامة ، ونفس مطمئنة ونفس ملهمة ، ونفس كاملة .

مع صفات الإنسان :

تحمل شخصية الإنسان صفات الحيوان المتمثلة فى الحاجات البدنية التى يجب إشباعها من أجل حفظ الذات وبقاء النوع ، كما تتضمن صفات الملائكة المتمثلة فى تشوقه الروحى إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، والإيمان به وعبادته وتسبيحه .. ، ويشعر الإنسان بالصراع فى نفسه بين هذين الجانبين من شخصيته ، والقرآن .. يشير إلى حالة النفس الإنسانية بين الجانبين : المادى ، والروحى فى الإنسان[4] . فيقول :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ « النازعات : ٣٧ : ٤١ » .

فأشارت هذه الآيات إلى أن هناك وعدا ووعيدا ، وعلى الإنسان أن يعرف هذا حتى يختار الطريق الأمثل ، ويتسامى بنفسه إلى أفق الفضيلة ، والتقوى ، والمثل الإنسانية العليا والعمل الصالح .. ومن ثم فإن طبيعة الحياة الإنسانية معرضة لوقوع الصراع بين الخير والشر ، بين الفضيلة والرذيلة ، بين طاعة الله ومعصيته ، فإذا ركن الإنسان إلى هواه ، وغفل عن ذكر الله ونسى اليوم الآخر ، فقد تغلبت عليه النفس الأمارة بالسوء ، أى المشتهية له ، وهى التى تحدث صاحبها وتوسوس له بالفجور والانحراف وتسوقه إلى المهالك والبوار إلا من رحمها من وساوس الشيطان ، وأنقذها من مخالبه ، ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ « فاطر : ٦ » .

وفى الحديث : « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به نفسها مالم تعمل أو تكلم به »[5] .

(٣) قال أهل اللغة : والأصل دسسها من التدسيس ، وهو إخفاء الشىء فى الشىء ، فأبدلت سينه ياء ، كما يقال : قَصَّيْتُ أظفارى ، وأصله قصصت أظفارى

(٤) راجع للدكتور محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس صـ ٢٠٣ ، وما بعدها .

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير ، راجع فيض القدير ، للعلامة المناوى الحديث ١٤٠٤ .

مكانة النفس فى القرآن

فهذه رحمة من الله سبحانه أن يتجاوز عن حديث النفس الذى يدور داخل الإنسان بشرط أن لا يجهر به وإلا أخذ به قولاً أو عملاً ، ومن ثم قالت امرأة العزيز :

﴿ وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ « يوسف : ٥٣ » ..

النفس اللوامــة :

وهى التى تلوم صاحبها على الشر ، وتذكره دائماً بالله إذا غفل قلبه ، ومن ثم اقسم الله بها لمنزلتها . وخطورتها ، فقال تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ . « القيامة : ١ ، ٢ » .

وعن هذه النفس قال الحسن البصرى رضى الله عنه : هى نفس المؤمن ما يُرَى المؤمن إلا يلوم نفسه ، ما أردت بكلامى ؟ ماأردت بأكلى ؟ ما أردت بحديث نفسى ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه .. واللوامة بمعنى اللائمة وهى صفة مدح ..[6] فالنفس اللوامة هى المتقية الخائفة .. فإذا ما أخلص الإنسان فى توبته ، وفى تقربه إلى الله تعالى بالعبادات والأعمال الصالحة ، وتحكم فى أهوائه وشهواته ، وحقق التوازن المطلوب بين مطالب البدن ، ومطالب الروح ، فإنه يصل إلى أعلى مرتبة من النضج والكمال الإنسانى فيكون فى حالة اطمئنان ، وسكينة ، وهذه النفس هى التى ينطبق عليها وصف النفس المطمئنة[7] التى ذكرها القرآن الكريم : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ « الفجر : ٢٧ ـ ٣٠ » .

النفس المطمئنة :

هى الساكنة المؤمنة أيقنت أن الله ربها فأخبتت لذلك .. وهى عامة فى كل نفس مؤمنة طائعة مخلصة .

قال الحسن البصرى : إن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى الله تعالى واطمأن الله إليها ..

قال سعيد بن زيد : قرأ رجل عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ما أحسن هذا يا رسول الله ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الملك سيقولها لك يا أبا بكر » .[8]

وأيضاً فإن النفس الزكية هى المطمئنة الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارجِعِي إِلَى رَبِّكِ ﴾ .

أى إلى جواره وثوابه ، وما أعد لعباده فى جنته « راضية » فى نفسها ، « مرضية » عن الله فرضى الله عنها وأرضاها .

روى أبو أمامة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لرجل :

« قل: اللهم إنى أسألك نفسا بك مطمئنة ، تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك ، وتقنع بعطائك[9] » .

النفس الملهمة :

هى التى منحت العلم اللدنى ؛ وهو العلم

---

(٦) تفسير القرطبى : سورة القيامة .
(٧) القرآن وعلم النفس صـ ٢٠٨ .
(٨) راجع تفسير القرطبى سورة الفجر .
(٩) راجع تفسير ابن كثير لهذه الآية من سورة الفجر .

الربانى الذى يصل صاحبه عن طريق الإلهام[10] .

فقال سبحانه : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ .

يلاحظ أن العلم اللدنى الذى يحصل عن طريق الإلهام والرؤيا ليس خاصاً بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وحدهم ، بل يمكن أن يحصل أيضاً لآخرين من غير الأنبياء والرسل إذا ما توافرت فيهم شروط معينة من الصلاح والتقوى والصفاء القلبى والشفافية الروحية .

والإلهام هو نوع من العلم الذى يفيض الله سبحانه وتعالى به على الإنسان ، ويلقيه فى قلبه فتنكشف له بعض الأسرار ، وتتضح له بعض الحقائق[11] .

وعن الإلهام ماورد فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدّثون ، فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر » .

وقيل : فى تفسير « محدّثون » أى ملهمون[12] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا أن النبي ﷺ قال : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » .

وأخرج ابن عساكر عن طريق ابن شهاب قال : « إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذبه الكذبة ، فيقول : احبس هذه ، ثم يحدث بالحديث فيقول : أحبس هذه ، فيقول له : كل حديثى حق إلا ماأمرتنى أن أحبسه »[13] .

فيؤخذ مما سبق ما كان يتمتع به عمر رضى الله عنه من صفاء قلبى يجعله شديد القابلية لتلقى الإلهامات من الله سبحانه وتعالى ، وقد يحدث الإلهام للناس عن طريق الملائكة .

وفى الحديث : « فى القلب لمتان : لمة من الملك إيعاذ بالخير ، وتصديق للحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى ، وليحمدن الله ، ولمة من العدو إيعاذ بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير ، فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم »[14] .

الرؤى والأحلام :

حفل القرآن الكريم بكثير من الآيات التى تحدثت عن الرؤيا كما فى سورة الصافات آيات : ١٠٢ . ويوسف : ٤ ، ٥ ، والفتح :٢٧ ، ويوسف آيات : ٤ ، ٥ ، ١٠٠ واضحة لا خفاء فيها .

الرؤيا فى الحديث الشريف :

حفلت الأحاديث النبوية بذكر الرؤيا فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الرؤيا من الله والحلم من الشيطان » .

وقال أيضاً ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الرؤيا الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة »[15] .

النفس الكاملة : هى نفس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ترى الرؤيا فتكون حقيقة ، كما حدث ليوسف عليه السلام ، ورؤيا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

إن القرآن يربط بين العقل الكامل ، وبين الرؤيا الحق برباط متين ولا يتأتى هذا إلا بالاصطفاء من الله تعالى .

---

(١٠) المعجم الوسيط .

(١١) القرآن وعلم النفس صـ ١٨١ .

(١٢) راجع فتح البارى بشرح البخارى . كتاب فضائل أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حـ ١٤ صـ ١٨١ ، الحديث رقم ٣٦٨٩ .

(١٣) راجع لسعيد حوى : تربيتنا الروحية ، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٧٩ .

(١٤) راجع تربيتنا الروحية .

(١٥) راجع لمحمد بن سيرين : منتخب الكلام فى تفسير الأحلام بهامش كتاب تعطير الأنام فى تعبير المنام : لعبد الغنى النابلسى صـ ٢ طـ مصر : ١٣٤٧ هـ .

في رياض السُّنة النبوية المطهرة

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شيمة من مكارم الأخلاق الإسلامية

روى مسلم بسنده قال :

حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا وكيع عن سفيان (ح) وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة كلاهما عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب وهذا حديث ابى بكر قال :

اول من بدا بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة .

فقال : قد ترك ما هنالك .

فقال ابو سعيد : اما هذا فقد قضى ما عليه .

سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

« من راى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان » . رواه مسلم فى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

الذين يتصدون للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باسم الإسلام عليهم أن يتعرفوا أولاً ، ويتحلوا ثانياً بمكارم الأخلاق التى جاء بها سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ومن أوليات التعرف والتحلى بهذه المكارم أن يعرفوا (المعروف) الذى جاء به الإسلام ـ وَحْدَهُ ـ ومعناه ليقفوا على (المنكر) المقابل لهذا المعروف حتى إذا ما اضطلعوا حِسْبَةً لوجه الله بأن قاموا بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر كانوا على بينة من امر الإسلام أولاً ، ومن امر انفسهم ثانياً ، بمقدار ما عرفوا وما تحلوا به من هذا المعروف .

ولست مغرباً فى اقوال العلماء فى هذا الصدد فتلك متاهة (استحلاها) الشباب المعاصر فتاهوا فى بيدائها ولكنى سأعتصم بالكتاب والسنة مباشرة فى توضيح المعروف والمنكر من خلال مبادىء مكارم الأخلاق التى حض وحث عليها الإسلام الحنيف .

اما المعروف الذى دعا إليه الإسلام كشيمة من مكارم أخلاقه فمن ذلك ما ورد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

● « افلح من هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » . رواه الطبرانى والحاكم . حديث صحيح .

د. رءوف شلبى

● « افلحتَ يا(قديم) ان مت ولم تكن اميراً ولا كاتباً ، ولا عريفاً » رواه ابو داود.(حسن).

● « افضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وافضل المؤمنين إيماناً احسنهم خلقاً ، وافضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه ، وافضل الجهاد من جاهد نفسه فى ذات الله عز وجل »

الطبرانى (صحيح)

● « افضل المؤمنين احسنهم خلقاً »

ابن ماجه والحاكم (صحيح)

● « افضل المؤمنين رجل سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء سمح الاقتضاء »

الطبرانى . (حسن)

● « افضل الناس مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله، ثم مؤمن فى شِعْب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره . رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه وأحمد .

● « اكمل المؤمنين إيماناً احسنهم خلقاً » .

أبو داود وأحمد والحاكم. (صحيح).

● « اكمل المؤمنين إيماناً احسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم » .

الترمذى وابن حبان (صحيح).

● « اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » . الحاكم .

● « اتقوا الله فإن اَخْوَنَكم عندنا من طلب العمل » الطبرانى. (حسن).

● « أجملوا فى طلب الدنيا فإن كلا ميسر لما كتب له منها ».

ابن ماجه والحاكم والطبرانى والبيهقى .

● « احب الاعمال إلى الله تعالى ادومها وإن قل ». متفق عليه .

● « احب الاعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم ». الطبرانى .

● « احب الاعمال إلىَّ : الحب فى الله والبغض فى الله » احمد . (حسن)

● « احفظ ود ابيك لا تقطعه فيطفى الله نورك ». البيهقى والطبرانى فى الأوسط(حسن).

● « اخلصوا اعمالكم لله فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له ». الدارقطنى. (صحيح).

● « اخلص دينك يكفك القليل من العمل » الحاكم. (صحيح).

● « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ؛ فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله فإن الإمام لان يخطىء فى العفو خير من ان يخطىء فى العقوبة » . الترمذى والحاكم والبيهقى عن عائشة. (صحيح).

● « ادفعوا الحدود عن عباد الله ما وجدتم لها مدفعاً » ابن ماجه. (حسن).

● إذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه » البيهقى .

● « إذا اتاكم الزائر فأكرموه » ابن ماجه .

● « إذا اراد الله بعبد خيراً فقهه فى الدين والهمه رشده » البزار عن ابن مسعود(حسن).

● « إذا اراد الله بالامير خيرا جعل له وزير صدق ، إن نسى ذكَّرَه وإن ذكر اعانه ، وإذا اراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكِّرْهُ وإن ذكر لم يُعِنْه » . ابو داود والبيهقى فى شعب الإيمان. (حَسَن).

● « إذا التقى المسلمان فسلم احدهما على صاحبه كان احبهما إلى الله احسنهما بشراً بصاحبه، فإذا تصافح انزل الله عليهما مائة

في رياض السنة النبوية

رحمة للبادىء تسعون وللمصافح عشرة ». رواه الحاكم. (حسن).

● « إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفرا غُفِرَ لهما ». أبو داود (حسن).

هذه جملة من أحاديث المعروف التي ينبغي أن يتعرف عليها الذين يتصدون للأمر بالمعروف.

وهناك صفحة أخرى من مكارم الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام، ولا يحب لأحد من المسلمين أن يقع في محظورها، ففيما روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

● « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه. فالقاتل والمقتول في النار. قيل: يارسول الله، هذا القاتل؟ فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه ». رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي (صحيح).

● « إذا سل أحدكم سيفاً لينظر إليه فأراد أن يناوله أخاه فليُغْمِدْهُ ثم يناوله إياه ». أحمد الطبراني والحاكم (صحيح).

● « إذا شهر المسلم على أخيه سلاحاً فلا تزال ملائكة الله تعالى تلعنه حتى يشيحه عنه ». البزار (حسن).

● « إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما ». أحمد والبخاري (صحيح).

● « ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيراً ». الطبراني (حسن).

● « سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر ». مسلم.

● « إن الله تعالى قال: لقد خلقتُ خلقاً ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمَرّ من الصبر فبي حلفت لأتيحَنَّ لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران فبي يغترون أم علي يجترئون ». الترمذي (حسن).

تلك جملة من الأحاديث الناهية عن صفات لا تليق بأن يتحلى بها أحد من الذين يتصدرون للدعوة إلى الله، الذين يأمرون بالمعروف باسم الإسلام، وينهون عن المنكر باسم الإسلام. والله تعالى يقول: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(1) وقد قال العلماء في تفسيرها: اعلم أن الله تعالى لما بين في الآية الأولى أن الله هو الذي يتولاه ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾(2) - وأن الأصنام وعابديها لا يقدرون على الإيذاء والإضرار، بين في هذه الآية ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم في معاملة الناس فقال: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾.

قال أهل اللغة: « العفو: الفضل، وما أتى من غير كلفة ».

وإذا عرفت هذا فنقول: الحقوق التي تُسْتَوْفَى من الناس، وتُؤْخَذ منهم: إما أن يجوز إدخالها المساهلة والمسامحة فيها، وإما أن لا يجوز.

أما القسم الأول فهو المراد بقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ويدخل فيه ترك التشدد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية، ويدخل فيه أيضاً التخلق مع الناس بالخلق الطيب، وترك الغلظة والفظاظة. قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾(3) ومن هذا الباب أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(4).

1 - الأعراف - 199.
2 - الأعراف - 196.
3 - آل عمران - 159.
4 - النحل - 125.

وأما القسم الثانى وهو الذى لا يجوز دخول المساهلة والمسامحة فيه . فالحكم فيه: أن يأمر بالمعروف، والعرف والعارفة والمعروف هو : كل أمر عرف أنه لابد من الأتيان به، وأن وجوده خير من عدمه ، وذلك لأن هذا القسم لو اقتصر على الأخذ بالعرف ولم يأمر بالعرف ولم يكشف عن حقيقة الحال لكان ذلك سبباً فى تغيير الدين وإبطال الحق وأنه لا يجوز ، ثم إنه إذا أمر بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والإيذاء فلهذا السبب قال تعالى فى آخر الآية ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[5] وقال فى آية أخرى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾[6] وقال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[7]، وقال فى صفة أهل الجنة : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً ﴾[8].

وإذا أحاط عقلك بهذا التقسيم علمت أن هذه الآية مشتملة على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير .

قال عكرمة : لما نزلت هذه الآية قال ـ عليه الصلاة والسلام : ياجبريل، ما هذا ؟

قال : يامحمد، إن ربك يقول هو أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .

قال أهل العلم : تفسير جبريل مطابق للفظ الآية لأنك لو وصلت من قطعك فقد عفوت عنه وإذا آتيت من حرمك فقد أتيت بالمعروف ، وإذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهلين .

قال جعفر الصادق : ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية « والله أعلم »[9].

إذا ظهر لك هذا فاعلم أن ليس لكل شخص من المسلمين الحق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بل لابد من شروط تتوافر فيمن يُوَظَّفُ من قبل الدولة الإسلامية لهذا الغرض ، أو من ينصب نفسه حسبة لوجه الله ، وخلاصة ما قاله العلماء على النحو التالى .

الشرط الأول :

أن يكون عالماً بما يأمر به من المعروف وما ينهى عنه من منكر ، والمعروف والمنكر نسبيان فى أمور شتى .

فإن كان من الواجبات الظاهرة كالصلاة ، والمحرمات المشهورة كالخمر فكل المسلمين علماء بها ، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال بما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام من كلام فيه ولا لهم إنكاره، بل إن ذلك للعلماء ، والعلماء يتبعون المجمع عليه . أما المختلف فيه فلا إنكار فيه، لأن على أحد المذهبين، كل مجتهد مصيب ، وهذا هو المختار عند كثير من المحققين وعلى المذهب الآخر : المصيب واحد والمخطىء غير متعين لنا ، والإثم مرفوع عنه لكن إن نَدَبَهُ على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله، لكن برفق، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسنته أو وقوع خلاف آخر[10].

الشرط الثانى :

ينبغى للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه : من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد خصمه وشانه .

٥ ـ الأعراف ـ ١٩٩ .
٦ ـ الفرقان ـ ٧٢ .
٧ ـ المؤمنون ـ ٣ .
٨ ـ الواقعة ـ ٢٥ .
٩ ـ راجع تفسير الفخر الرازى جـ ٥ ص ٩٥/٩٦ وتفسير روح المعانى جـ ٩ ص ١٤٦/١٤٧ .
١٠ ـ النووى على مسلم جـ ١ ص ٢٢٢٦ ط/ الشعب .

الشرط الثالث :

يستحب أن يكون متولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واحداً من أهل الصلاح والفضل ويغلظ على المتمادى فى غيه والمسرف فى بطالته بشرط إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكراً أشد مما غَيَّرَهُ لكون جانبه محمياً عن سطوة الظالم ، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكراً أشد منه مثل: قتله أو قتل غيره-اقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف .

فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غَيَّرَ بقلبه وكان فى سعة،وهذا هو المراد بالحديث.إن شاء الله .

ولإمام الحرمين ـ رحمه الله تعالى ـ رأى يقول فيه : يسوغ لآحاد الرعية أن يصد مرتكب الكبيرة إن لم يندفع عنها بقوله ما لم ينته الأمر إلى نصب قتال وشهر سلاح ، فإن انتهى الأمر إلى ذلك ربط الأمر بالسلطان .

وقد استغرب الإمام النووى على إمام الحرمين قوله : وإذا جار والى الوقت وظهر ظلمُهُ وغشمه ولم ينزجر-حين زجر-عن سوء صنعه بالقول فلأهل الحل والعقد التواطؤ على خلعه ولو بشهر الأسلحة ونصب الحروب،وهذا الذى ذكره من خلعه غريب،ومع هذا فهو محمول على ما إذا لم يخف منه إثارة مفسدة أعظم منه .

الشرط الرابع :

ليس للآمر بالمعروف والناهى عن المنكر البحثُ والتنقيب والتجسس واقتحام الدور بالظنون

وللإمام الماوردى فى هذه المسألة تفصيل قال : « ليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات،فإن غلب على الظن استسرار قوم بها لأمارة ظهرت فذاك ضربان :

الضرب الأول : أن يكون ذلك فى انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل أن يخبر المحتَسِبَ ثِقَةٌ بأن رجلا يريد أن يقتل رجلا فى دار معينة فيجوز له فى مثل هذه الحالة أن يتجسس،ويقدم على الكشف حذرا من فوات مالا يستدرك ، وكذلك لو عرف غير المحتسب من (المتطوعة)مثل هذه الحالة جاز له الإقدام على الكشف وإزالة المنكر .

الضرب الثانى : ما قصر شأنه عن هذه الحرمة بأن لا يفوت استدراكها فإنه لا يجوز التجسس عليه،ولا كشف ستره مثل أصوات الملاهى المنكرة ، فإذا سجلها من خارج الدار فليس له أن يهجم عليها بالدخول فيها إذ ليس عليه أن يكشف عن الباطل ويكفى أن ينكر ذلك بقلبه .(١١)

ونعود إلى الحديث الذى رواه مسلم فنجده ذا صدر وعجز الصدر يشكل واقع حياة عمليةً لموضوع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والعجز هو أصل النص البشرى الذى يتردد على ألسنة كثير من الذين وظفوا أنفسهم فى هذا الباب .

أما قصة الصدر فإن المعروف عن خطبة العيد أنها بعد الصلاة على خلاف خطبة الجمعة ، فلما كان عهد مروان فقد غَيَّرَ زمن الخطبة فجعلها قبل الصلاة لعلة رآها،وهى أن الناس فى زمانه ينصرفون بعد صلاة العيد ، ولايستمعون إلى الخطبة .

---

١١ ـ على مسلم جـ ١ ص ٧ ٢٢٨/٢٢ .

وكان فعل مروان هذا مخالفاً لما كان يجرى العمل به أيام النبى - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين من بعده ، فلما فعل مروان هذا يوم عيد قام إليه رجل وقال له : الصلاة قبل الخطبة،فرد مروان قائلاً : قد ترك ما هنا لك،يعنى انه بدِّل ما كان معهوداً .

وكان أبو سعيد حاضرا فعلق على مقالة الرجل الذى نصح مروان بقوله : أما هذا فقد قضى ما عليه،بمعنى انه نصح واستنكر،ثم روى لنا السند الذى اعتمد عليه الرجل فى نصيحة مروان فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره » الحديث .

وهذا الصدر الذى يثبت واقعة حال يفيد أن الرجل نصح مروان بلسانه لأنه لم يستطع أن يغير بيده فلا حيلة له ولا حول لينزل الخليفة من فوق المنبر ويأمر الناس بالصلاة .

كذلك لم يشر هذا الجزء من صدر الحديث إلى أن مروان قد انصاع،ولا أن أحدا من المسلمين قد تجاوب مع الرجل الذى أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

والذى أعجب له أن شراح الحديث راحوا يفترضون مواقف لأبى سعيد بمثل افتراض أنه لم يتقدم على الرجل الذى نصح مروان،لأنه كان غائباً عن المجلس،أو أنه كان حاضراً وخاف على نفسه،أوخاف ابو سعيد من وقوع فتنة .. الخ،ولم يذكر لنا أحد من الشراح هل تمت الصلاة بعد الخطبة أو لم تتم ؟؟

والظاهر أن مروان غيرَّ وبدل فى السنة فى صلاة العيد . فقدم الخطبة على الصلاة حتى يجبر الناس على سماع الخطبة .

اما عن عجز الحديث فهو ترديد بين أمور ثلاثة بإزاء تغيير المنكر : اليد ، واللسان،والقلب

ومعلوم أنه لا خلاف بين علماء الأمة فى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب كفائى شرعى إذا قام به البعض سقط عن الآخرين ، لكن الترديد بين اليد واللسان والقلب يمنع الحصر فى واحد بعينه؛لأن الغاية هى الحفاظ على سلامة المجتمع من آفات المنكرات وضياع المروءات ولا يتصور الإسلام أن واحداً من ابنائه يمنع منكراً بمنكر يساويه ، أو يزيد عليه ، أو أن يأمر بمعروف يُخرِج المحتسب عن مكارم الأخلاق التى يدعو إليها .

فالأمر - إذاً - مترتب ترتيباً تناسبياً على قدر الحالة والظرف المناسب؛وذلك بالنسبة للمحتسب فمن قدر على إزالة المنكر باليد بقرار-إذا كان ذلك بقرار- أو بالقوة إذا كان الأمر يحتاج إلى قوة،أو التهديد إذا كان الأمر يحتاج إلى تهديد-فإنه لا بأس من استخدام القوة بشرط عدم وجود مضاعفات تزيد الطين بلة ؛ فإن الإسلام دائماً فى كل الأحوال والظروف يحاول أن يُظهر مكارم الأخلاق ومحاسنها كى يعرف الناس حقيقة الدين وجوهره .

فإذا كانت الحالة لا تستدعى تغييراً باليد فإنه لا يجوز استعمالها ، وإذا كانت الظروف فى بعض الحالات تستدعى اليد ، لكن يجوز إزالة المنكر قبلها بالوعظ واللسان فإنه لا يجوز الانصراف إلى عمل اليد لأن المهم فى الأمر هو الوصول إلى غاية الشرع بأرقى الأساليب احتراماً لكيان الإنسان وحرمة المجتمع ، وقد وقعت أحداث فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - ولم يبادر الصحابة بإزالة المنكر باليد فقد كان اليهود يتعاملون مع المسلمين فى المدينة المنورة ، وكان اليهود قوم غدر وخيانة بنص آيات القرآن الكريم ، ولم نسمع أن واحداً من الصحابة جرد سيفه ليقتل يهودياً .

في رياض السنة النبوية

لكن الصحابة جميعاً كانوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوات عدة ضد اليهود بناء عن تكليف من القائد ورئيس الدولة ، كذلك شكا الصحابة - رضوان الله عليهم - امرأة كانت تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها كانت تسب الناس بلسانها . لقد شكوها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يتقدم أحد نحوها بفعل أي شيء حتى قال لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - « هي في النار » .

فالترديد بين : اليد ، واللسان ، والقلب ملاحظ فيه المناخ الذي يجب أن يتم فيه التغيير وقتاً، وظروفاً ، وأسباباً .

وملاحظ فيه سلامة الفرد الآمر بالمعروف من الأذى، وملاحظ فيه كذلك سلامة المجتمع من الفوضى والانهيار الأخلاقي ، والاستبداد الهوائي .

وملاحظ فيه كذلك إسلام الوجه لله ، وإخلاص العبادة لجلاله ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم .

على أن وسيلة الإنكار بالقلب من أجَل الوسائل لمن يدرك قيمتها ويعرف مداها فإن الأمة التي تغلق قلبها على بغض شيء إلى حين يأتيها الفرج من عند الله لتعبر عن حريتها الصادقة وتختار القيادة السليمة لهي أمة يُرقب جانبها ويُعمل لها ألف حساب، ويخاف الناس من مستقبل تصرفاتها لأنها ستكون بركاناً - أي بركان - يطهر الأرض من كل فاسد وحاقد وخائن ودنس .

ويجب أن يلاحظ دعاة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الصبر علامة من علامات العمل الجاد في الإسلام ، وأن الهلع والجزع والثورة أمور لا تليق بأخلاق المسلم الذي يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي أمانة الله في عنقه يجب أن يتحلى بالصبر حتى يؤديها داخل إطار مكارم الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام الحنيف .

أما من أثر الحياة الدنيا وركب متن الهوى واستخفى في عباءة الإسلام وصنع ما يحلو له باسم الإسلام فهو رجل غاش لنفسه ولجماعة المؤمنين؛ فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول :

« تالفوا الناس وَتَأَنَّوابهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الارض من اهل مدر ولا وبر إلا ان تاتوني بهم مسلمين احب إلي من ان تاتوني بابنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم » . رواه ابن منده وابن عساكر .

« صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - »
هذا وبالله التوفيق .

أ . د . رءوف شلبي
وكيـــل الأزهـــر

أبو سفيان بن الحارث

شاعر بني هاشم على عصر النبوة

للأستاذ
السيد حسن قرون

حين تقرأ السيرة النبوية يأخذك العجب من موقف بنى هاشم من الدعوة الإسلامية ، فلقد كانوا ومعهم إخوتهم من بنى المطلب بن عبد مناف يؤيدون الرسول ﷺ بزعامة أبى طالب بن عبدالمطلب عم الرسول ، وإلى ان هاجر الرسول إلى المدينة لا تعد منهم مسلما إلا حمزة وعليا ، وانفرد من بينهم ابو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بعداوته وهو اخوه من الرضاعة ، فكان مع قريش ، ارضعته حليمة اياما وكان يألف رسول الله ، وكان له تِرْبًا ، فلما بعثه الله رسولا عاداه وهجاه وهجا اصحابه ، فمكث عشرين سنة عدوا لرسول الله ﷺ وما تخلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله ، ولقد تعرض لهجاء شاعر الرسول حسان بن ثابت ، فاصابه من حسان ضربات شداد تبقى على مر الزمان .

يقول الرواة كان ثلاثة رهط من قريش يهجون رسول الله ﷺ : عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، وعمرو بن العاص .

فقال قائل لعلى بن أبى طالب : أهج عنا القوم الذين هجونا ، فقال على رضى الله عنه : إن أَذِن لى رسول الله ﷺ فعلت ، فقال رجل : يارسول الله إئذن لعلى كيما يهجو عنا هؤلاء القوم الذين هجونا ، فقال : « ليس هناك أو ليس عنده ذاك » .

ومن هنا قال العقاد : إن عليا نابغة فى كل فن وعلم إلا الشعر ، وأنا أرى أن عليا كان قادراً على نظم الشعر والتفوق فيه لميراثه من أبيه ، وشاعرية تلمس فيه إلا أن الرسول ﷺ أراد به أن يبعد عما يوقع الإنسان فى الإثم ويعده لشىء آخر . ثم قال النبى ﷺ للأنصار : « ما يمنع الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم » ؟

أبو سفيان بن الحارث

فقال حسان بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه وقال : والله مايسرني به مِقْول من بُصْرى وصنعاء .

فقال : « كيف تهجوهم وأنا منهم » ؟

فقال : إنى أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، فكان يهجو قريشا ثلاثة من الأنصار هم : حسان ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة .

واستأذن حسان فى هجو ابن عم الرسول ﷺ : « أبى سفيان بن الحارث » صاحبنا ، وقال يارسول الله : لوشئت لفريت به الزاد ، فقال له : « اذهب إلى أبى بكر ليحدثك بحديث القوم وأيامهم وأحسابهم ، ثم اهجهم وجبريل معك » فأتى أبا بكر فأعلمه بما قال رسول الله ﷺ ، فقال : كف عن فلانة واذكر فلانة . فقال حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه
وعند الله فى ذاك الجزاء

فإن أبى ووالده وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء

اتهجوه ولست له بكفء ؟
فشركما لخيركما الفداء

وشركما لخيركما الفداء كلمة جافية .

قال سيبويه : المقصود منها ليس التفضيل ، إنما المقصود أن المهجو يوصف بالشر ، ومن أشد ما وجهه حسان بن ثابت إلى أبى سفيان بن الحارث الهاشمى قوله :

وإن سناء المجد من آل هاشم
بنو بنت مخزوم ووالدك العبدُ

ومن ولدت أبناء زهرة منهم
كرام ، ولم يبلغ عجائزَك المجدُ

وإنَّ امرأ كانت سميةُ أمه
وسمراء مغلوب إذا بلغ الجهد

وأنت زنيم نِيطَ فى آل هاشم
كما نيط خَلْفَ الراكب القدحُ الفردُ

وأبناء بنت مخزوم هم : عبدالله والد الرسول ، وأبو طالب ، والزبير ، وخمس بنات هن عمات الرسول وبنت زهرة هى هالة أم حمزة وصفية .. أما المهجو فسمية أمه ، وسمراء جدته وهى أم الحارث الذى كان فردا مع أبيه عبدالمطلب بن هاشم عند حفر زمزم ، ولسمراء حديث لطه حسين فى كتاب « على هامش السيرة» وهى من بنى عامر ، ولكن الشاعر بقدرة الشعر أنزل من مكانة سمية وسمراء ، وجعله زنيما أى لصيقا فى آل هاشم ، وهو فى ذلك الحين يستحق ما قاله حسان ، فلقد كان شديد الهجاء لاذع القول .

وحسان لم يكتف بذلك فقد ذكر أمهات أولاد عبدالمطلب كما دونا وختم كلامه بقوله :

ولست كعباس ولا كابن أمه
ولكن هجين ليس يُورَى له زَنْدُ

والهجين من أبوه عربى وأمه ليست عربية ، والواقع أن أبا سفيان عربى الأب والأم ، بل هما قرشيان وابن سعد ذكر أن أمه اسمها «غَزِيَّة» من بنى الحارث بن فهر ، رهط أبى عبيدة بن الجراح القائد المشهور ، وأم العباس وأخيه المقدم هى « نُتَيلة بنت كليب بن جناب» من ربيعة .

ويبدو من أحاديث بيته أنهم كانوا يستنكرون موقفه من ابن عمه سيد ولد آدم ، فلما شرق ذكر الإسلام وغرب وأن للرسول أن يفتح مكة ليدخل الناس فى دين الله أفواجا ألقى الله فى روع أبى سفيان بن الحارث الإسلام ، يقول أبو سفيان متحدثا عن نفسه وعن موقف أسرته : فجئت إلى زوجتى وولدى فقلت لهم : تهيئوا للخروج فقد أظل قدوم محمد ، فقالوا : فدانا لك أن تبصر أن العرب والعجم قد تبعت محمدا وأنت مُوضِع فى عداوته ، وكنت أولى الناس بنصرته .. فقلت لغلامى «مذكور» عجل عليّ بأبعرة وفرسى . وخرج من مكة هو وأهله وقد ظهرت طلائع جيش الفتح قرب الأبواء ، وتذكر أبو سفيان أن الرسول قد نذر دمه ، فهو معرض للقتل إن قبض عليه .

وأخذ يتحين الفرصة للدخول عليه وإعلان إسلامه ، وأخذ معه ابنه جعفرا وكان رجلا ليسلم أيضاً . قال ابن إسحاق : وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، وعبدالله بن أمية بن المغيرة المخزومى قد لقيا رسول الله ﷺ بنيق العقاب بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما وهى زوجه وعبدالله أخوها ، فقالت : يارسول الله ابن عمك ، وابن عمتك[1] وصهرك . قال : لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال ونحن نعلم ما قاله حسان فى أبى سفيان ، ولكن ماذا قال عبدالله بن المغيرة ؟ لقد سجل القرآن مقاله ، ومقاله من أعجب ما سجل على كافر أو مشرك . قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾

(الآيات ٩٠ - ٩٣ من سورة الإسراء) .

لذا كان الرسول شديدا عليهما ولا يريد أن يلتقى بهما ، فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبى سفيان ابن له - هو جعفر - فقال : والله ليأذن لى أو لآخذن بيدى بنى هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا ، فلما بلغ قوله رسول الله رَقَّ لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما . فلما أسلم قال شعرا منه :

لعمرك إنى يوم أحمل راية
لتغلبَ خيلُ اللاتِ خيلَ محمدِ

لكالمدج الحيران أظلم ليله
فهذا أوانى حين أُهْدى وأهتدى

هدانى هاد غير نفسى ونالنى
مع الله من طردت كل مطرد

أصد وأنأى جاهدا عن محمد
وأدعى وإن لم أنتسب من محمدِ

فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله : « ونالنى مع الله من طردت كل مطرد » ضرب

البقية ص ٧١٠

(١) عاتكة بنت عبد المطلب والنبى متزوج أم سلمة أخت عبد الله لأبيها .

إعداد الأمة للدفاع

في توجيهات الإسلام

● من اهم حقائق العصر الذي نعيش فيه انه حين تنشب الحرب ، فإن الدولة باسرها شعبا وجيشا ، تخوض الحرب ، وتدفع تكاليفها ، وتتحمل نتائجها ، فقد انتهى ذلك العهد الذى كانت فيه الحروب مقصورة على تصارع الجيوش فى ميادين القتال ، ولم تعد هناك فى عصرنا بقعة من ارض الدولة او سمائها او مياهها الاقليمية بمناى عن متناول العدو .

● من أجل ذلك أصبحت قوة أية دولة وقدرتها على الدفاع عن نفسها وتحقيق أهدافها الاستراتيجية لا تقاس بمدى قوتها العسكرية فحسب ، بل بمتانة اقتصادها وقوة معنويات شعبها ، وتقدمها العلمى والتقنى إلى غير ذلك من عناصر القوة ، وأصبح حشد كل هذه القوى بالإضافة إلى القوة العسكرية فى تخطيط منسق من الضرورات الحيوية لتحقيق قدرة الدولة على التصدى للعدوان ، يقول المشير مونتجمرى : « والحرب الحديثة قد ازدادت صورتها تعقيداً ، وأصبحت تشمل كل أوجه الحياة والنشاط للدولة لفترة طويلة بما فى ذلك معنويات هذه الدولة ، فالحرب الشاملة فى العصر الحديث تمتص كل جهود القوى العاملة رجالاً ونساء ، وتحول كل قوى الصناعة لسد الاحتياجات الضرورية للمجهود الحربى ، وفى أثناء هذه الحرب يكون المرء دائماً محوطا بالخطر سواء استدعى للخدمة العسكرية أو كان قائماً بأى عمل مدنى أو صناعى ، فالخطر يصبح ماثلاً فى كل مكان ، وقد اقتضى ذلك وجود نظام خاص يكفل حماية المدنيين داخل المدن أطلق عليه الدفاع المدنى أو الدفاع الوطنى »[1] .

ثمار الإعداد الشامل :

هذا العمل الكبير الذى تحتشد له كل طاقات الدولة المادية والمعنوية هو الذى يمنح الدولة القدرات الآتية :

١ ـ القدرة على رد العدوان وردع المعتدى « فى أية لحظة » .

٢ ـ تحقيق النصر فى أقل وقت ممكن .

٣ ـ التقليل من الخسائر التى تسببها

---

(١) فيكونت مونتجمرى : الحرب عبر التاريخ ـ تعريب فتحى عبد الله النمر جـ١ ص ٢٣ .

لواء - أ ح
محمد جمال الدين محفوظ

ضربات العدو .

٤ ـ الصمود للحرب « طويلة الأمد » .

٥ ـ المحافظة على مستوى عال من الروح المعنوية وإرادة القتال لدى الشعب والجيش ، ولابد هنا أن ننوه بأن الروح المعنوية للجيش المحارب وإرادته القتالية هى « ثمرة لروح الشعب » وموقفه وراءه وذلك هو ماسوف نركز عليه فى هذا البحث .

توجيهات الإسلام فى إعداد الشعب للدفاع

أولاً : الأمة الإسلامية « امة مجاهدة »

● إن أساس عملية إعداد الشعب للدفاع هو أن الإسلام يقرر أن الأمة الإسلامية أمة مجاهدة ، « كل أبنائها مجاهدون » ، سواء المقاتلين منهم فى الميدان أو غير المقاتلين الذين يؤدون واجبهم خلف الجيش فى مواقع العمل المتعددة .

● وهذا هو ما أكده الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا » (رواه الشيخان) وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب فى صنعه الخير ، والرامى به ، والمُمِدَّ به (رجال الإمداد والتموين) » (رواه الخمسة) .

● وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم حصة من غنائم بدر لمن تخلف بالمدينة لأنه كان قائماً بعمل للمسلمين ، وقد تخلف عن بدر طلحة بن عبيد الله لأنه سافر بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فى تجارة إلى الشام ، وقد عدَّه الرسول من أجل ذلك بدرياً وضرب له بسهمه ، وشهد له بأجره .(٢)

ثانياً : وحدة الأمة وتماسك الجبهة الداخلية :

● إن الدعوة إلى وحدة الأمة من طبيعة الإسلام ومن مبادئه ، ذلك أنها وحدة قائمة على مبادىء ومثل كريمة ، فلقد عاشت الإنسانية قبل مشرق الدعوة المحمدية فى ظلام حالك ، تعانى من ويلات الاضطراب الاجتماعى ، ووطأة الصراع المادى ، حتى جاء الإسلام زاخراً بعناصر القوة ، مليئاً بأحاسيس الحياة يرشد الحائرين ويهدى الضالين : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة ١٥ ـ ١٦) .

● ولقد ألف الإسلام بين قلوب أبنائه على الإيمان وجاءت تعاليمه ومناهجه ، تقوى هذه الرابطة ، وتدعم أواصر الوحدة التى أقامها بما افترض عليهم من فرائض وبما دعاهم إليه من الاعتصام بحبل الله المتين ودينه القويم ، قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية جـ١ ص ٢٩٩ .

إعداد الأمة للدفاع

﴿ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران ١٠٣) .

● وهنا لابد أن ننوه بأمر حيوى هو أنه « فى أوقات الخطر لامحل للخلافات » ، ففى الحرب العالمية الثانية ، وضع الغرب يده فى يد الاتحاد السوفيتى لمواجهة ألمانيا الهتلرية ، لقد اتحدا وتضامنا فى وقت الخطر رغم ما بينهما من تناقض فى المذاهب السياسية والاقتصادية وصراع على مناطق النفوذ ، فكان من ثمار هذا الاتحاد ، القضاء على الخطر وتحقيق النصر .. وفى العالم اليوم تكتلات وأحلاف تضم دولاً عديدة قضت الظروف والمصالح الاستراتيجية أن تتجمع وتتعاون فى وحدة صف وهدف فى مواجهة الحظر المشترك الذى يتهددها وذلك رغم ما بين الدول فى كل حلف أو تكتل من خلافات لأن كل الدول تدرك فضل الوحدة وآثارها .. فالمسلمون بذلك أولى ..

● يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون ٥٢) حقا إنها أمة واحدة فى عقيدتها وفى عبادتها وفى نشأتها وفى مصيرها تراقب الله خالقها ، وتستجيب لندائه وهو يقول : ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ .

● والإسلام وهو يدعو الأمة إلى الوحدة ، لا يفتأ يدعو إلى جمع أبنائها فى إطار هذه الوحدة ويعمل على التمكين لها فيما بينهم بالقضاء على ما يوهن من قوتها أو يضعف من عزيمتها .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » (رواه الشيخان عن أنس) .. كما يحفز الهمم إلى كل ما يقوى من شأن الأمة ويضمن سلامتها ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « إن أحبكم إلىّ أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلىّ المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، المتلمسون للبرءاء العيب »[٣] .

كما يقول صلى الله عليه وسلم : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ، مات ميتة جاهلية . ومن قتل تحت راية عمية[٤] (بضم العين وكسرها وتشديد الميم) يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمتى ، ومن خرج من أمتى على أمتى يضرب برها وفاجرها ، لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى بذى عهدها ، فليس منى » . (رواه مسلم عن أبى هريرة) .

ثالثا : ضرورة التصدى لمحاولات تفتيت الجبهة الداخلية :

● وإذا كانت وحدة الأمة من أسس القوة ، فعلى الأمة أن تكون يقظة لمحاولات

---

(٣) تحت راية عمية : أى من قاتل تحت راية اجتمع أهلها على أمر مجهول لا يعرف أنه حق أو باطل يدعون إليه ويقاتلون لأجله من غير بصيرة فيه ولا حجة عليه .

(٤) جاء مثله رواية عن ابن أبى الدنيا بسنده إلى أبى هريرة مع اختلاف يسير فى اللفظ .

التفرقة ، فإنه لأمر طبيعى أن يسعى الأعداء « إلى ضرب الوحدة » باعتبارها مصدر قوة ، وقد فضح القرآن الكريم محاولات التفرقة وحث المسلمين على التصدى لها فى مثل قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران ١٠٠ ـ ١٠١) .

● ويعلن الإسلام الحرب على المفسدين والدساسين والمنافقين والمرجفين ومرضى القلوب ، إذ أن هؤلاء جميعاً هم أعدى أعداء الأمة وأخطرهم على وحدتها وأمنها ، ويذكر القرآن هؤلاء أقبح الذكر إذ يقول : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة ٦٧ ـ ٦٨) .

ويقول الرسول ﷺ « من أتاكم وأمركم جامع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » .
(رواه أحمد ومسلم عن عَرْفَجة الأشجعى) .

رابعاً : الإصلاح بين الناس :

● ويحض الإسلام على الإصلاح بين الناس وإزالة الخصومات حتى تبقى للأمة وحدتها ، ويعد المولى عز وجل العاملين على الإصلاح بين الناس بالأجر العظيم ومن أوفى بعهده من الله ، قال تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء ١١٤) .

● بل قد أمر الإسلام المسلمين إذا دب بينهم الخصام أن يجند كل منهم نفسه للإصلاح بين الناس كل فى محيطه ، وحسب طاقته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (الحجرات ١٠) .

● ويبلغ تأكيد الإسلام لأهمية الإصلاح بين الناس حد تفضيله على الصيام والصلاة والصدقة ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : « إصلاح ذات البين . قال : وفساد ذات البين هى الحالقة » (رواه الإمام أحمد بسنده عن أبى الدرداء ، ورواه أبو داود والترمذى وقال الترمذى : حسن صحيح) .

الجبهة الداخلية فى قاعدة الإسلام بالمدينة :

● وإن لنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسوة حسنة ، فلقد كان أول ما عمد إليه بعد الهجرة إلى المدينة إقامة جبهة داخلية صلبة ليعلِّمنا أن قوة الجبهة الداخلية ضرورة حيوية لبناء القدرات الدفاعية والتصدى للعدوان :

١ ـ فعمد إلى ربط المهاجرين بالأنصار أهل المدينة الأصليين ، فآخى بينهما بصلة

←

اعداد الأمة للدفاع

الأخوة لتصبحا فئة واحدة مترابطة وملتحمة وليكون الجميع متعاونين على أسباب العيش ويداً واحدة تعمل لهدف واحد .

٢ ـ وعمد إلى توحيد صف الأنصار أنفسهم من أوس وخزرج ، وكانت بين الفئتين عداوات سابقة ، فأراد عليه الصلاة والسلام ـ وقد جمع بينهما الإسلام ـ أن يشكلوا قوة واحدة متضامنة ، وأن يزول ما بينهم من خلافات وعداوات ، وأن يقضى على كل شبهة قد تثير العداوة القديمة ، فجمع بينهم ، ودعاهم إلى تناسى الماضى ، فاستجابوا لدعوته ، وفتحوا صفحة جديدة تقوم على الود والحب والرضا وأصبحوا جميعا صفاً واحداً .

٣ ـ وعقد معاهدة بين المسلمين من جهة وبين اليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة أخرى لتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لمجتمع المدينة ، وكان طبيعياً أن تنص بنود المعاهدة على أن « جميع المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم أمة واحدة » ... وعلى « تعاون أهل المدينة جميعا فى رد كل اعتداء يقع عليها من الخارج » .

٤ ـ وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على التصدى لمحاولات تفتيت هذه الجبهة الداخلية التى اقامها من جانب اليهود والمنافقين مثل أساليب التشكيك والتخذيل وإشاعة البلبلة وأساليب التفرقة والقضاء على وحدة الأمة كمحاولة اليهود الوقيعة بين الأوس والخزرج .

● بهذا العمل السياسى والاستراتيجى البارع ، حقق الرسول صلى الله عليه وسلم وحدة المدينة وتماسك الجبهة الداخلية ، فوقفت صامدة صلبة طوال الصراع ـ مع الأعداء ـ الذى امتد إلى السنة التاسعة للهجرة حتى تمت كلمة ربك فى شبه الجزيرة العربية وارتفعت عليها رايات الإسلام والسلام .

خامسا : قوة معنويات الشعب وإرادته القتالية :

● من حقائق الحروب أن « القيادة العسكرية لا تستطيع أن تنتصر عندما لا تزودها الأمة برجال يريدون الانتصار » ، ويقول مونتجمرى : « إن أهم العوامل فى الحرب أو العامل الوحيد هو الروح المعنوية ، ومن المستحيل الصمود فى حرب لفترة طويلة إذا لم يتوافر عنصر إرادة الشعب للقتال » .

● هذا النمط من الأمم التى تبعث إلى القيادة العسكرية « برجال يريدون الانتصار » والتى تستطيع الصمود للحروب الطويلة الممتدة بفضل إرادتها القتالية « هو نمط الأمة الإسلامية المجاهدة التى تجعل لها عقيدة الجهاد فى سبيل الله « كيانا عسكريا » يملأ قلوب أبنائها جميعا بالقوة والثبات ، والإرادة الصلبة ، والرغبة الأكيدة فى الصمود والنصر ، والقدرة على تحمل أعباء الحرب ، والصبر فى الشدائد وحين البأس ، والإقبال على بذل الأموال والأنفس ، والاستهانة بالأضرار والمصاعب حتى يتم النصر مهما طال الأمد ، وتضاعفت التضحيات .

● وفى تاريخ صدر الإسلام صور لا تحصى من المعنويات العالية والروح القتالية للأمة الإسلامية شبابا وشيوخا ونساء :

١ ـ الإرادة القتالية لدى الشباب :

● ومن صور الإرادة القتالية لدى الشباب إقبالهم الشديد على الخروج للقتال جهاداً فى سبيل الله رغم حداثة سنهم ، ففى غزوة احد مثلاً تقدم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت والبراء بن عازب وعمرو بن حزم وأسيد بن ظهير لخروج مع الجيش وهم أبناء أربع عشرة سنة تقريباً لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ردهم ، ثم أجازهم بعد ذلك يوم الخندق وهم فى الخامسة عشرة[٥] .

ومنع الرسول صلى الله عليه وسلم سمرة بن جندب الفزارى ورافع بن خديج أخا بنى حارثة من الخروج للقتال وهما ابنا خمسة عشر عاماً فقيل للرسول : إن رافعاً رام (أى يجيد الرمى) فسمح له ، ثم قيل له : إن سمرة يصرع رافعا فسمح له كذلك ، وقد ورد أن رافعـاً أخذ يتطاول على أطراف أصابع قدميه ليوهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه بلغ مبلغ الرجال فيسمح له بالقتال بعد أن قيل له : إنه رام[٦] .

● وأخرج ابن سعد عن سعد رضى الله عنه قال : رأيت أخى عمير بن أبى وقاص رضى الله عنه قبل أن يعرضنا (يستعرضنا) رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتوارى ، فقلت : مالك ياأخى ؟ قال : إنى أخاف أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيستصغرنى ، فيردنى ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقنى الشهادة . قال : فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرده ، فبكى ، فأجازه ، فكان سعد رضى الله عنه يقول : فكنت أعقد حمائل (حمالات) سيفه من صغره (أى لكى تناسب سنه الصغيرة) ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة[٧] .

● وهذا هو حنظلة بن أبى عامر الذى زفت إليه عروسه ، ثم سمع المنادى يقول : ياخيل الله اركبى (يعنى يأيها المجاهدون اركبوا خيولكم) فانتزع نفسه من الفراش وقام معجلا ليأخذ مكانه فى صفـوف المجاهدين ، وقضى الله أن يستشهد ، فلما انتهت المعركة طلب رسول الله زوجه وقال لها : حدثينى عن آخر عهدك بحنظلة ، فأجابت المرأة : كان بينى وبين حنظلة ما يكون بين الرجل وزوجه ، ولكنه سمع الهيعة (أى النداء للحرب) فنهض مسرعاً قبل أن يغتسل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت الملائكة تغسله بالأمس فى صحاف من فضة بماء المزن بين السماء والأرض »[٨] .

● هكذا تكون التضحية والروح المعنوية والإرادة القتالية ، وهكذا تكون التربية التى تصنع الشباب المؤمن القوى القادر على مواجهة التحـديات الجسـام وقهرهـا ، فلا غرابة أن نرى الصبيان يسارعون فى الجهاد حماية للدين وحمية للوطن ، واقتداء بآبائهم وذويهم .

(للبحث صلة)

---

(٥) ابن هشام : السيرة النبوية ـ ط مصطفى البابى الحلبى ـ ١٣٧٥هـ القاهرة ـ القسم الثانى (جـ ٣ ، ٤) ص ٦٦ .
(٦) نفسه .
(٧) ابن هشام : القسم الأول ، (جـ ١ ، ٢) ص ٧٠٧ .
(٨) ابن هشام : القسم الأول ، (جـ ١ ، ٢) ص ٧٥ .

محاولة لاستكشاف الثقافة الإسلامية

٢

الثقافة الإسلامية

مصطلح الثقافة :

من المعروف أن الأصل اللغوى (فى اللغة العربية) لكلمة الثقافة يدل على الحذق والنشاط والفطنة ، وإدراك الشيء والظفر به ، وتقويم المعوج مادياً ومعنوياً . .

ومن المعروف كذلك أن كلمة الثقافة من الكلمات التى شاع استعمالها حديثاً فى لغتنا العربية ، وذلك بتأثير اتصالنا بالحضارة الغربية ، ولذلك تعد ـ أيضاً ـ من الكلمات ذات المفاهيم الحديثة الوافدة إلينا من أوروبا[١]، ومن ثم فهى تحمل الظلال والمعانى الرئيسية التى أوردناها فيما سبق لمفهوم الثقافة الغربية ، ولا سيما استعمالها للدلالة على التوسع فى المعارف الإنسانية ، وبخاصة الآداب والفنون (بالمفهوم الغربى) .

اقتراح الثقافة الإسلامية :

وقد أشرنا فى التمهيد إلى أن محاولة فهم الثقافة الإسلامية من خلال المعانى والمفاهيم الغربية إنما هى محاولة عقيمة ومصطنعة ، ولسنا ملزمين بمجاراة الثقافة الغربية فى مفاهيمها ومصطلحاتها ، فعندنا المفاهيم والمصطلحات التى يمدنا بها الإسلام فى الكتاب والسنة ، وفى تراث الفكر الإسلامى المستمد من الكتاب والسنة .

ولسنا ملزمين كذلك بالاقتصار على المعنى اللغوى الذى أشرنا إليه : فقد أنشأ الإسلام مفاهيم ومصطلحات خاصة ، يحدّد بها المصطلحات اللغوية التى كانت مستعملة قبله : كالصلاة والزكاة ، والجهاد ، والولاء ، والأمة والدين ، وغيرها من المصطلحات التى أعطاها الإسلام معانى ومفاهيم جدية ، صبغتها بصبغة إسلامية أصيلة .[٢]

وهذا ما نقترحه لمفهوم الثقافة .

ففى رأينا أن يحدد مفهوم الثقافة تحديداً جديداً ، بحيث تصبح ثقافة إسلامية .

والمفهوم الذى يعطى الثقافة دلالتها الإسلامية المتميزة ـ كما أشرنا من قبل ـ هو

---

(١) راجع مالك بن نبى : **مشكلة الثقافة** (دمشق دار الفكر ١٣٩٩/١٩٧٩) ص ٢٤ .

(٢) راجع محمد قطب : **واقعنا المعاصر** ص ١٠٠ .

بقلم دكتور

أحمد عبد الحميد غراب

مفهوم الحكمة، كما ورد في القرآن الكريم.

مفـــهوم الحكمـــة :

تدل الحكمة - كما فسرها علماء السلف - على معان جليلة مترابطة منها :

العلم مع العمل، واتباع السنة (والسنة تفسير وتطبيق للقرآن) والمعرفة بالقرآن، والتفقه في الدين، ومعرفة الحلال والحرام، وما يترتب على ذلك كله من خشية الله تعالى.

ومن الواضح أن هذه المعانى جميعا تلتقى في النهاية على معنى واحد : وهو العلم بالإسلام والعمل به.

ورد في تفسير ابن كثير[٣] لقوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة : ٢٦٩).

« قال ابن عباس يعنى (بالحكمة) : المعرفة بالقرآن ناسِخِهِ ومنسوخِهِ، ومُحْكَمِهِ ومتشابهه، ومُقَدَّمِهِ ومؤخره، وحلاله وحرامه وأمثاله.

وقال مجاهد : الحكمة ليست بالنبوة، ولكنه العلم والفقه والقرآن.

وقال أبو العالية : الحكمة خشية الله، فإن خشية الله رأس كل حكمة.

وقد روى ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعاً : « رأس الحكمة مخافة الله ».

وقال أبو مالك : الحكمة السنة. وقال زيد بن أسلم : الحكمة العقل.

قال مالك : وإنه ليقع في قلبي أنَّ الحكمة هو الفقه في دين الله، وأمر يدخله في القلوب من رحمته وفضله، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلاً في أمر الدنيا إذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفاً في أمر دنياه عالماً بأمر دينه بصيراً به يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا، فالحكمة : الفقه في دين الله.

وقال السُّدى : الحكمة النبوة. والصحيح أن الحكمة لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها، وأعلاها[٤] النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع، كما جاء في بعض الأحاديث : « من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه »[٥]. وقال - صلى الله عليه وسلم - : لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها »[٦].

* * *

خصائص الثقافة الإســلامية

إن ارتباط الثقافة بالحكمة يميز الثقافة الإسلامية بخصائص من أهمها :

(١) أنها تستمد من الوحى والعقل معا :

إن محاولة الفصل في ثقافتنا بين الوحى والعقل هي محاولة خاطئة، وذلك لأنها لا تتفق مع المنهج القرآنى الذى يرتبط فيه الوحى بالعقل

←

(٣) المختصر (ط ثامنة دار القرآن الكريم بيروت ١٤٠٢/١٩٨١ م) ١/٢٤١ - ٢٤٢.

(٤) أى أعلى الحكمة النبوة.

(٥) رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن عبد الله بن عمر.

(٦) رواه البخارى ومسلم والنسائى.

ارتباطاً وثيقاً . ويتأكد هذا الارتباط بأدلة قاطعة منها .(٧)

١ ـ الآيات التى تدعو إلى تحرير العقل البشرى من كل حاجز يحول دون اكتشاف الحقيقة . ومن أخطر الحواجز التى دعا القرآن إلى إزالتها : الإكراه فى الدين ، والتقليد الأعمى للآباء والأجداد ، واتباع الهوى والظن ، والوساطة بين الإنسان وربه ، والسحر والخرافة .

٢ ـ الآيات التى تدعو إلى التفكير والنظر فى الكون والإنسان .

٣ ـ الآيات التى تدعو إلى تدبر القرآن الكريم .

٤ ـ الآيات التى تكرم العقل والعقلاء (ذوى الألباب) ، وترفع من قدر العلم والعلماء .

٥ ـ الآيات التى تؤكد عصمة الوحى ، ومحدودية العقل البشرى ، وأن هذا العقل لا يؤتى ثماره ، ولا يعطى خير ما عنده ، إلاّ بنور الوحى .

فالجمع بين الإيمان بالوحى والانتفاع بالعقل هو أحد الخصائص البارزة فى الإسلام ، وهو الذي أثرى الثقافة الإسلامية بعصمة الوحى الإلهى واجتهاد العقل البشرى معاً .

ويتضح هذا أيضاً من سياق الحكمة فى القرآن ، ففى كل سياق وردت فيه الحكمة ـ كما سنرى ـ تمكن البرهنة بالأدلة العقلية والعلمية على أن اتباعها خير عظيم للإنسان ، كما قال تعالى :

﴿ يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة ٢ : ٢٦٩) .

(٢) أنها ثقافة تغييرية تجمع بين العلم والعمل :

فهى ثقافة لا تكتفى بالتأمل النظرى كالفلسفة اليونانية .(٨)

ولا تجنح إلى الجدال إلا بالتى هى أحسن .

وليست ثقافة عزلة عن الحياة ، وهروب من المجتمع ، كالرهبانية .

إنها ثقافة إيجابية فاعلة : الفعل الإيجابي أحد خصائصها الرئيسية .

والفعل الإيجابي ليس مجرد ارتجال أو اندفاع عاطفى ، وإنما هو الفعل الخيِّر ، أو العمل الصالح القائم على العلم والدراسة والتدبر والتخطيط .

وعن طريق الفعل الإيجابى ـ بهذا المعنى ـ تكتسب الثقافة الإسلامية المقدرة على التغيير ، بل تصبح فعلاً ثقافة التغيير : أى الثقافة التى تؤدى إلى تغيير النفوس ، وتغيير المجتمع ، وتغيير البيئة ، أى تؤدى إلى تحقيق الحياة الطيبة على وجه الأرض .

ومفهوم التغيير فى الإسلام يختلف عن مفهوم الثورة .

وذلك لأن مفهوم التغيير مفهوم سلمى تربوى ، يعمل عمله ببطء ، لأنه يقوم على تربية النفوس كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد ١٣ : ١١) .

ولذلك تذكر الحكمة فى سياق التربية فى كثير من آيات القرآن الكريم .

---

(٧) عن هذه الأدلة بالتفصيل راجع أحمد عبد الحميد غراب : **الإسلام والعلم** .
(المركز الإسلامي للدراسات والبحوث القاهرة ١٩٨٦ م) ص ٢١ ـ ٤١ .

(٨) يضع أرسطو التأمل العقلى Contemplation فى ذروة الكمال الأخلاقى راجع كتابه : **الأخلاق** ١٠/١١٧٨ ب .

فتذكر فى مهام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مربياً كما فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران ٣ : ١٦٤) .

وقوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة ٦٢ : ٢) .. ويلاحظ فى الآيتين ذكر أنهم كانوا من قبل فى ضلال مبين ، مما يؤكد أن التربية النبوية قد أدت إلى تغيير نفوس الناس من الضلال إلى الهدى ، وأخرجتهم من الظلمات إلى النور .

وتذكر وسائل التغيير فى التربية النبوية فى قوله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب ٣٣ : ٢١) .

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف ٧ : ١٥٧) ، فمن أهم وسائل التغيير التى اتبعها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تربية الناس :

١ ـ الأسوة الحسنة .
٢ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
٣ ـ إحلال الطيبات وتحريم الخبائث .
٤ ـ وضع الإصر ورفع الحرج .
٥ ـ تحريرهم من الأغلال التى كانت عليهم : أغلال الجاهلية والكفر ، حيث أخرجهم من عبادة البشر إلى عبادة الله ، ومن ظلم الناس إلى عدل الإسلام .(٩)

وكذلك تذكر الحكمة فى القرآن فى سياق التشريعات التربوية للأسرة ، كما تذكر فى تربية النساء والأولاد .(١٠) .

ويكفى أن نشير إلى آيات سورة الإسراء فمن قوله تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ (الاسراء ١٧ : ٢٣ ـ ٣٩) .

ففى هذه الآيات منهج تربوى متكامل للحياة الطيبة :

والمعالم الرئيسية لهذا المنهج هى :

عبادة الله وحده ، بر الوالدين ، صلة الرحم ، أداء حقوق الفقراء والضعفاء واليتامى ، الحفاظ على المال بالاعتدال فى الانفاق .

الحفاظ على الأسرة وعلى حرمة الحياة الإنسانية ، وذلك بتحريم الزنى ، وتحريم قتل الأولاد ، وتحريم قتل النفس ، وتحريم الظلم بكل أنواعه ، والالتزام بالأخلاق الاجتماعية الإسلامية كالوفاء بالعهد ، والحكم بالعدل ، وإيفاء الناس حقوقهم ، والتواضع لهم وعدم التكبر عليهم ، وتقرير مسئولية الإنسان عن استعمال حواسه وعقله فيما خلقت له .

إن ثقافة بدون هذا المنهج لهى ثقافة سطحية زائفة : مهما كثرت فيها العلوم وتكدست المعارف ، واتخمت الحاسبات الآلية بالمعلومات ، وبنيت آلاف المدارس والجامعات ، وصدرت ملايين الكتب .

---

(٩) راجع تربية الهادى المهتدى الكامل عليه الصلاة والسلام فى كتابنا : **الشخصية الإنسانية** (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م) ص ١٠٢ ـ ١١١ .

(١٠) انظر الفقرة التالية .

(٣) ترتبط بالنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي (علوم الاستخلاف) :

أ - النظام السياسي :

من معانى الحكمة الحكم بما أنزل الله ، أى تحقيق مفهوم الخلافة فى الأرض عن طريق الحكم بالشريعة الإلهية ، ولذلك ترد الحكمة مقترنة بحكم النبوة والأنبياء .

يقول الله تعالى عن آل إبراهيم :

﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً ﴾ (النساء ٤ : ٥٤) .

ويقول تعالى عن داود :

﴿ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ . (البقرة ٢ : ٢٥١) .

ويقول تعالى لداود :

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ (ص ٣٨ : ٢٦) .

ب - النظام الاجتماعى والاقتصادي :

الأســـرة :

وردت الحكمة فى القرآن كثيراً فى سياق العلاقات الاجتماعية ، وبخاصة فى سياق الأسرة ، وتنظيم العلاقات الزوجية ، وتربية النساء والأولاد .[١١]

ففى العلاقات الزوجية نجد الآيات الكريمة فى سورة البقرة من قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة ٢ : ٢٢١ - ٢٤٢) .

ففى هذه الآيات تشريعات تربوية[١٢] عن الأسرة المسلمة ، وهذه التشريعات تحرّم الزواج بين المؤمنين والكافرين ، لأن منهج الحياة الكافرة يؤدى إلى النار ، ومنهج الحياة المؤمنة يؤدى إلى الجنة ، كما تنظم هذه التشريعات العلاقات الجنسية بين الزوجين ، فتحرم الاتصال الجنسى خلال الحيض ، وتقصره على حالة الطهر ، كما تحرم الشذوذ الجنسى ، لأن الإسلام يقيم العلاقات الزوجية - بل والعلاقات الإنسانية كلها - على مفهوم التطهر الشامل ، وكذلك تُشَرِّعُ هذه الآيات للإيلاء والطلاق والخلع والعدة والرجعة والنفقة والمتعة والرضاع والخطبة ، وتوجب على الرجال معاملة النساء بالمعروف فى كل الحالات .

والعمل بهذه التشريعات عمل بالكتاب والحكمة (السنّة) ، ومخالفتها ظلم للنفس ، وكفر بنعمة الهدى .

مجتمع الإنفاق ومجتمع الربا :

وردت الحكمة فى القرآن كذلك فى سياق المقارنة بين مجتمعين :

مجتمع الإنفاق ، ومجتمع الربا (وذلك فى آيات سورة البقرة من قوله تعالى :

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة ٢ : ٢٦١ - ٢٨١) .

وهذا المجتمع الأول هو مجتمع المؤمنين الأبرار ، الذين ينفقون أموالهم على الفقراء وذوى الحاجات فى مجتمعهم ، وهذا النوع من الإنفاق نوع متميز ، لأنه إنفاق خالص لوجه الله برىء من الرياء والمن والأذى ، وهو إنفاق من

---

(١١) راجع سورة الأحزاب ٣٣ : ٢٧ - ٣٥ وسورة لقمان ٣١ : ١٢ - ١٩ .

(١٢) « تشريعات تربوية » لأنها تجمع بين التشريع والتربية .

طيب الكسب لا خبيثه ، وهو إنفاق بسخاء وفى جميع الأحوال ، ﴿ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً ﴾ (البقرة ٢ : ٢٧٤) ولذلك يضاعف الله لهم الأجر ، ويكفر عنهم الذنب ، ويخلف لهم فى الرزق ، وينجيهم من الخوف والحزن ، ويورثهم الأمن والاستقرار .

مجتمع الربـــا :

وهو المجتمع الثانى مجتمع الأشرار أكلى الربا ، وأكلى أموال الناس بالباطل ، لا أمن لهم ولا استقرار ، يصرعهم سعار المال ، فيتخبطون كمن يتخبطهم الشيطان من الجنون ، لأنهم احلوا ما حرّم الله . ويؤكد المشرع الحكيم تحريم الربا ، ويهدد المصرين عليه بحرب من الله ورسوله ، ويأمر بإمهال المعسر ، ويوصى بوضع الدين عنه ، وتنتهى الآيات بقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة٢٨١)

وعن عبد الله بن عباس انها آخر ما نزل من القرآن .[١٣]

(٤) انها ثقافة شاملة :

(ا) **لجميع الناس** : فليست ثقافة طبقية ولا عنصرية بل متاحة للجميع .

يقول الله تعالى لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام ٦ : ٥٢) .

كانت قريش تريد أن يطرد النبىّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مجلسه العبيدَ والفقراء والضعفاء أمثال : صهيب وبلال وسلمان وعمار وخباب وعبد الله بن مسعود .

وقد نزلت هذه الآية فى ستة من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم ابن مسعود ، قال : « كنا نستبق إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وندنو منه فقالت قريش : تدنى هؤلاء دوننا ؟ فنزلت : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ .[١٤]

* وكذلك طالب الكفار نوحاً عليه السلام بإبعاد الفقراء والضعفاء :

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ (هود ١١ : ٢٧) .

فقال لهم نوح : ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴾ (هود ١١ : ٢٩) .

* **فالعلم فى الإسلام للجميع** : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

* **والمسجد فى الإسلام للجميع** : للصلاة وللتربية .

(ب) لجميع جوانب الحياة الإنسانية :

فلا تقتصر على جانب واحد بل تشملها جميعاً : فتوجه الحياة الإنسانية عقيدة وعبادة ، وسعياً وتنظيماً ، وتربية وسياسة .

وقصرها على جانب واحد يحولها إلى معلومات جزئية لا صلة لها بالحياة الإنسانية المتكاملة .

(٥) الثقافة والدعـــوة :

ترتبط الدعوة بالحكمة فى قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل ١٦ : ١٢٥) .

وهذا الارتباط يوضح جوانب هامة فى الثقافة

(١٣) راجع ابن كثير : المختصر (دار القرآن الكريم / بيروت ط . ثامنة ١٤٠٢ / ١٩٨١) ١/٢٥٢ .

(١٤) رواه الحاكم فى المستدرك وقال على شرط الشيخين وأخرجه ابن

الإسلامية ، ومن هذه الجوانب :

١ ـ أنها ثقافة دعوة : فليست ثقافة مغلقة لمجتمع مغلق كالثقافة اليهودية .

٢ ـ أنها ثقافة عالمية ، لأنها تحمل رسالة الإسلام للناس جميعاً .

٣ ـ أنها تقدم حلولاً (تقوم على الوحى والعقل معاً) لقضايا إنسانية مصيرية ، وهى : قضايا الخالق والخلق ، والحياة والموت ، وما بعد الموت ، والحق والباطل ، والسعادة والشقاء .

٤ ـ أنها تسعى لضم البشر جميعاً إلى الإسلام ، أى هدايتهم إلى هذا الدين ، ليكونوا جنوداً للحق والعدل والرحمة ، وليقيموا الحياة الطيبة على هذه الأرض .

لذلك كان لابد للدعوة إليه من التزام الحكمة والموعظة الحسنة والقول اللين والجدال بالتى هى أحسن .

ولذلك حرّم الإسلام الإكراه فى الدعوة إليه :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢ : ٢٥٦)

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس ١٠ : ٩٩) .

فالإكراه انتهاك لحرية الإنسان وكرامته ، واحتقار لعقله ، وهو يسىء إلى المدعوين إلى الإسلام كما يسىء إلى الإسلام نفسه .

فالإسلام يريد من كل مؤمن به أن يكون صادقاً فى إيمانه ، ملتزماً بتعاليمه ، ولا يتم ذلك إلا إذا كان قراره قبول الهدى قد اتخذ بحرية كاملة ، وعن يقين واقتناع .

ومن ثم كانت الثقافة الإسلامية ثقافة حكمة ، لأنها ثقافة إقناع لا ثقافة إكراه ، إنها ليست غزواً ثقافياً ، وإنما هى رحمة مهداة .

(٦) الثقافة واللغـــة :

من الواضح أنه لا يمكن فهم الكتاب والحكمة والعمل بهما إلا عن طريق إجادة اللغة العربية ، والتمكن منها ، بل والتميز فيها .

وأية محاولة لفصل الثقافة الإسلامية عن اللغة العربية لا يقوم بها إلا جاهل بطبيعة هذا الدين ، أو عدو مبين للإسلام والمسلمين .

(٧) وحـدة الثقافة الإسلامية :

إن عقيدة التوحيد هى التى تعطى للثقافة الإسلامية هويتها المتميزة [(١٥)] ، وهى التى تجمع وتوحد بين كل عناصرها وأجزائها ، وتجعلها كائناً عضوياً واحداً أى تحقق لها وحدة البناء الثقافى .

ومن التوحيد الإسلامي ينبع التصـور الإسلامي للحياة ، والكون ، والإنسان .

ويستدل على توحيد الله من وحيه فى القرآن ، ومن خلقه فى الكون والإنسان .

وتوحيد الله يضفى على حياة الإنسان المسلم المعنى والحكمة ، فهو لم يخلق عبثا ، ولن يترك سدى ، ومن ثم لا تكون حياته مجرد أحداث منفصلة ، بل وحدة متكاملة لها غاية وهدف .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾

(الأنعـام ٦ : ١٦٢ ـ ١٦٣) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

*** *** ***

حبان فى صحيحه وراجع أيضاً ابن كثير : المختصر ١/٥٨١ .

(١٥) راجع أيضاً : د . إسماعيل الفاروقى : الأطلس الثقافى للإسلام (بالانجليزية) The Cultural Atlas Of Islam (Macmillan , London - Newyork 1986) PP. 78

النبي وأمته

"بعض خصائصه" "صلى الله عليه وسلم"

لفضيلة الشيخ
معوض عوض ابراهيم

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ : سورة الأحزاب/٥٦ .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ . التوبة/١٢٨ .

إنه الرحمة المهداة والنعمة المسداة سيدنا محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - بقدر مادعا إلى الله وهدى إلى الحق وقام لله تعالى بما أمر ، فكان أعبد الناس لربه ، وأقومهم بحقه ، حتى قال له مولاه :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً . وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾ . الفتح / ١ - ٣٠ .

إنه النبي والرسول الذى أخبر الله عنه بوصفى النبوة والرسالة وباسمه محمد ، وشاركه فى ذلك إبراهيم عليهما السلام ، فقال تعالى ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ آل عمران/٦٨ .

وهو مع موسى عليهما السلام فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ المزمل/١٥ - ١٦ .

وأخبر عنه بوصف النبى فقال ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الأحزاب/٦ .

وجمع بين وصفى الرسالة والنبوة فقال : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ .. ﴾ الأعراف/١٥٧ .

ويخبر الله تعالى عن مصطفاه باسمه بمثل قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ الأحزاب/٤٠ .

فالآية انتظمت الإخبار باسمه وبوصف

النبى وأمته

الرسالة ، ووصف النبوة مع سائر النبيين عليهم السلام وقال تعالى :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح/ ٢٩ .

ولا يناديه الله أبداً إلا بوصف النبوة والرسالة ، فى مثل قوله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ المائدة/ ٦٧ .

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ المائدة/ ٤١ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنفال/ ٦٤ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا .. ﴾ الأحزاب/ ٤٥ ـ ٤٦ .

ونقرأ نداء الله لرسله بأسمائهم المجردة فى مثل قوله تعالى :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... ﴾ البقرة/ ٣٥ .

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ... ﴾ طه/ ١١٧ .

﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ... ﴾ هود/ ٤٦ .

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ .... ﴾ هود/ ٤٨ .

﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا .... ﴾ هود/ ٧٦ .

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ... ﴾ ص/ ٢٦ .

﴿ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ ... ﴾ الأعراف/ ١٤٤ .

﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ المائدة/ ١١٦ .

ويفرد الله لمصطفاه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخصيصة القسم بحياته وبقائه من خلال كلامه تعالى عن نبى الله لوط عليه السلام وعن قومه فيقول سبحانه . ﴿ لَعَمْرُكَ[1] إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الحجر/ ٧٢ .

ولم يقسم الله بحياة نبى أو رسول أو ملك قط تشريفاً له ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتنويها بقدره ، وابن كثير فى تفسيره لهذه الآية يورد قول ابن عباس رضى الله عنهما : **(ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره)** .

والإمام القرطبى وغيره يعرضون هذه الخاصية التى لا تتعارض مع قسم الله تعالى ببعض مخلوقاته كالتين والزيتون وطور سنين والشمس وضحاها والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس والفجر وليال عشر . ولعل من مراد الله بالقسم بها أن تتضافر الجهود فى المجامع العلمية ، وهيئات البحوث المتخصصة لاكتشاف مزيد من أسرار الله فى كونه ومخلوقاته ، استنجازا لوعد الله فى مثل قوله .

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ . النمل/ ٩٣ .

---

(١) العَمر بفتح العين وضمها هو الحياة والبقاء ، واستعمال الفتح فى القسم أشهر لخفته ودورانه على اللسان كما قال الزجاج .. وكفى بإيثار القرآن تميزًا .

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ فصلت/ ٥٣ .

وخصائص الرسول وشواهد فضله كثيرة فى كتاب الله وفى سنته عليه الصلاة والسلام ، وصدر سورة الفتح من ذلك بمكان فقد أوحيت السورة إليه منصرفه من صلح الحديبية الذى كان نهاية طيبة لمحنة شديدة فات فيها الرسول وصحبه ما شمروا إليه وحرصوا عليه ، وساقوا من أجله الهدى ، وطال تمنيهم له بعد أن هاجروا طاعة لله وإذعاناً لرسوله ، وإعزازاً لدينهم ، فكان ما أتى الله رسوله والمؤمنين خيراً مما تحسروا على فواته ورحم الله من قال :

قد ينعم الله بالبلوى ، وإن عظمت

ويبتلى الله بعض الناس بالنعم .

قال الزهرى : (لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية ، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فسكن الإسلام فى قلوبهم وأسلم فى ثلاث سنين خلق كثير ، وكثر بهم سواد الإسلام) .

والشعبى يقرر هذه الحقيقة ويقول : لقد أصاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى صلح الحديبية ما لم يصب فى غزوة ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وبويع بيعة الرضوان ، وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله ، وظهرت الروم على فارس ، ففرح الرسول بظهور أهل الكتاب على الفرس ، كما قال الإمام الشوكانى فى (فتح القدير) جـ ٥ ص ٤٤ .

والشوكانى خلف لابن كثير وغيره رحمهم الله فابن كثير يقول عن الفتح فى الآيات « والمراد به صلح الحديبية » : (فإنه حصل به خير جزيل ، وآمن الناس ، واجتمع بعضهم ببعض ، وتكلم المؤمن مع الكافر ، وانتشر العلم النافع والإيمان) ، وتلك ثمرات طاعة المؤمنين لله ، والتزامهم هدى مصطفاه لا ريب ، لكن ابن كثير وغيره يذكر خصيصة ربانية لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه الآيات فيقول فى قوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ . . ﴾ الفتح / ٢ .

هذا من خصائصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، التى لا يشاركه فيها غيره ، وليس فى حديث صحيح فى ثواب الأعمال لغيره ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهذا تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التى لم ينلها بشر سواه ، لا من الأولين ، ولا من الآخرين ، وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكمل البشر على الإطلاق ، وسيدهم فى الدنيا والآخرة ، ولما كان أطوع خلق الله تعالى ، وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيه ، قال حين بركت به ناقته « حبسها حابس الفيل » ثم قال : « والذى نفسى بيده لا يسألونى اليوم شيئاً يعظمون به حرمات الله إلا أجبتهم إليها » .

فلما أطاع أمر الله فى ذلك ، وأجاب إلى الصلح نزل قول الله تعالى :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ . . ﴾ الآيات سورة الفتح .

ونصر الله تعالى لمصطفاه نصر لأمته لا ريب ، ولقد راحوا مع غبطتهم بما أعطى الله رسوله يقولون : هنيئا لك يارسول الله هذا لك ، فما لنا ؟ فنزلت ﴿ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الفتح / ٥ .

ومن خصائصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سورة الفتح ما يقرره قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ . . . . ﴾ الفتح / ١٠ والبيعة عقد مع الله على الجهاد وهو ميثاق تأكد معناه فى القرآن وتردد فى مثل قوله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ . . . ﴾ النساء/ ٨٠ .

النبى وأمته

ونحن نذكر مع قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . . . ﴾ الفتح/٨ . قوله سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً . . . ﴾ الأحزاب/٤٥ .

لنجد خاصية أخرى من خواص النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فيدعى يوم القيامة فيقال له : هل بلغت فيقول : نعم ، فيدعى قومه ، فيقال لهم : هل بلغكم فيقولون : ما أتانا من بشير ، وما أتانا من أحد . فيقال لنوح « من يشهد لك فيقول : محمد وأمته » . فذلك قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ البقرة/١٤٣ أخرجه الإمام أحمد والبخارى وغيره .

فشهادة المسلمين مقررة فى الآية على أمم الأنبياء والمرسلين يوم القيامة بأنهم بلغوا أقوامهم ما أمروا بتبليغهم إياه . والوسط : الأجود الخيار ، وقد صح أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان وسطاً فى قومه أى أشرفهم نسباً . كما قال الإمام ابن كثير ، والثناء عليه بذلك يستتبع تميز أمته الملتزمة لنهجه ، القائمة على سنته عملاً لا إدعاء . قال الإمام ابن كثير فى تفسير الآية (ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصها بأكمل الشرائع ، وأقوم المناهج وأوضح المذاهب ،) كما قال تعالى : ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ الحج/٧٨ .

إنها خصائص نبوية نستكمل الحديث عنها بعون الله .

معوض عوض إبراهيم

قــــرار حظـــــر

صرح فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف قد أصدر قراره عام ١٩٦٨ القاضي بحظر تداول او نشر رواية « أولاد حارتنا » التى الفها الكاتب نجيب محفوظ سواء أكانت مقروءة أم مسموعة أم مرئية .

والأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية تلفت الأنظار إلى هذا الحظر ، وتدعو المسلمين إلى ضرورة الالتزام به ، وبالله التوفيق ..

من أعلام الأزهر

عبد المجيد سليم

عالم الشريعة ومفتي الإسلام

(٢)

د. محمد رجب البيومي

كان الإفتاء الديني في مصر منذ اندرجت في ظل الحكم العثماني يتبع الفقه الحنفي وحده، وكان القاضي التركي حريصاً في أول عهد الأتراك على الالتزام بهذا الفقه، حتى مضى الأمر عليه تلقائياً دون اعتراض ما من شيوخ المذاهب المتماثلة، ثم جاء عهد الأستاذ الإمام محمد عبده في الإفتاء فلم يشأ أن يتقيد في بعض الأحكام بالمذهب الحنفي وحده، ولكن معاصريه ـ وقد رأوا سابقيه من امثال الشيخ المهدى العباسى والشيخ محمد البنا والشيخ حسونه النواوى يلتزمون بالفقه الحنفي ـ راوا أن الأفضل هو في الالتزام به.

ثم أعقبه الشيخ بكرى الصدفي والشيخ محمد بخيت المطيعى والشيخ إسماعيل البرديسى والشيخ عبد الرحمن قراعة فرجعوا جميعاً إلى الالتزام بفقه الأحناف، ثم جاء الأستاذ عبد المجيد سليم، وقد درس الفقه الحنفي دراسة شاملة في كتب الفروع والأصول معاً بحيث أصبح حجته الأول في مصر بعد رحيل الشيخ محمد بخيت المطيعى رحمه الله، فراى أن يعود إلى نهج الإمام محمد عبده في غير الفتاوى الرسمية التي تتطلبها الدولة، وفي عهده بالإفتاء تألفت لجان فقهية لتعديل قانون الأحوال الشخصية، فكان رأيه من رأى الإمام المراغى في التوسع الشامل للمذاهب المعتمدة جميعها، بل امتد هذا التوسع في بعض قضايا الميراث والطلاق حتى ضم آراء أمثال ابن حزم وزيد بن علي وطاؤس وشريح وداود، كما يشهد بذلك ما يُعرف بقانون ١٩٢٩ للأحوال الشخصية، وقد وُجّه إلى فضيلة الأستاذ عبد المجيد سليم سؤال بمجلة الرسالة العدد (٤٤٩) عن مدى التزامه بالمذهب الحنفي في فتواه فقال:[١]

←

(١) الرسالة (٤٤٩) بتاريخ ١٩٤٢/٢/٩م.

« إن الفتاوىَ التى أُصدرها على نوعيْن ، نوع يتصل بالقضاء الشرعى والجهات الرسمية ، وهذا أُفتى فيه بما هو الراجح من مذهب أبى حنيفة ، لأن المستفتى يطلب ذلك فى استفتائه ، ولأن هذا هو المذهب الرسمي فى مصر ، ولو لم أتبع هذه الطريقة لاصطدم القضاء بالفتوى .

أما النوع الثانى فهو الفتاوى التى أصدرها فى استفتاءات غير رسمية ، أو واردة من البلاد الأخرى ، وأنا فيها لا أتقيد برسم يُرسم ، ولا بقولٍ من الأقوال فى المذهب الحنفى ، وإنما أختار القول الذى أراه راجحاً وأبين سبب رجحانه عندى ، وأذكر إلى جانبه الأقوال الأخرى إذا طلب المستفتى ذلك ، أو كان الأمر يستدعى ذكرها !

قال السائل : أتلتزمون فى ترجيحكم دائرة المذاهب الأربعة المعروفة ؟

فأجاب المفتى الأكبر : أنا لا أتقيد بالمذاهب الأربعة ، ولكنى لا أخرج فيما أفتى به عن مذاهب العلماء من السلف والخلف والسبب فى ذلك أن الفقه الإسلامي غنى جداً بأقوال العلماء وآرائهم ، فلا تكاد تجد مسألة من المسائل إلا وقد تعددت فيها آراء الفقهاء ، بحيث لا تستطيع أن تجزم بأن رأياً تراه لم يقُلْ به أحدٌ من العلماء من قبل ، فليس على الناظر فى هذه الثروة الطائلة إلا أن يختار أرجحها مصلحة ، وأقواها دليلاً وأشبهها بروح الشريعة ، وهذا الذى أسير عليه !

قال السائل : أكان من المفتين الذين سبقوا فضيلتكم فى دار الإفتاء المصرية من جرى على هذه الطريقة التى تسيرون عليها ؟

فقال المفتى : إن الفتاوى التى تحتفظ بها سجلات دار الإفتاء لا تدل على ذلك ، وإن كانت تدل فى كثير من الأحيان على فقه جيد ونظر سليم .

قال السائل : وفتاوى الأستاذ الإمام محمد عبده ؟

فقال الشيخ : إن الناحية التى تجلت فيها مواهب الإمام « محمد عبده » هى إدراكه الصحيح لمعانى القرآن الكريم ، وفهمه الدقيق لأغراضه ، وتذوقه لأسلوبه ومعجز بيانه ، مع بصر عظيم بأحوال الناس ، وعبر التاريخ ، وأسرار تقدم الشعوب ، وسنة الله فى الكائنات ، يؤازر ذلك قلب جرىء وجنان ثابت ، وعقل متصرف ، وكان ـ رضى الله عنه ـ يعتمد فى فتواه على إدراك روح الشريعة ، وتبين أغراضها العامة ، لا على مناقشة المذاهب ، وترجيح أقوال الفقهاء ، لذلك تأتى فتاواه غالباً مختصرة ، وقد تثير خلافاً بين أهل العلم ، ومن أمثلة ذلك أنه أفتى فتواه المشهورة بجواز لبس (البرنيطة) فقامت من أجلها ضجة هائلة بين العلماء وأهل الأزهر يومئذ ، فلما أردتُ أن أُفتى فى هذا الموضوع ، انتفعت بموضع العبرة فيه ، فأخرجت فتواى التى تُجيز لبس (البرنيطة) إخراجاً فقهيا مؤيداً بأقوال العلماء ، جارياً على طريقتهم فى الاستدلال والترجيح ، وبذلك لم يستطع أحد أن يشغب على هذه الفتوى ، أو يثير فى شأنها جدلاً .

وتعقيباً على هذا الحديث نذكر الفتويين المشار إليهما ، فتوى الأستاذ الإمام ، وفتوى المفتى الكبير عبد المجيد سليم لنشفع القول بالدليل .

« وجه بعض السائلين إلى الأستاذ الإمام محمد عبده هذا الاستفسار : يوجد أفراد فى بلاد الترنسفال تلبس (البرانيط) لقضاء مصالحهم ، وعودة الفوائد عليهم فهل يجوز ذلك ؟

فقال الإمام[٢] : لبس (البرنيطة) إذا لم يقصد فاعله الخروج من الإسلام ، والدخول فى دين غيره ، لا يعد مكفراً .

وإذا كان اللبس لحاجة من حجب الشمس أو دفع مكروه ، أو تيسير مصلحة ، لم يكره كذلك ، لزوال معنى التشبه بالمرة » .

وقد وُجه السؤال بمضمونه لا بنصه إلى الأستاذ عبد المجيد سليم فقال[٣] رداً على السائل من كلام تقدم عن خطر القول بكفر المسلم دون دليل قوى ، كما ذهب بعض من توهموا لبس (البرنيطة) كفرا : قال الشيخ ببعض التصرف :
ـ « إن مناط الكفر والإكفار هو التكذيب أو الاستخفاف بالدين كما نقل صاحب نور العين على جامع الفصولين عن ابن الهمام ، عمنْ شدَّ زُنّاراً على وسطه ودخل دار الحرب للتجارة ، فقد قيل إنه كفر « وينبغى أن لا يكون ذلك كفراً ، وكذا فى قلنسوة المغول إذ أن هذه الأشياء علامة ملكية لا تعلق لها بالدين » .

إذا علمت هذا ، علمت أن مجرد لبس (البرنيطة) ليس كفراً لأنه لا يدل قطعاً على الاستخفاف بالدين الإسلامى ، وعلى التكذيب بشىء مما علم من الدين بالضرورة حتى يكون فى ذلك ردّة ، نعم ، إذا وجد من لابس القبعة شىء يدل دلالة قطعية ، على الاستخفاف بالدين ، أو على تكذيب شىء مما علم من الدين بالضرورة كان ذلك ردّةً فيكفر ، وإذا لبسها قاصداً التشبه بغير المسلمين ، ولم يوجد منه ما يدل على الاستخفاف بالدين ، ولا على التكذيب بشىء مما علم منه كان آثماً فقط ، لما روى من قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (من تشبه بقوم فهو منهم) » أى إنه كافر إن تشبه بهم فيما كفر ، كأن عظّم يوم عيدهم تبجيلاً لدينهم ، أو لبس زنارهم قاصداً بذلك التشبه بهم استخفافاً بالإسلام ، كما قيد أبو السعود والحموى على الأشباه ، وإلا فهو مثلهم فى الإثم فقط لا فى الكفر ، كما فى الفتاوى المهدية » .

ومضى الشيخ يفيض فى نقولٍ عن صاحب البحر وابن عابدين والذخيرة البرهانية ، وكلها تؤيد منحاه !

ونرى فى الإحصاء المدون بالجزء الأول من الفتاوى الإسلامية ص٣٤ ما يدل على أن الشيخ عبد المجيد سليم قد كتب (١٥٧٩٢) فتوى مدونة بالسجلات الخاصة فى مدى سبعة عشر عاماً ، وقد ولى بعدها رئاسة لجنة الفتوى فأصدر عشرات أخرى دوّن بعضها فى مجلة الأزهر ، وبقى بعض آخر دون تدوين ، فإذا علمنا أن الشيخ كان يرسل بعض الفتاوى الخاصة لمن يطلبها من أصدقائه ومريديه بعيداً عن عمله الرسمى فلنا أن نقول : إن الفقيه الكبير بما أعطى من جهد علمى كبير قد لمس مشاكل العصر المستحدثة وأجاب عنها بما يرتئيه ، والذين كانوا يعملون معه فى دار الإفتاء يذكرون أنه كان يقضى أياماً كثيرة فى مراجعة فتوى واحدة ، إذ كان من ديدنه أن يقرأ كتب السابقين فى كل مذهب ، وأن يطيل المراجعة المستأنية فى الآراء المتشابهة ، وأن يحاول التوفيق بعد ما يتعارض من النصوص ، ويشتبه من الأحكام ، وله مع نفسه جلساتٌ « صامتة للتفكير المتئد ، ولم ينس أن يدرس آراء سابقيه من رجال الإفتاء ، وأن يعارض وأن يحبذ وفق ما يرتئيه ، وقد يضطر إلى مخالفة زميل كبير له مقامه الفقهى ، فيكتفى

(٢) الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية جـ ٤ ص ١٢٩٨ .

(٣) الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية جـ ٤ ص ١٥٢٣ .

بالإشارة إلى رايه معقباً عليه بما فتح الله به من النظر الجديد ، ومثل هذا العقل الدائب تفكيراً وموازنة لابد أن يرى من الأحكام فى غده غير ماكان يراه فى امسه ، وتلك سنّة الفقهاء جميعاً ممن يدأبون على البحث تطلباً للدليل وإرضاء للضمير .

ومن السذاجة المفرطة أن يقوم بعض معارضيه فيصفه بالتناقض حين يرى له رايين فى الطلاق المعلق مثلاً ، ناسياً ان المفتى الاكبر لم يصدر الرايين المتعارضين فى زمن واحد حتى يتحقق شرط التناقض ، وكم من ائمة الفقهاء فى عصور الازدهار الفقهى من افتى براى ثم عدل عنه لوضوح ادلة جديدة كانت خافية عنه ، وذلك ما يُحسب له فى ميزان الاجتهاد ، وقد ياتى التناقض لا من اختلاف الزمن بل من تقيد المفتى بمذهب معين حين يطلب السائل الحكم على مذهب ابى حنيفة او مذهب مالك ، فيحدد إماماً بعينه ، وهنا يكون المفتى مقرراً شارحاً،لا باحثاً مستنتجاً ، وله اجره عند ربه اخطا ام اصاب .

على أن نضوج الرجل الفقهى يتضح بجلاء فيما لم يُسبق إليه من الآراء ، حين تجدّ أمور مستحدثة فى عالم الاقتصاد أو الطب أو الاجتماع فتتطلب راى الإسلام فى هذا المستحدث ، ويضطر الفقيه إلى القياس الأصولى ليقرن النظير بالنظير .

ونضرب المثل لذلك بفتوى[4] الشيخ عبد المجيد سليم فى نقل الدم للمسلم المريض المحتاج إليه من شخص غير مسلم ، وفى الانتفاع بجزء من عين شخص ميت لرد بصر شخص حى ، فينقل الرجل مسائل قياسية من كتب التراث منتهياً إلى انه إذا تحقق توقف حياة المريض او الجريح على نقل الدم جاز ذلك ، اما إذا توقف تعجيل الشفاء فحسب ، فيجوز على احد الوجهين عند الحنفية ويجوز على مذهب الشافعية ، وذلك إذا لم يترتب على النقل ضرر فاحش ممن نقل عنه حرصاً على صحته .

وقد اختار الشيخ جواز معالجة غير المسلم من الأطباء حتى مع وجود الطبيب المسلم تيسيراً وتسهيلاً مادام اهلاً للثقة ، ذاكراً من الأدلة ما يؤيد رأيه ، وهذه الفتوى لم ينفرد بها الشيخ وحده إذ كان رئيساً للجنة الفتوى بالأزهر وبها من الزملاء من يشاركونه الراى بعد تداول واقتناع .

وحين اشتدت أزمة التموين أثناء الحرب العالمية الثانية ، دفع الجشع بعض التجار إلى البيع بأسعار مرتفعة ، وتحرّج بعض الناس فى التبليغ عن هؤلاء الجشعين ، ومثلهم من يختزن الأقوات والبضائع لتباع فيما بعد بثمن مرتفع ، واضطرت وزارة التموين أن تتوجه بالسؤال عن الحكم الشرعى فى هؤلاء ، ليكون قول المفتى حاسماً لاشك وراءه ، فنهض الشيخ بتسجيل فتوى نادرة مؤيدة بالدليل الناصع نشرتها الصحف اليومية فى أمكنةبارزة قطعت كل شك لدى من يظن أن الإخبار عن هؤلاء ضرب من الوقيعة ، ومن يتوهم أن التقيد بالتعبير الرسمى حجرٌ على التجارة الحرة ، قال الشيخ ببعض التصرف :[5]

(٤) مجلة الأزهر ـ المجلد العشرون ص ٧٤٣ .

(٥) الفتاوى الإسلامية جـ ٣ ص ٨١٦ .

إذا قررت الحكومة أسعاراً لما يحتاجه الناس في معيشتهم من طعام ولباس وغيرهما دفعاً لظلم أربابها ، ومنعاً للضرر العام وجب البيع بهذه الأسعار شرعاً ، وكان البيع بأزيد منها من الظلم المحرم ، وإذا نهت الحكومة عن اختزان ما يحتاجه الناس ، كان هذا الاختزان محرماً ، ومنكراً تجب إزالته ويجب على كل من يعلم أن من التجار من يبيع بأسعار زائدة عن الأسعار المقررة أو يختزن ما يحتاجه الناس أن يبادر بالتبليغ لتعمل الحكومة على إزالة هذا المنكر ، لأنها لا تستطيع إزالته إلا إذا علمت به ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[6] وكيف لا يكون هذا ظلماً وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على منع الاحتكار ، ثم ذكر من النصوص النبوية ما يبرهن على الحكم ، ناقلاً عن ابن القيم وابن تيمية من كتابى : (الطرق الحكمية) للأول و(الجوامع في السياسة الآلهية) للثانى ما يعضده من أقوال سابقيه ، ثم ذكر في نهاية الفتوى أن التبليغ فرض كفائى ، إذا فعله بعض سقط الطلب عن الباقى فإذا تركوا التبليغ جميعاً فهم آثمون » .

أما المسائل السياسية فقد كانت ذات قدر ملحوظ في إجابات الشيخ ، وهو يعنى بالسياسة السياسة العامة لا السياسة الحزبية التى حذر منها ، وعارض الإمام المراغى بشأنها ، ونمثل لذلك بفتواه عن (تحريم موالاة المستعمرين) ، حين طلب إليه رئيس الاتحاد المصرى الطرابلسى أن يُظهر حكم الإسلام فيمن ينتسبون إليه ثم يميلون إلى معاضدة الاستعمار ، والتعاون معه في تيسير أمور البلاد ، فعجل الشيخ بفتواه الحاسمة مبتدئاً بآيات كريمة من كتاب الله تدعو إلى التآزر بين المسلمين والوقوف صفاً واحداً أمام الأعداء ليصل منها إلى قوله[7] :

ولما كانت موالاة بعض المؤمنين لغيرهم من أعداء الدين سبيلاً للتفرق ، وخروجاً على وحدة المسلمين ، وسبباً للفتنة ، عنى القرآن في غير آية ، بنهى المؤمنين عن اتخاذهم أولياء من الكافرين يلقون إليهم بالمودة ، ويعملون معهم على ما يمكّنهم من تحقيق أغراضهم ، من التسلط على المسلمين ، وإضعاف شوكتهم في بلادهم .

وقرر أن هذا الصنيع مشاقة لله ولرسوله ، واتباع لغير سبيل المؤمنين ، كما أن هذا الصنيع لا يمكن أن يوجد مع الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأن دعوى الإيمان ممن يخرج على أمته ويعاون من حاد الله ورسوله ، دعوى كاذبة لا وزن لها عند جماعة المؤمنين .

وفي ضوء هذا الأصل الذى يقرره القرآن احتفاظاً بالكيان الإسلامى نقرر :

« أن هؤلاء الأفراد ذوى الرغبة في أن تتولى الإشراف على بلادهم حكومة مستعمرة لا تصلها بالإسلام والعروبة صلة هم خارجون على الدين ومفرّقون لكلمة المسلمين ولا ينجيهم من الوعيد الشديد ما يدّعونه من أنهم يتحامون بذلك شراً قد ينزل بهم أو يتوخّون مصلحة تصل إليهم ، فذلك انتحال لأعذار موهومة وارتكان لشبه باطلة يزينها ضعف الإيمان ، وابتغاء عرض الدنيا » .

وإذا كانت الفتوى الدينية أبرز آثار الشيخ ، فإنها ليست وحدها آية فضله ، فقد أتيح له أن

---

(٦) سورة المائدة : (٢) .

(٧) مجلة الأزهر : السنة التاسعة عشرة ص ٥٥٥ .

من أعلام الأزهر

يقوم على رعاية الدراسات العليا بكليات الأزهر الشريف ، فيشرف على مناهجها ، ويناقش رسائلها ، ويحضر بعض دروسها ، والدراسات العليا لعهده تتشعب فى كليات الشريعة الإسلامية واللغة العربية وأصول الدين ، ومعنى ذلك أن إلمام الشيخ الكبير بعلوم الأزهر جميعها يؤهله للمناقشة الجادة فى مواد هذه الكليات جميعها ، فهو يناقش فى أصول الفقه كما يناقش فى مسائل المنطق كما يناقش فى فنون البلاغة ودقائق النحو والتصريف ، ولا تكاد اليوم تجد عالماً من هذا الطراز المستوعب ، بعد أن شاع التخصص بمعناه الهشّ ، لا بمدلوله الدقيق ، كما كان الرجل الكبير على رأس جماعة صممت على ضرورة الإصلاح الأزهرى للتعليم منهجاً وكتاباً وأستاذاً فى الفترة الثانية لعهد الإمام المراغى ، لأن الأحداث العاصفة قد حالت دون تمام الإصلاح كما عناه الأستاذ المراغى فى مذكرته الشهيرة التى تقدم بها فى مشيخته الأولى ، والتى أحدثت من الدوى ما اهتزت له جنبات الأزهر وأدت إلى استقالته بعد أن قامت عقبات شديدة أمام تحقيق ما جاء بالمذكرة الخالدة ، ثم رجع الشيخ إلى عمله . ولكن ظروفاً ما قد وقفت دون استكمال وجوه الإصلاح ، فرأى جماعة من خلاصة رجال الأزهر كالشيخ محمود شلتوت والدكتور محمد البهى والأستاذ محمد محمد المدنى والأستاذ عبد العزيز عيسى أن يلتفوا حول الشيخ عبد المجيد سليم كى يجدوا منه عوناً على أداء رسالة الأزهر كما حددتها مذكرة الأستاذ الأكبر ، وقام الشيخ عبد المجيد بواجبه الإصلاحى ، وأقيمت الندوات الهادفة فى كليات الأزهر الثلاث ، وكان اسم الشيخ شلتوت من أنشط الأسماء الداعية لسرعة العمل ، وقد ساعده على ذلك انتماؤه إلى جماعة كبار العلماء ، فجدد من نشاطها ، ودفع بها إلى تقدم مأمول ، وإخالُ الأستاذ المراغى كان سعيداً بهذه الحركة ، لأنها ثمرة توجيهه ، وشعاع مصباحه ، ولئن تأخر فى تنفيذ بعض دون بعضٍ ، فذلك لأن القائم بالعمل المباشر يرى غير مالا يراه من لا يزال على الشاطىء يراقب الموج الهادر دون أن يسبح فى الماء ، ولن يتم الإصلاح المنشود دون أمدٍ محدود ، فالغاية بعيدة ، والمطلب شاق مرهق ، والمطايا لم تتعود السير السريع ، وعلى الله قصد السبيل .

ولعلّ من الأوفق أن نختم حديثنا عن الشيخ عبد المجيد ببعض ما قال الأستاذ محمد محمود رئيس محكمة الاستئناف العليا فى تأبينه إذ أشار إلى أنه ـ رضى الله عنه ـ « كان النجم اللامع فى لجنة الأحوال الشخصية بوزارة العدل ، إذ كانت تعرض الموضوعات والمسائل على اللجنة بعد سبق فحصها ، وعندئذ يأخذ الشيخ عبد المجيد الكلمة ، فيتولى شرح المسائل الواحدة بعد الأخرى ، مستعرضاً شتى الآراء ، فى كل مذهب من المذاهب ، ومقرراً الحكم الدقيق ، ذاكراً رأى الأئمة والمجتهدين من الفقهاء ، مسايراً روح العصر ، منتقلاً من فن إلى فن ، وهو فى ذلك كالبحر الدافق حتى إذا انتهى من عرضه المستوعب الجامع قامت اللجنة بالبحث والتمحيص لإعطاء الصيغة النهائية للمادة القانونية » .

وهكذا يكون الفقيه الأكبر سعة اطلاع ، وسلامة منهج ودقة استنباط ، رضى الله عنه وأرضاه .

د . محمد رجب البيومى

العلوم الكونية

الإنسان وأبحاث الفضاء الكوني

الجلاد

الإنسان وأبحاث الفضاء الكونى

٢

صواريخ الفضـــاء :

ظل الإنسان يحلم لمئات من السنين بالسفر فى الفضاء ، تماماً مثلما كان يحلم بالطيران فى الجو . وفى خمسينيات القرن الحالى فقط ، اصبح حلم الإنسان بارتياد الفضاء الخارجى حقيقة واقعة بعد ان نجح فى تطوير صواريخ فضائية مناسبة ، وتعمل الصواريخ عموماً بطريقة الدفع النفاث التى كثيراً ما نشاهد امثلة بسيطة لتطبيقها فى صواريخ الألعاب النارية التى تطلق فى بعض المناسبات او فى (البالونات) التى يلعب بها الأطفال . فإذا نفخت (بالون) وربطت عنقه ثم تركته وشانه فإنك تلاحظ انه يبقى ساكناً ، لأن ضغط الهواء الذى بداخله يؤثر على جداره المطاطى المرن من الداخل بقوى متساوية فى جميع الاتجاهات . اما إذا قمت بفك عنق (البالون) فإن الهواء المحبوس يندفع خارجاً على الفور ، ويطير (البالون) طيراناً طائشاً فى جو الغرفة . ويعزى السبب فى حدوث حركة (البالون) على هذا النحو بعد أن كان ساكناً إلى انك تسمح للهواء المحبوس بالخروج فجاة من جهة العنق ، لكن قوة دفعه الأمامية مازالت موجودة ، وهى التى تجعل البالون ينطلق فى عكس اتجاه حركة الهواء الخارج منه .

والمحرك الصاروخى يعمل بنفس الطريقة تماماً ، حيث يمكن لصاروخ ما أن ينطلق إلى أعلى مدوياً إذا ما سُمح للغازات الساخنة الناتجة من عملية احتراق الوقود بداخله أن تخرج بسرعة كبيرة من فتحة صغيرة فى مؤخرته ، لكن الصواريخ الفضائية تتميز عن صواريخ الجو بخصائص إضافية هامة نجملها فيما يأتى : ـ

١ ـ أن تكون ذات قدرة عالية تمكنها من حمل سفن الفضاء بسرعة كبيرة تكفى للإفلات من نطاق الجاذبية الأرضية . وقد وجد أن أقل سرعة تكفى لتحقيق هذا الغرض تساوى ١١,٢ كيلومتر فى الثانية ، وتسمى « سرعة الهروب » Escape Velocity [1] وعندما تكون سرعة إطلاق الصاروخ أقل من سرعة الهروب هذه فإن سفينة الفضاء التى تغادر سطح الأرض سوف تتباطأ

(١) سبق شرح وتعريف كل من الجاذبية وسرعة الهروب فى الجزء الأول من هذا المقال فى العدد السابق من مجلة الأزهر .

د. أحمد فؤاد باشا

بسرعة أثناء ارتفاعها ، ثم لا تلبث أن تعود فترتطم بالأرض مرة أخرى ، وقد تغلب العلماء على هذه المشكلة باستخدام صاروخ متعدد المراحل ذى قدرة كافية لتحقيق سرعة الهروب المطلوبة وحمل الكمية اللازمة من الوقود .

٢ ـ أن تحمل معها من الاكسچين والوقود ما يكفى لعمل محركاتها أثناء رحلتها فى الفضاء الخارجى . فمن المعروف أن الهواء الموجود فى الغلاف الجوى يقل كلما ارتفعنا عن سطح الأرض حتى ينعدم وجوده تماماً فى الفضاء الخارجى . ولذا فإن الطائرات التى تعمل فى جو الأرض بمحركات بنزين لا يمكنها أن تواصل الطيران فى الفضاء لأن اجهزة الدفع فيها لا تعمل إلا فى وجود الهواء . وحتى المحرك النفاث العادى لا يمكنه ان يعمل فى الفضاء لأنه يحتاج إلى اكسچين الهواء اللازم لإحراق وقوده . ومن ثم فإن المحرك الفضائى يجب أن يكون مزوَّداً بالاكسچين اللازم . إما فى وقوده أو فى خزان منفصل .

٣ ـ أن تكون محصَّنة بأغلفة معينة ذات صلابة عالية لكى تتحمل التغيرات الشديدة فى درجات الحرارة وتقيها من التصادمات المحتملة مع الأجسام الكونية السابحة فى الفضاء . وقد أسهمت (تكنولوجيا) الفضاء و(الاليكترونيات) الحديثة فى تطوير المواد والأجهزة اللازمة لتحقيق هذا الأمان بكفاءة عالية . فعلى سبيل المثال ، يستعان بأجهزة (الرادار) اللاسلكي لمعرفة معدَّلات ظهور الشهب وانتقاء أسلم مسار للصاروخ بعيداً عن ممرات تيارات الشهب الشديدة ؛ إذ من المعروف أن الشهب (أو النجوم الساقطة) التى كثيراً ما نرى ضوءها النارى يمرق فى عرض السماء ، ما هى إلا كتل صخرية أو معدنية صغيرة تأتى من الفضاء الخارجى ، وتدخل جو الأرض بسرعة عالية تصل إلى عشرات الكيلومترات فى الثانية . فترتفع درجة حرارتها نتيجة ارتطامها بالهواء ، وتشتعل بعنف على ارتفاع عدة عشرات من الكيلومترات فوق سطح الأرض ، ومن فضل الله علينا أن هذه الشهب تخمد عادة خلال سقوطها وقبل وصولها إلى الأرض .

وتزداد معدلات ظهور الشهب بصفة خاصة فى ليالي شهر اغسطس . ويقال حينئذ ان السماء تمطر نجوماً .

وقد تأكد فى عدد من الحالات أن مطر النجوم ما هو إلا بقايا مُذنَّب (أى نجم ذى ذنَب أو ذيل) تحلل إلى عدد كبير من النجوم الدقيقة . ومن هذا نرى أن مراقبة تيارات الشهب لها أهمية عظمى ، ليس فقط فى تأمين مسارات الصواريخ الفضائية ، ولكن أيضاً فى دراسة تكوين المجموعة الشمسية .

وبعد إتمام كافة التحضيرات واختبار كل الأجهزة المطلوبة وتركيبها فى القمر الصناعى ، او سفينة الفضاء عند راس الصاروخ ، وملء خزانات الوقود ، يبدأ إطلاق الصاروخ بطريقة

(●) الكاتب : استاذ الفيزياء ـ كلية العلوم ـ جامعة القاهرة .

← الانسان وأبحاث الفضاء

آلية ، حيث يلقى العبء الأكبر على عاتق الحاسبات الإلكترونية والمعدات اللاسلكية ، ويكون الجزء الأول من الصاروخ متعدد المراحل هو اكبر الأجزاء لأنه سيحمل كل جسم الصاروخ حتى نهاية الطبقة الكثيفة من الغلاف الجوى ، ثم ينفصل آلياً عند انتهاء الوقود منه ، ويبدأ محرك المرحلة الثانية فى الاشتعال على الفور ليواصل عملية الارتفاع إلى أعلى . وعندما ينتهى احتراق وقود المرحلة النهائية من الصاروخ بأكمله يكون القمر الصناعى قد وصل إلى المدار المحدد له مُسَبَّقاً ، وأصبح جسماً كونياً خاضعاً لقوانين الحركة والجاذبية الكونية .

الأقمـار الصناعيـة :

كانت صواريخ الفضاء فى بادىء الأمر تتميز بعدم ضخامتها ، وقد أطلق العديد منها حاملةً (كبْسُولات) بها أجهزة قياس علمية إلى عتبات الفضاء الخارجى لتسجيل المعلومات اللازمة عن حرارته وضغطه وكل ما يتعلق بمكوّناته وخصائصه .

ولم يمض وقت طويل حتى تمكن العلماء من تطوير هذه الصواريخ لتصبح قادرة على حمل الأقمار الصناعية المختلفة بعيداً عن تأثير جاذبية الأرض والدوران حولها مرات عديدة فى مدارات محددة لفترات زمنية تتراوح بين الأيام والأعوام حاملة بعض الأجهزة العلمية احياناً ، وبعض الحيوانات أحياناً أخرى .

ويؤرخ عادة لدخول عصر الفضاء بتاريخ إطلاق الاتحاد السوفيتي لأول قمر صناعى دار حول الأرض فى (٤ اكتوبر سنة ١٩٥٧) ، وهو المعروف باسم (سبوتنيك ـ ١) الذى ظل فى مداره سبعة وخمسين يوماً .

ومنذ ذلك التاريخ تزايد اهتمام الدول بأبحاث الفضاء والإنفاق عليها بإسراف وبذخ لتحقيق قصب السبق فى هذا المضمار .

وفى ٢٠ يوليو عام ١٩٦٩ ، شهد العالم كله على شاشات التليفزيون عملية هبوط أول إنسان على سطح القمر فى رحلته الشهيرة على سفينة الفضاء (أبوللو ـ ١١) التى أطلقتها الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى ١٠ نوفمبر عام ١٩٧١ هبطت سفينة الفضاء السوفيتية (لونا ـ ١٧) ، على سطح القمر ، وانزلقت منها مركبة قمرية اسموها « لوناخود » ، أخذت تتجول بطريقة آلية لمدة مائة ساعة بدون أى رواد من البشر ، وكانت محطات المتابعة الأرضية توالى التحكم فى حركة هذه المركبة القمرية ، وتجمع كل البيانات والصور التى ترسلها أجهزة القياس ومعدات التصوير الموجودة فى المركبة .

وفى ديسمبر عام ١٩٧٢ تمكن رائدا الفضاء الأمريكيان فى رحلة « أبوللو ـ ١٧ » من قيادة « سيارة قمرية» لمسافة ٨٠ كيلو مترا فوق سطح القمر ، وقاما بجمع عينات من الصخور والأتربة القمرية بلغ وزنها ١٥١ كيلو جراما ، كما سجلت أجهزة القياس التى حملاها معهما على هذه السيارة معلومات مفيدة عن تساقط الشهب ونشاط الإشعاع الشمسى وقياس الأشعة الكونية وغيرها .

وهكذا نرى أن سباق الفضاء بين الدولتين العظميين يجرى على قدم وساق ، مع ملاحظة أن برامج الاتحاد السوفيتى تقوم أساساً على تشغيل المركبات القمرية بالتحكم الآلى ، بينما

تهتم الرحلات الأمريكية بإرسال رواد أكفاء للاستفادة من القدرات البشرية فى جمع أكبر قدر من المعلومات ، وسرعة التكيف مع أية مشاكل أو مستجدات تفرضها ظروف الرحلة القمرية .

وكان طبيعيا أن يسعى الإنسان إلى مواصلة السفر فى الفضاء نحو الشمس وبقية الكواكب ، فأرسل مركبات فضائية غير مأهولة ليدرس عن قرب كلا من : عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وأورانوس ، وتكون هذه المركبات بمثابة « مجسات فضائية » لاستكشاف المزيد عن هذه الكواكب باستخدام العديد من أجهزة القياس والإرسال اللاسلكى التى تبعث صوراً ومعلومات إلى الأرض . وها هو المجس الفضائى « فويجير ـ ٢ » يسرع الآن فى طريقه نحو كوكب « نبتون » ، وعليه أن يصل إلى مجاله عام ١٩٨٩ ، حيث تستغرق المعلومات المرسلة بالراديو من ذلك الكوكب البعيد نحو نصف الساعة لتصل إلينا على الأرض .

اقمار الاتصالات :

إذا كان الزمن الدورى الذى يستغرقه القمر الصناعى فى الدوران حول الأرض مساويا تماماً للزمن الدورى لدوران الأرض حول محورها والذى يساوى ٢٤ ساعة ، فإن القمر الصناعى سوف يبدو لنا دائماً فى نفس مكانه فوق الأرض . ويطلق على مدارات القمر الصناعى التى تحقق هذا الشرط « التزامنى » اسم « مدارات الانتظار » « Parking Orbits » على غرار أماكن انتظار السيارات على الأرض ، ويقدر ارتفاعها عن سطح الأرض بمسافة ٣٦ الف كيلو متر . كما يطلق على « التوابع » أو « الأقمار » الصناعية التى تدور فى هذا الفلك اسم « التوابع التزامنية » « Syn chronous Satellites » وهى التى تستخدم لتحقيق الاتصالات بعيدة المدى ، ولتسهيل نقل البرامج « التليفزيونية » فى الدول المختلفة إلى أنحاء متفرقة من العالم ، كما فى حالة « التلستار » .

وقد أمكن حديثا تطوير أجهزة استقبال تليفزيونية يمكنها التقاط البث المباشر عبر هذه الأقمار من أى مكان فى العالم . وهذا من شأنه أن يفتح آفاقاً جديدة للتواصل الفكرى والثقافى بين البشر ، ويساعد على معرفة الكثير من أحوال الآخرين وعاداتهم . ومن ثم فإن تأصيل ثقافتنا الإسلامية على أساس علمى سليم سوف يكون له أكبر الأثر فى الحفاظ على قيمنا ومبادئنا الإسلامية وتحصينها ضد أخطار الغزو الثقافى المحتمل بثه بمختلف الأساليب من قِبَلِ أعداء الأمة الإسلامية .

مكوك الفضاء والمحطات المدارية :

كانت كل الصواريخ وسفن الفضاء التى تدار بواسطة طاقم الملاحين تستخدم مرة واحدة فقط ، وهذا يجعل رحلات الفضاء باهظة التكاليف .

ولتقليل هذه النفقات مع الاستمرار فى ابحاث الفضاء الكونى هناك وسيلتان :

الأولى : عبارة عن مركبة فضائية قابلة للعمل أكثر من مرة .

والثانية : تتمثل فى إقامة محطات فضائية دائمة فى مدارات حول الكواكب والأقمار ويطلق على سفينة الفضاء المتنقلة لعدة مرات بين الفضاء والأرض أو الكواكب الأخرى اسم « مكوك الفضاء » Space shuttle وهو يجمع فى تركيبه بين الطائرة والصاروخ .

الانسان وأبحاث الفضاء

وكان إطلاق المكوك الفضائى « كولومبيا » عام ١٩٨١ إيذاناً ببدء نوع جديد من السفر فى الفضاء ، حيث يمكن للمكوك ان يعود إلى الأرض بعد انتهاء مهمته ويهبط هبوطاً دقيقاً على مدرجة عادية مثل اية طائرة .

ويستخدم المكوك لنقل السفن الفضائية بأنواعها المختلفة إلى مدارات حول الأرض . كما انه افاد كثيراً بالنسبة لمعامل « مختبرات » الفضاء المزودة بجميع أنواع الأجهزة والمعدات اللازمة لإجراء تجارب علمية وهندسية ، حيث إن الظروف فى الفضاء تهيىء الفرصة لإجراء بحث علمى على قدر كبير من الأهمية . وفى عام ١٩٨٣ قامت « وكالة الفضاء الأوروبية » بإنشاء مثل هذا المعمل الذى اسمته « سبيس لاب » Space Lab لينقل بواسطة مكوك فضاء ، ويظل فى حالة دوران على متنه ثم يعود بعد ذلك إلى الأرض كلما لزم الأمر . ويستخدم المكوك ايضاً لإرجاع الأقمار الصناعية التى تعطب فى الفضاء إلى الأرض لإصلاحها أو للتخلص منها ، كما يمكن استخدامه مستقبلاً لينقل أجزاء المستعمرات الفضائية عند إنشائها .

المستعمرات الفضائية :

بعد النجاح الذى حققته برامج مكوك الفضاء والمحطات المدارية ، تتجه الانظار حالياً إلى القمر فى برنامج جديد يهدف إلى الاستفادة المباشرة من كنوزه وثرواته ، وإلى استخدامه كمركز مراقبة للأرض والكون . لكن تحقيق ذلك يتطلب إقامة اطول للإنسان على سطح القمر لكى يتابع بنفسه نتائج ابحاثه من هناك فى قاعدة قمرية دائمة[٢] .

وكان التفكير قد اتجه حديثاً إلى ضرورة إقامة مستعمرات فى الفضاء تتسع لآلاف البشر ، وتهيىء لهم كل ظروف العمل والحياة ، وتدور كأى جرم سماوى فى مدار ثابت وحول ذاتها لتنشأ فيها جاذبية صناعية تشبه جاذبية الأرض بالنسبة للبشر الذين سيعيشون عليها . وتجرى الآن دراسات مكثفة على عدة تصميمات أو نماذج لمثل هذه المستعمرات الفضائية العملاقة قبل إرسالها إلى الفضاء ، حيث من المتوقع فى عام ١٩٩٣ م أن يتحقق التشغيل المبدئى لمحطة فضاء أمريكية دائمة فى الفضاء ومجهزة بطاقم من العاملين [٣] .

ومهما يكن من أمر هذه المستعمرات الفضائية ، فإنها تمثل خطوة متقدمة فى تفكير الإنسان وسعيه لاستكشاف المزيد من أسرار هذا الكون الفسيح ، وإن كان الكون يزداد مع العلم اتساعاً وعمقاً ليظل وعد الحق قائماً إلى قيام الساعة بقوله جل شأنه : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء : ٨٥) . صدق الله العظيم .

ا . د احمد فؤاد باشا

---

(٢) يفاضل العلماء الآن بين ان تكون هذه القاعدة على هيئة منشآت فوق سطح القمر او فى كهوف بداخله .

(٣) لمعرفة المزيد عن مواصفات النماذج المطروحة للمستعمرات الفضائية او « المدن الفضائية » وآراء العلماء لتوفير الظروف الملائمة لحياة الإنسان بداخلها يمكن الرجوع إلى :

ـ الموسوعة المصورة للشباب ، ترجمة د . محمد امين سليمان ، د . احمد فؤاد باشا ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٨٦ .

ـ مجلة العلوم الأمريكية ، الترجمة العربية ، مجلد ٤ ، عدد ٢ ، الكويت ١٩٨٧ ، وبها مقال هام للعالم الامريكي (فان الن) عن الآثار الضارة لهذه المستعمرات على فرص تقدم ابحاث الفضاء .

الجراد حياته، انتشاره آثاره

٢

د. كارم السيد غنيم

يستطيع الباحث ان يشبّه حشرات الجراد بقنبلة موقوتة .. لانه إذا هطل المطر ، قامت الاف الملايين النّهمة منها تجتاح مناطق من العالم (خاصة افريقيا) وتقضى على المزروعات حتى ان قارة افريقيا مهددة بالمجاعات دائماً بسبب هذه الحشرات الرهيبة . وسوف يختفى العجب من هذه العبارات التى نستخدمها إذا عُلِمَ ان مجموعة واحدة من الجراد تقوم بالتهام نحو ثمانين الف طن من المزروعات يومياً . وهى الكمية التى تكفى لتغذية عشرين مليون شخص خلال المدة نفسها .

من هنا قام الباحثون فى بقاع متفرقة من العالم فانشاوا لدراسة الجراد المعامل والهيئات . واصبح للجراد علم يختص بدراسة جوانب حياته ، ومخاطره ومكافحته وشئون اخرى ، هو علم الجراد او (الجراديات) .

كيف نتفادى غزوات الجراد ؟

تكمن كوارث الجراد ـ كما أشرنا آنفاً ـ فى قدراته التجمعية وتكوينه للأسراب المهاجرة ، ومن هنا فإننا إذا استطعنا منع أو إيقاف هذا التجمع أو عملية تكوين الأسراب خصوصاً عملية تحول الجراد من المظهر الانعزالى إلى المظهر التجمعى ، فإننا نقى البلاد من الغزوات والكوارث منذ لحظة منشئها بدلاً من انتظار مجىء الأسراب إلينا ثم نقوم بمكافحتها .

• الكاتب : عضو هيئة التدريس بكلية العلوم ـ جامعة الأزهر .. وعضو اتحاد الكتاب بجمهورية مصر العربية .

الجراد

وللوصول إلى هذا الهدف لابد من الإلمام الكامل بمواطن التكاثر والانتشار التى يوجد فيها المظهر الانعزالى للجراد ، ومنها سواحل البحر الأحمر ومصر والسودان والمملكة العربية السعودية ، وهى مناطق تُعَدُّ بحقٍّ مخازن طبيعية للجراد الانعزالى ، وهو الخامة الأولية لنشأة أسراب الجراد المهاجر ، ومن هنا تبرز خطورته ، أى الجراد الانعزالى .

وعلى الرغم من صعوبة تحديد المنابت الأصلية للجراد الصحراوى ، إلاَّ أنه يمكن تحديد الأماكن التى تعتبر مناسبة لتكاثره ، وهى التى يجب وضعها تحت الملاحظة المستمرة .

ومن الجدير بالذِّكر أن الدول الواقعة فى حزام الجراد تقوم بالتعاون التام فيما بينها ، فيبلِّغ بعضها البعض بصفة دورية عن التحركات الموسمية للجراد ، ويقوم المسئولون فى جمهورية مصر العربية ـ على سبيل المثال ـ بعمل مسح بيئى دورى للصحراء الشرقية والصحراء الغربية وتحديد الأماكن والوديان التى يمكن أن تجذب الجراد وتساعد على نموه ، وقد تعاون معهم زملاؤهم فى جمهورية السودان فى سنوات ماضية ؛ فتمت بذلك عمليات مسح شاملة على الحدود المشتركة بين الدولتين ، وذلك لأن أغلب الوديان هناك وسواحل البحر الأحمر تعتبر مناطق جذب هوائى وتجمُّع مدارى تجذب إليها الرياح التى تحمل معها الجراد من منابته ومواطن تكاثره الموسمية التى أشرنا إليها .

قدرات الجراد على الطيران :

يستطيع الجراد أن يطير لمسافات بعيدة ، فتقطع الجرادة الواحدة مائة كيلو متر فى اليوم الواحد (وثلاثمائة وخمسين كيلو متراً فى الشهر) ، وذلك بما لديها من قدرة عضلية تمكنها من الرفرفة بالجناحين لمدة تتراوح ما بين ست وست عشرة ساعة ، وهى قدرة تساعدها على اجتياز الموانع المائية والطوبوغرافية . وبدراسة قدرة عضلات الطيران فى الجراد ، وُجِدَ أنها تعمل بكفاءة تفوق كفاءة عضلات الحركة فى الإنسان بنحو ثمانى مرات (إذا أخذنا فى الاعتبار الفرق فى الحجم) .

فإذا علمنا هذه القدرة الهائلة على الطيران لساعات طويلة أثناء النهار ، فمن أين لهذه العضلات أن تأتى بالطاقة المطلوبة لهذا النشاط ؟ تأتيها هذه الطاقة من عمليات أيض Metabolism المواد النشوية داخل خلايا الجسم ، فإذا نَفَدَ ما لديها من مخزون النَّشا تبدأ تستنزف احتياجاتها من مخزون الدهن الموجود بها ، فهو الذى يمدها بالطاقة اللازمة لقطع مسافات طويلة فى الطيران .

تكوين وتوزيع وتنظيم الأسراب المهاجرة :

من المعروف أن أسراب الجراد الطائرة فى الهواء تحطُّ ليلاً على النباتات وتجثم على الأشجار لتلتهم كميات من الغذاء الأخضر تعينها على استئناف الرحلة فى صبيحة اليوم التالى . حينما تشرق الشمس صباحاً تشعر أفراد السرب الجاثمة على النباتات بالدفء ، فتبدأ فى هز أجنحتها ، ثم تطير أفراد منه متنقلة فى مسافات محدودة داخل منطقة الانتشار ، وحينما تزداد حرارة الجو تبدأ تيارات الحمل فيه تتجه إلى أعلى حاملة معها مجموعات من سرب الجراد ، وهكذا يُرىَ السرب مُعَلَّقاً فى جو منطقة الانتشار ، بينما تظل المجموعات الأخرى من السرب فى حالة جثوم ، وهى المجموعات التى تمثل مؤخرة السرب فلا تطير إلا بعد أن يأخذ السرب وجهته ، وهذا

السلوك يتيح لمؤخرة السرب أن تتناول كميات أخرى من الغذاء ، ثم لا تلبث أن تحلق فى الهواء لتلحق بمقدم السرب ، وهو الذى تهبط أفراده على ما تراه من الكساء الأخضر على سطح الأرض ، بقصد التهام كميات منه ، بينما تكون المؤخرة فى الهواء ولم تهبط بعد ، وهكذا تهبط المقدمة قبل المؤخرة ، ثم تصعد المؤخرة بعد المقدمة ، فيبدو السرب فى حلقات متصلة دون استقرار كامل فى الجو . وعند توافر درجة الحرارة الجوية الملائمة (٢٣ - ٤٠°م) فإن السرب يظهر كاملاً وبشكل واضح التنظيم فى الجو .

ويوجد من الأسراب الطائرة نوعان :

١ - السرب الطبقى (Stratiform Swarm) ويُرىَ عادة فى ظروف جوية غائمة أو متأخراً بعد الظهر حين يبرد سطح الأرض وتنتهى تيارات الحمل المتنقلة . وهذا النوع من الأسراب يظهر فى شكل مساحة مسطحة مكونة من أفراد الجراد المتراصة . ويطير هذا النوع على ارتفاعات قليلة لا تزيد على (٣٠٠) متر من سطح الأرض .

٢ - السرب الركامى (Cumuliform Swarm) ويُرىَ فى أكثر ساعات النهار فى ظروف تسودها الشمس الساطعة ، وتتراكم أفراده فوق بعضها فى الجو فتشكل ما يشبه البرج ، وغالباً ما يطير هذا النوع من الأسراب على ارتفاعات شاهقة تصل أحياناً إلى (١٠٠٠) متر من سطح الأرض ، وتساعدها على ذلك تيارات الحمل المتنقلة ، وتظهر فى السرب تغيرات مستمرة بالنسبة لكثافة أجزائه المختلفة أثناء الطيران .

أما عن توزيع الأفراد داخل السرب ، فيتميز النوع الأول المذكور سابقاً بأن الكثافة العددية لأفراده كبيرة[1] ، أما النوع الثانى فكثافة توزيع أفراده قليلة جداً[2] حتى يمكنها أن تملأ حدود السرب المنتشر إلى أعلى .

ويختلف شكل السرب فى الرحلة الواحدة لنوع واحد من الجراد ، وذلك بتأثير التيارات الهوائية التى تواجهه ، فقد تبدأ رحلة الهجرة بسرب طبقى ، وما يلبث أن يتغير شكله إلى النوع الركامى ، خصوصاً إذا ارتفعت درجة حرارة الجو عن الساعات الأولى من رحلة الطيران .

كما يختلف توزيع الأفراد داخل السرب من مكان لآخر فيه ، فبينما نجد حوافه مشكلة من أفراد منتظمة متفقة الحركة والوضع ، فرءوسها جميعاً موجهة إلى الأمام ، نجد أن التوزيع فى أواسط السرب يكون عشوائياً ، ويزيد من عشوائية هذا التوزيع - أو الانتشار - ما يواجه السرب من تيارات هوائية مضادة .

وإنه لمن المدهش أن تعرف أن طلائع السرب إذا شعرت بين الحين والآخر أن مؤخرة السرب قد بَعُدَتْ عن مقدمته وكاد السرب أن يتمزق شمله وتتشتت أجزاؤه ، فإن المقدمة - أو الطلائع - تبطىء من حركتها حتى يتمكن المتأخرون عنها من اللحاق بها والالتحام بالسرب ، وبذا يحتفظ السرب دائماً بشكله وانتظامه ، ولا يمكن لأية جرادة أن تنفر من السرب وتخرج بعيداً عن إطاره العام ، فإذا حدث ذلك أسرعت بالدخول ثانية فى الجماعة .

أما سرعة التقدم إلى الإمام ، فإنها لا تزيد عادة على نصف سرعة الريح المواتية والمصاحبة له ، وذلك لعدم استمرار طيران السرب حيث إنه

---

١ - معدل توزيع الأفراد فى السرب يتراوح بين جرادة - عشر جرادات فى المتر المربع الواحد من السرب .

٢ - معدل توزيع الأفراد فى السرب يتراوح بين ٠,٠٠١ جرادة - جرادة فى المتر المربع الواحد فى السرب .

← الجراد

يتوقف مرات عديدة فى طريق الهجرة خصوصاً مع دخول الليل كل يوم من أيام الرحلة ، ولكن إذا فرض أن السرب يواصل طيرانه بلا توقف فإن سرعته حينئذ تكون مساوية لسرعة الريح المواتية ، وهذا ما لم يحدث .

إذا اختلفت اتجاهات الأفراد داخل السرب الواحد ، فإن ذلك لا يؤثر على الاتجاه العام له (Orientation or course) ويتجه السرب مع اتجاه الريح فى مسلكه الفعلى Track أو ممره الذى تتحرك الريح صوبه . وإذا أجرينا طريقة إسقاط المساقط الرأسية من طائرة على نقط إشارية معروفة على سطح الأرض ، نستنتج أن السرب يطير فى نفس اتجاه الريح ، فإذا ثبتت ثبت اتجاه السرب .

كيف يحصل الجراد على حاجته من الماء أثناء رحلة الهجرة ؟!

يمكن للجراد المهاجر أن يقطع مسافة تبلغ آلاف الكيلو مترات خلال ثلاثة أسابيع ، وفى عام ١٩٥٦ م لوحظ أن الجراد الحاج[٣] هو أكثر قدرة على التحليق من أى نوع آخر ، ولمسافات بعيدة ، فلقد تمكن من عبور البحر لمسافة ٥٠٠ كيلو متر للوصول إلى جزيرة Cap-Vert وطالما تم التساؤل حول الكيفية التى يستطيع بها الجراد قطع مسافة شاسعة من الصحراء دون ماء ، والحقيقة أنه من خلال الدراسات تم التوصل إلى أن الجراد يقوم بهضم السليولوز (Cellu-lose) الذى يعثر عليه فى الأدغال اليابسة ويحلله إلى مادة دهنية تحتوى على الهيدروجين ، وعندما تدخل تلك الدهنيات فى الدم ، وتحدث عملية الاحتراق بواسطة الأوكسجين خلال الطيران ، يتحرر ماء بمعدل (١٠) ملليجرامات من كل (٧) ملليجرامات دهون . وهذا يسمى فيزيولوجيا « الماء الأيضى » (Metabolic wa-ter) وهذه عملية تدل على المرونة الفيزيولوجية لهذا النوع من الجراد ، فقد واجه اختفاء الماء فى الصحراء بإنتاج ما يحتاج إليه بطريقة كيميائية .

وبعد ، فهذه كانت محاولة متواضعة لإجلاء وجه من وجوه الإعجاز العلمى لآية قرآنية ، شبه الله فيها انتشار الناس يوم البعث وتحركهم نحو ربهم للعرض عليه ، بالجراد فى انتشاره وتحرك أسرابه وتقدمها فى أجواء الفضاء ، وهى صورة تشبيهية لتقريب المقصود ، كما أننا قدمنا للقارىء جرعة علمية تناسب الهدف من المقال .

والله سبحانه أعلى وأعلم .

---

٣ ـ هو أحد أنواع أربعة شهيرة فى قارة أفريقيا الآن .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

خلق المسلم

أحب الله

خلوج المسلم

رشاد محمد يوسف

لانى مسلم اهوى المعالى
واعشقُ كل افكار مضيئه
لانى مسلم تجتاح قلبى
احاسيسُ مطهرة جريئه
وياسرنى التالف والتاخى
وكل مشاعر الود الدفينه
فقلبى بالتسامح فى امان
ونفسى من سعادتها مليئه
وعينى لا ترى إلا جميلاً
وتسعدها رؤى الحسن البريئه
واسمو بالتعفف والتسامى
عن الشيم الدنيئات الرديئه
واملك فى صراع الشر نفسى
واصفح عن عداوات مسيئه
واكظم غيظ قلبى فى اصطبار
واحفظ عند غضبته هدوءه

لانى مسلم لا وقت عندى
ابدده باوكار الخطيئه
واهوى الحسن وضاء جميلاً
تنسقه يد الله الوضيئه
وخطوى دائما للخير يسعى
ذهابا فى مضاربه وجيئه
والاستغفار يجلو غيم قلبى
ويمحو كل افكار دنيئه

لانى مسلم عاهدتُ ربى
على فعل المكارم والمروءه
وإن طال المدى يشتد عزمى
يواجه كل خطب او رزيئه
وإن طال الدجى فالفجر يدنو
وارقب فى دجى ليلى مجيئه
لانى مسلم ترتاح نفسى
إلى دنيا العبادات الهنيئه
واحيا يغمر الإيمان قلبى
بقرآن وآيات مضيئه
وادرك ان ناصيتى وامرى
وقصة رحلتى رهن المشيئه

أحب الله

رفعت عبدالوهاب المرصفى

احب الله فى الشفق   احب الله فى الغسق
احب الله فى الإظلام   فى الإصباح فى الألق
احب الله فى الأفلاك   فى تسبيحة الأفق
احب الله فى نفس   بدايتها من العلق
احب الله فى جذع   يهيجُ باروع الورق
احب الله فى أمنى   وفى خوفى وفى قلقى
احب الله فى نفسى   وفى حسنى وفى نسقى
احب الله عن ورع   يقينى فتنة الغرق
فحب الله فواح   بكل العطر والعبق
وحب الله فى الكون   بشير الخير والغدق
بربى ... لا هوى يسمو   لحب الآخذ المبقى

للأستاذ

عبدالحفيظ محمد عبدالحليم الخطيب

طرائف ومواقف

« راع نفسك »

قال حاتم الأصم :

راع نفسك فى ثلاثة أوقات :

إذا عملت بالجوارح فاذكر نظر الله إليك .

وإذا قلت بلسانك فاذكر سمع الله لك .

وإذا كنت ساكتاً فاذكر علم الله فيك .

لأنه قال - تعالى - : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ الآية (٤٦) سورة طه .

« جالسوا »

من تذكركم بالله رؤيته .

ويزيد فى علمكم منطقه .

ويرغبكم فى الآخرة عمله .

« لأن يكون »

قال سعيد بن عروة :

لأن يكون لى نصف وجه ، ونصف لسان على مافيهما من قبح المنظر وعجز المخبر ، أحب إلىّ من أن أكون ذا وجهين ، وذا لسانين ، وذا قولين مختلفين .

« حقا »

السلطان فى نفسه إمام متبوع ، وفى سيرته دين مشروع ؛ فإن ظلم لم يعدل أحد فى حكم ، وإن عدل لم يجرؤ أحد على ظلم .

« حقيقة »

هى الأيام والغير
وأمر الله منتظر
اتيأس أن ترى فرجاً
فأين الله والقدر

« قالوا .... »

● أعظم الأغنياء من اغتم لغم الفقراء ، وأفضل الفقراء الذى لايتعلق بذيل الأغنياء .

● رحمة الظالمين ظلم الصالحين ، والعفو عن الباغين جور على المساكين .

● لاترحم عجز العدو وإن سالمك ؛ لأنه متى صار قادراً لن يرحمك .

● لو كانت كل الليالى ليلة القدر لما كان لليلة القدر قدر .

● كل ماتدرى بأنك ستعلمه البتة ، فلا تعجل بالسؤال عنه بغتة .

« دعاء »

اللهم أنت ثقتى فى كل كرب ، ورجائي فى كل شدة ، وأنت لى فى كل أمر نزل بى ثقة وعدة .

كم من هم يضعف الفؤاد ، ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك ، ففرجته وكشفته ، فأنت ولى كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل رغبة .

اللغة والأدب والنقد

من ملامح المنهج العلمي

ديوان شعر جابر بن حُنَي التغلبي

السمات العامة لأسلوب الرافعي

من ملامح المنهج العلمى

فى الصاحبى لابن فارس*

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .. اما بعد :

فيعد ابن فارس من العلماء المنهجيين الذين وضعوا نصب اعينهم منهجاً علمياً ساروا عليه ، والتزموا به فى كتاباتهم حتى وصلوا إلى بر الأمان . من دون ان تعصف بهم الأنواء ، او تتعثر امامهم طرق البحث العلمى على الرغم من ضخامة الموضوعات التى عرضوا إليها فى مؤلفاتهم ، بل وتقاربها ، واحمد بن فارس فى كتابه الصاحبى ـ الذى نحن بصدد الحديث عن منهجه ـ نجده قد نظم مباحثه العديدة فى تسلسل موضوعى فريد ، كل مبحث يسلمك إلى آخر متصل به ، ومرتبط بما يليه كانه العقد المنظوم فى اجمل صوره ، وابهى محاسنه . آخذاً فى اعتباره موضوعية البحث وحيدته لتكون النتائج سليمة والاحكام سديدة .

ونحن هنا فى هذا البحث نود أن نعرض لمنهج ابن فارس فى كتابه الصاحبى نبرز أهم الملامح التى توضح هذا المنهج ، وترسم صورته ، علها تكون نموذجاً يحتذى فيما نقوم به من أعمال علمية ـ ولاسيما ـ ان اهم هذه الملامح مستهدفة فى البحث العلمى المعاصر ـ كما أن تحديد صورة هذا المنهج تعطى ـ للقارىء ـ فكرة عامة عن الكتاب ، وعن الجهد الذى بذله علماؤنا الأوائل فى تصانيفهم وتآليفهم ، ومدى ما وصلوا إليه من دقة وعمق وخبرة ، وتأصيل للمواد العلمية ، كل فى مجال مابذَّ فيه وبرع .

وقبل أن ندخل فى تفصيل ماعزمنا عليه ، وحشدنا له الهمم ، نترك لابن فارس أن يميط اللثام عن موضوع الكتاب ، وهدفه الذى كان من اجله ، ورسم صورة المنهج كما ارتآها . وذلك من خلال مقدمة الكتاب التى أبان فيها عن كل ما يتناوله فيه ، ولما كانت تلك المقدمة من الأهمية بمكان وجدنا الإمام السيوطى ذا الباع الطويل فى دراسة اللغة العربية ومسائلها ينقلها بأكملها ، ويصدر بها كتابه المزهر فى علوم اللغة .

(*) هو ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا احد ائمة اللغة المبرزين فى القرن الرابع الهجرى . انظر معجم الادباء ٤/٨٣ وانباه الرواة/٩٥ ، وفيات الاعيان ١/٧٥ وراجع مقالنا بمجلة سوهاج ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية العدد الرابع/٤٨٠ .

د . محمد السيد عطية بكر**

يقول ابن فارس : « إن لعلم[1] العرب أصلاً وفرعاً ، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات ، كقولنا : رجل وفرس ، وطويل وقصير ، وهذا هو الذى يبدأ به عند التعلم .

وأما الأصل : فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها ، ثم على رسوم العرب فى مخاطباتها . وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً . والناس فى ذلك رجلان . رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره ، وآخر جمع الأمرين معاً ، وهذه هى الرتبة العليا لأن بها يعلم خطاب القرآن والسنة وعليها يعول أهل النظر والفتيا وذلك أن طلب العلم العلوى يكتفى من أسماء الطويل باسم الطويل ، ولا يضيره أن لا يعرف الأشق والأمق[2] ، وإن كان فى علم ذلك زيادة فضل . وإنما يضيره خفاء ذلك عليه لأنه لا يكاد يجد منه فى كتاب الله جل ثناؤه شيئاً فيحوج إلى علمه ويقل مثله أيضاً فى ألفاظ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ كانت ألفاظه ـ صلى الله عليه وسلم ـ هى السهلة العذبة . ولو أنه لم يعلم توسع العرب فى مخاطباتها لعىّ بكثير من علم محكم الكتاب والسنة الا تسمع قول الله جل ثناؤه ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[3] إلى آخر الآية ؟..

فسر هذه الآية فى نظمها لا يكون بمعرفة غريب اللغة والوحى من الكلام ، وإنما معرفته بغير ذلك مما لعل كتابنا هذا يأتى على أكثره بعون الله تعالى ، والفرق بين معرفة الفروع ومعرفة الأصول : أن متوسماً بالأدب لو سئل عن الجزم[4] والتسويد[5] فى علاج النوق : فتوقف اوعىّ به أو لم يعرفه ـ لم ينقصه ذلك عند أهل المعرفة نقصاً شائناً لأن كلام العرب أكثر من أن يحصى .

ولو قيل له : هل تتكلم العرب فى النفى بما لا تتكلم به فى الإثبات ؟ ثم لم يعلمه لنقص ذلك فى شريعة الأدب عند أهل الأدب . لا أن ذلك يردى دينه أو يجره لمأثم .

كما أن متوسماً بالنحو لو سئل عن قول القائل :

لِهنَّكِ من عَبسِيَّةٍ لَوسِيمَةٌ
على هَنَواتٍ كاذبٌ مَنْ يَقُولُها[6]

فتوقف او فكر او استمهل لكان أمره فى ذلك عند أهل الفضل هينا ، لكن لو قيل له مكان

** الباحث : مدرس أصول اللغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

(١) يستهل ابن فارس المقدمة بالحديث عن موضوعات الكتاب فى صورة مجملة تحتاج إلى تفصيل على ما سنبينه فى موضعه من هذا البحث إن شاء الله .

(٢) الأشق : الطويل من الرجال والخيل . والاسم : الشقق والأنثى : شقاء والأمق : الطويل عامة أو البالغ الطول فى دقة اللسان : شق ـ مق .

(٣) الآية (٥٢) الأنعام .

(٤) الجَزم : شىء يدخل فى حياء الناقة لتحسبه ولدها فترامه . اللسان : جزم .

(٥) سوّد الإبل تسويداً : إذا دق المسح (الكساء) البالى من شعر فداوى به أدبارها . اللسان : سود .

(٦) قوله : لَهنك بفتح اللام وكسر الهاء تستعمل عند التوكيد وأصله لأنك فأبدلوا الهمزة هاء كما قالوا فى إياك : هياك . والوسيمة : الجميلة . والهنوات : الفعلات القبيحة جمع هنة وهو ما يستهجن التصريح بذكره . والبيت فى اللسان : هنا غير منسوب .

من ملامح المنهج العلمى

(لِهنَّكَ) : ما أصل القسم ؟ وكم حروفه ؟ وما الحروف الخمسة المشبهة بالأفعال التى يكون الاسم بعدها منصوباً وخبره مرفوعاً ؟ فلم يجب ؟ لحكم عليه بأنه لم يشام صناعة النحو قط .

فهذا الفصل بين الأمرين . والذى جمعناه فى مؤلفنا هذا مفرق فى أصناف العلماء المتقدمين ممن رضى الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء .

وإنما لنا فيه اختصار مبسوط ، أو بسط مختصر ، أو شرح مشكل أو جمع متفرق[٧] .

بعد هذا البيان الضافى الذى قدم به ابن فارس كتابه نبدأ وبالله التوفيق ـ فى شرح ملامح منهجه مبتدئين بالحديث عن موضوعات الكتاب .

أولاً : **موضوعات الكتاب** : ويمكن تصنيفها على النحو التالى :

١ ـ **اللغويات** : وقد تناول فى هذه المباحث القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح[٨] ؟ والقول : فى أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها[٩] وأن : كلام العرب لا يحيط به إلا نبى[١٠] . والقول : فى حاجة أهل الفقه والفُتيا إلى معرفة اللغة العربية[١١] . والقول على لغة العرب هل لها قياس ؟ وهل يشتق بعض الكلام من بعض[١٢] . ثم عرض إلى باب الأسباب الإسلامية وما لحق لغتنا من تطور بعد مجىء الإسلام[١٣] . وإجماع العلماء على أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة[١٤] . وتناول لهجات العرب المختلفة[١٥] وبيان فصيحها ومذمومها[١٦] . ووجوه اختلافها . والقول بأن القرآن نزل بلغة العرب[١٧] إلى غير ذلك من المباحث المهمة التى تعد من صلب فقه اللغة .

٢ ـ **النحويات والصرفيات** : وفى هذه المباحث يعرض ابن فارس إلى مسائل نحوية وصرفية كثيرة فيبدأ ببيان حقيقة الكلام[١٨] وأقسامه ، متناولاً الحديث عن كل قسم ، ثم تحدث عن النعت[١٩] واللقب[٢٠] ، والحروف[٢١] ، ودخول ألف التعريف ولامه فى الأسماء[٢٢] إلى غير ذلك من مباحث استغرقت ثلث الكتاب تقريباً .

ومباحث النحو تختلط عنده بمباحث الصرف فنراه يعرض للحروف فيذكرها مرتبة ترتيباً هجائياً مبيناً ما يحدث فيها من إعلال أو إبدال أو زيادة أو حذف ويذكر غير ذلك أبواب : معانى الأفعال فى الأغلب الأكثر ـ البناء الدال على الكثرة ـ الأبنية الدالة فى الأغلب الأكثر على معان وقد تختلف ـ أفعل فى الأوصاف لا يراد به التفضيل من ألفاظ الجمع والواحد والاثنين .. إلخ[٢٣] ، وما هو منهجه يستشهد بالقرآن

---

(٧) الصاحبى ٣ : ٥ .
(٨) الصاحبى/٦٠ .
(٩) نفسه/١٦ .
(١٠) نفسه/٢٦ .
(١١) نفسه/٥٠ .
(١٢) نفسه/٥٧ .
(١٣) نفسه/٧٨ ، وانظر مقالتنا فى مجلة سوهاج العدد السابق/٤٩٥ .
(١٤) الصاحبى/٢٣ .
(١٥) نفسه/٣٨ .
(١٦) نفسه/٣٥ .
(١٧) نفسه/٤١ .
(١٨) نفسه/٨٧ .
(١٩) المصدر السابق/٩٨ .
(٢٠) نفسه/٢٠٨ .
(٢١) نفسه/١٢٣ .
(٢٢) الصاحبى/١٢٥ .
(٢٣) راجع فقه العربية تمهيد فى التاريخ والتأليف/٣٥ ، ٣٦ .

والحديث والشعر فى كل ما يأتى به من أحكام وآراء .

٣ ـ **البلاغة** : ويتناول ابن فارس فى كتابه موضوعات شتى فى فنون البلاغة : كباب الخبر والإنشاء[٢٤] . من أمر ونهى وتمن واستفهام وباب الحقيقة والمجاز[٢٥] . والاستعارة والكناية[٢٦] . والإطناب والإيجاز والتقديم والتأخير والاعتراض والإيماء[٢٧] .. إلخ ..

وهذه المباحث البلاغية كان يبدؤها عادة بقوله : ومن سنن العرب أو العرب تقول أو تفعل . وقد عنى بعلمى المعانى والبيان باعتبارهما من أهم علوم البلاغة ومن أكثرهما استعمالاً واستخداماً فى الأساليب العربية . ومع ذلك لم يغفل علم البديع وما له من جمال يزين التركيب وتجمل به العبارة مثل : المحاذاة[٢٨] .

والجزاء على الفعل بمثل لفظه[٢٩] وإخراجهم الشىء المحمود بلفظ يوهم غير ذلك[٣٠] ، والإفراط[٣١] ... إلخ .

٤ ـ **اللغة والدلالة** : ويراد باللغة ما يتصل بالعلاقة بين اللفظ المفرد والمعنى تطبيقاً ، وبالدلالة ما يتصل بذلك بحثاً وما يدور حول دلالة التراكيب خارج مباحث علم البلاغة ويشمل ذلك : التضاد والترادف والاشتراك وما يعرض للفظ من عموم أو خصوص ، وإطلاق أو تقييد ، وما يكون من ذكر لمعانى ألفاظ عرض لكل هذا فى أبواب : أجناس الأسماء ـ ما جرى مجرى الأسماء وإنما هى ألقاب ـ الأسماء كيف تقع على المسميات ـ الخطاب الذى يقع به الإفهام من القائل والفهم من السامع ـ الخطاب الذى يأتى بلفظ المذكر أو الجماعة الذكران ـ أقل عدد الجمع ـ الخطاب المطلق والمقيد ـ أجناس الكلام فى الاتفاق والافتراق ـ العموم والخصوص ...... إلخ ومن دلالة التراكيب : الشرط ـ الاشتراك ـ الفصل بين الفعل والنعت ويدخل فى اللغة والدلالة كل موطن شرح فيه معانى الألفاظ[٣٢] .

٥ ـ **مباحث أصولية** : ونعنى بها المباحث التى تناولها علماء أصول الفقه وعرض لها أو لبعضها المفسرون أحياناً دون علماء اللغة لأنها لا توجد إلا فى القرآن الكريم . وقد ذكرها ابن فارس فى أبواب : القول فى الاحتجاج باللغة العربية[٣٣] ـ من النظم الذى جاء فى القرآن (الاقتصاص)[٣٤] ـ الأمر المحتاج إلى بيان وبيانه متصل به[٣٥] ـ ما يكون بيانه مضمراً فيه[٣٦] . وقال عنه هو الذى يسمى فى سنن العرب الكف ـ ما يكون بيانه منفصلاً عنه ويجىء فى الصورة معها أو فى غيرها[٣٧] .

د . محمد السيد عطية بكر

(٢٤) الصاحبى/٢٩٢ .
(٢٥) نفسه/٣٢١ .
(٢٦) نفسه/٣٣٤ ، ٤٣٩ .
(٢٧) نفسه/ ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٦ .
(٢٨) نفسه/٣٨٤ .
(٢٩) نفسه/٣٨٥ .
(٣٠) الصاحبى/٤٥٢ .
(٣١) نفسه/٤٥٣ .

(٣٢) انظر فى هذه المباحث الصاحبى على الترتيب صفحات/١٠٨ ، ١١٤ ، ١٠٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٦ ، ٣٢٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٤٥٦ ، ٤٦٣ وقارن بفقه العربية ٣٦ ، ٣٧ .
(٣٣) الصاحبى/٤٩ .
(٣٤) نفسه/٣٩٨ .
(٣٥) نفسه/٤٠٠ .
(٣٦) نفسه/٤٠١ .
(٣٧) نفسه/٤٠٢ وقارن بفقه العربية/٦٦ .

أبو سفيان بن الحارث

«بقية»

رسول الله في صدره وقال : أنت طردتني كل مطرد ؟ وفي رواية قال له : «بل نحن طرَّدناكم» .

وما إن أسلم وحسن إسلامه حتى كان من جند الرحمن ، فشهد مع رسول الله فتح مكة ويوم حنين وحصار الطائف هو وابنه جعفر ، وثبتا معه حين انكشف الناس ، وكان آخذا بلجام بغلة رسول الله ﷺ ، فلما انجلت الغبرة سأل رسول الله «من هذا» ؟

قال : أخوك أبو سفيان ، فرضي عنه .

وقال : «قد أعقبني الله من حمزة أبا سفيان بن الحارث» ، فكان يقال لأبي سفيان بعد ذلك أسد الله وأسد الرسول وأطلق لشعره العنان فقال أشعارا كثيرة في يوم حنين ، وكان مما قال :

لقد علمتْ أفناء كعب وعامر
غداةَ حنين حين عمَّ التَّضَعْضُعُ

بأني أخو الهيجاءِ أركَبُ حدها
أمام رسول الله لا أتتعتع

رجاء ثواب الله والله واسع
إليه تعالى كل أمر سيرجع

ويحكى عنه أنه كان يصلي في الصيف بنصف النهار حتى تكره الصلاة ، ثم يصلي من الظهر إلى العصر ، فلقيه علي بن أبي طالب ذات يوم وقد انصرف قبل أوانه فقال له : مالك انصرفت اليوم قبل حينك الذي كنت تنصرف فيه ؟ فقال : أتيت عثمان بن عفان فخطبت إليه ابنته فلم يُحِر إلي شيئا ، فقعدت ساعة فلم يحر إلي شيئا .

فقال علي : أنا أزوجك أقرب منها ، فزوجه ابنته (علي بن عمه) ثم حج عاما فحلقه الحلاق بمنى وفي رأسه ثؤلول (خراج صغير) فقطعه الحلاق فمات ، فكانوا يرون أنه شهيد ، ويرجون له الجنة .

قالوا : مات أبو سفيان بن الحارث بعد أخيه نوفل بن الحارث بأربعة أشهر إلا ثلاث عشرة ليلة سنة عشرين من الهجرة . وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفن في ركن دار عقيل بن أبي طالب .

رحمه الله فقد قال لأهله قرب وفاته : لا تبكوا علي فإني لم أَتَنَطَّفْ بخطيئة منذ أسلمت .

وهكذا كانوا حين يؤمنون ويسلمون .

السيد حسن قرون

ديوان شعر

جابر بن حُنَيّ التغلبي

جمع وتحقيق

أيمن محمد على ميدان (*)

قبيلة تغلب :

ينتمي « جابر بن حُنَيّ التغلبي » إلى قبيلة « تغلب » التي تُنْسَبُ إلى « تغلب بن وائل بن قاسط بن هِنْب[1] بن أفصى بن دُعْمِي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان »[2] والنسبة إليه « تغلب » بفتح اللام استيحاشاً لتوالى الكسرتين مع ياء النسب ، وربما قالوه بالكسر لأن فيه حرفين مكسورين »[3] . ويطلق عليها الغَلْبَاء ، قال الشاعر :

وأورثنى بنو الغلباء مجْداً
حَديثا بعد مجدهم القديم[4]

كانت قبيلة « تغلب » قبيلة عُدَّت من « رضفات العرب »[5] ، اتسمت خلال تاريخها الحافل الطويل بسلطان مرهوب ومكانة سامقة بين القبائل العربية فى الجاهلية ، تجلت خلاله كقوة متماسكة ، فقد كانوا « أظهر الناس عدة وسلاحا وخيلاً ورجالاً »[6] . ولقد بلغت تغلب من القوة والبأس مبلغاً عظيماً دفع القدماء إلى أن يقرروا أنه « لو أبطأ الإسلام قليلاً ؛ لأكلت بنو تغلب الناس »[7] .

وقد عرفت قبيلة تغلب فى التاريخ العربى كقبيلة محاربة فى أكثر من موقع ، وأكثر من

(*) المحقق : معيد بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة ، ومحاضر بمركز تعليم العربية لغير الناطقين بها .

(1) هنب : ورد بكسر الهاء وتسكين النون فى جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٢ ولسان العرب (غلب) وورد بفتح الهاء وتسكين النون فى : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٣٦٩ .

(2) جمهرة أنساب العرب ٣٠٢ واللباب فى تحرير الأنساب ١/٢١٧ ـ ٢١٨ .

(3) لسان العرب (غلب) .

(4) لسان العرب (غلب) .

(5) المُحَبَّر ص ٢٣٤ .

(6) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٣٦٩ .

(7) المصدر السابق ٣٦٩ .

اتجاه ، بمفردها حينا ، أو مع حلفائها في كثير من الأحيان .

عرفت بحربها الطويلة مع أبناء عمومتهم « قبيلة بكر » ، واشتهرت بحرب البسوس[8] ، التي دامت اربعين عاما . ومن ايامها : يوم السُّلَّان[9] ، ويوم خَزازى[10] ، ويوم الكُلَاب الأول[11] ، ويوم ذي بُهْدى[12] ، ويوم إراب[13] ، ويوم الأراقم[14] ، ويوم زَرُود[15] ، ويوم مقتل عمرو بن هند[16] ، ويوم سَفار[17] ....إلخ .

ولقد أنجبت تغلب كثيراً من السادة الأشراف الذين كان لهم دور بارز في حروبهم المستمرة ، وسيادتهم الراسخة على (مَعَدّ) مثل كليب وابيه ربيعة « الذي قاد مضر وقضاعة وربيعة يوم السلان إلى اليمن »[18] والهُذَيْل بن هُبَيْرة الذي اطلقت عليه العرب لفظة « جَرَّار » ولم يكن الرجل يُسَمَّى جرارا حتى يراس الفا »[19] ، وعامر بن جُشَم و« كان أَوَّل من ورَّث البنات في الجاهلية ، فأعطى الابن سهمين والبنت سهماً .... وكانوا لا يورثون البنات ولا النساء ولا الصبيان شيئاً من الميراث إلا من حاز الغنيمة وقاتل على ظهور الخيل »[20] .

ومنهم امرؤ القيس بن أَبَان بن كعب بن زُهَير بن جشم الذي عُدَّ من « حُكَّام العرب »[21] قتله الحارث بن عباد يوم قضة بابنه بُجَير - أو ابن أخيه - على خلاف بين الرواة .

ومنهم أبو حنش التغلبي قاتل شرحبيل الملك يوم الكلاب الأول ، وابو أجَأ وذو السُّنَيْنَة[22] ....إلخ .

كما انجبت تغلب كثيراً من الشعراء الكبار أصحاب الصوت المتميز والإحساس الصادق المتدفق كعمرو بن كلثوم ومهلهل والأخنس بن شهاب وجابر بن حُنَي وعميرة بن جعل وسليمى بنت مهلهل وأفنون التغلبي وابو اللحام[23] ....إلخ .

ديانتها :

كانت تغلب وثنية الديانة ، شأنها شأن الكثير

---

(8) انظر : الاشتقاق ٢٥٨ والعقد الفريد ٥/٢١٩ والكامل في التاريخ ١/٣٢٢ ، وكتاب بكر وتغلب ٣٠ ومابعدها والأغاني (ساس) ٤/١٤٠ ومابعدها وتهذيب إصلاح المنطق ٤٣٥ وشرح سقط الزند ١٦٤٢ وفصل المقال ٢٩٠ - ٢٩١ .

(9) العمدة ٢/٢١٢ .

(10) انظر : العقد الفريد ٦/٨٤ والعمدة ٢/٢١٢ ونقائض جرير والفرزدق ١٠٩٤ .

(11) انظر شرح ديوان المفضليات للانبارى ٤٢٧ - ٤٤٠ ونقائض جرير والفرزدق ٤٥٣ - ٤٦١ ، والعمدة ٢/٢٠٦ ونقائض جرير والفرزدق ٤٥٣ - ٤٦١ والأغاني (التقدم) ١١/١٠ - ٦٣ .

(12) انظر : نقائض جرير والأخطل ٢١٤ وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٣/٣٧ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٠٢٧ والعمدة ٢/١٢٤ واليرصان والعرجان والعميان ... ص ٥٥٧ ومعجم البلدان « ذى بهدى » .

(13) العقد الفريد ٦/٨٠ ونقائض جرير والفرزدق ٤٧٤ ونقائض جرير والأخطل ٧٨ - ٧٩ والعمدة ٢/٢٠ .

(14) الإكليل ١/٩١ - ٩٣ وشعر همدان في الجاهلية والإسلام (اطروحة ماجستير) ص ٤٦ .

(15) العقد الفريد ٦/٤٢ ونوادر ابى زيد ١٥٣ والعمدة ٢/٢١٦ ومعجم ما استعجم ٢/٦٩٧ وأنساب الخيل ٨٤ وخزانة الأدب ١/١٨٧ ، ٢/٢٤٥ .

(16) نقائض جرير والفرزدق ٨٨٤ والكامل في التاريخ ١/٣٢٠ وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٣٦٩ وأيام العرب لأبي عبيدة معمر بن المثنى (رسالة دكتوراه) ١/٥٢٦ .

(17) نقائض جرير والأخطل ٩٥ ونقائض جرير والفرزدق ٧٨٢ ولسان العرب (سفر) .

(18) المُحَبَّر ٢٤٩ .

(19) المُحَبَّر ٢٠٥ .

(20) المحبر ٣٢٤ .

(21) المحبر ١٣٥ .

(22) شرح المفضليات للانبارى ٤٣١ .

(23) انظر رسالتنا للماجستير « شعر تغلب في الجاهلية ، جمع وتحقيق ودراسة » .

من القبائل العربية آنذاك ، فقد كانت تعبد ـ مثل بكر ـ الإله أَوَال او أُوَال »[٢٤] ثم اعتنقت النصرانية بعد يوم خُزازى[٢٥] او فى بداية القرن الرابع الميلادى[٢٦] . ويرى مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية « أن تغلب اتصلت بجيرانها من النصارى فتسربت النصرانية إليهم قبل الإسلام بزمن ليس بالكثير »[٢٧] .

وظلت مسيحية الديانة حتى عهد « عمر بن الخطاب »[٢٨] . ويذهب « بلا شير » إلى انها « ظلت على دين المسيح حتى أواخر القرن الثانى للهجرة ، الثامن للميلاد »[٢٩] وهو رأى لا يلقى أى قبول ، لأنه لا يستند على دليل تاريخى .

جابر بن حُنَىّ التغلبىّ(*)

نسبه :

جابر بن حنى بن حارثة بن عمرو بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب بن وائل . شاعر جاهلى قديم ، كان صديقاً لامرىء القيس ، وكان معه لما لبس الحُلَّة المسمومة التى بعثها له قيصر ، دون أنقرة بيوم ، فتناثر منها لحمه وتفطر جسده ، وكان جابر يحمله ففى ذلك يقول امرؤ القيس :

فإمَّا تَرَينى فى رِحَالَةِ جابـرٍ
على حَرَجٍ كالقَرِّ تخفقُ أكْفانى

وقد ذكر المرزبانى فى معجم الشعراء ٢٠٦ ـ ٢٠٧ البيتين ٢٠ ، ١٥ من هذه القصيدة ـ أى المفضلية ـ ومعها ثالث فى ترجمة (عمرو بن حنى التغلبى) الفارس الجاهلى المذكور . وذكر أن هذا فى رواية محمد بن داود ثم قال : « وابو عبيدة وغيره يروون هذه الأبيات لجابر بن حنى التغلبى » . وسمى فى الأصمعية ٣١ باسم « عمرو بن حنى » بخط الشنقيطى . وسماه الجاحظ فى الحيوان « جابر بن حنى » وذكر له البيت ١٧ فى ٣٢٧/١ ، وذكر له ابياتا اخر فى ١٣٥/٣ ونحن نرجح أن عمرو بن حنى هو جابر ابن حنى ، وأن يكون محمد بن داود أخطأ هو ومن تبعه فى اسمه .

اما أولاً : فلأن المرزبانى لم يجزم باسم « عمرو » بل أحال تبعته إلى محمد بن داود .

وأما ثانيا : فانا لم نجد ترجمة ولا ذكرا لعمرو هذا ، ولو كان فارسا مذكورا معروفا كما زعم لذكر فى كثير من المصادر أو بعضها . نعم ، قد ذكره المبرد فى الكامل (٥٩٤/٢ من طبعة الحلبى بتحقيق احمد محمد شاكر) باسم « عمرو بن حيى » بياءين ، وذكر بحاشية إحدى مخطوطاته الصحيحة « هو جابر بن حيى » بياءين فخطأ أيضا . صوابه « حنى » بضم الحاء وفتح النون وتشديد الياء كما هو ثابت فى الأصول الصحيحة من المفضليات ، وكما فى القاموس وغيره . وقد نص على تصويبه أيضا العلامة المرصفى فى شرح الكامل ٢٢٣/٥ .

وممن أخطأ فى اسم أبيه الأستاذ حسن السندوبى فى شرح ديوان امرىء القيس ١٤٢ فسماه « يحيى » والأستاذ محمد صالح سمك فى كتاب أمير الشعر ١٣٩ فسماه « حنا » !! .

وقد زعم لويس شيخو فى شعراءالجاهلية ١٨٨ أن جابر بن حنى كان نصرانيا واستدل بالبيت ٢٢ من هذه القصيدة على أنَّهُ يفخر بنصرانيته ، وهو بهذا البيت أبعد مايكون عن النصرانية[٣٠] .

(٢٤) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٢/٩ .
(٢٥) المرأة فى الشعر الجاهلى ١٩ .
(٢٦) شعر النصرانية ١٨١/١ .
(٢٧) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٢/٩ .
(٢٨) المرأة فى الشعر الجاهلى ص ١٩ .
(٢٩) تاريخ الأدب العربى (بلاشير) ٢٨١ .
(٣٠) المفضليات ص ٢٠٨ . اوردنا ترجمة محققى المفضليات لأنها أوفى ترجمة .

ديوان شعر

توفي جابر بعد حروب كلاب بزمان نحو سنة ٥٦٤م[٣١] . وذهب الزركلي إلا انه توفي عام (٦٠ق - هـ - ٥٦٠ م)[٣٢] .

وأنا لا أزعم أنى استقصيت شعر جابر بن حنى كله ، فهذا أمر مطلبه عسير وبلوغه مطمح يدخل بنا فى دائرة المستحيل ؛ فقديما قال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير »[٣٣] .

وقال ابن قُتَيْبَة : « والشعراء المعرّوفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم أكثر من أن يحيط بهم محيط ، أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنفد عمره فى التنقير عنهم ، واستفرغ مجهوده فى البحث والسؤال ، ولا أحسب أحداً من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته من تلك القبيلة شاعر إلا عرفه ، ولا قصيدة إلا رواها[٣٤] .

فإذا كانت تلك شهادة اثنين من علماء العربية البارزين ، وقد كانا قريبى عهد بالشعراء وثيقى الصلة ببيئاتهم !

وإذا كانت مؤلفاتهم التى جاءت ترجمة أمينة لما لمسوه من عجز عن الاستقصاء لم تصلنا كاملة ، حيث ضاع منها ماضاع ، وضل طريقه منها ماضل !

وإذا كانت قدراتنا البشرية المحدودة تحول دون الاطلاع على كل ماوصلنا من تراثهم مطبوعا كان أم مخطوطاً .. فإنه يثبت لدينا - بمالا يدع مجالاً للشك - أن الشعر الذى توصلت إليه جزء قليل من كم شعرى ضخم عدت عليه عوادى الزمان ، وابتلعته رمال الصحراء كما التهمت أشلاء مُبْدِعِيه ، وارتوت بدماء حملته وناقليه .

هذا ولقد توفر لدى مايشير إلى تلك الظاهرة ويؤكد حدوثها ، فوجود (المقطوعات) بين المنتج الشعرى يدل دلالة قاطعة على أن هذه المقطوعات نزعت من قصائد مطولة ضلت طريقها ولم تصلنا بعد ، فالمعانى فيها تبدو ناقصة مبتورة جيء بها لتناسب طبيعة مصنف أو تتفق ومزاج رَاوٍ .

وعليه فإن كنتُ قد علمتُ بعض الأشياء عن « جابر بن حنى » فقد غابت عنى أشياء كثيرة ، وإن كنت قد استطعت استكشاف بعض الآفاق فإن ثمة آفاقا أخرى أوسع وأرحب لم ارتدها بعد . وفى نقدات أساتذتى وزملائى الباحثين مايرشدنى - بإذن الله - إلى سد ثغرة أو إصلاح ثلمة .

"أيمن محمد ميدان"

قال جابر بن حنى التغلبى[١] « الطويل »

(١) وَلَسْنَا كَأَقْوَامٍ قَرِيبٍ مَحَلُّهُمْ
وَلَسْنَا كَمَنْ يُرْضِيكُمْ بِالتَّمَلُّقِ

(٢) فَسَائِلْ شُرَحْبِيلاً بِنَا وَمُحلِّما
غَدَاةَ نَكُرُّ الْخَيْلَ فِى كُلِّ خَنْدَقِ

---

(٣١) شعراء النصرانية ١/١٩٠ .
(٣٢) الاعلام ٢/٩٠
(٣٣) طبقات فحول الشعراء ١/٢٥ .
(٣٤) الشعر والشعراء ١/٤ .
الحيوان ٣/١٣٥

(١) التملق : الموارية والمداهنة . ورد البيت برواية ثانية فى ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٠٥ ، ونسب إلى « رجل يرثى حُنياً التغلبى لما قتل عمرو بن كلثوم عمرو بن هند » .
لسنا ــــــ ــــــ يرضونكم ــــــ

والبيت برواية (ديوان عمرو) حدث فيه « خرم » على حد تعبير العروضيين .

(٢) شرحبيل بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر بن أكل المرار الكندى ، والذى ولاه أبوه على بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبنى زيد بن تميم وبنى أُسَيِّد وطوائف من بنى عمرو بن تميم والرباب .. وقتله أبو حنش التغلبى يوم الكلاب الأول .

ورد البيت برواية ثانية فى ديوان عمرو ص ٦٠٥ منسوبا لرجل يرثى حُنَيا التغلبى :
ــــــ شراحيلا ــــــ ــــــ تكرُّ الخَيْلُ ــــــ

(٣) لَعَمْرِكَ مَاعَمْرُو بنُ هِنْدٍ وَقَدْ دَعَا
لِتَخْدِمَ لَيْلَى أُمَّهُ بِمُوَفَّقِ

(٤) فَقَامَ ابنُ كُلْثُومٍ إلى السَّيفِ مُغْضَبًا
فَأَمْسَكَ مِنْ نَدْمَانِهِ بِالْمُخَنَّقِ

(٥) وَعَمَّمَهُ عَمْداًعلى الراسِ ضَرْبَةً
بِذى شُطَبٍ صافى الحَديدَةِ مُخْفَقِ

وقال جَابِرَ بن حُنَيّ(*) «المتقارب»

أَجِدُوا النِّعَالَ لِأَقْدامِكُمْ
أَجِدُّوا فَوَيْهاً لَكُمْ جَرْوَلُ(١)

وَأَبْلِغْ سَلَامَانَ إنْ جِئْتَهَا
(فَلَايَكُ شِبْهاً لَهَا الْمِغْزَلُ)(٢)

يُكَسِّى الْأَنَامَ وَيُعْرِى اسْتَهُ
وَيَنْسَلُ مِنْ خَلْفِهِ الأَسفَلُ(٣)

(٣) عمرو بن هند : أمير الحيرة ، قتله عمرو بن كلثوم فى عقر داره ، وبين رهطه ورجاله . وليلى كانت ابنة فارس وزوجة فارس وام فارس ، فهى ابنة مهلهل وزوجة كلثوم بن عتّاب وام عمرو بن كلثوم أحد فُتّاك العرب . فقالت العرب « أفتك من عمرو » . ولقد بلغت ليلى من الجاه مبلغا عظيما دفع عمرو بن هند إلى أن يتخذ منها مدخلا للنكاية بتغلب ، فنال جزاء من تُسَوِّلُ له نفسه النيل من عِزّة تغلب .

ورد البيت برواية الحيوان فى : ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٠٥ وفى الكامل فى التاريخ ١/٥٤٩ منسوبا لأفنون التغلبى . وفى نقائض جرير والفرزدق ص ٨٨٦ منسوبا لأفنون التغلبى . وفى الأغانى ١١/٥٥ منسوبا لأفنون . وعلق المحقق فى الهامش قائلا : « فى أصول الأغانى « لتخدم أُمّى أمَّهُ » والتصويب من النقائض » .

وورد البيت برواية ثانية فى : الشعر والشعراء ١/٤١٩ منسوبا لأفنون التغلبى :

ـــــــــــ إذَا دَعَا
لِتَخْدِمَ أُمّى أمَّهُ بِمُوَفَّقِ

(٤) مُغْضَباً : ثائرا.والندمان : رفيق الشراب . والمخنق : موضع حبل الخنق من العنق .

ورد البيت برواية ثانية فى : الكامل لابن الأثير ١/٥٤٩ منسوبا لأفنون التغلبى :

ـــــــــــ مُصْلَتاً ـــــــــــ نَدْمَانِهِ ـــــــــــ

أَصْلَتَ السيف : جَرَّدَه من غمده فهو مُصْلَت بفتح اللام وكسرها .

وورد برواية ثالثة فى : النقائض ص ٨٨٦ ، وفى الأغانى ١١/٥٥ منسوبا لأفنون التغلبى :

ـــــــــــ مُصْلَتاً ـــــــــــ

(٥) عَمَّمَهُ : ضَرَبه فى موضع العمامة من الراس . وَشُطَبُ السيف : طرائقه فى مَتْنه من شدة بريقه ، والواحدة شطبة . والمخفق : العريض من السيوف ورد البيت برواية ثانية فى : الأغانى ١١/٥٥ منسوبا لأفنون التغلبى ، وفى النقائض ص ٨٨٦ منسوبا أيضا لأفنون :

وَجَلَّله عمرو ـــــــــــ رَوْنَقٍ

والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه .

وبرواية ثالثة فى ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٠٥ منسوبا لرجل يرثى حُنَيًّا التغلبى .

فَعَمَّمَهُ ـــــــــــ ـــــــــــ

(١) أجدوا النعال : اتخذوها جديدة . ويها : اسم فعل يُغْرَى به ، ولا يجىء إلا مُنَوَّنا.وذاك علامة لتنكيرة . جَرْوَل : جرول بن مجاشع وكان له عشرة بنين سماهم كلهم بأسماء الوحوش . وكان أجبن الناس مع منظره وهيئته .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : الحماسة لأبى تمام ٢/٢٠٠ ، وشرحها للتبريزى ٤/٢٣ . وشعراء النصرانية ١/١٩١ .

وبرواية ثانية فى : شرح الحماسة للمرزوقى ١٤٧١ :

ـــــــــــ بِأَقْدَامِكُمْ ـــــــــــ

(٢) سلامان : قبيلة من همدان . المِغْزل : ما تغزل به المرأة الصوف وغيره من الأنسجة ، وتميم تكسر الميم . وقيس تضمها ، أما فتحها فقليل نادر . قوله « فلايك شبها لها المغزل » هو الرسالة المرجو إبلاغها والمعنى : لا يكون سبيلكم سبيل من ينفع الغير ويضر نفسه كالمغزل الذى يكسو الخلق ، ويجعل استه عُرْيَان .

ورد البيت بروايته السابقة فى : الحماسة لأبى تمام ٢/٢٠١ ، وشرحها للمرزوقى ١٤٧١ ، وشرحها للتبريزى ٤/٢٣ ، وشعراء النصرانية ١/١٩١ .

(٣) يُكَسى : يغطى ويستر . الأنام : الخلق . يُعْرِى : يكشف . استه : مؤخرته . ينسل : من الانسلال وهو الخروج . ويعلق التبريزى : « سلامان كانت تقتحم أهوالاً غنمها يصير لغيرها ، وغرمها يكون لها فلذلك جعل المغزل مثلاً لها » .

● ورد البيت بالرواية السابقة فى : ديوان الحماسة لأبى تمام ٢/٢٠١ وشعراء النصرانية ١/١٩١ .

● وبرواية ثانية فى : شرح الحماسة للمرزوقى ١٤٧١ :

ـــــــــــ
ـــــــــــ مِن خَلْفِهِ ـــــــــــ

وعلّق قائلاً : أما قوله « وينسل من خلفه الأسفل » فإنّه كان يروى « من خلفه » بالفاء ، وليس يصح له معنى ، والمستقيم « من خلعه » الأسفل ، وذلك أن المغزل ينسل بأن يختلع كبته ، وهذا ظاهر » .

● وبرواية ثالثة فى : شرح الحماسة للتبريزى ٣/٢٣

ـــــــــــ وَيُعْرَى ـــــــــــ
ـــــــــــ

● وأشار التبريزى إلى رواية رابعة « وَيَنْسِلُ » من نسل ريش الطائر إذا سقط .

فَـإِنَّ بُجَيْـراً واشْيَـاعَـهُ
كَمَـا تَبْحَثُ الشَّـاةُ إِذْ تَـدْأَلُ(٤)

اثَـارَتْ عَلَى الحَتْفِ فَـاغْتَـالَهـا
فَمَـرُّ عَـلَى حَلْقِـهـَا المِـغْـوَلُ(٥)

واخِـرُ عَـهْـدٍ لَـهـا مُـونِـقٌ
غَـديـرٌ وَجـزْعٌ لَهَـا مُبْقِـلُ(٦)

(٤) بُجَير : اسم رجل . اشياعه : اتباعه ومناصروه . تَدْأَل : من (الدَّأَلان) ذكره الاصمعى فى وصفه مشى الخيل فقال : هو مشى يُقارَبُ فيه الخطو ، ويبغى فيه كأنه مثقل من حمل . وقال ابن الاعرابى : عدو مقارب وقال ابن سيده : وهو مشية فيها . وهذا مثل يضرب لكل من اعان على حَتْفِ نفسه .

البيت ورد بالرواية السابقة فى : الحماسة لابى تمام ٢٠١/٢ ، وشرح الحماسة للتبريزى ٢٣/٤ ، وشعراء النصرانية ١٩١/١ . وبرواية ثانية فى : شرحها للمرزوقى :

تَدْأَل ــــــــــ

والدَّألان : مشى النشيط .

(٥) الحتف : الموت او الهلاك . اغتالها : اهلكها واخذها من حيث لم تدر . الحَلْق : مساغ الطعام والشراب فى المرىء ، وقال الازهرى : مخرج النفس من الحلقوم ، وموضع الذبح هو ايضا ، وقال أبو زيد : الحلق موضع الغلصمة والمذبح . المِغْوَل : سوط فى جوفه سيف .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : شرح الحماسة للمرزوقى ١٤٧٣ وشرح الحماسة للتبريزى ط/٢٣ . وورد برواية ثانية فى : حماسة ابى تمام ٢٠١/٢ وشعراء النصرانية ١٩١/١ .

ــــــــــ تَمَنّ ــــــــــ

(٦) مُونِق : حسن معجب . غدير : قطعة ماء تغادرها السيول ، اى تتركها . جِزْع مُبْقِل : وادٍ مُخْصِب .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : الحماسة ٢٠٢/٢ ، وشرحها للمرزوقى ١٤٧٣ ، وشرحها للتبريزى ٢٣/٤ ، وشعراء النصرانية ١٩١/١ .

واضاف التبريزى قائلاً : « لك ان تروى مونق بالرفع فتكون صفة لآخر . ومونق بالجر فيكون للعهد » .

وردت الأبيات الستة السالفة الذكر منسوبة « لجابر » فقط فى كل من : الحماسة لابى تمام ٢٠٠/٢ ـ ٢٠٢ ، وشرحها للمرزوقى ١٤٧١ ـ ١٤٧٣ وشرحها للتبريزى ٢٣/٤ .

وجاءت منسوبة لجابر بن حُنَىّ فى « شعراء النصرانية » ١٩١/١ فاثبتناها كما وردت لديه ، فربما اطلع الرجل على مصادر لم تتوافر لنا .

وقال جابر بن حنى التغلبى(٣) « الرجز »

هَذا اوانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّى زِيَمْ(١)

قَدْ لَفَّها الليلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ(٢)

أوان الشد : وقت العدو فاستفرغى جهدك ، وهذا مثل يضرب فى الأمر بالجد؛ وقد تمثل به الحجاج حين ازعج الناس لقتال الخوارج .

زيم : اسم فرس ، اختلف فى نسبتها : فقد ذهب ابن الكلبى فى كتابه « انساب الخيل » ص ٨٠ إلى أن « زيم من خيل وائل وابوها الاسطع وكان للاخنس بن شهاب .... » .

وذهب ابن الاعرابى فى كتابه « أسماء خيل العرب وفرسانها » ص ٨٦ إلى ان فرس جابر بن حنى زيم .... » . وجاراه ابن منظور فى اللسان « زيم » . واضاف صاحب القاموس : « ان فرسا اخرى بهذا الاسم للأخنس .... » .

ورد البيت بروايته السابقة فى :

أنساب الخيل ص ٨٥ منسوبا للاخنس بن شهاب ، وفى « اسماء خيل العرب وفرسانها » ص ٨٦ لجابر بن حنى . وفى « جمهرة الأمثال » ٣٦٢/٢ لابن زُمَيْض . وفى « مجمع الأمثال » ٣٩١/٢ بلا نسبة لشاعر . وفى « تمثال الأمثال » ٥٨٠/٢ مع ذكر الخلاف فى نسبته بين الأخنس ، ورشيد بن رميض والحطم القيسى . وفى لسان العرب « زيم » لجابر بن حنين ـ وهو تصحيف .

(٢) رجل حطم : إذا كان قليل الرحمة بالماشية يهشم بعضها ببعض . وقال ابن برى : « وقوله بسواق حطم : اى رجل شديد السوق لها يحطمها لشدة سوقه . وهذا مثل . ولم يرد إبلاً بسوقها ، وإنما يريد انه داهية متصرف،وهنا جعل الفعل لليل على المجاز . والمعنى جمعها برجل متناهى القوة عنيف السوق .

ورد البيت بروايته السابقة فى : أنساب الخيل ص ٨٥ للاخنس ابن شهاب ، وفى أسماء الخيل وفرسانها ص ٨٦ لجابر بن حنى ، وفى حماسة ابى تمام ٩٥/١ ، وفى شرحها للمرزوقى ٣٥٤/١ لابن رميض العنبرى ، وفى الحماسة البصرية ١٠٣/١ لرشيد بن رميض وفى الكامل ٢٠١/٣ ، وفى « مايتصرف وما لا ينصرف » ص ٣٩ بلا نسبة لشاعر ، وفى « تمثال الأمثال » ٥٨١/٢ ـ ٥٨٢ ، حيث أورد الخلاف فى نسبته إلى كل من : الأخنس بن شهاب والحطم القيسى ورشيد بن رميض . وفى « شرح ابيات سيبويه » للنحاس ٢٨٦/٢ للحطم القيسى . واضاف قائلاً « هذا البيت يُختلف فى قائله ، ووجدته لابى زعبية الأنصارى فى شعر قاله فى يوم أحد . أوله : انـا ابـن زُغْبَـةَ أعـدو بـالـهـرم

وورد أيضا فى « لسان العرب » حطم ، حيث اشار ابن برى إلى الخلاف فى نسبته بين الحطم القيسى وأبى زغبة الخزرجى ، ورشيد ابن رميض .

لَيْسَ بِرَاعِي إبلٍ وَلا غَنَمْ (٣) … لا عيش إلاّ الطَّعْن في يـوم البُهَمْ (٦)

ولا بجَزّارٍ على ظهْر وَضَم (٤) … مثلي على مثلكَ يدّعى العُظَمْ (٧)

مُهَفهَفُ الْكَشْحَين خَفّاق الْقَدَمْ (٥)

يتبع

(٣) ، (٤) الوضم : كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب او بارية يوقى بها من الارض . والوضم ماوضع عليه الطعام فاكل ، يقول : لا يرفق هذا الرجل بوسائقه رفق الرعاة ولا رفق الجزار ، وذلك أن الراعي مُكْترى لاستصلاح مَرْعِيّه ، وحفظ ماضم إليه بجهده،والجزار لايستهلك ماله ، ولا يعنف عنف من لا يبالى وهذه صفة المغوار .

البيتان وردا وبلا خلاف في الرواية في : « انساب الخيل » ص ٨٥ للاخنس بن شهاب ، وفي اسماء الخيل وفرسانها » ص ٨٦ لجابر بن حنى ، وفي حماسة ابي تمام ١/٩٥ وشرحها للمرزوقي ١/٤٥٣ لابن رميض . وفي شرحها للتبريزي ١/١٨٤ ـ ١٠٨٥ لرشيد بن رميض وفي الحماسة البصرية ١/١٠٣ لرشيد بن رميض ، وفي جمهرة الامثال ٢/٣٦٢ لابن رميض ، وفي تمثال الأمثال ٢/٥٨١ ـ ٥٨٢ حيث ذكر الخلاف في نسبتهما بين كل من الأخنس ورميض والحطم وفي لسان العرب (حطم) لرشيد بن رميض العنبري .

(٥) مهفهف : خميصُ البطن دقيق الخصر . الكشح : مابين الخاصرة إلى الضلع ، وفي الخلف من لدن السرة إلى المتن . خفاق القدم : سريع الخطو ، ضراب بها الارض يسمع لها خفقان لشدة وطئه . يصفه بأنه غليظ الساقين ، ولوطئه الارض صوت ، ولقدمه خفق .

ورد البيت بالرواية السابقة في : انساب الخيل ص ٨٥ للاخنس ابن شهاب التغلبي وفي « اسماء خيل العرب وفرسانها » ص ٨٦ لجابر بن حنى . وفي لسان العرب « خفق » بلا نسبة لشاعر : وبرواية ثانية هي :

خدلَّج السَّاقين خَفّاقُ القَدَمْ

خدلج الساقين اي ممتلئهما . وردت في : الحماسة لابي تمام ١/٩٥ وفي شرحها للمرزوقي ١/٣٥٤ لابن زُمَيْض ، وفي شرحها للتبريزي ١/١٨٤ ـ ١٨٥ لرشيد بن رميض ، وفي الحماسة البصرية ١/١٠٣ لرشيد بن رميض ، وفي سمط اللآلىء ص ٧٢٩ للحطم القيسي ، وفي جمهرة الأمثال ٢/٣٦٢ لابن رميض ، وفي تمثال الأمثال ٢/٥٨١ ـ ٥٨٢ لرشيد بن رميض ، وفي لسان العرب « حطم » لرشيد بن رميض ، وايضا في لسان العرب (خفق) لابي زُغْبَة الخزرجي وللحطم القيسي .

(٦) الطَّعْن : الوخز بالحربة وغيرها . والبُهَم : مفردها البُهْمَة ، والبهمة : السواد والبهمة : جماعة الفرسان .

(٧) يَدَّعي : ضَعْف الدال لاتِّساق الوزن للبيت . البيتان السادس والسابع وردا منسوبين للاخنس بن شهاب في كل من : انساب الخيل ص ٨٥ ، وفي تمثال الأمثال ٢/٥٨٠ .

وورد البيت السادس برواية ثانية في : تمثال الأمثال ٢/٥٨٠ :

لا عَيْشَ إلاّ الطَّعْن في الْقَوْم البُهَمْ

السمات العامة لأسلوب الرافعي

منذ مدة ليست قصيرة وأنا أهاب الكتابة عن الرافعي ، وعن أسلوب النثر الفني لديه خاصة ، ذلك أن الرجل قمة أدبية عالية ، ومدرسة بيانية متفردة ، تحتاج إلى مزيد من التأمل في الكثير مما كتب ، فضلاً عن الإحاطة بظروف العصر الذي عاش فيه ، وملامح الصراع الحضاري الذي كان واحداً من أبرز ممثليه . ولكن هاجساً أخذ يلحّ في داخلي يدعوني إلى الإسراع في قراءة أدب الرجل واستخلاص بعض القيم الفنية فيه ، خاصة بعد مالاحظت من إهمال متعمد وغير متعمد لآثاره بالقياس إلى الأدباء الذين عاصروه والذين اشتبك معهم في معارك مشهودة .

وربما كان وراء هذا الغمط الواضح لأهمية الرافعي ومنزلته في الأدب الحديث إحساس تعمق لدى النقاد من جيله ، وفى الجيل الذى تلاه . ذلك الإحساس المتمثل بالنظر إلى أدب الرافعي على أنه يمثل المدرسة القديمة ، وأن خصومه يمثلون المدرسة الجديدة ، وسمّوا الصراع بينهم صراعاً بين (القديم والجديد) . ولهذه التسمية دلالتها النفسية فى الصراع ، وفي الجيل الذي كان يلهث وراء « الجديد » !! فبما أن الرافعي يمثل المدرسة القديمة - هكذا جُزافاً - إذاً فلنولِ وجهنا شطر أدب غيره فى المجددين . والواقع أن جيلنا لم يكن يدرك أن اتهام الرافعي باحتذاء النماذج الرفيعة من الأدب العربي وتقليدها ، يخفى وراءه تغطية التقليد للآداب الأوروبية وإعلاء شأنها !

ومع ذلك ، فإن هناك من الأدباء من أنصف الرافعي ووضعه فى الرتبة اللائقة به ، مثل أحمد حسن الزيات الذى قال فى مجلة الرسالة (فإذا قيل لك بأن الرافعي قديم الأسلوب في التفكير والتعبير ، فاحمل ذلك على الحسد الذي لا حيلة فيه ، وعلى الجهل الذى لا حكم معه)[1] ، وكتاب أخرين فسروا لنا الظلم الذي لحق بالرجل وبأدبه ، كما سيمر بنا فى البحث ، ولكن تبقى هذه الكتابات أقل بكثير مما يستحق الرافعي ، وأقل بكثير مما كتب عن غيره . وعمن هو أقل منه منزلة ، لا لشيء إلا لأن الرافعي إسلامى النزعة ، وأولئك أوربيو الهوى !

---

١ - وحي الرسالة ، دار نهضة مصر ، ط ٨ ، جـ ١ ، س ٢ ، ص ٤٣٩ .

د. شلتاغ عبود شراد

وعلى الرغم من أهمية الحديث عن الاتجاه الفكرى لدى الرافعى ، ولكننا سوف نقف عند الحديث عن السمات الفنية في نثره كما تبدت لنا خلال مطالعتنا اغلب كتبه ، ولكننا قد نستضيء بالموقف الفكرى لمعرفة الخصائص الفنية ودوافعها لدى هذا الأديب أو ذاك .

اولاً : الأصالة والتفرد :

وهى من أبرز السمات الشخصية والفنية لدى الرافعى ، وهى السمة التى تلج بالإنسان في عالم الأدب الحقيقي ، فلا يكون عيالاً على أحد ، ولا يسلك منهج واحد من الأدباء السابقين أو اللاحقين على الرغم من أنه تعمق نتاجاتهم جميعاً ، ولقد كان الرافعى أصيلاً فى موقفه الفكرى حين اعتمد على المقومات الحقيقية لكيان الأمة ، ونبذ التغريب والتبعية للحضارة الأوروبية ، فجند طاقاته كلها من أجل هذا الهدف ، كما كان أصيلاً فى أدواته الفنية ، وهذا يرتبط بطبيعة الحال ، بالتكوين الثقافي والنفسي للرجل ، حتى قيل بأن « الأسلوب هو الرجل » .

فلا أسلوبه بأسلوب عبد الحميد الكاتب أو الجاحظ أو ابن العميد أو أبى إسحق الصابي من القدماء ، ولا هو بأسلوب اليازجي أو المويلحي أو العقاد أو المنفلوطي أو طه حسين من المحدثين . والرجل ـ بهذا ـ علم متميز بذاته ، ومدرسة نسيج وحدها فى اللغة والتصوير والصياغة . وليس الغرابة فى أنه لم ينسج على منوال اسلوب قديم او حديث ، بل الغرابة فى أنه من الصعب على أحد أن يكون الرافعى فى اسلوبه ، في حين ان باستطاعتك أن تكتب على غرار ما يكتب طه حسين مثلاً !

ولقد أشار الزيات في مقالته عن الرافعى إلى ذلك فقال : « رحم الله الرافعى ، لقد كان في الكتاب طريقة وحده ، وحسب الكاتب مزية ألا يكون لأسلوبه ضريع فى الأدب كله .. وتستطيع أن تتحدى من تشاء أن يدلك على كاتب يترسم الرافعى مواقع قلمه أو قدمه » [٢] .

وحتى في اتجاهه ومذهبه النقدى يصدر عن طبع خاص لا يشبه أحداً ممن عاصروه ، وهذا ما أشار إليه الدكتور عمر الدسوقى بقوله : « على أننا نظلم الرافعى إذا نحن أدرجناه ضمن أنصار المدرسة القديمة فى النقد ، تلك التي عنيت بالنقد اللغوى دون سواه . فالحق أن للرافعى آراء جديدة كلَّ الجدة فى نقد الشعر ، وهو لا ينتسب فى نقده لمدرسة من المدارس ، انجليزية أو فرنسية ، وإنما نقدُهُ وليد بصيرته النفاذة وطبعه الصافى ، وتأثره بالحركة التجديدية المعاصرة له بعض التأثر » [٣] .

ولكن ، بشكل عام فإن الرافعى كان يترسم الأساليب الرفيعة وينحو منحى يبتعد بها عن الأساليب التى لوثتها الترجمة والرطانة الأجنبية التي كان يشن عليها هجوماً عنيفاً في كثير من

---

٢ ـ المصدر نفسه ، ص ٤٣٩ .

٣ ـ فى الأدب الحديث ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط ٧ . ١٩٧٠ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ .

السمات العامة لأسلوب الرافعي

كتاباته.[4] وربما استطاعت الصفحات القادمة أن تضيء بعض الجوانب المتعلقة بأصالة الرافعي وتفرده.

ثانياً: الصلة بالأسلوب القرآني والتراث الإسلامي:

يختلف الأدباء في سبل تعاملهم مع القرآن قديماً وحديثاً، فمنهم من يلجأ إلى الاقتباس المباشر الذي لا يدل على براعة أو عبقرية بقدر ما يدل على الحفظ والذاكرة، ومنهم من يستوحيه استيحاء، ويتعامل معه كما يتعامل الرمزيون مع مظاهر الطبيعة الحية.

وذلك كله يرجع إلى موهبة الأديب وقدرته على تمرير ما وعته ذاكرته وعقله على قلبه ووجدانه، ليكون ذلك الأثر وكأنه من إنشائه هو وإبداعه.

وهكذا كان يفعل الرافعي مع القرآن، فلا يتعامل معه كما يتعامل أصحاب الصناعة من الشعراء والكتاب، بل إن المعاني القرآنية تتعمق وجدانه، فتصبح جزءاً من كيانه، وحين تصدر عنه، فهي تصدر وعليها لهب من وجدانه، وأنفاس من إحساسه. والرافعي لا يعيش القرآن ألفاظاً ومفردات، ولا صوراً ومجازات ثابتة، ولكنه يحيا روح القرآن بجملته فيكتب وهو تحت تأثير هذه الروح ووحيها وإلهامها. انظر إليه وهو يكتب في حديث القمر: «إن كل لفظة من لغة الطبيعة في تفسير معنى الحب كأنها صلصلة الملك الذي يفجأ الأنبياء بالوحي أول العهد بالرسالة!»[5]

للرافعي إذاً طريقة خاصة في استيحاء القرآن ليست من قبيل الاقتباس، ولا حتى التضمين، ولا حتى ما سماه بعض النقاد بـ «التقطير» كسمة بارزة من سمات أسلوب الرافعي[6]، بل هو الفيض الإلهي الذي يعيشه الرافعي روحا، ويسترسل معه أسلوبا. ولقد التفت الرجل السياسي سعد زغلول، وهو يقرظ كتاب «إعجاز القرآن» للرافعي، إلى هذه الروح القرآنية، فقال: «بيانٌ كأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم»[7]. وهو كلام يصدق على مسماه.

ومن العجيب الغريب أن تنبه الرافعي إحدى الصحف العربية التي كانت تصدر في أمريكا بأنه لو ترك «الجملة القرآنية» لكان مذهباً وحده في البيان! في حين أن الرافعي كان يعتقد أن في هذه «الجملة» يكمن سر إبداعه. فيقول:

«ولقد وقفت طويلاً عند قولها «الجملة القرآنية»، فظهر لي في نور هذه الكلمة ما لم أكن أراه من قبل، حتى لكأنها «المكرسكوب»، وما يجهر به من الجراثيم مما يكون خفياً فيستعلن، ودقيقاً فيستعظم، وما يكون كأنه لا شيء، ومع ذلك لا تعرف العلل الكبرى إلا به»[8]..

أما صلتُهُ بالتراث الذي صنعه القرآن فهي صلة قديمة منذ أن كان شاباً يافعاً، وذلك بعد أن حفظ القرآن وتدارسه على يد والده العالم

٤ ـ يراجع، مثلاً تحت راية القرآن: المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ١٩٦٦، ط ٦، ص ٢٦.

٥ ـ المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط ٦، ١٩٦٤، ص ١٧

٦ ـ د. أحمد هيكل تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٧١، ص ٢٨٧.

٧ ـ وحي القلم، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط ٧، س ٢، ص ١.

٨ ـ تحت راية القرآن، ص ٢٤.

الجليل ، ثم اكبّ على كتب التراث وعياً وحفظاً بعد أن انقطع عن مواصلة دراسته الرسمية .

ولقد قيل إنه حفظ نهج البلاغة ولم يبلغ العشرين فى القطار بين طلخا حيث كان يعمل ، وطنطا حيث سكنه ومأواه[٩] ، بالإضافة إلى عيون التراث الأخرى من نثر وشعر بشكل يقل أن يتفق لمثل عمره إلا للقلة من رجال عصره .

ثالثاً : النزعة البيانية :

تأصلت هذه النزعة فى نفس الرافعى وأسلوبه من خلال دربة مبكرة على كتاب العربية الأكبر ، القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، وروائع النثر والخطب والشعر فى عصور العطاء والازدهار فى الإسلام ، فاكسبته ملكة وموهبة عمقت إحساسه بأسرار اللغة وسحر البيان ، يساعده على ذلك فطرة صافية واستعداد أصيل ، وطبع موفور . وقد كان علمه الغزير بالعربية وأسرار بيانها قد أهله إلى أن يجتهد فى اشتقاقها ويفلسف النظر فى تراكيبها وخصائصها ، وقد قال عنه الزيات : « كان الرافعى ـ رحمه الله ـ حجة فى علوم اللسان ، ثقة فى فنون الأدب ، عليماً بأسرار اللغة .. فكنتُ إذا ذاكرتُهُ فى شىء من دقائق النحو وخواص التراكيب وفروق اللغات وجدتُهُ على ظهر لسانه ، كأنما انصرف من مراجعته لوقته »[١٠] .

وإذا أردنا أن نتعرف على حدود هذه النزعة فإنها تتمثل ، كما أشرنا ، بالطبع الفياض القوى المتفرد الذى لا تملك إزاءه إلا الانبهار والتسليم وكأنه الحجة البالغة دونما حجة ! والرافعى نفسه وضح لنا ذلك الفرق بين الأدب وظاهره بأنه كالفرق بين المعجزة والحيلة[١١] ، وشتان بينهما !! ومهما قيل عن صنعة الرافعى ، وهو ما سنشير إليه فى النقاط التالية من البحث ، فهى صنعة تضيع مع قوة هذا الفيض الطبعى الأصيل .

أما الحد الثانى لهذه النزعة فهو الأخذ بالتراكيب العربية والجرى على نهج الفصحاء ، ولكن ذلك لم يذهب بطابع الشخصية فى أدب الرافعى ، بل هو ميسم بارز فى أدبه . فأدبه ، إذاً ارتكان إلى النماذج العليا فى أدب العربية ، ولكنه فى الوقت نفسه يُمَرِرُ على قلب الرافعى وفلسفته وظروف عصره ، فلا يصبح إلا وعليه مسحة الشخصية الرافعية ، ومسحة عصر الرافعى ، وجمال الفن الذى يصنعه فنان . وحتى الذين انتقدوه ، أمثال طه حسين وسلامة موسى لم يعدموا الإحساس والتصديق بروعة فنه وجماله ، ولكنهم آخذوه من ناحية « ذوق العصر »[١٢] ، وفارق كبير بين اتجاهين ، أحدهما يريد حمل القراء على احتذاء الأساليب الرفيعة ، واتجاه يسير فى ركاب « التحديث » الذى يعنى النزول على أساليب الترجمة الغربية ويذهب بأصالة العربية .

اما الحد الثالث ، فهو الميل إلى التصوير ، واستثمار اقصى ما فى اللغة من طاقة المجاز ، لا على طريقة المجاز المستهلك المصنوع ، ولكن المجاز الذى تحس أنه وليد تجربة الفنان وثمرة رؤيته الشمولية . إن هذا الميل التصويرى لدى الرافعى لم يكن وقفاً على الكتب ذات الطابع الأدبى المحض مثل « حديث القمر » و« أوراق

٩ ـ د . حلمى مرزوق ، تطور النقد والتفكير الأدبى الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٣ ، ص ٣٦٠ .

١٠ ـ وحى الرسالة ، جـ ١ ، ص ٤٤١ .

١١ ـ مقدمة الجزء الأول من ديوان الرافعى ، نقلا عن د . حلمى مرزوق ، ص ٣٦٨ .

١٢ ـ تطور النقد والتفكير الأدبى الحديث ، ص ٣٦٩ .

السمات العامة لأسلوب الرافعى

الورد » و« السحاب الأحمر » ، بل هو سمة عامة فى كتابات الرافعى كلها ، سواء تعلق الأمر بالدفاع عن أدبه ودحض خصومه ، أو تعلق ببيان حقيقة إسلامية أو قضية اجتماعية وسياسية .

ويلاحظ أن مادة هذا التصوير تستوحى لغتها فى أغلب الأحيان من عناصر الطبيعة من ضوء وعطر وبحر وشجر وهى مادة ليست محدودة تمد الفنانين بعوالم واسعة من المجاز والتوليد والإبداع . يقول الرافعى فى مقال « الإشراق الإلهى وفلسفة الإسلام » فى الربط بين الحياة والدين والنبوة : « كما تطلع الشمس بأنوارها فتتفجر يُنبوع الضوء المسمى بالنهار ، يولد النبى فيوجد فى الإنسانية يُنبوع النور المسمى الدين ، وليس النهار إلا يقظة الحياة ، تحقق أعمالها ، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها »[13] . ويقول أيضاً ، فى مقال « حقيقة المسلم » : « وكأن الله تعالى ألقى فى رمال الجزيرة روح البحر ، وبعثها بعثه لأمره ، فكان النبى ﷺ هو نقطة المد التى يفور البحر منها ، وكان المسلمين أمواجه التى غسلت بها الدنيا »[14] .

هذه المادة الطبيعية هى الغالبة على اللغة الأدبية هنا ، وفى مواضع أخرى نجد اللغة القرآنية ، ولغة الحياة اليومية ، ولغة السياسة والاجتماع ، ولكنها تأتى بالدرجة الثانية بعد عناصر الطبيعة .

« يتبع »

---

١٣ ـ وحى القلم ، جـ ٢ ، ص ٣ .

١٤ ـ المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٤

الفتاوى

إعداد/ عبد الحميد شاهين
على حامد

س١ : هل يجوز ترجمة خطبة الجمعة من فوق المنبر ؟

وإذا جازت : فهل تكون الترجمة قبل الخطبة بالعربية أو بعدها ، وهل الأمر كذلك بالنسبة للخطبة الثانية .؟

جـ١ : يشترط فى الخطبتين أن تكون أركانهما بالعربية إن كان فى الحاضرين من يفهمها ، فإن لم يكن فى الحاضرين من يفهمها جازت الأركان بغير العربية كغيرها ، إلا القرآن الكريم فإنه لا يقرأ إلا بالعربية .

وشرعت الترجمة ، حتى يتحقق المقصود من الخطبتين . والأنسب فى الترجمة أن تكون فورية مادام ذلك مستطاعاً ، فإن لم يمكن فالأولى أن تكون الترجمة قبل الخطبة حتى يفهم السامعون .

الفتح على الخطيب

س٢ : يخطىء الخطيب فى الآية : فما مدى التزام المستمعين بالرد عليه بحكم جلوسهم فى المسجد قريباً منه أو بعيداً عنه ؟..

جـ٢ : إن الفتح(*) على الإمام بتصحيح قراءته إذا أخطأ واجب على المأمومين إذا كان الخطأ فى قراءة الفاتحة ، واستمر الإمام فى قراءته حتى تصح القراءة والصلاة .

أما إذا كان الخطأ فى غير الفاتحة فإنه يشرع للمأموم أن يرد عليه إذا استمر فى قراءته كذلك .

والفتح على الخطيب أولى من الفتح على الإمام فى الصلاة إذا أخطأ فى قراءة الفاتحة أو القرآن ، وعلى المستمعين أن يفتح واحد منهم على الخطيب قريباً كان أو بعيداً ، والأولى القريب إذا وُجِدَ حتى لايكون هناك تشويش أثناء الخطبة .

كلام الخطيب ... والمستمع ..

س٣ : ما المدى المسموح به للمستمع أن يكلم الخطيب ؟ وللخطيب أن يكلم المستمع ؟..

جـ٣ : عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه

(*) المراد بالفتح : الرد

الفتـــاوى

قال : دخل رجل يوم الجمعة والنبى ﷺ يخطب ، فقال : صليت ؟ قال لا ، قال : قم فصل ركعتين (متفق عليه) .

وقال ﷺ : لمن سأله متى الساعة ؟ قال : ماأعددت لها ، فقال : حب الله ورسوله ، فقال : إنك مع من أحببت .

فبالحديث الأول قد بدأ الرسولُ ﷺ ، أحدَ المستمعين بالكلام ، وفى الحديث الثاني : بدأ أحد المستمعين بالكلام ، ولم ينكر عليه ﷺ الكلام ، ولم يبين له وجوب السكوت ، وكل من الأمرين لمصلحة دينية .

وعلى ذلك : فإنه يجوز للخطيب أن يبدأ الحديث مع أحد المستمعين كما يجوز لأحد المستمعين أن يبدأ الحديث مع الخطيب .

وذلك : إذا كان المجتمع متمسكاً بأخلاق الإسلام وآدابه كمجتمع الصحابة-رضى الله عنهم ، أما إذا لم يكن هذا المجتمع فالأولى البعد عن فتح هذا الباب ، حتى لا يؤدى إلى التشويش فى المساجد ، ومايكون وراء ذلك .

تمييز بعض الورثـة

س٤ : رجل بنى مسكناً يقيم فيه مع بناته الأربع وليس له ذرية غيرهن ، فهل يجوز له شرعاً أن يُملِّكه لهن بعقد رسمي ؟

رشدى عطية

جـ٤ : جمهور الأئمة الثلاثة ـ أبي حنيفة ومالك والشافعى ـ يجيزون ذلك بلا كراهة إن كان ذلك بسبب مشروع ، كخشية الفقر والعجز والبر بالوالد ، ويجيزون ذلك مع الكراهة إن كان بسبب غير مشروع .

والإمام أحمد يجيز ذلك بلا كراهة إن كان بسبب مشروع ، ويحرمه إن كان بغير سبب مشروع .

تفسير بقلم المحرر

س ٥ : قال الله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .

الآيات : [المجادلة ـ ١ ، ٢]

أرجو التفسير والتوضيح .

م . محمد ـ برخيل ـ البلينا .

جـ٥ : ابتدأت السورة الكريمة ببيان قصة المجادِلة ـ خولةَ بنت ثعلبة ـ التى ظاهر منها زوجُها .. أوسُ بن الصامت ـ على عادة العرب فى الجاهلية فى تحريم الزوجة بالظهار ، وقد جاءت إلى رسول الله ﷺ ، تشكو ظلم زوجها لها ، وتقول : يارسول الله : لقد أكل مالى وأفنى شبابي ، ونثرت له بطنى ، حتى إذا كبرت سنى ، وانقطع ولدى ظاهر منى ، أي قال لها:أنت عليَّ كظهر أمى ، فقال لها النبى ﷺ : ماأراك إلا وقد حرمت عليه ، فقالت : والله ماذكر طلاقاً فيقول لها الرسول مقالته السابقة فتراجع رسول الله وتجادله ، ثم تقول : إلى الله أشكو فاقتى ووحدتى ووحشتى وفراق زوجى وابن عمى ، فمازالت تراجع رسول الله وتجادله حتى نزلت عليه هذه الآية : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ... الآيات..

قالت عائشة رضى الله عنها : تبارك الذى وسع سمعه كل شىء ، إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليَّ بعضه ، وأنا وهى فى حجرة

واحدة ، سمعتها وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله قائلة : اللهم إنى أشكو إليك .. فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية ، فحقاً إن الله سميع بصير بخلقه .

إن قول الرجل لزوجته ـ أنت علىَّ كظهر أمى ـ يجعلها محرمة عليه ، لاتعود إلا إذا كفَّر عن ذلك كما توضح الآيات بعد ذلك ، « فالظهار » أمر ممقوت شرعاً ، ومنكر من القول وزور ، فلا يصح أن يجعل زوجته كأُمِّه محرمة عليه ، وإن الله لعفو عما فرط ، غفور لمن تاب وأناب ..

وبنزول هذه الآيات بطل كون الظهار ، طلاقاً كما كان فى الجاهلية ، وإنما صار إثماً يحمله الرجل وحده لأنه منكر من القول وزور ، وعليه أن يكفر عنه ، قالت خولة : فقال لى رسول الله ﷺ :

« مُرِيهِ فليعتق رقبة ، قالت : فقلت: يارسول الله ماعنده مايَعْتِق ، قال : فليصم شهرين متتابعين ، قالت : فقلت : والله إنه لشيخ كبير ماله من صيام ، قال : فليطعم ستين مسكيناً وسقا من تمر ، قالت فقلت : والله يارسول الله ماذاك عنده ، قالت فقال رسول الله ﷺ : « فإنا سنعينه بفرق من تمر » ، قالت : فقلت يارسول الله ؛ وأنا سأعينه بفرق آخر . قال : « قد أصبت وأحسنت ، فاذهبى فتصدقى عنه ثم استوصى بابن عمك خيراً » قالت : ففعلت .

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

*** تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :**

مؤسسة الاهرام ـ شارع جلاء ـ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

*** جمهورية مصر العربية**

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

*** اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »**

١٥ خمسة عشر دولارا او مايعادلها .

*** باقى دول العالم .**

٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

سبق الإسلام إلى منع الاستكفاف

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى

الإسلام دين أتمه الله وأكمله ، وهو الشريعة الصالحة لخير البلاد والعباد ، وهو دين العزة والكرامة ، يدعو إلى العمل وينهى عن الكسل ، وينعى على أولئك القاعدين المتواكلين الذين يستكفون الناس ، ويتخذون التسول مهنة ينزلون بها إلى أدنى مستوى من كرامة الإنسان الذى قال الله فيه : ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ... ﴾

قال الأستاذ الدكتور عبد المتعال الصعيدى

الاستكفاف : مصدر استكفَّ الناسَ إذا مد إليهم كفه يستعطيهم ، وهو المعروف الآن باسم الشحاذة والتسول .

والشحاذة : مصدر شحذ فى السؤال إذا ألحَّ فيه . والتسول مأخوذ من السؤال ، يقال سال سُؤالاً بمعنى سأل سؤالاً ، والسُّوْلة : الكثير السؤال .

وقد سبق الإسلام الحكومات الحديثة إلى منع الاستكفاف والتسول ، لأنه وصمة عار فى جبين كل شعب يظهر فيه ، ودليل على انحطاط أفراده وتأخرهم ، لأنه يدل على فساد نفوس فقرائهم وأغنيائهم ؛ إذ يستسهل الفقراء هذه الحرفة الدنيئة ، ويؤثرونها على العمل الذى يقيهم ذل السؤال ، وإذ يضن الأغنياء بأموالهم على إنشاء الملاجىء التى تؤوى العجزة ، ولا تحوجهم إلى مد أيديهم إليهم .

وفى الإسلام نصوص من القرآن والحديث تنهى عن الاستكفاف والتسول ، وهى النصوص التى يجب الاعتماد عليها فى أمره ، ليأخذ المسلمون بها فى حياتهم العامة والخاصة ، ويعملوا على منع ظهور هذه الحرفة الدنيئة بينهم ، بالأحكام الزاجرة ، وبإنشاء الملاجىء التى تقى عجزتهم عن ذل السؤال ، كما عمل بهذا سلفهم الصالح ؛ ولهم فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسوة حسنة ، لأنه سنَّ فى ذلك نظامين وقى بهما المعوزين من أصحابه ذل السؤال : أولهما : نظام المؤاخاة ، وقد سنه فى أول الإسلام للموالى الذين أسلموا فطردهم أولياؤهم ولم ينفقوا عليهم ، وللشبان الذين أسلموا فطردهم أولياؤهم ومنعوهم أموالهم ، ثم سنه بعد هذا فى أول الهجرة إلى المدينة للمهاجرين الذين منعتهم قريش أموالهم فى مكة ، فآخى بين المهاجرين والأنصار ، إلى أن استغنى

إعداد وتقديم
عبدالفتاح حسين الزيات

المهاجرون ، وصارت لهم أموال تغنيهم عن مساعدة إخوانهم من الأنصار .

والثانى : نظام أهل الصفة ، وكانوا ناساً من فقراء المهاجرين لم يجدوا من العمل ما يكفيهم ذل السؤال ، فأنشأ النبى - صلى الله عليه وسلم - لهم صُفّة بالمسجد ، وهى مكان مسقوف منه ، فكانت بهذا أول ملجأ فى الإسلام ، ولعلها أول ملجأ ظهر على وجه الأرض ، وحاز الإسلام به قصب السبق فى نظام الملاجىء ! وكان أهل الصفة يمثلون فى المسجد طلبة العلم ، فكانوا الجيل الأول من طلاب العلم بالمساجد فى الإسلام ، وقد تبعتهم الأجيال بعدهم فى هذه السنة إلى جيلنا الحاضر .

ولكن الإسلام فيه نصوص أخرى ربما يفيد ظاهرها جواز الاستكفاف والتسول ، ولعل إساءة فهمها هى التى تجعل المسلمين لا يستنكفون الآن من انتشار الشحاذين والمتسولين فى بلادهم ، ولا يرون فى هذا عاراً يلحق بهم ؛ ولهذا أردت أن أدرس النصوص التى وردت فى هذا الباب ، لأحقق أمرها ، وأبين حكم الإسلام الصحيح فيها .

فأما النصوص التى وردت فى منع التسول فمنها قوله تعالى فى الآية - ٢٧٣ - من سورة البقرة : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ فالمراد لا يسألون الناس أصلاً ، لأنه قال : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ وهو ترك المسألة ، فعلم بذلك أنهم لا يسألون البتة ، ولأنه قال : ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة حاجة ، فمعنى الآية أنهم لا يكون منهم سؤال حتى يقع فيه إلحاف ، فهم لا يسألون الناس إلحافاً ولا غير إلحاف ، وهذا على حد قول امرىء القيس .

على لاحبٍ لا يُهتدى بمناره

يريد نفى المنار والاهتداء به . وقد نزلت هذه الآية فى أهل الصفة مدحاً لهم ، والمدح بشىء يقتضى ذم نقيضه ، فيكون سؤال الناس مذموماً بمقتضى هذه المقابلة ، ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - : « لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه » .

ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - : « ملعون من سأل بوجه الله ، وملعون من سئل بوجه الله ثم منع من سأله ما لم يسأل هجراً » أى أمراً قبيحاً لا يليق ، أو سؤالاً قبيحاً أى بكلام قبيح ، والسؤال بوجه الله هو أن يسأل الناس شيئاً بالله ، فهذا الحديث يلعن السائل ، ولكنه يلعن المسئول إذا لم يعطه .

وأما النصوص التى يفيد ظاهرها جواز السؤال فمنها قوله تعالى فى الآية - ١٧٧ من سورة البقرة : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى

من روائع مجلة الأزهر

﴿ المالَ علىٰ حُبِّهِ ذَوِى ٱلقُرْبَىٰ وَٱليَتامَىٰ وَٱلمَساكِينَ وابنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ ﴾ .

ومنها قوله تعالى في الآية - ١٩ - من سورة الذاريات ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ .

ومنها قوله تعالى في الآيتين - ٢٤ ، ٢٥ - من سورة المعارج ﴿ والَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ .

ومنها قوله تعالى في الآية - ١٠ - من سورة الضحى ﴿ وأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ .

ومنها ما أخرجه أبو داود عن علي رضى الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « للسائل حق ولو جاء على فرس » ، وقد جاء في الموطأ برواية زيد بن أسلم : « أعطوا السائل ولو جاء على فرس » .

ومنها ما أخرجه أبو داود والترمذى عن أم نجيد أنها قالت للنبى - صلى الله عليه وسلم - : يارسول الله إن المسكين ليقوم على بابى فلم أجد شيئاً أعطيه إياه . فقال لها : « إن لم تجدى إلا ظلفا محرقاً فادفعيه إليه في يده » . وفى رواية الموطأ : « ردوا المسكين ولو بظلف محرق » . والظلف خُفُّ الشاة ، وفى كونه محرقاً مبالغة في قلة ما يعطى .

ومنها ما أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى عن ابن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح » . وقيل يارسول الله : ما يغنيه ؟ قال : « خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب » .

وقد قال الخازن في تفسير قوله تعالى في سورة الضحى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ : يعنى السائل على الباب ، يقول : لا تزجره إذا سألك ، فقد كنت فقيراً ، فإما أن تطعمه ، وإما أن ترده رداً لينا برفق . وقال إبراهيم بن أدهم : القوم السؤّال يحملون زادنا إلى الآخرة . وقال إبراهيم النخعى : السائل يريدنا إلى الآخرة ، يجىء إلى باب أحدكم فيقول : هل توجهون إلى أهليكم بشىء ؟

فالنصوص الأولى تذم الاستكفاف والتسول ، ومنها ما بالغ في ذم السائل بالله إلى حد اللعن ، وهو الطرد من رحمة الله تعالى ، ومثل هذا يفيد حرمة السؤال . ولكن النص الأخير منها لعن المسئول الذى لا يعطى السائل بالله ما لم يسأل هُجْراً ، وهذا يفيد وجوب إعطائه مع حرمة سؤاله ، وبعضهم حمل اللعن في هذا على الكراهة الشديدة .

والنصوص الأخيرة منها ما يفيد جواز السؤال مطلقاً ، إذْ أمرت بإعطاء السائل ولو جاء على فرس ، ومنها ما يفيد جواز السؤال عند الحاجة ، ومنعه عند الغنى ، وقد قُدِّر الغنى فيها بخمسين درهماً أو قيمتها من الذهب ؛ ومنها ما يمدح القوم السؤال لأنهم يحملون زادنا إلى الآخرة .

والحقيقة أنه لا تعارض بين النصوص الأولى والأخيرة ، لأن ذم السؤال لا يقتضى المنع من الإعطاء ؛ إذ هما فعلان مختلفان ، ويصدران من شخصين مختلفين ، والفعل الواحد من شخص واحد قد يذم ويكون صحيحاً في آن واحد ،

كالصلاة فى الأرض المغصوبة ؛ وكذلك جواز الإعطاء لا يقتضى جواز السؤال ، لأن السائل قد يكون محتاجاً ، فيعطيه المسئول دفعاً لحاجته ، ولا يصح أن يتركه إذا كان جائعاً مثلاً ليهلك جوعاً ، وقد يعطى المسئول دفعاً لمذمة السائل أو غيره ، وهذا أيضاً مما يقتضى جواز الإعطاء ، وإن كان السؤال فى ذاته مذموماً ، وإن كان السائل غنياً عن السؤال ، لأن المسئول لا يقصد فى ذلك دفع حاجة السائل ، وإنما يقصد صون عرضه من الهجاء والذم .

والحق أنه لا شىء فى ذلك على أفراد السائلين والمسئولين إذا كان السؤال عن حاجة ، وإنما الذنب فى ذلك ذنب الجماعة أو ذنب الحكومة ، لأن الجماعة أو الحكومة هى المسئولة عن تعريض المحتاجين للسؤال ، وعن تعريض الأفراد لسؤالهم ، فهى التى يمكنها أن تنشىء الملاجىء للمحتاجين ، وهى التى يمكنها أن تجمعهم فيها بما تملكه من قوة الحكم ، وهى التى يمكنها أن تمنع التسول بما تفرضه من الزواجر .

فإذا قصرت الجماعة أو الحكومة فى ذلك فلا شىء على المحتاجين إذا تولوا دفع حاجتهم بأنفسهم ، فسألوا الناس ما يحتاجونه لدفع جوع أو عرى أو نحو ذلك من أمورهم ، ولا شىء على المسئولين إذا أجابوهم إلى ما يسألون ، بل قد يكون ذلك واجباً عليهم عند خوف هلاك السائل أو نحوه ؛ لأن تقصير الحكومة أو الجماعة فى ذلك لا يقوم عذراً للأفراد ، ولا ينجيهم من عقاب الله إذا قصروا فى دفع حاجة المحتاج .

ولم يكن على الإسلام أن يفعل أكثر من ذلك فى علاج هذه المشكلة الاجتماعية ، فقد قام بعلاجها على ما يجب فى جميع أحوالها ، فذم التسول والاستكفاف شر ذم ، ووضع نظام الإخاء ونظام الملاجىء لعلاجه بالعمل بعد علاجه بالقول ، وهذا من شأن الحكومات والجماعات ، وقد احتاط للمحتاجين إذا قصرت الحكومة أو الجماعة فى أمرهم ، فلم تنشىء لهم الملاجىء أو نحوها مما يقيهم الحاجة ويغنيهم عن السؤال ، فأمر الأفراد أن يعطوهم إذا سألوهم ، وما كان له أن ينهاهم عن إعطائهم إذا قصرت الحكومة أو الجماعة فى أمرهم .

من خير ما نشر

الدكتور / احمد النجار

اللامبالاة والنفاق

إنه لكى نحلل الأسباب الحقيقية للتخلف فلابد أن نأخذ فى الاعتبار طبيعة المشاكل التى تعانى منها الأمة الإسلامية ونسأل عن اسباب الشكوى . إننا نشكو كمجتمع إسلامى من « اللامبالاة » وانتشار الرشوة والكسل وعدم الإخلاص فى العمل والنفاق والكذب والغش وعدم الأمانة ، كل هذه مظاهر التخلف وأعراض المرض وأسبابه .

إن التحدى الأكبر الذى يواجه الأمة الإسلامية حالياً هو تحويل العنصر البشرى من عنصر يشكل عبئاً على الاقتصاد القومى وعلى التنمية إلى عنصر دافع لعجلة التنمية . إنه يجب استخدام الدين كمنهج حياة وقانون وسلوك يومى ، وهذا بدوره لا يؤدى إلى زعزعة الأمن وتهديد الاستقرار بل يؤدى إلى النهوض والتقدم .

الدكتور / عبد الحميد الغزالى

تخلينا عن هويتنا الاسلامية

إن النظام الإسلامى نظام من وضع الخالق تبارك وتعالى أهدافه مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة : حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والمال ، والعرض .. وإن التحدى الأساسى الذى نجابهه كأمة إسلامية هو أساساً فى المجال الاقتصادى ، وهذا المجال الذى تصدى له الإسلام عمليا يضمن حقيقة التقدم الذى ننشده كأبناء أمة إسلامية .

نحن فعلاً أمة متخلفة ، لا لأننا مسلمون ، ولكن لأننا تخلينا عن هويتنا الإسلامية ، بيد أن الإسلام هو التقدم بعينه ولا حل لتخلفنا إلا بالعودة إلى إسلامنا كمنهج حياة كامل وشامل وضعه الخالق الذى علم قدرات البشر .

الأستاذ / احمد زين

بلا مشاكل

يجب أن نقف وقفة مع كاتب بدأ يكتب هذه الأيام مطالباً بتغيير نظام المواريث فى الإسلام

عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعي خفاجة

ـ وهو نظام جاء به الله وانزله فى كتابه العزيز ـ ليصبح ميراث البنت مثل ميراث الولد ولتصبح البنت ترث ثروة أبيها كلها .

وإن كانت هذه مشكلة شخصية عند هذا الكاتب إلا اننا لا يجب ان نخضع الدين لأهوائنا واغراضنا حتى لا ينطبق علينا قول الله تعالى ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾

فالتبديل والتغيير فى شرع الله مسألة غير واردة للمناقشة مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ .

قال الدكتور السيد حسنين ، أمين المجلس الأعلى للجامعات : إن الاهتمام بالدراسات العليا سيتركز على الأطفال المعوقين واستخدام الوسائل الحديثة التى تمكنهم من التكيف مع مختلف ظروف الحياة .

كان المجلس الأعلى للجامعات فى اجتماعه الأخير قد أوصى بإنشاء معهد قومى تربوى ونفسى لتخريج كوادر عليا لرعاية الطفل المصرى .

كيف يواجه العرب الاجماع العالمى ؟

أصبح التضامن العربى ضرورة ملحة ، ومسئولية عاجلة ومباشرة على كل من يشتغل بالقضية العربية اليوم .

ليس من المعقول أن يجمع العالم على حق فلسطين فى التعبير عن رؤيتها للسلام فتخرج الأصوات العربية بغير اتفاق . ولو حدث هذا لكان خذلانا عربياً ما بعده خذلان ، إن التضامن العربى اليوم هو ـ بإذن الله ـ مستطيع أن يدفع قضية فلسطين فى طريق السلام العادل .

كلمات للأستاذ : محمود عبد المنعم مراد

انقسمت الآراء فى الحكومة الإسرائيلية انقساماً شديداً حول ما ينبغى عمله بعد أن اكتسب ياسر عرفات شعبية دولية لا يستهان بها وبعد ان غيرت أمريكا سياستها .

إن الاتجاه المخلص للسلام هو أقوى الأسلحة التى تعتمد عليها منظمة التحرير فى كسب التأييد العالمى لها . وفى نفس الوقت اثبتت الانتفاضة الفلسطينية أنها أقوى الأسلحة التى يعتمد عليها الفلسطينيون فى إقناع إسرائيل بالعدول عن العناد والصلف والاستمرار فى الاحتلال وتجاهل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وكلا السلاحين معا ، يمكنهما بالاستمرار أن يجعلا الأمل واقعاً وقريباً فى الوصول إلى حل دام البحث عنه اربعين عاماً .

الأستاذ / عبد العزيز محمد المحامى

وسمع العالم صوت فلسطين !!

تعلقت انظار العالم كله بجنيف وأرهف أذانه لسماع صوت الشعب الفلسطينى وثورته المتصاعدة فى أرضه المحتلة ، ووقف الرئيس الفلسطينى أبو عمار يؤكد للعالم ولعقله وضميره ، أن شعبه لا يريد إلا السلام لنفسه

من خير ما نشر

وللجميع ، وأن شعبه لا يطلب إلا حقه فى أرضه وحقه فى تقرير مصيره ، لا يتميز ولا يقبل لأحد أن يتميز عليه ، كما تحدى قادة إسرائيل أن يأتوا تحت مظلة الأمم المتحدة وإشرافها لصنع السلام فى إطار الشرعية الدولية . وهكذا اكد ابو عمار كل المعانى التى ايدها كل الشرفاء والتى تبدت فى تزايد التأييد لقرارات المؤتمر الوطنى وتزايد الاعتراف بالدولة الفلسطينية الفتية التى أعلن قيامها .

الأستاذ / احمد زين

بلا مشاكل

إنه ما دام الناس يحسون انهم يريدون ان يستثمروا اموالهم حلالاً ، ومادام هناك نظام وضعه الإسلام للاستثمار يمكن ان يطبق فلماذا لا توجد قنوات كثيرة لمثل هذه الاستثمارات ؟. على أن تقنن بالطريقة التى تضمن اموال الناس .. وتحفظها .

بصمة العين أحدث أسلوب علمى لتحديد شخصية المجرمين

توصل فريق من العلماء بإحدى المؤسسات الأمريكية إلى طريقة جديدة وسريعة للتحقق من الشخصية وتحديد هوية الأشخاص الذين ترتبط اسماؤهم بقضايا الأمن والجريمة . وتعتمد الطريقة الجديدة على بصمة العين بدلاً من بصمات الأصابع فى التحقق من الشخصية باعتبار انه لا توجد عينان متشابهتان فى كل شىء . ويتم التحقق من الشخصية بهذا الأسلوب بالتقاط صورة لشبكية العين بمجرد قيام الشخص بالنظر فى عدسة جهاز تم تصميمه لهذا الغرض ، ثم مقارنة هذه الصورة ببصمات العين المسجلة على الكمبيوتر الملحق بالجهاز ، وخلال ثانية ونصف الثانية يحدد الكمبيوتر هوية الشخص وما إذا كان مشبوهاً أم لا ، وتتميز هذه الطريقة بالدقة العالية التى تتفوق على بصمات الأصابع المستخدمة حالياً ، ولا يمكن تغييرها أو تزويرها وإلا ادى ذلك إلى تدمير أجزاء كبيرة من العين او فقد البصر تماماً .

الأستاذ احمد بهجت :

العلماء والأمراء

إذا فسد الرأس فسد الجسد ، وإذا صلح الرأس استقام أمر الجسد .. هذا قانون من القوانين التى تحكم المجتمعات والدول ، وهو قانون لا ينكسر أبداً وليس له استثناء .. ورأس المجتمعات هم العلماء والأمراء .

إذا عدل الأمراء وصدق العلماء تقدمت الأمة ، وإذا ظلم الأمراء وكذب العلماء بدأ انحدار الأمة .. وهو انحدار يعقبه الهلاك عادة .

والعلماء إشارة إلى أهل الفكر والعلم . كما أن الأمراء إشارة إلى أهل السياسة والإدارة ، أى أن العلم والسياسة معاً هما أساس تقدم المجتمعات وهما أساس حركتها أصلاً .. ولو تصورنا العلم طاقة يمكن توجيهها ، فإن السياسة والإدارة هما الأداة التى توجه هذه الطاقة . وأى طاقة عظيمة يمكن أن تتبدد فى المجتمع ويضيع أثرها لو فسدت أداة توجيهها .

أنباء وآراء

د. أحمد عبد الرحيم السايح

الأستاذ عبد المنعم فوده

اصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قراراً بتشكيل لجنة مراجعة وتصحيح المصاحف بالأزهر الشريف.

وتضم اللجنة ثمانية عشر عضواً من العلماء المتخصصين فى ضبط ورسم المصحف الشريف برئاسة الشيخ/ محمود حافظ برانق، والشيخ/ محمود أمين.

الاستخفاف بالشريعة عدوان على الشعب السودانى

● حذر الصادق المهدى رئيس وزراء السودان من أن الاستخفاف بالشريعة الإسلامية ودعوة الداعين إلى طردها من التشريع السودانى. وقال المهدى فى تصريحات له: إن هذه الدعوة هى عدوان على حق الشعب السودانى وحرصه العميق على أن يستظلوا بدينهم الحنيف ويعيشوا فى كنفه. وقال المهدى: نحن نفهم إن للإسلام مبادىء عامة توجب الشورى فى الحياة السياسية، والعدالة فى الحياة الاقتصادية والرخاء والتعاون فى الحياة الاجتماعية، وأن الحكومة السودانية تلتزم بهذه التوجيهات.

الأزهر يحذر المسلمين من دعاة التشكيك

● حذرت الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف جماهير المسلمين من مروجى الأفكار المشبوهة، والمذاهب الهدامة، الذين نشطوا مؤخراً فى إصدار بعض الكتب والنشرات التى تحمل الطعن والتشكيك فى عقيدة الإسلام وشرائعه.

وأكدت الأمانة أن الإدارة أبلغت الجهات المختصة لاتخاذ الإجراءات اللازمة لمصادرة بعض الكتب المشبوهة التى تم ضبطها مؤخراً، وثبت خروجها عن تعاليم الإسلام، وتشكيكها فى عقيدته.

●●●

● افتتحت الدورة الخامسة لمجلس مجمع الفقه الإسلامى فى الكويت يوم السبت ١ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ الموافق ١٠ من ديسمبر ١٩٨٨ م وحضر الدورة الدكتور / محمد سيد طنطاوى مفتى الديار ←

أنباء وآراء

المصرية ، والدكتور/ عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

وقد ألقى أمير دولة الكويت كلمة طالب فيها العلماء والمفكرين أن تتضافر جهودهم لتعود الملامح الأصيلة للعالم الإسلامي الذى ينتظم فيه الصف وتتوحد فيه الكلمة ، وأن تسود المحبة على آثار التعصب .

● اختفى - فى ظروف غامضة - مفتى بلغاريا الذى كان مناهضاً لتغيير هوية مسلمى بلغاريا ، وعينت السلطات الشيوعية لبلغاريا بدلاً منه : منير كوشييف .

هل يعنى اختفاء مفتى بلغاريا فى هذه الظروف وتعيين آخر أنه ستكون هناك مباركة لسياسة الحكومة البلغارية فى اضطهاد المسلمين وتغيير هويتهم وتحويل اسمائهم الإسلامية إلى أخرى بلغارية ؟ .

استمرار اضطهاد مسلمى الفلبين فى حكومة كورازون اكينو .

● ذكر مسئول منظمة المسلمين لتحرير جزر (مين سوفالا) الإسلامية أن رئيسة لجنة حقوق الإنسان التابعة للكونجرس الفلبينى اكدت أن نظام (اكينو) مستمر فى اضطهاد المسلمين ، وأنه مماثل تماماً لنظام ماركوس ، وأنه يوجد بالفلبين عشر عصابات لذبح المسلمين .

● تبرع «بيت الزكاة» الكويتى بإنشاء مدينة سكنية للطلاب الوافدين ، ومسجدا و «كافيتريا» كذلك تبرعت «الهيئة الخيرية الإسلامية» بإنشاء معهد عالى لإعداد الدعاة من أنحاء العالم الإسلامى .

والبحث جار حاليا عن قطعة أرض لإقامة هذه المبانى .

من الأراضى المقترحة قطعة ارض بجوار جامعة الأزهر بمدينة نصر .

ألف مسجد فى بريطانيا

● ذكر الكتاب الرسمى السنوى البريطانى أن هناك أكثر من ألف مسجد ومركز للعبادة خاص بالمسلمين فى مختلف أنحاء بريطانيا بما فى ذلك المركز الثقافى الإسلامى الرئيسى الواقع فى وسط لندن .. ويعتبر أهم مركز إسلامى فى العالم الغربى - كما وصفه الكتاب - وقال : إن عدد المسلمين فى بريطانيا حالياً أكثر من مليون ونصف مسلم . وأن عدد المسلمين المولودين فى بريطانيا يتزايد كل عام بالإضافة إلى تزايد أعداد البريطانيين الذين يعتنقون الإسلام .

ممثل البطريركية يطالب بالهيمنة الاسلامية

● طالب السيد (إبراهيم دبور) ممثل البطريركية المقدسية بالقدس المحتلة بالهيمنة الإسلامية على المقدسات المسيحية فى فلسطين . بعد ما أثبته التاريخ من انتهاكات قام بها الصليبيون واليهود على حد سواء للمقدسات المسيحية فى القدس ، بينما عاملها الحكام المسلمون بكل احترام وتقدير . جاء ذلك فى الكلمة التى ألقاها فى الندوة الدولية لحماية المقدسات الدينية فى فلسطين والتى نظمها اتحاد الفنانين العرب بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية بالقاهرة .

فهـــرس العـــدد

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية « أخلاق الإيمان »	
د . علي الخطيب	٦٤١
بيان الإمام الأكبر	
جاد الحق علي جاد الحق	٦٤٢
كلمة الشيخ الشعراوي	٦٤٦
بيان العلماء	٦٤٩
تفسير سورة الفاتحة	
د . محمد عبد المنعم القيعي	٦٥٠
مكانة النفس في القرآن	
د . محمود محمد رسلان	٦٥٤
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	
د . رءوف شلبي	٦٥٩
أبو سفيان بن الحارث	
للأستاذ / السيد حسن قرون	٦٦٥
إعداد الأمة للدفاع	
لواء أ . ح . محمد جمال الدين محفوظ	٦٦٩
محاولة للاستكشاف	
د . أحمد عبد الحميد غراب	٦٧٤
النبي وأمته	
الشيخ معوض عوض إبراهيم	٦٨١
من أعلام الأزهر	
د . محمد رجب البيومي	٦٨٥
العلـوم الكونية	
الإنسان وأبحاث الفضاء الكوني	
د . أحمد فؤاد باشا	٦٩٢
الجراد ـ حياته ـ انتشاره	
د . كارم السيد غنيم	٦٩٧
الشعر والشعراء	
إشراف د . حسن جاد	
خلق المسلم	
رشاد محمد يوسف	٧٠٢
أحب الله	
رفعت عبد الوهاب المرصفي	٧٠٣
اللغة والأدب والنقد	
من ملامح المنهج العلمي	
د . محمد السيد عطية بكر	٧٠٦
ديوان شعر جابر بن حُنّي التغلبي	
أيمن محمد علي ميدان	٧١١
السمات العامة لأسلوب الرافعي	
د . شلتاغ عبود شراد	٧١٨
الفتـــاوى	
للأستاذ / عبد الحميد شاهين	
علي حـــامد	٧٢٢
من روائع الماضي بمجلة الأزهر	
« سبق الإسلام »	
إعداد / عبد الفتاح حسين الزيات	٧٢٦
من خير منتشر	
عبد الفتاح السيد عبد السلام	
عادل رفاعي خفاجة	٧٣٠
أنباء وآراء	
د . أحمد عبد الرحيم السايح	
الأستاذ عبد المنعم قوده	٧٣٣
القسم الإنجليزي	
إشراف د . أنس النجار	
المقالة الثانية :	
الأستاذ / عبد الحكيم أحمد طه	٧٤٥
المقالة الأولى :	
د . أنس مصطفى النجار	٧٥٠

THE *LAST TA-. SHAHHUD.*

ATTAHIYYĀTU LILLĀH. AZZĀKIYĀTU LILLĀH. ATṬAYYIBĀTU WA 'Ṣ-ṢALAWĀTU LILLĀH.
ASSALĀMU 'ALAIKA AYYUHA 'N-NABIYYU WA RAḤMATULLĀHI WA BARAKĀTUH.

ASSALĀMU 'ALAINĀ WA 'ALĀ 'IBĀDILLĀHI 'Ṣ-ṢĀLIḤĪN.
ASHHADU AN LĀ ILĀHA ILLALLĀH,
WAḤDAHŪ LĀ SHARĪKA LAH.
WA ASHHADU ANNA MUḤAMMADAN 'ABDUHŪ WA RASŪLUH.
ALLĀHUMMA ṢALLI 'ALĀ MUḤAMMAD
WA 'ALĀ ĀLI MUḤAMMAD.
KAMĀ ṢALLAITA 'ALĀ IBRĀHĪM.
WA 'ALĀ ĀLI IBRĀHĪM.
WA BĀRIK 'ALĀ MUḤAMMAD, WA 'ALĀ ĀLI MUḤAMMAD.
KAMĀ BARAKTA'ALĀ IBRĀHĪM, WA 'ALĀ ĀLI IBRĀHĪM
FI 'L-'ĀLAMĪN.
INNAKA ḤAMĪDUN MAJĪD.'

The text of the ADHĀN is as follows:

ALLĀHU AKBARU 'LLĀHU AKBAR
ALLĀHU AKBARU 'LLĀHU AKBAR'

ASHHADU AN LĀ 'ILĀHA ILLALLĀH
ASHHADU AN LĀ 'ILĀHA ILLALLĀH

ASHHADU ANNA MUḤAMMADAN RASULULLĀH
ASHHADU ANNA MUḤAMMADAN RASULULLĀH

HAYYA'ALA 'Ṣ-ṢALĀH
HAYYA'ALA 'Ṣ-ṢALĀH

HAYYA'ALA 'L-FALĀH
ḤAYYA'ALA 'L-FALĀḤ

ALLĀHU AKBARU 'LLĀHU AKBAR
LĀ ILĀHA ILLALLĀH

subordination and spiritual communication with the Transcendent Divine Sovereign, creates a feeling of stability, attachment and confidence; and always induces a mental promotion that cultivates love, sympathy, virtue, justice, kindness; and freedom from hatred, jealousy and animosity.

The daily timely performance of prayers indicates that on a global scale, prayers are performed by Muslims all over the earth every minute of the day and night, continuously and endlessly. Every minute diurnal and nocturnal, some Muslims somewhere are standing facing the Qiblah, bending and prostrating to Allah in absolute reverence submission and obedience. In this phenomena is the universality of Islam through prayers. The performance of the Salah for the Muslim is the life long physical and spiritual implementation of the verbal statement of the Shahadah, "There is no god save Allah, and Muhammad is the Messengerof Allah". Sa[illegible] is inherently associated with the Shahadah essentially coherent and sequential; without the Salah, the Shahadah becomes of no value. In the daily five prayers of the Fard, the Muslim performs seventeen Rakahs, thirty four prostrations, nine Tashahuds. He utters ninety four Allahu Akbar, one hundred and fifty three "praise be to Allah, The Great and the Sublime".

(Translated and arranged from the Arabic Original by: Dr.Anas Moustafa El-Naggar)

<u>Al-Fātiḥah.</u> (The Opening Chapter of the Qur'ān,)

BISMI 'LLĀHI'R-RAḤMĀNI'R-RAḤĪM,

AL-ḤAMDU LI'LLĀHI RABBI'L-'ĀLAMĪN,

AR-RAḤMĀNI'R-RAḤĪM,

MĀLIKI YAWMI'D-DĪN,

IYYĀKA NA'BUDU WA IYYĀKA NASTA'ĪN,

IHDINA'Ṣ-ṢIRĀTA'L-MUSTAQĪM,

ṢIRATA'L-LADHĪNA AN'AMTA 'ALAIHIM,

GHAIRI'L-MAGHḌŪBI 'ALAIHIM,

WALA'Ḍ-ḌĀLLĪN,

ĀMĪN.'

of two Rakahs followed by a sermon.

Prayers over the Dead (Salat Al-Janazah). This type of prayer entails special recitals of "Duaa" (supplication to the dead), in the presence of the deceased after "Ghusl" and shrouding the body. The prayers do not constitute any Rakahs or Sujud.

Other categories or prayers performed in the usual manner of Ruku and Sujud are those which become due at special times, on special events. Such prayers include, prayers for Istikharah, prayers for rainfall, prayers for Tahiyat Al-Masjid, prayers after Wudu, prayers after Tawaf, prayers before departures and arrivals. All these are performed of only two Rakahs.

In Musim theism, Fard prayers were made obligatory by Divine Command on all adult Muslims reaching the age of puberty as stated in the Holy Quran. "... And estalbish regular Prayer And give regular charity and loan to Allah a beautiful loan..." (Surat Al-Muzzamil, LXXIII, 20).

Such a Divine order is emphatically repeated several times in the text of the Holy Quran. Again according to the Traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), muslim children should be trained to perform prayers from the age of seven; and punished if they neglect it at the age of ten; and by the age of puberty it should become an indispensable habit to the individual. The performance of Salah ranks as the second pillar of Islam due to its intimate vital necessity in the life of the Muslim believer. It is a concrete substantial aspect of belief that must be excuted and that cannot be recompensed under any circumstances; only the mentally sick are exempt. Due to the cardinal importance of Salah, and because of its necessity as a fundamental ingredient in the life of a Muslim; it was designated to have a specific timely daily uniform repetitive periodicity, in order to establish a continuous communication with Allah.

For a human individual to communicate in worship with the Supreme Being; that individual must be in a spiritual and physical condition of solemnity and obeisant reverence that is eligible and expedient to the situation. This necessitates purity and cleanliness of body and soul. Therefore, it is incumbent on every muslim going to Salah to be in a condition of Taharah in body, garment and place of prayer. The Adhan, the Iqamah, the facing of the Qiblah, the reading of Quran, the bowing and the prostration, the Tashahud and the final Tasslim; are all integral elements of the prayer that denote total and absolute submission of the individual to the Supreme Being. This state of physical

must be announced to declare that the time of a particular prayer has come, and to summon people for congregational prayer. This call is called the "Adhan" which is recited aloud usually from the minaret of a mosque. The regular functionary who performs this rite is called the "Muadhin". When the worshippers have assembled for prayer, the call for start and entery into prayer is announced. This is called the "Iqamah" which is similar to the Adhan without repitition in the text and with the addition of "Qad Qamat Assalah" meaning (Time to start prayers). Thus, the Adhan is the call to come for prayers, and Iqamah is the call to start prayer. The Adhan and Iqamah are specific for the obligatorv Fard prayers only.

During prayers, a Muslim is involved in an act of worship during which he communicates with Allah. It is a state calling for the utmost degree of dignity and concentration of the mind and control of the body and self. Any action inconsistent with such condition must be avoided. Some disapproved acts during prayers may be tolerated although they affect the perfection of prayers, these are called "Makruhat" (disliked actions). Other actions are utterly disapproved which invalidate the prayer. The disliked actions "Makruhat" are unnecessary movements of hands, face or body, or gesturing with hands or eyes, or nodding with head. Also, fumbling with clothes and looking at the watch. Actions which are considered as "Mubtilat" and which invalidate the prayer are speech out of the texts necessary for prayer; laughing; excessive movement; turning away from Qiblah; eating or drinking; occurance of Najasah; occurance of Hadath; uncovering of the Awrah; deliberate increase or decrease of the specific number of Rakahs for a particular prayer.

The Friday prayer (Salat Al-Jummah) is the mid day prayer on Friday. It replaces the Zuhr prayer on Friday. It is a congregational prayer consisting of two Rakahs. It must be preceeded by a sermon consisting of two parts. It must be performed in a group of at least three persons beside the Imam. The Friday prayer is an obligatory duty incumbent upon every adult male Muslim, females and minors are encouraged. The Friday prayer is considered the most meritorious and most important obligatory prayer in the whole week, and it must be performed congregationally.

Prayers of the Id (Salat Al-Id) of which there are two. The first is Id Al-Fitr after the fasting month of Ramadan, falls on the first day of the tenth month. The second is Id Al-Adha, (the feast of sacrifice) falling on the 10th day of the twelveth month of the lunar year. On the two occasions of Id, Muslims offer community congregational prayers in a slightly modified manner than the usual prayers, and in both occasions the prayers is

"Sujud", descending on the knees, hands on floor, forehead on floor. 10) The pause in Sujud to repeat three times the words "subhana Rabbiya Al-Ala" (praise be to my God the Sublime). 11) The sitting back in "julus". 12) Prostrate in Sujud a second time repeating the same words three times. 13) The final and last "julus" is done after the second Sujud for the last Rakah. 14) The recitation of the Tashahud specifically mentioning the text "Ashhadu An La Ilaha illa Allah, Wahdahu La Sharika Lah, Wa Ashhadu Anna Muhammadan Abduhu Wa Rasuluh". (I bear witness that there is no god save Allah, with no associate or partner; and I bear witness that Muhammad is His subjct and Messenger). 15) The first "Tasslim" to the right with the intention of ending the Salah, and the second "Tasslim" to the left. The verbal statement of Tasslim is "Assalamu Alaikum Wa Rahmatullahi Wa Barakatuh."

In the two Rakahs prayers, the final Tashahud is recited during the final Julus before the Tasslim. In the three and four Rakahs prayers, the middle Tashahud is recited in the middle Julus after the first two Rakahs, and the final Tashahud is recited at the end before the Tasslim.

The prayers process is quantized by the number of Rakahs. Each Rakah is considered a prayer unit, which is the act of bending forward to bring the trunk at right angles with the lower limb; and each Rakah is associated with two acts of Sujud. Each prayer is a combination of two, three, or four Rakahs. The regular daily prayers that a Muslim should perform are of two types, the "Fard" prayers and the "Sunnah" prayers. The "Fard" prayers are the obligatory prayers which must be performed. The "Sunnah" prayers are the recommended prayers which may preceed or follow the Fard. The number of Rakahs in the Fard prayers are two for Fajr prayers, four for Noon prayer, four for Zuhr prayer, four for the Asr prayer, three for Maghrib prayer, and four for Isha prayers. These are the obligatory Fard prayers which have to be performed regularly in time without failure under any circumstances. The recommended prayers are the Sunnah prayers according to the traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). They are associated with the Fard prayers and are performed prior to or after the Fard according to the time of prayer. These Sunnah prayers are two Rakahs before the Fajr prayer; four Rakahs before and four after the Zuhr prayer; four Rakahs before the Asr prayer; two Rakahs after the Maghrib prayer; and two before and two after the Isha prayers; finally followed by one or three Rakahs called "the watr" prayer before going to sleep.

Before each of the Fard prayers, a call for prayer

after the sun reaches the middle of the sky, and ends when the shadow of an object reaches a length equal to the height of the object itself plus the length of the shadow the object might have had at the beginning of the period. The afternoon prayers (Salat Al-Asr), the period starts at the ends of the period of the noon prayers, and continues until sunset. The sunset prayer (Salat Al-Maghrib) starts immediately after sunset, and ends when the evening twilight disappears. The Night prayer (Salat Al-Isha) starts after the disappearance of the evening twilight and continues until just before the beginning of the morning twilight. The beginning and end of each of the above periods may vary from day to day, and from one place to another. For convenience, the start of each period should be calculated in terms of hours and minutes. Muslims living in areas where the time interval between sunrise and sunst is too short or too long, usually arrange their life and activities in terms of twenty four hour days; they should arrange to perform their five daily prayers within the active hours in such a manner as to space them appropriately. It is best to follow the prayer times of the Muslims in Makkah, or the nearest country with a prayer calendar; whichever is more convenient. The term "Qada" means to fulfil a prayer obligation within its prescribed period, and the term "Qada" means to fulfil a prayer obligation after the lapse of the prescribed period. A prayer or prayers neglected until the expiry of the prescribed period must not be omitted, but must be performed as Qada prayers. When more than one prayers are to be performed as Qada, their chronological order should be observed.

The prayers process constitutes certain specific acts, movements, and recitations that are mandatory for the correct completion of the Salah. The various actions are precisely sequential; any neglect or omission of any part of the process, renders the Salah incomplete and therefore faulty and must be repeated. The sequential elements of the process of Salah are: 1) The intention to perform a certain prayer (Niyyah). 2) Standing erect (Qiyam) for those who are able; and for the unable, sitting down or lying or even moving the hand, or the eyes, or the fingers; the Qiblah must be faced. 3) The initial Takbir (Takbir of Ihram) by raising both hands to the ears, saying "Allahu Akbar" then rest both hands on the chest, the right over the left. 4) The recitation of the Al-Fatihah, (the opening sura of the Quran; followed by short verses from the Quran. 5) Make the Ruku, which is bending forward to make the palms rest on knees, and body becomes at right angle with the straight lower limbs. 6) The pause in the Ruku to repeat three times the words "subhana Rabbiya Al-Azim" (Praise be to my God the Great". 7) Resuming the erect posture "Itidal". 8) The pause in Itidal. 9) Prostrate in

In some circumstances or situations, water is not available for Taharah; or may be available but in small quantities necessary for drinking of man or animal; or the water cannot be used for medical reasons. In such circumstances and conditions, the person has to resort to Tayammum. By Tayammum is meant the use of dry dust when water is not available, for the performance of "Wudu" or "Ghusl". The procedures of Tayammum should be preceeded with "Niyyah" intention, then touching clean earth, or carpet with the palms of hands and proceeding in the same order by rubbing the skin of the parts required as in Wudu. Tayammum as a procedure is a symbol of Taharah and not Taharah itself. It is only good for one prayer only. Tayammum compensates Wudu for the minor Hadath, compensates "Ghusl" for the major Hadath; however, it does not remove the "najasah". The performance of Tayammum when circumstances dictate, is in reality self compliance and resignation to Allah's ordinance in that respect.

****

Prayers "Salah" is certainly the foremost pillar of Islam which should not be deleted or compensated for: it is the backbone of Muslim Theism, a life time practice for every Muslim from puberty to death. It is a continuous perpetual timely, daily worship. Every act of Salah starts with Takbir "Allahu Akbar" and ends with Taslim "Assalamu Alaykum". It entails the performance of certain postures of standing, kneeling, prostrating; during which specific well defined phrases are humbly recited, in a formal precise and well defined manner. Prayers according to Islamic jurisprudence is conditioned as an obligation and rite of worship; and is conditioned for correctness: and is conditioned in time of performance, and is conditioned in the act of performance. It becomes an obligation, a mandatory rite of worship for every sane, adult Muslim. The conditions for its performance are: The "Taharah" of the body, the garment and the place; freedom from "najasah"; and freedom from "minor Hadath" by Wudu, and from "major Hadath" by "Ghusl". The covering of the Awrah which is defined as the part of the body between the navel and the knees in males, and all the body of the female except the face and hands. The performance of the prayers must be at or after the onset of its time period. The performance of the Salah must be done while facing the Qiblah (the direction of the Kabah); except in wars, and sometimes in travel.

The mandatory daily prayers are five; namely : The Dawn prayer (Salat Al-Fajr), the period starts from the first twilight, and ends when the sun starts to rise. The Noon prayer (Salat Al-Zuhr), the period starts immediately

folds and hair. This "Ghusl" must be preceeded by the "niyyah" intention in the mind to remove the "major Hadath." During the "Ghusl", the right side of the body is washed first, front and back; then the left side of the body front and back.

The "minor Hadath" - (Al-Hadath Al-Asghar) results from five conditions. Sleeping: absence of consciousness due to any cause; the coming out of urine, stools, flatus, or blood; touching the skin of the opposite sex between marriageable persons; and touching the genitalia of one's self or of another person of the same or opposite sex. The removal of the "minor Hadath" is by performing ablution "Wudu". THe process of Wudu is the washing of the hands, the mouth, the nostrils· then washing the face from ear to ear, including the forehead to below the mandible; then washing the right forearm then left forearm from wrists to include the elbows: then partly or fully wetting the head; then washing both ears front and back of the ear folds; finally washing the feet including the ankles, the heels and between the toes. When a person has performed Wudu, he or she can perform prayers, perform Tawaf around the Holy Kabah, journey the distance from Safa to Marwah, touch or carry or read the Holy Quran. The performance of these religious acts is not sanctioned until Wudu is performed.

Therefore, the term "Taharah" means the purity and cleanliness of body, garments, and place of prayer. This can be achieved by the removal of the "najasah" by the use of water. The way of removing the "minor hadath" is by performing Ablution "Wudu". The way of removing the "major hadath" due to "Janabah" or other causes is by "Ghusl". The procedures necessary for both "Wudu" and "Ghusl" have to start by "intention" of performance and then proceed with the steps of washing in either case as has been described.

The condition of a Taharah as an obligatory pre-requisite to Salah; is essentially conceptualized as both physical and spiritual. The physical Taharah of the body, garment, and place is achieved by the use of water (or its substitue in case of absence) to remove a pollution concrete as najasah; or ceremonial or functional as minor or major Hadath. The spiritual taharah is achieved by the inner feeling and cultivation of values and virtues as love, sympathy, kindness, desire to serve, craving to attain repentance and remorse for mistakes, freedom from hatred, jealousy and rancour. Such spiritual purity is attained by the real understanding of muslim ethics and submission in total obedience to Allah. All lawful human activities can be considered a form of worship when they are accompanied by the intention of compliance with the Divine Command or the fulfillment of the will of Allah.

prayers. It is mandatory for the Muslim to be free from any type of pollution, and to be in a state of purity "Taharah" before performing prayers. The tool of Taharah is water, which should be clean, colourless, odourless, non-stagnant and unpolluted by any contaminant. It is therefore, essential to discuss the subject of "Taharah" before the subject of "Salah".

The conditions of "Taharah " that are required for prayers are usually categorized into three aspects. The "Taharah" of garment from the presence of "najasah". The "Taharah" from the major Hadath" . The "Taharah" from the "minor Hadath". The "najasah" is defined as dirt which may touch the body or garment or the place of prayer. Such dirt is essentially wet matter excreted from the body of man or animal; as urine, stools, blood, fluid after sexual orgasm, and vomit. Such "Najasah" must be removed before the performance of prayers. Wine and intoxicating drinks are also considered elements of Najasah, and should be washed with water from garments and from place of prayer in order to render them in a state of "Taharah". Another prerequisite of "Taharah" of the body is the "Istinja" after urination or defecation. The process of "istinja" is the effective removal of all traces of urine and excreta from the orifices of their passage by the use of paper, stone, or water, or a combination of any such materials; water being the best used for that purpose. The left hand is usually used for "istinga" must be washed well after the process.

The "major hadath" - (Al-Hadath Al-Akbar) involves the whole body and is caused by six conditions, three common to both male and female, and three are specific for female. These conditions are: The contact of male and female sexual organs, lawful or unlawful, in sexual contact, whether orgasm is attained or not. The emission of seminal fluid by male, or the attainment of orgasm by female; either in sleep or in awakeness, deliberately or indeliberately, by action leading to it or by imagination. The "major hadath" caused by these events is called "Janabah". The third condition of "Al-Hadath Al-Akbar" is death which requries special treatment of washing and preparation as a duty to be performed by the Muslims present, and not by the deceased person. The three causes for "Al-Hadath Al-Akbar" particular to females are: Menstruation, Delivery, and Pot-natal bleeding.

The removal of the "major Hadath" in all the preceeding conditions concerning both male and female, in order to to attain a state of Taharah is by "Ghusl". This is defined as the washing of every part of the body skin,

THE PILLARS OF ISLAM

"Performance of Prayers"

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hariairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah. His Angle the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection) ?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established?" Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - when the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowedge of the Hour (XXXI, 34). Then the man (Gabriel) left, and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said, "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. I, Chapter 38, The Book of Faith)

The performance of prayers "Salah" is the second pillar of Islam after the Shahadah. Due to its primal importance, it is specifically characterized by certain requirements for its practice and implementation. The execution of Salah is optimized and conditioned in time, number of performancies, and the condition of being sanctified in body during the performance of prayers. Every Muslim who has reached puberty is under the obligation to perform Salah (prayers) five times daily; namely, the morning, the noon, the afternoon, the sunset, and the night

time of Omar ibn Al-Khattab, under the leadership of Ubaydah ibn Al-Garrah, after Omar had decommissioned Khalid ibn Al-Walid from his command of Muslim troops in Syria.

Al-Muthannah ibn Haritha in Iraq remained at Al-Hirah reorganizing his plans with the remaining Muslim forces after the departure of Khalid with half the Muslim troops in Iraq. As expected by Al-Muthanna, the Persian forces mobilized in large masses to attack Al-Muthanna and his forces. The Muslim forces were about fifty miles from Al-Mada'in. Hormoz Jazawieh commander of the Persian troops attacked, leading an elephant infront of the troops. Al-Muthanna with some of his men killed the elephant, and therefore stopped the superiority of the Persians. The Muslims attacked in the strength of their faith and confidence, and the Persians were compelled to retreat into Al-Mada'in. Al-Muthanna could not risk the gamble of following the Persians into their stronghold without re-inforcements from Al-Madinah. Al-Muthanna wrote to Abu Bakre asking the permission of Abu Bakre to recruit as soldiers worriers from tribes who had apostated and came back into Islam, since many of these tribes were more than eager to gain the spoils of war. Al-Muthannah waited, but no reply came from Al-Madinah. He therefore appointed Bashir ibn Al-Khasasiah to command Muslims in Iraq, and hurried personallv to Al-Madinah to convene with Abu Bakre. Al-Muthanna found Abu Bakre on his death bed. Abu Bakre, however, knowing the reason for the presence of Al-Muthannah, summoned Omar ibn Al Khattab and specifically instructed him to prepare to recruit Muslims from all over the Arab Peninsula and send them to reinforce the Muslim forces in Iraq. The capture of Al Mada'in came about later on under the command of Saad ibn Abi Waqqas in the reign of Omar ibn Al Khattab.

regressing, and behind them were the steep cliffs of Al-Waquossah; they retreated hysterically falling back in masses into the gorge. The day was over and the battle of Al-Yarmouk was finally a triumph for the Muslim forces fighting with the spirit of faith and belief. As Khalid ibn Al-Walid stood in the pavillion of the Roman command with raised Muslim banners of victory around him, he stooped and humbly looked up to the heavens above with tears in his eyes, praising Allah for His Blessings and Providence. The casualities among the Muslims were estimated to be about three thousands; and the casualities of the Romans were estimated to be approximately hundred thousands, most of them falling into the canyon.

The triumph of Muslims in the battle of Al-Yarmouk, destroyed the hopes of the Romans to remain in Syria. The Emperor of the Eastern Roman Byzantine Empire, Heraclius, on hearing of the Roman defeat at Al-Yarmouk, evacuated from Homs, and resided up north in Antakia, leaving in each big city a small contingent of Roman troops: and left the defense of each city to its inhabitants. It was clear that the Roman dominance in Syria and the surrounding regions was shrinking. The Muslims, on the other hand, were active with triumph and victory, they were planning their next move, reorganizing their strategy, and awaiting the instructions of Abu Bakre to arrive in mail by messenger from Al-Madinah. The mail arrived carried by Mahmiyah ibn Zaniem. The messenger from Al-Madinah convened with Khalid and handed Khalid a letter with the information that Abu Bakre Al-Siddiq had died; and that Omar ibn Al-Khattab was the man in authority at Al-Madinah; and that Abi Ubaydah ibn Al-Garraah was to become supreme commander of the Muslim forces in Syria instead of Khalid ibn Al Walid.

The sequence of events as related in this treatise are according to the chronicles of Al-Tabari and his school of authors. Other schools as Al-Azddi and Al-Waqdii relate that the battle of Al-Yarmouk came after the surrender of Damascus and Agnadine. The Al-Tabari school relate that the surrender of Damascus and the battle of Agnadine was in the reign of Omar ibn Al-Khattab. The discrepancy between the two schools of chronicles is rather important and of concern in our treatise. If the surrender of Damascus and the battle of Agnadine took place before Al Yarmouk, therefore, the events must have been during the reign of Abu Bakre, and that Khalid ibn Al-Walid was very actively involved as leader of Muslim troops during these encounters; and that Abu Bakre was engineering every detail of the Syrian Crusade; till the triumph of the Muslims at Al-Yarmouk when the messenger from Al-Madinah came with the news of the death of Abu Bakre. The military events between Muslims in Palastine and Jordan took place in the

to learn much of the Roman strategy. He also had time to develop his own plans for battle. He divided the Muslim forces into battalions each of one thousand men. The middle battalions under Abu Ubaydah ibn Al-Garrah, the right flank under Amre ibn Al-Aas and Sherahbil ibn Hassanah, the left flank under Yazied ibn Abi Suffyan. The braves of the army were appointed with special duties during the battle, men as Iqrima ibn Abi Jahle, Safwan ibn Ummayah, Al-Qaqaa ibn Amre, and others. The Muslim forces became fully mobilized in formation, and in fighting spirit, ready for battle. They had among them one thousand of the Prophet's companions, and one hundred from those who witnessed the battle of Badre. How can triumph escape them ? The Roman legions stood in formation also ready for battle and Bahan the Roman Commander gave his orders to attack. The Romans in masses thrusted forward and compelled the Muslims to retreat from their positions. At this stage, Iqrima ibn Abi Jahle cried out loud " Who would vow in fealty to martyrdom?", and soon about five hundred of brave Muslim horsemen including Amre the son of Iqrima gathered and stormed the advacing Romans. They did that in confident belief that Paradise was the abode of those dying in the cause of Allah. This suicide attack on the Roman advancing front ranks was supported by Divine Providence; and the attack shocked and disturbed the Roman forces, scattered their lines and stopped their advance. One Roman legion under the command of Garigah was beseiged and trapped among the Muslim forces. This Roman leader had pro-islamic sentiments, and declared his Islam on the battleground after witnessing the Muslim worriors vowing to death for their faith, to attain the ranks of martyrs and saints. He fought side by side with the Muslims against the Romans.

Soon, the battle became even and very intense, and Khalid ibn Al-Walid infront of his men leaping like a wild leopard giving his orders and managing the boiling caldron of the battle with the talent and experienced wisdom of the master of battles. The men who vowed to death stood their ground, never retreated, they were there to die for the cause of Allah. The smell of paradise was in their nostrils, they had sold themselves to the cause of their true belief. The battle continued through the day, and by the afternoon, Khalid observed that the Romans were giving way, and that their strength and force slackened and weakened, and that some of the horse mounted troops were seeking a way to escape. Khalid instructed his men to give way to these escaping Roman horsemen. The remaining numbers could not bear the brunt of battle, they collapsed, retreated and fell back infront of the Muslim worriors who fought with valour, faith, high spirit and a demand for martyrdom in the path of Allah. The Roman footmen were now

resting to eat and sleep, slaughter some camels for food, and using the water in their bellies to water the horses. On the sixth day, Rafie told the men to look for the stump of a tree between two humps of hills. The men finally found the spot which was the site of a water well. Khalid and his men and mounts rested and recuperated from the arduous experience. The army marched into Syrian territory raiding the tribes Bahra and Tadmor and travelling away from Damascus to reach the gathering of the Muslim troops at Al-Yarmouk, with the Roman legions and their allies from the tribal forces confronting them. Each force drawing the suitable strategy for the situation.

The situation was ambiguous, the Roman and tribal forces amounting to two hundred and forty thousands, and the Muslim forces amounting to fourty thousand. Each camp opposite the other, the arrival of Khalid and his troops added to the complexity of the situation in the Muslim camp; and the simultaneous arrival of Behan the capable Roman commander raised the spirits of the Romans. According to some chronicles, Khalid was not commissioned by Abu Bakre as commander of Muslim forces, each leader commanded his own men independently. According to other chronicles, Khalid was commissioned by Abu Bakre to command all Muslim troops in Syria at that time. Three weeks passed since the arrival of Khalid, the Muslim armies could not plan any real strategy without one man in command. The Roman legions were actively organizing their ranks and appeared to be preparing for active combat. These news compelled the Muslim commanders to get together and plan a unified strategy. Khalid ibn Al-Walid confronted his compansions with the weak position they were in. He informed them that they cannot confront in battle mobilized forces with dispersed troops. The Romans were fully united into one force and one mind for strategy; and the Muslims were divided into several small armies, each with its own commander; and without any mobilized total strategy for battle. Khalid baseeched his companions to unite in force and in leadership, a situation that Abu Bakre himself wished them to do. The Muslim army leaders realized that the words of Khalid were correct, and asked for his advice and opinion. Khalid declared that all Muslim armies must be united under one command; and that every one of them present would have his turn in command for one day; and that they allow him the first day of battle. All the leaders agreed knowing that it was a long term battle; and that their turn would come to command; and that the strategic skill and capability of Khalid were suitable to bear the brunt of the first day of battle.

During the weeks Khalid spent at Al-Waquossah, he came

ABU BAKRE AL-SIDDIQ

The Syrian Crusade (Part II)

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

Khalid ibn Al-Walid at Al-Hirah in Iraq received the message of Abu Bakre, in which Abu Bakre orders Khalid to give his command of the Muslim forces in Iraq to Al-Muthanna ibn Harithah, and with all expediency to join the Muslim force at Al-Waquossah on Al-Yarmouk in Syria, with half his troops. The message of Abu Bakre took Khalid by surprise; he was planning to reach Al-Mada'in the Persian capital of Iraq, and to gain the pride and honour as the conquerer of Iraq. Now, he has to obey the message of Abu Bakre, and comply with his orders to go to Syria. He could return to Iraq after completion of his mission in Syria. Khalid divided the Muslim forces at Al-Hirah, and took half the troops under his command, and left Al-Muthanna ibn Harithah the other half. He ordered all elderly men, women and children back to Al-Madinah, so that they do not burden Al-Muthanna in case of Persian aggression. Khalid left Al-Hirah with half the Muslim troops; and Al-Muthanna accompanied him to the border of the desert.

Khalid had to decide what route to take to reach Al-Waquossah in the shortest possible time, also to avoid any encounter with alien tribal forces or Roman legions. Khalid consulted his men, and was informed that the only route free of the enemy was very hazardous to cross in an army formation, it would take a journey of five nights through very rough desert country without water or shade. Again Khalid consulted his men, promoting their will and courage to the challenge of the unknown; and they consented to face the danger, confident of Allah's Providence. The guide on this route was Rafie ibn Amirah Al-Tayi, who instructed the men to over water their camels to full capacity and more, to act as water tanks along the long dry route. They spent five days travelling across severely arid and bitter desert terrain, depending on Allah's mercy and confident of success. They silently and patiently followed their guide;

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 61, PART VI

Jummada Al-Akhera, 1409, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq.

The Syrian Crusade (Part II).

By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Pillars of Islam.

The Performance of Salah. (Prayers)

By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
رجب ١٤٠٩ هـ
فبراير ١٩٨٩ م
الجزء السابع
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة الأيلاف

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وبعد :

فحين بدأت كتابة «مقدمة قبل الهجرة» في المحرم من عام ١٤٠٨ هـ - بدأت ببيان مختصر عن «النظم» التي مارستها القبائل العربية ، فيما بين أفراد القبيلة: «سياسة داخلية»، وفيما بين القبائل بعضها وبعض: «سياسة خارجية» ، واخترنا أن نقصر الحديث على السياسات الخارجية مختارين منها ثلاثا تعتبر في الذروة منها ، حتى إن بعضها قد مارسته القبيلة «داخليا» كما مارسته «خارجيا» وتلك الثلاث هي : الحلف ، والجوار ، والإيلاف .

وشاء المولى - جل وعز - أن ننتهي من حديث «الحلف» و«الجوار» وهذا حديث الإيلاف ، وتلك - في البداية مقدمته :

←

قصة الايلاف

مرت الجزيرة العربية فى عصرها التاريخى[1] ـ قبل بعثة رسول الله ـ ﷺ ـ لفترات معدودة بانتعاش اقتصادى زاهر ، أبرزها فترتان ، أشار إليهما الكتاب العزيز ، هما: «سبأ» و«الإيلاف» .

فعن «سبأ» وما نعمت به من رفاهية ـ حين استقامت على وحدانية الله ـ سبحانه ـ وطاعته ، وعملت ـ بإذن ربها ـ حرصا ورعاية على أسباب نعمتها؛فأقامت سدها المشهور على مسافة ١٤٥ ك م تقريباً إلى الشرق الشمالى من "صنعاء"؛ حيث تجتمع سيول اليمن الغربية مع السيل الذى يأتى من الشمال ، والسيل الذى يأتى من الجنوب ، وتؤلف جميع هذه السيول شبه بحيرة كبيرة مستديرة ومرتفعة من جهة الغرب والشمال والجنوب ، ومنخفضة من جهة الشرق فتسير جميعها شرقا فى مجرى سَيْلٍ واحد ، وتدخل جميعها بوادى جبل «بلق» فتقسمه إلى جبلين :"بلق" الأيسر إلى الشمال ، و«بلق» الأيمن إلى الجنوب ؛ لأنه واقع على يمين الآتى إلى «مأرب» ويزداد اتساع الوادى بين البلقين كلما اتجه الإنسان شرقا حتى ليبلغ عرضه نحو خمسمائة متر ، ثم يأخذ فى الضيق إلى أن يبلغ نحو ١٧٥ مترا فى مخرجه آخر الجبلين بمكان يسمى «مربط الدم»،وفى هذا المكان بُنِىَ السد ، وهو عبارة عن جدار مبنى بالتوازى إلى جانب «بلق» الأيمن ، وفيه مخرج واحد للماء قائم إلى جانب الجبل ، عرضه نحو أربعة أمتار ونصف تقريبا ، وجداره الواحد هذا عبارة عن صخرة عظيمة فى جانب الجبل[2] .

ثم عَمَّا آل إليه أمرها حين بطرت نعمة ربها ، وتحدت مشيئته فأصابها «سيلُ العَرِمِ» الذى أتى على السد فخربه ، يقول ـ عز وجل :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ[3] وَأَثْلٍ[4] وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ[5] قَلِيلٍ . ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ . وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِى

---

(١) العصر التاريخى لأمة هو:العصر الذى تترك فيه تلك الأمة للناس أخباراً و آثاراً تتعلق بشئونها ، فأما ما كان من قبل ذلك فهو تاريخ «أسطورى» وقد يشارك الأمة فى بيان عصر تاريخى لها أمة أخرى كان لها معها شأن ، كذلك يمكن أن يدخل جزء من التاريخ الأسطورى العصرَ التاريخى ـ مع مضى الزمن ـ إثر كشف ونحوه .

(٢) بتصرف عن الأستاذ نزيه العظم ورد بالجزء الثانى من كتابه «من رحلة إلى بلاد العرب السعيدة» ... راجع للأستاذ محمد مبروك نافع «تاريخ العرب : عصر ما قبل الإسلام» ، ص ١٠١ م النهضة المصرية ط ٢ ـ ١٩٥٢ . ونلاحظ أن الصخرة حملت فيما بعد كتابة حِمْيَرِية فى عصر حمير التالى لعصر سبأ . انظر نفس المرجع .

(٣) هو ثمر الأراك ، وهو نبت مرّ .

(٤) ضرب من الطرفاء نُفَعُهُ فى خشبه لاثمره ، وهو فصائل لا خير فيها لطعام .

(٥) قال ابن كثير : صار أمرتينك الجنتين .. إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذى الشوك الكثير والثمر القليل .

بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ . فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ(٦) فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ سبأ ١٥ - ٢١ .

وعن «الإيلاف» كانت سورة «قريش» يقول تعالى :

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِنْ خَوْفٍ ﴾ .

* * *

استغرق عصر سبأ - بجنوب الجزيرة العربية - تسعة قرون تقريباً قبل ان يأفل نجمها عام ١١٥ ق . م،وازهى هذا العصر كان متحدا - تقريبا - مع عصر سليمان - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام(٧) . ثم ثبت على ازدهاره من بعد ذلك امداً طويلاً ، وكانت «سبأ» عصر «سليمان» على «قوة وبأس» صَدَّقَهُمَا القرآن الكريم ، ولم يعقب عليهما بتكذيب ، وذلك إذ جمعتْ الملكةُ الملأَ من مستشاريها ، وعرضتْ عليهم امرَ سليمان - عليه السلام :

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ . قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾(٨) النمل ٣٢ - ٣٣ .

ويغلب على ظنى ، وأمل أن اكون مصيباً أن فترة الإيمان والاستقامة والطاعة لأمر الله - عز وجل - التى تشير إليها آيات «النعمة والامن» فى سبأ تبدأ فى حكم هذه الملكة ، فإن الكتاب العزيز نص - صراحة - على إيمان هذه الملكة بالوحدانية على يدى سليمان - عليه السلام - وفى ذلك يقول المولى - جل جلاله - يحكى شهادةَ إيمانها وَطَرْحَها لوثنية قوامُها (عبادةُ الشمس) :

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ النمل ٤٤ .

فأما ما تتحدث به روايات تاريخية عن إرسال العديد من رسل الله - عز وجل - إلى أهل سبأ يدعونهم للإيمان فأمر أرى له وجها اذكره - بمشيئة الله .

لقد أودع د /جوادُ علىّ فى موسوعته «تاريخ العرب قبل الإسلام» فى الجزء الدينى منها دراسة

←

(٦) ظَنُّ ابليس هو «امنيته فى ابن ادم ان يُغْوِيهُ ويضله ويجعله تابعا له ، وصَدَقَ ظنه فى اهل سبا حين بدلوا نعمة الله كفرا فاستحقوا البوار .

(٧) حكم سليمان - عليه الصلاة والسلام - مملكته الفترة (٩٦٠ - ٩٣٠ ق . م) راجع لـ . ج . ادجار . وشفيق غربال كتاب «التاريخ القديم» فصل «بنو إسرائيل» .

(٨) ويخطىء بعض المؤرخين حين يصفون تلك المملكة بالضعف التام ، وإنما هى ضعيفة إذا قورنت بما كان لسليمان عليه السلام - من قوة .

تحليلية مطولة عن اسم المولى ـ عز وجل : «الرحمن» الذى عثر عليه بنقش ـ أو اكثر ـ بجنوب الجزيرة ، وقد كتب بحال نطق القوم آنذاك ، وهذا الاسم الكريم إنما ورد ـ أول مرة ـ إلى هذه البقاع فى رسالة سليمان ـ عليه السلام ـ إلى هذه الملكة ، وكان فى صدر رسالته التالية :

﴿بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ .

أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ النمل ٣٠ ـ ٣١ .

وَطَلَبُ سليمان إيمانَ القوم صريحٌ فى رسالته صراحة إسلامها فى نهاية الأمر ، ونلاحظ ـ مع الآيات الكريمة أن إيمان الملكة لم يأت عن إكراه ؛ بل عن اقتناع تام مصحوب بالرضا ورجاء القبول لدى الله ـ عز وجل ـ فَأَنْ يُؤمنَ قومُها ، وأن تأخذ ـ هى ـ فى نشر الوحدانية أمر مقبول ميسور .

وهنا أرى ـ وأرجو ـ أن أكون مصيباً أيضاً : أن رواية وهب بن منبه ـ رضى الله عنه ـ التى تقول : «أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبيا» أرى أنهم ليسوا إلا «دعاة» لدين الله ـ جل جلاله ـ أرسل بهم سليمان ـ عليه السلام ـ إلى القوم يعلمونهم كيف يعبدون الواحد الأحد ، وحتى عصر المسيح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ وقبل بعثته لم تخل جماعة الإسرائيليين من أنبياء ، وليس بعيداً أن يكون بعض هؤلاء الهداة أنبياء ، وبذلك يستقيم ـ أيضا ـ رأى السدى ـ رضى الله عنه ـ الذى يراهم قدبلغوا الافا(٩) فأى غرابة فى أن يرسل سليمان ـ عليه السلام ـ بجماعة بعد جماعة ؟!

وهل ننسى أن بعض اليهود استقر باليمن من عصر بعيد !

* * *

وتضعف دولة سليمان ـ عليه السلام ـ عقب موته ، ثم تضمحل وتبيد بينما تقوى «سبأ» وتزداد بالإيمان والطاعة قوة تمكنها من بسط حمايتها على طول طريق قوافلها التى تبدأ من الجنوب حتى تصل آمنة إلى الشام ذات القرى المباركة ، كما يصل بعضها إلى خليج العرب ، أى «البحر الأحمر» فتصل حمولته إلى مصر التى عبّد حكامها الطريق بين «قنا» و «القصير» كما أعاد «بطليموس الثانى» الذى حكم مصر الفترة (٢٨٥ ـ ٢٤٦ ق م) فتح القناة التى تصل النيل بالبحر الأحمر .

كان ازدهار سبأ يعتمد ـ فى داخلها ـ على ما حققته ببناء السد من اكتفاء زراعى لشعبها عاش به بين جنتين ، ثم كان مازاد عن حاجتها إلى جانب «التجارة الدولية» الخطيرة الشأن التى كانت تمسك بأمرها ، فإن «الهند» لم تكن قد عرفت ـ بعد ـ للغرب ، فكان العرب وحدهم أمراء البحرية بين ثغور بلاد العرب الشرقية والهند ، وهم الذين أحاطوا علماً دقيقاً ومعرفة وثيقة بالأنواء والرياح الموسمية للمحيط

---

(٩) راجع لابن كثير السيرة النبوية ١٠/١ ط . عيسى البابى الحلبى ١٣٨٤ .

الهندي ومداخل «المندب» فجلبوا من الهند : التوابل والطيب والبخور والحيوانات النادرة كالطواويس والنسانيس وغيرها من العروض والسلع التى كان الغرب يعتقد أنها ـ جميعا ـ نتاج الجزيرة العربية .

وكانت الطرق البرية ـ داخل الجزيرة ـ مفضلة نظراً إلى صعوبة الملاحة فى البحر الأحمر الذى لم يلق له السبئيون اهتماما بحرياً حيث لم يشكل عندهم مصدراً تجارياً يغرى بترك الهند .

وكان من أهم طرق «سبأ» داخل الجزيرة طريقان :

طريق تبدأ من مدينة «شبوة» بحضرموت ، وتسير إلى «مأرب» عاصمة «سبأ» ومنها إلى «مكة» فـ «البتراء» فَغَزَّة فتكون على ساحل البحر الأبيض .

وطريق تبدأ من ساحل «عمان» وتنتهى عند البحر الأحمر .

فامتلكت «سبأ» ناصية الأمر على الشاطىء الشرقى للأبيض والأحمر .

هذا جزء مما وعاه التاريخ من أمر هذه القوافل الآمنة التى جعلت لها «حكومة سبأ» القوية «مستراحات» تقاربَتْ ـ فيما بينها فى قُرًى ظاهرة هى التى تحدثت عنها الآيات الكريمة ، فى تلك القرى تجد القوافل راحتها وحاجتها بين مرحلة وأخرى من حيث ابتداؤها من الجنوب حتى نهايتها إلى الشام ذى القرى المباركة ، وإلى ثغر البحر الأحمر .

فهى ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ اى متواصلة من اليمن إلى الشام بينة واضحة يعرفها المسافرون .

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ فكانت حسب حاجة المسافرين بسبب قرب بعضها من بعض يستطيع المسافر أن يَقِيل فى واحدة ، ويبيت فى أخرى آمنا مطمئنا .

﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ بين قراكم هذه الظاهرة ، والقرى التى باركنا فيها بالشام ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ .

* * *

وظلت «سبأ» قلب العالم التجارى ، بل مصرفه المالى الضخم بما احتكرت من سلع تهافت عليها حكام الغرب وأغنياؤه حتى جأر «بلينيوس» المؤرخ الرومانى : «مما تبتزه العرب من نقد يعد ثروة طائلة نبذرها على أهواء مترفينا ونسائنا» كما يقول(١٠) .

لقد كانت «سبأ» آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان حتى كفرت بأنعم الله ـ جل جلاله ـ وباد مؤمنوها ، وظهر الفساق من مُتْرَفيها ، فكال ـ سبحانه ـ لها العذاب :

فأما فى «الداخل» فقد سلط الله سبحانه ـ على سَدِّها ، سَيْلَ العَرِم ، فهدمه . وأما فى « الخارج » فقد تَكَشَّفَ للغرب أمر «الهند» على يدى ضابط بحرى هو «هيلوس» الذى تسلل متنكراً فى البحرية العربية ، وهبط الهند ، فأحاط الغرب علما بخفايا الطرق البحرية ، وأضاعت سبأ بكفرها وجحودها عصر ازدهار رائع .. حتى كان «الإيلاف» على يدى هاشم بن عبد مناف الجد الثانى لرسول الله ﷺ ـ أقوى ظاهرة جامعة لازدهار اقتصادى عظيم .

د. على أحمد الخطيب

(١٠) راجع للدكتور فيليب حِتّى ـ تاريخ العرب مطول ص ٧٨ دار الكشاف بيروت .

تعقيب على موضوع حرمان العصبة من إرث الباقي من البنات

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد :

فقد كتب الأستاذ أحمد بهاء الدين في كلمته (يوميات) بجريدة الأهرام الصادرة في ٨٨/١٢/١٦ أن مذاهب الفقه الإسلامي لا تختلف إلا في القليل ، وهي مذاهب دين واحد ، هو الإسلام ، والاختيار للمجتمع يكون في هذا العصر للمصلحة لا للتعصب ، والمصلحة واضحة .

وذهب الأستاذ بهاء الدين تبعاً لذلك إلى الدعوة للنظر في الأخذ بقول الفقه الشيعي (للإمامية أو الجعفرية أو الاثنى عشرية .. وكلها عناوين لمذهب واحد) . الذي منع العصبة من إرث باقي التركة بعد فرض البنت أو البنات كالحال إذا انفرد الابن بالتركة أو كان أولاد المتوفى ذكوراً وإناثاً ..

وعلى حد تعبير اليوميات (.. يكفي وجود البنت أو البنات كي تظل التركة في الحدود نفسها المرسومة ، كحالة وجود الابن الذكر ، فلا يشعر الأب بأنه منكوب بوجود بناته ..) إلخ ..

كما طالعت تعقيب كل من أ . د/ عبد الحميد ميهوب ، ود ./ عبد المنعم النمر ثم الكلمات الثلاث التي نشرت بيوميات الأهرام أيام ٢٩ ، ٣٠ ، ١٩٨٨/١٢/٣١ .

ذلك : أن من قواعد فقه الشيعة الإمامية في أحكام المواريث كما تردد في كتبهم التي اطلعت عليها ـ ومنها "الكافي"، "والوافي" "ومن لا يحضره الفقيه"، "وجواهر الكلام ـ حيث جاء في هذا الأخير ما يلي :ـ (قد أجمع أصحابنا وتواترت أخبارنا عن سادتنا ، بل هو من ضروريات مذهبنا أنه لا يثبت الميراث عندنا بالتعصيب ، وهو توريث ما فضل عن السهام لمن كان من العصبة ، وهم : الابن والأب ومن يدلى بهما من غير ذوى السهام ..) ويروون في ذلك أثراً منسوباً إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه ، ويستندون في هذا إلى صحيفة : (كتاب الفرائض) التي يدعون إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها على سيدنا علي رضي الله عنه .

حيث كتبها بخطه ، ثم كانت بيد جعفر حسبما جاء مردداً في تلك الكتب وفي كتاب (وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) ..

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

ولهم فى هذا فروع ترددت فى المصادر الفقهية لمذهبهم .. هذا الذى انفرد بهذه القاعدة دون باقى مذاهب الفقه الإسلامى السبعة ، التى نُقل فقهها نقلاً مدوناً ، صحيحاً ثابتاً ، وهى مذاهب الحنفية والمالكية ، والشافعية والحنابلة والزيدية والظاهرية والاباضية ، فقد جرت هذه المذاهب على توريث العصبة الذين هم القرابة من جهة الأب . ومن جهة الابن ، وتسمى عصوبة نسبية ، وحكم هؤلاء العصبة بالنفس لدى هذه المذاهب السبعة ـ بوجه عام ـ أنهم يرثون ما بقى من السهام بعد ذوى الفروض إن وجدوا ولم تستغرق سهامهم كل التركة ، فإن لم يوجد أحد منهم استحق العصبة بأنفسهم كل التركة .

وإن استغرقت سهام ذوى الفروض التركة لم تستحق العصبة شيئاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما : (الحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِى فَلِأَوْلَى رجل ذكر) ..

وما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن جابر بن عبد الله فى شأن بِنْتَىْ سعد بن الربيع حيث قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم تركة سعد هذا : فأعطى لبنتيه الثلثين فرضاً بالسوية بينهما ولزوجته : أمهما الثمن فرضاً ، ولعمهما أخى سعد الباقى .

وتطبيقات أخرى فى توريث العصبة بالنفس والعصبة بالغير ، والعصبة مع الغير واردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها عمل الصحابة رضوان الله عليهم .

والواضح من نصوص القرآن الكريم فى آيات المواريث ، ومن نصوص السنة الشريفة التى وثقها جمهور المحدثين أن ما انفرد به فقه المذهب الشيعى الإمامى فى هذا الموضع وغيره خروج على نصوص القرآن والسنة الصحيحة ، فضلاً عن عمل الصحابة رضوان الله عليهم . ولم يُرْوَ خَبَرٌ صحيح بمخالفة الإمام على ـ رضى الله عنه ـ فى ذلك سوى ما نسب إليه فى كتب هؤلاء الشيعة .

هذا : ولا يجوز ـ بعد ما اجتمع عليه عمل الصحابة مما يعد إجماعاً منهم ومن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ـ إعادة النظر والاجتهاد فى حكم شرعى من ثوابت الأحكام الشرعية .

كما لا ينبغى إطلاق القول بأن الاختيار للمجتمع يكون فى هذا العصر للمصلحة إذ النظر فى المصلحة لا يكون مع وجود النصوص ، والمصلحة التى تغياها شرع الله هى التى لا تتنافى مع مقاصد الإسلام ، والمستقر من أحكامه .

←

تعقيب على موضوع حرمان العصبة

والقرآن قد قطع فى أمر الاجتهاد بالدعوة إلى الاتباع فى أمر التشريع والطاعة للنصوص .. يقول الله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ ويقول عز وجل :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ..

وفضلاً عن هذا فإن الشرع الحنيف قد وكل أمر النظر فى الأحكام لطائفة من الأمة فقهت فى دين الله .

يقول سبحانه : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ . فالتمييز بين الصواب وغير الصواب من القول فى أمور الدين بوجه عام ـ إنما هو لهذه الطائفة ـ لا للمجتمع بمعنى الرأى العام ، كالشأن فى اى تخصص علمى له ابعاده ومقوماته العلمية وله خصائصه ، ذلك أن الأمر فى التشريع الإسلامى والاستنباط من نصوصه ، له ضوابطه التى يجب الالتزام بها ، والتى لا يتسع المقام حتى لإجمالها .

ثم إن الأمر فى الواقعة المثارة هو أمر الدليل وحكمه ، وليس فى إطلاق الاختيار بين الآراء لمن يشاء ، إذ أن أحكام المواريث من احكام الله التى نُصَّ عليها فى القرآن الكريم ، وفى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قولاً وتطبيقاً .

وبالمقارنة العلمية إجمالاً بين ادلة من يرون الارث بالتعصيب وهم فقهاء المذاهب السبعة المدون فقههم ، وغيرهم من الفقهاء الذين توالت الروايات عنهم فى كتب الفقه العام ، وبين من لا يرون هذا وهم الشيعة الجعفرية ـ إن المقارنة ـ ترجح ادلة الأولين على أدلة الآخرين . ذلك لأن الشيعة حينما منعوا الإرث بالتعصيب كمبدأ لمذهبهم قالوا برد باقى التركة على أصحاب الفروض بوجه عام ، حتى إذا ما كان للمتوفى بنت أو بنات فقط ووجد معها أو معهن عاصب من غير الأبناء والأب ، حازت البنت أو البنات كل التركة فرضاً ورداً .

والتوريث بالرد امر اجتهادى لا يستند إلى نص خاص ، ومن ثم كان الاختلاف واسعاً فى مداه وفى مواضعه .

وليس لدى الشيعة من سند فى هذا إلا ما يتردد فى كتبهم ـ على ما سبقت الإشارة إلى نصه المنقول عن كتاب جواهر الكلام ـ وهو قول أئمتهم ، وهو قول لا يثبت عند غيرهم .

ومن ثم يبقى قولهم بالرد على البنات وحرمان العصبة من الإرث قول بلا سند من القرآن ـ ولا من السنة الصحيحة الثابتة ، حال إن إرث العصبة بوجه عام ثابت بآيتين فى كتاب الله سبحانه : أولاهما فى سورة النساء . يقول تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ والاخرى فى سورة الأنفال يقول سبحانه : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ثم بباقى آيات المواريث .

فأيهما أحق وأولى بالاعمال ؟ آيات القرآن الكريم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضاؤه

التطبيقى الذى ورّث فيه العصبة من الرجال ، بل وورث الأخت مع البنت ولم يَرُدَّ على البنت ؟ أو الأخذ بقول ليس له سند صحيح ؟

أيهما أولى ، الرد على البنت أو البنات ؟ أو إعمال نص القرآن بتوريث العصبة الذين لم تحدد فروضهم ودخلوا فى عموم قول الله : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ وقول الله : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ .. ﴾؟

هذا ما قضى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الذى كلفه الله بإبلاغ الرسالة وبيان القرآن ، وهو لا ينطق عن الهوى ، يقول تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

ولقد جرى عمل الصحابة رضى الله عنهم ، ومنهم الإمام على - كرم الله وجهه - على ذلك ومن ثم فإن الإرث بالتعصيب لما بقى بعد أصحاب الفروض هو الحق الذى توجبه الأدلة من القرآن والسنة وعمل الصحابة ، لا سيما والقرآن قد بين حال أقوى العصبة ، وهو الأب ، ليتبين منه حال سائر العصبات بدلالة تلك النصوص .

هذا : ولعل فى القول - بأن الإغضاء عن الأخذ بالفقه الشيعى فى هذه الواقعة أو غيرها إنما هو من باب التعصب المذهبى - تجاوزا للواقع فى مصر بوجه خاص ، لاسيما فى أمور التشريع ، إذ لا يخفى أن القضاء والفتوى فى المواريث وغيرها كان يجرى على مقتضى فقه المذهب الحنفى فقط بضوابط وقيود ، ثم كان الاتجاه الذى قاده المصلحون من العلماء منذ أواخر القرن الماضى وأثمر عدة قوانين أخذت بعض نصوصها من غير الفقه الحنفى بعد مقارنة الأدلة للمذاهب المختلفة فى كل واقعة فى تقنينها .

ومن ثم صدر القانونان رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ ورقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ببعض مسائل الأحوال الشخصية مستقاة من الفقه المالكى والشافعى والحنبلى ، وبعض القواعد الموضوعية التى جاءت بلائحة المحاكم الشرعية رقم ٧٥ لسنة ١٩٣١ ، ثم كان قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ م .. والذى بدأت اللجنة عملها له عام ١٩٣٦ ، ثم تابعت اللجنة عملها بعد إصداره حتى أعدت قانونى الوصية والوقف اللذين صدرا فى سنة ١٩٤٦ ، وكان فقه المذاهب الثمانية مطروحاً أمامها فى كل تلك الموضوعات على ما هو ثابت من محاضر وجلسات تلك اللجنة (لجنة الأحوال الشخصية) ومذكرات بعض أعضائها ، والمذكرة التفسيرية التى وضعتها بشأن مراجعه ومصادره ، والمذكرة الإيضاحية التى قدمتها الحكومة إلى "البرلمان" لبيان أساسه وخطة وضعه ، وكان أن جاءت أحكام نحو ١٩ مادة من غير الفقه الحنفى، أو بترجيح قول فى هذا الفقه على ما كان العمل يجرى عليه وذلك من بين ٤٨ مادة هى جملة مواد قانون المواريث ، فأين هو التعصب المذهبى فى التشريع ؟.

إنه ليس من السهل أن نقبل تجريح الأحاديث الصحيحة التى تثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم وجاءت بها كتب الصحاح لمجرد زعم أن طاوساً راوى حديث (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فَلِأَوْلَى رجل ذكر) قد تبرأ منه ، أو أن ابن عباس أنكر روايته عنه . وكل هذا غير صحيح بعد إخراج البخارى ومسلم لهذا الحديث وعلى ما هو محقق فى موضعه من كتب الفقه والحديث ، هذا فضلاً عن باقى الواقعات التى قضى فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتوريث العصبة بالنفس ومع الغير مع بنات المتوفى وقد سبقت الإشارة إلى بعضها .

تعقيب على موضوع حرمان العصبة

على أن كلمة الولد ، الواردة فى بعض آيات المواريث لا تصلح سنداً لمذهب الشيعة فى منع التوريث بالتعصيب بإطلاقه ، لأن آية المواريث قد حددت نصيب الأولاد ، إذا كانوا ذكوراً وإناثاً أو إناثاً فقط . قال الله سبحانه فى سورة النساء : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ . . ﴾ أى أن تلك الفروض للبنت وللبنات مقررة ، إذا انفردت أو انفردن وجاءت كلمة (إن كان له ولد) عند تحديد نصيب الأبوين وليس فى موضوعنا هذا .

وقد سبق القول بأن الفقه الشيعى يرد باقى التركة بعد الفروض على أصحاب الفرض ولا يعطيه للعصبة وعندئذ فاستحقاق أصحاب الفروض لباقى التركة ليس فرضاً أصلياً ولكنه رد ، وليس حجباً على ما هو الحال عند وجود الذكر ؛ لأن الحجب فى نطاق المواريث غير الرد، ولكل موقفه وضوابطه .

وكل ما يلزم التأكيد عليه أن الحجج الشرعية فى هذا المجال قد نوقشت واستقرت دون تعصب ، وقد أشرت فيما سبق إلى أن (لجنة الأحوال الشخصية) التى وضعت مشروع قانون المواريث ٧٧ لسنة ١٩٤٣ واجهت كل ذلك بحثاً عن الحجة لا عن الهوى .

وموضوع جواز الوصية للوارث الذى جاء فى قانون الوصية وكذلك الوصية الواجبة ، إنما مصدرهما بعض وجوه التفسير لآيات سورة البقرة فى شأن الوصية : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ . . ﴾ الآيات ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ من سورة البقرة . وحين أخذ قانون الوصية بإجازة الوصية للوارث ، وبوجوب الوصية أى بحكم القانون بالنسبة لفرع من توفى (المادة ٧٦ من القانون) إنما رأى رجحان الدليل بغض النظر عن القائل به .

ثم أنه لا ريب أن الإمام جعفر الصادق موضع التجلة والتقدير ، ولكن الذى ثبت بالتحقيق العلمى أن « صحيفة الفرائض » لم يثبت صدورها عن الإمام على - رضى الله عنه - كما لم يثبت صحة ما نسب إليها فى الموضوع .

ومما يلزم بيانه أن مادة (الفقه المقارن) التى تدرس فى كليات الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف لا تقتصر على دراسة المذاهب الأربعة المشهورة ، وإنما تدرس المذاهب الثمانية سالفة الذكر ، وتقدم رسائل الدراسات العليا فى أمثال هذه الموضوعات تحقيقاً وتوثيقاً ومقارنة بين الأدلة .

ولعله قد وضح أنه لا محل للتعصب المذهبى فى مقام البحث العلمى المستوعب ، وأن هذه المسائل ليست بنت اليوم ، وأنها كما قيل : (قتلت بحثاً) وأن كتب الفقه - بوجه عام - وكتب الحديث وكتب الفرائض قد جَمَعَتْ ، وقارنت مقارنة علمية دون غرض أو هدف سوى الحق والعلم وحده .

وتطبيقات المواريث قد اختلف فيها الأولون ، ولكن الاعتداد إنما يكون بقول من أسند إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله الحكم بفهم صحيح ، ونقل موثوق . ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

شيخ الأزهر
(جاد الحق على جاد الحق)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . وبعد :

فإن القارىء لمجلة الأزهر قد لمس جهد القائمين عليها إعدادا وتحريرا ، وهذا حجمها بين يديه يؤدى دوره فى مختلف المجالات العلمية والأدبية ، ولسنا نشك فى انه يود لهذه المجلة ان تسير على منهجها هذا ، وان تنشد على دَرْبِهِ الكمال .

وإن ثمن المجلة الحالى "عشرين قرشا"، وهى تعد كتابين لا كتابا واحدا ليس شيئا بجانب تكاليف المجلة بحال ، وهو ـ فى نفس الوقت ـ مساو لثمن صحيفة يومية .

وقد حاول الأزهر الشريف أن يُبقى على هذا الثمن ما أمكن حتى تبين أن القارىء ينبغى أن يشارك فى جهدها هذا تخفيفا لأدنى عبء تتحمله ، وعلى الأزهر الشريف بعون الله أن يتحمل الجهد الأكبر .

لذلك تقرر رفع ثمن النسخة ابتداء من عدد شعبان ١٤٠٩ هـ ـ مارس ١٩٨٩ إلى (٣٠) ثلاثين قرشا مصريا ، وتكون قيمة الاشتراكات كالآتى :

قيمة الاشتراك سنويا

● جمهورية مصر العربية :

جنيه	مليم
٣	٦٠٠

● اتحاد البريد العربى الافريقى (بالبريد الجوى) :
٢٥ خمسة وعشرون "دولار" او ما يعادلها .

● باقى دول العالم :
٥٠ خمسون "دولار" او ما يعادلها

وتطلب ـ رأسا ـ من قطاع الاشتراكات بمؤسسة الأهرام شارع الجلاء ـ القاهرة ، ولا علاقة للاشتراكات بإدارة مجلة الأزهر .

دراسات قرآنية

فى وصف المؤمنين

قال الله تعالى فى وصف المؤمنين :
﴿ الم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .
الأحرف المقطعة : أسماء ، مسمياتها الحروف ، وبها بدئت بعض السور القرآنية وافتتاحها بعامة - اى سور القرآن - يكاد لا يخرج عن واحد من عشرة .
١ - الثناء : وهو إما لنفى النقص ، مثل ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ ﴾ او لنفيه وإثبات الكمال ، مثل ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ .

٢ - الأحرف المقطعة : كما هنا ، وفيها إشارة إلى إحدى وسائل التعلم ، كما تبدأ بتعليم الصبى بالأحرف المفردة مثل (أ ب ، ج ، د) ثم تركيبها فتقول : (أبجد) .

وهى كذلك أداة لتنبيه السامع لما يلقى عليه ، وإشارة إلى الناطق بها ﷺ ، فهو أمى ، ما أبعد نطقه بأحرف الهجاء ، وهى كذلك دليل على وجه من وجوه الإعجاز ، فإنها حروف عربية ركب القرآن منها والعبرة بالصورة المركبة ، لا بنوعية المادة ، فالحروف حروف العرب ، صاغوا منها كلامهم ، والنظم هو نظم القرآن المعجز الذى نزل من رب العالمين . فالأحرف المقطعة للتنبيه ، وللإعجاز ، وللعجب من أن ينطق بها أمى ، ولا يبعد أن تكون رموزاً ومواضعات بين المحبين .

وأسرار الحروف ألفت فيها مؤلفات ، عبر بها أصحابها عن الذوق والشعور ، وهما نوع من الإدراك الخاص الذى ينفرد به المتذوقون من غير أن يلزموا به العقول ، فالإنسان فكر ، وشعور ، وعاطفة ، وإرادة ، وغير ذلك .

٣ - النداء : مثل أول المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ .

٤ - القسَم : نحو ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ ،
٥ - الشرط : نحو ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ .
٦ - الأمر : نحو ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .
٧ - السؤال : مثل ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ .
٨ - الدعاء : نحو ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ .
٩ - الخبر : نحو ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ .
١٠ - التعليل : مثل ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ ، .

• • •

أما اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ فالمشار إليه هو الأحرف التى تكون منها الكتاب الحكيم ، وأسماء الإشارة ، يشار بها إلى مُحَسٍّ حاضر ، وهو كذلك حاضر فى قلوب المؤمنين يحسون به ويشعرون .

وجاء بـ « لام البعد » لبعد المنزلتين ، من

د. محمد عبد المنعم القيعى

أنزله سبحانه ، ومن نزل عليه ، ﷺ ، ومن تلقوه عنه من باب أولى .

والكتاب هو القرآن ، فالمسمى واحد ، والأسماء متعددة ، كل اسم يشير إلى معناه ، فهو قرآن باعتبار قراءته ، وشفاء لما فى الصدور باعتبار ما يحدثه فيها ، وهو كتاب باعتبار أنه مكتوب فى الصدور وفى السطور ليتدبره المتدبرون ، ويلتزم بتعاليمه العاملون :

ألفاظه إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة .

وإذا هى لانت فأنفاس الحياة الآخرة .

ومعانيه عذبة ترويك من ماء البيان ، وذات رقة تستروح منها نسيم الجنان .

كل ماذكره العلماء من أوجه الإعجاز صحيح ، وليس ذلك نهاية إعجازه ، فإنه لا تنقضى عجائبه .

وألفاظه ومعانيه ، عامة مرنة ، تسع الزمان الذى ندركه بالإحساس الداخلى ، وتسع المكان الذى ندركه بالإحساس الخارجى ، وتسع الأشخاص والأحوال والظروف المختلفة .

يحمل الخلود فى أصل تعاليمه ، ويساير التطور الاجتماعى بتطبيق توجيهاته .

وهو الكتاب الكامل الذى احتوى خصائص الكتب السماوية وزاد عليها ، وهيمن ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ .

وأصح مايصدق على الأثر الخالد قابليته للاحتمالات ، ليسع اجتهاد المجتهدين المختلفين فى الزمان والمكان والأحوال . ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ الريب هو : مقدمة الشك ، وقد نفى سبحانه عن القرآن أن يكون محلا للريب ، وإن ارتاب فيه المرتابون ، بلا بينة . والقاعدة فى نظر الإسلام ، أن وضع الشىء فى غير موضعه إساءة ، وينزل ذلك منزلة العدم ، لأنه لا وجه له ، فالشك عندنا قنطرة اليقين فيما يدركه العقل ، ومع ذلك فإن الإسراف فيه ، انمياع فكرى ، وتخلخل نفسى ، ومرض اجتماعى .

وما تدركه العقول يبقى فيها ، أما ما جاء وهو فوق إدراكها ، فليس للعقول أن تنكره ، وعليها أن تودعه مع الإيمان فى القلب .

إن الإسلام لا ينكر على العقل جهده ، والذى ينكره على العقل ، تطاوله فيما لا مجال للعقل فيه مثل : أخبار الكتاب عنْ الجنة أو النار .

وهذا السياق لم يتعرض لغيره من الكتب ، ولم يقل : (لافيه ريب) كما قال عن خمر الجنة ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ تعريضا بخمر الدنيا التى حرّمها ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ما أجمل هذا التعبير عن القرآن ، إنه نفس الهدى ، والإخبار بالمصدر أبلغ من الإخبار باسم الفاعل « هاد » .

وكان القرآن هدى للمتقين ، مع أنهم مهتدون ، زيادة لمن هو مهتدٍ ، وإتاحة للفرصة أمام الضالين المستعدين لقبول الهدى ، وإذن لابد للانتفاع من أمرين :

(أ) صلاحية المنتفع به .

(ب) قابلية المنتفع .

فالماء العذب لا ينبت الذى خَبُث ، والماء المالح لا ينبت فى الأرض الطيبة ، كذا القرآن ينتفع به

←

● الكاتب : أستاذ قسم التفسير - جامعة الأزهر

في وصف المؤمنين

من هو قابل للانتفاع ﴿ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ .

والمتقون من احتاطوا لأنفسهم ، واتخذوا لها وقاية من عذاب الله ، فهم جمعوا ألوان الطاعات ، واجتنبوا ما أمكنهم من السيئات ، فالتقوى هى جماع الخير كله .

ومن المعلوم أن الله لايكلف نفساً إلا وسعها ، وقد قال سبحانه : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ . فالأولى معلقة بالاستطاعة ، والثانية متصلة بالعقيدة ، وهكذا يرتبط الفعل بالقدرة عليه ، ويرتبط الاعتقاد بالقلب الذى هو أوسع قدرة من سائر الجوارح وهناك أمور لا نستطيعها ، إذ هى فوق طاقتنا ، كاتقاء ذات الله ، ومافطرنا عليه ، وإنما علينا كما قال الله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ . والتقوى مشترك بين الإخلاص والعمل الصالح واجتناب السوء فإنه لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس .

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ هذا أول صفات المتقين ، والإيمان له ثلاثة عناصر :

(أ) غيب غير محدود ، فمنه ما انكشف ، ومنه مالم ينكشف بعد ، وفى ذلك إشارة إلى نقص وسائل الإدراك عند الإنسان ، ولن تكمل إلا بالإيمان الذى يجمع بين العقل والوجدان .

(ب) عقل يسترشد به المؤمن ، فالرجل الفيلسوف صورة عقلية للرجل المؤمن ، والرجل المؤمن صورة قلبية للرجل الحكيم ، فالذى يقبل أمراً غير معقول المعنى جاء به غير الشارع قد فقد عنصراً هاماً من عناصر الإيمان : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ . فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

(جـ) وجدان يملؤه الإيمان فيشعر به ويحس ، وينتقل من الشكلية إلى الموضوعية ، ويوائم بين باطنه وظاهره ، لينعكس حتماً على سلوكه وأخلاقه ، ومتى كان المعيار السلوكى تفريقاً بين الواجب والمنفعة ساد النفاق ، وانطمس الإيمان .

وهو أكبر جنود الحياة ، يبصرك إن عميت فى الحادثة ، ويهديك إن ضللت عن السكينة ، ويجعلك صديق نفسك ، لا عدوها ، تكون المصيبة وإياها عليك ، وهو أثبت جنود الدفاع ، حيث لا يبقى علم ولا جاه ولا مال إلا توارى أمام المصائب ، ويبقى الإيمان وحده فى معركة الحياة ، يرد قدر الله إلى حكمة الله ، فلا يلبث ما جاء منها أن يختفى وتعود النفس راضية بقدر الله ، كأن مايقع فيها يقع أمامها .

وقال : ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ وهو يحتمل : إما غيب ما أمرنا أن نؤمن به ، وإما غيبنا نحن ، حيث لم نشاهد وجود ما آمنا به من الغيوب ، لكن اليقين يعوضنا عن المشاهدات الحسية ولله در من قال : (لو كشف الحجاب ما ازددت يقينا ؛ لأن طريق الشرع أثبت من طريق الحواس التى يمكن أن تنخدع) وفى ذلك إشارة إلى أن المشاهدات غير كافية فى نطاق الإيمان وإن كانت هى المعول عليها فى نطاق العقول والحواس .

ولعل الذين فتنوا بالمادة وصفائحها ، أن يتحسسوا مكان الإيمان من نفوسهم وأرواحهم ، وهم الآن ينشدون الإيمان بعد أن كانوا يعادونه ويخاصمونه ، ليتحسس الإنسان الآن مكان روحه ، ليطمئن على نفسه أهو لم يزل إنسانا أم أنه فقد إنسانيته وذهب مع الصاروخ وأخواته من الآلات ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

في رياض السنة النبوية المطهرة

كفوا ألسنتكم عن أمة لا إله إلا الله

د. رءوف شلبى

روى الامام ابو داود بسنده قال :

حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا ابو معاوية ، حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن ابى نُشْبة عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من اصل الإيمان : الكف عمن قال لا إله إلا الله لا تكفره بذنب ، ولا تخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى ان يقاتل اخر امتى الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والإيمان بالاقدار » .

رواه ابو داود فى كتاب الجهاد
باب فى الغزو مع ائمة الجور

إن الحديث يدلل على إثبات النبوة لسيدنا محمد ﷺ كما يدلل على حدبه على امته وتحذيره من فعال السُوقة الذين يظهرون فى آنات وأحيان من عمر الأمة الإسلامية فيفسدون عليها امر دينها ويغرون بها السفهاء من الحكام .

فقد هبت على الأمة الإسلامية رياح التكفير وإباحة الدماء بفعلة ارادها خصوم الإسلام منذ القديم حينما رأوا ممالك الدنيا تزحف للإسلام وقد سقطت راياتها،ورفعت راية واحدة هى راية «لا إله إلا الله ـ محمد رسول الله» فدسوا لها الدسائس حتى قتل سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ فلما لم تنقض الدولة ثاروا على سيدنا عثمان رضى الله عنه وقتلوه،ثم لعبوا بأمر الخلافة حتى وقعت الفتنة،ثم أشعلوا الفتن إشعالاً سرمدياً فقننوها فى فرق وأحزاب ليبقى المرجل يغلى فلا يستريح المسلمون ابداً .

ولقد تصدى القرآن الكريم لهذه المعركة منذ القدم فأنب الذين يكفرون الناس بالهوى .

كما تصدت السنة النبوية الشريفة لحماية الأمة من سفهاء التكفير وجهلاء التأويل .

اما القرآن الكريم فقد قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ

←

يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .
(١٢٩ آل عمران)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ . (١١٦ النساء)

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . (٤٠ المائدة)

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .
(١٤ الفتح)

« واما السنة النبوية الشريفة ففيها احاديث جمة تنهى عن تكفير المسلم وتفسيقه وقتاله يقول النبى ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » . « رواه مسلم »

« لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

« رواه البخارى ومسلم واحمد والنسائى وابن ماجة »

« لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم » . « الطبرانى » (صحيح)

موقف حجة الإسلام الإمام الغزالى :

لكن بعض المسلمين لم ينصاعوا للقرآن والسنة فقد غلبت عليهم المصالح الخاصة والأهواء الشيطانية ونقلت إليهم فلسفة اليونان أيام البذخ الفكرى فى الدولة العباسية فانفتح باب الجدل الذى منعه الإسلام فقد قال الرسول ﷺ : « الجدال فى القرآن كفر » .
« رواه الحاكم » .

واستعانت الحكومات القديمة فى تثبيت سياستها بتوجيه من بعض العلماء فتولدت الفرق بعد الفرق وغصت الساحة الإسلامية بالتكفير فانبرى لهم الإمام حجة الإسلام ابو حامد الغزالى كى يرد الأمة إلى وعيها ويهدىء من الغلواء وشطحات الغالين فألف لذلك كتابا سماه :

« فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة » .

وقد حققه العالم العلامة الثبت الدكتور سليمان دنيا ـ رحمه الله ـ وقد عقد الإمام الغزالى عدة فصول فى كتابه ليرد على الناس دينهم وينأى بهم عن ضلالات التكفير فقال :

« كل فرقة تكفر مخالفها وتنسبه إلى تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام. فالحنبلى يكفر الأشعرى ، زاعما أنه كذب الرسول فى (إثبات الفوق) لله تعالى ، وفى (الاستواء على العرش) .

والأشعرى يكفره زاعماً أنه مشبه وكَذَّب الرسول فى « أنه ليس كمثله شيء » .

والأشعرى يكفر المعتزلى زاعماً أنه كذب الرسول :

فى (جواز رؤية الله تعالى) .

وفى إثبات العلم والقدرة ، والصفات له .

والمعتزلى يكفر الأشعرى ، زاعماً أن إثبات الصفات تكثير للقدماء ، وتكذيب للرسول فى التوحيد .

ولا ينجيك من هذه الورطة إلا أن تعرف : حَدَّ التكذيب ، والتصديق ، وحقيقتهما فيه .

فينكشف لك غلو هذه الفرق ، وإسرافها فى تكفير بعضها بعضا .

فأقول :

التصديق : إنما يتطرق إلى الخبر ، بل إلى المخبر .

وحقيقته : الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول

ﷺ عن وجوده . إلا أن للوجود خمس مراتب ، ولأجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفها إلى التكذيب .

فإن الوجود :

ذاتي ، وحسي ، وخيالي ، وعقلي ، وَشِبْهِي .

فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن وجوده ، بوجه من هذه الوجوه الخمسة ، فليس بمكذب على الإطلاق[1] .

فرد بذلك الإمام الغزالي موجة التكفير التي قامت بين أصحاب الفرق الإسلامية لكي يلم شعث الأمة وينقي الإسلام من شوائب أهواء أهل الفرق ، ثم وضع الإمام الغزالي وصية في هذا المجال وقانونا فقال :

« اعلم أن شرح ما يكفر به ومالا يكفر به يستدعي تفصيلا طويلا يفتقر إلى ذكر كل المقالات والمذاهب ، وذكر شبهة كل واحد ودليله ، وَوَجْه بُعْدِهِ عن الظاهر ووجه تأويله .

وذلك لا يحويه مجلدات ، ولا تتسع لشرح ذلك أوقات .

فاقنع الآن بوصية وقانون :

أما الوصية : فإن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ، ماداموا قائلين : « لا إله إلا الله » محمد رسول الله » ، غير مناقضين لها .

والمناقضة تجويزهم الكذب على رسول الله ﷺ بعذر ، أو غير عذر فإن التكفير ، فيه خطر ، والسكوت لا خطر فيه .

أما القانون : فهو أن تعلم أن النظريات قسمان : قسم يتعلق بأصول القواعد . وقسم يتعلق بالفروع .

وأصول الإيمان ثلاثة : الإيمان بالله ، وبرسوله ، وباليوم الآخر . وما عداه فروع .

واعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلا ، إلا في مسألة واحدة . وهي : أن ينكر أصلا دينيا عُلِمَ من الرسول ﷺ بالتواتر .

لكن في بعضها تخطئة ، كما في **الفقهيات** .

وفي بعضها تبديع ، كالخطأ المتعلق بالإمامة وأحوال الصحابة .

واعلم أن الخطأ في أصل الإمامة ، وتعيينها وشروطها ، وما يتعلق به ، لا يوجب شيء منه تكفيرا .

فقد أنكر ابن كيسان أصل وجوب الإمامة ، ولا يلزم تكفيره .

ولا يلتفت إلى قوم يعظمون أمر الإمامة ، ويجعلون الإيمان بالإمام مقرونا بالإيمان بالله وبرسوله .

ولا إلى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم في الإمامة .

فكل ذلك إسراف ، إذ ليس في واحد من القولين تكذيب للرسول ﷺ أصلا ، ومهما وجد التكذيب ، وجب التكفير ، وإن كان في الفروع .

فلو قال قائل مثلا : البيت الذي بمكة ليس الكعبة التي أمر الله تعالى بحجها ، فهذا كفر ، إذ قد ثبت تواتراً عن رسول الله ﷺ خلافه .

ولو أنكر شهادة الرسول ﷺ لذلك البيت بأنه الكعبة لم ينفعه إنكاره ، بل يعلم قطعاً أنه معاند في إنكاره ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، ولم يتواتر عنده ذلك . وكذلك من نسب عائشة رضي الله عنها إلى الفاحشة ، وقد نزل القرآن ببراءتها فهو كافر ؛ لأن هذا وأمثاله لا يمكن إلا بتكذيب الرسول ، أو إنكار التواتر .

والتواتر ينكره الإنسان بلسانه ، ولا يمكن أن يجهله بقلبه .

←

(١) « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة » للإمام الغزالي ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

نعم لو أنكر ما ثبت بأخبار الآحاد ، فلا يلزمه به الكفر .

ولو أنكر ما ثبت بالإجماع ، فهذا فيه نظر ، لأن معرفة كون الإجماع حجة قاطعة ، فيه غموض يعرفه المحصلون لعلم أصول الفقه .

وأنكر "النظام" كون الإجماع حجة أصلا ، فصار كون الإجماع حجة مختلفا فيه .

فهذا حكم الفروع .

وأما الأصول الثلاثة ، وكل مالم يحتمل التأويل فى نفسه ، وتواتر نقله ، ولم يتصور أن يقوم برهان على خلافه ، فمخالفته تكذيب محض .

ومثاله : ما ذكرناه من حشر الأجساد ، والجنة والنار ، وإحاطة علم الله تعالى بتفاصيل الأمور .

وما يتطرق إليه احتمال التأويل ، ولو بالمجاز البعيد ،فننظر فيه إلى البرهان : فإن كان قاطعا ، وجب القول به .

ولكن إن كان فى إظهاره مع العوام ضرر ، لقصور فهمهم ، فإظهاره بدعة .

وإن لم يكن البرهان قطعياً ، لكن يفيد ظناً غالباً ، وكان مع ذلك لا يعلم ضرره فى الدين ، كنفى المعتزلة الرؤية عن الله تعالى . فهذه بدعة ، وليس بكفر .

وأما ما يظهر له ضرر ، فيقع فى محل الاجتهاد والنظر ، فيحتمل أن يُكَفِّر ، ويحتمل أن لا يكفر . ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدعى التصوف أنه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى ، أسقطت عنه الصلاة ، وأحلت له شرب الخمر والمعاصى ، وأكل مال السلطان .

فهذا ممن لاشك فى وجوب قتله ، وإن كان فى الحكم بخلوده فى النار نظر .

وقتل مثل هذا ، أفضل من قتل مائة كافر ، إذ ضرره فى الدين أعظم ،وينفتح به باب من الإباحة لا ينسد .

وضرر هذا ، فوق ضرر من يقول بالإباحة مطلقاً ، فإنه يمنع عن الإصغاء إليه ظهور كفره .

وأما هذا فإنه يهدم الشرع من الشرع ، ويزعم أنه لم يرتكب فيه إلا تخصيص عموم : إذ خصص عموم التكليفات بمن ليس له مثل درجته فى الدين .

وربما يزعم أنه يلابس ويقارف المعاصى بظاهره ، وهو بباطنه برىء منها ، ويتداعى هذا إلى أن يدعى كل فاسق مثل حاله ، وينحل به عصام الدين .

ولا ينبغى أن يظن أن التكفير ونفيه ينبغى أن يدرك قطعاً فى كل مقام .

بل التكفير حكم شرعى ، يرجع إلى :

إباحة المال . وسفك الدم . والحكم بالخلود فى النار .

فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية :

فتارة يدرك بيقين .. وتارة بظن غالب . وتارة يتردد فيه .

ومهما حصل تردد « فالموقف فيه عن التكفير أولى » .

والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل(٢) .

وللأزهر موقف أيضا :

والحديث الذى معنا أصل من أصول صَحْوِ

(٢) « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة » ص ١٩٥ ـ ١٩٧ .

جدل التكفير الذى انتقل إلى مجتمعنا المعاصر كعدوى واردة من الفرق القديمة التى دسها خونة الأخلاق وأعداء الإسلام قديما ، وإنه لمن الخير أن أستضيف شيخنا الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز ليشرح لنا هذا الحديث لعلة واحدة هى أن أُقَدِّمَ للشباب المعاصر دليلاً على قيام الأزهر بدوره منذ الزمن البعيد ، ودليلاً على صحة عدم جواز التكفير من علماء سلفنا الصالح دفعاً لما يتوهم فى أذهانهم من أن الأزهر يجارى أحداً غير الحفاظ على الإسلام ورعاية محارم الله وحقوق عباده الصالحين .

قال فضيلة المرحوم الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز :

ثلاث من أصل الإيمان : إذا قيل « أصل الإيمان انساق الفهم إلى الأركان التى يعد سقوط واحد منها خروجاً عن الملة وهى الأركان الاعتقادية » .

أما الفروع العملية فليست من أصل الإيمان بهذا المعنى . بل يقال للواجبات منها إنها أصل ثمرات الإيمان ، فتعد أصلا بالقياس إلى النوافل والمندوبات وإن كانت فرعاً بالنسبة إلى الواجب الأول، وهو معرفة الله ورسله واليوم الآخر .

واللفظ هنا محمول على حقيقته بدون تقدير؛ لأن الخصال الثلاث اعتقادية كما سيتبين .

فالخصلة الأولى هى : « الكف عمن قال: لا إله إلا الله » : عرفنا غير مرة أن كلمة « لا إله إلا الله » شعار مختصر وعَلَمٌ على العقيدة الصحيحة الشاملة للرسالة والبعث كما نسمى السورة :

(اِقْرأ) أو (حَمَ) وليس معنى « الكف عمن قالها » عدم التعرض بالفعل لماله ودمه ، فإن هذا وإن كان من واجبات الإسلام ، « كل مسلم على مسلم محرم » ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ لكنه ليس من أصل حقيقة الإيمان على مابيناه وإنما معنى الكف هنا هو ما بينه النبى ـ ﷺ ـ بقوله : « لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل » : كَفَّرَهُ : جعله كافراً . و(أخرجه) : جعله خارجا . والجعل فيهما جعل بالاعتقاد لا بالفعل أى : لا ننسبه إلى الكفر، ولا نحكم بخروجه عن الإسلام إذا اقترف ذنبا ولو كبيرة ، مالم يدل على رفض العقيدة مباشرة وإلا كان رِدَّة .

وإذا كان عدم تكفير المسلم معدودا من أصل الإيمان لزم منه أن يكون تكفيره كفرا وبهذا نطقت أحاديث (الصحِيحَيْنِ) كقوله ـ ﷺ ـ : (إذا كفر الرجل أخاه ـ أو إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر ـ فقد باء بها أَحَدُهما)

وقوله : لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك) ـ وإلى ظاهر هذه الأحاديث استند كثير من العلماء فى الحكم بكفر (الخوارج لتكفيرهم الصحابة) : والأكثرون على أنهم متأولون ، وإن هذا الحكم مقيد بمن أكفر أخاه بغير تأويل فقد رمى (عمر) رضى الله عنه ـ (حاطب بن أبى بلتعة) بالنفاق لأنه أرسل إلى (قريش) يخبرهم بعزم النبى على غزوهم فى فتح (مكة) فقال (عمر) : دعنى يارسول الله.. أضرب عنق هذا المنافق ولم يكن (حاطب) كما قال (عمر) بل كانت هذه تقاة منه وصَدَّقَهُ الرسولُ ـ ﷺ ـ فيها ، وشهد له بالجنة ؛ لأنه كان شهد (بدراً) .

وقد يُظَنُّ فى بادىء الرأى أن الكفر والخروج عن الإسلام لفظان مترادفان ، ولكن مستحدثات أهل الأهواء علمتنا التفرقة بينهما ، (فالخوارج) حكموا بكفر مرتكب الكبيرة الذى لم يتب من ذنبه ، و(المعتزلة) حكموا بخروجه عن الإسلام وعدم دخوله فى الكفر وقالوا : إنه أخذ منزلة بين المنزلتين) . فكأننا برسول الله ـ

ﷺ - قد ألهمه الله ما سيكون لكلتا الطائفتين من ابتداع مستقل ، فأشار إليهما بالعبارتين .

الخصلة الثانية : هي الإيمان ببقاء شريعة الإسلام ووجوب الجهاد للذب عنها حتى يكون الدين كله لله . وهذا لا ينكره إلا كافر، لأنه من الأحكام التي نعلم بالضرورة مجيء النبي بها ، ذلك هو ما تضمنه قوله - ﷺ :

(والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى ان يقاتل آخر امتي الدجال) : (الجهاد) في الأصل هو الاجتهاد أي : بذل غاية الجهد وأقصى الوسع لتحصيل مطلوب، أو دفع محذور .

ويقيد في الشرع بما يكون وفقا لأمر الله تعالى . ثم يطلق عاما وخاصا . فيقال بالمعنى العام على ما يتناول ثلاثة أنواع : جهاد المرء لنفسه وهواه ، وجهاده للبدع والمنكرات العملية ، وجهاده للكفر والضلالات الاعتقادية .. وسواء في ذلك كله أن يكون بالقول أو بالفعل . بالمال أو بالنفس .

ويقال بالمعنى الخاص على النوع الثالث وهو محاربة الكفار بالأنفس والأموال : وهذا النوع لم يشرع إلا بعد الهجرة إلى (المدينة) أما مطلق الجهاد فهو مشروع منذ بعث الله (محمداً) - ﷺ - هاديا ومبشرا ونذيرا ، وأوجب عليه تبليغ (القرآن) والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى في سورة (الفرقان) المكية : ﴿ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ اي : (بالقرآن) وهذا الجهاد قائم في كل زمان (ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله) - (رواه الشيخان) .

فإن حمل على هذا المعنى استقام الكلام بدون تقدير .

وإن حمل على القتال وهو ما تساعده الغاية في هذه الجملة كان معنى قوله - عليه الصلاة والسلام - « منذ بعثني الله » ، أي : منذ بعثني بذلك الجهاد وأذن لي فيه وأمرني به ، وكان قوله « ماض » ، أي : نافذ ومستمر . ليس إخبارا عن وقوعه بالفعل في كل زمن ؛ لأن هذا خلاف المشاهد ، بل هو إخبار عن استمرار وجوبه على الأمة كلما حصل موجبه ، فيجب الإيمان بهذا الوجوب وبهذا الاستمرار ، عملنا أو لم نعمل أطاع من أطاع وعصى من عصى ، إلى أن يقتل (الدجال) بيد آخر المسلمين .

و« الدجال » : صيغة مبالغة ، من « دجل » بفتحتين - إذا كذب ، أو من « دجّل تدجيلا » إذا غطى الشيء وطلاه بالذهب، وهو لقب لكل كاذب مموه ؛ لأنه يستر الحقائق ويموه على الناس بالباطل ، واشتهر بوجه خاص في كل من يكذب على الله ورسوله من الضالين المضلين وهم كثير ، منهم من مضى ومنهم من ينتظر ، حسبما أخبر به النبي - ﷺ - فيما رواه (البخاري) وغيره :

(لا تقوم الساعة حتى يخرج دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، أو حتى يخرج ثلاثون دجالا، كلهم يكذب على الله ورسوله) .

و« الدجال الأكبر » آخرهم وهو « المسيخ الكاذب » الذي يخرج بين يدي الساعة فيدعي الألوهية، ويأتي بأعظم الخوارق من السحر فتعظم به الفتنة وهذا هو المقصود في الحديث .

و« المقاتلة » : مفاعلة من الجانبين ، فيصح فيما بعدها الرفع والنصب والأحسن أن ينصب

« الدجال » مفعولا بها ، لأن آخر أمره أن يصير مقتولا لا قاتلا .

وفى « مسلم » أن الذى يقتله هو « مسيح الهدى عيسى ابن مريم » وهذا لا ينافى وصف القاتل فى الحديث بأنه « آخر هذه الأمة » لأن « عيسى » ـ عليه السلام ـ إذا نزل كان من هذه الأمة تابعا لشريعتها ، فيؤمها بكتابها . أو يكون مأموما وإمام هذه الأمة منها على الاختلاف فى فهم الحديث الذى فى (الصحيحين) .

ومفهوم الغاية فى قوله : (إلى أن يقاتل) أن فرض الجهاد يسقط بعد تلك الغاية ، وهو كذلك . ففى (صحيح مسلم) أنه إذا قتل (الدجال) وظهرت (يأجوج) و(مأجوج) لجأ (عيسى) بمن معه إلى الجبال لعدم قدرته عليهم فلا يجب عليه قتالهم . حتى إذا أهلكهم الله بأمر من عنده وطهر الأرض منهم بعث ريحاً طيبة تقبض روح كل مؤمن ومسلم ممن عصمهم الله من فتنة (الدجال) ولا يبقى بعدهم إلا شرار الناس حتى تقوم الساعة .

هذا : وأحب أن أقول ههنا كلمة ، وهى أن تفاصيل هذه الأشراط ـ كغيرها من الأخبار الغيبية ـ لا تدخل فى باب العقائد التى يكفر جاحدها مالم تنقل الينا بالتواتر الذى يحصل به عند الناس علم ضرورى بأنها مما جاء به الرسول ، لكنها لثبوتها فى صحيح السنة يكون إنكارها اجتراء على ما هو مظنون الصدق . بل ربما كان القدر المشترك فى كل منهما متواترا تواترا معنويا . فعلى العاقل الذى لم يبلغه ذلك التواتر أن يحترز جهده عن ردها وتكذيبها بمجرد التشهى والاستبعاد ، وأن يؤمن بإمكانها ويعوذ بالله من شرها وشر الفتن كلها ما ظهر منها وما بطن . فذلك هو أقل ما تقابل به الأخبار الصحيحة فى كل أمر جائز الوقوع . بل هذا هو الأدب الذى أدبنا به رسول الله ـ ﷺ ـ بإزاء مابلغنا من أخبار أهل الكتاب عن كتبهم ، حيث نهانا عن تكذيبهم وقال : « لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » رواه (البخارى) و ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ (سورة البقرة من الآية ١٣٦) فإذا كانت هذه هى معاملتنا لرواية الكفار فى الأمور المحتملة الصدق ، فكيف برواية المسلمين العدول الثقات عن رسول الله ـ ﷺ .

لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل : أى لا يسقط فرض الجهاد بكون الإمام ظالما يحبس الحقوق عن أهلها فيستأثر بها لنفسه أو يعطيها لمن لا يستحقها ، بل نعطيه ما يجب علينا من الطاعة فى غير معصية الله ونسأل الله مالنا عنده من رزق .

وربما ظن الجاهل أن قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ **(ولا عدل عادل)** زيادة لا حاجة إليها ، إذ لا مجال لتوهم متوهم أن الجهاد يسقط مع الإمام العادل ، والواقع أن هذا القول من البلاغة بمكان رفيع ، فإن اقتران الأمور التى فيها شبهة وتوقف بالأمور الواضحة التى لا شبهة فيها ، وتسويتها بها فى الحكم مما يزيل غبار الشبهة عنها ويقوى الباعثة عليها ، كأنه قيل : لا يبطله جور الجائر إلا أن يبطله عدل العادل ، وهذا واضح البطلان ، فذلك مثله ، وهذا أسلوب شائع فى الكلام .

والخصلة الثالثة هى :

(الإيمان بالأقدار) : جمع قدر .

والإيمان بالقدر جزء من الإيمان بالله فهو ركن من أصول الدين التى لا خلاف فيها بين المسلمين .

وليس معنى الإيمان بالقدر اعتقاد أن ما علم الله وجوده من المسببات لابد من وجوده ولو

منقطعاً عن أسبابه ، كما يزعم الجهلاء (إنه إذا كانت السعادة والشقاوة ، والرزق والحرمان ، والنصر والهزيمة ، والصحة والمرض ، والحياة والموت ، كل أولئك سبق به الكتاب،وجف عنه القلم،وطويت عليه الصحف،ولا تبديل لكلمات الله فلا فائدة إذاً في إتعاب النفس بالأعمال ومحاولة الوصول إلى المقاصد من طرقها التي جرت بها السنن الكونية ، إذ لابد من وقوع المقدر في وقته المحدد له سواء وَقَعَتْ أسبابه أم لم تقع) .

إن من زعم هذا فقد فكك معنى القدر فآمن ببعضه وكفر ببعضه . ذلك أن الله تعالى كما عَلِمَ الأشياء علم أسبابها ونتائجها وسائر أحوالها وظروفها وربط بعضها ببعض في علمه . ومجموع ذلك هو القدر . فإذا علم الله أمراً يسر له أسبابه الموصلة إليه في علمه حتى يقع على الوجه الذي علمه . نبه النبي - ﷺ - على ذلك حين سأله الرجل المزني أو الجهني فقال : (يارسول الله ! فيم العمل ؟ فقال - ﷺ - : « إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة،وإن أهل النار ييسرون لعمل أهل النار[٣]) فلو وقعت المسببات بدون أسبابها التي ربطها بها في علمه لكان بعض القدر واقعاً وبعضه غير واقع . وهذا جهل كبير - تعالى الله عنه علواً كبيراً .

ولو كانت عقيدة القدر كما يزعمها هؤلاء الجهلاء لكانت مدعاة قعود وكسل ، وباعثة جبن وخور ، بل لكانت معول هدم للشرائع والقوانين ، وأداة لتقويض نظام العالم وفنائه العاجل ، وإذاً لصدق عليها قول بعض الملحدين أنها هي إحدى عوامل ضعف المسلمين وخمولهم .

وكيف تكون كذلك وهذا كتاب الله يقرر لنا أن النصر مع الصبر،وأن الرزق مع السعي ، وأن الأمن في إقامة الحدود ، وأن السعادة مرتبطة بالعمل لها !

يقول الله تعالى : ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ . ويقول : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ ويقول : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ويقول : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾ . إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وضع الأسباب لمقاصدها ، ونوط المقاصد بأسبابها .

وهذه سنة رسول الله قولية وعملية كلها ناطقة بإتيان البيوت من أبوابها وأخذها من أسبابها ، فقد لبس الدروع في الحروب ، وحفر الخنادق ، واستعمل العيون والحراس ، واستظهر بالحلفاء ، واستعان بالأصحاب وتداوى وأمر بالتداوي ، وسعى وأمر بالسعي ، وكان يدخر لقوت أهله ما يكفيهم عاماً وأمر بالاقتصاد وقال : « إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » - أخرجه الستة[٤] .

الا قد بلغ الأزهر ، الا قد بلغ الأزهر ، الا قد بلغ الأزهر .

وبعد : فهل للحركة الإسلامية الشابة المعاصرة أن تتعقل ؟ وأن تثوب إلى الرشد والصواب .

ولقد صدق رسول الله ﷺ حين قال : « كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » . رواه أبو داود وابن ماجة .

فهل سيكف الشباب عن التكفير والمغالاة !!؟

---

(٣) راجع المختار من كنوز السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور دراز . وهو من حملة إجازة رواية الحديث .

(٤) راجع المختار من كنوز السنة للدكتور دراز ص ٤٠٩ ، ٤٤٧ ، ٢٤٠ ، ٢٢٢ طبعة الأزهر .

القيم الدينية

للمقدسات الإسلامية

أ.د. عبدالفتاح بركة

تقع فلسطين في قلب العالم الإسلامي من حيث الصورة المادية، ومن حيث الصورة الأدبية والروحية ايضا، وقد كانت لها هذه المكانة منذ بدأ الإسلام، وقبل ان يدخل الإسلام إليها، وقد امتزجت هذه المكانة وهذا التقدير بمشاعر المسلمين، وظلا ينموان ويزدادان، بعد أن دخلها الإسلام، واصبحت جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي. وكيف لا تكون كذلك، وهي تلك البقعة المباركة من الارض المحيطة بتلك البقعة المقدسة في بيت المقدس!! وقد بذل المسلمون لها دماءهم واموالهم، وطارفهم وتليدهم، حفاظا عليها، ورعاية لها، وتكريما لمقدساتها وحرماتها، ابتغاء مرضاة الله، على امتداد الزمن وتتابع القرون منذ نعمت بدخول الإسلام إليها، ودخولها في حوزة المسلمين وحمايتهم.

ولبعض الاماكن والازمان ملامح ومعالم ومشخصات، تجعلها ترتبط بمشاعر البشر كارتباط الإنسان بالإنسان من اهله وذويه، ولاشك ان لبيت المقدس والارض المباركة من حوله من هذه الملامح والمعالم والمشخصات الدينية، ما يجعلها ترتبط بمشاعر المسلمين الروحية والدينية برباط وثيق لا ينفصم، غرستها النصوص الدينية المقدسة، واكدتها الممارسات العملية للمسلمين من اهل فلسطين ومن غير اهلها على مر السنين.

وتاريخ علاقة الإسلام بفلسطين عامة، وببيت المقدس خاصة ـ قديم قدم الإسلام نفسه، وسواء نظرنا إلى الإسلام بمعناه العام، وهو انه: دين الله الذى ارسل به أنبياءه جميعا، أو نظرنا إليه بمعناه الخاص وهو: دين الله الذى ارسل به محمداً ـ ﷺ ـ خاتم الأنبياء فختم به النبوات والرسالات، وآلت إليه مواريثهم الروحيه جميعها، فإن فلسطين وبيت المقدس ترتبط بالإسلام ارتباطا وثيقا على هذا المعنى أو ذاك، واى معنى من معاني القداسة يحمله دين من الأديان الإلهية السابقة لهذه البقعة من

الأرض ، بيت المقدس وما حولها ، فإن الإسلام يحترمه ويقدره ويحمله فى تعاليمه وهدايته إلى الناس ، ويحمل أتباعه أمانة حفظه ورعايته .

وأدنى مراجعة لتاريخ الإسلام والمسلمين بالنسبة لفلسطين وبيت المقدس تُظْهِرَ أن المسلمين لم يفرطوا فى هذه الأمانة ، ولم يقصروا فى أداء واجبهم نحوها ، سواء فى ميدان البناء والتنمية الإنسانية والحضارية ، أو فى ميدان حمايتها وتأمينها والدفاع عنها والتضحية فى سبيلها بكل مرتخص وغال .

وتقع (مدينة بيت المقدس) فى وسط فلسطين ، وفيها (المسجد الأقصى) وهو يعتبر قمة المقدسات فى هذه الأرض عند المسلمين ، وقد نوه بهما القرآن الكريم ، ونوهت بهما السنة المطهرة ، وبرزت فى عواطف المسلمين ومشاعرهم منذ أول فرصة اتيحت لهم لاستنقاذها من يد الرومان على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومن بعده على يد أبطال آخرين صانوا حماها ، وافتدوها بالنفوس والأرواح .

أسماء هذه المدينة :

وأقدم اسم يعرف لهذه المدينة كان باسم ساكنيها الأوائل وهم (اليبوسيون) بناة القدس الأولون ، وهم بطن من بطون العرب الأوائل ، نشأوا فى صميم الجزيرة العربية ، وترعرعوا فى أرجائها ، ثم نزحوا مع من نزح من القبائل الكنعانية ، فاستوطنوا هذه الديار وسميت المدينة باسم « يبوس » تبعا لاسمهم . وأغلب الظن أن ذلك حدث حوالى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

وأول من اختطها وبناها من ملوكهم « مَلْكِيصادق » وكان محبا للسلام حتى أطلق عليه « ملك السلام » ومن هنا جاء الاسم الآخر للمدينة (سالم) .

وعندما تولى ملكها « سالم اليبوسى » زاد فى بنيانها ، وشيد برجا للدفاع عن المدينة ، وراحت تعرف المدينة بعدئذ باسمها الكنعانى « أورو ـ سالم » أى مدينة السلام[1] .

وعندما كانت تخضع لفراعنة مصر فى أوقات مختلفة ابتداء من عام ١٤٧٩ ق . م . كان المصريون يطلقون عليها طورا اسمها اليبوسى « يابيشى » وطورا اسمها الآخر « أورو ـ سالم »[2] .

ثم ملكها (داود) عليه السلام ، وكانت حينئذ ذات حضارة ومنازل متقنة وحكومة وصناعة وتجارة ، فأحبها واتخذها عاصمة ملكه ، ولكنه ترك اسمها الكنعانى « أورو ـ سالم » وأسماها (مدينة ـ داود)[3] .

ثم تعرضت هذه المدينة لغزو الأشوريين ابتداء من عام ٧٣٠ ق . م حتى تمكنوا منها عام ٦٧٨ ق . م ، وكانت تدعى على عهدهم : « يورو سالم » أى مدينة الرب سالم ، وفى بعض الآثار الأشورية ذكرت بهذا الاسم : « أور ـ سا ـ لى ـ أمو » وهو منحدر عن اسمها باللغة الآرامية[4] .

---

(١) انظر عارف باشا العارف ، تاريخ القدس ، ط/ دار المعارف بمصر ، ص ١١ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٣ .

(٣) انظر عارف باشا العارف ، تاريخ القدس ، ط/ دار المعارف بمصر ، ص ١٦ .

(٤) المرجع نفسه ص ٢١ .

كما كان البابليون من بعدهم يسمونها « أورو ـ سالم »[٥] .

أما في عهد الأسكندر الأكبر فقد كانت تدعى « يروشاليم » ثم راحت تدعى « هيروساليما » ، وعندما حاصر (تيطس) المدينة عام ٧٠ م كان الرومان يسمونها « سوليموس »[٦] .

وقد عانت هذه المدينة تحت الحكم الرومانى زمنا طويلا ، وشهدت ثورات مختلفة ، وقاسى فيها اليهود والمسيحيون على السواء من عسف الرومانيين ، ولما تولى « إيليا ادريا نوس » عرش الرومان ١١٧ ـ ١٧٨ م شتت أهل المدينة ، وأمر بتدميرها عقوبة لهم ، وأنشأ مكانها مدينة جديدة أسماها باسمه الأول « إيليا كابيتولينا »[٧] واستمر هذا الاسم إلى الفتح الإسلامى حتى ذكر في العهدة العمرية .

وقد ذكر الزركشى في كتابه « إعلام الساجد بأحكام المساجد » لهذه المدينة سبعة عشر اسما ، بغير ترتيب ، وإن كان يشير إلى ضبطها ، وإلى ما يتعلق بمناسبة معناها من ذلك قوله :

الثالث : بيت المقدس بفتح الميم وإسكان القاف ، أى المكان الذى يطهر فيه من الذنوب ، والمقدس ، المطهر ، ومنه القدس ، للسطل الذى يستقى به الماء . قال الواحدى : قال ابو علي الفارسى : يحتمل أن يكون مصدرا كقوله: « إليه مرجعكم جميعا » ونحوه من المصادر ، ويحتمل أن يكون مكانا على معنى أنه بيت المكان الذى جعل فيه الطهارة ، أو بيت مكان الطهارة ، وتطهيره : إخلاؤه من الأصنام وإبعاده منها[٨] .

وقد ذكر من هذه الأسماء أسماء غير مشتهرة مثل : "مصروث"، "بابوش"، ولعلها تعود إلى اسمها عند المصريين « يابيشى » ، « كورشيـلا » ، « أزيل » ، و« صلمون »[٩] .

وبعد الفتح الإسلامى استقر اسمها على « القدس الشريف » و« بيت المقدس » ، وهى أسماء محببة عند المسلمين ، لا يبغون بها بدلا ، ولا عنها حولا .

ويبدو أن اسم (القدس) و(بيت المقدس) لم يكن جديداً على المدينة ولا على المسلمين ، بل لعله كان معروفا منذ أيام موسى ـ عليه السلام ـ وقد يشهد لذلك ما حكاه الله عنه وهو يقول لقومه ﴿ يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ ـ المائدة ٢١ ، فوصفها بالأرض المقدسة مما يوحى بأنها كانت معروفة عندهم بهذا الوصف ، وهو الذى بقى لها واستقر ، وعرفه الإسلام ، وتحدث عنها رسول الله ـ ﷺ ـ إلى اهل مكة باسم (بيت المقدس) ، وذلك في أحاديث الإسراء المختلفة ، من ذلك مارواه أنس ابن مالك أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس[١٠] ...) ، وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : « سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « لما كذبتنى قريش قمت في الحجر ، فجلّ الله لى (بيت المقدس) ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه[١١] » ..

←

(٥) المرجع نفسه ص ٢٢ .
(٦) المرجع السابق ص ٢٥ ـ ٢٦ .
(٧) المرجع السابق ص ٣٦ وانظر كذلك ص ١٦٧ ـ ١٧٠ .
(٨) تحقيق الشيخ ابو الوفا مصطفى المراغى ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٢٧٧ ،وانظر ص ٧ من كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلى جـ ١ .
(٩) المرجع السابق ص ٢٧٩ .
(١٠) صحيح مسلم ، كتاب الايمان باب الاسراء برسول الله ﷺ .
(١١) صحيح البخارى ، كتاب تفسير القرآن ، واللفظ له ، ومسلم كتاب الايمان ، باب ذكر المسيح ابن مريم .

وعندما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه (بيت المقدس) قال لكعب : أين ترى أن أصلى ؟ قال : « إن أخذت منى صليت خلف الصخرة ، فكانت (القدس) كلها بين يديك ... » .

من هنا يظن أن اسم « القدس » ، واسم « بيت المقدس » كان معروفا ومتداولا في ذلك الوقت على عهد الرسول ـ ﷺ ـ ، وخلفائه الراشدين وأن المسلمين لم يبتدعوا هذه الأسماء ، وإنما استعملوها وأكدوها فغلبت بعد ذلك على غيرها من الأسماء .

مكانة القدس قبل الإسلام :

إن الأحكام الدينية الخاصة بقداسة بعض الأزمنة والأمكنة ، أحكام ثابتة عند الله منذ خلق السموات والأرض ، من ذلك بالنسبة للأزمنة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ ـ التوبة ٣٦ . و« بيت المقدس » من هذه الأماكن التى اختصها الله تعالى بتكريم خاص ، وبالتالى فهذا الحكم ثابت لها منذ كانت . لكن معرفة الإنسان بهذا الحكم ، ونظرته إليها هذه النظرة هى التى يمكن أن ننظر إليها فى ضوء التتبع التاريخى لنعلم متى بدأت أو ظهرت .

وكثير من كتاب المسلمين يذكرون أقوالاً تدل على أن ذلك كان منذ آدم عليه السلام ، وقد تجلت هذه المعرفة فى قيامهم ببناء مسجد بيت المقدس ، يقول مجير الدين الحنبلى : ومن العلماء من قال : بنى مسجد بيت المقدس آدم عليه السلام ، ومنهم من قال : أسسه سام بن نوح عليهما السلام ، ومنهم من قال : أول من بناه وأرى موضعه يعقوب بن إسحق عليهما السلام ، بل يروى عن بعض العلماء : أن أول من بناه الملائكة بأمر الله تعالى[١٢] ، وقد يشتبه ذلك مع ما يتبادر إلى الذهن من أن أول بيت وضع فى الأرض لعبادة الله تعالى ، هو مسجد الله الحرام بمكة المكرمة ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران ـ ٩٦ .

وفى الصحيحين عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : « سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن أول مسجد وضع على الأرض ؟ فقال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاما ، ثم الأرض لك مسجد ، فحيثما أدركتك الصلاة فصل » ، فالقرآن الكريم ينص على أن المسجد الحرام بمكة هو أول المساجد وضعا ، والحديث يبين أن المسجد الأقصى قد وضع بعد المسجد الحرام بأربعين عاما ، وعلى تلك الروايات التى تعود ببناء المسجد الأقصى إلى آدم عليه السلام أو حتى إلى الملائكة فإنه قد يظن أن هذا يعارض مضمون الحديث من ترتيب بناء المساجد ، وأن المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين عاما ، ومع ذلك ـ وعلى فرض صحة تلك الروايات ـ فإنه لا تعارض عقلا ، إذ يمكن أن يكون هذا الترتيب قد حدث فعلا بأن يكون البانى نفسه قد بنى المسجد الحرام أولا ، ثم بنى المسجد الأقصى بعده بأربعين عاما .

ومع ذلك فالأقرب إلى الظاهر أن الذى رفع قواعد البيت الحرام هو إبراهيم وإسماعيل

(١٢) الأنس الجليل ص ٨ .

عليهما السلام ، وأن هذا هو المقصود بأولية بنائه ، يبقى بعد ذلك أن يكون بناء المسجد الأقصى بعد ذلك بأربعين عاما ، والشائع أن الذى بناه هو سليمان عليه السلام ، وبينه وبين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أكثر من هذه المدة بأزمان متطاولة !

يقول الزركشى ـ بعد أن أورد هذا المعنى : وهذا القائل جهل التاريخ ، فإن سليمان ـ عليه السلام ـ إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه ، والذى أسسه هو يعقوب بن إسحاق صلى الله عليهما بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر[١٣] ، وقد وجه الحافظ الضياء المقدسى هذا الحديث أن هذين المسجدين وضعا قديما ثم خربا ، ثم بنيا[١٤] .. ومعنى ذلك أن الحديث يتعلق ببناء الكعبة على يد إبراهيم عليه السلام ، وأن المسجد الأقصى وضع بعده بأربعين عاما وعلى ذلك يكون بناء يعقوب عليه السلام له من باب التجديد كذلك لا التأسيس .

والخلاصة من هذا كله ، ان قداسة هذه البقعة ، وقداسة المسجد الأقصى كانت معلومة منذ القدم ، وأن هذا المسجد كان يعاد بناؤه وإقامته كلما خرب ، سواء قلنا : إن أول من بناه هو آدم ، أو سام بن نوح ، أو يعقوب أو سليمان عليهم السلام .

يدلنا على أن هذه القداسة كانت معلومة ما تحدث به القرآن عنها ، وهو يحكى عن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وعلاقتهم بها ، وكذلك عن أحداث أخرى ، فنجده مثلا يقص علينا : كيف نجى الله إبراهيم ولوطا عليهما السلام فيقول ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء ٧١ ـ ويحكى عن قوم موسى ـ عليه السلام ـ ماهيأ لهم من هذه الأرض المباركة فيقول : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ الأعراف ـ ١٣٧ ولذلك يناديهم موسى عليه السلام أن يدخلوا هذه الأرض ، ويصفها بالقداسة فيقول : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ المائدة ٢١ .

ويتحدث عن سليمان ـ عليه السلام ـ فيقول : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ الأنبياء/ ٨١ ـ كما يذكر منّته على أهل سبأ حيث جعل بينهم وبين هذه ا لبلاد قرى ظاهرة تيسر لهم طريق المواصلات والأسفار ، يقول تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً ، وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ سبأ ـ ١٨ فوصف هذه البقعة بأنه قد بارك فى قراها .

فوصف القرآن لها بأن الله قد بارك فيها وبأنها الأرض المقدسة ، وأن ذلك مما كان يتم به الخطاب ، يدل على أن هذه القداسة كانت معلومة معهودة ، وأنها كانت من الأمور المسلمة الشائعة .

وعلى مقربة من بيت المقدس وفى إطار تلك الأرض التى بارك الله فيها يقع « القبر » المنسوب إلى سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقد دفن عنده إسحق ويعقوب ويوسف عليهم السلام كما يروى ذلك مجير الدين الحنبلى ، كما يروى أيضا عن وجود « قبر » لوط

←

(١٣) الزركشى ،اعلام الساجد ص ٣٠ .

(١٤) المرجع والصفحة .

عليه السلام فى قرية تبعد عن مسجد الخليل بنحو فرسخ ، وكذلك « أيوب » فى قرية من أعمال نابلس ، وشعيب فى قرية من أعمال صفد ، كما نقل أن فى المغارة الغربية تحت المسجد العتيق ستين نبيا منهم عشرون مرسلا ، وأن هذا المكان مشهور يقصد بالزيارة(١٥) ...

ويقال : إن داود عليه السلام هو الذى بدأ ببناء المسجد عند الصخرة بناء على وحى وإرشاد من الله تعالى ، وأنه توفى قبل اتمامه ، فلما تولى الملك بعده نبى الله سليمان عليه السلام اتمه(١٦) ، وروى النسائى وابن ماجه فى سننهما عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله - ﷺ - أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله ثلاثا ، فأعطاه اثنتين ، وأرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة ، سأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فأعطاه إياه ، وسأله حكما يواطىء حكمه ، فأعطاه إياه ، وسأله من أتى هذا البيت يريد بيت المقدس ، لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فقال رسول الله - ﷺ - وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة .

ويروى الزركشى عن كعب الأحبار أن سليمان بنى البيت المقدس على أساس قديم ، كان أسسه سام بن نوح ، ويروى عن عطاء الخراسانى قال : بيت المقدس بنته الأنبياء ، وعمرته الأنبياء ، والله ما فيه موضع شبر إلا وقد سجد فيه نبى .

وظل هذا البناء الذى بناه سليمان عليه السلام معرضا للهدم والنهب والتعمير والتخريب حتى تولى (قسطنطين) عرش الأباطرة الرومان ٣١٢ م ، وتنصر ، وأصبحت إيليا - بيت المقدس - مدينة بيزنطية تابعة لقسطنطين .

ولم يمض زمن طويل حتى زارت أمه الملكة هيلانة إيليا (٣٢٦ م) وبنت فيها كنيسة القيامة (٣٣٥ م) وخربت هيلانة البناء الذى كان على الصخرة وجعلتها مطرحا للقمامة نكاية فيمن بقى من اليهود ، وفرض قسطنطين عليهم أن يتنصروا فتنصر فريق منهم ، ومن لم يتنصر قتل أو غادر البلاد(١٧) .

يتبع

---

(١٥) الأنس الجليل لمجير الدين الحنبلى بصفحات متفرقة من ص ٥٠ - ٦٨ .

(١٦) انظر عارف باشا العارف ، تاريخ القدس ص ١٦ ، والأنس الجليل ص ١٠٣ - ١٠٦ .

(١٧) عارف العارف ، تاريخ القدس ، ص ٣٨ .

مكانة بيت المقدس
وموقف المسلمين منه

للأستاذ
محمد صابر البرديسى

عن ابى هريرة (رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله (ﷺ) (لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدى هذا ، والمسجد الاقصى)[1]

اولا اللغة :

١ - لاتشد الرحال : النفى بمعنى النهى ، اى لا تشدوا .

٢ - المسجد الاقصى : بيت المقدس لبعدم عن مسجد مكة (وكنى بشدها عن السفر مطلقا) .

ثانيا : ما يشتمل عليه الحديث :

١ - بيت المقدس قبلة المسلمين الاولى .
٢ - القدس مدينة إسلامية عربية .
٣ - القدس مدينة مقدسة .
٤ - تدويل القدس مرفوض .

البيان

١ - بيت المقدس قبلة المسلمين الاولى : بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى ، حتى قبيل غزوة بدر الكبرى . وحتى نزل قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَاكُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[2] .

وحينئذ حول (ﷺ) قبلته فى الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة « بيت الله الحرام » .

وهو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، هو والبيت الحرام ، ومسجد النبى (ﷺ) بالمدينة . والمسجد الأقصى مسرى النبى (ﷺ) ومنه عرج إلى السماء ، وفى رحابه صلى النبى (ﷺ) بالأنبياء ، وكان لهم إماماً . وهو الأرض المقدسة ، وبه مسجد أبى الأنبياء (إبراهيم عليه السلام) وهى أرض المسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام التى يقدسها النصارى ، ويَحُجُّونَ إليها . وهذا المسجد هو المسجد الأقصى الذى باركَ الله حوله ، وأنزل فيه قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ

←

(١) رواه الإمام أحمد

(٢) سورة البقر آية ١٤٤ .

مكانة بيت المقدس

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٣)

وسمى بالمسجد الاقصى ، لبعده عن مسجد مكة مسافة أو زمنا ، ولا يستقيم أن تُقْصَد الزيارة بالراحلة إلا إلى ثلاثة مساجد : « المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الاقصى » وماعداها من المساجد متساوية الاقدار : وخص الثلاثة بالشرف والفضل لانها أَبْنِيَةُ الانبياء ، ومتعبداتهم ، ولأن الأول إليه الحج والقبلة ، والثانى : أسس على التقوى ، والثالث قبلة الأمم الماضية .

فأما بقية المساجد فإنها متساوية فى الفضل والشرف .

٢ ـ القدس مدينة إسلامية عربية :

إن القدس « أو » بيت المقدس « كنعانية عربية أسسها أصحابها قبل أول عهد لليهود بها ، بأكثر من ألفى سنة ، « واسمها العربى « أورَسَلِيم » أى بيت السلام »(٤) وإن إبراهيم عليه السلام ، وإسحق ويعقوب (إسرائيل) وموسى لم يملكوها ، بل إن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) لم يملك لنفسه مقدار قبر يدفن فيه زوجته سارة فالتجأ إلى بعض العرب ، واشترى منهم مغارة ليتخذها مقبرة لها ، وكذلك ابن ابنه : يعقوب (إسرائيل) اشترى من العرب قطعة الحقل التى نصب فيها خيمته ، اشتراها من يد (بنى حمُور) .

وأول اتصال للإسرائيليين ببيت المقدس كان حين فَتَحَها داود ، وظل العرب حينذاك يعيشون فى مدينتهم القدس ولم تنقطع صلتهم بها حتى العصر الإسلامى .

يقول الشيخ عبد العزيز الخياط وزير الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية بالأردن .

إننى أؤكد انه ليس لليهود أى اثر ووجود قديم أو حتى مجرد دليل على وجودهم فى المسجد الأقصى بجميع مساحاته ، ولم يكنِ لسيدنا داود أو سليمان عليهما السلام ، ولا لأى من اليهود أى وجود تاريخى فى هذه المنطقة بالذات .

وقد حاول اليهود اثبات ذلك عن طريق الحفريات حول المسجد الأقصى ، والتَّلَمُّس فى الأدلة التاريخية فلم يستطيعوا أن يأتوا بدليل واحد وجميع التَّسْمِيَات التى تطلق على أماكن المسجد الأقصى هى تسميات إسلامية حاول اليهود تَزْويرها بتسميتها إلى أشخاص أو وقائع يهودية قديمة . وقد تَحَدَّيناهم أن يأتوا بأى أثر يدل على وجودهم التاريخى فلم يستطيعوا اثبات ذلك .(٥)

٣ ـ القدس مدينة مقدسة :

القدس مدينة مقدسة فى نظر المسلمين بحكم عقيدتهم الدينية التى تتضمن التصديق بكل الرسالات السماوية ، وبجميع أنبيائه ورسله وبسبب ذلك حافظوا عليها وعلى جميع مقدساتها المُوسَوِيَّة والمسيحية ، والإسلامية بعدل تام ، سجله التاريخ ، وظلَّت على مدى تاريخ المسلمين موضع رعايتهم العادلة التى اعترف بها ورضى عنها العالم أجمع .

إن هذه المدينة تحوى مقدسات دينية يهودية

(٣) سورة الإسراء آية ١ .
(٤) النهاية لابن الأثير ص ٨٠ جـ ١ .
(٥) نشرته الاهرام فى ١٩٨٧/٣/١٢ .

ومسيحية وإسلامية ، ويجب أن يكون الإشراف عليها لمن يؤمن باحترام ما انزل الله من رسالات ؟

والإسلام كما هو معروف يجعل الإيمان بهذه الرسالات جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية ، وبذلك لا ضمان لجميع هذه المقدسات إلا فى ظل الحكم الإسلامى العربى .

وقد دل التاريخ فى مدى أربعة عشر قرنا على قيام الحكم الإسلامى العربى بهذه الرعاية ، مهما اختلفت الدول الإسلامية التى يمثلها هذا الحكم .

ويروى التاريخ انه فى فترة من الزمن خرج بيت المقدس من سلطان الإسلام وأهله وبَعُد الحكم الإسلامى من القدس ، فنزلت المظالم بنصارى الشرق ، حتى أعانوا الجيوش الإسلامية على رَدِّه لسلطان المسلمين ، ليعود إليهم أمنهم الذى فقدوه .

إن بيت المقدس أرض من أرض الإسلام اغْتُصِبَتْ منا اغتصابا ، واغتصبت مع اغتصابها حريتنا الدينية ، وحرية النصارى أيضا وكان حقا علينا بمقتضى العهد الذى قدمه الإمام عمر أن نسترد من المغتصبين ما اغتصبوه ، وأن ندافع عن الأرض التى هى أرض الإسلام .

وإن عهد عمر لازال فى رقاب المسلمين إلى اليوم .

إن الشعب العربى ، فى القدس ، ينتظر من كل الشعوب العربية والإسلامية أن تسانده ، ولو تم له ذلك ، فإنه سينتصر بإذن الله ، وتعود القدس بصخرتها المشرقة ، ومسجدها المبارك إسلامية عربية وتظل على مدى التاريخ مدينة النور والسلام . إن القدس تستغيث ، ومسجدها الشريف ، بناؤه وصخرته الطاهرة تنتحب ، وتُرَاثُها الدينى كله يتألم وتهدده الأخطار ، وكل اثر فيها يناشد المسلمين عامة فى كل مكان والشعوب العربية خاصة ، بل وكل الأحرار فى العالم أن يُنْقِذُوه ، ويُخَلِّصُوا القدس من نير الاستعباد والاستعمار .

٤ ـ تدويل القدس مرفوض :

إن ما يشاع فى الأوساط ، على أى مستوى من المستويات عن تدويل القدس أمر يرفضه الإسلام والمسلمون لأن ذلك يخرج المدينة المقدسة عن وضعها الطبيعى وفيه افْتِئات وتجرؤ على حقوق العرب والمسلمين ، أذ أن ذلك ينقص حقوقهم فى بلادهم التى أثبت التاريخ حسن قيامهم على حكمها .

إن الأمل فى الله سبحانه وتعالى قائم ، ونصره إكيد لمن اتبعه وآمن بهداه قال تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾(٦) .

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ واخْشَوْه يكن النصر لكم ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) أن عمر بن الخطاب ، أتى النبى (ﷺ) بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبى (ﷺ) فغضب ، وقال : انتهولون(٧) فيها يابن الخطاب ثم قال آخر الحديث :

والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى) .(٨)

إن المسلمين أحفظ الناس لقدسية هذه المدينة .

وفق الله المسلمين للحفاظ على مقدساتهم ، واسترداد ما اغتصب منهم ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

---

(٦) سورة النور آية رقم ٥٥

(٧) أى انتحيرون فيها .

(٨) رواه الإمام احمد .

فى ذكرى الإسراء والمعراج

معارج الأرواح

مع شهر رجب المعظم تتجدد الذكرى العطرة للإسراء والمعراج ، هذه الذكرى التى تعيد إلى الأذهان المعنى العميق لارتباط الأرض بالسماء ، فى اعظم رحلة قام بها الإنسان ممثلا فى نبى الإنسانية الأعظم سيدنا محمد - ﷺ - حيث اسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله ، وليريه من اياته إنه هو السميع البصير . ومن هناك عرج به إلى السموات العلا ، متخطيا حواجز الأرض وقوانين الكون . ومتخذا من « جبريل » عليه السلام - رفيقا له فى رحلته التى شاهد فيها مالا عين رات ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر .

ولم يكن اختصاص الله - سبحانه وتعالى - نبيه المصطفى - ﷺ - بهذه المزية العظمى إلا لإظهار فضله على الكائنات ، ورفع قدره فى الأرض والسموات ، وتشريفه بمالم يتشرف به نبى قبله قط ، فقد علت قدمه فوق كل قدم ، وأرسل إلى أهل السموات إرسال « تشريف » ، كما أرسل إلى أهل الأرض إرسال (تكليف) ،

وحشدت له الأنبياء والرسل ليؤمهم فى صلاة جامعة تشهد بإيمانهم به ومبايعتهم له تصديقا لقول الحق - جل وعلا - ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ، قَالُوا أَقْرَرْنَا . قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ آل عمران ٨١ .

وتشريف النبى - ﷺ - بهذه المنزلة تشريف لأمته ، وإشهار لفضلها بين الأمم ، وإعلاء لقدرها فى الآفاق ، فهى أمة النبى الخاتم ، الذى حظى بما لم يحظ به غيره ممن سبقه من الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام .

كل نبى يفيض على امته من علمه

وليس من شك فى أن كل نبى يفيض على أمته من العلوم والمعارف والهدى على مستوى المعين الذى ارتوى منه ، وعلى قدر ما وصل إليه قدره من التعريف والتكريم والاجتباء ، والأنبياء يتفاضلون فى ذلك بشهادة القرآن الكريم ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ البقرة ٢٥٣ - ومنزلة نبينا - ﷺ - فى العلم أسمى منزلة ، جاءت له .

من باب الوهب الذى وهبه الله إياه مصداقا لقوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ النساء ١١٣ .

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

ومن باب الطلب امتثالا لقوله تعالى ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ طه - ١١٤ .

ومن باب المشاهدة التى استطلعها فى ليلة الإسراء والمعراج ، مصداقا لقوله - تعالى ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ النجم - ١٨ .

ومن باب الوحى الذى تلقاه مصداقا لقوله - تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الشورى - ٥٢ .

ومن باب الجهاد ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ العنكبوت - ٦٩ .

فلاشك فى أن يكون العلم الذى ورثه النبى - ﷺ - لأمته وعلمها إياه زائداً على علم غيرها من الأمم ، تستحق أن تتبوأ به من المنازل الرفيعة مالم تصل إليه أمة أخرى .

غرابة الحادث ومغزاه

والإسراء والمعراج معجزة للنبى - ﷺ - لاشك فيها ، جاءت تسرية له عما أصابه من آلام جسام بسبب تكذيب قومه له ، وتصديهم بالمقاومة الشرسة لدعوته الرشيدة ، وإيذاء أصحابه وتعريضهم لصنوف العذاب الشديد ، ولولا تثبيت الله لهم وقوة عقيدتهم وعظمة إيمانهم لما أطاقوا الاحتمال .

ولقد جاءت فى وقت اختار الله فيه إلى جواره زوجته البارة الوفية السيدة خديجة ، التى كانت الساعد الأيمن له والصدر الملىء بالرحمة والحنان ، ومات عمه أبو طالب ، وقد كان - على الرغم من عدم إيمانه - يقف إلى جواره يشد من أزره ويقوى من عضده ، حتى قال النبى - ﷺ - « ما نالت منى قريش شيئا حتى مات أبو طالب » .

جاءت هذه المعجزة فى ذلك الوقت لتشعر النبى - ﷺ - أن قوة الله أكبر من كل قوة ، وأن رحمته أوسع من كل رحمة ، وأن العناية الكبرى التى شملته تستطيع أن تمده بما يشاء ليستمر فى أداء رسالته ، على النحو الذى يريده لها ربه جلت حكمته وتباركت عظمته .

لقد كان الإسراء والمعراج فى نهاية النصف الأول من العام الثانى عشر من بدء البعثة تقريبا - أى قبل الهجرة بعام ونصف - كما يرى كثير من العلماء - وهذا الوقت هو منتصف البعثة على وجه التقريب ، فكانت هذه الرحلة حدا فاصلا بين عهدين : عهد التحمل واختزان الطاقات ، وعهد الجهاد والكفاح .

ربى النبى - ﷺ - أصحابه فى خلال تلك المدة السابقة على الصبر وتحمل المشاق والمكارة وقهر النفس وقمعها عن الاندفاع والتسرع ، حتى أصبحت طيعة لهم سلسة القياد لما تتطلبه الدعوة منهم ، حتى إذا ماتمكنت هذه العادات الطيبة فيهم ، واستضاءت الأرواح بنور الله ، وانطلق المسلمون إلى الهجرة انطلقت معهم تلك الطاقات المخزونة قوية زاخرة لا تلوى على شىء ، وحين إذن لها بالجهاد سارت تبشر بنور الله .

عالمية الدعوة

كان الإسراء إلى بيت المقدس إشعاراً بأن الإسلام ليس مقصورا على الجزيرة العربية .

وليست دعوته مقصورة على العرب وحدهم ، كما كانت الرسالات قبل الإسلام ، وكما كانت الرسالتان السابقتان مقصورتين على بنى إسرائيل فحسب وحتى قال عيسى عليه السلام : « إنما جئت لأهدى خراف بنى إسرائيل الضالة » وحتى رأينا اليهود متقوقعة على جنس واحد لاتتخطاه .

لقد كانت رسالة الإسلام عامة شاملة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبا ٢٨ . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء ١٠٧ .

فلابد أن تشمل فيما تشمل المكان الذى انبثقت منه الرسالتان السابقتان اليهودية والمسيحية ، ولتثبت أن رسالة الله لا تتعدد فى جوهرها ، وقد جاء الإسلام متمما لمكارم الأخلاق ومكملا لخطوات الأنبياء السابقين برسالته الخاتمة التى لا تأتى بعدها رسالة أخرى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ - الأحزاب ٤٠ - ومصححا للانحرافات التى وقع فيها أتباع الرسل السابقين ، ومصوبا للأخطاء التى أضيفت عن عمد وغير عمد إلى النصوص المقدسة والتعاليم الربانية الصافية .

ولعل أمر المسلمين فى أول فرضية الصلاة بالاتجاه إلى بيت المقدس فى صلاتهم إشعار لهم بهذا المعنى الجليل العميق ، معنى (واحدية) الرسالة السماوية وعدم تعدد منابعها ، فالمعين واحد والمشكاة واحدة والمعبود واحد لاشريك له ، والأنبياء جميعا منذ خلقت البسيطة خطواتهم متلاحقة يتمم بعضها بعضا ، حتى ظهر الكمال المطلق بالقرآن الكريم الذى تعهد إليه بحفظه ، وبرسوله الكريم الذى بعثه الله رحمة للعالمين .

ماتثيره الذكرى من احاسيس

إن هذه الذكرى تثير فى نفوس المسلمين اعتزازا بدينهم ، وتبعث فيهم قوة اليقين الذى يضىء جوانب النفس ،، ويطلق الروح إلى عوالم الكون فترتاد منها ما يبعث الشوق إلى الملأ الأعلى ، وما يذخر به من نور ومثل .

وتذكر المسلمين بواجبهم نحو المسجد الأقصى الذى جعله الله مسرى لنبيه - ﷺ - وأولى القبلتين فى الصلاة وثالث الحرمين ، ولعلهم يستطيعون بإنطلاقة روحية قوية أن يخلصوه من قبضة الوثنية الصهيونية ، ويعيدوه حرا طليقا يستطيع أن يحج إليه من يشاء من خلق الله ، فما جعل الله تلك الأماكن المقدسة لتحاط بالحديد والنار ، ويستأثر بها قوم دون آخرين ، ولكنه جعلها حرما آمنا يجد الجميع فى ظلها الأمن والسلام والاطمئنان .

ولكن الإثارة المثلى لمن تشده أشواق الذكرى إلى الآفاق العليا والملكوت الأعلى .

لقد رسم النبى - ﷺ - بحديثه عن مشاهداته الراقية الطريق لأمته نحو التأمل الصافى ، والتفكر فى خلق السموات والأرض ، ليصل منه الإنسان إلى حقائق ما يكون ليصل إليها لو وقف جامد الفكر جامد الحس بليد العقل .

دعوة الإسلام إلى الفكر

والإسلام من بين الأديان الثلاثة يدعو إلى التفكر والتأمل ويشجع على البحث ، وآياته العديدة تشهد بذلك ، من ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران ١٩٠/١٩١ .

فهو لا يشجع على التفكر فى السموات إلا وهو يدعو إلى النظر إليها ، وتوجيه القلب والفكر لها ، عله يستطيع عن طريق تأمله ذلك أن يصل إلى بعض أسرارها المستكنة وغيبياتها المستورة .

بل إن سورة النجم التى أشارت إلى المعراج بدأت بالقسم بالنجم إذا هوى لتلفت النظر من المشاهدة الحسية إلى التفكر فيما وراءها من أسرار حكيمة ودقائق عظيمة ، وإنها لتنعى على الجامدين وقوفهم عند ظواهر من العلم ربما أضلت وما أرشدت فتقول : « وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » وتقول : « ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ » ثم إنها تختم آياتها باستنكار موقف من يقابل هذا الحديث بالعجب والسخرية دون أن يفطن لما فيه من آيات ودلائل وعبر .. « أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ . وَأَنتُمْ سَامِدُونَ » ؟

لقد راد النبى - ﷺ - السماء بجسمه واطلع عليها بحسه ، وميراث أمته من ذلك أن يمعنوا النظر ويوجهوا الفكر ، وهم حريون بذلك أن يفتح الله بصائرهم ، فيلهمهم من فيضه - جزاء وفاقا لجهودهم - ما يدهش العقول وتعجز عنه الفهوم ، وهذه هى السياحة الفكرية التى استشف فهمها بعض المتذوقين من المفسرين لقوله تعالى : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ ﴾ .. التوبة ١١٢ .

الطموحات الروحية وكيف تتحقق

وليس غريبا أن يفتح الإسراء والمعراج للمسلمين آفاقا جديدة من المعرفة ، فيعرجون بأرواحهم إلى السماء كما عرج إليها نبيهم - ﷺ - بجسمه ، فهى فى حقه معجزة لأنها خرقت قوانين الأرض ومنطق الحياة ، وهى فى حق أمته تشريع لأن يجولوا بأفكارهم ويبحثوا بعقولهم وينطلقوا بأرواحهم وراء الحقيقة فى هذا الكون العظيم .

إنها طموحات لمن اختصهم الله بفضله أن يخاطروا بالفكر العميق المبنى على أسس التقوى ، ليصلوا إلى غاية أبعد فى العلم والمعرفة ، وقد وضع العارفون من العلماء وسائل لذلك استنبطوها من الكتاب والسنة - هى ما يسمونها جهاد النفس ، وما يطلقون عليه اسم « الجهاد الأكبر » .

وأطلق عليها اسم الجهاد الأكبر لأنها جهاد عدو غير متطور ، هى جهاد الهوى والشيطان والوساوس والرغبات والتطلعات والشهوات ، هى قطع النفس عن مألوفاتها ، وردها صاغرة لتنصاع - عن طريق التمرس بالطاعات والرياضات المختلفة - لأمر الروح ، حتى لا تصبح منافسة له ، فتتوزع همة صاحبهما بين الإقبال والأدبار والطاعة والمعصية ، إن القلب ينبغى أن يكون له سيد واحد هو الذى يستوى على عرشه ، فإن تغلب الروح انصاع جميع مافى البدن له . وأن تغلبت النفس انصاع لها كل مافى البدن . وما أبعد الفرق بين الإنسان الروحى والإنسان النفسى ؟

جهاد النفس وأثره

إن الوسيلة العظمى لارتياد الآفاق العلا هى « الجهاد الأكبر » الذى يشير إليه قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ النازعات ٤٠ ، ٤١ ، وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت ٦٩ - وغير ذلك من الآيات .

وقد حث النبى - ﷺ - على هذا الجهاد بقوله « ما تقرب إلى عبدى بشىء أحب مما افترضته

عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى احبه فإذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ولئن سالنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، حدث به أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ ورواه البخارى فى صحيحه وذكره الإمام النووى فى رياض الصالحين ـ باب المجاهده ـ

فالجهاد هو الذى يفتح للمجاهد آفاق المعرفة والقرب من الله ، جاء فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى عن أنس « إذا تقرب العبد إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإذا تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا ، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة » وهذا هو المعراج الحقيقى للروح ، المعراج الذى يوصل المجاهد إلى حضرة الحق ، ويعرفه على واجب الوجود ـ سبحانه وتعالى .

دروس من السيرة

فالإسراء والمعراج لم يكونا حدثا عارضا فى حياة النبى ـ ﷺ ـ ولكنهما كانا امرا له أهميته التشريعية ومدلوله العظيم فى حياة المسلمين .

وأى نقطة يلتقطها المسلم من هذا الحدث والحديث الوارد فيه تترك فى نفسه أروع الآثار وتحفزه إلى الانتفاع بسيرة نبيه ـ ﷺ ـ وتدعوه إلى التفكر الذى يفتح أمامه الطريق إلى المعرفة .

وقد أشار إلى ذلك الحكيم ابن عطاء الله السكندرى فى حكمة :

« ما نفع القلبَ شىء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكره » .

وفى التعليق على هذه الحكمة يستشهد الرندى شارح الحكم يقول كعب : من أراد شرف الآخرة فليكثر الفكر .

وقيل لأم الدرداء : ما كان افضل عمل أبى الدرداء ؟ قالت : التفكر .

ذلك لأن التفكر يطل به الإنسان على حقائق الأشياء ومعرفة الحق من الباطل ، ثم يصل من وراء ذلك إلى معرفة الله . وهذا هو المعراج الأعلى .

قال الحسن البصرى : الفكر مرآة تريك حسنك من قبحك ، وتطلعك على عظمة الله تعالى وجلاله .

قال يحيى بن معين : التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن الحوارى فقال ابن حنبل لابن أبى الحوارى : يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبى سليمان الدارانى فقال : يا أحمد ، قل : سبحان الله بلا عجب ـ فقال أحمد بن حنبل : سبحان الله ، وطولها ـ بلا عجب ـ فقال ابن أبى الحوارى : سمعت أبا سليمان يقول : إذا عقدت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت ، وعادت إلى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير ما يؤدى إليها عالم علما .

فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا ، وقال : ما سمعت بحكاية أعجب من هذه ، ثم ذكر الحديث : من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم .

هدية الذكرى

إن أجل ما تهدى لنا ذكرى الإسراء والمعراج أن يتوق الإنسان إلى معرفة ربه ويتشوق إلى الدرجات العلا ، ويحقق فى نفسه معنى خلافة الله فى الأرض ويكون كما قال الشاعر :

فكن رجلا رجله فى الثرى
وهامة همته فى الثريا ..

وهذه الهمة العالية كفيلة أن تصل به إلى أبعد الغايات بتوفيق الله ومشيئته .

من أسلوب المعاهدات

فى القرآن الكريم

د. عبد الحليم حفنى

من المعروف أن من أهم ما تتميز به المعاهدات والاتفاقيات هو الاهتمام بأسلوب صياغتها ، فكل من طرفى الاتفاقية يحاول أن يبذل كل جهده وبراعته فى أن يجعل نص المعاهدة متضمنا أمرين :

١ - أحدهما وضوح حقوقه كاملة .
٢ - عدم وجود ثغرات فى صياغة نصوص المعاهدة يمكن أن يستفيد بها الطرف الآخر فيما لو حاول أن يلتوى أو أن يفسر النص لمصلحته وهذا يسرى على كل العقود التى تبرم بين طرفين ، من حيث التركيز على أسلوب صياغتها بحيث تتضمن حقوق كل طرف ، وتمنع أن يستغلها أحد الطرفين فى تفسير شىء منها لصالحه ، ولذلك يعتمد جهد المحامين فى دفاعهم على إبراز منفذ أو ثغرة فى نص الاتفاق ليفسروه لمصلحة موكليهم حينما ينشب خلاف حول تطبيق أو تنفيذ هذا الاتفاق ، ومن المشهور أن اليهود يستغلون هذه الثغرة فى نص قرار الأمم المتحدة الذى يقضى بإنسحاب إسرائيل من (أرضٍ احتلتها سنة ١٩٦٧) ويحاولون تفسير ذلك بأن القرار إنما يلزمهم بالإنسحاب من أى أرض ولو كان جزءا من الأرض المحتله ولو كانت الصيغة هى الانسحاب من (الأَرضِ) التى احتلوها لما كانت هذه الثغرة التى نشأت من عدم وجود الألف واللام فى كلمة الأرض ، والتى قُصدت فى أغلب الظن عند الصياغة قصدا .

والقرآن الكريم يعلمنا فيما يعلمنا كيف يصاغ العقد أو الاتفاق ، بل يعلمنا كيف يكون الحوار حول المعاهدات ، وكيف يكون الحرص على دقة صياغتها ، وذلك من خلال اتفاقية موسى عليه السلام مع العالم الربانى الذى يروى أن اسمه الخضر .

ومن ملابسات هذه الاتفاقية التى يسوقها القرآن الكريم فى صورة قصة من سورة الكهف ، ومضمونها أن موسى عليه السلام - وهو نبى مرسل يرى نفسه - وهو على حق - أنه بهذه الصفة ينبغى أن يكون أعلم أهل زمانه وأفضلهم ، لأنه لو كان هناك من هو أعلم وأفضل منه لكان أولى بالرسالة.. فهو يحرص حرصا شديداً على أن يلم بكل العلم فى كل فروعه ، ولكن

←

من أسلوب الاتفاق في القرآن

الله سبحانه يريد أن يعلمه أن كمال العلم فوق مستوى البشر، بل المخلوقات جميعاً، وأن العلم الكامل لله وحده، ولا ينبغي أن يكون لأحد سواه، ومقتضى هذا أن العلم الكامل لا حدود له، ولا تدرك سعته - فضلاً عن تفاصيله - مدارك البشر، والقرآن يشير إلى هذا في أكثر من موضع، وبأكثر من أسلوب.

ومن ذلك قوله تعالى يخاطب نبيه العظيم محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ومن ذلك هذا التصوير لسعة العلم الكامل بأنه لو قطعت كل أشجار الأرض وحولت إلى أقلام، ثم أصبحت كل بحار الأرض ومحيطاتها مداداً ومعها سبعة أمثالها، فكل ذلك ينفد، ولكن علم الله لا ينفد ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾. (سورة لقمان ٢٧).

وقد أخبر الله موسى بأن هناك عالماً لديه فرع من العلم لا يعلمه موسى هو العلم الرباني، وأن مكانه عند مجمع البحرين، وبحرص موسى الشديد على تحصيل كل علم نافع أصر على بلوغ هذا العالم مهما تكبد، ولو قضى أحقاباً من الزمان في سفره إليه، فشد رحله، وعبر عن تصميمه هذا بقوله لخادمه كما في القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ وبعد عناء ونصب وأحداث وصل ومعه خادمه إلى هذا الشخص الذي حدد القرآن له ميزتين صادرتين إليه من الله مباشرة، بما يوحي أنه كان في هاتين الميزتين على صلة بربه بدون واسطة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ والرحمة هنا تشير إلى الوحي والصلة الخاصة بينه وبين الله كما في قول نوح عليه السلام لقومه ﴿ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ ﴾ (سورة هود ٢٨)، ولكن الذي يعني موسى - عليه السلام - والذي تكبد من أجله ما تكبد هو الميزة الثانية، وهي ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ فهو علم خاص غير مكتسب، بل هو منحة من الله مباشرة لهذا العالم، في صورة نوع من علم الغيب.

ووصل موسى إلى العالم (الخضر) وبدأت المفاوضات بينهما، موسى يريد بكل وسيلة وكل حرص أن يكون طالب علم لدى الخضر، ليتعلم علمه الرباني، والخضر بوصفه عالماً لا ينبغي أن يحجب علمه عمن يستفيد به.

وقد بدأ موسى المفاوضة بأن عرض على الخضر مشروع اتفاق كان نصه: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾؟

وقد تبدو هذه الصيغة قليلة الكم في الكلمات، ولكننا حين نتأملها من حيث اللغة وحدها ودون إضافة أي آراء أو تأويلات نجد أنها تتضمن فيضاً من الدقة في الشروط والشمول والاحتراز وحسن التوصل، ومراعاة الملابسات، ومن ذلك:

(هل) وهي أداة استفهام، وملابسات الموقف تؤكد أن موسى مصمم على طلب هذا العلم، فكان المتوقع أن تكون الصيغة، موضحة لرغبة موسى كان يقول: علمني، أو أريد أن أتعلم منك، ولكنه يصوغ رغبته في صورة سؤال، لأكثر من سبب، منها: أن رفض المعلم في حالة السؤال أخف حرجاً منه في حالة الطلب، فحينما يسأله موسى: هل توافق على تعليمي فإن رفض الخضر بقوله (لا) أخف حرجاً مما لو قال له: علمني فيرد بقوله: (لا)؛ لأن الجواب المتوقع للسؤال إما لا وإما نعم، بخلاف الطلب.

(أتبعك) وهى تتكون من كلمتين :

(أتبع) بمعنى أكون تابعا لك ، والسياق يحدد أنها تبعية علمية بمعنى أنى لا أعارضك ولا أخالفك فى محيط التعليم ، وهذا هو البند الأول فى مشروع الاتفاق ، وكأن موسى يقول له : إذا وافقت على تعليمى فالبند الأول أن من حقك أن ألتزم التبعية العلمية لك ، وبهذا الشرط لا يستطيع هذا الطرف مضايقة الطرف الآخر بمعارضة أو مزاحمة علمه بعلم أو رأى آخر ، وهذا القيد لا تؤديه ألفاظ أخرى ، فلو قال موسى مثلا : هل تقبلنى طالب علم عندك ؟ فإن هذا التعبير يؤدى الهدف الذى يريده موسى ولكنه لا يحقق التزامه بما يؤديه لفظ التبعية .

(الكاف) وهى ضمير الخطاب فى (اتبعك) ومع صغر لفظها إلا أنها تمثل هنا بنداً كاملاً فى مشروع الاتفاق ، فبهذا اللفظ (الكاف) يقيد موسى التعليم بأن يكون على يد الخضر نفسه ، لأنه يشترط صراحة أن تكون التبعية للخضر ، وهو شرط ذو أهمية فى الاتفاق ، حيث يلتزم الخضر حينئذ أن يعلم موسى بنفسه ، ولولا هذه الكاف لكان يمكن افتراضا أن يأتى الخضر بعد حين بمعلم مكانه ليعلم موسى ، كما يحدث فى دور التعليم ، فإن قبول الطالب فى مدرسة أو كلية يتضمن أن هذه الدار تلتزم تعليم هذا الطالب ، ولكنه لم يشترط معلما معيناً فمن حقها أن تأتيه بأى معلم ، ولكن دقة صيغة القرآن أن هذه الكاف توضح أن التبعية العلمية من موسى إنما تكون للمخاطب وحده وهو الخضر (أتبعك) وكأنه يقول : والبند الثانى ، أن تكون أنت نفسك المعلم لى .

(على) حرف جر يعرف فى اللغة بأنه يفيد (الاستعلاء) ومعنى الاستعلاء هنا من الدقة البالغة فى أسلوب القرآن ، فإن اللفظ السابق وهو (أتبعك) يوحى بنزول مكانة موسى عليه السلام من حيث إنه تابع ، فيأتى لفظ (على) موحياً بالاستعلاء ، فيحدث التوازن بين النزول والاستعلاء ، فتعود فوراً إلى موسى منزلته ، فكأنه يقول : مع تبعيتى لك إلا أننى أشترط عليك ، والاشتراط إنما يأتى من مصدر العلو والقوة ، وهذا لا يتحقق بدون لفظ (على) .

(أن تعلمنى) وصياغة هذا الشرط تحمل دقة بالغة لا تتوافر فى تعبير آخر مماثل ، فلو كان التعبير مثلا : هل أتبعك على أن أتعلم منك ، فإنه يحقق مصلحة موسى ، ولكنه يضر بموقف الخضر ، لأنه كأنه يشترط عليه شرطاً غير منطقى ، لأن تعبير ـ أتعلم منك ـ معناه أن أستفيد منك علماً ، فلابد حينئذ أن يستفيد موسى علما حتى يوصف بأنه (تعلم) وهو شرط غير منطقى لأن المعلم لا يملك أن يجعل المتعلم يستفيد مهما حرص على ذلك ، وإنما يملك أن يقدم إليه علمه فى صورة واضحة ، ولذلك كان تعبير موسى (على أن تعلمن) بمعنى على أن تقدم إلى علمك ، ثم لا عليك أن أحصل هذا العلم أو لا أحصله ، وكأن موسى يقول فى مشروعه ، والبند الثالث أن تقدم إلى علمك بصرف النظر عن استفادتى أو عدم استفادتى (مما) وتتكون من كلمتين : (من) و(ما) .

فأما (من) فهى حرف جر يفيد فى اللغة التبعيض ، وأما (ما) فهى اسم موصول بمعنى (الذى) ومضمون الكلمتين فى صيغة (على أن تعلمن مما علمت) أننى لا أشترط عليك أن تقدم إلى كل علمك ، وإنما تقدم إلى بعضه ، وهذا التعبير فضلاً عن أنه يمثل حسن التوسل ، وسمو الذوق فى أسلوب الوصول إلى الهدف ؛ فإنه يمثل شرطاً مهما فى دقة نصوص الاتفاق ، فلو كان التعبير مثلا : على أن تعلمنى علمك ، فإنه يلزم

من أسلوب المعاهدات فى القرآن

الخضر أن يعلمه كله علمه ، وهذا يحدث خللا فى الإتفاق من ناحيتين :

إحداهما : أنه ليس من المنطقى أن يطلب طالب علم كل ما لدى المعلم من علم ، فإن العرف يقضى بأن الذى يقدم للطالب فى أية مهنة هو القدر المناسب الذى يستفيد به ، وأقصاه القدر الذى يؤهله ليكون معلما فى مهنته .

والخلل الثانى : أن اشتراط تقديم كل العلم يفتح بابا للمماحكة والالتواء فيما لو افترضنا غير هذه القصة ؛ فإن الطالب يستطيع أن يلتوى إزاء هذا الشرط ، فلو افترضنا أن المعلم قدم إليه علمه فإنه يستطيع أن يدعى أن ما ناله ليس كلّ مالدى المعلم ، وليس لدى المعلم دليل قط ينفى به هذه الدعوى ؛ لأن العلم فى أية مهنة لا حدود له ، بخلاف ما لو ثار الخلاف حول بعض العلم ، فإن العلم والعرف ، أحدهما أو كلاهما ، يحدد فى العادة البعض المناسب الذى يقدم إلى الطالب .

وحينئذ كأن موسى يقول فى مشروع اتفاقه : والبند الرابع أن تقدم إلى بصفتك معلما قدرا مناسبا من علمك .

(عُلِّمْتَ) مبنى للمجهول ، والأصل مما علمك الله ، فالله سبحانه هو المعلم لأن السياق فى : (وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا) يحدد أن العلم من الله مباشرة ؛ وهذه الصياغة فى البناء للمجهول ذات أهمية كبيرة فى دقة شروط الاتفاق ؛ لأنه لو كانت الصيغة مثلاً : على أن تعلمنى من علمك ، أو مما عَلِمْتَ بالبناء للمعلوم ، فإنه يمكن حينئذ لمن فى مكان الخضر أن يلتوى ويعلمه علما مكتسبا من علوم الدين أو الدنيا ، ويقول له : نحن اشترطنا أن أعلمك من علمى ، وهذا من علمى ، ولكن بناء الفعل للمجهول يحدد أن العلم المطلوب ليس علما اكتسبه الخضر اكتسابا بجهده ، وإنما هو علم ممنوح من علم الله منحا ، وهو علم الغيب .

(التاء) والتاء فى (عُلِّمْتَ) ضمير المخاطب ، وهى تؤدى فى الاتفاق دقة كبيرة ، حيث تحدد أن المقصود ليس كل علم ممنوح من الله ، وإنما العلم الممنوح للخضر بالذات ، وكأن موسى يقول له : إننى لا اطلب علما مطلقا ، ولا مطلق علم ممنوح من الله ، وإنما أطلب العلم الممنوح لك أنت ، والذى تتميز به عن غيرك ، ويكون واضحا حينئذ أنه علم الغيب ، ولولا التقييد بتاء الخطاب لوجدت ثغرة فى نصوص الاتفاق تتيح لمن يريد (الالتواء) أو التأويل أن يفسر النص على وجه يريده ، ولكن موسى بهذا كأنه يقول له : والبند الخامس هو أن يكون العلم الذى تعلمنى إياه هو العلم الذى ميزك الله به عن غيرك ، وليس علما آخر .

(رُشْدًا) والرشد هو الخير والفلاح ، وهذا اللفظ يحدد منهج العلم المشروع تعليمه ، وهو أن يكون علما نافعا فى أى مجال وأي غرض ، وكأن موسى بهذا القيد يقول له : والبند السادس أننى التزم ألا أستخدم هذا العلم إلا فى مجال النفع .

وكل هذه البنود أو الشروط الستة تتضمنها هذه الكلمات المعدودة ﴿ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ .

وفى مجال المفاوضة حول مشروع الاتفاق الذى يقدمه موسى ، يرد الخضر على موسى ليس برفض التعليم ، فإن العلم لا يجوز حجبه عن طالبه دون سبب مقبول ، وإنما يرد بأن هذا الاتفاق لا فائدة منه ، لأنه يعلم على وجه اليقين أن موسى لن يصبر على هذا العلم ، ومصدر هذا اليقين عند الخضر أنه يعلم مقدما أن ما سيصدر منه فى صحبة موسى إياه معظمه فى صورة منكر عظيم ، وموسى يستحيل أن يسكت على منكر ، ولهذا

يؤكد الخضر لموسى قائلاً : ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾ .

وإعجاز القرآن فى دقة أسلوبه يدعونا إلى تأمل ما يتضمنه رد الخضر ، فقد يقال إن رد الخضر فيه إطناب لا ضرورة له ، وأنه كان يمكن إيجاز رده فى مثل قولنا (لن تصبر) ولكن الكلام لو جاء على هذا النحو لفقد أهم ما يتضمنه رد الخضر ، أما رد الخضر فإنه يتضمن فيما يتضمن ما يأتى : (إنك) .

تتضمن تأكيد أن موسى لن يصبر ، والخضر يعلم هذا مقدماً ، وإذن فما دام الخضر يعلم مقدماً عدم جدوى تعليم موسى هذا العلم فمن الحكمة أن يصرفه عنه ، ولو كان رد الخضر خاليا من التأكيد لكان لدى موسى أمل ، والخضر يريد أن يقطع عليه هذا الأمل فى هذا التعليم .

﴿ لَن تَسْتَطِيعَ ﴾ لو قال له الخضر ـ لن تصبر ـ لكان فيه إيهام نفى صفة الصبر عن موسى ، والصبر فضيلة فى أى إنسان فضلاً عن نبى مرسل ، فنفيها عن موسى ولو إيهاما فيه انتقاص شديد من موسى ، ولذلك يقول له ﴿ لَن تَسْتَطِيعَ ﴾ بمعنى أن الصبر على هذا العلم فوق طاقتك ومقدرتك ، فيكون من باب ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ وكأن الخضر بهذا يعتذر عن موسى بأنه لا يؤاخذه ولا يلومه على عدم الصبر حينئذ ، لأنه أمر خارج عن استطاعته .

« معى » زيادة فى توضيح عدم المساس بصفة الصبر فى موسى ، وكأنه يقول : إننى لا أعنى نفى صفة الصبر عنك أو انتقاصها ، وإنما أعنى أنك لن تستطيع الصبر فى حالة معينة فحسب ، هى مصاحبتك إياى ﴿ مَعِيَ ﴾ وإنما كانت هذه الزيادة فى التوضيح لأن صفة الصبر من الزم لوازم المرسلين ، فالخضر يوضح له أنه لا يعنى المساس بصفة الصبر فيه .

(صبرا) جاءت بالتنكير لإفادة العموم والإطلاق ، لأن الخضر يريد أن يمحو من نفس موسى كل أمل فى جدوى هذا التعليم ، ولو قال له لن تستطيع (الصبر) فإن (آل) حينئذ تفيد التعريف أو العهد ، ويكون المعنى لن تستطيع الصبر المعهود الذى أطلبه ، وهذا لا يشمل الصبر العادى الموجود لدى الناس عادة على اختلاف درجاتهم فيه ، فيبقى فى نفس موسى أمل فى أن يتقبل منه الخضر صبره العادى ، أما التنكير الذى جاء فى لفظ القرآن فإنه ينفى أى درجة وأى نوع من الصبر على الإطلاق ، وهذا ما يريد الخضر أن يوضحه لموسى ، وما لا يستطيع لفظ آخر ان يؤديه .

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً ﴾ ؟ هذا من رد الخضر ، فحيث أكد فى الجملة السابقة أن موسى لن يصبر ، فإنه يريد أن يسوق السبب ، وهو أن موسى بحكم كونه نبيا لا يمكن أن يصبر على شىء فى صورة منكر إلا إذا عرف حقيقته معرفة اليقين ، وصوغ هذا المعنى فى أسلوب السؤال لأن السؤال إثارة ليقظة الفكر ، من حيث إن أى سؤال يحتاج إلى إجابة ، والإجابة مهما كانت سهلة إنما تأتى بعد تفكير ، والخضر يريد أن يصل بموسى إلى الاقتناع العقلى بأن رفضه ليس امتناعا عن تعليمه ، وإنما لأن هذا التعليم لا جدوى منه ، بناء على هذا السبب الذى ساقه .

ومنهج التعليل هو ميزة العلماء ، من حيث إن الشأن فى العالم أنه لا يتقبل شيئا ولا يدلى بشىء إلا مصحوبا بالتعليل والتدليل والخضر بهذا التعليل يسلك الأسلوب المناسب له بوصفه عالما .

وتتصل حلقات المفاوضات بينهما حول الاتفاق ، فإن الخضر فى رده السابق يحاول أن يغلق كل الأبواب ويسد كل المنافذ أمام رغبة

من أسلوب المعاهدات في القرآن

موسى فى هذا التعليم ، وقد أحكم إغلاقها فعلاً ، ولكن موسى يستطيع أن يفتح لنفسه ثغرة كبيرة ينفذ منها ، فإذا هو يرد على الخضر بما يلي : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴾ .

فالمنفذ الكبير الذى لجأ إليه موسى هو (مشيئة الله) وكأنه يقول للخضر هب أننى لا أستطيع الصبر معك ، ولكن الله إذا شاء فإنه يستطيع أن يمنحنى الصبر الذى تريده وترضى عنه ، ويشير إلى هذا المعنى بلفظ (ستجدنى) وهذا بخلاف مالو قال مثلا سأكون إن شاء الله صابرا ، فإن لفظ سأكون ونحوه لا يحدد موقف الخضر من حيث رضاه أو عدم رضاه عن هذا الصبر ، ولكن لفظ (ستجدنى) فيه إبراز وتجسيد لموقفه متضمنا رضا الخضر عن هذا الصبر ، كأنه معاين ومشاهد لهذا الصبر أمامه ، ومادام لن يرفضه فهو إذن راض عنه ، ويزيد موسى تأكيداً وتوضيحا بل تحديداً لنوع الصبر بقوله ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ أى على الاطلاق ، فلا يترك للطرف الآخر فى المفاوضات منفذا يثير من خلاله حجة أو رداً .

وبهذا يكون موسى قد قلب الموقف تجاه الخضر ، فبعد أن حاول الخضر إغلاق كل المسالك أمامه ، إذا هو الذى يسد على الخضر كل المنافذ بأن يضعه أمام مشيئة الله ، ومشيئة الله لايستطيع مؤمن أن يجادل فيها .

وعندئذ يكون الخضر قد استسلم لرغبة موسى فى التعليم من حيث المبدأ ، وكأنه وافق على الشروط التى أوردها موسى فى مشروعه ، لأن معارضة الخضر لم تكن فى شروط موسى ، وإنما فى مبدأ قبوله طالبا ، وقد سلم الآن بهذا المبدأ .

وكما تضمن مشروع موسى شروطا محددة ، فإن الخضر يعرض أيضا على موسى مشروعا يمثل موقفه ووجهة نظره فى الاتفاق ، ليضاف هذا المشروع إلى مشروع موسى ، وقد تضمن مشروع الخضر أيضا شروطا محددة عرضها على موسى ليرى رأيه فيها .

وكما صاغ القرآن الكريم شروط موسى كلها فى كلمات كذلك صاغ شروط الخضر كلها فى هذه الكلمات :

﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ونلحظ أن الخضر كرر حينئذ شرطين من شروط موسى ، ليكون تكرارهما تأكيداً لهما ، حيث إن الموقف كله يدور فى نجاح التعليم وفشله عليهما ، وهما (إن اتبعتنى) المكون من (إن) الشرطية ، والفعل (اتبع) وياء المتكلم وهو الخضر ، ولكنه يبدأ كلامه بلفظ (إن) بكسر الهمزة وسكون النون ، التى تفيد الشك فى حدوث الفعل الواقع بعدها بعكس (إذا) فلفظ (إن) بما يفيده من معنى الشك جعل الأسلوب يخفى التكرار وكأن هذين الشرطين غير مكررين ، أعنى غير مذكورين فى هذا التعبير بوصفهما شرطين ، وإنما لإبراز معنى الشك ، وكأن الخضر يقول : مع أننى أشك فى أنك ستتبعنى ، إلا أننى أشترط عليك فى حالة اتباعك إياى شروطا وكأن هذه الشروط هى معنى التبعية له بمعنى إتباعك إياى ، لا يتحقق إلا بهذه الشروط ، وهى :

١ ـ أن تلتزم التبعية ، وهذا مستفاد من لفظ الفعل فى (اتبعتنى) وقيمة هذا الشرط فى أسلوب الاتفاقيات أن الطالب قد يعتمد على أن مجرد قبوله طالبا يكسبه حقوق الطالب ، ولكن هذا

الشرط يوضح له أنه لا يكتسب حقوق الطالب إلا اذا أدى مايجب على الطالب ، وجوهر هذا الواجب هو التبعية العلمية بكل ما تقتضية هذه التبعية .

٢ ـ أن تكون تابعا لى انا بالذات ، وهذا مستفاد من ياء المتكلم فى (اتبعتنى) ولو كانت الصيغة بدون هذه الياء مثل أن يقال : اشترط عليك التبعية ، أو أن تكون تابعا ، لأمكن للطالب أن يجعل تبعيته للخضر ولغيره ممن يشاء ولو كان هذا الغير مخالفا للخضر ومنهجه ، ويحتج الطالب حينئذ بأن صيغة الاتفاق لا تلزمه اتباع الخضر بالذات ، وإنما تلزمه مطلق التبعية .

وقلت إن هذين الشرطين مكررين للتأكيد ، لأنهما وردا بنصهما فى شروط موسى بلفظ (هل اتبعك) بمعنى أعرض عليك أن أكون تابعا ، وأن تكون تبعيتى لك أنت بالذات .

٣ ـ يحظر عليك فى أثناء التبعية أن تتدخل فى التعليم لا بالمنع ولا بالاعتراض ولا حتى بمجرد السؤال ، وهذا مستفاد من لفظ الفعل فى (فلا تسألنى) والنص على السؤال من جوانب الدقة فى صياغة الاتفاق ، فإن الخضر يعلم بطبيعة الحال أن ماسيفعله هو منكر فى ظاهره ، وموقف موسى حينئذ لابد أن يكون على الأقل اعتراضا على المنكر ، وليس مجرد سؤال ، ولكنه لو كانت الصيغة مثلا : فلا تعترض ، فإن موسى يستطيع أن يجعل اعتراضه فى صورة سؤال ، كأن يقول : لماذا تقتل هذا الغلام ؟ ويستطيع أن يزعم أنه لم يخل بالاتفاق لأنه يسأل سؤالا وليس اعتراضا ، ولكن صيغة ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِى ﴾ تغلق عليه أى باب للتدخل أو الالتفاف حول مدلول الألفاظ .

٤ ـ حظر الأسئلة من موسى مقصور على ما يوجه إلى الخضر بالذات وليس محظورا على موسى أن يسأل أى شخص غير الخضر ، وهذا مستفاد من ياء المتكلم فى صيغة ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِى ﴾ بمعنى أن الحظر مقصور على توجيه السؤال إلى الخضر نفسه ، وهذا الشرط لايستفيد منه موسى عمليا رغم أن ظاهره لصالحه ، لأن هذا العلم لايعلمه من الناس أحد إلا الخضر .

٥ ـ تحظر الأسئلة على موسى ليس فيما يتعلق بموضوعات التعليم فقط ، وإنما فى أى شىء ، سواء ما يفعله الخضر أو غيره على الإطلاق ، وهذا مستفاد من تعبير (عن شىء) فى جملة ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِى عَن شَىْءٍ ﴾ بتنكير (شىء) حيث معناه عن أى شىء على الإطلاق ، فقد يقال إن المفروض أن سؤال موسى سيكون بداهة عما يفعله الخضر ، وليس عن غيره ، وبالتالى كان ينبغى أن يكون المنع فى هذا النطاق وحده ، فلماذا يمنعه من السؤال عن أى شىء ولو كان خارج نطاق التعليم ؟ والجواب أن المنع لو كان خاصا بما سيفعله الخضر فإن هذا قد يوجد ثغرة فى نص الاتفاق تتيح التحايل لمن يريده ، فقد كان يمكن حينما يخرق الخضر السفينة وفيها ركابها فى عرض البحر أن يسأله موسى بطريقة غير مباشرة فيقول مثلاً : ما حكم من يفعل فعلاً تترتب عليه جريمة أو قتل إنسان ؟ ويكون قد اعترض على الخضر بأسلوب غير مباشر ، ويدعى مع ذلك أنه لم يخل بالاتفاق ، لأنه لم يسأله عما فعل وهو خرق السفينة ، وإنما سأله سؤالاً عاما ، ولكن صيغة ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِى عَن شَىْءٍ ﴾ تغلق هذا الباب ، وكل باب لتأويل النص .

٦ ـ من حق موسى أن يسأل كما يشاء إذا فاتحه الخضر أى مفاتحة أو بأى حديث فيما يتعلق بما يفعله فى محيط التعليم ، وهذا مستفاد من إحداث الذكر فى ﴿ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ وأصل التعبير : حتى أحدث ذكرا لك

منه ، وإحداث الذكر يتعلق باللسان ، وكأن الخضر يقول : من حقك ياموسى أن تسأل عندما افاتحك فيما افعل ، ولفظ (أحدث) يقتضى أن موسى ليس من حقه السؤال إلا عندما يجد الخضر يحدث وضعا جديدا طارئا كالمفاتحة أو الشرح ، بخلاف ما لو كان التعبير مثلاً : حتى تجد أو ترى منى ذكرا لهذا الموضوع ، فإن موسى قد ينتهز مثلا فرصة إنشراح نفس الخضر ، أو إقباله عليه ، فيسأله عما يفعل ، محتجا بأنه (وجده) أو (رآه) مهيأ نفسيا للحوار والإجابة كما فى نص الاتفاق ، ولكن لفظ (أُحَدث) يحدد أن الحظر يرفع فقط عند حدوث وضع طارىء من الخضر فى المفاتحة أو الشرح بصورة صريحة طارئة .

٧ ـ ليس من حق موسى التدخل أو السؤال إلا إذا وجه الخضر مفاتحته لموسى بالذات ، وهذا مستفاد (لك) فى صيغة ﴿ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ فإن هذا اللفظ يفيد موسى بأنه لا يحق له السؤال إلا إذا كانت المفاتحة من الخضر موجهة إليه هو بالذات ، فيمكن أن يفاتح الخضر أو يحدث أى أحد غير موسى فيما يفعل ، ولا يكون مع ذلك من حق موسى أن يسأل الخضر ، ولو كان التعبير : حتى أحدث منه ذكرا بدون لفظ ﴿ لَكَ ﴾ من حق موسى أن يسأل الخضر عندما يفاتح أو يحدث أى أحد فيما يفعل ، ولا يكون هذا إخلالاً بالاتفاق .

٨ ـ ليس من حق موسى التدخل أو السؤال إلا فى الموضوع الذى يفاتحه أو يحدثه فى شأنه الخضر دون غيره من الموضوعات ، وهذا مستفاد من لفظ « منه » فى صيغة ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ فالصيغة صريحة فى أنه ليس من حق موسى السؤال عن شيء إلا إذا احدث له الخضر ذكرا فى هذا الشيء بالذات ، ومعنى هذا أنه مهما تحدث الخضر أو فاتح موسى فى موضوعات ، فليس من حق موسى أن يسأل عن موضوع لم يفاتحه فيه ، وإنما يسأله عما فاتحه فيه فقط ، ولولا لفظ (منه) لكان من حق موسى أن يسأل عن أى شيء على الإطلاق فور أن يفاتحه الخضر فى أى موضوع أو أى شيء ، ولا يكون قد اخل بالاتفاق .

ومما يراعى أن التنكير فى لفظ (ذكرا) لصالح موسى ، فهو تنكير للإطلاق والتعميم ، بمعنى حين أحدث لك أى ذكر على الإطلاق فى موضوع ما فمن حقك أن تسأل كما تشاء عن هذا الموضوع .

وكما أن موسى وضع فى مشروعه ستة شروط ، فإن الخضر وضع أيضا ستة شروط إضافة إلى الشرطين اللذين كررهما من شروط موسى .

وحيث لم يعترض موسى على شيء من شروط الخضر فكأنه اقرها ووافق عليها ، وتكون معالم الاتفاق كله قد تحددت . وإذا افترضنا أن موسى سيكون الطرف الأول فى الاتفاقية ، وإن الخضر هو الطرف الثانى ، فيمكن إيجاز الشروط التى اتفق عليها الطرفان كما يلى :

أولاً : على الطرف الأول (موسى) أن يلتزم التبعية العلمية للطرف الثانى (الخضر) .

ثانيا : على الطرف الثانى (الخضر) أن يتولى تعليم الطرف الأول (موسى) بنفسه فقط .

ثالثا : على الطرف الثانى (الخضر) أن يقدم علمه للطرف الأول (موسى) وبصرف النظر عن أن يستفيد الطرف الأول (موسى) أو لا يستفيد .

رابعاً : على الطرف الثانى (الخضر) أن يقدم القدر المناسب من العلم إلى الطرف الأول (موسى) وليس عليه تقديم كل علمه .

خامساً : يجب أن يكون العلم الذى يقدمه الطرف الثانى (الخضر) للطرف الأول (موسى) هو العلم الذى ميزه الله به ، وهو من محيط علم الغيب ، ولا يدخل فى الاتفاقية أى علم مكتسب .

سادساً : على الطرف الأول (موسى) الا يستخدم هذا العلم إلا فى مجال النفع والخير .

سابعاً : فى حالة انتظام الطرف الأول (موسى) فى هذا التعليم عليه أن يلتزم عدم التدخل بأية صورة ولو بالسؤال أو الاستفسار .

ثامناً : المحظور على الطرف الأول (موسى) هو توجيه التدخل أو السؤال إلى الطرف الثانى (الخضر) دون غيره .

تاسعاً : المحظور أيضاً على الطرف الأول (موسى) مطلق الأسئلة سواء عما يفعله الطرف الثانى (الخضر) أو ما لا يفعله أو أى شىء .

عاشراً : من حق الطرف الأول (موسى) أن يتدخل أو يسأل حينما يبدأ الطرف الثانى (الخضر) فى شرح ما يصدر منه أو الحديث عنه .

حادى عشر : ليس من حق الطرف الأول (موسى) أن يسأل الطرف الثانى (الخضر) إلا إذا كانت المفاتحة فى الموضوع موجهة إلى الطرف الأول (موسى) بالذات .

ثانى عشر : ليس من حق الطرف الأول (موسى) أن يسأل الطرف الثانى (الخضر) إلا فى ذات الموضوع الذى يفاتحه فيه فقط .

ولكن القرآن الكريم بإعجاز أسلوبه يصوغ كل ذلك فى هذه الكلمات القليلة من قوله تعالى :

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا . قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا . قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا . قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا . فَانطَلَقَا .... ﴾ (٦٧ - ٧٠ سورة الكهف) .

وبهذا يعلمنا القرآن فيما يعلمنا كيف تصاغ العقود والاتفاقيات .

دكتور عبد الحليم حفنى

من حديث الإسلام
في جنوب أفريقية

لو كانت زيارتي إلى جنوب افريقيا تقدمت بعض الوقت لزدت في كتابي : «مؤامرات على الإسلام» بضع صفحات ، ولكن حسبي انني وجدت وشاهدت بنفسي مصداق ما كتبت ، وكنت اعتمدت فيما كتبته على مجلتين اساسيتين تصدران باللغة الانجليزية هما Facus, Arabia – (البؤرة) وهذه الأخيرة مجلة شهرية صغيرة يصدرها طلبة وخريجون شرقيون يقيمون في انجلترا – وفي عنوانها انها تتحدث عن العلاقات بين الإسلام والمسيحية ، وهي تعنى باخبار المسلمين في مختلف انحاء العالم وتعرضها في تبويب محكم انيق ، هذا عدا ما نقلته من الصحف الأخرى ومنه قليل جدا جاء في الصحف المصرية . وقد رايت مصداق ما كتب هنا وهناك ، فشكرت للمجلتين الرئيسيتين إحسان ما قدما إلىّ ، ولكنني رايت بعيني فوق ما كنت إسمع ، ثم انصرفت وما راء كمن سمعا .

وأدع منهج الكتاب وما سلكته فيه من سباق التبشير والإسلام هنا وهناك ، وأضع بين يدى حديثي هنا فكرة عامة عن مقاطعات الجمهورية وسكانها .

جمهورية جنوب افريقيا تتكون من اربع مقاطعات ، لكل مقاطعة طابعها وسكانها وبها وزراؤها وحكامها الذين يعنون بشئونها . ومقاطعة (الترنسفال) اكبر هذه المقاطعات ، وبها برلمان الجمهورية ورئيس الوزراء ورئيس الجمهورية . وعاصمتها هي (بريتوريا) ، وهي قريبة من (جوهانسبرج) – تبعد عنها إلى الداخل بنحو ستين ميلا ، وبها كثرة مسلمة ، وحي كبير خاص بالهنود ، وبها عدد من كبار التجار المسلمين . قالوا إنهم يؤدون زكاة أموالهم إلى الجمهورية الإسلامية في إيران ، كما يبعثون ببعض منها إلى محاربي افغانستان ، وهم يلمون بكل أخبار مصر حتى الأحداث الصغيرة – هذا على الرغم من أنه لا توجد علاقات سياسية بين البلدين ، ولا صحف عربية هناك .

وفي (بريتوريا) مساجد كثيرة قيل لي : إنها تبلغ الخمسين ، وقد صليت في مسجدها الجامع صلاة العشاء وألقيت به محاضرة قصيرة ، تحدثت فيها عن المرأة المسلمة ، وشهودها الجُمَع ، وسماعها الدروس بالمسجد ، ومشاركتها في الحروب ، هذا لأن إمام المسجد يحرم دخول النساء المساجد ، كما يحرم التصوير للفيديو أو

لفضيلة الدكتور
عبد الجليل شلبى

للتسجيل الصوتى : «الريكوردر» .

بجانب المسجد الكبير فى بريتوريا مدرسة إسلامية كبيرة للبنين والبنات وهى التى كان بها الحفل ، وكان النساء فى جناح خاص بهن ، وصور كل شىء للفيديو وللروكوردر .

أما مدينة (جوهانسبرج) فهى أكبر مساحة وعدداً من (بريتوريا) ، وبها المطار الدولى ، ومنها يكون الاتجاه إلى أنحاء الجمهورية ، وبها بعض المساجد ولكن المسلمين بها قليلون .

كان فى استقبالنا أنا والقارىء الذى صحبنى ـ فى المطار مستشار من وزارة الخارجية هو مستر «كاسال Casal» ـ وهو من سلالة إيطالية ، وتعلم فى إيطاليا ولذا هو كاثوليكى المذهب ، وقد قابلنا بكثير من الحفاوة ، وطبعا لم يكن معنا «تأشيرة دخول» لعدم وجود هيئة سياسية لجمهورية جنوب أفريقيا فى مصر ، وقام فى الحال بالأمر بكتابة إذن دخول ، ولما حان موعد قيام الطائرة التى تنقلنا إلى (دربن Durben) أصر مع قرب الطائرة أن يحضر لنا عربة خاصة ، ولحسن الحظ تأخرت الطائرة ، فكان فى تأخرها مجال للتحدث معه فى شجون من الأحاديث .

قال فى بادىء الأمر ومن باب المجاملة : إنه يحب الإسلام وتعجبه التشريعات التى جاءت فى القرآن ، وسألته : إن كان مسلما ، أو فى نيته أن يعتنق الدين الإسلامى ؟ فأجاب : أن لا ، وأردف : أن إعجابه بالإسلام وتقديره لبنيه لا يحتم أن يترك دين آبائه ليتبعه .

وقلت له : إنى مقدر لأدبه وكرمه ، ولكننى كنت أود أن يلقى المسلمون فى بلاده معاملة حسنة أو على الأقل حرية دينية .. وقال فى شىء من الهدوء والأدب السياسى : إن حكومته تحترم كل الأديان ، وإن المسلمين يؤدون شعائر دينهم فى حرية تامة .

وقلت له : إننى كنت أشعر بكثير من الحزن إزاء ما يلقى المسلمون فى بلده من مضايقات ، وعندما كنت إماما للمركز الإسلامى فى لندن أقمنا حفل تأبين ورثاء للشيخ عبدالله هارون إمام المسلمين فى «كيب تاون» ، وهو قد مات فى سجنه متأثرا بما لاقى من التعذيب والإهانة ، وقال : إن هذا الحادث مضى عليه ما يزيد على عشرين عاما ، وقد تغير الموقف الآن جدا ، وقال : سترى بنفسك أن المسلمين فى بلادنا يتمتعون بحرية أكثر مما تتمتع به الجماعات الإسلامية فى مصر .

رأيت أن أوجه الحديث توجيهاً آخر حتى لا ينقله مستر كاسال بلباقته إلى الحديث عن مصر وعن أيام محنتها ، فقلت : وما الذى سأراه ، وهل سيسمح لى بخطبة الجمعة ، والحديث عن سماحة الإسلام ، وحسن معاملته المسيحيين فى البلاد التى دخلها المسلمون فاتحين ، أو أن أوازن فى محاضراتى بين سماحة الإسلام وتعصب المسيحيين ، أو أن أقول : إن الإسلام لم يهدم الكنائس ، بل سمح بزيادتها ، بينما هدم المسيحيون فى أسبانيا وصقلية جميع

←

● الكاتب : الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الأسبق بالأزهر .

من حديث الاسلام

المساجد ، ونحن لا نريد أن تمثل جمهورية افريقيا ما حدث في البلاد الأوروبية حين طرد منها المسلمون ؟ قال : قل كل ما تشاء ، وانتقد الجمهورية كما تشاء ، ولكنك ستجد تحولاً كبيراً وسيحدثك المسلمون بما يتمتعون به من حرية .

قلت : وأى حرية بعد أن هدمتم مساجدهم ومساكنهم وشردتموهم كل مشرد ؟! ولم يهتز ولم يبد عليه أى تأثر ، وقال : لم نهدم مسجداً واحداً ، أما نقل المسلمين ، فكان لأعمال سياسية لا لتعصب دينى .

وأفاض المستشار كاسال فى الثناء على حكومته وما تتسم به من ديمقراطية ، ورجا إذا كنت سأكتب مذكرات الا اكتب حتى اسمع وارى .

واستأذن وكان معه ولدان صبيان له ، وودعنا وداعاً مهذباً كريما وقال : ارجو أن اجلس معك وقتا أطول .

وفى حديثى إلى المسلمين قالوا : إنهم لم يهدموا المساجد ، ودفعوا لهم ثمن الدور التى هدمت ولكنه كان ثمناً زهيداً جداً ، والآن يسمحون لهم بالعودة ليبنوا لهم بيوتاً جديدة إن شاءوا ، ولكن ثمن الأرض الفضاء ثمن باهظ جدا ، ولا يمكن بحال أن يوازن بالثمن الزهيد الذى قدم لهم ثمناً للأرض والبناء جميعاً ، كما أنهم الآن يمارسون شعائرهم الدينية ، ولكن لا تعمر المساجد إلا يوم الجمعة لأن المصلى يقطع مسافة طويلة حتى يصل إلى المسجد ، وقال لى الأخوة المسلمون : إنه يوجد منهم الآن فى البرلمان ستة عشر عضوا ، وأعضاء البرلمان نحو مائتين وأربعين !!

قلت : إنها بداية حسنة ونسأل الله لهم المزيد .

وقيل لى : إن الحرب الساخنة العنيفة قد وقفت الآن ، ولكن الحرب الباردة لم ولن تنتهى ، وأن أعمالاً كثيرة سلبية تجرى لعرقلة الدعوة الإسلامية .

يتبع

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد/عبد الحميد شاهين
على حامد

من صور البيع الجائز

س : تاجر يبيع لبعض الزبائن بالنقد بسعر ، وبالأجل بأسعار مختلفة ، فما يساوى مائة نقداً ، قد يبيعه لبعض الناس بمائة وعشرة ، ولآخر بمائة وعشرين ، ولثالث بمائة وثلاثين ، تبعا لظروف كل مشتر في السداد فتختلف المواعيد ، فما حكم هذا البيع افيدونا .

م ٠ م

جـ : إن العلماء جعلوا للأجل حصة من الثمن ، ومصالح الناس تقتضى الا يكون ثمن المؤجل كثمن المعجل ، أو تجعل ثمن ما قرب أجله مثل ما بعد أجله .

فإذا اتفق البائع مع المشترى على ثمن لا يزيد ولا ينقص فذلك جائز حالاً أو مؤجلاً ـ والمؤجل إذا كانت مدته قصيرة فلا شيء في نقص قيمته عن الذى مدته أطول .

أما إذا تم الاتفاق على بيع بثمن فتأخر المشترى عن السداد فلا يجوز للبائع أن يزيد عليه في الثمن نظير الزيادة في مدة التأجيل ، فذلك من الربا الموجب للعنة الله ، فعلى المؤمن أن يحذر من العقوبة ، والله الموفق .

المسح على الجوربين

س : ما حكم المسح على الجوربين في الوضوء ؟

جـ : الموجود في فقه الحنفية أنه لا يجوز

←

المسح على الجوربين عند الإمام إلا أن يكونا مجلدين أو مُنَعَّلَيْنِ . وقال الصاحبان : محمد وأبو يوسف : يجوز المسح عليهما اى الجوربين إذا كانا ثخينين لا يشفان .

فإذا لبس المصلى الجوربين على طهارة ثم انتقض وضوؤه وهو لابس للجوربين ، وأراد أن يتوضأ يصح له أن يمسح على الجوربين ـ لمدة يوم وليلة فى حالة الإقامة او ثلاثة ايام فى حالة السفر .

وفى ذلك تيسير على الناس ، خاصة فى أيام الشتاء حيث يشتد البرد ، ويخشى من غسل الرجلين بالماء البارد . وقد جاء هذا عن عدد كثير من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم يزيد على عشرة افتوا جميعهم بجواز المسح على الجوربين ، وبعض الفقهاء يشترط لذلك شروطاً مشددة ، لكن الأمر مبنى على التيسير ، فإذا قيل للمصلى : إنك تستطيع أن تتوضأ وتمسح على الجوربين بدل غسل الرجلين مادمت قد لبستهما على طهارة ، فهذا مما ييسر عليه كثيرا ويجعله يقبل على اداء الصلاة فى وقتها . والله الموفق

رفع اليدين عند الركوع

س : نرى كثيراً من الناس يرفعون أيديهم عند الركوع وعند الرفع منه ، وبعضهم لا يرفع يديه إلا عند تكبيرة الإحرام فقط . نرجو توضيح الأمر .

جـ : قال الأوزاعى : ادركت أهل الحجاز وأهل الشام وأهل العراق ـ ماخلا أهل الكوفة ـ يرفعون أيديهم إذا افتتحوا الصلاة ، وإذا ركعوا وإذا رفعوا رءوسهم .

وقد روى الرفعَ جمهورٌ من الصحابة قال الشافعى : روى هذا سوى ابن عمر اثنا عشر رجلا عن النبى صلى الله عليه سلم .

عن ابن عمر قال : كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا بحذو منكبيه ثم يكبر فإذا أراد أن يركع رفعهما مثل ذلك ، وإذا رفع راسه من الركوع رفعهما كذلك أيضا ـ متفق عليه ـ وقال ابن عبد البر ـ لم يرو أحد عن مالك ترك الرفع فيهما إلا ابن القاسم ، والذى نأخذ به الرفع لحديث ابن عمر وهو الذى رواه ابن وهب وغيره ، عن مالك ولم يحك الترمذى عن مالك غيره .

وقال الخطابى وتبعه القرطبى إنه آخر قولى مالك وأصحهما . كما جاء فى فتح البارى .

مايوجب الوضوء .. و الغسل

س ما الفرق بين المنى والمذى والودى ، وهل يجب الغسل منهما جميعاً ـ علماً بأننى يحدث لى بعضها كثيرا عند التفكر ، أفيدونى .

س ـ الهرم ـ ف بنات الفيوم

جـ : المنى ماء يخرج من قبل المرأة أو الرجل بقوة وتدفق وشهوة وهذا يجب منه الغسل ، وكذلك يجب الغسل إذا استيقظ من النوم فوجد بللا بالثوب .

أما إذا خرج المنى بدون شهوة وتدفق بقوة فلا يجب منه إلا الوضوء فقط .

والمذى ماء أبيض لزج يخرج عند التفكر او الملاعبة ، كنزول البول ولا يشعر به الإنسان ، ويكون من الرجل والمرأة إلا أنه من المراة اكثر .

وأما الودى - فهو ماء ابيض ثخين يخرج بعد البول غالبا ويكون من الرجل اكثر .

والمذى والودى لا يجب من أحدهما أو منهما معا إلا الوضوء فقط .

الأكل مما فيه نوع من الشبهة

س : لنا قريب ميسور الحال ، بار بأهله ، ويساعدنا بماله ، ولكن اغلب كسبه من تصوير الأفراح ، وفى الغالب تتضمن هذه الاحتفالات ، الرقص والاختلاط ، ونظن من أجل هذا أن ماله حرام ، فما الحكم الصحيح ، وهل لنا أن نرد عليه إحسانه ، وما واجبنا الشرعى نحوه .

ص . ى الظاهر

جـ : إن نشر المفاسد وما يؤدى إلى الفتن وفساد المجتمع حرام ، لما يؤدى إليه من الإضرار بالفرد والجماعة ، وفى الحديث « لا ضرر ولا ضرار » . أما ما ينتج عن ذلك من أجور وعوائد ، فإنها إذا اختلطت بأموال أخرى حلال ، حل الجميع للشبهة لأن الشبهة هنا هى اختلاط الحلال بالحرام والإثم على الفاعل ، لا على من انتفع بهذا المال ، أما واجبكم نحو هذا الشخص فهو فيما صوره النبى - صلى الله عليه وسلم - بقوله : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ... » .

من أعلام الأزهر فى القرن التاسع الهجرى

الشيخ

خالد بن عبد الله بن أبى بكر الجرجاوى

الشهير بالأزهرى

احد مشاهير علماء النحو والإعراب فى القرن التاسع الهجرى ، درس اللغة العربية فى رحاب الأزهر الشريف ، وحفظ عدداً من المتون ، وبرع فى عدد من الفنون ، وكثر النفع بتصانيفه لإخلاصه ووضوحها .

ذلك هو الشيخ زين الدين خالد بن عبدالله بن أبى بكر بن محمد بن أحمد الجرجاوى الأزهرى الشافعى ، وغلبت شهرته بالأزهرى إذ كان الانتساب إلى الأزهر فى ذلك الزمان شرفا يعلو النسب الخاص للشخص ، وحتى مؤلفاته العلمية فى النحو سمى بعضها ، أو أضاف إليها كلمة (الأزهرية) تحقيقا لهذا الشرف[1] .

مكان مولده واصل محتده :

ولد الشيخ زين الدين خالد بن عبدالله الأزهرى بمدينة جرجا[2] من أعمال محافظة سوهاج بصعيد مصر سنة ٨٣٨ هجرية تقريبا ، ونشأ فى كنف والديه ، وتحول وهو طفل مع أبويه إلى القاهرة فحفظ فيها القرآن الكريم ، وقرأ (العمدة) و (مختصر أبى شجاع) وعمل فى شبابه بالوقادة فى الأزهر حيث كان يشعل فوانيس الزيت فى أروقة الأزهر فى ذلك العصر ، واستمر على أداء هذا العمل حتى بلغ السادسة والثلاثين من عمره[3] .

حادثة تغير مجرى حياته :

ذلك أنه بينما كان يشعل إحدى الفتائل بالأزهر سقطت فتيلة على كرسى لأحد طلبة العلم فهاج ذلك الطالب ، وعيره بالجهل ، وعندئذ ترك الشيخ زين الدين خالد بن عبدالله الأزهرى الوقادة واشتغل بطلب العلم ، وهو فى تلك السن المتأخرة عن وقت التحصيل وجَدَّ واجتهد وبرع وصنف حتى صار من كبار علماء النحو والإعراب واللغة[4] .

(١) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر سنة ١٤٠٣ هـ ـ مارس سنة ١٩٨٣ م مقال « الأزهر المعجزة الجامعة الرباط » لسماحة الشيخ عبدالله كنون .

(٢) تكلمنا عن تاريخ مدينة جرجا بشىء من التفصيل فى مقالنا من اعلام الأزهر فى القرن الحادى عشر الهجرى (الشيخ احمد هاشم المكاوى الشهير بأحمد السيوطى) بمجلة الأزهر المحرم سنة ١٤٠٥ هجرية اكتوبر سنة ١٩٨٤ م .

(٣) كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى جـ ٣ نشر مكتبة القدسى سنة ١٣٥٤ هـ .

(٤) كتاب « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » تاليف : ابى الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلى جـ ٧ نشر مكتبة القدسى سنة ١٣٥١ هـ .

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

شيوخه الذين تتلمذ عليهم :

تتلمذ الشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى على عدد من شيوخ الأزهر درس عليهم اللغة العربية ونال منهم الإجازة نذكر منهم :

١ ـ الشيخ السنهورى قرأ عليه كتب ابن الحاجب المصرى .

٢ ـ الشيخ الأمين الاقصرائى قرأ عليه كتاب العضد وحاشيته .

٣ ـ الشيخ التقى الحصنى درس عليه علوم البديع والمعانى والصرف والمنطق والأصول والبيان .

٤ ـ الشيخ على بن المجدى درس عليه علمى الفرائض والحساب .

٥ ـ الشيخ يعيش المغربى نزيل سطحه قرأ عليه فى العربية .

٦ ـ وقرأ على الجوجرى وإبراهيم العجلونى والزين الإبناسى والشيخ داود المالكى والشيخ عباس الأزهرى وغيرهم(٥) .

مؤلفاته العلمية :

بارك الله فى علم ودراسة الشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى فكتب عدة مؤلفات قيمة قاربت الخمسة عشر مؤلفا أشهرها الكتب الآتية :

١ ـ التصريح بمضمون التوضيح .

وهو شرح على كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للعلامة ابن هشام ، وقد طبع هذا الكتاب بحاشية الشيخ ياسين العليمى فى مجلدين ، وأثنى الإمام ابن العماد الحنبلى على هذا الكتاب فقال عنه : (إنه لم يصنف مثله) .

٢ ـ الحواشى الأزهرية ـ وهو كتاب فى حل ألفاظ المقدمة الجزرية فى التجويد .

٣ ـ المقدمة الأزهرية فى علم العربية .

وقد طبع هذا الكتاب بحاشية العلامة أبى بكر الشنوانى ، كما شرحها الشيخ زين الدين منصور الطبلاوى فى كتاب العقود الجوهرية فى حل ألفاظ الأزهرية .

٤ ـ الزبدة فى شرح البردة .

وهى رسالة فى شرح قصيدة البردة التى قام بتأليفها الإمام البوصيرى ، وقد شرحها شرحاً مفصلا ثم اختصره .

٥ ـ موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب .

وهو شرح لكتاب قواعد الإعراب لابن هشام .

٦ ـ شرح المقدمة الأجرومية فى كتابين .

وقد قام بتأليف ذلك الشرح بطلب من أستاذه الشيخ عباس الأزهرى ، وطبع الكتاب الأول بحاشية الشيخ أبى بكر الشنوانى ، وطبع الثانى بحاشية الشيخ أحمد بن سلامة القليوبى .

٧ ـ القول السامى على كلام ملا عبدالرحمن الجامى فى النحو .

٨ ـ تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب ، وهو إعراب لألفية ابن مالك .

(٥) كتاب « الضوء اللامع » جـ ٣ لشمس الدين السخاوى المرجع السابق .

(٦) كتاب « معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية » تأليف : عمر رضا كحالة ـ الجزء الثالث نشر المكتبة العربية بدمشق مطبعة الترقى سنة ١٣٧٦ هـ ـ سنة ١٩٥٧ م ـ ومجلة الحرس الوطنى السعودية ذو القعدة سنة ١٤٠٨ هـ ـ يونية ١٩٨٨ م مقال الأستاذ أحمد عبدالله بن الباتلى .

من اعلام الأزهر

٩ ـ الألغاز النحوية .

وهو كتاب لطيف يحوى مسائل يُعدها النحاة من الألغاز التى تحتاج إلى علم موسع وذكاء .

١٠ ـ تفسير آية ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ سورة الواقعة ـ ٧٥[٦] .

وفــاته :

توفى الشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى بـ(بركة الحاج) خارج القاهرة بعد رجوعه من حج بيت الله الحرام وكان ذلك فى شهر المحرم سنة ٩٠٥ هجرية التى توافق سنة ١٤٩٩ ميلادية[٧] .

وبعــد :

فإن الشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى يعد بتلك المؤلفات من أفاضل علماء الأزهر الذين قاموا فى عصره على خدمة اللغة العربية خير قيام فإذا كان الاهتمام بلغة العرب واجباً وحتماً فى كل الأزمنة فذلك لأن اللسان العربى هو الذى استوعب رسالة الإسلام والتراث الإسلامى من الكتاب والسنة . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ سورة يوسف ـ ٢ .

ومن هنا كانت ثقافة الإسلام قائمة على ركنين أساسيين هما :

١ ـ الدين بعلومه المختلفة .

٢ ـ واللغة بفنونها المعروفة .

وهذان الركنان يشد أحدهما الآخر ويمسكه . فالإسلام يشرق بالعربية فتتضح منه الفروع والأصول .

والعربية من غير الإسلام تتكمش وتزول[٨] .

والإسلام وإن كان قد سوى بين الأجناس كلها فى الحقوق والواجبات العامة إلا أن ذلك لا يغير من الحقيقة الثابتة ، وهى أن العرب هم أس الإسلام ، ونزول الوحى بلغتهم يجعلهم ـ حكاما كانوا أو محكومين ـ قادة الفكر والفقه والأدب والتربية فى كافة بلاد الإسلام .

والأزهر بقيامه بتخريج أولئك العلماء فى الدين واللغة انتهت إليه فى القرون الثلاثة الهجرية السابع والثامن والتاسع زعامة الثقافة فى جميع البلاد العربية فحفظ وجود اللغة ورفع من تدهور الأدب ، وجمع شمل العلم والدين .

---

(٧) كتاب « شذرات الذهب لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى » الجزء السابع ـ المرجع السابق .

(٨) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر سنة ١٤٠٢ هـ ـ مارس ١٩٨٣ م مقال « كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية » بقلم : المرحوم أحمد حسن الزيات .

الشعر والشعراء

إشراف : د . حسن جاد

ياليلة الاسراء

تجلى الذى لا ينام

من وحى الاسراء

ياليلة الإسراء

للشاعر
مصطفى أحمد درويش

ياليلة الإسراءِ نُورك لاَحَا   وسَرى سَنَاك يعانق الأرواحا
يَاليلةً ضَاعتْ بنور محمدٍ   فأحَالها - بَعْد الظَّلامِ - صَباحا
بُوحى بمَا طُويَتْ عليه سريرةُ الملكوُت ، بُوحِى وَاملئى   الأقداحا
مْن فيَض أنوارِ الحقيقةِ واجْعَلى   مافيكِ من خَافى الرُّموز جَناحَا
وبما خَبَات مِن الغُيوب تحدُثى   وتضوُعى فينا شذًا فوَاحَا
قُصّى عَلَيْنا كيفَ كَانَ محمدُ   قَاباً وكيف تَجاوزَ الأشْبَاحا
ورأى : أيُدرِكَ ما رأى ؟! ودَنا ، وكيف دَناَ ؟! وكيفَ بَدا الجَلالُ صُراحا
ياليلةَ الإسرَاءِ بُشْرَاك استَفَا   قَتْ أمُتى تَرجُو هُدىً وصَلاحَا
لاَ يُفزِعَنْك مَا ألَمّ بنا وان   ليالى الأفراح عدن نُوَاحَا
او اننا قَدْ قلَّ نَاصِرُنا وصرنَا   مَطْعَماً للآكلين مُبَاحا
فالضِّفةُ انتفضت وَغزَةُ جَاهَدَت   والصَّخرُ أَصبحَ للشباب سِلاَحا
وَمآذِنُ القُدسِ استفاض نِداؤُهَا   فى رُوح كُلِّ مُوحِّدٍ وَانْدَاحَا
وَصَحَا الفِلسطينىُّ يَنصُرُ دِينَه   وَيَشيدُ مجداً إنْ غدا او رَاحَا
وَصَحت قوى الإسلامِ تطلبُ عِزّها   وَترى الجهَادَ مَفَازةً وَفَلاحَا
وَكتائبُ الإيمَانِ قاربَ زَحفُها   غَايَاته لتجدُد الأفرَاحَا
إنى أرى جندَ النبىِّ محمد   قَدْ أقبلُوا كى يُطْلِعُوا الإصْبَاحَا
مُتَتَابعين على الخيول وَنُورُهمْ   يَنْهلُّ فوق جِباهِهِم وَضَّاحَا
ليُحرِّرُوا مَسْرى البَشيرِ المصطفى   ويُسَلِّمُوا للأمّةِ المِفْتَاحَا

من وحي الإسراء

للشاعر
محمد على جمعه الشايب

سبحان من اسرى باحمدَ فى الدُّجى
فاضاء وجه الأرض بالإسراء

تتهامَسُ الكُثبانُ تَسألُ بَعْضَها
لِمَ فاضَ هذا الكونُ بالاضواء

نُورٌ تعانِقُه القلوب طَهارةً
ويُنَبِّه . الأرواحَ مِنْ إغفاء

والصخرةُ الخَرسَاء تَسأل اخُتها
مَنْ ذلك السارى على البيداء ؟

عَبَقُ النبُوةِ فى مَواكبِ قُدسِها
أَفْضَى بِسِرِّ الرحلة الغَرَّء

سَارَ البراق باحمدٍ يطوى المَدَى
يَسْرِى كَمَسْرى النورِ فى الظلماء

مِنْ مسجد الله الحرام بمكةٍ
للمسجد الأقصى بغير مِرَاء

ياليتَ امَّتَهُ تحرِّرُ قُدسَها
وتفكّه مِنْ قَبْضة الأعداء

القِبْلةُ الاولى تئن إذا هَفَتْ
ذِكْرى الرّسولِ بِلَيْلةِ الإسراء

فى القدس زادُ المسلمين هو الأسى
وكأنهمْ فيه مِن الغرباء !!

يخشوْن مِنْ غدهم ولا يدرون ما
فى جعبة الإصباح والإمساء

فى الضّفة العزلاء .. او فى غزةٍ
مُهجٌ تُضَمُّ لموْكِب الشهداء

خاضوا النّضالَ ولا سِلاحَ بكفهمْ
إلا الحجارةَ صُوِّبتْ بإباء

وإذا الرِّجَالُ مضوْا فإنَّ وراءهم
جِيلاً يُتَمِّمُ غضبة الآباء

والكلُّ للوطن الأسير فداؤه
لا فَرْقَ بَيْن رجاله ونساء

تجلى الذى لا ينام

للشاعر الدكتور
أحمد عامر

وماكنت اعرف ان المآذن   ياخذها النومُ مثلى ومثلك
تنام المآذن ياقلب عنك   وتناى .. فمن يحرس الآن ليلك ؟؟
ويانيلُ مالك تجرى دموعا   وليست .. تهز الشواطىء حولك
تكاد شرايين عمرى تجف ..   وانت الكريم .. وما اعتدت بخلك
اناجيك حيث يرد الصدى   ومن قبل كنت تجاوب خلك
وياحب صرت مجرد لفظ   بسوق المزاد وقد بعت اهلَك
وغرَّك زيفُ المظاهر يطغَى ..   ولم ادر كيف الرياءُ اضلَّك !!
وياقلبُ ضيعت عمرى وفاء   لمن خان عهد الوفاء وملك
وتزعم انك اقوى اصطبارا   وان سيوف العدا .. لن تفلَّك
إذا اقبل الليل ولى الصحاب ..   وحل السرابُ .. والقيتَ رحلَك
تجليت ياذا الجلال العظيم   انا من يرجّى رضاك وفضلك
وانتظر الفجر .. يرفع فيه ا لـ   مؤذن صوتا يردد قولك
وتصحو المآذن .. وهى تناجيـ   ـك لاشىء بعدك ، لا شىء قبلك

العلوم الكونية

البرق والرعد وفيزياء السحاب

غاز الأوزون في جو الأرض

البرق والرعد
وفيزياء السحاب

انتهيتُ منذ فترة من إعداد دراسة نقدية حول «نصيب الفكر العلمى من التدريس الفلسفى العام»، وكان من بين ما اطلعت عليه من الكتب والمناهج ذات الصلة بموضوع الدراسة كتاب «الفلسفة ومشكلات الانسان» الذى يدرس حاليا لطلاب الصف الثالث الثانوى (ادبى)[1]. ولفت نظرى ما جاء فى صفحتى ١٢، ١٣ من هذا الكتاب عن ظاهرة البرق والرعد كمثال توضيحى لتنوع واختلاف اساليب التفكير، فذكر ان الأسلوب الدينى عامة - دون نظر إلى نوعية الدين - يربط هذه الظاهرة بتفوق قدرة الله والإمعان فى الإيمان. ونحن نرى أن فى هذا التعميم إجحافاً بالإسلام، ذلك الدين الخاتم الذى جاء بالمنهج الإلهى الشامل ليقود حركة الإنسانية كلها، وليحقق الإنسجام الرائع بين الفكر والواقع مهما تقدمت معارف الإنسان وعلومه. فضلا عن انه جاء بما يُعَدُّ تصحيحاً لجميع انواع البلبلة التى وقعت فيها الديانات المحرّفة والفلسفات الخابطة فى الظلام. قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الانعام: ١٥٣).

أما عن التعليل العلمى الذى أورده الكتاب المدرسى تفسيراً لظاهرة البرق والرعد، وخلع عليه صفة القانون العلمى المحدد، فهو يعزى السبب إلى «التقاء الموجات الكهربائية بعضها مع البعض الآخر فى الجو». ولم تتضمن قائمة المراجع لهذا الفصل من الكتاب اى مرجع علمى يرجع إليه الطلاب للاستقصاء أو الاستزادة.

وسوف نعرض فى هذا المقال بشىء من التفصيل لظاهرة البرق والرعد التى شغل الإنسان بها منذ القدم، ولا يزال العلماء فى حيرة من أمرها، بالرغم من كل ما أحرزوه من تقدم فى مجال فيزياء السحاب والكهربية الجوية. ومن الخير أن نبدأ بما تيسر من آيات القرآن الكريم، نستهدى بهدايتها، ونستلهم بعضا من معانيها ودلالتها.

البرق والرعد والسحاب فى القرآن الكريم:

إن التعرف على ظواهر الكون ضرورة من ضرورات وجود الإنسان؛ لأنه يرى فى هذه الظواهر خير دليل على وحدانية الخالق وعظمته وقدرته فى إبداع خلقه، ويشعر أمامها بعجزه وضآلته وحاجته الماسة إلى رعاية ربه وعنايته، ويهتدى بإذن الله واستقراء قوانينها إلى فهم

• الكاتب: أستاذ الفيزياء بكلية العلوم - جامعة القاهرة.

(١) كتاب «الفلسفة ومشكلات الإنسان للصف الثالث الثانوى (أدبى)»، تأليف: سماح رافع محمد ومحمد مصطفى البسيونى، مراجعة د. محمد ابو الوفا التفتازانى، طبعة ٨٨ / ١٩٨٩.

أ. د. أحمد فؤاد باشا

طبيعة سلوكها وتسخيرها للإفادة منها في إسعاد البشر وإعمار الحياة على الأرض . والبرق والرعد والسحاب من الظواهر الكونية التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم ، وسميت إحدى السور القرآنية سورة الرعد لقوله سبحانه فيها : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ . وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ . (سورة الرعد : ١٢ ، ١٣) .

والبرق هو مايرى من النور اللامع ساطعاً من خلل السحاب[٢] . وبرقت السماء تبرق برقا ، وأبرقت : جاءت ببرق .

والبراق هو الدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ، وسمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه ، وقيل : لسرعة حركته شبَّهَهُ فيها بالبرق[٣] .

والرعد هو : الصوت الشديد المُدَوِّي الذي يسمع من السحاب في أعقاب حدوث البرق . ورعدت السماء ترعُد وترعَدُ رعداً ورعوداً : صوتت للأمطار[٤] .

والصواعق جمع صاعقة ، وهي كل أمر مفاجيء يؤدي إلى الهلاك أو الغشية ، وتطلق عادة على صاعقة الجو أو الكهرباء .

وكان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك »[٥] .

وروى الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكرا »[٦] .

والسحاب جمع سحابة ، وسميت بذلك لانسحابها في الجو ، أو لجر الرياح لها . قال الثعالبي : أول ما ينشأ من السحاب فهو (النَّشْء) ، فإذا انسحب في الهواء فهو (السحاب) ، فإذا تغيرت له السماء فهو (الغمام) ، فإذا أظل فهو (العارض) ، فإذا ارتفع وحمل الماء وكثف وأطبق فهو (العماء) ، فإذا عَنَّ فهو (العنان) ، فإذا كان أبيض فهو (المزن)[٧] .

وفي مقام آخر يبين الحق جل وعلا كيف يخلق السحاب الذي ينزل المطر من خلاله ، فهو الذي يرسل الرياح فتثير السحاب ، وهو الذي يسوق السحاب برفق من مكان إلى مكان ، ثم يؤلف بينه ويجمع بين متفرقه ، فيكثره وينميه ويبسطه حتى يملأ أرجاء الأفق ، ويجعله متراكما يركب بعضه بعضا ، فتتهيأ الفرصة لحدوث برق ورعد ومطر . وأحيانا يتعاظم هذا السحاب المركوم فيكون أشبه بالجبال الضخمة الكثيفة في السماء ، فيها حبات البَرَد الثلجية التي تختلف أحجامها بين صغير لا يسبب ضرراً عند سقوطه على الأرض فيكون

←

---

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ، تحقيق محمد علي الصابوني ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .
(٣) لسان العرب لابن منظور ، مادة « برق » ص ٢٦١ .
(٤) لسان العرب ، مادة « رعد » ص .
(٥) رواه الترمذي والنسائي والحاكم وأحمد ، وأخرجه البخاري في كتاب الأدب .
(٦) انظر : مختصر تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ٢٧٥ .
(٧) عن د . عبد الله شحاتة ، تفسير الآيات الكونية ، ص ٦٥ ، ٦٦ ط ١ دار الاعتصام ١٩٨٠ .

البرق والرعد

رحمة ، وكبير يسبب أضراراً عند سقوطه على الأرض فيكون نقمة ، ويوضح الأسلوب القرآنى المعجز حقيقة هذا الخلق الإلهى العظيم والغاية منه فى قوله تعالى :

﴿ اللهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ . (سورة الروم : ٤٨) .

وفى قوله عز من قائل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِى سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ . (سورة النور : ٤٣) .

وفى قوله سبحانه مخبراً عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾ (الطور : ٤٤) .

وفى قوله جل شأنه ـ مخبراً عن دلالات تفرده بالإلهية : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . (سورة البقرة : ١٦٤) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كلمة «التسخير» من أقوى التعابير فى الدلالة على التذليل للخدمة المستمرة الدائبة ، فكأن السحاب مذلل لإرادة الله . ومن أوجه تسخيره بقاؤه معلقاً فى الهواء على خلاف طبع الماء من حيث أنه أثقل من الهواء . ولكن صغر القطيرات المكونة للسحاب جعله يبقى معلقاً بين السماء والأرض على الهيئة التى نراه عليها . كذلك يسوق الله السحاب بواسطة تحريك الرياح إلى حيث أراد وشاء ، ولو دام فى مكان معين لعظم ضرره من حيث أنه يستر ضوء الشمس ويكثر الأمطار والابتلال ، وإذا انقطع لعظم ضرره أيضاً لأنه يقتضى القحط وعدم العشب والزرع ، فهو مسخر لله سبحانه بمقدار معلوم ، يأتى به فى وقت الحاجة ويرده عند زوال الحاجة(٨) .

ويبلغ الأسلوب القرآنى قمة البيان والإعجاز فى وصف حال ضرب من المنافقين الذين يظهر لهم الحق تارة ، ويشكون تارة أخرى ، فقلوبهم فى حال شكهم وكفرهم وترددهم أشبه بالمطر الذى ينزل من السماء فى حال ظلمات ورعد وبرق . قال تعالى :

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . (البقرة : ١٩ ، ٢٠) .

وكثيراً ما ينبه الله عباده أن يعتبروا بهذه الظاهرة واكتمال أثرها بإحياء الأرض بعد موتها ، فيؤمنوا بحقيقة البعث والنشور . قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِى بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِى ذٰلِكَ

(٨) عبد المنعم السيد عشرى ، تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم ، ص ٦٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ .

لآياتٍ لقومٍ يعقلون ﴾ (الروم : ٢٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ (الأعراف : ٥٧) .

وقال تعالى : ﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾ (فاطر : ٩) .

كذلك يشير الأسلوب القرآني إلى مسميات أخرى للسحاب في مثل قوله تعالى :

﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون ﴾ (الواقعة ٦٨ ـ ٧٠) .

وقوله سبحانه : ﴿ وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً . لنخرج به حباً ونباتاً . وجنات ألفافاً ﴾ (النبأ : ١٤ ـ ١٦) ، وقوله : ﴿ وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى ﴾ . (الأعراف : ١٦٠) .

(فالمزن) هو الغيم والسحاب ، واحدته مُزنة ، و(المعصرات) هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد[9] . وأحيانا لا يذكر اسم السحاب ولكن يستدل عليه من سياق النص القرآني ، في مثل قوله تعالى : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ (الحجر : ٢٢) .

وهكذا نرى عظمة الأسلوب القرآني في أثره على النفس والعقل والقلب والوجدان ، يسلك سبيله إليهم جميعاً ، ويطوف بهم في شتى مجالات الكون ليطلعهم على قدرة الله الخالق ويبين للإنسان أبعاد مسئوليته في الخلافة وحمل الأمانة .

فيزياء السحاب :

يرجع تاريخ الاهتمام بدراسة الظواهر الجوية المختلفة على أساس علمي سليم إلى عصر الحضارة الإسلامية التي نبغ علماؤها في وضع أصول المنهج العلمي التجريبي وممارسته بعيداً عن الأساطير والخرافات وكانت تعاليم الإسلام الحنيف خير حافز لهم على البحث والتنقيب في كل ظواهر الكون والحياة .

وفيما يتعلق بفيزياء السحاب ، فقد ذكر ابن سينا في كتابه «الشفاء» أن السحب تولد من الأبخرة الرطبة إذا تصعّدت بتصعيد الحرارة فوافقت الطبقة الباردة من الهواء ، فجوهر السحاب بخاري متكاثف طاف في الهواء ، والبخار : مادة السحاب والمطر والثلج والطل والصقيع والبرد ، وعليه تتراءى مختلف الظواهر الشمسية والقمرية كالهالة وقوس قزح .

وتحدث ابن سينا عن البرق والرعد فقال : إن البرق يرى والرعد يسمع ولا يرى ، فإن كان حدوثهما معا رؤى البرق في آن (أي في نفس اللحظة التي حدث فيها) وتأخر سماع الرعد ، لأن مدى البصر أبعد من مدى السمع ، فإن البرق يحس في (الآن) بلا زمان ، وأما السمع فيحتاج فيه إلى تموج الهواء أو ما يقوم مقامه من أجسام صلبة أو سائلة .

وحاول ابن سينا أن يسوق الدليل على نظريته بأن البصر يستبق السمع فذكر أنه إذا اتفق أن قرع إنسان من بعد جسماً على جسم فإنك ترى القرع قبل أن تسمع الصوت ، لأن الإبصار ليس له زمان والاستماع يحتاج إلى (آن) .

والحقيقة أن ابن سينا كان يتبع في هذا منهجاً عقلياً صورياً أشبه بمنهج أرسطو الذي قال ـ على أساسه : إن الحجر الأثقل يصل إلى الأرض قبل

(٩) مختصر تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ص ٥٩٠ ، ٥٩١ .

البرق والرعد

الحجر الأخف إذا تركا ليسقطا من نفس الارتفاع ، ولعل هذا الأخير كان متأثرا بدوره بريشة طائر رآها لا تسقط إلى الأرض بسهولة ، **ولكن الحسن بن الهيثم استطاع بالتجربة العملية ان يبطل نظرية السرعة الآنية للضوء التى قال بها ابن سينا ، واثبت ـ لأول مرة فى تاريخ علم البصريات : ان للضوء زماناً وسرعة معينة ، كما ان للصوت زمانا وسرعة معينة .**

على أن رأى ابن سينا فى تكون السحب لا يختلف كثيراً عن الرأى الذى قال به فيجان وشماوس فى عام ١٩٢٩ م ، وفيه يعرف السحاب بأنه : مادة غروية من الماء عالقة فى الهواء ، أو محلول غروى هوائى . والمادة العالقة إما أن تكون فى صورة قطيرات من الماء ، وإما بللورات من الثلج ، وإما مزيج من القطيرات والبللورات معا . وكثيراً ما تكون القطيرات المائية فى درجات حرارة منخفضة تصل إلى ٥٠° م تحت الصفر[١٠] .

ولم يهتم الغربيون بمواصلة الدراسة المنظمة للسحب التى بدأها علماء المسلمين إلا فى القرن الماضى عندما حاول العالم الفرنسى لامارك أن يصنف السحب ونشر قائمة بأنواعها . إلا أن القائمة كانت غير مدعمة بأشكال توضيحية ، فلم تحظ باهتمام يذكر .

وفى عام ١٨٩١ وصل المؤتمر الدولى الذى عقد فى ميونخ إلى اتفاق حول تقسيم السحب ادى إلى نشر اول مصور دولى للسحب فى عام ١٨٩٦ وتطور هذا الاتجاه تدريجيا خلال القرن الحالى حتى اصبحت فيزياء السحب حاليا من اهم فروع علم الأرصاد الفيزيائية الذى يحظى باهتمام الباحثين بهدف الاستفادة من تطبيقاته الهامة فى أغراض التنبؤ بحالة الجو والطيران والاستمطار (السحاب الاصطناعى) وغيرها .

وربما يكون من المفيد فى تفهم الآيات القرآنية المتعلقة بظواهر البرق والرعد والسحاب أن نذكر رأى العلم فى تصنيف أنواع السحاب ، ويكفى أن نذكر من بينها :

١ ـ الركام ، أو السحب الركامية ، وهى تنتج عن تيارات هواء صاعدة إلى أعلى . فعندما يصعد (الهواء) المحمل (ببخار الماء) إلى أعلى يخف الضغط الواقع عليه فيتمدد وتنخفض درجة حرارته إلى حد يسمح (بتكثف بخار الماء) الموجود (مكوناً قطيرات رفيعة من الماء) وإذا اشتد البرد (بالسحاب) تجمدت قطيراته الدقيقة فجأة وصارت (ثلجا) . وإذا ترددت (بللورات الثلج) صاعدة هابطة بين طبقتين إحداهما ثلجية فى أعلى والأخرى مائية فى أسفل ازداد حجم هذه البللورات وصارت (بردا) . ونظراً لثقلها تهبط إلى أسفل مقتربة من سطح الأرض .

٢ ـ المزن الطبقى ، وهو سحاب معتم رمادى فى العادة ، لكنه يبدو كما لو كان مضاء فى داخله ، وتبدو قاعدته أحياناً فى منظر ممزق ، وكثيراً ما يهطل منه المطر أو الثلج بدرجة تختلف فى شدتها بين الخفيف والغزير .

٣ ـ المزن الركامى ، وهو سحاب كثيف بلغ شأواً كبيراً من النمو ، تتراكم قمته على هيئة كتل جبلية ، وهو أكثف السحب جميعها وأكثرها نشاطاً ، وتتساقط منه (رخات) تتراوح بين المعتدلة والغزيرة ، وتصحبه عواصف البرق والرعد ، وهو السحاب الوحيد الذى يسقط منه البرد .

يتبع

---

(١٠) فيزياء السحب ، د . و . بيرى الترجمة العربية ، مكتبة نهضة مصر ١٩٦١ .

غاز الأوزون في جو الأرض

والفجوة التي حدثت في نصف الكرة الجنوبي

د. ربيع سيد فولى

تمهيـــد :

قبل الحديث عن غاز الاوزون ، خصائصه وكيفية تكوينه فى بعض طبقات الغلاف الجوى ، والفجوة التى حدثت فى طبقة الأوزون فى نصف الكرة الجنوبى ـ نرى انه من الافضل ان نتحدث ، ولو باختصار ، عن هذه الطبقات وهى : طبقة التروبوسفير ، طبقة الستراتوسفير ، التروبوبوز الذى يفصل بين التروبوسفير والستراتوسفير ، وطبقة الأوزونوسفير .

التروبوسفير :

يقصد بالتروبوسفير الطبقة السفلى الرئيسية من الغلاف الجوى لكوكب الأرض ، وتمتد هذه الطبقة من سطح الأرض إلى ارتفاع ٨ ـ ١٠ كيلومترات فى المناطق القطبية ، وتمتد إلى ١٠ ـ ١٢ كيلومترا فى المناطق تحت المدارية ، وتمتد إلى ١٦ ـ ١٨ كيلومترا فى المناطق المدارية ، وتتميز طبقة التروبوسفير عموماً بتناقص درجة الحرارة مع الارتفاع عن سطح الأرض بمعدل حوالى٦ ١/٢ درجة مئوية لكل كيلومتر واحد .

هذا ويتركز اكثر من أربعة أخماس الكتلة الكلية للهواء الجوى فى طبقة التروبوسفير ، وفيها تتكون السحب الرئيسية بأنواعها المختلفة نتيجة تكثف بخار الماء على نويات التكثف الموجودة فى الهواء الجوى .

وفى التروبوسفير تتكون الكتل الهوائية والجبهات المختلفة والمنخفضات والمرتفعات الجوية .

ويسمى الجزء السفلى من التروبوسفير (٥٠ ـ ١٠٠ متر) الملاصقة لسطح الأرض بالطبقة السطحية ، كما تسمى الطبقة التى تبدأ من سطح الأرض إلى ارتفاع حوالى واحد كيلومتر (وقد يصل إلى اثنين كيلومتر) بالطبقة الدنيا (أو الطبقة الحدية) من الغلاف الجوى والتى تحدثنا عنها فى مقالة سابقة تحت عنوان «تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى» (السنة السابعة

← غاز الأوزون فى جو الأرض

والخمسون ـ الجزء الحادى عشر ـ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ صفحة ١٨٣٦) .

التروبوبوز :

عبارة عن طبقة انتقالية (ونظرياً تعتبر سطحاً فاصلاً) بين طبقة التروبوسفير التى تحدثنا عنها وطبقة الستراتوسفير التى سنتحدث عنها . أى أن التروبوبوز يعتبر الحد العلوى لطبقة التروبوسفير أو الحد السفلى لطبقة الستراتوسفير .

الستراتوسفير :

هى إحدى طبقات الغلاف الجوى التى تقع بين طبقة التروبوسفير وطبقة الميزوسفير ، وتبدأ طبقة الستراتوسفير من سطح التروبوبوز إلى ارتفاع ٥٠ ـ ٥٥ كيلومترا من سطح الأرض . وتتميز هذه الطبقة بثبوت درجة الحرارة مع الارتفاع تقريباً فى الجزء السفلى منها ثم زيادة درجة الحرارة مع الارتفاع فى الجزء العلوى منها .

ويتوقف موضع الحد السفلى لطبقة الستراتوسفير (التروبوبوز) على عوامل متعددة منها خط العرض (التحرك شمالاً أو جنوبياً) والزمان (ليلاً أو نهاراً ، صيفاً أو شتاءً .. الخ) والنظام السينوبتيكى (مناطق الضغط المرتفع أو مناطق الضغط المنخفض ومدى نشاطها) .

وينحصر الستراتوسفير السفلى بين التروبوبوز وارتفاع حوالى ٢٤ كيلومترا من سطح الأرض ، ويقع الستراتوسفير العلوى أعلى هذا الارتفاع وحتى الحد العلوى لطبقة الستراتوسفير الذى يطلق عليه اسم الستراتوبوز (٥٠ ـ ٥٥ كيلومترا من سطح الأرض) .

هذا وتتراوح درجة الحرارة فى المتوسط عند سطح التروبوبوز بين – ٤٥°م ، – ٧٥°م متوقفاً على خط العرض وأى وقت من السنة . ويتراوح متوسط درجة الحرارة عند الحد العلوى للستراتوسفير بين – ٢٠°م ، + ٢٠°م .

ويوجد فرق أساسى بين الستراتوسفير والتروبوسفير وهو أن النسبة المئوية للغازات الرئيسية الدائمة (الأكسجين والنيتروجين) فى طبقة الستراتوسفير تقل كثيراً عن نظيرتها فى طبقة التروبوسفير ، ولكن غاز الأوزون الذى سنتحدث عنه يتواجد بنسبة كبيرة فى الستراتوسفير ، ويتواجد هذا الغاز بنسبة ضئيلة فى طبقة التروبوسفير .

الأوزونوسفير :

يطلق اسم الأوزونوسفير على طبقة الغلاف الجوى الواقعة بين ارتفاعى ١٠ ، ٥٠ كيلومترا من سطح الارض ، وتتميز هذه الطبقة بزيادة تركيز غاز الأوزون فيها . ومن الناحية العملية تتطابق طبقة الأوزونوسفير مع طبقة الستراتوسفير ، ويكون تركيز غاز الأوزون فى طبقة الأوزونوسفير أكبر من عشرة أضعاف تركيزه بالقرب من سطح الأرض التى يتكون عندها جزىء واحد أوزون من حوالى كل مليون جزىء اكسوجين .

ويتكون غاز الأوزون بكثرة فى طبقة الأوزونوسفير خاصة مع تفاعلات تكوين وتفكك جزيئات غاز الأوزون عند امتصاص أشعة الشمس فوق البنفسجية ذات أطوال الموجة القصيرة جداً ، ويساعد على ذلك ارتفاع درجة الحرارة فى الجزء العلوى من طبقة الأوزونوسفير .

وأحيانا يطلق اسم الأوزونوسفير على طبقة الغلاف الجوى الواقعة بين ارتفاعى عشرين وخمسة وعشرين كيلومترا من سطح الأرض حيث

انها تحتوى على أكبر قيمة لتركيز غاز الأوزون فى الجو .

خصائص غاز الاوزون :

- يتكون جزىء غاز الأوزون من ثلاث ذرات اكسوجين .
- غاز الأوزون يتميز برائحته النفاذة الحادة وعدامة لونه (عديم اللون) .
- الوزن الجزيئى لغاز الأوزون يساوى ٤٨ .
- غاز الأوزون يعتبر من المؤكسدات القوية .
- يتواجد غاز الأوزون بالقرب من سطح الأرض بنسبة ضئيلة جدا (حوالى ٢ × ١٠^-٨ فى المائة نسبة حجمية) .
- يتزايد تركيز غاز الأوزون فى طبقة الستراتوسفير بين ارتفاعى عشرة كيلومترات وخمسين كيلومترا (فى طبقة الاوزونوسفير) ويبلغ متوسط تركيزه فى هذه الطبقة حوالى ٤ × ١٠^-٧ جرام/متر مكعب .
- تبلغ النهاية العظمى لتركيز غاز الأوزون بين ارتفاعى عشرين وخمسة وعشرين كيلومترا من سطح الأرض ، وتتناقص قيمة التركيز بمعدل كبير جداً كلما اتجهنا إلى اعلى أو إلى اسفل .
- يعبر عن الكمية الكلية لغاز الأوزون فى الغلاف الجوى بسمك طبقة الأوزون التى يمكن الحصول عليها إذا ما أصبح الضغط الجوى ١٠١٣,٢٥ ملليبار (حوالى ٧٦ سنتيمتر زئبق) عند درجة حرارة الصفر المئوى .

ويتراوح سمك هذه الطبقة بين واحد ونصف سنتيمترا وأربعة سنتيمترات ونصف .

- يتكون غاز الأوزون فى طبقة الأوزونوسفير نتيجة التأثير الفوتوكيميائى للأشعة الشمسية فوق البنفسيجة (طول الموجة أقل من ٢٤٢ مائتين واثنين وأربعين نانومتر) . إذ ينقسم جزىء الاكسوجين إلى ذرتين بفعل هذا التأثير الفوتوكيميائى ثم تتحد كل ذرة اكسوجين مع جزىء اكسوجين غير منقسم مكونة جزىء غاز الأوزون (ثلاث ذرات اكسوجين) .
- من فضل الله سبحانه وتعالى على عباده أن الجانب الأعظم من الأشعة فوق البنفسجية القاتلة يتم امتصاصه اثناء التفاعلات الفوتوكيميائية السابق ذكرها والتى يتكون نتيجة لها غاز الأوزون ، ولولا ذلك لما استمرت الحياة على سطح الأرض .

تكون غاز الأوزون فى التروبوسفير السفلى :

سبق أن تحدثنا فى مقالة سابقة بعنوان «الغلاف الجوى» (العام الهجرى ١٤٠٥ صفحة ٩٥٢) وشرحنا بنوع من التفصيل التركيب الكيماوى للهواء الجوى بما يتضمنه من غازات دائمة مثل (النيتروجين والاكسوجين والأرجون) وغازات متغيرة مثل (الأوزون وثانى اكسيد الكربون والهيدروجين) وغازات متغيرة جداً مثل (بخار الماء وأول اكسيد الكربون وثانى اكسيد النيتروجين .. الخ) .

ويهمنا فى هذه المقالة (الحالية) أن نذكر أنه من الممكن أن يتكون غاز الأوزون فى طبقة التروبوسفير السفلى أيضاً نتيجة للتفاعلات الفوتوكيميائية ، فعلى سبيل المثال يتحد غاز ثانى اكسيد النيتروجين (عامل مؤكسد) مع غاز الاكسوجين تحت تأثير اشعة الشمس مكوناً غاز الأوزون بعد اختزال ثانى اكسيد النيتروجين إلى أول اكسيد النيتروجين .

ولكن بالطبع ـ كما سبق ذكره ـ تركيز غاز الأوزون فى طبقة الأوزونوسفير يفوق بكثير تركيزه فى طبقة التروبوسفير .

فجوة الأوزون :

فى الأونة الأخيرة حدث كثير من الجدل حول فجوة الأوزون التى حدثت فى نصف الكرة الجنوبى ، ويخشى البعض من اتساع هذه

البقية ص ٨٣٩

طرائف

عز التقوى

قال عبد الله بن الحكم للإمام الشافعى - رضى الله عنه - لما قدم مصر : إذا أردت أن تسكن هذا البلد فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به .

فقال الإمام الشافعى - رضى الله عنه : يا أبا محمد من لم تعزه التقوى فلا عِزَّ له ولقد ولدت بغزة ، وربيت بالحجاز وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جياعا قط .

وأخو الجهالة متعب محزون

يحكى أن رجلا ضاق حاله من أجل المعيشة ، وطال به الكد والتعب فخرج هائما على وجهه داخل الصحراء ، فوجد قصرا دارسا خربا قد كشف الريح عنه الرمل ، وإذا بقطعة من الرخام فى جدار ذلك القصر مكتوب فيها هذه الأبيات :

لما رأيتك جالسا مستقبلا
أيقنت أنك للهموم قرين

مالا يقدر لا يكون بحيلة
أبدا وماهو كائن سيكون

سيكون ماهو كائن فى وقته
وأخو الجهالة متعب محزون

يجرى الحريص ولا ينال بحرصه
شيئا ويحظى عاجز ومهين

فدع الهموم وتَعَرَّ من أثوابها
إن كان عندك بالقضاء يقين

هوّن عليك وكن بربك واثقا
فأخو الحقيقة شأنه التهوين

طرح الأذى عن نفسه فى رزقه
لما تيقن أنه مضمون

لا تحجب عنى أحدا

قال بعض الأكاسرة لحاجبه : لا تحجب عنى أحدا إذا أخذت مجلسى ؛ فإن الوالى لا يحجب إلا من ثلاث : عىّ يكره أن يطلع عليه ، أو بخل فيكره أن يدخل إليه من يسأله ، أو ريبة .

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

قالوا ....

● أكثر الناس وقوفا يوم القيامة أكثرهم خوضا فى الباطل .

● كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك .

● زهدك فى راغب فيك نقصان حظ ، ورغبتك فى زاهد فيك ذل نفس .

● اعقلوا الخير إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ؛ فإن رواة العلم كثير ، ورعاته قليل .

● لا يعاب المرء بتأخير حقه ، إنما يعاب من أخذ ماليس له .

● ما المبتلى الذى قد اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء .

حقا

اشترى أعرابى جملا ، فندم عليه فى شرائه ، فجعل يصعد النظر فيه ويصوبه ليجد ما يتوصل به إلى رده .

فقال البائع : « من طلب عيبا وجده » .

أصناف الرجال

قال عمر : رضى الله عنه :

رجل ينظر فى الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها .

ورجل لا ينظر فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأى وقبل قولهم .

ورجل حائر بائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً .

القلب

قال أبو بكر الوراقى للقلب ستة أشياء : حياة ، وموت ، وصحة ، وسقم ، ويقظة ونوم .

فحياته الهدى ، وموته الضلالة ، وصحته الصفاء ، وعلته الصلافة ، ويقظته الذكر ، ونومه الغفلة .

« دعاء »

اللهم أجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ، ولا مضلين ، سلما لأوليائك ، حربا لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ، ونعادى بعداوتك من خالفك .

اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

سر إخلاص المسلم لدينه

أسئلة موجهة إلى حضرة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الشيخ محمد مأمون الشناوى "شيخ الأزهر"

من الصحفى الأمريكى : أ.أ. دوروينيان وإجابة فضيلته عنها

كعادة ما نتوقعه من أسئلة لها أهداف بعيدة ، صادرة عن نوايا لا يعلم صداها إلا الله - عز سبحانه وجل - توجه هذا الصحفى بأسئلة محددة تتناول موقف الإسلام من المذاهب السياسية إلى فضيلة الإمام الأكبر ، فتلقاها فضيلته واجاب عنها ...

لقد تأثرت تأثراً عميقاً بما لاحظته من تحمس المصرى العادى لدينه ، وحرصه على أداء صلاته كل يوم فى حينها ؛ الأمر الذى لا يفعله إلا قليل من المسيحيين : وبذلك أود أن تسمحوا مشكورين بالإجابة على الأسئلة الآتية :

س ١ - ما الذى يدفع المسلم إلى الإخلاص لدينه على هذه الصورة : هل هو دافع غريزى شخصى أو دافع الدين ؟ هل السر فى ذلك هو التعليم الأولى الذى يتلقاه المسلم سواء كان دينيا أو غيره ، أم تأثير الوالدين فى النشء ؟ وبالجملة ماهى العوامل فى هذا الشعور ، وما أهمها فى رأيكم ؟

جـ ١ - الإسلام دين الفطرة ، فهو دين طبيعى ينفذ إلى النفوس الفطرية من غير مشقة ولا إجهاد فكر ؛ وذلك لأنه دين يدعو أصحاب العقول إلى إعمال فكرتهم فى حقائقه ، ويتسع إلى المناقشات العقلية والمنطقية ، لا يتوارى عنها ، ولا يستتر دونها بستار شكلى . ومن أجل ذلك ترى المصرى العادى يتلقاه عن رضا واقتناع ، ويؤمن به إيماناً راسخاً كأنه ضرورة من ضرورات حياته ، ووسيلة متفردة فى إسعاده . وقد يساعد على ذلك عوامل كثيرة ، منها ما يرجع إلى التربية والتعليم تحت تأثير البيئة ولون الحياة التى يحياها المصرى العادى ، ومنها ما يرجع إلى الاستعدادات الموروثة والدوافع الشخصية الداخلية ؛ ومنها ما أشرت إليه في اختصار من أن الإسلام دين يعتقد ، لا دين يملى إملاء . وسأفرد فيما يلى لكل حالة من الحالات التى ذكرتها كلمة يسيرة تزيد فى إيضاح ذلك ، وتكشف عن حقيقته .

(١) الدين الإسلامى دين ذو قواعد سهلة واضحة لا تعقيد فيها ولا التواء فالعبادات

إعداد وتقديم

عبد الفتاح حسين الزيات

الدينية فيه عبادات يقوم بها المسلم لربه فى أى مكان ، يسر فى ذلك أو يعلن والله سبحانه وتعالى طالب العبد فى عبادته أن يقف بين يديه منه إليه من غير واسطة ، وجعل مقام ذلك العبد إن كان تقياً فى عبادته مخلصاً لله فيها أكرم مقام وأعز موضع ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ لا فرق فى ذلك بين أعجمى أو عربى ، شرقى أو غربى . فكرم المرء عند الله بعمله يقرب منه سبحانه به ، وبعده عن الله بعمله إن كان شراً ، يخرج به عن رضاه ، ويستحق بشروره غضب الله فى الدنيا ، وعقابه بالنار فى الآخرة .

لكل ذلك ترى المسلم حريصا أن يكون قريبا من ربه كريم الموضع عنده ، وما أخف الوسيلة إلى ذلك وأهونها على النفس ! فقد يسر الله على عباده هذه التكاليف ، وما حملهم شيئا فوق طاقتهم ولا أرهقهم ، بل راعى سبحانه وتعالى الرأفة بعباده ، فكان رفيقا بهم فى تكاليفه ، مترخصا لهم فى حالاتهم التى تعرض من شدة أو عناء ، فقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ حتى لقد دعا سبحانه وتعالى كثيراً ممن أسرفوا على أنفسهم أن يعودوا إلى رضاه ، وهو غافر لهم الحوبة ، قابل منهم التوبة ، فقال عز من قائل :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ . هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ .

(٢) إن المتتبع لطبائع المصريين والباحث فى دوافعهم النفسية واستعداداتهم الموروثة من أجيال طويلة مضت ، يقرر أن لها أكبر الأثر فى الإقبال على العبادات ، والقرب من الله ، والإخلاص فى دعائه سبحانه وتعالى ، وخصوصاً حينما تحل بهم الشدائد ، أو تحزبهم الكروب ؛ فما أسرعهم حين يتوجهون إلى الله سبحانه وتعالى ضارعين إليه أن يفك أسرهم ، ويفرج كربهم ، يخضعون فى ذلك إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(٣) أما التعليم والتربية فإننى أعتقد اعتقاداً قوياً فى أثرهما فى ذلك الإخلاص القوى ، والتفانى فى الطاعة لله سبحانه وتعالى : وذلك لأن التعليم الدينى فى مصر كان هو السائد فى القرى والمدن ، فقد انقضت حقبة طويلة والتعليم فى المكاتب والمدارس أساسه حفظ القرآن الكريم وترتيله ، وما كان يتعلم بجانبه من الكتابة والقراءة لم يكن إلا وسيلة لقراءة كتاب الله واستظهاره ، وحين تدرج التعليم فى مصر حتى اشتمل التعليم المدنى فى مراحله الابتدائية والثانوية والعالية ، كان غذاء هذه المدارس الجديدة المتخرجين فى المكاتب التى قلتُ : إن التعليم فيها يقوم على أساس قراءة كتاب الله

←

من روائع الماضى

وحفظ ما يمكن حفظه منه ؛ وما تجردت برامج الدراسة فى المدارس الابتدائية والثانوية من دراسات كافية للمبادىء الدينية فى كل فرقها ؛ فإنها تحرص دائما على تحفيظ بعض آى القرآن زيادة على دراسة المبادىء الدينية الكثيرة . على أن التدرج فى إنشاء هذه المدارس المدنية لم يحرم البلاد المصرية خاصة والبلاد الإسلامية عامة من المحافظة على أكبر معهد دينى له الأثر الكبير المشكور فى شرح قواعد الدين وبيان عقائده : ذلك هو الأزهر الشريف ، الذى له الفضل الأكبر فى الاحتفاظ بالآثار الصالحة المتوارثة عن السلف من كبار المسلمين ورجال العلم منهم ؛ فقد بقى أكثر من ألف عام وهو الينبوع الفياض الذى تتفجر منه عيون الحكمة الإسلامية ، وتفيض من جوانبه جداول المعرفة فى كل ناحية من نواحى العلم والدين والثقافة الإسلامية . ولا أكون مبالغاً إذا قلت : إنه هو المعهد الوحيد الذى حفظ للمسلمين تراثهم ، وأبان لهم سبيلهم ، وأوضح أمامهم معالم الحق ، وجنبهم مسالك الضلال : وأنه إلى عهد قريب جداً كان المعهد الوحيد الذى أخرج للمصريين من قامت بأفكارهم نهضاتها ومن استحدثت بهم مصر أسس حضارتها التى يجتنون ثمارها الآن .

ومن كل ذلك يتبين لك من غير خفاء أن التعليم الدينى كان ولا يزال سلطانه غير محدود على النفوس المصرية ، يدعوهم الأزهر إلى الاحتفاظ بدينهم ، والإخلاص لربهم من أول إنشائه إلى وقته الحاضر ، ولم يكن بعد ذلك موضع للعجب من تفانى المصريين فى حبهم لربهم وإخلاصهم لدينهم ، وسيبقى ذلك إن شاء الله ما بقى الأزهر ، وما بقيت النفوس خالية من الهوى والغرض .

س ٢ ـ إننى لست مقتنعا بما قيل من أن الشيوعية لا تستطيع أن تتسلل بين المسلمين . وهنا أود أن أنوه لفضيلتكم بأن كنيسة الروم الكاثوليك تعترض بشدة على هذا الشر ، ومع ذلك فإن كثيراً من الزعماء المسيحيين وخاصة فى إيطاليا الكاثوليكية قد انقلبوا شيوعيين وناصبوا الكنيسة العداء ، أو استمروا فى التردد على الكنيسة فى أيام الآحاد ولكنهم يعملون للشيوعية فى أيام الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، والجمعة ، والسبت . ولست مقتنعا بما أعلن من أن المسلم الطيب لا يمكن أن يصبح شيوعيا ، لأن هذا هو عين ما قاله البابا عن الشيوعية ، ثم لم يلبث المسيحيون أنفسهم أن خالفوه . على أنه فى حالة ما إذا كانت إجابتكم بالمثل ، هل لى أن أسأل فضيلتكم عما إذا كنتم قد اتخذتم فى الأزهر تدابير خاصة ضد الشيوعية ، مثل إصدار تحريرات معينة ضدها ، أو الإشارة إلى الوسائل التى يمكن التعرف بها على الشيوعية ومكافحتها ؟

جـ ٢ ـ لقد داخلك الشك فى أن الشيوعية لا تتغلغل بين صفوف المسلمين ولا أمنحك عذرا فى هذا ؛ لأنك لو عرفت الدين الإسلامى وكيف كفل للمسلمين التساند الاجتماعى ، وأن واجبا محتوما على كل واحد منهم أن يأخذ بيد أخيه المسلم ، وأن يقف حاجزا بينه وبين الحاجة وما تستدعيه ضرورات الحياة ، لما توانيت لحظة فى الإذعان معنا فى أن الإسلام هو الصخرة التى ترتطم بها أمواج الشيوعية ثم تنحسر عنها واهنة مخذولة إن شاء الله . وحتى أوضح لك ما أجملته أقول :

قلت لك : إن الإسلام كفل للمسلمين التساند الاجتماعى ، وما يقيهم شر الحاجة ، ويدفع عنهم مطالب الأيام . وسبيله فى ذلك :

أولا ـ أنه فرض على كل مسلم أن يجعل لله حقا فى ماله ، سواء أكان ذلك المال زروعا ، أو حيوانا من إبل أو بقر أو غنم ، أو عروض تجارة ، أو ذهبا أو فضة ، أو مالا مقوما من أى نوع ، بشرط أن يفيض عن حاجة المسلم من النفقة عليه وعلى عياله ، ومن تجب عليه نفقتهم ، وألا يكون مطالبا به فى دين أو نحوه ، وقد يبلغ ذلك الحق عشر المال أى ١٠٪ ثم حدد أيضا وجوه الصرف لهذه الأموال التى تجتمع لدى بيت المال ، وجعل مصارفها الفقراء والمساكين ، ومن انقطعت بهم السبل ، ومن أغرقهم دين لم يكن مسببا عن معصية الله ، وغيرهم مما هو ثابت فى الدين ومعروف من مأخذه . ولقد طالب الله سبحانه وتعالى المسلمين بدفع هذه الزكاة فى مواضع كثيرة ، ولم ترد فى القرآن آية من الآيات التى تدعو المسلمين إلى إقامة الصلاة إلا مقرونة بدعوتهم إلى إيتاء الزكاة . فالزكاة والصلاة فى الإسلام ركنان من الأركان التى قام عليها الإسلام ، ودعامتان متينتان بنى عليهما ديننا القوى . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ، ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾ و﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ . و﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ .

ولولا أنى لا أجد فى مثل هذا المقام متسعا لسرد كثير من الآيات التى تحتم على المسلمين أداء الزكاة كلما استحقت ، لأفضت فى البحث معك ولأطلت ، ولكنى سأجتزىء بعد ما ذكرت بما أقص عليك من حادث خليفة المسلمين الأول أبى بكر الصديق ، وكيف أنه قام فى أشد أوقات المسلمين وأعصبها ، بعد موت رسول الله ـ ﷺ ـ بإعلان حرب شعواء على كل من امتنع عن تأدية هذا الفرض ؛ وتحمل فى سبيل ذلك تعريض المسلمين لهول فَزِعَ منه من كانت لا تفزعه الخطوب ولا تزعزعه الحوادث ، خليفة المسلمين عمر بن الخطاب المعروف بشدته فى الدين وعدم الهوادة فيه ، فجاء أبا بكر يطلب إليه التريث فى إعلان هذه الحرب حتى تمر الشدة التى هم فيها ؛ ولكن صرامة أبى بكر فى دينه وتفانيه فى الإخلاص لأركانه ودعائمه ، دفعاه إلى ألا يبالى بمكروه يقع فيه وقال له : والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ لقاتلتهم عليه أو أهلك دونه ! وقال : والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ! وخاض غمار هذه الحرب ، وخرج منها ظافراً ، معزاً لدين الله ، ومثبتاً لأركان الإسلام .

ومن ذلك ترى أن الدين الإسلامى اتخذ طريقاً وسطا حد فيه من طغيان (الرأسمالية) فأخذ من مال الأغنياء نصيبا مفروضا يصرف الحاكم منه على الفقراء وذوى الحاجات ، كما ينفق منه على دور الاستشفاء ، وأماكن إيواء العجزة بحيث لا يترك لأمثال هؤلاء مجالا للشكوى ، ولا مسلكا ينفذون منه إلى سلب أموال الناس وأخذها بالباطل ، وغير ذلك من المسائل التى تذكى نارها فى نفوس الفقراء وسائل الرأسماليين ومكتنزى الذهب والفضة .

ثانيا ـ ومن المبادىء المقررة فى الإسلام أيضا حرية التملك (الملكية الفردية) واحترامها ، وأن لكل فرد أن يقتنى من المال ما تمكنه من اقتنائه السبل المشروعة ، وليس عليه وراء ذلك إلا أن يؤدى الفرض الذى أشرنا إليه من قبل ، وله فى كل حالة أن يتصرف فى هذه الأموال بما يراه ، وتبقى بعده تركته لورثته ، فى حدود القوانين الإسلامية التى جاءت فى نصوص القرآن فى مواضع كثيرة منه ، وقد دعا الدين الإسلامى

من روائع الماضى

جميع المسلمين بعد ذلك إلى التطوع بالإنفاق، وشجعهم على التبرع لأعمال الخير، ونهاهم فى كثير من المواقف عن الإفراط والتفريط، فنهى عن السرف كما نهى عن التقتير، فقال تعالى فى الحث على الإنفاق: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ وقال تعالى فى التوسط والاعتدال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ . .

ثالثا ـ وإنك لو تأملت فى حكمة الإسلام فى احترام الملكية الفردية ووضع القواعد العامة للمواريث، لعرفت أن هذا من أكبر الدوافع التى تحفز الممولين إلى قوة الاستثمار والنشاط فى الإنتاج، ويدعو إلى السهر على المصالح وبذل الجهود القوية فى تكثير الأموال، وهو فى الوقت نفسه يحمى هذه الأموال من أن تعبث بها يد السرف والتبذير. فالرجل الذى يعرف أن الأموال التى بذل فى جمعها صحته وعقله ستصير بعد ذلك إلى الدولة ولا ينتفع بها بنوه بطريق مباشر، ليس هناك ما يحفزه إلى ادخارها ويدفعه إلى المحافظة عليها. ولا يصح أن يقال: إن قواعد التكافؤ الاجتماعى قد تغنى عن ذلك؛ فإن الطبيعة البشرية التى تدفع الآباء إلى المحافظة على بنيهم وجمع الأموال فى سبيلهم، لا يمكن بحال أن يغنى عنها أو يقوم مقامها ما يدعيه ذوو الآراء الهدامة من مبادىء ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب.

إنك لو تأملت بعض ذلك لما ترددت لحظة فى أن سبيل الشيوعية إلى المسلمين مليئة بالعواثير والأشواك، وأنها ـ إن شاء الله ـ لن تجد المسلمين الطيبين لقمة سائغة ولا فريسة مستضعفة حتى يسهل عليها أن تنفذ إلى نفوسهم. ولعلى لا أكون متجنيا إذا قلت: إن المسلمين يختلفون اختلافا واسعا عن غيرهم؛ فإنى أعتقد أن المسلمين يحبون دينهم من قلوبهم، ويقومون بشعائر الإسلام حبا فى القيام بها، لا خاضعين لمؤثرات خارجة عنهم.

رابعا ـ هذا إلى ما تقرره المبادىء العامة فى الدين الإسلامى من احترام الحريات والدعوة إلى الشورى وتبادل الرأى فى المشاكل العامة، مما طبع المسلمين بالطابع (الدستورى) من نحو ثلاثة عشر قرنا وبعض قرن. وهذا القرآن الكريم يطلب الله سبحانه وتعالى فيه من نبيه أن يشرك المسلمين معه فى الرأى، فقال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ووصف المسلمين جملة فى آية أخرى فقال: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ ولعلك واجد فى القريب لعلماء المسلمين جولات وافية فى دفع هذه النظريات الهدامة ومحاربتها، بما يوضحونه للمسلمين من حقائق عن دينهم، بالنشر والإذاعة، والوعظ والخطابة.

س ٣ ـ وصف لى موظف فى جامعة الدول العربية الإسلام بأنه يحمل طابع الاشتراكية؛ فما رأيكم فى ذلك، وإلى أى مدى تبلغ الاشتراكية الإسلامية؟ وما أوجه الشبه على وجه التحقيق بين الاشتراكية الإسلامية والاشتراكية الحديثة؟ ويلوح لى مما استخلصته من أحاديث

البقية ص ٨٣٣

اللغة والأدب والنقد

من ملامح المنهج العلمي

السمات العامة لأسلوب الرافعي

الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة

ملامح المنهج العلمى في الصاحبي لابن فارس

١ ـ الشعر : لم يغفل ابن فارس هذا اللون من الأدب في مصنفه بل رمى فيه بسهم وافر من نظراته الفاحصة ، وذوقه الرفيع . فبين المقصود منه حين قال : « الشعر كلام موزون مقفى دال على معنى ويكون اكثر من بيت وإنما قلنا هذا لانه يجوز اتفاق سطر واحد بوزن يشبه وزن الشعر من غير قصد[1] .

وتحدث عن تنزيه الله لكتابه الكريم عن شبه الشعر وعن رسوله محمد ـ ﷺ ـ حين قال سبحانه : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[2] وقال عن الرسول ﷺ : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾[3] وذكر أن الشعر ديوان العرب ، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر[4] .. » .

ثانيا : الهدف من تاليفه :

وبعد هذا العرض لاهم موضوعات هذا الكتاب يستبين لنا الهدف من تاليفه ففى معرض حديثه عن اهمية دراسة اللغة ووجوب العلم باصولها مما لا غنى عنه لباحث او دارس فى اى فن من فنون العلم يكشف لنا عن سر تاليفه لهذا الكتاب فيقول :

« الا تسمع قول الله جل ثناؤه ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[5] إلى آخر الآية . فسر هذه الآية فى نظمها لا يكون بمعرفة غريب اللغة ، والوحشى من الكلام ، وإنما معرفته بغير ذلك مما لعل كتابنا هذا ياتى على اكثره بعون الله تعالى[6] ، ويتضح من نص ابن فارس السابق .

ومن خلال عرضنا لموضوعات الكتاب أن الهدف من تاليفه هو الكشف عن سر وجوه إعجاز القرآن الكريم من خلال دراسة الالفاظ ، والتراكيب وكذا الحروف العربية وما توحى به من أسرار تعد فى القمة من وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم . فضلا عن بحثه الدائب عن أسرار هذه اللغة وخصائصها التى امتازت بها

---

(١) الصاحبى ٤٦٥ .
(٢) الآيات (٢٢٤) ، (٢٢٥) ، (٢٢٦) ، (٢٢٧) من سورة الشعراء .
(٣) الآية (٦٩) .
(٤) الصاحبى / ٤٦٧ وقارن بالعلامة اللغوى ابن فارس / ١٧٥ ـ ١٧٩ .
(٥) الآية (٥٢) الأنعام .
(٦) الصاحبى / ٤ .

عن بقية اللغات والتى استحقت بسببها أن تنال الحظوة عند الله تعالى باختيارها لغة لقرآنه المجيد وترجمانا لمعانيه ، وحافظة لأسراره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثالثا : الاستشهاد بالقرآن والسنة وكلام العرب :

من الواضح أن ابن فارس كان يهدف إلى إبراز أهمية اللغة العربية لدارس اللغة والفقه والأصول وغيرها لفهم كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ لذلك رأيناه يكثر من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والشعر العربى الرصين والأمثال العربية . وكان منهجه فى إيراد تلك الشواهد أن يدعم بها قاعدة نحوية أو مسألة بلاغية أو نظرية أصولية . وليكون فيما يذكره من أدلة تقوية لحجته ، ودعما لآرائه ، وتوضيحاً لما يأتى به من أبواب يلفها الغموض والإبهام فيكون الشاهد بمنزلة النبراس الذى يدلك على الطريق ، ويرشدك إلى السبيل المستقيم . وهذا المنهج واضح جلى فى كل ما تعرض له من أبواب فى اللغة والنحو والصرف وغير ذلك . فمثال الاستشهاد على أمر الواحد بلفظ الاثنين يأتى بقول الله جل ثناؤه ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ وهو خطاب لخزنة النار والزبانية والاستشهاد على أن المفعول يأتى بلفظ الفاعل تقول « سر كاتم أى مكتوم » . ويستدل على ذلك بقول الله عز وجل ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ أى لا معصوم .. الخ .

ويستشهد بالقرآن على الحذف والاختصار فى لغة العرب فيقول : « ومن سنن العرب الحذف والاختصار يقولون « والله افعل ذلك » أى لا افعل .. ومنه فى كتاب الله جل ثناؤه ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ اراد أهلها . ويستشهد بالقرآن على مراتب الكلام فى وضوحه وأشكاله . فمن واضح الكلام الذى يفهمه كل من يعرف ظاهر كلام العرب قوله جل ثناؤه ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ ومن المشكل لغرابة لفظه قوله جل ثناؤه ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ وقوله ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ومن المشكل بحيث لا يعلم معناه إلا بمعرفة قصته قوله جل ثناؤه ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

ويستشهد بالقرآن لتوضيح بعض الكلمات فى لغة العرب ففى حديثه عن (بعد) يقول : « يدل على أن يعقب شيء شيئاً تقول : جاء زيد بعد عمر ويقولون إنها تكون بمعنى مع ، يقال : هو كريم وهو بعد هذا فقيه اى مع هذا او يتأولون قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ على هذا بمعنى مع ذلك .

***

ويستشهد بالأحاديث النبوية الشريفة على ما سبق ذكره ليدعم رأيه ، ويقوى حجته ، وليوضح بها لغة العرب . ففى موطن حديثه عن مراتب الكلام فى وضوحه وأشكاله . يستدل بقول الرسول ﷺ : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثاً »[7] على وضوح الكلام لمجيئه على ظاهر كلام العرب ،

(٧) الحديث فى سنن النسائى ١/٦ ـ ٧ ومسند الإمام احمد ٧/١٣ .

ويستدل بقول الرسول ﷺ : « على التبيعة شاة »[8] على المشكل لغرابة لفظه .

ويتخذ ابن فارس من الحديث النبوى الشريف أداة لتوضيح الألفاظ الغريبة فى لغة العرب ففى معنى « بيد »[9] يقول : قالوا بيد بمعنى غير . قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم »[10] وفى (بَلْهَ)[11] يقول : « بَلْهَ بمعنى دع وقيل بمعنى غير قال رسول الله ﷺ » : « يقول الله جل ثناؤه » : (أعْدَدْتُ لعبَادِىَ الصَّالحينَ مَالا عَيْنٌ رأَتْ وَلَا أُذن سِمَعَتْ ولَا خَطَر علَى قَلْبِ بَشَر بَلْه مَا اطْلَعتُهم عَلَيْهِ) قالوا : معناه (سوى) و (دع) .

ولا يغفل الاستشهاد بالشعر العربى . فالشعر هو كلام العرب الذى يريد أن يقيم الدليل على صحته وأستقامته ويأتى به جنبا إلى جنب مع القرآن والحديث . ففى مراتب وضوح الكلام واشكاله يستشهد بقول الشاعر :

إن يحسدونى فإنى غير لائمهم
قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

على وضوح الكلام وأن هذا من أكثره وأعمه[12] بحيث لا يغيب معناه على أى سامع أو قارئ .

وعن المشكل لغرابة لفظه يستدل بقول الشاعر :

وقَاتِمِ الأَعْمَاقِ
شَأْزِ بِمَنْ عَوَّهْ
مضْبُورةٍ قَرْوَاء هِرْجَاب فُنُق[13] .

وفى حديثه عن (بَلْه) بمعنى غير يستدل بقول الشاعر :

تمشى القَطُوفُ إذا غَنَّى الحداةُ بها
مشى النَّجِيبَةِ بَلْهَ الجِلَّةَ الجُنُبا[14]

ويستدل على (بيد) بمعنى غير بقول الشاعر :

عَمْـدًا فَـعَلْـتِ ذاكِ بَيْـدَ أَنِّـى
إخَـال لـو هَلَكْتُ لَمْ تُـرِنِّى[15]

* * *

ويتخذ من الشعر أداة لتوضيح المعانى وتقريبها للأذهان ، وكذلك دليلا على صحة المعنى الذى يرمى إليه فيقول فى معنى « لا جرم » « جرم بمعنى حق قال :

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة
جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا »[16] .

---

(٨) التبيعة : اسم لأدنى ماتجب فيه الزكاة من الحيوان . والحديث فى النهاية ١٢٢/١ .
(٩) الصاحبى/ ٢١١ والحديث فى صحيح البخارى ٢/٢ ومسلم ٢٣٤/١ ومسند الإمام أحمد ١٣٢/١٣ .
(١٠) الصاحبى / ٢١٠ والحديث فى البخارى ١١٦/٦ .
(١١) البيت للكميت بن زيد الأسدى معجم الشعراء / ٣٤٧ .
(١٢) الصاحبى / ٦٩ .
(١٣) هذا الرجز لرؤبة فى ديوانه فى مجموعة أشعار العرب ١٠٤/٣ .
(١٤) هذا البيت لإبراهيم بن هرمة . والقطوف من الدواب : المتقارب الخطو البطىء . والنجيب من الإبل : القوى الخفيف السريع . اللسان : بله .
(١٥) الرجز لمنظور بن مرثد الأسدى وترنى من الرنين وهو الصوت . اللسان : بيد .
(١٦) البيت لأبى أسماء بن الضريبة كما فى اللسان جرم ٢٢٣/١ .

واستدل على أن (رُبَّ) كما تكون للتقليل رأى قوم انها وضعت لتذكر شيء ماض: من خير أو شر . بقول الشاعر :

وربَّ رَكْبٍ قدْ اناخُوا حَوْلَنا
لِيَشْرَبُوا الخمرَ بِالماءِ الزُّلالْ[17] .

وفى مجال الاستشهاد بالأمثال العربية نراه يستعين بها ، ويتخذ منها مادة ، وأداة تعبير واضحة للتدليل على قوه لغة العرب وسعة بيانها فى التعبير عن المعنى الكبير باللفظ القليل .

ففى باب القول فى ان لغة العرب افضل اللغات وأوسعها يستدل بأمثال العرب فيأتى بقولهم : « وهو ألْوى ، بعيدُ المُسْتَمَرِ »[18] « وهو شراب بأنْقُعٍ »[19] و« هوجُذَيْلها المُحَكَّك وعُذَيْقها المُرَجَّب » و« ذات الزُّمَيْزِ »[20] و« أتى بالأمرِ مِنْ فَصِّه »[21] الخ .

ويستدل بالأمثال العربية على ما لا يعلم معناه إلا بمعرفة قصته . فيضرب لذلك بالمثل « عَسَى الغُوَيْرُ أبْؤُساً »[22] . ويستدل بها أيضاً على أن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها وأن الذى جاءنا عن العرب قليل من كثير ، فيقول : ومن ذلك قولهم : « أعمدُ من سيِّدٍ قَتَلَه قَوْمُه »[23] أى هل زاد ؟ ويعد ابن فارس هذا من مشكل الكلام الذى لم يفسر بعد .

وهكذا يسير ابن فارس وفق هذا المنهج الذى خطه لنفسه من مراعاة الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وكلام العرب شعراً ونثراً ليصل فى النهاية إلى أن لغة العرب هى كل هذا ما دامت قد بعدت عن اللهجات المذمومة والرديئة مما يمثل فى نظره خروجا على ما يعرفه العرب . وحينما يقول العرب فإنه يعنى خاصتهم الفصحاء الذين لم تشبهم شائبة ، ولم يتسرب اللحن إلى لغاتهم والذين بعدوا فى كلامهم عن عنعنة تميم ، وعجرفية قيس وكشكشة أسد ، وكسكسة ربيعة ، وكسر هوازن وقيس[24]

مصادر الكتاب :

من ملامح المنهج العلمى الذى توجه به ابن فارس موسوعته العلمية (الصاحبى) . ذكره للمصادر التى رجع إليها ونقل عنها سواء كانت إعلاما أم كتبا والتى نوه عنها فى المقدمة بقوله : « والذى جمعناه فى مؤلفنا هذا مفرق فى صناف العلماء المتقدمين » .

فمن يطالع الكتاب يقرأ أسماء العلماء الذين كان لهم فضل السبق فى الريادة العلمية فى مجال بحثه وكانت لهم فى ذلك صولات وجولات وبحوث وآراء تذكر لهم فتشكر مثل ابن عباس ومجاهد وحصيف وأبو الأسود الدؤلى والأخفش وأبو حية النميرى وأبو الحسن على بن إبراهيم القطان وأبو عبيدة والفراء وأبو بكر محمد بن داود الظاهرى والخليل بن أحمد وسيبويه والكسائى

←

(١٧) البيت لعدى بن زيد انظر العمدة لابن رشيق ١/٢٢٣ .
(١٨) فى مجمع الأمثال ٢/١٩٢ « لتجدن فلانا ألوى بعيد المستمر » الوى : شديد الخصومة . واستمر : استحكم اى قوى فى الخصومة لايسام المراس .
(١٩) اى معاود للأمر مرة بعد مرة واصله ان الحذر من الطير لا يرد المشارع لكنه يأتى المناقع يشرب منها فكذلك الرجل الكيس الحذر لا يتقحم الأمور مجمع الأمثال ١/٣٦٠ .
(٢٠) المثل فى اللسان : زمن والزمين اى فى ساعة لها اعداد يريد بذلك تراخى الوقت .
(٢١) فى اللسان : فص : انا آتيك بالامر من فصه اى من مخرجه الذى قد خرج منه .
(٢٢) يضرب فى الرجل يقال له : لعل الشر جاء من قبلك مجمع الأمثال ٢/١٧ .
(٢٣) وتفسر (أعمد) بمعنى أعجب . والمعنى انه ليس بعار ان يقتله قومه ليهون على نفسه وقوع الهلاك .
(٢٤) المزهر للسيوطى ١/٢١٠ .

من ملامح المنهج العلمى

والاصمعى والمبرد وثعلب وابن قتيبة والنضر بن شميل ، ويورد الفقهاء . فى كلامه قال فى إحدى مباحثه قال بعض الفقهاء كلام العرب لا يحيط به إلا نبى والمراد ببعض الفقهاء الأمام الشافعى فقد جاء فى الرسالة « ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها الفاظا ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى » وذكر اسم الإمام الشافعى فى أكثر من موضع .

ولقد أورد بعض أسماء الكتب التى نقل عنها مثل كتاب المقتضب للمبرد وفصيح الكلام لثعلب والعين للخليل بن أحمد . وهؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم ابن فارس تتنوع تخصصاتهم بين اللغة والنحو والأصول والفقه مما يدل على أنه كان ينهج نهج العالم الموسوعى الذى تتعدد موارده ، وتتنوع روافده . ولعل البعض يفهم ـ خطأ ـ أن هذا عيب فى المنهج ! لا فلم يكن ذلك من ابن فارس سيرا على غير نظام بحيث إذا قابلته شاردة التقطها ، أو التقى بضالة أخذها وعقلها .

وإنما ما فعله ابن فارس من تنوع مصادره يؤكد ـ عن قناعة ـ شدة ارتباط هذه المصادر وتلاحمها ببعضها وتلاقيها عند هدف واحد هو خدمة كتاب الله عز وجل ، والسنة النبوية الشريفة .

فصلة علم اللغة بالأصول وثيقة يلحظها بعناية دارسو علم الأصول كالبحث فى نشأة اللغة وعلاقة اللفظ باللفظ فى الاشتقاق والنحت والقلب وعلاقة اللفظ بالمعنى فى الاشتراك والتضاد والترادف والتباين وفى المعرَّب وهل فى القرآن شىء منه وفى حروف المعانى ولغة القرآن الكريم وسعة العربية وأنه لا يحيط بها إلا نبى [٢٥] .

وصفوة القول : أن ابن فارس فى كتابه الصاحبى استطاع أن يجمع العديد من الآراء اللغوية والنحوية والبلاغية والأصولية والأدبية على صور متفاوتة فى الكثرة والقلة حسبما اقتضى المقام ذلك . وكأنى به أراد أن يجعل من هذا الكتاب موسوعة علمية فى بابه . لكل قارىء وباحث فى المجالات التى أشرنا إليها له فيها نصيب وفير .

خاتمة البحث

بعد هذه الجولة السريعة مع ابن فارس فى كتابه « الصاحبى » يمكن أن نضع بين يدى القارىء الكريم ما توصلنا إليه من نتائج :

١ ـ تكراره لبعض الظواهر تحت عناوين مختلفة ـ وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد

٢ ـ تداخل بعض المباحث فى الكتاب بسبب استعماله لعبارة (ومن سنن العرب) فى المباحث اللغوية والنحوية والصرفية وكذا البلاغية

٣ ـ اعتراه التردد والاضطراب فى معالجة بعض قضايا اللغة كالقول بالتوقيف فى تطور اللغة

٤ ـ لوحظ أن ابن فارس كان يسلم ببعض الآراء دون أن يبدى الأسباب .

واخيرا وليس آخرا يبقى كتاب الصاحبى بمنهجه العظيم الذى رسمه ابن فارس لنفسه للسير عليه والالتزام به ذخيرة ثمينة لأى باحث

والله أسأل أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم إنه سميع مجيب الدعاء .

---

(٢٥) ينظر كتاب فقه العربية / ١٦ .

من روائع الماضي - بقية

فى هذا الشأن أن القرآن لم ينص صراحة على وجوب عدم المساس بالملكية الشخصية ، فما رأيكم فى ذلك ؟ وإذا كان الإسلام يماثل من بعض الوجوه الاشتراكية الحديثة ألا ينتظر من وراء هذا التشابه أن يقوم بين الإسلام وبين الاشتراكية الدولية السياسية (مثل الشيوعية الماركسية) تشابه يؤدى إلى توزيع الثروة الشخصية بأمر الحاكم أو الحكام ؟ إنى أوجه هذا السؤال بالذات ، لأن بعض المصريين الشيوعيين قد قرروا لى أن آيات القرآن يمكن أن تتمشى فى سهولة مع الفلسفة الشيوعية فيما يتعلق بتوزيع الثروة . فإذا كان الأمر كذلك فإن أمن العالم العربى يصبح بذلك مهدداً (ومعه الأمن العالمى كله) بمجرد السماح للدعاية الشيوعية بالازدهار فى هذا الجانب من العالم .

جـ ٣ - إنه ليؤسفنى أشد الأسف أن تستخلص مما جرى بينك وبين الناس من أحاديث حول الإسلام والاشتراكية من ناحية ، والإسلام والملكية الفردية من ناحية أخرى ، أن القرآن لم ينص على شيء من عدم المساس بالملكية الشخصية ، وأخذت لنفسك حق الادعاء من أن الإسلام يماثل من بعض الوجوه الاشتراكية ، وأنه ينتظر من وراء هذا التشابه أن تقوم صلات بين الإسلام وبين الاشتراكية الدولية السياسية تؤدى إلى توزيع الثروة الشخصية بأمر الحاكم ، وأنك توقعت قرب تحقيق ذلك بما ألقاه فى روعك بعض المصريين الشيوعيين كما تقول من أن آيات القرآن الكريم تتمشى فى سهولة مع الفلسفة الشيوعية ، بئس ما سولت لكم أنفسكم وألا ساء ما تحكمون ! لقد نسبتم إلى آيات القرآن ما القرآن منه براء . فليس فى القرآن آية تتمشى مع الفلسفة الشيوعية فى أى وضع من الأوضاع ، ولكن هؤلاء الشيوعيين الذين قرروا لك ما قرروه قد التوت بهم السبل ، وضلوا عن سبيل الله ، وأرادوا أن يضلوا الناس كذلك .

ولو أنك تفضلت فذكرت أسماء بعضهم لكان لنا منهم موقف آخر أمام الله وأمام الناس ؛ فأنا دائما على استعداد أن نأخذ أمثال هؤلاء بحرب لا قبل لهم بها ؛ وإن مما هون علىّ أثر هذه العبارات أنك - هداك الله - قد التجأت إلينا لتعرف الرأى الحقيقى فى الدين الإسلامى وفى كتاب الله . ولعلنا فيما قدمنا إليك نكون قد كشفنا لك عن شبهات هؤلاء المضللين ، وأبنّا من حقيقة أمرهم من حبهم لشيوع الفتنة بين المسلمين .

وإنا لنقرر لك أن القرآن الكريم قد احترم الملكية الفردية وصانها بقواعد وحدود لا تجعلها عرضة للتلف ولا للضياع ، ونظم انتقالها إلى الأبناء والمستحقين وفصل القول فى قواعد المواريث وتحديد الأنصبة فيما تركه الوالدان والأقربون قلّ منه أو كثر ، فقال تعالى : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ ثم قال تعالى بعد ذلك : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾ ثم قال تعالى بعد ذلك : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ إلى آخر ما جاء فى هذه الآيات من بيان الأنصباء مفصلا ، ومن بيان الوصية التى للمالك فى ماله لمن شاء ، مما يدل الدلالة الواضحة على حق الملكية لكل مالك ، وانتقال هذا الحق من بعده إلى ورثته من أبنائه وأقربائه . ثم ختم هذا البيان الرائع بقوله سبحانه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

السمات العامة لأسلوب الرافعي

٢

رابعا ـ توليد المعاني :

على الرغم مما قلنا من فيض الطبع لدى الرافعي ، وأصالة المنزع ، فإنه كثيرا ما يعمل فكره فتلتقي الفطرة مع الصنعة لتمنحنا أدباً فيه من الإحساس والعقل ، ومن العاطفة والفكر بشكل لا تتفاوت فيه المقادير في أغلب الأحايين . وإن كان بعض النقاد أشار إلى غلبة إعمال الفكر في بعض كتاباته ، وذهب البعض إلى مهاجمته بقسوة ووصم أدبه بأنه أدب الصنعة والزخرف والغرابة[١٥]

إن الأمر حين يكون مناطه الخصومة والمحاماة ، وأخذ العزة بالإثم ، تذهب معه النصفة في الحكم ، ويحل محله التحامل والغلبة . وهذا ما حدث في آراء خصوم الرافعي ، والواقع أن أدب الرجل لا تصدق معه هذه الصفات إلا في القليل النادر ، وفي المرحلة الأولى من حياته خاصة .

وإذا كنا لا ندفع عن أدب الرافعي طابع الغموض المتولد أحيانا من الإ يغال في توليد المعاني والاسترسال في تشقيقها . وفي رأيي أنه غموض غير مستغلق على من يألفه ، وعلى من كان بعيداً عن الكدرة في طبعه والضعف في وسائله . يقول : مثلاً في وصف كتابه (المساكين) : « كتابٌ ليس له قبلُ ، وليس له بَعْدُ ، فهو دائر مع النهار والليل ، على معنى آخره في الإنسانية أوله ، معنى إذا قلت فيه إنه يجيء مع كل مولود ، فقد قلت إنه لا يموت مع أحد من الموتى »[١٦] وكان بإمكانه أن يقول إنه كتاب لا مثيل له . أو لا يضارعه كتاب من قبل ولا من بعد على سبيل المبالغة ، ولكنه جعله « معنى » يدور مع الإنسانية كما يدور الليل والنهار على الكرة الأرضية ، ثم ذهب إلى إعادة المعنى بصورة طريقة أخرى ، بقوله إن هذا « المعنى » إن ولد مع كل مولود ، فإنه لا يموت مع أي ميت !! بمعنى أنه ولد ولن يموت !!

وهذا التوليد أن تطلب من القارىء المستكمل

---

(١٥) د . طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف بمصر ، ط٢ س٢ / جـ ٣ ، ص ١٢٣ .

(١٦) المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ط ٧ ، ١٩٦٣ ، ص ١٤ .

د . شلتاغ عبود شراد

لأدواته وقفة استمتاع وتلذذ بالاكتشاف ، فإنه لا يروق القارىء العجلان ، أو قارىء العصر الحديث الذى تعود أن تكون مادته العلمية الصحافة ، وأكله « السندويج » !

وقد لا يتعبك « التوليد » بسبب تعمق فى المعنى ، ولكنه يتعبك بسبب التفريع وطول النفس ـ كما نلاحظ هذا فى وصفه للشيخ على ، ذلك الرجل العجيب الذى خلده أدب الرافعى ، ولولاه ما كان شيئا مذكورا فى العالمين ! يقول الرافعى « .. إنه ليجوع ويظمأ ويعرى ، ولكن كما يجوع الطير وتظمأ الأرض ، ويعرى الشجر .. فإن تخلت عنه السماء مرة ، وقطعت مقاوده من الغيب وخذلته الوسيلة ـ فما تغمز منه الحاجة إلا حجراً صلداً يقع على أى جانب ترميه ثم لا يقع إلا حجرا ، لأن آلام هذا الرجل من الألم القفر الذى لا ينبت فيه شىء من الخوف ، ولا يهتدى إليه وهْمٌ فى الحياة ، ولا مجرى فيه للدمع ، ولا ظل للحسرة . وهو ألم إن افضى إلى الموت ، أفضى إليه برجل لا يعرف الموت ماهو ، وإن أبقى على الحياة ، أبقى عليها فى رجل عرفت الحياة من هو ! » [١٧] .

وأنا لا أرى فى هذا الأسلوب اى غموض بقدر ماهو صفاء خاطر وانفعال بموضوع ، ولكنه انفعال ـ بطريقة خاصة ـ انفعال لا ينتهى باللمحة الخاطفة أو التصوير الموجز ، ولكنه انفعال يتولد منه انفعال ، وفكرة تتولد منها فكرة ولا أرى انفكاكا بين الفكرة والشعور فى أغلب الأحيان ، وإن بدا للآخرين فى بعض الأحيان أنه « غلبة الفكر على الشعور ، وسطوة الفن على الطبيعة » [١٨] .

ولقد وفق الدكتور أحمد هيكل فى تعليل ظاهرة (الغموض لدى الرافعى بقوله : « بيان يجنح فيه صاحبه إلى اعتصار المعانى وتوليد الأفكار ، ومزج الخواطر ، من خلال مجازات مركبة ، واستعارات بعيدة ، وكنايات خفية ، فيأتى بيانه آخر الأمر أشبه بعملية « تقطير » لألوان من الزهور المعروفة ، والورود المألوفة ، والرياحين الشائعة لاستخلاص عطر مركب مركز غريب ، فيه جمال ، ولكن ليس فيه بساطة ، وفيه متعة ، ولكن ليس فيه جلاء ، وفيه فن ، ولكن فن المهارة التى تسيطر على الفطرة» [١٩] .

ولا اعتراض لدى إلا على النسبة التى تسيطر فيها المهارة على الفطرة ، فأنا أرى أن هذه المهارة لدى الرافعى تولدت فى فطرة وموهبة ، وجهد ودربة معاً . وإن هذه الفطرة لتتدفق لتوظف المهارة بنمط خاص فى الإبداع وليس للمهارة سيطرة ملغية أو سطوة جبارة .

ويذهب الدكتور حلمى مرزوق إلى رأى طريف وحصيف فى تأمله لطابع الغموض فى أدب الرافعى ، فيرى أن « الحرية الكبيرة التى اوتيها فى إدارة الكلام على وجوهه المختلفة ، وقدرته على انتزاع ما يريد من مادتها وفاءً للمعنى أو الصورة المنشودة .. هذه الحرية هى المسئولةُ عن

←

---

(١٧) المساكين ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .
(١٨) الأستاذ الزيات ، وحى الرسالة ، ص ٤٤٢ .
(١٩) تطور الأدب الحديث فى مصر ، ص ٣٨٧ .

السمات العامة لأسلوب الرافعي

ذلك الغموض أو الالتواء . فالرافعي كان يوغل في تصريف الكلام على مشتهاه لا يعنيه أن يخرج على المألوف ومجرى اللغة اعتداداً بقدرته وذوقه[٢٠] ولعل هذا مَرَدُّ ما أشرنا إليه من طابع التفرد والتميز في أدب الرافعي ، ذلك التفرد الذي يجعله علما بارزاً وحده لا يخضع لتيار أو مدرسة غير تيار نفسه .

ولا أعتقد أبداً أن مرجع هذه السمة من الغموض الشفاف حينا والملتوى حينا آخر ، إلى نزعة من التزيد وحب الاستغلاق أو حب الاستعلاء والعظمة ، بل هي سمة كونتها ثقافته الخاصة وتكوينه النفسي الخاص وعبقريته وموهبته الخاصة ..

بقي أن نُشير نهاية الأمر إلى أن مبعث هذا العمق الغامض على بعض الاستعدادات يرجع إلى فلسفة المعنى والجوهر لدى الرافعي ، وهي التي تجعله ، مع اهتمامه بالشكل أديب المعنى بلا ريب وتبعد عنه مقولة الاهتمام بالزخرف والصنعة التي تعاورها خصومه في كل مرة يكتبون عنه . ومع أن العناية بالمعنى بارزة في أدبه ولكنني أحصيت العديد من النماذج التي يذكر فيها المعنى قبالة اللفظ ، أو المعنى قبالة الجسد ، أو المعنى قبالة الضحالة والسطحية أو الإشارة إلى جوهر الأشياء وما هيتها وجُوَّانيتها إن صح التعبير ، فيقول عن طه حسين ، مثلا ، إنه مسلم لفظاً لا معنى[٢١] ، وينظر إلى النموذج الذي أبدعه من الشيخ على ، فيرى أنه معنى الرجل الذي انطوت عليه كلمة (الحمد لله)[٢٢] ويجعل الشاعر وهو ينظر إلى الماء يتملى معنى الماء (فإذا نزل الشاعر الدقيق الحس ، بروضة غناء نضرة حَسَّ بقلبه كأنما يخضر بعد يبس ، وإذا أظل في الغدير الصافي أحس بمعنى الماء ينساب في عروقه »[٢٣] ، وفي الدين إنه (معنى إنسانية القلب)[٢٤] ، و(بالقيام في الصلاة يحقق المسلم لذاته معنى إفراغ الفكر السامي على الجسم كله)[٢٥] . إلى غير ذلك في الشواهد التي تدلنا على مقدار سيطرة فكرة «المعنى» الكامن وراء ظواهر الأشياء ، وانعكاسها في أسلوب الرافعي وعمقه .

خامسا : الطرافة والمفاجأة

للأدباء ، في الغالب ، منهجان : فمنهم من يسلك بك مسلكاً آمنا لا تتوقع فيه التواء ، ولا تدخل معه في غابة ، ومنهم من يستولى عليك العجب ، وتأخذك الدهشة وأنت تسير معه في عوالم لم تكن قد رأيتها ، وإن كنت رأيتها ، فأنت معه في العالم ، ولست معه إلا في عالمه الخاص . فهو الساحر الذي يلمس الأشياء فلا تبدو في ناظريك الأشياء ذاتها التي كنت عرفتها ، يلبسها روحه وذوقه وسحره ! بل للأدباء فيما يكتبون مذاهب وطرق في إدارة دفة الكلام . فهذا طه حسين يأخذ بيديك أخذاً مسترسلاً هادئاً حتى لتشعر معه بأنك تعرف مايقول مسبقاً ! وهذا العقاد يستوفز عقلك من أول الرحلة ، فلا تمشى معه إلا وكلك عقل ومنطق محكم ، فإذا سمحت لنفسك أن تغيب من عقلها فقد ضعت ، وقل غير ذلك مع غيرهم من الأدباء .

---

(٢٠) تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث ، ص ٣٧٦ .
(٢١) تحت راية القرآن ص ٣٤٤ .
(٢٢) المساكين ، ص ٥١ .
(٢٣) حديث القمر ، ص ١٩ .
(٢٤) وحي القلم ، جـ ٣ ، ص ٣٨ .
(٢٥) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ١٣ .

أما أمرك مع الرافعي فأمر عجب ، فهو يستثير فيك أحاسيسك كلها قلبك وعقلك معاً ، ولا يفجؤك بما يدهش القلب وحده فقد يقول المألوف الذى تتوقعه ، ولكنه يقول غير المألوف ، ويولد من المعلوم غريبا ، بل يجعل المعلوم مجهولا ، ولعل هذه السمة توضح لنا ما قلنا عن فرادته فى أدباء جيله .

انظر إليه ، وهو يتحدث عن طه حسين ودراسته للأدب العربى على ضوء المناهج التى درسها فى الغرب ، فهو يرى أنها لم تفد هذا الأدب ، إلا بالقدر الذى تريد أن تجعله أوروبيا ، فتمسخه مسخاً ، فيقول : « الحق إن طه حسين للأدب العربى كالكسوف والخسوف يحجب حتى نور الشمس وحتى نور القمر »[٢٦] . ونحن فى هذا التعبير لسنا إزاء تشبيه ، كما ألفنا من أساليب البيان ، بل أمام فكرة تمحق جهد طه حسين محقاً ، وتعده خساراً أى خسار ، وظلمة تذهب ببهاء أدبنا ونوره الذى عرفناه ، فضلاً عن أننا ونحن نسترسل مع الرافعى لم نكن نتوقع هذه اللقطة الطبيعية والنفسية من عالم الكسوف والخسوف !

ويأتى للمألوف جداً ، ولكنه يجعلك أمام شىء كأنك تحتاج منه إلى تعريف ، فحين يتحدث عن الصلاة المألوفة المعروفة يقول لك عن حقيقة المسلم الذى يروض نفسه على الصلاة : « .... يروضها على ذلك كل يوم وليلة خمس مرات مسماة فى اللغة (خمس صلوات)[٢٧] ، فهل أنت بحاجة إلى أن يقول لك شيئا عن تعريف الصلاة ، ولكن جعل المعلوم أمامك مجهولاً ، ودعاك إلى أن تعرف سره .

وقد يستغرقنا الوقت ، وتضيق بنا الصفحات إذا نحن ذهبنا نمثل لهذه الظاهرة فى أدب الرافعى ، ولكننا نقول انها أشبه ما تكون قرباً إلى الرمزية والصور المستحيلة على أيدى أصحابها ، ثم هى بعد ذلك قريبة فى منهج التوليد الذى فرغنا من الحديث عنه فى السمة السابقة والتى قلنا إنها هى المسئول عن ما قيل من الغرابة والغموض فى أدب الرافعى ، وهو غموض لا يتساوى القراء فى تلقيه والتأثر به على درجة واحدة .

سادسا ـ أدب الشخصية :

مرت على الأدب العربى مرحلة آل فيها إلى الضعف ، خاصة تلك الفترة التى لم يكن فيها الصراع محتدماً مع الغزو الأجنبي . ولم تكن الدوافع الذاتية والخارجية قد عملت عملها فى إثارة الأديب وجعله يكتب بتأثير من أعماقه بعيداً عن أدب الأنماط الجاهزة ومع منتصف القرن الماضى الميلادى وبدايات هذا القرن توافرت تلك الدوافع والمحفزات إلى أدب يتسم بطابع الشخصية ، بحيث أصبح القارىء يميز بين أسلوب وأسلوب من خلال السمات الفنية والنفسية أو الفكرية للأديب .

ولقد كان الرافعى بحق من هؤلاء الأدباء الذين لا تعدم القدرة على معرفة أسلوبهم حتى ولو لم يكن مقرونا بالاسم ، ذلك انه أدب نابع من ذاتية الأديب وشخصيته ، وليس من قبيل الترف والصناعة والزخرفة اللفظية التى إن عرضت ذكاء ومهارة ، فإنها لا تعرض إبداعا وعبقرية .

---

(٢٦) تحت راية القرآن ، ص ٢٩٩ .

(٢٧) وحى القلم ، جـ ٢ ، ص ١٢ .

السمات العامة لأسلوب الرافعي

فمن الناحية الفكرية تجد لدى الرافعي عصبية دينية لا تخطئه في أي صراع يخوضه، وفي أية تجربة فنية يصورها، ليس لديه مجاملة أو مداجاة، بل يرى أنه وريث النبوة في المحافظة على الإسلام وقيمه، أمام الجيل الذي يستعد لتضييع أمجاد الآباء وبيعها بأبخس الأثمان. وهذا ما يفسر لنا نزعته البيانية وصلته بالتراث اللتين أشرنا إليهما.

ومن الناحية الوجدانية نجد الرافعي ممثلاً لهذا الاتجاه - هو والمنفلوطي - قبل أن يتبلور على شكل اتجاه واضح المعالم لدى مدرسة الديوان. وهذا الاتجاه هو الذي ثبت دعائم أدب الشخصية وميزه. وتكاد تقول إن هذه النزعة الوجدانية بادية المعالم في أدب الرافعي كله مع روح شاعرية تغمر نثره الفني. هذه الروح التي قد لا تجدها في شعر بعض الشعراء!

أنظر إليه وهو يتحدث عن معجزة الإسراء والمعراج في مقال بعنوان « فوق الآدمية ». كيف يستوطىء المسلمون العجز، وفي أول دينهم تسخير الطبيعة؟

كيف يستمهدون الراحة، وفي صدر تاريخهم عمل المعجزة الكبرى؟

كيف يركنون إلى الجهل، وأول أمرهم غايات العلم؟

كيف لا يحملون النور للعالم، ونبيهم هو الكائن النوراني العظيم؟»[٢٨].

وانظر إليه، وهو يتحدث عن (المساكين)! « ومن عجيب الحكمة أن ما من نبي أو حكيم أو شاعر يترجم إلى لسان الحياة ما هو أسمى من الحياة إلا استمد ذلك من مساكين الحياة خاصة. هم أبدا السحابة المستوية المخيلة لمطر العواطف على حدب الروح الإنسانية في الأرض، ولعلهم لذلك يتراكمون في الحياة من سواد كالغمائم ويتشققون من نار كالبروق، ويجلجلون برعود يئنون فيها، ويتبجسون بمطر يبكون به »[٢٩].

فماذا ترى غير عوالم النور واستثارة أعمق عواطف النفس الإنسانية لدفعها إلى صراع الحياة وقيادة الحياة كما في النص الأول، واستثارتها لاستبطان النظر إلى ذاتها وإنسانيتها ودفعها إلى العطف على شبيه لها في الخلق، ذلك الإنسان الذي يسمى « المسكين »... بينما هو الرحمة النازلة من السماء، أو هو (السحابة المستوية المخيلة لمطر العواطف على جدب الروح الإنسانية في الأرض) كما قال في النص التالي وقد ألمعنا من قبل إلى أننا مع الرافعي إزاء أدب تحتمل فيه نوازع القلب والعقل معاً بنسب متجانسة قد يطغى بعضها على بعض، ولكن لا تضيع معها نسب الطرف الآخر! فقد تجد المنطق والمحاجة والجدل في أدب المقالة الإسلامية لديه، كما لاحظ الدكتور مصطفى الشكعة[٣٠]، ولكنه - مع ذلك - (شاعر النفس، مرهف الحس، رقيق القلب، قوى العاطفة) كما قال تلميذه وصفية الأستاذ محمد سعيد العريان[٣١].

ومن الناحية النفسية نشهد لدى الرافعي، مما يعضد ويؤصل أدب الشخصية حدة في الطبع وتشنجا في المزاج، وميلاً إلى المبالغة وتضخيما للأحاسيس في كثير من أدبه، مع ايثار للسخرية اللاذعة المرة خاصة في خصوماته مع

(٢٨) المصدر نفسه، جـ ٢، ص ٣١.
(٢٩) المساكين، ص ١٤.
(٣٠) مصطفى صادق الرافعي، كاتبا عربياً ومفكراً إسلامياً، بيروت، ط ١، ١٩٧٠، ص ١٧٠.
(٣١) من مقدمة كتاب (المساكين) ص ٣.
(*) كما في (تحت راية القرآن).

طه حسين وسلامة موسى وفى كل موقع يجد نفسه فيه مدافعا عن عقيدة الإسلام أو حرمة اللغة ، أو قداسة التراث الأدبى والعلمى للمسلمين .

ومما أصل أدب الشخصية لدى الرافعى تلك النزعة الماورائية أو الرمزية التى يطل من خلالها على قرائه ، مما يخفف فى جدية أسلوبه وصعوبة الجرى معه خاصة إذا كان القارىء قليل الزاد ، أو عجلان المسيرة . فهو يتحدث علي لسان (دمنة ، على طريقة (ابن المقفع) تارة* وعلى لسان (الباشا) تارة ثانية* ، وعلى لسان الشيخ (على)* تارة ثالثة ،فيجعل أسلوبه قريباً من أدب القص والسرد ، وأن لم يبلغ بهذا السرد مدى يجعله فى عداد القصص أو الرواية ، وتلك طريقة بلغ بها الرافعى القمة فى الاستحواذ على قلوب قرائه آنذاك ، وبوأه منزلة أدبية غير منازعة .

هذا ماانتهى إليه رصدنا للقيم الفنية فى أدب الرافعى ، ويبدو أننا بحاجة قبل ذلك إلى رصد القيم الموضوعية فى هذا الأدب ، وخاصة ونحن بصدد جمع المواد الأولية لاستشفاف نظرية عن الأدب الإسلامى عامة . وهذا ما سنحاول عمله فى فرصة أخرى إن شاء الله

(*) كما فى وحى القلم جـ ٢ .

(*) كما فى المساكين .

غاز الأوزون - بقية

الفجوة (نظراً لأنه فى حالة اتساع فجوة الأوزون من الممكن أن تصل نسبة أكبر من الأشعة فوق البنفسجية إلى سطح الأرض بآثارها الضارة) .

إلا أننى أعتقد أن السبب فى حدوث هذه الفجوة الصغيرة فى طبقة الأوزون فى نصف الكرة الجنوبى وعدم حدوثها فى نصف الكرة الشمالى هو أن نصف الكرة الجنوبى معظمه مغطى بمياه المحيطات ، أما غالبية نصف الكرة الشمالى فيغطيه اليابس وتكثر فيه الأنشطة البشرية بما فيها من صناعات مختلفة وعمليات احتراق هائلة ؛ الأمر الذى يؤدى إلى تصاعد الغازات الصناعية المختلفة ، ونخص بالذكر فى هذا الشأن غاز ثانى أكسيد النيتروجين الذى يتسبب فى تكوين غاز الأوزون فى التروبوسفير السفلى .

أى أن فرصة تكوين غاز الأوزون فى طبقة التروبوسفير السفلى تكون أكثر بكثير فى نصف الكرة الشمالى عنها فى نصف الكرة الجنوبى .

أما فرصة تكوين غاز الأوزون فى طبقة الأوزونوسفير بالطريقة التى سبق ذكرها عند الحديث عن طبقة الأوزونوسفير فتكون متساوية تقريباً فى نصفى الكرة الشمالى والجنوبى .

ومن ناحية أخرى فإنه يحدث انتقال رأسى بين طبقتى التروبوسفير والستراتوسفير وبذلك من الممكن أن تزيد نسبة تواجد غاز الأوزون فى طبقة الستراتوسفير (أو الأوزونوسفير) فى نصف الكرة الشمالى عنها فى نصف الكرة الجنوبى – وهذا يفسر حدوث الفجوة الصغيرة التى حدثت فى طبقة الأوزون فى نصف الكرة الجنوبى وعدم حدوثها فى نصف الكرة الشمالى .

ولكن بالإضافة الى ما سبق ذكره فإنه نتيجة للدورة العامة للرياح فى التروبوسفير والستراتوسفير (سنخصص لها مقالة مستقلة بإذن الله) ، سوف لا تستمر فجوة الأوزون التى كثر الحديث عنها فى الاتساع بل على العكس سوف تضيق حتى تختفى تماما والله تعالى أعلم .

الإسلام
والاتجاهات العلمية المعاصرة

الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ، كتاب قامت الهيئة المصرية العامة للكتاب بنشره ومؤلفه الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل استاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر ، وهو مؤلف على قدر رفيع له مؤلفات اخرى منشورة فى علم الكلام وفى العقيدة والفلسفة الإسلامية وفى التيارات الفكرية وفى التصوف الإسلامي .

يقع الكتاب فى (٢٣٠) صفحة من القطع الكبير ، ويحتوى على مقدمة جيدة وثمانية فصول اكبرها حجماً هو الثانى اما اقلّها فالسابع ، وبقية الفصول متقاربة الأحجام ، واختتم بخلاصة مقتضبة جدا . فى نهاية الكتاب نجد فهارس ، فهرس لأهم الشخصيات العلمية ، فهرس لأهم المراجع والمصادر ، ثم فهرس للموضوعات أو المحتويات . اما اهم الشخصيات العلمية التى ترجم لها المؤلف فهى تسعة عشر شخصية بارزة فى مجالات العلوم المختلفة ، منها أربعة عشر من العلماء المتخصصين فى الفيزياء ، واثنان فى الكيمياء ، وواحد فى علم الحيوان ، وواحد فى الرياضيات ، وواحد فى الفلسفة . واما المراجع ، فأهمها عند المؤلف ثمانية وخمسون ، إلا أنه قد رجع إلى مراجع أشار إليها فى حواشى الصفحات المتتابعة ، وبلغت ستة وعشرين مرجعا ، فتصبح جملة المؤلفات والكتب والدوريات التى رجع إليها مائة وأربعة عشر .

تبرز اهمية هذا الكتاب فى جلال موضوعه ، فهو يردُّ بالحجة والبرهان على ادِّعاء الفكر العلمى أو الإلحادى المعاصر فى أن قوانين العلم التجريبى تُغْنى عن الإيمان بوجود الله سبحانه ، وقد اتخذ المؤلف فى هذا البحث خطة قائمة على (علم الكلام القديم) الذى كانت تحتوى مقدماته على تفهم لمسائل العلم الطبيعى السائدة آنذاك ، فأكسب التحليل أصالة وقوة فى مواجهة تيار الإلحاد المعاصر ، ترشد المؤمن إلى التدين الصحيح .

يوضح المؤلف فى مقدمة الكتاب ان الإلحاد العلمى المعاصر يقوم على اساس وينبنى على قواعد لخصها اوجست كونت فى قوله : (إن الاعتقاد فى ذوات عاقلة او إرادات عليا ، لم يكن إلا تصورا نخفى وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية .. اما الآن وكل المتعلمين من ابناء المدنية الحديثة يعتقدون بان كل الحوادث

تأليف
أ. د. يحيى هاشم حسن فرغلي

عرض وتحليل
د. كارم السيد غنيم

العالمية والظواهر الطبيعية لابد لها من أن تعود إلى سبب طبيعي وانه من المستطاع تعليلها تعليلاً علمياً مبناه العلم الطبيعي .. فلم يبق فراغ يسده الاعتقاد بوجود الله ، ولم يبق من سبب يدفعنا إلى الإيمان به) .

كما اكد المؤلف على ان المذاهب والفلسفات المعاصرة ، وإن تعددت اسماؤها ، فهي كلها «مادية» ، وانها تنبنى على هذا المبنى الذى لخصه اوجست كونت ، ولعل جون سومرفيل يبين هذا في قوله : (إن مجرد تسمية إحدى الفلسفات لنفسها «بالمادية» يعتبر عادة في نطاق حدودنا الثقافية امراً يدعونا إلى النفور منها ، وقفل الابواب دونها ، وان كلمة «مادية» تستخدم في العادة في سياق الاتهام لا من اجل التصنيف فقط) ، ثم يقول : (لهذا فهم يميلون إلى إطلاق اسم «التجريبية» و «الطبيعية» و «الإنسانية» و «الواقعية» ، وما شابه ذلك على فلسفات كان من الادق ان تسمى «مادية») .

والماركسية لم تختص باسم «الفلسفة المادية المعاصرة» إلا لان المفكرين السوفييت يحذون حذو ماركس وإنجلز في مقت اى تحايل لتفادى استخدام كلمة «مادية» ، فاطلقوها في جراة ودون قناع .

أما قواعد الإلحاد العلمي المعاصر فهي ثلاث :

الأولى : الزعم بأن «قوانين الطبيعة» من ناحية و «التطور» من ناحية أخرى يمكن الغنية بهما عن افتراض «وجود الله» وعلمه وإرادته .

الثانية : إنكار كل الغيبيات التى لا يمكن إخضاعها للتجربة .

الثالثة : ادعاء كفاية المنهج العلمي التجريبي والغنية به عن المناهج الأخرى ، تلك التى تستخدمها الفلسفة الميتافيزيقية أو الدِّين .

والمؤلف يستهدف بهذا الكتاب دحض أو إسقاط القاعدة الأولى فقط ، أما القاعدتان الثانية والثالثة فإنه يَعِد بإسقاطهما في كتب أخرى قادمة إن شاء الله . وأما برنامج الكتاب أو محتواه فهو ثمانية فصول ـ كما سبق أن قلناه ـ مرتبة على النحو التالى :

مذهب التطور العقلى ـ مذهب التطور الحيوى ـ مذهب التطور الاجتماعى ـ حتمية القوانين الطبيعية ـ الحتمية لا تلغى الإرادة الإلهية ـ الاستدلال على وجود الله طبقاً لقوانين الفيزياء الحديثة ـ إيمان بعض مشاهير العلماء التجريبيين المعاصرين ـ المنهج البنائى للدين : الضرورة العملية ، حيث بين المؤلف ان الإنسان مُلْجأ إلى الإيمان بالله بحكم الضرورة العلمية ، وبين ايضاً ان هذه الضرورة العلمية هى المدخل الحقيقى إلى الإيمان بالله ، وهى المدخل الحقيقى إلى العلم ، وهى

←

الإسلام والاتجاهات العلمية

الأساس الذى تلتقى عنده الاتجاهات الفكرية البشرية كلها ، وفى النهاية بين المؤلف أن هذا الأساس يُلْجِىء الإنسان إلى موقف التسليم لله .

الفصل الأول كان فى **(مذهب التطور العقلى أو الفكرى)** وكانت جل مادته مناقشة لـ **(قانون الأحوال الثلاث)** يقول المؤلف : يقدِّمُ الإلحاد المعاصر المنهج التجريبى على أنه المنهج الوحيد الصالح للفكر البشرى المعاصر ، ويحاول أن يلبسه ثوباً من الفضائل العلمية والعقلية ، مدعياً أنه - أى هذا المنهج - منبعها الأصيل . وترجع جذور هذه الإدعاءات - فى الغالب - إلى الفلسفة الوضعية عند أوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٧٥م)

يرى أوجست كونت أن الاضطراب العقلى الذى تعانيه الإنسانية مرجعه إلى أن الناس يعتمدون على ثلاث فلسفات متعارضة هى : الفلسفة اللاهوتية ، والفلسفة الميتافيزيقية ، والفلسفة العلمية أو الوضعية .

وأنه قديما سيطرت الفلسفة اللاهوتية بمضمونها الأسطورى الخرافى ، ثم أفسحت مجالاً للفلسفة الميتافيزيقية - وهى وثيقة الصلة بالخرافة - فى حين أن الفلسفة الوضعية لم تتخذ طريقها إلى العقول إلا بعد تقدم العلوم الطبيعية المادية ابتداء من القرن السابع عشر ، ومع ذلك فإن هذه الفلسفة الأخيرة لم تستطع القضاء نهائياً على الرواسب اللاهوتية والميتافيزيقية مما أدى إلى ظاهرة الفوضى العقلية ، وما يترتب عليها من صراع وأخطاء أخلاقية واجتماعية .

ويعتقد أوجست كونت أن النصر سيكون فى آخر الأمر حليف التفكير الوضعى .

عرض المؤلف لمعنى الفلسفة الوضعية عند كونت ، ثم اعتقاده عن أنه منشىء علم الاجتماع وذلك بتقديم ، أو الكشف عن قانون الأحوال الثلاث . أما صيغة هذا القانون فهى : (بناء على طبيعة العقل الإنسانى لابد لكل فرع من فروع معلوماتنا من المرور فى تطوره بثلاث حالات نظرية متتابعة : الحالة اللاهوتية أو الخرافية ، والحالة الميتافيزيقية أو المجردة ، وأخيرا الحالة العلمية أو الوضعية) .

ويرى أوجست كونت أنه متى ثبت هذا القانون فإن علم الطبيعة الاجتماعية لا يظل مجرد فكرة فلسفية ، بل يصبح علماً وضعياً . ومؤلفنا قبل أن يفند تهافت هذا القانون ، أشار إلى أن فلاسفة وعلماء قبل كونت تكهنوا بهذا القانون ومنهم تيرجو ، كوندرسيه ، بيردان . بل حدوث صيغته منذ القرن الثامن عشر ، ومع هذا ينسبه كونت إلى نفسه . وتأتى أهمية التصدى لنقد هذا القانون من استعمال كونت له كمفتاح يفض به مغاليق الإنسانية ممهداً بذلك كخطوة أولى لابد منها لاستنباط مبادئه الأخلاقية ولمباشرة تنظيماته الاجتماعية ، ولقد اعتبره كونت أساسا لعلم الاجتماع ، وفى نقد مؤلفنا له وهدمه له استشهد بآراء علماء وناقش آراء آخرين منهم الأستاذ عباس العقاد ، كلوتيلد دى فو ، د/محمد عبدالله دراز ، هيزنبرج .

امتداداً لتفنيد المؤلف ونقده لهذا القانون ، ينبرى لدحض ادعاء **حداثة المنهج العلمى التجريبى** وهو الطور الثالث أو الحالة الثالثة فى قانون الأحوال الثلاث ، ويقوم بتوجيه سؤال هام يجيب عليه بالنفى - بعد أن جال وصال مع علماء وفلاسفة ، ذلكم السؤال هو :

هل من الصحيح أن التفكير العلمى طَوْرٌ مُحْدَثٌ من أطوار التفكير البشرى بدأت بشائره فى عصر النهضة الأوروبية أو بعده بقليل ، كما

تدعي الفلسفة الوضعية ؟ لا ، بل يكاد يجمع كل من هربرت سبنسر ، هاكسلي ، بيكون ، جيمس كونانت ، على عمومية المنهج التجريبي وأنه ليس خاصا بطور معين من أطوار النضج العقلي ، بل يقررون أن التفكير التجريبي يبدأ مع الطفل الوليد والرجل البدائي .

يعرض المؤلف للسقطات التي وقع فيها إسماعيل مظهر في هذه المسألة وما جرى بينه وبين الشيخ أمين الخولي ومصطفى الشهابي والأستاذ العقاد والدكتور دراز . ثم يخلص إلى ما خلص إليه من قبل د/ دراز إذ يقول :

(الواقع أن الحالات الثلاث التي يصورها كونت ، لا تمثل أدواراً تاريخية متعاقبة ، بل تصور نزعات وتيارات متعاصرة في كل الشعوب ، وليست كلها دائما على درجة واحدة من الازدهار أو الخمول في شعب ما ، ولكنها تتقلب بها الأقدار بين بؤس ونعمى ونحوس وسعود ، بل نقول : إن هذه النزعات الثلاث متعاصرة متجاورة في نفس كل فرد ، وأن لها وظائف يكمل بعضها بعضاً في إقامة الحياة الإنسانية على وجهها ، ولكل واحدة منها مجال يوائمها ..) .

(مذهب التطور الحيوي) ، كان موضوع الفصل الثاني في هذا الكتاب القيم ، بدأه صاحبه بإعطاء القارىء لمحة عن الجذور القديمة لهذا المذهب ، حيث يقول : توجد البدايات الأولى لفكرة التطور الحيوي في كتابات بعض الفلاسفة الأغريق خصوصا أرسطو (٣٨٤ - ٣١٢ ق . م) الذي اعتقد أن الكائنات الحية قد ارتقت من أنواع بسيطة إلى أنواع معقدة يُعْتَبَرُ الإنسان ذروتها . ولكن هذه الفكرة لم يكن لها حظ الشيوع لاختلافها مع فكرة الخلق الخاص التي جاءت بها الأديان .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن بعض مفكري الإسلام قالوا بتطور الأنواع قبل داروين بقرون ، من هؤلاء الإمام (الحسن البصري) فيما رواه عنه الرازي في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ ، وابن مسكويه ، وإخوان الصفا ، والعلامة البلخي ، وابن خلدون فيما جاء عنه في مقدمته (اتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان .. صاحب الرؤية والفكر ، ترتفع إليه من عالم القدرة .. وكان ذلك أول أفق من الإنسان) وفي القرن الثامن عشر بعث الفكر الأوروبي الأفكار اليونانية القديمة القائلة بأن الأجناس الحية الحاضرة هي ثمرة عملية طويلة من النمو ، في ذلك الوقت كانت النظرة المقبولة هي نظرة العالم السويدي «لينيوس» القائل : (إننا نقر وجود أنواع بعدد الأزواج التي خرجت من يدي الخالق ، وأن الأنواع بقيت ثابتة منذ خلقها الذي جاء وصفه في سفر التكوين ، والتغير الوحيد الذي وقع هو زيادة أعدادها لا تغير أصنافها) ، وأنه ليس هنالك من جنس جديد .. تلك نظرية لاءمت العالم النيوتوني كل الملاءمة ، لكن هذه النظرية كانت تتعرض لهجمات من جهات عديدة ، فالعلماء الطبيعيون كـ (بوفون وايرازموس ودارزموس وداروين - جد شارلز داروين - وجوفروا سانت هيلير ، خصم كوفييه ، أحد الآخذين بموقف لينيوس ، والشعراء الرومانتيكيون والفلاسفة ، أمثال (جوته) و (أوكن) و (شيلينغ) ، حاولوا جميعا أن يصوغوا فكرة التطور بأشكال مختلفة ، وكان أكبرهم جميعا (لامارك) صديق (بوفون) .

بعد أن عرض المؤلف لبعض آراء بوفون (١٧٠٧ - ١٧٨٨ م) وما له وما عليه في هذه المسألة وتقديم سؤال بوفون نفسه الذي تركه دون جواب شاف له وهو : ما هي الطبيعة ؟ ، انتقل إلى عرض (نظرية التطور) عند لامارك -

←

ذلك العالم الفرنسى فى علم النبات وعلم الحيوان (١٧٤٤ - ١٨٢٩ م) - وقد استكمل وضع نظريته فى التطور فى كتابه «فلسفة علم الحيوان» عام ١٨٠٩ م اما نظرية لاماراك فى التطور فتتلخص فى :

ان البيئة تؤثر فى شكل الحيوانات وتركيب اعضائها ، وان الاستعمال المتكرر او المستمر لاى عضو يزيد فى حجمه ، فى حين يؤدى عدم الاستعمال إلى ضعفه وصغر حجمه حتى يختفى ، وان الصفات المكتسبة التى تتكون على هذا النحو تنتقل إلى الأجيال بالتوارث ، وان هذه الصفات تتكاثر بمرور الزمن ، إلى ان تحدث نوعاً جديداً من الحيوانات .

قام مؤلفنا بالنقد العلمى لهذه النظرية ثم عرج على «داروين» ، فقدمه من لحظة المولد (١٢/٢/١٨٠٩ م) حتى عودته من رحلته التى قام بها فى بعثة علمية على ظهر سفينة الأبحاث «بيجل» حيث اتجهت إلى الأرخبيل الهندى للقيام ببعض الأبحاث العلمية .. ثم اعانته الحكومة على نشر كتابه الأول (فى أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعى أو بقاء الأجناس فى صراع الحياة) فى عام ١٨٥٩ م ، ثم إصدار كتابه الهام الثانى بعنوان (أصل الحياة) فى عام ١٨٧١ م وقد توفى داروين فى ١٩/٤/١٨٨٢ م .

العناصر الأساسية لنظرية التطور عند داروين هى :

- الانتخاب المقصود .
- الانتخاب الطبيعى .
- الصراع على البقاء .

قدم المؤلف آراء (داروين) وتلامذته لبيان الإطار العام لكل من هذه العناصر التى تقوم عليها النظرية ، وانتهى إلى رأى داروين فى أصل الإنسان (فى كتاب «أصل الأنواع») حيث ترك هذه المسألة معلقة إلا أنه عاد فرأى عدم وجوب استثناء الإنسان من قانون التطور ، وهو يصرح بهذا أيضاً فى كتابه (تسلسل الإنسان) .

بعد ذلك عرض المؤلف الأدلة التى تستمد نظرية التطور الداروينى إطارها العام منها ، وهى عدة علوم منها : علم التشريح المقارن - علم الأجنة - علم التقسيم - علم الحفريات . وبالنسبة لأدلتهم المستمدة من علم الحفريات ، فإنها تأتى من السجل المرتب للحفريات الذى استطاع العلماء وضعه ، وهو يدل فى نظر التطوريين على وجود تعاقب يبدأ من كائنات بسيطة للغاية إلى كائنات اكثر تعقيداً وتخصصاً ، كما ان هذه الحفريات تقدم لنظرية التطور دليلاً جديداً إذ تُظْهِر (الحلقات الموصلة) بين الأنواع والتى لا توجد فى حيواناتنا الحالية . ويتضمن سجل الحفريات عند تطور الجنس البشرى فى زعم التطوريين مجموعة من الأشكال اقتربت من هيئة الإنسان الحالى :

أولا : إنسان جنوب أفريقيا الشبيه بالقرد ، وهو أول نوع مشابه للإنسان .
ثانيا : الإنسان الجاوى .
ثالثا : إنسان بكين .
رابعا : إنسان هايدلبرج - بألمانيا .
خامسا : إنسان نياندرثال - بألمانيا أيضاً .
سادسا : إنسان كرومانيون - بفرنسا .
سابعا : الإنسان الحديث أو الإنسان العاقل ، وقد بدأ ظهوره منذ حوالى (١٢٠٠٠) سنة فقط .

من خير ما انشر

إعــداد
عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجة

هجمة التجريح .. إلى متى .؟

كيف يمكن أن نحمى شبابنا من تقليد ألفاظ التجريح والقذف ، التى تهز أسماعهم من خلال بعض البرامج والمسرحيات الإذاعية ، وكذلك المسلسلات التليفزيونية ؟

كيف يمكن أن نحميهم من التعليقات الهابطة والعبارات الجارحة أو الفاضحة التى تكتب تحت الرسوم (الكاريكاتورية) فى المجلات والصحف اليومية .

إن أخطر شىء على هذا الجيل هى هجمة الألفاظ النابية والعبارات الهابطة التى تتحول عندهم إلى لهجة دارجة تشوه سحر لغتهم العربية ، وهى بين لغات العالم ستظل محتفظة بسحر إيقاعها ، حتى ولو تغلبت عليها العامية .

أيها السادة لا تنزعوا إلى عبارات السب والقذف ، فهى ليست وسيلة إقناع ، وليست مظهر شجاعة ، بل إنها وباء ينتشر بين أبناء جيلنا الراهن ، ونحن أحوج ما نحتاج إليه شفافا نقيا للنهوض بأمته ومجابهة مختلف التحديات التى تهددها .

كلمــات

للأستاذ / محمود عبد المنعم مراد

ما الجديد الذى مهد التربة لكى تنتشر هذه الموجه ؟

الجديد فى رأينا هو الأزمة الاقتصادية ، ومن أهم مظاهرها أزمة الإسكان بوجه خاص . ثم سبب سياسى ، أراد أن يستغل الاقتصاد فى الإخلال بالأمن والاستقرار ولهذا ، فإن حل المشكلة بالرصاص أو بالنقاش والحوار ، لا يفيد كثيرا ، إنما يكون الحل بإصلاح الأحوال . ولو أن الأمر يتطلب جهدا ووقتا كبيرين .

←

من خير ما نشر

نحـو الغـد

للأستاذ / حسين فهمى

شاركت فى الحلقة الإقليمية الافريقية ، وندوة المنظمات غير الحكومية بشأن فلسطين التى عقدت فى القاهرة .

وقد تتابع المتحدثون فى إدانة إسرائيل ، كما اعتبروا الحوار الأمريكى الفلسطينى المنتظر خطوة صحيحة وإيجابية ، ولكن الكثيرين من المتحدثين حذروا مما قد تلجأ إليه إسرائيل لتخريبها .. فبينما الندوة منعقدة فى القاهرة ، تتوالى التصريحات الإسرائيلية برفض الحوار .

كما حذر كثير من المتحدثين من ان تتخذ واشنطن من الحوارَ الأمريكى سبيلاً إلى ممارسة الضغط على زعيم منظمة التحرير لابتزاز التنازلات .

ولكن مندوب المنظمة فى الاجتماع عبر بشكل حاسم عن تمسك المنظمة بمواقفها السلمية وحقوقها الوطنية .

ولقد ترددت كلمة الانتفاضة « بالعربية » على السنة المتحدثين فدخلت القاموس السياسى المعاصر ، واعتبرها الجميع حركة تحرر وطنى مشروعة . وبات محققا الآن أن الدولة الفلسطينية ستحتل مكانها فى المجتمع الدولى إن عاجلاً أو آجلاً ... وإن غدا لناظره قريب .

متحذلقـات

للأستاذ / جمال بدوى

تعتزم الحكومة إغراء المرأة العاملة بترك الخدمة بعد أن تبلغ سن الخمسين مقابل مكافأة توازى مجموع مرتب خمس سنوات ، كما يتضمن التعديل فى قانون العاملين بالدولة منح المرأة العاملة أجازة بدون مرتب لرعاية أطفالها بحد أقصى ست سنوات متفرقة .

هذه مؤشرات هدفها تشجيع المرأة على الاهتمام برسالتها المقدسة فى تربية الأولاد ورعاية البيت والاهتمام بزوجها ... وأعرف أن هـذه الإجراءات تثير ثـائـرة السيـدات (المتحذلقات) اللاتى يعتبرن أى كلام فى هذا المجال تخلفا ورجعية وعودة بالمرأة إلى عصر الحريم . والمتحذلقات اللاتى يـرددن هذه الشعارات لا يعرفن ماذا يجرى للمرأة العاملة عندما تخرج إلى عملها وكيف تتعرض لأبشع ما يتعرض له إنسان .

والقروش القليلة التى تعود بها المرأة العاملة لم تعد تكفى نفقات الملابس والانتقال .

(بروسترويكا) مصرية

د . محمد احمد ضرغام :

يتطور العالم سياسيا واقتصاديا بصورة ملحوظة وقد سبقت روسيا بقيادة جورباتشوف إلى إحداث تطور هائل فى نظمها السياسية والاجتماعية لتفتح على شعبهانوافذ جديدة من الأمل وراحة النفس وحرية الفكر ضاربة عرض

الحائط (بشيوعيتها) البغيضة التى جرت على الشعب الروسى الاكتئاب والتخلف السياسى والاجتماعى . فقد وجدت (البروسترويكا) الروسية ـ ومعناها (إعادة البناء) ـ صدى طيبا لدى كل شعوب .. ولعل الذين يعتنقون الشيوعية فى مصر يتراجعون عن التمسك بذيولها بعد أن نبذها أهلها ، حتى لا يصيروا ملكيين أكثر من الملك .

ما أشد حاجتنا إلى بروسترويكا مصرية لنعيد بناء المجتمع على أساس جديد يتمشى مع المتغيرات السياسية والفكرية والاقتصادية التى طرأت على مجتمعنا الذى أنهكته التطبيقات الاشتراكية المزعومة .

نقطة البداية

بداية أى إصلاح هى الصراحة .. والاعتراف بالخطأ .. والتوقف عن ارتكابه .. وبدء سلسلة من الإصلاحات التى تقود أخيرا إلى الهدف . يجب أن نعترف أن ترسانة القوانين التى تشل الإنتاج أو تعرقل مساره فى أبسط الأحوال كان لها أثر فى الأزمة التى نواجهها . يجب أن نعترف أن الادارة ببطئها وجمودها وتعقيدها كانت سببا فى تعثر الإنتاج وقلته .

يجب أن نعترف أن السياسة فى بلدنا لاتخدم الاقتصاد ، وإنما يعمل الاقتصاد خادما للسياسة ، وجزء ضخم من مشاكلنا يرجع لهذا السبب .

لو اعترفنا بهذا كله فسوف يسهل علينا الإصلاح والتغيير .. إن الحرية التى نحلم بزيادتها فى مجال السياسة مطلوبة أيضا بنفس الزيادة فى مجال الاقتصاد .

أمريكا الأولى فى عدد الاغتيالات

ضربت أمريكا رقما قياسيا جديدا فى عدد الاغتيالات خلال الشهور العشرة الأولى من عام ٨٨ حيث قتل ٢٨٨ شخصا أغلبهم من ضحايا العنف الناتج عن تعاطى المخدرات .

أنباء وآراء

● عاد إلى القاهرة مساء الأحد ١٤ من جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٤ من يناير ١٩٨٩ م فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قادماً من المملكة العربية السعودية حيث حضر فضيلته اجتماعات الدورة الثانية عشرة للجنة اختيار الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام وذلك تلبية للدعوة التى وجهها رئيس الهيئة إلى فضيلته للمشاركة فى أعمال لجنة جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٠٩ هـ .

●●●

● فاز فضيلة الشيخ محمد الغزالى بجائزة الملك فيصل الإسلامية لعام ١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٨ م .

أعلن هذا الفوز خلال لجنة تشكلت برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر وضمت فى عضويتها الدكتور عبد الله عمر نصيف أمين عام رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ولفيف من قادة الفكر الإسلامى والدعوة الإسلامية فى العالم .

تنظم نقابة المهن التعليمية يوم ٤ من رجب ١٤٠٩ الموافق ١٠ فبراير ١٩٨٩ مسابقة فى حفظ القرآن الكريم بين المعلمين بدار النقابة بالجزيرة ، وسوف يتم تكريم الفائزين فى احتفال النقابة بعيد المعلم فى ٢٦ من رجب ١٤٠٩ هـ .

● تطبيق فريضة الزكاة بالسودان

أجاز مجلس الوزراء السودانى مشروع قانون تطبيق فريضة الزكاة فى السودان ، وذلك بموافقة معظم الوزراء السودانيين .

وأشارت المذكرة المصاحبة لمشروع القانون بأنه يجىء تمكيناً للدولة من الحفاظ على شعيرة الزكاة إحدى الفرائض الإسلامية الأساسية .

●●●

اوضحت دراسة حديثة نشر عنها صباح الجمعة ٢٧ من جمادى الأولى ١٤٠٩ ـ ٦/١/١٩٨٩ ـ أجرتها كلية الطب بجامعة بوسطن الأمريكية أن السيدات اللاتى يتعاطين حبوب منع الحمل يواجهن ضِعْف احتمالات الإصابة بسرطان الثدى وترتفع نسبة الاحتمال إلى أربعة أضعافها فى حالة تعاطى الحبوب بشكل متصل .

●●●

● تصحيح المفاهيم عن الاسلام

عقد الاتحاد الإسلامى للطلاب بفرانكفورت بألمانيا الغربية مؤتمراً استمر ثلاثة أيام ناقش خلالها مشاكل الطلاب المسلمين الدارسين هناك .

د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ عبد المنعم فوده

شارك فى المؤتمر عدد من ممثلى سفارات الدول العربية والإسلامية ، وبعض ممثلى الأحزاب الألمانية ووزارة التعليم الألمانية والاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية . كما حضره طلاب يمثلون خمس عشرة دولة ، طالب المشتركون فى المؤتمر بضرورة متابعة ما يصدر عن الإعلام الألمانى حول الإسلام والمسلمين بتصحيح مفاهيم الإسلام فى أذهان الشعب الألمانى .

•••

● مركز جديد لدراسات العالم الاسلامى

قررت ندوة الدين الإسلامى والتحدى الحضارى التى عقدت فى « فاليتا » عاصمة مالطا . إنشاء مركز لدراسات العالم الإسلامى يهتم ببحوث ودراسات استراتيجية وعلمية وإعلامية عن العالم الإسلامى فى شتى المجالات .

وأشار البيان الذى أصدرته الندوة بإنشاء المركز إلى أن القضايا « الإستراتيجية » والقانونية ستكون من محاور اهتمام المركز فى مجال الدراسات الإسلامية . تشمل هذه القضايا مسائل الحدود السياسية ، وعلاقات الدول الإسلامية بالدول المجاورة ، وعلاقات العالم الإسلامى الدولية ، وكذلك الثغور الإسلامية والمناطق والبحار والمياه الإسلامية المعتدى على سيادتها .

•••

● وافق مجلس بلدية مدينة (برنت) البريطانية شمال لندن على توسعة أول مدرسة إسلامية تعمل بنظام الوقت الكامل والتى تولى تأسيسها أحد الدعاة الإسلاميين .

وهذه المدرسة من المدارس المتفوقة بمنهجها ومستواها الدراسى طبقا لتقارير الحكومة البريطانية .

والجدير بالذكر أنه يوجد ٨٠٠ مدرسة دينية نصرانية خاصة و ٤٠ مدرسة يهودية تتلقى الدعم من الحكومة البريطانية .

•••

● أذاعت لندن بنشرتها الإخبارية فى ١٩٨٩/١/٢٨ الخبر التالى :

قامت مظاهرات قوية ـ فى العاصمة لندن ضد كتاب « آيات شيطانية » قال المتظاهرون : إن ما جاء به كفر وتجريح لمشاعر المسلمين .

وقد قامت مظاهرات مماثلة بالعاصمة أيضا لنفس السبب قبل ذلك ، وفى يناير أيضا .

الكتاب وضعه هندى بريطانى قصدا لتشويه أسس إسلامية أولية .

•••

● تكثيف جهود الاعلام لنشر الدعوة الاسلامية

دعا أحمد الديدات إلى ضرورة تكثيف العمل الإعلامى لنشر الدعوة الإسلامية فى كل مكان بالعالم . وقال : إن الإعلام يمثل ركيزة أساسية للتعريف بالدين الإسلامى وحضارته ومبادئه ، وطالب بضرورة الإنفاق فى مجال خدمة الدعوة الإسلامية ، وشراء محطات تليفزيونية لتبث

←

البرامج عبر الأقمار الصناعية لنشر مبادىء الإسلام مع تكثيف الجهود لنشر الدعوة فى افريقيا وأمريكا وجميع دول آسيا إلى جانب مساعدة الأقليات الإسلامية فى العالم .

• • •

● مشاكل الأقليات الاسلامية

اعلن الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى بالسعودية أن المنظمة تعد حالياً « استراتيجية » جديدة تتصدى للمشاكل التى تواجه الإقليات . وقال : إنه تم تشكيل لجنة خاصة لإعداد هذه « الاستراتيجية » : وأن مهمة هذه اللجنة متابعة وضع المسلمين فى بلغاريا والفلبين والهند وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتى ويوغسلافيا . بالإضافة إلى الاتصالات التى تجرى مع الأقليات الأخرى المنتشرة فى العالم غير الإسلامى ، والتى تتم مساعدتها عن طريق صندوق التضامن الإسلامى أو عن طريق صندوق خاص فى البنك الإسلامى .

• • •

● معهد دولى إسلامى بـ « واشنطون »

تم افتتاح « المعهد الدولى للعلوم والتكنولوجيا الإسلامية » فى العاصمة الأمريكية واشنطن فى بداية هذا العام ، ويهدف هذا المركز إلى تشجيع وتنمية العلوم فى البلاد الإسلامية ، وذلك بالتركيز على ثلاثة مجالات رئيسية مع تطبيقاتها وهى الفلسفة الإسلامية ، وعلم الاجتماع ، وتاريخ العلوم والتكنولوجيا فى الإسلام .

• • •

● حصر المخطوطات الاسلامية بفلسطين

اعلن عميد كلية الدعوة الإسلامية بمدينة القدس أنه يجرى حصر جميع المخطوطات الإسلامية فى المسجد الأقصى المبارك . وقال : إن المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية فى الأردن أصدر كتابا يتضمن أسماء هذه المخطوطات ، والمخطوطات الأخرى المحفوظة بمكتبة الحرم الإبراهيمى فى الخليل ، كما أصدر المجمع الملكى كتاباً آخر يتضمن أسماء المخطوطات الموجودة فى المكتبة المحمدية فى (عكا) ، والذى أعده الدكتور محمد عطا الله الأستاذ بجامعة النجاح بنابلس .

• • •

● عقار للشيخوخة يعالج سرطان الجلد

اكتشف فريق من الأطباء الأمريكيين فاعلية عقار (تريتينوين) الذى يستخدم فى إزالة تجاعيد البشرة الناجمة عن الشيخوخة ، فى الحماية من الإصابة بسرطان الجلد ، اثبتت التجارب أن هذا العقار يخفض عدد وحجم البؤر الجلدية التالفة والتى قد يؤدى تفاقمها إلى الإصابة بسرطان الجلد .

• • •

● صابون ضد البلهارسيا

توصلت باحثة سعودية تعد رسالة الدكتوراه فى علم المناعة بجامعة جورج واشنطن الأمريكية إلى إنتاج نوع من الصابون يحمى الإنسان من الإصابة بالبلهارسيا المنتشرة فى عدد كبير من دول العالم الثالث . والصابون الجديد يوضع على الجسم ولا يزول بالماء ، ويكون طبقة عازلة تمنع ميكروب البلهارسيا من اختراق الجسم ، وقد اثبتت التجارب التى أجريت على الصابون الطبى فعاليته .

فهـــرس العـــــدد

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية « قصة الإيلاف »	
د . على أحمد الخطيب	٧٥٣
تعقيب	
للشيخ جاد الحق على جاد الحق	٧٥٨
دراسات قرآنية « فى وصف المؤمنين »	
أ . د . محمد عبد المنعم القيعى	٧٦٤
فى رياض السنة النبوية المطهرة « كفوا ألسنتكم عن أمة لا إله إلا الله »	
د . رءوف شلبى	٧٦٧
القيم الدينية للمقدسات الإسلامية	
أ . د . عبد الفتاح بركة	٧٧٥
مكانة بيت المقدس	
أ . محمد صابر البرديس	٧٨١
فى ذكرى الإسراء	
عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٧٨٤
من أسلوب المعاهدات فى القرآن الكريم	
د . عبد الحليم حفنى	٧٨٩
من حديث الإسلام فى جنوب إفريقية	
د . عبد الجليل شلبى	٧٩٨
الفتاوى	
أ . على حامد عبد الرحيم	٨٠١
من اعلام الأزهر	
للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٨٠٤

الشعر والشعراء

اشراف د . حسن جاد

الموضوع	الصفحة
بليلة الإسراء	
للشاعر مصطفى احمد دردير	٨٠٨
تجلى الذى لا ينام	
للشاعر عبد الوهاب الشامى	٨٠٩
فى ذكرى الإسراء	
محمد على جمعة	٨١٠

العلوم الكونية

الموضوع	الصفحة
البرق والرعد	
أ . د احمد فؤاد باشا	٨١٢
غاز الاوزون	
د . ربيع سيد القولى	٨١٧
طرائف ومواقف	
أ . عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٨٢٠
من روائع الماضى	
تقديم عبد الفتاح حسين الزيات	٨٢٢

اللغة والأدب والنقد

الموضوع	الصفحة
من ملامح المنهج العلمى	
د . محمد السيد عطية	٨٢٨
السمات العامة لأسلوب الرافعى	
د . شلتاغ عبود شراد	٨٣٤
الإسلام والاتجاهات العلمية	
عرض كارم السيد غنيم	٨٤٠
من خير ما نشر	
اعداد عبد الفتاح السيد عبد السلام	
عادل رفاعى خفاجة	٨٤٥
ابناء واراء	
اعداد د . احمد عبد الرحيم السايح	
عبد المنعم فودة	٨٤٨

القسم الانجليزى

اشراف د . أنس مصطفى النجار

الموضوع	الصفحة
المقالة الثانية	
أ . عبد الحكيم احمد طه	٨٥٦
المقالة الاولى	
د . انس مصطفى النجار	٨٦٢

institutions have recently become involved in the function of the administration of the Zakah. In countries where Muslims are the minority group, each Muslim should be responsible for the expenditure of his own Zakah after making a precise estimate of its amount. Mosques in non-Muslim States are the responsibility of the Muslim community and their building, maintenance and running expenses may be obtained from the funds of Zakah. This is based on the understanding that the activities and functions of the Mosque aim at promoting the interests of Islam, inspire good will towards its adherents and sustain the faith of fresh converts. In an Islamic State, however, Mosques do not usually fall under the categories of Zakah. It is very important from the "Shariah" (Islamic Law) point of view that the Zakah funds should be estimated according to the specified system and values, no more and no less. It is also mandatory that the Zakah funds should be spend in the exact channels of expenditure as decreed by Allah in the Holy Quran.

Besides the duty of Zakah, the Muslim is strongly encouraged to extend charity to those who need it. This charity outside the Zakah is not a duty. It is therefore called "Sadaqah" which is an act of altruism and philanthropy. It never substitutes Zakah, and it is not a pillar of Islam, whereas Zakah is a decree from Allah, and therefore must be done according to the law governing it. Sadaqah is very highly recommended and urged in the Holy Quran. It is a manner of spending at will, little or much without any defined limit as in the case of Zakah. It is benevolence and charity for individual or community welfare.Allah will reward greatly for such an act of "Sadaqah". In the Holy Quran it is stated: "The parable of those who spend their wealth in the way of Allah, is that of a grain of corn, it grows into seven ears, in each ear there are a hundred grains; and Allah grants manifold increases to whom He pleases, and Allah is All-Embracing, All-knowing" (Surat Al-Baqara, II, 261).

The institution of Zakah as a Divine Decree specified in the Holy Quran is the third Pillar of Islam. It is an intricate complex matter to people whose financial activities involve various spheres; or a particular specialized trade. In such situations, more advanced treatises on Zakah should be consulted, or someone with definite knowledge on the subject.

The financial system of Zakah has been studied in detail as compared to other current non-Muslim systems of economics, finances, banking, and benovelent social economic institutions. Islam absolutely rejects usury and therefore refutes the current banking and economic systems that are adopted nowadays all over the world.It is the duty of Islamic Nations to establish a firm economic and banking system based on Islamic Principles that should be independent of non-muslim systems.

discussed under the subject of the channels of expenditure of the Zakah funds and finances. This subject is specifically particularized in a distinct Quranic text. "Alms are (to be given) to the poor, and the needy, and those employed to administer (the funds); and for those whose hearts have been (recently) reconciled (to the Truth), and for those in bondage, and those in debt, and for those (engaged in any way) in the cause of Allah, and for the wayfarer. Thus, it is ordained by Allah. And Allah is All-Knowing, All-Wise. (Surat Al-Tawbah, IX, 60).

According to this Quranic decree, there are eight categories of individuals that are eligible and qualified to receive from the Zakah funds. These are the following:

1) Those whose income is too poor to meet their needs of life
2) Those who have some income but it is not sufficient to cover all their needs.
3) Those employed in the service of Zakah, and the genuine expenses of administering Zakah are properly chargeable to the Zakah funds.
4) Those who are reconciled to Islam. These may be persecuted by their former associates and require assistance until they establish firm resources of living.
5) Those in bondage, literally and figuratively; captives of war must be redeemed, slaves should be helped to freedom. Those in bandage of ignorance or superstition or adverse unfavourable environment should be helped to freedom to develop their own mental faculty.
6) Those who are held in the grip of debt should be helped to economic freedom.
7) Those who are engaged in the defence of the Faith; struggling and striving in the cause of Allah. This is achieved by teaching, fighting, or committed in any manner approved by a righteous Imam. Such individuals become unable to earn their ordinary living, and should therefore be supported from the Zakah funds.
8) The strangers who become stranded in places away from their normal habitat, are eligible to be supported from the Zakah funds.

In the older days, the Zakah was collected and administered by a certain responsible body of people under the jurisdication and the supervision of the state. The expenditure of the Zakah funds was appropriately channeled by this administration into the qualified eligible channels acording to the Quranic decree, to the recipients in any locaity of the country. In recent times, this does not precisely take place even in Islamic countries. The Zakah funds are spent by each individual on his personal responsibility according to the Quranic decree, and no collective funds are gathered, and no specific administrative body under State control exists. However, in some Islamic countries, several religious societies have become responsible to undertake the voluntary unpaid administration of collection and expenditure of Zakah funds. Some banking

balance on the single individual scale, and on a community and national scale. This financial and cultural balance preserves and conserves human self-dignity and human rights. The establishment of such foundations in a society results into social cohesion and pyshcological sence of social security, and social belonging. Another functional effectiveness of "Zakah" is the perpetual establishment of a budgetary foundation of the Islamic administration of State. The resources of the "Zakah" are not only spent to provide support for the poor sector of the population; it is also used for expenditure in all purposes of civil, military, educational, health, emergency and population consumption. The calculation of the Zakah is equivalent to 2.5 percent on the annual national capital values and not only on the national annual gains. It is therefore considered as the highest rate of internal revenue a country can collect; much more so than the taxation system adopted by several countries. It is also more justified and precise.

The Zakah as an act is essentialy performed on the part of the Muslim individual as a voluntary action originating from his faith. It is an implementation of the decree of Allah by an individual when all conditions are justified. The act of Zakah is conditioned by three general requirement. The individual must be a Muslim, and no Zakah is expected or accepted from a non-Muslim. The complete possession of the wealth, that should be existing on demand. Wealth included in absent or abstract trade assets is not subject to "Zakah", until this wealth becomes present and exists on demand. The last requirement of "Zakah" is that its obligation applies only when the amount or value of money or property reaches a minimal measure called the "Nisaab" which is specific for each type of property.

The duty of Zakah applies to five main categories of property. These are: (1) Naqd which is gold, silver, and money in any form of existence. (2) Merchandise which are items of any kind held for the purpose of trade. (3) Cattle as cows, oxen, sheep, camels, or the like, used for the purpose of professional breeding. (4) Minerals extracted from the ground. (5) Crops gathered from tilled fields. The Nisaab for gold, silver, money, merchandise, minerals is the equivalence of 90 grams of gold. In case of cattle, the Nisaab is 30 cows, 40 sheep, or 5 camels. The obligations of the duty of Zakah only applies when the dutiable amount has remained in the possession of the owner for one full lunar year. The exact amount of Zakah for money, gold, and silver that has reached the Nissab, is 2.5 percent of the amount that has been in the possession of the owner or present on demand for one whole lunar year.

A very important aspect on the subject of Zakah deals with the recepients of the Zakah money. This is generally

manner that misses the reality of the meaning of "Zakah". The true meaning of "Zakah" as the third pillar of Islam, is the commitment of the Muslim to calculate and give out, what is understood and conceived to be the right of Allah (Haqq Allah). This right of property and belonging to Allah is calcualted annually according to certain prescribed teachings; and given with gratuity and grace to specific channels of expenditure.

The practice of this collective Islamic function will result ultimately into growth, purity, and goodness of individual property; because that individual has in honesty and candidness calculatd the "Zakah" that is due upon his complete monetary assets and property. The superficial look upon the practice of "Zakah" makes one think that "Zakah" lessens the individual property; this is a false illusary understanding. The decrease appears in the material count; but the reality and increase is in the blessing, purity, goodness attached and qualified to the rest of the property by the grace of Allah , by fulfilling the "Right of Allah" Haqq Allah.

The teachings of the doctrines of the Holy Quran emphasize the fact that the Zakah is the "Right of Allah" in every person's wealth. This is to be given out according to specific Divine system of collection and expenditure. This understanding motivates wealthy people to give out the Zakah willingly; and allows the poor members of the population to receive their share without loss of dignity or self respect, and preserve their pride. The Zakah is essentially their right appearing under the profound name the "Right of Allah". Zakah is therefore not a charity or benevolance, it is Haqq Allah that must be taken from the affluent rich to be given to those in need. The basic concept in the faith of every Muslim is that every human is poor and needy to Allah, and that all wealth is granted by Allah , and is in reality the property of Allah granted to the individual. Allah prescribed the Zakah as a mandatory Islamic socio-economic system for several good purposes, some of which the human mind has realized, and others remain still obscure beyond our recognition. Several social advantages can be achieved in the practice of "Zakah". Capital money must be invested and utilized in development, industrialisation work and production. If it remains stagnant without utilization, it will gradually decrease because the "Zakah" will annually depreciate the value of the capial money. There is no way for capital money, except either to invest, develop; or die. Another advantage of "Zakah" is the establishment of a social equilibrium between the various sectors of the population. This equilibrium constitutes both financial and cultural

THE PILLARS OF ISLAM

THE ZAKAH

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakah), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXX1, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)

The origin of the word "Zakah" in the syntax of the Arabic Language means growth, purity and goodness. In the context of Islamic doctrines and jurisprudence, "Zakah" means the payment of a certain amount of money according to very specific regulatory optimizations. This money is given by the Muslim, to be spent in very special specified channels. The word "Zakah" is usually poorly translated into English in a

→

Revelation; and a unified spelling and diction as originally dictated by the Prophet. Once that was finally completed; Osman ibn Affan ordered everything else related to scripts as writings of the Holy Quran to be burnt. This last text was the Master Text of the Holy Quran, the [MÚSHAF-AL-IMAM]. The reference text for all other scripts and prints of the Holy Quran from the time of Osman ibn Affan to our present times. The only addition was the introduction of the styles of writting and calligraphy, and the dotting and punctuation; in order to facilitate reading and grammatical precision. This was done by Abu Al-Aswad Al-Douali; Nasr ibn Assem Al-Laythii, Yehia ibn Yamre Al-Adwani Khalil ibn Ahmed, and Mohammad ibn Sireen. These learned men were eminent authorities in Quranic Sciences, and were characterized by true piety, extreme honesty and meticulousness.

It is well accepted by historians and chroniclers that compilation of the Holy Revelation ranks among the most eminent and outstanding features that characterize the reign of Abu Bakre Al-Siddiq. It is certainly the most blessed accomplishment for Islam and Muslims. The wars against the apostates, the victorious crusades into Iraq and Syria, each was enough achievement in itself to class Abu Bakre as a unique ruler of supreme distinction. Abu Bakre during his short term in office as "Khalifah" of Rassul Allah, having achieved victory against the apostates, put down the foundation for extensive propagation of the Islamic faith through the Islamization of other territories outside the Arab Peninsula; and by the compilation of the Holly Quran, earns the grandeur and eminence. May Allah have mercy and grace on Abu Bakre, he was certainly from the righteous.

unified text "Mushaf" during the reign of Abu Bakre. The completed text remained in the custody of Abu Bakre till his death, then in the custody of Omar ibn Al-Khattab till his death. The manuscript was then in safekeeping with Hafsah bint Omar, the widow of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). In the reign of Osman ibn Affan, the manuscript of the Holy Revelation was taken from Hafsah, in order to use this original text as original reference to the second calligraphic script of the Holy Quran.

During the reign of Osman ibn Affan, Muslim territorial expansions were very great, and Muslim worriors and companions of the Prophet spread into distant lands. The Muslim Arabs became mixed with other Muslims of non-Arab descent. Even among the Muslim Arabs themselves, various dialects of diction prevailed among the various tribes. This extensive spectrum in the knowledge of the Arabic language and the difference in dialect between the various Arab tribes created a condition of pronounced dispute and difference in the exact and correct reading of the Holy Quran. In one of the far distant territories in Armenia, Muslims from Syria disputed with Muslims from Iraq over the proper diction and pronounciation of a certain verse from the Holy Quran. Similar incidents occured in other parts of th Muslim world, and at Al-Madinah between Muslim of different tribal origins. Osman ibn Affan as the man in authority at Al-Madinah at the time, became very concerned; and instructed the unification of the diction of the words of the Holy Quran according to the dialect of Quraysh, since the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) belonged to the tribe of Quraysh. Osman ibn Affan brought the script kept with Hafsah, and deputized Zayd ibn habet to supervise writing the Holy Quran in one diction, one spelling, and one pronounciation. He appointed Saied ibn Al-Aas, Abd-Allah ibn Al-Zubayr, Abd-Al-Rahman ibn Al-Harith ibn Hisham to assist Zayd ibn Thabet in this second compilation of the Holy Quran. This second script of the Holy Quran was precisely identical to the first in its text and precisely identical to the original text dictated to the scribers by the Prophet during his life time.

The purpose of Abu Bakre in compiling the Holy Quran, was different to the purpose of Osman ibn Affan in making a second compilation of the Holy Quran. Abu Bakre compiled the Holy Revelation for the supreme purpose of preservation and conservation of the Divine Words. Osman ibn Affan had the prodigious aim of unifying and identifying the diction of the Holy Quran to be only as that practiced and recited by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This last text developed in the time of Osman ibn Affan was both a precise compilation of the exact original text of the Holy

accept anything memorized by any companion, unless two witnesses testify that this was relayed to that companion by the Prophet himself. Finally, Zayd made certain that everything of the text of the Holy Quran in the process of compilation, qualified and conformed with the last arrangement and optimal exactness dictated by the Prophet during the last year of his glorious life (prayers and peace from Allah upon him).

The selection of Zayd ibn Thabet to undertake the monumental colossal assignement in preference to other companions was by a process of thoughtful wisdom on the part of Abu Bakre. Zayd ibn Thabet was relatively young, and that would give him the necessary energy and continuity required; and make him more humble and less biased to his opinion. He would consent to consult and listen to the judgement and advice of the elderly companions. He was known to memorize the exact complete text of the Holy Quran, as approved by the Prophet. Zayd ibn Thabet knew and recognized the enormity and magnitude of the task to which he was entrusted to excute. He knew and realized that several companions memorized the Holy Quran, and would stringently judge the accuracy of the compilation. Zayd ibn Thabet was certainly reputed for his peity, honest virtue in character, reliable and dependable. Zayd realized that the Guardian of all was Allah, the Guidance, the All-knowing, the All-Cognizant, and the Vigilant. This humbleness for Divine support, energized Zayd to overcome all difficulties; and with patient preserverance and obstinate resolution carried the heavy responsibility of the compilation of the Holy Revelation into one unified text. The completed work received the satisfaction of all Muslims, the companions of the Prophet, the contemporary "Huffaz", and the Khalifah of Rassul Allah, Abu Bakre Al-Siddiq.

The precision of compilation of Holy Quran and the optimized methodology by which the compilation was performed was unique and distinctive to the Holy text of the Revelation. No other manuscript in history received the same rigorous analytical assurance of the text as the Holy Quran. The process adopted was schemed by Zayd ibn Thabet, and was approved and intimately supervised during its implementation by Abu Bakre himself. The various other prominent and important commitments and duties of Abu Bakre in his function as Khalifah, did not diminish or curtain the compelling supremacy of the notable and serious significance of the work entrusted to Zayd ibn thabet. The compilation of the Holy Revelation in one unified text involved the preservation of the precise origin and roots of the whole Muslim Theism, Doctrines, jurisprudence, and the Arabic language. The compilation of the Holy Quran was totally completed into one

in Syria, and against the Persian Empire in Iraq and across the Arab Gulf. The war against the apostates came early in the reign of Abu Bakre, and the most important battle was the battle of Al-Yamamah against Musailamah "the impostor" and his followers. The Muslim death toll in this battle alone was twelve hundred men; about fourty of these were from the "Huffaz" of the Holy Revelation. This incident motivated Omar ibn Al-Khattab to think of compiling the Holy Revelation into one collected exactly documented manuscript; before the death of more "Huffaz" in future battles. The death of the "Huffaz" meant the loss of living human reference and witness to the text and precision of the Holy Quran. Omar ibn Al-Khattab took time to think of the matter, and finally resolving his wise decision; went to Abu Bakre, explained his fears and thoughts regarding the Quran and the "Huffaz", and asked Abu Bakre to plan for the compilation of the Holy Revelation of the Glorious Quran.

Abu Bakre had not thought of the matter beforehand and answered Omar "How can I carry out something the Prophet had not done". Both Abu Bakre and Omar discussed the matter with reason, logic, justification, sagacity and wisdom; that lasted for sometime; until finally Divine providence enlighted the heart of Abu Bakre to agree to the request of Omar ibn Al-Khattab. Abu Bakre finally approved the most delicate and most difficult commitment in his reign as Khalifah. Abu Bakre sanctioned the undertaking of the compilation of the Holy Revelation in one complete unified manuscript. Abu Bakre summoned Zayd ibn Thabet, briefed him about the discourse between himself and Omar ibn Khattab regarding the compilation of the Holy Quran; and authorized Zayd ibn Thabet the responsibility of the functional operation of that great work. Zayd ibn Thabet confronted Abu Bakre about how he could do something the Prophet had not done; but Abu Bakre discussed the matter with Zayd until Zayd's heart was enlighted to the idea. In the words of Zayd, he said as he walked out of the presence with Abu Bakre "I was stunned and my mind became heavy with the duty assigned to me; it would have been easier to remove a mountain, than to be entrusted with the compilation of the Holy Revelation.

Zayed ibn Thabet developed a precise system of rigorous analysis for the compilation of the Holy Quran. Every person that memorized anything of the Holy Quran, reported it to Zayed. Every person that wrote any part of the Holy Quran, reported it to Zayed. Every person that wrote any part of the Holy Quran dictated by the Prophet, brought the written script to Zayd. Zayd refused to accept any written script, except the original dictated by the Prophet himself. Zayd made certain and verified that what was memorized by the companions was written with precision in script. Zayd did not

the Holy Revelation to the memory by learning. Many of the companions memorized several Suras of the Holy Quran, and some memorized only a few Suras. These companions who memorized parts or all of the Holy Quran were called "Huffaz" (plural of Hafez). The most famous of the Huffaz were Abd-Allah ibn Massoud, Muaz ibn Jabal, Ubayi ibn Kaab, Zayd ibn Thabet, Abd-Allah ibn Omar, Abd-Allah ibn Amre ibn Al-Aas, Ubadah ibn Al-Samet and many others. The number of companions that memorized appreciable portions of the Holy Quran exceeded thousands. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) always made the Huffaz recite in his presence what they memorized of the Holy Quran. The third criteria was that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) instructed his companions not to scribe anything after him, except the Holy Revelation. These instructions were for the purpose of preserving the Holy Quran in exactness and precision of its Divine quality and text. The writing of the script text of the Holy Quran was performed on skins, leathers, parchment, cuticle of trees, stones, and the broad ends of dry palm tree blades. The preservation of the Holy Quran during the lifetime of the Prophet ended by the fact that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) recited the complete arranged text of the Holy Revelation to the Angel Gibriel twice durig the last year of the Prophet's life before his death. Also, the Prophet made Zayd ibn Thabet recite the whole scripture of the Holy Quran in his presence before his death.

It should be stated that the Holy Revelation was arranged in distinct entitites as Suras, and their sequence was determined by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This was part of the Divine Function related to the Holy Revelation, mediated by the Angel Gibriel. Many of the companions memorized the full text of the Holy Quran in absolute unerring infallible exactness. Men as Abu Bakre, Omar ibn Al-Khattab, Osman ibn Affan, Aly ibn Abi Taleb, Zayed ibn Thabet, Abd Allah ibn Massoud and many others memorized the Holy Quran; and many more memorized large portions of it.

The second phase of the documentation and compilation ofthe Holy Quran was during the life of Abu Bakre Al-Siddiq, and during his reign as Khalifah of the Prophet. This period of Islamic history was characterized by fierce wars against the apostates, and later by the Iraq and Syrian crusades. The former was to re-establish the dominance of Islam and its doctrines among the Arab tribes in the Arab Peninsula; and the latter were to propagate Islam into other territories outside the Arab Peninsula, and for ensuring strategic security against the Eastern Roman Bezantine Empire

ABU BAKRE AL- SIDDIQ

THE COMPILATION OF THE HOLY QURAN

By : Dr. Anas Moustafa El- Naggar, M.D., Ph.D

The gathering of the Holy Quran in one manuscript was initiated and completed during the reign of Abu Bakre. This is considered one of the most outstanding achievements that distinguish the early period of Islamic History after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The Holy Quran was revealed by Divine Power to Muhammad, the Messenger of Allah in the form of a fractionated protracted Revelation over a period of twenty three years. The rigorous and vigilant preservation of the Holy Quran was processed from the time of the Revelation to the final documentation, by script and commitment to memory word for word. The current manuscript of the Holy Quran passed through three main phases of scrupulous and meticulous analysis of precision and accuracy of assembly and gathering. The first phase was during the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); the second and most critical phase was during the time of Abu Bakre Al-Siddiq; and the third was during the reign of Osman ibn Affan.

During the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), three essential criteria were established to make absolutely certain the undisputed exactness of the preservation and conservation of the Holy Revelation.

The first was the accute selection of prestigious scribers from among the companions to undertake the duty of amenuensis and registration of the Holy Revelation as dictated by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). From among these scribers were Abu Bakre Al-Siddiq, Omar ibn Al-Khattab, Osman ibn Affan, Ali ibn Abi-Taleb, Abd-Allah ibn Abi Sarh, Ubayi ibn Kaab, Zayd ibn Thabet, Abd-Allah ibn Rawahah, and few others. The Prophet optimized the precision of what was written by continually subjecting the script to fastidious revision. The second criteria was that the Prophet instructed his companions to commit the words of

→

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION
VOL. 61, PART VII
Rajab, 1409, Hijriah

Editor: Dr. Anas Moustafa El Naggar, M.D., Ph.D.

===============

CONTENTS

1. **Abu Bakre Al-Siddiq.**

The Compilation of the Holy Quran.

By: Dr. Anas Moustafa El Naggar.

2. **The Pillars of Islam.**

The Zakah.

By: Abdel-Hakim Ahmad Taha.

Preparation of the Prints by Mrs. Fatimah Mohamed Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
شعبان ١٤٠٩ هـ
مارس ١٩٨٩ م
الجزء الثامن
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة الإيلاف

صاحب الإيلاف « حياته الأسرية

(٢)

في مقدمة الحديث عن صاحب الإيلاف : « السيد الشريف : هاشم بن عبد مناف بن قصيّ » ، نطرح اموراً ـ هي براهين لابدّ منها ـ للدلالة على شرفه ، وخياره ، وصحة اخباره .

إنه لؤلؤة بين لآلىء ينظمها سِمْطُ هذا النسب الزكى الذى لم يلحقه دنس الجاهلية ، ولم يعلق به خَناها فهو فرع شريف زكى لاصل شريف زكى من قبله ، وهو اصل شريف زكى لفرع شريف زكى من بعده ، شعشع فيه طهر النسب ، ولالا فيه نقاؤه حتى استتم نوره ، واستقام كماله في رسول الله الخاتم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ خياراً من خيار من خيار ..

←

وشرف الطهر وكماله فى هذا النسب حَدَّث به ـ عن وحى لا ينطق عن الهوى ـ سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« إن الله ـ تعالى ـ خلق الخلق فجعلنى فى (خير) فرقهم ، وخير الفرقتين ، ثم تخير القبائل فجعلنى فى (خير) قبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلنى فى (خير) بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً ، وخيرهم بيتاً »[1] .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً بعد قرن ، حتى كنت من القرن الذى كنت فيه »[2] .

وروى مسلم ـ فى صحيحه ـ قول واثلة بن الأسقع ـ رضى الله عنه :

« سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

وروى مسلم ـ أيضاً ـ قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشاً ، واصطفى من بنى قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

وصحة أخبار هاشم يحفظها نسيج قوى من أبنائه وذريته من بعده ، بل من أبناء إخوته فمن بعدهم ، فليس منهم من أحد ، من هؤلاء أو هؤلاء ، إلا كان فى جيله الثالث أو الرابع « صحابى جليل » يربأ بنفسه أن يكون على جهل بآبائه فتغمض عليه سيرهم ، وتندُرُ[3] منه أمجادهم :

فهو يحفظ نسبه حفظاً متيناً يفرق بينه وبين الأكثرية من الأعاجم الذين لا يحفظون أنسابهم فيجهلون ماضى أسمائهم وبلاء آبائهم ، فإذا سئل أحدهم عن نسبه انتسب إلى « بلده » ، كما يقول الجاحظ ـ رحمه الله .

وهو يحفظ ـ أيضاً ـ ما لآبائه وما له هو من « مفاخر » يعتد بها فى هذا المجتمع الذى كثيراً ما تثور فيه أزمة (مجد) فتحال إلى (حكومة) تقضى فيها قضاء لازماً بفخر فلان على فلان وعلو كعبه عليه ، وقد تقضى أيضاً بنفى الخصم المغلوب فينفذ فيه[4] ..

وفات هذان الأمران : « حفظ النسب » ، « وحفظ الأمجاد » جميعاً ـ مستر « موير » المؤرخ « الحجة » فكان أن « ضلل » كثيراً فى التاريخ الجاهلى ، وكثرت أخطاؤه فى هاشم بن عبد مناف .

• • •

---

(١) رواه الترمذى راجع لأبى الفضل عبد الله الحسنى ـ الكنز الثمين فى أحاديث النبى الأمين ، وهو مجلد اقتصر فيه مؤلفه على بعض الصحيح فى ترتيب هجائى .

(٢) راجع لابن كثير : شمائل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ص ٥٧ ، والحديث عن الإمام البخارى ط عيسى البابى الحلبى .

(٣) ندر منه كذا : زال عنه .

(٤) انظر لمحمد بن سعد ـ الطبقات الكبرى ١/٧٦ « المفاخرة والمنافرة » ط دار صادر بيروت .

نشأ هاشم في بيت عبد مناف بن قصي ، فهو سليل سيد قريش قاطبة في عهدها الجاهلي من قبل البعثة وَجَدُّه « قصي » لا تنساه قريش بحال :

لقد كانت بطون « فهر » من قريش قد شتتتها خزاعة حين تغلبت على « جرهم » ، فملكت مكة ؛ فعاشت تلك البطون غريبة عن أرضها ؛ فإذا هي حُلُولٌ وصِرَمٌ وبيوتات متفرقون[٥] في بني كنانة الذين يمتون لقريش بقرابة ، وتنقلت بهم الديار ، وكان قصي واحداً من هؤلاء ، ولدته أمه فاطمة بنت سعد لأبيه كلاب بن مرة غريباً عن أرضه ووطنه ، وما لبث أن مات كلاب ، فتزوجها ربيعة بن حرام من « عُذْرة » ، وخرج بها وبه إلى بلاده حيث نشأ في « قضاعة » غريباً ، وهو الماجد سليل بيت إبراهيم وإسماعيل ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ـ بالبلد الحرام .

شب قصي ، وكان جلداً نهداً نسيباً لا تعوزه قوة ولا شدة ، ويرفعه نسب كريم ، وعمل بالتجارة فانثال عليه المال الوفير ، وطرح به الكدّ مطارح قومه فعرفهم ، وعرف مكانته ، وأدرك تاريخه ، فأجمع على أن يسترد أرضه ويجمع قومه ، وشاء الله ـ تعالى ـ له النجاح ، تقدمة للرسالة الخاتمة بأرض مكة الحرام .

فاوض الخزاعيين بالحسنى فامتنعوا السلاح فأثخن فيهم حتى طلبوا التحكيم ، فَحَكَّموا بينهم يَعْمُرَ ابن عوف بن كعب الكناني ، فحكم بأن « قصيا أولى بالبيت من خزاعة » ، فولى أمر البيت وحكم مكة ، وجمع قومه من شتات ، وقطع لهم مكة رباعاً أنزلهم بها فأحاطوا بالبيت ، واستحكمت حمايتهم له ، وعرفوا لقصي مكانته وفضله ، فملكوه أمرهم ، ودانوا له ، غير أنه ترك البيت على حاله بما أحدثته « خزاعة » في الدين الحنيف من شرك .

وصار قصي مسئولاً عن « سقاية الحجيج » و« رِفَادته » ، بإطعامه الطعام ، كما صار مسئولاً عن « حجابة » ، البيت وسدانته و« الدفاع » عن مكةَ تحت لوائه ، فجمع بذلك الرياسة كلها .

و« عبد مناف » هو ابن ذلك الرجل الفذ الذي عرفت قريش به طريقها إلى موطنها ، ونالت به عزتها وفي بيت عبد مناف نشأ هاشم الشريف الماجد .

● ● ●

سماه والداه « عَمْراً » ، ثم توالت أياديه على قومه فاشتهر بألقاب وكنايات عدة ، فهو « هاشم » لما هَشَمَهُ من خبز وكعك أطعمه قومه ثريداً باللحم وهم في مَحْل مُسْنِتُون ، وهو « عمْرو العُلَا » لعلو مرتبته ، وهو لفظ افتخر به في « قضاعة » ، وتناقلته الأجيال حتى أنشده عبدالله الزِّبَعْرَى ـ عصر الرسالة ـ فقال :

عمرو العُلَا هشم الثريد لِقومه ورجالُ مكة مُسْنِتُون عِجافُ [٦]

وهو لفتوته وجماله « قدح النُّضَار » يشاركه في هذه الفتوة وهذا الجمال أخواه : « عبد شمس ونوفل » ، فكان يقال لثلاثتهم : « أقداح النضار » . ولهاشم وأخيه المطلب : « البدران » لجمالهما .

وهو ـ من بين إخوته : « سيد البطحاء » .

←

---

(٥) أى جماعات متفرقات حلّتْ بهذه الأراضى .

(٦) مسنتون : مجدبون أصابهم الجدب والقحط فهم لذلك عجاف ، أى مهازيل .

وكنى عدة كنايات فى مقدمتها : أبو نضلة ، ونضلة هذا ولده ـ كما سيجىء ـ ثم ألحقته مَفَاخِرُه بكنايات أُخر . فهو « أبو البطحاء » ، و« أبو يزيد » ، و« أبو الشُعْثِ الشجيات » . وهذه الكنية الأخيرة رثاه بها مطرود بن كعب الخزاعي ـ فيما صح من شعره فى مرثياته لأبناء عبد مناف ، ومنها ـ فى هاشم :

ياعين فَأبكى أبا الشُعثِ الشَجِيَّاتِ ... يَبْكينهُ حُسَّراً مثْلَ البَلِيَّاتِ[7]
يَبْكين أكْرَم من يمشى على قَدَمٍ ... يُعْوِلْنه بِدُموعٍ بعد عبراتِ
يبكينَ شَخْصاً طويل الباع ذَا فَجَر ... أبى الهَضيمة فَرَّاج الجليلات[8]
يبكينَ عَمْرَوَ العُلاَ إذ حان مَصْرَعُه ... سَمْحَ السَّجِيَّة بَسَّام العَشِيَّاتِ[9]

● ● ●

ولد هاشم فى بيت عبد مناف بن قصي ، ونشأ فى بيت هذا السيد الأمير فى هذه البلدة العزيزة نشأ سيداً عن سيد ، وله إخوة بنين وبنات ، فقد تزوج « عبد مناف » ثلاث نسوة كن فضليات منجبات أسهمن فى إنجاب هذه الكوكبة ذات الشرف الرفيع الذى تمادى نسله حتى الإسلام ، ولنا فيهم ـ وفى والداتهم جميعاً ـ ملاحظة واحدة ، هى أننا لا نستطيع الترتيب بينهم ، وإن يسبق إلى الذهن أن أم هاشم أولى النساء ، ويذكر ـ صاحب الكامل ، رحمه الله ـ أن هاشماً أكبر الأولاد .

تزوج عبد مناف بنسوة ثلاث هن : عاتكة الكبرى ، وواقدة ، وريطة :

فأما (عاتكة الكبرى) فهى بنت مرة بن هلال بن فالج بن ثعلبة بن ذكوان من مضر ، وجُمْلَة ولد « عبد مناف » منها ، فالذكور : هاشم وعبد شمس والمطلب .

والإناث : تماضر وقلابة وحيَّة ـ وفى (الطبقات : حنَّة) ـ وأم الأخثم وأم سفيان .

وعَدَّ ابن هشام وابن سعد من بنات « عبد مناف » ، « ريطة » .

كذلك صرح ابن سعد بابنتين لعبد مناف هما « بَرَّة » و« هالة » ، ولست أحسبهما إلا صاحبتى الكنيتين : « أم الأخثم وأم سفيان » ، وذلك مما يشكر عليه ابن سعد ـ رحمه الله .

كذلك يصرح ابن سعد بأن « ريطة بنت عبد مناف » أمها « الثقفية » ، ولا يذكر « علماً » للثقفية .

---

(٧) الشعث الشجيات : النسوة اللاتى نزلت بهن أحداث الدهر فصرفتهن بكربها وما ألحقت بهن من عَوَز عن الزينة ، وأسلمتهن إلى شظف العيش ، فكان هاشم لهن ولأمثالهن يد مواساة ، فلما مات بكينه حاسرات غير منتقبات ذاهلات عن أنفسهن كتلك النياق اللاتى تعقل على قبور من مات من العرب لا تدرى شيئاً عما يفعل بها .. بينما صاحبها يؤمن بالبعث ـ كما كان الحال لدى قدماء المصريين .

(٨) قال زميلنا الفاضل الأستاذ طه عبد الرءوف محقق سيرة ابن هاشم : الفجر : الجود شبه بانفجار الماء ، ويروى : ذَا فَنَعٍ ، والفنع : كثرة المال .

(٩) بسام العشيات قال عنه : يضحك للأضياف ويبسم عند لقائهم .

وسمى ابن هشام ـ زوجة عبد مناف الثقفية : « ربطة » وقال عنها : امرأة من ثقيف ، وقال عنها أيضاً : « أم أبى عمرو »[١٠] ، فهى وابنتها ـ إذاً ـ تحملان اسماً واحداً .

وليس يمتد الذكر بكل من : أبى عمرو وأبى عبيد ، وإنما الضوء على الرجال الأربعة : هاشم وعبد شمس ، والمطلب ونوفل أبناء عبد مناف فتلخص أن لعبد مناف بنين ستة ، وبنات ست . وذلك فإن زوجته الثالثة :

« واقدة » بنت عمرو المازنية من مازن بن منصور بن عكرمة ، ولدت لعبد مناف ابنه « نوفل » بن عبد مناف .

وإذا استثنينا من أبناء « عبد مناف » ، أبا عمرو الذى لا نجد عنه ذكراً فى « عمل » أو « ولد » ، واستثنينا ـ كذلك ـ أبا عبيد الذى درج ، فمن بعدهما من بنى « عبد مناف » ليس إلا رأساً لسلالة توالى أحفادها حتى أدركوا الإسلام ، وعاشوا بعض دُوَلِهِ ـ نجتزىء منهم بأمثلة سريعة :

أ ـ فهذا هاشم ـ صاحب حديثنا هذا ـ أحد أبناء « عبد مناف » من أبنائه :

« شيبة الحمد عبدالمطلب » بن هاشم بن عبد مناف ، والدُ « عبد الله » ، والد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ب ـ و« عبد شمس » من أبنائه ربيعة والد عتبة وشيبة اللذين قتلا كافرين فى (بدر) ، ومن نسل الأول « هند بنت عتبة » صحابية أسلمت يوم الفتح ، وأخوها « مهشم » أبو حذيفة بن عتبة أسلم قديماً وهو من مهاجرة الحبشة .

جـ ـ والمطلب بن عبد مناف ، والد « مخرمة بن المطلب » ولمخرمة ولدان من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هما القاسم وقيس ، والأول : تِرْبُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وُلِدَ معه « عام الفيل » رضى الله عنهما .

د ـ ومن أبناء « نوفل بن عبد مناف » عدى بن نوفل والد « المطعم بن عدى » والد « جبير بن مطعم » رضى الله عنه أحد نسابة العرب الخبير بأنسابهم وديارهم وأيامهم .

وما ذكرناه ـ كما قلت ـ إنما هو بعض الأبناء الذين التف حولهم التاريخ فسطع على هذه الأسرة بضوء لا يخبو مدى الدهر .

● ● ●

ونأتى إلى « هاشم بن عبد مناف » صاحب الإيلاف ، وهو معدود من أجواد الجاهلية كما جاء فى « المُحَبَّر » لابن حبيب البغدادى وغيره ، وكان كجده قصى قد كثر ماله وعظم شرفه ، عجز من بنى

←

(١٠) فى الطبقات أن أبا عمرو وأبا عبيد وليدا « واقدة » وليس « ريطة » ، وذلك لأمر بسيط هو أنه لم يعد « ريطة » زوجة ، بينما ابن هشام تقطع عبارته بأنها زوجة ، بينما يقتصر ابن سعد على قوله عنها : « الثقفية » .

عبد مناف من أراد لنفسه أن يسبقه ، ثم هو ـ مع ذلك ـ ما عاش لنفسه ، أو لقريش فقط ، بل أراد الله ـ سبحانه ـ أن يكون صاحب الأيادى البيض على الجزيرة كلها .

تزوج هاشم بست نسوة ، ليس من الدقة أن نوالى بينهن بترتيب ، أو نذكر وفاة إحداهن قبل غيرها ، أو نعلم مَنْ مِنَ النسوة خَلَفَها ، لكنهن ـ جميعاً ـ فضليات ـ أيضاً ـ منجبات ، وهن : سلمى ، وقيلة ، وهند ، وواقدة ، وأميمة ، وَعُدَىّ .

و« سلمى » هى بنت عمرو بن زيد بن لبيد سليلة عدى بن النجار من « يثرب » خزرجية من بنى عمرو ابن الخزرج ويبدو ـ والله أعلم ـ أنها آخرهن زواجاً بهاشم ، وهذا ما نستنتجه من كتب السير والتاريخ ، ولهاشم منها ولدان هما : شيبة الحمد عبدالمطلب ، ورقية ، جاء فى الطبقات : « ورقية بنت هاشم ماتت وهى جارية لم تبرز » .

ولذا ذكر كثير من المؤرخين شيبة الحمد ولداً لسلمى ، ولم يذكروا « رقية » .

و« قيلة » هى بنت عامر بن مالك بن جذيمة ـ وجذيمة هذا هو « المصطلق » من خزاعة ـ وكانت تلقب ب « الجزور » ، ولدت لهاشم : أسد بن هاشم .

و« هند » خزرجية الأصل أيضاً ، وهى ابنة عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج .. فى الطبقات أنها والدة « صيفى » ، وتذكر بقية المراجع ـ ومنها الطبقات أيضاً ـ ولداً آخر هو « أبوصيفى » .

و« واقدة » وهى بنت أبى عَدِى ـ وفى الطبقات : أو عُدَىّ ـ وهو عامر فهى : واقدة بنت عامر بن عبد نُهْم بن زيد بن مازن بن صعصعة ، ولدت لهاشم ، خالدة والضعيفة .

و« أميمة » هى ابنة عدى بن عبد الله بن دينار بن مالك بن سلامان بن سعد من قضاعة ، وهى أم : نضلة وأختيه : الشفاء ورقية .

و« عُدَىّ » ذكرها ابن سعد فى طبقاته ، قال : ـ فى أولاد هاشم : « وحَنَّة بنت هاشم أمها عُدَىّ بنت حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قسى . وهو ثقيف » .

فمبلغ ولده الذكور خمسة : شيبة الحمد عبدالمطلب ، وأسد ، وصيفى ، وأبو صيفى ، ونضلة .

ويبدو من مختلف المصادر أن نضلة أكبرهم وآخرهم شيبة الحمد عبدالمطلب ،

والنساء ست هن : رقية ، وخالدة ، والضعيفة ، والشفاء ، ورقية ، وحنة .

ونلاحظ أن إحدى الرقيتين درجت صغيرة . كما سبق .

أولئك كل أسرة الشريف ؛ هاشم بن عبد مناف .

● ● ●

يتبع

د. على أحمد الخطيب

بيان للإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف

بشأن مفتريات بريطاني هندي

نشرت مجلة الأزهر البيان التالي في عددها الصادر في جمادى الأولى ١٤٠٩/ ديسمبر ١٩٨٨ تنبه الأذهان إلى خطورته، ووجوب التصدي له، والمجلة تعيد نشره تتابعا للأحداث. كما تلحق بأنباء وآراء وغيرها من أبواب المجلة ملحقات بهذا الأمر.

قال فضيلة الإمام الأكبر: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

وبعـــد:

فقد ورد إلى الأزهر الشريف:

أنه صدر في بريطانيا كتاب بعنوان: «آيات شيطانية» « Satanic Verses » لمن يدعى / سلمان رشدي - من أصل هندي ويحمل الجنسية البريطانية يتعرض بالتجريح لسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ، ويسيء إلى زوجاته وأصحابه رضي الله عنهم. في أسلوب قصصي: فيه أكاذيب وافتراءات من وهم الخيال لبعدها عن حقائق الإسلام.

ويبدو أن ما دفعه إلى هذا حنق الملاحدة على الإسلام، والرغبة في الارتزاق من أيدي أعداء هذا الدين الحنيف.

ولقد أثار هذا الكتاب قلق الأوساط الإسلامية في بريطانيا فنهضت الجمعيات والمنظمات الإسلامية هناك للنشر تنديداً بالكتاب، وتعريفاً بما يحمله صاحبه في قلبه من سوء، ثم رفعت إلى القضاء دعوى ضد دار النشر التي تعاونت معه.

ولقد عقد كل من مجلس سفراء الجامعة العربية، ومجلس أمناء المركز الإسلامي في بريطانيا جلسات خاصة لاتخاذ ما يجب عمله تجاه هذا الجرم الصريح.

وإن الأزهر الشريف ثقة منه بهذه الأنباء التي تواترت عما يحمله هذا الكاتب وكتابه من سوء المقال عن الإسلام ورسوله ﷺ وآل بيته وصحبه ليدعو الهيئات والمؤسسات الإسلامية في بريطانيا إلى التضامن نحو اتخاذ الإجراءات القانونية لمنع تداول هذا الكتاب.

كما يدعو الدول الإسلامية والعربية إلى حظر دخول هذا الكتاب إليها وإلى مقاطعة دار النشر التي أصدرته ومنع مطبوعاتها من التداول في البلاد الإسلامية.

ويدعو الأزهر الشريف منظمة المؤتمر الإسلامي إلى أن تأخذ دورها في مواجهة مثل هذا التزييف لتاريخ الإسلام وحقائق سيرة رسول الله ﷺ.

ويشكر الأزهر كلا من حكومة باكستان وحكومة الهند على مسارعتهما إلى التقرير بمنع دخول هذا الكتاب وحظر تداوله بالبلدين.

ويدعو الأزهر الشريف كافة الهيئات والمؤسسات الإسلامية أعضاء المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة للقيام بما يجب إزاء هذا النشر الخبيث، وإلى حين اجتماع هيئة رئاسة هذا المجلس في الشهر القادم.

هذا: ولخطورة المعلومات التي وردت إلى الأزهر عن هذا الكتاب وكاتبه، وما فيه من إلحاد وأباطيل عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ وآله وأصحابه قد وجّهت الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية إلى اتخاذ إجراءاتها لمنع دخول هذا الكتاب إلى جمهورية مصر العربية وحظر تداوله فيها.

من صفات المؤمنين

قال تعالى :
﴿ . . . وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .
« صدق الله العظيم »

فى كلمتنا الماضية انتهى حديثنا إلى الوصف الأول : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وهذه الآيات الكريمات قضايا تتلاقى فى وحدة الشعور بها ، وهى من صفات المتقين الذين يؤمنون بالغيب .

ووحدة الشعور هنا جَمْعٌ ما هو مستقر فى القلب وهو الإيمان ، وما تعبر عنه الجوارح بالحركة الجسمية من صلاة ، والحركة المالية من تقديم العون للمحتاجين بلا غرور ولا منٍ ولا أذى يُبطل الصدقات ، ثم جَمْعٌ للإيمان الشامل بالقرآن وبالكتب السماوية التى نزلت من قبل ، وكلها تدعو إلى الإيقان بالآخرة : يوم الفصل ليأخذ كل ما له ، وما عليه عن طريق إرشاد الله وتوفيقه .

والصلاة بأركانها وشروطها مكلف بها الإنسان وهى طهارة للقلوب واستفتاح لباب الغيوب ، أمرنا سبحانه بإقامتها ، لا بمجرد إيجاد صورتها ، وهى إحدى الطاعات .

علم الحق من العبد وجود الملل ، فلون له الطاعات .

وعلم منه وجود الشره فحجرها عليه فى بعض الأوقات لتكون الهمة إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فليس كل مصل مُقيم ، كصورة صلاة المنافقين الذين ﴿ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

ومن أجل هذا ذكر القرآن بعض آثارها ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ .

والحياة نصفان : تعبير وتأثير ، كالمغناطيس له أثره فهو لا يتحرك حين يجذب ، لكن الحديد يتحرك له عندما ينجذب إليه .

وهيهات أن تكون تعاليم الإسلام صوراً ميتة ، إذ الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها .

ومن شروط صحتها : طهارة المصلى فى بدنه وثيابه ومكان صلاته ، وغير معقول أن يطلب طهارة الظاهر ، ولا تطلب طهارة الباطن .

وللإسلام من وراء كل توجيه له هدفان . تحقق الظاهر .

والوصول إلى ما وراء هذا الظاهر من قيم هى حقائقه الموضوعية ، ومن معانٍ كامنة فى الشعور ، والإدراك الحسى والتصور الذهنى .

قال ابن عربى : إن حجاب العزة دون

د. محمد عبد المنعم القيعى

سبحانه مسدل، وباب الوقوف على معرفة ذاته مقفل[1] والإنسان لا تسهل عليه شدائد البداية، إلا إذا عرف بشرف الغاية ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ . الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

وللعقول حد تقف عنده من حيث ما هى مفكرة والقلوب غير محدودة من حيث هى قابلة، ورؤية البصيرة علم، ورؤية البصر طريق حصول علم، وللعقل نور يدرك به أمورا مخصوصة، وللإيمان نور به يدرك كل شىء ما لم يقم مانع، والنفس تحشر على صورة علمها، والجسم يحشر على صورة عمله وفى الحديث «يبعث العبد على ما مات عليه»[2] .

والمصلون فى الحقيقة كما وصفوا :

رهبان ليل يقرأون كلامه

أساد غاب فى الوغى بنهار

وقد أمر الله أن تؤدى الصلاة فى وقتها

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ .

والمؤمن الحكيم هو العالم بمواضع الأمور، ووضعها فى أماكنها وزمانها على بصيرة، وهى محل المناجاة ومعدن المصافاة، تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق منها شوارق الأنوار، عُلِمَ وجود الضعف منك، فقلل أعدادها، وعلم احتياجك إلى فضله، فأكثر إمدادها.

ومن معنى ستر العورة فى شروط الصلاة أن يغطى الإنسان ذنوبه بالتوبة منها والإقلاع عن الوقوع فيها.

واستقبال القبلة يعنى وحدة الهدف، وحسن المقصد.

وسائر الشروط والأركان تؤدى كما أمرنا، وعلى المصلى أن يتدبر ما وراء هذه الحركات وتلك الأفعال فتكبيرة الإحرام إسقاط ما سوى الله من حساب العبد.

وفى القراءة مناجاة لله، وكيف يشرق قلب وصور الأشياء منطبعة فى مرآته ؟ وكيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته ؟

وكيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟

كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته ؟

وفى الركوع إشارة إلى الخضوع.

وفى السجود لمحة إلى ذل العبودية أمام عظمة الربوبية.

ولما استفتح المصلى باب الملكوت بخضوعه وذله لمولاه، أذن له بالدخول فى حريم الحى الذى لا يموت وقال بلسانه وقلبه : «التحيات لله، والصلوات والطيبات» ثم سلم على من دعاه لهذا الهدى، ثم على نفسه وعلى عباد الله الصالحين.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

والرزق : ما ملكه الإنسان وانتفع به أو تضرر ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ ﴾ وفى آية أخرى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ والإنفاق من الرزق إعطاء شىء منه، وكل ما يعطاه الإنسان عليه الإنفاق منه كالصحة والعلم والمال ونحوه، فإن كان بنية خالصة راج وازدهر، وإن كان بغير إخلاص تبعثر وهلك.

والصلاة والزكاة، أختان مترادفتان فى معظم التعبير القرآنى وهما من القيم الراسخة فى عقيدة

←

١ - الفتوحات المكية ص ٢

٢ - رواه مسلم وابن ماجه

من صفات المؤمنين

المسلم نحو نفسه ، وربه ، والناس أجمعين ، وإن كيان الإنسان يهتز من أساسه إذا ما عرف وشعر أنه قد افتات على قيمة عليا من القيم التى لا حياة للإنسان بغيرها ، وإن التحليل المنطقى لعبارة ما ، يتناول صورة التركيب ، وما فيها من علاقات ، ويفرغ من العبارة فحواها .

﴿ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ .

إعلم أن الإسلام دعوة إلى توحيد الإنسانية فى حقوق واحدة ، وهداية واحدة وإيمان واحد ، ولا معنى للخلق ولا للدين بغير التبعة ، ولا معنى بغير التبعة لتكليف ولا حساب ، فديننا الحنيف يدعونا إلى الإيمان بكل ما تقدم علينا إيماناً إجمالياً ، وبما انزل إلينا إيماناً تفصيلياً فيما يلزمنا من عقيدة وعمل ، وإذا كانت الجنة لمن آمن بموسى أو عيسى أو غيرهما عليهم الصلاة والسلام ، فالمسلم تلزمه عقيدته أن يؤمن بجميع الرسل ، لا يفرق بين رسول ورسول ولا بين الله ورسوله ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ .

﴿ وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

الآخرة هى يوم الحساب ، والثواب أو العقاب ، وحياة المرء فى الدنيا قد تنتهى بلا جزاء فكان من العدل الإلهى أن يُقيم وقتاً يأخذ كلٌّ جزاءه وينال ما هو مؤهل له ، ولا يكفى أن يعترف الإنسان بالآخرة .

فضمير الفصل « هم » تعريض لمن يزعم الكفاية

هؤلاء الموصوفون بما ذكر على هدى من ربهم .

وهم الفائزون بالفلاح والرضوان .

وتأمل حرف الجر «عَلَى» الذى يفيد التمكن والاستقرار ، فلا شكوك ولا ريب فيما اعتنقوه وفعلوا بمقتضاه .

على أنه يتعين عليهم أن يوقنوا بأن التوفيق من الله وحده ، ويكفى من الجزاء لك على العمل أن يكون له قابلا .

والنفس الإنسانية لاتتهالك على اللذة العاجلة إلا إذا أقفرت من المبادىء الباقية ، وخلت من العقيدة الصحيحة التى تقاوم إغراء الساعة .

وإن تعاليم العقيدة ليست من قبيل الدراسات العلمية التى تعرض على المعمل وإنما هى ذخيرة شعورية تصهر الضمير فتعينه على مراس الحياة ، وتلهمه حسن المعاملة ومكارم الأخلاق ، وعناصر الإيمان : تأثير نفسى بليغ ، وعقيدة مقبولة لا تناقض المحسات .

ولا تقوم عقيدة بغير شخصية قادرة على إيحائها ، وعاطفة حسية تستجيب لدعائها ، ومبادىء روحية تملأ العقل والوجدان ، والصلاة تكملة للشخصية الإنسانية . والإنفاق صلة لها بما يجاورها .

ولا يغيب عن الذهن أن الآيات المذكورة تمثل عقيدة وعملاً بقسميه الجسمانى والمالى ، ليندمج الإنسان مع غيره . فالمسلم لا يتقوقع فى داخل نفسه وبيته وإنما هو يتفلسف فى دائرة الحياة المشتركة بينه وبين غيره . والموجود البشرى حقيقة متفتحة على غيرها ، ومعنى وجود الإنسان نجاحه أو فشله فى تحقيق إمكاناته التى يملكها .

والذات الواعية تعرف كيف تعطى لأى شىء قيمته ، وربما كانت القيمة الحقيقية لتلك الحياة هى أنها فى ذاتها ليست لها أدنى قيمة ، اللهم إلا إذا اعتبرت مزرعة للحياة الأخرى .

والإنسان هو نور الحقيقة فى ظلمات الكينونة الذى لا يقوم إلا خارج نفسه ، يعبر بلسان حاله عن نفسه وغيره تعبيراً صادقاً باعتقاده وعمله والله يهدينا سواء السبيل .

خلق الإنسان ومبعثه

د. محمود محمد رسلان

قال تعالى :

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ . أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ . أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ . نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ . أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ الواقعة : ٥٧ - ٧٤ .

هذه الآيات البينات تناولت خلق الإنسان وبعثه ، وتحدثت - فى تحليل حكيم ، وهى تسوق الدليل إثر الدليل - عن البعث ، وهو أهون على الله - عز وجل ، فقال تعالى ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ .

اى - ن ابتدانا خلقكم فاوجدناكم فى الكون وما كنتم - من قبل - موجودين ، افليس القادر على البداءة بقادر على الإعادة ، فهلا تصدقون بالبعث أمام ما سقنا لكم من بداهة .

وجاءت الآية الكريمة فى بداية الرد على المكذبين الذين قالوا : ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ الواقعة ٤٧ .

فكان رد الله - سبحانه : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ .. ﴾ ثم ساق الدليل اثر الدليل على الترتيب التالى :

الدليل الاول : «أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ؟» اى ما تقذفونه فى الارحام من النطف هل تقرونه فى الارحام أم الله هو الذى يقره ؟

←

خلق الانسان ومبعثه

«أانتم تخلقونه» فتجعلونه بشرا مصورا فى البطون ليخرج إلى الوجود إنسانا جديدا «أم نحن الخالقون» المقدرون المصورون له ؟

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ سوينا وصرفنا هذا الأمر بين أهل السماء والأرض وكتبناه عليكم ، واقتنا موت كُلٍّ بوقت معين لا يحيد عنه أحد .

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ. عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ لا يسبقنا أحد فيهرب من الموت ، أو يغير وقته ؛ لأننا الذين قدرنا بينكم الموت ، ونحن القادرون أمثالكم على أن نبدل امثالكم وأشباهكم بعد موتكم بأخرين من جنسكم ، وما نحن بمسبوقين فى آجالكم فلا يتقدم متأخر ولا يتأخر متقدم .

«فننشئكم» وفق مشيئتنا «فى ما لا تعلمون» من خلق أو صفات لا تعلمونها .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أن من قدر على الأولى قادر على الأخرى ؛ فهلا تتذكرون أن الله انشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا فخلقكم ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قال سبحانه : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم : ٢٧ .

وفى الخبر : عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبا للمصدق بالنشأة الأخرى ولا يسعى لدار القرار(١) .

ولقد أبطل الله حجة الملحدين فساق هذه الآية المفحمة فقال : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ الطور : ٣٥ .

أم هنا منقطعة ، والهمزة فيها للاستنكار ، فوجودهم من غير موجد أعلى وهو الله أمر تنكره الفطر السليمة ، وكونهم خلقوا أنفسهم أمر لم يقل به عاقل ، وبما أنهم لم يخلقوا أنفسهم فإن ثَمّ خالقا خلقهم ، فماذا يمنعهم من الإقرار بأنه سبحانه قادر على البعث ؟

وفى الدليل الثانى : قال سبحانه : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ الحرث يشمل شق الأرض وإثارتها ووضع البذر فيها أى أخبرونى عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البذر ، أأنتم تنبتونه وتحصلونه زرعا فيكون فيه ما يقتات منه ؟ أم نحن نفعل ذلك ؟! انكم تشقون الأرض وتلقون فيها البذر فإذا اقررتم بأن اخراج السنبل من الحب ليس إليكم فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم ؟

وفى إضافة الزرع إلى الناس حكمة ؛ لأن الحرث من عملهم وعلى وفق اختيارهم ، أما الزرع فمن فعل الله تعالى ينبت على اختياره سبحانه لا على اختيارهم ، وفى هذا نهى لما ذهبوا إليه من أن الزرع يخرج على مرادهم ، ومن ثم ورد النهى فى الحديث الشريف الذى أخرجه ابن جرير بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يقول أحدكم زرعت وليقل حرثت فإن الزارع هو الله» .

وفى رواية : «لا تقولن : زرعت ولكن قل : حرثت» قال أبو هريرة رضى الله عنه : الم تسمعوا قول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ؟ رواه البزار(٢) .

(١) راجع تفسير القرطبى سورة الواقعة .

(٢) راجع تفسير ابن كثير : ٢٠٢/٨ بهامش تفسير الإمام البغوى .

فائدة جليلة : يستحب لكل من يلقى البذر فى الأرض أن يقرأ بعد الاستعاذة ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾؟ الآية ثم يقول : بل الله الزارع ، والمنبت ، والمبلغ . اللهم صل على محمد ، وارزقنا ثمره ، وجنبنا ضرره ، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ، ولآلائك من الذاكرين ، وبارك لنا فيه يارب العالمين .

قال الإمام القرطبى : إن هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات : الدود ، والجراد وغير ذلك .

وعن هذه الآية قال الماوردى : إنها تتضمن أمرين :

الأمر الأول : الامتنان عليهم أنه أنبت لهم زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم .

الأمر الآخر : البرهان الموجب للاعتبار لأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشى بذره وانتقاله إلى استواء حاله من العفن «والتتريب»[٣] حتى صار زرعا أخضر ، ثم صار قويا مشتدا أضعاف ما كان عليه ، فهو بإعادة من أمات أخف عليه وأقدر ، وفى هذا برهان مقنع لذوى الفطر المستقيمة .

ثم قال : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ أى الزرع مهشما متكسرا تذروه الرياح فلا ينتفع به فى مطعم ولا غذاء ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أى تعجبون بذهاب الزرع ، وتندمون مما حل بكم بسبب المعاصى ، والعرب تقول : تفكهت بمعنى : تنعمت ، وتفكهت بمعنى حزنت ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أى معذبون ، والمغرم : المعذب الذى ذهب ماله بغير عوض ، فالذين ألقوا الحب فى الأرض ولم يخرج لهم عوضا عنه غرموا كل ما أنفقوه فى زرعهم فأصبحوا محرومين .

الدليل الثالث : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ أى هذا الماء العذب الصالح للشرب لتحيوا به أنفسكم وتسكنوا به عطشكم فهلا تشكرون نعمة الله عليكم فى إنزال المطر عذبا زلالا ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل : ١٠ ، ١١ .

أخرج ابن أبى حاتم بسنده عن أبى جعفر عن النبى - ﷺ - أنه كان إذا شرب الماء قال : «الحمد لله الذى سقانا عذبا فراتا برحمته ، ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا»[٤] .

يقول الله سبحانه : ﴿أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ المزن : هو السحاب واحده مزنة والمزن : السحاب الأبيض ، وماؤه أعذب ، فإذا عرفتم أن الله هو الذى أنزل المزن فلم لا تشكرونه سبحانه فتخلصوا له العبادة ، ولا تنكروا قدرته على الإعادة .

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾[٥] ملحا يحرق الفم فلا تستسيغوا طعمه ، وحذف اللام هنا ، وأثبتها فى آية الحرث فى قوله تعالى : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ﴾ لأن هذه اللام هى الفاصلة بين صواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه ، لعلم السامع بمكانها ، أو الاكتفاء بسبق ذكرها ، أو تخصيص ما يقصد لذاته ، ويكون أهم وفقده أصعب بمزيد التأكيد فلولا تشكرون الله على أمثال هذه النعم الضرورية لمعايشكم ، كذلك تفيد هذه اللام معنى التأكيد لا محالة ، فأدخلت فى آية المطعوم دون

←

(٣) أى التغيير .

(٤) استدل به الإمام ابن كثير فى تفسيره جـ ٨ ص ٢٠٣ المصدر السابق .

(٥) راجع تفسير النسفى : ٤/٢١٩

خلق الانسان ومبعثه

آية المشروب للدلالة على أن المطعوم مقدم على أمر المشروب ، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب[٦] .

الدليل الرابع :

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ اخبرونى عن النار التى تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب انتم انشأتم شجرتها منذ القدم ؟ أم نحن المنشئون لها .

للعرب شجرتان : إحداهما : المَرْخ واخراهما : العَفار . إذا اخذ منهما غصنان أخضران فَحُكَّ احدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار[٧] ، وهذا يصدقه قول الله تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ يس : ٨٠ .

فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من «المائية» المضادة لها بكيفيته كان اقدر على إعادة الغضاضة[٩] ـ فيما كان غضا فييس فبلى .

﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾ اى النار تذكرة ، تذكر بالنار الكبرى .

قال مجاهد وقتادة رضى الله عنهما ، ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال : «ياقوم ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءا مِنْ نار جهنم قالوا : يارسول الله ، إن كانت لكافية ، قال : إنها ضربت بالبحر ضربتين ، أو مرتين حتى يستنفع بها بنو أدم ، ويدنوا منها» وفى هذا تبصرة وعظة من أمر البعث ، وأنموذجا لنار جهنم .

﴿وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ ، منفعة للذين ينزلون الأماكن القفر ، والذين خلت بطونهم ، أو بيوتهم من الطعام ..

قال الفراء : إنما يقال للمسافرين : مقوين ، إذا نزلوا «القِىّ» : وهى الأرض القفر التى لا شىء فيها ، وأيضاً المستمتعين بها من الناس اجمعين فى الطبخ والخبز ، والاصطلاء ، والاستضاءة[١٠] .

أخرج الإمام مالك رضى الله عنه عن أبى الزناد ، عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم» فقالوا : يارسول الله إن كانت لكافية فقال : «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا»[١١] .

البقية ص ٨٩٦

---

(٦) احتبس المطر عن دولة الإمارات عدة سنوات ، وبدأت الآبار تجف ، والزراعة تتوقف ، وأصبحت نقطة الماء اغلى من برميل البترول ، وارتفعت تكلفة تحلية مياه البحر ، وهرولت الشركات الأمريكية إلى حكومة الإمارات تعرض عليها مشروعاً ضخماً لإسقاط الامطار عن طريق أسراب من الطائرات تسير بسرعة فوق السحاب ؛ وتلقى عليه مواداً كيميائية تحوله إلى مطر ينقذ الزرع والضرع .. ووافقت الحكومة بلا تردد ، وجاءت الطائرات ، وجثمت فوق المطارات وانتظرت مرور السحب فى سماء الإمارات وكانت المفاجأة أن السحب غيرت اتجاهها ، ورفضت أن تمر فوقها ، وانتاب الناس هنالك دهشة وفزع وخوف ، والتجأ رئيس الدولة فى الإمارات ومعه العلماء إلى الله وأدوا صلاة الاستسقا فى خشوع وخضوع وبعد اربعة ايام بالضبط كما تقول جريدة الاخبار فى ١٤٠٩/١/١٤ هـ ١٩٨٨/٩/١٢ م نزلت امطار كثيرة لم تشهدها البلاد من قبل وهطلت السحب بغزارة دون تدخل الطائرات الأمريكية ، وامتلأت الآبار ، وارتوى النبات والحيوان والإنسان ، وازداد الناس يقينا وإيمانا بقوله تعالى : ﴿ وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد ﴾ الشورى : ٢٨ .

(٧) نقلا عن مجلة الاعتصام : ١٤٠٩/٢/١٥ هـ ـ اكتوبر ١٩٨٨ م .

(٨) جاء فى اللسان : وهما شجرتان فيهما نار ليس فى غيرهما من الشجر .

(٩) غصن النبات وغيره : صار طريا ناضرا .

(١٠) راجع تفسير القرطبى سورة الواقعة .

(١١) رواه الإمام البخارى من حديث مالك ، ورواه مسلم من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة . راجع تفسير ابن كثير سورة الواقعة .

في رياض السنة النبوية المطهرة

من محاسن الإدارة في الإسلام .. الستر على المسلم

د. رءوف شلبى

روى الترمذى قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابو عوانة عن الاعمش عن ابى صالح عن ابى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

«من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة ، ومن ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه» .

رواه الترمذى فى ابواب الحدود ،

ومسلم فى تحريم المظالم .

واخرجه الحاكم والنسائى وابن ماجه وهو حديث صحيح .

المفردات :

نَفَّس : من التنفيس وإزالة الكرب وإذهاب الهمِّ وفتح باب الفرج .

الكُرْبَة : فعله من الكرب وهى ما يحزن الإنسان .

مِنْ كرب : من تبعيضية او ابتدائية .

ستر : الستر هو الغطاء ورجل ستير ومستور يعنى عفيف .

«شرح الحديث»

اولا : فك الكربة

إيراد هذا الحديث فى أبواب الحدود عند الإمام الترمذى كان لفتة إسلامية راقية توضح إدراك اهل الحديث لمحاسن الإدارة فى الإسلام فلم يشأ الإمام الترمذى أن يبدأ أبواب الحدود بأحاديث تحدد عقوبة الجرائم التى ترتكب من بعض المسلمين لأنه بالحس الإسلامى الصادق يدرك أن المسلمين لو اقاموا الشريعة وأحسنوا معاملة انفسهم لكانوا فى غنى عن إقامة الحدود .

فإن الإسلام لا يعلِّم الحاكم الشراهة فى إقامة الحدود بقدر ما يعلمه كيف يكون محسناً فى إدارته لشئون الرعية وإلى هذا اراد الإمام

← الستر على المسلم

الترمذى – رضى الله عنه – أن ينبه إلى محاسن الإدارة فى الإسلام لكى يعى الناس أن البر والمعروف مقدمان على الشر والمأسوف ولذلك روى الترمذى عدة أحاديث فى جانب المعروف ومحاسن الإدارة قبل أن يبدأ فى رواية أحاديث الزجر والعقاب .

فذكر أولا : حديث : «رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يشب ، وعن المعتوه حتى يَعْقِل» .

ثم اتبعه بحديث : «ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطىء فى العفو خير من أن يخطأ فى العقوبة » .

ثم ساق الحديث الذى معنا «ومن هنا فقد ادركت أن الإمام الترمذى يريد أن يعلمنا قبل رواية الأحاديث الزاجرة كيفية حُسن الإدارة فى معاملة الناس وهو الأمر الذى لو صار عرفا معروفا بين الناس لما احتاج الناس إلى قضاء أو محاكم أو انحرف الناس عن الجادة وسبيل الله القويم .

كما دلنا على أن مهمة الحاكم والأمير هى إشاعة الأمن بين الناس ، وقضاء مصالحهم ، ووضع الرحمة موضع العرف والعادة حتى تشيع الرافة والمودة بين ربوع المسلمين فتحل البركة ، والطمانينة فيستريح الحاكم أو الأمير أو المسئول ؛ فإن البليّة فى الأمة لا تأتى إلا حين تشعر الأمة بالقسوة وعدم العدل، وإشاعة الظلم والفوضى والاستبداد وسيف القانون الذى لا يعرف رحمة ولا اخلاقا .

فإن شريعة الإسلام تمتاز وتتباين مع كل القوانين بأنها جاءت بالرحمة ، وأنها قامت على مكارم الأخلاق وأن العفو مقدم على القصاص فى المنظور الأخلاقى ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ .

وقد قال النبى ﷺ للناس عندما هرب ماعز الأسلمى لما مسَّه حر الرجم : «فَلَّا تركتموه لعله ان يتوب فيتوب الله عليه » .

ومن قبل قال الرسول ﷺ : «أبِكَ جنون» ؟

قال الإمام النووى فى شرحه لهذه العبارة : إنما قال : «أبك جنون» ؟ .. لأن له طريقا فى سقوط الإثم بالتوبة وهذا مبالغة فى تحقيق حال المسلم وصيانة دمه[1] .

وعلى هذا الأساس من صنيع الترمذى فإن كل إدارى مسلم مسئول عن تنفيس كُرَب الذين يعملون معه كل على حسب مستواه وقدرته ومسئوليته ففى الحديث الشريف :

«ايما والٍ ولِيَ أمر امتى بعدى اقيم على الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عدلا نجاه الله بعدله ، وإن كان جائرا انتفض به الصراط انتفاضة تزايل بين مفاصله حتى يكون بين عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ثم ينخرق به الصراط فأول ما يتقى به النار أنفه وحر وجهه .

(رواه أبو القاسم بن بشران فى أماليه عن على حديث حسن) .

ويؤيده بقوة وجلاء ما رواه النسائى وابن حبان عن انس عن النبى ﷺ قال :

«إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضَيَّع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» .

فالتنفيس عن المسلم وظيفة كل رئيس حسب التسلسل الوظيفى والاجتماعى والإدارى فالذين ينفِّسون عن مرءوسيهم أو من يعولونهم فإن الله

(١) راجع « تحفة الأحوذى » بشرح جامع الترمذى جـ ٢ ص ١٩٥ .

تعالى ينفس عنهم كرب الآخرة وبين الثمن والمثمن ربح باهظ فإن كربة الدنيا قصيرة وقيمتها قليلة إذا قيست بكرب الآخرة فهى سرمدية . ولا راد لها ولا عدل يعدلها يقول الله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ٥٤ يونس .

يقول العلماء : والمضاعفة فى ثواب الله يوم القيامة قد تكون كمًّا ، وقد تكون كيفا وعلى هذا ففك كربة يوم القيامة يساوى فك كُرَب كثيرة فى الدنيا فإذا ما قوبلت واحدة بواحدة كان فك كربة الآخرة فى حد ذاته أضعافا مضاعفة لفك كربة واحدة فى الدنيا ومع هذا فالله يضاعف لمن يشاء ، وإذا استقر هذا فى تصور المسلم زاده حرصاً على أن يسارع فى فك كرب الناس فى الدنيا : إمَّا على سبيل التجارة مع الله ليفك كربه يوم الآخرة أو على سبيل الامتثال لنداء النبى ﷺ فيكون الأجر أعظم والقدر أكبر والفوز أفضل .

وحول هذا المعنى تزخر السنة النبوية بحض المسلمين على إغاثة اللهفان والسعى على قضاء مصالح العباد ففى الحديث الشريف .

«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم :

١ ـ رجل حلف على سلعته لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب .

٢ ـ ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم .

٣ ـ ورجل منع فضل مائه فيقول الله اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل مالم تعمل يداك » .

(متفق عليه) .

وفى الطبرانى :

«أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تطرد عنه جوعا أو تقضى عنه ديناً» .

من مشى فى حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق أبعد ما بين الخافقين .

ثم قال ﷺ :

«لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته ـ وأشار بأصبعه ـ أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين » .

وعند ابن حبَّان :

« من مشى فى حاجة أخيه حتى يثبتها له أظله الله عز وجل بخمسة وسبعين ألف ملك يصلون له ، ويدعون له : إن كان صباحا حتى يمسى ، وإن كان مساء حتى يصبح ولا يرفع قدماً إلا حط الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجته .

وقد أكد الطبرانى وابن أبى الدنيا هذا المعنى فى روايته :

« لا يزال الله فى حاجة العبد مادام فى حاجة أخيه» (رواه الطبرانى) .

وعند ابن أبى الدنيا :

« من مشى فى حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة ومحا عنه سبعين سيئة إلى أن يرجع من حيث فارقه فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب » (رواه ابن أبى الدنيا والأصبهانى) .

وهؤلاء القوم الذين جعل الله فك كرب الناس على أيديهم وحملهم هذه المسئولية تنظر اليهم السنة النبوية من زاويتين :

الزاوية الأولى : أنهم صفوة الله الآمنون من عذاب الله يوم القيامة . ففى الطبرانى :

روى ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم اولئك الآمنون من عذاب الله » .

ومن حديث أبى الدرداء قال : قال رسول الله

الستر على المسلم

ﷺ : « من كان وصلة لأخيه إلى ذى سلطان فى مبلغ بر أو إدخال سرور رفعه الله الدرجات العلى فى الجنة »

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله عز وجل يوم القيامة » .

إن من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم .

وعن عائشة رضى الله عنها وأرضاها قالت : قال رسول الله ﷺ :

من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة .

تلك هى الزاوية الأولى التى تنظر بها السنة إلى المسئولين الذين ينشرون بين الناس السرور وقضاء المصالح .

طردهم من الوظيفة التى ائتمنهم الله عليها الزاوية الثانية :

ففى الطبرانى : من حديث عبدالله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ :

إن لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين ما لم يملوهم ، فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم .

ومن حديث عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ :

«إن لله أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم » .

وعن عائشة رضى الله عنها وأرضاها قالت : قال رسول الله ﷺ : «ما عظمت نعمة الله عز وجل على عبد إلا اشتدت إليه مؤنة الناس ومن لم يحمل تلك المؤنة للناس فقد عرض تلك النعمة للزوال .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - : قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم ، فقد عرَّض تلك النعمة للزوال» .

وصدق الله العلى العظيم : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ ١١٧ هود .

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ .. ١١ - الرعد .

ولما كانت كُرَبُ الناس تحتاج إلى تنفيس بأسلوب عملى لا بأسلوب وعظى ومجاملة كلامية فقد حرص سيدنا رسول الله ﷺ على أن يدفع الأمة على الإنتاج والعمل ففى الترمذى من حديث أبى سعيد - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ايما مؤمن اطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على جوع سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وايما مؤمن كسا مؤمناً على عرى كساه الله يوم القيامةُ من حلل الجنة .

وفى الطبرانى عن أم سلمة :

«ما من امرىء يحيى أرضا فيشرب منها كبد حرَّى أو يصيب منها عافية إلا كتب الله له بها أجراً .. «حديث حسن» .

ومن الأحاديث المتفق عليها والمشهورة بين العلماء وبين المسلمين ما رواه أنس عن رسول الله ﷺ :

« ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » .

فهل لرؤساء المصالح والمصانع والشركات والإدارات أن يدركوا حسن الإدارة من منظور الإسلام ؛ حتى يستقيم أمر هذه الأمة التى طال عليها شغب الإدارة ، وظلم الرؤساء فأفسدت

حياتها الاجتماعية وضلت طريقها فى الحياة الإنسانية ؟؟

ثانيا : الستر على المسلم :

يقول العلماء : ستر المسلم يكون فى بدنه والذب عنه .

وقد روى أبو داود والنسائى وابن حبان عن رسول الله ﷺ : « من ستر عورة أخيه فكأنما استحيا موءودة فى قبرها » . (حديث صحيح) .

وعند أحمد بن حنبل :

«من ستر أخاه المسلم فى الدنيا فلم يفضحه ستره الله يوم القيامة» .

وهذا الستر الذى يأمر به النبى ﷺ قائم على أساس من أسس العلاقة التى يفرضها الإخاء الإسلامى ففى الحديث :

« المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه» (أبو داود عن أبى هريرة) .

« المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم ، يرد مشدهم على مضعفهم ، ومسرعهم على قاعدهم لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد فى عهده » (أبو داود وابن ماجه) .

ولذلك يحذر النبى ﷺ جماعة المسلمين من تخذيل أنفسهم ففى الحديث :

« ما من امرىء يخذل امرأ مسلماً فى موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من أحد ينصر مسلما فى موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » ..

(أبو داود - وأحمد حديث صحيح) .

وقد جاء فى صحيح مسلم :

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» .

وهذا القدر العام من الستر هو حرمة كل مسلم على صاحبه مالم يجاهر ماجن بفسقه يستر الله عليه ثم يصبح ويقول قد عملت البارحة كذا وكذا .. يفضح نفسه وقد ستره الله .. فهذا الماجن الفاجر الذى يفضح نفسه يرى فيه الإمام النووى أنه يستحب أن ترفع قصته إلى الوالى فإن عجز الوالى عن تهذيبه رفعها إلى الحاكم بشرط إذا لم يترتب على ذلك مفسدة فكما سلف أن قررناه : أن النهى عن المنكر مشروط بعدم مضاعفات زيادة فى الفساد والأذى[٢] .

ويبقى بعد هذا أن ندرك أن من المجانة ما يتردد فى المكاتب والمصالح والصالونات فى البيوت من تجاوز الستر على المسلم إلى الغيبة والنميمة بل إلى البهتان .

ففى مسلم قال رسول الله ﷺ :

«أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذِكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهّته .

أما عقاب هؤلاء القوم المساكين الذين يحبون الغيبة والبهتان فقد روى الطبرانى بإسناد جيد عن أبى الدرداء عن رسول الله ﷺ قال : «من ذكر امرءاً بشىء فيه ليعيبه به حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاد ما قال فيه» .

وفى الطبرانى أيضاً :

«عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من قال فى مؤمن

←

(٢) راجع «شرح النووى» على مسلم جـ ٥ ص ٤٤٢ .

السـتـر على المسلـم

ما ليس فيه أسكنه الله ردْغَة الخبال حتى يخرج مما قال» .

وردْغة الخبال هى : عصارة أهل النار .

وفى مقابل هؤلاء المساكين يأتى ثواب المفلحين الذين يذبون عن الناس و أعـراضـهم ففى الطبرانى .

عن أسماء بنت . يزيد ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : «من ذَبَّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار» .. (رواه أحمد وابن أبى الدنيا) .

فليحسن الناس إدارتهم لمصالح الناس وليسع المخلصون فى قضاء مصالح الرعية حتى يرفع الله المقت والغضب الذى حل بالأمة .

وليستر القادرون عيـوب الضعفاء فـلا يتصيدون الأخطاء ، ولا يتجسسون على العورات فمن تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه فى قعر بيته .

فقد قرر الإسلام أن كل المسلم على المسلم حرام : «دمه وماله وعرضه» .

ثالثا : والله فى عون العبد ما كان فى عون أخيه :

هذه تتمة الحديث كأنما هى قاعدة عامة وشرط مشروط فى الحفاظ الإلهى على عون هذه الأمة .

قال فى «تحفة الأحوذى» : أيْ من كان ساعيا فى قضاء حاجته وفيه تنبيه على فضلية عون الأخ على أموره وإشارة إلى أن المكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية سواء كان بقلبه أو بدنه أو بهما لدفع المضار أو جلب المنافع إذ الكل عون(٣) .

وقد جاء فى «البخارى» ما يفسر أدنى ما يكون العبد فى عون أخيه .

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «كل سلامى من الناس عليه صدقه ، كل يوم تطلع فيه الشمس : يعدل فيه بين الاثنين صدقة ، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة ، ويميط الأذى عن الطريق صدقة » (رواه البخارى فى كتاب «الجهاد») .

قال ابن حجر ـ رضى الله عنه ـ :

وجه كون الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به قلب الذى يعطاه ويذهب ما فى قلبه وكذلك الكـلام الطيب فاشتبهـا من هذه الحيثية(٤) .

أقول :

إن عون المسلم من أخيه المسلم هو التزام دينى نابع من العقيدة وشامل لصنوف العون من أول «فك كربته» و«الستر عليه» إلى «الكلمة الطيبة» يلقاه بها وهو هاش باش فمن تجاوز ذلك الحد فقد البس على نفسه وتهوك وتفيهق وتنطع والمسلم ليس كذلك دائماً .

فليحذر الذين يفسدون حياة المسلـمين بإدارتهم المريضة وحماسهم الأجوف «للروتين» المعوق واللوائـح المعقدة وحبهم المستميت للسلطة ، وتمنيهم للمخلصين الذين يعملون لوجه الله أن يخطئوا فإن عاقبة الأمور بيد الله والله بالغ أمره .

وسيجعل الله لمن ظلم من بعد عسره يسرا .

فمن يتق الله يجعل له من أمره يسرا وكذلك يعظم له أجرا . وقد بلغت ، والله يشهد .

أ.د/ رءوف شلبى

---

(٣) «تحفة الأحوذى» جـ ٤ ص ٦٩١ .

(٤) راجع «فتح البارى» ص ٤٤٩ .

القيم الدينية

للمقدسات الإسلامية

(٢)

أ. د. عبد الفتاح بركة

مكانة القدس فى الإسلام :

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة ـ ٢٨٥ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة ـ ١٣٦ .

ويقول جل شأنه : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ المائدة ٤٨ .

ويقول جل جلاله : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب ٤٠ .

هذه الآيات الكريمة ، وآيات أخرى كثيرة غيرها ، تعطينا فكرة التواصل المستمر بين النبوات ، وأن السابق منها يؤدى إلى اللاحق نشاطه وجهاده وهدايته وإصلاحه ، وأن اللاحق منها يبنى على ما سبقه ما يؤكده ويثبته ويضيف إليه ، وأن جميع مواريث الأنبياء من الهداية الألهية ، والمقدسات الدينية قد استقرت فى نهاية الأمر على يد خاتم النبيين ـ ﷺ ـ إلى هذا الدين الخاتم الذى اكتملت به النبوات ، وأصبحت هدايته تامة كاملة للبشر أجمعين فى كل زمان ومكان ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة ٣ .

ومن مواريث الأنبياء عليهم السلام تلك البقاع المقدسة المباركة من أرض فلسطين وعلى قمتها المسجد الأقصى ، لذلك تكون لها فى الإسلام تلك المكانة العظمى التى كانت لها من قبل عند الأنبياء السابقين ، باعتبار أن الإسلام حفيظ على مواريثهم ، قيّم على تعاليمهم ، مهيمن على ما سبقه من كتاب ، ولو لم يرد فى الإسلام شىء

بخصوصه بالنسبة لمكانة هذه المقدسات لكانت قداستها فى أديان النبوات السابقة كافية لتحمل المسلمين أمانة رعايتها وحمايتها ، كيف وقد خصها الإسلام بفضل تنبيه وتنويه ، وبفضل تكريم وتقديس .

(١) الإسراء والمعراج :

من هذا التكريم والتقديس تلك الرحلة الليلية التى دبرها الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد ـ ﷺ ـ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعروجه به من ثم إلى السموات العلا ، فربط بين ميراث النبيين جميعا من بناة الكعبة وبناة المسجد الأقصى فى رحلة مباركة ميمونة توجت بتلك الوصلة السماوية حيث رأى من آيات ربه الكبرى .

يقول سبحانه وتعالى منوها بهذه الرحلة المباركة ، مبينا عظيم المنة فيها : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الإسراء ـ ١ .

وفى هذه الآية الكريمة تصريح برحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، أما قصة المعراج فأكثر العلماء على أنها ما ذكرته آيات سورة النجم فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ النجم ٨ ـ ١٨ .

ويهمنا هنا أن نؤكد على هذا المعنى الذى أشرنا إليه من تواصل الرسالات الإلهية وانتهاء مواريثها جميعا إلى الرسول الخاتم ﷺ ، وإلى أمته خاتمة الأمم . ولقد أحسن قاضى القضاة مجير الدين الحنبلى ، حيث جمع من الروايات الحديثية ما يكون صورة متكاملة عن صورة الإسراء والمعراج يبدو فيها هذا المعنى من تواصل الرسالات وانتهائها إلى محمد ﷺ ، وأن الإسراء بين المسجدين ربط واقعى وعملى صريح بين هذه الرسالات ، وأدائها فى النهاية وتسليمها إلى هذا الدين الخاتم .

يقول مجير الدين الحنبلى :
وكان من حديث المعراج الشريف ما روى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : أتيت بالبراق وهو دابة طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه . قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين .

وفى رواية : فلما دخلت المسجد إذا أنا بالأنبياء والمرسلين قد حشروا إلىَّ من قبورهم ومثلوا لى وقد تعدوا صفوفا صفوفا ينتظروننى فسلموا علىَّ فقلت : ياجبريل من هؤلاء القوم ؟ قال : إخوانك الأنبياء والمرسلون .

زعمت قريش أن لله شريكا ، وزعمت النصارى أن لله ولدا اسأل هؤلاء النبيين : هل كان لله شريك ؟ ثم قرأ : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ .

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر فى ـ كتاب التنزيل ـ له : إن هذه الآية نزلت على النبى ـ ﷺ ـ ببيت المقدس ليلة الإسراء ، وقد عدها غيره من العلماء فى الشامى والذى قاله أبو القاسم أخص مما ذكروه . فلما

نزلت وسمعها الأنبياء عليهم السلام أقروا لله - عز وجل - بالوحدانية .

قال - عليه الصلاة والسلام : ثم جمعهم جبريل وقدمنى فصليت بهم ركعتين .

قال - ﷺ : ثم خرجت فجاءنى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : اخترت الفطرة .

ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد - ﷺ - قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ؛ فإذا بآدم عليه السلام

فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد - ﷺ - قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام فرحبا بى ودعوا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ، ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف - عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، وذكر مثله ، فإذا أنا بإدريس فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يَدْخُلُهُ كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه .

ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلىَّ ما أوحى : ففرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى فقال : ما فرض ربك عليك وعلى أمتك قلت : خمسين صلاة ؟ قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك ؛ فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربى ، فقلت : يارب خفف عن أمتى ، فحط عنى خمسا فرجعت إلى موسى ، فقلت : حط عنى خمسا ، قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف - قال : فلم أزل أرجع بين ربى - تعالى - وبين موسى حتى صارت خمس صلوات . قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال : يا محمد إنهن خمس صلوات - فى اليوم والليلة - لكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة . قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف - فقال : رسول الله - ﷺ - فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحيت منه وفى رواية : ياموسى ، قد - والله - استحييت من ربى مما اختلف إليه . قال : بسم الله فاهبط . قال - ﷺ : ثم حملنى جبريل حتى أنزلنى على جبل بيت المقدس ، وإذا أنا بالبراق واقف على حاله فى موضعه فسميت الله واستويت على ظهره ، فما كان بأسرع من أن أشرفت على مكة ومعى جبريل .

قال - ﷺ : لما كان صبيحة ليلة الإسراء أصبحت بمكة متحيرا فى أمرى ، وعلمت أن الناس يكذبونى ، فقعدت معتزلا حزينا إلى ناحية من نواحى المسجد فمر بى أبو جهل عدو الله ،

فجاء حتى جلس إلىّ فقال ـ كالمستهزىء : هل كان من شىء يا محمد ؟ فقلت : نعم . قال :

وما هو ؟ قلت : إنى أسرى بى الليلة . قال : إلى اين ؟ قلت : إلى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين اظهرنا ؟ قلت : نعم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، يا معشر بنى كعب ، يا معشر بنى لؤى ، هلموا . فانفضت المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إلى النبى ـ ﷺ ـ فقال أبو جهل :

حدث قومك يا محمد بما حدثتنى ، فقال ـ رسول الله ـ ﷺ : إنى أسرى بى الليلة قالوا : إلى اين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قالوا : ثم أصبحت بين اظهرنا ؟ قال : نعم فبقى منهم المتعجب ، ومنهم المصفق ، ومنهم الواضع يده على أم راسه ، ثم قالوا : هل تستطيع أن تنعت لنا بيت المقدس ؟ قلت : نعم ، قال : فذهبت أنعته حتى التبس علىّ بعضُ النَّعْتِ لكونى دخلته ليلا فجيىء بالمسجد أنْظُرُ إليه حتى وضع دون دار عقيل ، فجعلت انظر إليه ، وأخبرهم عن آياته : قال ـ ﷺ : وآية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا فنفرهم حس الدابة فَنَدَّلهم بعير فدللتهم عليه .

ثم اقبلت حتى إذا كنت بضَجْنان مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء ، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه ، كما كان ، وإن عِيَرهم الآن تُصَوِّبُ من (البيضاء) ثنية التنعيم يقدمها جمل أورق ، عليه غرارتان : إحداهما سوداء ، والأخرى برقاء . فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أولا إلا الجمل الذى وصف لهم وسألوهم عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءا ماء ثم غطوه ، وإنهم افتقدوه من الليل ، فوجدوه كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا القوم الذين نَدَّلهم البعير ، فقالوا : صدق والله ، لقد ندلنا بعير بالوادى الذى ذكره ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، وإنه لأشبه الأصوات بصوت محمد ابن عبد الله ـ ﷺ ؛ فجئنا حتى أخذناه .

وذهب الناس إلى أبى بكر فقالوا : هل لك يا أبا بكر فى (صاحبك) إنه يزعم أنه قد جاء هذه الليلة ببيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ، فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه : والله لئن كان قال لكم ذلك لقد صدق فما تَعَجُّبكُم من ذلك ؟ فوالله إنه ليخبرنا عن الوحى من الله يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة واحدة من ليل أو نهار فنصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه .

ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : يانبى الله أحدثت هؤلاء أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، قال : صدقت فصفه لى يانبى الله فإنى جئته قال رسول الله ـ ﷺ ـ : فرفع لى حتى نظرت إليه وجعل يصفه لأبى بكر ، وهو يقول : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ـ حتى انتهى فقال رسول الله ـ ﷺ :

وأنت يا أبا بكر الصديق فسمى من ذلك اليوم صديقا .

كما ورد فى أحاديث أخرى وصفه لمجموعة من الأنبياء والرسل الذين التقى بهم ، مثل ما رواه مسلم عن أبى العالية : حدثنا ابن عم نبيكم ﷺ (ابن عباس) ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ : « مررت ليلة أسرى بى على موسى بن عمران عليه السلام ، رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة . ورأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الراس » .

وفى حديث آخر لمسلم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ مر بوادى الأزرق ، فقال : أى واد هذا ؟ فقالوا : هذا وادى الأزرق ، قال : كأنى أنظر إلى موسى ـ عليه السلام ـ هابطا من الثنية ، وله جؤار إلى الله بالتلبية ، ثم أتى على ثنية هَرْشَى فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : ثنية هرشى . قال : كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف ، خطام ناقته خلبة ، وهو يلبى » .

وروى عن جابر أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : عرض على الأنبياء فإذا موسى ضرب من الرجال ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فإذا أقرب من رأيت به شبها عروة ابن مسعود ، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه ، فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم (يعنى نفسه) ، ورأيت جبريل عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية .

وإنما أوردت هذه الأحاديث على طولها لبيان صلة الأنبياء ببيت المقدس من جانب ، وصلة خاتمهم بهم ، وما يتضمنه ذلك من صلته بالمسجد الأقصى وهذا الرباط الدقيق المتين الذى يربط بين هذه المساجد المقدسة المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، ثم مسجد الرسول ـ ﷺ ـ الذى بنى بالمدينة المنورة فيما بعد(١) ..

وليس يعنينا فى هذا المقام أن نشير إلى الخلاف فى توقيت حادثة الإسراء والمعراج ، أو فى كيفية حدوثها ، فتلك ـ فوق أنها أمور تتعلق بإرادة الله النافذة ، وقدرته المطلقة ـ لا تؤثر فى موضوع البحث وهو القيمة الدينية لهذه الأماكن المقدسة .

صلاة الرسول ـ ﷺ ـ بالأنبياء فى المسجد الأقصى :

لقد تعددت الروايات الخاصة بأحداث الإسراء والمعراج ، وأحاديث الإسراء والمعراج أحاديث طويلة ، فلا غرو أن تختلف الروايات فى ذكر بعض الأحداث أو إهمال ذكرها ، أو فى تقديم بعضها أو تأخيرها ، وقد يكون ذلك تابعاً لمناسبة إيراد الحديث ، أو تابعاً لما أثبتته حافظة الراوى ، وهدفنا فى هذا البحث أن نتعرف على واقعة صلاة الرسول ـ ﷺ ـ فى المسجد الأقصى خلال رحلة الإسراء والمعراج ، وسوف نجد أن بعض الأحاديث أهملت ذكر هذه الحادثة والتفتت مباشرة إلى صعوده ﷺ إلى السموات ، وبعضها أشارت إلى دخوله ﷺ إلى المسجد دون إشارة إلى صلاته فيه ، وذكرت أحاديث أخرى أنه صلى فيه بغير أن تشير إلى شىء من التفاصيل ، وقد أشار البعض إلى شىء من هذه التفاصيل .

وقد قرأنا فيما جمعه مجير الدين الحنبلى فيما جمعه من روايات سابقة أنه قال ﷺ : (ثم جمعهم «أى الأنبياء» جبريل ، وقدمنى فصليت بهم ركعتين) .

كما جمع ابن كثير عند تفسيره سورة الإسراء روايات عديدة من أحاديث الإسراء والمعراج ، فذكر من سنن النسائى بروايته عن أنس بن مالك

←

(١) انظر قصة الإسراء بشىء من التفصيل فى الجزء الثانى من البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ص ١٠٨ وما بعدها ، وسيرة ابن هشام ـ طبعة مصطفى الحلبى ـ الجزء الأول صفحة ٣٩٧ وما بعدها وغير ذلك من كتب التاريخ والسيرة ..

ـ وذكر أن فى طريقه غرابة ونكارة ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل ، خطوها عند منتهى طرفها ، فركبت ومعى جبريل عليه السلام ، فسرت ، فقال : انزل فصل ، فصليت ، فقال : أتدرى أين صليت ؟ صليت «بطيبة» وإليها المهاجرة ، ثم قال : انزل فصل ، فصليت ، فقال : أتدرى أين صليت ؟ صليت «بطور سيناء» حيث كلم الله موسى ، ثم قال : انزل فصل ، فصليت ، فقال : أتدرى أين صليت ؟ صليت «ببيت لحم» حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم دخلت بيت المقدس ، فجمع لى الأنبياء عليهم السلام فقدمنى جبريل عليه السلام حتى أممتهم » ..

ثم ذكر رواية ابن أبى حاتم عن انس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : «لما كان ليلة أسرى برسول الله ـ ﷺ ـ إلى بيت المقدس ، أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها ، ينتهى خفها حيث ينتهى طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذى يقال له : باب محمد ـ ﷺ ـ أتى الحجر الذى ثمة فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ، ثم ربطها ، ثم صعد ، فلما استويا فى صرحة المسجد قال جبريل : يامحمد ، هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ فقال :

نعم ، فقال : فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن ، وهن جلوس عن يسار الصخرة ، قال : فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن علىّ السلام ، فقلت : من أنتن ؟ فقلن : نحن خيرات حسان ، نساء قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا ، وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا ، قال : ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ، ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة ، قال : فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل عليه السلام فقدمنى فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل : أتدرى من صلى خلفك ؟ قال : قلت : لا ، قال : صلى خلفك كل نبى بعثه الله عز وجل ....» .

وذكر رواية الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتاب «دلائل النبوة» عن أبى سعيد الخدرى ـ وفى طريقه أبو هرون العبدى ، وهو ضعيف ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال ـ فى حديث طويل : «ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين» .

وبعد روايات كثيرة متعددة يعلق ابن كثير : وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ـ ﷺ ـ من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة ثم يقول : فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ، ودخله فصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين ..

ويرى أن الرسول ـ ﷺ ـ لم يؤم الأنبياء فى رحلة الذهاب وإنما فى رحلة العودة بعد رجوعه من السموات .

يقول : ثم هبط إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء ، فصلى بهم لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم فى السماء ، والذى تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس ، ولكن فى بعضها أنه كان أول دخوله إليه والظاهر أنه بعد رجوعه إليه ، لأنه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يخبره بهم ، وهذا هو اللائق ، لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوى ليفرض عليه

وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ، ثم لما فرغ من الذى أريد به اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه فى الإمامة وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له فى ذلك .. اهـ .

وبهذا يظهر تماماً أن الأنبياء جميعاً سلموا إمامتهم فى بيت المقدس والمسجد الأقصى إلى رسول الله - ﷺ - وأصبحت جميع مواريثهم وأماناتهم ورسالاتهم وديعة فى يد هذه الأمة المشرفة بما فى ذلك تلك المقدسات فى بيت المقدس والمسجد الأقصى .

ولعل هذا الذى تم بتقديمه عليهم إماما كان تنفيذاً لذلك الميثاق الذى أخذه الله تعالى على النبيين والذى ذكره فى قوله :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ - آل عمران/ ٨١ - فهنا نجدهم قد آمنوا به ونصروه ، وأظهروا علامة ذلك بتقديمه عليهم إماما .

ولهذا كانت أمته - ﷺ - شهيدة لهم على أممهم ، وكان - ﷺ - شهيدا على الجميع يقول تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ - البقرة/ ١٤٣ - ويقول : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ - الحج/ ٧٨ .

فاستوت الرسالات وتواصلت وتكاملت وانتهت فى آخر أمرها إلى صورتها الأخيرة الخاتمة التى جمعتها وهيمنت عليها وأحاطت بها ، فى هذا الدين الذى جاء به محمد - ﷺ - ليكون المعَبِّر الوحيد عنها إلى آخر الزمان ، وليكون الحفيظ على مواريثها ومقدساتها بياناً وحماية .

اتخاذ الصخرة من المسجد الأقصى قبلة فى الصلاة :

وقد فرضت الصلوات الخمس - كما هو معلوم - فى ليلة الإسراء من فوق سبع سموات ، وباعتبار ما كان من الإسراء إلى بيت المقدس ، وابتداء رحلة المعراج السماوية من هنالك ، وبناء على توجيه من الله تعالى ، فقد اتجه رسول الله - ﷺ - والمسلمون معه إلى الصخرة المشرفة من بيت المقدس فى أداء الصلاة ، وظل على ذلك حتى هاجر إلى المدينة ، واستمر المسلمون فى توجههم إلى المسجد الأقصى بعد الهجرة ستة عشر شهرا أو نحوا من ذلك حتى أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله أن يتوجه إلى البيت العتيق الذى بناه إبراهيم أبو الأنبياء - عليه السلام .

أخرج الإمام أحمد والطبرانى فى «الكبير» عن ابن عباس - رضى الله عنهما : كان النبى - ﷺ - يصلى وهو بمكة نحو بيت المقدس ، والكعبة بين يديه ، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرا ، ثم صرف إلى الكعبة .

فقد كان - ﷺ - وهو فى مكة يستقبل فى صلاته بيت المقدس إلا أنه كان يحب أن لا يهجر الكعبة ، فكان حين يصلى يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فيكون مستقبلا بيت المقدس ، والكعبة بين يديه ، ويكون بذلك قد أبدى ميله

ورغبته فى قبلة أبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ وظل على ذلك حتى هاجر إلى المدينة وظل هناك يستقبل بيت المقدس ، إلا انه لا يتمكن من ان يجعل الكعبة المشرفة بين يديه ، فكان ـ ﷺ ـ يقلب وجهه فى السماء منتظرا أن يأذن الله له بالتوجه إلى الكعبة التى بناها أبوه إبراهيم ـ عليه السلام .

وقد ظن اليهود وبعض من لا يفقهون أنه إنما كان يتجه إلى بيت المقدس استمالة لهم ، وقد تبين أنه كان يتوجه إليها منذ كان فى مكة قبل أن تكون له صلات مباشرة باليهود ، وأن هذا التوجه إلى بيت المقدس كان بتوجيه من الله وحده .

وانه كان مع ذلك يتشوق إلى أن يوجهه الله تعالى إلى الكعبة فكان يقلب وجهه فى السماء من أجل ذلك ، ولو كان يراعى فى توجهه إلى بيت المقدس مثل هذه الترهات ما قلب وجهه فى السماء انتظاراً لتوجيه جديد .

ولقد استجاب الله لمشاعر رسوله ـ ﷺ ـ لسابق علمه فنزل قوله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ ـ البقرة/ ١٤٤ ـ ومع هذا فالحكمة من توجهه إلى بيت المقدس بيت كثير من الأنبياء السابقين ، ثم إلى البيت العتيق الذى بناه أبوالأنبياء تتضح فى أنه قد جمع مواريث الأنبياء فقد ظل يتجه إلى بيت المقدس مدة بقائه فى مكة ونحواً من سبعة عشر شهراً فى المدينة حتى أذن الله له بالتوجه إلى الكعبة المشرفة .

يروى مسلم عن أبى إسحاق قال : سمعت البراء يقول : صلينا مع رسول الله ـ ﷺ ـ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، ثم صرفنا نحو الكعبة .

ويروى أيضاً عن البراء بن عازب قال :

صليت مع النبى ـ ﷺ ـ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً حتى نزلت الآية التى فى البقرة :

﴿ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ـ البقرة/ ١٤٤ .

فنزلت بعدما صلى النبى ـ ﷺ ـ فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار وهم يصلون ، فحدثهم «فولوا وجوههم قبل البيت»(٢) .

يقول ابن كثير(٣) : وقد جاء فى هذا الباب أحاديث كثيرة ، وحاصل الأمر انه قد كان رسول الله ـ ﷺ ـ أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس ، فكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة ، وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ،

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة .
وانظر فى ذلك تاريخ الطبرى ط دار المعارف جـ ٢ ص ٤١٦ ـ ٤١٧ وسيرة ابن هشام ط مصطفى الحلبى جـ ١ ص ٥٥٠ وما بعدها .

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ١٨٦ ط عيسى الحلبى .

فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما ، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس .. واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهراً ، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التى هى قبلة إبراهيم عليه السلام فأجيب إلى ذلك ، وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق ا هـ .

وبتوجيه الله تعالى للمسلمين فى صلاتهم إلى بيت المقدس قبل توجهم إلى الكعبة على الرغم من رغبة رسول الله ـ ﷺ ـ فى التوجه إلى الكعبة بيان واضح لقداسة هذه البقعة المباركة التى نص عليها فى سورة الإسراء وأنها من مواريث الأنبياء ـ عليهم السلام ـ التى آلت إلى المسلمين إلى الأبد ، وأن عليهم واجباً ثقيلاً تجاه قبلتهم الأولى .

وقد غفل اليهود ومن تابعهم أو تغافلوا عن هذه الحكمة فى جمع الإسلام بين القبلتين بيت المقدس ومسجدها الأقصى ، ومكة ومسجدها الحرام فأشاعوا قالة السوء وتساءلوا متهكمين عن السبب الذى جعلهم ينصرفون عن قبلتهم الأولى إلى قبلتهم الثانية يريدون بذلك إثارة الشكوك والريب ، وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم وأجاب على تساؤلهم فقال : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ـ البقرة/ ١٤٢ .

يقول ابن كثير(٤) : وقد روى الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ يعنى فى أهل الكتاب : «إنهم لا يحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين» .

يتبع

د . عبدالفتاح بركة

(٤) المرجع نفسه ص ١٩٠ .

مرجيث الإسلام
فى جنوب أفريقية

(٢)

اكبر تجمع للمسلمين فى مقاطعة (ناتال) فى مدينة (ديربن) ، وهى مدينة كبيرة بها عدد من المساجد ، ومسجدها الجامع كبير انيق به مكان خاص للنساء ، وبه دورات مياه وأماكن للوضوء مجهزة بالماء الحار والبارد ، وفى صلاة المغرب كان بالمسجد عدد كبير من المصلين .

وأشعر فى هذا المسجد بحاجة المسلمين فى جنوب افريقية إلى دعاة يُعَرِّفُون بالإسلام ويعلمون أحكام العبادات ، فالإمام فى هذا المسجد هندى لا يستقيم لسانه على العربية الفصحى ، ولا اظنه تسهل عليه قراءتها ، وقد استقبلنى هو والمؤذن استقبالا كريما ، ولما حان وقت الأذان تفقدته وكنت اريد أن يكون إمام الصلاة بوصفه الإمام الراتب للمسجد ، ولكنه اختفى ، لا أدرى كيف ، ولا لم اختفى ؟ وصليت المغرب ـاستمع المصلون إلى حديثى بشغف وتعطش ، وفى اليوم التالى قيل لى : إن الإمام طلب من الذين اقتدوا بى فى الصلاة أن يعيدوا صلاتهم ؛ لأنها كانت صلاة باطلة ، وسبب فسادها أنى اقصر لحيتى فلا يصل طولها إلى قبضة اليد !

وفى (دربن) قابلنا «أحمد ديدات» ، وأطلعنى على كتب ومنشورات تبشيرية ، ومن أعجبها كتاب مرتب على هيئة المصحف ، يبدأ كل قسم منه بالبسملة ويضع عنوانه فى زخرف عربى كالذى يرسم فى المصاحف ، وبعض فصوله تبدأ بحروف مقطعة ، ولم يتسع الوقت لأقرأ كثيرا من محتويات الكتاب ، ومدرسة «ديدات» تضم عدد من التلاميذ رأيتهم جميعا يقرأون الأناجيل فى لغتها الانجليزية الحديثة .

وطلب إلى أن أتحدث فقلت : إننى يعجبنى أن يدرس المسلمون الأديان الأخرى ، وأن موازنة القواعد والأحكام الدينية ومقابلاتها ذات جدوى كبيرة لأنها تظهر نصاعة الإسلام ، وتوضح سموه وأنه بحق هو الدين السماوى الصحيح ودراسة الأديان الأخرى إنما تكون بعد دراسة الإسلام وحسن فهمه ، وحيث خصصوا أنفسهم للدراسة الدينية فيجب البداية بدرس الإسلام وتفهمه من خلال فهم القرآن ودراسة الأحاديث النبوية الشريفة على قائلها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

لم يسترح أحمد ديدات ولا تلاميذه إلى حديثى ، وقال أحد التلاميذ : إن الإسلام يواجه هجوما عنيفا من المبشرين ، وهؤلاء المبشرو

د. عبد الجليل شلبي

يعنون بشرح ما يسمونه (مساوىء) الإسلام و(أخطائه) أكثر مما يعنون بتعليم المسيحية. وكثيرا ما يعاب على الإسلام أشياء مذكورة في الكتاب المقدس ولا يعيبونها فيه[1] وفي هذا الكتاب (العهد) كثير من التضارب، وفيه ما لا يصدقه العقل وينبو عن المنطق! وتبين لي أنه قرأ الكتاب المقدس بعمق كاف، ورأيت ألا أطيل الجدل في هذا الموضوع، ولم أسأله عن مدى دراسته الإسلامية، وقرأ «الشيخ بركات» الذي كان يصحبني بصوته الجميل آيات من القرآن الكريم قراءة مجودة مؤثرة، وفرحوا جميعا، ولكن أحمد ديدات قام دون أن يودعنا.

إن تلاميذ أحمد ديدات قد يتفوقون على المبشرين في مناظراتهم، كما تفوق هو في مناظرته، ولا يأتي هذا التفوق إلا بدرس الكتاب المقدس، وقد سبقت مناظرة أحمد ديدات، مناظرة الشيخ رحمة الله الهندي مع القس فندر Phender وهي مدونة في كتاب «إظهار الحق» وقصتها أكبر وأضخم من قصة المناظرة التي أقامها ديدات مع قس أمريكي منحرف، وأخرج المبشرون من قبلهم كتابا سموه «الهداية» - ولكن لم يذكروا اسم مؤلفيه واكتفوا أن يقولوا: إنه من تأليف جماعة وكتاب (إظهار الحق) متداول. وطبع في قطر طبعة أنيقة جميلة، وما أظن كثرة من المسلمين قرأت أيا من الكتابين، ومازلت أرى أن دراسة الإسلام أجدى على المسلمين في جنوب أفريقيا من دراسة الأديان دراسة مقارنة، لأن المسلمين هناك يجهلون الكثير من حقائق الإسلام وقواعده، وهم بحاجة إلى من يعرفهم طرق العبادة الصحيحة أو يشرح لهم آي الذكر الحكيم والسيرة النبوية، ولست أريد التقليل من شأن مدرسة ديدات ولا أريد حذف منهجه نهائيا، إنما أريد أن يعرف الإسلام أولا، والوضع في جنوب أفريقيا يختلف عن الوضع في البلاد الإسلامية، لأن هناك كثرة كاثرة من الزنوج ذوي الديانات البدائية، والمبشرون إذ يدعونهم إلى المسيحية يرون تشويه الإسلام هو السياج الذي يحول دون دعوتهم له وأكبر قبيلة من الزنوج هم قبائل «الزولو» في مقاطعة ناتال، ويبلغ عددهم نحو ستة ملايين.

وليسوا في الواقع قبيلة واحدة تنتمي إلى أصل واحد، فقد كانوا من قبل قبائل متفرقة، حتى جاء ملك يدعى «رنجا» كان ذا شهامة ورأى فعمل معهم ما عمله (قصي بن حكيم) حين جمع قبائل قريش العشر، وسماهم قريشا، فكانوا أمة واحدة. وهذه القبيلة حاربت الانجليز في شجاعة نادرة وتضحية وحيل حتى بات الانجليز يخشون بأسهم، وكان الطريق الوحيد لإ لانتهم هو طريق التبشير، ففتحت بينهم المدارس التبشيرية وبنيت المستشفيات، وبلغ ما انفق في سبيل التبشير نحو ثلاثين مليونا من الدولارات، وكانت طريقة ناجحة فقد دخل كثيرون النصرانية تقليدا ومحاكاة، وقنع المبشرون بهذا آملين أن يكون الجيل المقبل أكثر استجابة وأحسن فهما.

وللزولو الآن (حكومة) منظمة وعليها (ملك) يملك ولا يحكم كما يقال هوكنج «جودو» وقد تعلم في إحدى مدارس التبشير الانجليكانية، ولكنه يحب المسلمين، وكنت أود أن يتسع الوقت ←

(١) مثال ذلك تعدد الزوجات فقد نص على وجوده بين أنبياء سابقين على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

من حديث الاسلام

لمقابلته وزيارة مملكته ، ولم ييسر هذا ، وأسفنى كثيرا .

ونائب الملك ، ورئيس وزرائه هو ابن عم له وصهر - كلاهما من فرع يقال له «بو تو لذى» .

وحكومة الزولو مع هذا النظام ليست حكومة مستقلة ، ولا يزال بينهم وبين الانجليز خلافات كثيرة واسعة ، ولكن لاهم يستطيعون الاستقلال والحكم المدنى الحديث ، ولا يسمح الانجليز لهم به إن استطاعوا .

وليس بين الزولو مسلمون إلا أن يكون أفراد عرفوا الإسلام ، وليسوا أيضا نصارى جميعا ، وحتى النصارى منهم لاتزال بينهم وثنيات قديمة من (الطوطميات) و(عبادة الاسلاف) أو (بعض الحيوانات والأشجار) .

ويلى قبائل الزولو قبائل «الكوزا» - ويوجد الآن عدد منهم فى منطقة (الكاب) وَبَعْضٌ رَحَلَ إلى أماكن أخرى ، ويبلغ عددهم مليونين منهم نحو خمسمائة شخص مسلم وبُغِضَتْ حروبهم المتطاولة مع الأوروبيين ديانة الأوروبيين إليهم ، وفى سنة ١٩٨٥ م كانت هناك مذبحة قتل الانجليز فيها منهم أربعين شخصا فى موقف واحد ، وقد تكون هذه القبائل أدنى إلى الإسلام وأكثر استجابة له لو وجدت دعاة يجتذبونهم إليه .

وقابلنى أحد أبناء هذه القبيلة ، ورجا أن أزورهم لأحدثهم عن الإسلام ، ولكن لم تكن هذه الزيارة فى جدول أعمالى ، وأدهشنى أن سأله بعض الذين كانوا معنا إن كان يضمن سلامتى ؟ وعلمت أن دسائس الانجليز علمتهم الشك والحذر ، وقد أتهم بأننى جاسوس من قبل الانجليز فيقتلوننى فى الحال ، لكنهم إذا اقتنعوا بأننى مسلم محايد فإنهم يجلوننى ويستمعون إلى ؟

يتبـع

خلق الانسان ومبعثه - بقية

وخلاصة ما قدمنا : أن الله سبحانه بدأ بذكر خلق الإنسان فقال : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ لأن النعمة فيه سابقة على جميع النعم ، ثم بما فيه قوامه وهو الحب فقال : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ ثم بما يعجن به ويشرب وهو الماء ، ثم بما يخبز به وهو النار ، فحصول الطعام بمجموع الثلاثة ، لا يستغنى عنه الجسد مادام حيا[١٢] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أى نزه الله عما أضافه إليه المشركون من الأنداد والعجز عن البعث لأنه بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة لمنفعة الإنسان فاذكروه بالتسبيح لما عدد من بديع صنعه وإنعامه[١٣] .

وبعد أن تلوت هذه الآيات المباركة لعلك تلمح فيها لطائف غير ما ذكرنا ، وهذا عطاء القرآن الكريم لا يتوقف فهمه عند قول بشر .

والله يهدى إلى سواء السبيل .

---

(١٢) تفسير النسفى ٢٢٠/٤ .

(١٣) راجع تفسير ابن كثير - سورة الواقعة .

الانتفاضة وإعلان قيام الدولة الفلسطينية

للأستاذ/ السيد حسن قرون

فى الدقيقة الأولى من صباح الثلاثاء ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ أعلن قيام الدولة الفلسطينية ارتكازا على الحقوق التاريخية والطبيعية للشعب الفلسطيني ، وانطلاقا من الشرعية الدولية المتمثلة فى قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ - الصادر فى نوفمبر ١٩٤٧ ، والخاص بتقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية ويهودية ، وجاء فى حيثياتها : «واستجابة لمطلب الانتفاضة الشعبية المستمرة فى الأراضي المحتلة» ثم حديث عن الحكومة المؤقتة .

وأنا يهمنى الحديث عن الانتفاضة ، فلقد شغلت بها منذ ثار غبارها وارتفع صوتها باستخدام الحجارة تعبيراً عن ضيق النفوس بذلك الاحتلال الإسرائيلى ، ولأمر لم أتبينه فى رؤية الغد نحو فلسطين كتبت مقالين متتاليين فى مجلة الأزهر ، الأول فى ديسمبر ١٩٨٧ وهو بدء الانتفاضة والثانى فى يناير ١٩٨٨ ولم يدر فى خلدى أن فلسطين فى الضفة وغزة ضاقوا ذرعاً بالاحتلال الإسرائيلى ، فكانت الانتفاضة وسلاحها الحجارة ، وعنوان المقالين : «بكاء الديار ورثاء الممالك والأمصار» تحدثت فيهما عن الأندلس وعن فلسطين وذكرت الشعر القديم والحديث فى ذلك البكاء وهذا الرثاء .

وكانت الانتفاضة الفلسطينية فى العام الماضى والعام الحاضر قد حركت مشاعر الشعراء بجانب مقالات الصحفيين والأدباء ، وكتبت عن طفل قتل أبوه فتشبث بقبره ونشرت الصحف صورته ، وكانت مقالتى بالأخبار فى ٢٩ فبراير ١٩٨٨ ولقد اهتم العالم أجمع بتلك الثورة الفلسطينية وهالهم دفاعهم المشروع والذى يرى فى وسائل الإعلام من حجارة تطير فى الهواء ولا تحدث مقتلا للعدو ، وتقابل الحجارة بأحدث سلاح أقل شىء منه إطلاق الرصاص والقنابل التى تحمل الأجسام المحرقة ، وقد بلغ عدد الشهداء حتى اليوم أكثر من ثلثمائة شهيد ، ولم تقتل الحجارة أحداً من إسرائيل أو تجرحه .

الانتفاضة والدولة الفلسطينية

وأصحاب الانتفاضة من حقهم أن ينالوا الاستقلال وتحرير أرضهم من وحشية الاحتلال ، ولقد كانت لهم الأرض كلها أفلا ينالون شطرهم منها ؟

ولقد فكرت فى الحجارة طويلا ، ووجدت لها تاريخاً فى الأمتين : الفلسطينية واليهودية على مر التاريخ ، ويكفى أن نذكر منها فى القديم تسجيلاً لمعركة كان الحجر فيها صاحب القدم المعلى جاء فى القرآن الكريم وفى العهد القديم «التوراة» على أن القرآن الكريم فى تلك المعركة سجل لداود بطولة فى قتله خصمه من الفلسطينيين ، وكان خصمه بطلاً وممارساً للحروب ، فقال الله تعالى :

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ . . ﴾ . (الآيتان ٢٥٠ ، ٢٥١ من سورة البقرة) .

كان الفلسطينيون فى غاية القوة عدداً وعدة ، ولما نازل داود جالوت ، واسم جالوت فى العهد القديم «جليات» . وقد أطال فى حكاية داود فتحدث عن الحشود من الجانبين ، وسمى الملك باسم «شاول» والقرآن سماه «طالُوت» وشاول له قصة وهو أول ملك على بنى إسرائيل جاء استجابة لطلب شعب إسرائيل على لسان نبيهم فى ذلك الزمان وهو «صموئيل» الأول .

قال العهد القديم : إن جليات مكث أربعين يوما يطلب المبارزة من شعب إسرائيل فلم يخرج له أحد ليبارزه حتى جاء داود يحمل الطعام لإخوته المحاربين فى جيش شاول ، وسمع صوت جليات يطلب المبارزة ، وسمع معه من يقول من رجال إسرائيل إن الملك شاول جعل مكافأة من يقتله الثراء والزواج من بنته بجانب ذلك يجعل بيته أى أسرته لها الحرية فى بنى إسرائيل .

وقابل داود الملك شاول وأعلمه أنه يبارز جالوت فاستصغره الملك ، وكان غلاماً حسن الوجه أشقر ، فأخبره داود أنه صرع أسداً ودباً حين خطف الأسد شاة من غنمه التى يرعاها .

«كان داود راعى غنم» فأذن له الملك والتقى بخصمه جالوت وتحاورا قبل القتال ، وكان يلبس الملابس الحربية والسلاح فألقى بها وحمل عصاه وجرابا به خمسة حجارة ، وقتله بحجر ثم هجم عليه وأخذ سيفه وقطع رأسه وذهب به إلى شاول الملك ، وفرحت نساء إسرائيل وضربن الدفوف ورقصن وغنين وجاء فى وصف «جليات» أنه من «جت» طوله ستة أذرع وشبر ، على رأسه خوذة من نحاس ، وكان لابسا درعاً حرشفياً ووزن الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس ، وجرموقا نحاس على رجليه ، ومزراق نحاس بين كتفيه ، وقنا رمحه كنول النساجين ، وسنان رمحه ستمائة شاقل حديد ، وحامل الترس كان يمشى أمامه .. وهذا الوصف يشبه الأساطير وإن جاء فى الكتاب المقدس .

ولقد قامت دولة إسرائيل على ذلك العهد بانتصار حجارة داود ، ولنا أن نتفاءل بقيام دولة فلسطين بحجارة الانتفاضة ، كان سكان فلسطين كفاراً يحاربون الأنبياء ويظلمون الشعب المسالم ، لكنهم اليوم تبادلوا الموقع فكان عرب فلسطين هم المدافعين عن الحق وعن شعائر التقوى ولا يخافون الموت ، ولقد وقع العالم أجمع فى الإثم حين أحلوا الغرباء فى أرض الأصلاء ومدوهم بالمال والسلاح .

ولئن استخدم العرب اليوم الحجارة فلقد سن

لهم آباؤهم هذا السلاح ، حاربوا به فى جاهليتهم قال شاعرهم :

فإن تمنعوا منا السلاح فعندنا
سلاح لنا لا يشترى بالدراهم
جنادل أملاء الأكف كأنها
رؤوس رجال حلقت بالمواسم

والأبناء يقتدون بالآباء ، وأبناء الضفة وغزة لهم جانبان عظيمان من القدوة :
الأنبياء وميراث الآباء :

ولقد أخذت الحجارة مكانتها وقدسيتها فى الكتب المقدسة وفى الشرائع السماوية ، وحسبك أن تعلم أنها عبادة فى الحج ، فى رمى الجمرات ، وأنها تطهر من الإثم حين يرجم الزانى والزانية ، وأنها تنوب عن الماء فى الاستنجاء ، وأنها توصف بها القلوب القاسية كما جاء فى القرآن من سورة البقرة يصف بنى إسرائيل بعد حادث البقرة من ذبحها وضرب بعضها بقتيل بنى إسرائيل ليحيا فيخبر عن قاتله : قال تعالى يخاطبهم :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧٤ سورة البقرة) .

فالحجارة طاهرة مطهرة ولها أثر عظيم فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة لها عذابها الشديد المقيم للمجرمين . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦ - التحريم) .

وهكذا تفعل الحجارة . والأمل الكبير فى قيام الدولة الفلسطينية ونجاح الانتفاضة وسلاحها من الحجارة المختارة . والله على كل شىء قدير .

السيد حسن قرون

من تاريخ الإسلام ومدرسة القضاء

إلى عهد الإمام المراغي

بداية ينبغي أن نشير إلى نقاط عدة تعتبر معالم لهذا الموضوع

١ ـ طرق الدراسة قديما بالجامع الأزهر :

كانت طرق التدريس في الأزهر هي الطرق التي تقوم عليها الدراسة في غيره من المساجد الكبيرة قبله كجامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وجامع ابن طولون بالقطائع وغيرهما من مساجد العالم الإسلامي في شكل حلقات علمية ، فكانت الدروس تعقد به ، حيث يتصدر كل حلقة أستاذها والشيخ أو الأستاذ يجلس على كرسي من الخشب أو الجريد ليتمكن من رؤية طلبته وإسماعهم إذا كثروا أمامه ، والطلبة متحلقون حوله على شكل دائرة غير كاملة ، كل منهم صامت منصت لدرس شيخه ، وكأن على رأسه الطير ..

وكانت الدراسة تقوم على الحوار والمناظرة والتحليل والمناقشة ثم تكون أسئلة الطلاب في كل ما يعن لهم من مشكلات الدرس ومعضلاته ..

وأحيانا تكون الدراسة عن طريق «الأمالي» حيث يملي الشيخ على طلابه من كتاب مخطوط ، من تأليفه أو تأليف غيره ، والطلاب يكتبون خلف الشيخ ، وبعد كل فقرة يقف الشيخ ليشرح ما فيها من أفكار وألفاظ تستدعي الشرح .

وقد تكون الدراسة على صورة ثالثة وهي أن يكلف الشيخ أحد طلابه الممتازين بالقراءة والشيخ يشرح ما غمض من عبارات المؤلف .. فإذا فرغ الشيخ من دروسه كلف الطالب القارىء بإعادة الدرس على زملائه بصورة أخرى وهو ما يطلق عليه في عصرنا الحاضر اسم «المعيد» أي أن الدراسة بالأزهر كانت حرة .. «وكل شيخ له طريقته» ولا سلطان لأحد عليه فالشيخ يتفق مع طلابه على زمان الدرس ومكانه والطالب حر أيضاً في أن يجلس إلى الحلقة التي يرغبها .. والتي تتناسب مع عقليته وسنه وتحصيله ..

والمهم أن الدراسة بالأزهر كانت تعتمد على التحليل والمناقشة والحوار بين الطلاب والشيوخ بما يثقف العقل وينمي ملكة الفهم .. وقد ظلت الدراسة على هذه الحال إلى وقت قريب إلى أن اضطر المسئولون إلى وضع قوانين ولوائح لتطوير الأزهر .

ويصف لنا علي مبارك في كتابه : «الخطط التوفيقية» طريقة الدراسة على نظام الحلقات فيقول :

كان في السابق لكل أهل مذهب من المذاهب الأربعة عمد معينة من عمده لا يجلس في التدريس بها غيرهم ....

د. مجاهد توفيق الجندى

«ولكل شيخ من أهل المذهب عمود لا يتعداه ، ولا يتعدى أحد عليه» .

المدرسون بالجامع الأزهر :

كان لا يتصدى للتدريس بالجامع الأزهر إلا من درس العلوم والفنون المتداولة به ومارسها ممارسة بحث وتحليل دقيق ، وتلقاها من أفواه العلماء والمشايخ لمدة طويلة قد تصل أحيانا إلى ثلاثين سنة أو أكثر أو أقل وبعد أن يصبح متأهلا لتصدر الحلقة ، حلالا لمشكلات المسائل ومعضلاتها ، يطلب من شيوخه ويستأذنهم أن يعطوه إجازة[1] علمية .. فيحدد له شيوخه قطعة من كتاب يبحثها بحثا عميقا ويراجع عليها كافة المصادر الخاصة بموضوعه ثم يجتمع شيوخه وزملاؤه يوم الامتحان فيتراكمون ويتزاحمون لحضور درسه .. فيتصدر الحلقة مكان شيخه ، ويبدأ درسه بالبسملة والحمدلة والحوقلة والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحابته ، ثم يذكر المصادر التى رجع إليها فى بحثه من باب الأمانة العلمية ويدخل فى درسه ثم يتوغل فيه شيئا فشيئا .

وبعضهم كان يتأنق فى الابتداء ، ويسلك فى درسه طريق الاغراب ، وبعض الحاضرين يتعصب عليه ويتعنت والبعض ينتصر له ، خاصة عند توجيه الأسئلة إليه ، فإذا وفق فى الإجابة والاقناع .. يعتبر هذا نجاحا له وعلى الشيوخ أن يمنحوه الاجازة العلمية ؛ فإذا تلعثم فى الإجابة ربما اقاموه ومنعوه من التصدر ، وعليه أن يجلس من جديد فى حلقات الشيوخ .

ثم صارت هذه الحال فى العصر الحديث إلى التساهل .. ويعلق على ذلك على مبارك الذى شاهد بنفسه هذه الحال فيقول : «ثم تساهلوا فى ذلك حتى صار من يتصدر لا يتعرض له احد ، حتى كثر المتصدرون .

وقد تنبه المسئولون بالأزهر والغيورون عليه إلى هذا الوضع وأجمعوا على عمل قانون يجرى عليه المشايخ فى تصدرهم ومنع غير المستحقين ، وكان على رأس هؤلاء العلماء الشيخ «مصطفى العروسى» شيخ الأزهر ولما فاجأه العزل عن المشيخة سنة ١٢٨٧ هـ وحل محله الشيخ «محمد المهدى العباسى الحنفى» رأى أن من المصلحة العائدة على العلم بالحفظ ،عدم الابتذال تطبيق ما ارتآه سلفه ، فاستأذن الخديو الأعظم فى عمل قانون الامتحان لكل من يريد التدريس من المستجدين وقد راعى الشيخ المهدى فى هذا القانون الأخذ بأطراف من التقاليد والأعراف القديمة مع ماجدد فيه ، ومع الدقة والحزم ومراعاة الأمانة المطلقة فى الامتحان وهذا هو أول قانون من قوانين الأزهر .

---

(١) راجع تصدير العلامة جلال الدين السيوطى محاضرة القاها امام لجنة امتحانه ليحظى بدرجة التدريس بجامع شيخون بالقاهرة .. وهى تتكون من اثنين وخمسين سطرا بخط يده ضمن مجموعته رقم ٢٠٤ بمكتبة الازهر ونشرت بالمجلة فى عدد سابق ، وهذا التصدير يعطينا بأجلى بيان صورة مشرقة لتخريج العلماء فى الجامع الازهر وغيره من مراكز العلم فى البلاد الإسلامية وقد تحدث فيه السيوطى عن تفسير الآيات الثلاث الأولى من سورة الفتح وتناولها شرحاً وتحليلاً من كافة الجوانب .. (الباحث) وراجع أيضاً كتابنا : دراسات وبحوث جديدة فى تاريخ التربية الإسلامية ص ١٨٢ ـ ١٩٢ ط أولى سنة ١٤٠٤ هـ .

٢ ـ الإجازات العلمية بالجامع الأزهر :

لم يكن للأزهر قبل صدور هذا القانون شهادات معينة ، ولكن كانت هناك إجازات علمية تمنح للطلاب من أكابر الشيوخ وفطاحل العلماء ، متى كمل استعداد الطلاب ونضجت مداركهم ، وأصبحوا أهلا للتدريس أو الافتاء أو القضاء ، وقد تمنح الإجازة في العلوم الشرعية أو العربية جميعا وتسمى «إجازة عامة» وقد تمنح في مادة واحدة نظرية أو عملية كالطب مثلا فتسمى «إجازة خاصة» في الطب وممارسة العلاج ، وقد تمنح الإجازة في كتاب خاص متى أتم الطالب دراسته أو حفظه بحيث يمكنه تدريسه ، وهذه الطريقة سار عليها الأزهر قديما في عصوره الزاهرة .

وقد ذكر العلامة القلقشندى[٢] ـ وهو من أعلام الأزهر في كتابه الموسوعي : «صبح الأعشى ...» طائفة من هذه الإجازات ، نذكر منها بعض ما جاء في إجازته هو أو التى أخذها من العلامة «سراج الدين أبى حفص عمر» الشهير بـابن الملقن ، وكتبها للقلقشندى القاضى «تاج الدين بن غنوم» فقد جاء فيها بعد البسملة والديباجة : «ولما كان فلان ـ أدام الله تسديده وتوفيقه ويسر إلى الخيرات طريقه ـ ممن شب ونشأ في طلب العلم والفضيلة ، وتخلق بالأخلاق المرضية الجميلة ، وصحب السادة من المشايخ والفقهاء والقادة من الأكابر والفضلاء ، واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا يرضى ، وإلى نيل السعادة إن شاء الله يقضى .. استخار الله تعالى سيدنا وشيخنا وبركتنا ، العبد الفقير إلى الله تعالى ، الشيخ الإمام العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، فريد دهره ، ونسيج وحده جمال العلماء ، أوحد الفضلاء ، عمدة الفقهاء والصلحاء : سراج الدين مفتى الإسلام والمسلمين أبو حفص عمر بن الملقن .. الخ .

٣ ـ قانون الامتحان سنة ١٢٨٨ هـ ـ ١٨٧٢ م

هذا القانون هو المشهور بقانون الامتحان ، لكنه بحث مواضيع أخرى تتصل باصلاح الأزهر وقد عالج هذا القانون العيوب التى طرأت على النظام القديم ، ومنع التساهل في تعيين المدرسين ، فنظم طريقة الحصول على «شهادة العالمية» وحدد المواد التى يمتحن فيها الطالب قبل الحصول عليها ، ورتبها على ثلاث درجات : أولى ، وثانية ، وثالثة وجعل منحها بأمر أو براءة من ولى الأمر .. وبذلك وضع أول حجر في تدخل البيت المالك في شئون الأزهر ، ومنع أن يدعى العلم من ليس من أهل العلم ..

أما العلوم التى تدرس وطريقة تدريسها ، فلم يمسها بتعديل أو تبديل .. بل بقيت كما كانت ، وبقى حرص الأزهريين عليها كما كان .

وقد وُصِفَتْ الكتب وكل العلوم التى كانت تدرس بالأزهر في تلك الفترة بأنها «من نتاج العصور المتأخرة ، تحدرت من العصور الزاهية ، ولكن عدا الزمان عليها ، فأفقدها روحها ، فصارت شكلا» .

٤ ـ بداية في التطوير

كانت النظرة التى نظرها رجال الأزهر إلى محمد على وبنيه ، وإلى كل ماجد في عهدهم من

---

(٢) نسبة إلى «قلقشندة» إحدى قرى مركز طوخ محافظة القليوبية ، وكانت له حلقة كبيرة مشهورة ، في الجامع الأزهر شغل عدة مناصب في دولة المماليك الجراكسة آخرها رئيس ديوان الإنشاء سنة ٨٢١ هـ وله عدة مؤلفات مخطوطة منها : ضوء الصبح المسفر ، ومطبوعة ومنها : صبح الأعشى في صناعة الانشا في اربعة عشر جزءاً .

تغيير شمل النواحى التعليمية وغيرها ـ نظرة شك وريبة فكان صمودهم على ما ورثوا من ثقافات نتيجة معقولة لهذه النظرة الحذرة .

ثم كان لـ « دنلوب » بعد الاحتلال البريطانى وقبضته بيد من حديد على زمام التعليم فى مصر ـ اثر كبير على صلابة الأزهريين وزيادة صمودهم ووقوفهم فى وجه من يريدون التغيير والتطوير ..

ولكن صيحات الاصلاح لم تذهب ادراج الرياح .. فقد صاح محمد عبده صيحاته القوية .. وتحمس لها مؤيدون وتفتحت لها آذانهم ، ووعتها أذهانهم ، وإن كانوا قلة قليلة .

٥ ـ مجلس إدارة للجامع الأزهر

صدر فى يناير سنة ١٨٩٥ م قانون بتشكيل «مجلس إدارة الأزهر» وذلك ثمرة من ثمار جهود الإمام محمد عبده ..

ويتكون هذا المجلس من خمسة أعضاء : ثلاثة من كبار العلماء أحدهم شافعى وهو الشيخ حسن المرصفى[٣] ، والثانى مالكى وهو الشيخ سليم البشرى[٤] والثالث حنبلى وهو الشيخ يوسف النابلسى[٥] شيخ الحنابلة إذ ذاك ، واثنين أحناف من موظفى الحكومة وهما الشيخ محمد عبده[٦] والشيخ عبدالكريم سالمان[٧] .

٦ ـ العلوم الحديثة والأزهر

رأى مجلس إدارة الأزهر أن يستطلع ويختبر قوة المشتغلين بالعلوم الحديثة مع العلوم القديمة ، وحال المقتصرين على القديم فقط ، فقرر أنه لا يقبل طلب امتحان بمكافأة فى علم من العلوم الحديثة وحده ، بل لابد أن يصحب بثلاثة علوم على الأقل من العلوم المتداولة وأن من أراد الامتحان فى العلوم القديمة وحدها فله ذلك دون حجر عليه ، ثم تبين بعد الامتحان أن الذين نجحوا فى العلوم القديمة مع اشتغالهم بالعلوم الحديثة ، اكثر من الذين نجحوا مع اقتصارهم على العلوم القديمة وحدها .. وقد سجل المجلس ذلك فى تقريره السنوى مدعوما بالأدلة والأرقام ..

٧ ـ القانون رقم ١٠ لسنة ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م وأهم مواده

كان إنشاء مدرسة القضاء " رغى افتئات على حق الأزهر الطبيعى ، فقد أنشئت دون توجيه من الأزهر أو اشراف عليه ، ومن العجيب أن تحمل فى هذه الحالة كلمة (الشرعى) وكان من الممكن لو أن النية خالصة أن تستنبت من الأزهر فتكون مدرسة من مدارسه العليا ، أضف إلى ذلك أنها كانت حربا على طلبة الأزهر بما اختصت به من مزايا ، ثم كانت ـ فى النهاية ـ لا تستطيع أن تقيم صرحها العلمى دون الاعتماد على علماء الأزهر .

ثم صدر القانون رقم (١٠) لسنة ١٩١١ م فأصبحت المدرسة بهذا القانون قسما من اقسام الأزهر .

وأثبتت الأحداث أن ارتياب «المحافظين» من

←

---

(٣) نسبة إلى «مرصفا» إحدى قرى مركز شبين القناطر محافظة القليوبية (الباحث) .

(٤) نسبة إلى «محلة بشر» إحدى قرى مركز «شبراخيت» محافظة البحيرة ولد سنة ١٢٤٨هـ ١٨٢٩ م ومات سنة ١٣٣٥ هـ ـ ١٩١٧ م ودفن بزاوية السادات المالكية بصحراء قرافة السيدة زينب بعد حياة حافلة بمآثر الاعمال .. (راجع ترجمته فى كتاب «إقليم البحيرة» لمحمد محمود زيتون طبع دار المعارف سنة ١٩٦٢ م ص ٥٦٨ والمراجع التى رجع إليها (الباحث) .

(٥) نسبة إلى «نابلس» إحدى قرى فلسطين (الباحث) .

(٦) ولد «بمحلة نصر» سنة ١٢٥٨ هـ ـ ١٨٤٩ م وقيل سنة ١٢٦٥ هـ ـ وأبوه «عبده خير الدين» وأمه «حنينة» من أسرة عثمان من الغربية ويرجع أصلها إلى «بنى عدى» ، فى سن العاشرة التحق بالجامع الاحمدى بطنطا ثم درس بالأزهر .. (إقليم البحيرة ص ٥٨٨ ـ ٥٩٤) .

(٧) ولد فى «جنبواى» إحدى قرى البحيرة سنة ١٢٦٥ هـ ـ وهو من أصل ألبانى .. مات فى مايو سنة ١٩١٧ م وشهد جنازته سعد زغلول وعلماء الأمة (إقليم البحيرة) ص ٥٩٤ ـ ٥٩٧ .

علماء الأزهر من هذه الخُطأ كان فى محله .. والواقع أن محاولة إحداث دراسة إسلامية بعيدة عن الأزهر ، وفى الإمكان انشاؤها بالأزهر أمر لايخلو من نظر ، فكان هذا القانون تصحيحا لخطأ الإساءة إلى الأزهر .

والقانون الجديد هذا ينظم الدراسة بالأزهر على قواعد جديدة ، وأهم ما تضمنه : تقسيم الدراسة بالأزهر إلى مراحل ، لكل منها نظام خاص ومواد مخصوصة[8] ثم إنشاء هيئة تشرف على الأزهر برياسة شيخه ، تسمى «مجلس الأزهر الأعلى» وإنشاء «هيئة كبار العلماء»[9] وإضافة مواد التاريخ والجغرافيا والرياضة ومبادىء الطبيعة والكيمياء إلى مواد الدراسة القديمة .

وقد جاء فى المادة الأولى من هذا القانون : أن الجامع الأزهر هو المعهد الدينى العلمى الإسلامى الأكبر ، والمعاهد الأخرى هى : معهد مدينة الاسكندرية ، معهد مدينة طنطا ، ومعهد مدينة دسوق ، ومعهد مدينة دمياط وكل معهد يؤسس فى القطر المصرى بإرادة (سنية) ويحل مجلس الأزهر الأعلى محل ناظر المعارف العمومية فى جميع الاختصاصات التى له الآن بمقتضى القانون المشار إليه .

٨ ـ إنشاء اقسام للتخصص بالأزهر

بما أن الأزهر كان فى حاجة أخرى إلى اقسام للتخصص يزداد فيها العالم تمكنا فى المواد الأزهرية الأصيلة فقد رئى إنشـاء قسم للتخصص سنة ١٩٢٣ م ويتكون هذا القسم من مجموعة شعب منها : شعبة الفقه والأصول لتخريج قضاة شرعيين ، وكان ذلك تمهيدا لإلغاء مدرسة القضاء .. ثم توجهت العناية إلى التوسع فى دراسة العلوم الحديثة فى المرحلتين الابتدائية والثانوية بالمعاهد الدينية ، فزودت هذه المعاهد بالمعامل اللازمة لهذه الدراسة .

٩ ـ ورقة عمل جديدة لاصلاح الأزهر فى مشيخة المراغى الأولى له ..

عندما عين فضيلة الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخا للأزهر سنة ١٩٢٨ م كتب مذكرة قدمها للمسئولين بشأن إصلاح الأزهر .. علاج عيوبه ، وحل المشكلات التى تعترضه من كل جانب .. فقد كان رحمه الله تلميذا للإمام محمد عبده فأشرب روحه ، وحمل لواء الاصلاح من بعده ، وقد كانت هذه المذكرة ولا تزال الدستور لكل اصلاح أدخل على الأزهر أو سيدخل عليه فيما بعد .. وقد تكونت لجنة بتكليف من مجلس الوزراء لإصلاح الأزهر برئاسة الشيخ المراغى ، واستمرت هذه اللجنة

البقية ص ٩١٧

(٨) انعقد هذا المجلس لأول مرة فى تاريخه بدار مشيخة الأزهر وفق النظام الجديد فى ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩ هـ ٤ من يونية ١٩١١ م وكان يتكون من الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر رئيساً ثم الشيخ بكرى عاشور الصدفى مفتى الديار المصرية وشيخ السادة الحنفية ، والشيخ سليمان العبد شيخ السادة الشافعية والشيخ هارون عبدالرازق نائب شيخ السادة المالكية والشيخ احمد البسيونى شيخ السادة الحنابلة ، واصحاب السعادة أحمد شفيق باشا مدير عموم الأوقاف واحمد فتحى زغلول باشا وكيل نظارة الحقانية ، واحمد ذهنى باشا ناظر مدرسة المهندسخانة سابقا (الباحث) .

(٩) تتكون هذه الهيئة من ثلاثين عالماً من كبار العلماء وافاضلهم على ان يكون عدد علماء المالكية منهم ٩ علماء والحنفية ١١ والشافعية ٩ والحنابلة ١ وبعد أن تداول المجلس فى اختيارهم ، وبعد الاطلاع على الباب السابع من القانون نمرة ١٠ لسنة ١٩١١ م وبعد الإطلاع على المواد ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٧ من القانون المشار إليه . وهذه الهيئة ستضطلع بشئون كثيرة فيما بعد لخدمة الإسلام والمسلمين (راجع اسماء اعضاء هذه الهيئة فى الملحق رقم ٥ ، ومعه ايضاً كشف باسماء الطلاب الذين حضروا دروس بعضهم) .

(*) يقصد عندما انتقلت تبعيتها إلى وزارة الحقانية بعد أن كانت تابعة للأزهر وجزءا منه (الباحث) .

إعداد الأمة للدفاع

في توجيهات الإسلام

٢

لواء ـ أ.ح
محمد جمال الدين محفوظ

لقد اصبحت قوة اية دولة وقدرتها على الدفاع عن نفسها وتحقيق اهدافها الاستراتيجية ، لا تقاس بمدى قوتها العسكرية فحسب ، بل بمتانة اقتصادها وقوة معنويات شعبها ، وتقدمها العلمى والتقنى إلى غير ذلك من عناصر القوة ، واصبح حشد كل هذه القوى في تخطيط منسق من الضرورات الحيوية لتحقيق قدرة الدولة على الدفاع ورد العدوان ..

٢ ـ الإرادة القتالية لدى الرجال والشيوخ :

● كان لعمرو بن الجموح ـ وهو أعرج شديد العرج ـ أربعة أولاد يقاتلون مع رسول الله ﷺ ، فلما كانت غزوة احد أصر على أن يخرج محاربا ، لكن ابناءه ارادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل قد عذرك ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن اطأ بعرجتى هذه في الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : « أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم الا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة » ، فخرج معه فقتل يوم أحد[1] .

● وفى حرب العسرة (غزوة تبوك) ركب أبو ذر الغفارى رضى الله عنه بعيراً مهزولا وسار خلف رسول الله ﷺ ، فأبطأ به البعير حتى عوقه عن الركب فنزل عنه وحمل متاعه على ظهره ثم واصل سيره متتبعا أثر الرسول ﷺ ماشيا ، ونزل رسول الله في بعض منازله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يارسول الله ، إن هذا الرجل يمشى على

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ـ ط . مصطفى البابى الحلبى ـ ١٣٧٥ هـ ـ القاهرة ـ القسم الثانى (جـ ٣ ، ٤) ـ ص ٩٠ .

الطريق وحده ، فقال رسول الله ﷺ : كُنْ أبا ذر ، فلما تأمله القوم قال : يارسول الله هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ : « رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده »[٢] (ومعنى كن أبا ذر : الدعاء ، أى أرجو الله أن تكون أبا ذر) .

● وفى غزوة تبوك أيضاً أتى جماعة من المسلمين إلى النبى ﷺ وهو يتأهب للخروج ليعطيهم ما يركبونه فلم يجد ، فتولوا وهم يبكون لأنهم لا يجدون ما ينفقون وقد ذكرهم القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَايُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾[٣] (التوبة ٩١ ـ ٩٢) .

● وقبل غزوة بدر استشار الرسول ﷺ أصحابه ، فتجلت أروع صور إرادة القتال فيما سمع منهم : « يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون» ..

« يارسول الله امض لما أردت فنحن معك ، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تَلقى بنا العدو غدا ، إنا لصبر فى الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله»[٤] .

٣ ـ الإرادة القتالية لدى المرأة :

وقد سجل التاريخ صوراً رائعة لدور المرأة وجهادها فى المعركة وفى الجبهة الداخلية ومن ذلك أن الصحابية الجليلة (أم خلاد) حضرت غزوة أحد مع زوجها وولدها وأخيها ، واستشهد الزوج والولد والأخ ، فحملتهم على بعيرها ولقيتها عائشة أم المؤمنين فى طريق المدينة فقالت لها : عندك الخبر ، فما وراءك ؟ قالت أم خلاد : أما رسول الله فصالح ، وكل مصيبة بعده جلل (أى هينة) واتخذ الله من المؤمنين شهداء : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ (تشير إلى تراجع المشركين عن غزو قاعدة الإسلام فى المدينة والاكتفاء بمعركة خارجية عند جبل أحد) .. قالت عائشة : (تسأل عن الشهداء معها) : من هؤلاء ؟ قالت : أخى وابنى خلاد وزوجى عمرو بن الجموح !! وقد قال لها النبى ﷺ بعد أن دفنهم :[٥] « ياهند ، ترافقوا فى الجنة ، عمرو بن الجموح وابنك خلاد ، وأخوك عبدالله » .

فقالت أم خلاد : « يارسول الله ادع الله أن يجعلنى معهم » !

● والخنساء التى مات أخوها صخر ـ فى الجاهلية ـ فملأت الدنيا عليه شعرا رثاء وبكاء حتى فقدت بصرها ، نراها بعد أن أسلمت تقول : وقد بلغها نبأ استشهاد أبنائها الأربعة فى وقت

---

(٢) المرجع السابق : القسم الثانى ص ٥٧٤ .

(٣) لذلك سموا البكائين ، قال ابن عباس : سألوه أن يحملهم على الدواب ، وكان الرجل يحتاج إلى بعير يركبه ، وبعير يحمل عليه ماءه وزاده ، لبعد الطريق (تفسير القرطبى والكشاف) .

(٤) السيرة النبوية .. أيضاً .

(٥) إمتاع الأسماع : ص ١٤٧ ط ١٩٤١ .

واحد فى معركة القادسية : « الحمد لله الذى شرفنى باستشهادهم ، وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقى رحمته » !!

ثم انظر إلى وصية الخنساء لأبنائها قبل المعركة : « اعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، يقول الله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

فإن رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت نارا على أرواقها ، فيمموا وطيسها (قلب المعركة والضرب) وجالدوا رسيسها (أصلها) تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة »[٦] .

● تلك وغيرها صور رفيعة لقوة إيمان المرأة المسلمة وقوة عقيدتها ، وضربها القدوة والمثل لزوجها وأولادها فى الروح المعنوية والإرادة القتالية ، فتشجعهم على الخروج للقتال وعلى الاستبسال فيه ، وتصبر الصبر الجميل عند استشهادهم بل تفرح بهذا الشرف الذى حظيت به .

الترف عدو الإرادة القتالية :

يقول المشير مونتجمرى : « فى الحرب يكون العدو ظاهرا واضحا ، أما فى زمن السلم فإن الأمة تواجه عدوا أشد خبثا هو الضعف من الداخل ، وإذا أمسك الترف بتلابيب الأمة وسيطر على رجولتها وطبيعتها ، وإذا أهملت الصفات الحربية ، فسوف يكون ذلك سببا فى سقوط هذه الأمة ، وإذا كنا فى حاجة إلى مثل على ذلك من العصر الحديث فأمامنا فرنسا ، إنها أمة عظيمة من كافة الوجوه ، غير أن الضعف من الداخل نهش روحها فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية ، وحدث الانهيار فى عام ١٩٤٠ م أمام جحافل القوات الهتلرية ، ولكنها استردت روحها فى عام ١٩٥٨ على يدى قائد عظيم للغاية هو الجنرال ديجول ..

ثم يقول مونتجمرى : ومرة أخرى أقول :

إن الخطر الآتى من الداخل قائم ويجب التأهب لصده باستمرار ، وهنا أتوقف قليلا لأقول : إن كاهن دلفى كان على حق »[٧] .

يشير مونتجمرى إلى ما يروى من أن الأسبرطيين عندما كانوا فى أوج مجدهم العسكرى فى زمن الإغريق ، أرسلوا وفدا إلى كاهن مدينة دلفى (مدينة يونانية) وسألوه فى غرور أحمق : هل تعتقد أن هناك ما يمكن أن يلحق الأذى بأسبرطة ؟ . فأجاب الكاهن بسرعة : نعم .. الترف !

● إن الترف يؤدى إلى استرخاء النفوس ، وإذا استرخت النفوس فسدت وضعفت العزائم ، كما أن كثرة الترف تؤدى إلى الطغيان كما يشير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴾ (العلق ٦ ـ ٧) وقد ذكر القرآن أحوال الأمم التى أهلكت بسبب الترف وطغيان الغنى وهو بعض ما يفهم من قول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا . وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء ١٦ ـ ١٧) .

● إن الشعوب المجاهدة حقاً يجب أن ترضى بالقليل من العيش وأن تحتمل ما تفرضه ظروف الحرب من تقشف فى سبيل الأمن والعزة

←

(٦) القرطبى المالكى : الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ـ دار الكتاب العربى ببيروت جـ ٤ ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

(٧) فيكونت مونتجمرى : الحرب عبر التاريخ ـ تعريب فتحى عبد الله النمر جـ ١ ص ٣٦ .

والكرامة ، وقد حذر الله تعالى عباده المؤمنين من الانهماك فى طلب الدنيا والاسترسال فى التمتع بملاذها ، والتلهى بزخارفها عن السعى فى كسب رضاه تعالى ، والجهاد فى سبيله . وأنذر الغافلين عن الله ، المفتونين بحب الدنيا والتاركين للجهاد بالخسران المبين ، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون ٩) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة ٢٤) .

● ويحذر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمة الإسلام مغبة الافتتان بالدنيا والتقصير فى الجهاد فيقول : « ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا » (رواه أحمد وأبو داود) .

ويروى ابن عمر عن ابيه فيقول : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى خليفته بالشام : « انظر من قبلك فمرهم فلينتعلوا وليحتفوا » أى ليمشوا أحياناً بالنعال وأحياناً حفاة تدريباً لهم على الخشونة والتقشف .

● وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » (رواه أبو داود) وفى رواية : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » (رواه البخارى) .

سادساً : وعى الأمن :

● وفى وقت الحرب ـ وحتى قبل أن تبدأ ـ تنشط إلى أقصى حد إجراءات العدو للحصول على المعلومات عنَّا والدعاية والحرب النفسية وترويج الشائعات والتجسس وترويع الآمنين والإرهاب والتخريب المعنوى والمادى إلى غير ذلك من الأعمال التى يستهدف بها التأثير على عواطف وافكار وسلوك الأمة وقيادتها نحو الهزيمة والاستسلام .

● من أجل ذلك يجب أن يتسلح الشعب بالوعى الذى يحصنه ضد هذه الأعمال ويقيه من التأثر بها ، ويفوت على العدو أغراضه ، وذلك بالحرص على كتمان الأسرار وعدم ترويج الشائعات ، ومعاونة السلطات فى الإرشاد عن الجواسيس وكبح شهوة الكلام والثرثرة والتحدث بدون حرص أمام من يعرفه ومن لا يعرفه .

● والحق أن توجيهات الإسلام فى هذا المجال تجعل الأسرار أمانة من الأمانات التى يجب على المسلمين أن يحافظوا عليها كما قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال ٢٧) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الا لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » (رواه احمد)

● كما جعل الإسلام « الصمت » جوهر الوعى والأمن ، فهو « المانع الأصيل والأكيد » لإفشاء الأسرار ، يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت » (متفق عليه) ، ويقول ايضاً : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (رواه الترمذى) .

سابعاً : الدفاع الشعبى وحراسة المنشئات الحيوية :

● ولما كانت الحرب الحديثة حرباً شاملة تضم جبهة القتال وجميع أراضى الدولة ، فإن العدو يعمد إلى « ضرب العمق » لأنه المستودع الحقيقى للقوة المادية والمعنوية ، فيحرص على إحداث الخسائر فى الأرواح لإضعاف الروح المعنوية وعلى تخريب القاعدة الاقتصادية ، وعلى شل المرافق العامة والخدمات الحيوية المستمرة للشعب كمرافق المياه والكهرباء والمواصلات لإحداث الارتباك والفوضى فى حياته وحركته .

● من أجل ذلك أصبح من الواجبات القومية على أبناء الأمة جمعاء حراسة المنشئات الحيوية كالمصانع والكبارى والسدود والمطارات والموانىء ومحطات السكك الحديدية والتجمعات السكانية وغيرها من المرافق ، وأن يتطوعوا فى أجهزة الدفاع المدنى والإسعاف والإنذار والإطفاء والإنقاذ التى تنظمها الدولة ، وتقوم بتدريب أبناء الأمة على العمل فيها ، وتزودهم بالمعدات اللازمة فضلاً عن تجهيز الملاجىء ووسائل الإنذار وغير ذلك .. مما تتطلبه أعمال الدفاع المدنى .

● وكل هذه الأعمال يوجه إليها الإسلام ويعدها من مهام « الرباط » فى سبيل الله بمفهوم العصر ، بعد أن كان معناه فى الماضى ربط الخيول فى الثغور التى يتوقع هجوم العدو منها بقصد الاستعداد لرده ، فكان المرابطون يقضون الليل والنهار متأهبين للقتال لا يغادرون أماكنهم حتى يحل غيرهم محلهم .

● لذلك فإن كل الأعمال المتعلقة بحراسة المنشئات الحيوية وتأمينها والدفاع عنها هى جهاد ورباط ، من قام بها فهو مجاهد ، ومن مات وهو يؤديها فهو شهيد ، كما يشير قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد » .

دور المرأة فى تأمين الجبهة الداخلية :

● **وقد جعل الإسلام للمرأة دوراً فى المعركة** تؤديه فى ميدان القتال أو فى الجبهة الداخلية على حد سواء(٨) ، ومن ذلك القيام بخدمات الإعاشة والإسعاف والتمريض وقد قالت الرُّبيع بنت مُعَوِّذ رضى الله عنها : « كنا نغزو مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة » (رواه البخارى وأحمد) .

وفى مجال تأمين الجبهة الداخلية نذكر دور المرأة فى غزوة الخندق فإن يهود بنى قريظة بعد أن نقضوا العهد أرسلوا رجلاً منهم إلى داخل المدينة فاستطاع التسلل إلى الدور التى تجمع بها النساء والأطفال ، ولكن هذا اليهودى لم يعد إلى قومه ليخبرهم عن مواضع النساء والأطفال ، وعن درجة مناعتها وحمايتها ، لأن امرأة مسلمة هى صفية بنت عبد المطلب رأته يستطلع المواضع فنزلت إليه فقتلته ..

● لقد كان هذا اليهودى يقوم بمهمة استطلاع للجبهة الداخلية حتى يمهد بما يحصل عليه من معلومات لقيام اليهود بهجوم مباغت عليهم بعد التأكد من عدم تيسر الحماية لهم ، ليضطروا

←

(٨) بالرجوع إلى لجنة الفتوى بالأزهر أفادت بأن المرأة لا يجب عليها الجهاد ابتداء ، فأما عند الضرورة القصوى فيجوز أن تقوم بالجهاد إذا كانت مدربة قادرة على حمل السلاح .

المسلمين إلى الانسحاب من خط المواجهة مع المشركين لنجدة أهليهم وإنقاذ أموالهم .

● وهكذا كان قتله واقياً للمسلمين من خطر داهم ، إذ جعل اليهود يفكرون أن فى داخل المدينة حراساً أشداء من المسلمين ، ليس من السهل التغلب عليهم ، لذلك قبع اليهود فى حصونهم لا يفكرون فى الخروج .

ثامناً : الإعلام والتوعية والنشاط السياسى و (الدبلوماسى) :

● ويوجه الإسلام إلى حشد كل الوسائل التى تدخل فى مجال « الجهاد باللسان » الذى أمر به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم والسنتكم » (رواه أحمد والنسائى وصححه وغيرهما) ، وتدخل أيضاً فى مجال النصح لله وللرسول كما يستوحى من قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . (التوبة ٩١)

● والنصح العام ركن من الأركان المعنوية للإسلام ، به عز المسلمون الأوائل وانتصروا على أعدائهم ، وقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الدين النصيحة » فقيل : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (رواه مسلم) فالنصح العام فى حالة الحرب يكون فى كل ما فيه مصلحة للأمة وللمجاهدين منها ، ومن ذلك ما يلى :

(١) إعلام أبناء الأمة بطبيعة الحرب ومتطلباتها وتضحياتها وتزويدهم بالمعلومات والبيانات عن حقائق الموقف أو القتال وتبصيرهم بأهداف العدو وبواجباتهم ومسئولياتهم تجاه القضية التى يقاتلون من أجلها أو الأخطار المحدقة بأمتهم .

(٢) توظيف الإنتاج الأدبى والفنى والثقافى وتوجيهه نحو خدمة الأهداف الوطنية والتعبئة المعنوية لأبناء الأمة .

(٣) غرس وعى الأمن ومقاومة أساليب العدو فى الدعاية والحرب النفسية وكل ما يستهدف تدمير الروح المعنوية للشعب والجيش وتفتيت الجبهة الداخلية .

(٤) قيام العلماء والدعاة والمصلحين وحملة الأقلام بتزويد الأمة بسلاح العلم والإيمان وعلاج الأمراض الاجتماعية ومحاربة السلبية والجهل والترف ، والإسراف والتبذير ، وتنمية الإرادة القتالية فى أبناء الأمة .

(٥) الإعلام الخارجى والنشاط السياسى و (الدبلوماسى) الذى يستهدف شرح قضية الأمة على الصعيد الدولى ، وكسب تأييد الرأى العام العالمى وفضح أهداف العدو وفرض العزلة عليه ، و « تحييد » القوى الأخرى التى قد يسعى العدو إلى جذبها نحوه ، ولنا فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خير أسوة فى هذا المجال بعقده المعاهدات مع القبائل العربية فى شبه الجزيرة العربية لكفالة حرية الدعوة من ناحية وكفالة حسن الجوار والمعاملة من ناحية أخرى ، وبإرسال كتبه إلى الملوك والرؤساء والأمراء فى بلاد الروم وفارس والشام ومصر والحبشة واليمن وغيرها لدعوتهم إلى الإسلام .

(تم البحث)

الدعوة إلى الإسلام

والداعي لها في ضوء القرآن الكريم

د . توفيق محمد شاهين

طبيعة الدعوة إلى الإسلام فى القرآن الكريم :

ـ دعا رسول الله محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الحق وهو دين الله تعالى طوال حياته فى رسالته .

ونهج فى سبيل الدعوة منهج الحجة الواضحة ، والحكمة فى الإقناع ، وعدم إيذاء المعارضين له ، ولا إلى لغوهم وعبثهم .. اكتفاء بوضوح الحق فى ذاته ، أمام العقل الإنسانى الذى يحترم نفسه ولا يميل إلى الهوى ، ولا إلى عصبية فكرية ولا جاه زعامة وشرف أسرة أو طبقة ، أو نيل مصلحة فردية .

ـ وعاش الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للدعوة إلى الحق متجرداً عن زينة الدنيا ، وفى صبر على المكاره والشدائد ، حتى ينجح فى أداء رسالته .

ـ وجنب رسالته الإكراه ، والرهبة والخوف .. فتوافرت لها المشيئة الخالصة والإرادة الحرة لمن يؤمن بها .

ـ وترك للمؤمن أن يلتزم بمبادىء الدعوة عن اختيار ، وأن يراقب نفسه فى سلوكه وتصرفاته فى حياته وحياة من حوله بالتزام من نفسه وضميره ، لا بإلزام خارجى ؛ ليكون إنسانياً فى أمة إسلامية ، يسود فيها احترام الإنسان ، وكرامته ، وحريته ، فى إطار المثل الإنسانية العليا ، ولا ينزل عن هذا المستوى .

ـ ومن هنا لا يكون الدين الإسلامى موقوتاً بزمن ، ولا محدوداً بمكان ، وليس لقبيلة أو جماعة أو أسرة ، أو كتلة من البشر ، وإنما يهدف إلى الوحدة فى العالم الإسلامى ، ويرتبط بالإنسانية أينما وجدت وكانت .

ـ وما جاء فى القرآن الكريم تحت باب الدعوة إلى الله تعالى يكون حينئذ شاهدا على أن :ـ

- الإسلام هو دين الله .
- والقرآن هو كتاب الله .
- ومحمد هو رسول الله وخاتم النبيين .
- وأن رسالته إلى الناس أجمعين إلى يوم الدين .

وفى إيجاز نذكر نبذة عن معنى الدين أو الرسالة ، وعن كتاب الرسالة المقدسة ، وعن رسولها الأمين ، حتى لا يكون هناك لبس فى تحديد المفاهيم ، ولا تكون هناك حساسية فى ذكر الإسلام ونبى الإسلام .. ونعرف دعوة الإسلام فى طبيعتها ، والداعية فى صفاته وأخلاقه .

وفى إطار موضوعنا سنذكر الإطار الذى أحاط به القرآن نبى الإسلام ، كقدوة للدعاة فى هديه ، وخلقه ، وعمله ، ودعوته ؛ لتكون نبراساً للدعاة فى حياتهم ، وللدعوة فى حركتها ، حتى تؤتى ثمارها طيبة مباركة للإنسانية كلها .

وسنجد أن الدعوة إلى الإسلام حضارية فى طريقها ، وإنسانية فى مبادئها ، وأن حملتها : أصحاب مثل عليا يرتقون بإنسانياتهم إلى أعلى مستوى ، ومؤمنون إيماناً كاملاً بما يدعون إليه ، ابتغاء وجه الله تعالى ، وخير الإنسانية .

ا ـ مفهوم الدين فى نظر المسلمين :

الدين فى نظر المسلمين هو الإسلام ، لأنه دين الأنبياء جميعاً ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ كما ورد فى القرآن الكريم . ومن هنا فإن المسلمين يؤمنون برسالات الله ورسله أجمعين ، على نحو ما تحكيه الآية الكريمة :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ البقرة/ ٢٨٥ .

وأصول الأديان السماوية فى نظر المسلمين واحدة ، يؤمنون بها ، كما يقول القرآن الكريم : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة/ ١٣٦ .

والدين للبشر ضرورة ، ولا يقول بأن العقل لا يحتاج إلى الدين ، إلا مخرف أو معتوه ، أو مغرور .

ب ـ والقرآن الكريم فى نظر المسلمين :

هو كتاب الله تعالى ، ووحيه إلى نبيه خاتم الأنبياء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الهادى للتى هى أقوم يبشر من تبعه بالخير ، وينذر من خالفه وعارضه بعدم السعادة والسكينة فى الدنيا والآخرة .

تكفّل الله سبحانه بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر/ ٩ . فقد حفظه المؤمنون به وغيرهم على السواء ـ يحفظه الله ـ من الزيادة والنقصان والتغيير والخلط .. إلخ .

والقرآن ليس غريباً على الكتب السابقة التى أوحاها الله سبحانه إلى رسله السابقين ، بل هو الوثيقة المقدسة الجامعة لأصول وحى الله فى الكتب السابقة إلى الأنبياء والرسل ، يقول القرآن الكريم واصفاً نفسه :

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ . مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ فصلت/ ٤١ ، ٤٣ .

فيه تفصيل لحياة المعاش والمعاد ، ليس فى غيره ، وفيه ضمان صلاح حال الحياة والأحياء ، وصفه الله تعالى بقوله :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الإسراء/ ٨٢ .

ولا يستغنى عن الرحمة إلا شقى ، ولا يرفض الشفاء إلا معتوه .
وهو معجزة الرسول الكبرى ، والآية الباقية إلى يوم الدين .

جـ : نبى الإسلام فى نظر المسلمين :

محمد بن عبد الله هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهو بشر غير انه أوحى إليه القرآن من الله تعالى ، بواسطة جبريل عليه السلام :
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ الكهف/ ١١٠ .
﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ الاعراف/ ١٥٨ .

ارسله الله سبحانه إلى الناس جميعاً : ﴿ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ الأحزاب/ ٤٥ ، ٤٦ .

وهو ليس غريباً عن حاملى ومبلغى رسل الله جميعاً ، ممن سبقه : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ الأحقاف/ ٩ .

فهو إنسان التقت فى شخصه أمجاد النبوات جميعها ، وجهودها المباركة ، لتزكية البشر ، وقيادتهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، بما أوحاه الله إليه ، وأمره بتبليغه ، يقول سبحانه :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ الشورى/ ٥٢ ، ٥٣ .

د ـ المسلمون حملة رسالة كبرى وعليهم تبليغها :

اتم الله سبحانه النعمة على المسلمين ، بإكمال الدين ، وإتمام النعمة ، وارتضاء الإسلام دينا لهم ، ووكل إليهم أمر الدعوة إلى الحق ولن يقوم بذلك عنهم : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ التوبة/ ١٢٢ .
﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ .

والناس محتاجون لرزق الله لبقاء أجسامهم ، ومحتاجون إلى هداية الله لتزكية أرواحهم ، ومهما كانوا علماء ، وأذكياء ، وعباقرة فهم بحاجة إلى وحى الله الذى ﴿ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ـ الملك/ ١٤ فهم بحاجة إلى الدين حاجتهم إلى ما يحفظ حياتهم ، بحاجة إلى حاجات الجسد ، وتلبية أشواق الروح ، وقد وازن الدين بين الجسد ومطالب الروح ، ولم تطغ فيه ناحية على أخرى ، وما جنى العالم بانفصاله وبعده عن الدين قرابة قرن الآن إلا القلق والحروب والدمار ، وخواء الروح ، وجلب الشر على أنفسهم وعلى غيرهم .

والحضارة المادية بطغيانها وعدم بصيرتها اشقت العالم ، وقطعت أواصره وروابطه ، وعاشت شطر الحقيقة ، وأكمل الشيطان الشطر الثانى : فالحرية فى الغرب سادت وزادت ، وضمان ضروريات الحياة فى الشرق كُفلت ، وأشواق الروح تكمن فى بلاد الإسلام الذى تخلف أهله .. والإسلام جامع لذلك كله ، ولكن أهمله أهله وتركوه .

● والآن علينا أن نعرف دعوة الإسلام كدعوة

الدعوة إلى الاسلام

حق في طبيعته ، ونعرف - بالتالي - واجبات الداعي إليه وصفاته من ثنايا القرآن الكريم . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ق/٣٧ .

ثانياً : صفات الداعي إلى الإسلام في ضوء القرآن الكريم :

١ - الداعي إلى الإسلام إنسان :

الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو صاحب دعوة إلى الحق ، أعلن أنه بشر ، وأنه لا يرتقي فوق مستوى الإنسان ، ورسالته أن يبلغ عن الله تعالى ما يوحيه إليه بأمانة وإخلاص ودقة ، يقول الله سبحانه : ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ الأنعام/٥٠ .

ومعنى هذا أنه قد تجرد من كل العواطف الذاتية والأهواء والميول ، من زينة الدنيا وجاهها - وهو بذلك يكون قد تفوق في مستوى الإنسانية ، وأصبح ذا شأن عظيم فيه ، ولكنه لا يخرج بهذا التفوق عن طبيعة الإنسان .

فتميز الداعي على غيره ، إنما في أنه له من الخصائص والصفات أكثر من غيره ، بما يهيىء لدعوته النجاح بسبب الصبر ، والإيمان ، والتضحية ، والثبات .. وليس هو فوق مستوى الإنسان ، ولا يُطلب منه أوله أن يكون فوق مستوى الإنسان ، لأنه إنسان فيه روح وله بدن ، فإذا ادعى اعتبارا لنفسه زائداً في التقدير أو الاحترام او التقديس ، أو أنه يملك الأرزاق ، ويعلم الغيب ، ويغفر الذنوب ، ويمنح الغفران .. فإنه يسقط وتسقط دعوته معه .

فالإنسان دائماً إنسان يرتفع في مستوى الإنسانية ، وينخفض في مستواها ، ولكنه لا ينتقل إلى طبيعة أخرى . وتطوره ذاتي - أي داخل الذات البشرية - وتقديره إنما يحصل عليه في المستوى الإنساني فقط .

٢ - الداعي إلى الإسلام يلتزم بدعوته :

لابد أن تتوافر في الداعي إلى الحق مجاهدة نفسية ، وترويض لسلوكه ومبادئه ، وضبط النفس ليكون القدوة الحسنة ، لتكون فيه طبيعة ، حتى ترى القيم العليا والمبادىء الرفيعة التي تشكل كيان الدعوة إلى الحق فيه سلوكاً وأخلاقاً ومعاملة .

وقد تتبع القرآن الكريم ميول الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومواقفه ، وعواطفه الداخلية ، ويطلب منه إعلان ما يؤخذ عليه منها ، فالقرآن يعلن - في عتاب - ميول الرسول والمؤمنين معه للمعارضين لدعوة الإسلام إلى درجة الكفر ، واليأس من إيمانهم ، ويسجل الوحي ذلك في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ التوبة/١١٣

ويعترض القرآن على أصحاب الدعوة الركون إلى المعارضين لقوتهم ، أو لصلتهم بهم ، لأن الدعوة حينئذ لا تكون غاية وقد يشك الناس في الإيمان بها ، ويؤدى ذلك إلى فشلها ، يقول القرآن الكريم : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ المجادلة / ٢٢ .

فأصحاب الدعوة يؤاخذون ويوجهون إلى الصواب والأولى ؛ إن هم مالوا عنها ولو متأولين . فلا مجال للميول والعواطف الشخصية فى الدعوة إلى الحق ، حتى يستقيم أمرها .

فلابد إذن من أن يروض الداعى إلى الحق نفسه على سلوك الطريق السوى والتزامه وحده ، وأن يصارح المؤمنين بالأخطاء التى تقع ، وتجنب وقوعها مستقبلاً ، وتوفير الثقة فيما بينهم ، وللحيلولة دون الظنون والشائعات ، فيسلم المجتمع ، وتنجح الدعوة إلى الحق ، فضلاً عن كونه قدوة حسنة ، يقول الله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف/٢ ، ٣ .

٣ ـ الوقوف بجانب المخلص للدعوة :

فعلى الداعى أن يلتزم الوقوف جنباً إلى جنب مع المخلصين فى إيمانهم بالحق ، ولا يقف مع آخرين يعارضون الدعوة ويتبعون أهواءهم ، ويغلقون قلوبهم دون الإيمان بالله تعالى ، يقول القرآن الكريم :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا.وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ الكهف/٢٨ ، ٢٩ .

فمن شأن الداعى التودد إلى المخلصين ، واحتمال حتى ما يكون جارحاً للإحساس والشعور منهم ، وأن يشاركهم سراءهم وضراءهم ، لأنهم مع الله ، ومشغولون بذكره ، ويريدون ثوابه ووجهه ، ولا يريدون زينة الحياة الدنيا ، وإنما أن تسرى هداية الله ورسالته فى حياتهم وحياة الآخرين معهم من إخوانهم .

وحين يقف الداعية هذا الموقف يكتسب قوة من اتباعه إلى الله ، ويتحقق أن دعوته ليست إكراها وإلزاماً ، وأن القرآن ، إنما يقنن للمجتمع الإنسانى فى المستوى الرفيع .

ومن هنا نفهم سر معاتبة القرآن الكريم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شأن الصحابى الكفيف عبد الله بن أم مكتوم ، حين جاء يطلب التفقه فى العلم ، فأعرض عنه الرسول ، لانشغاله بأشراف قريش المشركين ، وكان النبى يحدثهم رجاء أن يؤمنوا فيكسب الإسلام أنصارا أقوياء ، وكان عبد الله بن أم مكتوم أولى بالترحيب به والعناية به ، لقوة إيمانه وإخلاصه ، وكان الشك والضعف الذى تملك أشراف قريش فكان من حقهم الإهمال ، ولذا جاء العتاب فى قوله تعالى :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى.وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى.أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى.أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى.وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى.وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى.وَهُوَ يَخْشَى.فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى.كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ عبس/١ ـ ١١ .

٤ ـ المحن تزيد الداعى إلى الحق ثباتاً وصبرا :

طريق الدعوة غير مفروش بالورود ، وعلى الداعى إلى الحق أن يتحمل الشدائد ويثبت فى مواجهة المحن ، وأن يعلم يقينا أن دعوة الحق قوية بنفسها ، وعليه ـ بالتالى ـ أن يثبت ويقوى هو ومن معه صابرين ، معتمدين على الله القوى

←

القادر ، وستكون النصرة لهم ـ بفضل الله تعالى ـ مهما كانوا ضعفاء ، ومهما كان خصوم الدعوة إلى الحق أقوياء ، ولنأخذ مثلاً من الماضى ليكون عبرة للحاضر والمستقبل .

تجمع كفار مكة وأحزابهم حول المدينة ـ فى غزوة الخندق ـ فى الخارج لحصار المسلمين ، وروج يهود المدينة ـ من داخلها ـ شائعات السوء ، لتحطيم المجتمع الإسلامى فى أول نشأته مع ضعفه وقلة إمكاناته ، وتحصن المسلمون داخل المدينة بحفر الخندق ، وتحملوا الجوع ، وواجهوا التهديد ، وقابلوا التحدى .. وفى نفس الوقت ظلوا مستمرين على الحفاظ على إيمانهم ، وعدم الاستسلام للأعداء ، والسير فى طريق دعوة الحق ، مع الاعتماد على الله سبحانه وطلب المعونة منه ، والدفاع الذاتى بالاستعداد وحفر الخندق حول المدينة ..

وزادت هذه الشدة المؤمنين إيماناً وتسليماً ، وأظهرت حقيقة النفاق والخداع ، وطردت يهود المدينة ، وأورثت المؤمنين أرض خيبر ، بفضل الله تعالى ، وبسبب صبرهم وثباتهم كدعاة حق له قوته فى ذاتيته ، ولهم قوة فى أنفسهم .

وعاشت الدعوة ، وأصبح لها تاريخ وأمة ولم تمت ولن تموت بعد ذلك أبداً إن شاء الله ، (راجع سورة الأحزاب ٩ ـ ٢٧) .

فرسالة الإسلام يجب أن تكون هدفاً فى الحياة وغاية ، والقائمون بها لا تهن عزائمهم ولا تضعف نفوسهم ، ولا يستسلمون فى مواطن الشك ، ويجب أن يكون إيمانهم بالرسالة لذاتها ، وتقديراً للمبادىء التى تمثلها وتحملها .

وفضل الدعوة على الداعى ، إلى الحق خلود ذكره بعد موته خلود ذكرى ونموذج ومثال يقتدى به ، وله فى حياته التوقير والاحترام ، وفضل الداعى إلى دعوة الحق هو فى الإيمان بها ، والعمل على نشرها ، وتحمل الأذى فى سبيلها .

يقول القرآن الكريم :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ.وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران ١٤٦ ، ١٤٧ .

٥ ـ الداعى إلى دعوة الحق : عالم يحتاج إلى مزيد من العلم والثقافة والمعرفة :

على الداعية إلى الإسلام أن يفهم تعاليم الإسلام وروحه فهما صحيحاً عميقاً من منابعه الأولى : القرآن والسنة المطهرة ، والسيرة النبوية ، والمؤلفات الإسلامية القيمة والمسئولة حتى تتكون الفكرة السليمة عن التصور الصحيح للإسلام وعقائده وتشريعاته وأخلاقه وأهدافه .. وبذلك يتأثر الداعية ويؤثر فى الناس .

وهذا يتطلب إعداد برامج مدروسة واعية ، ومعاهد على مستوى رفيع لإعداد الداعية فى صغره وشبابه ، مع رعاية وعناية فائقة ؛ ليؤتى الثمرة المرجوة على اتجاه سليم ، وإحاطة شمولية .

يقول القرآن الكريم : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ طه/١١٤ . ويقول سبحانه : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ البقرة/٢٨٢ . ويقول سبحانه : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ يوسف/٧٦ .

وما لم يكن الداعية مثقفاً ثقافة شاملة ، ومتنوعة ، فلن يكون موصلاً جيداً ، ولا مؤثراً فى سامعيه وقارئيه ، ومهما فهم التلميذ واستوعب ما قاله أستاذه ، فقد بقيت للأستاذ شمولية الفهم ، وبعد الرؤية ، والمعرفة العميقة بأصول المدروس .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

من تاريخ الأزهر - بقية

تعمل لمدة سنة كاملة تقريبا فى ثلاثين جلسة حتى تم وضع قانون جديد لاصلاح الأزهر .. لكن الشيخ المراغى اعلن استقالته عندما قدم مشروعه للحكومة وتباطأت فى تنفيذه .. ولو قدر لهذا المشروع النجاح الذى تعلقت به الآمال لكان الأزهر بصفة خاصة وللتعليم بصفة عامة وجه غير هذا الوجه ، وحال غير هذه الحال .

وقد عثرنا على نسخة خطية من مذكرة الشيخ المراغى بـ (الكوبيا) وقد نشرت بالأهرام فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٨ م ونظرا لأهميتها فى بحثنا سنقتطف منها بعض الفقرات التى تفيد الباحث .

جاء فيها :

«إن الأمة المصرية ـ وهى تريد النهوض والمجد وتتطلع إلى حياة سياسية راقية ـ يجب أن يكون عليها أن تتذكر دينها وتلتفت إلى حملة ذلك الدين فتصلح شـأنهم ، وترقى تعليمهم ، وتضعهم فى المكانة اللائقة بالمرشدين ، والتى يجب أن يكون عليها حملة الدين . أما إهمال هذه الناحية والسعى إلى ترقية النواحى الأخرى من حياة الأمة ، فلا أرى أنه يوصل إلى الغرض المقصود فالخلق هو العمود الفقرى للأمم ، لا يمكنها أن تنهض بغيره ، وأسهل طريق لتكوينه هو طريق الدين إذا أصلح تعليمه وهذب دعاته . وقد كان الأزهر مصدر اشعة نور العلوم الدينية والعربية وغيرها إلى البلاد الإسلامية .

ويعد ذلك بين الشيخ المراغى ضرورة إصلاح الأزهر فقال :

« يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة ، وأن يفهما على وفق ما تتطلبه اللغة العربية فقهها وآدابها من المعانى ، وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وأن يبتعد فى تفسيرهما عن كل ما اظهرالعلم بطلانه ، وعن كل ما لا يتفق وقواعد اللغة .. «يجب أن تهذب العقائد والعبادات ، وتنقى مما جد فيها وابتدع ، وتهذب العادات الإسلامية بحيث تتفق وقواعد الإسلام الصحيحة ..

«يجب أن يدرس الفقه الإسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الادلة ، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالاحكام المنصوص عنها فى الكتاب والسنة ، والأحكام المجمع عليها ،

يجب أن تدرس الأديان ليقابل ما فيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود فى الدين الإسلامى ، ليظهر للناس يسره وقدسه وامتيازه عن غيره فى مواطن الاختلاف

«يجب أن تدرس أصول المذاهب فى العالم قديمها وحديثها ، وكل المسائل العلمية فى النظام الشمسى ، مما يتوقف عليه فهم القرآن فى الآيات التى أشارت إلى ذلك .

«يجب أن توجد كتب قيمة فى جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة ، وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة فى عصور الإسلام الزاهرة والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية . وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الدين ، وكل ما هو قطعى فيه محافظة تامة ، وأن تهذب الأساليب ويهذب كل ما حدث بالاجتهاد .. بحيث لا يبقى منه إلا ما هو صحيح من جهة الدليل وكل ما هو موافق لمصلحة العباد» .

« يجب أن يفعل هذا لاعداد رجال الدين ، لأن رسالة النبى ﷺ عامة ودينه عام ويجب أن يطبق بحيث يـلائم العصور المختلفة والأمكنة المختلفة .. وإن لم يفعل هذا يكون عرضة للنفور منه ، والابتعاد عنه ، كما فعلت بعض الأمم الإسلامية

يتبع

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالجامع الأزهر

الاجبار على الزواج

س : هل يجوز أن يجبر الأب ابنته على الزواج من رجل لا ترغب الزواج منه . وما الدليل على ذلك .

احمد عبدالله حساب - برخيل - البلينا

جـ : لا يجوز للأب أن يجبر ابنته البالغ على الزواج من غير من تريده فإن وقع ذلك كان الزواج غير صحيح بناء على مذهب الحنفية ، وبه أخذ قانون الأحوال الشخصية لحديث «البنت تستأمر في زواجها» .

البناء على ملك الغير

س : رجل بنى شقتين إحداهما لسكنه ، والأخرى لابنته على أرض يملكها أخوه . فما الحكم .

م ص - روز اليوسف

جـ : إن كان ذلك بإذن من أخيه كانت الأرض هبة ، وهى تثبت بوضع اليد على الأرض فى حياة أخيه .

أما إذا شرط لأخيه حق الانتفاع فقط مع بقاء الرقبة (أى الأرض) ملكا له - كان لورثته الحق فى قيمة الأرض وأخذها من البانى إن كان الانتفاع لمدة محدودة ، أو مدة حياته ثم تعود ملكية الأرض لورثة صاحب الأرض .

إذا تحققت المصلحة وامتنع الضرر

س : ما حكم الشرع فى تشريح جثث الأموات للبحث والدراسة ونقل الأعضاء من حىّ إلى حىّ ومن ميت إلى حى . أفيدونا .

ع . م - القاهرة

جـ : إن فقهاء المذهبين الحنفى والشافعى قد أجازوا تشريح الميت لمصلحة راجحة ، مثل استخراج مال ابتلعه إنسان ثم مات ، أو تشريح جسد امرأة ميتة لاستخراج جنينها الذى ثبت بيقين للأطباء المختصين أنه مازال حيا فى بطنها .

وكذلك أجازوا التشريح لإثبات جناية ليتحقق بها وجه العدالة .. كما أجازوا ذلك للتعليم من باب الوجوب الكفائى (بمعنى أن ذلك الأمر واجب على فريق من أبناء الأمة فإذا قام به البعض سقط عن الجميع) وذلك من قبيل المصلحة العامة .

كما أن نقل الأعضاء البشرية من حى إلى حى أو من ميت إلى حى جائز شرعا والأصل فى ذلك كله الإباحة .. وليس واحد مما سبق حراما لأن الحرام ثلاثة أقسام ليس هذا منها ، هى :

إعداد/ عبد الحميد شاهين
على حامد

أولا : حرام لذاته وهو ما ورد النص القرآنى الصريح قطعى الثبوت والدلالة بحُرْمَتِهِ مثل قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ . . . ﴾ الخ .

ثانيا : محرم لغيره .. وهو ما لم يرد به نص صريح قاطع بحرمته وذلك مثل المخدرات والإتجار فيها ـ لأن ذلك يؤدى إلى إتلاف النفس والمال والعقل وهذه من الكليات الخمس التى أوجب الله الحفاظ عليها وحرم إتلافها والتعدى عليها .

ثالثا : محرم حُرْمَتُهُ عارضة مثل العقود التى وثقت أركانها وشروط صحتها ، ولكنها اشتملت على غش أو تدليس وذلك لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ .. ﴾ الخ .. والله أعلم .

متى تجب الزكاة

س : بعض الجهات تقول : إن الزكاة واجبة فى راتب الموظف يخرجها كل شهر ، إذا بلغ مجموع راتبه فى السنة (٣٠٠) ثلاثمائة جنيه .

سيد محمود ـ القاهرة

جـ : لم يرد فى كتب الفقه عن الأئمة وجوب الزكاة فى راتب العامل الموظف ، ولو بلغ مقداره ثلثمائة أو أكثر .

وقد اشترط الأئمة لوجوب الزكاة «النصاب» و«حولان الحول» ، ومرتب العامل لم يحل عليه الحول ، لأنه يقبضه على شهور ، وينفق منه على أهله ، ولا حكم بالإيجاب أو التحريم إلا بنص صريح قاطع .

نقل الميت

س : بعد دفن والدتى ـ علمت أنها كانت لها رغبة فى الدفن فى مكان آخر هل يجوز لى نقلها ، مع أنها لم توص بذلك .

سمير عبدالعزيز ـ بنك الأسكندرية

جـ : إذا أمكن دفنها فى المكان الذى رغبت فيه يجوز إذا لم يوجد مانع .

وإذا بقيت فى المكان الذى دفنت فيه فلا إثم على الورثة .

السؤال من السيد/ عاطف عبدالعاطى

توفيت امرأة عن اختين شقيقتين ، أولاد أخوة أشقاء ذكور وإناث ، أولاد أخوات شقيقات/ فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد بأن للاختين الشقيقتين الثلثين فرضاً لعدم من يعصبهما أو يحجبهما يقسم بينهما بالتساوى والباقى للذكور من أولاد الأخوة الأشقاء تعصيباً يقسم بينهم بالتساوى كأنهم أولاد رجل واحد ولا شىء للإناث من أولاد الأخوة ولا لأولاد الأخوات لأنهم جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم .

من أعلام الأزهر

الشيخ أحمد عبد الجواد الدومى

كان الشيخ أحمد عبد الجواد الدومى ـ رحمه الله ـ من العلماء المتمسكين بدينهم ، الهادين بسلوكهم الطيب إلى ربهم ، العاملين على هدى وبصيرة بعلمهم .

قضى حياته العامرة بالإيمان فى الأخذ بأيدى الناس من الظلمات إلى النور ، حتى اهتدى على يديه الكثيرون ، وانتفع بعلمه المتعلمون ، وأقبل على درسه ومجالس وعظه الشباب والشيوخ فى مصر وغيرها من أقطار العالم الإسلامى الكبير ..

عرفته فى الأربعينيات طالبا فى معهد أسيوط الدينى ، وكنت أسبقه فى طلب العلم بسنتين أو ثلاث ، ولكنه كان يستذكر دروسه مع زملاء يسكنون معنا فى منزل واحد ، بعضهم الآن فى ذمة الله ، وبعضهم لايزال ـ نرجو الله له الصحة ـ يشغل بعض المناصب القيادية فى وزارة التعليم وغيرها .

وكانوا يجتمعون فلا نرى منه إلا الجد والوقار والبحث والرغبة فى الاستفادة من العلم والتعمق فيه ، وكان موضع ثناء من أساتذته وزملائه جميعا ـ وافترقت بنا وبهم الطرق بعد الشهادة الثانوية ..

فمن هؤلاء الزملاء من التحق بكليات الأزهر ، ومنهم من التحق بدار العلوم ، ومنهم من اختصر الطريق .

والتحق الشيخ أحمد بكلية أصول الدين التى وجد فيها طلبته ، وفى ظلها روى ظمأه العلمى .. ونال إجازتها العالية ثم إجازة التدريس بعد ذلك .

وضربت الأيام بيننا ، فلم ألقه لفترة طويلة ، إلى ما قبل وفاته بقليل ـ رحمه الله ـ ولكنه كان يكتب ويؤلف فقرات له ، ونشأ لقاء فكرى بيننا .

قرأت له يوماً كتاباً من أوائل تآليفه فى مكتبة المدرسة التى كنت أعمل بها عنوانه : «الدين والحياة» ، ومنه أدركت ما وصل إليه من فكر ثاقب منظم ، وفهم عميق لتاريخ المسلمين النابض بالحياة والمثل العليا ، وتنبيه لما فيه من ذخائر حتى يعود للمسلمين مجدهم ، واستعرض فى هذا الكتاب عدة مواقف تهم الناس ، منها مسألة الزهد ، وكيف يلتقى الزهد مع قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ .. ﴾ ـ الأعراف ٣٢ .

وبيَّن أن الزاهد لا يحرم الطيبات ولكنه يؤجل الاستمتاع بها ، إنه يريد أن يدخرها عند الله كما

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى

فعل عمر رضى الله عنه ـ حين طلب منه أن يوسع على نفسه فقال : إنى قرأت قول الله تعالى عن قوم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ فأردت أن أستبقى طيباتى للآخرة ..

والزهد بهذه الصورة ليس ضعفاً وليس ذلاً وليس هدماً .. ولكنه قوة وتحرر وبناء . هو ذلك الزهد الذى نراه فى صورة الفاتحين الأقوياء الذين بنوا الدولة الإسلامية . قال فى كتابه المذكور :

«ولننظر سويا إلى عبادة ابن الصامت وهو يدخل على المقوقس حاكم مصر ، ولنسمع إليه وهو يقول : لا يبالى أحدنا إن كان له قناطير من ذهب أو كان لا يملك إلا درهما ، فإن غاية أحدنا أكلة يأكلها فيسد بها جوعته ليله ونهاره ، وشملة يلتحفها ، فنعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاؤها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء فى الآخرة ، فيغلب عبادة بذلك المقوقس ويفحمه» .

وعلى الرغم من أن كلينا من سكان شبرا فقد ضنت الأيام علينا باللقاء فترة طويلة ، شغلتنا الحياة بما تشغل به الناس ، وإن كان شغله ـ والحق يقال ـ فى سبيل الله ، فقد كانت الدعوة إلى الله شغله الشاغل .

وكان عمله الرسمى فى حقلها ، وأعطاها وجدانه كله فأعطاه الله الرضا والقبول .

كان لكلامه صولة فى نفوس الناس ، يتخذ من الأمثلة المحسوسة مادة لأحاديثه التى يصدرها دائما بالآية الكريمة : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ـ البقرة ٣٢ .

وبهذه الأمثلة كان يقرع عقول مستمعيه ونفوسهم فيستيقظون على الواقع الملموس ،

الشيخ أحمد عبد الجواد الدومى

ويدركون أنهم غارقون فى الوهم فلماذا لا يسبحون إلى شاطىء الحقيقة ويلقون بأنفسهم فى قوارب النجاة ؟

ويحرك الشيخ خواطر الناس ، وينفذ إلى أعماقهم قائلا لهم : إن الله ينظر إلى القلوب ويعرف المخلصين من عباده فيستجيب لهم ، إن الرجل البسيط المخلص ليقسم على الله فيبر قسمه مصداقاً للحديث الشريف : «رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره» ـ رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة ، وفى جمع الجوامع جـ ٢ ص ٢١٣٢ بروايات متعددة .

رحلاتـــــــه :

ومن أجل هذه الدعوة رحل إلى كثير من البلاد العربية والإسلامية .

وقد حدثنى عن رحلته إلى (اليمن) وعلى

من أعلام الأزهر

الرغم مما لقيه من جهد فقد التقى بكثير من محبى الخير والصلاح الذين أعانوه على مهمته ، ورحل إلى (لبنان) و(الصومال) وغيرهما من البلاد الإسلامية ، وفى كل مكان كان يذهب إليه يتحلق حوله المخلصون وطلاب المعرفة الذين يجد صدى دعوته فى نفوسهم سريعاً ..

ثقافتــــــه :

كانت القراءة المستنيرة طريقه إلى المعرفة ، يقبل عليها فى نهم وشوق ، وكانت تستولى عليه أحيانا كثيرة حتى سرقت منه ضوء عينيه ، ولكنها عوضته عن ذلك نوراً لا ينطفىء وثروة علمية سخية فى مختلف جوانب المعرفة ، وكان الجانب الإسلامى منها لا ينضب معينه ، غذاه الصلاح والتقوى ، وقد صدق الله إذ يقول : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ - البقرة ٢٨٢ .

إن من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم .

وكان قد اتصل فى صدر شبابه وقبل أن يُختار فى مجال الدعوة بالكاتب الدكتور أحمد أمين ، وعمل معه فترة طويلة كان لها أثر فى تعميق دائرة فكره وثقافته واتساع معلوماته ، ولم يترك العمل معه إلا قبيل وفاة الكاتب بأيام معدودة وذلك حين صدر إليه خطاب التعيين بالأزهر الشريف ، وقد وافق الدكتور أحمد أمين ـ رحمه الله ـ على طلبه ترك العمل معه بأسف شديد .

مؤلفاتـــــه :

وللشيخ أحمد مؤلفات عدة ، ولقاءات فكرية متعددة ، ومقالات صحفية لا تحصى ، وأحاديث فى الإذاعة المسموعة والمرئية وفيرة ، وقد كان أستاذاً فى معهد الدراسات الإسلامية ، تتلمذ على يديه فيه المئات من أبناء مصر والبلاد الإسلامية ، وكان خطيباً فى مسجد الفتح بشبرا .. وله من وراء ذلك كله حصيلة علمية زاخرة ما بين مطبوع ومسجل .

ومن أهم مؤلفاته كتاب :

«أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا» .

وكتاب : «أضواء على السنة» .

وسلسلة كتب بعنوان «مسلمون خالدون ومسلمات خالدات» ، ترجم فيها لكثير من الشخصيات الإسلامية .

وكتاب : «الإتحافات الربانية فى شرح الشمائل المحمدية» .

وكتاب : «السعادة الزوجية فى الإسلام» .

وكتاب : «الناصر لدين الله صلاح الدين الأيوبى» ، وغيرها .

ويقوم تلاميذه حالياً بإعادة طبع هذه الكتب ونشرها لينتفع المسلمون بها ..

ومن هذه الكتب التى أعيد طبعها أخيراً كتاب : «الإسلام منهاج وسلوك» .

ومما جاء فى هذا الكتاب ويدل على عمق فكره وإخلاصه لدينه قوله بعنوان : «ذلك الدين القيم» :

« إن الإسلام كلمة الله إلى أبناء هذه الأرض ، أراده الله سبحانه منذ أن نشأ أبوهم آدم وإلى أن يذهب آخر حفيد فى دنيا الناس ، وأوقف الله على هذا التشريع الإلهى عدداً كبيراً من الرسل ، وعددا أكبر من الأنبياء ، وجيشاً مجيشاً من دعاة الإصلاح والهدى والإرشاد ، وجعل فى الإنسان جهاز استقبال كاملاً بجميع معداته وأسلاكه ليكون مستعداً لالتقاط الصور

البقية ص ٩٢٧

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

يا نفس

أزهر النور

زهور الربا

يانفس

للشاعر
عبد الوهاب الشامي

يانفسُ كفى عن هواك وتوبى ... وكفاك لهوا. حان وقت غروبى
وَتَلَمَّسِى غفران رب عادل ... رَحْمَنْ لو ثقلت عليك ذنوبى
وتقمصى ثوب التقى .. وتورعى ... وترفقى. هلا سترت عيوبى !
وتذكرى أن الحياة .. قصيرة ... بالباقيات الصالحات تطيبى

•

وتطهرى مما جنيت بتوبة ... وإلى حمى رب السماء انيبى
فلقد رايتِ العود أيام الصبا ... والآن تلك نحافتى وشحوبى
ذهب الشباب وتلك سنة كوننا ... افلا رحمت كهولتى ومشيبى

•

ماذا اقول إذا بُعِثْتُ بامره ... ماذا وقد افرغتُ كل جيوبى
يوم الحساب سَتُسْألِين فحاسبى ... لِمَ قد امرتِ بما يَسُوء ؟ اجيبى
لو جَلَّ وزرى وارتحلت لبارئى ... ماذا يفيد على الصراط نحيبى

•

يارب انت خلقتنى ورزقتنى ... فى كل واد أخضر وخصيب
فإذا ظَمِئْتُ سقيتنى ورويتنى ... وإذا مرضت فانت خير طبيب
فاقبل وانت الحق صادق توبتى ... وَأَضِىءْ بنورك ياكريم دروبى

•

أزهر النور

رشاد محمد يوسف

ياشامخ الهام والكرامة ... ياصاحب الجاه والإمامة
ياازهر النور سوف تبقى ... موطِّدَ الراى والزعامة
تبقى على الدهر فى امانٍ ... تبقى لركن الهدى دِعامة

ياحارس الدينْ قد دهتنا ... مواكبُ الإفكِ والجَهَامة
«مسيلم» عاد فى اليمامة ... يبُثُّ بين الورى ظلامه
ورِدَّةٌ جاوزت مداها ... وما تصدى لها «أسامة»
وجِدَّةٌ لا تعى خطاها ... تقيم من طيشها القيامة
قد اقرعت فى الحمى حمامه ... واقلقت فى الدجى نيامه
والفُ مفتٍ بلا دليلٍ ... «ومالكٌ» يطلبُ السلامه
ونحن فى امرنا يتامى ... قد اسلموا امرهم لِئَامَه
وقُدْسُنَا فى الدجى اسيرٌ ... فى عالم مارعى ذمامه

كاننا لم نرث جدوداً ... كانوا بتاريخنا علامه
كانوا هداة الورى زماناً ... وحققوا بالتقى مرامه
وحكَّموا العدل والتساوى ... فليس فى حكمهم ظُلامه
وجسدوا دولة ودينا ... وجردوا للوغى حسامه
كاننا لم نرث جنوداً ... كانت لهم رايةُ الزعامة
ياازهر النور عش مناراً ... يهدى إلى الخير والسلامة
حرر من الوهم كل عقل ... اعِذْ لنا المجد والكرامة
بقيت حصناً لنا حصيناً ... ياشامخ الهام والعمامه

زهور الربا

للشاعرة نعمت عامر

زهور الربى جادت ثراكِ غيوم ... ورواك من فيض السحاب عميمُ
لقد كان فيك العيش فينان مورقاً ... تلوح عليه نضرةٌ ونعيمُ
وكان لنا في ظل واديك مرتعٌ ... فسيح وملهى للفؤاد كريم
وكان جبين الدهر بالعز زاهراً ... فأرداه حزنٌ ، بالهوان يسومُ
زهورُ الربى ، للعمر ابهج مطلع ... وبين اعاصير الحياة نسيم
تبيت نجوم الافق ترقص حولنا ... على صوت ، قمرى هواه مُقيم
ويرنو لنا ، البدر المنير وثغرهُ ... من الصفو الأق ، الضياء بسيمُ
واسحارها فيها تهبُّ جوانحي ... تحيي طيور النور ، وهي تحومُ
واصالها راقت ، ورق نسيمها ... ففيها جمال ، رائع ، ووسيمُ
فواحسرتا لما ، تداعى بهاؤها ... وخيم فيها بالعفاء ، وجومُ
زهور الربا والدهر ، جارت صروفهُ ... عليك كلانا ، جار فيه ، ظلومُ
بكيتك بالدمع ، الغزير وليته ... يبلغني ما ابتغي ، واروم
لئن هدّمت ، منك الليالي مفاتناً ... فإن فؤادي .. فيه منك رسومُ
ومنكِ رسوم ، يذكر الفكرُ شكلها ... وإن إلهي - وحده لعليم
بكعبته ، عُوّضت اسنى مواقعا ... وقبر رسول ، المسلمين عظيم
وفاق غراما - كل شيء - محبةً ... وباعثه الهادى الشفيع رحيم
وقد قمت في الماضي القريب بعمرة ... وبالحج عزمي - يرتجي ويروم
فيارب حقق ما ارومُ وارتجي ... وهب لي رضاً لي في حماه نعيم

والإرشادات ، واحاط هذا الجهاز بأجهزة أخرى وقائية كالعقل الحكيم والفكر السليم ، ذلك أن الإنسان عَالَمٌ كامل مهم يتركز عليه بناء البشرية وإسعادها وعمران الوجود وصلاحه ، والإنسان لا ينفصل عن الوجود لأن الإسلام ربط بينهما رباطاً محكماً يستحيل انفصامه ، فالإسلام دين الوحدة الكبرى فى هذا الكون الكبير ..» .

وتراه يحسن الاستشهاد على صدق كلامه بما يدخره فى ذهنه من مأثور المفكرين السابقين ، فحين أراد أن يتحدث عن أن الدين الإسلامى متى تغلغل فى قلب المسلم استطاع أن يفعل به الأعاجيب ، لم يكن حديثه مجرد رأى يرتئيه أو مذهباً يميل إليه ، ولكنه وجدان المسلم وروحه وكيانه .. استشهد بما كتبه الدكتور أحمد أمين فى فيض الخاطر عن الرأى والعقيدة .. حيث قال :

«فرق كبير بين أن ترى الرأى وأن تعتقده ، فإذا رأيت الرأى فقد أدخلته فى دائرة معلوماتك ، وإذا اعتقدته جرى فى دمك وسرى فى مخ عظامك وتغلغل فى أعماق قلبك ، ذو الرأى فيلسوف يرى الرأى صواباً وقد يكون باطلاً ، وقد تقوم الأدلة على عكس ذلك غداً ، أما ذو العقيدة فجازم باتٌ لاشك عنده ولا ظن ، عقيدته هى الحق لا محالة ، هى الحق اليوم وهى الحق غدا ، خرجت على أن تكون مجالاً للدليل وسمت عن معترك الشكوك والظنون ..» .

مــــن مقالاتــــه :

وإنه ليستنبط من محكم الكتاب ومفهوم السنة ما يهدى به الحائر ويعالج به الخواطر ، ويضع بلسماً للنفوس المحزونة والقلوب المكلومة .. ومن ذلك ما كتب فى صحيفة الأخبار ذات يوم بعنوان : ثلاثة أدوية للاكتئاب النفسى . قال :

«يتحدث الناس فى هذه الأيام كثيراً عن الاكتئاب النفسى ، وعن ضيق الصدر وحرج النفوس ، ويتناولون الحبوب المهدئة بنسب مختلفة فى أوقات متعددة ، فتعالوا بنا ياأيها القراء الأعزاء نبحث عن الأشفية الربانية الثلاثة التى ذكرها الله لضيق الصدور .

يقول الله ـ تبارك اسمه ـ مخاطباً نبيه محمدا ـ ﷺ ـ فى سورة الحجر :

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ . (الآيات ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩)

ياسبحان الله ! ما العلاقة بين الاكتئاب وضيق الصدر وبين هذه الأدوية الثلاثة : التسبيح والسجود والعبادة ؟

إن الجواب يتذوقه من سلم يقينه وكمل إيمانه ، فإن العلاج هنا لم يقل به طبيب بشرى ، وإنما أنزله رب السموات ورب الأرض ورب الكائنات كلها ..

والاكتئاب وضيق الصدر وحرج النفس ليست أمراضاً عضوية ، وإنما هى حالات تنتاب الإنسان بين الحين والحين ، ومن هنا ينبغى أن يكون العلاج دقيقاً ومريحاً ، والتسبيح بأى صيغة هو تقديس الله وتنزيهه ، والإكثار منه يوصل إلى انشراح الصدر وانبساط النفس بنور الحق ، وارتياح الروح بكمال اليقين ..

وبالسجود يقترب الإنسان من ربه ويرتفع عن عالم الأحقاد والحزازات .

وفى ميدان العبادة الفسيح يجد العابد الجو النقى الطهور . هذا هو دواء النفس والروح .

رحم الله شيخنا أحمد عبدالجواد الدومى الذى لحق بربه فى الثالث من رجب سنة ١٤٠٦ هـ الموافق ١٥ من مارس ١٩٨٦ م .. وطيب الله ثراه وجزاه عما قدم لدينه وأمته خير الجزاء .

عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

طرائف

«من أدب الاستماع»

سكون الجوارح ، وغض البصر والإصغاء بالسمع ، وحضور العقل والعزم على العمل .

«فى معصية الخالق»

قلة التوفيق ، وفساد الرأى ، وخفاء الحق ، وفساد القلب ، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق ، والوحشة من الرب ، وعدم إجابة الدعاء ، وقسوة القلب ، ومحق البركة فى الرزق والعمر ، ولباس الذل وضيق الصدر .

هذا فى الدنيا ،

فكيف يكون الحال فى الآخرة ؟

«هؤلاء لا ينامون»

مدنف لا طبيب له ، وكثير مال يخاف على ماله ، والهام بدم يسفكه ، ومتمنى الشر للناس ، والغارم لامال عنده ، والمطلع على سوء من أهله ، والمغصوب ماله .

«قبل فوات الأوان»

قدم لنفسك خيراً
وأنت مالك مالك
من قبل تصبح فرداً
ولون حالك حالك
ولست والله تدرى
أى المسالك سالك
إما لجنة عدن
أو فى المهالك هالك

الشح أم الفقر

قال كسرى لجلسائه : أى شىء أضر ؟ فأجمعوا على أنه الفقر .

قال : بل الشح لأن الفقر قد ينفرج ولكن الشح لا يفارق .

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

«ثقيل»

أطال ثقيل جلوسه عند رجل ، فلما أمسى وأظلم البيت لم يأت بسراج

فقال الثقيل : أين السراج ؟

قال صاحب البيت : إن الله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ وإذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِم قَامُوا ﴾ .

«من حكم العرب»

كان أعرابى فى سفر ، ومعه جارية حسناء ، فتركها سافرة واكتفى بأن عصب عينيها .

فلما سئل عن ذلك ،

قال : إنما أخاف عليها من عينيْها لا من عيون الناس .

«طبع إنسانى»

قال حكيم : من غريب طبع الإنسان أنه يحب العدالة مظلوما ، ويكرهها ظالما .

ويطلب الحرية مرءوسا ، ويُنكِرُهَا رَئيسا .

«دعاء»

يارب : إنك أمرتنا فلم نأتمر وزَجرتنا فلم نَنْزَجِر .

وإنا لا نعتذر ولكن نستغفر .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

أدب الجدل

فى القرآن الكريم

الجدل - والمناقشة وإيراد الحجج ، وإبراز الأدلة ، عناصر قديمة قدم العالم نفسه ، وستظل باقية إلى يوم الدين .

فمادام هناك عقل فلابد أن يجادل ويناقش ويحاور .

ومادام هناك مجتمعات ومعتقدات وقضايا وتباين فى الميول والأهداف فإن الجدل سيظل عاملاً من عوامل إثبات الوجود الإنسانى ، وقد جاء القرآن الكريم حافلاً بشتى الأساليب الجدلية التى كانت سائدة فى الأمم الغابرة وفى ذات الوقت جاء محدداً أسلوب الجدل المؤدب المهذب الذى لا يخدش أو يهين .

الجدل الهادف الذى لا يرجى من ورائه إلا الوصول إلى الحق والحقيقة .

قال الأستاذ :

مادمنا فى هذه الحياة فالمنازعات بين الناس باقية لا تزول ، وما دام الملوان يتعاقبان فقانون تنازع البقاء سرمدى خالد يخضع الناس له ، ويذودون عنه باليد واللسان والفكر والجنان .

فالجدال شأن اجتماعى لا يمكن أن تخلو منه أمة أو يتخلى عنه شعب : ذلك لأن الناس مختلفون فى المعتقدات والآراء ، متباينون فى الأغراض والميول ؛ وما الحروب الطاحنة بين الأمم فى العصر إلا وليدة اختلاف الآراء ، ونتيجة تشعب الأفكار .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة الطبيعية فى سورة «هود» بقوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ .

وليس كل خلاف فى هذه الحياة شراً محضاً ، فكثير من أفراده وسيلة للخير ومرقاة للنفع العام ، إذا كان الغرض به الوصول إلى الحق وتمحيص وجه الصواب انظر إلى الشورى والمجالس النيابية ، فإن الخلاف فى الفكر فيها دعامة الإصلاح الاجتماعى ، وأس العمران فى هذه الحياة .

للأستاذ الشيخ

عبد الرحيم العدوى

إعداد وتقديم

عبد الفتاح حسين الزيات

والجدل والمناظرة كغيرهما من الشئون الاجتماعية ، إذا لم تحط بقيود انفرط عقدها ، وإذا لم تصحبها التحفظات ضاعت ثمرتها .

وكما أن للقرآن الكريم طريقته الخاصة فى إقامة الحجة والبرهان ، وله أسلوبه الخاص فى طريقة الاستدلال ، فله أيضاً مسلكه الخاص فى أدب الجدل ومراعاة شعور الخصوم ؛ أدب يتفق مع مكانته السامية ، ومراعاة تتناسب مع الرسول الكريم الذى بلغه إلى الناس .

وقد علم الله خطر الجدل إذا لم يقصد به الوصول إلى الحق ، فذكر لنا فى كتابه الكريم الأصل العام الذى يجب أن يكون عليه الحجاج ، والأساس الذى يبنى عليه المؤمن جدله ومناظرته ، من حسن الأسلوب ولين الجانب : وعف القول ، والإغضاء عن الهفوات ، والصفح عن الزلات ؛ اقرأ إن شئت قوله تعالى فى سورة «النحل» :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ . وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ . وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ، وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ .

تجده قد رسم فيه العلى القدير لرسوله الكريم الدستور الذى يجب أن يترسم خطاه فى دعوته ، فأمره بأن يقيم الدعوة على الحكمة والمواعظ الآخذة بالقلوب لحسنها ، ويخاصم ويجادل ولكن بالطريقة التى تضم الخصم إلى ساحته وتقربه من مبادئه . ثم حبب إليه طريقة العفو والصفح ، وبصره بمكانة الصبر بقوله : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ . وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ .

ثم استمع إلى قول الله عز وجل فى سورة «العنكبوت» : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

وقوله تعالى فى سورة «فصلت» : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ . ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وقوله تعالى لموسى وهارون : ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ .

استمع إلى كل ذلك تعرف كيف دعا القرآن المؤمنين إلى سلوك طريق الحسنى فى حجاجهم ، وبين لهم ثمراته الدانية من أنه يقلب العدو صديقاً ، والخصم الألد أخاً حميماً ووليا ونصيراً .

وقد حذر القرآن المؤمنين من السب والشتم والخوض فى الباطل والتلفظ بساقط القول ، ولو كان ذلك فى أصنام المشركين التى لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ، سداً للذرائع ، ووقاية

من روائع الماضى

من سوء أدب المشركين .

فقال : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .

ونص القرآن على من يجادل بالباطل ليدحض به الحق ، ليلفت الناس إلى أن الغاية التى يجب أن تقصد من الجدل هى ظهور الحق الذى ينتفع الناس به ، والذى يعود خيره على الجماعة الإنسانية كافة .

كما حط من شأن الذين يتكبرون فى جدالهم ويسخرون من خصومهم ، ويعتقدون بما لهم من مكانة مزيفة وسلطان مؤقت انهم اصحاب القول الذى لايرفض والرأى الذى لايمانع وفى ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ ويقول : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ . كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

المثل العليا للجدل :

وقد قص الله علينا من باب الذكرى والاعتبار المثل العليا للخصوم الشرفاء ، ووضع بين أيدينا صورة واضحة للمجادلين بالحق المعتدلين فى خصومتهم المؤدبين فى جدالهم .

فقص علينا جدال إبراهيم عليه السلام مع أبيه .

فقال : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا . يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا . يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا . يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ .

هذا الأسلوب المؤدب هو أسلوب النبوة المخلصة ، يفيض عطفاً ، ويسيل رقة وحناناً ، يحذر فى لطف ، وينذر فى لين ، ويعرف مكانة الأبوة فيعطيها ما لها من حقوق ، ويهب لها ما تستحقه من رفعة واحترام .

فليت شعرى ماذا كان جواب الأبوة ، وهى فى العادة موطن الرحمة والشفقة ، ومحل العطف والحدب ؟ إنها انقلبت شواظاً من نار وتحولت لظى من جحيم ، وانفرط منها عقد الرحمة فعاد قسوة فى فظاظة ، وغلظة فى جفاء !

وإن أردت البرهان فاستمع إلى قول تلك الأبوة الظالمة ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ . لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾

فيقابل إبراهيم عليه السلام هذه الشدة باللين والإحسان ، فيقول : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ . سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ فأى نفس تلك التى صدر عنها هذا التواضع ، وأى فم ذلك الذى نطق بالآيات البينات فى مقابلة الإساءة بالإحسان ؟ إنها نفس إبراهيم عليه السلام ، وإنه فم خليل الرحمن وكفى .

وقص القرآن علينا أيضاً جدال نوح عليه السلام مع قومه ، فقال :
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ . فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا

﴿ الذين هم أراذلنا بادي الرأي . وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾ .

هذا أحسن تخاطب من قوم نوح لنوح . وهو كما نرى ينم عن الكبرياء والغطرسة ، ويفيض بالسخرية والاستهزاء ، ويرمى البراء بأخس الأوصاف وأرذل الألقاب ، ويسم نوحا ومن اتبعه بالكذب والزور .

فانظر كيف كان رد نوح على هذه البذاءة وذلك الكبرياء ؛ قال :

﴿ ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون . وياقوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون . . ولا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إني ملك ، ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً . الله أعلم بما في أنفسهم . إني إذاً لمن الظالمين ﴾ .

ألم تر إلى نوح عليه السلام كيف رد على فظاظتهم وغلظتهم بأبلغ ما فى الكلام من ألفاظ اللين ، وصار يضع بين أيديهم القوانين الاجتماعية والمبادىء الدينية فى أخصر لفظ وأرق معنى ، ويصور كل ذلك أبلغ تصوير ، ويكشف عنه الغطاء ويجليه لكل ذى بصيرة ، فبين لهم أن رحمة الله بعباده قد تخفى على من لم يستعد لفهمها والاستفادة منها ، وأن عقائد الدين لا تلقن تلقيناً ولا تملى على الناس إملاء ولو مع كره ؛ بل هى سهلة جذابة تصل إلى القلوب السليمة لا حجاب يمنعها ، ولا حاجز يعوق سيرها إليها ؛ وأن الأنبياء سفراء عن ربهم يبلغون عباده أوامره ، وهو وحده الذى يعطيهم الأجر ويقدر لهم الجزاء ، فليس على العباد ضرائب مالية ولا تبعات مادية ؛ وأن من لجأ إلى حظيرة الإيمان كيف يطرد ، وكيف ينتقص قدره ، وقد يكون له عند الله الزلفى وحسن المآب .

فهو كما ترى أسلوب تواضع ولين ، وأسلوب وعظ حسن وتذكير ؛ وما كان هود عليه السلام بأسعد حظا من إخوانه الرسل السابقين ؛ فقد قال له قومه ﴿ ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ .

أما صالح فى قومه ثمود ، فكان غريباً بين أمة ، ووحيداً فى شعب .

وكم لقى شعيب عليه السلام وهو خطيب الأنبياء من أهل مدين من الشدة ، وكم قوبل بسوء ! نهاهم عن نقص المكاييل والموازين وكانوا على ذلك مكبين ، وذكرهم بما لقى قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من العذاب المهين . فاستمع لردهم عليه ﴿ قالوا ياشعيب ما نفقه كثيراً مما تقول . وإنا لنراك فينا ضعيفاً . ولولا رهطك لرجمناك . وما أنت علينا بعزيز ﴾ .

فيقول شعيب : ﴿ أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط ﴾ .

أما موسى مع فرعون ففى جدالهما العجب العجاب : لين ورقة من موسى ، وكبرياء وصلف من فرعون ؛ إذ يقول لموسى : ﴿ لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ .

فيقول موسى متلطفاً ﴿ أو لو جئتك بشيء مبين ﴾ ؟

من روائع الماضى

هذه هى المثل العليا فى أدب الجدل ، فجدير بكل من يتصدى للجدل العلمى أن يترسم خطاها فى الذود عن الحق ، ويتخذها إماماً له فى حماية المبادىء ، فلا ينبغى أن يشتط الإنسان مع أخيه الإنسان ، ولا أن يواجهه بسقط القول وبذاءة اللسان ؛ ولا ينبغى للمرء أن يعتد بمكانته فى المجتمع فيغضى عن رأى خصمه لأنه أقل منه مكانة وأضعف جنداً ، فإن الرأى بقيمته لا بقيمة صاحبه ؛ ولا ينبغى لإنسان كائناً من كان أن يفرض على الناس رأيه ، فإن الحق مشاع والحقيقة مطلب الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «لا تتعلم العلم لثلاث ، ولا تتركه لثلاث ؛ لا تتعلمه لتمارى به وتجادل ، ولا لترائى به ، ولا لتباهى به ؛ ولا تتركه حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ، ولا رضا بالجهل» .

وقال علماء الأخلاق : إن الباعث على الجدال هو الترفع بإظهار العلم والفضل ، والتهجم على الغير بإظهار نقصه ، وهما شهوتان باطنتان للنفس ، فإظهار الفضل من قبيل تزكية النفس ، وتنقيص الغير من مقتضيات طبع السبعية الكامن فى نفس الإنسان ، وكل ذلك من الصفات المذمومة التى يقويها الجدال ، وينميها غمط الحقوق .

وأكثر ما يكون الجدال بالباطل فى العقائد والمذاهب .

وقد ذكر الإمام الغزالى فى كتابه «الإحياء» إن من أدب المجادل الذى يقصد بجداله وجه الله وإحقاق الحق ، أن يكون جداله مع خصمه فى خلوة لا فى حفل جامع ، فإن الخلوة أجمع للفهم ، وأحرى بصفاء الذهن ودرك الحق ، وفى حضور الجمع الكثير ما يحرك دواعى الرياء ، ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أم مبطلاً، فحرصهم إذاً على المحافل والمجامع ليس لله ولا لوجه الحق .

فقد يخلو الواحد منهم بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه ، وربما اقترح عليه صاحبه بعض الأمور فلا يجيب . فإذا انتظم مجمع أو تكامل عقد محفل ، لم يغادر فى قوس الاحتيال منزعاً حتى يكون هو المختص بالكلام وفارس الميدان .

ومن أدب المجادل أيضاً أن يكون فى طلب الحق كناشد الضالة ؛ سواء لديه أن تظهر الضالة على يديه أو على يد من يعاونه ، فيرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له طريق المحجة .

فقد اعترضت امرأة من قريش عمر بن الخطاب وهو على المنبر ينهى الناس عن التغالى فى مهور الناس .

فقالت له : أيعطينا الله ويمنعنا عمر ! يقول الله تعالى : ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ﴾ فقال عمر : «اللهم غفراً ! كل الناس أفقه من عمر» .

البرق والرعد وفيزياء السحاب ٢

أ. د. أحمد فؤاد باشا

فيزياء السحاب :

ربما لا يتسع المجال هنا للاستطراد فى الحديث عن مختلف مجالات البحث والدراسة التى يعنى بها علم فيزياء السحاب ، ولكننا سنقتصر على تناول ما يتصل منها بحدوث البرق والرعد ، وخاصة ذلك النوع من السحاب الذى ينمو رأسيا حتى يبلغ خمسة عشر كيلومترا أو أكثر ، متجاوزاً مستوى التجمد بقدر يكفى لأن تتراكم قمته على هيئة كتل جبلية تحوى كميات هائلة من بلورات الثلج وحبات البرد ، وهو ما يطلق عليه اسم «المزن الركامى» Cumulonim-bus والموضوع فى أساسه مرتبط بظاهرة الكهربية عموما ، والكهربية الجوية على وجه الخصوص .

الكهربية الجوية :

تعزى جميع الظواهر الكهربية إلى خاصية أساسية لجسيمات المادة يطلق عليها اسم «الشِحنة الكهربية» Electric charge ، وهى كالكتلة ، من حيث الأهمية فى التعرف على الخواص الجوهرية للمادة ، ولا يمكن تفهم طبيعتها إلا فى ضوء الظواهر المرتبطة بها . ويرجع تاريخ اكتشاف آثار الشحنة الكهربية إلى العصور القديمة ، عندما لوحظ أن «الكهرمان» عند دلكه بالصوف يكتسب خاصية جذب الأجسام الخفيفة إليه . ونحن نصف هذه الظاهرة الآن بأن «الكهرمان» قد «تكهرب» ، أى «شُحن بشحنة كهربية» . والواقع أن هذه الظاهرة لا تقتصر على «الكهرمان» فقط ، بل إنه يمكن شحن أى مادة كهربياً إذا ما حدث احتكاك بينها وبين مادة أخرى مناسبة ، كأن يُشحن جسم السيارة بفعل حركتها خلال الهواء ، وأن يشحن المشط عند إمراره خلال شعر جاف ، إلى غير ذلك .

ويعنى مبحث الكهربية الساكنة أو «الكهروستاتيكا» Electrostatics بدراسة كل ما يترتب على وجود الشحنة الكهربية وهى فى حالة السكون ، أما مبحث الكهربية الديناميكية

أو «الكهروديناميكا» Electrodynamics فيعنى بدراسة كل ما يترتب على تحرك الشحنة الكهربية .

وقد أدت التجارب العملية التى أجريت لدراسة الشحنات الكهربية الساكنة إلى التعرف على وجود نوعين فقط للشحنة هما : الشحنة الموجبة (+) والشحنة السالبة (−) ، ولوحظ أن الشحنات المتماثلة تتنافر والشحنات المختلفة تتجاذب . وتوصل العالم الفرنسى شارل كولوم فى عام ١٧٨٥ م إلى قانون يقضى بأن (قوة التجاذب أو التنافر بين شحنتين تتناسب طرديا مع حاصل ضرب مقداريهما ، وعكسيا مع مربع المسافة بينهما) . وتقدر كمية الكهربية ، أو الشحنات الكهربية ، بوحدات «الكولوم» ، تخليداً لذكرى هذا العالم الفرنسى(*) . ويتم الكشف عن الشحنات الكهربية وتحديد نوعها باستخدام جهــاز بسيط يسمى الكشــاف الكهــربى Electroscope .

التفسير العلمى لعملية «التكهرب» :

معروف من التركيب الذرى للمادة أن الذرة ، من وجهة النظر الكهربية ، تتكون من نواة دقيقة موجبة الشحنة يدور حولها الكترونات تحمل الشحنة السالبة وتتوزع فى مدارات دائرية أو بيضاوية على أبعاد مختلفة من النواة . وتعتبر ذرات المادة الموجودة فى الطبيعة متعادلة كهربياً لأن كمية الشحنات الموجبة على نواة أى ذرة تكون مساوية تماماً لمجموع شحنات الالكترونات السالبة التى تطوف حول النواة . ويبدو أن الكون كله متعادل تقريبا ، إن لم يكن تماماً ، من الناحية الكهربية ، وحين توجد فى الطبيعة شحنات طليقة فإنها تكون نتيجة انتزاع الكترونات من ذرات معينة . ذلك أنه يمكن بوسائل مختلفة إحداث خلل فى التوازن الكهربى للذرة ، فتفقد الكتروناً أو اكثر لتصبح الغلبة فيها للشحنة الموجبة وتسمى عندئذ «أيون موجب» Positive ion أما إذا اكتسبت الذرة الكترونا زائداً أو اكثر فإنها تصبح سالبة التكهرب وتتحول عندئذ إلى «أيون سالب» Negative ion ويطلق على عملية الإخلال بالتوازن الكهربى للذرة اسم «التأيّن» Ionization .

وما يحدث عند دلك مادة بأخرى هو أن بعض الالكترونات الأقل ترابطا بذراتها تنتقل إلى المادة الأخرى ، وبذلك يزداد عدد الكترونات إحدى المادتين وتُشحن بشحنة سالبة ، بينما يقل عدد الكترونات المادة الأخرى وتصبح ذات شحنة موجبة . أى أن الشحن الكهربى يحدث نتيجة انتقال بعض الالكترونات من مادة إلى أخرى ، حيث تكون إحدى المادتين اشدّ ميلاً من الأخرى إلى التخلى عن الكتروناتها . والواقع أن التلامس الجيّد بين مادتين يكفى لإحداث الشحن كهربياً ، إذ ليس الغرض من الدلك أو الاحتكاك إلا تقريب المادتين حتى يتلاصق اكبر عدد ممكن من جزيئات سطحيهما .

وفى حالة التوصيل بسلك معدنى بين جسم ذى شحنة موجبة وجسم آخر ذى شحنة سالبة فإن الضغط الكهربى الذى يحدثه فرق الجهد

(*) من لطائف العلم التى نشير إليها فى هذا الشأن ما نلاحظه من تشابه بين نواميس القوى الطبيعية الناتجة عن خصائص المادة الجوهرية ، على نحو ما يبدو من تقارب فى المفاهيم بين قانون كولوم للتجاذب أو التنافر الكهربى وقانون الجذب العام لإسحق نيوتن الذى يقضى بأن اى جسمين فى الكون يجذب أحدهما الآخر بقوة تتناسب طرديا مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسيا مع مربع المسافة بينهما . وقد شرع العلماء حديثا فى البحث عن صيغة توحد بين مختلف انواع القوى الموجودة فى الطبيعة . ترى علام يدل هذا ؟!

بين الجسمين (وهو يقدر بوحدات الفولت) يعمل على انتقال الشحنة خلال سلك التوصيل فى صورة تيار كهربى Current تقاس شدته بوحدات «الأمبير»(**) . وتكتسب الشحنات الكهربية المتحركة بين فرق جهد معين طاقة كهربية ، تُقدَّر بوحدات (الجول) وتساوى حاصل ضرب كمية الشحنة بالكولوم فى فرق الجهد بالفولت . أما المجال الكهربى فهو اصطلاح يطلق على الحيز المحيط بالشحنة الكهربية وتظهر فيه آثار الكهربية ، وذلك على غرار مجال الجاذبية التثاقلية (نسبة إلى الثقل) المحيط بكتلة مادية كالأرض والشمس والقمر وبقية الكواكب . وإذا ماانهارت مقاومة موصل بين شحنات موجبة وشحنات سالبة حدث ما يسمى بالتفريغ الكهربى Electric discharge وظهر فى صورة شرارة أو شرارات متتابعة .

التفسير العلمى لظاهرتى البرق والرعد :

أدت دراسة ظاهرتى البرق والرعد إلى اكتشاف وجود شحنات كهربية فى جو الأرض ، وأصبح معروفاً من تجارب عديدة فى ميدان الكهربية الجوية Atmospheric electricity أنه فى الجو الصحو المعتدل يكون سطح الأرض مشحونا بشحنة كهربية سالبة ، ويتولد فى الجو مجال كهربى متجه من أعلى إلى أسفل بشدة تبلغ حوالى مائة فولت لكل متر . وهذه القيمة تتغير لعدة أسباب من مكان إلى آخر ومن ساعة لأخرى على مدار اليوم .

وقد دلّت أرصاد توزيع الشحنات الكهربية فى المزن الركامى على أنها تتخذ فى توزيعها ترتيباً خاصا ، تغلب فيه الشحنات السالبة فى جزء كبير من السحاب فوق مستوى الصفر المئوى ، فى حين تغلب الشحنات الموجبة فى المناطق العليا من السحاب فوق مستوى الجليد ، بينما يوجد مركز صغير لشحنات موجبة عند قاعدة السحاب فى الجزء الذى يسقط منه أغزر نسبة من المطر .

وعندما يتزايد تراكم الشحنات الكهربية إلى درجة تنهار معها مقاومة الهواء العازل فإن تفريغ الشحنات الكهربية غير المتجانسة يحدث بين الأجزاء العليا والأجزاء السفلى من سحابة واحدة ، أو بين سحابتين قريبتين من بعضهما ، ويظهر التفريغ على صورة شرارات هائلة ذات وميض ، تعرف بالبرق ، وتستنفد فى ذلك كميات ضخمة من الطاقة الكهربية . وينجم عن التسخين الشديد المفاجىء الذى يحدثه البرق فى منطقة انبعاثه أن يتمدد الهواء فجأة ويزداد حجمه ويتمزق محدثاً تفريغاً جزئياً فى المكان ، أى

(**) من المفيد أن ننبه هنا ـ على سبيل التوعية ـ إلى أن التحكم فى التيار الكهربى هو أهم عناصر الأمان لمنع خطر الصعق بالكهرباء . أما الجهد فأهميته ترجع إلى أنه هو الذى يسبب سريان التيار الكهربى فمثلا إذا لمس إنسان سلكاً مكشوفاً أثناء وقوفه على الأرض بأقدام مبتلة فإن الموقف يكون أخطر بكثير مما لو كان يقف على سطح جاف معزول ، ذلك لأن الدائرة الكهربائية خلال جسده إلى الأرض تكون مقاومتها لمرور التيار كبيرة جداً عند الوقوف على عازل . وللأمان لا يجب لمس أى جزء معدنى مكشوف من دائرة كهربية تغذى بأكثر من ٥٠ فولت . كما يمكن تحاشى خطر الصدمة الكهربائية بتجنب مرور التيار الكهربى خلال الجسد . أى أن الجسد لا يكون حلقة اتصال بين نقطتين بينهما فرق جهد عال .

البرق والرعد

تخلخلاً . ولذا سرعان ما يندفع الهواء من كل صوب ليملأ موضع الفراغات ، وتتولد بذلك سلسلة من أمواج التضاغط والتخلخل في الجو ، هي صوت الرعد . وما دَوِيُّ الرعد المعروف إلا سلسلة الانعكاسات التي تحدث لموجات صوت الرعد الأصلي من قواعد السحب وقمم المرتفعات ونحوها .

أما إذا حدث التفريغ الكهربي بين سحابة وسطح الأرض أو أي جسم مرتفع عليها فإنه يسمى صاعقة ، وهي تؤدي إلى كثير من التدمير والتخريب في المباني والأشجار والسفن . وإذا ما صادفت إنساناً أو حيواناً قتلته . وإن كان يُنصح بالمبادرة إلى إجراء تنفس صناعي لمدة طويلة لمن تصيبه صاعقة ، فربما يكون هناك بعض الأمل في إنقاذ حياته إذا ما كان المسُّ ضعيفاً . وتزود المباني العالية عادة بمانعة الصواعق ، وهي عبارة عن ساق من الحديد تنتهي بطرف مدبب ، تثبت في أعلى المبنى ويتصل أسفلها بباطن الأرض ، وفي حالة حدوث تفريغ كهربي فإنه يتسرب إلى الأرض مباشرة خلال مانعة الصواعق دون أدنى ضرر بالمبنى .

والسؤال الذي لم يستطع العلم أن يتوصل إلى إجابة حاسمة عليه حتى الآن هو : **كيف يتم الفصل بين نوعي الشحنات الكهربية بحيث يأخذ توزيعها ترتيباً معيناً في السحاب ؟** وقد وضعت عدة آراء ونظريات تعزى السبب إلى عوامل مختلفة منها ما يحمله رذاذ الماء المتناثر في الجو نتيجة تلاطم أمواج البحار والمحيطات ، ومنها تأين الهواء الجوي بالتأثير المباشر للأشعة الكونية الآتية من الفضاء الخارجي ، أو بفعل حركة تيارات الهواء العنيفة في مراكز العواصف وما ينجم عنها من توليد شحنات كهربية مختلفة على جزيئات الهواء وقطيرات الماء ، ومنها تأثير مجال الأرض الكهربي على قطرات المطر الساقطة داخل السحاب ، أو تجزؤ القطرات ذاتها بالتصادم دون الحاجة إلى وجود مجال كهربي . وترجع أحدث النظريات السبب في انفصال شحنات كهربية عظمى إلى عملية نمو حبات البرد وذوبانها بعد أن تبلغ حجما معينا(***) . إلا انه لايزال هناك الكثير مما يقتضي الدراسة فيما يتعلق بكهربية السحاب وعملية الهطول ، خاصة بعد تقدم أبحاث الفضاء وتطوير أجهزة القياس والرصد الجوي في المعامل (المختبرات) الفضائية والأقمار الصناعية .

(***) هناك من يتخذ من هذه النظرية دليلاً علمياً على الإعجاز القرآني في قوله تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (النور : ٤٣) ، اى سنابرق البرد لان البرد هو اقرب مذكور للضمير ، ومن ثم يجزم بأن النظرية تتفق مع القرآن في ان البرد هو الذي يولد البرق (راجع : د . محمد جمال الدين الفندي ، الله والكون ، ص ١٥٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٨٧) . ونحن نرى أن التدليل على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بنظريات لم ترق بعد إلى مستوى الحقيقة العلمية المؤكدة أمر لا يتفق مع جلال القرآن وغايته . ترى كيف يكون الحال عندما تظهر نظرية أحدث تنسخ النظرية القائمة او تضفي تعديلاً عليها ؟!

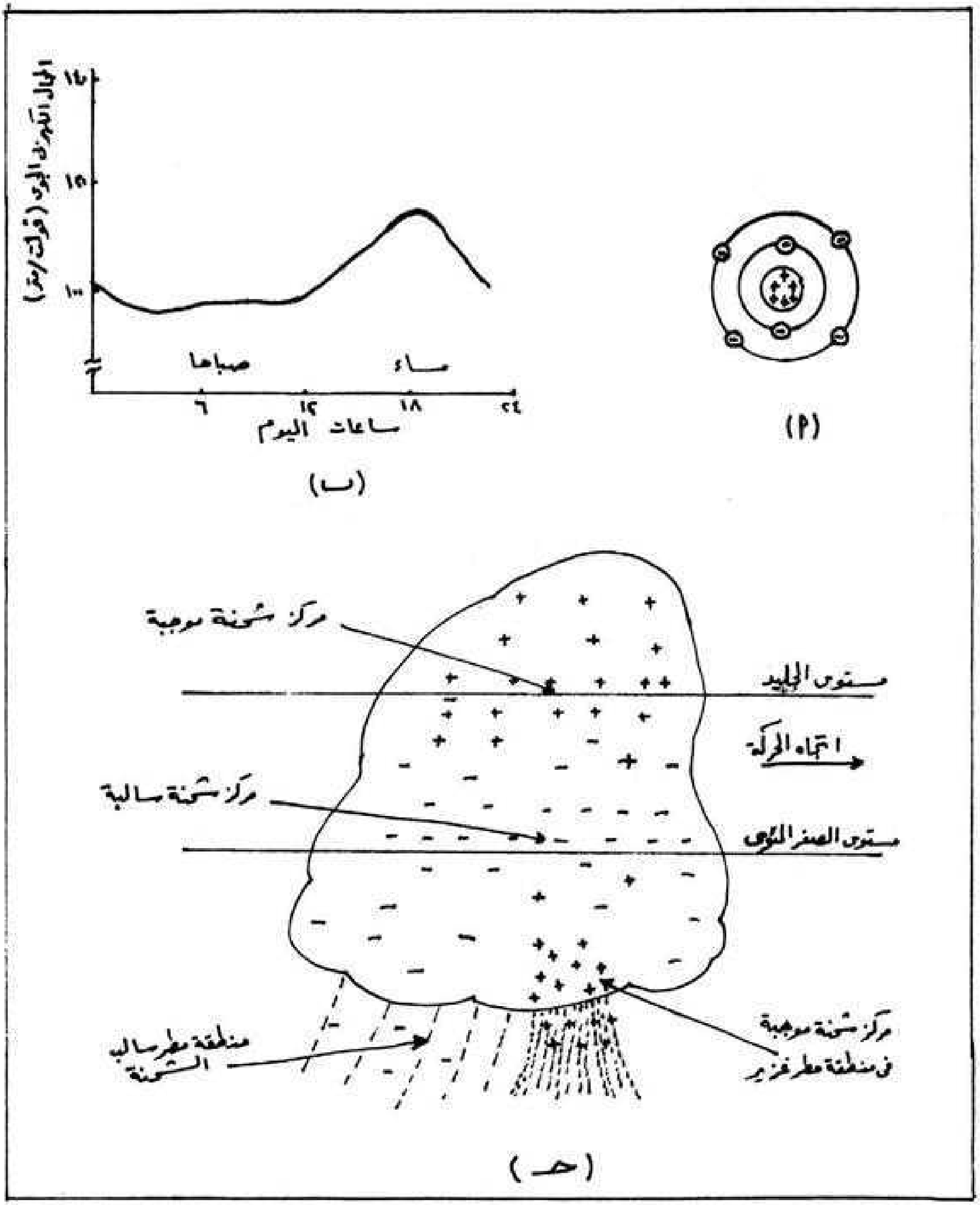

رسم يوضح : (أ) توازن الشحنات السالبة للالكترونيات مع الشحنة الموجبة للنواة فى ذرة كربون .
(ب) متوسط تغير المجال الكهربى الجوى مع تغير ساعات اليوم .
(جـ) توزيع الشحنات الكهربية فى المزن الركامى .

البـرق والرعـد

عَـــوْدٌ علـــى بَـــدْء :

نعود الآن إلى ما بدأنا به هذا المقال[1] ، حيث كان الحديث متعلقاً بما جاء فى كتاب مدرسى عن ظاهرتى البرق والرعد كمثال توضيحى لتنوع واختلاف أساليب التفكير . وبعد أن عرضنا ـ فى إيجاز وتبسيط تمشياً مع طبيعة المقال ـ جانباً من التصور الإسلامى والتفسير العلمى لهاتين الظاهرتين ، يمكن أن نخلص إلى عدة آراء نوجزها فيما يلى :

أولا : الجملة الواردة بالكتاب المدرسى لتفسير حدوث البرق والرعد بأنه نتيجة «التقاء الموجات الكهربائية بعضها مع البعض الآخر فى الجو» ، هى جملة غير مفيدة علميا ولا تعبّر عن قانون علمى .

ثانيا : طبيعة العلاقة بين العلم والفلسفة تتغير بتغير الحالة التى يصل إليها كل منهما فى مراحل تطوره . ولما كانت النظرية الفلسفية بصورة عامة تقوم على فروض ذاتية قوامها التأمل العقلى الخالص ، فإنها سرعان ما تنتقل إلى مجال العلم إذا ما تم التأكد من حقيقتها وفق منهج علمى سليم . ولهذا نلاحظ أن الفلسفة قد تراجعت وتخلت عن كثير من موضوعاتها بعد أن تدخل العلم وتوصل بشأنها إلى نظريات وحقائق . ولنا من ظواهر البرق والرعد والسحاب خير شاهد على ذلك .

ثالثا : التفكير العلمى مطلب إسلامى تتغياه التربية الإسلامية ، باعتباره الأساس فى بناء الإنسان المسلم وتكوين العقل الإسلامى ، حثت عليه آيات القرآن الكريم ، ودعت إليه الأحاديث النبوية الشريفة ، ومارسه المسلمون الأوائل فى كنف الإيمان الخالص ، فصنعوا به ومنه حضارة زاهرة تزهو على كل الحضارات[2] . لهذا نرى أهمية تأصيل الثقافة الإسلامية فى مختلف المناهج المدرسية ، وتأكيد الصلة الوثيقة بين العلم والإسلام ، حتى يتم القضاء على ما يشيع لظروف تاريخية معينة من أنهما ضدان لا يلتقيان . كما أن وصل أو ربط الناشئة بنصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة ومصادر التشريع الإسلامى ، كلما ظهرت الحاجة إلى ذلك ، من شأنه أن يعمر قلوب الأجيال المثقفة بالعاطفة الإسلامية القوية ، ويملأ نفوسهم بالأمل فى المستقبل ، ويثرى عقولهم بمنهجية التفكير السليم ، ويلهب حماستهم فى التسابق نحو الإعمار والبناء تحقيقاً لمشيئة الخالق الحق جل وعلا بما جاء فى كتابه الكريم : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .. صدق الله العظيم (البقرة : ٣٠) ـ وصلى وسلم على نبيه الأمى الصادق الأمين .

أ.د. أحمد فؤاد باشا

---

(١) راجع العدد السابق من مجلة الأزهر .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر مؤلفنا : «التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ودراستنا عن «خصائص المنهج العلمى فى التراث الإسلامى» مجلة الأزهر ، الأعداد من يونيو إلى سبتمبر ١٩٨٨ ، ودراسة أخرى بعنوان «نحو صياغة إسلامية لنظرية العلم والتقنية» ، مجلة المسلم المعاصر ، قيد النشر .

اللغة والأدب والنقد

من تمام الحديث عن الأستاذ كامل شاهين

ديوان جابر بن حني

الإسلام والاتجاهات العلمية

من تمام الحديث عن

الأستاذ كامل السيد شاهين

الرائد الحديث وتعريف الأفعال

السيد المحترم د/ على احمد الخطيب رئيس تحرير «مجلة الأزهر»
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:
فدائما اسعد بقراءة «مجلة الأزهر» الغراء والتى تجعلنا نعيش أيامنا الخوالى - أيام دراستنا فى الأزهر الشريف الذى نعمنا فيها بالدراسة على يد نخبة من العمالقة الأفذاذ، ومن بينهم المرحوم الأستاذ «كامل السيد احمد شاهين». رحمه الله.

استاذنا رئيس التحرير قرأت فى عدد ربيع الأول ١٤٠٩ هـ اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٨ البحث القيم الذى كتبه الأستاذ/ محمود عبدالرازق عقباوى عن المرحوم كامل السيد أحمد شاهين فى باب «من أعلام الأزهر»، وكانت كتابة ممتعة ذكرتنا بعالم فاضل راغب فى كل جديد، باحث عن كل تطور ومتطور، وعندما تحدث الأستاذ محمود عن مؤلفات الأستاذ كامل قال: «له كتاب فى علم الصرف لم أعثر عليه» وليسمح لى الأستاذ رئيس التحرير والأستاذ الكاتب أن أعرض لهذا الكتاب فى علم الصرف للمرحوم «كامل شاهين» حيث إن هذا الكتاب كان مقررا علينا فى الصف الأول الثانوى من الأزهر وهو عندى واسمه «الرائد الحديث فى تصريف الأفعال» الطبعة الثانية (١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م).

والكتاب نموذج رائع للتجديد والتطوير فى دراسة اللغة وتدريسها بعرض الأمثلة أولا ثم يستنبط منها القاعدة بعد مناقشة الظواهر اللغوية للكلمة، ولندع عالمنا الراحل يتحدث بنفسه عن سبب تأليفه لهذا السفر الممتع، فشعوره بذلك أعمق، وروايته له أدق.

نهـج الكتـاب:

قال رحمه الله:

« بعثنى إلى إخراج هذا الكتاب ما رأيته من ابتئاس الطلاب بمادة الصرف، واستعانتهم على جواز الامتحانات فيها بالاستظهار الذى يقتل الملكة، ويجمّد القريحة.

أ. عبد المنعم عبد الخالق على

ومبعث هذا الابتئاس - فى ظنى - هو الطريق الذى سلكه المؤلفون واعتادوه ، من سرد القواعد محررة ، وليس وراءها تدريب يثبتها ، أو إجالة للفكر ترسخها ، وتخرجها من دائرة التذكر إلى دائرة الوعى ، ثم إلى دائرة الانطباع والرسوخ .

ولقد نجح الأسلاف كل النجاح فى ضبط القواعد وتحريرها ، وكان هذا هينا عليهم - وهم القادة القارحون ، والفهمة المجربون وفاتهم أن يبسطوا التدريبات منوعة مختلفة الشعاب ، ولكنهم رحمهم الله - لم ينهجوا هذا النهج .

ولو أنهم فعلوا لما تركوا وراءهم نظرا لناظر أو دركا لمستدرك ، فكان اكتفاؤهم بتحرير القواعد باعثا لمثلى أن يجيل النظر ، ويدير الفكرة ، كى يثبت هذه القواعد بالتطبيقات التى لا تكتفى بالنظرة العابرة ، واللمح الخاطف ، بل إلى كد ، وتمام إدراك ، وحسن بصر .

والمؤلف - رحمه الله - لم يبخس السابقين فى التطوير والتجديد حقهم فها هو يقول : «ولست الأول فى هذا المسلك ؛ فقد سلكه قبل صاحبا (النحو الواضح) ولكنهما رحمة الله عليهما - لم يطرقا إلا قليلا من الأبواب التى طرقها كتابى هذا ، وعلى نحو من الوجازة يتفق وطاقة التلميذ فى المدارس الثانوية على أنى لم أستعن بكتابهما فى شىء أصلا ، وان كان الفضل راجعا إليهما ، ثم يشير المرحوم عالمنا إلى كتاب «تهذيب التوضيح» فيقول : «أما كتاب (تهذيب التوضيح) فهو كتاب جدير بالتقدير ، تجد أن اتجاه المؤلفين المرحومين إلى ضغط القواعد ، يوحى للطلاب بالاستظهار ، ويُعَنِّى المدرس عناء لا داعى له ، فضلا عن قلة التدريبات ، وعدم استيعابها .

«وكتاب (شذا العرف) كتاب جامع ، ولكن فقد التمرينات ، وتشويش القواعد ، وتشتيتها فى بعض الأبواب ، وإدماجها فى بعض آخر يقلل من قيمته بعض الشىء» . ثم يعرض المؤلف لطريقة تناوله الموضوع فيقول : «وقد درجت على أن اثبت الأمثلة طوائف ، ثم أعقب عليها بالارشاد والبحث ، وأتبع ذلك القواعد مجملة ، وآتى بكثير من التطبيقات لتكون نبراسا للمدرس ، وتهدّيا للممتحن ، وتعويدا للطالب على البحث والفهم ، وصرفا له عن الحفظ ، وتهيئة لبروز الملكة المستورة .

وتبرز روح التواضع عند المؤلف حيث لم يدّع أن كتابه قد قارب الكمال وإن كان قد قارب فعلا - فنراه يقول : «فإن كنت قد وفقت لما قصدت فذلك الفضل من الله ، وإن تكن الأخرى فحسبى أنى بذلت الجهد والله الموفق الهادى إلى سواء الصراط» .

مباحث الكتاب :

تناول المؤلف فى بداية كتابه **تعريف علم الصرف** والغرض منه ، والفرق بينه وبين النحو «ومتن اللغة» و«فقه اللغة» ثم شرح فائدة علم «الصرف» وما يتناوله هذا العلم ، والحاجة إليه ، وأشار إلى رأى السيوطى الذى يجعل واضع علم الصرف هو «معاذ بن مسلم الهراء» ولم يرتض هذا الرأى وعلق على قول السيوطى «ومن هنا لمحت أن أول من وضع علم التصريف معاذ» فقال «يريد أن معاذ الهراء لما عرف أنه خلص مسائل الصرف من مسائل النحو ، واكثر من صياغة

من تمام الحديث

الأبنية الاختراعية وألف كتابا مُخَلَّصاً للصرف غير مشوب بمسائل النحو - لما ثبت هذا «لمعاذ» لمح السيوطى أنه واضع علم الصرف ، وجاء من بعده فجزم به ، وليس على لمح السيوطى مُعَوّل ، لأنه يثبت أن الصرف كان معروفا قبل الهراء ، وكل ما فعله هو تخليصه وإفراده بالتأليف ..

والثابت أن بذور الصرف نبتت مختلطة ببذور النحو .. ولذا فليس وراء هذا البحث من طائل إلا معرفة الروايات وما نقل نقلا لا يستند لتاريخ محقق (الرائد الحديث ص ٩ ، ١٠) .

ثم تحدث الكاتب عن «الميزان الصرفى» وتناول أوزان المجرد وأوزان المزيد والقلب المكانى وتعرض بعد ذلك للصحيح والمعتل والمجرد والمزيد .. إلى آخر ما جاء بخصوص تصريف الأفعال .

والجميل فى الكتاب حقا الإكثار من التطبيقات الرائعة والتى أتبع كل موضوع بها ، وأخيرا «دليل الرائد» وهو إجابة لبعض هذه التطبيقات إجابة نموذجية ونختم حديثنا عن المؤلف القيم بذكر أحد هذه التطبيقات مشفوعا بإجابته كما ذكرها العالم الراحل .

قال شوقى على لسان عنترة : ص ١٧

سلى الصبح عنى كيف - ياعبل - أصبح
وأين يـرانى نجمـه حـين يلمـح
ارى بـوقـوفى فى ديـارك راحـة
كما يستريح ابن السبيل المطرّح[1]

(أ) زن الأفعال التى اشتمل عليها البيتان

(ب) وازن بين الفعلين (سلى) و(يستريح) من حيث مطابقة صورة كل منهما لميزانه ، مبينا السبب .

(جـ) هات ماضى الفعلين فى البيت الثانى ثم زنهما .

الإجابة ص ١٢٧

أ - سَلِى بزنة (فَلِى) أصبح بزنة (أفعل) يرانى بزنة (يَفْلنى) يلمح بزنة (يَفعَل) ارى بزنة (أفَل) يستريح بزنة (يستفعِل) .

ب - فى الفعل (سلى) تطابقت صورتا الميزان والموزون ، لأن التغيير الذى لحقه تغيير بالحذف . وفى الفعل (يستريح) تخالفت صورتا الموزون والميزان ، لأن التغيير الذى لحقه تغيير بالنقل والقلب ، فاصل (يستريح) هو (يستروح) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ، ثم قلبت الواو ياء لسكونها اثر كسر .

ج - رأى وزنتها (فَعَل) استـراح وزنتها (استفعل) .

وفى النهاية لا نملك إلا الدعاء لهذا العالم الجليل لما قدمه للمكتبة العربية فى علمى الصرف والعروض سائلين الله النفع راجين من الأزهر إعادة طبعهما للإفادة منهما إنه سميع مجيب .

عبدالمنعم عبدالخالق على
موجه لغة عربية بإدارة الإبراهيمية شرقية

(١) المطرّح : المتعب - المجهود

ديوان شعر جابر بن حُنَيّ التغلبي

٢

جمع وتحقيق
أيمن محمد على ميدان

وقال جابر بن حنى التغلبى : «الطويل»

أَلاَ يَا لَقَوْمى لِلْجَدِيدِ الْمُصَرَّمِ ... وَلِلْحِلْمِ بَعْدَ الزَّلَّةِ الْمُتَوَهَّمِ (١)

---

(١) الجديد : قال ثعلب الجديد الشباب ، وقال المرزوقى .. الجديد يجوز أن يكون من الجَدّ : القطع ، ويجوز أن يكون من الجِدَّة ، والمراد : العهد الذى كان مراعى لوصال بينه وبين حبيبته فتقطع وتصرم ، وإن جعلته من الجِدَّة يكون المعنى انه كان غير متقادم الميلاد إذ كان تسبب عن اجتماع النجعة ، فلمازال الوقت انقطع «شرح المفضليات للتبريزى ص ٥٠٦ المصرم : مقطع .

ورد البيت بالرواية السابقة فى المفضليات ص ٢٠٩ ، وشرحها الأنبارى ٤٢١ ومنتهى الطلب ٣٠٦ ، وأشار الأنبارى إلى رواية ثانية : «وللأمر بعد الزَّلَّة» وورد البيت برواية ثالثة فى :

شرح المفضليات للتبريزى ص ٥٠٦ ، وشعراء النصرانية ١٨٨/١ .

ـــ بِالقَوْمِ ـــــــــــــــ ـــــــــــــــ

ويعلق التبريزى قائلا : إنماَ نكَّر لانه لم يقصد قوما معلومين ، إنما دعا على طريق التعجب مستغيثا بمن يغيثه كائنا من كان ، فكل من أغاثه ونصره فى شكواه فهو المراد .

وبرواية رابعة فى الاختيارين :

ـــ بِالقَوْمِ ـــــــــــــــ لِلشَّبابِ ـــــــــــــــ

وبرواية خامسة فى معجم البلدان :

ـــــــــــــــ وَلِلْحُلْمِ ـــــــــــــــ

بضم حاء «الحلم» .

وَلِلْمَرْءِ يَعْتَادُ الصَّبَابَةَ بَعْدَمَا
أَتَى دُونَهَا مَا فَرْطُ حَوْلٍ مُجَرَّمِ (٢)

فَيَا دَارَ سَلْمَى بِالصَّرِيمَةِ فَاللِّوَى
إِلَى مَدْفَعِ الْقِيقَاءِ فَالْمُتَثَلَّمِ (٣)
ظَلِلْتُ عَلَى عِرْفَانِهَا ضَيْفَ قَفْرَةٍ
لِأَقْضِيَ مِنْهَا حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ (٤)
أَقَامَتْ بِهَا بِالصَّيفِ ثُمَّ تَذَكَّرَتْ
مَصَائِرَهَا بَيْنَ الْجِوَاءِ فَعَيْهَمِ (٥)

(٢) المرء : عنى نفسه . يعتاد : يتعاهد ويراجع . الفرط : الحين . الصبابة : رقة الشوق . (ما) زائده . المجرّم : التام الكامل . ويعلق التبريزى قائلا : «عنى بالمرء نفسه ؛ لأنه عاود صبابة قد درست آياتها وأتى دونها حول تام .. كأنه يتعجب من تقدم الشباب ، ومن حلمه بعد الزّلّة . وكان ينبغى للحلم أن يكون قبل الزلة ؛ لأنه إذا حلم بعدما زل لم يكن حلما .. » .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢٠٩ وشرحها للانبارى ٤٢٢ وشرح المفضليات للتبريزى ص ٥٠٦ ومنتهى الطلب ص ٣٠٦ .

وأشار الأنبارى إلى رواية ثانية :

________________ ــــ من فَرْطِ ________________

وورد برواية ثالثة فى «معجم البلدان» :

________________ ما فَرْطُ ________________

(٣) الصريمة : الرّملْ . اللوى : مسترقه . القيقاء : ما غلظ من الأرض فى ارتفاع . ومدافع القيقاء : مسايل الماء . المتثلم : موضع. والمراد من تعداد محالها أن يجعلها فسيحة الأكناف ، واسعة الأرجاء ليعلم جلالة أهلها .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٩ ، وشرحها للانبارى ٤٢٢ ومنتهى الطلب ٣٠٦ ، وشعراء النصرانية ١٨٨/١ ، وأشار إلى رواية «القيْقاء» وهى الأرض المستوية .

وبرواية ثالثة فى «شرح المفضليات» للتبريزى ٥٠٧ .

________________ ________________ فالمُتَثَلَّم

وأشار المحقق إلى رواية رابعة وردت بإحدى النسخ الخطية التى اعتمد عليها فى تحقيقه وهى «فالصريمة فاللّوى» .

وورد برواية خامسة فى الاختيارين :

________________ فَاسْلَمى ________________

(٤) عِرْفَانها : «يقول الانبارى ما عَرَف منها» . والعُرّف : الحدود ، واحدها عُرْفَة . ويقول التبريزى : ويكون المعنى : ظللت على ما عرفت من حدودها ضائفا بقفرة .. لأقضى حاجة المستعجل الذى لا يقدر على المقام .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٩ ، وشرحها للانبارى ٤٢٢ وشرحها للتبريزى ٥٠٧ ، وشعراء النصرانية ١٨٨/١ . وبرواية ثانية فى : منتهى الطلب ٣٠٦ :

________________ عُرْفَانِهَا ________________ بضم العين .

(٥) مصائرها : مواضعها التى تصير إليها فى الشتاء . وعلّق محققا المفضليات : والقياس فى هذا الجمع عند البصريين ترك الهمزة لأن الياء أصلية ، وقد ثبت الهمز بالسماع تشبيها بالزائدة . «الجواء : من قرى من نواحى اليمن» معجم البلدان ١٥٤/٢ . وعَيْهَم : جبل بنجد على طريق اليمامة إلى مكة» معجم البلدان ٢٥٩/٦ . ويعلق التبريزى قائلا : «ذكر مصيفها وَمَشْتَاهَا حنينا إليها وتوجعا لبعده عنها ..» .

ورد البيت السابق برواية المتن فى : المفضليات ٢١٠ ، وشرحها للانبارى ص ٤٢٢ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ .

وورد برواية ثانية فى شرح المفضليات للانبارى ٤٢٣ ، وشعراء النصرانية ١٨٨/١ :

________________ مصايرها ________________

وأشار الانبارى إلى روايتين : «أقامت به» و«فجيهم»

وبرواية خامسة فى «معجم البلدان» :

________________ مَنَازِلَهَا ________________

تُعَوِّجُ رَهْباً فى الزِّمامِ وَتَنْثَنِى
إلى مُهْذِبَاتٍ فى وَشِيجٍ مُقَوَّمِ (٦)

أنافَتْ وزافَتْ فى الزِّمامِ كأنَّها
إلى غَرْضِها أجْلادُ هِرٍّ مُؤَوَّمِ (٧)

إذا زَالَ رَعْنٌ عَنْ يَدَيْهَا وَنَحْرِهَا
بَدَا رَأْسُ رَعْنٍ وَارِدٍ مُتَقَدِّمِ (٨)

وَصَدَّتْ عَنِ المَاءِ الرَّوَاءِ لِجَوْفِهَا
دَوِىٌّ كَدُفِّ القَيْنَةِ المُتَهَزِّمِ (٩)

تَصَعَّدُ فى بَطْحَاءِ عِرْقٍ كَأنَّمَا
تَرَقَّى إلى أعْلَى أرِيكٍ بِسُلَّمِ (١٠)

---

(٦) تُعَوِّجُ : اى تعطف وتنثنى . الرَّهْب من الإبل : الدقيقة المهزولة . المهذبات : النساء اللواتى يُهْذِبن اى يسرعن السير . والإهذاب : شدة السير . الوشيج : الرماح يتشج بعضها ببعض اى يشتبك .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١٠ ، وشرحها للانبارى ٤٢٣ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٨ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء النصرانية ١٨٨/١ . واشار الانبارى إلى رواية ثانية : «تُعَرِّج رَهْباً» ، ورواية ثالثة «وتَنْتَحى..» .

واشار محقق شرح المفضليات للتبريزى إلى رواية الاختيارين :

ـــــ رَهْنى ـــــــــــــــــــــــ ـــــــــــــــــــــــ

وعلق «لعلها من رهنت الدابة إذا هزلت ، او لعلها تصحيف «رَهْبى» وهى الناقة المهزولة التى استعملت فى السفر فكَلَّتْ» .

(٧) انافت : اشرفت فى سيرها . زافت : خطرت واختالت . اجلاد الشىء : شخصه بكماله . المؤوم : القبيح الخلقة العظيم الهامة . الغُرضة بضم الغين : حزام الرحل، يقول : كان هرا فى غُرْضتها انشب اظفاره ، فهى تسرع .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١٠ وشرحها للانبارى ٤٢٣ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٨ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء النصرانية ١٨٨/١ . واشار الانبارى إلى رواية : «أشْلاء هِرٍّ» .

وبرواية ثالثة وبلا نسبة فى خلق الإنسان ١٧٠ :

تَرَى أوْ تَرَاءى عِنْدَ مَعْقِد غَرْزِها ... تَهَاوِيل مِنْ أجْلادِ هِرٍّ مُؤَوَّمِ

(٨) رَعْن : انف الجبل . يقول : إذا قطعت رَعْنا وقعت فى مثله ، يريد انها تُخَلِّفُ شيئاً ، وتستقبل غيره ، تطوى الارض طيا من سرعتها .

ورد البيت بالرواية السابقة فى :

المفضليات ٢١٠ ، وشرح المفضليات للانبارى ٤٢٣ ، وشرح المفضليات ، للتبريزى ٥٠٩ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء النصرانية ١٨٩/١ .

(٩) ماء رواء وروى : كثير . الدَّوِىّ : صوت الجوف . الدف : الذى يلعب به . القينة : الامة مُغَنية كانت أو غير مغنية . المُتَهَزِّم : المشقوق . ويجوز ان يكون الدوى صوت الحنين .

ويعلق التبريزى فى شرحه للمفضليات ٥٠٩ على البيت قائلا : «رجعت عن الماء الكثير وهو مُعْرَضٌ لها . ولكنها لا تستوفيه لنجائها وحرصها على الانصراف إلى اوطانها ، والحنين إليها ..» .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١٠ ، وشرحها للانبارى ٤٢٤ ، وبرواية ثانية فى : شرح المفضليات للتبريزى ٥٠٩ ، وشعراء النصرانية ١٨٩/١ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ .

ـــــــــــــــــــــــ ـــــ كَدُفٍّ ـــــــــــــــــــــــ

وبرواية ثالثة فى الاختيارين :

ـــــ الرُّوَاء ـــــــــــــــــــــــ ـــــــــــــــــــــــ

واشار الانبارى إلى رواية «لصدرها دَوِىّ» .

(١٠) تَصَعَّدُ : ترتفع . البطحاء : مسيل فيه دقاق الحصى . عِرْق : موضع والعِرْق : جبل صغير . أريك : «قال الاخفش : إنما سمى أريكا لانه جبل كثير الاراك» معجم ما استعجم ١٤٥/١ . «اريك بفتح اوله وكسر ثانيه وبالكاف على وزن فعيل موضع فى ديار غنى بن يعصر .. وقال أبو عبيدة : أريك فى بلاد ذبيان .. والاريك : الجبل الصغير .. ويدلك على ان أريكا جبل مُشْرف قول جابر بن حنى يصف ناقة .. البيت» . السابق ١٤٤/١ .

ورد البيت بالرواية السابقة فى المفضليات ٢١٠ ، وشرحها للانبارى ٤٢٤ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٩ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، ومعجم ما استعجم ١٤٤/١ . وبرواية ثانية فى شعراء النصرانية ١٨٩/١ .

ـــــ كَأنَّها ـــــــــــــــــــــــ

وبرواية ثالثة فى الاختيارين :

تَصَاعَدُ فى بطحاءِ عِرْقٍ كأنَّما ـــــــــــــــــــــــ

لِتَغْلِبَ أبْكِى إذْ أثارَتْ رِمَاحُهَا
غَوائِلَ شَرٍّ بَيْنَهَا مُتَثَلِّمِ (١١)

وَكَانُوا هُمُ البَانِينَ قَبْلَ اخْتِلافِهِمْ
وَمَنْ لا يَشِدْ بُنْيَانَهُ يَتَهَدَّمِ (١٢)

بِحَىٍّ كَكَوْثَلِ السَّفِينَةِ أمْرُهُمْ
إلَى سَلَفٍ عَادٍ إذَا احْتَلَّ مُرْزِمِ (١٣)

إذَا نَزَلُوا الثُّغْرَ المَخُوفَ تَوَاضَعَتْ
مَخَارِمُهُ وَاحْتَلَّهُ ذُو المُقَدَّمِ (١٤)

أنِفْتُ لَهُمْ مِنْ عَقْلِ قَيْسٍ وَمَرْثَدٍ
إذَا وَرَدُوا مَاءً وَرُمْحُ بنِ هَرْثَمِ (١٥)

---

(١١) الغوائل : ما يغول حلومها أى يذهب بها . متثلم : لا تنسد ولا تلتئم . يعلق التبريزى قائلا : يرق قلبى لهذه القبيلة لما اختلفت أهواءهم تثلَّمَتْ جوانبها فلا تنسد ولا تلتئم» .

ورد البيت بالرواية السابقة فى المفضليات ٢١٠ ، وشرحها للأنبارى ٤٢٤ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٩ ، وشعراء النصرانية ١٨٩/١ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وأشار الأنبارى إلى رواية ثانية للبيت : «لتغلب فابكي....» .

(١٢) شاد بُنْيَانَه : زينه وطوله . ويقول التبريزى : « أى كانت تغلب قبل وقوع الخلاف بينهم يَبْتَنُونَ المكارم ، ويتعاونون على اكتساب المعالى ، ولا يتضاغنون » .

ورد البيت بالرواية السابقة فى المفضليات ٢١٠ وشرحها للأنبارى ٤٢٤ وشرحها للتبريزى ٥١٠ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء النصرانية ١٨٩/١ وأشار الأنبارى إلى رواية ثانية :

__________ وَمَن لايَذُدْ عَن حَوضِهِ يَتَهَدَّمِ

(١٣) كَوْثَل : سكانها . السلف : واحد وجمع ، ما تقدم منهم . عاد : يريد متجاوز ، أى عدا كل حد فى الارتفاع . إذا احتل : إذا نزل لم يقلعه شىء لأنه لا يخاف . مُرْزِم : له رزمة لطول إقامته . والرزمة : الصوت والجلبة . ويعلق التبريزى بقوله : «والمعنى أنهم كانوا يقومون بأمر الحى ويقوّمون ما أعوج منها ، وكانوا يقومون شئون الناس فى إصلاح فاسدها وضبط ما تخلل من أركانها كالسكان من السفينة» .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١٠ وشرحها للأنبارى ٤٢٤ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء الجاهلية ١٨٩/١ ، وأشار التبريزى إلى هذه الرواية . وورد برواية ثانية فى : شرح المفضليات للتبريزى ٥١٠ .

لِحَىٍّ __________ __________

وبرواية ثالثة فى الاختيارين :

__________ أمْرُهَا __________

(١٤) المخارم : واحدها مَخْرِم وهو الطريق فى الغلظ وأنف الجبل . احتله : رحَلَه . ذو المُقَدَّم : يعنى التقدم . «وهذا مثل لعزتهم ومنعتهم ، وأنه يلين لهم كل مستصعب» .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢١١ ، وشرحها للأنبارى ٤٢٥ وشرحها للتبريزى ٥١٠ ، وشعراء النصرانية ١٨٩/١ ، والذى أشار بدوره إلى رواية ثانية للبيت :

__________ __________ ذو تَقَدُّمِ

(١٥) عقل : دِيَة . رُمْح بن هَرْثَم : رجل . أراد : أنِفْتُ لهم أن يأخذوا بعقل من قتل منهم فينظر الناظر إلى إبلهم إذا وردت فيقول هذه إبل أخذوها من عقل فلان وفلان فَيُعَيَّرُون بذلك .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١١ وشرحها للأنبارى ٤٢٥ ، وشعراء النصرانية ١٨٩/١ . وبرواية ثانية فى منتهى الطلب ٣٠٧ .

__________ __________ مُرْثَمِ

وبرواية ثالثة فى شرح المفضليات للتبريزى ٥١٠ .

__________ __________ ابنِ هَرْثَمِ

وبرواية رابعة فى معجم الشعراء ٢٠٧

ـ من عقل عمرو بن مرثد __________ ابْنِ هَرْثَمِ

وأشار الأنبارى إلى رواية خامسة :

أنِفْتُ لهم من عقل عمرو بن مرثد إذا وردت ماء ورمح ابن هرثم

وأشار أيضاً إلى رواية سادسة : «إذا وَرَدا ماء» .

وَيَوْمًا لَدَى الحَشَّارِ مَنْ يَلْوِ حَقَّهُ ... يُبَذْبَزْ وَيُنْزَعْ ثَوْبُـهُ وَيُلَطَّمِ (١٦)

وَفِى كُلِّ أَسْوَاقِ العِرَاقِ إِتَاوَةٌ ... وَفِى كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ (١٧)

وَقَيْظُ العِرَاقِ مِنْ أَفَاعٍ وَغُدَّةٍ ... وَرعْىٍ إِذَا مَا أَكْلَؤُوا مُتَوخِّمِ (١٨)

أَلاَ تَسْتَحِى مِنَّا مُلُوكٌ وَتَتَّقِى ... محارمنا لا يَبُوؤُ الدَّمُ بالدَّمِ (١٩)

---

(١٦) الحشّار : الحاشر وهو الجابى يجمع المال . ويضيف التبريزى قائلا : وحكى انه سُمّى حشارا لانه كان مجمع القوم الذين تتابعوا فى الشر وتآمروا فى القطيعة والفساد ..» . يلو : يمطل . يبزبز : يسلب . ومعنى ينزع ثوبه : اى يهتضم ويؤخذ سلبه .

ورد البيت بالرواية السابقة فى :

المفضليات ص ٢١١ ، وشرحها للانبارى ٤٢٥ وشعراء النصرانية ١٨٩/١ .

وبرواية ثانية فى : شرح المفضليات للتبريزى ٥١١، ومنتهى الطلب ٣٠٧ :

________ ________ وَيُظْلَمِ

واشار الانبارى فى شرح المفضليات ص ٤٢٥ إلى رواية ثالثة ، هى رواية الاصمعى :

________ يُتَرْتَرْ وَيُنْزَعْ ثَوْبُهُ وَيُلَطَّمِ

واشار التبريزى فى شرحه للمفضليات إليها ايضا . والترترة : العجلة .

واشار ايضاً التبريزى إلى روايتى :

«يُبَزْبَزْ» و«مَنْ يُلْوَ حقه» اى من استضعف ومنع حقه .

(١٧) الإتاوة : الخراج . وقيل : إنها الرشوة . وقيل : كل ما اخذ بكره . والمكس : دراهم كانت تؤخذمن بائع السلع فى الأسواق فى الجاهلية . وفى قوله «مكس درهم» أى نقصان درهم بعد وجوبه . ويعلق الجاحظ على هذا البيت بقوله : «إن ملوك العرب كانت تأخذ من التجار فى البر والبحر وفى أسواقهم المكس ، وهى ضريبة كانت تؤخذ منهم ، وكانوا يظلمونهم فى ذلك ، ولذلك قال التغلبى وهو يشكو ذاك فى الجاهلية ويتوعد .. البيت» .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢١١ ، وشرحها للانبارى ص ٤٢٦ ، وشرحها للتبريزى ٥١٢ ، والحيوان ١٥٦/٦ ، الجمهرة ٤٦/٣ وشعراء النصرانية ١٨٩/١ .

وبرواية ثانية فى الحيوان ١٤٨/٦ ، ومقاييس اللغة ٥٠/١ غيرمنسوب لشاعر :

________ أتاوة ________

وبرواية ثالثة فى : منتهى الطلب ص ٣٠٧ :

________ الحِجَاز ________ ________

وبرواية رابعة فى : اللسان (مكس) ،منسوباً لجابر بن حنى التغلبى :

أفى ________ ________

وبرواية خامسة فى اللسان (أتى) ، منسوباً لجنى بن جابر التغلبى

ففى ________ ________

واشار التبريزى فى شرح المفضليات إلى رواية سادسة : «وَكَسِ» ، ورواية سابعة : «فى كُلِّ اسْوَاقِ الحجاز» .

(١٨) القيظ : شدة الحر . الغُدَّة : طاعون الإبل . الرعى : الكلا برعى . اكلؤوا : كثر كلؤهم . متوخم : وبيل غير مرىء» .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢١١ وعلق محققا المفضليات فى هامش الصفحة أن «هذا البيت زيادة من نسخة المتحف البريطانى» وشعراء النصرانية ١٨٩/١ .

(١٩) لا يبوء : يقال فلان بواء بفلان إذا قيد به فكان كذواله . ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢١١ وشرحها للانبارى ٤٢٦ والحيوان ١٤٨/٦ للتغلبى ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء النصرانية ١٩٠/١ .

وبرواية ثانية فى شرح المفضليات للتبريزى ص٥١٢ .

________ لايَبُوء ________

واشار المحقق إلى رواية ثالثة وردت فى إحدى النسخ الخطية التى اعتمد عليها فى تحقيق الكتاب «يَبُوء» .

وبرواية رابعة فى شرح أبيات سيبويه للنحاس ٢١١ بلا نسبة .

الا تنتهى عنا ________ لايُبَاء ________

وبرواية خامسة فى اللسان (مكس) :

الا ينتهى عنا ________ لا يَبُوء ________

وبرواية سادسة فى اللسان (بوا) ، للتغلبى .

الا تنتهى عنا ________ لا يُبَاء ________

الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة

٢

يقول الدكتور علم الدين كمال الأستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة فى بحثه عن التطور فى الكائنات الحية : (إن علماء التطور لا يقولون إن الإنسان انحدر من القرد ، وإنما يعتقدون أن الإنسان والقرد كان لهما سلف مشترك) وهناك مجموعة من الأدلة الأخرى مستمدة من علوم مختلفة مثل علم التوزيع الجغرافى للكائنات الحية ، علم وظائف الأعضاء ، وعلم الوراثة .

نشأة الحياة : ذلك الموضوع العويص ، الذى قدم له المؤلف بعرض لبعض الاعتقادات القديمة عن كيفية نشأة المادة الحية وظهور الأنواع المختلفة ، كما كان عند قدماء المصريين والهنود والأغريق . يرى (أفلوطين) مؤسس الأفلاطونية الحديثة أن جميع الكائنات الحية نشأت نتيجة لتسامى المادة بواسطة روح تهب الحياة . ثم عرض للاعتقاد عن نشأة الحياة إبان القرون الوسطى ، فالقرن الماضى ، حتى وصل إلى أحدث الاعتقادات ، وهى التى أبَانَ عنها العالم السوفييتى الكسندر إيفانوفيتش أوبارين فى كتابه (نشأة الحياة على الأرض) فى الخمسينيات من القرن الحالى .

نظرية أوبارين : فى نشأة الحياة على الأرض تتلخص فى أن الحياة حالة من أحوال المادة وأنها نشأت على الأرض وفقا للخطوات التالية :

تطور المواد غير العضوية إلى مواد عضوية أولية ←

تطور المواد العضوية إلى البروتينات ← النقاط التجمعية (التجمعات أو الأكوام من المواد العضوية المعقدة) ← نشأة البروتوبلازم الحى ← ظهور الخلية الحية .

بعد أن عرض المؤلف باختصار لكل واحدة من هذه الخطوات التى فصلها أوبارين صاحب النظرية ، قدم للقارىء رأى نفس العالم فى المدى الزمنى (أو عمر) هذا التطور ، حيث يعتقد أن الأرض ظلت أربعة أخماس عمرها (٤٠٠٠ مليون سنة تقريبا) خامدة ، وكان تطور المادة خلال هذه المدة المذكورة بعمليات غير حيوية بطيئا للغاية .

ثم ظهرت بعد ذلك «النقاط التجمعية» ، ثم انقضت ملايين السنين بعد ذلك حتى ظهرت الكائنات الحية الأولية . ثم ظهرت عملية البناء الكلوروفيلى . ثم فى المليون سنة الأخيرة ظهر الإنسان ، وظل بدائياً لمدة طويلة . وفى خلال عشرات القرون الأخيرة فقط ظهر التطور الاجتماعى للإنسان .

التطورية الداروينية والدين : بالنسبة لإنكار الألوهية ، فإن من أشهر منكريها كان لا بلاس ، ففى عام ١٧٩٩ م - حينما قدم نظريته عن التطور فى النظام الشمسى من السديم - سأله

تأليف

أ.د. يحيى هاشم حسن

عرض وتحليل

د. كارم السيد غنيم

نابليون عن مكان الخالق فى هذه النظرية ، فأجاب فى خيلاء : (ياصاحب الجلالة لست بحاجة إلى تلك الفرضية) . وهكذا أخذ الامر يجرى فى نظرية التطور عند داروين ، ومهما يكن موقف داروين من الدين ، فإن الحوار الذى جرى حول نظريته وجه الأذهان إلى ضرورة إعادة النظر إلى «الكتاب المقدس» ، وبالذات إلى سفر التكوين فى ضوء النتائج العلمية الحديثة . ويقول بعض العلماء : لو كانت نظرية النشوء والارتقاء صحيحة ، لكان معناها رفض قصة الخلق التى وردت فى الكتاب المقدس . ولذا اعتبرت الكنيسة فى الحال عند ظهور النظرية الداروينية أن هناك خطراً يهدد الدين . ثم عرض المؤلف لدفاع **الأستاذ إسماعيل مظهر** عن داروين وأبعاد شبهة إنكار الألوهية عنه ، وكذلك فإن الأستاذ **عباس العقاد** يرى أن والاس وداروين لم يكونا ملحدين أو معطلين ، وإنما غاية ما ذهب إليه داروين هو أن التطور يفسر تعدد الأنواع الحيوانية والنباتية ، ولم يقل بأنه يفسر خلق الحياة . كما قدم **الأستاذ يوسف كرم** دفاعه عن داروين ، ثم أنهى مؤلفنا هذه المناقشة بتبيان مسألة هامة وهى أن الماديين الملحدين استغلوا هذه النظرية واغتصبوها لحساب الإلحاد وإنكار وجود الإله .

نقد نظرية التطور الداروينى : يفرغ مؤلفنا الآن لتفنيد ونقد هذه النظرية ، ويتوجه فى هذا إلى ناحيتين : ناحية عامة ثم ناحية خاصة .

الناحية العامة : هى التى يشترك فيها ما يشاع عن النظرية مع النظريات الأخرى التى تحاول أن تتخذ من العلم التجريبى سنداً لرفض المعرفة الإلهية أو الميتافيزيقية ، وذلك حيث تقوم على «الاعتقاد» بأن المادة أصل الأشياء . وقام المؤلف بنقد النظرية من هذه الناحية فى كتب سابقة له ثم أكمله فى هذا الكتاب فى مبحث (حتمية القانون لا تلغى الإرادة الإلهية) وهو آت بعد .

أما نقد النظرية من **الناحية الخاصة** فهو يدور فى خمس نقاط ، صال مؤلفنا فيها وجال عبر اثنتين وعشرين صفحة فى هذا الفصل ، نلخصها كما يلى :

أولا : نقد النظرية فى الأوساط العلمية .

ثانيا : قيام النظرية على جملة افتراضات أو اعتقادات غير ملزمة .

ثالثا : اعتماد النظرية على مبدأ «الصدفة» .

رابعا : اقتصار النظرية على مبدأ «التشابه والترتيب» .

خامسا : افتراض صحة النظرية لا يلزم بإلغاء الألوهية أو إبطال الإرادة الالهية .

أخذ المؤلف يبين **الحتمية الإسلامية** فى **إخراج آدم من نظرية التطور الداروينى** على أساس ما جاء به القرآن الكريم ، مستدلا

←

بالنصوص القرآنية التالية : الحجر/ ٢٨ ـ ٣١ ، البقرة/ ١١ ـ ٣٤ ، الإسراء/ ٦٠ وما بعدها ، الكهف/ ٤٩ وما بعدها ، طه/ ١١٥ . وكلها توضح أن آدم خلق مستقلا وليس على مراحل من التدرج غير الملحوظ فى مدارج الأنواع المختلفة .

كما تدل الآيات ٣٠ ـ ٣٣ من سورة البقرة على أن آدم حينما ظهر ، ظهر وهو فى أعلى مراحل النضج البشرى . وتؤكد الآيات ٥٩ ، ٦٠ من سورة آل عمران على أن خلق آدم لم يتفق مع السنن العادية ، كما تقضى بذلك نظرية التطور إن صحت ، وإنما على نحو خارق لهذه السنن .

وفى ختام الفصل يعرض مؤلفنا لآراء علماء السوسيوبيولوجى (علم الأحياء الاجتماعى) ، وعلماء البيولوجيا ، وعلماء الاجتماع الوضعيين والتاريخيين ، وعلماء الانثروبولوجى والتى تقضى كلها بما قرره الإسلام من قبل حول (أصل الإنسان) ـ برغم أنف السطحيين من أذناب الداروينية .

كان موضوع الفصل الثالث فى الكتاب محل العرض والتحليل هو **(مذهب التطور الاجتماعى)** ، حيث استهله صاحبه بتقديم لمحة عن نشأة هذا المذهب ، حيث يقول : يرجع التفكير التطورى فى عمومه إلى زمن أبعد من ظهور دارون ، كذلك فإنَّ فكرة التطور بمعنى التقدم والارتقاء من مرحلة دنيا ومستوى متخلف إلى مرحلة الحضارة الحديثة ، ظهرت فى كتابات عدد من علماء الانثربولوجيا والثقافة والاجتماع قبل أن تظهر نظرية دارون بقرن كامل على الأقل . ثم اورد مؤلفنا أقوالاً لبعض علماء الانثروبولوجيا منهم جوستاف كلم (١٨٠٢ ـ ١٨٦٧) الذى قسَّم الجنس البشرى إلى قسمين (ثنائية السلالات البشرية) ، شعوب سلبية مقلدة غير مبتكرة ، شعوب فعالة مؤثرة خلاقة ، وأخذ يوضح عملية الانتقال من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية .

ما هى نظرية سبنسر فى التطور الاجتماعى ؟

ما هى المزالق التى وقع فيها أشياع نظرية التطور الداروينى من المسلمين المعاصرين ؟

(يقول إسماعيل مظهر مدافعاً ومؤيداً للذين قالوا بتطور الدين من مراحل دنيا إلى مراحل عليا : علمتنا هذه الأبحاث أن مثل الأديان كمثل الأنواع الحية فى الطبيعة ، لم تُخْلَقْ فجاة ، بل إنها قد مضت متطورة فى خُطاً نشوئية تدريجية ، حتى أن الديانات التى اتى بها مبشرون من اكبر من يذكرهم التاريخ قدراً ، قد كونت على أساس كان بذاته نتاجا لِخُطاً من النشوء والتدرج المستمر) ..

ويقول مؤلفنا مفنداً آراء هرمان راندال فى كتابه (تكوين العقل الحديث) : إن تطبيق فكرة التطور على «الدين» تؤدى منطقياً إلى ما ذهب إليه فويرباخ من الاعتراف بالدين على أنه من صنع الإنسان .

والقول بأن فكرة «الله» نفسها ليست سوى مَثَل أعلى متغير وضعه الناس لأنفسهم سداً لحاجات ما يسميه «التجربة الدينية» ، وهى عند من لا يكشفون عن وجوههم تؤدى بالضرورة إلى تكوين النصوص الدينية التى تقرر سمو التصور الدينى عند سيدنا آدم عليه السلام ، وتقرر استحالة قبول تعدد الآلهة فى أى عصر من عصور النبوة كما تقرر وحدة الدين عند الله .

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . وقد تنطبق هذه النظرية ـ أو لاتنطبق ـ على الأديان الوضعية ، أما الدين الذى هدى الله إليه

الإنسانية منذ آدم ، فلا يقبل هذه النظرية على أى حال من الأحوال .

نقد نظرية التطور الاجتماعى : اخذ مؤلفنا يدحض هذه النظرية ويبطل مزاعمها وينقض أركانها ركناً بعد الآخر ، وهى على التوالى :

١ - ادعاء المماثلة بين النوعين من التطور ، البيولوجى والاجتماعى (أو بمعنى آخر : قياس التطور الاجتماعى على التطور البيولوجى) .

٢ - ادعاء التلازم بين التطور والتقدم .

٣ - ادعاء القدرة على تفسير التاريخ والحضارة .

٤ - الاعتماد على نذر قليل من المعلومات .

٥ - الاكتفاء بالتأملات الافتراضية والأحكام الاعتقادية .

ثم ختم المؤلف فصله الثالث بشرح التطور الأخير لعلم الاجتماع المعاصر ، وأخذ يبين الفروق بين التطورية المعاصرة وبين التطورية القديمة . وكانت آخر كلماته : إن النتيجة التى نخرج بها من هذا المبحث هى أن التطور والتقدم كليهما لا يفسر لنا «الدين» ، بل على العكس من ذلك فإن الدين هو وحده الذى يمكنه أن يقدم تفسيراً للتطور والتقدم .

ما المقصود بـ(حتمية القوانين الطبيعية) ؟

وكيف يتبين لنا أنه لا حتمية لهذه القوانين هذا هو موضوع الفصل الحالى .

يقول علماء الطبيعة والفلاسفة بادعاء الحتمية ، فما هى الحتمية المقصودة ؟

يقدم مؤلفنا تعريفا لها هو : أن المغالطة الكبرى التى يروج لها أذناب المادية باسم المنهج العلمى التجريبى هى أن العلم المادى الحديث ينتقل بنا من حضيض الأوهام والظنون التى يورطنا فيها الفكر الأسطورى أو الميتافيزيقى ، ويرتفع بنا إلى مستوى القوانين الحتمية ، أى القول بأن لكل ظاهرة طبيعية علة طبيعية توجب وقوعها ، ولكل علة معلول ينشأ عنها ، فالظواهر يتحتم وقوعها متى توافرت أسبابها ، ويستحيل أن تقع مع غياب هذه الأسباب ، وهذه الاستحالة هى ما يسمى بـ«الضرورة» أو «الحتمية» ويوضح «لويس دى بولى» أن نجاح فرض «الحتمية العامة» يشكل أحد المبادىء الراسخة فى الفكر العلمى .

انبرى مؤلفنا لفضح هذه الفرية ، وإثبات أنه لا حتمية للقوانين الطبيعية ، وقد استغرقت مساحة هذه المباراة الثقافية العلمية خمسة وعشرين صفحة من الكتاب تضمنت فقراتها ما يلى :

١ - اكتشاف اللاحتمية فى تاريخ العلم الإسلامى (أو فى ميدان الفكر الإسلامى) .

٢ - وفى ميدان العقيدة والفلسفة الإسلامية .

٣ - وفى ميدان الفلسفة الحديثة والمعاصرة .

٤ - وفى ميدان العلم التجريبى .

وهنا أوضح المؤلف أن مشاكل عويصة تعترض «الحتمية» التى يدّعيها الفلاسفة والعلماء الماديون ، تلك هى : المفاهيم الغامضة ، احصائية القوانين ، تضارب بعض القوانين المعتمدة (قانون الضغط الهوائى - قانون الجاذبية والتنافر الكونى - تفسير ظاهرة الضوء) .

٥ - وضوح اللاحتمية فى العلوم الإنسانية .

٦ - اللاحتمية فى علم الوراثة .

٧ - اللاحتمية فى التفسير الاقتصادى للتاريخ .

وينتهى إلى القول بأنه بانهيار حتمية القوانين الطبيعية ينهار أساس هام من أسس الإلحاد المادى المعاصر الذى يشوش بهذه الحتمية الطبيعية على الاعتقاد بخضوع الكائنات للإرادة

الإلهية . وامتداداً لهذه المناقشة يأتى موضوع الفصل التالى .

هل هناك تعارض بين «الحتمية» وبين «الألوهية» أو «الإرادة الإلهية» ؟

نعم ،
فما دواعى هذا التعارض ؟

وهل يوجد مثل هذا التعارض بين حتمية القوانين الطبيعية وبين الإرادة الإلهية فى الجو الإسلامى ؟

يقول المؤلف فى هذا الصدد : إن افتراض حتمية القانون لا يلغى الإرادة الإلهية إلا عند أولئك الذين يتصورون الألوهية تصوراً بشرياً ، منشؤه استمدادهم هذا التصور من الأساطير الشرقية او الأغريقية ، وهؤلاء لا مجال لهم فى الجو الإسلامى ، إننا نجدهم فى البيئة التى نشأ فيها رُسِل وأمثاله . يقول أندرو ديكسون وايت فى التصور الذى كان يسود أوروبا عن «الله» : (من بين مجموعة النقوش الكاتدرائية التى تعبر عن كثير من حقائق اللاهوت فى العصور الوسطى ، نقش يمتاز بالتعبير عن مذهب لاهوتى فى أصل الكون ظل موضع الاحترام والإجلال ازماناً طوالاً : الواحد القهار فى صورة بشرية ، جالس بوداعة ولين ، يصنع الشمس والقمر والنجوم ، ويعلقها فى القبة الصلبة التى تحمل من فوقها السموات العلى ، وتظلل الأرض السفلى . اما علائم التفكير الظاهرة فى تَقَطّبُ جبينه فتنم عن أنه أجهد نفسه إمعاناً فى التدبير ، كما يدل انتفاخ عضلات ذراعيه على انه قد اضطر إلى ان يكد وينصب . ومن الطبيعى أن يكون المَثّالون والمصورون خلال القرون الوسطى وفى بدء العصور الحديثة قد عمدوا إلى تمثيله على مقتضى ما تصوره كُتَّاب ذلك العصر ، إذ كانوا يقولون بأنه استراح فى اليوم السابع . ومن هنا حق للعلماء التجريبيين فى أوروبا أن يقعوا فى وهم التناقض بين النظام الطبيعى وبين الألوهية .

بَيَّنَ مؤلفنا أن البيئة الدينية فى أوروبا القرون الوسطى كانت كلها خرافات وأساطير تتنافى مع العقل الواعى والفكر المستنير ، وهو ماأدى إلى ظهور «الفلسفة المادية الحديثة» كرد فعل آنذاك . ثم استعرض أفكار بعض الفلاسفة والعلماء حول السبب والنتيجة «أو العلة والمعلول» فى العلوم الطبيعية ، وهى الأفكار التى توصل بها أصحابها إلى أن إحكام القوانين الطبيعية أو ثبوتها يفيد عدم الحاجة إلى «الله» أو بمعنى «الإرادة الإلهية» فى إدارة أعمال الحياة .

وفى تفنيد مؤلفنا لهذه الآراء الضالة ونقده لها ، بَيَّنَ الفرق بين السبب الحقيقى وبين السبب العلمى ، وما هو الشرط الكافى وما هو الشرط الضرورى ، ومتى يكتفى العلماء بالشروط الضرورية ومتى يكتفون بالشروط الكافية ، ثم تحديد اصطلاح «السبب» ، وبيان أن السببية العلمية ليست سببية حقيقية ، وتوضيح كيف أن السببية تقتضى التسليم بالألوهية ، ثم بيان الفرق بين العدمية وعدمية التصور أى الفرق بين عدم وجود الله وبين عدم القدرة على تصور ذاته وصفاته ، وتحديد موقف الإنسان من «المَالاَ يُعْرَفُ» .

وفى سبيل إثبات ضرورة البحث عن «السبب الأول» يقول مؤلفنا : ... ومن هنا فإنه لابد لنا من استنتاج وجود الإرادة الإلهية وراء الأسباب الظاهرية على نسق ما ندركه من وجود إرادة لذواتنا وراء أحداثنا للظواهر الحسية .

ثم يرد على المنكرين للإرادتين (الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية) ، ويبين أن «الوعى» لا يمكن تفسيره ماديا .

ثم ينبرى لفضح فكر الملحدين ، فهم يبدأون من «الإيمان بالمادة» وينتهون إلى إنكار المادة أو التشكيك فيها . الجزئيتان التاليتان اللاتان شرحهما المؤلف هما : إثبات الإرادة الإلهية ضرورة عقلية ، وإثبات الإرادة الإلهية ضرورة علمية .

قبل أن يحدد المؤلف «الإرادة الإلهية» فى التصور الإسلامى يمر على أينشتاين ليعرض للقارىء من أقواله وآرائه ما يوضح تردده فى الاستدلال على وجود الإرادة الإلهية وراء القوانين الطبيعية ، ثم يقول : ...

وأينشتاين طبقا لهذا التحليل يرى أن رجال الدين يخاطرون عندما يجعلون بقاء الدين مرهوناً بقصور العلم ، ومن هنا يقول : (إن العقيدة التى تقوى على البقاء فى الظلام ، ولا تبقى عليه فى وضح النهار ، لابد أن تفقد تأثيرها فى الناس) . ويصل أينشتاين بعد ذلك إلى النصيحة التالية التى يقدمها لرجال الدين (لابد لعلماء الدين أن يتخلوا عن مبدأ العقيدة فى إله له صفة الأشخاص) يعنى ذلك الإله البشرى الذى نجده فى التصور المسيحى ، أو التصورات الوثنية .

ونحن نقول : إن المشكلة التى أحس بها أينشتاين لا وجود لها فى العقيدة الإسلامية ، ذلك : أولا : لأن الإله الذى له صفة الأشخاص مرفوض تماماً فى الإسلام ، فهو ـ تعالى ـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

ثانيا : لأن القواعد والقوانين الكونية التى يكشفها العلم ، لا تطارد الدين فى ظل المفهوم الإسلامى ، بل تؤكده ، ذلك لأن هذه القواعد كائنة وباقية ومستمرة بضمان إلهى ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾ . فمن مبدأ الأمر لا تناقض بين الدين والعلم ولا يضطر العلم الدين الإسلامى إلى التراجع إلى منطقة الظلام .. وهكذا يصبح من الجلى أننا لا نرضى فى عقولنا فكرة التسلسل السببى التى قد يأخذ بها العلم الحديث ـ إلا بالاعتقاد فى أن الأشياء لابد أن ترجع فى النهاية إلى علة أولى .. وهذا بدوره يلزمنا الاعتقاد بوجود إرادة عاملة وراء الظواهر الطبيعية ..

إن الله سبحانه له الكمال المطلق ، فهو أيضاً له الإرادة المطلقة ﴿ إِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وهذه الإرادة المطلقة تفسرها لنا القوانين الطبيعية ، ولا تتعارض معها . .

يتبع .

كارم السيد غنيم

من خير ما نشر

● نشرت الأهرام صباح الأحد ٢٠ من رجب ١٤٠٩ / ١٩٨٩/٢/٢٦ الكلمة التالية للسيد المستشار محمد عزت الطهطاوى بالعنوان التالى :

أصداء :

مجلة الأزهر والصحافة الأدبية

طالعتنا جريدة الأهرام فى صفحة الأدب بمقال للدكتور عبد العزيز شرف يفهم من مضمونه أن الساحة الثقافية المصرية تكاد تكون خالية من المجلات الأدبية والثقافية اعتماداً على ما سجلته المجالس القومية المتخصصة عن حاجتنا إلى وجود مجلات أدبية وثقافية تستطيع أن تقوم بالدور الذى كانت تقوم به هذه المجلات منذ أربعين أو خمسين عاماً حتى أن بعض الناشرين اتجه إلى إعادة تصوير وطبع ونشر مجلة الرسالة التى كانت تصدر منذ نصف قرن .

وأنوه هنا بمجلة أدبية عريقة جامعة هى مجلة الأزهر التى يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

فهذه المجلة بالإضافة إلى ما تحويه من تفسير للقرآن الكريم وشرح للسنة النبوية المطهرة تتضمن الكثير من المقالات الدينية والعلمية والعلوم الكونية ، كما تحوى بابا مستقبلاً عن الشعر يشرف عليه عالم أصيل وأديب مطبوع هو الدكتور حسن جاد ، فضلاً عن باب اللغة والأدب والنقد يسهم فيه القمم من العلماء والأدباء والبلغاء وعلماء اللغة .

وغيرهم كثير مما جعل«مجلة الأزهر بحق تسد فراغ المجلات الأدبية والدينية ولا أدل على ذلك من سعة انتشارها والإقبال عليها فى داخل بلادنا المصرية وخارجها من البلاد العربية والإسلامية ، ومن نافلة القول أن نشير أن المرحوم الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة الأدبية فى أواخر سنى حياته كان رئيساً لتحرير مجلة الأزهر .

حكم القانون فى تعويضات طابا

د . جمال مرسى بدر

جاء تعنت الجانب الإسرائيلى فى موضوع التعويضات عن الفندق والمنشآت السياحية فى طابا . والوضع القانونى واضح كل الوضوح لكون طابا أرضاً مصرية قبل قرار التحكيم وبعده فإن القانون الذى يطبق فى هذا النزاع ـ بلا مناقشة ـ القانون المصرى .

والمادة ٩٢٤ من القانون المدنى المصرى تنص صراحة على أنه فى حالة إقامة بناء فى

تقديم : صفوت عبد الجواد
عادل رفاعى خفاجة

« ملك الغير » فإن لصاحب الأرض أن يطلب أحد أمرين : إما إزالة المبانى على نفقة من اقامها عالماً أنه لا يملك الأرض مع التعويض لمالك الأرض إن كان له محل ، وإما الاحتفاظ بالمبانى مقابل دفع قيمتها لمن أقامها مستحقة الهدم » . أى ليس لإسرائيل سوى قيمة أنقاض تلك المبانى طبقا للقانون .

كل يوم

الأستاذ : محمد عبد المقصود

فشل(مؤتمر داكار) الذى جمع بين الدول الأفريقية والدول الأوروبية لمناقشة مشاكل دفن النفايات السامة . ويبرز فشل المؤتمر قضية خطيرة وهى أن الدول الكبرى فى بحثها عن التخلص من نفاياتها الصناعية والكيماوية لايهمها سوى حماية مجتمعاتها فقط ، وهذه الصفقات القذرة تتم فى الخفاء ولايمكن اكتشافها إلا بعد أن يموت الزرع ويجف الضرع ويصاب الآلاف بالسرطان ، وعندها يكون قد فات الأوان .

أقوى من التحديات

الأستاذ : صلاح منتصر

مهما اختلفت الطرق فالاتفاق بين جميع المدخنين السابقين على ضرورة أن يكون لديك فى داخل نفسك رغبة قوية بالامتناع عن التدخين . إنك تسير خطوة إلى كل أنواع السرطانات المختلفة المعروفة والمجهولة مع كل سيجارة تشعلها ... وإنك تزيد فرص الإصابة بالقلب والضغط والسكر ... حتى لو لم تكن فى حاجة الى هذه (الفلوس) التى تحرقها مع السجاير فما أسعد أن تغدق بها على الآخرين وتسعدهم وتعتبرها (زكاة) صحة .

« مدمنو » الطريق السريع والعقوبة الرادعة !

الأستاذ : سعيد ابو العينين

لقد أعلن فضيلة المفتى منذ أيام أنه يرى إعدام المدمنين أيضا وليس فقط تجار المخدرات ومهربوها ومروجوها ، باعتبار أن هؤلاء جميعا هم من المفسدين فى المجتمع ..

والمدمنون من السائقين هم أخطر أنواع المدمنين ، فهم الذين أحالوا الطريق السريع إلى طريق للموت ، وكل الكوارث التى وقعت تشهد بذلك ، ومثل هؤلاء لاينبغى أن تأخذنا بهم شفقة ولارحمة .

نحن .. واعصار المخدرات : الاعدام .. وفورا .. هو الحل

الأستاذ : حلمى سلام

لكى ندرك مدى شراسة ذلك الإعصار ـ يكون مهماً جداً ـ وإن يكن مفزعا ومحزنا جداً .. أن نعلم أن أبحاثا علمية أجريت على شباب

من خير ما نشر

الجامعات اثبتت أن حوالى ٢٠ فى المائة من طلبة إحدى الجامعات من المدمنين وأن ٥٢ فى المائة من مجموع المدمنين فى بلدنا من الطلبة . وأن ٤٨ فى المائة من هؤلاء المدمنين فتيات .

ولسوف يظل شعبنا مستهدفا ما لم يرتفع (سيف الإعدام) ليجز عنق كل من يشارك فى عملية تخريب الشعب .

فكــرة

الأستاذ : مصطفى أمين

أنا لا ازال أعتقد أن دولة أجنبية هى التى تتولى تهريب المخدرات إلى بلادنا . ولازلت أشك أننا نحارب عصابة دولية تستخدم « الكمبيوتر » و« التلكس » و« الطائرات » والأجهزة الحديثة لتقوم بعمليات التهريب الواسعة .

وأطالب بتأليف فرق للمقاومة فى النوادى والمدارس والكليات فإن كل بيت من بيوتنا مهدد . فلنفتح عيوننا جيداً للجريمة التى تهدد كل بيت .

علامة استفهام

الأستاذ : عبد السلام داود

هل حقا أنه ليس لأبناء مصر عمل فى مصر ؟

هل صحيح أن إسرافهم فى النسل قد سد الأبواب فى وجوههم طلباً للرزق ؟

هل صحيح أن الشريط الضيق الذى يتزاحمون فيه هو وحده الذى يضم خيرات مصر ؟

وإذا كان الواقع والعلم والدراسات تقول : إن مصر غنية بفرص العمل وبالمشروعات الاستثمارية ، أفلا يجدر بنا أن نتلفت حولنا لنرى هذه الكنوز التى يراها المستثمرون من كل جنس ولون ونطلق هذه الجيوش من الشرفاء الكادحين ليعملوا بها ؟

لهفى على أبناء بلدى الذين أرغمناهم على أن يتركوا بلادهم ليرووا أرض غيرهم بالعرق !

المدعو سلمان رشدى

للأستاذ محمود مهدى

مازال الحديث مثاراً حول « المدعو » سلمان رشدى ذلك الهندى الأصل الانجليزى الجنسية صاحب كتاب « آيات شيطانية » ...

والحقيقة أننى أعجب كل العجب من أمر هؤلاء الذين يتحدثون عن حرية الراى والفكر فى موضوع هذا الرجل المارق الضال الذى طلع علينا أخيراً بآياته الشيطانية ليقف صاغراً خاسئاً فى طابور الحاقدين على الإسلام ورسوله ﷺ بعد أن أشرقت الأرض بنور ربها وطلع البدر على البشرية ليخرجها من الظلمات إلى النور ، ظلمات الجهل إلى نور العلم والعدل .

إن الهجوم على الإسلام ورسوله من إنسان محسوب على المسلمين ، ليس من الفكر أو الراى فى شىء ، ولعل بعض الكتاب والروائيين الذين دافعوا عنه وفزعوا من حكم الخومينى[1] عليه قد غاب عنهم أن من دخل الإسلام وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لا يجوز له أن يهاجم الإسلام ولا تصل منه أن يعتدى بالقول أو بالفعل على رسول الإسلام ﷺ ...

---

(١) هؤلاء الذين فعلوا نفس الفعلة ، واكرموا بسببها .. مجلة الازهر

أنباء وآراء

إعداد: د. أحمد عبد الرحيم السايح
عبد المنعم فوده

● مفتريات البريطاني الهندي .

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بيانا بشأن رواية سلمان رشدي وما فيها من إلحاد وإساءة للإسلام ورسول الله - ﷺ - نشرته مجلة الأزهر في عددها الصادر في جمادى الأولى ١٤٠٩ - ديسمبر ١٩٨٨ - وفيه بين فضيلة الإمام :

أن هذا الكتاب بأكاذيبه يتعرض بالتجريح لسيد الخلق سيدنا محمد - ﷺ - ويسىء إلى زوجاته - رضوان الله عليهن - بما فيه من أكاذيب وافتراءات دفعه إليها حنقه وإلحاده ورغبته في الارتزاق من أيدي أعداء الدين الحنيف ، وأثار ذلك حنق المسلمين جميعا في العالم أجمع .

ودعا فضيلته الهيئات الإسلامية والمؤسسات في بريطانيا إلى التضامن نحو اتخاذ الإجراءات القانونية لمنع تداول الكتاب ، ودعا البلاد الإسلامية والعربية قاطبة إلى منع دخوله أراضيها .

وطالب - في حينه - منظمة « المؤتمر الإسلامي » إلى أخذ دورها في مواجهة هذا التزييف لخطورة ما في الكتاب من أكاذيب وأضاليل وأباطيل .

● وفي اجتماع لمجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة في الثلث الأول من رجب ١٤٠٩ صدر استنكاره لما جاء في الكتاب والإتفاق على أن صاحبه مرتدٌ .

اجتماعات الدورة الثالثة عشرة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد

عاد إلى القاهرة يوم الثلاثاء ١٥ من رجب ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٢ من فبراير ١٩٨٩ م فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق قادما من المملكة العربية السعودية بعد حضوره اجتماعات الدورة الثالثة عشرة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد الذي انعقد بمكة المكرمة في الفترة من الحادي عشر إلى السادس عشر من شهر فبراير الحالي وذلك تلبية للدعوة التي وجهت إلى فضيلة الإمام الأكبر من الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي .

يستمر المجلس بدراسة التقارير المقدمة من المجالس القارية عن أحوال مساجد كل قارة

أنبـاء وآراء

والوقوف على سير العمل بها ومعالجة المعوقات التى تعترض رسالتها بالإضافة* إلى مناقشة بعض قضايا المسلمين المعاصرة .

وقد حضر فضيلة الإمام الأكبر الاجتماع الدورى للجنة المعلومات المنبثقة عن المجلس العالمى للدعوة والإغاثة الذى عقد بجدة فى ٦ رجب ١٤٠٩ هـ الموافق ١٢ فبراير ١٩٨٩ م

تطبيق الشريعة الاسلامية

قرر الرئيس الباكستانى غلام اسحاق خان وضع القرار الجمهورى الخاص بتطبيق الشريعة الإسلامية لعام ١٩٨٨ بعد تعديله موضع التنفيذ فورا .

وينص القرار الجمهورى على أن تكون الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للقوانين فى البلاد وتحويل المحاكم الأقليمية بأن تعتبر أى قانون يتعارض مع القرآن الكريم والسنة باطلاً وكأنه لم يكن .

خطة للأزهر تستهدف إنشاء ٢٣٣ معهداً فى الريف

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر على اعتماد أربعة ملايين جنيه لإنشاء ٢٣٣ معهداً دينياً فى قرى الريف المصرى . وقد ساهم الأهالى بجزء كبير من المبالغ المخصصة لبناء هذه المعاهد وذلك ضمن خطة الأزهر لإنشاء معهد دينى فى كل قرية .

تحريم إقامة التماثيل

انتقد فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر قرار فاروق حسنى وزير الثقافة بإقامة تمثال ضخم للكاتب نجيب محفوظ من البرونز لوضعه على مدخل مكتبة القاهرة الجديدة بالزمالك ، قال الشيخ المشد : إن الدعوة إلى إقامة تمثال لمحفوظ أو غيره هى دعوة إلى إتلاف المال العام حيث أنها لا تحقق أى فائدة للمتبرع ، ولا للمتبرع له ، ولا للشعب المدين المطحون . اضاف : أن علماء الإسلام أجمعوا على تحريم إقامة التماثيل ، وقد نهى الإسلام عنها نهياً صريحاً .

لابد من تطبيق الشريعة

انتقد الدكتور محمود نجيب حسنى رئيس جامعة القاهرة العمل بالقانون الوضعى وطالب بسرعة تطبيق الشريعة الإسلامية . وأشار فى الندوة التى نظمتها جامعة القاهرة فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ حول « القيم الخلقية الإسلامية ودورها فى بناء الفرد والمجتمع » إلى أن هذا القانون الوضعى يتسم بالمادية المفرطة ولابد من سرعة تطبيق الشريعة الإسلامية لحاجة الناس إليها .

قبيلة تركية تشهر إسلامها

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية : أن قبيلة كاملة بجنوب شرقى كينيا شهرت إسلامها . اضافت الوكالة : أن زعيم هذه القبيلة ـ وتدعى قبيلة « جلو » ـ شهر إسلامه بعد أن اطلع على بعض الكتب الإسلامية ، واتصل ببعض اصدقائه المسلمين . وأكد : أن الله فتح قلبه

للإسلام . فأسلم واقنع أفراد قبيلته بالإسلام ، وتم بناء مسجد للقبيلة تحت إشراف مكتب الدعوة الإسلامية فى نيروبى .

أبناء نيريرى المسيحى يدخلون الإسلام

أشهرت إبنة الرئيس التنزانى السابق جوليوس نيريرى إسلامها مؤخراً ، وذلك بعد ترددها على أحد المراكز الإسلامية فى كندا اثناء دراستها هناك . وبهذا يكون جميع أبناء نيريرى الرئيس الحالى للحزب الحاكم فى تنزانيا قد أسلموا . من المعروف أن نيريرى من اشد المتعصبين للنصرانية فى تنزانيا .

الأوروبيون يدخلون فى الإسلام

على مدى الخمسين عاما الماضية نجح أحد الدعاة المسلمين بألمانيا فى إقناع ٢٦٥٠ اوروبيا باعتناق الإسلام . فقد استطاع هذا الداعية المسلم المهندس محمد توفيق أحمد أن يؤسس دار تبليغ الإسلام فى المانيا وأخذ على نفسه تقديم دعوةالإسلام لكل البشر وتصحيح مفهوم الأوروبيين عن الإسلام . وكانت النتيجة أن اشهر قرابة ثلاثة آلاف اوروبى إسلامهم من فرنسا والسويد والنمسا والنرويج وألمانيا .

اسقف الفاتيكان يطالب بوقف المد الإسلامى

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية الدولية : أن الأسقف يوحنا بولس الثانى أسقف الفاتيكان الأكبر طالب خلال جولته الأخيرة فى افريقيا بتعاون العالم المسيحى لوقف المد الإسلامى .

اشارت الوكالة إلى أن الأسقف شارك فى مؤتمر أخير نوقشت فيه أربعون دراسة عن أحوال المسلمين فى العالم مقارنة بأوضاع النصارى .

إسرائيل تشعر بالفزع من تطور البحرية الإسلامية

حذر الميجور جنرال أبراهام بن شوشان قائد سلاح البحرية الإسرائيلية من الإمكانيات العسكرية المتعلقة بسلاح البحرية فى الدول الإسلامية والتى اتضحت صورتها الخطيرة اثناء الحرب العراقية الإيرانية . أكد بن شوشان أنه على الرغم من أن حقائق الإمكانيات البحرية المتوافرة لدى العراق وإيران قد اكدت ان إسرائيل فى خطر حقيقى .

جامعة القرن الخامس عشر الإسلامية

وجه مجلس المنظمات والجمعيات الإسلامية بالعاصمة الأردنية عمان رسالة إلى ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية . ووزراء التربية والتعليم ورؤساء الجامعات والمؤسسات التعليمية والثقافية ، يدعوهم فيها إلى تأسيس جامعة كبرى باسم « جامعة القرن الخامس عشر » تضم جميع الكليات لجميع العلوم والمعارف التى تدرس فى الجامعات العلمية العريقة فى العالم ، وتتسع لمائتى ألف طالب على أسس العقيدة الإسلامية التى تعنى بصلاح الفرد والمجتمع . واقترح المجلس أن تقوم منظمة المؤتمر

←

الإسلامى الدولية فى جدة بتشكيل لجنة من كبار العلماء المسلمين المتخصصين لبحث الموضوع من جميع جوانبه ، وبخاصة من حيث المكان والتمويل والمناهج وهيئة التدريس .

مركز للدراسات الإسلامية بالدار البيضاء

شيدت السلطات المغربية مركزاً للدراسات الإسلامية فى مدينة الدار البيضاء بالمغرب بهدف تزويد الباحثين والدارسين بمختلف المؤلفات العلمية والإسلامية وتوفير المراجع لهم .

تدريس مادة الثقافة الإسلامية

أوصى مجلس الخدمات التابع للمجالس القومية المتخصصة بتدريس مادة الثقافة الإسلامية والآداب الشرعية ضمن المناهج الدراسية بكليات الطب المختلفة واعتبارها مادة أساسية على الطلاب .

كان المجلس قد اجتمع مؤخراً برئاسة الدكتور محمد عبد القادر حاتم المشرف على المجالس القومية المتخصصة لبحث كيفية التزام الطبيب بالسلوك المرضى الإسلامى الملتزم بشريعة الإسلام وقواعده الأساسية وضرورة توصيل ذلك لطلاب الطب فى جميع كلياتها حتى تعود لمهنة الطب أخلاقياتها .

اعدام تجار و مروجى المخدرات

طالبت لجنة الشئون الدينية بمجلس الشعب بإعدام تجار ومروجى المخدرات علنا بعد مناقشة قضية انتشار المخدرات وآثارها على المجتمع مساء الأحد ١٣ رجب ١٤٠٩ هـ الموافق ١٩ فبراير ١٩٨٩ م بعدما طُرح فى هذا الاجتماع ما يعانيه شباب المدارس والجامعات من أخطار الحقن والحبوب المخدرة .

وانتهى رأى أعضاء اللجنة إلى القرار المتقدم .

والمعروف أن لجنتى الاقتراحات والشكاوى والشئون التشريعية بالمجلس تقومان الآن بإعداد مشروع متكامل لمعاقبة تجار ومدمنى المخدرات .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة

● الافتتاحية
د . على أحمد الخطيب ٨٦٥
● بيان شيخ الأزهر ٨٧١
● من صفات المؤمنين
للأستاذ محمد عبد المنعم القيعى ٨٧٢
● خلق الإنسان ومبعثه
د . محمود محمد رسلان ٨٧٥
● فى رياض السنة المطهرة
د . رءوف شلبى ٨٧٩
● القيم الدينية للمقدسات الإسلامية
د . عبد الفتاح بركة ٨٨٥
● من حديث الإسلام فى جنوب افريقيا
د . عبد الجليل شلبى ٨٩٤
● الانتفاضة وإعلان قيام الدولة الفلسطينية
للأستاذ السيد حسن قرون ٨٩٧
● من تاريخ .. ومدرسة القضاء إلى عهد الإمام المراغى
د . مجاهد توفيق الجندى ٩٠٠
● إعداد الأمة للدفاع
لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ ٩٠٥
● الدعوة إلى الإسلام
د . توفيق محمد شاهين ٩١١
● الفتـاوى
إعداد الأستاذ على حامد ٩١٨
● من اعلام الأزهر
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى ٩٢٠

الشعر والشعراء
إشراف د . حسن جاد

● يانفس
للشاعر عبد الوهاب الشامى ٩٢٤
● أزهـر النـور
رشاد محمد يوسف ٩٢٥
● زهـور الرُّبـا
نعمت عامر ٩٢٦
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٩٢٨
● من روائع الماضى
« ادب الجدل فى القرآن الكريم »
إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات ٩٣٠
● البرق والرعد وفيزياء السحاب
أ . د أحمد فؤاد باشا ٩٣٥

باب اللغة والأدب والنقد

● من تمام الحديث عن الأستاذ كامل السيد شاهين
أ . عبد المنعم عبد الخالق ٩٤٢
● ديوان شعر جابر بن حُنى
تحقيق : أيمن محمد على ميدان ٩٤٥
● الإسلام والاتجاهات العلمية
عرض كارم السيد غنيم ٩٥٠
● من خير ما نشر
للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام
عادل رفاعى خفاجة ٩٥٦
● انبـاء وآراء
د . أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ عبد المنعم قودة ٩٥٩

القسم الإنجليزى
إشراف د . انس النجار

● المقالة الثانية
للأستاذ عبد الحكيم أحمد طه ٩٦٨
● المقالة الأولى
د . أنس مصطفى النجار ٩٧٤

this section have the license to fast and the licence not to fast. However, every individual of this category must balance the situation, considering that the main criteria is protection and preservation without body harm to the self or fetus or infant, or another individual or loss of money or property. The probability of any such harm occuring, the individual must not fast, and must* compensate later by fasting for days missed, and or pay the expiation depending on the situation that necessitated not fasting.

The third class are those who do not fast without excuse or exemption, those who intentionally do not observe the fasting. Such individuals are violating and disobedient to the decree of Allah. These persons should perform an atonement and penance in compensating by fasting for the days lost, day for day· and they should recompense in expiation by one of the following means. To free a slave, a matter not possible in current times. To fast sixty consecutive days uninterrupted; and if that is not possible; to feed sixty poor people three meals, in a whole day; or one poor person for sixty days, or any alternative of that summation.

The Fast Breaking Acts (Muftirat) are the following:

1. Permitting any material to pass through the throat, or the nose. Smoking, sniffing, or an enema are therefore not permitted. Injections given for medical purposes should be under strict limitation and on the recommendation of a physician.
2. Vomiting deliberately provoked. However, indeliberate vomiting is excused, with no swallowing of any traces.
3. All acts of sexual desire or intercourse should be prohibited.
4. All major hadath (ejaculation during sleep) should be removed by complete washing before dawntime.

The recommended ats during the fasting day are the following:

1. Eating a light meal before dawn which is called the SAHUR.
2. Breaking the fast with a few dates and some water soon after sunset. This is called IFTAR. This is followed by the Maghreb prayer and then complete meal.
3. Muslims are urged to be generous and charitable during the month of Ramadan and engage themselves in Quranic recitation, and remembrance of Allah.
4. Muslims are urged to control themselves from all anger and dispute with others, to be truthful, honest and to practice these virtuous deeds as a means of self conduct through their lives.
5. Muslims are urged to join in the TARAWIH prayers after the Isha prayer. These consist of twenty Rakaas in pairs performed in congregation.
6. To pay the Zakat of Al Fitre. (Breaking Fast at the end of the month and the onset of the Eid.

tenth lunar month). The fourth is the discommended fasting, which is fasting single day on Friday alone, or Saturday alone, or Sunday alone. Also, fasting a whole year. The fifth is the Forbidden Fast, which are specifically five days. The first day of Eid Al-Fitre, the first day of Eid Al-Adha, and the consecutive threee days that follow. The sixth is the Permitted Fast, which is the fasting of any day other than those mentioned.

The practice of fasting in Ramadan is conditioned in five qualifications; namely, Islam, adulthood, sanity, ability to fast, presence of no legal reason to prevent fasting as the menstrual and post natal periods in woman. According to these qualifications, fasting in Ramadan is not a duty on non-Muslims, and is not accepted from them. The insane and mentally unbalanced should not fast; the abstention and intention required for the act of fasting, necessitate stability and balance of the mind. Allah lifted the obligation of all types of worship from the insane. Also, women during menstration, and post natal period are exempted from fasting during those periods, but they have to fast number of days outside Ramadan equivalent to the days they missed.

Another class of people may practice fasting and if they prefer may not fast for some accepted legitimate cause. These either compensate by fasting the missed days outside Ramadan, or pay an expiation for each day missed, or both recompenses. These include invalids who expect to recover before the onset of the following Ramadan. These do not fast during the illness, compensate after recovery by fasting for the days missed; and if they die before they compensate, their heirs should pay an expiation for each day missed. Invalids with chronic illness who are not expected to recover before the onset of the following Ramadan should not fast and should pay an expiation. This expiation is the cost of one day's food sufficient for one person, for each fasting day missed. Elderly men and women are exempt from fasting if they so choose, but should pay the expiation. Pregnant women and women who breast feed their infants may postpone fasting during those periods. They should then compensate by fasting the days they missed; and also pay an expiation for each day they did not fast. This double recompense is because two persons are involved in the benefit of not fasting. The traveller is also exempt from fasting during Ramadan, however, this is conditioned by a long journey of more than ninety kilometers measured from the last inhabited suburb of his town; that the journey starts before dawn during the eating hours; that the individual is not a traveller by profession. Such traveller should then compensate for the days missed after Ramadan. He should fast if he settles in a place for three days. This class of individuals mentioned in

relationship, for certain time period of the day and night, and for the whole complete month of Ramadan.

This act of worship is ordained by Allah in the Holy Quran in such a phrasing as to indicate the seriousness and importance of fasting; and also to indicate that fasting is a strenuous act, fit for those equipped with the reality of obedience and willing subordination. Such phrasing has been used only in decrees requiring tolerance for hardship and genuine faith. The act of worship was not new to mankind, and was not novel to Islam, but an act of worship that had previously been decreed upon mankind at previous times, as an abstention in some form or another. Even non-Divine creeds have prescribed for themselves some forms of abstention in order to develop self restraint, self control and similar characteristics.

The real philosophy of fasting is not really precisely known; several understandings, concepts, suggestions and postulations have been introduced and propagated. However, none really seem to fully satisfy the real purpose and wisdom of the act. The Quranic text states "... that ye may learn piety and self-restraint". Piety of mankind is devoutness, purity of belief, and reverence to Allah. Mankind will remain in search for the purpose and wisdom of fasting. The Quranic text clearly states that fasting is better; this indicates an unquestioned benefit from fasting, that the human mind remains in search of. It certainly involves the many several aspects of the life of mankind and his existance. Above all, the decree of fasting is a test of true self submission and obedience to the Divine Ordinance.

In Islamic Sharia, Fasting "Siyam" is defined as the abstention from eating, drinking and sexual activities of all nature from dawn to sunset, with the intention of worship in obedience and resignation to the ordination of Allah. Therefore, fasting has two essential requirements, namely, the intention "Niyyah", and the Abstention "Imsak". Fasting is a practice of precision; the exact daily period of fasting should be strictly observed, any negligance renders the fast incorrect, and has to be restituted. Fasting is classified essentially into six types. The first is the obligatory fast of the month of Ramadan which is the observance of the Fardh; and this category also includes the restitution of missed days. The second is the Dutiful fast which is that promised by the individual to perform as a voluntary act. The third is the Sunnah fast, which adopts the tradition of the Prophet. This includes fasting on Mondays and Thursdays of every week, the nineth and tenth days of Muharam (the first lunar Month) and the fasting of six days in Shawal, (the

→

rulings, and measures of enactment that pertain to fasting of Ramadan as an ordinance of worship in Islam.

> "O ye who believe, fasting has been ordained upon you, as it was ordained upon those before you, that ye may learn piety and self-restraint".
>
> "Fasting for a fixed number of days; but if any of you is ill or on travel; the prescribed number should be made up from days later. And for those who can keep it with hardship, the redemption is the feeding of a poor person; but he that will give more of his free will, it will be better for him. And that you fast is better for you, if ye only knew".
>
> "The month of Ramadan, in it, the Quran was sent down as guidance to mankind and evidences of guidance and distinction (between right and wrong). So whoso of you witnesses the month, he shall fast it. And whoso is ill or on travel, the prescribed number of days should be made up from days later. Allah desires for you ease and does not intend hardshipo. You shall complete the prescribed perid, and shall glorify Allah for His having guided you, and perchance ye shall be gratefull".
>
> "Permitted to you, on the night of the fasts is consorting with your wives, they are a garment for you and you are a garment for them. Allah knew that you have been defrauding yourselves, so He has relented towards you and pardoned you. So, now associate with them and seek what Allah has ordained for you. And eat and drink until the white thread becomes manifest to you from the black thread of the dawn. Then complete your fast till night fall. And do not associate with your wives while you are in retreat in the mosques. These are the bounds of Allah, so do not approach them. Thus, Allah expounds His signs to mankind that they may learn piety."
>
> (Surat Al-Baqara, II, 183, 184, 185, 187)

This compilation of the precepts and working principles of the decree of fasting of Ramadan, aims at giving and attributing to fasting a distinction and precision of quality and importance. The act of fasting is in its reality an orduous strenuous process of worship. It constitutes the absolute rigid total abstention from food, drink, and sexual

THE PILLARS OF ISLAM

« Fasting During the Month Of Ramadan

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angles, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection), Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will th Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXI, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith).

The fourth pillar of Islam is the observance of Fasting during the month of Ramadan. This particular decree of Islamic ordinances of worship was distinctly sanctioned in the Holy Quran in integrated complete and continuous verses. These verses constituted all the canon laws, legislations,

the two territories themselves. This political unity was essentially based on the religious unity which became established by the rapid widespread of Islam among the tribes of both countries. Very few years later, tribes from Iraq and Syria were carrying the emblems and teachings of Islam to crusade into Persia, Egypt and other territories. Such self determined conduct was the outcome of a well established theo-political unity among these tribes of Syria, Iraq, and the Arab Peninsula. The regime of administration and implementation of Islamic concepts of governments that were closely observed by Abu Bakre, were certainly the elements responsible for the rapid development of a concrete theo-political unity. The credit and attributions of such optimal achievement are fully ascribed to the precise and wise function of Abu Bakre in his office as Khalifah of Rassul Allah.

The short reign of Abu Bakre and the very crucial issues that burdened his responsibility, did not leave time to establish a precise structure or system of state and government. His reign was more or less a transitional phase between the period of Prophethood, the establishment of a new creed; and that of a developing empire encompassing extensive territories. The system of state and government during the reign of Abu Bakre was very primitive: and Abu Bakre conducted himself in the best manner possible and with utmost distinction as Khalifah of Rassul Allah. Everything that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had left behind of the Holy Revelation and the Prophet's traditions had to be very well preserved, rooted in the hearts of people, implemented in practice, propogated and expounded to others. This was what precisely Abu Bakre Al-Siddiq as Khalifah of Rassul Allah carried out in his reign of office.

Iraq and Syria was trifold. First, to safeguard the strategic security of the growing Muslim Community and unity in the Arab Peninsula. Second, to advance and introduce Islam to human societies resident in new territories, and to expose them to the teachings of a Divine Revelation to emancipate their minds to freedom to recognize the transcendant truth of Belief. Third, was to relieve these societies from the yoke and confines of occupation of the superpowers of Persians in Iraq, and Romans in Syria; and to summon them to decide their own destiny and self determination.

The ultimate purpose of Muslim theism is human freedom and emancipation from all forms of bondage, fear, tyranny and subjugation of man, mind and self. This liberation is attained only by true resignation to the Creator in absolute self determined deliverance, true equality prevails with love, respect, justice and preservation of individual and social human rights and values. Such fundamental themes of human life are intrinsic in the basic teachings of Islam; they serve to optimize the balance between the governor and the governed; and establishes the proper values of human life, and individual integrity of mankind. With this understanding, the system of administration during the reign of Abu Bakre was based on councilling (Shurah) with the close companions of the Prophet. This concept of government and administration was introduced to public and social understanding only through Islamic teachings. The exact duties, responsibilities, prerogatives and conduct of the head of state, became well observed in Muslim belief.

The regime of Abu Bakre Al-Siddiq as Khalifah of Rassul Allah certainly regained the dominance and religious unity of Islam all over the Arab Peninsula after the wars against the apostates. This religious unity was precursor to a strong pan-tribal theo-political unity which became highly manifested and concrete during the Iraq and Syrian crusades. Worriors from all tribes of the east, south, west, and north of the peninsula rallyed and assembled at Al-Madinah, to take part in the crusades of Iraq and Syria. The call was not to colonize and subjugate: the call was to free and liberate the mind by introducing and propagating the teachings and doctrines of Islam in the new territories. Islam declares freedom of belief, and Abu Bakre was very observing and assiduous in preserving this doctrine of Islam. Christians in Iraq and Syria were left in peace to function their own worship similar to those Christians of Negran of the Arab Peninsula. With the defeat of the Persian force in Iraq, and the Roman forces in Syria, the development of a political unity followed among the tribes of each territory and between

the education and experience, and his own coherent uniformity of character and esoteric nature; placed him in a position of distinction among the companions, and the closest companion to the Prophet. Such combined optimal conditions provided Abu Bakre with a comprehensive intelligent ecumenical understanding of Islamic doctrines and teachings. He learned well that Islam has a universality of nature, and the Muslim societies and Ummah are the ultimate authority of rule, government and administration. Human rights and freedom, respect and dignity, were all Divine gifts to mankind. The man elected to govern and administer, was to serve the needs of people and their welfare through the implementation of the doctrines and teachings of Islam. The man in government had no prerogative rights above any individual; the authority invested in him is the authority of the people. He was the instrument to enforce certain legislative doctrines in which they all believed in, respected, and accepted to be their system of government. The man in government had exactly similar rights as any other, and was subject to the same judgement and penalty. Such basic concepts of Islamic government were very well coneived by Abu Bakre and fully developed and structured in his mind. He completely understood the true functions of his office as Khalifah of Rassul Allah, in charge of the administration and government of Muslims. He realized the heavy burden, feared the responsibility, and always supplicated to Allah with humble approach of a true believer, to give him the faith, the strength, the knowledge and the ability to face the challenge. That was the man, Abu Bakre Al-Siddiq, Khalifah of Rassul-Allah. He knew well that the basic issue of Islam was to emancipate mankind from any form of fear, tyranny, and oppresion. The mind of mankind must be liberated from falseness and errors of concepts, With that mental freedom of man, the mind grows, elevates, and develops values in truth, and human refinement in belief.

The Muslim crusades in Iraq and Syria did not compel the inhabitans of these countries into Islam; but proclaimed and fully observed the freedom of belief. Who embraced Islam had the same rights as other Muslims, and who rejected payed the "jizyah" the' tax for defence and protectorship of self and property and freedom of worship. The social administration was left to the inhabitants of the locality, and the Muslim crusaders only introduced Islam into these territories as a doctrine of belief. The armed confrontations and the fierce battles were against the Persian forces of occupation in Iraq, and the Roman legions resident in Syria, who were socially and economically colonizing these territories. The fundamental aim of Abu Bakre by sending Muslim worriors into

rejected absolute power, refuted religious hierarchy and class mastery; instead he was humble, patient, modest in poverty, and passed all decisions of state issues after extensive councilling (Shurah) with advisors and people of knowledge, age, wisdom, experience, and piety. Abu Bakre accepted, respected, and encouraged public opinion as long as that conformed with the teachings of Islam as dictated by Divine doctrines and the traditions of the Prophet. Abu Bakre refuted the splendor of authority and exclusive power of office; he promoted social justice, human respect to values, and interests of public concerns. He advanced the development of social and political unity between Muslims of different ethnic origins, to coincide with their religious unity. The sagacity and wisdom of Abu Bakre were very fundamental factors in the process of this political unity among territories outside the Arab Peninsula; and the social justice and equality promoted by Abu Bakre, supported this political unity, and advanced it.

The rapid development of this political unity between the tribes of the Arab Peninsula including Yaman, and those in Syria and Iraq was inevitable, because the religious unity formed the roots of the political structure. This is because Islam is essentially universal in its basic concepts; and because the fundamental precepts of Islam fully optimize the safeguards of individual and social human rights and freedom of the Muslim "Ummah". These criteria were adopted as the social policy implemented in the new territories which were expanded after the wars against the apostates, and after the Iraq and Syrian crusades. The implementations of Islamic jurisdiction, and jurisprudence in the new territories as well as in the Arab Peninsula, were organized and closely supervised by Abu Bakre himself. He considered his function as Khalifah of Rassul Allah, a responsibility to guarantee that the mandates, decrees and social injunctions were exactly in accordance with the intrinsic spirit, character and substance of the teachings of Islam. Abu Bakre with his genuine deep piety and distinctive knowledge of Islam conceived that the most efficient instrument to the spread and propagation of Islam, was by the implementation of Islamic teachings in the administration and governance of people and human societies. He was gifted with the faculty of diplomatic skill and mastery of proficiency; he was great in his true humbleness, and humble in his greatness. He was adamant and intellectually prudent to the doctrines of Islam as indicated by the Holy Revelation and the traditions of the Prophet.

The life of Abu Bakre with the Prophet provided him with

Abu Bakre Al-Siddiq had to device and scheme a system of government. The Holy Revelation contained basic ordinances of Islamic social and economic considerations, however, it did not dictate detailed administrative structures of government.

The creedal religious unity became the roots of Muslim administration among the Arab tribes of the peninsula at the time of the Prophet, and also later during the reign of Abu Bakre. However, after Muslim expansion in Yaman, Syria and Iraq; a composite system of governmental administration became imperative. Certainly, the creedal religious system of government was always at the root of any development of political and social unity of tribes and countries; and also at the root of any development of a more elaborate system of government and administration. The loyaltv and obedience given to the Prophet by the tribes during his lifetime as Messenger of Allah, were denied to Abu Bakre after the Prophet's death. This was the socio-political rejection by those tribes to the authority invested in Abu Bakre; which indicated a socio-political unity under the banner of Islam as a regime of religious unity. After the wars against apostates, this regime of religious unity regained its dominance; and the function invested in Abu Bakre as Khalifah of Rassul Allah, established the socio-political unity of these tribes. Such political unity required a corresponding development of administration and governmental system.

Abu Bakre acted in his function as Khalifah by the authority commissioned to him by unanimous consensus of the Muhagereen and the Ansars. He did not draw this authority from Divine power. This Divine power was only to the Prophet through the Holy Revelation. The Prophet had died, and the Holy Revelation remained preserving the doctrines of Islam as the basic constitution of the social, economic and political system of government and the regime to which every man in authority must adhere. The Muslim populous should be guardians of their political system of government, in virtue of the fact that they believe and practice the doctrines of Islam. In consequence, the man they chose to govern their system, should function his office within the jurisprudence of Islamic Law. This implementation of Muslim regime fully enstates and ensures public involvement in the process of administrative and governmental functions and authority of decision. The ultimate control and power remains invested in the Muslim Ummah as protectors of their creed and the elements of government inherent in that creed.

Abu Bakre Al-Siddiq as Khalifah of Rassul Allah fully understood his position as the man whom the Muslims authorized to govern and administer their affairs. He

ABU BAKRE AL- SIDDIQ

« THE KHALIFAH OF RASSUL ALLAH »

By : Dr . Anas Moustafa El- Naggar, M.D., Ph.D

The concept of government and administration was very clear and well understood in the mind of Abu Bakre. His basic character of humbleness and truthfull evaluation of issues made him recognize the fundamental requirements of governments. Abu Bakre succeeded the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) after being publicly and unanimously chosen to become Khalifah of Rassul Allah. Abu Bakre was not ordained by Divine selection, he was not an apostle, and did not carry the commandments of a Divine Revelation. Abu Bakre was a true Muslim, honest to himself and his faith, a very close companion to the Prophet, and very much mature in mind and thought. Such characteristics added to the inherent qualities of Abu Bakre, gave him a unique distinction of functional capacity and potentialities. Abu Bakre despised the arrogance of authority, and pontificate spectacle of government. His new function to govern the affairs of Muslims as Khalifah of Rassul Allah after the death of the Prophet, made him identify the graveness of the responsibility entrusted to him. He fully conceived that the reality of governance was to serve in honesty and sincerity for the welfare of those who are governed. Abu Bakre with lucid simplicity of clarity and coherence would govern the affairs of Muslims according to the jurisprudence of the Divine Revelation, and the traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Abu Bakre declared his understanding of government on the day of his proclamation as successor to the Prophet. He said "I have been appointed for that function against my desire; I wished someone else would have releaved me from the burden. I am but human, none better than any of you. Follow me if I am on the right path, and put me straight if I go wrong". Abu Bakre knew that as Khalifah of Rassul Allah, he must govern Muslims by the authority and scepter of the Divine Commandments of the Holy Revelation and the traditions of the Prophet. He announced "obey me as long as I obey Allah and the Messenger. If I disobey, you have no allegiance to me".

→

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION
VOL. 61, Part VIII
SHABAAN, 1409, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

==

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq.
The Khalifah of Rassul Allah.
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.
The Fasting of the Month of Ramadan.
By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

==

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
الجزء التاسع
السنة الحادية والستون
رمضان ١٤٠٩ هـ
ابريل ١٩٨٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شيخ الأزهر إلى المسلمين في مستهل شهر رمضان

هذا موسم الإصلاح والصلح مع الله فاقبلوا :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

افتتح الله آيات الصوم (١٨٣ ــ ١٨٥) من سورة البقرة بهذه الآية يمهد بها نفوس المسلمين لفريضة الصوم ، ويدعوهم إلى الإقبال على ادائها باعتبار ان الصوم اقوى العبادات تاثيراً على الإنسان قلبه وقالبه ومعلناً لهم ان تقرير هذه الفريضة عليهم ليس بدعاً أو امراً خاصا بهم ، وإنما هى ركن من اركان كل دين ، وذلك ادعى للإذعان .

←

والصوم فى اللغة الإمساك والكف عن الشىء ، أو هو الإمساك عما تنزع إليه النفس ، وفى الشرع الامتناع عن الأكل والشرب وعن المخالطة الزوجية من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس احتسابا لله تعالى وإعدادا للنفس وإمداداً لها . بما يعينها على تقوى الله ومراقبته وتربية إرادة الصائم ليقوى بذلك على ترك المحرمات وكبح الشهوات .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ بيان وتعليل لفرض الصوم وإبراز للغاية من فرضه وتحريض على الإقدام على أدائه ، حتى يعد الصائم نفسه لتقوى الله ورضوانه بترك المباح من الشهوات الميسورة امتثالا لأمر الله . واحتسابا للأجر عنده ، ومتى درب المسلم النفس وكفها عن المباحات ملك زمامها وحال بينها وبين المحرمات ، وتربت عنده ملكة الصبر على مايشير إليه قول الرسول ﷺ (الصيام نصف الصبر) .

(ولعل) فى تلك الآية للترجى ، والرجاء إنما يكون فيما وقعت أسبابه ، وموضعه هنا المؤمنون المخاطبون بالآية ، ومن ثم كان من لم يصم بالنية وقصد التقرب إلى الله بعيداً عن أن تتربى عنده ملكة ترك المحرمات ، ولم ترج له ومنه التقوى ، فليس الصيام فى الإسلام لتعذيب النفس ، بل لتربيتها وتزكيتها ..

ثم إن إعداد الصيام نفوس الصائمين ، وتوجيهها إلى تقوى الله يظهر من وجوه ، أعظمها أنه أمر موكول إلى ذات الصائم ، فالصوم سر بين العبد الصائم وبين ربه لا يطّلع عليه إلا الله سبحانه « إذ لولا إخلاصه ومراقبته لله ومعرفته اطلاع ربه عليه لما كان له اصطبار عن تناول ماصام عنه ، وفى تكرار الصوم تنمية وتقوية لملكة المراقبة لله والحياء منه أن يراه حيث نهاه ، وهذه الملكة هى التى استبدلنا بها ما شاع على الألسنة فى عصرنا وسميناه (الضمير) ..

هذه المراقبة لله وخشيته وحده متى استقرت عليها الأنفس الصائمة لله ترقباً لسعادة الآخرة ، تؤهل أيضا لسعادة الدنيا ، فمن راقب الله وصام إيماناً واحتساباً عمر قلبه بخشية ربه ، فلم يقدم على غش الناس وخداعهم ، ولم يأكل الأموال بالباطل ، ولم يحتل على الله لمنع الزكاة أو لأكل الربا ، وأموال اليتامى ، ولم يقترف المنكرات سراً وعلانية وبالجملة اكتسب صفات الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم .

إن صاحب هذه المراقبة لا يسترسل فى المعاصى ، ولا تطول غفلته عن الله وطاعته وإذا نسى أو استهواه الشيطان فاقترف السيئات ، كان سريع التذكر والرجوع بالتوبة إلى ربه .

﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ فالصيام سر بين الصائم وربه ، وأعظم مرب لملكة المراقبة والإرادة وأقوم طريق للتقوى ..

والصوم يجعل الصائم رءوفاً رحيماً بالفقراء ، سخياً بالصدقات مؤدياً للزكوات ، إذ عندما يجوع يتذكر من لايجد القوت .

ثم أليس من الصفات المحمودة للمسلمين أن يكونوا رحماء بينهم ؟
لقد وصف الله بهذا السابقين الأولين إلى الإسلام ، ونحن من هذه الأمة ينبغى الا ينفك عنا هذا الوصف الربانى المحمود ..

ولابد للصائم أن يحفظ جوارحه عن الآثام فلا غيبة ولا نميمة ولاغضب ولا قول زور وإلا كان بهذه المعاصى ، وهو صائم كمن يبنى قصراً ويهدم مصراً ..

إن على المسلمين أن يتخذوا من صوم رمضان زاداً للتقوى ، والتقرب إلى الله ، وإلا يصوموا جوعاً وعطشاً ، ثم هم من وراء ذلك لايرعون الله فى أعمالهم وتجاراتهم وذوى أرحامهم وجيرانهم وأوطانهم ، بل عليهم أن يصوموا لله قانتين ، حتى لايدخلوا فى نطاق ما حذر منه رسول الله ﷺ : (كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش) ..

فلنلتزم بالصوم الموصل إلى التقوى إيماناً واحتساباً لربنا ولنلجأ إليه فى شهرنا المبارك أملاً فى معونة الله ومدده لأمة القرآن حتى تكون خير أمة أخرجت للناس ..

ولاينبغى أن ننتقم بالليل من النهار فنقضى نهارنا نعد لموائد الليل الطعام والشراب ونتمادى فى الإسراف غافلين عن حكمة الصوم وفوائده ، وعن قول الله فى محكم كتابه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ..
إنه شهر فى العام ـ ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ .. ﴾ اقام الله فيه مدرسة للصوم ، فيها نعتاد الطاعة لربنا ، وبه تقوى عزائمنا ونراقب الله ونخشاه ، ونرجو ثوابه ، فيه تصح أجسادنا ، كما تطهر قلوبنا . بهذا أخبر الصادق الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله : (صوموا تصحوا) وقوله : (من لم يغفر له فى رمضان فمتى ؟) هذا الصوم متى التزمناه صحيحاً كان الوازع الدينى، وكانت الأمانة . وفى الحديث الشريف : (إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته) ..

إن مدرسة الصوم مدرسة إصلاح نفسى وجسدى واقتصادى أستاذها الوازع الدينى ، ودوام المراقبة لله سبحانه ، والامتثال لأمره ، به ترقى الأخلاق إذا اصطلحنا فيها مع الله ، فأعلنا التوبة إليه والأوبة إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ ، نحتكم إليهما فى كل أمورنا دون أن نلتفت إلى أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، يضلون الناس ، ومايضلون إلا أنفسهم تخلوا عن أمانة الكلمة فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

تعالوا أيها المسلمون نتخذ شهر رمضان موسماً نتخفف فيه من أعبائنا الاقتصادية التى أثقلت كواهلنا أفراداً وجماعات وحكومات .

تعالوا إلى صوم نتقرب به إلى الله ، لا رياضة نفسدها بالليل بكثرة ما نعد من ألوان الطعام والشراب واللهو ، جربوا أيها المسلمون الاعتدال فى أموركم ، والاستغناء عما لا ضرورة له ، خذوا من مدرسة الصوم ما تستطيعون من فضل وفضائل ، أقيموا حلقات القرآن التى استبدلتم بها ندوات الشيطان ، فنزع الله البركة من أموالكم بالرغم من كثرتها ووفرتها ، وبخلتم وأمسكتم عن أداء مافرض الله عليكم

كلمة الإمام الأكبر للمسلمين فى رمضان

فكانت الآفات والأمراض والأوجاع التى لم تكن فيمن كانوا قبلكم ، كان سلفنا يتجمعون فى القرى والأمصار حول القراء يتلون عليهم القرآن ، ومع العلماء يجلون لهم آيات الله ، فكانت البركات والرحمات ونعمة الرضا تحوطهم فضلا من الله ونعمة ، وكانت القلوب مطمئنة ، والنفوس راضية مرضية ، والرحمة بينهم سائدة والمودة غامرة ، والتعاون على البر شعارهم ودثارهم ، فلما صرفكم عن القرآن الصارفون واستجبتم لهم وانصرفتم عن كتاب ربكم ، أنساكم الشيطان صالحكم وأضلكم عن سبيل الله ، وتفرقت بكم السبل ، حتى صرتم شيعاً يقاتل بعضكم بعضا .

أقول وأكرر : أيها المسلمون إن سلفكم الصالح ماعالجوا ضائقة اقتصادية ألمت بهم بالإغداق والإسراف والاستدانة ومزيد من إنفاق الأموال فى غير محلها ، وإنما بالاقتصاد وبالاستغناء عما فى أيدى الغير والعمل الجاد مع الالتجاء إلى خالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم .

فلنحزم أمرنا ، ولنجرب مانجح به سلفنا ، ولنتخذ من شهر رمضان مدرسة نعدل بها عاداتنا التى أسرعت بنا إلى هذا الغلاء الذى نامت به دخولنا ، والتى أثقلت كاهل الدولة بالاستدانة والقروض بالربا ، الذى مادخل فى تعامل إلا كان معه الخراب والدمار ونزع البركة ذلك وعيد الله وقوله فى شأن تحريم الربا ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَابَقِىَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

هذا موسم الطاعة لله فأقبلوا عليه ، واصطلحوا مع ربكم يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم أعقدوا فيه ندوات القرآن والسنة ، وأغلقوا مزامير الشيطان ووسائل الفساد . أولى بالمؤمنين أن يكونوا مع الله فى شهر رمضان فإنه سبحانه قال على لسان رسوله ﷺ : (الصوم لى وأنا أجزى به) .

اصطلحوا مع الله بطاعته فى رمضان ، لتصير الطاعة لكم عادة تستقيم عليها حياتكم ، اصطلحوا مع أنفسكم ، مع الوالدين مع الجيران مع المجتمع كله . إن كل أب وكل أم وكل رئيس فى عمل مسئول عما ولاه الله عليه فاحملوا المسئولية وأحسنوا القيام بها وخذوا من الصوم حكمته ، ولتكن مصاحبة لكم فى سركم وعلنكم ، وخذوا على أيدى المجاهرين بالفطر فى نهار رمضان حتى لايزيد المجتمع فساداً واستهتاراً ، وعلى أصحاب الأعذار أن يستتروا حتى لا يساء الظن بهم واعلموا أن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع .

اصطلحوا مع الله يصلح لكم نفوسكم ويغفر لكم ذنوبكم ويرفع عنكم إصركم والتزموا الطاعة فى شهر رمضان تتغير به عاداتكم وتقلعوا عن أهوائكم ويكن الوسيلة إلى تغيير الحال وصدق الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

أيها المسلمون :

أهنئكم ببدء الصوم فى شهر رمضان حكاما ومحكومين وادعو الله أن يصلح به نفوسنا ويجمع به كلمتنا ، ويرفع الخُلف من بيننا وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

قصة الإيلاف

عصر هاشم بن عبد مناف

نستطيع ـ بمشيئة الله تعالى ـ أن نعبر إلى عصر الشريف هاشم بن عبد مناف الجد الثانى لرسول الله ﷺ على جسر زمنى أمين متين ، هو أشد أمانة وأوفر متانة من تقدير تاريخى لم يقم بين يديه «موازنة» لبعض الروايات التى صدرت من قائليها مرسلة على بداهة تمنع عنها غبار الاختلاق وغيم الكذب ؛ فكانت ـ فى ذاتها محل الصدق والإنصاف .

هذا الجسر الزمنى يمثله عُمُرُ وَلَدِه «عبدالمطلب» والد «عبدالله» والد «رسول الله» ﷺ هذا العمر هو الذى يؤدى بنا مباشرة إلى عصر هاشم بن عبد مناف ، فإن «عبدالمطلب» أجْرُ وَلَدِه ، حَمَلَتْ به «سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية الخزرجية» فاصطحبها هاشم معه ـ وهو فى طريقه إلى الشام فأنزلها بدار والديها بالمدينة لتلد هناك ، ثم مضى إلى «غزة» فمات بها ، فسنة موته هى عام ولادة عبدالمطلب ، أو الذى يليه مباشرة .

عاش «عبدالمطلب» مائة وعشرين عاما ، يرفعها بعضهم إلى مائة وأربعين ، ويهبط بها البعض إلى ثمانية وثمانين ، وعن الواقدى ـ رحمه الله ، وقد وَثَّقَهُ بتأكيد الإمام ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ قال الواقدى : وسمعت من يحدث عن مصعب بن عبدالله «أن عبيد بن الأبرص كان تِرْبَ عبدالمطلب ، وبلغ عبيد مائة وعشرين سنة ، وبقى عبدالمطلب بعده عشرين سنة أو أكثر » وهذه الرواية حجة بين يدى من يرفع عُمْرَ «عبدالمطلب» إلى مائة وأربعين سنة . وهذا ما ذهب إليه برهان الدين الحلبى صاحب السيرة الحلبية ـ رضوان الله تعالى عليه .

وأَقْوَمُ ذلك وأحوطه أن نمضى مع عُمُرِ «عبدالمطلب» المتمثل فى ثمان وثمانين سنة قمرية ، لا يفوتنا ما أحدث فيها العرب قبل الإسلام من «نَسِيءٍ وكَبْس» عملوا بهما بإرشاد من اليهود ؛ فزادوا شهراً كل ثلاث سنوات قبل الشهر السابع مما يؤدى إلى أن يتأخر السابع إلى ما بعده فتصير السنة كبيسة مقدارُها ثلاثة عشر شهرا ؛ فتأخير السابع «نسىء» ، وزيادة شهر قبله «كبس»[1] .

وهذا يعنى أن هذه السنوات .. «سنوات حياة عبدالمطلب» لن تفترق فى مجموعها من حيث العدد عن السنوات الميلادية فى التقويم الشمسى فيكون ميلاد «عبدالمطلب» عام (٤٩٠) ميلادية ، إذ كانت وفاته عام (٥٧٨) ميلادية ، وبالتالى يكون عام ٤٩٠ م أو ٤٩١ م هو عام وفاة «هاشم بن عبد مناف» .

وعمر «هاشم» المتفق عليه فى مراجعنا لا يزيد بإجماع عن خمس وعشرين سنة ، وهو عُمْر لا يقال فيه «تقدمت به السن» كما يذكر بعض مؤرخينا المعاصرين ، حتى لو ذهبنا معه إلى ما افترضوا له من سن لا تتجاوز السادسة والأربعين ، إذ جعلوا وفاته عام ٥١٠ م .

فأما ما نذهب إليه ونعتمده فهو أن حياته كانت الفترة «٤٦٥ م ـ ٤٩٠ م» أو تزيد سنة فى كل منهما فتكون الفترة «٤٦٦ م ـ ٤٩١ م» ، وذلك حسب احتياطنا بصدد وفاة هاشم : هل هى نفس سنة ميلاد عبدالمطلب أو التالية لها .

د. على أحمد الخطيب

(١) انظر مجلة الثقافة الصادرة بمصر العدد ٨٨ ص ٢٥ السنة الثانية .

(٢) انظر للأستاذ محمد مبروك نافع ـ تاريخ العرب ، عصر ما قبل الإسلام ص ١٧٣ ط ٢ مطبعة السعادة ١٩٥٢ .

مابعد الإيمان

قال الله تعالى من سورة البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

للتفسير طريقتان : إحداهما : إقناع العقل وإفحامه . والأخرى : فتح مغاليق القلب وإرشاده . والطريقة المثلى خطابهما معاً بأسلوب متحد اللفظ ، حمّال لمعان .

وتصدير الآية الأولى بحرف التوكيد مراعاة لإزالة الشكوك . وقد دخل حرف التوكيد على الاسم الموصول للإشارة إلى ثلاثة أمور : العلة ، والخبر ، والحكم .

الأمر الأول : العلة وهى هنا الكفر . وهكذا فإن صلة الموصول علة للحكم الذى سيُحكم به .

فإذا قال سبحانه من سورة فصلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ .. ﴾ الآية كان القول والاستقامة ـ هما السبب والعلة لما تقوله الملائكة .

والكفر من الألفاظ التى تقال على التشكيك ـ فهى تدل على قدر مشترك فى النوع مختلف فى الدرجة كما قال ابن عباس : « كفر دون كفر » .

وأفحش ما يدل عليه الكفر هو جحود ما عُلم من الدين واشتهر بين الناس ، وهو ما يعبر عنه بضرورات الدين من وجوب المحافظة على ما يحتاج إليه الإنسان من دين هو حياة روحه وبدنه ، وحياة نفسه واستمرار بقائها ، وما يتمتع به من مال وعقل وعرض .

ويلى أفحش الكفر عدم الإذعان لتعاليم الله بالتشكك فى عدم جدواها مثل : تحذلق المتحذلقين فى إدعائهم أن صوم رمضان لا جدوى من ورائه . ولما كنا فى شهر الصوم ـ كان من المناسب أن نربط ما يُفترى على الصوم بالكفر ونحن نتحدث عنه فى تفسير الآية .

ومن المسلّم لدى العقلاء أن زمام الروح مرهون بزمام الجسد ، وأن الفكرة التى تكسر الشره وتقمع الشهوة ضرورة لازمة لتمهيد سبيل الاعتقاد ، وتغليب العزيمة على وساوس الشك والغواية . وأن القدرة الروحية إذا عرف بها الإنسان مزايا الخير والجمال ، وتذوق بها محاسن الحياة الفكرية

للأستاذ الدكتور

محمد عبد المنعم القيعي

والعاطفية كانت أشبه بقوة سماوية ، تمد صاحبها بالطاقات الخلاقة ، والقوة الهائلة فى الإبداع والإحكام . وهى تتوقف على الشخصية التى تستطيعها ولا تصنعها لها شخصية أخرى .

والآداب الدينية تسبق التحقيق العلمى إلى خلق العادات الصالحة ، واشتراع الآداب الضرورية لمطالب الجسد والروح فى الجانب الخاص أو الجانب العام فى حياة الإنسان .

وقد أدركت الإنسانية أخيراً ما للصيام من قيمه ، وباشرته فى حياتها ـ فهناك :

١ ـ صيام التطهير كما يشير به بعض الأطباء للتخلص مما علق بالجسم وأثقل المعدة .

٢ ـ صيام العطف كالذين يشاركون غيرهم أحزانهم . وقد قيل : المشاركة فى الحزن يجعله نصف حزن .

٣ ـ صيام التفكير . ومن المعلوم أن الذهن لا يصفو إلا بمقدار ما يتخلص من شوائب المادة . وما حياة الفلاسفة المؤمنين إلا اختيار للموت . فهم يميتون فى أنفسهم كل سبب إلى الشهوة ، وكل داعية إلى اللذة ، يحيون بالقسم الأعلى وتبقى مادة الأرض فيهم كأنها أرض بور لا تخصب ولا تُنبت .

٤ ـ صيام الاحتجاج . وأمثلة المضربين عن الطعام تمتلىء بها الصحف ، ويدعها التاريخ فى ذاكرته .

٥ ـ صيام الرياضة النفسية والبدنية . ونراه ماثلاً فى المحافظين على قوامهم ، والمحافظات على رشاقتهن ، والمربين لأنفسهم على الجلد والصبر . وما صوم شهر رمضان ـ تجويعاً وحرماناً ـ إن هو إلا تنظيم للوجبات الغذائية . تُقدّم فيه وجبة الصباح ، وتؤخر وجبة الظهيرة للتحكم فى مطالب البدن ، وترقيق الشعور ، وتهذيب الضمائر . فمن نفس الإنسان يكون الوازع ، وبإحساس الضمير تكون المراقبة ، فتعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

الأمر الثانى : الخبر . وهو « استواء الإنذار عليهم وعدمه » .

أما أنت أيها الداعى ـ فلك أجر الإنذار وإن لم يُمْتَثَل ، ولم يقل : سواء عليك ، بل قال : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم . وقال سبحانه ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ .

والإنذار هو : التخويف من سوء العاقبة وإن اجتناب بعض المحظورات ـ لا يكفى لترويض وظائف البدن وتغليب حكم الإرادة عليها .

● فالرياضة على الطاعة لسلطان الدين تُشبع الرغبات المستقلة فى طبائع الأفراد المختلفة . وفرق بين إخفاء الإفطار رياء وإخفائه لعذر حياء . وفى الحديث : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين » البخارى .

←

← مابعـــد الايمـــان

الأمر الثالث : الحكم . وجاء عن طريق الإخبار بنفى الإيمان عنهم من علام الغيوب فقال : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وليس لأحد أن يحكم على احد بهذا الحكم إلا هو سبحانه .

وكان عن طريق الإخبار ، لأنه مستقر باستقرار سببه وهو الكفر . وهم الذين كفروا بسوء اختيارهم لا أن الله اجبرهم على ما ارتكبوه . فقد منح سبحانه المكلفين حرية الاختيار فيما كُلّفوا به .

ثم قال سبحانه : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

الختم والطبع قريبان فى المعنى . ويلتقيان فى الحيلولة بين من يابى الانتفاع وبين المنفعة . وكان الختم على القلب لانه الجامع بين الإدراك والوعى . وإذا كان العلم الحديث يرى ان المخ هو آلة الإدراك والعقل يُقِرُّ فيه ونحن لا ننازع فى ذلك ، إلا ان القرآن عبّر عن ذلك بالقلب فقال : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ .

ونحن نرى ان التعبير عن العقل بالقلب يعنى إدراكاً وعاطفة ، روحاً وبدناً . وكثيراً ما نرى قلباً بلا مخ ولا يمكن ان يوجد مخ بلا قلب . وفى هذا من المشاكلة ما يؤكد لنا ان البدن مركب الروح ومكان استقرارها .

فالعناية بالبدن مطلوبة كالعناية بالروح ، وقد جعل الأسماع بين القلوب المختوم عليها وبين الأبصار التى عليها غشاوة ، ليبين ان آى القرآن يرتبط بعضها ببعض . فالسمع مختوم عليه حيث قال ـ سبحانه ـ فى آية اخرى : ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾[1] .

والعذاب العظيم يناقضه الحقير ، والكبير يناقضه الصغير . فالعظيم اكبر من الكبير ، والحقير اقل من الصغير وهكذا تُعرف الأشياء بالمقابلة كما قيل : وبضدها تتميز الأشياء .

وإن اداة الإدراك فى مجال العلوم إيجاداً وتطبيقاً هى العقل باجهزته القادرة على التحليل والاستدلال . والخلط شائع بين معنى التحرر من القيود على اختلاف انواعها وبين معنى الحرية التى لا تكون شيئاً ، إذا هى لم تكن قدرة الإنسان الحر على ان يملك زمام نفسه .

فالتحرر من جميع القيود محال . أما حرية الإرادة والقدرة فلازمة لجواز التكليف ، وقد تساءل البعض : أين حرية الإنسان وهو مختوم على قلبه وسمعه ؟ والإجابة المزيلة لأى إشكال فى رأينا هى أن الله سبحانه ربط المسبب بسببه . وهذا هو القضاء الأول الذى كلمح البصر أو هو أقرب ولا مرد له . وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب هو القدر الذى قال عنه عمر ابن الخطاب حينما دعا إلى الفرار من مرض الطاعون قال : نفرّ من قدر الله إلى قدر الله . وفى الحديث : « ارايت رُقًى نسترقى بها ، وادوية نتداوى بها : اترد من قدر الله شيئاً ؟ قال : هى من قدر الله »[2] .

(١) الجاثية .

(٢) مسند احمد .

فنحن قبل مباشرة الأسباب مختارون ، وبين الأسباب والمسببات مجبرون . فأنت أيها المؤمن مختار فى مس النار التى هى سبب الإحراق أو مس الماء البارد الذى هو سبب التبريد . فإذا مسست النار فأنت مجبر على الاحتراق لا محالة . وإن اغتسلت بالماء البارد أصابك التبريد لا محالة . وقد ختم الله على قلوبهم بعد كفرهم واستعدادهم له : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ .

ولذا قد تجد فى الآية الواحدة جبراً واختياراً كما قال : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ . فالاختيار أولاً ، والجبر ثانياً : فأنت مخير قبل مباشرة الأسباب . وقد بين الله لك سبيل الخير وسبيل الشر . وأنت حر مختار لأيهما . فإذا اخترت السبب جرك إلى المسبب لا محالة وتَلَقَّى نتيجة عملك والجزاء عليها .

أما الغشاوة ـ فإنها تساوى الغطاء الذى يحجب العين عن الرؤية . ويمكن أن تحتمل الآية معنى الدعاء عليهم أو منع اللطف بهم لسوء اختيارهم ، أو وسمها بعلامة دالة على سبب حرمانهم .

قال ابن تيمية[3] : « الالتفات إلى الأسباب شرك فى التوحيد . ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغير فى وجه العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع ، والله خلق الأسباب والمسببات ، وجعل هذا سبباً لذاك » .

وقال ابن عطاء الله فى الحكم ما يشير إلى ذلك . وقال شارحه[4] : فلابد من الأسباب وجوداً ، والغيبة عنها شهوداً . فأثبتها حيث أثبتها بحكمته ، ولا تستند إليها لعلمك بأحديته ..أهـ .

والاعتماد على القضاء والقدر ينافى المسئولية ، وإن حرية الإرادة لهى من أجل نعم الله على الإنسان ، ولا تتحقق إلا فى عالم فيه الخير والشر لتوجد القيمة على اجتهاد الروح ، فالمشكلات الفكرية تجىء نابضة بالحياة حين تنبت فى تربة الحياة العملية نفسها كما نكابدها ونعايشها . والإنسان خالج بنواياه وميوله وخوالجه .. والنفس طيارة متقلبة تعشق الإباحة وتغرم بالإطلاق : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ .

واعلم أن العمل بغير نية عناء ، والنية بغير إخلاص رياء ، والإخلاص بغير صدق وتحقق هباء ، وهو للنفاق كفاء ، ومع العصيان سواء .
والله يهدينا سواء السبيل .

---

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية حـ ٥ ص ٣٣٤ .

(٤) الحكم لابن عطاء ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

قضية من يوجسلافيا

ماذا يجري في كوسوفو الإسلامية ؟!

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ـ صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ـ بادىء ذى بدء أستميح قراء مجلة الأزهر الغراء أن يمنحوني دقائق من وقتهم لأشرح لهم باختصار عنوان هذا المقال ؛ لذا أعود قليلاً إلى أوائل العقد الثانى من القرن العشرين حيث كانت العلاقات بين كثير من الشعوب قد ساءت لاختلاف مصالحها ، فقامت حرب محدودة فى « البلقان » ، وهى المعروفة بالحرب البلقانية التى استمرت أكثر من سنة . وبعد شهور من نهايتها أعقبتها حرب عالمية كبرى ، هى المعروفة بالحرب العالمية الأولى التى نشبت فى منتصف العام الرابع عشر من القرن العشرين .

كان « الصرب » هم الذين أشعلوا فتيلة هذه الحرب الضروس بإقدام واحد منهم على قتل « الأرشيدوق » ولى عهد النمسا فى « سراييفو » يوم ٢٨ من يونيه سنة ١٩١٤ م . هذه الحرب الضروس التى نشبت ببارود الصرب جعلت العالم يقاسى من أهوالها وفظائعها ما تعجز الأقلام عن وصفه ، وقاسى الشعب الصربى نفسه من أهوال هذه الحرب كما قاسى الآلاف المؤلفة منهم وعلى رأسهم ملكهم والوزراء وكبار رجال الدولة ثلاث سنوات عجاف فى البلاد التى لجأوا إليها بعد أن احتلت النمسا مملكتهم .

هذه الأهوال القاسية جعلت الشعوب المتحضرة ترفض الحروب إلا إذا كانت دفاعاً عن النفس ـ لا للتوسع ـ ضد من يعتدى عليها .

وما أقدم عليه الصرب فى الحرب العالمية الأولى إنما كان نتيجة اندفاع من تأثير خارجى يهيج أحاسيس الإنسان ويثير مشاعره فيقدم على عمل بطولى فى ظنه ، دون التفطن إلى ما يقصده هذا المؤثر من مكاسب خاصة به .

ترى هل يعيد التاريخ نفسه ، ويكون الصرب هم الذين يشعلون فتيلة الحرب العالمية الثالثة النووية التى ستأتى على الحرث والنسل ؟

ما يحدث فى « كوسوفو » منذ عام تقريباً من مؤامرات « الصرب » للسيطرة عليها .

ومن التدخل فى الجمهوريات الأخرى : « بوسنه » و « كرواتيا » و « سلوفينا » .

كل ذلك قد يؤدى فعلاً إلى نشوب الحرب العالمية الثالثة .

وسيطلع القارىء بعد قليل ، على الأسباب التى سنذكرها بالتفصيل . وأرجو من صميم فؤادى أن يعود « الصرب » إلى رشدهم فيقلعوا عن مؤامراتهم لئلا يسجل التاريخ العالمى عليهم أنهم أسباب الكوارث ضد البشرية .

لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى

حقيقة إقليم « كوسوفو »

إقليم « كوسوفو » - (قوصووة) كما هو الرسم الصحيح - جزء من الأراضى الألبانية فى البلقان . وكان الألبانيون أول شعب نزح قبل الميلاد بقرون إلى أرض البلقان الواسعة حيث تفرقت القبائل الألبانية القليلة العدد فى أرجائها[1] .

ولقد أجمع المؤرخون على هذا وإن كانوا قد عجزوا عن تحديد مبدأ نزوحهم .

بعد الميلاد بقرون بدأ « الصرب » يهاجرون من الشمال إلى الجنوب فاصطدموا بالقبائل الألبانية القليلة العدد المنتشرة فى البلقان فاضطرت القبائل الألبانية قبيلة وراء أخرى إلى الانسحاب شيئاً فشيئاً حيث تجمعت كلها فى الأرض المعروفة الآن وهى المنقسمة إلى ثلاثة أقسام :

قسم كبير فى « كوسوفو » و « ماكيدونيا » والجبل الأسود .

وقسم هو ولاية « يانينا » الألبانية الشهيرة وقد ضمت إلى اليونان .

وثالث الأقسام ألبانيا الرسمية المعترف بها دولياً .

كيف نشأت الأقلية الصربية فى « كوسوفو »

من المعروف أن « الصرب » بعد اصطدامهم بالقبائل الألبانية وانسحابها ليجتمع شملها فيما بين « كوسوفو » إلى بحر الأدرياتيك استقر الصرب فى منطقتهم المعروفة الآن . وكان يحدث بين وقت وآخر تصادم بينهم وبين الألبانيين بقصد وصولهم إلى بحر الأدرياتيك ، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك .

ولما تعرض البلقان للفتح العثمانى اجتمع زعماء المنطقة من « الصرب » و « الألبان » والفلاح وغيرهم[2] وعقدوا حلفاً للدفاع عن البلقان ، واشتركت جيوش المنطقة تحت قيادة واحدة فى معارك كثيرة ، لكن النصر كان دائماً حليف العثمانيين الذين فتحوا المنطقة الألبانية أولاً ، واعتنق ٩٥٪ من الألبانيين الإسلام وحسن إسلامهم .

بعد ذلك فتح العثمانيون بلاد « الصرب » الذين أصبحوا بموجب الفتح رعايا عثمانيين . ولم يسلم - على ما نعلم - أحد من الصرب طوال قرنين من الزمن ، لأن الدولة العثمانية طبقاً للتعاليم الإسلامية ، لم تكن تُكْرِهُ أحداً من رعاياها على اعتناق الإسلام[3] ؛ وكان لكل من أصبح من رعايا الدولة حق مثل حق العثمانى المسلم ، لذلك فتحت مدارس الدولة أبوابها لكل الرعايا على حد سواء .

وبمرور الزمن بدأ بعض « الصربيين » يرسلون أولادهم إلى هذه المدارس . وعند تخرجهم يعينون فى وظائف الدولة وينتقلون فى بلادها . فكان يحدث أن يحضر بعض هؤلاء الموظفين الصربيين إلى المنطقة الألبانية . منهم من

←

١ - لمزيد من المعلومات يراجع العدد الرابع من السنة الستين لمجلة الأزهر الصادر فى ربيع الآخر سنة ١٤٠٨ هـ صـ ٤٦٤ .
٢ - راجع العدد الرابع من مجلة الأزهر الصادر فى ربيع الآخر سنة ١٤٠٨ صـ ٤٦٦ .
٣ - انظر نفس المرجع .

كان يعود إلى بلده بعد الإحالة إلى المعاش ، ومنهم من كان يفضل البقاء مع الألبانيين حيث إنهم رعايا دولة واحدة .

من هنا نشأت الأقلية الصربية فى « كوسوفو » التى لم يزد عددها على ١٪ ـ واحد فى المائة ـ وعاشوا مع المسلمين الألبانيين قرنين أو أكثر محتفظين بلغتهم ودينهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ولم يذكر التاريخ شيئاً عن وقوع حوادث بينهم وبين الألبانيين طوال هذه المدة ، فقد كانوا آمنين جميعاً ، وبعد الحرب العالمية الأولى احتلت الدولة الصربية المنطقة[٤] الألبانية فحضر عدد كبير منهم لتولى شئون الإدارات والمصالح . وأكثرهم عاد إلى بلاده عند نشوب الحرب العالمية الثانية .

أما مواطنو الجبل الأسود فلم يكن لهم وجود فى هذه المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها جلبت الحكومة اليوغوسلافية الملكية عدداً كبيراً منهم . وملّكتهم الأراضى الزراعية الخصبة المملوكة للألبانيين بقصد حملهم على ترك البلاد للصربيين[٥] .

وعند نشوب الحرب العالمية الثانية فر هؤلاء جميعاً إلى بلادهم ، لأن الفلاح الألبانى لم يكن ليسمح لهذا الدخيل الغريب أن يستمر فى الاستيلاء على أرضه ظلماً وعدواناً . وبعد انتهاء الحرب عاد كثير منهم إلى المنطقة محاولين الاستيلاء على ممتلكات الألبانيين فلم يتمكنوا ، لأن الحكم الذاتى حال بينهم وبين ما أرادوا فانضموا إلى الأقلية الصربية لإحداث الفتن .

هذه هى قصة الأقلية الصربية فى إقليم « كوسوفو » ومما يجدر ذكره هنا أن أحفاد الصربيين الذين فضلوا البقاء مع الألبانيين بعد إحالتهم إلى المعاش كما سبق ذكره لزموا الحياد ، ولم ينضم منهم إلى الصربيين الجدد إلا عدد قليل لا يذكر . ورفضوا الاستيلاء على الأرض المملوكة للألبانيين رغم إلحاح الإدارة الصربية مكتفين بما كانوا يقومون به من أعمال ومهن لكسب أرزاقهم .

عداوة الصرب للألبانيين قديمة ومستمرة

استمرت عداوة الصرب للألبانيـين بعد استيلائهم على أراضيهم واستقرارهم فيها . وكانوا يقومون بين وقت وآخر بغارات واسعة ضد الألبانيين بغية وصولهم إلى بحر الأدرياتيك كما سبق ذكره ولم يكونوا يتمكنون من ذلك .

وبعد الفتح العثمانى كانوا يقومون بحركات ضد الدولة العثمانية ، لكن الألبانيين الذين اعتنقوا الإسلام كانوا لهم بالمرصاد مما كان سبباً دائماً فى إعادة الانضباط والأمن إلى البلاد . وظهرت عداوتهم بجلاء بعد أن احتلوا المنطقة الألبانية عقب الحرب العالمية الأولى وقاموا بفظائع ضد الألبانيين لحملهم على الهجرة إلى البانيا أو تركيا[٦] ، لكنهم عجزوا لصلابة عود الألبانيين وصمودهم إلى أن ينجلى الموقف . ومما يجدر ذكره أنه يوجد بالمنطقة عدد لا بأس به من الكاثوليك ، وهم ألبانيون أبا عن جد ، لكنهم بعد الفتح العثمانى لم يعتنقوا الإسلام ، والدولة احترمت حريتهم الدينية وتركتهم على ما يدينون به . وعلاقتهم بالمسلمين الألبانيين علاقة طيبة هى علاقة عرق ولغة وعادات

---

٤ ـ راجع العدد السادس من مجلة الأزهر الصادر فى جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨ صـ ٧٢٥ .

٥ ـ راجع العدد السادس من مجلة الأزهر الصادر فى جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨ صـ ٧٢٧ .

٦ ـ راجع نفس المرجع .

وتقاليد . وحاول الصرب كثيراً إحداث فتن وقلاقل بينهم وبين المسلمين الألبانيين فكانوا ينجحون مرة ويفشلون مرات .

كيف نشأت فكرة الاتحاد اليوغوسلاڤ

كانت قوات المقاومة التى تحارب الجيشين النازى والفاشستى تضم كثيراً من زعماء الشعوب التى تعيش فى يوغوسلافيا ، كان من بينهم - إن لم تخنى ذاكرتى - زعيم « كوسوفو » ، « فاضل خوجة » ، أولئك الزعماء كانوا « رفاق السلاح » فى المقاومة فوحّد الهدف صفوفهم ، وجمع كلمتهم ، وطهّر نفوسهم ، وربط قلوبهم على المحبة والوفاء فتعاهدوا - وهم فى خنادقهم - على إنشاء يوغوسلافيا بعد النصر على أسس جديدة بحيث ينعم جميع شعوبها بالحرية والعدالة والمساواة .

اجرى رفاق السلاح - وهم فى خنادقهم دفاعاً عن حرية شعوبهم - حواراً طويلا عن « كيفية تشكيل مؤسسات الدولة » بعد النصر بحيث لا تتكرر المآسى والفظائع التى ابتلى بها بعض الشعوب اليوغوسلافية ومنها الشعب الألبانى بين الحربين بسبب طغيان شروط « معاهدة فرساى » التى فصّلها « ترزية الاستعمار[٧] » لويد جورج وكلمنصو وغيرهما طبقا لأهوائهم الاستعمارية ، فلم يعطوا كل شعب حقه فى تقرير مصيره ، بل وزعوا الشعب الواحد بين عدة دول ليستمر النزاع بينها حتى لا تجتمع على كلمة واحدة قد تضر فى المستقبل بمصالح « ترزية الاستعمار » .

وحيث إنهم كانوا ساسة نشطين جهلاء لم يَدُرْ بخلدهم أن سياستهم هذه ستكون يوما ما ضد مصالحهم . ويوم وقعت الواقعة وهجم النازيون على يوغوسلافيا اقتحم القطار النازى المسلح حدود يوغوسلافيا ووصل إلى « زغرب » « عاصمة الكروات » دون إطلاق رصاصة واحدة . وهكذا استولى الألمان على يوغوسلافيا فى أربع وعشرين ساعة دون مقاومة تذكر ، لأن الشعوب التى ظلمتها معاهدة فرساى بتمزيقها اعتبرت الجيش النازى جيش إنقاذ وخلاص من نار شروط معاهدة فرساى .

نعم ، ظنت الشعوب المظلومة فى أول الأمر أن الجيش النازى جيش إنقاذ وخلاص ، لكن قبل مرور عام تبين للزعماء بالاحتكاك بالألمان أن باطنهم خلاف ظاهرهم ، فقاموا بحمل السلاح وإنشاء كتائب قوات المقاومة والاحتماء بالجبال ذات الأشجار الكثيفة للانقضاض على الجيش النازى دفاعاً عن حرية شعوبهم . ولو كان « ترزية معاهدة فرساى » ساسة عقلاء وخبراء بعواقب الأمور لأعطوا كل شعب حقه ، ومكنوه من إقامة دولته بدل تمزيقه بين عدة دول . وفى هذه الحالة لم تكن ألمانيا النازية تستطيع أن تستولى على البلقان إلا بعد مقاومة شعوبها الحرة مقاومتها الشديدة ، وكان طول مدة المقاومة فى صالح الحلفاء حيث ثبت أن مقاومة الشعوب للجيش النازى أضر أبلغ الضرر بالتكتيك الحربى الألمانى .

وضع رفاق السلاح هذه الاعتبارات أمام أعينهم فقرروا بالإجماع تلافيها بعد انتصارهم . وبعد مشاورات ومحاورات

---

٧ - تعبير مصرى يقصد به « خيّاطو الملابس » .

← قضيــة من يوغوســلافيـا

ظهرت امامهم فكرة الاتحاد اليوغوسلافى لممارسة القضايا الكلية . اما الأمور الداخلية فلكل شعب حريته المطلقة فى تشكيل نظامه الداخلى طبقا للغته وعرقه وعاداته وتقاليده .

من هذا المنطلق قرر رفاق السلاح بالإجماع ان ينشىء كل شعب من الشعوب التى تعيش فى يوغوسلافيا جمهوريته المستقلة مرتبطة بالاتحاد العام الممارس للقضايا الكلية .

لماذا لم تنشا جمهورية « كوسوفو » السابعة

انشا كل شعب من الشعوب الستة التى كانت تعيش فى يوغوسلافيا جمهوريته ، وهى شعوب « سلوفينيا » و« كرواتيا » و« بوسنة » و« صربيا » و« ماكيدونيا » و« الجبل الأسود » ، اما شعب « كوسوفو » فلم يكن فى استطاعته إنشاء جمهوريته لعدم تملكه مقومات تاسيس جمهوريته ، وأهم هذه المقومات هى اللغة التى لابد منها لإدارة شئون البلاد ، واللغة الالبانية - لغة الام - كانت بدائية جداً فى المنطقة كلها ، لان ٩٩٪ من الالبانيين لم يكونوا يعرفون كتابة اللغة الالبانية ولا قراءتها حيث حرّمت حكومة الصرب الملكية المستبدة بين الحربين الالبانيين من كل حقوقهم المدنية حتى الانتقال من بلد إلى آخر بينهما بمسافة أكثر من ثلاثين كيلو مترا كان ممنوعا إلا بتصريح خاص . والتعليم المتوسط كان باللغة الصربية وهى لغة أجنبية بالنسبة للالبانيين . وكانت الحكومة المذكورة تحاربُ حرباً شعواء تَعَلُّمَ اللغة الالبانية سراً فى البيوت لدرجة أن رجال الشرطة كانوا يقتحمون البيوت لتفتيشها حسبما يحلو لهم طبقا لقانون الغابة . ولو وجدوا كتاب لغة البانية فى بيت من البيوت هدموه على من فيه .

لذلك كان كثير من شباب المنطقة يجتازون الحدود سراً إلى البانيا الرسمية حيث يجدون فيها أبواب المدارس المتوسطة والعالية مفتوحة امامهم .

لهذه الأسباب كان من المستحيل فى هذا الوقت إنشاء جمهورية « كوسوفو » السابعة طبقا لقرار رفاق السلاح فى خنادقهم ، فتقرر إنشاء حكم ذاتى فى إقليم « كوسوفو » يرتبط بنظام جمهورية الصرب المجاورة .

نهوض « كوسوفو » فى مدى عشرين عاماً نهوضاً أثار إعجاب الجميع

حقا لكل ضارة نافعة . ومن منافع الاتحاد العام أنه سمح لكل شعب أن يتعلم لغة أمه ، فسرعان ما عاد ابناء المنطقة الذين كانوا قد فروا إلى البانيا أيام طغيان الصرب بين الحربين ففتحوا المدارس على اختلاف أنواعها . وقاموا بتدريس اللغة الالبانية . وقواعدها وآدابها وتدريس بقية العلوم باللغة الالبانية بالإضافة إلى تدريس لغة أجنبية . وانشئت جامعة « كوسوفو » لتستقبل خريجى التعليم المتوسط . وكانت الجامعة قد استكملت فى مدة قليلة الكليات المختلفة ومنها كلية للاستشراق . وكان يقوم بتدريس المواد باللغة الالبانية فى الكليات المتنوعة أساتذة البانيون فلم تمض عشرون سنة حتى عمت الحضارة جميع نواحى الحياة فى « كوسوفو » من علم وأدب وثقافة عامة وجامعة تخرج كُتّابا وادباء وأطباء ومهندسين وقضاة ومحامين وصيادلة ومحاسبين واقتصاديين وكيميائيين وغيرهم .

وظهرت فى الوجود المطابع التى قامت بطبع الجرائد والمجلات والكتب العلمية

المختلفة ، وكملت وسائل الإعلام كلها المقروءة والمسموعة والمرئية . وبذلك استكملت « كوسوفو » جميع المقومات التى جعلتها فى مستوى الجمهوريات الست ، وأصبح من حقها إنشاء الجمهورية السابعة طبقا لقرار رفاق السلاح .

« كوسوفو » تطالب بتشكيل الجمهورية السابعة

فى أوائل الثمانينيات قام طلاب « كوسوفو » والشعب من ورائهم يطالبون بتشكيل الجمهورية بعد أن استكملوا كل الوسائل وحققوا جميع المقومات اللازمة لذلك أسوة بالشعوب الستة وطبقا لقرار رفاق السلاح ، فَقَدَ زعماء الصرب فى « بلغراد » حينما بلغهم ذلك أعصابهم وهاجوا وقاموا - بحكم ارتباط « كوسوفو » بنظام حكمهم - باستخدام القوة الغاشمة ضد الشباب الأحرار المطالبين بحقوق شعبهم . وكانت نتيجة تصدى القوات الصربية لهم مئات من الشهداء الأبرار من الطلاب وغيرهم واعتقال آلاف آخرين .

عرف شعب « كوسوفو » أن عداوة الصرب لهم منذ أكثر من عشرة قرون مازالت دفينة فى قرارة أنفسهم ، وأن اشتراكهم معا فى الخنادق دفاعاً عن حرياتهم لم تصفِّ ما بداخل قلوبهم . فاستمروا فى الاستعداد لنيل حقوقهم بالطرق السلمية حفاظاً على الاتحاد ، وأملاً فى عودة زعماء الصرب إلى رشدهم لصالح الشعب الصربى وبقية شعوب المنطقة .

لكن الصرب من ناحيتهم بدأوا يدبرون المؤامرات ضد شعب « كوسوفو » فأخذوا يرسلون مزيداً من الصرب إلى منطقة « كوسوفو » وتمنحهم ميزات خاصة من حيث الإسكان ووسائل المعيشة وليس يفوتنا أن أمور الإدارة بيد الصرب ثم أوعزت إليهم أن يقوموا بالمظاهرات ضد الأغلبية الألبانية مدعين كذبا أن الأغلبية الألبانية تضطهدهم ، وطلبوا من فلاحى الجبل الأسود الذين لم يكن لهم وجود فى المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى - كما سبق ذكر ذلك بالتفصيل - أن يشتركوا فى المظاهرات مع الأقلية الصربية ضد الألبانيين . وأدى ذلك إلى سوء الأحوال الاقتصادية والمدنية التى لازالت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم .

كان لابد للألبانيين أن يتخذوا جميع الاستعدادات السلمية اللازمة من مظاهرات وإضراب عن العمل واعتصام بالمناجم للدفاع عن حقوقهم وللرد على الأقلية الصربية وحلفائها الجبليين ، وإثبات كذبهم فيما يدعون .

بيد أن بلغت الاضطرابات ذروتها وساءت الأحوال وتعطلت الأعمال اجتمع أعضاء رابطة الشيوعية العامة على هيئة مؤتمر ببلغراد فى الربع الأخير من العام الماضى . وحضر المؤتمر زعماء « كوسوفو » المسلمين بحكم عضويتهم فيها فقاموا بتفنيد كل الأدلة التى تمسك بها زعماء الصرب وأثبتوا أمام المؤتمر أن زعيم الصرب يحاول قلب الحقائق ، وأنه هو الذى يدبر المؤامرات ضد الأغلبية الألبانية . وبعد مداولات استمرت ثلاثة أيام فاز زعماء « كوسوفو » بآراء أغلبية الأعضاء ، ولم ينضم إلى زعيم الصرب إلا أعضاء الجبل الأسود .

يتبع

في رياض السُّنة النبوية المطهرة

فتح مكة ومكارم الأخلاق

روى البخارى بسنده قال : حدثنى عبيد ابن إسماعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام عن ابيه قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً ، خرج ابو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُديل بن ورقاء ، يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقبلوا يسيرون حتى اتوا مرّ الظهران ، فإذا هم بنيران كانها نيران عرفة ، فقال ابو سفيان : ما هذه ؟ لكانها نيران عرفة ؟ فقال بُديل بن ورقاء : نيران بنى عمرو ، فقال ابو سفيان : عمرو اقل من ذلك ، فراهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوهم فاخذوهم ، فاتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاسلم ابو سفيان .. فلما سار قال للعباس : احبس ابا سفيان عند خَطْم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين ، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبى صلى الله عليه وسلم : تمر كتيبة كتيبة على ابى سفيان.مرت كتيبة فقال : ياعباس من هذه ؟ فقال : هذه غفار ، قال : مالى ولغفار .

ثم مرت جهينة ، قال مثل ذلك ، ثم مرت سعدبن هُذيم فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك .

حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها ، قال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة : ياأبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة،اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان ، ياعباس حبذا يوم الزمار .

ثم جاءت كتيبة – وهى أقل الكتائب – فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وراية النبى صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ قال : ما قال ؟ قال كذا وكذا فقال:كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ، قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون ، قال عروة : وأخبرنى نافع بن جبير بن مطعم قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : ياأبا عبد الله ، هاهنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية ؟ قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كَداء،ودخل النبى صلى الله عليه وسلم من كُدى فقتل من خيل خالد بن الوليد رضى الله عنه يومئذ رجلان : حبش بن الأشعر وكرز ابن جابر الفهرى .

« رواه البخارى فى كتاب المغازى »

ا.د. رءوف شلبي

المفردات :

خَطْم الجبل : يعنى أنف الجبل وفى رواية الواقدى : احبسه بمضيق الوادى إلى خطم الجبل ، وكذلك فى المواهب اللدنية والمقصود : حبس « أبى سفيان » فى مكان ييسر له رؤية موكب الكتائب .

يوم الملحمة : يوم قَتْلٍ وحرب لا يوجد مَخْلَص منها يقال: لحم فلان فلاناً إذا قتله .

حبذا يوم الزمار : يعنى الهلاك للخصم تمنى أبو سفيان أن تكون له يد وقوة ليحمى قومه ويدفع عنهم، ويستخدم اللفظ فى الدفاع عن الحريم والأهل والانتصار للقبيلة .

وقيل: المراد من يوم الزمار يوم الحماية والحفظ والرعاية من كل مكروه .

كَداء : بالمد جبل من جبال مكة وهو أحد أطرافها العليا .

كُدى : بالقصر : جبل من جبال مكة وهو أحد طرق مكة أيضاً .

شرح الحديث

١ ـ المرحلة الأولى ـ الأسباب والأحداث : الروايات المتعلقة بفتح مكة فى كتب السنة متعددة العناوين والطول والقصر والأسانيد وأتم الروايات تسلسلاً هى الروايات التى جاءت فى كتاب المصنف من الجزء الرابع عشر: حديث فتح مكة من ص ٤٧١ إلى ص ٥٠٧ فقد ذكر الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبى شيبة كل ما يتعلق بفتح مكة من هذا الحديث ، وأما ما جاء فى صحيح مسلم فهو يعتبر لقطات لوقائع الفتح العظيم ، والرواية التى معنا هى رواية الإمام البخارى، وهى تصور الأجزاء التى وقعت فى جوار البيت العتيق، وتشير إلى أحداث كان لها مقدمات انطوت داخل الرواية ، وعبر عنها المحدثون فى روايات أُخَر .

وقصة فتح مكة ترجع إلى صلح الحديبية ذلكم الفتح السياسى والدبلوماسى الذى ظفر به الإسلام على مشركى العرب ، فقد منعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين من أداء العمرة ضنا منها أن ترى المسلمين وقد عادوا فى كثرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرؤية المسلمين على هذا النحو تؤذى مشاعر كفار العرب ورؤسائهم فى مكة فحبسوا المسلمين عن أداء النسك .. وانتهى الأمر بعقد صلح بين الإسلام وبين قريش الجاهلية ، وكان من لواحق هذا الصلح أن دخلت خُزاعة فى حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت بكر فى حلف قريش، وعلة دخول خزاعة فى حلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفسرها الواقدى بقوله :

فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده، وكانت خزاعة حلفاء لعبد المطلب، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم عارفاً[١] ولقد جاءته خزاعة بكتاب

←

١ ـ معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على علم بهذا العهد بين خزاعة وجده عبد المطلب .

فتـــــح مكـــــة

عبد المطلب فقرأه قال ابن واقد : وهو « باسمك اللهم ، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة .. إلخ»ولم يستقر الأمر على هذا النحو اكثر من اثنين وعشرين شهراً حتى هجا « انس بن زنيم الديلي » رسولَ الله-صلى الله عليه وسلم فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين بكر حليفة قريش والتى منها الشاعر الهجاء « أنس بن زنيم » ، وبين خزاعة التى منها الغلام الذى انتصر لرسول الله-صلى الله عليه وسلم فكلمتْ بنو نفاثة من بكر أشرافَ قريش ليعينوهم بالرجال والسلاح على حرب خُزاعة فأمدوهم بذلك وخرج إليهم صفوان بن امية،وعكرمة بن أبى جهل،ومكرز بن حفص بن الأخيف،وحويطب بن عبد العزى ، وشيبة بن عثمان، وأجلبوا معهم أرقاءهم واغاروا عليهم وهم أمنون فقتلوهم على ماء يقال له « الوتير » قريباً من مكة ، وكان عامة القتلى من النساء وضعفة الرجال والصبية، تقول الروايات : .... فبيتوا خزاعة ليلاً وهم غارون آمنون من عدوهم،ولو كانوا يخافون هذا لكانوا على حذر وعدة،فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا بهم إلى أنصاب الحرم ... ودخلت قريش فى منازلهم وهم يظنون الا يُعرَفُوا والا يُبلَغ هذا محمداً صلى الله عليه وسلم(٢) .

هكذا نقضت قريش عهد الحديبية وهكذا ظنت أن امرها لن يبلغ النبى-صلى الله عليه وسلم- وهنا يظهر عنصر واحد من عناصر الأخلاق فى احترام العهد ، وفى نصرة الحليف الصادق الذى حفظ العهد تقول الروايات : إنه لما قدم ركب خزاعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بمن قتل منهم ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:فمن تهمتكم وظنتكم ؟

قالوا : بنو بكر ، قال : كلها ؟ قالوا : لا ، ولكن تهمتنا « بنو نفاثة » ورأس القوم « نوفل بن معاوية » ، قال : هذا بطن من بنى بكر،وأنا باعث إلى اهل مكة فسائلهم عن هذا الأمر ، ومخيرهم فى خصال : بين أن يبروا خزاعة أو يبرأوا من حلف نفاثة ، أو تنبذ إليهم على سواء،فأتاهم ضمرة سفيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وخبرهم بالذى أُرسِل به فقال قُرَطَة بن عبد عمرو الأعجمى .. هم حلفاؤنا فلا نبرأ من حلفهم ما بقى لنا سَبَد - وهو الشعر - ولا لبد - وهو الصوف ، إننا ننبذ إليه على سواء(٣) .

وعندئذ احست قريش بأنها وقعت فى حرج فندمت، وعرفوا أنهم صنعوا نقضاً للعهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلبوا إلى أبى سفيان بن حرب أن يصلح الذى أفسده الناس واقبل أبو سفيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنى كنت غائباً فى صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا فى المدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان فيكم حدث ؟ قال : معاذ الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل . ثم قام أبو سفيان فدخل عند ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله-صلى الله عليه وسلم-طوته دونه : فقال:أرغبت بهذا الفراش عنى ؟ أوبى عنه ؟ قالت : بل هو فراش النبى-صلى الله عليه وسلم-وأنت أمرؤ نجس مشرك ، فقال : يابنية : لقد أصابك شر !! قالت : هدانى الله للإسلام

---

٢ - المغازى للواقدى جـ ٢ ص ٧٨٣/٧٨٤ إمتاع الأسماع للمقريزى جـ ١ ص ٣٥٧/٣٥٨ .

٣ - المغازى للواقدى جـ ٢ ص ٧٨٦ .

وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها كيف يسقط عنك الدخول في الإسلام ؟؟ وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر ؟

قال : ياعجباه وهذا منك أيضاً ؟ أاترك ما كان يعبد آبائي واتبع دين محمد ؟ ثم قام من عندها وقد فقد توازنه فلم يراجع حساباته ولم يراجع براهينه لا سياسياً ولا دينياً،ولقى أبا بكر رضى الله عنه فقال له : جوارى في جوار رسول الله،صلى الله عليه وسلم ، ثم لقى عمر رضى الله عنه فقال له عمر : والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم ،وتوجه إلى عثمان بن عفان وهو أقرب الناس رحماً بأبى سفيان فقال له : جوارى في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب إلى السيدة فاطمة رضى الله عنها وإلى سيدنا على رضى الله عنه واستعطف واسترحم ليجيره أحد فلم يجره أحد أبداً،ذلك لأن الوعى في الأمة والانضباط في فهم الأمور قد بلغ مبلغه الراقى الحضارى فلا يفتى في أمر من أمور الدولة العليا واحد من الناس مهما كانت منزلته وقرابته من رئيس الدولة أو تضحية في سبيل الوطن والرعية .. فقد أجمع الكل على أنه لا جوار لأحد إلا لرسول الله،صلى الله عليه وسلم،وحده دون سواه .

ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفه مع خزاعة موضع التنفيذ فذاك أمر تقره مكارم الأخلاق التى بعث صلى الله عليه وسلم ليتممها تقول الروايات : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم -على عائشة-رضى الله عنها-وهو مغضب فدعا بماء فدخل يغتسل قالت عائشة : فأسمعه يقول-وهو يصب الماء عليه :

لا نُصِرْتُ إن لم أنصر بنى كعب(٤)

يقول المقريزى : ولما ولى أبو سفيان راجعاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها : جهزينا واقضى أمرك،وقال صلى الله عليه وسلم : اللهم خذ من قريش الأخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة،وأخذ صلى الله عليه وسلم بالأنقاب - وهى الطرق التى تكون بين جبلين ولا يسلكها عادة المارة من الناس - وجعل على الأنقاب حرساً فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف عليها ويقول : لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه . وكانت الأنقاب مسلمة وهكذا بدأت العسكرية الإسلامية تستعد في حزم وانضباط وكتمان وسرية وهى إحدى مميزات الإسلام في الحرب : أن لا يفصح واحد عن مسيره ، ولا يحرك عُدَّةً إلا بأمر القائد الأعلى فليحذر المعاصرون من الإسراف في استخدام ألفاظ الجهاد بأسلوب الشهرة والتصرف غير المسئول ، ولا أدل على ذلك من أن أبا بكر رضى الله عنه فيما يرويه الكاتبون دخل على السيدة عائشة رضى الله عنها،وهى تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياعائشة أهمَّ رسول الله بغزو ؟ قالت : ما أدرى ، وهى تعلم من هو والدها سابقة في الإسلام وسابقة في التضحية ، وقرب منزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبوها ، ولكن كل ذلك شىء وطاعة رئيس الدولة في أمر يخص المصالح العليا شىء آخر ، يقول الواقدى :

فدخل أبو بكر على عائشة وهى تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم تعمل قمحاً سويقاً ودقيقاً وتمراً ، فدخل عليها أبو بكر فقال : ياعائشة : أهمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو ؟ قالت : ما أدرى ، قال : إن كان رسول

←

٤ - المغازى للواقدى ص ٧٩١ جـ ٢ .

الله.هَمَّ بسفر فآذنينا فنهيأ له ؟ قالت : ما أدرى لعله يريد بنى سليم لعله يريد ثقيفاً . لعله يريد هوازن ؟ فاستعجمت عليه حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر : يارسول الله أردت سفراً ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم،نعم قال : أفاتجهز ؟ قال : نعم قال : وأين تريد يارسول الله ؟ قال : قريشا وأخف ذلك ياأبا بكر ؟!(٥) .

وهكذا يفهم معنى الجهاد ، وهكذا تكون قواعده وانضباطاته وإخفاء للوجهة التى يريدها الجيش الإسلامى فقد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة أبى قتادة إلى بطن إضَم على ثلاثة بُرُد من المدينة ليظن الناس أن توجه المسلمين إلى تلك الناحية،وشاء الله أن يقع حدث يفسر لشبابنا المعاصر أنه ليس من حق أحد أن يحكم على أحد بالكفر نتيجة فهمه أو حدسه أو اجتهاده،وأن المنكر الذى يظنه ظان أنه منكر لا يزال بالعشوائية وفوضى القوى الذاتية فقد لقى السرية(٦) رجل مسلم يسمى : عامر بن الأخبط الأشجعى فسلم عليهم بتحية الإسلام فعدا عليه محلِّم بن جثامة الليثى فقتله،وأخذ بعيره وسَلَبَهُ ومتاعاً له وَوَطْبًا-وهو سقاء اللبن الخاص به.فلما لحقوا بعد ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فى شأنهم قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ « النساء ٩٤ » .

يقول الفخر الرازى : اعلم أن المقصود من هذه الآية المبالغة فى تحريم قتل المؤمنين وأمر المجاهدين بالتثبت لئلا يسفكوا دماً حراماً بتأويل ضعيف(٧) .

ولا أدرى لمن يبيحون دم المسلمين فى العصر الحاضر،من أين لهم هذا الاجتهاد والنصوص تضافرت على منعه وتحريمه وتجريمه ؟!

وتنتهى بذلك المرحلة الأولى من أحداث الفتح التى لم يرد بشأنها ذكر فى الحديث الذى رواه البخارى .

المرحلة الثانية :

(الأسرار والمحن)

تبدأ المرحلة الثانية من حادثة حاطب بن أبى بلتعة-رضى الله عنه-عندما شاع فى الناس أن النبى-صلى الله عليه وسلم-قرر السير إلى قريش فكتب حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأعطى الكتاب امرأة من مزينة وجعل لها جُعْلاً على أن توصله قريشاً ، فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها فخرجت لغايتها،وجاء الوحى إلى سيدنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم بأمرها فأرسل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-على بن أبى طالب،والزبير بن العوام فى طلبها فلما لحقا بها التمسا الخبر فى رحلها فلم يجدا شيئاً فقالا لها : إنا نحلف بالله ما كُذِّبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم-ولا كُذِّبنا .. فلما رأت منهما الجد قالت : أعرضا عنى ؟ فأعرضا عنها فحلت قرون

---

٥ ـ المغازى جـ ١ ص ٧٩٦ راجع إمتاع الأسماع للمقريزى جـ ١ ص ٣٦١ .

٦ ـ راجع الواقدى كتاب المغازى جـ ٢ ص ٧٩٧ إمتاع الأسماع للمقريزى جـ ١ ص ٣٥٦ .

٧ ـ الفخر الرازى جـ ١١ ص ٣/٢ .

راسها فاستخرجت الكتاب فدفعته إليهما فجاءا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حاطبا فقال : ماحملك على هذا ؟ فقال يارسول الله إنى لمؤمن بالله ورسوله وما غيرت ولا بدلت ، ولكنى امرؤ ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قاتلك الله ترى رسول الله يأخذ بالأنقاب - الطرق الوعرة بين الجبال - وتكتب الكتب إلى قريش تحذرهم ؟ دعنى يارسول الله أضرب عنقه فإنه قد نافق ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:وما يدريك ياعمر ؟ لعل الله قد اطلع يوم بدر على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وأنزل الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ « الممتحنة - ١ » .

يقول الرازى تكملة لرواية الواقدى : ففاضت عينا عمر .(٨) .

وتلك واحدة من مكرمات الأخلاق التى بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليتممها.وابتدأ النفير للمعركة فقد اتفق الكاتبون على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى أهل البادية: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة" وبعث رسلاً فى كل ناحية حتى قدموا : فقدمت أسلم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأشجع،ولحقت بنو سليم بالطريق عند قُدَيد ... إلخ(٩) .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر وكانوا عشرة آلاف رجل،وقَدَّم صلى الله عليه وسلم أمامه الزبير بن العوام-رضى الله عنه-فى مائتين،وصام الجيش حتى مكان العَرْج صب رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء على رأسه ووجهه من العطش،فلما كان بالكديد بين الظهر والعصر أخذ إناء من ماء فى يده حتى رآه المسلمون ثم أفطر تلك الساعة(١٠) .

ولما بلغ النبىّ-صلى الله عليه وسلم-أن بعض الناس قد استمر فى الصيام قال : أولئك العصاة وقال-وهو فى مر الظهران : إنكم مصبحو عدوكم والفطرُ أقوى منكم(١١) .

وهنا أيضاً يظهر معنى معانى مكارم الأخلاق التى بعث ليتممها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أن التكليف على قدر الطاقة،وأن الالتزام بالتوجيه النبوى هو الإسلام المطلوب،وأن الغلو هو فى الزيادة على ما أمر به الله ورسوله.فهل لشبابنا المعاصر أن يدرك هذه الخصائص للإسلام الحنيف ، ولشريعة النبى الكريم ؟؟

ومن خصائص الإسلام فى تصوراته لمدى العطف أن يرحم كل ذى كبد رطبة،فقد ذكر الكاتبون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار من العَرْج وكان فيما بين العرج والطلوب نظر إلى كلبة تهر على أولادها وهم حولها

البقيـة ص ١٠٥٨

٨ - راجع المغازى للواقدى جـ ٢ ص ٧٩٨ والفخر الرازى جـ ٢٩ ص ٢٩٧ الإمتاع للمقريزى جـ ١ ص ٣٦٢ .

٩ - الإمتاع جـ ١ ص ٣٦٤ الواقدى جـ ٢ ص ٧٩٩ .

١٠ - المغازى للواقدى جـ ٢ ص ٨٠٢ الإمتاع للمقريزى جـ ١ ص ٣٦٥ .

١١ - نفس المرجع .

الصوم في السفر

عن حمزة بن عمر الاسلمي — رضى الله عنه — قال للنبي — صلى الله عليه وسلم — : يا رسول الله : أجد بي قوةً على الصِّيَام فى السفر ، فهل عَلَيَّ جُنَاحٌ ؟ فقال — صلى الله عليه وسلم — : (هى رخصة من الله تعالى . فمن اخذ بها فحسنٌ ، ومن احب ان يصوم فلا جُنَاحَ عليه) « رواه البخارى ومسلم » .

اللغـــة :

١ - أجد بى قوة : أى أعلم من نفسى قدرة .

٢ - جُنَاحَ : أى إثم وميل أو : حرج .

٣ - هى رخصة : تخفيف وتسهيل ومنحة من الله تعالى .

(١) شهر الصيام جامع لابناء الامة :
تتوالى الايام ، وتختلف الأوضاع والاحوال وشهر رمضان كما أراده الله لأمة الإسلام ، شهر الخير والبـركة ، عطـاؤه لا ينقطع ، وفيـوضاتـه لا تنحصر .

هـو شهر الـذكر والعبـادة ، والتعبئـة والمجاهدة .

هو الموسم السنوى الجامع لأمة الإسلام ، على الطهر والنقاء والحب والوفاء ، والعامل القوى لتمحيص الإيمان ، والباعث على امتحان النفس ورياضتها على الحرمان ، كى تقوى عند الحاجة على الظروف الصعبة ، وتتمكن عند الضرورة على ضواغط العسر ، وتصبر على الأزمات ، وتنتصر على جواذب الإغراء ، فلا تتخاذل ، ولا تذل ولا تهون .

إن فريضة الصيام غير منظور فيها إلى الغنى والفقير ، بل إلى محض الإيمان والقدرة على مشاق التكليف ، يستوى فى ذلك الموسر يمسك عن الطعام والشراب طاعة وتقوى ، والفقير المعسر يجوع ويعطش قياماً لفريضة الصوم .

ويستويان أيضاً فى رخص الإفطار الشرعية ، فكلاهما يرخص له فى الفطر إذا كان مريضاً أو على سفر ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ - سورة البقرة آية رقم ١٨٤ - .

وهما فى الأجر والجزاء سواء لمن اخلص منهما فى الصوم ، ففى الحديث القدسى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انه قال : (قال الله عز وجل - كل عمل ابن آدم له الا الصيام فإنه لى وانا أجزى به) .

- متفق عليه - واللفظ من صحيح مسلم - .

وفى الحديث فى رواية الصحيحين :

(يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى . الصيام لى وأنا اجزى به ، والحسنة بعشر أمثالها) .

(٢) الصوم فرض على المقيم :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ - سورة البقرة آية رقم ١٨٣ - .

للأستاذ محمد صابر البرديسي

بين الله للمسلمين فى هذه الآية أن تشريع الصوم ليس جديداً فى الشريعة الخاتمة ، وإنما هو تشريع قديم ، شرع للأمم السابقة أيضا ولا شك أن هذا تستريح له النفوس ، ويدعو إلى القبول والطاعة وعدم الشعور بالحرج ، لأنهم ليسوا بمنفردين بما يطالبون به من صيام .

وقد أجمعت الأمة على وجوب صوم شهر رمضان ولم يخالف فيه أحد من المسلمين ، فمنكر فريضة الصيام كافر يعاقب بأحكام الإسلام .

والفطر رخصة للمسافر لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الحديث الذى بدأنا به ، حينما سأل حمزة بن عمر الأسلمى رسول الله فقال له : إنى أجد بى قوة على الصيام فى السفر ، فهل على جناح فقال : (هى رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه) .

فقول حمزة هل علىّ جناح ، كأنه فهم أن الإفطار فى السفر عزيمة فأجابه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن الإفطار فى السفر رخصة ومنحة من الله تعالى ، والرخصة إنما تكون فى الفرض ، فحمزة رضى الله عنه كان يسأل عن صوم رمضان فى السفر فقال له « هى رخصة » أى أن الإفطار فى رمضان رخصة ، لا تسقط الفرض فمن أخذ بها ، فَحَسنٌ ، ومن تركها ولم يأخذ بها وأحب أن يصوم فلا جناح عليه ، ولم يقل فحسن لأن السائل قال : فهل علىّ جناح ، فأراد أن يطابق الجواب سؤاله .

والسفر الذى يباح فيه الفطر هو السفر الذى يباح فيه القصر للصلاة .

واعتمد العلماء المسافة التى يباح للمسافر فيها الإفطار مسيرة يوم وليلة بِسَيْرٍ متوسط وهو سير الإبل ، وسير الأقدام ، وتقدر هذه المسافة بنحو ٨٦,٥ « ست وثمانين كيلو مترا ونصفاً » ، فمن قطع هذه المسافة فى يوم وليلة أو ساعة كان له أن يفطر ثم يقضى حين يتيسر له القضاء ، قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ سورة البقرة ١٨٤ . وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ سورة البقرة ١٨٥ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل حمزةَ بن عمر الأسلمى ــ رضى الله عنه ــ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الصوم فى السفر (وكان كثير الصيام) فقال : « إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر » ـ أخرجه مالك والشيخان ـ .

من هذه الأحاديث وأحاديث غيرها وردت فى هذا الشأن يستفاد منها أنه كان هناك مراعاة لحالات واقعية تقتضى أحكاما شرعية .

فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يُرَبِّى ، وكان يواجه حالات حية بروح رحيمة ، وتوجيه حكيم ، ورغبة صادقة فى تنفيذ ما يأمره به الله بياناً لشريعته .

وما ذكر هنا من أحاديث فى أمر الصوم فى السفر هو استحباب الفطر دون تقيد بحصول المشقة بالفعل ، فمن سافر مسافة القصر للصلاة استحب له أن يفطر ، والله يحب أن تُؤْتَى رُخَصُهُ كما يحب أن تؤتى عزائمه . وعليه قضاء كل يوم يفطر فيه بعد رمضان .

←

الصوم في السفر

والله سبحانه وتعالى يقول :
﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

فظاهر الآية جواز الإفطار فى المرض والسفر بإطلاق ولم تحدد ، فأى مرض وأى سفر يسوغ الفطر ، على أن يقضى المريض حين يصح والمسافر حين يقيم يوماً بيوم ، فى المرض والسفر من غير موالاة فى أيام القضاء على الرأى الراجح .

وهذا هو الأَوْلَى فى فهم النص القرآنى المطلق والأقرب إلى المفهوم الإسلامى فى رفع الحرج ومنع الضرر ، ونحن لا ندرى حكمة الله كلها فى تعليقه بمطلق المرض ومطلق السفر ، فقد تكون هناك اعتبارات أخرى يعلمها الله ويجهلها البشر فى المرض والسفر .

وبعض الفقهاء يتشددون ولا يرخصون الإفطار فى السفر .

إن الدين لا يقود الناس بالسلاسل إلى الطاعات وإنما يقودهم بالتقوى التى هى الغاية من الصيام كما قال تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ سورة البقرة آية رقم ١٨٣ .

ومن هنا أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يأخذ المسلمون برخص الله التى رخصها لهم .

وهذه بعض الأحاديث النبوية التى رُوِيَتْ فى حالات من حالات السفر وهى تصور ما كان عليه السلف الصالح من الأخذ بالرخصة فى السفر .

عن عمرو بن أمية الضمرى — رضى الله عنه — قال : قدمت على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من سفر فقال : (انتظر الغداء يا أبا أمية ، قلت : يا رسول الله إنى صائم ، قال : إذاً أُخْبِرُكَ عن المسافر ، إن الله تعالى وضع عنه الصيام ونصف الصلاة) أخرجه النسائى .

وعن عبيد بن جبير قال :
كنت مع أبى بصرة الغفارى ـ رضى الله عنه ـ صاحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى سفينة من الفسطاط فى رمضان . فدفع فَقَرَّبَ غداءه ، فقال : اقترب ، قلتُ : ألستَ ترى البيوت ؟ قال : أترغب عن سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟ فأكل وأكلت .. — أخرجه أبو داود .

فهذه الأحاديث فى جملتها تشير إلى تَقَبُّلِ رخصة الإفطار فى السفر فى سماحة ويسر وترجح الأخذ بها ، ولا تشترط وقوع المشقة للأخذ بها كما تشير إلى ذلك بعض الأحاديث القليلة التى كانت من خصوصيات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى العبادة ويعفى منها أصحابه .

وثبت فى بعض الأحاديث أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ افطر فى السفر وقال — عن الذين لم يفطروا : (أولئك العصاة) وهذا الحديث متأخر فى سنة الفتح ، وهو أحدث من الأحاديث الأخرى وأكثر دلالة على الاتجاه المختار .

(٣) فضل الإفطار فى رمضان للمسافر إذا اشتد عليه السفر أو لزم منه نفع :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال :

سافرنا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى مكة ونحن صيام قال : فنزلنا منزلاً ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم) .

فكانت رخصة ، ثم قال ، فمنا من صام ، ومنا من أفطر ثم نزلنا منزلاً آخر فقال ــ صلى الله عليه وسلم :

(إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا) .

ـ فكانت عزمة ، فأفطرنا ـ ثم قال أبو سعيد لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد ذلك فى السفر .

(أخرجه الإمام مسلم) .

كانت مقالة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إنكم دنوتم .... » [الحديث] ، كانت هذه رخصة مبيحة للفطر ، فلذلك أفطر بعضهم وصام آخرون ، ولم يعب على واحد منهم .

وكانت مقالة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « إنكم مصبحو عدوكم » [الحديث] عزمة وأمراً واجباً ، والمعنى : إنكم ستلقون عدوكم غداً أول النهار فيجب الاستعداد للقاء العدو ، وجمع القوة له .

والفطر أجمع لقوتكم فأفطروا ، وكان الامر بالفطر أمراً حتما لازما لارخصة فيه ، فأفطروا .

وعزيمة الإفطار ووجوبه فى هذا السفر ، إنما كان للقاء العدو ، وجمع القوة له ، والصوم يؤدى إلى ضياع واجب الجهاد ، وهو متعين الوقت بلقاء العدو ، بخلاف الصوم فيتدارك بالقضاء .

وبعد ذلك كانوا يسافرون مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويصومون معه لعدم وجود ما يقتضى لزوم الفطر .

وهذا يدل على وجوب ترك الصوم فى رمضان إذا كان الصوم يُحْدِثُ ضرراً أو يُفَوِّتُ أمراً واجباً ، ويؤكد ذلك ما روى عن جابر بن عبد الله ــ رضى الله تعالى عنهما ــ قال : خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى مكة عام الفتح فى رمضان فصام حتى بلغ « كراع الغميم » فصام فبلغه أن الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدح من الماء بعد العصر فشرب ، والناس ينظرون ، فأفطر بعض الناس ، وصام بعض ، فبلغه أن ناسا صاموا فقال : « أولئك العصاة » . ـ أخرجه مسلم والنسائى ـ ..

(وكراع الغميم) على سبع مراحل من المدينه تقريبا ، أى ما يقارب ٣١٥ « ثلاثمائة وخمسة عشر كيلو مترا » .

وحين علم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن الناس شق عليهم الصيام شرب والناس ينظرون ، وذلك لِيُبْعِدَ عنهم الشك فى جواز الإفطار للمسافر سيما بعد العصر ، وقد مضى معظم النهار ، ولكن بعض الناس استمروا فى صيامهم فلما بلغ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فعلهم قال عنهم : « أولئك العصاة » وإنما سماهم عصاة ، لأنه رأى أن الصوم قد شق عليهم ، وقد حصل لهم منه ضرر شديد ، ورأوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يفطر فلم يمتثلوا أمره ، وكأنهم أبوا الرخصة ، والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : ــ عليكم برخصة الله التى رخص لكم فاقبلوها ــ رواه مسلم عن جابر بن عبد الله.

وكل من يحصل له بالصوم ضرر شديد ، يجب عليه الإفطار وخاصة إذا كان يفوِّت عليه واجباً كالاستعداد للجهاد ، ويكون الصوم حينئذ محرماً ، أما فى غير هذه المواضع فيكون الإفطار مستحباً فيما جازت فيه الرخصة ، فالله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه .

فعلينا أن نمتثل أوامر الله ونعمل بسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأن نلتزم بتعاليم الإسلام . والله الموفق ..

الخير في الصيام

لأسباب علمية وطبية

قال تعالى : ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ﴾ سورة البقرة (١٨٥) .

الصوم امتناع بالاختيار .. وتنفيذ لأمر الله العزيز الجبار .. يرينا كم تهون الدنيا وهى حلال على قلب المؤمن الممتثل لأمر الله .. فها هى ملك يمينه يجوز نعمها طول يومه .. ولكنه بأمر الله وحكمه .. لا يستطيع الاستفادة منها بطعام أو شراب أو ممارسة لشهوة حلال

وفي الحق أن الصوم قد كتب علينا لعلة وأسباب .

أما العلة : فهى تقوى الله جلت قدرته .

وأما أسبابه : فهى الحاجة إليه كى تتوازن دوافعنا وقوانا النفسية والجسمية .. ونتخلص من شوائب أعمالنا حتى ما كان منها من حلال لا يتطرق إليه شبهة من حرام .

فإذا جعل الله للحياة قانونا هو « أنه لا طاقة بدون طعام » ـ فإن الإنسان يخضع بالضرورة لهذا القانون ـ فإذا أراد الحصول على طاقة كافية لاستمرار حياته ونموه وتكاثره فلابد له من تناول الغذاء ، ثم إن الطعام يتحول إلى مواد أولية بالهضم ، ومن ثم تحترق هذه المواد بصورة تفاعلية داخل خلايا جسده .. وتمده بالطاقة والمواد الأولية اللازمة لبناء جسده وباقى عملياته الحيوية .. ولا يصلح للإنسان أن نضعه فوق موقد بحجة أننا نمده بالطاقة اللازمة لحياته ، أو أن نحاول معه أية طريقة للإمداد بالطاقة مهما كانت فليس إلا الطعام هو اللازم لتكوين الجسد للإنسان نفسه ..فهذا ما يصلحه .. وهذا ما شاء الله أن يكون .. وبدونه يموت الإنسان ويستحيل عليه العيش بالصورة التى نعرفها .

وهذه العملية الحيوية من أخذ الطعام وهضمه وحرقه واستخدامه لبناء الجسد مثلها مثل أية عملية حيوية أخرى تتم على ظهر الأرض لها من النتائج الثانوية والجانبية ما يجب على الإنسان أن يتخلص منها ، ولست أقصد بها النفايات التى يتخلص منها الإنسان بسهولة .. بل إن العمليات الحيوية داخل الخلية نفسها لها منتجات ثانوية فى صور شتى لابد من التخلص منها أولا بأول :

منها ما هو قابل للتراكم فى الجسد .

ومنها ما هو مهلك لوقته .

* الموسوعة العلمية [وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه] .
د . أحمد زكى . الكويت (مجموعة مقالات) .

دراسة : د . أحمد عبد المؤمن بركات

ومنها ما هو ضار على المدى البعيد .

وقد جعل الله تعالت عزته وقدته ـ لكل حالة من هذه الحالات من خصائص أجسادنا ما يقابلها بالإصلاح والتقويم :

فما هو ضار لوقته مثل الأحماض الامينية والدهنية والمواد العضوية المعدنية والفسفورية جعل الله للجسم امكانيات تحويلها إلى مواد نافعة للجسم يستغلها لإمدادات الطاقة داخل الخلية أو لإنتاج (بطاريات) الشحن التى تختزل هذه الطاقات المنتجة إلى حين استخدامها فى عمليات (الأيض) الغذائية .. أو تحويلها إلى مواد قابلة للتخزين فى صورة من الصور ..

ولقد اكتشف العلماء أن كل هذه العمليات وغيرها ذات كفاءة وإن بدت كبيرة إلا أنها محددة بحدود .. فالخمائر والجسيمات (الخلوية) تصاب بالإجهاد إذا زادت المواد المطلوب التعامل معها عن الحدود المعقولة ، فعلى سبيل المثال : إذا طلب من البنكرياس أن يفرز (هورمون الانسولين) اللازم لحرق مائة جرام سكر نتجت على مدى يوم كامل من طعام متناول أو (جليكوجين) كبدى أو عضلى تم تحليله واستدعاؤه من داخل الجسم أو من اى مصدر .. فإنه يستطيع أن يقوم بذلك الأمر بكفاءة مدهشة .

أما أن يتناول الإنسان هذه المائة جرام من السكر دفعة واحدة معتمدا على كفاءة (البنكرياس) فإن ذلك يعتبر طبيا ضربا من الجنون .

ولكن من يهتم !!

أن الناس يتناولون طعامهم وكأنهم يلقونه فى آبار لا قرار لها .. ناسين أن الله سبحانه وتعالى جعل من قوانين الحياة : أن يكون كل شىء بمقدار .. إنه لا شك أن الإنسان إذا تعامل مع السكريات فى الحدود الأولى فإن صلاح أحوالها يستمر .. أما إذا تجاوز الأمر حدود الاحتمال ..

فإن حال الجسد يؤول إلى مرض وفساد فيعانى الإنسان من مشقات لم يكن يحلم بها .. لذا جاء الصوم لاختبار قدرات الإنسان وإصلاح ما يفسد بداخله من التراكم الذى لا يعرف الإنسان الأضرار التى تنتج عنه إلا بالوقوع فيه .. وكم من مريض جاء إلى طبيب يشكو له أنه تناول طعاما دسما ذات يوم وبعده مباشرة أصيب بمرض البول السكرى .. أو حتى الذبحة الصدرية .. ناسيا أو متناسيا أن هذه كانت القشة التى قصمت ظهر البعير ..

إن الحياة فى صورها المتعددة وقوانينها المتناسبة مع قدرات الكائن الحى جعلها الله ذات قدرات محدودة .. ولكنها فى نفس الوقت لا تفسد بسهولة ، بل إنها ـ بما أعطاها الله من قوانين وقدرات ـ تكافح .. وتستبسل فى كفاحها ضد الغزوات الجرثومية .. والأمراض مختلفة النوع والمصدر بطريقة تدعو إلى الإعجاب .. حتى إن علماء الغرب فى بداية اكتشافاتهم العلمية جعلوا لهذا الكفاح المشرف لجسد الإنسان ضد الأمراض مدارس وجامعات متخصصة وعلماء أسموه (علم المناعة والحصانة ضد الأمراض) ويكفينا أن نذكر مثالين لهذا الاستبسال الدفاعى فى جسم الإنسان .

أولهما : أن مدة الحضانة فى الأمراض

الخير في الصيام

الجرثومية مثل (الدفتريا) و (التيفود) وغيرهما .. ما هي في الحقيقة إلا المدة بين دخول العدوى .. وظهور الأعراض .. وهذه المدة تستمر في الواقع ما بين أسبوع إلى ثلاثة أسابيع حسب القدرة المناعية للجسم .

وثانيهما : انه ما من مرض غير جرثومي مثل (السكر) أو (الروماتويد) أو حتى (السرطان) يظهر في الجسم هكذا فجأة .. أبدا .. إنه يبدأ في الظهور تدريجيا .. ويأخذ مدة طويلة قد تعد بالسنين حتى يأخذ شكل المرض ويشعر به المريض .. وهذه المدة طالت أم قصرت تسمى بالتمهيد أو الكمون Lalentberiod وفي هذه المدة تحدث بين الجسم وأسباب المرض مقاومة عنيفة .. اكتشف العلماء ـ ولدهشتهم ـ أن الصوم الذي نعرفه نحن المسلمين هو أنجح الأنظمة في القضاء على مسببات الأمراض : حميدها وخبيثها على سواء ..

إن الإنسان مهما صام فإنه لن يستطيع أن يصوم مثل الدب القطبي أو حتى الأرنب الذي يعيش في الأصقاع الشمالية الباردة .. فهذه الحيوانات أعطاها الله القدرة على الامتناع عن الطعام والدخول في سبات عميق طوال مدة الشتاء القطبي الذي يستمر طيلة ستة أشهر كاملة .. ولقد وجد العلماء من أمر هذه الحيوانات التي تدخل في البيات الشتوي أمورا عجيبة ، فإن دقات قلبها تستطيع أن تتباطأ إلى حدود غير مسبوقة تبعا لتغير البيئة من حول الحيوان النائم فهي في بعض أوقات السُّبَاتِ تصل إلى دقة واحدة كل سبع دقائق بالنسبة للضفدعة المختبئة داخل الطين ، في حين تصل إلى دقة كل أربع دقائق بالنسبة للدب القطبي الذي يحتضن الثلج في نومه فلا تنخفض درجة حرارة جلده عن الصفر المئوي .. وهي درجة حرارة عالية نسبيا لهذه الأجواء المتطرفة في برودتها والتي تصل فيها درجة الحرارة إلى سبعين درجة تحت الصفر أو ما هو أدنى .. وفي هذه الدرجات المتدنية يكون للجليد صلابة الماس ـ يفري الجلود ويفتك بالحياة ويهشم العظام .. ولكن الحق ـ جلت قدرته ـ جعل الصوم والسبات لهذه الكائنات غريزة ووسيلة للبقاء .. يصل فيها الحيوان إلى معدلات لو تعرض إليها الإنسان لمات من فوره ..

إذاً فلابد للإنسان من لحظات يحاسب فيها الجسد طبقا لقوانين حياته .. ووقت الحساب هذا لازم لحياته .. ويعلم الله أنه كذلك لازم لاصلاح أحوال الإنسان وعلاج أمراضه .

أليس الله هو الذي خلق الإنسان وكونه .. يعلم ما يضره وما ينفعه يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ . سورة الانفطار ٦ ـ ٨ .

لذا جاء الصيام هديا من الحق سبحانه وتعالى بقوانين وأسباب تصلح من أمورنا ما فسد .. ومن أمراضنا ما تراكم واتحد ..

تصويب

في عدد شعبان ١٤٠٩ ص ٨٨٦ ذكرت الآية الكريمة رقم (٤٥) من سورة (الزخرف) وهي قوله تعالى : « وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا اجعلنا من دون الرحمن ءالهة يُعْبَدُونَ » هكذا : « وَسْئَلْ من ارسلنا قَبْلَكَ ... » فلتصحح .

وفي نفس العدد ص ٨٨٢ ، وفي وسط النهر الأيمن انعكس ترتيب سطرين فجاءت كلمة الزاوية الثانية بعد « طردهم من الوظيفة ... الخ » والعكس هو الصحيح .

ثبوت رؤية الهلال

يوجب العمل بلا معارضة

لسماحة الشيخ
عبد العزيز بن باز
مفتي المملكة السعودية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فقد اطلعت على ما نشرته صحيفة «الرياض» في عددها ٦٨٨٥ في ١٤٠٧/٩/٣ هـ بقلم الدكتور احمد بن عبد العزيز اللهيب - عفى الله عنا وعنه - من جزمه باستحالة أن يكون يوم الاثنين اول يوم من شعبان بناء على ما وقع في ليلته من الكسوف، وبناء على ما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم - رحمة الله عليهما -، وجزمه بان يوم الاثنين هو تمام الثلاثين لشهر رجب وان يوم الثلاثاء هو اول يوم من شعبان بشكل قطعي، وعليه يستحيل - ما ذكره أن يكون يوم الثلاثاء هو أول يوم من رمضان.

وبناء على ذلك رأيت أن اوضح للقراء ما في هذا الكلام من الخطر العظيم والجرأة على دين الله ورسوله، ونبذ ما صحت به السنة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وراء الظهر، وتقديم أقوال الحسابين على ما دل عليه كتاب الله - عز وجل -، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - من تعليق إثبات دخول الشهر وخروجه برؤية الهلال أو إكمال العدة.

وحكمه - صلى الله عليه وسلم - يعم زمانه وما بعده إلى يوم القيامة لأن الله - عز وجل - بعثه إلى العالمين بشريعة كاملة لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه كما قال الله سبحانه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.

وهو سبحانه يعلم ما يقع من الكسوف في كل

←

● أرسل سماحة المفتي بهذا البيان للنشر في مجلة الأزهر.

ثبوت رؤية الهلال

زمن ولم يخبر عباده بما يجب عليهم اعتباره وقت الكسوف من جهة إثبات الأهلة مع انه سبحانه أخبرهم على لسان رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يشرع لهم وقت الكسوف من صلاة وغيرها .

أما قول الفلكيين : إن كسوف الشمس لا يكون إلا فى آخر الشهر فى ليالى استسرار القمر ، فليس عليه دليل يعتمد عليه ويسوغ من أجله أن تخالف الأحاديث الثابتة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو أيده شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم ـ عفى الله عنهما ـ ، فإنهما ليسا معصومين ويجوز عليهما الخطأ فى بعض أقوالهما ، كما يجوز على غيرهما من أهل العلم .

وقد أمر الله عباده عند التنازع أن يردوا ما تنازعوا فيه إلى كتابه وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأن يردوا ما اختلفوا فيه إلى حكمه وحكم رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية ..

وقال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

وقد صرح جمع من أهل العلم بأن كسوف الشمس يمكن وقوعه فى غير آخر الشهر وهكذا خسوف القمر يمكن وقوعه فى غير ليالى الإبدار والله سبحانه على كل شىء قدير .

وكون العادة الغالبة وقوع كسوف الشمس فى آخر الشهر لا يمنع وقوعه فى غيره .

وقد صحت الأحاديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوجوب اعتماد الرؤية فى إثبات الأهلة أو إكمال العدد وهى أحاديث مشهورة مستفيضة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الصحيحين وغيرهما ، وحكمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يختص بزمانه فقط بل يعم زمانه وما يأتى بعده إلى يوم القيامة لأنه رسول الله إلى الجميع .

والله سبحانه أرسله إلى الناس كافة وأمره أن يبلغهم ما شرعه لهم فى إثبات هلال رمضان وغيره وهو العالم بغيب السموات والأرض والعالم بما سيحدث بعد زمانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المراصد وغيرها ويعلم سبحانه ما يقع من الكسوفات .

ولم يثبت عن رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قيد العمل بالرؤية بموافقة مرصد أو عدم وجود كسوف وهو سبحانه وتعالى لا يعزب عن علمه شىء فى الأرض ولا فى السماء لا فيما سبق من الزمان ولا فيما يأتى إلى يوم القيامة .

وقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب : الشهر هكذا وهكذا وهكذا وخنس إبهامه فى الثالثة ، والشهر هكذا وهكذا وهكذا وأشار بأصابعه العشر) .

يرشد بذلك أمته ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى أن الشهر تارة يكون تسعاً وعشرين وتارة يكون ثلاثين وصح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة) .

ولم يأمر بالرجوع إلى الحساب ولم يأذن فى إثبات الشهور بذلك .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى رسالة صنفها فى هذه المسألة كما فى المجلد ٢٥ من « الفتاوى » صفحة ١٣٢ إجماع العلماء وأنه لا يجوز العمل بالحساب فى إثبات الأهلة وهو ـ رحمه الله ـ من أعلم الناس بمسائل الإجماع والخلاف .

والأحاديث الصحيحة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلها تدل على ما دل عليه الإجماع المذكور .

ولست أقصد من هذا منع الاستعانة بالمراصد والنظارات على رؤية الهلال ، ولكنى أقصد منع الاعتماد عليها أو جعلها معياراً للرؤية لا تثبت إلا إذا شهدت لها المراصد بالصحة أو بأن الهلال قد ولد ، فهذا كله باطل ، ولا يخفى على كل من له معرفة بأحوال الحاسبين من أهل الفلك ما يقع بينهم من الاختلاف فى كثير من الأحيان فى إثبات ولادة الهلال أو عدمها وفى إمكان رؤيته أو عدمها .

ولو فرضنا إجماعهم فى وقت من الأوقات على ولادته أو عدم ولادته لم يكن إجماعهم حجة لأنهم ليسوا معصومين بل يجوز عليهم الخطأ جميعاً .

وإنما الإجماع المعصوم الذى يحتج به هو إجماع سلف الأمة فى المسائل الشرعية لأنهم إذا أجمعوا دخلت فيهم الطائفة المنصورة التى شهد لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنها لا تزال على الحق إلى يوم القيامة .

وأما الاحتجاج بالكسوف فمن أضعف الحجج لأنه لا يوجد نص من كتاب الله ـ عز وجل ـ ولا من سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدل على أن الخسوف للقمر لا يقع إلا فى ليالى الإبدار وأن الكسوف للشمس لا يكون إلا أيام الاستسرار كما يقوله بعض العلماء .

بل قد صرح جمع من أهل العلم بأنه يجوز أن يقع فى كل وقت كما تقدم ، وذكر غير واحد منهم أنه يمكن وقوعه فى يوم عيد الفطر وعيد النحر ، وهذان اليومان ليسا من أيام الإبدار ولا من أيام الاستسرار فنقابل قول من قال : إنه لا يقع الخسوف إلا فى ليالى الإبدار ولا كسوف الشمس إلا فى أيام الاستسرار .

بقول من قال : إنه يمكن وقوع ذلك فى كل وقت وليس قول أحدهما بأولى من الآخر ، وتسلم لنا الأدلة الشرعية ليس لها معارض ؛ وليس فى شرع الله سبحانه ولا فى قدرته فيما نعلم ما يمنع وقوع الخسوف والكسوف فى كل وقت لأن الله ـ عز وجل ـ له القدرة الكاملة على كل شىء وله الحكمة البالغة فى جميع ما يقدره ويشرعه لعباده .

وقد أخبر نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن كسوف الشمس وخسوف القمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده ، والعباد فى أشد الحاجة إلى التخويف والإنذار من أسباب العذاب فى كل وقت .

وهذا المعنى نفسه من الأدلة الدالة على صحة قول من قال من العلماء بجواز وقوع الخسوف والكسوف فى جميع الأوقات والرؤية لهلال رمضان هذا العام أعنى عام ١٤٠٧ هـ ليلة الثلاثاء قد ثبتت لدى مجلس القضاء الأعلى فى « المملكة العربية السعودية » بهيئته الدائمة فهى رؤية شرعية يجب الاعتماد عليها لموافقتها للأدلة الشرعية وبطلان ما يعارضها وبموجبها يكون يوم الثلاثاء أول يوم من رمضان للأحاديث السابقة

ثبوت رؤية الهلال

ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم : (الصوم يوم تصومون والفطر يوم تفطرون والأضحى يوم تضحون) أخرجه الترمذى وغيره بإسناد حسن .

ولو فرضنا أن المسلمين أخطأوا فى إثبات الهلال دخولاً أو خروجاً وهم معتمدون فى إثباته على ما صحت به سنة نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن عليهم فى ذلك بأس بل كانوا مأجورين ومشكورين من أجل اعتمادهم على ما شرعه الله لهم وصحت به الأخبار عن نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ولو تركوا ذلك من أجل قول الحاسبين أو من أجل وقوع الكسوفات مع قيام البينة الشرعية برؤية الهلال دخولاً وخروجاً لكانوا آثمين وعلى خطر عظيم من عقوبة الله ـ عز وجل ـ لمخالفتهم ما رسمه لهم نبيهم وإمامهم محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلك العقوبة التى حذر الله منها فى قوله عز وجل :

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وفى قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يدخله نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

وأرجو أن يكون فيما ذكرته مقنع لطالب الحق وكشف للشبهة التى ذكرها الدكتور أحمد بن عبد العزيز اللهيب وغيره ممن يعتمد على أقوال الحاسبين .

والله سبحانه المسئول أن يوفقنا والدكتور أحمد وجميع المسلمين لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد والتمسك بشرع الله المطهر ، وأن يعيذنا وجميع المسلمين من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن القول على الله سبحانه وعلى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بغير علم إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم على رسوله نبينا محمد وآله وصحبه ومن عظم سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

حرر فى ١٤٠٧/٩/٧ هـ

دراسات في بدر

بدر وفداء الأسرى

د. محمود محمد رسلان

قال العليم الخبير:

﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم . وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ﴾ « ٧٠ ، ٧١ الأنفال » .

هاتان الآيتان الكريمتان من تمام الحديث فى أسرى بدر ..

روى أبو الشيخ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهم : « أن العباس وأصحابه ، [وكانوا من أسرى بدر] قالوا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : آمنا بما جئت به ، ونشهد أنك رسول الله » ، فنزل قوله ـ تعالى :

﴿ إِن يَعلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً ﴾ : أى إيماناً وتصديقاً وإخلاصاً ..

فإذا كانت قلوبكم ـ فعلاً ـ عمرت بالإيمان ، أولديكم استعداد لاظهاره فى إبانه ، أو كما يدعى بعضكم بلسانه ـ والله أعلم بما فى قلوبكم ، فإن الله يعطيكم ـ إذ تسلمون ـ وتشاركون إخوانكم فى جهادهم ـ خيراً كثيراً مما أديتم فداء أسركم .

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ما كنتم عليه من الشرك ، وما ترتب عليه من السيئات .

قال سيدنا العباس ـ رضى الله عنه ـ:

« ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا ، وأن لى ما فى الدنيا من شىء ، فلقد أعطانى الله خيراً مما أخذ منى مائة ضعف ، وأرجو أن يكون الله غفر لى » .

وقد أخذ العباس هذا من قوله تعالى : ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

فالخير حاصل لا محالة :

إما بأن يخلفهم فى الدنيا خيراً منه ، أو يثيبهم فى الآخرة ، أو هما معاً .

فهؤلاء القوم قد أخذوا أسرى ، وكانوا مشركين ، قد جاءوا لمحاربة المؤمنين ، فأحل الله

←

بدر وفداء الأسرى

ـ جل جلاله ـ للمؤمنين أن يـأخذوا من « أموالهم » فدية مقابل حريتهم ، ثم بشر الله ـ عز وجل ـ هؤلاء الأسرى بالخير إن آمنوا .

ويعنى ذلك أن من يأخذ أموال المؤمنين بغير حق فقد تعرض لنكال الله العادل وسعى إلى الخزى والاثم بيده ، والبشارة للمؤمنين ـ حينئذ أولى إن يعلم الله فى قلوبهم خيراً .

قال العباس ـ كما روت كتب السير ـ بصدد مشاركته كفار قريش فى الحرب :

كنت مسلماً لكنهم استكرهونى !

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إن يكن ما تذكره حقاً فالله يجزيك بذلك ، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، فافد نفسك » .

قال العباس ـ رضى الله عنه ـ : فأعطانى الله خيراً مما أخذ منى كما قال :عشرين عبداً كلهم يضرب بمال كبير مكان العشرين أوقية وأنا أرجو المغفرة من ربى [1].

وروى الطبرانى ـ فى الأوسط ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال العباس : فىَّ ـ والله ـ أنزلت حين أخبرت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإسلامى ، فسألته أن يحاسبنى بالعشرين أوقية التى وجدت معى ، فأعطانى عشرين عبدا كلهم تاجر بمالى فى يده مع ما أرجو من مغفرة ربى » .

وحتى نحيط بإسلام العباس ـ رضى الله عنه ـ نخصه بالكلمة التالية :

إسلام العباس : كانت الآية الكريمة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ . . ﴾ الخ سبباً فى إسلام العباس بن عبدالمطلب ، وعقيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحرث ، وكان العباس أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب خرج بها معه إلى بدر ليطعم بها الناس ، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام أهل بدر ، ولم يكن بلغته النَّوْبَةُ ، اى الدور فى الإطعام حتى أُسِر فأخذت معه ، واخذها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منه ، وقال : فكلمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يجعل لى العشرين الأوقية الذهب التى اخذها منى من فدائى فأبى علىّ ، وقال : اما شىء خرجت تستعين به علينا فلا ، وكفلنى فداء ابن أخى عقيل بن أبى طالب عشرين أوقية من فضة ، فقلت له : تركتنى والله أسأل قريشاً بكفى والناس ما بقيت ، قال : فأين الذهب الذى دفعته إلى أم الفضل مخرجك إلى بدر ، وقلت لها : إن حدث بى حدث فى وجهى هذا فهولك ، ولعبد الله ، والفضل ، وقُثَم ؟ قال : وما يدريك ؟ قال : اخبرنى الله بذلك ، قال : أشهد انك لصادق ، وأنى قد دفعت إليها ذهباً ، ولم يطلع عليه احد إلا الله ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله .

إنه ليس من شك فى أن القلوب الخاشعة التى تقنت لربها فى إخبات يستجيب ـ عز وجل ـ لها ، وهو ـ سبحانه ـ الرزاق ذو القوة المتين ، وهو ـ سبحانه القائل : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ النحل ٩٦ .

ولقد اقام العباس ـ رضى الله تعالى عنه ـ على خير فصدقت فيه الآية : ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ .

●● ●● ●●

وقوله ـ سبحانه : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ

(١) أسباب النزول للواحدى ، وتفسير القرطبى .

خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

والآية الكريمة تعنى : إن يُرِد هؤلاء القوم خيانتك بما يظهر بعضهم من الميل إلى الإسلام ، أو الرغبة عن قتال المسلمين من بعد ، وهذا مما أعتيد من البشر فى مثل تلك الحال فلا تخف ما عسى أن يكون من خيانتهم وعودتهم إلى القتال ، فقد خانوا الله ـ عز وجل ـ من قبل باتخاذ الانداد والشركاء من دون الله ، وبغير ذلك من ألوان الكفر بنعمه ـ تعالى ـ ثم برسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فامكن منهم فنصركم عليهم وأوقعهم أسرى بين يديك وأيدى المؤمنين والله عليم بفعله ، حكيم فيه .

وفى الآية توجيه للمؤمنين بترغيب الأسرى فى الإيمان وانذارهم بما فى خيانتهم إذا ثبتوا على الكفر والطغيان وعادوا إلى البغى والعدوان ، كذلك تحمل بشارة للمؤمنين باستمرار النصر وحسن العاقبة فى كل قتال يقع بينهم وبين المشركين[٢] مادام المسلمون يأخذون بأسباب النصر المادية والمعنوية والعلمية ، وهو سبحانه قادر على تعويضهم عن كل خسارة .

كما يؤخذ من التفسير بالمأثور الذى ورد من سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مسألة فداء الأسرى ماوراه البخارى فى مواضع من صحيحه عن أنس أن رجالاً من الانصار استاذنوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ترك فداء عمه العباس رضى الله عنه ، وكان فى أسرى المشركين يوم بدر ، فقالوا : ائذن لنا فلنترك لابن اختنا العباس فداءه ؟ فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « والله لا تذرون درهماً » .

وقد عنوا بقولهم : (ابن اختنا العباس) : جدته أم عبدالمطلب فهى أنصارية ، من بنى النجار لا أم العباس نفسه ؛ فإنها ليست من الانصار ، وإنما وصفوه بكونه ابن اختهم ولم يصفوه بكونه (عمه صلى الله عليه وسلم) ؛ لئلا يكون فى هذا الوصف رائحة منه على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يأذن لهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى محاباته لأنه عمه ، بل ساوى بينه وبين سائر الأسرى ، بل ورد أنه أخذ منه أكثر مما أخذ من غيره ، وأنه أمره بفداء ابنى أخويه : عقيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحارث لغناه . وفقرهما .[٣]

وروى الإمام أبو داود فى سننه بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة ، وقد استمر الحكم فى الأسرى عند جمهور العلماء عَلَى أن الإمام مخير فيهم إن شاء قتل كما فعل ببنى قريظة .

وإن شاء فادى بمال كما فعل بأسرى بدر ، أو بمن أسر من المسلمين كما فعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تلك الجارية وابنها اللتين كانتا فى سبى سلمة بن الاكوع حيث ردهما ، وأخذ مقابلهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين .

وإن شاء استرق من أسر .[٤]

والله تعالى أعلم ..

د . محمود محمد رسلان

---

(٢) راجع تفسير المنار : ١٠ / ٩٠ .

(٣) تفسير المنار : سورة الأنفال ، وتفسير القرطبى نفس السورة آية : ٧٠ .

(٤) انظر المرجع السابق .

دروس فى إدارة الصـراع

من غزوة بدر الكبرى

● يقول مونتجمرى[1] : « إن القيمة الحقيقية للحرب الطويلة فى الماضى هى الخروج بالحقائق واستخلاص العبر والدروس المفيدة ، وهناك قدر كبير من الخبرة العظيمة والتجارب الكثيرة مدفونة تحت انقاض الماضى السحيق والعصور المتعاقبة للحروب ، ولن يستطيع القادة الاستفادة منها إلا بوجود المؤرخين العسكريين الذين يخرجونها من تحت انقاض الماضى » .

● والحق أن التاريخ العسكرى الإسلامى حافل بالدروس التى تستحق أن نستفيد منها ونسترشد بها والله تعالى يقول : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (الحشر ـ ٢) .

ولقد حرص المسلمون الأوائل على دراسة التاريخ وتعليمه لأبنائهم .

قال زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم : « كنا نعلم مغازى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما نعلم السور من القرآن » .

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم : « كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا . ويقول : يابنى إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها » ، (احمد زينى دحلان : السيرة النبوية ص ٣٦٠) .

● ولقد حفلت غزوة بدر الكبرى ـ أولى صفحات التاريخ العسكرى الإسلامى ـ بدروس نافعة سوف نتناول منها ما يتعلق بإدارة الصراعات .

الدرس الأول : الإعلام بحقائق الموقف :

● كان تفوق المشركين على المسلمين تفوقاً كبيراً بلغت نسبته ثلاثة إلى واحد ، فماذا فعل الرسول القائد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مواجهة هذا الموقف من زاوية الإعلام ؟ وخاصة إذا نظرنا إلى الاعتبارات الآتية : ـ

(١) فهذه « أول مواجهة عسكرية حاسمة » بين المسلمين والمشركين .

(٢) وفى خروج المشركين وقتالهم للمسلمين تهديد خطير للدين فى موطنه الجديد بعد فشل

---

(١) مارشال مونتجمرى من اكبر قادة جيش الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ، وعلى يديه أراد الله ـ تعالى نصر الحلفاء فى معركة « العلمين » الشهيرة .

للـــواء:
أ.ح محمد جمال الدين محفوظ

المشركين فى القضاء عليه بمكة هذا فضلاً عن تفوقهم الظاهر.

(٣) والنتائج التى سوف تسفر عنها المعركة، سوف يكون لها آثار بعيدة المدى على الدعوة ومستقبلها وعلى هيبة المسلمين، فذلك ما عبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - عنه حين دعا ربه قبل المعركة: «اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام، لا تُعبد فى الأرض»، (رواه مسلم).

● هنا يعلمنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن القيادة الرشيدة هى التى تبصر شعبها بـ «حجم التحدى» الذى يواجهه، وشدة الخطر الذى يتهدده، ثم تتخذ - فى الوقت نفسه - من التدابير ما يمكنها من مواجهة الخطر بثبات واقتدار، ومن التغلب على تفوق العدو أو تجريده من فاعليته:

(١) فحين علم - عليه الصلاة والسلام - بخروج قريش عن بكرة أبيها للقتال قال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها».

(٢) وحين استطاع - من استجواب الرجلين اللذين أسرهم رجال الاستطلاع - أن يستنبط القوة العددية لقريش، قال: «القوم بين التسعمائة والألف»، وقد أعلن ذلك وهو يعلم بأن قوة المسلمين ثلث هذا العدد.

(٣) وحين عرف من وسائل الاستطلاع أن العدو أصبح قريباً جداً من بدر أعلن أنه «وراء الكثيب بالعدوة القصوى»،(٢) (أى حافة الوادى وضفته الأبعد عن المدينة).

● والرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الدرس يكشف لنا الخطأ الفاحش الذى يقع فيه الذين يخفون الحقائق فى مثل هذا الموقف عن رجالهم، فلا يعلنون شيئاً عن تفوق العدو عليهم بحجة أنهم يخشون أن تهبط روحهم المعنوية، دون أن يدركوا أن تلك السياسة الإعلامية القاصرة، سرعان ما تصبح وبالاً عليهم عندما يدخل الرجال المعركة، فينكشف المستور، ويفاجأون بتفوق عدوهم، فيكون وقع المفاجأة أشد تدميراً لمعنوياتهم من «موضوع» التفوق ذاته، ثم يدركون - ولكن بعد فوات الأوان - أن إعلان الحقائق مع الإعداد والاستعداد واتخاذ التدابير المناسبة، يجعل الرجال يعرفون مواقع أقدامهم، ولا يضربون فى المجهول: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الملك - ٢٢).

الدرس الثانى: حشد الموارد المتاحة وحسن استغلالها:

● واتخذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى الوقت نفسه - كل التدابير التى تمكنه من القضاء على مزية التفوق لدى عدوه، وكان على رأس هذه التدابير حشد موارده المتاحة من الرجال والسلاح واستثمارها، بأعلى درجات

←

(٢) الأحاديث الشريفة الواردة بهذا المقال مصدرها مراجع السيرة النبوية الشريفة وما كان منها من مصادر أُخر نبه عليه الكاتب.. مجلة الأزهر.

دروس فى إدارة الصـراع

التنظيم والإدارة والاقتصاد فى القوى » ، وهذه من أهم المبادىء التى يقوم عليها علم الإدارة الحديثة لتحقيق الأهداف بكفاءة ، وقد ظهر ذلك فيما يلى :

إحكام السيطرة على الموارد :

إن السيطرة المحكمة على الموارد « المحدودة » هى أول ما يؤدى ويساعد على استغلالها على النحو الذى لايدع شيئا منها يضيع هباء ، ولقد كانت سيطرة الرسول ﷺ على موارده فى بدر فى غاية الإحكام :

(١) فقد اتخذ لنفسه مركز قيادة يشرف منه على المعركة بصفته القائد العام .

(٢) ونظم الجيش فى كتيبتيه : الأولى كتيبة المهاجرين بقيادة على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ، والثانية كتيبة الأنصار بقيادة ـ سعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ وهذا التقسيم يزيد من إحكام السيطرة .

(٣) ونظم الجيش فى صفوف منتظمة حرص على تسويتها بنفسه ، وواضح أن تشكيل الصف أفضل ـ من حيث سيطرة القائد ـ من تشكيل « الكر والفر » الذى جرت عليه عادة العرب فى القتال .

(٤) ثم أكمل عليه الصلاة والسلام سيطرته على الجيش بأن أصدر تعليمات للقتال تضمن له أن تكون مراحل المعركة وأعمال المقاتلين تحت إشرافه المباشر ووفق أمره وإذنه .

الحشد والاقتصاد فى القوى :

● بعد أن نظم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصفوف أصدر الأمر التالى :

« إذا أكثبـوكم (أى اقتربـوا منكم) فارموهم ، واستبقوا نبلكم (أى سهامكم) » .

(البخارى جـ ٩٩/٥) وفى رواية أخرى : « لا تقاتلوا حتى أوذنكم ، وإن اكتنفـوكم فارموهم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » (الواقدى : مغازى رسول الله ﷺ ص ٤٨) .

● وبمقتضى هذه التعليمات يبدأ المسلمون ـ بأمر الرسول ـ بقذف السهام (فارموهم) والسهام هى « السلاح بعيد المدى » .. فإذا ما أصبح العدو قريباً إلى حد الالتحام ، يتحولون إلى « السيف » وهو سلاح الالتحام (ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) .. إنه تنظيم دقيق يكفل استغلال طاقات السلاح بعيد المدى « بأكبر حشد » أولًا ، ثم ينتقل إلى السلاح قصير المدى بأكبر حشد أيضاً ، وفى الوقت المناسب تماماً ، وبذلك تتحقق أكبر النتائج ، ولا يحدث « الخلط » الذى تذهب معه طاقات كل من السلاحين سدى .

● أما عن تطبيق مبدأ الاقتصاد فى القوى ، فلقد كانت ذخيرة المسلمين فى بدر (السهام) محدودة للغاية بالنسبة إلى قوة عدوهم المتفوقة ، فكان لابد من « ترشيد استهلاكها » بطريقة اقتصادية ، وذلك ما ينطوى عليه قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم » ، فهو يعنى أمرين :

الأمر الأول : تأخير قذف السهام حتى يقترب الأعداء ، فلا يرميها المسلمون على العدو وهو بعيد ، وذلك ما يطلق عليه « كبت النيران » فى الدفاع .

والأمر الثانى : الاقتصاد فى استهلاك السهام (واستبقوا نبلكم) .

فتكون نتيجة ذلك ضمان دقة التصويب ، وتحقيق أكبر قدر من الخسائر فى العدو بأقل التكاليف أى بأقل قدر من السهام .

الدرس الثالث : الإخلال بالتوازن النفسي والمادى للعدو :

● يجمع رجال الاستراتيجية العسكرية على أن :

« الاخلال بالتوازن النفسى والمادى للعدو من أقوى أسباب النصر » ، وفى ذلك يقول ليدل هارت ـ فى كتابه عن استراتيجية الاقتراب غير المباشر : « ينبئنا التاريخ العسكرى فى جميع العصور لا فى عصر واحد ، وفى جميع الحروب الحاسمة على التقريب ، أن الإخلال بتوازن العدو نفسياً ومادياً هو المقدمة التى لا محيص عنها للقضاء عليه » .

● هذا المبدأ يقترب مما حققه الرسول القائد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بدر كما يلى :

(١) كانت قريش ـ بطبيعة الحال ـ تشعر بتفوقها الساحق (٣ : ١) وتملؤها الثقة فى الانتصار على المسلمين .

(٢) ومن طبيعة الأعراب أن « للضربة الأولى » أثراً كبيراً وحاسماً على نفسيتهم ، فليس من شك فى أن تساقط قتلاهم « بأعداد كبيرة وفى وقت قصير » بفعل سهام المسلمين « المصوبة بدقة والمنطلقة بأكبر حشد » ، كأنها صادرة عن قوس واحد ، سوف يصيبهم بصدمة نفسية مدمرة لمعنوياتهم .

يقول شارنهورست فى كتابه (التكتيك) : « إن عشرة رجال يسقطون معاً فى ميدان المعركة يُجبرون فوجاً (حوالى ١٠٠٠ رجل) على التراجع بصورة مؤكدة ، أكثر من خمسين جريحاً يسقطون تدريجياً فى أماكن مختلفة » .

(٣) أضف إلى ذلك أن الرسول القائد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرص عند تعيينه لمن يخرج للمبارزة التى سبقت القتال العام ، على أن يختار ذوى الكفاءة العالية فى القتال ومن يتصفون بالشجاعة الفائقة ، وذلك لكى يكون نجاحهم على رجالات قريش مضموناً ، فيهز بذلك معنويات المشركين ويضعفها ، ويرفع فى الوقت نفسه معنويات المسلمين من قبل أن تبدأ المعركة ، وقد تحقق للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أراد ، فقد قُتل مُبارزو قريش جميعاً ، فكان ذلك بالنسبة إليها بداية سيئة كان لها انعكاسها ولا شك على كفاءتها القتالية فى المعركة .

الدرس الرابع : ثقل وحدة الصف فى ميزان القوى :

● لقد كان هناك خلل واضح فى ميزان القوى بين الطرفين فى بدر لصالح المسلمين من حيث وحدة الصف والهدف من قبل أن تبدأ المعركة ، فالمتأمل فى أحوال قريش قبل القتال يكتشف أنها خرجت لقتال المسلمين « تحمل معها » عاملاً من أهم عوامل الهزيمة وهو « تضارب الآراء وتفرق الصفوف » برغم تفوقها الظاهر عليهم فى العدد والسلاح .

● فقد أرسلت قريش قبل المعركة من يستطلع لها قوة المسلمين ، فرجع ليخبرهم أنهم « ثلاثمائة رجل يزيدون أو ينقصون ، ولا كمين لهم ولا مدداً ، ولكنهم قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، فلا يموت منهم رجل قبل أن يقتل رجلاً مثله » .

● وتضاربت آراء قريش :

(١) فمنهم من أراد الرجوع ومن هؤلاء بنو زهرة الذين رجعوا فعلاً .

(٢) ومنهم من أراد البقاء لقتال المسلمين وكان على رأس هؤلاء أبوجهل فقال :

« والله لا نرجع حتى نرد بدراً ، فنقيم عليه ثلاثة ، ننحر الجذور ، ونطعم الطعام ونسقى

←

دروس فى إدارة الصراع

الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها » .

(٣) ومنهم من أصابه التردد مثل عتبة بن ربيعة ، إذ أنه مال إلى الأخذ بما نصحه به قومه أن يرجع بالناس ، فرماه أبو جهل بالجبن ، فأخذته الحمية ، وقرر البقاء للقتال من قبيل التحدى .

(٤) ثم إن قريشاً ذكرت ما كان بينها وبين بنى كنانة من الحرب والحزازات ، فخشوا أن تضربهم كنانة من الخلف ، وكاد هذا المحذور يقعدهم عن الخروج لولا أن جاء مالك بن جعشم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة فقال : « أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه » .

● كان هذا حال قريش ، بينما كان حال المسلمين يختلف عن ذلك تماماً :

فقد اتحدت كلمة المسلمين مهاجرين وأنصاراً على الخروج وعلى مواجهة قريش ، فحينما شاور الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصحابه ، قال المقداد بن عمرو عن المهاجرين :

« يارسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » ، وقال سعد بن معاذ عن الأنصار : « امض لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر فى الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يُريك منا ما تَقَرُّ به عينك ، فسر بنا على بركة الله » .

● ولابد أن نذكر هنا أن اتحاد كلمة المهاجرين والأنصار فى الصف والهدف فى مواجهة الخطر ، لم يكن وليد ساعته ، ولكنه كان ثمرة للمؤاخاة التى حققها بينهما الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة إلى المدينة ، ومن قبل ذلك كان اتحاد كلمة الأنصار من أوس وخزرج ثمرة لتوحيد صفوفهما فى ظل الإسلام بعد صراع طويل بينهما فى الجاهلية .

● وإذا كانت قريش قبل خروجها تخشى أن تأتيها ضربة من خلف ، فإن المسلمين خرجوا ، وابتعدوا عن المدينة حوالى (١٦٠) كيلو مترا « دون أن يخشوا أن تأتيهم ضربة من خلف » ؛ لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بسياسته الرشيدة ومداركه السياسية والإدارية والعسكرية الفذة جعل من المدينة بعد الهجرة « قاعدة وطيدة صلبة » ، وجبهة موحدة ، ونظم لأهلها جميعاً أمور حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية بمقتضى ميثاق المدينة .

الدرس الخامس : المجاهدون الصادقون لا يقهرون :

● وصف مونتجمرى - وهو يؤرخ للحروب عبر التاريخ - المسلمين بأنهم « قوم لا يقهرون » ، ونوه بشجاعتهم وإقدامهم وحشدهم لقواتهم ، ولم يفته - وهو الباحث الخبير - أن يكشف عن السر وراء ذلك كله فقال :

- « كان العرب يندفعون نحو القتال تحركهم أقوى دوافع الحرب ألا وهى العقيدة والإيمان ، ومثل هذه النبضات المتلاحقة لم يكن من السهل أن تخبو سريعاً ، فالكثيرون منهم وخاصة فى المراحل الأولى للفتوحات الإسلامية كانوا يؤمنون إيماناً راسخاً بالدعوة الإسلامية ، ويتحمسون لها ويغارون عليها ، وأدى هذا إلى اعتناقهم مبدأ

صلباً هو الجهاد فى سبيل الله ، وقد تغلغل هذا المبدأ فى قلوب أتباع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ » .

● ولقد حفلت غزوة بدر بصور رائعة لقوة الإيمان ورسوخ العقيدة التى ملأت قلوب المسلمين ثباتاً واستبسالاً فى لقاء عدوهم المتفوق عليهم ، فقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة » ، وقد ألهب هذا الحديث حماسة المسلمين للقتال وزاد فى قوتهم المعنوية حتى إن (عمير بن الحمام) ـ رضى الله عنه ـ حين سمع حديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت فى يده بعض التمرات يأكلها ـ قال : « أما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ » .. وقذف بالتمرات من يده وأخذ سيفه ، ومازال يقاتل حتى استشهد ـ رضى الله عنه ـ ، وكان عبدالرحمن بن أبى بكر من المشركين ، فقال لأبيه أبى بكر الصديق بعد إسلامه : « لقد صدفت لى يوم بدر فلم أقتلك » ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : « والله لو صدفت لى لقتلتك !! » .. فما الذى يدعو إلى أن يقتل الابن أباه ، والأب ابنه غير قوة الإيمان والعقيدة الراسخة ؟

● إن قوة الإيمان والعقيدة تملأ قلب المسلم بأقوى الدوافع النفسية نحو الاستبسال فى قتال العدو الذى ليس له من تلك الدوافع دافع واحد يستند إليه ويقاتل من أجله ..

ولا شك فى أن هذا مما ترجح به موازين المجاهدين فى مواجهة الأعداء ، فإن الدوافع النفسية الصادقة « تحارب إلى جانب أصحابها » ، كما يحارب الجندى إلى جانب صاحبه ، ولهذا كان الإسلام حريصاً على أن يزود المسلمين بتلك الدوافع التى تملأ نفوسهم حمية واستبسالاً .

● ولهذا كان تقييم المسلم فى الحرب مُقدراً بما فى نفسه من مبادىء يحارب عنها ، وأسباب تدعوه إلى خوض هذه الحرب ، وهذا ما تجده فى قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنفال ـ ٦٥) .

فالذين كفروا قد خلت نفوسهم من المبادىء الكريمة والدوافع الصادقة ، ولهذا حُرموا الفقه الذى كان من شأنه أن يبصرهم بالمبادىء التى يقاتلون عليها ، والمثل التى يدافعون عنها ، ومن حرم هذا الفقه فى مجال الحروب ، فقد تعرَّى من كل سلاح يدافع به ، وكانت عاقبته الهزيمة والبوار .

الدرس السادس : شجاعة القيادة فى مواجهة الخطر :

● ولقد قدم الرسول القائد ـ صلى الله عليه وسلم ـ المثل الرفيع على شجاعة القيادة والقائد فى مواجهة الخطر وقهره :

(١) فقد واجه فى (بدر) معركة يطلق عليها « معركة غير متكافئة » ، وقد يتخلى كثير من القادة عن فكرة القتال فيها ، لكنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُعلم المسلمين أن المجاهد الصادق « الذى يعد العدة الكافية » ، لا يمكن أن يقهر ، لأن الله تعالى يكون معه ، ولأنه وعده بالنصر : ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم ـ ٤٧) .

(٢) وفى المعركة كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثالاً لشجاعة القائد ، فوصفه على ـ رضى الله عنه ـ بقوله : « كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، التقينا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أقربنا إلى العدو » (رواه أحمد والنسائى) .

القيم الدينية للمقدسات الإسلامية

٣

تخليص بيت المقدس وفلسطين :

ولقد وعى صحابة رسول الله ﷺ - والمسلمون من بعدهم - هذه المعانى ، وأدركوا أن المسجد الأقصى والأرض المباركة حوله من أرض فلسطين تراث إسلامى ، لا يمكن التفريط فيه ، لذلك كان من أول ما اتجهوا إليه أن يستنقذوه من أيدى الرومان ، وأن يعيدوا هذه الأرض حرة لأهلها تحت راية الإسلام ، وأحكامه العادلة ، وبنوده الخفاقة .

ولقد ذكرت كتب التاريخ المختلفة قصة فتح إيلياء « بيت المقدس » على يد عمر بن الخطاب بعد حصار استمر أمدا ، وكيف أشار بعض علمائها من الأحبار والبطارقة إلى أنها لا تفتح على يد عمرو بن العاص ، وإنما على يد عمر بن الخطاب ، ولما ضاق بهم الحصار وأجهدهم ، طلبوا أن يكون صلحهم مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونحن لن نذكر هنا تفاصيل هذا التاريخ ، وإنما نأخذ منه بعض الصور واللمحات التى قد تعنينا فى بحثنا هذا .

فقد كتب عمرو إلى عمر بهذا المعنى ، ففهمه عمر رضى الله عنه ، وتوجه بنفسه حقناً لدماء المسلمين ، واستجابة لنداء السلام ، وسار بنفسه إلى الشام ليتسلم بيده مفاتيح المسجد الأقصى .

بيان كرامة المدينة وأنها لم تسلم إلا إلى الخليفة .

وقيل إن الذى كتب إليه بذلك هو أبو عبيدة بن الجراح حين أجابوه إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاستجاب لذلك رغبة فى إقرار السلام فى الأرض المقدسة ، وكتب إلى أمراء الأجناد فى نواحى الشام وما حولها أن يستخلفوا على ما بأيديهم وأن يجتمعوا به بالجابية ، وهناك جاءت رسل أهل إيلياء يطلبون الصلح وكتب لهم عهده المشهور أعطاهم فيه من الأمان مالم يتوقعوه ، يقول هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، سقيمها وبريئها ، وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من

صليبهم ، ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منها فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعهم وصليبهم ، فإنهم آمنون على انفسهم ، وعلى بيعهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين ، إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن ابى سفيان ، وكتب وحضر سنة ١٥ هـ .

وبعد أن أعطاهم الأمان دخل في أربعة آلاف من الصحابة ، وسار حتى دخل كنيسة القيامة ، ولما حان وقت الصلاة قال للبطريق : أريد الصلاة ، فقال : صل موضعك فامتنع ، وصلى على الدرجة التى على باب الكنيسة مفردا فلما قضى صلاته قال للبطريق : لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون من بعدى ، وقالوا : ههنا صلى عمر .

ثم قال عمر : أرنى موضعا ابنى فيه مسجدا ، فقال : على الصخرة التى كلم الله عليها يعقوب !

ويروى انه قال لكعب : يا أبا إسحق أتعرف موضع الصخرة ، فقال : أذرع من الحائط الذى يلى وادى جهنم ، مكان هناك ، كذا وكذا ذراعا ثم احفر فإنك تجدها ، وكانت يومئذ مزبلة ، فحفروا فظهرت لهم ، وكان الرومان والنصارى جعلوها مزبلة في مقابل ما فعله اليهود من قبل بكنيستهم حتى جعلوها مقرا للقمامة وسميت الكنيسة منذ ذلك الوقت هى ومنطقتها بالقمامة فلما تمكن الرومان والنصارى ، جعلوا الصخرة مكان قمامتهم نكاية في اليهود ، وهكذا وجدها عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ، فشرع بإزالته ، وتناوله بيده ، يرفعه بثوبه ، وتابعه المسلمون حتى أزالوا القمامة والزبالة .

ثم قال عمر لكعب اين ترى نجعل المصلى ؟ قال : إلى الصخرة ، فقال : ضاهيت والله ياكعب اليهودية ، بل نجعل قبلته صدره ، وأمر ببنائه في مقدم بيت المقدس .

وهكذا سلمت هذه المواريث الدينية إلى سدنتها ، وأعيدت المقدسات إلى مكانها ، وعرف المسلمون لهذه الأماكن حرمتها فصانوا وحفظوا على طول الزمن تلك العهدة العمرية الكريمة .(١) .

---

(١) انظر كتب التاريخ المختلفة ، كالبداية والنهاية ، لابن كثير جـ ٧ ص ٥٥ ومابعدها ، و ، تاريخ الطبرى ، ط دار المعارف جـ ٣ ص ٦٠٧ وما بعدها .

و، الانس الجليل ، لمجير الدين الحنبلى جـ ١ ص ٢١٨ وما بعدها . و، تاريخ القدس ، لعارف العارف ط دار المعارف ص ٤٤ وما بعدها

القيم الدينية

تشييد المسجد الاقصى وقبة الصخرة المشرفة :

عندما نزل قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ اول سورة الإسراء ـ لم يكن المسجد الاقصى مبنيا .

ولقد فسره أهل التفسير بأنه ليس المقصود به المسجد المعروف فى الإسلام ، ولكن المقصود مكان العبادة ، إلا أن تسميته بالمسجد ذات دلالة لا تخفى ، وعدم وجود بناء له ذلك الوقت ، لا يمنع بقعته من اسمها ، لانها كذلك كانت فى حكم الله وأمره ، وقد تداول على بنائه انبياء سابقون ، وتناولته يد العدوان والتخريب فى كثير من الاحيان ، وعندما استنقذه المسلمون كان مكانه مزبلةً رومانية فأمر عمر فور دخوله بيت المقدس أن يبنى هناك مسجد ، فبنى المسجد وكان من خشب .[٢] .

ويقال إنه لبى حين دخل بيت المقدس ، ودخل المسجد من الباب الذى دخل منه رسول الله ـ ﷺ ليلة الإسراء ، وصلى تحية المسجد بمحراب داود ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد ، فقرأ فى الأولى بسورة « ص » وسجد فيها المسلمون ـ سجدة التلاوة ـ معه ، وفى الثانية بسورة « بنى إسرائيل » ـ وهى سورة الإسراء ـ ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الاحبار ، وجعل المسجد فى قبلى بيت المقدس[٣] .

تعمير بيت المقدس وتشييد المسجد الاقصى وقبة الصخرة المشرفة :

تروى كتب التاريخ أن عمر ـ رضى الله عنه ـ بعد أن انتهى من زيارة كنيسة القيامة ، وزيارة الصخرة المشرفة جعل يتجول فى شوارع المدينة ويغشى أسواقها . وكانت هذه لا تزال تئن من الخراب الذى أحدثه الغزو الفارسى (٦١٤ م) فرأى بعين ثاقبة أن يبدأ التنظيم الإدارى والقضائى أولا ، فلم يتوان ، ففرض للمسلمين الفروض ، وأعطى العطايا .

وقسم البلاد إلى مناطق ، وعين لكل منطقة أميراً ، ثم رتب البريد ليؤمن الاتصال بين هذه المناطق ، وأقام العيون « الاستخبارات » ، وعين قاضيا « مفتشا » يطوف على المأمورين ، ويحقق الشكايات ، وأسس الحسبة « البلدية » لمشارفة الموازين والمكاييل ومراقبتها ، ولمنع الغش وتنظيف الأزقة ، والرفق بالحيوان ، وهدم البناء المحدث فى وسط السوق ، وحظر على الناس الازدحام فى الطرق ، وحضهم على التجارة .

وبعد أن رتب عمر الأمور ، ووضع كل شىء فى نصابه أقام على بيت المقدس « يزيد بن أبى سفيان » على أن يأتمر بأوامر أبى عبيدة ، وانتدب للصلاة من بعده سلامة بن قيصر ، وأمر على فلسطين رجلين ، فجعل علقمة بن حكيم على نصفها الشمالى ، وأنزله الرملة ، وعلقمة بن مجزر على نصفها الجنوبى وأنزله إيلياء ، فنزل كل منهما فى عمله مع جنده ، ثم عاد إلى الحجاز[٤] .

وبدأت المدينة تشهد تطورا كبيرا فى عمرانها والعناية بها ، وساد السلام بين سكانها وروادها

---

(٢) عارف العارف : « تاريخ القدس » ص ٤٩ .

(٣) « ابن كثير » : البداية والنهاية جـ ٧ ص ٥٥ ـ ٥٦ .

(٤) عارف العارف : « تاريخ القدس » ص ٤٩ ـ ٥٠ بشىء من التصرف .

وحجاجها من المسلمين وغير المسلمين ، وغلب على المدينة اسم المقدس ، أو بيت المقدس ، مما يعكس نظرة المسلمين إلى هذه المدينة ، ورغبتهم فى أن يجعلوها خالصة لله تعالى ، مجردة للعبادة والطهارة .

وعندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان من خلفاء بنى أمية أراد أن يبنى على صخرة بيت المقدس قبة تقى روادها من الحر والبرد ، وأن يشيد المسجد فكتب إلى الأمصار يطلب رأيهم ، فوافقوه ورأوا رأيه رشيداً ، فوجه إليه الأموال والعمال ويقال إنه رصد لعمارته خراج مصر سبع سنين ، ووكل بالعمل رجاء بن حياة الكندى ، وكان من العلماء الأعلام ، وضم إليه مولاه يزيد بن سلام من أهل بيت المقدس ، وأمرهما أن يفرغا الأموال إفراغا ولا يتوقفا فيه ، فبثوا النفقات وأكثروا وبنوا القبة والمسجد الأقصى أحسن البناء ، وبقى من النفقة عليه بعد أن فرغ البناء وأحكم مائة ألف دينار ، فسبكت وأفرغت على القبة ، فما كان أحد يستطيع أن يتأملها مما عليها من الذهب ، وقد انتفع بهذا الذهب فيما بعد فى تعمير ما هدمته الزلازل من المسجد ، وكان رجاء بن حياة ويزيد بن سلام قد حفا الصخرة والقبة بأنواع من الستور ، وأقاما لها سدنة وخداما بأنواع الطيب والمسك والعنبر والماورد والزعفران ، وجعلا فيها من قناديل الذهب والفضة والسلاسل الذهب والفضة ، وفرشاها والمسجد بأنواع البسط الملونة ، ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس .

ويعتبر هذان البناءان من أعظم آثار بنى أمية فى فلسطين ، بل إنه من مفاخر العرب والمسلمين فى الشرق كله[٥] ، وكانا من أجمل ما خلده الفن المعمارى من آثار العالم .

ولقد هم بعض خلفاء بنى أمية أن يتخذوا من بيت المقدس عاصمة لخلافتهم ، ولما ولى سليمان ابن عبد الملك الأموى الخلافة بعد أخيه الوليد سنة ست وتسعين من الهجرة ، أتى بيت المقدس ، وأتته الوفود بالبيعة ، فلم ير وفادة كانت أهنى من الوفادة إليه .

فكان يجلس فى قبة صحن مسجد بيت المقدس مما يلى الصخرة ، ولعلها القبة المعروفة بقبة سليمان ، ويبسط البسط بين يدى قبته عليها النمارق والكراسى ، فيجلس ، ويأذن للناس فيجلسون على الكراسى والوسائد ، وإلى جانبه الأموال وكتاب الدواوين ، وَقَدْ هَمَّ بالإقامة ببيت المقدس واتخاذها منزلا ، وجمع الأموال والناس[٦] بها .

وقد تسابق الناس فى خدمة المسجدين وعمارة المدينة ، فأوقفوا عليها معظم الأراضى المحيطة ببيت المقدس ، وتقرب الخلفاء والأمراء والصالحون إلى الله تعالى بتعمير هذين المسجدين وخدمتهما ، وإضافة العديد من المساجد والمحاريب والأروقة والمدارس .

واتخذ المسلمون من ساحة الحرم القدسى وأروقته مدارس يدرسون فيها العلوم ، وقصد معظم الحجيج بيت المقدس عند ذهابهم إلى حج بيت الله الحرام ، وعند عودتهم منه واستحبوا أن يحرموا منه لحجهم أو لعمرتهم ، وظل الأمر على ذلك ما عدا فترات من الظلام خيمت على المدينة عندما يعتدى عليها الغرباء من غير أهلها ودينها .

←

(٥) ابن كثير : « البداية والنهاية » جـ ٨ ص ٢٨٠ ، ومجير الدين الحنبلى : « تاريخ الأنس الجليل » جـ ١ ص ٢٤٠ ـ ٢٤٣ ، وغيرهما من كتب التاريخ .

(٦) مجير الدين الحنبلى : « تاريخ الأنس الجليل » ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

القيم الدينية

فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى :

هناك روايات وآثار كثيرة تتحدث عن فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى يرتفع بعضها ليكون حديثا ، ويبقى بعضها الآخر في مستوى الآثار التي تروى عن الصحابة أو التابعين ، أو حتى عن أهل الكتاب ، وهي بهذه الكثرة الكثيرة - بصرف النظر عن ضعفها وصحتها - تدل دلالة كبيرة على ما لهذه المدينة ومسجدها الأقصى من مكانة متميزة واعتبار خاص ، ومع ذلك فالآيات القرآنية ، والأحاديث الصحيحة الموثقة تظاهر هذا الشعور الديني الرفيع ، والنظرة التقديرية الراقية التي يحملها المسلمون تجاه القدس والمسجد الأقصى .

ولقد صنفت في فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى مصنفات كثيرة تدل على شدة الاهتمام ، منها « فضائل القدس » لابن الجوزي .

و « الأنس في فضائل القدس » لابن هبة الله الشافعي .

و« مثير الغرام بفضائل القدس والشام » لابن سرور المقدسي .

و« إتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى » للسيوطي .

و« الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلي . وغير ذلك من التصانيف* .

ولقد أشرنا في الحديث عن مكانة القدس في الإسلام إلى عدة معالم ، منها حادثة الإسراء والمعراج ، الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والمعراج من المسجد الأقصى إلى السموات العلى ، وقوله تعالى في ذلك : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الإسراء - ١ .

وكذلك صلاته - ﷺ - إماما بالأنبياء في المسجد الأقصى .

ونضيف هنا إلى ذلك ما رواه أحمد في مسنده ، والبخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأبو داود والنسائي وابن ماجه في السنن عن أبي هريرة ، وما رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري وما رواه ابن ماجه عن ابن عمرو أن رسول الله - ﷺ - قال : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » .

وفي رواية عبد الله بن عمرو أن رسول الله - ﷺ - قال : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، إلى المسجد الحرام ، وإلى المسجد الأقصى ، وإلى مسجدي هذا[٧] » .

وما رواه البيهقي في شعب الإيمان عن جابر أن رسول الله - ﷺ - قال : « صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة ، وصلاة في مسجدي ألف صلاة ، وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة[٨] » ، وهو حديث حسن .

وما أخرجه البزار في مسنده بإسناد حسن

* ومثل : « الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » لابن عساكر ، و« فضائل القدس » للشريف عز الدين حمزة ، و« باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » لابن قاضي الصلت ، و« فضائل بيت المقدس » لأبي المعالي المشرف بن المرجى المقدسي ، « وتحصيل الأنس لزائر القدس لعبد الله بن هشام .. الخ .

(٧) الجامع الصغير للسيوطي جـ ٢ ص ٤٠ .

(٨) « الجامع الصغير » للسيوطي جـ ٢ ص ١٩٠ .

عن أبى الدرداء عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، وفى مسجدى ألف صلاة ، وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة[9] » .

ومن تتبع هذه النصوص يتبين أن هذه البقاع الثلاث مقدسات دينية إسلامية لا فرق بينها فى أصل القداسة ، وإن اختلفت فى درجة الفضل ، أن إسراء الرسول ـ ﷺ ـ إلى المسجد الأقصى ، واتخاذه مرتكزاً فى عروجه إلى السماء عند الذهاب ، وعند العودة وجعلها قبلة للمسلمين فى صلاتهم فترة طويلة من الزمان لا تفسير له إلا تأكيد الصلة الدينية القائمة أساسا بين أنبياء الله ، وتأكيد ما كان لهذه البقعة المباركة عند الأنبياء السابقين باسم آخر الرسل وخاتمهم عليه الصلاة والسلام .

ولهذا نجد الله يذكرها فى سورة الإسراء بأنه بارك حولها وهو نفس الوصف الذى وصفها به عند أنبياء سابقين فى مثل قوله تعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ . الأنبياء ٧١ .

وفى مثل قوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ الأنبياء ٨١ .

ووصفها بالقداسة صراحة فى قول موسى لقومه : ﴿ يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ المائدة ـ ٢١ .

وقوله عن هذه الأرض وجعلها متاحة لبنى إسرائيل حين يطيعون رسولهم كما فى الآية السابقة : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ الأعراف ١٣٧ ـ فقد بقيت لها قداستها فى الإسلام كما كانت لها عند الأنبياء السابقين ، وقد تأكد هذا المعنى باستقبال الرسول ـ ﷺ ـ لها والمسلمون معه فى صلاتهم ردحاً من الزمن استمر إلى مابعد الهجرة بنحو ستة عشر شهرا ، ولهذا يذكرها المسلمون دائماً بأنها أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين .

وقد استتبع هذا الوضع المتميز الخاص أن تكون لها فى الإسلام أحكام خاصة ذكرها صاحب كتاب « إعلام الساجد بأحكام المساجد » كما ذكرت فى كتب أخرى كالأنس الجليل لمجير الدين الحنبلى ، وقد استدلوا على ذلك بأحاديث وآثار متعددة ، من هذه الأحكام :

١ ـ مضاعفة أجر الصلاة فيه ، ومن ثم استحباب الصلاة فى المسجد الأقصى .

٢ ـ استحباب شد الرحال إليه وتحمل المشقة فى السفر إليه .

وقد سبق ذكر ما يدل عليهما من أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ .

٣ ـ كما يستحب لمن لا يستطيع الرحلة إليه أن يرسل إليه بزيت يسرج فيه وفى معناه جميع ما يدخل فى عمارته وخدمته .

فقد روى عن ميمونة بنت سعد مولاة رسول الله ـ ﷺ ـ أنها قالت : يارسول الله افتنا فى بيت المقدس ، فقال :

« أرض المحشر والمنشر ، ائتوه فصلوا فيه فإن كل صلاة فيه كألف صلاة ، قلنا يارسول الله ، فمن لم يستطع أن يصل إليه ، قال : فمن لم يستطع أن يأتيه فليهد له زيتا يسرج فى قناديله ، فإن من أهدى إليه زيتا كان كمن أتاه » .

←

(٩) « إعلام الساجد » للزركشى ص ١١٧ .

٤ ـ استحبوا أن يقرأ فيه القرآن وأن يختم فيه مثله فى ذلك مثل المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف .

٥ ـ كما استحبوا الصيام فيه .

٦ ـ يستحب الإحرام بالحج والعمرة منه ، ففى سنن أبى داود من حديث أم سلمة قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه[١٠] » .

وقد أحرم منه جماعة من السلف ، وكان الأمر على ذلك إلى قبيل الاحتلال السرطانى الصهيونى ، فقد كان آباؤنا حين يقتدرون يجعلون رحلتهم إلى بيت المقدس ضمن رحلتهم إلى حج بيت الله الحرام .

٧ ـ تغليظ عقوبة الذنب الذى يرتكب فيه .

ولذلك حذروا من اليمين الفاجرة فيه ، وقد رووا أن عمر بن عبد العزيز أمر بحمل عمال سليمان بن عبد الملك إلى الصخرة ليحلفوا عندها ، فحلفوا إلا واحداً فدى يمينه بألف دينار ، فما حال الحول على واحد منهم ، بل ماتوا كلهم[١١] .

إلى غير ذلك من الأحكام التابعة لحرمة هذه البقعة المباركة ، وقداسة المسجد الأقصى .

وقد أفتى علماء المسلمين وقضاتهم ومفتوهم فى الضفة الغربية بالأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٢٢ من أغسطس سنة ١٩٦٧ م أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن ، ومسجد الصخرة المشرفة ، والساحات المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب .

وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكا لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته ، وأن الحرم الإبراهيمى فى الخليل مسجد إسلامى مقدس ، وكل اعتداء على أى جزء منه يعتبر انتهاكاً لحرمته وقدسيته .

وقد أيد مجمع البحوث الإسلامية فى عدة مؤتمرات منها مؤتمره الأخير الحادى عشر والذى عقد فى القاهرة فى الفترة من ١٥ إلى ١٩ من رجب ١٤٠٨ هـ الموافق من ٤ إلى ٨ من مارس ١٩٨٨ م هذه الفتوى فى الفصل الخاص بقدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلا لاسترداد بيته المبارك المسجد الأقصى واسترداد الأرض التى بارك فيها من حوله ، قياماً بحقها وحمايتها ، ورعاية لقداستها الدينية التى أكدتها رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وبالله التوفيق .

. عبد الفتاح بركة

(١٠) « إعلام الساجد » للزركشى ص ٢٨٩ .

(١١) « إعلام الساجد » للزركشى ص ٢٩٥ .

الفتاوى

إعداد : عبد الحميد السيد شاهين
على حامد عبد الرحيم

صائم تارك للصلاة

س : هل يصح الصوم من تارك الصلاة : محمود حسن ـ الدقى .

جـ : المسلم مطالب من قبل دينه أن يؤدى كل الفرائض التى فرضها الله تبارك وتعالى عليه : من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج إلى بيت الله الحرام متى استطاع إلى ذلك سبيلا .

فمن ترك واحدة من هذه الفرائض : فإما أن يترك هذا الفرض جحوداً وإنكاراً لفرضيته : فيكون هذا الجاحد كافراً .. والعياذ بالله .

والكافر لا تقبل منه عبادة أصلاً : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » ، وإما أن يكون تركه لهذا الفرض كسلاً من غير إنكار ولا استهزاء فيكون ناقص الإسلام ، ضعيف الإيمان ، ويخشى على إيمانه إذا استمر على هذا الترك .

ومع هذا فإن الله عز وجل لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وله ثواب ما أدى ، وعليه وزر ما فرط فيه .

قال الله عز وجل ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ .

أكل الصائم أو شربه ناسيا

س ـ كثيراً ما ينسى الصائم ، فيأكل أو يشرب ثم يتذكر أنه صائم فما الحكم ؟

جـ ـ جاء فى الصحيحين : « البخارى ومسلم » من حديث أبى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « .. من نسى وهو صائم فأكل وشرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه » .

وفى لفظ للدارقطنى بإسناد صحيح « فإنما هو رزق ساقه الله إليه ولا قضاء عليه .. » .

وفى هذا دلالة صريحة على عدم تأثير الأكل والشرب فى حالة النسيان ـ على صحة الصيام : لقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . وقد ثبت أن الله أجاب هذا الدعاء .

وكما جاء فى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله وضع عن هذه الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

وعلى ضوء ما تقدم فإن على الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً أن يكمل صيام يومه ، ولا يجهز له الفطر ولا قضاء عليه .

البقيـة ص ١٠٦٣

من أعلام الأزهر

عبد الرحمن البرقوقي

صاحب مجلة البيان ومحقق التراث

يُذْكَر الأستاذ أحمد حسن الزيات بمجلة الرسالة والدكتور أحمد أمين بمجلة الثقافة والدكتور محمد حسين هيكل بمجلة السياسة الأسبوعية ولا يُذْكَر الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى بمجلة « البيان » وقد كان أسبقهم جميعاً إلى ريادة الصحافة الأدبية الممتازة فى وقت كان فيه صاحب المجلة الأدبية ذات الهدف العلمى البحت مستشهداً ببذل جهده وماله وأجمل سنوات عمره فيما يعود على الأدب والأدباء بالنفع ، وعليه بالضر ، لقد أشرقت مجلة البيان فى مفتتح العقد الثانى من القرن العشرين لتؤدى رسالة لا تؤديها مجلتا المقتطف والهلال ، إذ اختصت الأولى ببحوث العلوم العملية ، وترجمة ما ذاع منها على وجه التيسير ، واهتمت الثانية ببحوث التاريخ وما يدور حوله من نقاش ، أمّا التجديد الأدبى المشرئب إلى آفاق واسعة فى اكتمال الفنون الأدبية من مقالة وقصة ونقد وسير ذاتية وتعريب لطرائف الأدب الأوروبى ، ومحاولة تقديمه على أيدى صفوة مختارة من أدباء الشباب يتقدمهم العقاد والمازنى وشكرى وعباس حافظ ومحمد السباعى ومحمد حسين هيكل وأضرابهم ممن تسنموا فيما بعد قيادة الفكر المصرى ! هذا التجديد المتطور الذى قفزت به مجلة البيان قفزات فسيحة يجب أن يكون موضع الدراسة التحليلية ، إذا أردنا أن نتبين خطوات النهضة الأدبية على وجهها الصحيح ، وأنا فى حيرة كبرى لإهمال دور البيان فى قيادة النهضة الفكرية ، فلم نعرف رسالة جامعية تخصصت فى إيضاح دورها البناء ، كما رأينا رسائل شتى صرفت إلى دراسة مجلات لا تبلغ معشار معشار ما بلغته البيان ، وليس دور « البيان » بمنكور المحل لدى أعلام الفكر المعاصر فقد أشاد به العقاد والمازنى والزيات فى مناسبات مختلفة ، وهؤلاء من اليقظة الواعية بحيث لا يسكتون عن تقدير المتاضلين ، وننقل هنا بعض ما قاله الزيات والمازنى ليعرف الدارسون أى تاريخ كاد يغمره النسيان .

يقول الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى[1] :

« كان البرقوقى واسع الاطلاع على الأدب العربى حسن الفهم له ، وقد درسه على الشيخ المرصفى بالأزهر ، واستفاد من دروس الشيخ محمد عبده ، وعنايته بدلائل الإعجاز ، وأسرار

---

(١) من مقال منشور بجريدة البلاغ ٤/٦/٤٤ وأعيد نشره فى مقدمة كتاب (دولة النساء) للبرقوقى .

أ . د . محمد رجب البيومى

البلاغة للجرجانى ، ثم توسع بعد ذلك فى التحصيل والدرس ، ولكن الأدب الغربى كان بخايله قيودٌ لو تيسر له أن يطلع عليه ولا يجد إلا ما نقل عنه إلى اللغة العربية ، وما أقل ذلك ، وكان يعرف للمذهب الجديد فى الأدب العربى بمصر حقه وفضله ، ويكبره ولا يغمطه ، وكان رجلاً أوتى حسن الفهم ، وصحة الإدراك وسعة الصدر التى تدفع إلى سرعة الإقرار لكل ذى فضل بفضله .

كان يرجو أن يكون (بيانه) خلفاً لبيان اليازجى ، ولكنه أراد شيئاً ، وأراد الله خلافه ، فصارت مجلة « البيان » صحيفة لأهل المذهب الجديد فى الأدب ، العقاد وشكرى والسباعى وهيكل وكاتب هذه السطور وغيرهم ، ولم يكن ذلك التحول برغمه وعلى غير هداه ، ولا كان بادى الزهادة فيه ، فما كان له مذهب خاص فى الأدب يدعو له ، ولا كان له هم إلا جودة العبارة ، وجزالة الأسلوب ، ومن حسن الاتفاق أن دعاة المذهب الجديد ، يعنون بإحكام الأداء ودقته ووفائه كعنايتهم بالإخلاص وصدق السريرة ، وصحة النظر ، واستقامة الفكر ، والتنزه عن التقليد والمحاكاة !

هذا بعض ما قاله المازنى . نضيف إليه بعض ما قال الأستاذ أحمد حسن الزيات حين نعى البرقوقى يوم وفاته بمجلة الرسالة . فقال[٢] :

انتقل إلى جوار الله شيخ من شيوخ الأدب ، وعلم من أعلام الصحافة هو الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى ، منشىء مجلة البيان

الشيخ عبد الرحمن البرقوقي

وصاحب المؤلفات القيمة فى الأدب والتاريخ ، فجاءته المنيَّة وهو مشغول بإعداد الجزء الثانى [يريد الثالث] من كتابه الذخائر فأسكتت قلباً كان ينبض بأنواع المعرفة ، وأسكتت قلماً كان يجرى بمعانى الجمال ، والأستاذ البرقوقى كان ثمرة من ثمار الشيخ محمد عبده تأثر به فى الناحية الأدبية ، فكتب فى علوم البلاغة ، وشرح بعض كتب الأدب ، وكان من خير أعماله إصداره مجلة البيان فى عهد لم يكن فيه للأدب نفاق ، فلقى فى سبيل ذلك ما يلقى المجاهدون الأولون من الجهد والمشقة فى تذليل مصاعب الطريق ، وارتياد مجاهل الأرض ، جزاه الله على اجتهاده ←

(٢) مجلة الرسالة العدد ٥٧١ ـ ١٢/٦/١٩٤٤م .

من أعــلام الأزهــر

وجهاده خير الجزاء ، وعوض أمته وأسرته من فقده أحسن العوض » .

فإذا أردنا أن نفهم رسالة مجلة « البيان » فإننا نذكر أنها فاجأت القراء بضرب من الأدب القوى ذى التأثير الهادف ، والبيان الناصع ، فى عهد انتشر به دعاة اللغة العامية يرومون أن تحل محل الفصحى ، لأمور يدركون مغزاها الاستعمارى والدينى ، وطبيعى أن يضيق هؤلاء بمنحى البيان ، وأن يشنوا عليه الحملات مؤكدين أن الرجوع إلى أسلوب القرآن مما يصعِّب مهمة التفهيم فى عصر لا يدرى أبناؤه شيئاً عن بلاغة العرب .

كان البرقوقى شديد التتبع لما يوجه للبيان من نقد على مدى عام كامل ، حتى إذا افتتح العام الثانى واثقاً من عون الله ، وقدرته على المسير فى طريقه المرسوم ، رأى أن يبسط فى مقدمة العدد الأول من السنة الثانية (نوفمبر سنة ١٩١٢) رسالة البيان كما اعتزم أن يتمها ، فذكر أنه يبغى تربية الأمة عن طريق لغتها وآدابها ، لأنه يجدها الآن تكاد أن تتحلل من تاريخها ، ذاهبة فى غير طريقها ، سادرة فى الضلال ، إذ وجد بينها من سدرت أبصارهم وسحرهم زخرف الغرب ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وهم على ذلك بيننا نحوطهم بالرعاية فلا يرتدعون ، إذ صاروا رُقَعاً فى ثوب الأمة تترك فلا تروق ، وتُنزع فلا تكشف إلا عن خروق .

لقد أحكم البيان خطته فى اختيار أبوابه التى تعنى باللغة والتاريخ والأدب والتعريب ، وهى أبواب تجمع بيننا وبين مدنيتنا ، ثم تصلنا بمدنيات الأمم .

يقول الأستاذ البرقوقى[٣] :

« يؤثر البيان كل أسلوب فصيح ، ويقدمه ويحرص عليه الحرص كله ، ولا يبالى فيه اعتراض فئة هى خاصة العوام ، وعامة الخواص ، فإنه [illegible] أبعده ، ولم نبتغ بهذا البيان أن يكون وسيلة من وسائل العيش التى لا يقدرها أهلها بالأسباب ، ولا بالنتائج ، ولا بالمنافع ، ولا بالمضار ، ولكن بشىء واحد ، هو مقدار الثمن والفائدة » .

وقد عاشت مجلة (البيان) ما بين سنة ١٩١١ ـ ١٩٢١ ، وعانت الأهوال فى سنوات الحرب العالمية[٤] ، فاضطر صاحبها إلى أن يبيع أرضه الزراعية على سعتها ، وبعض العقار المنزلى ليضمن توالى الصدور دون نظر إلى العواقب ، فإذا رأينا اليوم من حققوا الأرباح الطائلة من مجلاتهم الدورية ، فلنذكر هؤلاء المستشهدين الذين أنشئوا الصحف ، لتخرب الجيوب وتعمر العقول ! وإلا فكيف استطاع الرجل الباسل أن يستمر فى إصدار البيان أكثر من عشرة أعوام ، دون معونة من حكومة ، أو استنادٍ إلى جاه زعيم ، أو تعضيد من ثرى ذى عطاء ، لذلك اتخذت « البيان » تصدر شهرية تارة ، ونصف شهرية تارة أخرى ، وفى حجم هزيل مرة ، وأخرى فى حجم مقبول وفق ما يتيسر لصاحبها من المال ، وليته اكتفى بأعباء « البيان » وحدها ، فقد طمحت به همته لأن يطبع عشرات الكتب الأدبية ما بين مترجمة ومؤلفة ، وأن يتحمل نفقاتها لتكون خسارتها المادية عبئاً يضاف إلى عبء المجلة ، لأن

---

(٣) البيان المجلد الثانى نوفمبر سنة ١٩١٢ .

(٤) العالمية الأولى .

المترجمات التى قامت بنشرها مثل كتاب « الأبطال » لكارليل ، و « الواجب » لجـول سيمون ، و « حديث المائدة » لأوليفاروند لهوفر ، و « الحكمة الشرقية » من آداب الفرس ، و « قصة المدينتين » لشارلز دكنز و « جمال الطبيعة » للورد فيرى ، هذه المترجمات وأمثالها لم تجد القارىء المشجع على نفاستها الغالية ، ولكنها وجدت الفدائى المستبسل فى شخص البرقوقى ، ولا أنكر أن من هذه المترجمات ما تداول الآن على أبعد نطاق ككتاب الأبطال ، وقصة مدينتين ، وجمال الطبيعة ، ولكن صدورها لأول مرة فى زمان البيان لم يجد رواجاً يحفظ من الخسارة ، ولا أقول يجلب الكسب ، فإذا كانت « البيان » بطولة نادرة فقد ضم البرقوقى إليها بطولة أخرى بهذه الروائع من المترجمات ، ولك أن تعجب بعد ذلك ممن ينتقد « صاحب البيان » فيرى أنه يعيش فى أفكار الجاحظ وابن المقفع ! على حين يرى مجلته ومطبوعاته تُزاوج بين التراث وأدب الغرب ، ولكنه يبغض التراث لحاجة فى نفسه !

وماذا تقول فيمن يعد آثار الجاحظ ذات تخلف ، لينكر على صاحب البيان أسلوبه البيانى وهو شعاع من شمس أبى عثمان !

لقد تحمل البرقوقى تكاليف « البيان » ، ومطبوعات إدارته ، دون أن ينبس بشكوى ، حتى إذا اضطر إلى إغلاقه بعد أن أكل اللحم والعظم وشرب الدم وَمَصّ النخاع ، نَفّسَ عن صدره فى المقدمة الرائعة التى افتتح بها كتابه (حضارة العرب فى الأندلس) حين ذكر(٥) أن « البيان » قد استأثر بنفسه ، وتدفق فى أذانه ، والح فى سطواته ، حتى أنه بعد أن التهم الوفر أكلاً وشُرْباً ، الوى بنفسه قلباً ولباً ، إذ أن هذا ـ كما يقول البرقوقى ـ : مصير كل من يمتهن الأدب فى الصحف ، وبخاصة إذا كان هو صاحب تلك الصحيفة ، له غنمها ، وعليه غُرمها ، ببلد سقط فيه نجم الآداب الرفيعة وطاش سهمها » .

ولا نستطيع أن نلم بموضوعات البيان فى عمره السعيد ، ولكننا نذكر أن كتباً كاملة للعقاد والمازنى وشكرى والسباعى وعلى أدهم والرافعى قد نشرت تباعاً فى البيان ثم جُمعت بعد أن تمت فى حلقات متصلة ، ومن هذه المقالات ما كان له ضجيج فى زمنه مثل مقالات « حديث القمر » للرافعى ، و « مذكرات إبليس » للعقاد ، و « رسائل الفيلسوف سنيكا » التى ترجمها الأستاذ صالح حمدى حماد ، وكرواية « وليم تل » بطل جهاد سويسرة ، واعترافات الفريد دى موموسيه مع ترجمة وافية له ، وكتاب « البيت والحياة المنزلية » لأمرش . و « العزوبة والزواج » لباكون و « فردريك غليوم » للورد ماكولى ، وعشرات من أمثال هذه الروائع .

ولكى نعرف ضحالة التفكير الأدبى لدى العامة من القراء فى عهد البيان ، فإننا نذكر أن نفراً من القراء لم يعجبهم ما ينشر البيان من الروايات المترجمة ، وظنوا ذلك انحداراً بالمستوى الأدبى للمجلة ، فكتبوا للبرقوقى يتعجبون من الاهتمام بالقصص الأوروبى ، عقب نشر البيان لقصة « نشيد الميلاد » التى ألفها شارلز دكنز وترجمها محمد السباعى ، وفى العدد الثانى من المجلد الثانى سنة ١٩١٢ ص ١٢٥ جاء هذا السؤال اللائم : كيف يعنى البيان هذه العناية بالروايات على قلة جدواها ، وهناك من الموضوعات الأدبية ما هو أجل وأفخم ، وأولى بعناية مجلة رصدت نفسها للأدب العربى ؟

فجاء رد البرقوقى قائلاً : هذه الروايات هى

(٥) حضارة العرب فى الأندلس للبرقوقى المقدمة ص « و » .

من أعلام الأزهر

آخر ما وصل إليه الأدب عند الغربيين ، وهى الحلقة الأخيرة التى ارتقت إليها آدابهم ، حتى إن الأديب الغربى الذى لا ينشىء الرواية بالفعل أو القوة لا يؤبه له ، وهذه الروايات وضعها واضعوها لغرض أنبل وأعظم ، وهو بث فكرة صالحة فى الأخلاق أو الاجتماع ، أو التاريخ ، مما حقه أن تنشأ له المقالات الحافلة والأسفار الطويلة ، ولكنهم آثروا هذا النوع من القول ، لما يمتاز به من معانى التشويق والاستهواء ، حتى يكون ذلك أدعى إلى استمكان ما يقصدون إليه من نفوس القارئين » .

وقول صاحب البيان إن واضعى الروايات الأوروبية ينشدون هدفاً أنبل وأعظم ، وهو بث فكرة صالحة فى الأخلاق أو الاجتماع أو التاريخ ، يدلنا على أنه يختار من القصص الأوروبى ما يقدم النفع الخلقى ، والإصلاح الاجتماعى ، أما القصص الهابط فبعيد عن مختارات صاحب البيان ، لا سيما أن القائمين على الترجمة من ذوى المثل الهادفة كالمازنى وعباس حافظ وعلى أدهم ومحمد السباعى ، وأذكر أن الأخير قد نشرت له مجموعة قصصه التى ترجمها للبيان تحت عنوان (مائة قصة) فجاءت فى سفر حافل يقرأه الأديب فلا يجد غير الرائع المستطاب ، ولا يؤخذ عليه فى رأيى غير الاستشهاد بالشعر العربى لمثل البحترى وابن الرومى وأبى العلاء المعرى افتكون المعانى التى عناها الأديب الأوروبى هى عين ما عناه الشاعر العربى دون اختلاف ؟

أكبر الظن أن التشابه فى بعض الخلجات كان السر فى الاستشهاد ، وهو ما كان موضع نظر لدى ! لأن ذلك يوحى للقارىء أن المترجم ينقل بالفحوى العام دون التزام بالنص الدقيق !

وقد أشار الأستاذ المازنى إشارة مقتضبة إلى أثر الإمام محمد عبده فى تلميذه البرقوقى ، والحقّ أن صاحب البيان ظل طيلة حياته يباهى بأثر الإمام فى تكوينه ، ويعد اتجاهه إلى الأدب ثمرة من ثمار الإمام ، وقد ظهر العدد الأول من البيان وبه حديث عن الإمام علق بذهن تلميذه ، فعدّهُ براعة استهلال للصحيفة الناشئة ، وقد ذكر الأستاذ محمد سعيد العريان فى كتاب (حياة الرافعى) أن الحديث لم يكن من خواطر الإمام ولكن الرافعى كتبه من تلقاء نفسه وعزاه[6] للإمام كى تكتسب مجلة البيان قبولا لدى القراء ! هذا ما قاله العريان ناقلاً عن الرافعى فى زعمه ، وزاد فذكر أن السيد رشيد رضا صاحب المنار ذكر أنه حضر حديث الإمام مع البرقوقى ، ولم يجد له أهمية تجعله يسارع بنشره من قبل ، باعتباره أثراً من آثار الإمام !! وتلك غفلة منه فى رأى الرافعى وتلميذه ، وذلك كله وهم باطل ، كشف عنه صديق للرافعى بمجلة الرسالة منتقداً ما جاء فى حياة الرافعى[7] ، ومؤكداً أنه إذا ثبت أن البيان من وضع الرافعى لكان قد أحل لنفسه أن ينسب إلى الإمام ما لم يقل ، وهذا مما يطعن فى خلقه ، ولكن الحقيقة أن مجلة « المنار » الصادرة بتاريخ ١٩١١/١١/٢١ قابلت ظهور مجلة البيان بالترحيب ، ولم يقل الشيخ رشيد إنه حضر مجلس الإمام مع البرقوقى ، وإنما قال إنه نقل كلام الأستاذ الإمام بمعناه لا بحروفه قطعاً . وهذا هو المعقول ، ونخلُصُ من هذا إلى تخطئة كل ما ذكره الأستاذ العريان خاصاً بهذا الموقف .

(٦) حياة الرافعى للعريان ص ٣٢٤ .
(٧) مجلة الرسالة العدد ٣١٥ - ١٩٣٩/٧/١٧ .

البقية ص ١٠٥٩

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

أنور رضوان

من أناشيد التوحيد

إلى أبطال الانتفاضة

أنوار رمضان

للشاعر رشاد محمد يوسف

تعالَوْا خِيرةَ الصحْبِ ... إلى الإيمان والحبِ
إلى القرآن والرضوانِ ... والغفران والتُّوْبِ
تعالَوْا للهدى والنور ... نُسْقَى من رضا ربى

فشهر الصوم بالانوار ... يكشف ظلمةَ الدرب
تعالَوْا نغترف منه ... رحيق الكوثر العذب
ونزرع احرفَ القرآن ... بين مشارف القلب

ونغسل بالتقى الوجدان ... من إثم ومن ذنب
وفيه الخلد فى الجنات ... بين حدائق غلب
لمن صلوا ومن صاموا ... ومن قاموا بلا ريب

• •

تعالوا إخوةَ الايمانِ ... من عُجم ومن عُرب
نصون محارم الإسلام ... من غصب ومن سلب
ونحفظ شِرْعَةَ المختار ... فى أثوابها القشب

نقدمها لكل الناس ... من شرق ومن غرب
شفاء من لظى الايام ... من كرب ومن جدب
به يتقاسمون الخير ... من ماء ومن عشب

• •

سألت الله تفريجا ... لما نلقى من الكرب
ولطفا بالذى سُطرّ ... او قدر فى الغيب

من أناشيد التوحيد

للشيخ محمد زكى إبراهيم

الأوَّلُ من ؟ الأول هو الآخِرُ من ؟ الآخر هو
الظاهر من ؟ الظاهر هو الباطن من ؟ الباطن هو
اللهُ ، فقل : جَلَّ اللهُ

قم نادِ وقل : ياهو ياهو وتجنَّبْ قوما قد تاهوا
عبد يستعطف مولاه هل ثَمَّ إلٰهٌ إلا هو
اللهُ ، فقل : جل اللهُ

ادركتُ به علمَ يقينى وشهدت به حق يقينى
وغدوت به عينَ يقينى فهو يقينى وهو يقينى
اللهُ ، فقل : جل اللهُ

اين استخفى المعنى الحقّ فى الجمع ترى او فى الفرق ؟
العجز هنا شان النطق والحكم لشوق او ذوق
اللهُ ، فقل : جل اللهُ

اذكُرْ واستغفِرْ من ذِكرك وَاشْكر وتبرا من شكرك
لا انت ولا انا لو تُدرِكْ هُوْ هُوْ هو هو قم فاستدرك
اللهُ ، فقل : جل اللهُ

اسرارٌ من نور الرب تنقدح بِعِلْمٍ فى القلبِ
فيحدثك الكون الغيبى حبا عن حب فى حب
اللهُ ، فقل : جل اللهُ

الى أبطال الانتفاضة

للشاعر أحمد المنشاوى الوردانى

رميتم فكان السهم سهما مسددا — وصُغْتُم من الأحجار ما روّع العدا
واسمعتم الدنيا زئير انتفاضة — ومن قبل لم تسمع لأصواتكم صدى
هبطتم على الأعداء شهبا صواعقا — لكى ترجعوا حقا وعزا وسؤددا
هزئتم بنيران العدو وكيده — وما هدّم البنيان فيكم وشرّدا
بطشتم بأفاقى الشعوب بعَزْمَةٍ — هى السيف بتّارا هى السيل مزبدا
لقد حسبوا ان الطريقَ ممهدٌ — فضلوا وما كان الطريق ممهدا
احاط بهم والجوّ جَوْن ملبد — وأظْلِمْ به جوًّا عليهم تلبدا
فطاشت بهم احلامهم وعقولهم — وطارت شَعَاعا كل آمالهم سدى
فاهلا بكم فى ساحة الحق فتية — رأوا فى سبيل الموت للمجد موردا
هو الحق ناداكم فلبّاه جَمْعُكم — ولم تُخلفوا للحق وَالْمَجْد موعدا
هو الوطن المسلوب ضج من الجوى — ومن فئة شَقَّتْ قلوبا واكْبُدا
كتبتم من التاريخ اروع صفحة — سيبقى لها التاريخ فى الكون منشدا
وغيرتُّمُ وجه الحياة بوقفة — تصون على الحر المجادة سرمدا
فلسطين أرض الخير والسلم والهدى — فقد عانقت موسى وعيسى وأحمدا
فلا تتركوها للطغام فريسة — يُقَسِّمُها نهبا ، ولو ذقتم الردى
هو الموت احلى من حياة ذليلة — ومن لم يعش حرا فلا عاش سيدا

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

الحب بين العباد والرب

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد محمد المدنى

تقديم :
عبد الفتاح حسين الزيات

الحب « سمو » أراد الله ـ سبحانه ـ له الا يشاب ، فإن شابه شيء فلياخذ اسما اخر غير الذى أراد الله له ـ سبحانه ـ من منزلة .. وتجده فى الكتاب العزيز والسنة الشريفة ، وإليك بيان فضيلة الدكتور :

لفظ « الحب » وما تصرف منه ، من الألفاظ الكثيرة الدوران فى الكتاب العزيز ؛ فقد جاء فى أكثر من ثمانين موضعاً منه على أساليب شتى ، إثباتا ونفيا ، وهو أيضامن الألفاظ التى وردت فى السنة المطهرة على نحو ما وردت فى القرآن الكريم .

و « الحب » فيما جاء من هذا وذاك نوعان :

(١) حب العبد لله .

(٢) وحب الله للعبد .

ولكل واحد من هذين النوعين ظاهرة جديرة بالنظر والدرس :

فأما حب العبد لله فهو منزلة ترتفع بصاحبها إلى أعلى درجات السمو والكمال والتنزه ، وهذه المنزلة تستدعى من صاحبها أن يؤثر محبوبه ـ كما هو الشأن فى كل محب ـ بكل شعب من شعاب قلبه وفكره ، وأن يضحى فى سبيله بكل رغبة من رغباته ، وأن يتحمل فى رضاه كل عناء ، ويصبر على كل بلاء ، ذلك أن الحب ـ كما يعهده الناس بين بعضهم وبعض ـ هو علاقة فوق المعرفة ، وميل وانعطاف فوق الإرادة والرغبة ؛ فكل واحد منا يعلم من نفسه أنه يعرف فلانا من الناس ، أو يعرف كذا من الأشياء معرفة رضا وقبول دون نبوٌ عنه أو نفور منه ، ولكننا لا نسمى هذا حبا ، لأن الحب أعمق فى نفس المحب أثرا ، وأكثر لفراغ القلب شغلا ، بل الحب الحقيقى هو

من روائع الماضي

الذى لا يترك فى القلب فراغا ، ولايدع للنفس سبيلاً للتوجه إلى ما سوى الحبيب .

وإذا كان الأمر بهذه المثابة ، فحب العبد لله هو الإيمان الحق ، وليس الإيمان الحق مجرد المعرفة وإذعان النفس ، وبعبارة أخرى : الإيمان الحق هو إيمان المحب لله المنفعل به الذى يؤثره على نفسه ، وتبدو آثار حبه إياه فى جميع أقواله وأفعاله وتصرفاته ؛ أما الإيمان الجاف الصامت السلبى الذى لا يعدو الإذعان النفسى ، والإقرار القلبى ، ولا تظهر آثاره فى مظهر من المظاهر العملية الإيجابية ، فليس هو الإيمان الذى يريده الله من عباده .

إن المؤمن الحق هو الذى أدرك جمال الله وجلاله ، وأدرك لطفه وإحسانه ، وعلم علم اليقين أنه هو المنعم المفيض الذى لا إنعام إلا به ، ولا فيض إلا منه ، ثم انفعل بهذا الإدراك فأحبه ، فأصبح قلبه مشغولاً به ، وعمله موجها إليه ، ولذته وارتياحه فى طاعته وعدم المخالفة عن أمره ، يتحمل فى ذلك ما يتحمل راضيا مغتبطا قرير العين مطمئن القلب ثابت القدم ؛ فإذا أحسن إليه حبيبه تلقى هذا الإحسان شاكرا بلسانه وقلبه وفعله ؛ وإذا ناله شىء فى سبيل مرضاته تلقاه صابراً عليه ، غير متبرم به ، ولا ضائق به صدرا .

ذلك هو المحب ، وذلك هو المؤمن ؛ وآية ذلك أن الله ذكر الكافرين والمؤمنين فجعل حبه هو العلامة المميزة بين هؤلاء وهؤلاء إذ يقول : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ . وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ .

وذكر الذين يتبدلون بدين الحق ما سواه فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ . فقد وضع الحب فى موضع الإيمان . وقد نعى الله على الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة فوصفهم بأنهم ﴿ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ . وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾ أى إنهم أحبوها فآثروها ، ولو أحبوا الله لآثروه . ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ . وقد نفى الإيمان عمن يوادون أعداء الله فقال : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾وذلك لأن عدو المحبوب عدو للمحب ، كما أوجب على المؤمنين حب رسوله وحب أوليائه ؛ لأن محبوب المحبوب محبوب ، ورسول المحبوب محبوب ؛ وفى ذلك يقول الرسول الكريم : « لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » . « وما تحاب اثنان فى الله إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه » ، ويقول الله عز وجل : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ . وهكذا نرى حب الله وإيثاره على كل ما سواه هو الإيمان الحق فى كل ما جاء على لسان الشرع . والدستور الجامع فى ذلك هو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ . وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ . وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

وأما حب الله للعبد فلم يثبته القرآن الكريم إلا لذوى الأعمال العظيمة التى تفوق فى قيمتها ومنزلة العاملين بها ماسواها من جنسها ، ولم ينفه إلا عن ذوى الصفات السيئة الموغلة فى السوء التى من شأنها أن تشيع الضرر والفساد .

بيان ذلك أن الآيات التى اثبتت حب الله للعباد تصف هؤلاء العباد المحبوبين بأوصاف هى أمهات الأخلاق ومنابع الفضائل النفسية ، ولها من السمو عما يشاركها فى أصل معناها مايجعلها جديرة بالحب الذى هو فوق مجرد القبول والرضا .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ والإحسان صالح لأن يراد به الإنعام على الغير ، وأن يراد به الاتقان والتبريز فى كل شىء ، فإذا أريد به الإنعام فهو منزلة فوق الإعطاء لأن الإعطاء قد يشاب بشائبة من المن أو الأذى أو اختيار الأدنى تخلصا منه ، ولا يكون العطاء إحساناً حتى ينزه عن ذلك كله ، ويسمو صاحبه فيه إلى الدرجة التى يصفها الله ورسوله فى مثل : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ و ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ ﴾ « ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماانفقت يمينه » و ﴿ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ﴾ ، من كل ما يدل على تحرى الحالة الفضلى ، والصورة المثلى فى كل جانب من الجوانب .

وإذا أريد بالإحسان إتقان العمل عامة والاحتفال له والتبريز فيه ، فليس كل من ادى عملا يكون محسناً بمجرد ادائه ، فالأداء قد يكون مجرد تخفف وإبراء ذمة ، أما إحسان العمل وأداؤه كاملا متقنا فهذا شىء آخر ؛ وإنهم ليقولون : إن الإحسان فوق العدل إذ العدل هو التسوية ، والإحسان معنى زائد عليها ، فمن أدى الحق وأخذ الحق فهو عادل ، ومن تجاوز عن بعض حقه مسامحة منه وكرماً ، واعطى اكثر مما عليه تلطفاً منه وتفضلاً ، فهو محسن ؛ ولذلك يقول الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ فيطلب المعروف فى الاتباع والمطالبة ، والإحسان فى الأداء ، ويقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ فلا يكتفى بالعدل الذى هو المساواة ولكن يأمر بما فوقه وهو الاحسان ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

بهذا يتبين أن الله جلت حكمته لم يمنح حبه لمجرد الإنفاق أو الاداء على ماجرت به العادة ، وإن كان يرضي عن ذلك ويقبله ، ولكنه منح هذا الحب الذى هو فوق الرضا والقبول لما يناسبه .

ولما كان المحب يعامل حبيبه بمنتهى الكرم ، ويتلطف معه أعظم التلطف ، فإن الله جل علاه يعامل المحسنين الذين يحبهم هذه المعاملة ، فيقول : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وكما يقال هذا فى الإحسان يقال أيضا فى الصبر ، إذ الصبر منزلة فوق الاحتمال ، لأنه مجاهدة وحبس للنفس عن كل ضجراو تبرم ؛ وهو أساس كثير من الفضائل ، وإن اختلفت أسماؤها ؛ فالشجاعة هى الصبر على مكاره الجهاد ؛ والجود هو الصبر على بذل المال والمعروف ؛ والكتمان هو الصبر على شهوة الإفاضة والكلام ؛ والعفاف هو الصبر على نوازع النفوس والشهوات ؛ ورحابة الصدر هى الصبر على المثيرات والمحفظات ، وهكذا ؛ ولذلك يعلن الله انه ﴿ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ ويذكر الصبر فى خصال البر ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ ويجعل الصابرين هم أصحاب الحظ العظيم ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ويعلن أنه سيغمر الصابرين بمزيد من الفضل الذى يعادل هذا الحب فيقول : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا

من روائع الماضى

صَبَرُوا جَنَّةً ﴾ ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ .

وقل مثل هذا فى بقية المواضع التى اثبت الله فيها حبه لعباده ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ و﴿ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ و ﴿ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ و ﴿ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .. الخ .

وقد جاء الحديث الشريف مؤيداً لهذا المعنى القرآنى إذ يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه عن ربه « قال الله تعالى : لايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به » .

وليست النوافل فى الحديث هى صلاة ركعتين أو ركعات بين يدى الفريضة أو بعدها فحسب ، ولكنها كل زيادة وفضيلة فوق ماهو مطلوب فى العادة ، وذلك يشمل كل ناحية من نواحى الحياة ، كالإحسان والصبر والتقوى والتطهر ... الخ .

ومعنى قوله : « كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به » هو التوفيق والهداية والرعاية فى كل حال ، نتيجة للحب الذى منحه إياه ؛ ولاشك أن الذى يسمع بالله ، ويبصر بالله لا يضل ولايشقى ، وذلك أيضا هو معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ و ﴿ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ إذ يلزم هذه المصاحبة كل توفيق وسداد .

بقى بعد ذلك الآيات التى نفى فيها الله حبه عن عباده ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ و ﴿ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ، ولا شك أن الفساد إجرام فوق العادة ، وأن المفسدين أعداء المجتمع والعاملون على تقويض بنيانه ، وزعزعة أمنه واطمئنانه ، فإن الشخص الذى يذنب ذنبا عاديا يكون جرمه على نفسه ، أما الذى يعيث فى الأرض الفساد فجرمه على المجتمع كله ، ولذلك قد يتوب الله على الأول أى يوفقه للتوبة والرجوع ويغفر له ، أما الثانى فقلما يوفق للتوبة لأن قلبه مظلم ، ونفسه فى ضراوة الوحوش الكاسرة .

وحسبنا أن الله جل علاه يذكر الفساد والمفسدين فى أخطر المناسبات ، إذ يقول : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ .

ونتيجة هذا المقت للفساد والمفسدين هى ما ذكره الله عز وجل فى مثل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

وكذلك يقال فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ ، وفى القرآن الكريم بيان عاقبة هذا المقت وعدم الحب ، مثل قوله : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .

واحسب أنه لا يصعب بعد هذا البيان على من شاء من القراء ، أن يتتبع الفكرة على هذا النحو فى مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ و ﴿ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ و ﴿ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ و ﴿ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ .

وخير ما أختم به هذا الحديث دعاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى كان يدعو به ربه « اللهم ارزقنى حبك ، وحب من أحبك ، وحب ما يقربنى إلى حبك » .

العلوم الكونية

قراءة إسلامية في كتاب الكون

اللبن

قراءة إسلامية

في كتاب الكون

الإسلام ومنهج النظر العلمي :

سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن أعجب ما رأته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت : كل أمره كان عجباً ، أتانى فى ليلتى حتى مسَّ جلده جلدى ثم قال : « ذرينى أتعبَّد لربى عز وجل » فقلت : والله إنى لأحب قربك ، وإنى أحب أن تعبد ربك ، فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صبَّ الماء ، ثم قام يصلى فبكى حتى بلّ لحيته ، ثم سجد فبكى حتى بلّ الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال : يارسول الله ما يبكيك ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « ويحك يابلال ، وما يمنعنى أن أبكي وقد أنزل الله علىّ فى هذه الليلة ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ . رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ ثم قال : « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها »[١] . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج ذات ليلة بعد ما مَضَى ليلٌ فنظر إلى السماء ، وتلا هذه الآية : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ إلى آخر السورة ، ثم قال : « اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، وعن يمينى نوراً ، وعن شمالى نوراً ، ومن بين يدى نوراً ، ومن خلفى نوراً ، ومن فوقى نوراً ، ومن تحتى نوراً ، وأعظم لى نوراً يوم القيامة »[٢] .

هكذا يرفع الإسلام من شأن العلم ، ويجعله الأساس فى فهم العلاقة بين الله والكون والإنسان ، بل إنه طالب من أول لحظة أن يمتثل المسلمون للأمر الإلهى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[٣] بكل دلالاته ومعانيه الإسلامية ، لا فرق فى ذلك بين قراءة كلمات الله القرآنية فى كتابه المسطور ، وقراءة كلماته الكونية فى كتابه

• الكاتب : أستاذ الفيزياء ـ كلية العلوم جامعة القاهرة .

١ ـ الآيات من سورة آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩٤ ، والحديث أخرجه ابن مردويه ، وانظر ابن كثير ج ١ ص ٣٤٨ ، وصفوة التفاسير ، القسم الأول ص ٧٦ .

٢ ـ رواه ابن مردويه عن ابن عباس ، نفس المرجع .

٣ ـ سورة العلق : ١

المنظور . ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(٤) .

فالقرآن الكريم لا يكاد يدع موطناً فى الكون دون أن يطوف بالإنسان خلاله ، ويستثير فيه النظرة المتأملة المستقصية ، ويلفت أصحاب العقول الراجحة وذوى القلوب المؤمنة إلى المنهج الصحيح فى التعامل مع الكون واستقراء لغته وإشاراته ، باعتباره كتاب معرفة للإنسان المؤمن الموصول بالله ، وبما تبدعه يد الله . قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾(٥) .

وقراءة الآيات المنبثة فى جنبات الكون وظواهره تتم بالاستخدام الأمثل لملكات الإدراك والعلم التى وهبها الله للإنسان لتلمس الحقائق الكونية بالاختبار والرصد والقياس والاستدلال ، مستعيناً فى ذلك بحواسه أو ما يرقى إلى مستوى الحس ويُعمِّقُه من أجهزة وآلات . وقد فطن المسلمون الأوائل إلى حقيقة الدعوة القرآنية إلى القراءة والعلم وإمعان النظر فى ملكوت السموات والأرض سعياً إلى الهداية واليقين . فهذا أبو عبد الله القزوينى الذى ينتهى نسبه إلى أنس بن مالك ، كان شغوفاً بعلوم الفلك والفيزياء والنبات والحيوان والجيولوجيا ، وكان يدون كل ما يقع عليه سمعه وبصره وكل ما يهتدى إليه عقله وفكره من حكم عجيبة وخواص غريبة مخافة أن تفلت أو تشرد .

وأوصى فى كتابه « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » بإعادة النظر فى ظواهر الكون والبحث عن حكمتها وتصاريفها لتظهر لنا حقائقها وتنفتح لنا عين البصيرة ، ونزداد من الله هداية ويقيناً ، فليس المراد بالنظر تقليب الحدقة نحو السماء ، فإن البهائم تشارك الإنسان فيه ، ومن لم ير من السماء إلا زرقتها ، ومن الأرض إلا غبرتها ، فهو مشارك للبهائم فى ذلك وأدنى حالاً منها وأشد غفلة كما قال تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(٦) .

المسلمون وعلم المناظر (البصريات) :

بهذه الروح الإيمانية الخلاقة اندفع المسلمون فى مطلع عصر الرسالة الإسلامية إلى الأخذ بمنهج النظر والبحث العميقين فى مختلف مجالات العلوم وقدموا للحضارة الحديثة رصيداً هائلاً من كتب وأبحاث واكتشافات ، لولاها لما وصل الإنسان إلى حضارة التقنية المعاصرة ، أو لتأخر سير المدنية عدة قرون . وفى مقدمة هذه العلوم يأتى علم المناظر (أو البصريات) الذى ينسب بأكمله إلى الحسن بن الهيثم . ويعنى هذا العلم بدراسة نظرية الضوء وخواصه وظواهره وتطبيقاته بما فيها الأجهزة البصرية بمختلف

٤ ـ سورة يس : ٨٢

٥ ـ سورة فصلت : ٥٣

٦ ـ سورة الأعراف : ١٧٩

انواعها . واهمية علم المناظر تكمن فى ان اى تقدم يحرزه المتخصصون فيه ينعكس مباشرة على باقى فروع العلوم الكونية ، وهل تقدمت علوم الفلك والفضاء والكيمياء والطب والصيدلة والجيولوجيا والنبات والحيوان وغيرها إلا بتقدم علم « المناظر » وأبحاث الضوء والأجهزة البصرية . ويسجل تاريخ العلم أن كتاب « المناظر » للحسن بن الهيثم يعتبر أول كتاب يحدث انقلاباً فى نظرية الإبصار ويضع الأساس السليم لعلم مستقل له أصوله وقوانينه . وقد نشرت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية عدة مرات ، واعتمدته جامعات أوروبا مرجعاً اساسيا لعدة قرون ، ولا يزال المنصفون من علماء الغرب يشيرون إليه كلما تحدثوا عن علم البصريات أو صنفوا فيه الكتب والمراجع .

ومع تقدم المعرفة البشرية عن تركيب المادة وبناء الذرة من جهة ، واكتشاف المزيد من الكواكب والنجوم والمجرات فى الكون من جهة أخرى ، دخل العلم الحديث مرحلة العوالم الثلاثة المعروفة بعالم الخلية والذرة والنواة متناهى الصغر وعالم المجرات والمسافات الفلكية متناهى الكبر وعالم المقاييس البشرية العادية . ومن ثم لم تعد العين المجردة وبقية الحواس قادرة على مواصلة القراءة والبحث فى المخلوقات الدقيقة أو البعيدة التى يجاوز بعدها وحجمها حدود الحس البشرى . وكان اختراع المجاهر البصرية هو الدفعة القوية لمواصلة البحث فى أعماق الفضاء وسبر أغوار المادة والخلايا الحية .

المجهر (الميكروسكوب) :

المجهر هو جهاز لتكبير الدقائق الصغيرة ، يتكون من مجموعة من العدسات الشيئية (أى التى تواجه الشىء المراد تكبيره) والعينية (أى التى ينظر المشاهد خلالها بعينيه ليرى الشىء مكبَّرا) ، ويسمى المجهر الضوئى المركب ، وهو مانراه عادة فى معامل البحوث العلمية والتحاليل الطبية والطبيعية . وقد أمكن تطوير هذا المجهر وزيادة قدرته على التكبير إلى أكثر من الف مرة . وافاد ذلك علماء البيولوجيا ومهندسى التعدين وعلماء الأراضى والمياه الجوفية والأحياء المائية فى تكبير الميكروبات وتفاصيل المقاطع والعينات .

وبعد أن طبقت العلوم الحديثة خصائص الالكترونات فى الأجهزة البصرية توصل العلماء إلى المجهر (الميكروسكوب) الالكترونى الذى تبلغ درجة تكبيره ربع مليون مرة ، ويتم فيه تكثيف شعاع الالكترونات بواسطة عدسات مغناطيسية أو كهروستاتيكية وتظهر الصور المكبرة واضحة على شاشة عرض كمثل التى تستخدم فى أجهزة التليفزيون . وقد تمكن الباحثون بواسطته من اكتشاف أضأل الفيروسات وفحص تفاصيل أدق فى الخلايا والجراثيم ودراسة العوامل الوراثية .

ومن المعروف أن رؤية الأجسام تتم إذا كانت ابعادها وأحجامها تقع فى حدود الطول الموجى للأشعة المستخدمة فى رؤيتها . لهذا كانت المجاهر الضوئية المركبة محدودة القدرة على التكبير عن المجاهر الالكترونية ، لأن الأخيرة يمكن التحكم فى قصر الطول الموجى للالكترونات بزيادة سرعاتها . وقد بذل العلماء حديثا جهوداً مضنية لتطوير المجهر الالكترونى ، وتمكنت بعض الدول الكبرى

من زيادة قدرته على التكبير إلى مليون مرة بعد أن غذته بجهود كهربية فائقة الارتفاع تبلغ مايقرب من المليون فولت ، فانفتح بذلك مجال أكبر للرؤية والقراءة في دقائق الكون المتناهية في الصغر .

المقراب (التلسكوب) :

المقراب (التلسكوب) هو جهاز تكبير الأجسام البعيدة ، ويتكون من عدسة شيئية كبيرة تجمع أكبر قدر ممكن من الضوء الصادر عن الجسم المراد رصده ، وعدسة عينية للنظر من خلالها إلى الصورة المكبرة للجسم . ولما كان من الصعب عمل عدسات كبيرة كاملة فإن كثيرا من التلسكوبات الفلكية تستخدم مرآة مقعرة مكان العدسة الشيئية . وتقاس قدرة المقراب الفلكي بأقطار عدساته أو مراياه التي تبلغ عدة مئات من الأمتار . ويمكن أن نتصور مدى التقدم الهائل الذى طرأ على أجهزة البصريات الفلكية إذا علمنا أن مقراب « جاليليو » الذى وجهه نحو السماء منذ حوالى أربعة قرون كان ذا تكبير يزيد على مقدرة تمييز العين البشرية عشرين ضعفا ، وقد مكنها حينذاك من رؤية أوجه كوكب الزهرة ، والأطواق المحيطة بكوكب زحل ، والأقمار الأربعة المنيرة حول كوكب المشترى ، وجبال قمر الأرض ووهاده ، والنجوم الكثيرة في درب التبانة . أما اليوم فإن المقراب الفلكي العملاق القابع فوق جبل « بالومار » بأمريكا قد كشف عن أجسام يقل ضياؤها مليون مرة عن تلك التى أمكن لجاليليو أن يراها . لكن القيود التى تفرضها ظروف الغلاف الجوى وأحواله تحول دون تمييز معالم هذه الأجسام البعيدة أو الصغيرة . وقد ساعدت أجهزة الرصد الفلكية عبر هذه القرون على كشف الكثير من الأسرار الكونية المتعلقة بحركة الأجرام وطبيعة النجوم .

ومع تقدم أبحاث الفضاء خلال العقدين الأخيرين بدأ تصميم المراصد الفلكية التى تعمل فوق متن المعامل الفضائية ، فقد حمل معمل الفضاء الأمريكي « سكاى لاب » أول مقراب فلكي معلق في الفضاء لالتقاط صور الشمس والنجوم والمذنبات من مدار عال على ارتفاع ٤٣٥ كيلو مترا ، دون أى تعويق من الغلاف الجوى للأرض أو للسحب المحيطة بها . وكان للمقراب أربعة أذرع وضع عليها (٣١٢) ألف خلية كهروضوئية تعمل على تشغيل أجهزته عن طريق تحويل الطاقة الشمسية الساقطة عليها إلى طاقة كهربية . ومن المنتظر أن تطلق الولايات المتحدة الأمريكية هذا العام (١٩٨٩م) مقرابا فضائياً من فوق متن المكوك ، يسبح في الفضاء لمدة عشر سنوات متحررا من كل العوائق التي تعوق عمل التلسكوبات الأرضية .

المقراب الإشعاعي (الراديوى) :

ظلت التلسكوبات الضوئية حتى عهد قريب وسيلة النظر الوحيدة إلى أعماق الفضاء ، وقدرة تمييزها محدودة بالأطوال الموجية للضوء الذى يمكّن العين من رؤية الأجسام أوتصويرها . ومدى هذه الأطوال الموجية يشكل جزءا صغيراً من الطيف الكهرومغناطيسى الكلى ، ومن ثم فإن هذا النوع من التلسكوبات يمكنه فقط رصد الأجسام التى تكون مُحمَّاة لدرجة الابيضاض حتى تظهر مضيئة ويصدر عنها ضوء قوى ، كما هو الحال بالنسبة للشموس والأجرام المتوهجة والأقمار المنيرة الساطعة .

أما الأجرام الباردة أو النجوم الأقل توهجاً

قــــراءة اســــلاميــة

فيلزم لكشفها رؤية أطوال موجية أكبر من الضوء المرئى ، وهى أمواج (الراديو) أو (اللاسلكى) التى تستخدم فى المقراب (الراديوى أو الإشعاعى) . وقد ساعد هذا النوع من المراصد الراديوية على تقدم علم الفلك الإشعاعى واكتشاف عالم جديد فى أعماق الكون لم يكن معروفا للإنسان من قبل ، قوامه نبضات راديوية شمسية أو كوكبية ، ونجوم نابضة (Pulsars) كان العلم قد تنبأ بها نظرياً فى أول الأمر ، وأشباه نجوم (Quasars) ومجرات وغيوم عملاقة من الجزيئات . كذلك تم اكتشاف مجموعة من النجوم الثنائية التى يبدو أحدها كثقب أو فجوة سوداء لأن كثافته تكون عالية جداً لدرجة أن جاذبيته تعمل على إعادة الضوء الصادر منه إليه ولا تسمح لأشعته الضوئية بالهروب منه على الإطلاق . ولا تقتصر أهمية الموجات الراديوية على أنها تكشف عن عالم جديد من الظواهر الفلكية فحسب ، بل إنها تتميز بمقاومتها لأى تشوه ينتج عن اضطرابات الغلاف الجوى أو العيوب الصغيرة فى المقراب لكونها أطول بكثير من الموجات الضوئية .

ويقوم علماء الفلك الراديوى حالياً فى أمريكا بتصميم مقراب راديوى بمساعدة عشرة هوائيات على شكل شبكة تمتد مسافة ثمانية آلاف كيلو متر ، أى ما يقرب من قطر الأرض ، وستبلغ قدرة تمييزه قدراً أفضل ألف مرة من قدرة تمييز أضخم التلسكوبات الضوئية الأرضية التقليدية ، وينتظر لهذا المرصد الفلكى الذى يكتمل بناؤه فى أوائل العقد القادم أن يبين صوراً واضحة لقلوب (الكوازارات) ونوى المجرات ، وأن يبين تفاصيل العمليات الدافعة لها ، والتى يعتقد بأنها تستمد طاقتها من الثقوب السوداء .

وهكذا نرى أن قراءتنا فى كتاب الكون تزداد مع التطور اتساعاً وعمقاً ، ليظل وعد الحق قائماً بقوله تعالى فى كتابه المسطور : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٧) صدق الله العظيم .

أ . د . احمد فؤاد باشا

(٧) سورة الإسراء ـ ٨٥ .

اللبن ومكوناته

للأستاذ: أحمد حلمي عزت *

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ النحل - ٦٦

قال رسول الله ﷺ :

" من اطعمه الله طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وارزقنا خيراً منه ، ومن سقاه الله لبناً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ؛ فإنى لا أعلم مايجزىء من الطعام والشراب إلا اللبن "

« رواه ابن ماجه
كتاب الأطعمة باب اللبن »

اللبن مادة معقدة التركيب ، وينتج فى أحسن صفاته من الإفراز الطبيعى للغدد اللبنية فى الحيوانات الثدية الخالية من الأمراض ، وترجع أهمية دراسة تركيبه إلى نواحٍ متعددة من حيث إن :

١ ـ اللبن غذاء يحتوى على جميع العناصر اللازمة لبناء جسم الإنسان وتجديد نشاطه .

٢ ـ اللبن مادة سريعة التغير ولذلك فهو عرضة للتلف ، فمثلاً إختلاف (الإنزيمات) الموجودة فى اللبن يؤدى إلى تباين فى مدد حفظه .

٣ ـ كذلك تتوقف صفات منتجات الألبان على نوع اللبن المستعمل فى الصناعة فمثلا إختلاف نسبة الأصباغ فى اللبن تؤدى إلى اختلاف لون الزبد الناتج ، كما هو الحال بالنسبة للزبد البقرى الأصفر والزبد الجاموسى الأبيض .

٤ ـ يتوقف صافى المنتجات على تركيب اللبن المستعمل ، فيتأثر صافى الزبد بنسبة الدهن الموجودة فى اللبن ، وارتفاع نسبة الدهن والمواد الصلبة اللادهنية باللبن يزيد من صافى الجبن .

←

* الكاتب : مهندس زراعى .

← اللبـــن

تكوين اللبن إجمالاً :

وعموما يبنى تكوين اللبن على شقين رئيسيين هما :ـ

(أ) المـــاء :

وهو الجزء الغالب فى اللبن ؛ إذ تبلغ نسبته فى اللبن البقرى حوالى ٨٧٪ والجاموسى ٨٥٪ .

(ب) الجوامد الكلية :

وهذه تكون الجزء الباقى ، وتنقسم بدورها إلى :

١ ـ دهن .

٢ ـ جوامد لا دهنية وتشمل :

البروتينات ـ اللاكتوز (سكر اللبن) ـ الرماد ؛ بالإضافة إلى احتواء اللبن على نسبة من الصبغات والفيتامينات والغازات كالاكسجين وثانى أكسيد الكربون .

ويعمل مقارنة بين اللبن الجاموسى والبقرى نجد أن :

	الجاموسى	البقرى
نسبة الدهن	٧٪	٤٪
نسبة البروتين	٢ر٤٪	٦ر٣٪
نسبة سكر اللبن	٩ر٤٪	٧ر٤٪

وجدير بالذكر أنه يمكن تعديل اللبن الجاموسى بحيث يقارب مثيله فى لبن السيدة المرضعة ، وذلك بتخفيف اللبن الجاموسى بإضافة مثل حجمه من الماء ثم إضافة ٥ر٤٪ من السكر إلى المخلوط**.

مكونات اللبن بالتفصيل :

أولا : الماء

تتراوح نسبة الرطوبة فى اللبن البقرى بين ٧٢ر٨٨ ـ ٢١ر٨٢٪ وفى الجاموسى بين ٨٦ر٨٥ ـ ١٣ر٧٩٪ وتوجد معظم هذه الكمية من الماء فى حالة حرة[1] والباقى على صورة مرتبطة[2] إما مع بروتينات اللبن أو « الفوسفولبيدات » أو ملتصقة على أسطح كريات الدهن . وترجع أهمية ماء اللبن أنه يعطى اللبن مظهره السائل ، فهو الوسط الذى يوجد به الدهن على حالة تعلق ، كما أن له دوراً أساسياً فى معظم التفاعلات الكيماوية والتخمرات فى اللبن .

ثانيا : المواد الدهنية فى اللبن :

توجد المواد الدهنية فى اللبن بنسبة تتراوح بين ١ ـ ٢٠٪ فى الحيوانات الثديية البرية بينما ترتفع فى الحيوانات المائية إلى ٥٠٪ كالحوت وتنتشر المادة الدهنية فى اللبن على هيئة صبغات دقيقة (ميكروسكوبية) تختلف أقطارها تبعاً لعدة عوامل منها : نوع الحيوان ـ سلالته غذاؤه ـ عمره .

ويبلغ متوسط حبيبات الدهن فى اللبن الجاموسى ٤ر٤ (ميكرون)[3] والبقرى (٢ر٣) ميكرون .

البقيـة ص ٢٠٧٢

** هناك اعتراضات علمية على هذه العملية من أهمها أن نسبة الدهن والفيتامينات تنخفض كثيراً عما هى فى لبن الأم المرضعة ، وأن تقارب الصفات الغذائية لسكر اللبن والسكر العادى لايعنى الجزم بتساوى كفاءتيهما الغذائية فى تغذية الرضيع . (مجلة الأزهر) .

(١) الماء فى حالة حرة : هو الماء غير المرتبط بأى عنصر آخر كالماء الذى نحصل عليه من البخار المتصاعد من عملية الغليان ، ويمكن التخلص من وجوده فى اللبن بالتسخين إلى درجة ١٠٥°م لمدة ٢ : ٣ ساعة تحت الضغط العادى .

(٢) الماء فى صورة مرتبطة : يعنى الحالة المقابلة للماء فى حالة حرة ويقصد بها : الماء حالة كونه مرتبطا بعناصر أخرى يصعب إنفصاله عنها بالغليان ولا تظهر له الخواص المعروفة للماء .

(٣) الميكرون : وحدة قياس مقدارها جزء من مليون من المتر .

اللغة والأدب والنقد

ديوان شعر جابر بن حني التغلبي

للاحتباك

ديوان شعر

جابر بن حُنَىّ التغلبى

الجزء الأخير

وقال جابر بن حُنَىّ التغلبى* :

نُعَاطى المُلُوكَ السِّلم مَا قَصَدُوا بِنَا ... وَلَيسَ عَلَينـا قَتلُهم بِمُحَـرَّمِ (٢٠)

وَكَائِن أَزَرْنَا المَوْتَ من ذِي تَحِيَّةٍ ... إذا مَاازدرانَا أَوْ أَسَفَّ لِمَأْثَمِ (٢١)

• الابيات تتمة القصيدة السابقة .

(٢٠) نعاطى : نمنح . ماقصدوا بنا : اي مدّة قصدهم . ويعلق التبريزي : أي نسالم الملوك ماداموا يسيرون فينا بالسيرة المثلى ، فإذا عدلوا بنا عن منهج الحق قاتلناهم ، وخرجنا عليهم » . نُعاطى : تفاعل من العطية . والسلم : الصلح .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص٢١٠ ، وشرحها للانبارى ٤٢٦ ، وشرحها للتبريزي ٥١٢ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء النصرانية ١/١٩٠ .

وبرواية ثانية فى « معجم الشعراء » ص٢٠٧ ، والنقائض ٨٨٧ :

———— الحقَّ ———— ————

وبرواية ثالثة فى الاختيارين :

———— ماقصدوا له ————

وبرواية رابعة فى : اللسان (مكس) :

تعاطى الملوكُ ———— ————

واشار الانباري إلى رواية خامسة وهى رواية الاصمعى « ماقصدوا لنا » وفى شرح المفضليات للتبريزي ص٥١٢ : « ... قال أبو عمرو بن العلاء خرجت انا والفرزدق من عند الوليد بن عبد الملك وهو متكىء على يدى فانشدته قول التغلبي :

تـعـاطـى المـلـوك النصـف مـاقصـدوا بنـا ————

فقال لى الفرزدق : ارشدك ام ادعك فى ضلالتك ؟ فقلت : لا بل أرشدني ، فقال أنشد إذاً :

نُـعَـاطـى المُلـوكَ النصـف مَـاقصـدوا لنـا ————

(٢١) ازدرانا : حَقَّرنا ، والازدراء : الاحتقار والانتقاص والعيب . الإسفاف : الدنو .

ورد البيت السابق بروايته السالفه فى : المفضّليات ـ ٢١١ ، وشرحها للانبارى ـ ٤٢٧ ، وشرحها للتبريزي ـ ٥١٣ ، ومنتهى الطلب ص ٣٠٧ وشعراء النصرانية ١/١٨٩ .

واشار التبريزي إلى رواية ثانية :

———— غـدا طَـوْرَهُ لـمـا أَسَـفَّ لِـمـأْثَـمِ

واشار محقق شرح المفضليات للتبريزي إلى رواية ثالثة فى إحدى النسخ الخطية التى اعتمد عليها فى تحقيق الشرح :

———— ———— لمأثم

وورد برواية رابعة فى الاختيارين :

وَكَائِن رَأَيْنَا ———— ———— أصَرَّ لِمأثم

واشار الانبارى إلى رواية خامسة :

———— غـدا طَـوْرَهُ لـمـا آزاز لِـمـأْثَـمِ

وقوله : عدا طوره اي جاوز ماتناوله يده . واشار إلى رواية سادسة ايضاً :

وَكَـائـن ارينـا المـوت مـن ذى مـهـابـةٍ ... إذَا مـاازدرانـا أَوْ أَصَرَّ لِـمـأثـمِ

جـمـع وتحقـــيق
الأستاذ/أيـمن محـمد عـلى ميـدان

وقـد زعمت بهـراءُ أنّ رِمَـاحنـا   رِماحُ نصارى لاتخوض إلى دَمِ (٢٢)
فَيَـومِ الكُلاب قـد ازالت رمـاحُنَـا   شُرحبيلَ إذ آلى اليَّة مُقْسِمِ (٢٣)

---

(٢٢) بهراء : بطن من قضاعة من القحطانية . وهم بنو بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . كانت منازلهم شمالى منازل بلى من الينبع إلى عقبة ايلة ، ثم جاوروا بحر القلزم ... معجم قبائل العرب ص ١١٠ . رماح نصارى : يريد انها ضعيفة فيها خور .

ولقد دلل الاب لويس شيخو بهذا البيت على نصرانية جابر . وعلّق محققاً المفضليات على قول لويس شيخو بقولهما : « وهو بهذا البيت أبعد مايكون عن النصرانية » .

ويعلق التبريزي قائلاً : « ادّعت علينا هذه القبيلة انّا لا نرى القتل فرماحنا كرماح النصارى لا تغمسها فى الدماء . وإنما قال هذا لأن من دين النصارى الصبر على الظلم رغبة فى الأجر المكتسب ، ومن وصاياهم : إذا لطم أحدهم على الخدّ الأيمن أن يبذل خدَّه الأيسر ولا يتأبى » .

ففى الآية ٢٩ من الإصحاح السادس . إنجيل لوقا ص ١٠٢ تقرأ : « من ضربك على خدّك فاعرض له الاخر ايضاً . ومن اخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك ايضاً » .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١١ ، وشرحها للانباري ص ٤٢٧ وشرحها للتبريزي ٥١٣ ، ومنتهى الطلب ٢٠٧ ، وشرح أبيات المغنى اللبيب ٢٨٧٤ ، وشعراء النصرانية ١/١٩٠ .

وورد برواية ثانية فى الاختيارين :

________ رماح يهود ________

(٢٣) الكُلاب : موضع أو ماء بين الدهناء واليمامة ، كان به وقعتان عظيمتان للعرب ، إحداهما بين ملوك كندة الأخوة وانضمام بعض القبائل العربية لكل ، وكان فى الجاهلية . والثانى : كان لبنى سعد والرِّباب وكان رئيسهم فى هذا اليوم قيس بن عاصم . وكان فى الإسلام .

وبيان يوم الكلاب الأول فى موضعه من الدراسة . وهو يوم لتغلب على بكر وبنى يربوع قتل فيه أبو حنش التغلبي شرحبيل بن الحارث بن عمرو بن حجر أكل المرار الكندي وهو عم امرىء القيس .... فى حديث طويل . آلى : حلف . الألية : مصدره . ومقسم : اسم فاعل بمعنى حالف .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١٢ ، وشرحها للانباري ٤٢٧ وشرحها للتبريزي ٥١٣ ، ومنتهى الطلب ٢٠٧ ، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٣٨٧/٤ ، وشعراء النصرانية ١/١٩٠ .

وبرواية ثانية فى النقائض ٨٨٧ ، وشرح ديوان المتنبى للعكبري ٢/٣٦٤ :

ويـوم الكـلاب استنـزلـت أسـلاتنـا ________

قال أبو حنيفة : « الأسل : عيدان تنبت طوالاً دقاقاً مستوية لا ورق لها ، يعمل منها الحصر » . والأسل : الرماح على التشبيه به فى اعتداله ، وطوله واستوائه ودقة أطرافه . والأسل : النبل ... والأسلة : طرف السنان . وقد جمع جابر الأسل : الرماح على أسلات كالفرزدق :

قـد مـات فى أسـلاتنـا إذ عضـه   غَضْبٌ بـرونقـه الملـوك تُقَتَّلُ

وبرواية ثالثة فى الاختيارين :

فيوم كُلابٍ ________ ________

تناولهُ بالرمح ثم انثنى لهُ
فخرَّ صريعاً لليدين وللفم (٢٥)

لينتزعن أرْمَاحَنَا فأزالهُ
أبو حنشٍ عن ظهر شَقَّاء صِلْدِمِ (٢٤)

وَكَانَ مُعَادِينا تَهِرُّ كِلَابُهُ
مَخَافَةَ جَيْشٍ ذى زُهاءٍ عَرَمْرَمِ (٢٦)

(٢٤) لينتزعن : جواب القسم الذي تقدم ذكره في البيت السابق « ال » . ارماح : جمع جمع . ازاله : اطاح به . ابو حنش : عصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم قاتل شرحبيل الكندي يوم الكلاب الاول ... في حديث طويل . الشقاء : الطويلة من الخيل . الصلدم : الصلبة . ويعلق التبريزي في شرحه للمفضليات قائلاً : « كأنه كان حلف انه يزيل مالي اخلاقنا من الإباء وجعل نزع الرماح كناية عن هذا المعنى » .

ورد البيت بالرواية السابقة في : المفضليات ص ٢١٢ ، وشرحها للانباري ٤٤١ وشرحها للتبريزي ٥١٣ ، وشرح ديوان المتنبي للعكبري ٣٦٤/٢ ، وشرح أبيات المغنى ٢٨٧/٤ ، وشعراء النصرانية ١٩٠/١ .

وبرواية ثانية في : النقائض ٤٥٨ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ .

ليستلبن ادراعنا ——————— ———————

ادراع : واحدها درع وهي لبوس الحديد تذكر وتؤنث ، والجمع في القليل ادرع وادراع .

وبرواية ثالثة في : النقائض ٨٨٧ .

ليستلبن افراسنا فاستذله ——— سَرْجِ ———

وبرواية رابعة في : الاختيارين

——— أدراعَنا ——— ———————

وبرواية خامسة في : ديوان الأدب ١٥٧٣ للتغلبي :

——————— ——— سَرْجِ ———

السَّرْج : رحل الدابة .

(٢٥) تناوله : طعنه . انثنى له : اي انثنى له . خر : سقط . صريعاً : طريحاً . ويعلق التبريزي : « وقوله لليدين وللفم إن شئت جعلته من تمام خر . وإن شئت نويت به الاستئناف ، ويصير لليدين وللفم كلام مُقْتَضَب شامت » .

ورد البيت بالرواية السابقة في : المفضليات ٢١٢ ، وشرحها للانبارى ٢١٢ وشرحها للتبريزي ص ٥١٤ ، وشرح أبيات المغنى ٢٨٧/٤ ، وشعراء النصرانية ١٩٠/١ .

وبرواية ثانية في : النقائض ص ٨٨٧ .

——— حتى ثنى له ——————— ———————

وبرواية ثالثة في : النقائض ص ٤٥٨ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ .

——— ثم ثنى له ——————— ———————

وبرواية رابعة لابن الكلبي أوردها الانباري في شرحه للمفضليات ص ٤٣٤ :

——— بالسيف ——— ———————

وأشار الانباري في شرحه إلى رواية اخرى « ثم انثنى له » .

(٢٦) تَهِرُّ : تصدر صوتاً دون النباح . ذى زهاء : اي كثير العدد والعدة . عرمرم : كثير .. شديد .. والمعنى : ان معاديهم يكون ابداً مذعوراً غير آمن .

ورد البيت بالرواية السابقة في : المفضليات ص ٢١٢ ، وشرحها للانباري ٤٤١ وص ٤٣٤ برواية ابن الكلبي ، وشرحها للتبريزي ص ٥١٤ ، وشعراء النصرانية ١٩٠/١ .

وبرواية ثانية في : النقائض ص ٤٥٨ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ .

——————— ——— جمع ———

وعمـرو بن هَمَّامٍ صَقَعْنَا جَبِينَـهُ   بِشَنعاءَ تَشفِي صَوْرَةَ المتظلِّمِ (٢٧)

يَرَى الناسُ مِنَّا جِلْدَ أَسْوَدَ سَالِخٍ   وَفَرْوَةَ ضِرْغَامٍ مِنَ الأُسدِ ضَيْغَمِ (٢٨)

---

(٢٧) عمرو بن همام هذا لم أعرفه ، وربما قصد عمرو بن هند وهذا زعم تدعمه رواية النقائض ص ٨٨٧ ، صقعه : علا رأسه ، الشنعاء : الضربة المقطعة ، الصَّورة : الميل عن الحق والعدول عن الصواب ، المتظلم : الظالم .

ورد البيت بالرواية السابقة في : المفضليات ص ٢١٢ ، وشرحها للأنباري ص ٤٤١ .

وبرواية ثانية في النقائض ص ٨٨٧ .

وعمرو بن هند قد صَقَعْنَا جبينَهُ   ——————

عمرو بن هند : ملك الحيرة قتله عمرو بن كلثوم التغلبي ، وبه أطلقت العرب عليه أحد فتاك العرب ، وقالت في أمثالها « أفتك من عمرو » .

ويرد برواية ثالثة في : لسان العرب (صقع) .

وعمرو بن همام صقعنا جبينه   بشَنْعَاء تَشْفِي نَخْوَةَ المتظلم

النخوة : العظمة والكبر والفخر .

ويرد برواية رابعة في : شعراء النصرانية ١/١٩٠ .

وعمرو بن همام صقلنا جبينه   ——————

الصقل : الضرب الذي يسمع له صوت .

(٢٨) الأسود : العظيم من الحيات ، ويُنعت بسالخ ؛ لأنه يسلخ جلده كل عام ، الفروة : أعلى الرأس ، الضرغام : الضاري المقدام ، الضيغم : الأسد الشديد العض ، الواسع الشدق ، يريد أن الناس تخشى جانبهم خشيتهم من الأفعى والأسد .

ورد البيت بالرواية السابقة في : المفضليات ص ٢١٢ ، وشرحها للأنباري ٤٤١ وشرحها للتبريزي ص ٥١٤ ، والبيان والتبيين ٣/٢٢٤ ، ومنتهى الطلب ص ٣٠٨ وشعراء النصرانية ١/١٩٠ .

وبرواية ثانية في الحيوان ٦/٣٧٨ للتغلبي :

ترى ——————   ——————

وبرواية ثالثة في ديوان العجاج ص ٤١٤ :

لَبِسْنَا لَهُ مِن جِلْدِ أَسْوَدَ سَالِخٍ   ——————

وقبله :

● وكنا إذا الجبار صَعَّرَ خَدَّهُ   أقمنا لَهُ مِن مَيْلِهِ المُتَقَحِّمِ

والبيت الثاني رواه المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٠٧ ثالث بيتين هما :

نُعَاطِي الملوكَ الحقَّ ما قَصَدُوا بِنَا   وليس علينا قَتْلُهُم بِمُحَرَّمِ

أَلَمْ تَكُ لَهُم من قتل عمرو بن مرثد   إذا وردوا ماءً ورمحُ ابن هرثم

● وهذا البيت يروى للمتلمس من قصيدة له أولها :

يُعَيِّرُنِي أُمِّي رجالٌ ولن ترى   أخا كرمٍ إلا بأن يتكرما

ويروى البيت برواية رابعة في مجموعة المعاني ٣٦ .

يرى الناسُ منا جلد أرقم سالخ   وفروة ضرغامٍ من الأسْدِ ضيغم

من صور الحذف البليغ
الاحتباك

هو نوع من انواع الحذف المدلول عليه بدليل يصححه ، والذى يقع فى الكلام البليغ لسر يرجحه ، حتى ترى فيه ترك الذكر ، افصح من الذكر والصمت عن الإفادة ازيد للإفادة كما ذكر الإمام عبد القاهر فى اسرار الحذف البلاغى بعامة[1] . والحذف على الإطلاق صورة من صور شجاعة العربية ، كما عبر عن ذلك ابن جنى[2] ، وهو فى هذا اللون بخاصة ادق واعمق فى هذه الشجاعة لانه يقع فى متقابلين حذف من كل منهما ما ذكر مقابله فى الجانب الآخر ، وبذا تميز عن غيره من صور الحذف ، فصار لوناً مفرداً ، ونسيجاً غريباً فى بنائه ، وفى دلالته ، وفيما يتضمن من اسرار ولطائف معنوية ، لا يهتدى إليها إلا النقاب المبرز ، والباحث المدقق .

إهمال البلاغيين لهذا اللون :

بمراجعة كتب البلاغة التى خصصت لهذا العلم من علوم العربية ، والتى انتهت إلى تقسيم الفنون البلاغية وتوزيعها على ثلاثة علوم (المعانى والبيان والبديع) لم أجد ذكراً لهذا اللون من الحذف ، ولا وضعا لمصطلح يميزه عن غيره من الفنون .

فهذا هو الخطيب القزوينى يذكر صور الإيجاز بالحذف ، ويذكر أن المحذوف إما جزء جملة ، أو جملة ، أو اكثر من جملة ، ولا يذكر من امثلة هذا اللون البلاغى شيئاً[3] ، مع أن صور الاحتباك تدخل تحت اللونين الأولين من الحذف ـ أعنى حذف جزء الجملة وحذف الجملة ـ كذلك لا نراه قد ذكره بين ألوان البديع سواء ما يعود منها إلى التحسين المعنوى وما يعود منها إلى التحسين اللفظى .

وقبله السكاكى ذكر شاهداً من شواهد الاحتباك من غير أن ينص على اسمه أو يذكر سره البلاغى ، وذلك حينما قال : « ومن الإيجاز قوله : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ ـ « التوبة : ١٠٢ » أصل الكلام خلطوا عملاً صالحاً بسىء وآخر سيئاً بصالح ، لأن الخلط يستدعى مخلوطاً ومخلوطاً به : اى تارة أطاعوا وأحبطوا الطاعة بكبيرة ،

(١ ، ٢) راجع دلائل الإعجاز ١٧٨ طبعة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، والخصائص ٢/٣٦٠ وما بعدها . طبعة دار الهدى لبنان .

(٣) راجع الإيضاح : ٢/١٢٢ ـ ١٣٠ طبعة الشيخ عبد المتعال الصعيدى الثامنة .

د. عبد الحميد محمد العيسوى*

وأخرى عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة »[٤] .

فتراه يركز على أن هذه صورة من صور الإيجاز ، ويذكر أصل الكلام ، دون بيان المرجحات هذا الحذف .

وعلى ذلك مضى كل شراح التلخيص ومن نحا نحوهم ، فلم يذكروا هذا اللون البلاغى ضمن صور الإيجاز بالحذف ، ولا ضمن ألوان البديع التى اقتصر عليها الخطيب فى التلخيص الإيضاح .

المسيرة التاريخية لهذا اللون البلاغى :

ـ بالبحث والتنقيب فى علوم العربية وعلوم القرآن عثرت على أول تنبيه يلفت إلى هذه الصورة الخاصة من الحذف فى الأساليب العربية عند سيبويه (ت ١٨١) وذلك عندما ذكره فى « باب استعمال الفعل فى اللفظ لا فى المعنى لاتساعهم فى الكلام والإيجاز والاختصار » فقد ذكر صوراً من الاتساع فى الكلام والإيجاز والاختصار ، وذكر من الاتساع والإيجاز قوله عز وجل : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ . « البقرة : ١٧١ » ، وقال : « فلم يشبهوا بما ينعق ، وإنما شبهوا بالمنعوق به ، وإنما المعنى : مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذى لا يسمع ، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى »[٥] .

فترى سيبويه يذكر أن هذه صوره من صور الاتساع والإيجاز ، ويقدر المحذوف فى كل ضرب من طرفى هذا التمثيل تقديراً يبرز المعنى المراد ، ويذكر مصحح هذا الحذف وهو أن المخاطب العربى الذى يفهم مرامى الكلام الفصيح يعلم المعنى المراد ويقدر فى نفسه المحذوف لقوة الدلالة التركيبية عليه .

وقد عقب الزجاج على كلام سيبويه بقوله : « ولأن الله تعالى أراد أن يشبه شيئين بشيئين : الداعى والكفار بالراعى والغنم فاختصره ، ولكنه اكتفى بذكر الكفار من المشبه والراعى من المشبه به ، فدل ما أبقى على ما ألقى ، وهذا معنى كلام سيبويه »[٦] .

ـ فإذا انتقلنا إلى ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وجدناه يذكر فى « باب المقلوب » ما قلب على الغلط ، كقول حداش بن زهير :

وتركب خيل لا هوادة بينها
وتعصى الرماح بالضباطرة الحمر[٧]

أى تعصى الضباطرة بالرماح ، وهذا ما لا يقع فيه التأويل ، لأن الرماح لا تعصى بالضباطرة وإنما يعصى الرجال بها ، أى : يطعنون ، ومنه قول الآخر (عبيد الله بن قيس الرقيات) :

←

* الكاتب : مدرس البلاغة والنقد ـ كلية اللغة العربية . الزقازيق .

(٤) مفتاح العلوم : ١٣٥ الطبعة الأولى لمصطفى الحلبى .

(٥) الكتاب لسيبويه : ١/٢١٢ . الطبعة الثانية للهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٦) إعراب القرآن المنسوب للزجاج : ١/٤٧ ـ المؤسسة المصريه للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ م .

(٧) الضيطر : اللئيم الضخم .

أسلمته في دمشق كما
أسلمت وحشية وهقا[٨]

أراد : كما أسلم وحشية وهقّ . وقال آخر (نسب في لسان العرب للنابغة الجعدى) :

كانت فريضة ما تقول كما
كان الزناء فريضة الرجم

أراد : كما كان الرجم فريضة الزناء[٩] .

ثم يقول ابن قتيبة : (وكان بعض أصحاب اللغة يذهب في قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ إلى مثل هذا في القلب ويقول : وقع التشبيه بالراعي في ظاهر الكلام والمعنى للمنعوق به وهو الغنم »[١٠] .

ولا يرضى ابن قتيبة عن هذا التنظير في تفسيره الآية الكريمة قياساً على ما يقع عند الشعراء ويعلل لرفضه بقوله : « لأن الشعراء تقلب اللفظ وتزيل الكلام على الغلط أو على طريق الضرورة للقافية أو لاستقامة وزن البيت .. والله تعالى لا يغلط ولا يضطر ، وإنما أراد : ومثل الذين كفروا ومثلنا في وعظهم كمثل الناعق بما لا يسمع ، فاقتصر على قوله : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وحذف ومثلنا لأن الكلام يدل عليه[١١] فهو يرفض أن يكون في الآية قلب ما دام لها مخرج صحيح ، لأن القلب في النظم البشرى يمليه الغلط ، أو الإضطرار ، أو تسامح الشعراء في التعبير ، ومثل هذا يجب أن ينزه عنه القرآن الكريم ، وإذا كان المقلوب مما يفهم ثقة بعلم السامع لغرض القائل والضرورة التي أملته فإنه لا يزال مقلوباً أملاه الغلط أو الضرورة ، والله تعالى لا يغلط ولا يضطر .

على أننا نلحظ أن ابن قتيبة يقدر المحذوف في جانب المشبه فقط ، بينما كان تفسير الزجاج لمراد سيبويه يبين أن الحذف وقع في الطرفين ، ولعله نظر إلى أن (مَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً ونداء) يفهم منه الغنم بدلالة (الَّذِي يَنْعِقُ) حيث ورد في لسان العرب في مادة « نعق » النعيق : دعاء الراعي الشاء ، يقال : انعق بضأنك ، أي : ادعها ، وأنه يكون في الضأن والمعز ، وأما في صوت الغراب فالغين فيه أحسن كما نبه عليه الثقات من أئمة اللغة .

والمهم فيما سبق أن ابن قتيبة لا يرى في الآية قلباً ، وإنما يرى فيها تقديراً وحذفاً يدل عليه الكلام بتركيبه وفحواه ، ولكنه أيضاً لا ينبه على مزية هذا الحذف التي ترجحه على الذكر ، كما لا يضع له اسماً خاصاً ، وإنما هو لون من ألوان الحذف الذي يشيع في أساليب العربية وفي سنامها القرآن الكريم اعتماداً على فهم السامع للمراد من قوة دلالة الكلام على المحذوف .

- ويظل أمر هذا النوع من الحذف على هذا المنوال في كتب أئمة اللغة والمفسرين يقدرون المحذوف في الآية ومصحح الحذف وأنه قوة دلالة الكلام على المحذوف حتى نصل إلى الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فنراه يوسع دائرة التأويل في الآية الكريمة السابقة ، فيذكر أنه لابد من مضاف محذوف تقديره : ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق ، أو ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق ، والمعنى : ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان

---

(٨) الوهق بفتحتين : حبل في طرفيه أنشوطة تصاد به الدابة .

(٩) راجع تأويل مشكل القرآن : ١٩٨ ، ١٩٩ شرح السيد أحمد صقر ، الطبعة الثانية ، دار التراث بالقاهرة .

(١٠) المصدر السابق : ١٩٩ .

(١١) المصدر السابق : ٢٠٠ - ٢٠٣ .

ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التى لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذى هو تصويت بها وزجر لها ، ولا تفقه شيئاً آخر ، ولا تعى كما يفهم العقلاء ويعون .

ويجوز أن يراد بما لا يسمع الأصم الأصلخ الذى لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء والتصويت لا غير ، ومن غير فهم للحروف[12] .

فعلى التقدير الأول يكون الحذف فى أحد طرفى التمثيل المركب لا فى كليهما ، وأن المراد بما لا يسمع البهائم كما هو الظاهر من لفظ « ما » ولكن الزمخشرى بعد ذلك يخصصه بالضأن عندما يذكر أن النعيق : التصويت ، يقال : نعق المؤذن ، ونعق الراعى بالضأن ، كما قال الأخطل :

فانعق بضأنك ياجرير فإنما
منتك نفسك فى الخلاء ضلالا

وأما نغق الغراب فبالغين المعجمة[13] .

وعلى الوجه الثانى يكون تقدير الحذف فى المشبه فقط ، ولكن يضعفه أنه خلاف الظاهر من كلمة « ما » وذكر النعيق بدلالته الماضية .

ثم يذكر وجهاً ثالثاً بلا حذف ولا تقدير ، وهو أن يكون المعنى : ومثلهم فى اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التى لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته ، فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ، ولا يفقهون : أهم على حق أم باطل[14] .

وهذا التقدير منظور فيه إلى ربط هذا التمثيل بإجابة الكفار المقلدين فى الآية السابقة عليه فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . . . ﴾

وهذا الوجه وإن سلم من الحذف والتقدير لا يلائم مجموع الآية السابقة من بدايتها ، لأن فيها داعياً ومدعواً ودعاء ، كلها صريح ، كما أن آية التمثيل معطوفة بجملتها على الجملة الشرطية بتمامها ، لتقرير ما ذمهم به من التقليد وعدم استماعهم سماع تدبر وفهم للرسول صلى الله عليه وسلم المد من عند الله بالتأييد .

ثم يذكر الزمخشرى وجهاً رابعاً لا حذف فيه أيضاً ولا تقدير بأن يكون المعنى : ومثلهم فى دعائهم الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع ، لكن ضعف هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ والأصنام لا تسمع شيئاً[15] ، ومعنى ذلك أنه لابد من مراعاة أن ما يذكر فى أحد الطرفين لابد أن يكون له دخل فى انتزاع وجه الشبه المركب ما دام داخلاً فى جملته .

وهكذا ترى الزمخشرى قد ذكر عدة تأويلات فى الآية قوى بعضها بذكره أولاً وضعف البعض الآخر بتأخيره ، أو بتصريحه بعدم الملاءمة لما ذكر فى الآية ، لكنه ابتعد عن تقدير سيبويه الذى يدل على وجود حذف فى طرفى التمثيل يدل عليه ما ذكر فى كل منهما ، ولعل ذلك إنما كان لما فيه من كثرة الحذف على ما قالوا .

ـ فإذا تقدمنا إلى القرنين السابع والثامن الهجريين وجدنا أبا حيان (٦٥٤ ـ ٧٥٤ هـ) يذكر فى الآية آراء عديدة بحذف وتقدير ، وبدونهما ، ويذكر أن العلماء قد اختلفوا فى تفسير سيبويه للآية السابقة ، فقيل : هو تفسير معنى لا تفسير إعراب ، وقيل : هو تفسير إعراب ، وأن فى الكلام حذفين : حذف من الأول ، وهو حذف داعيهم ، وقد أثبت نظيره فى الثانى ، وحذف من الثانى ، وهو حذف المنعوق

←

(١٢) راجع الكشاف : ٣٢٨/١ . طبعة مصطفى الحلبى .
(١٣ ، ١٤) راجع الكشاف : ٣٢٨/١ . مطبعة مصطفى الحلبى .
(١٥) راجع الكشاف : ٣٢٨/١ . طبعة مصطفى الحلبى .

به ، وقد أثبت نظيره في الأول ، فشبه داعي الكفار براعي الغنم في مخاطبته من لا يفهم عنه ، وشبه الكفار بالغنم في كونهم لا يسمعون مما دعوا إليه إلا أصواتاً ، ولا يعرفون ما وراءها وفي هذا الوجه حذف كثير ، إذ فيه حذف معطوفين ، لأن التقدير الصناعي : ومثل الذين كفروا وداعيهم كمثل الذى ينعق والمنعوق به .

وعلى الرغم من ذلك فإن أبا حيان يذكر أن هذا الوجه قد قرره جماعة من النحاة منهم : أبو بكر بن طاهر وتلميذه ابن خروف ، وأبو على الشلوبين ، وقالوا : إن العرب تستحسنه وإنه من بديع كلامها ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ « النمل : ١٢ » ، والتقدير : وأدخل يدك في جيبك تدخل وأخرجها تخرج بيضاء ، فحذف تدخل لدلالة تخرج ، وحذف وأخرجها لدلالة وأدخل .

قالوا : ومثل ذلك قول الشاعر (أبو صخر الهذلى) :

وإني لتعروني لذكراك فترة
كما انتفض العصفور بلله القطر[١٦]

لم يرد أن يشبه فترته بانتفاض العصفور حين يبله القطر ، لكونهما حركة وسكوناً ، فهما ضدان ، ولكن تقديره : أنى إذا ذكرتك عرانى انتفاض ثم أفتر ، كما أن العصفور إذا بلله القطر عراه فترة ثم ينتفض ، غير أن وجيب قلبه واضطرابه قبل الفترة ، وفترة العصفور قبل انتفاضه .

ثم يذكر أبو حيان أن الأقوال التى حكاها في الآية الكريمة إنما هى على مراعاة تشبيه مفرد بمفرد ، ومقابلة جزء من المشبه بجزء من المشبه به ، وأما إذا كان التشبيه من باب تشبيه الجملة بالجملة فلا يراعى في ذلك مقابلة الألفاظ المفردة ، بل ينظر فيه إلى المعنى ، وعلى هذا الضرب من التشبيه حمل الآية أبو القاسم الراغب فقال : فلما شبه قصة الكافرين في إعراضهم عن الداعى لهم إلى الحق بقصة الناعق قدم ذكر الناعق ليبنى عليه ما يكون منه ومن المنعوق به[١٧] .

والذى يؤخذ من كلام أبى حيان وما نقله عن غيره عدة أمور :

أولاً : أن الوجه الذى ذكره سيبويه في تفسير الآية ـ على الرغم مما فيه من كثرة الحذف وجه مستحسن عند العلماء وعند العرب ، وهو من الألوان الغريبة البديعة للحذف وله نظائر في كلام العرب ، وإن كان من تعرضوا لهذا النوع من الحذف لم يذكروا إلا هذا الشاهد السابق من كلام العرب على اختلاف في روايته ، وعلى ما سيتضح فيما بعد .

ثانياً : أن أبا حيان ينقل طريقة هذا الحذف ، وهو حذف جزء من الأول أثبت ما يدل عليه في الثانى والعكس ، وهذا ما سوف نراه عند تعريف الاحتباك فيما يأتى من أطوار البحث في هذه الظاهرة البلاغية ، فأبو حيان ـ كمن سبقوه ـ يذكر تعريف الاحتباك لكنه لا يضع مصطلحه ، ولا مصطلحاً آخر قريباً منه .

ثالثاً : أن أبا حيان ومن نقل عنهم لا يذكرون سوى تقدير المحذوف الذى دعت إليه المناسبة بين طرفى التشبيه ، حتى يتواءم ظاهر الكلام مع دلالته المرادة ، ولا يذكرون مرجحات هذا الحذف وأسراره البلاغية .

---

(١٦) نسب إليه في أمالى القالى : ١/١٨٧ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والرواية : هزة مكان فترة التى أثبتها أبو حيان .

(١٧) راجع تفسير البحر المحيط لأبى حيان : ١/٤٨٢ الطبعة الثانية ، دار الفكر ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

رابعاً : أن تقدير سيبويه إنما هو تحليل لجزئيات الأسلوب فى مراحلها الأولى قبل أن تتكون منها الصورة الكاملة للتمثيل ، وآية ذلك أنه قال : والمعنى كذا .... وسأزيد ذلك إيضاحاً فيما بعد .

ويبقى لى أن اذكر بأن الآية الكريمة من التمثيل المركب قطعاً ، كما ينبىء عنه لفظ المثل ، ولا حاجة إلى ادعاء أنها من قبيل التشبيه المفرق ، حتى يكون الداعى فى مقابلة الناعق والكفرة فى مقابلة المنعوق به والدعاء فى مقابلة النعيق ، فذلك ما لا يساعد عليه لفظ (مثل) ، ولا بناء الأسلوب فى جانب الممثل به الذى هو الصورة الموضحة والمقررة للمُمثَّل .

وخلاصة ما تقدم أننا لم نعثر فيما مضى إلا على التنبيه لهذا اللون من الحذف ، ووصف كيفيته ، واستحسانه دون ذكر سر هـذا الاستحسان ، أو وضع هذا الصنف تحت اسم يخصه ويتميز به عن سائر الوان الحذف ، مع أنه لون عزيز لطيف فيه إبداع وغرابة مما كان يؤهله لأن يوضع تحت عنوان مستقل ، وإذا كان اللغويون والمفسرون حتى القرن السابع لم يسموا الظاهرة ، ولم يبينوا أسرارها المعنوية ، فإننا نعثر فى هذا القرن على أول محاولة لوضع مصطلح لها واستكناه بعض أسرارها التى لا تؤدى بغير هذا الحذف .

- فهذا ابن أبى الأصبع (ت ٦٥٤) فى بديع القرآن ، يذكر هذا النوع من الإيجاز باعتباره قسما من اقسام باب التوهيم الأربعة ، وذكر الآية الماضية فى مثل الكفار على أنها من القسم الذى يوهم ظاهره أن الكلام قلب فيه عن وجهه لغير فائدة ، وأنها عند التحقيق تفيد فائدة لا يفيدها الكلام لو جاء على أصله[١٨] .

ونرجىء الآن بيان هذه الفائدة إلى المبحث الذى نخصصه لذكر أمثلة الظاهرة وأسرارها البلاغية ، لكننا نركز الآن على التقدير الذى قدره حين قال : ولو جاء الكلام على وجهه لقيل : ومثل الذى يدعو الذين كفروا كمثل الذى ينعق ، أو يقال : ومثل الذين كفروا كمثل الضأن ، ومثل الذى يدعوهم كمثل الذى ينعق ، فيقال : ما الفائدة فى قلب هذا الكلام عن وجهه ؟[١٩] .

ومن الواضح أن المراد بالقلب هو عدم المواءمة فى الذكر بين جزئى المشبه وجزئى المشبه به حيث جاء فى مقابلة الجزء الأول وهو الذين كفروا الذى ينعق وهو الثالث وفى مقابلة الجزء الثانى وهو الذى يدعوهم الضأنُ غير المصرح بها وهو الرابع ، وهذا قلب للكلام عن وجهه .

ومن الواضح أيضاً أن هذا التقدير ليس بلازم ما دام قد ارتضى الحذف والتقدير ، وأن التقدير يمكن أن يكون على طريقة سيبويه التى فسرها الزجاج ، وبذا تتواءم جزئيات المشبه مع جزئيات المشبه به فى الترتيب ، وإن كان العلماء المدققون قد ذكروا أنه ما دام المقصود تشبيه حالة بحالة أو قصة بقصة فليس من الضرورى مراعاة الترتيب بين مكونات الطرفين فى الذكر ، فالمراد هنا بناء على ذلك تشبيه حال هذا الداعى مع من دعاه فى أنهم يسمعون قوله ولا يفهمونه بحال الراعى الصائح بغنمه ، وسواء فى ذلك أن يقدر الداعى مقدماً أو مؤخراً ، وأن يقدر الناعق مقدماً أم مؤخراً ، لكننا إذا ما أمكننا أن نراعى الترتيب فى المقابلة من غير إخلال بشىء من قواعد العربية فى التقدير فإنه يكون أولى وأليق .

←

(١٨) راجع بديع القرآن : ١٣٦ وما بعدها تحقيق الدكتور حفنى شرف ط . الثانية دار نهضة مصر .

(١٩) المصدر السابق .

الاحتباك

وبعد أن يشرح ابن أبى الأصبع أسرار هذا القلب - الذى وعدنا أن نتعرض له من بعد - يقول مرة ثانية : « فحذف من كل من الجملتين شىء ، فحذف المشبه من الجملة الأولى ، وحذف المشبه به من الجملة الثانية فكان تقدير الكلام قبل الحذف : ومثل الذين كفروا والداعى لهم كمثل الضأن المنعوق بها وكمثل الذى ينعق بها ، فبقى بعد الحذف : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾ لدلالة الناعق على المنعوق بها(٢٠) .

والحاصل أن ابن أبى الأصبع ينتهى إلى أن فى الآية حذفين فى الطرفين ، ذكر دليل كل منهما فى الطرف الآخر ، وإن كان قد خالف ترتيب التقدير الذى ذهب إليه سيبويه ، والذى هو أولى وأليق ، ووضع له مصطلحاً هو التوهيم يشمل هذا اللون من الأساليب وغيره ، وبين أسرار الحذف فى كل من الطرفين على ما سيأتى بعد أن بين مصححه ، وراعى فى إطلاق المصطلح ما يتوهمه القارىء أو السامع من ظاهر اللفظ .

وفى بداية النظر ، فكأن الأسلوب بظاهره قد وهمهما ، أى : أوقع فى نفسيهما الوهم بالفساد ، بينما الحقيقة غير ذلك ، وهذا بخلاف إيهام التورية فإنه مما يتعمده الناظم حين يستخدم اللفظ المشترك بين معنيين صحيحين : قريب وبعيد ويريد البعيد منهما ، وأما التوهيم فإنه يوهم فاسداً وصحيحاً والمراد الصحيح منهما(٢١) .

فتح مكة - بقية -

يرضعونها فأمر رجلاً من أصحابه يقال له جعيل بن سراقة أن يقوم حذاءها لا يعرض لها أحد من الجيش ولا لأولادها(١٢) .

واجتمع المسلمون بمر الظهران وقريش لم يبلغها حرف واحد من مسيرة الفتح العظيم فقد اغتموا لأوبة أبى سفيان بن حرب دون خبر معلوم أو فهم محدود لمآلهم على ما فعلوه بخزاعة فقد ذكر الكاتبون : أن أبا سفيان طالت غيبته حتى اتهمته قريش بأنه قد صبأ وكتم إسلامه فلما دخل على هند ليلاً قالت : حبست حتى اتهمك قومك فإن كنت مع طول الإقامة قد جئتهم بِنُجح فأنت الرجل ، فلما دنا منها وأخبرها الخبر ضربته برجلها فى صدره وقالت:قبحت من رسول قدم ، فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند أساف ونائلة ، وذبح لهما ، وجعل يمسح بالدم رءوسهما ويقول : لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبى ؟ أبرأ لقريش مما اتهمونى ولقد صدقت فيهم دعوة النبى-صلى الله عليه وسلم:اللهم خذ على قريش أبصارهم فلا يروننى إلا بغتة ولا يسمعون بى إلا فجأة(١٢) .

(أ . د . رءوف شلبى)
وكيـل الأزهـر

(٢٠) المصدر السابق : ١٣٧ .

١٢ - المغازى للواقدى .

ونزيد عليه بان نؤكد ان البرقوقى حين اصدر « البيان » اراد أن يجعل منها منبراً للادب ، كما اراد السيد رشيد ان يجعل من المنار منبراً للدين وكلاهما يصدر عن وحى محمد عبده فى العمل على تجديد البحوث الدينية ، والاساليب الادبية تفكيراً وتعبيراً ، وفهماً واستدلالاً .

وفى حسب (الفردوس) الذى طبعه البرقوقى بآخرة ثناء حفيل على أستاذه الإمام ، ونظر سام إلى مقامه الأعلى فى الدنيا كما رأى ، وفى الفردوس كما تخيل ، أما (حضارة العرب فى الأندلس للبرقوقى) فقد جاء إهداؤه إلى روح الأستاذ الإمام ، الرجل الذى لم يفزع إليه فازع ولم يستصرخه مستصرخ إلا كان الصراخ له إنجاز ما أمّله ، والذى ثقف البرقوقى ورباه فكان غرس يده ، وقد طلع الإمام على الناس بعامة وأهل الأزهر بخاصة كما يطلع البدر فى الدجنة ليمحو الظلام ، ويهدى من الضلالة ! هذا أثر محمد عبده فى البرقوقى كما ردده ، فإذا انتهجت البيان منهج الرصانة فى التعبير والقوة فى التصوير والحجة فى الجدال فذلك بعض ما مكّنه الأستاذ فى نفوس تلاميذه حين شرح لهم كتابَىْ عبد القاهر عن أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز !

ولكن ، أيقف تأثير الإمام عند الناحية الفكرية فى نفس تلميذه أم يتعداها إلى الناحية السلوكية ؟

إن الذين تحدثوا عن البرقوقى من عارفيه ذكروا عن سماحة نفسه وبسطة كفه ، ورقة قلبه ما يجعله رجل نبل وشهامة ، إذ كان يعطى المحتاجين عن نفس راضية ، وقد اقرض نفراً من عارفيه أموالاً طائلة ، وتأخروا عن سدادها ، وحكمت المحكمة بالإلزام ، ولكن البرقوقى تنازل متسامحاً إذ صدَّق عُسر المدين .

وكان « للبيان » وكلاء فى بعض عواصم المديريات يجمعون الاشتراكات ، وفيهم من نهب ما جمع ، واضطر البرقوقى للمحكمة فأصدرت أمرها الملزم ، ثم جاء الغاصب الناهب باكياً يتشفع للبرقوقى ببطاقة عاطفة كتبها الأديب الكبير مصطفى لطفى المنفلوطى ! فتنازل البرقوقى عن حقه مسرعاً ، والمجلة فى أشد الاحتياج .

وأنا أؤكد هذه النوادر فيما أكتب من تاريخ الرجل لاعلن أن سمو الخلق لدى النقاد يرتفع عن سمو الإبداع العلمى ، وصاحب الخلق النبيل كتابٌ « حَىٌ » يتحرك بين الناس فيلقى بمواقفه العبرة الواعظة ، ويعطى القدوة المثلى ، أما من اقتصر على التفوق الأدبى وحده ! فقد يُعَدُّ له ذلك فى مضمار النتاج الفنى ، ولكنه لن يبلغ مبلغ من اتسع صدره للاخطاء الفادحة فيسحب عليها ذيل المغفرة إذ ما يُلَقَّاها إلا ذو حظ عظيم .

حدثنى الأستاذ الكبير على أدهم أنه فى مرحلة التعليم الثانوى بإحدى مدارس الاسكندرية ، ترجم رواية (رينيه) للكاتب الفرنسى الكبير شاتوبريان وعز على الطالب الناشىء أن يجد ناشراً ، إذا كان الكبار من المؤلفين لا يجدون ، ثم رأى ان يبعث بالترجمة إلى الأستاذ البرقوقى ، وعوامل اليأس لديه اقوى من دوافع الرجاء ، ولكن البرقوقى استقبله مشجعاً ملاطفا ، وقال له إن تشجيع النشء فريضة على صاحب البيان ، ثم بادر بطبع الرواية فكانت أول اثر ادبى يُحسب له ، وبه ابتدأ المسير فى طريقه المديد .

ولم يكن على أدهم وحده ، بل شاركه الكثيرون فى احتفاء البرقوقى بهم وتشجيعهم ، حتى اصبحوا من حملة الأقلام عن ثقة واعتزاز .

(محمد رجب البيومى)

نموذج القدوة

دراسة تحليلية للدكتورة سامية أحمد على

● اطفالنا هم ثمار قلوبنا وآمال مستقبلنا . لذا يجب أن نوليهم عناية فائقة من الأسرة والمسجد والمدرسة وأجهزة الإعلام التى تستهوى عدداً كبيراً من الأطفال خصوصاً التليفزيون لما يقدمه من صور ورسوم متحركة وبذلك يتفوق على غيره من وسائل الإعلام فى تأثيره على الأطفال نظراً لارتباط الصورة بالصوت وعدم الحاجة إلى إتقان القراءة والكتابة إضافة إلى سهولة التعرض له وإمكان مشاهدته ـ غالبا ـ فى جو اسرى حين تلتف الأسرة حوله .

ومع كل ذلك فمن المعلوم ان الأطفال الذين يجلسون أمامه يكونون على استعداد للتقبل .

وقد أفادت بعض التقارير أن بعض الأطفال فى أوروبا وامريكا يقضون من الوقت فى مشاهدة التليفزيون اكثر مما يقضون فى المدرسة بل ، واكثر مما يمضون فى التحدث مع والديهم وأفراد عائلاتهم .

ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة على صغر حجمها (٨٠ صفحة من القطع الصغير) فقد اتجهت لدراسة برامج الأطفال التى يقدمها التليفزيون المصرى واختارت من بينها ما يحاول تقديم نماذج القدوة لهم . لأن هذا اللون من البرامج من أهم الصور الذهنية التى يمكن تقديمها للطفل عبر هذا الجهاز ، ومن هذا المنطلق وجبت العناية بهذا اللون وذلك بحسن اختيار النماذج التى تقدم من خلاله حتى تتحقق الآثار الايجابية المطلوبة إذ تؤدى هذه البرامج دورها فى الإقناع الفنى لجمهور ليس من اليسير إقناعه بالنصح المباشر .

واختارت الباحثة برنامج (كانوا فى طفولتهم) فأجرت عليه دراسة تحليلية حول ما قدمه خلال عشر سنوات (ديسمبر ١٩٧٧ ـ سبتمبر ١٩٨٧) باعتبار أن هذا البرنامج يعتمد على اختيار شخصيات من عظماء التاريخ فى شتى المجالات لتقديمها للأطفال باعتبارها نماذج للقدوة .

وقسمت الباحثة دراستها إلى قسمين : خصصت الأول منهما للحديث عن التنشئة الاجتماعية للطفل ، والثانى للدراسة التحليلية التى قامت بها عن البرنامج ، ثم ختمت الدراسة بالنتائج التى توصلت إليها والتوصيات التى تقترحها فى مجال خدمة الطفولة عن طريق «التليفزيون» .

التنشئة الاجتماعية للطفل :

على أجهزة الإعلام ان تعمل جاهدة على تقديم نماذج قدوة للطفل ذات دور إيجابى فعال وبارز فى العلم والاكتشافات والآداب وحركات التحرر .. إلى غير ذلك آملين أن يسعى الأطفال لاتخاذ مثل عليا من بعض هذه النماذج التى تأثروا بها فى مجال من المجالات .

عرض : عاطف شحاته زهران

وحاولت الباحثة فى بداية كتابها تقريب مفهوم التنشئة الاجتماعية فقالت : التنشئة الاجتماعية تشير فى علم النفس الاجتماعى إلى العملية التى يتعلم عن طريقها الفرد كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه للسلوك الاجتماعى الذى توافق عليه . ص ٩ .

وتعتبر عملية التنشئة الاجتماعية ضرورية لتكوين «ذات» الطفل وتطوير مفهومه عن ذاته كشخص وخاصة من خلال سلوك الآخرين واتجاهاتهم نحوه ، وكذلك عن طريق كيفية أداء الأدوار الاجتماعية المختلفة الذى يؤدى بدوره إلى ظهور الذات المتميزة بالنمو السليم[1] ..

ومادامت نماذج القدوة تؤدى دوراً هاماً فى التنشئة الاجتماعية فإن دور «التليفزيون» يتقدم على ما سواه بما يقدمه من نماذج وبرامج للأطفال الذين لا تقتصر مشاهدتهم على ما يخصص لهم من برامج بل تتجاوز ذلك إلى مواد لم تعد لهم أصلا مما يمثل بعض المخاطر عليهم ، ويلقى تبعات كبيرة على الموجهين لهذا الجهاز .

فالطفل يتعلم من هذه النماذج الأفكار والقيم وغيرهما وما يقدمه التليفزيون من نماذج للقدوة خاصة للأطفال يعتمد على أساس أن السلوك الإنسانى سلوك مكتسب يتعلمه الطفل بتعامله مع أفراد المجتمع وهيئاته .

وللبيت دوره فى هذه التنشئة ، كما أن للمدرسة دورها لأنها تنقل الطفل إلى آفاق أوسع من المعرفة وتنقل إليه ثقافة المجتمع ككل . ولكن تأثير وسائل الإعلام يفوق على ما سبق ، فوسائل الإعلام تنقل إليهم العالم الخارجى وتزيد من قدرتهم على التحرك النفسى وتخيل أنفسهم فى

مواقف لم يجربوها بعد . كما تعود أذهانهم على تصور تجارب أوسع من تجاربهم المباشرة المحدودة وعلى تخيل مناطق لم يشاهدوها .. ص ٢٦ .

ثم تختم الباحثة القسم الأول من دراستها بكلمة توجهها للتليفزيون تتصل بما يقدمه من مواد قد تتنافى مع عقيدة المجتمع وقيمه .. فقد يقدم أحيانا العنف بصورة مبهرة ويغرس قيماً مادية لا تتناسب مع روح المجتمع .. وذلك يتطلب من القائمين على أجهزة الإعلام عامة وعلى التليفزيون خاصة أن يتقوا الله فى أبنائنا ولا يقدموا لهم إلا ما يهديهم ويدعم العقيدة ومكارم الأخلاق ويدعو إلى تنمية الجانب الروحى والعمل والرقى فى إطار ديننا ومثلنا وتاريخنا وحضارتنا .

●● تحليل المضمون :

يقوم أسلوب تحليل المضمون على أساس نظرية ملخصها : أن لكل إنسان بصمة فكرية ـ كما أن له بصمة إبهامية ـ تميز شخصيته

(١) محمد عاطف غيث . قاموس علم الاجتماع ص ٤٥٠ .

نموذج القـــدوة

وتكشف عن هويته ، فلكل شخص سلوكه اللغوى يفصح عن حقيقة شخصيته ويفضح اتجاهاته ومعتقداته ..

وتحليل المضمون يعرفه (كربندورف) قائلا :

«تحليل المضمون هو احد الأساليب البحثية التى تستخدم فى تحليل المواد الإعلامية بهدف التوصل إلى استدلالات واستنتاجات صحيحة ومطابقة فى حالة إعادة البحث أو التحليل[٢] .

وقد اختارت الباحثة هذا الأسلوب وحددت فئات التحليل للنماذج التى قدمها البرنامج فكان منها : الشاعر والقصاص والمفكر والزعيم والمكتشف والفنان .. إلى غير ذلك لتتوصل إلى النتائج التى أثبتتها فى خاتمة كتابها .

●● النتائج والتوصيات :

توصلت الباحثة إلى نتائج هامة نذكر منها :

١ ـ قدم البرنامج (كانوا فى طفولتهم) نماذج متنوعة للقدوة احتل نموذج الأديب المرتبة الأولى ٤٣,٤٪ والعالم والمكتشف ٢٣,٩٪ ثم نموذج الزعيم بمجالات الزعامة المختلفة [السياسى والعسكرى والدينى[٣] والاجتماعى والاقتصادى] ١٥,٩٦٪ والفنان ١٥,١٪ وأخيرا الرياضى ١,٥٧٪ .

٢ ـ بالنسبة للبيئة المكانية (الجنسية) فقد احتلت مصر المرتبة الأولى بنسبة ٥٣٪ ثم البيئة الأوروبية ٢٣٪ فالبيئة العربية والتراثية ١٨٪ والآسيوية ٤٪ وأخيرا أمريكا الشمالية ٢٪ .

٣ ـ بالنسبة لمستوى الأداء اللغوى جاءت نسبة العامية ٨٥٪ بينما كانت نسبة الفصحى ١٥٪[٤] .

٤ ـ أما عن القيم التى تضمنها البرنامج فانحصرت فى عشر قيم جاء حب الاستطلاع فى المرتبة الأولى ٣١٪ ثم الصدق ٢٢٪ فالتنشئة الدينية ١٠٪ وإتقان العمل ٩٪ والطموح ٨٪ وطاعة الوالدين ٧٪ وحب القراءة ٦٪ والأمانة ٢٪ والمثابرة ٠,٨٥٪ وأخيرا احترام الكبار ٠,٧١٪ .

ثم أوصت الكاتبة بتقديم البرنامج فى وقت مناسب للأطفال ، ودعم ميزانيته وتقديم مسلسلات لهم حول بعض النماذج التى لم تقدم بشكل وافٍ فى البرنامج .

●● كلمـــة اخيـــرة :

الطفل أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عود الشر وأهمل شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له[٥] .

وقد حاولت الباحثة أن تضع يدها على الجرح باختيارها نماذج القدوة بالذات . ولكننا نعلم أن الطفل ليس عقلا آليا نفتحه إذا شئنا أو نغلقه فهو يجلس مع الأسرة فيشاركهم مايرونه من مشاهد عنف وجريمة ومسلسلات بوليسية أو عاطفية وإعلانات خادعة ـ تساق فى كلمات قليلة

(٢) د . سمير حسين . تحليل المضمون ص ١٩ .

(٣) ولنا تحفظ على النموذج الدينى المقدم ، فإنه لا ينبغى أن يكون مطلقاً إلى درجة قد تهز العقيدة الأصلية للطفل المسلم .... مجلة الأزهر .

(٤) وليس يبدو مطلقاً أن التليفزيون على استعداد لمعالجة العيب اللغوى مطلقاً .

(٥) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى جـ٣ ص ٧٢ .

يسيرة الحفظ فيرددها تلقائياً لكثرة ما سمعها وأفلام قد تخلو مما يفيدهم في هذه السن .. إنهم يرون ما يصادفهم لا ما يُعَدُّ لهم .

لقد انتشرت الكهرباء وغزا التليفزيون الريف والبوادى فلا يكاد يخلو منه بيت . ومن هنا أصبح صغارنا يعرفون عن لاعبى الكرة والفنانين أكثر مما يعرفونه عن رجال الإسلام : خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبى ... وغيرهما إن صحت المقارنة وأظنها لا تصح !

فمن المسئول الأول عن ذلك غير التليفزيون الذى يحرص على تقديم هذه النماذج بإلحاح وتركيز بحجة أن الجمهور يريد ذلك .

وإنك لتعجب وأنت تشاهد أحداث (فيلم) أو مسرحية ومعك أطفالك حين تجد البطل فى ذروة المأساة أو حين يتعرض لأزمة ما تؤرقه يسرع إلى سيجارته فيشعلها ثم يستغرق فى تفكير عميق ، ولا يلبث أن يخرج بحل لأزمته ، وكأن لهذه السيجارة مفعول السحر فى حل المعضلات .. وهذا المشهد سيستقر فى عقل الطفل ، وقد يقلده أولا وبعد حين يصبح مدمنا للتدخين لما رأى قدرته الفائقة فى التغلب على المصاعب . ثم نحاول بعد ذلك أن نقنعه بضرر التدخين على الصحة .. بلا جدوى .

وأعتقد أن ثمة صحوة لمعالجة مثل هذه الأمور بعد أن تأكد لنا خطرها .

فاللهم أهدنا لما فيه خيرنا وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين .

عاطف شحاتة زهران

الفتاوى - بقية -

متى تباح جراحة التجميل

س - هل تباح فى الإسلام جراحة التجميل لإزالة بعض التشوهات فى الوجه أم لا ؟ ..
س . ع . ح .

جـ - جراحة التجميل بأيدى المختصين من الأطباء . تباح شرعاً إذا كانت لتلافى تشويه ناتج عن بعض الحوادث - كحريق وغيره .

وخصوصاً إذا أدى ذلك إلى عدم الرغبة فى الزواج من المصاب أو تنفير أحد الزوجين من الآخر .

فإذا زال التنفير ، وتحققت الرغبة بعملية التجميل ، كان ذلك من العلاج المشروع .

روى الترمذى عن عرفجة بن أسعد قال : أصيب أنفى يوم الكلاب فاتخذت أنفاً من ورق « أى فضة » فأنتن فأمرنى النبى - صلى الله عليه وسلم - : أن اتخذ أنفاً من ذهب فما أنتن ..
والله أعلم

فى الميراث

س - توفيت عن ابن ، وبنتين ، وأولاد ابن أوصت لهم بستة قراريط من الأرض ، وأولاد ابن آخر ، فما نصيب كل وارث علماً بأن التركة : ٣٦ قيراطاً . ص . سنوسى .

جـ - توزع التركة على الوجه الآتى :

أولاً : لأولاد الابنين الثلث كوصية - أخذ أولاد أحد الابنين نصيبهم ستة قراريط ويأخذ أولاد الابن الآخر ستة قراريط مثلهم ، والباقى بين الابن وأختيه للذكر مثل حظ الأنثيين ، فيكون للابن اثنا عشر قيراطاً ولكل واحدة من البنتين ستة قراريط .

طرائف

« بخل وذكاء »

قال رجل لثمامة بن أشرس : إن لى إليك حاجة .

قال : وأنا لى إليك حاجة .

قال : وما حاجتك إلىّ ؟

قال : لا أذكرها حتى تضمن قضاءها .

قال : قد فعلت .

قال : فإن حاجتى إليك ، ألا تسألنى حاجة فانصرف الرجل عنه .

« نعم .. العزاء »

رثى متمم بن نويرة مالكا أخاه بالمسجد واقفا بحذاء الصديق — رضى الله عنهما — فلما انتهى إلى قوله :

لايمسك الفَحشاء تحت ثيابه
حلو شمائله عفيف المئزر

قام إليه عمر وقال : لوددت أن رثيت أخى زيدا . بمثل ما رثيت به مالكا أخاك !!

فقال له : يا أبا حفص ، والله لو علمت أن أخى صار بحيث صار أخوك ما رثيته !

فقال عمر — رضى الله عنه — : ما عزانى أحد بمثل تعزيتك .

« قالوا ... »

- أحسن المكارم عفو المقتدر ، وجود المفتقر .
- أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعا لك .
- القريب بعداوته بعيد ، والبعيد بمودته قريب .
- كم من ذليل أعزه علمه ، ومن عزيز أذله جهله .
- إذا اصطنعت المعروف فاستره ، وإذا صنع إليك فانشره .
- لا يفسدك الظن على صديق أصلحه اليقين له .

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

● غضب الجاهل فى قوله ، وغضب العاقل فى فعله .

● من ذكر المنية نسى الأمنية .

« هنا »

قيل لبعض الصالحين : من أسعد أصحابك بصحبتك ؟

فقال : أعظمهم لحرمات الله ، وألهجهم بذكر الله ، وأقومهم بحق الله ، وأسرعهم مبادرة فى مرضاة الله ، وأعرفهم بنقصانه ، وأكثرهم تعظيما لما عظم الله من حرمة عباده .

« أسماء الأطعمة »

طعام الضيف : القرى

طعام الدعوة : المأدبة

طعام العرس : الوليمة

طعام المأتم : الوضيمة

طعام القادم من السفر : النقيعة

طعام المتعجل قبل الغداء : العجالة

« هنيئة »

قال رجل لعبد الله بن جعفر : إن فلانا يقول : إنه يحبنى ، فبماذا أعلم صدقه ؟

قال : امتحن قلبه بقلبك ، فإن كنت توده فإنه يودك .

« مجالسة الملوك »

قال أبو يزيد البسطامى — رضى الله عنه — :

مددت رجلى ليلة فى الظلام فى محرابى ، فهتف بى هاتف : من يجالس الملوك لا يجالسهم إلا بأدب .

« دعاء »

اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت وإليك حاكمت ، فاغفرلى ، ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهى لا إله إلا أنت .

من خير ما نشر

أسعدنى حقا مثل كل مصرى ، ما أعلنه د . عاطف صدقى رئيس الوزراء من أنه تم إعداد مشروع قانون لمكافحة المخدرات للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة ، ومن إعداد مشروع قانون لمواجهة جرائم الاغتصاب .

وإذا كانت ملامح تعديلات قانون مكافحة المخدرات قد لاقت رضا شعبياً عارماً لما تضمنته من تنفيذ عقوبة الإعدام لكل من ساهم فى جلب المخدرات أو زراعتها أو تقديمها إلى المتعاطين فى مصر باعتبارها تمثل ردعاً لمواجهة هذه الجريمة التى تهدد الإنسان المصرى والمجتمع كله . فإننا نرجو أن يكون قانون مواجهة الاغتصاب بمثل هذه العقوبات الغليظة . إنه لا بديل أمامنا لمحاصرة هذه الجريمة البشعة إلا إعدام مرتكبيها وعلانية .. حيث يكون الردع لهم والأمان لسيداتنا وبناتنا وحماية لمجتمعنا وقيمه ، وأولا وأخيراً تنفيذاً لحكم الشريعة .

كلمات

الأستاذ : محمود عبدالمنعم مراد

لن نكف عن القول بأن حلول مشاكلنا يجب أن تبدأ أولا من أيدينا ورءوسنا وعملنا وصبرنا واحتمالنا ، ولا أن استفيض فى ذكر ما يمكننا عمله من جانبنا فى تحسين أحوالنا فكل حديث عن التقشف والاقتصاد وتجنب الاستهلاك الزائد ، يقابل من القراء بكثير من الرفض أو الامتعاض . وأغلب الناس لهم حق فى ذلك ، فهم يتحملون من شظف العيش ما ينوء بحمله الصابرون الأقوياء ، فالحلول ليست فى أيدى الفقراء ومحدودى الدخل بقدر ماهى فى يد بعض المسئولين من رجال الدولة ، وبعض ذوى المواقع الهامة فى مجال التنمية من كبار العاملين فى كلا المجالين القطاع العام والخاص .

الحب

الأستاذ : أحمد بهجت

يتصور كثير من الناس أن الحب أمر سهل .. بمعنى أن كل إنسان يستطيع أن يحب .. وأن الحب فى ذاته لا يحتاج إلى مجهود أو موهبة ، وهذه فكرة خطأ . ذلك أن الحب يترجم عن نفسه بالعمل ، وهذه هى صورة الحب الحقيقية ، ولهذا السبب يمكن اعتبار الحب مسألة صعبة ، أو لنقل إنه أصعب من الكراهية . إن الكراهية لا تستلزم منك غير الرفض .. والتعالى ..

إعداد: صفوت عبد الجواد
عادل خفاجة

والاحتقار وهذه كلها مشاعر يسهل على المرء أن تجيش في صدره ، وهي لا تكلفه عملاً أو تعباً أو مجهوداً .. بعكس الحب .. من هنا نرى كثيراً من الناس في الدنيا يلجأون إلى الأسهل ويقعون في دائرة الكراهية ، على حين نرى قلة من الناس هم القادرون على الحب .. صحيح أن عدد المتكلمين في الحب كثير ، لكنها كثرة كغثاء السيل لا قيمة لها ، لأن الكلمات قد تكون تعبيراً عن الحب ، ولكنها لا تصلح للجلوس في كرسيه ، وما أكثر الشعراء الذين غنوا للحب ولم يبذلوا في سبيله أكثر من مجرد الكلمات .

تحت عنوان «تعليم اللغات الأجنبية غاية أم وسيلة ؟»

كتب الأستاذ : حسني عبدالرحيم قنديل بمجلة الشرق - الصادرة في ٢٥ مارس ١٩٨٩ كتب يقول :

من الظواهر التي شاعت في مجتمعاتنا العربية ظاهرة تعليم أبنائنا اللغات الأجنبية سواء أكان ذلك التعليم ضمن برامج دراسية في مراحل التعليم المختلفة أم كان من خلال برامج خاصة داخل البلاد وخارجها .

ومن أبرز القضايا التي يجب مناقشتها هي : لماذا نعلم أبناءنا اللغات الأجنبية ؟ لذلك نتساءل : هل تعليم اللغة الأجنبية لأبنائنا وسيلة إلى غايات واضحة أو هو غاية في حد ذاته ؟

والواقع الذي نعيشه يبين أن الناس في هذا الأمر ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

الأول : نوع يسعى لتعليم اللغات الأجنبية لأبنائه لتكون لغته الرئيسية في التفكير ويعتقد أن اللغة الأجنبية وسيلة التقدم والسير في ركب الحضارة المعاصرة ، وأنه بدونها سوف يكون من سقط المتاع .

الثاني : نوع ليس له هدف محدد ، والمهم أن يعرف أبناؤهم اللغة الأجنبية تشبها بغيرهم أو استكمالا لوجاهة .

الثالث : نوع يرى أن اللغات الأجنبية عبارة عن نوافذ للاطلاع على الفكر العالمي .

ويمكننا القول بأن تعليم اللغات الأجنبية لأبنائنا أصبح ضرورة من ضرورات الحياة ، ولكن يجب أن يكون الهدف واضحا في أذهان الجميع أن الهدف الحقيقي من تعليم أبنائنا اللغات الأجنبية هو تمكينهم من الاطلاع على فكر الآخرين ومتابعة حركة التطور العالمي والاستفادة مما يحقق النفع لأمتنا ويتلاءم مع قيمنا ولا يتعارض مع عقيدتنا ، ومن الأمور التي يجب التنبيه إليها أن الإنسان مهما تعلم من لغات أجنبية ومهما كانت درجة إجادته لها لن يستطيع أن يحقق شيئا ذا قيمة في أي مجال من مجالات الحياة إلا إذا كان متقناً للغته الأم ، لأنها أداة تفكيره الرئيسية .

أنباء وآراء

المجلس الاسلامى العالمى للدعوة

اجتمعت هيئة المجلس الإسلامي العالمى للدعوة والإغاثة فى دور انعقادها الثانى يوم الخميس ٨ شعبان ١٤٠٩ هـ الموافق ١٦ مارس ١٩٨٩ م برياسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر.

وقد بحثت الهيئة الخطوات التى اتخذت للتنسيق بين الهيئات الإسلامية العاملة فى حقل الدعوة والإغاثة، ودرست تقريراً شاملاً للأمين العام للمجلس حول اتصالاته مع الهيئات المختصة بالإغاثة وخاصة بالنسبة للاجئين الافغان، كذلك بحثت اللجنة أوضاع المتضررين من الفيضانات بالسودان، وناقشت الأوضاع المتردية لبعض الأقليات المسلمة.

حضر الاجتماع المشير/ عبد الرحمن سوار الذهب نائب الرئيس والدكتور / عبد الله عمر نصيف رئيس لجنة التمويل والاستثمار، والدكتور / بشار عواد معروف رئيس لجنة النشر والإعلان، والدكتور / فريد ياسين قرشى رئيس لجنة الإغاثة العامة والدكتور / عبد الفتاح بركة رئيس لجنة التعليم والدعوة بالمجلس والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والأستاذ / كامل الشريف الأمين العام.

اصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق قراراً برقم ١٥٩ لسنة ١٩٨٩ بالموافقة على سفر السادة الوعاظ الآتى اسماؤهم بعد للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية طوال شهر رمضان المعظم ١٤٠٩ هـ وهم:

١ - **الشيخ/ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح** المدير العام للوعظ سابقا سدنى (استراليا).

٢ - **الشيخ/ احمد عبدالرحمن راضى** المدير العام للدعوة والإعلام الدينى هيوستن (أمريكا).

٣ - **الشيخ/ السيد محمد القصبى** وكيل معهد المحلة الكبرى هيوستن (أمريكا).

٤ - **الدكتور/ مصطفى السيد أحمد غلوش** جامعة الأزهر المالديف.

٥ - **الشيخ/ محمد فكرى محمد فايد** مدير منطقة وعظ القاهرة سان فرانسيسكو.

٦ - **الشيخ/ عبدالله حسين محمد صالح** مدير منطقة وعظ الأسكندرية لاجوس (نيجيريا).

٧ - **الشيخ/ عبدالصبور إبراهيم شلبى** مفتش أول وعظ القاهرة ساحل العاج.

٨ - **الشيخ/ السيد عبدالمقصود عسكر** مفتش أول وعظ الغربية أنديانا (أمريكا).

إعداد: د. أحمد عبد الرحيم السايح
عبد المنعم فـــودة

٩ ـ الشيخ/ فهمى القطب الخولى مفتش أول وعظ القناة كوناكرى (غينيا).
١٠ ـ الشيخ رمضان احمود ابو راس مفتش وعظ القوات المسلحة كوبنهاجن (الدانمارك).
١١ ـ الشيخ/ عبدالفتاح عبدالمعطى إبراهيم مفتش وعظ الدقهلية ملاوى.
١٢ ـ الشيخ/ الحسينى محمد إسماعيل منصور واعظ أول بلقاس ملاوى.
١٣ ـ الشيخ/ صابر محمود محمد محمود مدير تفتيش وعظ المنوفية دكا (بنجلاديش).
١٤ ـ الشيخ/ مهدى عبدالحميد مصطفى مدير الإعلام بالأزهر قطر على نفقتها.
١٥ ـ الشيخ/ عبدالفتاح عبدالحميد الشاعر مدير التوجيه بمنطقة وعظ القاهرة قطر على نفقتها.

قرار بمراجعة كتب المناهج الدينية العربية

اصدر الأستاذ الدكتور فتحى سرور وزير التعليم قراراً بتشكيل لجنة علمية لمراجعة كتب القراءة العربية وما تتضمنه من أيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

وتضم اللجنة فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية والأستاذ الدكتور شوقى ضيف وفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالمنعم النمر رئيس اللجنة الدينية بالحزب الوطنى.

الاسلام أكثر الديانات انتشارا

نشرت مجلة ديلى تلجراف الأسبوعية اللندنية تحقيقاً مصوراً عن انتشار الإسلام فى آسيا وافريقيا واوروبا فقالت فيه إنه أصبح أكثر الديانات انتشاراً فى العالم.

وأوضحت أن عدد المسلمين فى العالم بلغ فى الوقت الحاضر حوالى مليار مسلم، ونسبة الزيادة السنوية تبلغ ٥٠ مليون نسمة، ورشحت المجلة الإسلام ليصبح القوة المؤثرة فى الأحداث خلال السنين القليلة القادمة بمشيئة الله.

● هذا الخبر لا تنشره الصحف البريطانية لمجرد الإعلام أو حباً فى انتماء جماعة إلى دين سماوى هو خاتم الأديان، بل تنشره للتحذير والتنبيه إلى ما يجب اتخاذه من تدابير ضد هذا الانتشار، فقد سبق أن قالت صحيفة «الأبزرفر» قبل سقوط رئيس الفلبين بأيام، وأذاعته لندن:

إن الرئيس ماركوس أصبح شخصاً مكروهاً لدى فئات الشعب الفلبينى، وأن ثورة عارمة توشك أن تطيح به فى الفلبين. وعلى الرئيس الأمريكى «رونالد ريجان» أن يقنع حليفة ماركوس بالتخلى عن الرياسة قبل أن تقوم تلك الثورة فتكون ضد ماركوس والولايات المتحدة معاً. وقد تعم الفوضى وتكون هناك فرصة كبيرة لأعدائنا المسلمين والشيوعيين للاستيلاء على

←

أنبـــاء وآراء

الحكم فى الفلبين ، وطرد الغرب منها فنفقد موقعاً استراتيجياً هاماً » .

وإتماماً لهذا الخبر كانت حكومة الفلبين التالية لماركوس قد أقرت للمسلمين بـ « الحكم الذاتى » ثم تراجعت فيه .

مركز اسلامى بتفهنا الأشراف ميت غمر ـ دقهلية

تم بحمد الله تبارك وتعالى إنشاء المركز الإسلامى بهدف رفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

الموقع : تفهنا الأشراف/ ميت غمر/ دقهلية .

المساحة : ١٠٫٠٠٠ متر مربع كاملة المرافق (مياه ـ صرف صحى ـ كهرباء) .

التكاليف حتى الآن : تزيد على مليون ونصف مليون جنيه مصرى .

مؤسساته :

أولاً : مدرسة تحفيظ القرآن الكريم وتسع اكثر من (٢٠٠) تلميذ وتلميذة .

ثانياً : المعهد الإبتدائى وعدد فصوله ٤٤ فصلاً ويسع (١٨٠٠) تلميذ .

ثالثاً : المعهد الإعدادى بنين ويسع ٤٨٠ طالبا .

رابعاً : المعهد الإعدادى فتيات ويسع ٤٨٠ طالبة .

خامساً : المعهد الثانوى بنين ويسع ٤٨٠ طالبا تحت الإنشاء .

سادساً : المعهد الثانوى فتيات ويسع ٤٨٠ طالبة يتم إنشاؤه الآن .

سابعاً : المكتبة الإسلامية وتحوى المراجع الإسلامية .

ثامناً : إدارة شئون القرآن الكريم للإشراف والمتابعة(لكتاتيب) مركز ميت غمر وتضم أكثر من (٦٠٠٠) تلميذ وتلميذة بالإضافة إلى المحفظين .

تاسعاً : مسجداً كبيراً يسع حوالى ٦٠٠ مصل .

عاشراً : لجنة بالمركز لفض المنازعات بما يرضى الله تعالى تحوى كل طوائف الناس (فلاحين ـ عمال ـ أساتذة ـ مهندسين ـ علماء افاضل) .

حادى عشر : مستشفى إسلامى وملحق به « صيدلية كبرى » تحت الإنشاء .

ثانى عشر : قاعة مؤتمرات .

ثالث عشر : العمل على إنشاء ثلاث كليات تابعة لجامعة الأزهر [أصول الدين ـ الدعوة الإسلامية ـ الدراسات الإسلامية] .

رابع عشر : بيت الطالبات المغتربات مستقبلاً إن شاء الله .

هذا والدارسون بهذا المركز لابد أن يرتدوا الزى الإسلامى ، وتوفر سيارات لنقلهم ولهم منح وجوائز من إدارة المركز .

مركز اسلامى فى المالديف

تم إنشاء أضخم مركز إسلامى فى دولة المالديف ، وقد ساهمت فى إنشائه كل من سلطنة بروناى وماليزيا والكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة ومصر وباكستان .

الاسلام دين المستقبل

أعلن جاك بيرك المستشرق الفرنسى أن الدين الإسلامى سوف يصبح دين المستقبل فى العالم وأن الزعم بتعارضه مع العلم مهزلة لأن الإسلام استطاع استيعاب الحضارات السابقة عليه ، وصنع حضارته الخاصة ، وفرق جاك بيرك بين

ما يعرف من آلات ـ تكنولوجية حديثة وبين الحضارة بأن هذه الآلات تعتبر ثورة تكنولوجية وليست حضارة .

جاء هذا فى محاضرة القاها جاك بيرك فى الكويت بعنوان « الخلط بين الاختراعات الحديثة والحضارة » ، وجاء فيها أن المسلمين مؤهلون ان يكونوا أصحاب حضارة لأنهم يملكون قوة روحية وتراثاً عريقاً .

لا خوف من النهضة الاسلامية

أعلن ريتشارد ميرفى مساعد وزير الخارجية الأمريكى السابق ان خوف بعض الأمريكيين من النهضة الإسلامية التى تشهدها دول العالم الإسلامى فى غير محله .

قال ميرفى فى كلمة القاها فى اجتماع لجنة « سيراكوز » للتعاون بين الأديان ان النهضة الإسلامية واحدة من أقوى القوى السياسية فى العالم وأوسعها انتشاراً .

اضاف ميرفى : أن كره الأمريكيين لفكرة الدولة الدينية يشوه فهمهم لمطالب المسلمين فى إقامة نظم إسلامية فى بلادهم ويدفعهم إلى النظر إلى الحركات الأصولية الإسلامية على انها حركات متطرفة .

طالب ميرفى الأمريكيين ببذل مزيد من الجهد لفهم طبيعة الحركات الإسلامية التى تختلف كثيراً عن الصورة السيئة التى رسموها لهذه الحركات فى أذهانهم .

انتشار الاسلام فى أمريكا

● أبدت مصادر امريكية خاصة دهشتها لانتشار الإسلام بالولايات المتحدة الأمريكية حيث بلغ عدد المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية خمسة ملايين نسمة ، ويعتبر أرقى علماء الولايات المتحدة من المسلمين .

ترجمة تفسير القران للمودودى

قام المجاهدون الأفغان بترجمة تفسير القرآن الكريم وهو تفسير للقرآن الكريم وضعه العلامة أبو الأعلى المودودى رحمه الله إلى اللغة الروسية فى ستة مجلدات .

﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾

موسوعة اسلامية

تقوم وزارة التخطيط الكويتية حالياً بإعداد موسوعة إسلامية تحتوى على معلومات خاصة بالأوضاع السكانية والغذائية والصحية والتعليمية والتاريخية والجغرافية ، لكل الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى . ومن المقرر أن تصدر الموسوعة التى سيتم الانتهاء منها فى شهر أكتوبر القادم باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية .

المخطوطات العربية

تم تنظيم معرض للمخطوطات العربية الإسلامية فى فيينا نظمته المكتبة الوطنية فى النمسا . يضم المعرض الذى استغرق سبعة عشر يوماً حوالى ثلاثمائة مخطوطة نادرة ، حقق المعرض هدفه فى التعريف بعلاقة أوروبا بالحضارة العربية فى العصور الوسطى ، حيث استمرت قروناً طويلة وشملت النواحى الثقافية والحضارية والاقتصادية والفنية .

والمواد الدهنية فى اللبن تعتبر خليطاً من عدة دهون حقيقية [جلسريدات ـ احماض دهنية] ، ودهـون غـير حقيقيـة [فوسفولبيدات ـ سترولات ـ كاروتيدات ـ فيتامينات] .

وهى توجد بنسبة قليلة على حالة ذائبة أو ممتصة على أسطحها .

ثالثا : المواد الأزوتية فى اللبن :ـ

يحتوى اللبن على ٥ر٪ من وزنه نيتروجين يوجد فى اللبن على صور مختلفة ، منها البسيط ومنها ا١-١٦ وهذا هو توزيع الأزوت فى اللبن البقرى .

آزوت كلى
١٠٠ جـزء منها :

(غير بروتينى ٥ أجـزاء) ← بريتوزويتون

(بروتينى ٩٥ جزءا) ← جلبيولين ، البيـومـين ، كيزين

رابعا : سكر اللبن :

سكر اللبن أو (اللاكتوز) سكر ثنائى ينتج عند تحلله مائيا نوعين من السكر الأحادى هما : (الجلوكوز) و (الجالكتوز) ، ويستعمل سكر اللبن فى الأغراض الطبية كتحضير البنسلين .

خامسا : رماد اللبن :

بحرق اللبن يتخلف خليط من الأملاح لونه أبيض يسمى (رماد اللبن) أو (أملاح اللبن المعدنية) وتبلغ نسبته فى اللبن البقرى ٧ر٪ والجاموسى ٨ر٪ . وهذه النسبة برغم قلتها إلا أنها مصدر ممتـاز لعناصر كثـيرة منها (الكالسيوم) و (الفوسفور) و (الكلـور) و (الصوديوم) و (البوتاسيوم) .

سادسا : إنزيمات اللبن :ـ

يوجد باللبن عدة إنزيمات تصل إليه عن طريق الدم ، وهى متخصصة فى عملها وغير ثابتة فتتأثر بالحرارة المرتفعة حيث يتلف الكثير منها لو تم غَلْىُ اللبن على حرارة أقل من ١٠٠°، وتنقسم الإنزيمات إلى :ـ

١ ـ إنزيمات محللة للبروتين .
٢ ـ إنزيمات محللة للكربوهيدرات .
٣ ـ إنزيمات محللة للدهون .
٤ ـ إنزيمات خاصة بعمليات التأكسد والاختزال الحيوية .
٥ ـ إنزيمات أخرى .

سابعا : الفيتامينات :ـ

يحتوى اللبن على جميع الفيتامينات المعروفة ويعتبر اللبن من أحسن الأغذية كمصدر لفيتـامينى A ، B_2 وتنقسم الفيتـامينـات الموجودة فى اللبن إلى :ـ

١ ـ فيتـامينـات ذائبـة فى الدهـون وهى A ، D ، E ، K

٢ ـ فيتامينات ذائبة فى الماء وهى مجموعة فيتامينات B ، C

ثامنا : المواد الأخرى الموجودة فى اللبن :

١ ـ الصبغات : ومنها الذائب فى الدهن مثل [الكاروتين ـ الزانثوفيل]
ومنها الذائب فى الماء مثل [الريبوفلافين]

٢ ـ الغازات : يحتوى اللبن بعد حلبه على حوالى ٨ ـ ١٠٪ من حجمه غازات أهمها ثانى أكسيد الكربون بنسبة حوالى ٧٪ والأزوت ٢ر١٪ والاكسجين ٩ر٠٪ .

٣ ـ مواد أخرى : مثل اللاكتنينين : ١ ، ٢ .

فهرس

● الافتتاحية :
« كلمة شيخ الأزهر إلى المسلمين فى مستهل شهر رمضان» ٩٧٧

● قصة الإيلاف :
د . على أحمد الخطيب ٩٨١

● مابعد الإيمان :
د . محمد عبد المنعم القيعي ٩٨٣

● القضية من يوغوسلافيا :
للشيخ توفيق إسلام يحيى ٩٨٦

● فى رياض السنة النبوية « فتح مكة ومكارم الأخلاق » :
د . رءوف شلبى ٩٩٢

● الصوم فى السفر :
للأستاذ محمد صابر البرديسي ٩٩٨

● الخير فى الصيام لأسباب علمية وطبية :
د . أحمد عبد المؤمن بركات ١٠٠٢

● ثبوت رؤية الهلال يوجب العمل بلا معارضة :
للشيخ عبد العزيز بن باز ١٠٠٥

● دراسات فى بدر « بدر وفداء الأسرى » :
د . محمود محمد رسلان ١٠٠٩

● دروس فى إدارة الصراع من غزوة بدر الكبرى :
لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ ١٠١٢

● القيم الدينية للمقدسات الإسلامية :
د . عبد الفتاح بركة ١٠١٨

● الفتاوى :
إعداد : عبد الحميد السيد شاهين
على حامد ١٠٢٥

● من أعلام الأزهر « عبد الرحمن البرقوقي » :
د . محمد رجب البيومي ١٠٢٦

الشعر والشعراء
إشراف : د . حسن جاد

● أنوار رمضان :
للشاعر رشاد محمد يوسف ١٠٣٢

● من أناشيد التوحيد :
للشيخ محمد زكى إبراهيم ١٠٣٣

● إلى أبطال الانتفاضة :
للشاعر أحمد المنشاوى الورداني ١٠٣٤

● من روائع الماضي لمجلة الأزهر :
للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات ١٠٣٥

العلوم الكونية

● قراءة إسلامية فى كتاب الكون :
أ . د . أحمد فؤاد باشا ١٠٤٠

● اللبن ومكوناته :
للأستاذ أحمد حلمى عزت ١٠٤٥

● ديوان شعر لجابر بن حنى التغلبي :
للأستاذ أيمن محمد على ميدان ١٠٤٨

● من صور الحذف البليغ :
د . عبد الحميد محمد العيسوي ١٠٥٢

● نموذج القدوة :
عرض عاطف شحاته زهران ١٠٦٠

● طرائف ومواقف :
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٠٦٤

● من خير ما نشر :
إعداد : صفوت عبد الجواد
عادل خفاجة ١٠٦٦

● أنباء وآراء :
إعداد : د . أحمد عبد الرحيم السايح
عبد المنعم فودة ١٠٦٨

القسم الانجليزي
إشراف د . أنس النجار

● المقالة الثانية :
عبد الحكيم أحمد طه ١٠٨١

● المقالة الأولى :
د . أنس مصطفى النجار ١٠٨٦

1. The Ihram and the Niyyah of pilgrimage.
2. Tawaf Al Qudum.
3. The Saay between Safa and Marwa.
4. The day at the Mount of Arafat
5. The Hair cutting, the sacrifice and the throwing of pebbles.
6. Tawaf Al Ifadah.

All pilgrims have a deep sympathy and ambition to visit the burrial site of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) at Al Madinah. This visit may take place before the days of Hajj and can be performed after the Hajj is completed. All muslims are eager to pay the hommage to visit the burrial site of their beloved Prophet and all pilgrims spent few days at Al Madinah before they return home. There is nothing so enchanting to the spirit cooling to the heart and comforting to the mind,as standing by the Holy Grave that contains the noble remains of the most notable creature, Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), the man who changed the face of the earth for the elevation of mankind and yet he was often seen patching his garments, mending his shoes, sweeping his house and playing with children, and kind to the weak.

On the eighth day of the month of Zu Al Hijjah, all pilgrims should depart from Macca to Mina, where they spent the rest of the day and spend the night. Early on the ninth day, all pilgrims should depart from Mina to go to the mount of Arafat. There, they remain the whole day till sunset. During their stay on the mount, they should occupy themselves in continuous prayer, supplication and recitation of the Holy Quran. This is one of the most essential acts of pilgrmage, one should dissociate himself from all material and worldly thoughts and should be in total submission and accordance with Allah. During the stay on the mount of Arafat, the Zuhr and Asr prayers are performed combined each of them preceeded by an Adhan and Iqamah. The Imam should deliver a short cermon before the prayer. Shortly, after sunset, all the pilgrims at Arafat in their total assembly leave the Holy site of Arafat and travel on foot or by transport to Muzdalifah on the way back to Mina. At Muzdalifah, they pray Maghrib and Isha prayers. All pilgrims rest at Muzdalifah, wait till they perform dawn prayers, near the Al-Mash'ar Al-Haram. They depart from Muzdalifah to Mina.

On the morning of the tenth day of Zu Al Hijjah, they reach Mina. The first act they should perform is the pebble throwing of Al Aqabah Al Kubrah. The pebbles used were collected at Muzdalifah. After that, the offering of blood sacrifice should be performed and the meat distributed to the poor. This is symbolic of the sacrifice sent to Ibrahim in ransome of his son Ismail. Then, pilgrims proceed to shave or shorten their hair, and female pilgrims have a small flock of their hair cut. When these observances are completed, the pilgrim is said to be in the state of the First Tahallul or rather the First Stage of Relase of his Ihram commitment.

The pilgrim should proceed to Macca to circumbulate around the Kaabah seven times. This is called Tawaf Al Ifadah, which is the final essential part of pilgrimage. When this is completed, the pilgrim is in a state of Final Tahalul or rather the Last Stage of Release of his Ihram commitment. All pilgrims should remain for the following one or two days at Mina and throw pebbles at the three Aqabas (the big, middle and small). During these two days, the pilgrims are associated and communicated together by the act of pilgrimage and the occasion of Eid Al Adha. Before departure to their various countries, pilgrims are encouraged to visit the Kaabah as the last stage of their pilgrimage. This is called Tawaf Al Wadaa, in respect, honour and sanctity of the Holy Kaabah.

It must be remembered that the essential parts of pilgrimage (rukns) are the following:

way to Muzdalifah; reaching Mina and pebble throwing of the Al-Aqabah; Tawaf Al-Ifadah; back at Mina, the final duties; Tawaf Al-Wada "farewell Tawaf". This is followed by a visit to Al-Madinah were the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) is burried.

Before leaving home, all debts should be settled; and seek forgiveness from Allah for all previous transgressions. On departure from the house,perform two rakats and supplicate to Allah in total submission and subordination to accept the worship of Hajj. During the journey, the pilgrim will pass by a special station " The Miqat "at which the status of pilgrimage is assumed, and the sanctity of "Ihram "must be fully observed. At the Miqat, the whole body should have been washed and ablution performed before reaching or at the Miqat depending on convenience. All clothes must be discarded, and replaced by the " Ihram " which is composed of two pieces of white cloth for the male pilgrim. One covers the lower part of the body, and the other covers the trunk and the shoulders. Female pilgrims wear long garments covering all their body. Male pilgrims should not cover their heads, and females should not cover their faces. To sunnah rakaats are performed with the Niyyah of Ihram and Hajj. The forbidden acts during Ihram are the wearing of any clothes other than Ihram, use of perfume, clipping the nails, pulling of cutting the hair, hunting of animals, or cutting plants in the sacred territories, sexual relations, and conducting a marriage ceremony. The life of a pilgrim during Ihram is devoted towards worship and contemplation.

On reaching Macca, the pilgrim is ready to visit the Sacred Mosque (Al Masjid Al Haram). He must be washed with ablution and ready to make Tawaf around the Kaaba. This is called Tawaf Al Qudum, which consists of circumambulation around the Kaaba seven times, during which the recitation of verses from the Quran and supplication to Allah must be performed. Touching the Black Stone situated at the south-east corner of Al Kaaba is a Sunnah. If that is not possible, just raise your hand as you pass it. After completing the Tawaf, perform the Tawaf prayer of two rakaats in the position of Ibrahim.

The pilgrim then proceeds to go to make "Saay" between Safa and Marwa. Seven journies are performed between these two sacred places. During the Saay, supplication to Allah and prayers and verses from the Holy Quran should be recited. This is symbolic of the efforts made by Hagar, mother of Ismail, during her search for water. Pilgrims are particularly encouraged to drink as much water as they can from the Well of Zamzam.

sexes, all ranges of poverty and richness, all spectrums of rank, knowledge, wealth, education and illiteracy. This spectacular congruity of performing the formalities of Hajj is programmed in exactness and precision in sequential acts of movements and halts. The whole human mass with its composite individuals must be present at certain places, at certain times and for certain duration. During the repeated acts of movements and halts, certain formalities have to be observed. The assembly at Al-Hajj becomes a conglomerate exhibit of languages, races, colour, cultures; Mulsims from every corner of the earth gather during the season in intimate coherent rythm of performance in action, prayer, and supplication to Allah. The garment of Hajj the "Ihram" is synonymous of the shroud, man becomes devoid or all material belongings and all worldly commitments and attachments. The whole procession of Hajj is in its totality symbolic of the procession of mankind in the Hereafter on the day of judgement. After the completion of the formalities of Hajj as a ritual of worship, the consortium of Hajj becomes the most expandid international convention between Muslim societies of many nations to discuss matters of mutual interest and importance. It may also be regarded as an international market and trade centre to promote the commercial interelations between Muslim countries.

The process of Al-Hajj is very strenous, and is a worship demanded only from the able Muslim to be performed once in a lifetime. The ability of a Muslim to perform Hajj is collective including both physical and financial. Hajj is a worship of complete wordly disconnection and sublimation. It approxiamtes life to death, this world to the hereafter, richness to poverty, the society to the individual, and the individual to the society.

The formalities of the Hajj are sequential processes of actions and rituals that the pilgrim should perform at specific times in specific places, and lasts for a period of four days with a maximum of five. The details of these formalities are well documented in all books on the subject, however, the main actions and rituals are briefly discussed in this treatise.

The qualifications to perform Hajj are Islam, adulthood, sanity, financial and physical ability, facility of transportation, and safety of the road. The main proceedings of Al-Hajj are the Ihram at the Miqat with the intention (Niyyah) of performing Hajj; Tawaf Al-Qudum on entering the sacred mosque in Macca; the walk from Safa to Marwah (Al Saay); the stay and supplication at the mount of Arafat; the

Prophet Ibrahim and his son Ismail only raised the building of the House on the already existing foundations; after having been given the site of the House by Divine instruction. This indicates that the original foundations of the House already existed at the time of Ibrahim. Several postulations are presented as to who originally built the House of Allah; the most popular is that the House of Allah was built by Angels according to Divine instructions as to the site and the dimensions.

With the coming of Islam and the Revelation of the Message of the Holy Quran to the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), the practice of pilgrimage continued. However, all idolatrous vistages were removed totally from the interior and from around the Kabaah, and the true formula of proper worship was reinstated, and true worship was to Allah. When Islam dominated, the correct practice of pilgrimage was taught to Muslims by the Prophet, himself during the "Farewell Pigrimage" where thousands of Muslims accompanied the Prophet, to learn, record, and teach the subsequent generations of Muslims. For this reason, the rituals and formalities of the process of Hajj find little differences in the patterns of excusion among the various authorities of opinion. Al-Hajj similar to all other disciplines of worship is essentially an act of accordance and observance in conformity with commitment to the qualification of Islam. The purpose and objectives of Hajj are not always tangible to the human mind; however, mankind through the repeated generations of Muslims will continue to find deep realities of purpose and objectiveness in the act of Hajj. Islam made Al-Hajj an obligation on all Muslims men and women who are capable of making the journey both physically and financially, at least once in a lifetime. Islam is a symbolised as a mighty flowing river, which enriches all generations with the fertility of its doctorines. In the Holy Quran, it is stated:

> "And proclaim the Pilgrimage among men, they will come to thee on foot and (mounted) on every kind of camel, lean an account of journey through deep and distant mountain highways"
>
> "That they may witness the benefits provided for them; and celebrate the name of Allah, though the days appointed ..."
>
> (Surat Al-Haj, XXII, 27, 28)

Al-Hajj is by far the largest human consortium assembly in the history of mankind; constituting all age groups, both

→

→

"that I offer thee in sacrifice. Now see what is thy view'. The son said: "O my father, Do as thou art commanded". Thou will find me if Allah wills, one who is patient and with constancy".
"So when they both submitted - their wills (to Allah) and he had laid him prostrate on his forhead (for sacrifice).
"We called out to him O Ibrahim".
"Thou hast already fulfilled the vision - thus indeed do We reward those who do right".
"For this was obviously a trial".
"And We ransomed him with a great sacrifice".
(Surat Al-Safaat, XXXVII, 102 - 107).

"Peace and salutation be upon Ibrahim".
"Thus indeed do We reward those who do right"
"For he was one of our believing subjects"
"And We gave him the good news of Ishaq - a prophet, one of righteous."
(Surat Al-Safaat, XXXVII, (109 - 112)

The whole story of sacrifice is symbolic. Allah does not require the flesh and blood of animals, much less of human beings. Allah requires the submission of our whole being in readiness to sacrifice when duty requires.

During a later visit, Ibrahim and Ismail were commanded by Allah to built the House of Allah on the same foundation indicated. This House of Allah is the Holy Shrine, the Kabaah in Macca; where Allah is to be worshiped by making pilgrimage to that place of security and blessedness. This practice is called Hajj. Although succeeding generations corrupted the religion of Ibrahim and Ismail over the year, and resorted to idolatry; they retained the custom of pilgrimage for prestigeous and economic advantages. In the Holy Quran, it is stated:

"And remember, Ibrahim and Ismail raised the foundations of the House. "Our lord-accept this service from us, for Thou art the All-Hearing - All knowing".
(Surat Al-Baqara, II, 127)

"Behold We gave the site to Ibrahim of the House. Associate not anything in worship with Me. And sanctify My House for those who compass it round, or stand up or bow, or prostrate themselves (in prayer).
(Surat Al-Hajj, XXII, 26)

month of the Lunar year. During the journey, certain rituals of worship are performed in and around the precincts of Macca. Hajj is the duty of every adult Muslim who possesses the means and ability to undertake it. It is considered as the fifth pillar of Islam. In the Holy Quran, it is clearly stated:

> "The first House (of worship) appointed for mankind was that at Bakka (Macca), full of blessing and of guidance for all the worlds".
> "In it are Signs manifest, the Station of Ibrahim. Whoever enters it attains security. Pilgrimage to the House is a duty that Men owe to Allah, those who possess the means. If any deny faith, Allah stands not in need of all creatures.
> (Surat Al-Imran, III, 96, 97)

An appraisal of the background of Pilgrimage, dates back to the story of the Prophet Ibrahim and his two righteous sons Isamil and Ishaq. Ismail was old and his mother was Hagar. Ishaq's mother was Sarah. On the birth of Ismail, Sarah as the first wife, thought that she was barren, and became jealous. To avoid misunderstanding in the household, Ibrahim by Divine command took Hagar and her son Ismail to a distant empty place in the desert. Seeking for water, Hagar searched frantically running between and climbing two high spots called Safa and Marwah from where she could look around. Becoming exhausted, Hagar returned to her child, and near where the child lay, she discovered a water well; which has remained until now known by the name of "Zamzam". The well attracted nomad Arab tribes to settle around the well and live with Hagar and her son Ismail. The town of Macca began to grow and develop. In the Holy Quran, it is indicated:

> "Behold Safa and Marwah are among the symbols of Allah. So, if those who visit the House in the season of Hajj, or at an Umrah; should composs them round, it is no sin; and if any one obeyeth his own intention to good, Allah is thankful, and knowing
> (Surat Al-Baqara, II, 158).

The Prophet Ibrahim did not forget his son, and visited him from time to time. During one of his visits, Ibrahim had a vision to offer his son Ismail as a sacrifice to Allah. Making sure that the vision was a Divine Command, both father and son resigned themselves to the command of Allah, however, Allah substituted a ram as the sacrifice instead of Ismail. In the Holy Quran, it is stated:

> "Then when (the son) reached the age of (serious) work with him; He said 'O my son I see in dream

THE PILARS OF ISLAM

AL-HAJJ

By : ABDEL HAKIM AHMAD TAHA

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith? Allah's Apostle replied "Faith is to belive in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam? ; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "what is Ihsan (perfection)? , Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established? ; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - when the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXX1, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion."

(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith) In Sahih Muslim, this honourable Hadith adds "and to perform Pilgrimage when one is able to do that". Sahih Muslim, Vol. 1, Book of Faith, Page 59. (Narrated by Abdulah ibn Omar). It is accepted by all authorities of Islamic jurisprudence that the fifth pillar of Islam is the performance of Hajj for those who are able to undertake it.

Al-Hajj "pilgrimage" is defined as a special journey to the sacred shrine in Macca, known as the "House of Allah" or the "Kabaah". This journey is once a year at a special season during the eighth to the twelveth day of the twelveth

man who established the doctrines of Islam to grow, flourish and give fruit. The man whose extreme piety and faith gave him the strength and solidity to secure the unity of the Muslim Ummah amidst the trepidations and turmoil that supervened after the Prophet's death. The man whose basic characters were justice, mercy, piety, self deprivation, support of truth, and elevation of the word of Allah. The whole Muslim Ummah will continue to pay hommage, tribute, honour, praise and applaud to the great man, Abu Bakre Al-Siddiq, the Khalifah of Rassul Allah.

Al-Khattab as successor to Abu Bakre Al-Siddiq. After that, Abu Bakre summoned Omar ibn Al-Khattab and adviced him with emphasis to the purpose and grave responsibility of his function. After Omar left, Abu Bakre lifted his hands and appealed to Allah in pleading supplication to support Omar with Divine strength, wisdom, patience and vigilant prudence for the cause and purpose of Islam and Muslims.

The illness of Abu Bakre that confined him to rest lasted for fifteen days; during which period he was visited by close companions. The most important issue he settled was the choice of Omar ibn Al-Khattab as his successor and obtaining unanimous consensus in a public assembly at the Masjid after careful deliberation and congruent consultation with the companions of the Prophet. The second issue of importance in the mind of Abu Bakre was to settle all private fiscal and property matters. Everything that he owned which was in itself very little, was returned to the treasury house of Muslims, and he did not leave anything behind, except an orderly, a mule, and a piece of cloth costing five dirhams, which he ordered to be handed to Omar. Abu Bakre on his death bed was very anxious to depart from life innocent from all material gains and belongings. During the last hours, Al-Muthanna ibn Harithah arrived at Al-Madinah to convene with Abu Bakre explaining the situation in Iraq, and requesting Muslim reinforcements. Abu Bakre immediately summoned Omar ibn Al-Khattab and instructed him to prepare the immediate recruitment of Muslim worriors from all over the Arab Peninsula to support the Iraq campaign. The hour of departure from life came after sunset on the Eleventh of Jummadah Al-Akhirah of the year Thirteen after Hijrah (August 22nd, 634 AD). Abu Bakre was sixty three years old at the time of his death. He was washed and shrouded by his wife Asmaa bint Umays and his son Abdel-Rahman. He was burried during the night and placed in the grave besides the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). His burial was carried out by Omar, Osman, Talha, and Abdel-Rahman ibn Abu Bakre.

The news of Abu Bakre's death spread throughout the whole Arab Peninsula, Syria, Iraq and neighbouring territories. The whole Muslim Ummah was solmn with deep grieve for the departure of the great man. Abu Bakre Al-Siddiq, the close companion, the champion, the victor, the man of deep wisdom, devotion and intuitive sagacity. The man that established the fundamental roots of stability, theopolitical unity of the Muslim Ummah and its territorial expansion in Syria and Iraq. The man who engineered the defeat of all apostates, the man responsible for the compilation of the Holy Revelation. The

Abu Bakre began to consult the opinions of the companions. He consulted Abdel Rahman ibn Aof, Osman ibn Affan, Assayd ibn Khudayr, and others of the Muhagereen and Ansars. The popular opinion was accepting Omar ibn Al-Khattab, yet there was a general feeling of apprehension from the firm character of Omar and his stern austere personality. Such public feeling did not change the opinion of Abu Bakre; and when faced with such matter, he answered "I have chosen whom I believe is the most suitable, and Allah is my witness that I have endevoured my best in the choice". Abu Bakre Al-Siddiq summoned Osman ibn Affan and dictated to him the proclamation of the succession of Omar ibn Al-Khattab. The proclamation stated: "In the Name of Allah Most Gracious, Most Merciful. This is what Abu Bakre ibn Kuhaffah documents in will and volition, during his last hours departing from life, and his early hours entering the domain of afterlife, where absolute Reality and truth prevail. I have chosen Omar ibn Al-Khattab to be in authority of office after my death. Listen to him, obey him and give him allegiance. Allah knows that in my choice, I was in complete devotion to my faith and belief, optimizing my choice to what is best for you and for Islam. If he is to be just that was my opinion of him; and if he changes, Allah has the ultimate authority of punishment. I endevour for what I believe is best, I do not know the unknown, Allah is the Sovereign, the Majestical, and the Vigilant. May Allah have peace and mercy upon you". Some narrative state that during the dictation of the proclamation, Abu Bakre fell into a trance of abstraction before he dictated the name of the man. Osman ibn Affan feared that Abu Bakre would die, and wrote the name of Omar ibn Al-Khattab, knowing that Omar was the man chosen by Abu Bakre. When Abu Bakre recovered and knew what Osman had done, he thanked him and blessed him with prayers. Both men were highly concerned about avoiding dispute and contrariety between Muslims after the death of Abu Bakre at that crucial stage of the early phase of Islamic development and stability.

Abou Bakre Al-Siddiq did not only satisfy and content himself with the written document. He crawled to the door of his dwelling which opened upon the Masjid where the congregation of Muslims gathered for prayers, and announced to all present "Do you accept whom I select for you as my successor, I have endevoured my best of effort, with all devotion and truth of worship to Allah, and with all honest compliance and obedience to Allah's Messenger and Prophet. I have not chosen any of my kinsmen. In this document, I have chosen Omar ibn Al-Khattab to be my successor, so listen to him, obey him, and give him allegiance." Everybody in the Masjid acclaimed with applause and unanimity the choice of Omar ibn

The major issue in the mind of Abu Bakre was the matter of his successor. He very much feared that Muslims would fall into dispute about his successor after his death. He remembered how critical the situation was after the Prophet's death. The conditions after his death would make the situation of any dispute or conflict exceedingly dangerous and detrimental to the Muslim Ummah. The whole Arab peninsula was involved in the tissue, the Muslim worriors in Syria and Iraq. The whole structure would collapse and breakdown. This particular issue was the most critical that Abu Bakre was pursuing during his illness. How can he preserve the unity of the Muslim Ummah and prevent dispute and internal conflict after his death. The matter of cardinal importance in the mind of Abu Bakre was the succession after his death. He gave that a great deal of consideration and thought. Finally, he decided to choose his successor and take the acceptance and allegiance of the Muslim Ummah to that man. The choice of Abu Bakre was totally based on the personal individual choice of Abu Bakre, his wisdom, sagacity, foresight and the acceptance of the Muslims populous.

Abu Bakre as a very early Muslim, and the closest companion to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had very optimal and precise knowledge of the companions, their characters, qualities, idiosyncrasies, and traits of behavior. During his reign as Khalifah of Rassul Allah, Abu Bakre gained more knowledge concerning the companions, and his rationality and criteria for selection were certainly very precise and without bias or prejudice. His rationality of choice was based on the selection of a man most suitable to administer and govern the affairs of the Muslim Ummah at that particular phase of its history. Besides the special characteristic qualities of excellence the man had to be suitable to command and to navigate the newly structured juvenile Muslim Ummah, where issues at hand were enormous and critical. The pan-tribal theopolitical unity of the peninsula with its recent healing scars of the wars against the apostates. The Muslim worriors in Syria confronting the Romans; the precarious situation of the Muslim worriors in Iraq facing the Persians; the authority of wisdom and administrative diplomacy and decision making at Al-Madinah; and above all the integrity of the creed of Islam to stand and remain preserving the doctorines of Islam as indicated in the Holy Revelation, and the Traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Who was the man that Abu Bakre Al-Siddiq chose to carry the burden with strength insight, devotion, honesty, and the deep piety of true belief and faith. In the mind of Abu Bakre, the man was Omar ibn Al-Khattab. However, Abu Bakre did not and could not force his opinion of choice upon the Muslim Ummah, they must accept the man he was to choose as his successor.

ABU BAKRE AL- SIDDIQ
"THE ILLNESS AND DEATH"

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

During the short period of the reign of Abu Bakre which lasted for two years and three months, several outstanding achievements were accomplished. The victory over the apostate tribes, the Persian and Syrian crusades, the compilation of the Holy Quran, the establishment of a theopolitical unity between Muslims, and the foundation of a future expansion of Islamic rule based on justice,equality, and human rights. The fundamental roots of the system of government and administration were based on "Shurah". Historians consider the reign of Abu Bakre as "miraculous"; a nation in revolt and mutiny became united, and simultaneously achieved military triumph over two superpowers. The miracle was in the underlying infrastructure that became coherent as a Muslim Ummah, because of the efforts and policy adopted by Abu Bakre Al-Siddiq. Such surging achievements were granted to Abu Bakre by Divine support, because of his piety, confidence and sincere devotion to the element of the Faith; as man, as companion to the Prophet, and as Khalifah of Rassul Allah.

At the age of sixty three, the aging process became premature due to the active and strenuous life that he experienced. However, there are two narratives for the illness and death of Abu Bakre. One was that Abu Bakre ate from some poisoned food. The poison was put in the food by the Jews, and it was the kind of poison that had a delayed effect of killing after one year. The same food was shared with Abu Bakre by Al-Harith ibn Kildah and Attab ibn Ussayd. The three men died on the same day, one year after eating the poisoned food. This narrative is incredulous and is not subject to unanimous agreement among chroniclers. The more attested narrative based on statements of Aiysha and Abd Al-Rahman, daughter and Son of Abu Bakre; was that Abu Bakre contracted a fever which remained for fifteen days and ended by his death. During his illness, Abu Bakre instructed Omar ibn Al-Khattab to lead the congregational prayers. With his deep perception and clairvoyance, Abu Bakre knew that his death was imminent. During his illness, he was very concerned in thought about the affairs of Muslims.

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION
VOL. 61, PART IX
RAMADAN, 1409, HIJRAH

Editor: Dr. Anas Moustafa El Naggar, M.D., Ph.D

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq.
The Illness and Death.
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. The Pillars of Islam.
Al Hajj.
By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

Preparation of Prints By: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
شوال ١٤٠٩ هـ
مايو ١٩٨٩ م
الجزء العاشر
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

عيد الفطر يوم الجائزة لانتصار الإرادة ..

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

دابت الجماعة الإنسانية على اختلاف السنتها والوانها على الاحتفال بمناسبات ذات أثر فى حياتها يسمى بعضها بالعيد ، من شان الحفاوة به ان يوقظ لدى الجماعة الوعى بالروابط التى تجمعهم ، فيستعيدون بها مجداً مضى أو ذكرى نصر وقع فى الأيام المحتفى بها أو فيها ..

وهذا النصر أو ذاك المجد الذى كان فى التاريخ الماضى ، إنما وقع بسبب ما بين افراد هذه الجماعة ـ شعباً ، أو أمة ـ من دوافع مشتركة تسعى إلى تحقيق هدف معين ..

وهذه الأحفال التى تقام ، إنما تمثل اسباب تواصل هذه الجماعة وتضامنها فى الأمجاد والانتصارات ، كما تشير إلى المثل العالية الرفيعة التى تصبو إلى تحقيقها ..

←

وعيد الفطر الذى تحقق بهلاله الأمة الإسلامية يصور مجداً ونصراً لإرادة المسلم الصالح وتوفيق الله له بإتمام صوم شهر رمضان . مع الالتزام بأحكام الصوم وآدابه .

كما شرع الله ورسوله ، طوال هذه الحقبة الزمنية التى استغرقها فرض الصوم ، تغلب فيها المسلم على نوازع النفس والجسد ، وقويت فيها الإرادة . فالتزمت بالخضوع لأمر الله سبحانه فى قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ . . ﴾ .

إن إهلال شهر رمضان وشهوده له شأن فى تاريخ الأمة الإسلامية ، وصومه له منزلة بين الفرائض التى افترضها الله سبحانه على هذه الأمة وجعلها أصولاً وأسساً لشرعه .

وشهر رمضان بميزاته التى تحدث عنها القرآن تجعل الرغبة فى استقباله ، والرهبة من النكوص عن واجباته ملء قلوب هذه الأمة ..

ذلك لأنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن ، أساس هداية المسلمين وإمامهم وأمانهم ، إن هم عملوا به وأحاطوا أنفسهم بما منحهم من علم وحكمة وهداية ، وهو مصدر الروابط المشتركة بين أفراد الأمة الإسلامية وشعوبها ، ومحط مثلها وأهدافها ..

وشهر رمضان مع هذا وكما سبق يعبر المسلم بصومه عن انتصار الإرادة الإنسانية السامية فى خلقها وسيطرتها على الرغبات الجانحة أيا كانت نزعتها ، تلك التى من شأنها أن تبعد الإنسان عن أن يكون سيد نفسه ، مشاركاً فى سيادة المجتمع الذى يعايشه..

ودخول عيد الفطر باليوم الأول من شهر شوال وبعد إتمام شهر رمضان صياماً وقياماً لله رب العالمين من شأنه أن يبهج المسلمين ويشرح صدورهم بهذا النصر الإنسانى بسمو الإرادة الإنسانية وتكاملها بين أفراد المجتمع التقاء على الإيمان والمساواة والتعاون على البر والتقوى حبا لله وطاعة له واقتداء برسول الله ﷺ .

ومن هذا يظهر أن هذا العيد لم يقم على روابط الدم أو النسب .. وإنما قام على أساس الإيمان والإسلام ابتغاء تحقيق الأهداف والمثل العليا التى تغياها الإسلام من هذه الفريضة ، ويكون الاحتفال بعيد الفطر تذكيراً وإحياءً للروابط الإسلامية ، والإنسانية التى جمعت هذه الأمة على أسس الإسلام وغايته ..

وتحقيقاً لإعلاء وإعلان البهجة بالعيد لدى عامة الأمة الإسلامية كان جوهر الأحفال ومظهرها معبراً عن الإيمان والخضوع لأحكام الله التى شرعت هذا العيد ورتبت جوهره ومظهره .. فكانت الدعوة إلى اجتماع المسلمين فى المسجد أو فى مكان أفسح وأرحب يشهده الناس جميعاً شيباً

وشباناً رجالاً ونساءً وصغاراً ، شعارهم فى غدوهم إلى مصلاهم (الله أكبر) سرا وجهرا فرادى وجماعات حتى يصطفوا لصلاة العيد فى صلاة جهرية وكان من سنن العيد لبس الجديد من الثياب أو النظيف ، إبرازاً للسرور والابتهاج وتعميماً لمظاهر الفرحة ونعمة التوفيق .

ومع هذا يستحب - كوجه آخر للإعلان عن العيد والبهجة بقدومه - أن يكون الذهاب إلى صلاة العيد من طريق والرجوع من طريق آخر حيث روى البخارى أن النبى ﷺ كان إذا خرج يوم العيد فى طريق رجع من غيره ..

وسمة هذا اليوم فى الإسلام التعبير عن الشعور النفسى بالفرح والسرور بالتقاء أفراد الشعب المسلم على المثل التى جمعت بينهم ..

ولا حرج فى الإسلام أن تطفو دواعى السرور والفرح على نفس المسلم فتمارس اللهو المباح فى غير إسراف ولا مخيلة وأن يأكل الناس ويشربوا الطيب الحلال دون إسراف أو إتلاف .

ولعل من أبرز ما شرعه الإسلام فى هذا اليوم - عيد الفطر - إظهار المودة والتزاور بين الأقارب والجيران ، وبين الأقوياء والضعفاء ، والمشاركة فى المسرات والمواساة فى الضراء ورعاية اليتامى والفقراء ، والمحافظة على حرمات الله فى الأنفس والأعراض والأموال ..

إن الاحتفال بعيد الفطر هو احتفاء بالنجاح فى جهاد النفس والقيام بالصوم فى شهر رمضان كله ، صوما عن الدنايا والخطايا مع الصوم الحسى عن الطعام والشراب وسائر المفطرات ، وهو احتفاء بقوة العزم واستدامة الصبر والتغلب على الصعاب والمغريات ويمضى شهر رمضان على هذه الحال ، تتبدل العادات إلى الأحسن والأوفق مع شرع الله الإسلام ، ومن ثم تكون الاستقامة والتقوى التى هى الهدف الأسمى من الصوم كما قال الله فى سورة البقرة : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ..

روى الطبرانى فى الكبير عن سعد بن أوس الانصارى عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا : اغدوا يامعشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل لقد امرتم بقيام الليل فقمتم ، وامرتم بصيام النهار فصمتم ، واطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم ، فإذا صلوا نادى مناد : الا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة".

وإذا كان صوم شهر رمضان قد استوثقت به القلوب والنفوس عزماً وحزماً طاعة لله ولرسوله وطلباً لصلاح الحال ودفع البلاء فلماذا إذاً لا نستمر - بعد رمضان - فى الصيام عن الآثام الظاهرة والباطنة ، فنصون الألسنة عن الكذب والافتراء وأحاديث الإفك ؟ ولماذا لا نطهر القلوب من الرجس وننزه المكاسب عن الحرام ، ونبرىء الأعمال من الغش ، ونغل الأيدى والجوارح عن الأذى ؟.

←

كلمة شيخ الأزهر

إن صوم شهر رمضان كان رياضة وموسم استشفاء فلسنتثمر ما تعودناه فى هذا الشهر من نظام وتنظيم ودأب على طاعة الله ورسوله ، وحفظ للحرمات وهجر للمحرمات . لنواصل السير على هذا النهج القويم ..

إن واجب المسلمين وهم يستقبلون أول أيام عيد الفطر المبارك أن يَسْتَبِقُوا صلتهم بالله وبدينه ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ، وإن عليهم أن يتراحموا فيما بينهم .. وأن يواجهوا مصاعب الحياة ومتاعبها بما شرع الإسلام ، لا بالمزيد من الآثام والعصيان ، والإسراف والإتلاف ، إن عليهم أن يتآلفوا ويتصالحوا ولا يبغى بعضهم على بعض وأن يكونوا يداً واحدة وصفاً مترابطاً فى مواجهة أنواء هذا العصر التى تحتاج إلى قوة الوحدة وعز الجماعة ..

على الأمة الإسلامية أن تذكر فى يوم عيد الفطر هذه الشعوب الإسلامية التى تكافح عن حقوقها المسلوبة فتساندها وتمدها بما يزيد من قوتها حتى تصل إلى غايتها ، وأن ترعى بلاد المسلمين التى منيت بالقحط والسيول فتمدهم بما أفاء الله عليهم من نعم وتخفف من ويلاتهم .. وأن تؤيد المجاهدين والمناضلين فى القدس وفلسطين وفى أفغانستان وتشد من أزرهم ..

وباسم الأزهر الشريف أهنىء الأمة الإسلامية على اختلاف ألسنتها وألوانها وموطنها بأداء فرض الصوم فى شهر رمضان وبحلول عيد الفطر عيد النصر لإرادة المسلم فى طاعة الله ورسوله ، وأهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الشعوب الإسلامية ، وأدعو الجميع إلى مزيد من التآخى والتشاور لصالح الإسلام والمسلمين .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ ..

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

قصة الإيلاف

عصر هاشم بن عبد مناف

٢

للدكتور: على أحمد الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان أجمعين . وبعد

فقد ذهبنا إلى أن « عصر » هاشم بن عبد مناف يهدى إليه ويحدده عُمُرُ ولده عبد المطلب الذى توفى عام (٥٧٨م) ، وأن هذا العام يمضى بنا إلى هذا العصر :

فإذا نحن سلفنا هذا العام بثمان وثمانين سنة كنا فى نهاية « عصر هاشم فى « التقدير الأحوط » ، فإذا هذا العصر - وقوامه خمس وعشرون سنة - يبدأ بعام (٤٦٥ م) ، وينتهى بعام (٤٩٠ م) وقد تزيد سنة فى كلٍّ ، فإذا نحن مع العقود : السابع والثامن والتاسع من القرن الخامس الميلادى .

وإذا نحن سلفناه بمائة وعشرين عاما فى « التقدير الأوسط » كنا مع عصر يبدأ بعام (٤٣٣ م) وينتهى بعام (٤٥٨ م) وقد نزيد سنة فى كُلٍّ ؛ فإذا نحن مع العقود : الرابع والخامس والسادس من هذا القرن .

وعلى أى التقديرين لن يكون عصر هاشم قبل العقد الرابع إلا لدى من يرى أن عُمُرَ عبد المطلب مائة وأربعين عاما ، وليس ثمة إجماع بين المؤرخين على ذلك ، أو اتفاق بين أكثرهم .

وإذا كان عصر هاشم لن يستبطن التاريخ من قبل العقد الرابع ؛ فإنه كذلك لن يستظهره بحال إلى العقد العاشر ؛ فأولى بنا - والحال هذا - أن نُقدم دراستنا عن هذه العقود الستة ، والله المستعان .

قصة الإيلاف

وليس يفوتنا أن نسجل أن طريقنا التاريخي إلى هذه العقود ليس سهلا سمحا معطاء بما نريد ، وليس هو الذى يوضح لنا الأوضاع والأحوال ، أو يتحدث عن الملوك والحكام إبان تلك الفترة بما ييسر سبيل المعرفة لدراسة العصر ، والإلمام بما هناك من علاقات وشئون سياسية واقتصاديه واجتماعية في وضوح مبسوط فهي فترة (غَسَقٍ) تاريخي وَقَبْتْ على الجزيرة فألقت بالظلال أكثر مما أرسلت بالإشعاع .

على أن هناك أكثر من حقيقة بارزة عن هذه الفترة يمكن أن تهدينا إلى إلمام طيب بشأن ما نريد

● فمن المؤكد أن هذه الفترة من تاريخ الجزيرة كانت جزءا من زمن يُعتَبر عصر استقطاب للجزيرة يحاول فيه كل من « الفرس » و« الروم » و« الحبشة » السيطرة على الجزيرة من أطرافها شمالاً وجنوبا ، وإذ أدرك الفرس والدولة البيزنطية أن الأمر أعسر عليهم مما يظنون أنشَئُوا في الشمال دولتين : « دولة الحِيرة » التى اشتهرت بدولة المناذرة ، وكانت تتبع فارس ، و« دولة لخم » التى عرفت بدولة الغساسنة وكانت تتبع الروم ، أى الدولة البيزنطية ، فمثلت كلتا الدولتين حجابا حاجزا .. «buffer state» يصد غارات البدو عن كلتا الدولتين ، كما تكون كل منهما في المقدمة لتتلقى الضربة الأولى عن الفرس أو الروم إذا هاجمت إحداهما الأخرى ، وحاولت الحبشة ـ بدورها ـ أن تقوم بالدور نفسه في الجنوب فتعاورها الفشل تارة والنجاح أخرى حتى تمكنت من حكم الجنوب أكثر من فترة . وإذا كان الفرس ، ومثل الفرس الدولة البيزنطية ، تقوم بممارسة هذه السياسة متمثلة في ذلك مصالح بلدها ، فإن الحبشة كانت في بعض محاولاتها استعمار جنوب الجزيرة عميلاً للدولة البيزنطية ؛ فكانت عميلاً يريد إنشاء دولة عميلة .

● وفي الحق أن سياسة الدُّوَل الصانعة الثلاث لم تكن قانعة بقصر نفوذها على ما أنشأت كل منها من دولة صنيعة جعلتها رِدْءًا لها وخط دفاع عنها ؛ بل تطاولت أطماعها إلى ماهو أبعد .. إلى السيطرة على داخل الجزيرة نفسها ؛ فإن لم يكن ذلك ممكنا ـ وهو ماكان عليه الحال ـ فلا أقل من سياسة طويلة المدى تشعل الحرب بين سكانها فدارت بين القبائل ـ داخل الجزيرة حتى مشارفها ـ معارك عنيفة عُرفت بـ « أيام العرب » أتت على خير شبابها ؛ فبئس ماكانت ، وبئس الحمق الذى استخدم التفاهة شعلة أوقدت معظم هذه الحروب كقتل ناقة ,أو إعاقة فرس. أحداث كان هناك غيرها أعمق ضررا ، وأشد أذى ، وأقوم ـ في إشعال الحرب ـ سببا ، لكنه مضى بحِلْمٍ وَقُور عالج أمره بحكمة صَدَّتْ عن قبائل يدَ الفناء ، بينما تلك الأحداث التافهة جال ـ حيالها ـ المناذرة أو الغساسنة ـ فأوقدت الحروب وصدت عن الفرس والروم غارات القوم ، ووجدت ـ بها ـ الدولتان يدا على الأعراب .

● وليس يَلفِتُنا ـ عن هذه الحقيقة ـ المجدُ الأدبى للجزيرة إبان هذه الأيام ؛ فقد ازدهرت

- بحق - القصيدة الجاهلية ، واستوت على أعلى قممها الفنية : صياغة بلا خلل ، وقافية يندر فيها الأقواء* وعمقا فى المعانى ، وافتنانا فى إبداعها ، وسعة فى الأغراض ، وتسجيلاً لكل مظاهر الحياة بين أبنائها ، وتعريفاً بجبالها ووديانها وطرقها وحيوانها ووحشها ونباتها ، ثم طرقا إلى دِينِها ودروب الحكمة فى شيوخها ، والغزل فى شبابها وشاباتها ، وما كان من حب ينال الرضا أو يبعث السخط ... إلى ماكان فى حياة الأسرة إذا طرقها الخلاف فالطلاق ، وألوان هذا الطلاق وشرائعه وَعضله** أو التساهل فى أمره ...

كُلٌ قرأناه فى القصيدة العربية حينئذ : فإذا الصحراء صفحة من كتاب مفتوح لا عسر فيها ولا غموض .

« مجد » له قَبَسُه الفذ الفريد يندر أن يكون له مثيل بجانب « سياسة » من شؤم منقطع النظير .

وليس يختلف النقاد - قديماً وحديثاً على أن هاشم بن عبد مناف عاش جو هذا المجد الذى يحصره « ابن سلام الجمحى » فى عصر « هاشم وعبد المطلب » ويخالفه النقاد والمحدثون فيرون أنه متقدم شيئاً ما على عصرهما ؛ فإن ازدهار القصيدة وكمالها على هذا الشكل لابد أن تتقدمه محاولات ونقد فمحاولات ، فبناء يستقيم شيئاً فشيئاً حتى يكون صرحا رفيع الذروة قوى السناد ، وليس من شك أن هذا هو السَّنَن فى طبيعة الأشياء .

● كانت الدول الصنائع متعادية بطبيعتها ، وهدفِ إنشائها ، تديرها عقول ليست من أرضها ، فمثلها لا يمكن أن يفكر فى إقامة « وحدة » تأخذ الأمور بعنان الثقة فيما بينها لتمضى قدما فى النهوض باقتصاد الجزيرة ، والعناية بطرق القوافل ، وتمهيد سبلها ، وإنشاء « محطاتها » على ما كان عليه الحال حين كانت "سبأ" وانعكس هذا الوضع على حياة البشر بالجزيرة ليخنقها اقتصاديا ، فلا يخرج من ربقته إلا أفراد من كل قبيلة ، إن لم يكن أفراد بين كل عدة قبائل .

وماذا ننتظر من « الطواعية » العمياء لاستعمار ذى قيد ذهبى إلا أن تأتى على آمال الأمة فتذروها مع الرياح .

● كذلك من حقائق هذا العصر البارزة أن « مشيخة » واحدة فى الجزيرة كلها أبت على نفسها أن تكون صنيعة لأية دولة : كبرى كانت أم صغرى ، تلك هى مشيخة مكة ، البلد الحرام . فقد وقفت شامخة أمام هذه الأحداث فلم تنلها فتنتُها ، كما أبت أن تستتشيط لوقيعة تبث فى تاريخها (أياما) كتلك الأيام البائسة التى أكلت غضارة العرب إذ ذاك .

←

كان هَمُّ المشيخة صيانة البيت ، وإعداده لإستقبال القبائل جميعاً على كَرَم سواء متنزهين عن كل خصومة ، آنفين من أية تبعية ، متفضلين على زائرى البيت بما استطاعوا من طعام وشراب ، فعرف العرب لهذا البيت الهاشمى فضله ، وكَنُواله كل تقدير ، وذلك من فضل إرادة الله لهذا البيت تكريماً لدوحته الزكية فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

كان« هاشم بن عبد مناف » على وعى بعصره ، ملم بمشاكل الجزيرة ودارس لها وعالم بحلولها يجتمع ـ إليه فى ذلك كله ـ معرفةٌ بالقبائل ومواطنها ، وطرح الثقة فيما بينه وبينها ، وقد وفر له هذا الأمر الأخير « حج القبائل البيت الحرام » ثم أسفاره المختلفة فيما بينها إلى شخصية الفذة التى جمعت إلى كرم الشمائل أريحية الفضل الجميل .

ونحن إذا استعرضنا حياته بتَقْدِيْرَيها الأحوط والأوسط نجد « فارس » على مدى هذه العقود قد حكمها على التوالى : « بهرام جور » (٤٢١م ـ ٤٣٨م) ، فـ« يزدجرد الثانى » (٤٣٨ ـ ٤٥٧م) فـ « هرمز الثالث » (٤٥٧م ـ ٤٥٩م) ، وفى أثناء ذلك تكون حياة هاشم فى تقديرها الأوسط من عام (٤٣٣م) إلى عام (٤٥٨م) .

وفى التقدير الأحوط فهو معاصر لكل من « فيروز » (٤٥٩ ـ ٤٨٤م) فـ « بلاش » (٤٨٤ ـ ٤٨٨م) فسنتين من حكم « قباد الأول » (٤٨٨ ـ ٥٣١م) ، وجميع ملوك الفترتين من الأسرة الساسانية .

وهذه الفترة تركت بصماتها على فارس فى الدين والاجتماع والسياسة ، فقد تركزت النصرانية لدى بعض مواطنيها إلى جانب الزرادشتية التى توثقت صلتها مع الزمن بتطور المجوسية ، وليس غريباً أن تمتد النصرانية إلى دولة الحيرة التابعة لفارس فيذكر المؤرخون بها « ديرا » بنته هند أم عمرو ، يرى بعضهم أنها ابنة الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار ، كذلك تعرضت فارس إبان حكم فيروز لسنوات قحط وجوع تلتها حروب كادت تفقد البلاد استقلالها إلا انها كانت صامدة إلى حد ما امام الرومان ، وفى آخر هذه الفترة ، وإبان حكم « قباد الأول » كانت كارثة شملت فارس باعتناق « قباد » للمزدكية ، وهى مذهب « مزدك » المعاصر له الذى نادى بشيوعة النساء والمال فاستحل المحارم والأملاك والمنكرات وأعجب بمذهبه رعاع الناس فكثر السفلة من اتباعه ، والم بالناس شر مستطير .

على أن هاشما ـ على أى حال لم يمتد به الأجل إبان حكم هذا الملك على آية تقدير .

●● ●● ●●

فإذا خلفنا فارس والحِيرة ، وتوسطنا الجزيرة نجد حكومة «كِنْدَة» التى لُقِّبَ حكّامُها بالملوك ، ولم تكن دولة بالمعنى الذى يطرح مفهومه فى أذهاننا : رياسة وسلطة وأمنا ودفاعا ، بل كانت تحالفا جمع عدة قبائل رضيت بزعامة حُجْر بن عمرو آكل المُرَّار مَلِكًا فتولى زعامتها لتدفع عن أنفسها شر الفرقة والضياع . ففرق أبناءه زعماء على هذه القبائل ، وانتظمت تلك الدولة بلاد نجد مما يلى الحجاز شرقا ، وامتدت إلى طرف الشام والعراق شمالا ، ومارست شيئا من النفوذ على قبائل من « عمان » جنوبا ولسنا نجد لها تاريخا يمتد من قبل « حجر آكل المرار » وتكاد المراجع تقطع بأنه منشئوها وأنه بدأ حكمه عام (٤٨٠م) تقريبا ، فإذا نحن افترضنا حياة هاشم فى تقديرها المتوسط الذى ينتهى بعام (٤٥٨م) ؛ فهاشم لم يدرك هذه الدولة ، إذ لم يكن لها وجود ، وإنما كانت القبائل مشيخات مستقلة لكل منها عدتها وعاداتها ؛ ولا يكون أدركها إلا إذا كانت حياته هى الفترة (٤٦٥ ـ ٤٩٠م) فيكون أدرك حكم مؤسسها « حجر » فولده « عمرو » الذى عرف بـ« عمرو المقصور » لخموله ، ويعتبر أقوى ملوك هذه الأسرة « الحارث بن عمرو المقصور » الذى يرجح د شوقى ضيف أنه ملك عام ٤٩٠م وهو عام وفاة هاشم فى هذه الفترة الأحوط .

وتعتبر حكومة كندة هذه خاضعة بالولاء لحكومة اليمن فى الجنوب ، ولم تخرج على هذا الولاء إلا حين رأى « الحارث » هذا أن اليمن معرض لهزيمة أمام الحبشة فاعتنق المزدكية وتقرب بها إلى « قباد الأول » فعينه ملكا على الحيرة ، وطرد عنها « المنذر الثالث » ، وهى أحداث لم يدركها هاشم ، ولا تُسَجَّل فى تاريخه ، ولا نرى فيما عاصره هاشم من زمن لتلك الدولة ـ إن كان إلا هذه السنوات العشر المؤسسة التى كان حجر ينظم فيها أمر القبائل دون أثر ما على الجزيرة جميعا .

●● ●● ●●

وننتقل جنوبا فنجد حياة هاشم فى كلا تقديريها تقع إبان حكم الدولة الحِمْيَرِية الثانية (٣٠٠م ـ ٥٢٥م) المعروفة لدى المؤرخين العرب بدولة التتابعة فى اليمن .

كشفت النقوش عن تسعة ملوك لهذه الدولة تبدأ بـ(ملكيكرب) وتنتهى بـ (ذى نواس) أو (ديمانوس) كما عرفه الرومان . وعلى الرغم من هذا الكشف فإنه يعسر ـ حتى الآن ـ تدوين تاريخ مستقل لكل منهم . وكانت الحبشة قد جعلت من اليمن شغلها الشاغل ، ورأتْ قيادتُها وجوبَ احتلال اليمن ، فلم تترك لتلك الدولة هوادة ، فاحتلتها عام (٣٤٠م) وظلت تحكمها حتى عام (٣٧٨م) أى قرابة أربعين عاما حمل ملك الحبشة أثناءها لقب (ملك أكسوم وحِمْيَر وريدان وحبشة[1] وسلح وتهامة) وهذه الغزوة سُبِقَت باثنتين وقعت أولاهما فى القرن الثانى ، والثانية فى القرن الثالث ، وأعقب تلك الحملة الثالثة حملة رابعة أتت بنهاية هذه الدولة ، وزال بها ملك ذى نواس .

←

وأقوى الملوك التسعة هو (أبو كرب أسعد كامل) الذى حكم الفترة التالية لجلاء الحبشة ، أى من عام (٣٨٥م) - إلى عام (٤٢٠م) تقريباً ؛ فقد تمكنت اليمن حينئذ من جمع شملها وتقوية سلطانها وعدتها ، ولم يعاصر هاشم حياة هذا الملك فى أى تقدير .

وقد استغلت الحبشة ، ومن ورائها الدولة البيزنطية ، وجود المسيحية الأولى باليمن لتجعل من أمرها سبيلاً إلى صراعها مع اليمن بدعوى حماية هذه المسيحية مما أوغر صدر الحكام اليمنيين من بعد" أسعد كامل" على النصرانية الأولى ؛ فكان ضيق افق منهم أن يقيموا أُخْدُوداً لحرق المؤمنين الذين ورد ذكرهم فى (سورة البروج) وكان طمعا من الرومان والحبشة معا فى اليمن أكثر منه بكثير دعوى حماية المسيحيين .

وجزءاً من هذا الصراع هو الذى أدركَ هاشمٌ قبل أن تكون الخاتمة الأليمة لهؤلاء المؤمنين ، وحين كانت القلاقل قد بدأت رويداً رويداً تجتاح اليمن من جراء أطماع بيزنطة والحبشة معا حتى إن دولة كِنْدة صنيعة اليمن بوسط الجزيرة رأت خيراً لها أن تستبدل سيداً من فارس بسيد من اليمن .

وتعنى الأحداث أن اليمن لم يكن الدولة التى يمكن أن يتهيأ لها ، كما تهيأ لها عصر القوة ، أن تعيد مجد الجزيرة الاقتصادى .

●● ●● ●●

وإذا تركنا هذه الدول الصنائع إلى بيزنطة عاصمة الدولة الرومانية الشرقية لنبحث عن الامبراطور أو الأباطرة الذين عاصرهم **هاشم** وكانت له صلة شخصية ببعضهم يستقبل من أجلها فى بلاطهم بالتفخيم والإجلال . عاصر هاشم بيزنطة بعد أن أفل نجم الرومانية الغربية بنقل قسطنطين عاصمة الدولة إلى الشرق عام (٣٣٧م) ، وليس يهمنا من أمر هذه الدولة إلا معاصرة هاشم لها إبان فترة حياته ، وقد علمنا شيئاً من أحوالها بالنسبة لليمن ، وفارس من قبل ؛ فإذا كانت حياة هاشم هى الفترة (٤٢٣م - ٤٥٨م) فقد عاصر من الأباطرة :

« ثيودوسيوس الثانى » جامع القانون الرومانى الذى حكم بيزنطة الفترة (٤٠٨ - ٤٥٠م) وهى أطولها فترة فـ « ماركيان » (٤٥٠م - ٤٥٧م) ؛ فسنة أو اثنتين من حكم « ليو الأول » (٤٥٧ - ٤٧٤م) .

فأما الفترة الأحوط لحياة هاشم (٤٦٥ - ٤٩٠م) فيكون معاصرا لـ « ليو الأول » ثم الأمبراطور : « زينون » (٤٧٤م - ٤٩١م) .

كانت املاك الرومانية الشرقية عصر هاشم ـ فى أى من الفترتين ـ تشمل بلاد اليونان وآسيا الصغرى ثم ما تاخم الجزيرة شمالاً كسوريا ولبنان وفلسطين والاردن ، ثم مصر غرب الجزيرة .

وفى تلك العقود التى تمثل عصرى هاشم كان نمو الرومانية الشرقية الذى استحكم عصر ثيودوسيوس الثانى ، وما انتهى عصر « ثيودوسيوس » حتى كانت غارات البربر على الامبراطورية الشرقية فى أوربا ، فقام بالدفاع عنها جيشها من الجند المرتزقة حتى تمكن « ليو الاول » من تحرير بلاده منهم .

ويعتبر هاشم معاصرا فى أحد فترتيه لسقوط روما عام ٤٧٦م وقضاء البربر نهائيا على الامبراطورية الرومانية الغربية .

على أن متاعب الرومانية الشرقية داخليا ، والتى عاصرها هاشم كاملة ـ أو عاصر بدء اشتعالها ـ كانت تتمثل فى الصراع الكنسى الذى اشتدت فيه المنافسة بين كراسى البطارقة فى كل من الاسكندرية وأنطاكية والقسطنطينية ، والتى راح ضحيتها المؤمنون بالمسيحية الأولى ، وانعقد لها مجامع منها مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ .

وفى كلمة جامعة ذَكَرَ د / جوزيف نسيم يوسف فى كتابه « تاريخ الدولة البيزنطية » طابع تلك الدولة فقال ص ٣١ : « كانت القسطنطينية هى روما الجديدة ، وكانت الدولة البيزنطية هى وريثة الامبراطورية الرومانية القديمة ، وكانت الامبراطورية الرومانية بيروقراطية الصبغة والطابع مركزية الحكم والإدارة » وهو يعنى بذلك البيزنطية أيضا ، قالها صراحة ص ٧ .

على انها لا تقارن بحال بفارس فى هذا العصر سواء فى نظام الملك أو عمق الحضارة ، ومن عجب أن كلتا الدولتين انعكس حالهما على الدولة الصنيعة ، فبينما نجد « الحيرة » صنيعة الفرس على شيء من الحضارة وتسجيل التاريخ نفقد ذلك فى دولة الغساسنة صنيعة الروم ذات التاريخ الغامض الذى لا نستبين منه شيئا إلا ابتداء من عام ٢٣٩م حين يكون هاشم قد استودع الحياة ، وقد أدى أكثر من واجب .

د. علي أحمد الخطيب

● الاقراء : اختلاف حركة الروى القافية

●● العضل : منع المرأة الزواج ظلماً أو رجوعها إلى مطلقها إذا ارادا ..

(١) يقصد اللفظ هنا : حضرموت .

المنافقون

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ذكر الله المتقين فى أربع آيات ، وذكر الكافرين فى آيتين ، وذكر المنافقين مُتعددى الأوصاف ، تحذيراً منهم ، ولكثرة تواجدهم فى ثلاث عشرة آية .

والنفاق من أكثر الخصال شيوعاً فى الناس ، وخلاصته : مخالفة الظاهر للباطن والعلانية للخفاء .

وتارة يأتى فى القرآن بعد وصف أصحابه بالإيمان أوّلاً كما قال تعالى من سورة التوبة :

﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ . الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ﴾ .

وتارة أخرى يصف بالنفاق بعد الإسلام كما قال من سورة التوبة أيضا : ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ .

واختلاف التعبير كما رأيت يجدر بنا معه أن نعقد المقارنة بين الإيمان وبين النفاق ، وذلك أن للإنسان وسيلتين يُفصح بهما عما ينطوى عليه كيانه وهما : لسانه وقلبه .

وأحوال القلب : إما علم باعتقاد جازم مطابق للواقع ناشىء عن دليل ، وإما تقليد باعتقاد خالٍ عن الدليل ، وإما بجهل وهو اعتقاد مُخالف للواقع ، وإما بخلو من كل هذا ، فتلك أربع أحوال للقلب .

أما أحوال اللسان فلا تخلو إما عن اعتراف ، أو إنكار ، أو سكوت فتلك ثلاثة فى أربعة فالمجموع اثنتا عشرة حالة ، وكل حالة إما عن اضطرار أو اختيار فتلك أربع وعشرون حالة .

وضبط كل هذا : أن الإيمان موافقة صحيحة من الظاهر والباطن ، وأن الكفر الصريح مُخالفة من الظاهر والباطن للواقع والدليل ، وأن الإكراه على الشىء لا ثواب فيه ولا عقاب عليه ، وينحصر النفاق بين الظاهر والباطن .

والذين نزل فيهم القرآن : إما قوم أعلنوا أنهم مسلمون ، وادعوا الإيمان فقال لهم الله : ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ .

وإما قوم ارتدوا ، حيث أعلنوا إيمانهم ولم تخالط قلوبهم بشاشته فارتدوا .

وأيا ما كان الأمر ، فالإيمان والإسلام إذا اجتمعا فى مكان واحد ، كان لكل منهما معنى ، مثل : ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ .

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعي

أما إذا تفرقا ، حلّ كلّ منهما مكان الآخر وكان الإيمان الشرعي هو الإسلام الشرعي ، والإسلام هو الإيمان ، لا فرق بينهما في لسان الشرع ، فقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أى المؤمنون والمسلمون وقوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ فالإسلام هو الإيمان .

أما المعاني اللغوية ، فتفرق بينهما ، إذ الايمان : تصديق قلبي ، والإسلام انقياد ظاهرى ، ومالم يوافق الظاهر الباطن في الدليل والواقع ، فليس ذلك بإيمان شرعي ولا إسلام شرعي .

وأنت ترى من هذه التقسيمات ، وتلك التفريعات ، أن النفاق دركات كما أن الإيمان درجات ، لكن لابد فيه من موافقة الظاهر للباطن .

أما قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ فـ (مِنْ) على أرجح الأقوال تبعيضية ، فليس كل الناس منافقين ، ويجوز في رأينا أن تكون ابتدائية بمعنى : أن الناس قد فُطروا على الخير والمعاني الإنسانية ، ثم خرج بعضهم عن الفطرة السليمة إلى النفاق ، وقد خُلِقَ الناس حنفاء فاجتالتهم الشياطين .

وكلمة (الناس) تعني البشر إن كان أصل اشتقاقها الأُنس والظهور ، وتعني البشر والجن إن كان أصل الاشتقاق النوس وهو سرعة الانتقال على أنه لايلزم أن يؤخذ كل اسم من أصل اشتقاقه ، لكن هناك قدر يجب أن يتوافر فيما يُعد إنساناً ، وهو قابليته للانتفاع ، وإلا كان إنساناً في صورته ، وحقيقته تشبه الانعام كما قال : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ .

أما (مَنْ) الإسمية فهي صادقة على الواحد ، وعلى الاكثر نظراً لواحدية اللفظ وتعدد المعنى ، وقد لاحظ القرآن اللفظ عندما قال : ﴿ يَقُولُ ﴾ ولاحظ المعنى عندما قال : ﴿ وَمَا هُمْ ﴾ ، وفي القرآن الكريم : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾(٢) وفيه ايضاً : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، هذا ادعاء المنافقين ولم يَعْدُ أن يكون هذا الادعاء إلا باللسان فقط ، وهم كَذَبَةٌ ، إذ الإيمان بالله يقتضي التسليم له ، والإذعان لكل ما شرع ، ولو على الأقل بالنية والاعتقاد القلبي . أما التقصير في العمل فذلك شيء آخر ، يؤاخذ عليه الإنسان بقدر تقصيره فيه ، وادعاء بعض الناس انهم آمنوا بالله على خلاف ما يليق به ، كالتجسيم والتشبيه وتصوير الخالق كالمخلوق ، ادعاء فاسد ، فإنه سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾(٤) فمن اين وجدوا له مثالاً ؟ وقد قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٥)

←

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة الانعام .
(٣) سورة يونس .
(٤) سورة الشورى .
(٥) سورة النحل .

المنافقون

ومن خبث هؤلاء انهم ادعوا الإيمان بالله وباليوم الآخر، ولم يذكروا الإيمان بالرسالة التي ارشدتنا إلى صحيح الإيمان، ولذا كذبهم الله بقوله: ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾، وانظر إلى حُسْن التكذيب لهم في دعواهم، فهم قالوا: امنا فلم يقل رداً عليهم: (وما امنوا) مطابقة لدعواهم، لانه سبحانه اراد نفي إيمانهم نفياً قاطعاً، كقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾، فالباء لتوكيد النفي، فالمنافق في الحقيقة لم يؤمن بشيء، لا بالله، ولا باليوم الآخر، ولا بشيء سواهما، وعلينا أن نتدبر هذا النص الكريم لنزداد عمقاً في فهم معناه، فالقرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، وهل يؤذي مجتمعاتنا مثل النفاق والمنافقين.

وحسبهم قول الله: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾.

والنفس الإنسانية لا تتهالك على اللذة العاجلة إلا إذا أقفرت من المبادىء الباقية، وخلت من العقيدة الصحيحة التي تقاوم إغراء الساعة، ومن الإفراط في الرجاء أن نرجو من الناس جميعاً قداسة الملائكة، وهم يعيشون في غمار الفتن والضرورات، ولكن نطالبهم بالتزام القيم والمبادىء حتى لا تعصف بهم مغريات الحياة التي تريدان تأخذ من دينهم أكثر مما تعطيهم، ولله در من قال:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وإن تقاليد العقيدة ليست من قبيل الدراسات العلمية التي تعرض على المعمل، وإنما هي ذخيرة شعورية تصهر الضمير فتعينه على مراس الحياة، وتلهمه حسن المعاملة ومكارم الأخلاق، وعناصر الإيمان: تاثير نفسي بليغ يظهر اثره في نفس صاحبه، وعقيدة وافية لا تناقض المُحسات.

والإنسان يستقبل الميلاد، مغمض العينين، مفتوح الغريزة، معمور البديهة، مهدى الجنان. وتلك علامات الخير، فالخير أصيل، والشر طارىء يكتسبه الإنسان بسوء اختياره، والبنية الحية علامتها أن تستجيب للمؤثرات، وأن تعالجها بما يُصلح ويُجدي، وقد عمل الإسلام بكل وسائله للقضاء على نفاق البشر ما يستطيعون، فأنكر المديح والثناء حتى لا يغتر الممدوح، والسلوك الحسن لا يُمليه العقل، بل تمليه بداهة إلهية فوق حجم العقول، وإن سعادة الضمير تُكتسب بثروة الروح لا بثروة المال.

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾.

وبعد أن كذبهم الله في دعواهم، ذكر شيئا من حيلهم، والشيء القادح فيه، أنهم لا يشعرون، ولا يحسون، إذ ليست المسألة هي معرفة الإنسان بما هو عليه، إنما العبرة بانطباع ذلك في كيانه وحسه، فالمؤمن يرى ذنوبه كأنها جبل ينقض عليه، والفاجر يراها كذباب وقع على فيه، فقال به، هكذا وهكذا فطار.

وخداع الله على الحقيقة محال: بل المراد حق الجماعة، وذكر المؤمنين معه، تغليظ لسوء ماهم عليه، فهم يخدعون المؤمنين، وأضاف الله نفسه إليهم، وهو لا يُخدَع، إذ هو علام الغيوب ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾.

وكلما غلبت المادة وصفائحها وآلاتها،

تحسس الإنسان مكان روحه ، وارتد إلى قرارة عواطفه ووجدانه ، ليطمئن على نفسه ، ألا يزال إنساناً بعد ، أو هو قد فقد الإنسانية فى كيانه ، وصار مع الصاروخ وأخواته آلة من الآلات ؟ ، وإن الحياة تنطوى على كثير من الأسرار ، وإن العالم نور وظلام وجهر وخفاء ، وأنه يفاجئنا أحيانا بمعان لا تترجم عنها الألفاظ ، ولا غنى فيها عن الإشارة والاستعارة ، أو عن تمثيل الظل بالظل والحجاب بالحجاب .

والمنافق له علامات يُعرَف بها ، وقد وردت بها الأحاديث ، فمنها : إذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر ، وتلك الخصال تفتك بالمجتمعات والأفراد .

ومن الخطأ أن تُلقى المسئولية على المجتمع وحده ، وهل المجتمعات إلا عدد من الأفراد ؟ تكون إنسانيتهم بقدر ماهم عليه من إيمان أو نفاق ، وفى عصرنا الحاضر تحلل من كثير من القيم ، ولا صلاح بغير القيم الراسخة فى الضمائر وبالإيمان الصحيح الذى يأبى على صاحبه أن يكذب أو يخون ، وليس من فضيلة إلا هى قائمة على أنقاض رذيلة ، وقد ابتليت المجتمعات بالمنافقين منذ القدم ، وهم فى حاجة إلى علاج نفسى ، وموقف من المجتمع يرد عليهم حيلهم ، ويكافئوهم بما يستحقون ، وحين يسمح لهؤلاء بالتصدى فهو فى الحقيقة يقضى على نفسه بنفسه ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ .

والعقيدة ضرورة كونية ، وإن أسرار العقيدة أعمق وأصدق مما يدور بأوهام المفكرين فيها ، وإنها لذخيرة من القوة وحوافز للحياة ، تمد الجماعات البشرية بزاد صالح لا تستمده من غيرها ،

ا . د / محمد عبد المنعم القيعى

فتح مكة ومكارم الأخلاق

٢

روى البخارى بسنده قال : حدثنى عبيد بن إسماعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام عن ابيه قال : لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً ، خرج ابو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُديل بن ورقاء ، يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ ، فاقبلوا يسيرون حتى اتوا مرّ الظهران ، فإذا هم بنيران كانها نيران عرفة ، فقال ابو سفيان : ما هذه ؟ لكانها نيران عرفة ؟ فقال بُديل بن ورقاء : نيران بنى عمرو ، فقال ابو سفيان : عمرو اقل من ذلك ، فراهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فادركوهم فاخذوهم ، فَأتَوْا بهم رسولَ الله ﷺ : فاسلم ابو سفيان .. فلما سار قال للعباس : احبس ابا سفيان عند خَطْم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين ، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبى ﷺ : تمر كتيبة كتيبة على ابى سفيان.مرت كتيبة فقال : ياعباس من هذه ؟ فقال : هذه غفار ، قال : مالى ولغفار .

ثم مرت جهينة ، قال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك .

حتى اقبلت كتيبة لم ير مثلها ، قال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة : ياأبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة فقال ابو سفيان ، ياعباس حبذا يوم الزمار .

ثم جاءت كتيبة ـ وهى اقل الكتائب ـ فيهم رسول الله ﷺ واصحابه ، وراية النبى ﷺ مع الزبير بن العوام فلما مر رسول الله ﷺ بابى سفيان قال : الم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ قال : ما قال ؟ قال كذا وكذا فقال : كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ، قال : وامر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون ، قال عروة : واخبرنى نافع بن جبير بن مطعم قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوم : ياابا عبدالله ، هاهنا امرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية ؟ قال : وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد ان يدخل من اعلى مكة من كداء ، ودخل النبى ﷺ من كدى فقتل من خيل خالد بن الوليد رضى الله عنه يومئذ رجلان : حبش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهرى .

«رواه البخارى فى كتاب المغازى»

للدكتور رءوف شلبى

المرحلة الثالثة :

(مسرح العمليات)

وهى المرحلة التى يصورها الحديث الشريف الذى رواه البخارى وذكر فيه طرفاً من وقائعها : ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل بمر الظهران عشاء امر اصحابه ان يوقدوا النيران فأوقدوا عشرة آلاف نار فأرسلت قريش ابا سفيان يتحسب الأخبار وحددوا سفارته بقولهم : إن لقيت محمداً فخذ لنا منه جواراً إلا ان ترى رقة من أصحابه فآذنه بالحرب تلك فلسفة الكفر دائماً الغدر والخيانة وهى أمور ينفر الإسلام منها،ويحذر من التخلق بأوصابها ، وانضم إلى أبى سفيان حكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء فلما بلغوا الأراك من مر الظهران رأوا الأبنية والعسكر والنيران وسمعوا صهيل الخيل ، ورغاء الإبل ففزعوا فزعاً شديداً وظلوا يخرصون من هم القوم ؟ أهم بنو كعب أم هوازن .. الخ وضل عنهم افتراض أنه جيش المسلمين فقد حقت عليهم دعوة النبى صلى الله عليه وسلم : "اللهم خذ على قريش أبصارهم فلا يروننى إلا بغتة ولا يسمعون بى إلا فجأة » .. وبينما هم يتخرصون ويتجسسون لقومهم إذ بالعباس بن عبد المطلب يباغتهم فقد خرج رضى الله عنه وقد ركب الدُلدل » بغلة كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم » يتعسس للمسلمين فحملهم جميعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أعلن جوارَهم، وطلب إليهم السماح بأن يتشرفوا بالدخول على النبى صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فدخلوا عليه ودعاهم إلى الإسلام فأسلم حكيم وبُديل ، أما أبو سفيان فإنه شهد ألا إله إلا الله ولكنه قال فى : "أشهد أن محمداً رسول الله" إن فى النفس من هذا لشيئاً يسيراً بعد[14] ثم أسلم أبو سفيان بعد لأى .

وكان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه يعرف أريحية الرجال فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : إن أبا سفيان رجل يحب الشرف فقال صلى الله عليه وسلم : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن،وأمر ألا يُجهز على جريح ولا يتبع مدبر ومن كف يده وأغلق بابه فهو آمن .

وعند المقريزى أن الذى طلب هذا الشرف لأبى سفيان هو العباس

وهذه الوقائع لم يشر إليها حديث البخارى وإنما ذكرها المصنف لأبى شيبة جـ ١٤ وذكرها الإمام مسلم فى كتاب الجهاد والسير .

لقد كان إسلام أبى سفيان نتيجة لتلك الظاهرة الرضية التى رآها من الصحابة رضوان الله عليهم وهم يبتدرون وضوء النبى صلى الله عليه وسلم فقال:ما رأيت ملكاً كهذا قط : لاملك كسرى ولا ملك بنى الأصفر . فقال العباس ويحك آمِنْ قال : أدخلنى على النبى صلى الله عليه وسلم ياأبا الفضل ؟ فأدخله العباس فقال يامحمد استنصرت إلهى واستنصرت إلهك فلا والله ما لقيتك من مرة إلا ظفرت علىّ فلو كان

١٤ ـ الواقدى جـ ١ ص ٨١٥ تعدد الروايات فيمن حمل أبا سفيان ولا تناقض بينها فيمكن حملها على مراحل راجع فتح البارى جـ ٨ ص ٧ راجع المصنف جـ ١٤ ص ٤٧٤/٤٧٥ .

إلهي محقاً وإلهك مبطلاً غلبتك فشهد أبو سفيان أن محمداً رسول الله [١٥] ثم رُئي استبقاء أبي سفيان في عسكر المسلمين حتى غداة دخول مكة وأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يقف أبو سفيان على أنف الجبل حتى ينظر المسلمين وكتائبهم وجعلت الكتائب تدخل واحدة واحدة براياتها وألويتها، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال ، وأمر أن يدخل الزبير بن العوام من "كُدى" جبل كجبل كَداء [١٦] وأمر خالد ابن الوليد أن يدخل من اللبط [١٧] وهذه الرواية واحدة مما جاءت في هذه المسألة على ما ذكره العلماء في رواياتهم ، وقد ذكر أبو شيبة في المصنف : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف بالحَجُون بأعلى مكة وبعث الزبير بن العوام في الخيل في أعلى الوادي ، وبعث خالد بن الوليد في الخيل أسفل الوادي ، ويمكن اعتبار رواية البخاري هذه واحدة من كثير من الروايات التي تعددت نظراً لظروف اختلاف الرؤية يوم فتح مكة ، فقد كانت الرؤية حسب وجود الرائي والزحمة كانت كثيفة فلا تعارض بين الروايات وإنما تعدد الروايات حصل لتعدد أماكن رؤية الراوي ولا غبار على رواية البخاري [١٨] .

ولما مرت القبائل والكتائب على أبي سفيان وجعل يتفحصها : هذه لا تهمه وتلك يقول لها : « وما لي بها » ، حتى جاءت خزاعة في خمسمائة يحمل رايتهم بسر بن سفيان فقال أبو سفيان : من هؤلاء قال العباس : إنهم بنو كعب قال : هم هؤلاء حلفاء محمد فلما حاذوه كبروا ثلاثاً .. ثم مرت مزينة في ألف فيها ثلاثة ألوية .. فلما حاذوه كبروا ..

ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد بن بكر في مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثي فلما حاذَوْه كبروا ثلاثاً فقال: من هؤلاء ؟ قال : بنو بكر قال : نعم ، أهل شؤم والله ، الذين غزانا محمد بسببهم فقال له العباس : قد خار الله لك في غزو محمد صلى الله عليه وسلم ودخلتم في الإسلام كافة وجعل الموكب يترى وأبو سفيان يتعجل ركب النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : ما مضى بعد محمد ..؟ قال العباس : لم يمض بعد . فلما طلعت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضراء فقال العباس: هذا رسول الله في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار فيها الرايات والألوية. ويقال: إن في الكتيبة ألف دارع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى الراية لسعد بن عبادة وهو أمام الكتيبة فلما مر سعد ومعه راية النبي عليه الصلاة والسلام قال لأبي سفيان : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة اليوم أذلَّ الله قريشاً ، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم نادى أبو سفيان : يارسول الله أمرت بقتل قومك؟ زعم سعد ومن معه حين مر بنا وإني أنشدك الله في قومك فأنت أبر الناس ، وأرحم الناس وأوصل الناس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشاً قالوا : وأرسل إلى سعد ليجعل اللواء إلى قيس ولده .

أقول وليس في رواية الواقدي ولا أبو شيبة في

---

١٥ ـ المغازي جـ ٢ ص ٨١٦ .

١٦ ـ الكداء جبل والكدى جبل مثله ـ راجع الحلبية جـ ٣ ص ٨٥ راجع أخبار مكة للفاكهي جـ ٤ ص ١٢٨ راجع الإمتاع جـ ١ ص ٣٧٧

١٧ ـ اللبط موضع أسفل مكة .

١٨ ـ راجع فتح الباري جـ ٨ ص ١٠

المصنف لفظ «كذب سعد» التى وردت فى رواية البخارى على أن اللفظ ليس محمولاً على حقيقته من عدم مطابقة النسبة الكلامية للواقع، بل المراد من كلمة (كذب) أخطأ خطأ تقدير لمجريات الأمور مستقبلاً بمعنى أن سعد أخبر عن أمر لن يقع مستقبلاً وليس الكذب على معناه المعروف من عدم صحة النسبة الكلامية للواقع، أقول ولعلها من زيادات الراوى أو من مدرجات أهل الرواية فإنها لم ترد عند مسلم ولا فى كتاب المغازى ولا فى مصنف أبى شيبة الذى يُعنى بسرد الحوادث ..

وقد روى عن أبى سفيان بعد أن شاهد هذا العرض الطويل القوى لكتائب الجهاد ورايات الإسلام وتكبيرات المؤمنين وهى تتردد فى جنبات الوادى قال: لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً.

فقال له العباس: ياأبا سفيان ليس بملك، ولكنه نبوة قال: فنعر: يعنى صاح وصوت من خيشومه فقال له العباس: أنْجُ ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم، فراح أبو سفيان ينادى: يامعشر قريش، ويحكم إنه قد جاء ما لا قبل لكم به، هذا محمد فى عشرة آلاف عليهم الحديد فاسلموا تسلموا. وهند من خلفه تستعدى عليه أهل مكة تقول: اقتلوه ..

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو قد اجتمعوا أسفل مكة ومعهم الأحابيش يحلفون بالله لا يدخلها محمد عنوة أبداً، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية «أذاخر» نظر إلى البارقة: وهى السيوف التى تلمع سأل: ما هذه البارقة؟ ألم أنه عن القتال؟ فأجيب بأن خالد بن الوليد قد قوتل ولو لم يُقاتَل ما قاتل فقال صلى الله عليه وسلم: قضى الله خيراً.

وهنا نسأل التاريخ القديم والحديث: أى قائد عسكرى دخل العاصمة التى كانت تبعث عليه الحروب بشتى صنوفها العسكرية والإعلامية والنفسية والاقتصادية ثم يدخلها وقد أمر بعدم القتال فيها؟

إن الدول الحديثة تلفق تهماً لبعض الدول لكى تبرر اعتداءها عليها، أما فى الإسلام فلا تعرف الدول الإسلامية هذا الأسلوب القبيح البغيض.

ومن تفكه المقال فى أحداث فتح مكة أن بعضاً من فرسان قريش كان قد وعد زوجته بخادم يؤسر من المسلمين، وكان واحداً من جنود معركة اللبط «كدى» فى موقعة الخندمة فلما انهزم الجيش راح يعدو إلى بيته وهو يهذى بشعر يبرر لزوجته خلف وعده إياها.

إنك لو شهدتنا بالخندمة
إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد كالعجوز المؤتمة
لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمة
وضربتنا بالسيوف المسلمة
لهم زئير خلفنا وهمهمة[19]

معايير لمكارم الأخلاق:

إن حدث فتح مكة حدث جلل يقدم للأمة مجداً

←

19 ـ الواقدى جـ ٢ ص ٨٢٨/٨٢٧ فتح البارى جـ ٨ ص ١١ مع اختلاف فى رواية الشعر راجع إمتاع الأسماع جـ ١ ص ٣٧٩ وفيه شعر كشعر فتح البارى.

لمعايير مكارم الأخلاق التى أرساها الإسلام الحنيف فى لحظات العسرة والحرب فهاهى المدينة المتأبية على الحق تخضع لجلال الله ويدخل قائد الجيش ورئيس الدولة وهو راكع على ناقته، يقول الواقدى : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، وعليه عمامة سوداء، ورايته سوداء، ولواؤه أسود ، حتى وقف بذى طوى وتوسط الناس، وأن عُثنونه ليمس واسطة الرحل أو يقرب منه تواضعاً لله تعالى ثم يقول : « العيش عيش الآخرة » فلا خيلاء ولا استعلاء ، ولا تجبر ، ويكفى أن التاريخ يثبت أن المسلمين لما كبروا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجت مكة تكبيراً ..

وعندما جاءته قريش طوعاً وكرهاً على السواء وقالوا : يارسول الله اصنع بنا صنع اخ كريم فقال : أنتم الطلقاء وقال : مثلى[٢٠] ومثلكم كما قال يوسف لإخوته ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ثم اجتمعوا على مبايعته فبايعوا على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا فقال : « لا هجرة بعد فتح » ، ولم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لتصفية حسابات كما يفعل الفاتحون والثوار المغاوير ولا بحث عن داره وأملاك أهله بل عندما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا تنزل منزلك من الشِّعب ؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل منزلاً[٢١] .

وعندما استجار حَمَوَا أم هانىء وهما : عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، والحارث بن هشام ، وكان على بن أبى طالب أخوها يتتبعهما ليقتلهما فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظ لها جوارها وقال : قد أمنا من أمنت وأجرنا من أجرت، وأقاما عندها يومين .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو عثمان بن طلحة إلى الإسلام وكان لا يرغب فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعوه يوماً ومعه مفتاح الكعبة لعلك سترى هذا المفتاح بيدى اضعه حيث شئت . فقال عثمان : لقد هلكت إذاً قريش وذلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل عمرت وعزت يومئذ فلما كان يوم الفتح لم يكن يوم شماتة كما يفعل سياسيو العصر الحديث بل والقديم ، ولكنه كان يوم وفاء للقيم وعزة للكعبة وصدق للنبوة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن طلحة وسلمه مفتاح الكعبة وقال قولة خالدة : خذوها يابنى أبى طلحة تالدة خالدة لا ينتزعها إلا ظالم . فلم يعد فى حسبان واحد من المسلمين أن يكون سادنا للبيت سوى بنى شيبة ، وعليه فالمناداة بتدويل الحرمين ظلم عظيم وجهل كبير وضلالة عمياء .

ولقد عفا رسول الله صلى الله عليه عن هند أكلة كبد حمزة ، وعن هبار بن الأسود الذى آذى السيدة زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم كما عفا عن عكرمة وصفوان وعبد الله بن أبى سرح كاتب الوحى الذى ارتد ثم تاب وندم .

ومن مكارم الأخلاق تَطَهُّرُ الجماعة الإسلامية من مجرمى الأخلاق والحرب فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بضرب عنق عبد الله بن خطل

٢٠ ـ ٢١ ـ إمتاع الأسماع جـ ١ ص ٣٨١ / ٣٨٤ الواقدى جـ ١ ص ٨٢٩ .
٢٢ ـ يريد : قائداً لبشرية .

حتى ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ذلك لأنه رجل مرتد وخائن ، فقد أسلم وهاجر إلى المدينة وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم سارياً[٢٤] ومعه رجل من خزاعة فقتله ثم ارتد عن الإسلام وساق ما أخذه من الصدقة، وكانت له قَيْنَتَان : فرتا وأرنب وكانتا فاسقتين وكان رجلاً شاعراً يقول الشعر يهجو به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمرهما أن تغنيانه ، فهل مكارم الأخلاق تبقى على مثل هذا الرجل ؟ لذلك ضربت رقبته وهو معلق بأستار الكعبة بين الركن والمقام فإنه لا ينبغي لمثل هذا أن يحيا في مجتمع الإسلام الطاهر .

ومن مثله مقيس بن صبابة وجريمته أن أخاه كان قد أسلم وشهد غزوة المريسيع فقتله رجل من بني عمرو خطأ فظن أنه من المشركين فقضى له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية على بني عمرو بن عوف فأخذها مقيس ثم أسلم ثم عدا على قاتل أخيه فقتله وارتد وهرب كافراً .

ومن خاتمة معايير الأخلاق التي تبوء بها أحْداث فتح مكة ذلكم الحدث العجيب وهو أن عبد الله بن أبي سرح لما ارتد ورجع إلى مكة كان لعبد الدار غلام يدعى : جبرا ، وكان شاباً يهودياً آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو في مكة عندما سمعه يقرأ سورة يوسف ، وكان ذلك السر لا يعرفه إلا عبد الله بن أبي سرح فأخبر به قريشاً فجعلوا يعذبونه حتى كان الفتح الأكبر وجاء جبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما لقى فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنه وأعتقه ونكح امرأة لها شرف .

فهل لشبابنا الإسلامي المعاصر أن يعي تلك المعايير وهذه الخصائص للإسلام الحنيف ؟؟

هذا وبالله التوفيق ..

قضية من يوجسلافيا

ماذا يجري في كوسوفو الإسلامية؟!

٢

ملخص ما نشر في العدد السابق :

١ ـ الصِّرْب هم الذين اشعلوا قنبلة الحرب العالمية الأولى بقتلهم ولى عهد النمسا .

٢ ـ إقليم « كوسوفو » والأقاليم المجاورة ارض البانية باتفاق المؤرخين الذين اثبتوا ان الشعب الألباني اول من وطىء قدمه ارض البلقان .

٣ ـ الأقلية الصربية في « كوسوفو » هم احفاد الصربيين الذين وظفتهم الدولة العثمانية وعملوا بهذه المنطقة . وبعد المعاش لم يعودوا إلى بلادهم .

٤ ـ عداوة الصرب للألبانيين قديمة بدءاً بنزوحهم إلى البلقان ونهاية بوقوف المسلمين الألبانيين لهم بالمرصاد ومنعهم من التعرض للدولة العثمانية .

٥ ـ فكرة الاتحاد اليوغوسلافي نشأت بين قيادات قوات المقاومة ضد النازي على ان يدير كل شعب شئونه طبقا للغاته وامجاده .

٦ ـ لم تنشأ جمهورية « كوسوفو » السابعة طبقا لقرار رفاق السلاح لعدم وجود المقومات اللازمة لذلك .

٧ ـ في مدى عشرين عاما استكملت « كوسوفو » المقومات اللازمة لإنشاء الجمهورية .

٨ ـ في أوائل الثمانينيات فالشعب « كوسوفو » يطالب بحقه في إنشاء جمهوريته لكن جمهورية الصرب استخدمت أقسى الوسائل لإسكات صوت الشعب فاستشهد مئات من الطلاب والعمال والفلاحين .

وردت بالسطر الرابع ـ العمود الأيسر ص ٩٩١ عبارة : رئيس يفوتنا أن أمور الإدارة بيد الصرب . وتوضيحاً لهذه العبارة تقول : إن المقصود ان مانحي الميزان الخاصة في جمهورية الصرب التي ترتبط بها كوسوفو .

لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى

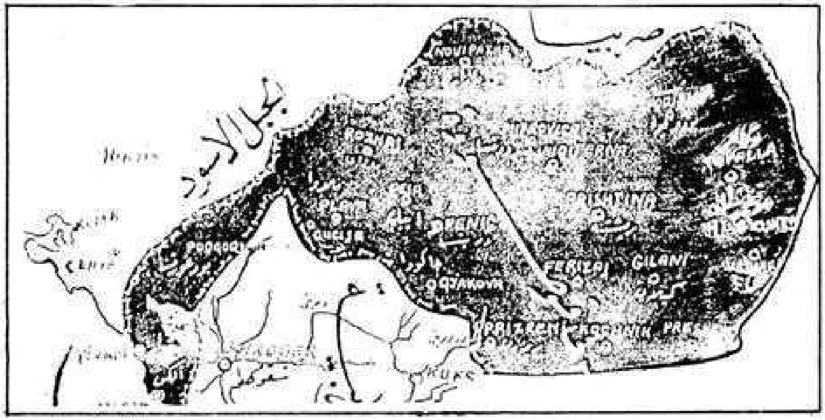

محاولة زعيم الصرب تعديل الدستور

كان تصويت أغلبية أعضاء المؤتمر ضد محاولات زعيم الصرب ومؤامراته صدمة له[1] ، أفقدته التؤدة ، فأقدم على عمل لم يتدبر عواقبه ؛ فأقال زعماء «كوسوفو» الذين دافعوا عن الإقليم أمام المؤتمر ، ثم اعتقلهم بحجة أنهم هم الذين يثيرون الشعب ويطالبونه بالقيام بالمظاهرات والاضرابات . وقدمهم للتحقيق تمهيدا لمحاكمتهم بتهمة الخيانة العظمى وعقوبتها الإعدام[2] .

عين زعيم الصرب زعماء ألبانيين آخرين ممالئين له بدل الذين أقالهم ، قام الطلاب والعمال والشعب بالمظاهرات والإضرابات والاعتصام مطالبين بعودة الزعماء الذين أقيلوا إلى مناصبهم ، مطالبين الزعماء الجدد بتقديم استقالاتهم ؛ لأن الشعب لا يطمئن إليهم . وتحت ضغط الشعب اضطروا إلى تقديم استقالاتهم ، وأشارت وكالة رويتر ـ يومها ـ إلى أن هذه الاستقالات قد ترفضها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصربى وهو الأمر الذى سيؤدى إلى تصاعد احتجاجات الألبان ، وقد صدقت نبوءة الوكالة[3] .

ألقى زعيم الصرب بقنبلة أخرى وهى محاولة تعديل الدستور لتقليل سلطة الحكم الذاتى فى «كوسوفو» ؛ فكان لهذه القنبلة الجديدة التى فجرّها زعيم الصرب أثر سىء فى نفوس الأغلبية الألبانية عامة فزاد فعلا ـ كما تنبأت وكالة رويتر ـ تصاعد الاحتجاجات ، وأُعلن الاضرابُ العام الذى شمل الآلاف من عمال المناجم والمصالح وطلبة المدارس والجامعة . وبدأ نحو (١٢٠٠) من عمال المناجم إضرابهم عن العمل معتصمين داخل منجمهم على عمق ألف متر تحت الأرض مصممين على عدم الخروج من المنجم إلا بعد

←

١ ـ راجع العدد السابق من مجلة الأزهر
٢ ـ راجع الأهرام الصادرة يوم ٧ من مارس سنة ١٩٨٩ .
٣ ـ راجع الأهرام الصادرة يوم ٢ من مارس سنة ١٩٨٩ .

قبول استقالات الزعماء المعينين الجدد ، وإعادة الزعماء الذين اقيلوا إلى مناصبهم ، لأنهم هم الممثلون الحقيقيون للشعب ، وإلا بعد العدول عن تعديل الدستور .

هكذا زادت الحالة سوءا على سوء وانتشرت الاضطرابات في طول البلاد وعرضها ، وظن زعماء الصرب أنهم قادرون على قمع الاضرابات والمظاهرات بالقوة المسلحة فأرسلوا إلى «كوسوفو» كتائب كثيرة من الجيش الصربي مسلحة بالدبابات والمدافع والطائرات القاذفة وطائرات الهليكوبتر وغيرها من الأسلحة الحديثة ، لكن هذه القوات الحربية بدباباتها وطائراتها عجزت عن حمل المعتصمين على مغادرة مناجمهم مما أحدث قلقاً شديداً بين زعماء الاتحاد لدرجة أن رئيس الاتحاد «رائف ديزداروفيتش» حضر بنفسه إلى «كوسوفو» كما حضر رئيس الحزب الشيوعي الاتحادي ، ورئيس الحزب الشيوعي الصربي نفسه ـ وهو مدبر هذه المؤامرات(٤) ـ واتصلوا بالمعتصمين والمضربين محاولين حملهم على العدول عن الاعتصام ، ووعدوهم بالعمل على إعادة الأمور إلى نصابها ، لكنهم رفضوا ـ في عزة وإباء ـ العدول عن اعتصامهم(٥) إلا بعد إعادة الزعماء الحقيقيين الممثلين للشعب إلى مناصبهم ، والعدول عن تعديل الدستور وإحراق ملف هذه المؤامرات إلى الأبد ، وإلا فإنهم سيبقون معتصمين مضربين داخل منجمهم إلى أن يلقوا الله «عز وجل» مسجلين على زعماء الصرب مهزلتهم البشرية إلى قيام الساعة .

اهتمام صحافة العالم بازمة «كوسوفو»

تفاقمت ازمة «كوسوفو» واهتمت صحافة العالم بها . واستمرت على نشر أخبارها ، وحاولت التوصل إلى توقعاتها وما يمكن أن ينتج منها .

هذه الصحافة لم تكن تقتصر على ذكر الوقائع الحاصلة مجردة . بل كانت تبحث عن أسبابها ودوافعها ، وأيدت حقوق الأغلبية الألبانية في إقليمهم «كوسوفو» . أما الصحافة العربية فلم تكتب عنها إلا اخباراً متقطعة بين وقت وآخر دون محاولة للبحث عن أسبابها ودوافعها ، وما يمكن أن تؤدي إليه إذا زاد تصاعدها ، وتحليل موقف الطرفين تحليلاً دقيقاً لإعطاء القارىء فكرة صحيحة عما هو حاصل هناك .

لم أطلع في الصحافة العربية على تحليل دقيق لأزمة «كوسوفو» ، أو دراسة لبحث دوافعها الخفية وذكر خلفياتها ، وبيان أن تمادي زعماء الصرب في محاولاتهم هذه قد يؤدي إلى أخطار جسام لا في نفس المنطقة فحسب ، بل ربما تتعداها . نعم ، لم أطلع على تحليل قام به صحافي اللهم إلا التحليل المختصر الذي نشرته جريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٨٩/٣/٦ .

صحافة العالم ـ كما هي عادتها ـ والت ولا تزال توالي نشر أخبار أزمة «كوسوفو» بجميع خلفياتها مما كان له أثر عميق في نفوس الذين

---

٤ ـ راجع الأهرام الصادرة يوم ٢٦ من فبراير سنة ١٩٨٩ .

٥ ـ كان المعتصمون على حق حينما لم يستجيبوا لهؤلاء الزعماء ، ليقينهم انهم غير صادقين فيما يعدون بدليل أن الحزب الشيوعي الصربي رفض قبول استقالات الزعماء الجدد الموالين لهم ، وأن (برلمانهم) وافق على تعديل الدستور ، والقوات الصربية المسلحة المنتشرة في المدن والقرى أحكمت قبضتها على ممثلي برلمان «كوسوفو» بواسطة هؤلاء الزعماء الجدد الموالين لهم فوافقوا مكرهين على تعديل الدستور الذي يخول الصرب الإشراف على الشرطة والقضاء والدفاع المدني واختيار كبار الموظفين ؛ لكن الرواية لم تتم بعد فصولا .

يدافعون عن حقوق الإنسان حيث تألفت لجان كثيرة فى فرنسا وبلجيكا وبلاد اسكندناوة وأمريكا وغيرها لتأييد الأغلبية الألبانية ، وتطالب زعماء الصرب بالكف عما هم فاعلون .

فى أمريكا ذهب أعضاء هذه اللجان التى تشكلت للدفاع عن حقوق الأغلبية الألبانية إلى الكونجرس الأمريكى ، وقدموا احتجاجاتهم ضد مؤامرة الصرب ، وبينوا لأعضاء الكونجرس أن حقوق الأغلبية الألبانية واضحة ، والتعرض لها لا يتفق مع العدالة ، والتدخل سلميا لإيقاف ما هو حادث هناك مطلوب وبسرعة ، وطلبوا من أعضاء الكونجرس عرض هذا الأمر على الرئيس «بوش» ، وذكرت الجرائد أن الرئيس «بوش» قام بمساعيه الحميدة لتلافى هذه الأزمة ، وعودة الأمور إلى نصابها ، كما ذكرت الجرائد والإذاعات الخارجية أن كثيرا من الهيئات والمنظمات فى فرنسا وبلجيكا واستراليا وغيرها طالبت بمثل ذلك .

الجانى يترك وراءه ما يرشد إليه

هذا المثل السائر مأخوذ بصدق من واقع الحياة . وذلك أن زعيم الصرب يحاول اتهام الأغلبية الألبانية الإسلامية منذ سنة تقريباً بأنها تضطهد الأقلية الصربية . ولما ضاقت أمامه السبل ، وانكشفت الحيل . صرح بنفسه للصحفيين بما هو كامن فى قرارة نفسه حين رد على سؤالهم له : «إن ما تدعو إليه يتنافى مع المبادىء التى وضعها «تيتو» للمحافظة على الوحدة والاتحاد ، وتمكين الشعوب من التمتع بحقوقها» فرد عليهم قائلا : (فليذهب «تيتو» بمبادئه ، ولتعد أرضنا «كوسوفو» إلينا) . فكان رده هذا اعترافا منه بأنه هو الذى يدبر المؤامرات ضد الأغلبية الألبانية ، وهو الذى يطلب من الأقلية الصربية أن يتهموا الأغلبية الألبانية ظلما وعدوانا بأنها تضطهدهم . والحقيقة عكس ذلك تماما .

إن رد زعيم الصرب بدون تحفظ لدليل قاطع على توتر أعصاب زعماء الصرب لدرجة أن أغراضهم الدفينة فى نفوسهم تصدر عنهم وتنكشف بطريقة لا إرادية ولا يتنبهون إلى ما يقولون . حتى الدبلوماسيون الصرب حينما يدلون ببيانات رسمية حول موضوعات عامة لا علاقة لها بـ«كوسوفو» لا من قريب ولا من بعيد يدخلون «كوسوفو» فى نفس البيانات[٦] .

قطعت جهينة قول كل خطيب

هذا المثل أيضاً يبين حقيقة زعماء الصرب ، ويكشف عن دفائن أغراضهم . فقد نشرت جريدة الأهرام الصادرة يوم ٨٩/٣/٩ تحت عنوان[٧] : «احتدام الصراع فى يوغوسلافيا» زعماء الصرب يحرضون على الإطاحة بالقيادات الحزبية فى الجمهوريات الشمالية . والمقصود بها جمهورية سلوفينا وكرواتيا وبوسنة . وذكرت الأهرام نقلا عن وكالة ببلجراد : إن زعيماً صربياً يدعى «ميروسلاف سوليفيتش» يرأس لجنة غير

٦ ـ مثال ذلك ما ذكرته جريدة الجمهورية الصادرة يوم ٨٩/٣/١١ : عن المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية اليوغوسلافية الذى صرح قائلا : إن بلاده ترى أن اجتماع (فيينا) ومؤتمر التعاون والأمن الأوروبى الخاص بتخفيض الأسلحة التقليدية بداية طيبة . ثم أضاف : «إن تدخل ألبانيا فى شئون «كوسوفو» يتعارض مع حسن الجوار» وأنا لا أدرى ما العلاقة بين الإشادة بمؤتمر التعاون والأمن الأوروبى .. الخ وبين تدخل ألبانيا فى شئون «كوسوفو» هذا التدخل الذى يرد ذكره كثيرا على ألسنة الصرب ، ونفته دوائر ألبانيا الرسمية مراراً وتكراراً ، لكن الأعصاب المتوترة تمنع وصول هذا النفى إلى الأذهان .

٧ ـ ذكرت جريدة الأهرام بالتفصيل ما يعنيه العنوان المذكور فقالت : «وسط حالة الصراع المحتدم بين الجمهوريات اليوغوسلافية توقع أحد الزعماء النشطين فى جمهورية الصرب أن تعم يوغوسلافيا موجة من مظاهرات الاحتجاج الشعبية للإطاحة بقيادات الحزب فى جمهورية بوسنة وكرواتيا وسلوفينا .

قضيــة من يوغســلافيا

رسمية فى «كوسوفو» صرح «إن مجموعته تمكنت من تنظيم اكثر من مائة مسيرة شعبية ـ صربية ـ خلال العام الماضى للدعوة من أجل منح الصرب المزيد من النفوذ فى مراكز السلطة . والخطوة القادمة فى حملته ستكون جمهورية «بوسنه» ثم جمهوريتى «كرواتيا» و«سلوفينا» .

حقا لقد (قطعت جهينة قول كل خطيب) فهاهو احد زعماء الصرب يصرح علنا بأنهم هم الذين يدبرون المؤامرات وينظمون المسيرات بقصد تمكنهم من السيطرة على السلطة . ثم يتهمون غيرهم باضطهادهم لهم .

بعد هذا أليس من حق الأغلبية الألبانية المسلمة أن تدفع عن نفسها هذه التهمة الباطلة . وتدافع عن حقوقها بكل ما تملك ، وتنضم إليها الهيئات العامة العالمية لتأييدهم ، ودعم موقفهم إلى أن يعود الصرب إلى رشدهم . فليس بغريب إذاً أن تستعين الهيئات فى أمريكا بأعضاء الكونجرس لحمل الرئيس «بوش» على الاتصال بزعماء الصرب منعا لوقوع كارثة كبرى هدد بوقوعها زعماء الجمهوريات الثلاث حينما ردوا على زعماء الصرب : «إن ما يحاولون ـ القيام به ـ وهو الإطاحة بالقيادات الحزبية فى الجمهوريات الشمالية ـ أمر فى منتهى الخطورة ؛ لأنه يهدد الوحدة والاتحاد ، ويعرض الأمن العام للخطر ، لأن مسيراتهم هذه سوف تؤدى إلى تمزيق الاتحاد ، وإحداث الفتنة فى البلاد» .

والقارىء يفهم ـ بعد هذا التوضيح ـ أنى قصدت التلميح إلى أن مؤامرات الصرب هذه قد تؤدى إلى إشعال فتيلة الحرب العالمية الثالثة كما ادى قتلهم ولى عهد النمسا فى سراييفو يوم ٢٨ يونية سنة ١٩١٤ إلى إشعال فتيلة الحرب العالمية الأولى (٨)

الأزمة مستمرة والأحداث تتوالى

نعم . الأزمة تتصاعد ، والأحداث تتوالى ، واعتداء القوات الصربية المسلحة البرية والجوية واعتقال كثير من أفراد الشعب الألبانى فى ازدياد ، بل الأقلية الصربية تشترك مع القوات المسلحة فى محاولة قمع الإضرابات والمظاهرات حيث ذكرت جريدة الأهرام الصادرة يوم ٨٩/٣/١ قيام ٨٠٠ عضو من الأقلية الصربية فى الإقليم باحتلال منجم للزنك للاحتجاج على استقالات الزعماء ـ تحت ضغط شعب «كوسوفو» عليهم هؤلاء الزعماء الذين عينتهم اللجنة الشيوعية الصربية بدل الزعماء الحقيقيين الممثلين للشعب الذين اقالتهم اللجنة المذكورة .

وبدأ الصربيون يقتالون الألبانيين أيضاً ، فقد ذكرت جريدة الأهرام الصادرة يوم ٨٩/٣/٣ تحت عنوان : **(فى اكبر استعراض للقوة فى «كوسوفو»)** : «تصعيد خطير للموقف بيوغوسلافيا بعد مصرع أول ضحيتين للصراع واتهام دعاة الانفصال بالتخطيط لتمرد عسكرى والخضوع لمخابرات ألبانيا» ثم ذكرت الجريدة نقلا عن التليفزيون اليوغوسلافى : «أن مسلحاً صربياً قتل سيدة وابنها من أصل ألبانى فى مدينة «قراجور جفيك» أثناء اقتحامه لمتجر لبيع الحلوى تملكه الضحيتان اللتان تعدان أول قتيلتين للصراع بين القوتين منذ بدايته فى عام ١٩٨١ م وأشار التليفزيون إلى أن القاتل اعتقل ، ويخضع لاختبارات على قواه العقلية والنفسية تماماً كما فعل المسئولون الصهيونيون بالذى اعتدى على

٨ ـ راجع العدد السابق من مجلة الأزهر ص ٩٨٦ ، ص ٩٩١ .

المسجد الأقصى بإيعاز منهم ثم عرضوه على لجنة لاختبار قواه العقلية والنفسية . وعقبت الجريدة على هذا بقولها : إن الحادث أدى إلى تصعيد التوتر فى إقليم «كوسوفو» . وأن هذا التصعيد يأتى فى الوقت الذى وجه فيه أحد زعماء الصرب اتهاما صريحاً للأغلبية الألبانية بخضوعها لنفوذ المخابرات الألبانية ، وادعى هذا الزعيم الصربى أن السلطات حصلت على وثيقة تحمل توقيعات لبعض دعاة الانفصال بأسمائهم الوهمية تثبت أنهم يخططون للقيام بتمرد عسكرى مسلح يستهدف أمن يوغوسلافيا .

ياللعجب ، إن هذا الزعيم ادعى اتهاما ، ثم أتى بدليل عليه ، وأعقبه بعد ذلك بما يبطل الدليل نفسه حيث ذكر أن الأسماء وهمية فهل بعد ذلك دلالة قاطعة على تلفيق ما يقول ؟! .

لقد ذكرنى ادعاؤه هذا الذى لا أصل له بادعاء مدعٍ عسكرى صربى فى محكمة عسكرية - ببلجراد - بعد الحرب العالمية الثانية حيث قدم الشيوعيون أمامها عالماً أزهرياً فاضلاً هو الشهيد الشيخ «شعيب عبدالعزيز» خريج كلية الشريعة سنة ١٩٣٩ م . وكان الشهيد - قبل تخرجه بسنة - قد أدى فريضة الحج مع البعثة الأزهرية ، فاتهمه المدعى العسكرى الصربى بأنه اشترك فى مؤتمر انعقد فى السعودية «بقصد نهب الشرق الأوسط ولإحداث فتنة فى البلاد» ومن عجب أن الجريدة الرسمية «بوليتكا» الصادرة فى بلجراد يوم ١٩٤٨/١/٢٤ نشرت يومها هذه التهمة الخيالية ، ونفذ فى الشهيد حكم الإعدام شنقا .

إن بذل المساعى الحميدة بين الدول لا يعتبر تدخلا فى الشئون الداخلية خلافا لما يعتقده البعض . بل ذلك أمر تفرضه الصداقة الخالصة بين الأفراد وبين الدول . ولقاءات السادة رؤساء الدول لإجراء المشاورات ، وتداول الآراء هى نفسها المساعى الحميدة لاختيار أفضل الطرق لحل المشاكل .

وإنى آمل أن يكون المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى المملكة العربية السعودية فى شهر مارس الماضى ، وحضره أكثر من أربعين وزيراً ، وكان من ضمن الموضوعات المطروحة للبحث أحوال الأقليات الإسلامية - آمل أن يكون هذا المؤتمر قد اهتم بما يجرى فى «كوسوفو» الإسلامى ، وما يدبر ضد مليونين من المسلمين الألبانيين ، وأن يكون قد اتخذ لاحتواء هذه الأزمة الحادة - التى تهدد الأمن العام فى المنطقة بل فى العالم - إجراءات سلمية مع المسئولين فى يوغوسلافيا ليعيش الصرب إخوة متحابين مع جميع الشعوب ، ومنها الشعب الألبانى المسلم فى إقليمه «كوسوفو» ؟

الإسلام في جنوب أفريقية

٣

ميدان التنافس بين التبشير والإسلام هو مقاطعات الزنوج ، وكما قلت من قبل : للمبشرين هناك مدارس ومستشفيات ، وقد بذلوا جهودا جبارة في سبيل **إنجاح دعوتهم وتحويل الزنوج إلى المسيحية وقد استطاعوا أن يضعوا لبعض اللغات المحلية « ابجديات » فاصبحت لغات تكتب ، وفي كل جوانب الجمهورية تكتب اللافتات الرسمية للطيران والبنوك والمستشفيات والمدارس بلغة انجليزية واخرى محلية . هذا عدا لغات القبائل التي يتعاملون بها فيما بينهم . ورائد هذه الفكرة هو المستشرق الألماني « ماكس موللر » الذي ابتدعها وطبقها في الهند ، ثم تابعه فيها المبشرون والمستشرقون في الجهات الأخرى .**

وفي « جوهانسبرج » جامعة تعتمد في دراستها على المراسلة ، ولا يحضر إليها الطلاب إلا للامتحان ، وفي برنامجها دراسة اللغة العربية ، وقد أدت للمسلمين خدمة كبيرة ، إذ أصبح المنتمون إليها قادرين على قراءة الكتب العربية وإن كان نطقهم غير جيد ، وبفضل التسجيلات الصوتية والدروس الناطقة انقاد لسانهم إلى اللغة العربية السليمة إلى درجة مقبولة يمكن التفاهم بها .. والعقدة أمام المبشرين المسيحيين أن الزنوج لا ينسون إساءات البيض . الأوروبيين ، وهم يتوارثونها ويتناقلونها ، والذين درسوا منهم شيئا من تاريخ الإسلام . وقليل ماهم ـ يذكرون فضل الإسلام وحسن تسامحه واحترامه للإنسانية . وتحدثت مع غير واحد عن هذا ، فأبدوا جميعا ثناء على الإسلام وأريحيته وبعده أو كراهته للتعصب العنصري ، ولكن الذين تكلمت إليهم كانوا مسلمين . وقال واحد من هؤلاء إنه تعلم في مدرسة انجليكانية ، ودرس حظا من الكتاب المقدس . ولم تسترح نفسه إليه ، ومال إلى الإسلام ، ثم اتيحت له فرصة الدراسة في سوريا ثم في الرياض . وهو وحديثه شائق جميل .

كان صاحبي ينتمي إلى قبيلة « اوغامبوس » التي تمثل نحو ٨٪ من السكان ، وكل سكان الجمهورية ٢٢ مليونا ، وينم حديثه عما يكنه الزنوج للبيض الأوروبيين من ضغائن وإحن .

قال : نحن السود نهبنا نهبا لنعمر خرائب امريكا يوم أن كانت احراشا وغابات يتيه في جنباتها من سموا الهنود الحمر ، وفي سبيل نهب الافريقيين الشباب ازهقت أرواح وأبيدت أجسام وأحرقت بيوت ! الم تقرأ قصة « أسر قديم ، الم تقرأ قصة كوخ العم توم » ؟ قلت له ولكن هذا منذ ثلاثة قرون ، قال : وكيف حال السود في أمريكا الآن ؟ قلت : هذا في أمريكا . قال : أولا تعلم أن منطقة الكاب كانت ماهولة بقبائل البوشمان الأقزام . وقبائل الهنتوت ، وقد افنى الانجليز كلا العنصرين فلم يبق منهم أحد ، وبدا يحتد فقال : لم تدافع عن الانجليز وأنت تعلم ما عملوا في كل مستعمراتهم ؟ قلت : لست

للدكتور عبد الجليل شلبي

مدافعا ، فالانجليز كشفوا جزيرة تسميانيا ـ وهى منسوبة إلى البحار الانجليزي تسمان ، وجدوا بها قوما يعيشون على الفطرة . يصطادون السمك ويأكلونه نيئا ـ بينما هم يوقدون النار للاستدفاء ويستعملونها لطهو طعامهم . وقضت رحمة الانجليز أن يصطادوهم بالرصاص حتى افنوهم نهائيا ، ثم جلبوا آخرين لعمارة الأرض . وانا اريد أن أجمع معلومات ولست مدافعا عن أحد ثم قلت : ولماذا نفرت من مدارس الانجليكان ؟ قال : هم لهم الفضل فى إنارة عقلى ولهم الفضل فى تغييرى من ديانتهم ؟ واستمر يقول : إنهم علمونا طريقة التفكير ولم اجد قولهم ولا عملهم يستقيم مع التفكير ومالت نفسى إلى الإسلام بعد ان درست البوذية ، وفكرت فى حال الرهبان ، وقرأت عن مذاهب أخرى فراقنى الإسلام وحده ، وأحمد الله أن هدانى إليه .

قلت : وهل لك جهاد لنشر الإسلام فى قبيلتك ، قال : إنه جهد محدود ، وقومى سمعوا الكثير عن تشويه الإسلام وصدقوا كثيرا من السوءات التى الصقت به ، ولذا تقبلهُ قليل من قبيلتى .

قلت لصاحبى : وهل للمجلس الإسلامى نشاط فى إدخال الزنوج الإسلام ؟

قال : إن المجلس الإسلامي بحاجة إلى دعاة ومعلمين ، إن للمسلمين فى كل بلد مجلس ، وحيث إن كثرتهم فى « كيب تاون » وفى « دربن » فالمجلسان فيهما أقوى المجالس . والمجلس العام يتكون من كل هذه المجالس .

قلت : إنى أعلم هذا ، وشهدت انتخاب الرئيس العام هذا العام .. ولكنى أسأل عن نشاط المجلس فى نشر الإسلام بين الزنوج ؟

وتدخل أحد الرفاق فقال : نحن معاشر المسلمين ينقصنا المعلمون الفاقهون فبيننا أئمة هنود وأئمة من أفريقيا . وأئمة يمنيون وسعوديون ، وكل له مذهب يدعو إليه ويكفر الآخرين .

قلت : هذا هو الداء ، العياء !! واردف صاحبى يقول : وأنت إذا ذهبت إلى الزنوج فلا أظنك تنجو .

قال المتحدث الأول : إنه معى وهم يطمئنون إليه لمصاحبتى إياه ، وأنا اريده أن يحدثهم عن الإسلام واثقا أن حديثه سيكون ذا اثر كبير .

شكرت لصاحبى حماسه ، ولكننى علمت من الآخرين أن رحلتى معه لن تكون مأمونة ، فالانجليز من قبل بثوا جواسيس على الزنوج عرفوا مخابئهم ثم هجم الجيش الانجليزى عليهم . فهم لهذا سيتهموننى بالجاسوسية ، ولن اكون فى مأمن إذا ذهبت إليهم ، قلت : وفوق هذا ، انا أمشى على جدول مرسوم وليس فيه زيارة الزنوج ، وقد اضطررت لاختصار البرنامج ، فلا متسع لذهابى بوجه ما !

بوجه عام لست فى محيط المسلمين هناك فقرا مدقعا فى التعريف بالإسلام ، وفى تعليم المسلمين ، وهناك تعطش بالغ لسماع اى شىء من الإسلام وشوق بالغ لسماع القرآن . وقد كانت المسجلات المرئية والمسموعة تعد قبل ذهابنا إلى اى جمع ، ثم لا نلبث أن نسمعه حتى ونحن فى الطريق من بلد لآخر .. وهناك إلحاح بالغ لزيارة شيخ الأزهر ، لانه سيقطع بالآراء التى يبديها خلافات الائمة ، ويبعث فى نفوس المسلمين نشاطا ، وحيث زار أسقف روما الكبير البلاد أربع مرات .. واحتفى به من أتباعه ، والمسلمون يودون أن يكون لهم مثل هذا الموقف .

جعفر الطيار

وجعفر الطيار هو جعفر بن ابى طالب واسم ابى طالب عبدمناف بن عبدالمطلب واسم عبدالمطلب شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة ابن قصى ، وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم ابن عبد مناف بن قصى .

وابناء ابى طالب جميعاً شخصيات تاريخية ، واكبرهم طالب وكان شاعراً فقد يوم بدر فلم يعرف مصيره ، وكان اسن من عقيل بعشر سنين ، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان جعفر اسن من علي بعشر سنين ، وعلى كان اصغرهم سناً وأولهم إسلاماً .

وقد اسلم جعفر قبل أن يدخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دار الأرقم المخزومى ويدعو فيها ، ولم تذكر كتب السيرة وكتب التاريخ اضطهاداً وقع على جعفر بن ابى طالب يدفعه إلى الهجرة إلى الحبشة ، وأكبر الظن انه هاجر ومعه زوجه أسماء بنت عميس الخثعمية فراراً بدينه حتى يقوم باوامره ونواهيه في مأمن من عقابيل العداوة ، اقول هذا لان التعذيب الذى وقع على اتباع الدعوة الإسلامية في مكة لم ينل أحداً من البيت الهاشمى .

وابن اسحاق في السيرة يقول : لما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر أن يمنعهم بما هم فيه من البلاء قال لهم : لوخرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا ..

ولذلك اقول : إن جعفر بن ابى طالب لم يضطهد حين هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية إليها والهجرة الأولى كان عدد المهاجرين إلى الحبشة عشرة رجال هم أول من هاجر إلى الحبشة ، منهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ولما وصل جعفر وزوجه إلى الحبشة كان المهاجرون قد بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم ويستثنى من المذكورين الأبناء الصغار والنساء .

وكان أمير القوم في الحبشة جعفر بن أبى طالب .

فلما رات قريش ان الذين هاجروا من ابنائها قد امنوا واطمانوا بأرض الحبشة ووجدوا بها داراً وقراراً رات ان تمكر بهم وتردهم إلى مكة ليفتنوا في دينهم ، فبعثت رجلين جلدين : عبدالله بن أبى ربيعة المخزومى وعمرو بن

للأستاذ السيد حسن قرون

العاص السهمى ، وأرسلت معهما هدايا للنجاشى ولبطارقته .. ووصلا إلى الحبشة فكانت خطوب وخطوب ، تصدى لها جعفر بن أبى طالب بكل ما يملك من ميراث أجداده من الشجاعة والقدرة والذكاء والفصاحة .

ولقد حفلت السيرة النبوية بحكايات أم سلمة المخزومية المهاجرة مع زوجها أبى سلمة المخزومى ، فمما ذكرته فى هذه المحنة قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى أمِنًا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى رجلين جلدين منهم وأن يبعثوا له هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكانت من أعجب ما يأتيه منها الأدم « الجلود » فجمعوا له أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقته أحداً إلا أعدوا له هدية ، وقد وقع الاختيار على عبدالله بن أبى ربيعة ، وعمرو بن العاص ، تقول : فخرجا حتى أتيا النجاشى ، وقدما الهدايا إليه وإلى بطارقته ، وقالا لكل بطريق قبل لقاء النجاشى ، إنه قد لجأ إلى بلد الملك غلمان منا سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا ببدع مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردهم إليهم ؛ فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعرف بهم فقالوا لهما نعم ، ووصلت الهدايا إلى النجاشى فقبلها منهما ثم كلماه ، وذكرا له ما ذكراه للبطارقة وطلبا إليه ردهم معهما إلى قومهم ، ولم يكن شىء أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلام المهاجرين النجاشى ، وصدق البطارقة على قولهما ، وأشاروا على الملك أن يردهم إلى قومهم ، فغضب النجاشى ثم قال : لاها الله ، إذن لا أسلمهم إليهما ولا يكادُ قومٌ جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاورونى .

فماذا كان ؟

قالت أم سلمة : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائناً فى ذلك ما هو كائن .

فلما جاءوا وقد دعا النجاشى أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟

قالت : فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فقال له : أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ،

جعفر الطيار

وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

قالت ـ فعدد إليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا جوارك ، ورجونا الا نظلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشي : هل لديك مما جاء به عن الله من شيء ؟ .. فقال جعفر له : نعم ، فقال له النجاشي فاقراه عليّ . فقرأ عليه صدراً من « كهيعص » سورة مريم قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . ثم خاطب القرشيين : انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون .

لقد كان جعفر بن أبى طالب عند حد المسئولية واستطاع بإيمانه وفصاحة لسانه أن يضع الأمور الإسلامية أمام الحاضرين وفى مقدمتهم الملك .

فهل سكت القرشيان ؟ تقول أم سلمة : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم . فقال له زميله عبد الله بن أبى ربيعة ـ وكان أتقى الرجلين فينا ـ لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عَبْد .

ثم غدا عليه من الغد فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه ، فأرسل الملك إليهم ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط ، فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائناً فى ذلك ماهو كائن . فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فضرب النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود . قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ماقال ، فقال وإن نخرتم والله .

ثم قال لجعفر ومن معه : إذهبوا فأنتم شيوم بأرضي ـ والشيوم الآمنون ـ مَنْ سبكم غرم .. وقال فى شأن عبد الله وعمرو : ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها ، فوالله ماأخذ الله من الرشوة حين رد عليّ ملكى . قالت : فخرجا مقبوحين من عنده مردوداً عليهما ماجاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار .

وهذه الوثيقة التاريخية فيها كثير من معالم إيمان المهاجرين وفضيلة التشاور فهم يتشاورون كلما حزبهم أمر ، واختاروا أقواهم على الدفاع ومحاورة الخصوم وأبلغهم فى معرفة حسن الحوار فقد بين فى الأولى مكارم الأخلاق التى جاء

بها الدين الإسلامي ثم ذكر أركان الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وأنهى إليه أنه المختار من جميع الملوك لجواره وأرضه هي الأرض الطيبة .

وعاش في الحبشة طويلاً ، رجع عثمان بن عفان وكثير من المهاجرين إلى مكة ، ولكنه لم يعد إلا في السنة السابعة من الهجرة ، عاد بعد فتح خيبر ، وفي الحبشة حضر عقد زواج أم حبيبة بنت أبي سفيان لرسول الله ودفع المهر النجاشي أربعمائة دينار وكان وليها خالد بن سعيد بن العاص وهو من أسرتها وفي سنة سبع من الهجرة بعث رسول الله إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري يطلب عودة أصحابه ، فحملهم في سفينتين فقدم بهم عليه وهو في خيبر ، فلما التقى جعفر برسول الله قبله الرسول بين عينيه ، والتزمه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أسر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟

لقد كانت هجرته إلى الحبشة جهاداً في سبيل الله وأن له أن يجاهد بنفسه وماله وسلاحه فكانت غزوة مؤتة وهي قرية من أرض البلقاء بالشام ، جند النبي ﷺ لها ثلاثة آلاف مقاتل لتأديب المناوئين للدعوة ورسل النبي ﷺ إلى الملوك في الشام وبيزنطة ، يقول العقاد عنها : كانت « حملة تأديب » عين الرسول لها قادتها ، ففي جمادى الأولى من السنة الثامنة من الهجرة كانت تلك الحملة واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال ، فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة .

وخرجت الحملة ، وقد حشد لها الروم مائتي ألف ، منهم مائة ألف من العرب ، والتقى الجمعان فقتل زيد بن حارثة فحمل اللواء جعفر بن أبي طالب .

ويصف أحد المشاهدين موقف جعفر حين حمل اللواء ، يقول : والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول : ياحبذا الجنة واقترابها

طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابُها
كافرة بعيدة أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتها ضرابها

ويصفون قتاله أنه أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء ، ويكادون يجمعون على القول : « إن لجعفر بن أبي طالب جناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة ، وفي هذه الغزوة قتل الأمير الثالث عبد الله بن رواحة ، فاختار الجيش قائداً فكان خالد بن الوليد الذى استطاع أن ينجو بالجيش من الهلكة .

ترك جعفر بن أبي طالب ابناءه الصغار المولودين في الحبشة وهم عبد الله ومحمد وعون ، ولما خافت أمهم أسماء بنت عُميس العيلة قال لها النبي عليه الصلاة السلام : أتخافين العيلة عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ، ثم دعا لهم بالخير ، ومضت الأيام ، وتزوجت أسماء أبا بكر الصديق فأنجبت له محمد بن أبي بكر ، ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب ، فأنجبت له يحيى ولكنها لم تنس جعفراً رضى الله عنه .

قالوا : تزوج علي بن أبي طالب أسماء بنت عميس ولها من أخيه أولاد ومن أبي بكر ولد ، فتفاخر ابناها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر قال كل واحد منهما : أنا أكرم منك وأبي خير من أبيك ، فقال لها علي : اقضي بينهما فقالت : مارأيت شاباً من العرب كان خيراً من جعفر ، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر .. فقال علي : ماتركت لنا شيئاً . فقالت : والله إن ثلاثة أنت أخسهم لخيار . فقال لها : لو قلت غير هذا لمقتك . رضى الله عن فتى العرب جعفر الطيار .

الردع الإسلامي

في غزوتي بدر والفتح

دروس غالية :

تحوى غزوتا بدر الكبرى وفتح مكة دروساً غالية ، ينبغى على الأمة الإسلامية ان تتدبرها وتسترشد بها لتصحيح الخلل فى موازين القوى بينها وبين اعدائها ، والمحافظة على سلامتها وامنها .

والأمر الذى يستحق التأمل والتدبر ما يلى :

١ ـ هذه الدروس الغالية تنبثق من التطبيق العملى لاستراتيجية الردع الإسلامية التى تتمثل فى قول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠) .

وفى قول الرسول القائد ﷺ : «نصرت بالرعب مسيرة شهر» (رواه البخارى) .

٢ ـ قدم الرسول ﷺ لأمته «أكثر من طريقة» لردع الأعداء :

- ففى بدر : كان الردع «بالقتال» .. أى «باستخدام القوة» .
- وفى الفتح : كان الردع «بغير قتال» .. أى «بإظهار القوة» .

٣ ـ كان استخدام كل من هاتين الطريقتين موافقا لمقتضيات الموقف من ظروف وأحوال استراتيجية ، وظروف المكان والزمان، ومتفقا مع مفهوم الإسلام للسلام والقوة والحرب :

- فقوة الأمة الإسلامية يجب أن تكون «قادرة على إيقاع الرهبة» فى قلوب أعدائها بحيث يمتنعون عن العدوان عليها .
- فإذا لم يمتنعوا عن العدوان ، فيجب أن يقاتلهم المسلمون «مدفوعين بفكرة الإرهاب أيضاً فتكون ضربتهم للمعتدى من القوة بحيث «تفقده توازنه النفسى وتلزمه حدوده» .

٤ ـ أوضح الرسول ﷺ لأمته ـ وهو القائد والمعلم والأسوة الحسنة ـ أساليب التنفيذ ، والعوامل التى تحقق للردع أهدافه فى تأمين سلامتها ورد العدوان عليها .

٥ ـ وأخيراً فإن تطبيق نظرية (الردع) فى «بداية الصراع» فى بدر ، وفى «نهاية الصراع» فى الفتح يقول للأمة : «هاأنتم ترون أنه لا سبيل أمامكم للمحافظة على أمنكم ورد العدوان عنكم إلا «ببناء القوة الرادعة» وتأسيس سياستكم الدفاعية على «الردع» أولا وأخيرا ..[1] .

---

(١) الواقع أن الردع طبق فى أغلب الغزوات ، لكننا هنا نركز على ما أبرزته بدر والفتح من دروس .

للـــواء :

أ.ح محـمـد جمال الديـن محفوظ

الدرس الأول :

على المسلمين - لكى يتغلبوا على العدو المتفوق - ان يستغلوا مواردهم المتاحة باقصى قدر من الكفاية فى التنظيم والإدارة :

يذكر علماء الإدارة - للتعبير عن اهمية الإدارة فى تحقيق الأهداف - القول المشهور لروبرت مكنمارا[٢] : «إن الولايات المتحدة تمتلك (تكنولوجيا) عالية جداً ، وكذلك الاتحاد السوفييتى ، ولكن الذى سوف يحسم المعركة هو «الإدارة السليمة» .

اى أن العبرة فى التغلب على الخصم ليست بالتفوق والتقدم فى القوة البشرية والسلاح بقدر ما هى بالتفوق فى «إدارة» البشر والسلاح .

لكن الإسلام لديه ما هو أكثر من ذلك ، فالقول المذكور قد بنى على أن الإدارة السليمة هى التى تحسم الصراع بين «قوتين متكافئتين» ، اما الإسلام فقد تجاوز هذا الحسلب وقرر ان القوة المحدودة الموارد تستطيع :

بالإدارة السليمة
وبقوة الإيمان والعقيدة .
ان تقهر القوة المتفوقة عليها .
ويبرز هذا المبدا بكل وضوح فى «إدارة» الرسول ﷺ للمعركة فى بدر :

اولا : إحكام السيطرة على الموارد :

لقد كانت موارد المسلمين فى بدر محدودة للغاية إذ كان الأعداء ثلاثة أمثال المسلمين فى العدد والسلاح ، ولديهم «قوة هجومية ضاربة» تتمثل فى مائتى فرس يواجهها لدى المسلمين فرسان اثنان ، ثم إن «الذخيرة» بالقياس إلى ذلك كانت محدودة جدا عند المسلمين .

فلكى تستغل هذه الموارد المتاحة لأقصى حد فلابد من قدر كبير من المركزية فى السيطرة على استخدامها بحيث يمكن تحقيق «**حشد القوة مع الاقتصاد فى إنفاقها فى الوقت نفسه**» وهذا ما فعله الرسول ﷺ :

(١) باتخاذ تشكيل القتال بالصفوف ، فهو يضمن سيطرة القائد المحكمة على جيشه على نحو لا يتحقق فى أسلوب الكر والفر الذى اعتادت عليه العرب ، ففرق كبير فى مجال السيطرة بين قوة ثابتة متلاصقة ، وبين قوة تتردد فى الحركة السريعة بين الأمام والخلف ، هذا فضلا عن أن أسلوب الصفوف يؤمن للقائد احتياطيا يعالج به المواقف الطارئة .

(٢) وبرغم سهولة السيطرة على هذا الجيش القليل عدده إلا أن الرسول ﷺ - لتحقيق المزيد من السيطرة - قسمه إلى كتيبتين ، وجعل لكل منهما قائدا .

←

(٢) كان وزيرا للحربية للولايات المتحدة فى الخمسينيات ، ويعتبر من ابرز علماء الإدارة المعاصرين .

← الـردع الاســلامي

(٣) ثم تصل السيطرة إلى اقصى حد بأن يأمر الرسول القائد ﷺ رجاله : «لا تقاتلوا حتى أُوذِنكُم»(٣) ، فلا يبدأ القتال إلا بأمر منه .

ثانيا : استخدام الموارد باقصى حشد مع الاقتصاد في الانفاق :

فقد أصدر الرسول ﷺ «أمر القتال» الذى وردت فيه عدة روايات منها :

● «إذا اكثبوكم (اى اقتربوا منكم) فارموهم ، واستبقوا نبلكم»(٤) .

● «إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل (٥) .

● «لا تقاتلوا حتى اوذنكم» وإن اكتنفوكم فـارموهم ، ولاتَسُلُّـوا السيـوف حتى يَغْشَوْكم»(٦) .

ويعنى هذا الأمر ما يلي :

(١) تقسيم المعركة إلى مرحلتين :

الأولى : الرمى بالسهام عند اقتراب العدو .

والثانية : القتال المتلاحم عندما يصل العدو إلى صفوف المسلمين .

هذا التقسيم غاية فى البراعة فى التنظيم والإدارة ، فهو يضمن فى المرحلة الأولى استخدام السهام ـ وهى السلاح بعيد المدى ـ «بأقصى حشد» ، كما يضمن فى المرحلة الثانية استخدام السيوف «بأقصى حشد أيضاً» وهكذا يستثمر المسلمون مواردهم بأقصى طاقاتها فى الوقت المناسب وإلى أقصى حد .

(٢) الاقتصاد الشديد فى الاستهلاك :

فالذخيرة محدودة للغاية كما قدمنا ، والاقتصاد فى استهلاكها يصبح «ضرورة حتمية» لا تفوت القيادة الإسلامية ، فقد قصد الرسول ﷺ من أمر القتال :

● الا يبدأ الرمى إلا بإذنه (حتى أوذنكم) .

● وألا يبدأ الرمى إلا حين يقترب الأعداء (إذا اكثبوكم) .

● ثم زاد تاكيده على الاقتصاد فى الاستهلاك بقوله : «واستبقوا نبلكم» فالمسلمون إذا أطلقوا سهامهم والعدو بعيد ، فسوف يطيش منها الكثير لعدم دقة التصويب على البعد ، وعددها القليل لا يحتمل أن يضيع سهم منها بغير طائل ، فكان على المسلمين أن «يمهلوا» عدوهم الزاحف حتى يصبح «فى متناول سهامهم» ويأتى كل سهم برجل منهم(٧) .

الدرس الثانى :

على المسلمين ان يفقدوا الأعداء توازنهم النفسى وإرادتهم القتالية :

يعرف رجال العسكرية أن أكبر ما يفقد

---

(٣) الواقدى : مغازى رسول الله ﷺ ص ٤٨ .

(٤) البخارى : ص ٧ ، ص ٢٤٥ .

(٥) ابن هشام : جـ ٢ ص ٦٢٥ .

(٦) الواقدى : مغازى رسول الله ﷺ ص ٤٨ .

(٧) المدهش : ان هذا الأمر (واستبقوا نبلكم) هو بعينه قاعدة يتعلمها العسكريون اليوم فى الدفاع ويطلقون عليها (كبت أو حبس النيران) فرصاص البنادق اليوم يصل مداه إلى عدة مئات من الأمتار ، لكن أصول الرمى فى الدفاع تقضى بأن «يحبس» المدافعون نيران بنادقهم حتى يصل العدو المهاجم إلى مدى ١٠٠ متر أو أقل حتى يضمنوا دقة الإصابة مع الاقتصاد فى استهلاك الذخيرة فى الوقت نفسه .

الجيوش توازنها النفسى ويضعف من إرادتها القتالية ما يلى :

(١) فداحة الخسائر التى تتعرض لها ، وخاصة إذا وقعت هذه الخسائر «بحجم كبير وفى زمن قصير» وفى ذلك يقول شار نهورست فى كتابه (التكتيك) :

«إن عشرة رجال «يسقطون معاً» فى ميدان المعركة ، يجبرون فوجا ـ حوالى ١٠٠٠ رجل على التراجع بصورة مؤكدة لا يحدثها اكثر من خمسين جريحا يسقطون تدريجيا ، فى أماكن مختلفة» .

فلو حاولنا رسم «صورة ذهنية» لما حدث لقريش نتيجة لتنفيذ المسلمين لأمر القتال فسوف نرى أعداداً كبيرة منهم تسقط صرعى فى أقصر وقت ، فذلك هو النتيجة المنطقية لرمى المسلمين سهامهم «بأكبر حشد ، وفى وقت واحد ، وبأدق تصويب» ..

أضف إلى هذا «سقوط مبارزيهم» ـ الذين دفعوا بهم قبل المعركة ـ صرعى على أيدى مبارزى المسلمين .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر كيف حرص الرسول ﷺ على أن يختار ذوى الكفاءة الفائقة فى المبارزة ليكون نجاحهم على رجالات قريش مضمونا ، ولقد كان لهذا العلم التطبيقى ـ بمشيئة الله ـ اثره فى تمكين بعض المسلمين من اصطياد زعماء قريش وساداتها واستئصالهم من بين الصفوف ، فاستطاع بلال ـ رضى الله عنه ـ أن يقتل أمية بن خلف ، وليس من شك فى أن كل هذه الأعمال قد أصابت قريشا بالصدمة النفسية فى اللحظات الأولى من المعركة .

(٢) حدوث نقص شديد فى المواد الحيوية للقتال كالذخيرة والوقود والمياه . وقد عرض المسلمون قريشا لهذا الوضع حين اتخذوا موقعهم فى بدر بحيث يسيطرون على المياه ، ويحرمون عدوهم منها ، وهو امر بالغ التاثير فى حروب الصحراء .

(٣) فقد المبادأة :

● فقد تملك المسلمون المبادأة فى بدر بسيطرتهم على الماء ، واستدرجوا عدوهم ـ نتيجة لذلك ـ إلى القتال «فى أرض من اختيارهم» ، فإن سيطرتهم على الماء حددت مكان المعركة ، واضطرت المشركين إلى أن يصلوا إلى هذا المكان لينازعوهم على الماء ، وهذا ما عبر عنه سلوك الأسود المخزومى حين صرخ بأعلى صوته : وحق اللات والعزى ، لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه !

● وتملكوا المبادأة أيضاً فى فتح مكة حين قرر الرسول ﷺ أن يتحرك ليهاجم قريشا فى عقر دارها بعد أن نقضت عهدها الذى أقرت بنوده فى هدنة الحديبية .

(٤) التعرض للمباغتة[٨] :

● ففى بدر تعرضت قريش للمباغتة بسبب اتخاذ المسلمين لأسلوب جديد فى القتال وهو الصفوف ، ثم سيطرتهم على مياه بدر .

---

(٨) المباغتة فى العلم العسكرى هى : «إحداث موقف لا يكون العدو مستعدا له» وهى تتخذ أشكالا عدة فقد تكون فى الوقت أو المكان أو الأسلوب إلى غير ذلك .

الردع الإسلامي

● وفى الفتح تعرضت للمفاجأة على نحو أكبر إلى حد انه تعذر عليها معرفة هوية الجيش الكبير الذى عسكر على اربعة فراسخ من مكة .

(٥) اهتزاز الثقة فى القضية وفى القدرة على إحراز النصر :

وهذا ما وقع لقريش فى فتح مكة :

● فزعيم قريش ابو سفيان استطاع الرسول ﷺ أن «يغزو قلبه وعقله ونفسه» حتى جرده تماماً من إرادة المقاومة والقتال إلى حد انه دفع قومه إلى الاستسلام ، ومن ذلك انه أوصى عمه العباس باحتجازه فى مدخل الجبل من ناحية مكة حتى يمر به جيش المسلمين ، فيحدث قومه عما رآه عن بينة ويقين بأنه لا امل لهم فى النصر ، وأبلغ دليل على ذلك قوله لهم : «يامعشر قريش ، هذا محمد، جاءكم فيما لا قبل لكم به» .

● وقريش نفسها فقدت قدرتها على المقاومة حين رأت جيوش المسلمين تطوق مكة من جهاتها الاربع ، وأنه لا سبيل لديها لتركيز قوتها وحشدها فى جبهة واحدة ، كما انه لا أمل فى النصر إذا شتتت قواها لكى تواجه أرتال المسلمين الاربعة .

● ثم هاهى تتعرض بعد ذلك «للضربة النفسية القاضية» التى تتمثل فى إعطاء المسلمين للامان مقابل الاستسلام على لسان زعيمها : «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن» .

كل هذه الأعمال أحدثت خللا كبيراً فى التوازن النفسى للمشركين وأوقعتهم على وجه التأكيد تحت وطأة الضغوط النفسية التالية :

أ ـ الإحساس بأنهم يواجهون موقفا سيئا .

ب ـ التشتت الذهنى ، والتمزق النفسى ، والشعور بأنهم قد وقعوا فى «فخ» يصعب التخلص منه .

جـ ـ تولد الشعور بالعجز عن القيام بعمل مضاد لحركة المسلمين .

وهذا ما أكده الخبير الحربى (ليدل هارت) حين قال : «ينبئنا التاريخ العسكرى فى جميع العصور ، وفى جميع الحروب الحاسمة على التقريب ، أن الإخلال بتوازن العدو نفسيا وماديا ، هو المقدمة التى لا محيص عنها للقضاء عليه» .

الدرس الثالث :
العقيدة الراسخة ترجح كفة المسلمين فى موازين القوى :

لقد ضرب المسلمون فى هذا المجال أمثلة لا نظير لها فى تاريخ الحروب على مر العصور ، فى معركة بدر ، منها ان عبدالرحمن بن أبى بكر كان مع المشركين ، فقال لأبيه أبى بكر رضى الله عنه بعد إسلامه : «لقد صدفت لى يوم بدر فلم أقتلك فقال أبو بكر : «والله لو صدفت لى لقتلتك» ، فما الذى يدعو إلى ان يقتل الابن أباه ، والأب ابنه ، غير الإيمان والعقيدة الراسخة ؟

ولقد كان الإسلام حريصاً على ان يزود المسلمين بأقوى «الدوافع النفسية» التى تملأ نفوسهم حمية واستبسالا ، فكانت هذه الدوافع الصادقة «تحارب» إلى جانب

أصحابها كما يحارب الجندى إلى جانب صاحبه ، ولهذا كان حساب المسلمين فى موازين القوى حساباً خاصاً لا يتسامى إليه غيرهم ؛ فلقد كان حساب المقاتل المجاهد فى الحرب مقدراً بما فى قلبه من إيمان وعقيدة ، وبما فى نفسه من مبادىء يحارب عنها ، وأسباب تدعوه إلى خوض هذه الحرب وهذا ما نجده فى قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنفال ٦٥) .

ذلك لأن الذين كفروا قد خلت نفوسهم من المبادىء الكريمة والدوافع الصادقة ، ولهذا حرموا «الفقه» الذى كان من شأنه أن يبصرهم بالمبادىء التى يقاتلون عليها ، والمثل التى يدافعون عنها ، ومن حرم هذا الفقه فى مجال الحرب ، فقد تعرى من كل سلاح يدافع به ، وكانت عاقبته الهزيمة والبوار .

الدرس الرابع :

على الأمة الإسلامية أن تحافظ على أسرارها لكى تنتصر على عدوها :

● ففى بدر ، انطلق الرسول ﷺ أمام جيشه وبصحبته أبو بكر رضى الله عنه للاستطلاع قبل المعركة ، فوقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . قال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟ .. قال الرسول ﷺ : «إذا أخبرتنا ، أخبرناك» ، وعلم عليه الصلاة والسلام من رد الشيخ أن عير قريش قريبة منه ، فقال له : «نحن من ماء» .

فانظر كيف حرص الرسول ﷺ على إخفاء هويته وإخفاء أمر المسلمين عن الشيخ حتى لا تعلم قريش بهم : فهو حين التقى به ، لم يسأله عن قريش فقط ، بل سأله عن الطرفين (عن قريش وعن محمد) ، وحين طلب الشيخ أن يعرف هويته وصاحبه كشرط للإجابة ، استطاع الرسول «تأجيل» الرد حتّى يقول الشيخ ما عنده أولا ، وفى النهاية حين أراد أن يجيب الشيخ عن هويته قال : نحن من ماء ، وهو رد صحيح (أى من ماء دافق) لكنه لا يكشف سر المسلمين .

● وحفلت غزوة الفتح على تدابير عدة لإخفاء أسرار حركة المسلمين ونواياهم كلها وردت فى كتب السيرة ، ونكتفى للبرهان على دقة هذه التدابير وإحكامها بأن المسلمين منعوا الرسالة التى أراد حاطب به أبى بلتعة إرسالها إلى قريش من أن تصل إليهم ، وأن السيدة عائشة رضى الله عنها أخفت أخبار الرسول ﷺ ونواياه عن أبيها أبى بكر رضى الله عنه حين سألها : ياعائشة أهم رسول الله ﷺ أن يغزو ؟ فقالت : «ما أدرى ، لعله يريد بنى سليم ، لعله يريد ثقيفا ، لعله يريد هوازن» !!

وبعـــد :

● فلعلنا قد لاحظنا أن «ضعف» المسلمين فى نظر أعدائهم (فى بدر) جَعَلَهُم يستهينون بهم ، وأغراهم بالعدوان عليهم ، وأن «قوة» المسلمين فى الفتح أرهبت أعداءهم فامتنعوا عن العدوان ..

إنه درس عظيم ينبغى على الأمة أن تتدبره بكل الفهم والوعى .

● ولعلنا أدركنا تفوق الحسابات الإسلامية لوزن المسلم فى ميزان القوى مع أعدائه ، لكى تنفذ ما أراده الله بها من المؤمنين وهو أن يحققوا فى أنفسهم ما يجعلهم أهلا لتلك الغلبة الفذة والانتصار الفريـد ، من التربيـة الخلقية والعسكرية ، والإقدام على التضحية ، وإتقان الجهاد ، والثبات فى مواطن البأس .

الخير في الصيام

لأسباب علمية وطبية

٢

منطق الأولويات :

في الحقيقة[1] إن الجسم بأسراره العميقة يمثل تحدياً للعقل البشرى أن يفهم مكنوناته وجوانبه .

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

« ٢٢ ـ الذاريات » صدق الله العظيم

ومبدأ الأولويات يسير عليه الجسم في تفاعلاته الحيوية ووظائفه الخلوية فإذا كان المخ أهم عضو في الجسم (وهو كذلك بالفعل) إذاً لابد له من دورة دموية خاصة به ..

إن القلب هو الذى يدفق الدماء إليها ... ويأخذه منها ، ولكنه لا سيطرة له على (ضغط) الدماء فيها .. ففيها أودع الحق ـ جلت قدرته ـ مرونة رائعة ـ تتمدد إلى أحجام لا يستطيعهاباقى أوعية الجسم فإذا ارتفع الضغط الدموى في الجسم فإنه لا يرتفع في شرايين المخ وأوعيته اللهم إلا إذا فقد هذه الخاصية .. وهذا ما سيأتى شرحه في بند الأمراض التى يعالجها الصيام ..

والمعدة عندما تبدأ في هضم الطعام فإنها تستطيع أن تستحوذ على ثلث الدماء المارة في الجسم كله أى حوالى (لترين) كاملين .. ومثلهما من الطحال والكبد ولتر آخر من باقى الغدد المصاحبة للهضم مثل الغدد فوق الكلوية و(البنكرياس) والباقى يتجه إلى الجسم .. وهذا الباقى ليس كثيراً[2] .. لذا فإن الجسم يضطر اضطراراً إلى الإقلال من الدم الواصل إلى المخ فيخلد الإنسان إلى النعاس ويسرى فيه الخدر الذى نتج عن عدم وصول الدماء بكمية كافية إلى المخ هذه صورة أخرى من صور الأولويات ..

أما الجلد فإنه يتنازل تنازلاً كاملاً عن نصيبه من الدماء عندما تنخفض درجة حرارة الجو إلى معدلات خطرة تؤدى إلى انخفاض درجة حرارة الدم داخل أعضاء الإنسان إلى ما دون (٢٤) درجة مئوية .. وهى درجة تميت الإنسان إذا

---

(١) فسيولوجيا الدورة الدموية بدون تاريخ [Circulation] مجموعة مؤلفين .. مطبوعات جامعة عين شمس . كلية الطب .

(٢) « حجم الدم الدائر في الجسم يتراوح ما بين ٥ ـ ٦,٥ لتر في حين الدم المخزون في الأعضاء ويمكن استدعاؤه في أى وقت يبلغ من ٣ ـ ٥ لترات . إذن يكون حجم الدم الإجمالى في المتوسط عشرة لترات » نفس المرجع السابق .

دراسة : د. أحمد عبد المؤمن بركات

ما استقر الجسم عليها مدة من الزمان .. لأنها لا تصلح لإجراء العمليات الحيوية فى الخلية الجسدية ..

ربما يفيد هذا التدنى من درجات الحرارة بعض الكائنات ذات الدم البارد مثل الضفادع والسحالى .. إلا أنه ضار بالإنسان .. لذا .. فإن الجلد يكتفى بما يرد إليه من اكسجين عن طريق مسامه الهوائية .. ويمتنع عن طلب الدماء .. بل ويقوم بإغلاق شعيراته الدموية تماماً فى وجه الدم الوارد إليه مشكلاً حاجزاً ومانعاً ضد فقدان الحرارة فى هذا الجو البارد ، وهذا منطق لأولويات محددة يحافظ بها الجسم على درجة حرارته الداخلية .. الأمر الذى يتحدد طبقاً للعوامل الخارجية المحيطة بالجسد ..

ومن هنا نرى .. أن هذا المنطق لا يصلح للأجواء الحارة .. وهذا ما يحدث بالفعل .. حيث تتفتح أبواب مجارى الدم على آخرها فى الجلد ليجرى فيها الدم ويتم تبريده بتبخر العرق .. وهكذا نرى أن هناك أولويات للعمليات الحيوية التى يسير عليها الدم .. وهو جزء من الجسم .. وعضو متحرك به .. شأنه شأن أى عضو آخر فى الجسم .. حتى لو كان خلية ؛ لذا فإن منطق الأولويات هو الذى يحدد عملها .. وعلى سبيل المثال ـ لو كان هناك غذاء متوافر فإن الجسم يفضل حرق المواد السكرية والنشوية للحصول على الطاقة .. تاركاً الدهون وما تحمله من أخطار تتراكم داخل الجسم وأعضائه . فى حين أن طبيعة الحال تفرض على الجسم أن يتخلص من هذه التراكمات لأنها ضارة به ، ولكنه لا يفعل لسببين رئيسيين :

أولهما : أن الإنسان يتناول دائماً من الطعام ما هو فوق احتياجاته بكثير ..

وثانيهما : أن الجسم لا يقوم بالحركة الكافية لاستدعاء هذا المخزون الاحتياطى والتخلص منه ـ ولقد اكتشف الأطباء أن أمراض ضغط الدم المرتفع الناشئة عن تراكم (الكولسترول) والدهون الثلاثية لم تكن معروفة للفلاح المصرى فى الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن .. وما ظهرت إلا عندما اختلفت العادات الغذائية له وأصبح قليل الاعتماد على يديه فى أداء ما يوكل إليه من أعمال .. وأهم سبب فى ذلك أن المجهود الذى كان يؤديه فى عمله كان يستدعى دائماً هذه الاحتياطات ويحرقها لإنتاج الطاقة اللازمة للعمل ..

ألا يبدو لنا شيء محدد من خلال هذه المناقشه .. وهو .. مادام الإنسان لا يستطيع أن يمنع مبدأ الأولويات .. فلماذا لا يستفيد منه على الأقل .. وذلك بإيجاد الظروف المناسبة لعمله ..[٣]

إن الصوم .. يحفز عمل مبدأ الأولويات فى الجسم « على شرط واحد » هو أن يبتعد الإنسان عن الإسراف فى إفطار أو سحور .. حيث تضيع الحكمة من الصيام إذا فعل ..

←

---

(٣) منحنى الصوم واحتراق الدهون . (د . عمر زكى . فسيولوجيا الأبيض . الطبعة الثالثة ١٩٨٤) .

الخير فى الصيام

ارقام وابحاث :

وجد العلماء أن جسد الإنسان يعمل دائماً بجزء من طاقته فالقلب يعمل بثلث طاقته الإجمالية القصوى .. فإذا كان يضخ الدم بمعدل سبعين ضربة فى الدقيقة فإنه يستطيع فى وقت الاحتياج أن يدق بمعدل يزيد على المائتين فى الدقيقة الواحدة ، ووجد أن الأوعية الدموية تعمل فى المتوسط بعشر طاقتها .. وخاصة ، الشعيرات الدموية المنتشرة فى كل الجسم ، جلده وأعضائه .. يعمل منها العشر فقط والباقى مقفل للطوارىء ولحين الاحتياج ..

والكلية تعمل عادة بثلث طاقتها[4] أى أنها تستطيع أن تضاعف عملها ثلاث مرات بالنسبة للكفاءة النسيجية وعشر مرات بالنسبة للكفاءة الوظيفية ؟ ، ولتفسير ذلك يمكن القول : إن الإنسان العادى يكفيه ثلث كلية لإخراج ما فى جسمه من فضلات .. والباقى أى ما يوازى خمسة أسداس الكليتين مجتمعين يمثل مخزوناً استراتيجياً للطوارىء والملمات .. والكلية فى نفس الوقت تستطيع أن تضاعف من عملها إلى عشر مرات مثل المعدل الطبيعى ، إذ أنها تستطيع أن تقوم بافراز (٣٥) مجم بولينا / ١٠٠سم (بول) فى وقت الطوارىء (بعد أكلة لحم ثقيلة) فى حين أنها تقوم بإفراز ٣٫٥مجم / (بولينا) فى كل ١٠٠ سم^{3} بول .. فى المعدل المتوسط العادى ..

أى أنها تحت ظروف مشددة تستطيع أن تركز نسبة البولينا عشر مرات فى نفس الحجم من الماء .. فلا تحتاج إلى كثرة الماء كى تقوم بعملها ..

وما ذلك إلا من نعم الله على الإنسان .. ولو لم تكن هذه القدرات موجودة .. لفشلت كليات الناس بعد موجة حر واحدة دون أن يشعروا ..

هذا بعض ما أدركنا من قدرة الله فى جسم الإنسان الذى لا يكفيه أن يلتزم بالتوسط فى الأمور .. بل ينكب على طعامه وشرابه فى إسراف .. ناسياً أنه يتعامل مع أرقام فى جسده .. وقوانين تُسيِّر حياته .. فإذا تجاوزت أرقامه قدرة احتمال قانونه فإنه يضار من ذلك ويكفى للتدليل على ذلك أن نذكر أن المعدة تتسع فى المتوسط إلى ٢٥٠سم^{3} فى حالة الشخص القنوع الذى لا يأكل إلا ما يكفيه .. أما لدى الشخص النهم الشره إلى الطعام .. فإن تجويف المعدة يتسع إلى ما يقرب من لترين ونصف أى إلى (٢٥٠٠سم) ، وبينما يصل حجم المعدة عادة إلى حجم قبضة اليد . تتمركز تحت عظمة القص أسفل الصدر وأعلى البطن فإنها تصل مع الشره فى الحجم إلى درجات مهولة حتى تسقط من مكانها المعهود وتقع فى الحوض لترتكز على عظامه .

لقد وجد العلماء أن حد الشبع فى الشخص العادى يحدث عندما يتناول من ثلاث إلى سبع تمرات وهى كافية لإعطائه سكراً لمدة نصف ساعة بمعدل يصل إلى ١٠٠مجم/١٠٠سم^{3} من الدم[5] ، وهذا كاف للتغلب على الشعور بالجوع . أما الشعور بالامتلاء فإنه وإن حدث بقليل من الطعام بالنسبة للشخص القانع العادى .. إلا أنه لا يحدث أبداً لمن سقطت معدته إلى أسفل حوضه .. وصدق رسول الله

(٤) زولنجر وزولنجرالابن (الجراحة العامة والمسالك) ١٩٨١ ـ لندن .

(٥) (الطب النبوى) ابن قيم الجوزيه ـ انظر المراجع فى ختام المقال .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ « المؤمن يأكل فى معًى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » ..

صحيح مسلم

والمعدة عادة لا يولد بها الإنسان وهى كبيرة .. بل إنها تكبر وتتضخم نتيجة لعادات سلوكية خاطئة فى الطعام وتناوله .. لذا كان لابد من أن يقف الإنسان أمام عاداته وقفة حازمة .. سواء بالامتناع عن الكثير من الطعام ، أو بالتخفيف من تناوله .. وذلك بالصيام كفريضة والصيام هو الوسيلة الوحيدة التى يستطيع بها الفرد العادى أن يشعر بنفس الشعور الذى يعيشه المحروم والفقير .. وفى نفس الوقت هو الوسيلة الوحيدة لإعادة الأمور إلى نصابها ..

أمراض يعالجها الصيام :

هناك فروق جليلة بين منع المرض فى ذاته ، وعلاجه عند وقوعه .. فالأولى : وقاية ، والثانية : نظام علاجى ..

والأمراض التى يعالجها الصيام تندرج فى الناحية الأساسية تحت البند الأول .. وهو الوقاية من أمراض متعددة مثل أمراض السمنة والبدانة .. وأمراض الإفراط فى التغذية ، أو ما يقال عنها أمراض التخمة مثل القرحة المعوية .. وتمدد المعى وسقوطها والالتهاب التقرحى المتعدد للأمعاء ulcerative Colitis وأمراض القلب والكليتين والكبد الدهنى والتحورى Degenerative Disease وأمراض سوء الهضم بكافة أنواعه مثل الانتفاخ والقولون العصبى وغيرها من الأمراض التى تسىء صحة من يصاب بها وحديثاً وجد أن هناك من الأمراض ما يعالجه الصيام أو على الأقل يمثل الصيام الخطوة الأولى فى العلاج منه .

فعلى سبيل المثال لا الحصر وجد أن السكر الهرمونى المصاحب للبدانة المفرطة يستطيع الإنسان العلاج منه بل والشفاء منه تماماً باتباع الصوم المعروف عندنا إسلامياً ، وقد شرحت الدكتورة فيلبس أولمان هذه الحقيقة عندما قالت : « ثبت أن النظام الغذائى الحرمانى لفترات متقطعة قادر على تثبيط نمو الأورام فى حيوانات التجارب . كما ثبت بالتجربة الميدانية أن سرطان القولون يكثر ظهوره مع البدانة ، كما أنه يعتبر النظام الوحيد لعلاج السكر الهرمونى الناتج عن الإجهاد الذى تسببه البدانة » ..

كذلك يقول د . ملتون شاتون : « إن الامتناع التام عن الطعام ، المحدد بمدة ـ حتى ظهور الأجسام الكيتونية فى البول ـ « هكذا يقول » يساعد أو هو السبيل الوحيد لتفادى خطر فشل البنكرياس فى الشخص البدين .. وفى نفس الوقت هو السبيل الوحيد لإنقاص وزن المريض بكفاءة عالية ..

وكلتا الملاحظتين وردتا فى كتاب كارانت ١٩٨٦ الفصل ٢٠ ص ٨٠٥ و٨١٩ على التوالى .

لقد اعترف العلماء الآن أن نظام الرجيم الغذائى لم يعد كافياً لمواجهة الأخطار التى تصيب الإنسان من جراء الإفراط فى تناول الغذاء ، والسىء من عاداته الأخرى مثل التدخين ، وعدم الحركة والانفعال المستمر وغير ذلك ..

الخير فى الصيام

إن الصيام يستطيع على مدى شهر كامل مع اتباع سنن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يصلح هذا الاختلال بين عناصر الغذاء وطريقة الاستفادة منها داخل الجسم ، بل وثبت علمياً بالتجربة أن حجم المعدة والأمعاء المتمدد للشخص البدين يتقلص باتباع الصيام إلى ما يقرب من الثلث ، الأمر الذى يوفر على المريض مشقة التعرض لعمليات جراحية يتم فيها استئصال جزء من المعدة أو الأمعاء .

ولقد وجدت علاقة اكيدة بين التحسن الطارىء على المرضى والصيام متمثلاً فى الحالات التالية اذكرها كمثال لا حصر .. لأن ما خفى منها اكبر مما نعلم فى هذا الصدد .. واهم هذه الأمراض هى :

١ ـ أمراض القوباء الجلدية والصدفية والثآليل المزمنة والثعلبة والتهابات الملتحمة فى العين (الغير حقانية) .

٢ ـ امراض التحور الغذائى مثل التحور الدهنى والتحور المخاطى والتقرح المعوى وتمدد المستقيم الحاد والمزمن ... الخ .

٣ ـ الازما التنفسية بأنواعها المتعددة ما لم تكن التهابية ، وتمدد الشعب المزمن والحاد والرشح البللورى الجاف والمائى والدموى (إذا خرج المريض من المرحلة الحادة) وجميع أنواع السعال المزمن (لانقطاع السبب) ما لم يكن ناتجاً عن ورم أو مرض يجب علاجه بالصورة التى يراها الطبيب المخلص الأمين .

٤ ـ الالتهابات الروماتزمية وضغط الدم المرتفع ، (غير الكلوى أو الجراحى) وضيق الشرايين وتصلبها كما يستفيد من الصوم مرضى القصور التاجى إذا وضعوا تحت إشراف طبيب متخصص ..

٥ ـ ضعف العضلات المزمن والمتزايد Chronic Progressive Myopathy وبعض انواع (الروماتويد) المفصلى الحاد والمزمن وبعض أمراض التحول الكولامينى مثل اللويس Lupus والتهاب الغضاريف التحولى Degenera Tive chondritis فى العمود الفقرى أو فى اى مكان أخر من الجسم .[٦]

وبعد .. فهذا قليل من كثير .. وغيض من فيض .. وما علينا إلا البحث وراء حكمة الصوم .. فسنجد عجباً .

وصدق الله العظيم فى قوله

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

« صدق الله العظيم »

وفقنا الله إلى كل صواب .. وهدانا سواء السبيل .

(٦) دكتور ويليام .. الجرعات الغذائية . الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٥ . (عن مجلة التغذية السريرية الأمريكية) عن كارانت ١٩٨٦ صـ ٨٢٣ .. الطبعة الهندية المعدلة .

جدول المراجع العربية ..

١ ـ القرآن الكريم ..

٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ... (طبعة مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .) محمد فؤاد عبدالباقي .

٣ ـ الطب النبوى .. ابن قيم الجوزيه تحقيق الدكتور عبدالمعطى امين قليحى دار التراث .. مصر الطبعة الأولى رمضان ١٣٩٨ ـ اغسطس ١٩٧٨ .

٤ ـ رياض الصالحين / محيى الدين النووى / توزيع دار ابن زهران القاهرة (بدون تاريخ) .

٥ ـ مجموعة مقالات للكاتب فى دراسات مشابهة قدمت فى برنامج شفاء للناس من التاريخ ١٩٧٩ / ١٩٨٤ . تسجيلات إذاعة القرآن الكريم . مصر

٦ ـ دراسات لعلماء التغذية والعلوم الحيوية والاطباء نشرت فى مجلات العرب الكويتية والدوحة القطرية وعالم المعرفة الكويتية (مراجع متعددة) ذكرت فى الهوامش .

٧ ـ دراسات رمضانية (مجموعة مقالات للأساتذة والدكاترة د . عبد المنعم النمر ، د . محمد المنسى قنديل ، وحسن فريد أبو غزالة ، والدكتور صلاح بركات) .

المراجع الأجنبية :

1 - Current Medical diagnosis treatment 13th edition- [1986] .
2 - Metabolism [physiology Post graduates] Cali Farnia) Amirica
Dr. Hasan Hamdi Ebrahim جامعة القاهرة . الطبعة الثالثة ١٩٨٤ .
3- Regional Anatomy [J.W Smith & others] نيويورك ١٩٨٣ .
4- Zollinger and son [Surgeny] الطبعة الخامسة . لندن (إعادة طبع) .
5- Chimical nutvition 1983 [Amirica] groupe writers.
6- Biochemistry department ALAZHR Faculty of Medcine [group of Doctorial studies] superision prof. Algammal & others.

- - - - - - - - - - - - -

(1) Ulcerative Colitis التهاب القولون التقرحى
(2) Oegenerative deseases الأمراض التحورية
(3) Progressive myopathy
(4) Degenerative chondnitis التهاب الغضاريف التحولى

أسمـــاء المـــراجع

1- Current Medical diagnosis and treatment califor nia America..
2- Metabolism.. Dr. Hasan Hamdy Cairo.
3- Regional anatomy [J.W. Smith and others] ١٩٨٣ نيويورك
4- Zollinger & Son [operative Surgery] 1984- London.
5- Clinical neutrition - 1983 - Amirica- group of writers.
6- Biochemistry - Department.

جامعة الأزهر .. كلية الطب .. مجموعة رسالات دكتوراه وماجستير .

من تاريخ الأزهر

ومدرسة القضاء

إلى عهد الإمام المراغي

هذه الدراسة شاقة وصعبة :

ويضيف الشيخ المراغى قائلاً فى مذكرته :

« لست أنسى أن هذه الدراسة التى أسلفت بيانها ، دراسة شاقة تحتاج إلى مجهود عظيم وتحتاج إلى رجال ... وتحتاج إلى مال يكافأ به العاملون .. ولكن سمو المطلب يحملنا على تذليل كل عقبة تقف فى طريقه ، ويوجب علينا السخاء والبذل ، لأننا نريد إصلاح أعز شىء على نفوس الجماهير ، ونريد بهذا الإصلاح تقويم هذه الأمة ونهوضها ، وليس من السهل أن يكلف شخص واحد بهذه الدراسة على اختلاف أنواعها ، بل من الواجب أن نفكر فى طريقة التقسيم ، وجعل الدراسة أقساماً وأنواعاً متميزة ..

ثم طالب فضيلته بإنشاء قسم للتعليم الرسمى ، وآخر للتعليم غير الرسمى عرف فيما بعد بـ « القسم العام » .

بينما الأول له نظمه الخاصة التى تتناول الطالب من بداية انتسابه إلى الأزهر حتى نهاية تعليمه العالى. ويكون الثانى مفتوحاً لكل راغب فى العلم غير مقيد بنظم فى السن أو الشهادات .

القسم الأول

ويضيف الشيخ المراغى مفصلاً القول :

« والقسم الأول تجعل درجات التعليم فيه ثلاثاً ، فيكون ثلاثة أقسام :

القسم الأوّلى : مدته خمس سنوات .

القسم الثانوى : مدته خمس سنوات .

والتعليم فى القسمين الأوّلى والثانوى يكون عاماً على مثال التعليم فى المدارس الأميرية ، ويعلم فيها كل ما يعلم فى المدارس الأميرية ما عدا اللغات . وتعلم فيهما علوم الأزهر ـ بالقدر المؤهل لدخول الأقسام العالية ـ تعليماً لا يكون قوامه حفظ الدروس ، وإنما يكون قوامه فهم العلم ، والمران على البحث والتدليل ، وتربية الملكات ...

« وقد يلاحظ أن المدة لا تحتمل تعليم علوم الأزهر ، وتعليم ما يدرس بالمدارس الأميرية . ويغلب أن يكون الطالب قد ألّم بكثير من المعلومات فى المدارس الأولية ، وأن يكون حافظاً للقرآن الكريم . فاستعداده وسنه يسمحان بأن يحتمل هذا المقدار الذى يراد أن يعلمه .. على أن الشروط التى توضع لقبول التلاميذ فى القسم

الأولى كفيلة بإبعاد من لا يقوى على احتمال هذه الدراسة ..

التعليم العالى

وقد قسم هذا التعليم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : قسم اللغة ؛ والثانى : قسم الفقه ، والثالث : قسم الإرشاد والدعوة .

« ويجب أن يلاحظ أنى حيث أعرض لهذه الأقسام ، وحيث أبين ما يدرس فيها ، فإنى أضع رسماً إجمالياً قابلاً للتهذيب ، وأترك تفصيله إلى أن يحين وقت التفصيل ، فتؤلف له لجان فنية ..

المواد الدراسية فى هذه الأقسام الثلاثة

ويضيف الشيخ المراغى قائلاً عن المواد التى ينبغى أن تدرس فى كل قسم من الأقسام الثلاثة المذكورة :

« **أما القسم الأول** » : فتدرس فيه علوم اللغة من نحو وصرف ووضع ، وعلوم البلاغة وأدب اللغة العربية ، وتاريخ الآداب ، وعلم النفس والتربية ، ويعلم التلاميذ فيه بعض اللغات التى لها اتصال وثيق باللغة العربية ، ويدرس فيه الكتاب والسنة من حيث اتصال اللغة العربية بهما ومن حيث اتصالهما بآدابها .

« **وأما القسم الثانى** » : فيدرس فيه الكتاب والسنة دراسة مفصلة ، وبخاصة من ناحية الأحكام الفقهية ، ويدرس أصول الفقه ، وتقارن المذاهب الإسلامية بعضها ببعض مع عرض الأدلة ، ومع التعرض للترجيح من جهة الدليل والعرف والعادة ومن جهة المصالح العامة ، وتقارن المذاهب الإسلامية بالقواعد العامة فى أصول القوانين ، ويدرس تاريخ التشريع الإسلامى وما يلزم للقاضى والمحامى من نظم القضاء والإدارة وقوانين المرافعات .

« **وأما القسم الثالث** » : فيدرس فيه المنطق والتوحيد الإسلامى ، والأخلاق والفلسفة قديمها وحديثها ، وتاريخ الأديان والمذاهب ، مع مقارنتها بالدين الإسلامى ، ويدرس أدب اللغة والقرآن والسنة ، وبخاصة من ناحية طرق الهداية والإرشاد ..

لماذا تتعدد هذه المدارس وهى لنوع واحد من التعليم ؟!

ويدافع الشيخ المراغى فى مذكرته عن وجهة نظره فى توحيد التعليم فيقول :

« فى الدولة الآن مدارس متعددة لنوع واحد من التعليم : فيها دار العلوم لتعليم اللغة وفيها الأزهر وكل المعاهد لعلوم اللغة .. فيها مدرسة القضاء الشرعى للفقه ونظم القضاء ، وفيها الأزهر للفقه ونظم القضاء .. وفيها تجهيزية دار العلوم وبالأزهر أقسام تماثلها » ...

« تنفق الدولة على هذه المدارس جميعها ، ومن الممكن أن تقتصد فى هذه النفقات ، ومن الممكن أن تضم هذه النفقات بعضها إلى بعض ، وتوحد جهودها لتخرج أمثلة أحسن من هذه الأمثلة » ..

ويتكلم عن المشارب المختلفة التى شرب منها العلماء فيقول :

« فى الدولة أشكال مختلفة من العلماء ، تخرجوا فى مدارس مختلفة ، يحسد بعضهم بعضاً ، وينقم بعضهم على بعض .. ولهذا أثره فى إفساد الأخلاق » ...

ثم يرى الشيخ المراغى أن الحل للإصلاح هو إلغاء تجهيزية دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى فيقول :

« لم لا يحملنا هذا كله على التفكير فى توحيد الجهود ، وتوحيد النفقات ، ونجعل قسم اللغة منبع علماء اللغة لجميع مدارس الدولة والأزهر ، وتخصص فرقة من قسم الفقهاء لتحل محل مدرسة القضاء ، فتكون ينبوعاً للقضاة والمحامين والمفتين وتلغى تجهيزية دار العلوم والقضاء » ....

اعتراض لا محل له !!

ويحاول المراغى التغلب على بعض الاعتراضات فيقول :

« أول ما يعترضنا فى هذا أن مدرسة دار العلوم أنشئت للحاجة إليها ، وقد حققت الآمال فيها ، فأخرجت للدولة علماء أحيوا اللغة العربية وآدابها بعد أن كادت تدرس ، وكانوا من أهم الأسباب لنشر تلك اللغة وتحبيبها إلى الناس .. بينما الأزهر ضعف التعليم فيه ، وأصبح محلاً لشكوى الأمة وشكوى أهله أنفسهم . وليس من الحكمة ـ بناء على الآمال فى الأزهر ـ أن نميت مدرسة محققة الفائدة ، وكذلك الحال فى مدرسة القضاء » ...

« ولكن على الرغم من قوة هذه الحجة يمكننا التغلب عليها بمراعاة ما يأتى : قد كان الأزهر منفصلاً عن الحكومة فى الماضى انفصالاً تاماً ، فلم يكن له بها علاقة إلا بمبلغ يسير فى (الرزنامة) كان حقاً له عليها ، ولم يكن للحكومة إشراف عليه . وقد تبدل الحال ، فصارت ميزانية الأزهر الضخمة أكثرها من وزارة المالية ، وبعضها من وزارة الأوقاف ، وصار لرئيس الدولة حق الإشراف عليه ، وصار مسئولاً عنه أمام البرلمان ، وأصبح من اليسير على الأمة والحكومة أن تعرفا فيم تنفق الأموال ؟! وبأى شىء تشتغل المعاهد وعلى أى نحو تسير ؟..

« ثم إن اندماج دار العلوم والقضاء سيفضى حتماً إلى إدخال أساتذة المدرستين فى الأزهر ، وإلى وجود الصلة التامة بينهم وبين العلماء ، فهذه الصلة التى من شأنها أن توجد تماس الأفكار ، ستنتج نتائجها الحسنة فى إحسان الدراسة ، وستكون هناك عناصر قوية من رجال التعليم فى مجالس الإدارة والمجلس الأعلى ، وفى التفتيش على المعاهد .. وعلى الجملة ستوجد كل الضمانات التى تطمئن النفوس إلى أن المعاهد لا ترجع القهقرى » ...

« هذا الذى قلته ـ مضافاً إلى توحيد التعليم ، وتوحيد النفقات، وتجانس العلماء فى الدولة ـ من شأنه أن يحملنا على المضى فى هذا الطريق ..

مدرسة القضاء الشرعى قطعت الصلة ..!!

ويعلق الشيخ المراغى على نظام مدرسة القضاء وكيف قطع صلة طلابها بالكتب والمؤلفات القديمة التى مُلئت علماً غزيراً فيقول :

« ونختص مدرسة القضاء على نظامها الجديد بكلمة لابد لى من التصريح بها : لست أرجو

للقضاء الشرعى خيراً من هذه المدرسة على نظامها الجديد . وقد كان نظامها منذ أنشئت إلى سنة ١٩٢٣ م خيراً من هذا النظام الجديد* ..

« ذلك أننا حتى اليوم ليس لنا مراجع فى القضاء إلا تلك الكتب المقررة فى القرون الماضية ، وهى كتب معقدة ، لها طريقة خاصة فى التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية . وإنما يفهمها من مارسها ، ومرن على فهمها ، وعرف اصطلاح أهلها ، وأيضاً فإن العلوم الشرعية التى يحتاج إليها القاضى مشتبكة ، يستمد بعضها من بعض ، ولا غنى للفقيه عن تعرف علوم كثيرة ترتبط بالفقه » ..

« ونظام المدرسة الجديد قطع الصلة أو أضعفها بين تلاميذ مدرسة القضاء وبين الكتب القديمة ، فالتلاميذ الذين يتخرجون فى التجهيزية ، وينقلون إلى مدرسة القضاء ، ليس لهم من المؤهلات ما يعدهم لتفهم تلك الكتب ، وإلى هضم تلك المعلومات التى وضعت لهم فى البرامج » ..

رسل بين الكتب القديمة والحديثة بالأزهر

يقول الشيخ المراغى معلقاً :

« ولست أدافع الآن عن الكتب القديمة ، بل أرجو الله أن يمكننا من الاستغناء عنها بأحسن منها . وإنما أدافع عن الموجود الذى قضت الضرورة بوجوده ، فنحن بحاجة إلى رسل بين القديم والحديث ، وأولئك الرسل يجب أن تعلمهم القديم والحديث ليخرجوا للناس حديثاً جيداً . لابد لنا من علماء فيهم من القوة ما يستطيعون بها فهم تلك الكتب القديمة ، ومعرفة تلك الطرائق القديمة ، وفيهم من القوة ما يستطيعون معه تصوير ذلك فى أسلوب حديث .. ولذلك فإنه يجب أن يراعى فى النظام الجديد للأزهر عدم إهمال طرقه الأصلية فى البحث وفهم الكتاب » ..

« أما المدرسة على نظامها منذ أنشئت إلى سنة ١٩٢٣ م فإنها تستحق الثناء ، ولا أجد ما أعيبها به ، ولكن أستطيع أن أقول بأن تعهد الأزهر والمعاهد بالرقابة وحسن الإدارة ، يخرج للأمة مثل علماء تلك المدرسة أو أحسن منهم » ..

« وقد أشير فى لجنة إصلاح الأزهر سنة ١٩٢٤ إلى شىء من المقارنة بين القضاة خريجى الأزهر ، والقضاة خريجى المدرسة ، ويحسن الرجوع إليه لأنه يفيد فيما نحن بصدده ..

وخلاصة القول !!

« وخلاصة ما أسلفته أن تندمج تجهيزية دار العلوم ومدرسة القضاء ومدرسة دار العلوم فى المعاهد ، على أن توضع قواعد وقتية بهذه المدارس بالنسبة لتلاميذها الموجودين فيها الآن » ...

« أما امتيازاتهم فهى كما سيأتى :

« علماء اللغة العربية : يكونون أساتذة فى الأزهر والمعاهد الدينية وجميع مدارس الحكومة ومجالس المديريات » ..

« علماء الفقه : يكونون أساتذة العلوم الشرعية فى الأزهر والمعاهد الدينية وجميع مدارس الحكومة » ..

« علماء الإرشاد والدعوة : يكونون أساتذة فى الأزهر والمعاهد ، ويكونون خطباء وأئمة ووعاظاً ومرشدين » ..

←

« أما شهادة القسم الأولى فليس لها شيء من الحقوق إلا تأهيل صاحبها لدخول القسم الثانوى » ...

« أما شهادة القسم الثانوى : فتؤهل صاحبها للأقسام العالية ، وتؤهله لوظائف الكتابة فى المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية » .

« وقد ينظر بعد فى علاقة هذا القسم وبعض الأقسام العالية بالجامعة المصرية ، إذا أراد واحد من حاملى شهاداته دخول الجامعة المصرية فى بعض أقسامها » ...

سمعة الأزهر أهم فى الداخل والخارج

ويضيف الشيخ المراغى قائلا :

« وأمر آخر هو أن سلب الامتيازات القديمة التى كانت للأزهر من تخريج القضاة والمحامين وعلماء اللغة العربية يؤثر أمام الرأى العام داخل الدولة المصرية وخارجها فى الأقطار الأخرى على سمعة الأزهر والمعاهد . ومن واجب الدولة المصرية أن تحافظ على كرامة هذا المعهد القديم ، وأن ترد إليه مجده .. فإنه واسطة اتصال وثيق بين الأمة المصرية وغيرها من الأمم . وإذا أحسن استخدام هذه الواسطة عاد بفائدة أدبية ذات قيمة على الشعب المصرى » ...

« ومتى تم تنظيم الأزهر وأخذ مكانته ، فستعود إليه ثقة الأمم الإسلامية ، وتطلب منه علماء ومرشدين ، خصوصاً إذا درست فيه اللغات التى يحتاج إليها المرشد إذا ذهب إلى بلد من البلاد الإسلامية »..

« هذا هو مجمل رأيى فى إصلاح المعاهد الدينية والتعليم ، أقدمه خالياً من التفاصيل حتى إذا ما صادف قبولاً ، واتفق على النقط الأساسية فيه .. أمكن أن نشرع فى تأليف اللجان الفنية التى تبحث أجزاء المشروع ، وأمكن بعد ذلك أن نرجع إلى القوانين لإصلاحها » ...

« وقبل أن أختم كلمتى هذه أشير إلى أنه من الممكن إيجاد كل الضمانات لحسن سير التعليم وذلك بتأليف مجالس الإدارة ، ومجلس الأزهر الأعلى على وجه تمثل فيه وزارة المعارف تمثيلاً قوياً ، وأن يكون قسم التفتيش على اللغة العربية والعلوم الحديثة مشتملاً على رجال يكون لوزارة المعارف رأى فى اختيارهم .

بل ويمكن أيضاً أن يكون لوزارة المعارف مندوبون لحضور الامتحانات .

لماذا استقال المراغى من مشيخة الأزهر ؟

يرجع بعض الباحثين استقالة الشيخ المراغى من مشيخة الأزهر إلى عدة أسباب منها : أن دوائر القصر لم ترحب بإشراف الحكومة على الأزهر .. وأن الحكومة تباطأت فى تنفيذ هذا المشروع الذى تضمنته مذكرة الشيخ المراغى التى ذكرنا بعض فقراتها ..

كذلك فإن بعض الأزهريين عارض فكرة تقسيم الدراسة العالية إلى عدة أقسام بحجة أن علوم القرآن يخدم بعضها بعضاً ، ويتمم بعضها بعضاً ، ويشترك بعضها مع بعض فى إعداد العالم الذى تتوافر فيه شروط الاجتهاد ..

وعلى كل حال فقد كانت هذه المذكرة ـ وما أثارته من ضجة كبرى فى مختلف الدوائر والأوساط ـ الأساس الذى قام عليه تنظيم الأزهر فيما بعد .

مدينة قرطبة

كيف كانت قمة الإسلام فى بلاد الأندلس

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

قرطبة مدينة عظيمة قديمة البنيان طيبة الماء والهواء احدقت بها البساتين والأشجار والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب ، وقد برزت إلى قمة الوجود فى بلاد الأندلس عصر حكم الأمير « عبدالرحمن الداخل » ابن معاوية بن هشام الأموى الملقب بصقر قريش اول امراء الدولة الأموية فى بلاد الأندلس ، وهى عاصمة الولاية الاندلسية المسماة بهذا الاسم فمنها كان توجيه دفة الأمور ، وشاركت عواصم العالم المتحضر ذاك الزمان فى السياسة والثقافة والعمارة وجميع مظاهر الحياة الحضارية ..

صارت مستقر الإمارة ثم مركز الخلافة وموطن الوزارة وكعبة الشعراء والأدباء وموئل أهل العلم ومقصد الطلاب ومورد العلوم والمعارف مما جعلها أعظم مدينة بالأندلس ، ولم يكن لها فى الغرب شبيه فى كثرة الأهل وسعة الرقعة وظرف اللباس ومظهر الدين والمواظبة على الصلاة .

موقع مدينة قرطبة :

تقع هذه المدينة على نهر الوادى الكبير بجبل « شقورة » وهو أعظم أنهار الأندلس ، وبها القنطرة التى هى إحدى غرائب الأرض فى الصنعة والإحكام ، أما جبل (شقورة) فهو سلسلة من الجبال الضخمة المغطاة بالغابات والمراعى وبعض النباتات والورود ، ومن المنحدرات والسفوح الشرقية لهذه الجبال ينبع نهر شقورة أو النهر الأبيض الذي يروى مدينة (مرسية) و(أوريولة) شرقى أسبانيا ويصب فى البحر الأبيض المتوسط [1] .

←

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية الجزء الرابع الاندلس الإسلامية تاليف الدكتور احمد شلبى ط الخامسة سنة ١٩٧٩ م مكتبة النهضة المصرية ص ٩٦ ، ٩٧ .

مدينة قرطبة

كيف تكلم الواصفون عن قرطبة :

(١) يصفها الحجارى وهو أحد علماء الأندلس وقتئذ بقوله : (كانت قرطبة فى الدولة المروانية قبة الإسلام ومجتمع علماء الأنام الأعلام ، فيها استقر سرير الخلافة المروانية ، وفيها تمخضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية ، وإليها كانت الرحلة فى رواية الشعر والشعراء ، إذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء ، ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب ، ويبارى فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتائب ، ولم تبرح ساحاتها مجرد عوالى ومحط معالى وحمى حقائق ، وهى من بلاد الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد والزور من الأسد) (٢) .

(٢) وقال عنها ابن الشباط : (قرطبة قاعدة الأندلس وأم المدائن ومستقر الخلافة ودار الإمارة ، كان فيها يعيش الخلفاء من بنى أمية وآثارهم بها ظاهرة ، وأبنيتهم فيها وفيما جاورها بيِّنة ، كثر بها العلم والعلماء ، واستقر بها النبلاء والفضلاء ، وصارت دار الهجرة للعلم ، ومكان الرحلة لأولى الفهم وكان من بها من الخلفاء يقيمون همم العلماء ، ويكبرون من يولونه خطة القضاء ، ويختارون للخطة أهليها ويوفونهم حقوقهم فيها ، فكان للقضاء بها المنزلة العالية والرتبة السامية ، وكان الخلفاء هناك مقادين لأحكامهم ، وأما الرعية فكانت على قدر كبير من علو الهمة واجتماع الكلمة ، وتجمعهم على الحقائق ، واتباعهم لأحسن الطرائق ؛ فصارت لهم بذلك النجدة والعزة وجازوا أعلى المنازل والرفعة ، وفى قرطبة الجامع المشهور أَمْرُهُ ، الشائع ذكره من أجمل مصانع الدنيا كبر مساحة وإحكام صناعة ، وجمال هيئة تَهَمَّمَ فيه الخلفاء من بنى أمية فزادوا فيه زيادة حتى بلغ الغاية فى الاتقان ، واستولى على أمد الإحسان فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف) (٣) .

قرطبة فى السياسة زمن الخليفة عبد الرحمن الملقب بالناصر :

عندما أهل عليها عصر ذلك الحاكم الأموى ازدهرت بلاد الأندلس ونافست قرطبة فى عظمتها عظمة القيروان وبغداد والقاهرة وبخارى ودمشق ، وأصبحت قبلة العلماء والشعراء والكتاب والفنانين ، كما جعلها عاصمة لدولة قوية عزيزة الجانب حتى ليمكن أن يقال : إن قرطبة لم تكن فى عهد من عهودها أغنى ولا أكثر ازدهاراً فى أى وقت مما كانت عليه فى عهد الناصر ، فلقد كانت أشبه ما تكون بالعاصمة الكبرى فى بلاد الأندلس .

وكيف لا يكون ذلك وحاكمها المشار إليه أعلن نفسه أميراً للمؤمنين وأصدر وثيقة رسمية بذلك فى أوائل ذى الحجة سنة ٣١٦ هجرية ، ومن يومئذ تسمى (بأمير المؤمنين الناصر لدين الله) ، فكان بهذا الصنيع أول أمير من بنى أمية بالأندلس ينعت بإمارة المؤمنين ، وبدأت الدعوة بذلك ولمن أتى بعده من بنى مروان .

وغدا أمير المؤمنين القائم فى قرطبة يمثل سلطانُهُ السياسي سلطانَ المسلمين والإسلام فى الغرب الإسلامى ، فوفدت عليه السفارات

---

(٢) كتاب أقضية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تأليف الإمام المحدث أبى عبدالله محمد بن فرج المالكى المعروف بابن الطلاع ص ٥١ ط نهضة مصر سنة ١٩٧٨ م .

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية الجزء الرابع المرجع السابق .

الأوروبية تلتمس المفاوضة فى شتى الشئون الثقافية والتجارية والسياسية ، وكانت الأبهة والترف تبهران سفراء الدول مما جعلهم يتحدثون بذلك وينقلونه إلى حكام بلادهم .(٤)

القوة الحربية لقرطبة :

يذكر العلامة ابن خلدون فى مقدمته : أن أسطول الأندلس فى عهد (الخليفة : عبدالرحمن الناصر) قد وصل إلى مائتى سفينة أو نحوها وقد أخذ هذا الأسطول الحربى يسدد ضرباته إلى ممتلكات الفاطميين فى بلاد المغرب رداً على غارات أساطيلهم التى كانت تعيث فساداً على سواحل الأندلس ، وعندما تولى الإمارة الخليفة الحكم الأموى اعد أسطولاً من ستمائة سفينة حاصر به حصن القَبْطَة من حصون المُرْية لما ظهر المجوس على الساحل الشرقى للأندلس وهم قوم من البلاد الاسكندنافية على شىء من التوحش لا مدنية لهم يركبون مراكب صغيرة ذات أشرعة سوداء يهجمون على السكان كالجراد يقتلون وينهبون ويحرقون المساكن .(٥)

الحالـــة الاقتصاديــة :

صارت أسبانيا الإسلامية ـ وليست قرطبة فقط ـ فى عهد بنى امية أغنى بقعة فى أوروبا ، وأكثرها ازدحاماً بالسكان ؛ ولذلك اهتمت حكومة قرطبة بالسياسة الإنتاجية اهتمامها بالمسائل السياسية والحربية :ـ

(١) فقد عنيت بالزراعة وشقت من أجل ذلك الترع وحفرت القنوات وجلبت إلى الأندلس كثيراً من الأشجار والثمار التى لم تكن معروفة من قبل فى تلك البلاد مثل الأرز وقصب السكر والكروم . واشتهرت بذلك مدينة (مرسية) و(فالينيثيا) ، و(غرناطة) فى أماكن الخصب .

(٢) كما انتعشت الصناعة بعد أن عملت الحكومة على الكشف عن مناجم الذهب والفضة والحديد وكثير من المعادن الأخرى ، واشتهر بذلك من المدن (جيان) ، و(الجِـرْب) ، و(باجه) ، و(مالقه) .

(٣) وعن صناعة الحرير والصوف فقد اشتُهرت بها قرطبة ومالقة و(المرية) .

(٤) أما ورق الكتابة فقد اشتهرت بصناعته مدينة (كونيكا) .

(٥) واشتهـرت مدينـة (طليطلـة) ، و(قرطبة) بصناعة الأسلحة .(٦)

---

(٤) كتاب قرطبة فى التاريخ الإسلامى تأليف الدكتور جودة هلال ومحمد محمود صبح طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر اول نوفمبر سنة ١٩٦٢ م .

(٥) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية الجزء الرابع المرجع السابق .

(٦) كتاب قرطبة فى التاريخ الإسلامى . المرجع السابق .

الفتاوى

قضاء رمضان

س ١ : شخص مرض وطال به المرض لمدة عامين ، لم يصم فيهما شهر رمضان ، ثم توفى إلى رحمة الله . فهل يصوم بعض اولاده أم لا ؟
جمال محمود

جـ ١ : يجوز قضاء الصوم عنه ، عند الإمام احمد - خلافاً للجمهور جاء فى سنن ابن ماجه باب من مات وعليه صيام - عن النبى ﷺ - فى رده على الخثعمية فى قولها : إن اختى ماتت وعليها صيام شهرين متتابعين .

قال : «أرأيت لو كان على أختك دين اكنت تقضينه .. قالت بلى . قال فحق الله أحق» .

حكم الإعلان عن الأشياء فى المسجد

س ٢ : ما حكم الإعلان فى المسجد عن محصل الكهرباء ، والأطفال الغائبين - والنوم فى المسجد .

س - غانم

جـ ٢ : الأصل الا يعلن فى المسجد عن عمل من أعمال الحياة ما لم يوجد حاجة ملحة تتعلق بمصالح المسلمين وفى أضيق الحدود .

اما النوم فى المسجد فإنه مكروه لاحتمال خروج روائح كريهة .

قيمة العقيقة - تعليق الصور

ذبائح أهل الكتاب

س ٣ : أ - شاب رزقه الله بمولود فى امريكا حيث يقيم هناك ويريد ان يعمل له عقيقة ولم يجد فقراء فى المكان الذى يقيم فيه فهل يرسل قيمتها لفقراء بلده .

ب - ما حكم اكل اللحوم المذبوحة فى امريكا .

جـ - ما حكم تعليق الصور التذكارية على الحائط ..

احمد يوسف

جـ ٣ : أ - لا مانع شرعا من إرسال قيمة العقيقة إلى فقراء بلدك .

ب - أباح الله للمسلمين أن ياكلوا من ذبيحة اهل الكتاب (النصارى واليهود) قال تعالى : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ الآية .

جـ - لا مانع من تعليق الصور التذكارية بشرط الا تكون فاتنة .

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
علي حامد عبد الرحيم

حقوق المطلقة قبل الدخول

س ٤ : ما حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول بها ، علما بأن الزوج دفع المهر وقدم لها شبكة ذهبية قيمة . فما الحكم ؟

موسى محمد

جـ ٤ : حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول هي : نصف المهر جميعه مقدمه ومؤخره ، وكذلك نصف الشبكة لأنها جزء من المهر ، كما تستحق نفقة زوجية من تاريخ العقد عليها إلى تاريخ الطلاق .

كيفية الدعاء بعد الصلاة

س ٥ : هل كان الرسول ﷺ أو الخلفاء الراشدون يأتون بالتسبيح والدعاء بعد الانتهاء من الصلاة جهراً ، أم سراً ؟

السيد رمضان/ البياضي جرجا

جـ ٥ : قال الله تعالى :﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾« ـ ٢٠٥ الأعراف ».

وروى مسلم عن أبي موسى قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر ـ وفي رواية في غزاة ـ فجعل الناس يجهرون بالتكبير ـ وفي رواية ـ فجعل رجل كلما علا ثنية قال : لا إله إلا الله ـ فقال رسول الله ﷺ : «أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، إنكم لستم تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير .

وفي رواية لهما ـ عنه أيضاً ـ أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ وإزاء هذه النصوص ـ فإن من العلماء من قال لا بأس بالجهر بالذكر عقب الصلوات بناء على ما رواه ابن عباس ، ومنهم من قال بكراهته بناء على الآية الكريمة وما رواه أبو موسى .

ومن العلماء من اختار للإمام والمأموم أن يذكر الله تعالى بعد الفراغ من المكتوبة ويخفيا ذلك ـ إلا أن يكون إماماً يريد أن يُتعلم منه فيجهر حتى يعلم أن المأموم قد تعلم منه ثم يُسِر ، وحمل الحديث على هذا منعا للتشويش على المصلين ، وعونا على الإخلاص وعدم الرياء .

والله أعلم

من أعلام الأزهر

عبد الرحمن البرقوقي

٢

كانت بواكير النهضة الأدبية التى تزعمها الإمام محمد عبده ، تؤذن بنشاط متعدد الجبهات ، حيث انطلق تلاميذه فى توثب طافر إلى ميادين تتشعب وتختلف ، وإذا كان التخصص الدقيق مما يحدد المجرى العلمى لدى الباحث المتخصص ، فإن مرحلة هذا التخصص المثالى لم تكن آذنت بعد ، لذلك نجد أديباً مثل الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى يهيم بالبحث الدائب ، ويتطلع إلى اجتناء ثمار الثقافة من شتى الغصون ، بحيث لا يقتصر على طعام واحد ، فهو يكتب المقالة الأدبية ، ويعالج القصة الفنية ، ويشرح الدواوين الشعرية ، وينشر المخطوطات المتآكلة ، وينشىء المجلة الراقية ، وهذه الاتجاهات المتشعبة ترضى حاجة القارىء فى بعض دون بعض ، لأن المواهب البشرية محدودة ، ولن يدعى أحد السبق فى كل اتجاه إلا إذا أصيب بالغرور ، وأذكر أن كاتبا من كبار الكتاب ، ومن أقطاب مجلة البيان بالذات ، وهو الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، لم يفته تشتت الاتجاه الأدبى فى عهده ، ونظر إليه نظرة الناقد المتفرس ، وكان مما قال فى تعليله : « إننا وجدنا صحراء تمتد إلى آلاف الأميال ، وهى فى حاجة إلى أن نبحث عن عيونها المخبوءة فى الباطن السحيق لتمدنا بالماء ، ثم إلى أن نلقى شتى الغراس من كل صنف ، فإذا أفلح صنف على يد غارس ، فالصنف الثانى يفلح على يد سواه » ، هذا ما أتذكره الآن من كلام المازنى بمعناه لا بلفظه ، لأنى لم أعثر على المصدر الذى طالعته منذ مدى بعيد ، والاستئناس به ضرورى فى هذا المجال ..

أجل ، لقد كتب البرقوقى المقالة الأدبية فى اللواء والمؤيد ، ثم فى صحيفة البيان ، وللرجل طابعه الفنى الذى ينطق بخصائصه الأسلوبية ، بحيث يستطيع الدارس أن يعرف نتاجه دون توقيع ، وقد تجلى هذا الطابع بعد أن استحصد قلمه ، واستوى على سوقه لأنه قبل إنشاء مجلة البيان كان يميل إلى نهج « مدرسة عبد الله فكرى » فى اصطناع المنحى الفنى لأسلوب المقامات الذى احتذاه حفنى ناصف ، ومحمد توفيق البكرى ومحمد المويلحى ووالده إبراهيم ،

أ. د. محمد رجب البيومي

وأضرابهم من ذوى الافتتان البديعى ، فلما ظهر الإمام محمد عبده فى مرحلته الأخيرة بأسلوبه الجزل المرسل ، وبتدفقه السمح المستوعب ، كان للمقال اتجاه آخر ، لا سيما والصحف اليومية التى تطلع على القراء كل صباح لا تحتمل صراع التنميق بين المعانى والألفاظ ، وكتاب المعانى من أمثال : أحمد فتحى زغلول وعلى يوسف ومحمد مسعود يبدعون فى نسقهم المسترسل دون قيد ، فانتصر الأسلوب (الخلدونى) الذى انتحاه صاحب المقدمة على الأسلوب البيانى الذى انتحاه بديع الزمان ، وجاءت مجلة البيان بأعلامها الطامحين لتسير فى هذا المجال سير الموفق المسدد ، دون أن تهمل واجب الرصانة المتماسكة ، والوضوح الكاشف ، ومع اهتمام البرقوقى بالبيان الجاحظى ، فإنه ساير أصحابه فى الانطلاق السابح دون قيد ، أقول ذلك لأؤكد أن أكثر مقالات البيان التى تُركت دون توقيع هى من نتاج البرقوقى ، ولم يكتبها أحد سواه ، وأرد بذلك على ما ذكره الأستاذ « محمد سعيد العريان » فى كتاب (حياة الرافعى) حيث جزم بأن الرافعى هو الذى كان يكتب أكثر مالم يوقع فى مجلة البيان[1] . وقد فات الأستاذ العريان أن الرافعى هو الرافعى ، وأن أسلوبه الفذ المنقطع النظير فى فحولته الآسرة لا يمكن أن ينتسب إلى سواه ، لا فى البيان الأدبى وحده ، بل فى البحث العلمى ، فأنت تقرأ تاريخ الأدب بأجزائه الثلاثة فتعرف منحى الرافعى البيانى ، كما تعرفه فى وحى القلم بأجزائه الثلاثة أيضا ، فمن الظلم للبرقوقى أن نسلبه حقه دون دليل ، بل من

الشيخ عبد الرحمن البرقوقي

الظلم كل الظلم لهذا المناضل المستشهد أن نسلبه هذا الحق مع قيام الدليل كوضح النهار !!

ولكى نوجز تراث البرقوقى فإننا نشير أول ما نشير إلى شرحه لكتاب (التلخيص) للقزوينى ، حيث حازى الإمام فى الاهتمام بكتب البلاغة ودعاه احتفاء محمد عبده بكتابى أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز أن يبحث عن سواهما ، فكان كتاب القزوينى وجهته المرموقة فاهتم بشرحه شرحاً متقنا ، وظهر عمله البارع سنة ١٩٠٤ مصدراً بكلمة قيمة للإمام محمد عبده قال فيها[2] :

شرحه [التلخيص] كثير من الناظرين فى الفن ، وتعلق الأغلب بألفاظه ، ولم ينظروا الغاية

١ ـ حياة الرافعى للأستاذ العريان ص ٣٢٤ .

٢ ـ التلخيص بشرح البرقوقى ص ٢٠ .

من وضعه ، فصرفوا الوقت فيه ، وخانتهم البلاغة نفسها بجميع مقاصدها ، فلاهم يحسنون إذا كتبوا ، ولاهم يقنعون إذا خطبوا .

ثم شرحه البرقوقي واطلعت على نموذج من شرحه فوجدته كافياً فى تبين معنى ما فى الكتاب ، موجها نظر الناظر فيه إلى ماقصد منه ، ولا حاجة بالسائر إلى الغاية من الفن إلى أكثر مما جاء فيه ، وإنما الواجب عليه تحصيل الملكة بالعمل ، ومزاولة كلام البلغاء وأسأل الله أن ينفع بهذا الشرح مطالعه ، ويستفيد منه مراجعه .

أما الحكم العلمى الدقيق على شرح البرقوقى للتلخيص فقد سجله « الدكتور أحمد مطلوب » فى كتابه الضخم (القزوينى وشروح التلخيص) حين قال :

وطريقة البرقوقى فى الشرح هى أن يذكر معانى المفردات الغامضة ، ويكمل بعض نصوص القزوينى فى التلخيص من كتابه الإيضاح أو كتب البلاغة الأخرى ، وينقل بعض النصوص من كتابى عبد القاهر ومن الكشاف للزمخشرى ، والمثل السائر لابن الأثير ، ومفتاح العلوم للسكاكى ، وقد أجاد الشارح ، ويمكن أن يعتبر هذا الشرح وحده كتاباً فى البلاغة لما فيه من إضافات وفوائد جمة ، وقد أعيد طبع الكتاب سنة ١٩٣٢ ، ومايزال التعويل على هذه الطبعة فى دراسة التلخيص وقراءته[٣] .

وازيد على ما ذكر الدكتور احمد مطلوب فأقرر :

أن الكتاب تعددت طبعاته بعد الطبعة التى أشار إليها ، إذ احتكرت طبعه إحدى دور النشر بلبنان فوالت إصداره على فترات ، ولاقى من قبول الدارسين ، مالا مزيد عليه وضج ورثة البرقوقى دون أن يحصلوا على كسب ما ، وعلى الذين يؤرخون للازدهار البلاغى المعاصر أن يعرفوا للبرقوقى مكانه العلمى ، إذ لم أجد من أشار إليه فى هذا النطاق غير الدكتور أحمد مطلوب ، مع ذيوع الشرح ، وتقديمه بكلمة الأستاذ الإمام ، بل إن الأستاذ أحمد مصطفى المراغى حشد فى مؤلفه عن تاريخ البلاغة وأعلامها أناساً لم يبلغوا مبلغ البرقوقى بحيث كان تآليفهم مدرسياً هامشياً ، ثم نسى الشارح الرائد ! وكأنه لم يكن الثانى بعد الأستاذ الإمام !!

كان البرقوقى وثيق الصلة بالعالم اللغوى الكبير الشيخ إبراهيم اليازجى ، وللأخير شغف بالتراث الأدبى ، وهمة فى إحيائه وقد وقعت فى يده نسخة خطية لرسالة الغفران التى ألفها المعرى ، ولم تكن ذائعة بين الناس ، فأعجب بها ، وأشار على (أمين هندية) صاحب المطبعة الشهيرة فى عصره بضرورة نشرها ! ولكن النسخة مليئة بالأخطاء الكتابية ، وتحتاج إلى محقق يراجع النص ، ويصححه ويستقرىء دواوين الشعر ، ليمنع التحريف والتصحيف ، ويعيد النص إلى أصله قدر الإمكان ، وليس لدى اليازجى من الوقت مايتيح له تحقيق رسالة الغفران ، فأشار على البرقوقى أن ينهض بهذا العبء ، فى وقت لم يكن للمحقق فيه أدنى مغنم ، وقد صدع البرقوقى بأمر أستاذه ، وقضى بلاء كاربا فى تحقيق النسخة المتآكلة حتى استطاع أن يخرج منها شيئاً جيداً يفيد ، وأقول شيئاً جيداً يفيد ، لأن مخطوطات أخرى قد ظهرت لرسالة الغفران فأضاءت بعض الجوانب الخافية ،

٣ - القزوينى ، وشروح التلخيص للدكتور احمد مطلوب ص ١٧٣ .

وتوالى المحققون بعد البرقوقى فأكملوا الشوط دون أن يشيروا إلى جهده ، وهو الذى قد مهد الأرض ونزع الشوك ، وفتت الصخر ، وسقى الماء !

وكذلك فعل البرقوقى بديوان البحترى لأن الطبعة التى قدمها أمين هندية فى جزءين كبيرين ، قد كتب فى صفحتها الأولى أن الذى أشرف على نشرها البرقوقى ! وتهيئة ديوان كبير كديوان البحترى للنشر من مخطوطة متآكلة ، عمل ممتاز يجب أن ينصب له الميزان ، فأقل تحريف فى البيت يعبث بمعناه وبمبناه ، ولابد من الرجوع إلى ما نشر من كتب التراث لمراجعة ما جاء بها من شعر البحترى ومضاهاته ! بل لابد من الاحتيال على إقامة وزن البيت ، إذا كتبه الناسخ مكسوراً ، وتعثر الحصول على نسخة أخرى ترأب الصدع ! ذلك جهد فادح قام به البرقوقى ، وجاء بعده من تسلم الديوان لينقله ، ولم يزد غير ضبط بعض الكلمات ضبطا نحويا ، حتى هيأ الله للديوان محققاً ممتازاً هو المرحوم الأستاذ حسن كامل الصيرفى فأخرجه أبدع إخراج فى خمسة أجزاء كبار ! ولم ينس أن يشير إلى صنيع البرقوقى ص ٣٠ من المقدمة ، وأنه نقل عن مخطوط لا عن مطبوع سابق !

أما التحقيق العلمى والشرح الأدبى الممتازان حقا ، فقد ظهرا فيما قام به البرقوقى نحو ديوانى حسان بن ثابت وأبى الطيب المتنبى ، ولم يسبق لديوان حسان شرح ما ، فعكف البرقوقى على شرحه وتحقيقه ، وإضافة مالم يضم إلى الديوان مما عثر عليه فى كتب التراث .

وقد لاحظت أن الشارح قد عنى نفسه فى التدقيق اللغوى ، والاستطراد العلمى ، وكان فى الإيجاز مايبلغ حاجة القارىء الفاحص ، ولكن عبد الرحمن أراد أن يحاكى صنيع المرزوقى والتبريزى والعكبرى والواحدى ، من شراح الدواوين ، فيعالج شئوناً من اللغة والنحو والبيان ، تضىء مناحى الإبداع الفنى للشاعر ، وتفيد القارىء المطمئن ، وفيما ما رواه من شعر حسان ما لاير تفع فى رايى إلى طبقته ، وكان عليه أن يشير إلى أن بعض مانسب إلى حسان مما يشك فيه ، لأن بعض الأبيات الركيكة التى نسبت إليه فى رثاء محمد ﷺ يدل نظمها المتهافت على أنها منحولة ، ولن يقول قائل إن العجلة قد جنت عليها ؛ لأن حساناً كان يرتجل الشعر حين يدعوه الرسول ﷺ للقول ، فلا ينخفض فى الارتجال ! وقد يكون من عذر البرقوقى أنه ناشر لا دارس ، ولكل منحاه !

وإذا كان ديوان المتنبى قد حظى بشروح كثيرة ، فلماذا أقدم البرقوقى على شرحه ، ذلك سؤال استشعره الشارح الكبير فأخذ يسرد الشروح السابقة ليعلن أن المتداول منها ـ لعهده ـ ماكتبه العكبرى والواحدى واليازجى .

أما الواحدى فقد طبع شرحه بأوربا والهند ولم يسهل تداوله فى البلاد العربية ، وهو فى ترتيب الأبيات متفق مع شرح العكبرى حيث يتخلل البيت الشرح ، فلا يستطع القارىء أن يتلو القصيدة مجموعة منتظمة دون عائق مرهق ، هذا إلى التحريف الشائن فى كل صفحة ، مع قصور فى بعض المواقف عن تأدية ما يجب من التوضيح .

وإذا كان اليازجى قد ذكر فى المقدمة أن شرحه سيد الشروح إذ طبق المفصل وأصاب مقطع الحق ، وأوفى على الغاية فإن الواقع غير ذلك ، لأن القسم الذى شرحه الشيخ ناصيف قد اقتصر على شرح المفردات دون التعرض للمعنى العام ، أما القسم الذى ←

شرحه ولده إبراهيم، فلم يسلم من الغموض، إذ ترك من الأبيات ما ظن معناه مفهوماً ! وقد يكون مفهوماً لديه وهو عالم مكين ! ولكن اين حق القارىء ؟

هذا وقد اعترف البرقوقي أنه فحص هذه الشروح جميعها وأضاف إليها ما عثر عليه من شروح ابن جنى وابن القطاع وابن وكيع والتبريزي والعروضي والإفليلي، وفي هؤلاء من لم يشرح الديوان كاملا، ولكنه التفت إلى ابيات معينة لم يفت البرقوقي أن يقف على ما قيل بصددها، وإذا كان قد اعترف بأن هؤلاء على فضلهم الواسع جمعوا بين الحسنات والسيئات، وبين السداد والهفوات، فإنه قد اعترف على نفسه اعترافا شجاعا حين قال[4].

« وقد وجدت ذلك من نفسي، مع أن الطريق معبد والمادة متوافرة [في الشروح السابقة] فقد اكون في بعض الأوقات مستجماً نشيطاً مهزوزاً، مرهف لطبع، مصقول الذهن منبسط النفس فأشرح ما أشرح من قوافي المتنبي فآتي بما أرضى به عن نفسي، ويعروني له من الطرب ما يستخفني، واكون في أوقات أخرى منقبض النفس، مغلق الذهن، قدماً بليداً، لا اكاد اذهن شيئا، واكون مضطرا إلى العمل، فاشرح وأنا على هذه الحال بعض الأبيات، ثم أعود في وقت أكون فيه على جمام من نفسي إلى ما شرحت، فأدهش، كيف يكون هذا من رجل له بقية من فهم، وأتهم نفسي، حتى لا اكاد اصدق أن شيئا من هذا ندَّ به القلم ».

هذا وقد أصاب البرقوقي شاكلة الصواب حين قال عن شرحه « فلا يلقين في روعك أنه بدع في الشروح، وأنه شيء مبتكر جديد، وهل غادر الشعراء من متردم، وإنما مزية هذا الشرح أنه تلاقت فيه كل الشروح بعد شيء من التهذيب والتنقيح والتحوير، وبذلك توافر فيه مالم يتوافر لأي شرح من شروح المتنبي على حدته، فليس يغني عنه، ولكنه بحمد الله يغني عن سائر الشروح فهو كما يقول أبو الطيب :

يدل بمعنى واحد كل فاخر
وقد جمع الرحمن فيه المعانيا[5]

وكان من عادته بعد أن فرغ من إصدار البيان، أن يقضي كل يوم ساعتين في إعادة ما قراه من كتب التراث وتصفح ما طبع مما لم يقراه ليختار من طرائفها الأدبية ما يكون ملحاً نادرة تحفظ وتروى، حتى اجتمع له من هذه الفرائد الأنيقة ما يملأ عدة أجزاء نشر جزءين كبيرين منها تحت عنوان (الذخائر والعبقريات) في طبع جيد مشكول، وقد شرح غامض ألفاظه بما يسفر عن وجهه، كما قدم الجزء الثالث قبيل وفاته للطبع، وأنا لا أدري إذا كان قد ظهر ولم اقراه، أم أن يد الإهمال قد طوته، ولهذا النوع من المختارات الأدبية رسالته في الترويح النفسي، والإمتاع العقلي ودورانه على الألسنة في مجالس السمر، وأذكر أن أديب العربية الكبير الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي والى نماذج منه في سنوات متتالية بأعداد مجلة الرسالة تحت عنوان (نقل الأديب) كان لها صداها الرنان لدى القراء، وتساءل عنها الدكتور زكي مبارك مشوقا حين انقطعت بعض الوقت مستحثا صاحبها على الإتمام فاستجاب.

---

٤ ـ مقدمة الديوان ط ١٩٨٠ ص٩.

٥ ـ مقدمة الديوان ط ١٩٨٠ ص ١٦.

ومن هذا القبيل وإن انفرد بموضوع خاص ما كتبه البرقوقي في مؤلفه الكبير « دولة النساء » حيث جمع كل ما تجمل قراءته عن المرأة في أدب العرب من وصف لأخلاقها وأعمالها وأزيائها ، ونوادرها ، وما قيل في التشوق لها ، وما نهضت به كبريات العقائل من أمجاد ، وما قالته ذوات الموهبة من شعر وحكم ! وما بلغته من حظوة في المجتمع بادية « وحضراً » ، وإنما كان كتاب دولة النساء شبيهاً بمجموعة « الذخائر والعبقريات » حيث اكتفى صاحبه بالجمع والتنسيق ، دون النقد والتحليل ، إذ كان من همه أن يقدم للباحث الدارس ما يساعده على رسم الصورة الدقيقة للمرأة المسلمة ، كما تحدث عنها السابقون .

ولم نترك في هذا المجال الإلماح إلى كتابي البرقوقي ، (رحلة الفردوس) و(حضارة العرب في الأندلس) وقد بسطت الحديث عنهما في كتابي (دراسات أدبية)[٦] وقلت عن الفردوس ما ملخصه : أن البرقوقي وقع تحت تأثير ما كتبه المعري في رسالة الغفران فأراد أن يحاكيه بتأليف رحلة مماثلة لم تبلغ في إتقانها الفني مبلغ سابقتها ، ومن يبلغ منا مبلغ المعري في غوصه وافتنانه ؟ حسب البرقوقي أن جرى في غباره عدة أشواط ، وإذا كان أبو العلاء قد تحدث عمن سبقه من أعلام العربية فإن البرقوقي قد حادث في الفردوس أعلام النهضة الأدبية والسياسية ممن سبق إلى دار البقاء من معاصريه ، فقدمهم لقارئه محتفيا مكرما ، وقد طال حديثه بعض الشيء عن إمام العبد الشاعر الأسود الطريف فأتى عنه بما لم يسبق تدوينه ، فكان تخليداً لذكره ، وحمداً لمآثره .

أما كتاب (حضارة العرب في الأندلس) فاحتذاء أيضا لكتاب سابق ، خطه مؤلفه عن (حضارة الإسلام في دار السلام) ، وقد تضمن عشر رسائل كتبها مؤلفه « الأستاذ جميل نخلة المدور » على لسان رحالة فارسي تخيله يزور بعض بلاد الشرق ليصل إلى بغداد ويعيش في زمن المنصور والمهدي والهادي والرشيد مسجلاً روائع ما شاهد ومن شاهد ، أما البرقوقي فلم يشر إلى كتاب حضارة الإسلام في بغداد ، ولكنه وضع كتابه على نمطه ذاكراً أنه ألهم تسجيل ما يعلم من تاريخ الأندلس على لسان رحالة مصري يقوم من الأسكندرية وافداً إلى الأندلس في مركب لعبد الرّحمن الناصر ، واصفاً الرحلة منذ قيامها حتى بلغت غايتها . والبرقوقي عاشق كلف بتاريخ الأندلس ، وقد نفّس عن كَلَفه بما كتب .

واذكر أنه نشر بمجلة الرسالة بحوثاً ممتازة حقاً عن (الفتح بن خاقان) صاحب قلائد العقيان ، وعن (ابن بسام) صاحب كتاب الذخيرة وغيرهما من أعلام الأدب الأندلسي ، وقد قال في مقدمة حديثه عن الفتح : « إن لديه صفحات كثيرة عن أعلام الأندلس يحاول أن ينشر بعضها » ، ولا أدري مصير هذه الصفحات حيث لم تنشر الرسالة فيها غير القليل ، ومانشر يدل على ما ترك في غزارة مادته ، ووضوح تعبيره ، وسلامة منحاه !

هذا بعض ما يشير إلى فضل البرقوقي ، وقد اختاره سعد زغلول مراجعا أدبياً لمضابط البرلمان في مجلسي النواب والشيوخ تقديراً لأدبه ، فقضى في وظيفته حتى أحيل إلى المعاش ، وقد لقي ربه في سنة ١٩٤٤ تاركاً جميل الذكر ، ونابه الأثر ، ووافر الثناء ، عند الصفوة ممن يعرفون معادن الأصلاء ، ويحفظون أقدار العاملين ..

د . محمد رجب البيومي

---

٦ ـ دراسات أدبية جـ (١) للمؤلف ص ١١٠ وما بعدها .

بطاقـــة تعـــارف

تامل إدارة مجلة الأزهر ان يتفضل السادة كتاب المجلة ، أو من يرغب فى تزويدها بمقالاته أن يتفضل بنسخ بيانات التعارف التالية، وملئها ممهورة فى نهايتها بعبارة تفيد صحة البيانات ومسئولية السيد الكاتب عنها ثم توقيعه فى نهايتها ، يستوى فى ذلك حضرات الكتاب داخل جمهورية مصرأوخارجها .

والمجلة تود تزويدها بالمطلوب على ورقة عادية فى اقرب فرصة حتى يتم للمقال فرصة نشره :

١ ـ الاسم رباعياً شاملاً للشهرة أو اللقب[١] ...

٢ ـ تاريخ الميلاد ومكانه ...

٣ ـ عنوان الكاتب (محل الإقامة) ...

٤ ـ تليفون الكاتب او اقرب تليفون يتيسر معه الاتصال السريع به .

٥ ـ إجازات الكاتب العلمية (شهاداته)

٦ ـ تخصصه الدقيق .

٧ ـ جهة العمل وعنوان المكاتبة إليها .

٨ ـ مجال نشاطه فى الكتابة ، وميدان نشره فى الصحف والمجلات .

البيانات صحيحة وعلى مسئوليتى
التوقيع

---

(١) لا مانع لدى المجلة من نشر مقال الكاتب باسم الشهرة الذى يختاره مع احتفاظها ببطاقة التعريف به .

الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

يا قلب

في رثاء الشيخ مصطفى الطير

سوف تبقى حروفها مشرقات

ياقلب

للشاعر: مصطفى أحمد درديـر

ياقلب مالك بالجمالِ تَهيمُ   وهوى الحِسانِ الناعماتِ تَرومُ
وتطيرُ شوقاً للاحبةِ كُلمَّا   ذُكِرَتَهُمْ ، وعلى العهود تُقيمُ
وتقومُ فى ليل الدُمُوع مُسهَّداً   ماضَرَّ لو لِلّهِ كنتَ تقومُ

أقصِرْ فكلُّ مَوَدَّةٍ مَقْطوعةٌ   ستزولُ عنها ، او يَزولُ حَميمُ
ياقلبُ ما صفوُ الودادِ بدائم   كَلاَّ ، ولا وَصْلُ الحبيب يدومُ

كلُّ الحياةِ إلى الزوالِ وإنَّمَا   امْرٌ يُرادُ ومَوْعدٌ مَعْلومُ
ياقلب مالك لا يَرُدُّكَ واعِظٌ   قد جاء بالخبر اليقين حكيمُ

وأراك فى سُبُل الغَوايةِ سَادِراً   وَصِراطُ ربِّك واضح وقويمُ

مُتمادياً فى كل مُزدِيَة ، أغَرَّك أنَّ رَبَّكَ غافِرٌ   وكريمُ
وَآراك تُشْقِينى وتُزْدِينى فَيُخدقُ بى شقاء مُهْلِكٌ   وهمومُ
وتَعُبُّ لذَّاتِ الحياةِ وإنَّها   يَوْمَ القيامة لو عَلمتَ سُمُومُ
ولقد تَعَلَّمْتَ الكتابَ وسُنَّة الهادِى فَهلاَّ يَنْفَعُ   التعليمُ ؟
وَدَعَاكَ ربُّكَ للهُدَى والنور فاحْذَرْ أنْ يَقُودَك للهلاك   رجيمُ
واحْذَرْ جَهَنَّمَ إنها مَرْصُودةٌ   للمُجْرمينَ وظِلُّها يَحْمُومُ

وطَعَامُها ذو غُصَّة وشَرَابُها   يَشْوِى الوُجُوهَ وطَلعُها زَقُّومُ
واعْمَلْ لجنَّاتِ الخُلوُدِ فإنَّها   دارُ المُقَام رَحيقُها مَخْتومُ
فيهن خيرات حسان لَمْ يُمَسَّنَّ كَأنَهُنَّ اللُؤْلُؤُ   المنظومُ

وأسِرَّةٌ مرفوعةٌ ونَمَارِقٌ   مَصْفُوفةٌ وأطَايِبٌ ونَعِيمُ
واجْعَلْ هَواكَ مع النبىِّ مُحَمَّدٍ   فَهُوَ الحبيبُ الصادِقُ المَعْصُومُ
وَهُوَ الذى تُرْجَى مَوَدَّتُهُ لنا   وَهُوَ الذى بالمؤمنين رحيمُ

فى رثاء

فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

رحمه الله

للشاعر
أحمد قاسم أحمد

عز فى عالَمِ الحُمَاة مثيلُهْ … ذادَ عن ديننا الحنيف دليلُهْ
رب غِرٍّ اراد بالدين شرا … ضَلَّلَتْهُ عن الصواب مُيولُهْ
عاب ما لايعابُ زوراً وجهلاً … رام للبدر ان يحين افوله
هب للذود «مصطفى» فى ثبات … يرتضيه إلٰهُنَا ورسوله
دك بالمنطق السديد ادِّعاءً … لاذ بالخزى -بعده- من يقوله
وهْو كم صال فى النزال بقول … فاق فى الوقع مايُصِمُّ صليله
ذاك دين الإله.. حق وصدق … عَزَّ افرادُهُ وعز قبيله

***

ياجليل الرجال: ذاك قليل … من رثاء، وليس يغنى قليله
إن فى القلب لوعة تتلظى … اين منا اصطبارنا، وجميله
كم تمنيتُ ان تعيش طويلا … لجهاد فى الدين انت كفيله
لَكِنِ الشانُ ان يكون ممات … بعد عيش ولو يَعُزُّ طويلُهْ
مثلما تَمَّ مَقْدَمٌ ومجىء … كان للمرء ان يتم رحيله
انت فى «الخلد» فى نعيم مقيم … طاب هذا الجزا، وطاب سبيله

سوف تبقى حروفها مشرقات

شعر: أحمد محمود مبارك

أيُّهذا الموتورُ كم تتجنَّى ... وتبثُّ الحديثَ زُوراً ومَيْنا
إنما الضَّاد أحرفٌ خالدات ... قد حَبَاها الرحمنُ عِزاً وأمْنا
لغة أنزلَ الإلهُ بها القر ... آنَ نوراً فزادها النورُ شانا
سوف تبقى حروفُها مشرقات ... رغم مَنْ يدَّعى ومن يَتَجنَّى
سوف تبقى نبضاً يُضيء دمانا ... لِسَنَاهُ قلوبُنا تتَغنَّى
سوف تبقى لسانَنا حيث كُنَّا ... ورباطاً يشدُّنا إن نأيْنا
سوف تبقى نبعَ العلوم وروضاً ... لفنونٍ تُزهى جمالاً وحُسْنا
مِن نداها استمدت الألسنُ الأخـ ... ـرى علوما وفلسفات وفنا
وهْى تُعطى جُلَّ العطاءِ وليستْ ... تُعقِبُ الجوُدَ والعطيَّةَ - مَنَّا

★★★

أيُّهذا الموتورُ كلُّ هجومٍ ... قبلما يدنو من حِمَاها - سيفْنى
من قديمٍ والشَّرُّ يرنو إليها ... بعيونٍ تمورُ حِقْداً وضِغْنا
وهْى فى حصنها الإلهيِّ تحظى ... بسلام من الشرور وتَهْنا

★★★

أيهذا العميلُ. لا. لستَ مِنَّا ... أنتَ عينٌ للحاقدين علينا
قد كشفتَ القناعَ فاجْنِ وَبالاً ... واجْنِ عاراً - مدى الحياة - وشيْنا

قصة الثقوب في العُلوم الكونيّة

أ.د. أحمد فؤاد باشا

كلمة « الثُقب » ، وجمعها أثقب وثقوب ، وهى الترجمة العربية الشائعة للكلمة الأجنبية Hole التى أطلقها العلماء على تلك الظواهر ، وهى تعنى لغة : الخرق النافذ[1] ، ولكنها تأخذ في قاموس العلم معنى اصطلاحيا مستقلا يختلف من ظاهرة لأخرى ، فهناك الثُقب الأوزونى Ozone hole في احدى طبقات الغلاف الجوى ، والثقب الكهربى Elctirc hole في البناء الداخلي للمادة ، والثقب الأسود Black hole او الثقب الأبيض white hole في أعماق الفضاء الخارجي .

وسوف نعرض تباعاً لهذه الأنواع المختلفة من الثقوب الكونية بهدف التعرف على خصائصها العلمية وآثارها المستقبلية .

أولاً : الثقب الأوزونى والكيمياء الجوية :

من المعروف أن كل جزيىء من جزيئات غاز الأكسجين العادى الذى نتنفسه يتكون من ذرتى أكسجين . ويطلق عليه اسم « الأكسجين الجزيئى » Oxygen Molecular ، ويكتب رمزه الكيميائى على الصورة (أ٢) أو (O_2) . وعندما يتعرض هذا الغاز في الجو لتأثير الضوء المنبعث من الشمس فإن الأشعة فوق البنفسجية Ultraviolet radiation ذات الطول الموجى القصير « الأقل من ٢٤٢ نانومتر » تعمل على تفكيكه إلى ذرات طليقة مفردة تسمى الأكسجين الذرى Atomic oxyggn ، ورمزه (أ) أو (O) ويتميز بشدة فاعليته وميله الشديد للاتحاد مع جزيئات أخرى من الأكسجين العادى لتشكيل غاز الأوزون Ozone الذى يتكون كل جزء فيه من ثلاث ذرات أكسجين ، ورمزه هو (أ٣) أو (O_3) .

←

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة : ثقب ، ص ٤٩١ .

(٢) النانومتر وحدة قياس أطوال تساوى جزء من ألف مليون من المتر .

قصـــة الثقـــوب

من ناحية أخرى، يمكن لغاز الأوزون أن يمتص أشعة فوق بنفسجية ذات أطوال موجية معينة في المدى ما بين ٢٣٠ و٢٩٠ نانومتر[٢]، ويتفكك مرة ثانية إلى مركبتيه: الأكسجين الجزيئي العادي (أ$_٢$) والأكسجين الذري النشط (أ). ومن ثم يتحد الأخير مع جزئي أكسجين ليبدأ دورة جديدة من التفاعلات الكيميائية لبناء غاز الأوزون وتفككه في الجو. وعند توافر ظروف ثابتة تكون النتيجة الصافية لهذه التفاعلات تساوي سرعة بناء الأوزون وتفككه في ظروف ديناميكية مستقرة. وبهذا لا يكون تركيب غازات الجو قد تغير، كما لايمكن لمورد الأوزون أن ينضب طالما كانت هناك شمس تشرق وكان في الجو أكسجين يملأ الأرجاء.

ويزداد تركيز الأوزون في طبقة الغلاف الجوي المسماة باسمه، وهي «الأوزونو سفير» بين ارتفاعي ١٠، ٥٠ كيلومترا من سطح الأرض. وتعتبر هذه الطبقة بمثابة الدرع الواقي لاستمرار الحياة على الأرض وحمايتها من أخطار الأشعة فوق البنفسجية ذات الطاقة العالية لدرجة تكفي لتحطيم الجزئيات الأساسية للحياة مثل البروتين والأحماض النووية. كذلك تمتد آثار هذه الأشعة الضارة - إذا ما وصلت - لا قدر الله إلى الأرض فتؤدي إلى زيادة في سرطان الجلد والعين ونقص المناعة، كما يمكن أن تلحق أضراراً بالغة بالمحاصيل الزراعية والأحياء المائية. ولهذا السبب فزعت شعوب الأرض عندما كشفت الدراسات الحديثة عن وجود نقص في نسبة الأوزون المعتادة فوق منطقة القارة القطبية الجنوبية[٣]، وبالغوا في وصف الفجوة الأوزونية Ozone hole.

ورغم أن هذه الظاهرة تعتبر موسمية ومعزولة، فهي لا تحدث إلا خلال فصل ربيع

معادلات الكيمياء الجوية للأوزون

(أ) بناء الأوزون وتفككه في الجو:

أ$_٢$ + أشعة فوق بنفسجية ← أ + أ

أ + أ$_٢$ ← أ$_٣$ «الأوزون»

أ$_٣$ + أشعة فوق بنفسجية ← أ$_٢$ + أ

أ$_٣$ + أ ← أ$_٢$ + أ$_٢$

(ب) استنزاف الأوزون بواسطة أكاسيد النتروجين:

ن أ + أ$_٣$ ← ن أ$_٢$ + أ$_٢$ ←

ن أ$_٢$ + أ ← ن أ + أ$_٢$ ←

أ$_٣$ + أ ← أ$_٢$ + أ$_٢$ (النتيجة النهائية)

(جـ) استنزاف الأوزون بواسطة ذرات الكلور:

كل + أ$_٣$ ← كل أ + أ$_٢$

كل أ + أ ← كل + أ$_٢$

أ$_٣$ + أ ← أ$_٢$ + أ$_٢$ (النتيجة النهائية)

(د) معادلة الاتزان بين الأوزون والأكسجين: ٢ أ$_٣$ ← ٣ أ$_٢$

(٣) تمتد القارة القطبية الجنوبية التي تسمى عادة «أنتاركتيكا» Antarctica من القطب الجنوبي إلى الدائرة القطبية الجنوبية، وهي إحدى قارات الدنيا السبع. وتدعي كثير من الدول ملكيتها لبعض أجزاء هذه القارة التي تزيد مساحتها عن مساحة أي من أوربا أو استراليا. ولا توجد حياة في معظم أجزاء هذه القارة لأن الحيوانات والنباتات تعيش حول حوافها، ويختفي كل شيء تقريباً تحت سجادة كثيفة من الثلوج والجليد الذي يبلغ سمكه في بعض المناطق نحو كيلو مترين.

نصف الكرة الجنوبى من كل عام فوق القطب الجنوبى ، ومن ثم يمكن اعتبارها ظاهرة طبيعية عادية ، إلا أن العديد من الباحثين يؤكدون أهمية تكثيف الدراسات العلمية حول هذه الظاهرة ، وخاصة بعد ما تبين أن نسبة تدمير الأوزون فى هذه المنطقة أخذت فى الازدياد منذ منتصف السبعينيات حتى وصلت الآن إلى حوالى ٤٠٪ . وتميل الأرصاد الحديثة وأجهزة مراقبة الفجوة الأوزونية إلى توجيه الاتهام ، ولو جزئياً ، إلى النشاط البشرى الخاص بإطلاق مركبات « كلوروفلوريد الكربون » التى تم تحضيرها لأول مرة فى عام ١٩٢٨ وأصبحت تستخدم فى عمليات التبريد فى الثلاجات ومكيفات الهواء ، وفى دفع الهواء الجوى لتنظيف القطع الالكترونية وفى صناعات مرذاذات « بخاخات » الغازات والأبخرة المضغوطة فى وعاء كما هى الحال فى بعض زجاجات العطور . كما أن هذه المركبات لا تزال لها تطبيقات واسعة فى عمل الأسفنج الصناعى وأوعية التعبئة والتغليف المصنوعة من « البوليستيرين » لحفظ الأطعمة . ومما ساعد على استخدام هذه المركبات اعتبارها من الكيميائيات الصناعية المثالية لأنها غير سامة وغير قابلة للاشتعال ولها درجة ثبات كبيرة . لكن خمولها أصبح اليوم من أهم أسباب خطورتها بالنسبة لطبقة الأوزون فى الغلاف الجوى ، حيث يمكن أن تبقى سليمة ومتماسكة لمدة تتراوح بين خمسين ومائة عام حتى تصل ببطء إلى منطقة أعلى تركيزاً لغاز الأوزون على ارتفاع يبلغ ثلاثين كيلومترا تقريباً ، وتصبح عندئذ عرضة للأشعة فوق البنفسجية التى تحطم جزئياتها المستقرة محولة إياها إلى أشكال أكثر فعالية مثل غاز « الكلور » ، ورمزه « كل » أو « CL » ، وغاز « أول اكسيد الكلور » ورمزه « كل أ » أو « CL O » اللذين يقومان بدور الوسيط فى عملية استنزاف الأوزون . وقد أظهرت الحسابات أن كل ذرة كلور تساعد على افناء مائة الف جزىء من الأوزون .

وهناك تفاعلات كيميائية اخرى يمكن ان تحدث فى الغلاف الجوى لتدمير الأوزون بصورة أكثر استمرارية ، مثل ما تقوم به « اكاسيد النتروجين « ن أ ، ن أ٢ » .

لكن الظاهرة فى مجملها لا تزال بحاجة إلى تكثيف الدراسات والاستعانة بأحدث « التقنيات » للتأكيد من حقيقتها وتحديد الأسلوب الأمثل للتعامل معها .

أ . د أحمد فؤاد باشا

طرائف

الدنيا ثلاثة أقسام

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : الدنيا ثلاثة أقسام :

قسم للمؤمنين يتزودون به إلى الآخرة .

وقسم يتزين به المنافقون .

وقسم يتمتع به الكافرون .

هل تعلم ؟

أن للحلم خمسة أوجه :

● حلم غريزى : ـ وهو هبة من الله تعالى ـ للعبد بها يعفو عمن ظلمُه ، ويصل من قطعه ، ويعطى من حرمه ، ويحسن لمن أساء إليه .

● وحلم تحالم : يكظم غيظه جزاء الثواب ، وفى قلبه كراهية .

● وحلم كبر : لا يرى المسىء أهلا أن يجازيه .

● وحلم مذموم ورياء وسمعه : وهو حاقد ساكت يرائى الناس .

● وحلم مهانة وذلة وضعف نفس وصغر همة .

« البسمة »

إن البسمة سبيل كل خير ، وكفاية كل شر ، وإن البسمة هى الدواء إذا أحببت الحياة ، والبسمة : براعة الاستهلال عند اللقاء ، ومسك الختام عند الانصراف .

والبسمة : جواز المرور إلى الوجوه العابسة ، وإشارة الأمان إلى القلوب الخائفة .

« لأنك تابع »

عدا كلب وراء غزال ،

فقال الغزال : إنك لن تلحقنى

قال الكلب : ولم ؟

قال الغزال : لأنى أعدو لنفسى ، وأنت تعدو لصاحبك .

« الأدب مع الأشياخ »

كان الإمام ابن خزيمة يضرب به المثل فى الأدب ـ لاسيما ـ مع شيخه البوشنجى وحين مات شيخه سئل عن مسألة فى أثناء جنازته فقال : لا أفتى حتى أوارى أستاذى التراب .

للأستاذ

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

« لم يكذب قط »

يقال : إن ربعى بن خراش الكوفى العبسى لم يكذب قط وكان له ابنان عاصيان زمن الحجاج ، فقيل للحجاج : إن اباهما لم يكذب قط ، لو ارسلت إليه فسألته عنهما .

فأرسل إليه ، فقال : أين ابناك ؟

قال : هما فى البيت !! .

فقال الحجاج : قد عفونا عنهما لصدقك .

وكان ربعى آلى الا تفتر أسنانه بالضحك حتى يعلم أين مصيره ، فما ضحك إلا بعدموته ، رؤى ثغره مفترا على الغسل .

« بطانة الحاكم »

كان عبيد الله بن مسعود الهذلى أحد فقهاء المدينة السبعة . وكان عمر بن عبد العزيز يقول : لأن يكون لى مجلس من عبيد الله أحب إلى من الدنيا وما فيها .

وقال : إنى لأشترى ليلة من ليالى عبيد الله بألف دينار من بيت المال .

فقالوا له : ياأمير المؤمنين ، تقول هذا مع تَحَرِّيك وشدة حفظك ؟

فقال : أين يذهب بكم ؟ والله إنى لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف .

إن فى المحادثة تلقيحا للعقل ، وترويحا للقلب ، وتسريحا للهم ، وتنقيحا للأدب .

« حقا »

قيل لأحد الصالحين : أى الأعمال أفضل ؟

قال : إدخال السرور على المؤمن .

« حب هذه الأشياء »

قال أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ : أحب الموت اشتياقا إلى ربى ، وأحب المرض تكفيرا لخطيئتى ، وأحب الفقر تواضعا لربى .

« دعاء »

اللهم لك الحمد على ماأنعمت به علينا من نعمك العظيمة ، وآلائك الجسيمة ، حيث أنزلت علينا خير كتبك ، وأرسلت إلينا أفضل رسلك ، وشرعت لنا أفضل شرائع دينك ، وجعلتنا خير أمة أخرجت للناس تقبل منا يامن تتقبل من المتقين .

هل يؤدى العلم إلى الإلحاد

العلماء وأنصاف العلماء

إن العلم والإيمان لا يتضادان . بل هما الجناحان اللذان بهما يعلو الإنسان فى سماء المعرفة الحقة .

إلا ان انصاف العلماء قوم ضلوا الصواب وتجاوزوا البحث عن الجوهر . وقعدوا من الباحثين مقعد المعاند المخالف ، واصبحوا يهرفون بما لا يعرفون ، نقاشهم سفسطة وحججهم غوغائية فضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل .

قال الأستاذ :

لم يؤد العلم صاحبه إلى الإلحاد فى أى عهد من عهوده ، فإن العالم المنقب عن الحقائق يجد نفسه من الوجود فى عالم لا حد له ، حافل بالموجودات المختلفة ، والقوى الزاخرة ، والحركات الدائمة ، والتحولات المستمرة ، فلا يكاد يسبر غورا حتى تلوح له من ورائه أغوار ، ولا يقف على علة لظاهرة ، حتى تتراءى له من خلفها علل ، ولا ينتهى من تحليلاته إلى سبب ، حتى تبدو له من بعده أسباب : فهو فى خضم عطمطم من الكائنات والقوى الظاهرة والخفية ، بحيث يكاد يفقد رشده حيرة ودهشا ، يسود مجموعها نظام محكم لا تشوبه شائبة من اضطراب . وفى أثناء ذلك يرى العالم الذى نصب نفسه للاهتداء إلى أسرار الكون ، أنه يصادف من آثار الحكمة العالية ، وعلامات الإرادة الراشدة ، ما لا يدرك مداه بعقله المحدود ، ويرى أن كل ما حصله من علم بالموجودات : وما كسبه من فقه بالأسباب ، لا يتعدى مدى العلاقات الظاهرة بين تلك الموجودات ، أما كنهها ، ومصدر انفعالاتها ، وترابط القوى العاملة فيها ، فتعلو عن متناول عقله ، بحيث يدرك لأول وهلة من تفكير ، أنها مما لم يخلق هذا العقل لإدراكه .

فهذا الباحث عن أسرار الخليقة ، يضطر أن يخر ساجداً للقدرة العالية التى أوجدت هذا الكون الباهر ، معترفا بأنها فوق متناول الإدراك ، وأن جهد الفيلسوف أن يخبت لها ، وأن يستمد منها نوراً يهتدى به فى ظلمات وجوده المادى .

للأستاذ: محمد فريد وجدى
إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

ولكن إلى جانب هذا الصنف من المنقبين عن أسرار الوجود، أصنافا أخرى ذوى عقول محدودة، وهمم قاصرة، وقابليات ضيقة، تكتفى من التعليلات بما يؤثر على مخيلتها، ومن التحليلات بما يقف عند حد إدراكها، فيخيل إليها بعد ردح من الزمن أنها وقفت على أسرار الوجود، وأن ليس وراء ما وصلت إليه غاية ترتجى؛ فترى أنها وقفت من كل معلول على علته، ومن كل كائن على غايته، فما الذى يحول بينها وبين أن تزعم أنها بلغت من العلم نهايته التى ليس وراءها مرمى، وماذا عليها بعد ذلك أن تعلن أن العالم قائم بنفسه، وأنه ليس بحاجة إلى قيوم فوق مادته؟ فهذا وأمثاله أطلق عليهم الفلكى الكبير (كاميل فلامريون) فى كتابه (الله فى الطبيعة) اسم أنصاف العلماء، وسجل عليهم أنهم قصار النظر، محدودو التعقل، ضعاف التصور، يكتفون بالكلمات الفارغة، والعبارات المجوفة. هؤلاء هم الملحدون باسم العلم، وقد ظلموا العلم، وقصروه على فهمهم القاصر، وإدراكهم الهزيل.

نشر الدكتور دنيرت dennert الألمانى بحثا حلل فيه الآراء الفلسفية لأكابر العلماء الذين أناروا العقول فى الأربعة القرون الأخيرة، وتوخى أن يدقق فى تعرف عقائدهم؛ فتبين له من دراسة آراء ٢٩٠ منهم أن:

٢٨ منهم لم يصلوا إلى عقيدة ما.
و ٢٤٢ أعلنوا على رءوس الأشهاد إيمانهم بالله.
و ٢٠ فقط تبين أنهم غير مبالين بالوجهة الدينية أو ملاحدة.

فإذا اعتبرنا غير المبالين كلهم من الملاحدة، وجدنا أن ٩٢ فى المائة من كبار العلماء يعتقدون بوجود الله تعالى. فهذه النسبة الكبيرة تدل دلالة صريحة على أن التناقض بين الإيمان والعلم الذى يزعم الماديون انه وصف مميز للعلماء، ليس له اصل، وتشير إلى أن الإيمان والعلم يتكاملان ولا يتنافيان.

قال الدكتور (ليون ووتى) الذى أخذنا عنه هذا الإحصاء:

«إن العلامة الكبير (باستور) وهو اكبر عقل ظهر فى القرن الماضى» كتب يقول:
«الإيمان لا يمنع اى ارتقاء كان، لأن كل ترق يبين ويسجل الاتساق البادى فى مخلوقات الله. وإذا كنت علمت اكثر مما اعلم اليوم، لكان إيمانى بالله اشد وأعمق مما هو عليه الآن».

هل يؤدى العلم إلى الإلحاد

وعقب على هذا بقوله:
«إن العلم الصحيح لا يمكن أن يكون ماديا، ولكنه على خلاف ذلك يؤدى إلى زيادة العلم بالله، لأنه يدل بواسطة تحليل الكون على مهارة وتبصر، وكمال عقل الحكمة التى خلقت النواميس المدبرة للوجود، كمالا لا حد له.

من روائع الماضي

وقد ثبت أن الإيمان إنما نشأ لدى أصحاب القرائح العالية من ممارستهم للعلم .

● ● ●

إن باستور حتى في عهد ازدهار المذهب المادي في أوروبا ، أوتي من الشجاعة ما جعله يؤكد ما سبق للطبيعي الانجليزي المشهور (فاراديه) تأكيده قبله ، فصرح أمام جميع أعضاء الاقاديميا الفرنسية في حفلة انتخابه لعضويتها بعقيدته قائلا :

«إن الاعتقاد في وجود الله ووجوب احترامه قد توارد إلى عقلي من طرق ثابتة كثبوت الطريق التي تقودنا إلى حقائق النظام المادي» .

أما الدكتور (وتز) Wutz الكيمائي وعضو أقاديميا العلوم وأستاذ وعميد كلية الطب الباريزية فقد كتب يقول :

«إذا أحسست في حين من الأحيان أن عقيدتي بالله قد تزعزت وجهت وجهي إلى أقاديميا العلوم لتثبيتها» .

وهذا الفيلسوف (ديكارت) المشهور عندما كان بسبيل بيان العلاقات بين الدين والعلم ، عرفهما بقوله :

«إن حقائق ما فوق الطبيعة هي الجذور الحقيقية لشجرة العلم ، وهي بدونها تجف وتذبل ، وتتصوح أوراقها وتسقط» .

وإليك ما قاله الطبيعي (ريومور) مؤكداً :
«إن التاريخ الطبيعي هو تاريخ أعمال الخالق ، ولا يوجد دليل في متناول عقل جميع الناس على صحة ذلك غير ما يسمح به هذا العلم» .

وقال الفلكي الكبير (فاي) Faye العضو بأقاديميا العلوم في مؤلفه (أصل العوالم) :

«من الخطأ القول بأن العلم يفضي بصاحبه إلى نكران وجود الله» .

وقال الجيولوجي الذائع الصيت (ادموند هربرت) المدرس بجامعة السربون :

«العلم لا يمكن أن يؤدي إلى الكفر ، ولا إلى المادية ، ولا يفضي إلى التشكيك» .

وهذا العلامة (ميلن ادواردس) العضو بأقاديميا العلوم ، ومدرس علم الحيوانات بمتحف التاريخ الطبيعي ، قال في محاضرة له بجامعة السربون في عرض على نظريات الفلسفة المادية :

«هذه الفروض الباطلة ، وأولى بك أن تقول هذه الضلالات العقلية التي يسمونها أحيانا باسم العلم الحسي ،يدحضها العلم الحق نفسه ؛ وعلماء التاريخ الطبيعي لا يستطيعون تصديقها اليوم ، كما كانوا لا يصدقونها على عهد ريومور ، ودولينيه ودوكوفييه ، وعدد كبير آخر من أهل الألمعية ، ولا يستطيع هؤلاء الأعلام أن يفهموا الظواهر الطبيعية ، إلا بعزو حدوثها إلى خالق الكون نفسه» .

هذه آراء بعض أقطاب العلم الطبيعي ، ولدينا منها الشيء الكثير ، وجميعهم يقررون ، كما ترى ، أن سبب إيمانهم بالخالق جل شأنه هو

البقية صفحة ١١٧٠

اللغة والأدب والنقد

من صور الحذف

ابن قتيبة وكتابه

الإسلام والاتجاهات العلمية

من صور الحذف البليغ

الاحتباك

٢

- وفى القرن الثامن الهجري نعثر على مصطلح الاحتباك وتعريفه وذكر بعض شواهده وما يتعلق به من احكام عند ابن يوسف الاندلسي (ت ٧٧٩ هـ) صاحب ابن جابر الاندلسي ناظم البديعية المعروفة ببديعية العميان[1] ، ففى اثناء شرح ابن يوسف لبديعية صاحبه يذكر من الوان البديع « الجمع » ويعرفه لغة واصطلاحاً ، وفى اثناء شرحه لبيت ابن جابر الذى يحتوى على مثال لهذا النوع البديعي ، وإن كان فى مدح الرسول ﷺ .

قد أحرز البأس والإحسان فى نسق
والعلم والحلم قبل الدرك للحلم

يتعرض لإعراب البيت ، فيذكر أن فيه جملتين :

الأولى : قد أحرز البأس والإحسان فى نسق وحذف منها : قبل الدرك للحلم ،

الثانية : وأحرز الحلم والعلم قبل الدرك للحلم وحذف منها فى نسق ، فهو من باب ما حذف من الأول ما أثبت نظيره فى الثانى وحذف من الثانى ما أثبت نظيره فى الأول .

ثم يذكر من المحاسن البديعية فى بيت ابن جابر : المطابقة بين البأس والإحسان - والجناس اللاحق بين العلم والحلم وجناس التحريف بين العلم والحلم ، ثم يقول : « قلت : وفيه ايضاً لقب غريب من ألقاب البديع يقال له : الاحتباك ، وهو

ففى نسق المذكور يتعلق بأحرز المذكور ، وقبل الدرك للحلم يتعلق بأحرز المحذوف ولكل منهما متعلق آخر محذوف ، فأحرز الظاهر متعلقه المحذوف : قبل الدرك للحلم وأحرز المضمر متعلقه المحذوف فى نسق .

---

(١) راجع حاشية كتاب « تحرير التجبير » لمحققه الدكتور حفنى شرف ٣٤٩ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

عزيز عندهم ، وهو أن تحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ، وتحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول ... ومنه قول الشاعر :

وانى لتعروني لذكراك فترة
كما انتفض العصفور بلله القطر

التقدير : وانى لتعروني لذكراك فترة وانتفاض كفترة العصفور وانتفاضه ، فحذف من الأول الانتفاض لدلالة الثاني عليه ، وحذف من الثاني الفترة لدلالة الأول عليه(٢) .

ومن الملاحظ أن تقدير ابن يوسف يختلف عن تقدير أبي حيان السابق ، وكأن الشاعر يتجلد أولاً عندما يتذكر حبيبه ثم لا يتمالك فينتفض كما أن العصفور يظل فترة ساكناً يتساقط عليه المطر ثم ينتفض فجأة ليتخلص من القطرات التى علقت بريشه ، وهذا تقدير واضح حسن ، يتيح جعل البيت من الاحتباك على معنى مقبول ، على خلاف ما ذكره أبو حيان .

ثم يذكر ابن يوسف أنه قد تتبع هذا اللون في الكتاب العزيز فوجد منه فيه مواضع قليلة منها آية البقرة في مَثَل الكفار ، ومنها قوله تعالى : ﴿ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ مع قوله بعد : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ « الكهف : ٢ ، ٤ » لأن أنذر يتعدى لمفعولين فذكر في الآية الأولى المفعول الثاني وحذف منه المفعول الأول ، وفي الآية الثانية بالعكس .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ « النمل : ١٢ » وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ « طه : ٢٢ »(٣) .

ومن الملاحظ أن ابن يوسف يذكر هذا اللون البديعي عرضاً أثناء شرحه لبيت ابن جابر وهذا ما سوف يذكره السيوطي فيما بعد ، كما أنه يعرفه بعد ذكر مصطلحه ومعنى ذلك أنه كان معروفاً على الأقل في عصره ، وفي النهاية يصفه بالغرابة وأنه عزيز عندهم أى قليل الوقوع في الأسلوب العربي ، كما أنه تتبعه في القرآن الكريم فوجده في مواضع قليلة ذكر منها أربعة مواضع .

وسوف نرى فيما بعد أن هذا اللون كثير في القرآن الكريم وقد أحصيت فيه ما لا يقل عن خمسة عشر موضعاً عدا ما غاب عني منها ، ومعنى ذلك أنه ليس بقليل فيه إلا أن تكون القلة نسبية بحسب ألوان الحذف الأخرى .

- ثم نجد في هذا القرن أيضاً الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في كتابه « البرهان في علوم القرآن » يذكر من أساليب القرآن وفنونه البلاغية : الحذف ، وبعد أن يعرفه يذكر ألواناً من الحذف وأسرارها ، كالاقتطاع والاكتفاء وغيرهما ، ثم يذكر النوع السابع ويسميه « الحذف المقابلي » وهو ما نحن فيه ، ويعرفه بقوله : « وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه » ويكثر من ذكر أمثلته فيذكر منها الآيات : (٣٥) من سورة هود ، (٥) من سورة الأنبياء ، (٢٤) من سورة الأحزاب ، (٢٢٢) من سورة البقرة ، (١٢) من سورة النمل ، (١٠٢) من سورة التوبة ، (١٢٣) من سورة

←

(٢) طراز الحلة وشفاء العلة لابن يوسف الأندلسي : لوحة ١٩١ ، ١٩٢ مخطوطة بمكتبة الأزهر تحت رقم ٨٣٠ .

(٣) راجع المخطوطة : لوحة : ١٩٢ .

من صور الحذف البليغ

طه ، (١٧١) من سورة البقرة وإن كان يعترض على تقدير سيبويه فيها وينقل كلاماً في رفضه عن بعض النحاة ، (٢٢) من سورة الملك .

وهكذا ترى الزركشي يثرى شواهد هذا اللون من الحذف بكثير من مواضعه في الآيات القرآنية ، ويذكر من شواهده الشعرية قول أبي صخر الهذلي السابق :

وإنى لتعروني لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلله القطر

كما جاء في أمالي القالي لا على ما رواه أبو حيان وابن يوسف الأندلسي ، ويقدره : أي هزة بعد انتفاضة كما انتفض العصفور بلله القطر ثم اهتز[٤] .

وأنت ترى أنه لا وجه للقول بالحذف المقابلي في هذا البيت على هذه الرواية ، لأن هذا التقدير لا يحتاج إليه البيت ، ولو قدر لكان خلفاً من القول كما حكاه الزركشي عن ابن الصائغ النحوي ، إذ ما المبرر لهذا التقدير ؟ فالهز والانتفاض من باب واحد كما ذكرت معانيهما في اللسان .

ففي مادة (نفض) : النفض والانتفاض : الحركة ، وانتفض مطاوع نفض ، وفي حديث الأفك : (فأخذتها حمى بنافض) أي : برعدة شديدة كأنها نفضتها ، أي حركتها والنفضة بضم النون وفتح الفاء والضاد : الرعدة . وفي مادة (هز) : الهزة : تحريك الشيء كما تهز القناة فتضطرب وتهتز ، وفي التنزيل : ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ أي : حركي .. فالنفض والهز على ذلك من باب الحركة والاضطراب .

وأما على رواية أبي حيان وابن يوسف فلا مناسبة بين الفترة في جانب المشبه والانتفاض في جانب المشبه به ، فاقتضى التناسب بين المعاني في الطرفين إيجاد الحذف والتقدير وإن كانت الصناعة الإعرابية الشكلية غير محتاجة إليه ، لأن المعنى هو الأهم والأولى بالنظر ما دام غير مفسد للصناعة ، فهذه الصناعة في خدمة المعنى ، ولابد من تطويعها له .

والحاصل أن الزركشي كانت له جهود بارزة في وضع مصطلح لهذا اللون البلاغي العزيز ، نظر فيه إلى التقابل بين المحذوف والمذكور في الجهتين ، وأكثر من شواهده القرآنية مما لا نلحظه عند السابقين والمعاصرين ، وقدر المحذوف بما يدل عليه السياق وناقش أسباب الحذف لكنه في النهاية لم يذكر الأسرار البلاغية للمحذوفات .

- ولكن السيوطي (ت ٩١١ هـ) يذكر أن مصطلح الاحتباك قد رآه في شرح بديعية ابن جابر لابن يوسف الأندلسي ، وأن الأخير قد ذكره في أثناء كلامه استطراداً ، ويذكر السيوطي شاهدين اثنين مما ذكره ابن يوسف هما مَثَل الكفار في البقرة وآية سورة النمل في شأن سيدنا موسى .

كما يذكر السيوطي أنه كان قد تأمل في قوله تعالى : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً ﴾ « الإنسان ١٣ » ، وقولهم : إن الزمهرير هو البرد أو القمر ، فلاح له أن المراد به البرد ، وأشير بالشمس إلى أنه لا حر فيها ، فحذف من الأول الحر ، ومن الثاني القمر ، والتقدير : لا شمس فيها ولا قمر ، ولا حر ولا برد ، ثم إنه قال في نفسه : هذا نوع لطيف لكني لا أعرف من أنواع البديع ما يدخل فيه ، فلما اجتمع بصاحبه العلامة برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥ هـ)

---

(٤) راجع في هذا الموضوع « البرهان في علوم القرآن : ٣/١٢٩ - ١٣٣ » ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .

ذكر له الأخير أن بعض شيوخه أفاده : أن من أنواع البديع ما يسمى : الاحتباك : وهو أن تذكر جملتان فى كل متقابلان ويحذف من كل ضد ما ذكر فى الأخرى ، وذكر له شاهداً هو الآية الثالثة عشرة من سورة آل عمران وقدر المحذوفين فى الجملتين وقال للسيوطى : لم أقف على من تعرض لهذا النوع ، ولم أره فى كتاب وقد ألفت فيه كراسة سميتها الإدراك[٥] .

ومعنى ذلك أن هذا المصطلح وتعريفه قد وضع فى نهاية القرن السابع الهجرى أو فى بداية القرن الثامن تقريباً ، حيث سمعه البقاعى (٨٠٩ ـ ٨٨٥ هـ) من بعض شيوخه ، دون أن يحددهم ، وحيث ذكره ابن يوسف الأندلسى (ت ٧٧٩) وإن كان قد ذكره استطراداً أثناء شرح بديعية ابن جابر ، وهذا يعنى أن ابن جابر لم يذكره فى بديعيته .

والحق أن الأمر كذلك ، إذ راجعت بديعية ابن جابر وغيرها من البديعيات ومعظم كتب البديع ، فلم أعثر فيها على أثر له سوى ما ذكره ابن يوسف فى شرحه ، وما ذكره السيوطى عنه فى أرجوزة عقود الجمان ، وفى كتاب الإتقان فى علوم القرآن .

كما أننى بالبحث فى كتب الأعلام والتراجم لم أعثر على أثر لكراسة : الإدراك التى ألفها فى هذا الفن العلامة برهان الدين البقاعى ، إذ لا يذكرها أحد من أصحاب هذه المؤلفات ، ومعنى ذلك أنها ـ للأسف ـ قد ضاعت ، أو لا تزال فى مكان ما لا يعلمه إلا الله .

وقد استمر أمر هذا المصطلح غير متداول حتى القرن التاسع الهجرى ، فأعاد إليه السيوطى الحياة مرة أخرى على أنه لون مستقل من ألوان الإيجاز بالحذف ـ كما فعل الزركشى فى البرهان وإن كان قد ذكر له مصطلحاً آخر فى كتابه « الإتقان فى علوم القرآن » وعلى أنه لون بديعى مستقل بذاته فى كتابه « شرح أرجوزة عقود الجمان » .

ففى الكتاب الأخير يذكر أن هذا النوع من زيادته ـ وهو يعنى أنه من زيادته فى علم البديع ـ ويصفه بأنه نوع لطيف لم يتنبه له أحد من أهل هذا الفن (يعنى أهل فن البلاغة) ولا ذكره أصحاب البديعيات ، ولم يقف على أحد تعرض لذكره إلا ابن يوسف الأندلسى استطراداً[٦] .

ولعل ابن يوسف قد صنع ذلك ، لأنه كان بصدد شرح البديعية فلم يرد أن يخرج عنها إلا استطراداً عندما لمح هذا النوع فى بيت البديعية الممثل للون آخر من ألوان البديع وهو « الجمع » فأراد التنبيه على هذا اللون بمصطلحه وتعريفه وبعض شواهده من القرآن الكريم ، وقد ذكر السيوطى شاهدين من شواهد ابن يوسف وأضاف إليهما آيتين آخريين .

ثم يربط السيوطى بين المعنى اللغوى للاحتباك والمعنى الاصطلاحى بقوله : « ومأخذه من الحبك الذى معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة فى الثوب فحبك الثوب : سد ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق . وبيان مأخذه منه : أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط ، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه ، الماهر فى نظمه وحبكه ، فوضع المحذوف مواضعه كان حائكاً له مانعاً من خلل يطرقه ، فسدَّ بتقديره

←

(٥) راجع شرح أرجوزة عقود الجمان للسيوطى : ١٣٧ . طبع بمصر فى ١٣٠٢ هـ .

(٦) المصدر السابق فى الصفحة نفسها .

(٧) المصدر السابق : ١٣٧ ، ١٣٨ .

من صور الحذف البليغ

ما يصلح به الخلل ، مع ما اكسبه من الحسن والرونق[٧] .

ومفاد ذلك أن الصلة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى هى المشابهة فى مطلق الشد والإحكام والتحسين ، ولا عجب فى ذلك فقد كثر فى كلام المحققين ذكر الصياغة والتصوير والنسج وحبكه فى وصف الكلام المؤلف ، كما أن المعنى اللغوى للحبك يساعد على هذه المشابهة ، فقد ورد فى اللسان فى مادة « حبك » : الحبك : الشد ، واحتبك بإزاره : احتبى به وشده إلى يديه ، والاحتباك : هو شد الإزار ، والتحبيك : التوثيق ، والمحبوك ما أجيد عمله والمحكم الخلق ، من حبكت الثوب إذا أحكمت نسجه ، قال شمر : وكل شىء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته ، وحبك الثوب ـ يحبكة (بكسر الباء) ويحبكه (بضمها) حبكاً : أجاد نسجه وحسن اثر الصنعة فيه .

فالمادة فى معظم تصرفاتها تدور حول معانى الشد والتوثيق مع الإجادة والإحكام ـ والتحسين ، وهذا ما يجعل الصلة قوية واضحة جداً بين المعنيين : اللغوى والاصطلاحى .

وفى كتاب « الإتقان فى علوم القرآن » يذكره السيوطى على أنه لون مستقل من الوان الإيجاز بالحذف ـ كما فعل الزركشى فى البرهان مع مخالفته فى المصطلح دون حقيقته ـ وجعله النوع الثالث من الحذف بعد الاقتطاع والاكتفاء ، ويصفه باللطف والإبداع وأنه لم يتنبه له أو ينبه إليه إلا القليل من أهل فن البلاغة ، ويحكى ما رآه منه فى شرح بديعية ابن جابر ، وأن الزركشى لم يسمه هذا الاسم ، بل سماه : الحذف المقابلى كما يحكى ما مضى من ان البقاعى أفرده بالتصنيف ، وينقل وصف ابن يوسف به بعزته أى ندرته .

وينقل عن الغرائب للكرمانى ـ شيخ الزمخشرى ـ أن التقدير فى آية البقرة : مَثَل الذين كفروا معك يامحمد كمثل الناعق مع الغنم ، فحذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر ، وله فى القرآن نظائر ، وهو أبلغ ما يكون من الكلام ، ثم يربط فى النهاية بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى على نحو ما فعل فى شرح أرجوزة عقود الجمان[٨] .

وأنت ترى أن الكرمانى فى تقديره للمحذوف قد صاغه بعبارة تدل على الترابط فى الممثل والممثل به مما يقضى على شبهة جواز التفريق فى هذا التشبيه التمثيلى المركب كما أنه لم يراع الترتيب فى التقدير بين أجزاء كل من الطرفين لما علم من ان المقصد الأصلى لهذا التمثيل تشبيه حالة بحالة ، لبيان موقف كل واحد فى الطرفين من صاحبه : فى الممثل والممثل به . والحاصل من كل ما تقدم عدة أمور :

أولاً : أن مصطلح الاحتباك قد ظهر فى نهاية القرن السابع أو بداية القرن الثامن الهجرى تقريباً ، وأن ابن أبى الاصبع قد وضع له فى القرن السابع مصطلحاً يضمه وغيره تحت اسم : التوهيم مراعياً فيه ما يوقعه ظاهر الكلام فى وهم السامع أو القارىء من الخلل والفساد ، وأن الزركشى فى القرن الثامن وضع له مصطلحاً آخر : هو الحذف المقابلى ملاحظاً فيه التقابل بين المحذوف والمذكور ، وأنه لم يطلع على ما وضع له من مصطلح الاحتباك الذى يوحى كلام ابن

(٨) راجع الإتقان فى علوم القرآن : ٧٩/٢ ، ٨٠ . الطبعة الرابعة . مصطفى الحلبى .

يوسف الأندلسى أنه كان معروفاً على الأقل فى القرن الثامن الهجرى ، لكن ما ذكره الزركشى يوحى أن هذا المصطلح لم يشع فى كل البيئات العلمية والأدبية فى ذلك الوقت .

ثانياً : أن المؤلفين فى علوم العربية وعلوم القرآن قد أدركوا وقوع هذا اللون من إيجاز الحذف من وقت مبكر جداً ، وقدروا المحذوف مما يوحى به سياق الكلام أو توجيه خصائص الاستعمال والتراكيب ، ولكنهم لم يضعوا له مصطلحاً يخصه ، أو يذكروا ـ غالباً ـ بياناً لأسرار الحذف .

ثالثاً : أن هذا النوع من الحذف لطيف المسلك غريب فى بابه عزيز الوقوع فى الكلام ، وهذا ما يجعله من أبلغ الكلام وأولاه بالقبول والاستحسان ، لما فيه من زيادة الإفادة مع كثرة الحذف وقلة المنطوق به ، وهذا أيضاً ما يجعله حرياً بأن يفرد بعنوان مستقل ينبه إليه ويميزه عن غيره ، وتلتمس له الشواهد الكثيرة .

رابعاً : أن هذا اللون من الحذف نادر الوقوع فى كلام العرب ومن سلك سبيلهم فى التعبير والأسلوب ، والصق فى شواهده بالقرآن الكريم لشيوعه فيه بدرجة ملحوظة فلم أعثر فى ما قرأت إلا على شاهدين اثنين من الشعر أحدهما لجاهلى والثانى لمولد ، على الرغم من أن أبا حيان قد ذكر عمن نقل عنهم من النحاة أن العرب تستحسنه وأنه من بديع كلامها ، لكن لم يستكثر أحد ممن عرضت لهم فيما مضى من الشواهد المنقولة عن العرب .

ومما يؤيد ما ذهبت إليه ـ بالإضافة لما مضى ـ أن السيوطى قال فى مقدمة الفن الثالث ، وهو علم البديع ـ بعد ما ذكر أن أول من سماه بهذا الاسم عبد الله بن المعتز ومن تابعه على ذلك ، وأنواع البديع وأعدادها حسبما وردت فى كتاب تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى ، وهى ثلاثون نوعاً من البديع المعنوى ، وسبعة من البديع اللفظى ، وأن الخطيب ذكر فى أثنائها أموراً ملحقة بها يصح أن تعد أنواعاً أخر .

قال السيوطى : « وقد زدت عليه الجم الغفير كما سيأتى مبيناً إن شاء الله تعالى وقد التزمت أن آتى فى كل نوع بمثال فأكثر من الحديث النبوى ، تمريناً وتشريفاً وتيمناً به »[٩] .

مع أنه فى الاحتباك لم يذكر شيئاً من الحديث النبوى كما التزم ، واقتصرت شواهده فيه على القرآن الكريم .

خامساً : أن الزركشى قد ذكر هذا اللون من الحذف تحت عنوان : أساليب القرآن وفنونه البلاغية ، ومعنى ذلك أنه يدخله تحت البحث فى دلالات التراكيب وخصائصها وهو مايجعله يندرج تحت مباحث علم المعانى التى تبحث فى الدلالات المعنوية للأساليب وأجزائها من خلال النظم ، ولا يجعله محسناً عرضياً يمكن الاستغناء عنه فى بناء التراكيب دون أن يتأثر جوهر المعنى بخصوصياته ، كما ذهب إليه الكثير من المتأخرين .

وحينما يذكره السيوطى مرة فى باب الإيجاز الذى هو أحد مباحث علم المعانى ومرة فى ألوان البديع فذلك لأنه لون غريب نادر متميز فيه جدة وبراعة لافتة ، فدرسه من هذه النواحى فى ألوان البديع ، ولا يعنى بذلك أنه يمكن الاستغناء عنه لأنه محسن عرضى ، فما لا تتم الخصوصية المعنوية إلا به لا يمكن عده حلية طارئة يتزين بها الكلام زينة شكلية .

سادساً : أن معظم من تعرضوا لذكر هذا اللون من الإيجاز بصورة أو بأخرى لم يتعرضوا للأسرار المعنوية التى تكمن وراء هذا اللون العجيب من الحذف ، والتى تبرره ، لأن الحذف

(٩) شرح أرجوزة عقود الجمان : ١٠٨ .

من صور الحذف البليغ

ليس هدفاً لذاته ، بل لما يومىء به من أسرار مضمرة فى الأسلوب الواقع فيه .

وإذا كان الإيجاز بالحذف فى ذاته قيمة جمالية فى التراكيب العربية ، لأن ظاهره نقص فى الإفادة ، وحقيقته زيادة فيها ، لأن فيه ترك مالا حاجة إلى ذكره لقوة دلالة المذكور على المحذوف ، وإذا كان ذكر المذكور وإيثاره على المحذوف فى النطق إنما يكون أيضاً لأسرار ولطائف فإننا سوف نتقدم خطوة وراء هذه القيمة الجمالية العامة لنبحث فى كل موطن نتعرض له عن أسرار وقيم جمالية خاصة تمليها التراكيب فى سياقاتها المتنوعة ، فندرس أسرار الحذف والذكر فى هذا اللون ، وإيثار كل منهما على الآخر فى موطنه ... وهذا هو مايستدعى أن أخصص المبحث التالى للغوص وراء هذه الأسرار حسبما تسمح به الطاقة ، وما تمليه ظروف هذا البحث ، آملاً أن ييسر لى المولى عودة أخرى ، وظروفاً أوسع لاستقصاء كثير من الشواهد الممثلة لهذا اللون البلاغي البديع .

يتبع

د . عبد الحميد محمد العيسوى

من روائع الماضى . بقية .

العلم الطبيعى نفسه ، فإذا كان انصاف العلماء وطلاب العلوم يتأدون منه إلى عكس هذه النهاية ، فليس العاب[1] فى ذلك على العلم ، ولكن على انخداعهم بنظرياته ، واعتبارها أموراً مقررة ثابتة ثبوت المحسوسات ، وهذا خطأ جسيم لم يقل به عالم يعتد برأيه إلى اليوم .

إن طالب العلوم الطبيعية ، كثيرا ما يفتتن بتعليلاتها للمشاهدات تعليلا يمكن تحقيقه بالعمل ، ولكن هذا التعليل العلمى لا يتعدى العلل القريبة من تفاعلاتها ، أما العلل البعيدة التى تتعلق بوجودها ، وبتطوراتها ، وبحركاتها الباطنة ، فتخفى على اسمى العقول ، وتدع المجال واسعاً أمام الفروض والظنون المتعاكسة .

طالب العلم ينخدع من إمكانه تعليل بعض ظواهر الطبيعة ، ويبنى على ذلك قصورا من الأوهام ؛ فإذا سألته عن سر عدم سقوط القمر على الأرض ، علله بأنه يجب أن يكون مجذوبا بكواكب أخرى تمسكه فى مدار لا يتعداه ، ويغفل عن أن الجاذبة العامة إن عللت تجاذب الكواكب فلا تعلل حركاتها . فقد سئل نيوتن مكتشف هذا الناموس نفسه عن دليل لا يمكن دحضه يثبت به وجود الخالق ، فقال : إذا قررنا أن الكواكب لا يتساقط بعضها على بعض لأنها متجاذبة من جميع جهاتها ، فما الذى يدفعها لتسبح فى الفضاء فى أفلاك بعضها حول بعض ؟ أليس يدل هذا دلالة قاطعة على أن يد الله هى التى تديرها ؟

محمد فريد وجدى

المجلد التاسع عشر

(١) العاب : العيب

ابن قتيبة وكتابه الشعر والشعراء

للدكتور حلمى محمد القاعود

إذا كان محمد بن سلام الجمحي البصرى يمثل بكتابه « طبقات فحول الشعراء » منهجاً واضح الملامح فى نقده للشعر ، وملمحاً بارزاً لمدرسة البصرة واهتمامها باللغة على وجه الخصوص ، فإن ابن قتيبة من خلال كتابه « الشعر والشعراء » يمثل منهجاً آخر له سماته المميزة فى نظرته للشعر ، ونموذجاً لمدرسة الكوفة وآفاقها الرحبة .

وقد قام العلامة « أحمد محمد شاكر » بتحقيق كتاب « الشعر والشعراء » ، وهو شقيق العلامة « محمود محمد شاكر » الذى حقق كتاب « ابن سلام » ، وقد قدم لتحقيقه تقديماً مستفيضاً ضَمَّنَهُ بعض القضايا التى دارت حول الكتاب وترجم لابن قتيبة ، وأثبت مقدمة المستشرق الفرنسى « دى غويه » الذى بذل جهداً فى تحقيق الكتاب قبل ذلك .[1]

وابن قتيبة ، هو : أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفى ، ولد بالكوفة سنة ٢١٣ هـ ، وتوفى سنة ٢٧١ هـ ، على الأرجح وقد لقب بـ « الدينورى » نسبة إلى « الدينور » التى كان قاضياً عليها ، وكان ابن قتيبة يغلو فى البصريين إلا انه خلط المذهبين ، وحكى فى مذهبه عن الكوفيين ، وكان صادقاً فيما يرويه عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه ، والشعر والفقه ، كثير التصنيف والتأليف[2] ، وقد وصفه محقق الكتاب بأنه علم من أعلام الإسلام ،

←

(١) الكتاب طبعته دار المعارف ، والطبعة التى بين أيدينا ، هى الطبعة الثانية (بدون تاريخ) .

(٢) أورد المحقق ترجمته كما وردت فى الفهرست لابن النديم ، ثم أتبعها بترجمته كما وردت فى الخزانة للبغدادى ، انظر مقدمة المحقق فى الكتاب ص ٤٨ وما بعدها .

بن قتيبه وكتابه

وإمام حجة من أئمة العلم ، و .   بعد ذلك من أهل السنة .

وقد ترك عدداً كبيراً من الآثار الأدبية والعلمية ، وذكر له « ابن النديم » صاحب « الفهرست » ثلاثة وثلاثين كتاباً ، وأهم كتبه وأشهرها :

- عيون الأخبار .
- أدب الكُتّاب .
- كتاب الشراب (أو الأشربة) .
- كتاب المعارف .
- كتاب تأويل الرؤيا (أو تعبير الرؤيا) .
- تأويل مُختلِف الحديث .

وقد تناول المستشرق « دى غويه » كتب ابن قتيبة ، وقارن بين أسمائها كما وردت في عدد من المصادر ، في محاولة لتوضيح وبيان الكتب التي حملت أكثر من اسم ، والوصول إلى ما ألفه ابن قتيبة فعلاً .[٣]

تناول ابن قُتَيْبَة في كتابه « الشعر والشعراء » ، ستة ومائتين من الشعراء ، جاهليين ومخضرمين وإسلاميين (من صدر الإسلام وأمويين وعباسيين) ، وهذا الكم الهائل ، يختلف بالطبع عن العدد الأقل الذى تناوله « ابن سلام » في كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، فقد انتقى مؤلفه واصطفى أبرز الشعراء في الجاهلية والإسلام ، وفقاً لمعيار معين يعتمد على التميز أو البروز الفنى ، ورتبهم ترتيباً خاصاً (طبقات) ، وهو ما اختلف عند ابن قتيبة الذى ترجم لعدد كبير ، لم يرتب بينهم ، وإن كان اختياره لمن تناولهم من الشعراء يقوم على أساس معين أو منهج خاص سنشير إليه إن شاء الله .

ويمكن أن نقسم الكتاب إلى قسمين أولهما : المقدمة المطولة ، ثانيهما : الشعراء الذين ترجم لهم .

تتناول المقدمة ـ وهى تشبه مقدمة ابن سلام ـ ما يمكن تسميته بالرؤية النقدية أو (التنظير النقدى) لمفهوم الشعر ، والمقياس الذى يقيس به ابن قتيبة الشعراء .. فضلاً عن الخطة التى اختطها في تأليف كتابه ، وعلى هذا ، فإننا نستطيع أن نرى المقدمة ترتكز بصورة أساسية على محورين ـ كما في مقدمة ابن سلام ـ أحدهما : يتناول المفهوم أو التصور ، والثانى : يتحدث عن المنهج ، والخطة .

والمفهوم أو التصور : يبلور أكثر من قضية قد يتشابك بعضها مع قضايا المنهج أو الخطة ، ولكننا نستطيع بصفة عامة أن نفرق بينها إلى حد كبير ، وأهم هذه القضايا : أقسام الشعر وعيوبه ، وعموده ، والقدماء والمحدثون ، والتكلف والطبع ، وأوائل الشعراء ، وسنتوقف قليلاً عند بعض هذه القضايا لنرى بإيجاز: كيف نظر إليها ابن قتيبة ، وكيف عالجها ؟

١ ـ أقسام الشعر :

يرى ابن قتيبة أن الشعر على أربعة أضرب أو أنواع هى : ما حسن لفظه وجاد معناه ، وما حسن لفظه وتواضع معناه ، وما جاد معناه وقصر لفظه ، وما تأخر معناه وتأخر لفظه ، وكأن ابن قتيبة يشير إلى قضية أشبعها القدماء والمحدثون بحثاً ودرساً وهى ما عرف بقضية « اللفظ والمعنى » ، وإن لم يتحدث عن ذلك صراحة ، ولكنه يقدم لنا نماذج تدل على وعيه بضرورة التكامل بين اللفظ والمعنى في الجودة ، ولذلك يضعه في أول أقسام الشعر أو أنواعه ،

(٣) الشعر والشعراء : ١/٤٤ وما بعدها .

وهو ما يضرب عليه أكثر من مثال ، ويقدم له أكثر من نموذج ، من ذلك ماقيل فى « الهيبة » لبعض الشعراء [4] :

فى كفه خيزران ريحه عبق
من كف أروع فى عرنينه شَمَمُ
يُغضِى حياء ويُغضَى من مهابته
فما يكلم إلا حين يبتسم

ويعلق على ذلك : « لم يقل فى الهيبة شيء أحسن منه » .

ويضرب مثالاً على أحسن ابتداء لمرثية بقول « أوس بن حجر » :

أيتها النفس أجملى جزعاً
إن الذى تحذرين قد وقعا[5]

والنوع الثانى يرى فيه « ابن قتيبة » جودة فى اللفظ وحلاوة ، ولا يجد فيه فائدة فى المعنى كقول القائل :

ولما قضينا من مِنًى كل حاجة
ومسَّحَ بالإركان من هو ماسحُ
وشُدَّتْ على حُدْبِ المهارى رحالُنا
ولا ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الأباطحُ

ويفسر ابن قتيبة وجهة نظره قائلاً : « هذه الألفاظ كما ترى ، أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع ، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى ، واستلمنا الأركان ، وعالينا إبلنا الأنضاء[6] . ومضى الناس لا ينتظر الغادى الرائح ، ابتدأنا فى الحديث ، وسارت المطى فى الأبطح » .

ثم يضيف قائلاً : « وهذا الصنف فى الشعر كثير » . [7]

ويبدو ابن قتيبة فى تفسيره مهتماً بالإضافة التى يضيفها الشاعر إلى الحديث أو المعنى الذى يعبر عنه ، فالشاعر هنا قد اكتفى برصد ما جرى فى أيام الحج ، ولم يلون ما جرى بعاطفته أو رؤيته كما نقول فى زماننا ، ومن ثم فإن حلاوة الألفاظ وجودتها لم تغن عن المعنى المفقود .

ومثل هذا الضرب أو هذا النوع من الشعر ما جاء معكوساً ، جاد معناه ، وقصرت ألفاظه كقول لبيد بن أبى ربيعة :

ما عاتب المرءَ الكريمَ كنفسه
والمرءُ يُصلحه الجليس الصالح

ويعلق عليه بقوله : « هذا وإن كان جيد المعنى والسبك ، فإنه قليل الماء والرَّونق » [8] . أى إن الشاعر لم يبذل فيه جهداً فى الصياغة بحيث تتحقق فيها حلاوة الألفاظ مخرجاً ومطلعاً ومقطعاً ، فجاء مستوى البيت متواضعاً .

أما الضرب الرابع أو النوع الأخير ، فهو الذى « تأخر معناه وتأخر لفظه » ، ويضرب على ذلك مثلاً بقول الأعشى فى امرأة :

وفوها كأقاحِىّ غَذَاهُ دائمُ الْهَطْلِ
كما شيب براح بَا ردٍ من عسل النَّحْلِ[9]

---

(٤) التحقيق فى البيتين أنهما للحزين الكنانى من أبيات يمدح بها عبدالله بن عبدالملك بن مروان .
(٥) الشعر والشعراء : ١/ ٦٤ ـ ٦٥ .
(٦) الأنضاء جمع نضو وهو الدابة التى أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها .
(٧) الشعر والشعراء : ١/ ٦٦ ـ ٦٧ ويلاحظ أن « عبدالقاهر الجرجانى » ، قد حاول أن يثبت تفوق هذه الأبيات بناء على رؤيته لها كصورة أدبية متكاملة ، وخصص لدفاعها عنها عدداً من الفقرات المطولة (انظر : أساس البلاغة : ١٦ ، ١٧) .
(٨) السابق : ١/ ٦٨ .
(٩) الشعر والشعراء : ١/ ٦٩ ، والأقاحى جمع أقحوان ، وهو زهر له نور أبيض كأنه ثغر جارية حدثة السن .

فهو يرى أن المعنى متواضع واللفظ متواضع ، ولذا يضعه فى المرتبة الأخيرة ، ويسلك شعراً لعلماء مثل : الخليل بن أحمد والأصمعى وابن المقفع فى هذه المرتبة ، ولعله يعتبره أقرب إلى النظم البارد الأجوف الذى لا روح فيه ، لا لفظاً ولا معنى .

٢ ـ ومن هذا المنطلق يمكن أن نفهم موقفه من قضية أخرى هامة هى قضية الطبع والتكلف .

فى الشعر أو الشاعر المطبوع والشاعر المتكلف :

ويرى ابن قتيبة أن الشاعر المطبوع هو « من سمح بالشعر، واقتدر على القوافى، وأراك فى صدر بيته عجزه ، وفى فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ، وَوَشْىَ الغريزة ، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يَتَزَحَّر » .(١٠) .

ولعل ابن قتيبة يقصد بقوله : « من سمح بالشعر واقتدر على القوافى »الشاعر الذى يملك الموهبة المدربة، أو الشاعر الذى لديه استعداد لقول الشعر نماه بالقراءة والحفظ والمعرفة ، ولعل تعريفه للشاعر المطبوع بعد ذلك يعزز ما قلناه ، برصد ملامحه التى تتمثل فى إيحاء الشاعر المطبوع بعجز البيت إذا قال صدره، وبالقافية إذا أنشد الفاتحة .. كذلك فإن إحساس القارىء المتذوق للشعر برونق الطبع ووشى الغريزة يكون واضحا وقريبا لايخفى ، كذلك فإن القارىء لا يستشعر معه أثر الصنعة أو الجهد .

ويضرب ابن قتيبة مثالاً على ذلك بقصيدة للحسين بن مُطَيْر الأسدى يصف فيها المطر ، عندما طلب منه والى المدينة ذلك ، وكان المطر يهطل بالخارج ، فنظر إلى المطر ، وقال قصيدته التى فيها :

كَثُرَتْ لكثرة قَطْرِه أَطْبَاؤُهُ
فإذا تَحَلَّبَ فاضت الأطباءُ

وكجوف ضرته التى فى جوفه
جوف السماء سِبِحْلَةٌ جوفاءُ

وله رباب هيدب ، لرفيفه
قبل التبعق دِيمَةٌ وطفاء

وكأن بارقَهُ حريق ، يلتقى
ريح عليه وعرفج وألاء

وكأن ريقه ، ولمّا يحتفلْ
وَدْقُ السماء ، عجاجةٌ كدراء

مستضحك بلوامع ، مستعبر
بمدامع لم تَمْرِها الأقذاء

فله بلا، حزن ولا بمسرة
ضحك يُؤلف .بينه وبكاء

حيران متبع صباه تقوده
وجنوبه كِنْفٌ له ووعاء

ودنت له نكباؤه حتى إذا
من طول ما لعبت به النكباء

ذاب السحاب فهو فى بحر كله
وعلى البحور من السحاب سماء

ثَقُلَتْ كُلاه فنهرت أصلابه
وتبعجت من مائه الأحشاء

غدق يُنَبِّجُ بالأباطح فُرَّقاً
تلد السيول ومالها أسلاء

غر محجلة دوالح ضمنت
حمل اللقاح ، وكلها عذراء

---

(١٠) السابق : ٩٠/١ والزحير هو إخواج الصوت، أو النفس بأنين عند عمل أو شدة .

سحم فهن إذا كظمن فواحم
سود ، وهن إذا ضحكن وِضاء
لو كان من لجج السواحل ماؤه
لم يبق من لجج السواحل ماء[11]

ويعلق ابن قتيبة على هذه القصيدة بقوله : « وهذا الشعر مع إسراعه فيه كما ترى ، كثير الوشى ، لطيف المعانى » . [12]

ثم إن ابن قتيبة يرى أن الشاعر المطبوع قد يكون مطبوعاً فى غرض من الشعر دون آخر ، فمنهم من يسهل عليه المديح ، ويعسر عليه الهجاء ، ومنهم من يتيسر له المراثى ويتعذر عليه الغزل ، ولا يأبه ابن قتيبة بتعليل العجاج حين اتهم بأنه لا يحسن الهجاء ، حيث قال : إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم ، واحسابا تمنعنا من أن نظلم ، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم ؟ » . وقد رأى ابن قتيبة أن المديح بناء ، والهجاء بناء أيضاً ، وليس كل بان بضرب بانيا بغيره ، ثم يضرب أمثلة عملية على تفوق بعض الشعراء فى فنون معينة من الشعر ، وتقصيرهم فى فنون أخرى .[13]

أما الشاعر المتكلف :

فهو الذى « قوم شعره بالثِّقاف ، ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر ، كزهير والحطيئة وأشباهما » ، ويعلل ابن قتيبة لذلك « لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ، وكان الحطيئة يقول : خير الشعر الحولى المنقح المحكك ، وكان زهير يسمى كبر قصائده الحوليات » .

« قال عدى بن الرقاع :

وقصيدة قد بتُّ أجمع بينها
حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقِّف فى كعوب قناته
حتى يقيم ثقافُهُ مُنْآدها »[14]

ولا يعنى ذلك أن الشاعر المتكلف شاعر ردىء أو قليل القيمة الفنية بالضرورة ، ولكنه يعنى أن الشاعر المطبوع أكثر قبولاً لدى المتلقين ، وشعره أكثر تأثيراً فى النفوس ، وأفضل من الناحية الفنية لأنه يصدر عن موهبة مدربة ، وطبع مثقف ، والشعراء المتكلفون إنما يسعون فى كلِّ الأحوال إلى **تجويد قصائدهم** بالتنقيح والتحكيك .

يتبع

(١١) الأطباء : جمع طبى ، الثدى للسباع وذوات الحوافر ، واستعارها الشاعر للمطر على التشبيه ، السبحل : الضخم العظيم ، الرباب : السحاب المتعلق الذى تراه كأنه دون السحاب ، والهيدب : السحاب الذى يتدلى ويدنو مثل هدب القطيفة ، الرفيف : التلألؤ والبريق ، التبعق : مفاجأة المطر واندفاعه ، الديمة : المطر الدائم فى سكون ، الوطفاء : الديمة السح الحثيثة ، العرفج : نوع من النبات ، الالاء : شجر حسن المنظر مرّ الطعم ، ريق المطر : أفضله ، الودق : المطر ، لم تمرها : لم تسيِّلها ، الكنف : وعاء للحفظ ، النكباء : الريح تكون بين ريحين من الرياح الأربع ، تبعجت : انشقت ، الغدق : المطر الكثير ، فُرُق : جمع فارق ، وهى السحابة المنفردة لا تخلف ، الأسلاء جمع سلى وهو الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه ، الدوالح : المثقلات بالماء ، سحم : سود .
(١٢) الشعر والشعراء : ٩٢/١ .
(١٣) الشعر والشعراء : ٩٣/١ ـ ٩٤ .
(١٤) السابق : ٧٨/١ .

الإسلام

والاتجاهات العلمية المعاصرة

الحلقة الأخيرة

وكانت آخر جزئيتين أو مسألتين عالجهما المؤلف هما : التطور بين الحتمية والإرادة الإلهية ، نظرة التقدمية الحقيقية نجدها في الإسلام وهو أحق بها .

حاول المؤلف في الفصل السادس أن يشرح بالتفصيل كيف أن العالم محتاج لا محالة إلى الله ، وذلك طبقاً لقوانين الفيزياء الحديثة ومعطياتها . وكانت الجوانب التي دارت فيها المناقشة هي : بيان مبدأ « عدم التحدُّد » في الفيزياء وكيف نستدل به على الإرادة الإلهية ، وقيام برتراند رسل بمعارضة هذا الاستدلال ، ومناقشة المؤلف له في معارضته هذه ـ استحالة توصل العلم التجريبي إلى « التحدد » في المستقبل ـ حدوث العالم وفناؤه : الكون مُتَنَاهٍ حَجْماً ، الكون مُتَنَاهٍ زَمَناً (في الماضي وكذلك في المستقبل) ـ قابلية المادة للفناء ـ تمدد الكون حالياً دليل على حداثته ماضياً ـ القانون الثاني للديناميكا الحرارية كدليل على وجود بداية زمنية للكون .

وكان أعظم ما في هذا الفصل أننا وجدنا المؤلف يصل بالإقناع العلمي إلى استنباط عدد من الأدلة على وجود الأمر الإلهي أي وجود الله وثبوت إرادته المطلقة الحكيمة ، هذه الأدلة المستنبطة هي : **الدليل الأول** : دليل القانون « غير الطبيعي » ـ **الدليل الثاني** : دليل الانضباط الإحصائي الواقعي للصغيرات (أي محتويات الذرة) ـ **الدليل الثالث** : « إمساك المادة من الفناء » .

بعد ذلك قدَّم المؤلف لبعض مشاهير العلماء التجريبيين المعاصرين الذين قادهم علمهم إلى الإيمان بالله ، وهم : د . ويلارد فرانك ليبي : عالم الذرة العملاق ، الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٦٠ ، وعضو لجنة الطاقة الذرية الأمريكية ، وكانت « رغبته الدائبة في فهم أسرار الطبيعة » هي التي قادته إلى الإيمان بالله ـ د . تشارلز هارد تاونز : من كبار العلماء الأمريكيين ، وهو مخترع الميزر ، وهو مجموعة من الأدوات ذات الأثر الهام في ميدان العلم والصناعة لا يقل شأناً عن الترانزستور ـ د . جيمس ألفرد فان

تأليف أ. د. يحيى هاشم حسن فرغل
عرض وتحليل : د. كارم السيد غنيم

الن : الحاصل على دكتوراه الفلسفة فى الطبيعة النووية ، وهو اعظم علماء الفضاء فى امريكا ، وصاحب اكتشاف « شريط فان الن » الذى يحيط بالكرة الأرضية - ألبرت بروس سابين : عالم « الميكروبات » الشهير ، وصاحب مصل شلل الأطفال « سابين » المسمى باسمه - فيليب موريس هاوزر : أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو ، ومدير هيئتين لأبحاث السكان فى نفس الجامعة - دين أفرت ولدردج : حصل عام ١٩٣٦ على دكتوراه الفلسفة فى الطبيعة من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا ، وقد شغل منصب رئيس شركة تومسون راموا ولدردج فى المدة ما بين ١٩٥٨ - ١٩٦٢ ، وهى من انشط الشركات فى أمريكا والتى يعتمد نشاطها على العلوم .

هذا ، ولم نر مؤلفنا يسوق امثلة من العلماء الطبيعيين أو الفلاسفة الذين قادتهم دراساتهم وتخصصاتهم إلى الدخول فى الإسلام ، وهم جمع غفير ، فلماذا فاته هذا الأمر ؟! إننا نرى أن مرور هذا الفصل دون عرض لنماذج من هؤلاء العلماء العالميين يُعَدُّ نقصاً كبيراً فيه ، لا يجب وجوده فى هذا الكتاب القيم الذى تجشم صاحبه العناء فى سبيل جمع مادته وتقديمه بهذا الأسلوب العلمى للقارىء العربى .

نأتى إلى الفصل الأخير ، وهو الفصل الخاص ببيان (**المنهج البنائى للدين**) أو إيضاح (**الضرورة العملية**) لاستسلام الإنسان لله ، ويستهله صاحبه بقوله : الإنسان لا يمكنه أن يعيش مع « الشك » ، مثلما أنه لا يمكنه أن يعيش مع « الجوع » ، وهو مع الجوع « يموت » ، لكنه مع الشك « يستسلم » ، يستسلم بحكم « الضرورة العملية » . والضرورة العملية أنواع ودرجات مختلفة القيمة ، وخير أنواع الضرورة العملية التى يستسلم لها الإنسان « الاستسلام » « لله » سبحانه وتعالى . كيف ؟ الإجابة هى الفصل بأكمله .

اولى جزئيات الفصل كانت فى بيان أن الضرورة العملية أساس للبحث العقلى ، وكانت جوانبها :

أ - **فى الفلسفة القديمة** : حيث أفلاطون وآراؤه فى هذه المسألة وسؤاله (من أين لنا الوصول إلى هذه المعرفة الضرورية اليقينية الأولية ؟) ، ثم أرسطو الذى كان يرى أن مصدر هذه الأوليات هو العقل ، وعموماً فقد ترك أرسطو مسألة العقل غامضة - حسب رأى د . محمود قاسم ، ثم جاء اسكندر الأفروديسى الذى ذهب إلى أن العقل الفعال عند أرسطو : (ليس جزءاً من أجزاء النفس ، أو وظيفة من وظائفها ، بل هو الإله الذى يتمثل فى نفوس البشر ، ويقوم مقامهم فى إدراك معانى الأشياء) ثم آراء إميل بوترو .

ب - **فى الفلسفة الإسلامية** : حيث أبو نصر الفارابى والإمام الغزالى .

جـ - **فى علم الكلام** : حيث أئمة المعتزلة وأئمة الأشاعرة والشيخ مصطفى صبرى . ثم

←

عاد المؤلف مرة أخرى إلى الفلسفة القديمة لبيان موقف الفلسفة اليقينية والثقة بالعقل . الجزئية الثانية كانت (الضرورة العملية والشك) ، وفيها ناقش مؤلفنا آراء كل من الأبيقوريين ، هلنز ريشنباخ ، سكتوس امبيريكوس ، د . سليمان دنيا ، د . عثمان امين ، هيوم ، كانط ، أزفلد كوليه ، وليم جيمس .

ويقول المؤلف ختاماً لهذه الجزئية : وأخيراً ، فإن الضرورة العملية هى التى أوقفت سريان الشك النظرى إلى إيمان الشخص بوجود ذاته ـ فى غير اللحظة الراهنة ، ومن ثم رجعت به إلى إثبات وجود العالم الخارجي بنفس طريقة الاستدلال التى تم بها إثبات وجود ذاته فى غير اللحظة الراهنة .

ونضيف إلى ذلك أنها ترجع به أيضاً ـ على نفس المنهج ـ إلى الإقرار بوجود الله ﴿ وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ . انتقل المؤلف إلى مناقشة (**الضرورة العلمية هى الأساس فى العلم التجـريبى**) ، وكـانت منـاقشتـه ـ كسابقاتها ـ ممتعة ومقنعة ، توصل فيها إلى أن الضرورة العملية هى التى ترغمنا على التسليم بما يقع فى خبرتنا مباشرة ، وهى التى جعلت علماء الذرة يقررون وجودها ، وهى التى جعلت العلم التجريبى يتمسك بقوانين الإحصاء على الرغم من يقينه بأن الأفراد لا يخضعون لما يخضع له المجموع ، وهى التى جعلت العلم يأخذ بتفسيرين لظاهرة الضوء ، وهى التى تُلجئنا إلى الأخذ بنتائج الفيزياء الحديثة على وجه العموم ، وهى التى دعت إلى افتراض بقاء الطاقة ، وهى التى جعلت برتراند رسل (يؤمن) بما يسميه « الأحداث » كنسيج محايد للعقل والمادة .

وفى النهاية يقول : .. فإنه يصبح السير وراء الضرورة العملية لازماً إذا قادتنا هذه الضرورة خطوة أخرى بعد التسليم بالأحداث أو بالأشياء أو بالقوانين ، أى إذا قادتنا إلى علة هذه الأحداث ، والأشياء والقوانين ، العلة التى لا تحتاج لعلة وراءها ، أى إلى الاستدلال على وجود الله ، وهنا يحق لنا أن نعلن أن الضرورة هى الطريق إلى معرفة الله .

الضرورة العملية مدخل إلى « الدين » ، وهنا يقوم المؤلف بإفحام الملحدين فى مسائل خطيرة كالخلود الإنسانى ، والخير الأسمى ، والعلاقة بين الروح والجسد ، والموت ، والأبدية . ثم وصل إلى بيت القصيد وهو (الضرورة العملية فى الإسلام) فأوضح أنها ليست من باب الإجبار أو القسر أو الخضوع عنوة للأمر الإلهى ، وإنما هى استسلام لله بمحض الاختيار ، ثم ناقش القوى : العقلية ، والحسية ، والوجدانية ، وبيَّن الفرق بين الضرورة العملية الحيوانية والضرورة العملية الإنسانية ، وعرج على كيفية إلزام الضرورة العملية للإنسان . وأخذ يفصِّل القول فى توضيح الضرورة العملية كما هو فى منهج الدعوة الإسلامية : (١) فى منهج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **الإنذار** الذى جاء فى أنحاء متفرقة من القرآن (١٢٠ مرة صراحة + ٨ مرات جاءت بكلمة التبشير المراد به الإنذار) ، ثم انتقل إلى الحديث النبوى حيث يقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : ياقوم إنى رأيت الجيش بعينى ، فأنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلهم فنجوا ، وكذبته طائفـة فصبحهم الجيش فاجتاحهم) .

ثم انتقل إلى وقائع السيرة النبوية . وهو يوضح من خلال هذه المناقشات أولية الإنذار

باليوم الآخر في منهج الدخول إلى الإسلام ، ويبين لماذا تقدم الإنذار بالعذاب الأخروي على مشكلة التوحيد منهجياً ؟ أو على الأقل : لماذا صحب الإنذار طرح مشكلة الألوهية على هذا النحو القوي الرهيب ؟ ولماذا لم تنقض فترة كافية في الجدل حول مشكلة الألوهية قبل الإتيان بالإنذار من العذاب في الآخرة ؟ (ب) في الفكر الإسلامي .

وختم مؤلفنا الفصل الأخير ـ وبالتالي الكتاب كله ـ بملاحظات على ما مر في الكتاب مما يتصل بقضية « الضرورة العملية » :

أولاً : الرد على القول (لا يصح أن نسمح للدائرة العملية من العقل أن تفرض اتجاهاتها على الدائرة النظرية ، بل ينبغي أن يقف العقل موقفاً سلبياً ، وأن يبقى صحيفة بيضاء حتى تأتي الحقائق الخارجية فتسجل عليه) .

ثانياً : أن البداية من « الضرورة العملية » ، وهي من الناحية النظرية لا ترتفع فوق مستوى الظن ، ليست مخالفة للشرع ، أو بدعة من البدع ، تقحمها على المنهج الإسلامي .

ثالثاً : أن العقل الذي يدفع إلى أخذ الإنذار بالآخرة مأخذ الجد ليس هو العقل النظري الذي لا يكف عن اختراع الاحتمالات ، وإنما هو العقل العملي ، وهو الذي وصفه متكلمو الإسلام بأنه (قوة التصرف في الموضوعات واستنباط الصناعات ، وتمييز المصالح من المفاسد لانتظام أمر المعاش والمعاد) .

رابعاً : إذا كان العلماء قد قبلوا (الظن) في العمليات ، فإنني لا أرى وجهاً للتفرقة بين الاعتقادات والعمليات حيث يجوز الأخذ بالظن في الأخيرة دون الأول .

خامساً : أن المتعرض للدعوة بعد أن يتعرض للإنذار ، يجد نفسه مضطراً عملياً إلى « التسليم » ، فينطق بالشهادتين كما طلبهما الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) ، فيكون مسلماً ، وهذا هو « التسليم » الذي يدعو الإسلام إليه الإنسان ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ﴾ (الزمر ٥٤)

ونحن في ختام هذا العرض والتحليل نود أن نسجل تقديرنا لهذا الكتاب لما بذله مؤلفه في سبيل الوصول إلى الهدف المحدد والمبين في مقدمته ، إلا أن هذا لا يمنع من الإشارة إلى عدد من الأخطاء المطبعية التي كان من الواجب اختفاؤها من الكتاب ، والتي بلغت نحو ٣٧ خطأ ، مثل : (نفذ) ، وموقعه س ٣ ص ١١ ، وتصحيحه (نقد) ـ ١٩٥٨ : س الأخير ص ٢٦ : ١٨٥٨ ـ الواضع : س ١٧ ص ٤٦ : الواضح ـ المادة : س ٥ ص ٣٦ : المدة السوسيون بيولوجي : س ٩ ص ٦٤ : السوسيوبيولوجي ـ ... ـ يجوزا : س ٨ ص ١٨٠ : يحوزا ـ القينية : س ١٠ ص ١٨٣ : اليقينية . ومن هذه الأخطاء عدد آخر كما هو واضح في المواقع : س ٨ ص ٢٩ ، س ٥ ص ٥٩ ، س ١٠ ص ٦٧ ، س ١٣ ص ٧٨ ، س ٥ ص ٨٦ ، س ٢٠ ص ٨٩ ، س ١٧ ص ١١٤ ، ... ، س ١٣ ص ١٦٤ ، س ٢٠ ص ١٨٠ ، وغيرها . وليس هناك مبرر لوقوع هذه الأخطاء ، إذا علمنا أن « بروفة » الكتاب ـ وهي طور من أطوار طباعته ـ كان ينبغي على المؤلف مراجعتها وتصحيح ما بها من أخطاء .

إضافة إلى الأخطاء المطبعية فإننا وجدنا مَرْجِعاً كثر اعتماد المؤلف عليه وشاع ذكره في حواشي عدد من الصفحات (وهو « الإسلام

←

ونظرية التطور » لصاحبه محمد أحمد باشميل) ، إذاً يحق له أن يكون من (أهم المراجع والمصادر) التى أوردها المؤلف فى نهاية الكتاب ، لكننا لم نعثر عليه فى هذه القائمة ، ووجدناه فى الحواشى فقط ، فلماذا حدث هذا ؟!

وامتداداً للأخطاء المطبعية التى تعددت فى صفحات الكتاب يلاحظ وجود بياض فى س ٦ ص ١١١ ، فما المقصود بترك هذه المسافة فارغة ؟! ثم إنا لم نجد رقم الصفحة فى إشارته إلى مرجع بحاشية ص ١١٩ السطر الثامن ، وهناك فى صفحة ١٧٨ إشارة إلى مرجع برقم ٤٤ على الرغم من عدم ذكر المرجع فى الحاشية كما هو المعتاد !!

النقطة التالية التى يجب لفت نظر القارىء والمؤلف ـ على السواء ـ إليها ، هى كثرة النقول الآتية من مصادر متعددة وأغلبها مؤلفات مترجمة ، ونظراً لتعدد المترجمين واختلاف ثقافاتهم ، فإننا وجدنا الكلمة الأجنبية الواحدة تُرْجِمَتْ بأكثر من مقابل عربى ، بالطبع هذا لم يحدث فى كل مُؤَلَّفٍ على حِدَةٍ ، ولكن عند النقل من المؤلفات لم يراع مؤلفنا توحيد الترجمة للفظ الواحد ، فمثلاً Genes وجدناها مترجمة فى أنحاء متفرقة من الكتاب الذى بين أيدينا . بـ (صبغات ، صبغيات ، مورثات) وإن كان الثلاثة يمكن استعمالها لكن الاقتصار على ترجمة واحدة أفضل ، وكلمة (vertebrates) ترجمت فى مواقع هكذا : (الفقريات) ، وفى مواقع أخرى : (الفقاريات) ، والأصح من هذه وتلك أن تترجم هكذا : (الحيوانات الفقارية) .

وكم كنا نود أن ينوه مؤلفنا إلى ركاكة الأسلوب الموجود فى بعض الترجمات وتصحيحه فى مواقع تتخلله كلما أمكن . والنقطة الأخيرة هى ورود أسماء كافة العلماء والفلاسفة والكُتّاب فى هذا الكتاب مُعَرَّبَةً ، وليت كل من يقوم بذكر أسماء أجانب أن يذكر الهجاء الأفرنجى مرافقاً للتعريب الذى اجتهد فى الإتيان به ، حتى نطمئن إلى صحته أو تصحيحه إذا وجدنا به تحريفاً ما .

والله أسأل أن يبصرنا بالصواب وأن يجعل عملنا خالصاً له مقبولاً لديه .

من خير ما نشر

تقديم : صفوت عبد الجواد
عادل رفاعى خفاجة

« الصحافة والاستعمار »

للأستاذ أحمد محمد أبو زيد

إذا ما نظرنا نظرة مستقلة للصحافة عن بقية الإعلام نجد أن الاستعمار قد اعتنى بها عناية خاصة لدورها المؤثر على مستوى طبقة المثقفين فى الأمة فيقول المستشرق الإنجليزى المشهور « جيب » : « إن الصحافة هى أقوى الأدوات الأوروبية وأعظمها نفوذاً فى العالم الإسلامى » ومن هنا وجدنا حرص الاستعمار منذ مجيئه إلى البلاد الإسلامية على إصدار الصحف الخاصة به وتشجيع الصحافة الصفراء ، وصحف الإثارة والفن والغناء والتضييق على الصحف الإسلامية ومحاولة وضعها فى أزمات مادية حتى ينتهى بها الأمر إلى التوقف ، كما حرص على وضع المؤسسات الإعلامية والصحفية الكبرى تحت سيطرة بعض العلمانيين الذين .. يحملون من الإسلام .. اسمه وإن خالف فكرهم كل تعاليم الإسلام وشرائعه .

وهكذا يتضح لنا مدى ما فعله الاستعمار وأعداء الإسلام ويفعلونه بمؤسسات تعليمنا ووسائل إعلامنا ، ومدى تغلغل العلمانية فى هذه المؤسسات وتلك الوسائل وبعدها عن التوجه الإسلامى الصحيح فى مناهجها وبرامجها .

« عن الوعى الإسلامى »

الإعلان

للأستاذ : سلمان العمرى

أصبح عصرنا الحالى عصر الإعلان .. الصحافة يسيطر عليها الإعلان وفى التلفاز يحتل الإعلان مساحة لا يستهان بها ـ الأطفال ينتظرون الفقرة الإعلانية ليهتزوا طربا على الألحان المنبعثة المصاحبة للإعلان ، ومن إعلان

←

من خير ما نشر

الأشواب إلى الأجهزة المنزلية إلى العصير والماكولات .. إعلانات .. إعلانات . تملأ حياتنا ..

لا بأس ما دامت البضاعة وطنية ولا بأس ما دام الإعلان قد التزم عاداتنا وتقاليدنا دون إثارة أو استفزاز والإعلان في إطار الإعلام الإسلامي له ضوابط وحدود والتزام لما للإعلان من أهمية وشدة تأثير يتم عن طريق الإلحاح والتكرار وتنطبع عن طريقه صور « تظل في الذاكرة » وخاصة ذاكرة الطفل .

مجلة الشرق

« انقذوا الطفل العربي من الطوفان الإعلامي »

للدكتور : ناول عبد الهادي

كتب يقول : إن تعميم الإذاعة والتلفزة والسينما والآلاف من الصحف والمجلات ، وتداول الأشرطة المسجلة بالصوت والصورة .. إلخ ، كل هذا خلق قوة جهنمية تسير بأقدام فولاذية لا سبيل إلى إيقافها ، تداهم كل المجموعات البشرية في عقر ديارها وتغطي عليهم جميع لحظات وقتهم وفراغهم ، وتنفث بدون مراقب ولا رادع ما تريد أن تنفثه في نفوسهم .

ولكن ما العمل أمام القوة الطاغية الزاحفة ، العابثة والفاتكة أحياناً بالنفوس ؟ فلا مفر من استقبالها عن طوع أو كراهية ، ولكن بالإمكان إبطال مفعولها أو على الأقل جزء منه بأمور ثلاثة .

أ ـ وضع خطة استراتيجية إعلامية وتربوية شاملة ، والتخطيط لتطبيقها من أجل الحد من مساوىء الإهمال والارتجال ، ومواجهة جحافل الغزو الثقافي والإعلامي التي تحمل في طياته عوامل مسخ حضارتنا وذاتيتنا .

ب ـ تقوية الأرضية الصلبة في نفوس أطفالنا وشبابنا ، بملء فراغ تكوينهم بأكثر ما يمكن من مبادىء ومعلومات عن قيمنا بغرس الإيمان في نفوسهم بالقيم والأخلاق الإسلامية الفاضلة والعمل على أن يمارسوها في سلوكهم ، وظهور الآباء والمربين والمسئولين بمظاهر القدوة والمثل الصالح .

جـ ـ العمل على توجيه الإعلام المستورد باختيار ما هو صالح منه ونبذ أو مقاومة ما من شانه أن يعبث بتلك الأرضية المحصنة .

ومن المعلوم أن هذه التدابير يكمل بعضها بعضاً ، وأن التغافل عن أمرها وبالأحرى عن اثنين منها يعرض مسيرة البلاد الثقافية إلى الخراب وهويتنا إلى المسخ والزوال .

وواضح للعيان أن بعض الأخطار قد برزت وانتشرت بوادرها مثل : ضعف القوة الروحية المحصنة ، والسلطة المعنوية للآباء والأسرة . ومنها انتشار الفساد وتناول المخدرات .

فليتق الله أولو الحل والعقد في أبنائنا وليأخذوا قضية الإعلام بالجدية والفعالية والحزم اللازم قبل فوات الأوان وتعسر الحلول .

مجلة « الكويت »

في التذكرة للقرطبي

ذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبَّ أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحبَّ أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن أحبَّ أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: من أكل وحده ومنع رِفْدَه وجلد عبده، أفأنبئكم بشرٍّ من هذا؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من يبغض الناس ويبغضونه. قال: أفأنبئكم بشرٍّ من هذا؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: من لا يَقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنباً. قال: أفأنبئكم بشرٍّ من هذا؟ قالوا:نعم يا رسول الله، قال: من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره، إن عيسى بن مريم قائم في بني إسرائيل خطيباً فقال: يا بني إسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها،ولا تمنعوها أهلها فتظلموها وقال: مرة فتظلموهم ولا تظلموا ظالماً،ولا تكافئوا ظالماً فيبطل فضلكم عند ربكم يا بني إسرائيل الأمر ثلاث: أمر بيِّنٌ رشده فاتبعوه، وأمر بيِّنٌ غيه فاجتنبوه، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله عز وجل».

قال أبو نعيم: وهذا الحديث لا يحفظ بهذا السياق عن النبي ﷺ إلا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس.

أنباء وآراء

● افتتح فضيلة الامام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مركزاً إسلامياً بمدينة طلخا يتكون من معهد يسع (٦٠٥) تلميذ ، ومدرسة لتحفيظ القرآن ، ومعهد إعدادى وثانوى ومكتبة إسلامية تضم أمهات الكتب الإسلامية .. وقد أنشىء المركز بالجهود الذاتية وتكلف مليونين ونصف المليون جنيه .

اذاعة للقرآن الكريم

بدأت مؤخراً إذاعة القرآن الكريم فى سيراليون فى بث برامجها الدينية بلغات : « التمنى » « والمندى » « والماند نيكا » الشائعة فى غرب أفريقيا بالإضافة إلى اللغتين الانجليزية والفرنسية . كما يتم إذاعة تسجيلات للقرآن الكريم على مدار ساعات البث . وذكرت لجنة مسلمى أفريقيا التى تمتلك الإذاعة : أن الإذاعة تسمع بوضوح فى منطقة غرب أفريقيا،وأن اللجنة تسعى حالياً لجمع التبرعات لتقوية البث الإذاعى وزيادة ساعاته .

● تنظم وزارة الشئون الإسلامية الباكستانية مسابقة دينية حول مؤلفات السيرة النبوية ، وقد خصص للفائز الأول جائزة قدرها ١٠٠٠ دولار أمريكى على أن تكون المؤلفات باللغة العربية والانجليزية والفارسية والتركية والفرنسية والألمانية والأسبانية ، ولا تقل عن ٢٠٠ صفحة وترسل إلى مديرية الشئون الدينية فى إسلام اباد قبل آخر مايو ١٩٨٩ م .

المؤتمر الأسلامى لدول الكاريبى يدعو لنشر الاسلام

دعا المؤتمر الإسلامى الأول لمسلمى دول بحر الكاريبى الذى عقد فى « سورينام » إلى إنشاء مجلس شورى للتخطيط لنشر الدعوة الإسلامية فى دول المنطقة والتوسع فى تأسيس المساجد فى دول الكاريبى . وناشد المؤتمر الدول الإسلامية بضرورة دعم دول المنطقة لإنشاء المزيد من المساجد لغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة فى نفوس الشباب،والعمل على بناء أسرهم على أسس من العقيدة الصحيحة بعيداً عن الخرافات . وأكد المؤتمر على ضرورة الالتزام بالمنهج الإسلامى ، والحفاظ على الروابط الأسرية والتصدى لإساءات أجهزة الإعلام فى هذه الدول التى تعمل على تشويه الإسلام ومبادئه . ودعا المؤتمر إلى ضرورة تبصير المسلمين فى دول الكاريبى بالمخططات التى تستهدف وحدتهم وتضامنهم مع الأمة الإسلامية . وأوصى المؤتمر بالعناية بالنشء المسلم وتربية الأبناء تربية إسلامية باعتبارهم حامل لواء الدعوة الإسلامية فى المستقبل .

« موجة جديدة من الاضطهاد ضد مسلمى يوغوسلافيا »

يتعرض المسلمون الألبان سكان إقليم كوسوفو التابع لجمهورية الصِّرب اليوغوسلافية

إعداد : د. أحمد عبد الرحيم السايح
عبد المنعم فودة

لحملة اضطهاد واسعة بسبب احتجاج الأغلبية المسلمة التى تمثل ٩٠ ٪ من سكان الإقليم ضد قرار الحزب الشيوعى لسيطرة جمهورية الصرب على الإقليم الذى يتمتع بالحكم الذاتى منذ عام ١٩٧٤ م .

وقد ثار المسلمون دفاعاً عن حريتهم وعقيدتهم فردت الصرب بحملة قمع راح ضحيتها عدد كبير من المسلمين فى شوارع المدينة نتيجة نزول الدبابات وقوات الجيش .

يعد الصرب العدة للقيام بالسيطرة على الجمهوريات الإسلامية فى الشمال .. الأمر الذى يعرض استقرار يوغوسلافيا للاضطراب .

راجع مقالى "قضية من يوغوسلافيا" بهذا العدد والذى قبله .

● تشارك دول إسلامية عديدة فى بذل جهود مكثفة لدى الحكومة البلغارية لتخفيف الضغط على مسلمى بلغاريا وإلغاء القوانين المقيدة لحريتهم وتحركاتهم والسماح لهم بإيفاد بعثات من ابنائهم للدراسة فى الدول الإسلامية وإعطائهم الحق فى إقامة شعائرهم كاملة واستيراد الكتب الإسلامية التى تعينهم على فهم الإسلام فهما صحيحا .

سجل تاريخى للأماكن المقدسة بمكة والمدينة

يجرى إعداد سجل تاريخى ووثائقى لمدينة مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة . سيقوم مركز أبحاث الحج التابع لجامعة «أم القرى» بمكة بجمع الوثائق المسجلة المكتوبة والمسموعة والمرسومة والمرئية الخاصة بالأماكن المقدسة . ويأتى هذا العمل ضمن مشروع الأبحاث التى يقوم بها المركز ، والتى تهدف إلى تيسير المعلومات لزوار مكة المكرمة والمدينة المنورة .

● أعلنت حكومة الكونغو رسميا قيام أول مجلس أعلى للمسلمين بالكونغو ، وتعتبر هذه الخطوة اعترافا شرعيا من الحكومة بحقوق الأقليات الإسلامية والتى تبلغ بالكونغو ٢٢٥ الف نسمة من مجموع السكان البالغ عددهم ٣ملايين نسمة .

عائلات وثنية سودانية تدخل الاسلام

شهرت مائتان وخمسون عائلة سودانية وثنية ومسيحية بمنطقة « جبرة » بالخرطوم إسلامها . كما أسلم سلطان قبيلة « الينكاجور » ودعى إلى دخول أحد المعاهد الإسلامية لتعلم مبادىء الإسلام .

وقد قامت الاتحادات السودانية وجمعية مسلمى أفريقيا التى تتخذ من الكويت مقراً لها بإقامة مسجد ومدرسة ومستشفى ليخدم هذه العائلات .

←

أنباء وآراء

مؤتمر اسلامى لتطبيق الشريعة الاسلامية

دعت وزارة الحج والأوقاف السعودية إلى عقد مؤتمر إسلامى لوزراء الأوقاف والشئون الإسلامية بالدول الإسلامية تحت شعار « الدعوة الحق » .

يناقش المؤتمر عدداً من الموضوعات المتعلقة بالدعوة الإسلامية من اهمها تطبيق الشريعة الإسلامية بالدول الإسلامية ، وكذلك التنسيق بين الدول الإسلامية لمواجهة التيارات المعادية للإسلام ، وكذلك بحث مشاكل الأقليات الإسلامية . ومن الجدير بالذكر ان آخر مؤتمر لوزراء الأوقاف والشئون الإسلامية قد عقد فى عام ١٩٨١ .

ذكرى الامام الطبرى

تقرر إقامة احتفال عالمى بذكرى مرور أحد عشر قرنا على وفاة الإمام الطبرى مفسر القرآن الكريم الشهير .

تقيم الاحتفال المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة فى النهاية من ذى القعدة وأوائل يوليو القادم بالمغرب .

الهدف من الاحتفال تخليد ذكرى الإمام الطبرى أحد أئمة القرن الثالث والرابع الهجريين ، والتعريف بمؤلفاته فى مجالات التفسير والتاريخ والفقه والحديث .

سيقام لقاء فكرى عالمى بمقر المنظمة بالمغرب يخصص -لدراسة شخصية الإمام الطبرى وتحليل عطائه الفكرى . ويشارك فى اللقاء أعلام الفكر الإسلامى المتخصصون فى التفسير والتاريخ والفقه والحديث .

ودعت المنظمة الهيئات والجامعات الإسلامية لجعل يوم أول يونيو يوماً خاصا بتخليد ذكرى الإمام الطبرى الذى توفى فى عام ٢٢٤ هـ ـــ ٨٣٩ م وسبق للمنظمة أن احتفلت بذكرى وفاة الأئمة : الغزالى ومسلم وابن النفيس .

فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

● الافتتاحية
بقلم : فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ١٠٨٩

● قصيدة الإيلاف
للدكتور علي أحمد الخطيب ١٠٩٣

● المنافقون
للدكتور محمد عبد المنعم القيعي ١١٠٠

● في رياض السنة النبوية المطهرة
للدكتور رءوف شلبي ١١٠٤

● قضية من يوغسلافيا
لفضيلة الشيخ توفيق إسلام يحيى ١١١٠

● الإسلام في جنوب افريقية
للدكتور عبد الجليل شلبي ١١١٦

● جعفر الطيار
للأستاذ السيد حسن قرون ١١١٨

● الردع الإسلامي في غزوتي : بدر والفتح
للواء أ . ح . محمد جمال الدين محفوظ ١١٢٢

● الخير في الصيام لأسباب علمية وطبية
للدكتور أحمد عبد المؤمن بركات ١١٢٨

● من تاريخ الأزهر ومدرسة القضاء .. إلى عهد الإمام المراغي
للدكتور مجاهد توفيق الجندي ١١٣٤

● مدينة قرطبة
للمستشار محمد عزت الطهطاوي ١١٤٠

● من اعلام الأزهر
للدكتور محمد رجب البيومي ١١٤٤

● باب الشعر والشعراء ●

● يا قلب ١١٥٢

● في رثاء فضيلة الشيخ مصطفى الطير
للشاعر أحمد قاسم أحمد ١١٥٣

● سوف تبقى حروفها مشرقات
للشاعر أحمد محمد مبارك ١١٥٤

● من العلوم الكونية ●

● قصة القلوب في العلوم الكونية
للدكتور أحمد فؤاد باشا ١١٥٥

● طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١١٥٨

● من روائع الماضي بمجلة الأزهر
للأستاذ عبد الفتح حسين الزيات ٧٦٠

باب اللغة والأدب والنقد

● من صور الحذف البليغ
للدكتور عبد الحميد العيسوي ١١٦٤

● ابن قتيبة وكتابة الشعر والشعراء
للدكتور حلمي محمد القاعود ١١٧٢

● الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة
للدكتور كارم السيد غنيم ١١٧٦

● من خير ما نشر
للأستاذين صفوت عبد الجواد
عادل رفاعي خفاجي ١١٨١

● انباء وآراء
للدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
وللأستاذ عبد المنعم فودة ١١٨٤

القسم الانجليزي
إشراف د . انس النجار

● المقالة الثانية
عبد الحكيم أحمد طه ....

● المقالة الأولى
د . أنس مصطفى النجار ١١٩٨

reality. This is in complete harmony with the other Islamic articles of Faith. It shows that Allah does not accept lip service, and that no true believer can be indifferent as far as the practical requirement of Faith are concerned. It also shows that no one can act on behalf of another or intercede between him and Allah.

The true Muslim believes that Faith is not complete when it is followed blindly or accepted unquestioningly unless the believer is satisfied. If Faith is to inspire action, and if Faith and action are to lead to salvation, then Faith must be founded on unshakable convictions without any deception or compulsion. In other words, the person who calls himself a Muslim because of his family traditions, or accepts Islam under coercion or blind imitation is not a complete Muslim in the sight of Allah. A Muslim must build his Faith on well-grounded convictons beyond any reasonable doubt and above uncertainty.

This is why Islam demands sound convictions and opposes blind imitation. Every person who is duely qualified as a genuine and earnest thinker is enjoined by Islam to employ his faculties to the fulest extent. Islam is complete only when it is based on strong convictions and freedom of choice, it cannot be forced upon anybody, for Allah will not accept this forced faith. Nor will He consider it a true Islam if it does not develop from within or originate from free and sound convictions.

The true Muslim believes that the Qur'an is the word of Allah revealed to Muhammad through the agency of the Angel Gabriel. The Qur'an was revealed from Allah piece by piece on various occasions to answer certain questions, solve certain problems, settle certain disputes, and to be man's best guide to the truth of Allah and eternal happiness . Every letter in the Qur'an is the word of Allah, and every sound in it is the true echo of Allah. The Qur'an is the First and most authentic Source of Islam. It was revealed in Arabic. It is still and will remain in its original and complete Arabic version, because Allah has made it His concern to preserve the Qur'an.

The true Muslim believes in a clear distinction between the Qur an and the Traditions of Muhammad. The Qur'an is the word of Allah whereas the Traditions of Muhammad are the practical interpretations of the Qur'an. The role of Muhammad was to convey the Qur'an as he received it, to interpret it, and to practice it fully. His interpretations and practices produced what is known as the Traditions of Prophet . They are considered the Second Source of Islam and must be in complete harmony with the First source, namely the Qur'an, which is the Standard and the Criterion. The traditions of the Prophet are the living paradigm of the Qur'anic doctorines.

limited and our thinking is based on individual or personal considerations, whereas His knowledge is limitless and He plans on a universal basis.

The true Muslim believes that Allah's creation is meaningful and that life has a sublime purpose beyond the physical needs and material activities of man. The purpose of life is to worship Allah. This does not simply mean that we have to spend our entire lives in constant seclusion and absolute meditation. To worshipo Allah, is to know Him; to love Him; to obey His commandments; to enforce His law in every aspect of life; to serve His cause by doing the right and shunning the evil; and to be just to Him, to ourselves, and to our fellow human beings. To worship Allah is to "live" life not to run away from it. In brief, to worship Allah is to imbue ourselves with His Supreme Attributes. This is by no means a simple statement, nor is it an oversimplification of the matter.

The true Muslim believes that man enjoys an especially high ranking status in the hierarchy of all the known creatures. He occupies this distinguished position because he alone is gifted with rational faculties and spiritual aspirations as well as powers of action. However, the more his rank excels, the more his responsibility grows. He occupies the position of Allah's viceroy on earth. The person who is appointed by Allah to be His active agent, must necessarily have some power and authority, and be, at least potentially, endowed with honour and integrity. This is the status of man in Islām; not a condemned race from birth to death, but a dignified being potentially capable of good and noble achievements. The fact that Allah chose His messengers from the human race shows that man is trustworthy and capable, and that he can acquire immense treasures of goodness.

The true Muslim believes that every person is born free from sin and all claims to inherited virtue. He is like a blank book. When the person reaches the age of maturity he becomes accountable for his deeds and intentions, if his development is normal and if he is sane. Man is not only free from sin until he commits sin, but he is also free to do things according to his plans on his own responsibility. This dual freedom: freedom from sin and freedom to do effective things, clears the Muslim's conscience from the heavy pressure of Inherited Sin. It relieves his soul and mind from the unnecessary strains of the Doctrine of Original Sin.

The true Muslim believes that man must work out his salvation through the guidance of Allah. This means that in order to attain salvation a person must combine Faith and action, belief and practice. Faith without action is as insufficient as action without Faith. In other words, no one can attain salvation until his Faith in Allah becomes dynamic in his life and his beliefs are translated into

expected. Its authenticity is beyond doubt, and no serious scholar or thinker has ventured to question its genuineness. The Qur'an was made so by Allah Who revealed it and made it incumbent upon Himself to protect it against interpolation and corruption of all kinds. Thus, it is given to the Muslims as the standard or criterion by which all the other books are judged. So, whatever agrees with the Qur'an is accepted as Divine truth, and whatever differs from the Qur'an is either rejected or suspended.

The true Muslim beleives in the angels of Allah. They are purely spiritual and splended beings whose nature requires no food or drink or sleep. They have no physical desires of any kind nor material needs. They spend their days and nights in the service of Allah. There are many of them, and each one is charged with a certain duty. If we cannot see the angles with our naked eyes, it does not necessarily deny their actual existence. There are many things in the world that are invisible to the eye or inaccessible to the senses, and yet we do believe in their existence. Belief in the angles originates from the Islamic principle that knowledge and truth are not entirely confined to the sensory knowledge or sensory perception alone.

The true Muslim believes in the Last Day of judgement. This world will come to an end some day, and the dead will rise to stand for their final and fair trial. Everything we do in this world, every intention we have, every move we make, every thought we entertain, and every word we say, all are counted and kept in accurate records. On the Day of Judgement they will be brough up. People with good records will be generously rewarded and warmly welcomed to Heavens, and those with bad records will be punished and cast into Hell. The real nature of Heaven and Hell and the exact description of them are known only to Allah The Muslim believes that there definitely will be compensation and reward for the good deeds, and punishment for the evil ones. That is the Day of Justice and final settlement of all accounts.

The true Muslim believes in the timeless knowledge of Allah and in His power to plan and execute His plans. Allah is not indifferent to this world nor is He neutral to it. His knowledge and power are in action at all times to keep order in His vast domain and maintain full command over His creation. He is Wise and Loving, and whatever He does must have a good motive and a meaningful purpose. If this is established in our minds, we should accept with good Faith all that He does, although we may fail to understand it fully, or even think it is bad. We should have strong Faith in Him and accept whatever He does because our knowledge is

→

Ramadan, and the Performance of Hajj, for those who are capable. These are the outward manifestations of the Muslim, the external features of the countenance. The reality of Islam goes very deep into the finest detailed intricacies of the human soul, self, body, and vital functions. The true faithful firm believing Muslim should by virtue of his understanding of Islam as a Theism should believe with true adherence to certain fundamental articles of faith.

The belief in One Creator (Allah), Supreme and Eternal, Infinite and Mighty, Merciful and Compassionate, Creator and Provider. This belief, in order to be effective, requires complete trust and hope in Allah, submission to His Will and reliance on His aid. It secures man's dignity and saves him from fear and despair, from guilt and confusion.

The belief in all the messengers of Allah without any discrimination among them. Every known nation had a warner of messenger from God. These messengers were great teachers of the good and true champions of the right. They were chosen by Allah to teach mankind and deliver His Divine message. They were sent at different times of history and every known nation had one Messenger or more. The Holy Quran mentions the names of twenty-five of them, and the Muslim believes in them all and accepts them as authorized messengers of Allah. They were, with the exception of Muhammad, known as "national" or local messengers. All the messengers with no exception whatsover were mortals, human beings, endowed with Divine revelations and appointed by Allah to perform certain tasks. Among them Muhammad stands as the Last Messenger and the crowning glory of the foundation of prophethood. This is not an arbitrary attitude, nor is it just a convenient belief. Like all the other Islamic beliefs, it is an authentic and logical truth.

The true Muslim believes in all the scriptures and revelations of Allah. They were the guiding light which the messengers received to show their respective peoples the Right Path of Allah. In the Qur'an a special reference is made to the books of Abraham, Moses, David and Jesus. But long before the revelation of the Qur'an to Muhammad some of those books and revelations had been lost or currupted, other forgotten, neglected, or concealed. The only authentic and complete book of Allah in existence today is the Qur'an. In principle, the Muslim believes in the previous books and revelations. The Qur'an is complete and authentic. Nothing of it is missing and no more of it is

FUNDAMENTAL ARTICLES OF FAITH IN ISLAM

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith: Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith?" Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam?"; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?" Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established?" Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXI, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)

According to Muslim Theism, the confession that "Allah is One, and that Muhammad is the Last Messenger"; is only the verbal statement for the entery into Islam. This necessitates the performance of the required functional duties and responsibilities of Salat (prayers), practicing Zakat, observance of Fasting (Siyam) in the month of

right and wrong, virtue and vice, lawfull and unlawfull according to Islamic jursiprudence. With these elements of highly refined characters of Abu Bakre; he functioned as the man who navigated the affairs of the Muslim Ummah amidst the very grave dangers of transition after the death of the Prophet. His accomplishments transcended all expectations at the time of his death. The most outstanding and dominant of all was the establishment of an anchored irreversible stability of the Islamic culture in the Arab Peninsula and the territories of Iraq and Syria. That was the door step to the vast spread of Muslim civilization; a civilization based on the doctrines of a Divine Message.

war machines of the Romans and Persians opened the minds to the real nature of Islamic teachings as indicated in the Holy Quran, demonstrated by a living tradition in the life of the Prophet, and implemented in total understanding by Khalifah of Rassul Allah, Abu Bakre Al-Siddiq. The conscious of human societies in the Arab Peninsula, Syria and Iraq came to recognize the underlying truth and reality of the Islamic culture; and driven by human natural forces of virtue, followed the light and adhered to its doctrines. Islamic culture and teachings did not spread by the sword, contrary to the fraudulent deceptive ideas presented by some authors who intentionally distort the truth rather than seek the reality. The propagation spread and diffusion of Islam came about as the natural realistic premise instinctive-ly rational and predilective to the reality of human needs, goods and prosperity. The fierce battles that took place during the life of the Prophet were fought to defend the infancy of Islam, and later to defend its integrity. During the late years of the Prophet's life, all the tribes of the Arab Peninsula sent delegates and deputies to the Prophet to proclaim Islam. During the reign of Abu Bakre, the wars against the apostates were to defend Islam against antagnostic forces of heresy and idol worship. The Syrian and Iraq crusades aimed at the emancipation and liberation of their inhabitants from the yoke, oppression and despotic exploitation of the Roman and Persian occupation. The Mulsim worriors in the crusades fought the Roman and Persian military war machine. The paradigm of Muslim administration, justice, equality, self conduct, jurisdiction, and jurisprudence; were certainly very attractive and rational to the human groups resident in the liberated territories. They accepted Islam embraced the teachings, became devoted to its doctries, learned the culture, and excelled in adopting it as a way of life. This was how the Muslim civilization grew and expanded by the inertia of its Divine origin, and the profoundness of its doctrines; to achieve the aboslute dignity, the true liberation and redemption of mankind.

Abu Bakre Al-Siddiq the successor of the Prophet reached the climax of intelligence and perception to recognise the inherent qualities of the Divine Message. He learned with excellence the lessons of the Prophet, and when in office as the guardian of Muslim interests, he implemented and practiced the principles and teachings of the Message of Islam as a man who personified the paradigm of true faith. He developed a very precise distinction and discrimination between

into a theopolitical unity of faith, culture and goal of achievement. A message that harnsessed and optimized the potentialities of human efficiencies and capabilities. The tribes of this Arab nation were known to the two Empires as the poor sheperds, camel drivers, the bare footed hungry naked desert rats. From among those emerged a nation to confront the two mightly powers, pound at their gates, and defeat them in conclusive triumph to reach in subsequent years the precincts of the Austrian Alps in Central Europe, and the lands beyond Central Asia, and South to the Indian Ocean.

The spectacular wonderous triumph of the Muslim nation was not the result of military power, or strength of manpower or weapon machine superiority. The very small numbers of very poorly equiped defeated the massive legions of the Romans, and the huge multitudes and hords of Persian forces, who were always exceedingly superior in numbers, war machines, and military experience. That emerging nation was strongly armed with the driving force of faith, belief, unfaultering confidence, and the zeal of spirit. They were the vanguards and the vigilants who carried the Message of Islam in genuine truth and honour, to transmit the culture of Muslim Theism to the whole world. This was the initial start of Muslim expansion beyond the confines of the Arab Peninsula. The Islamic culture and civilization that carried the banner of human freedom, equality, justice honour, goodness, virtue and prosperity for ten centuries. The culture that later spread by the inertia of its profound finesse and refinement to embrace the beliefs of the people of China, Turkestan, Egypt India, Russia, and Spain. The culture that still remains to present times inspite of all deterents, the only true lantern of belief and human liberation. The culture that every unbiassed mind seeks to understand and pursues to know and embrace to become one of its adherents.

This wonderous overpowering miracle is the actual result of the mechanism of the genuine understanding of civilization of the human society, the paradigm of true faith in the Divine Message. This was what Abu Bakre Al-Siddiq, Khalifah Rassul Allah optimized, implemented and administered as the policy during his short term of office. What happened is not a random process; it is the resultant natural outcome of the growth, expansion and dominance of a true genuine culture and civilization based on the Divine Message to Mankind. This initial victories of Muslim worriors during the wars of Apostates followed by the triumphs over the monstrous

self for its discipline and control; and strive against the enemy of the Muslim Ummah. Abu Bakre was the remarkable phenomenal extraordinary character who with extreme solidity and adamant thought and the most stoic and ecumenic understanding; achieved the expansion, stability, and unity of the Muslim Ummah. Only two years after the death of the Prophet, the culture of the Muslim Theism was heavily pounding the gates of two contemporary civilizations of the East and West, the Persian and the Roman Empires.

The Roman Empire symbolized the peak and grandeur of the Western Civilization with all the cummulative qualifications of potentialities, beliefs, administrative structure, science, knowledge, thought and art. It manifested the resultant cultures of Latin Europe, ancient Greece, Phenecians, and the Pharos. It constituted the lands extending from West Europe to the Agean Sea and expands further East to include the Middle East, North Africa, Palestine, to reach the Syrian desert. The Persian Empire represented the crescendo of pomp and magnificence, the majestic splendor of luxurious spectacle and bombastic power. It represented the collective civilizations of India, Persia, China, and the whole East. It extended geograhically from central Asia embracing its South far East, and expands West to cover Iraq and overspread to reach the Syrian desert.

The Syrian desert the dividing line between two contemporary colossals of civilization, might and power. This desert was arid desolate and barren; inhabited by nomad Arab tribes travelling north from the Peninsula and moving east into the persian empire, or west into the roman empire in search of pasture and grazing land. Both Empires were in continual dispute, hostility, perpetual enmity and display of military strength. There was no reason or logic behind this burning deadly opposition except the blind blatant display of power; and that power and might were the force of law, and by this law of force everything was justified. For seven centuries, the two mighty powers Persians and Romans were at war with even balance of victory and defeat. All other nations were silent minors and unimportant satellites, and the two powers appeared as the only prevalent in dominant existance. Amidst this exhibition of ostentatious supremacy of the two super powers; a poor nation emerges from the arid barren desolate expanse of the deserts of the Arabic Peninsula. That nation carried a Message of Divine origin, to expound to mankind; a message that united the diverse tribes of the desert

→

prophethood had ended. The depth of faith, the strength of belief, the optimization of piety, the adherence and observance of the teachings of the Prophet became the essential qualifications of the Muslim Ummah. Martyrdom as the symbol of sacrifice for the faith was the real source of strength and cohesion. Martyrdom was semantic of the human potentialities for human spiritual ascension and elevation, with the reward of self integrity, stability and spiritual dominance. Such were the spiritual elements of Abu Bakre that he learned from Islam, a lesson that was demonstrated by the Prophet every day of his life to all companions. Another lesson that Abu Bakre learned and fully developed its understanding and importance was that the Muslim Ummah had a message to deliver to mankind at large throughout the ages and that all humanity should listen and understand this message. The Divine Ecumenical message for the emancipation of mankind from self slavery, ego, transgression, and injustice.

These two basic pivots, the spiritual elevation at its maximum of belief and faith; and the propagation, proclamation, proliferation of the message of Islam as the most optimized culture to the social, mental, and physical health of mankind. With this understanding, Abu bakre fully conceptualized the universality of Islam, as the message not only for the Arabs; it is a cultivation, refinement, enlightment, discipline perception and education for the whole human race. With this understanding, Abu bakre developed the strength and adamant character, to confront and defeat the adverse hostile and antagonistic problems and difficulties that emerged at the early phase of his reign. With this understanding also Abu Bakre planned, engineered, promoted and fully supported the Iraq and Syrian crusades, in order to spread the Message of Islam to distant lands outside its cradle in the Arab Peninsula.

Certainly, the reign of Abu Bakre was exceptional; it was a reign of transition from prophethood and manifestations of Divine function, to the reign of establishment, ascertainment, optimization, determination, struggle and contention on the path of the Divine Message from Allah. Every individual of the Muslim Ummah was deeply invoked in carrying his share of the heavy burden and the great effort; from the Khalifah Abu Bakre himself to the last Muslim in the most remote corner of the Arab Peninsula. The strive on the path of Allah "The Jihhad Fi Sabil Allah", the most composite concept in the Muslim theism; the strive against the

ABU BAKRE AL-SIDDIQ

THE PARADIGM OF TRUE FAITH

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The reign of Abu Bakre was climactic in its distinction and uniqueness. The twenty seven months term of administration were significantly characterized by profound accomplishments of paramount dominance in the history of Islam. The epoch of prophetic revelation lasted for twenty three years and ended by the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). That period was exceptionally and distinctly singular, particularized to feature the ultimate and final Divinity and Revelation of the Holy Quran as the System of Monotheistic belief and faith. The Prophet was inspired by Divine support and power in all human functions and capabilities; and was championed by Transcendent commandments. The summons to Allah started on the tongue of one man, with an infinite potential of Reality and Belief. That man was the Messenger of the Holy Message of Allah to Mankind to remain to eternity. After twenty three years, the Message was imprinted in the hearts of thousands all over the Arab Peninsula, all in one rythm of a theo-political unity with the Master, Divinely - inspired Prophet at Al-Madinah. The total jurisdiction and jurisprudence were properties of the Prophet, being of Divine origin, were unchallenged and undisputed. The Life style, conduct and teachings of the Prophet became traditions to be understood and followed by sincere devoted Muslims as the paragon of perfection. The whole Arab nation was in unison and harmony, belonging to one belief and subject to its authority personified in the Persona Grada of the Prophet himself; the magnanimous the very much loved, the highly respected, the cherished and esteemed with grandeor and distinction, (prayers and peace from Allah upon him).

After the death of the Prophet, and the succession of Abu Bakre as Khalifah of Rassul Allah, there was no Revelation, no Divine inspiration; the epoch of

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 61, PART 10

SHAWAL, 1409, HIJRAH

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Abu Bakre Al-Siddiq.

The Paradigm of True Faith.
By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Fundamental Articles of Faith in Islam.

By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ذو القعدة ١٤٠٩هـ
يونيو ١٩٨٩م
الجزء الحادى عشر
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة الإيلاف

عصر هاشم بن عبد مناف

الجزء الأخير

ثلاث يحيا بهن ، وينتعش بوجودهن اقتصاد الجزيرة ، ويعود بهن إليها مجدها التجارى فحياتها الوارفة ، وتلك الثلاث هى ـ بعينها ـ التى توفرت لـ « سبأ » .

● حكومة قوية تمتاز بحكم الجزيرة كلها ، أو أهم أجزائها التى تسرى فيها القوافل فتحكم ـ فى عدل شامل : بَوَادِيَها وحواضرها ، طرقها وشعابها ، قبائلها ونزلاءها .

● اهتمام بطرق القوافل وشرايينها المنبثة بأرض الجزيرة شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً من حيث متابعة العناية بها ، وإقامة النُّزُل المضيفة بين مراحلها على مثال ما كانت عليه « القرى الظاهرة » فى « سبأ » لتتوفر لقطارات[1] الإبل حاجتها من : مقيل وطعام وشراب ، أو استبدال بعير أو أكثر بغيره مما عطب فى الطريق ، أو صيانة لوديعة تترك لضرورة بواحدة من تلك المحطات .. الخ .

←

● بسط الأمن الحازم الذى يكفل للقوافل سلامة الأفراد والصادرات والواردات فلا تنالها غارات الأعراب ، ولا يقع عليها لصوص البر ، أو « قرصان » البحر[٢] الذين اتخذوا « جيوباً » لهم على امتداد الساحل الشرقى من مطاريد الهنود بتلك البقاع .

بهذه الثلاث تمت للجزيرة زمناً نعمة الثراء وعز الترف بلا رهق فى حاجة ، أو ذل فى شظف .

وليس من شك أن رأس الثلاث أُولَاها ، فالحكومة القوية هى التى تملك بسط نفوذها ، والعناية بطرقها ، وتوفير الأمن لها .

وهذه « الحكومة » بالذات هى التى لا وجود لها عصر هاشم حيث الأمر شتات ، لكن هاشماً ـ أمير قريش وشيخها ـ عازم على المضى فى العمل لتحقيق هذا الرخاء وإحياء هذا الاقتصاد ؛ فهؤلاء قومه من قريش كادت تهلكهم السنون العجاف ، ومثلهم ـ فى ذلك ـ مثل الكثير من القبائل ، ولن يَنْبُذَ أمله ركوناً على فقدان الجزيرة لتلك الحكومة ، ويدفع إلى نفسه بعزاء كاذب يَفُضُّ من أمله لأن « الواقع » يحيله ، و« الدهر » لا ييسره .

إن ميراث الحكمة من قومه علَّمه أن « المرء يَعْجِزُ لا المحالة » .

نعم ؛ يعجز المرء لكن الحيلة مفتحة الأبواب ، ولا عليه إلا أن يعمل فكره فيمنحه الله ـ سبحانه ـ « البديل » .

وما من شك فى أن هذا « البديل » فى الجزيرة ، وعلى أرضها ، فما الأمر إلا « حكومة » و« قبائل » محكومة ؛ وإذا كان « الواقع » يرفض « الحكومة » فإنه يقدم « القبائل » فمنها ـ إذاً ـ تكون البداية .

●● ●● ●●

نعم ، من القبائل تكون البداية ، وإن لها من نخوة الشرف وعزة القِيَم ما تملك معه الوفاء **بعهدها** ووعدها إذا نجح هاشم فى إقامة « إيلاف » بينه ـ ممثلاً لقريش ، وبين كل منها على طول طرق القوافل حتى تنتهى ـ شمالاً ـ إلى البحر الأبيض رسول التجارة إلى أوروبا ، وحتى تصل ـ جنوباً ـ إلى عدن ـ فتقيم لها سوقاً بأرض الحبشة .

إنها البديل مع شىء من الدراسة :

فالقبائل صنفان :

---

(١) تعنى كلمة قطار ـ أساساً ـ فى اللغة : عدد من الإبل بعضه خلف بعض على نسق واحد ، يقال : جاءت الإبل قطاراً ، مقطورة ، واستعير اللفظ حديثاً لمركبات السكك الحديدية تجرها قاطرة .

(٢) راجع هذا الموضوع للأستاذ « قاضى أطهر مبارك » فى بحثه « من النارجيل إلى النخيل » عرّبه عن الأُردية الأستاذ « عميد الزمان القاسمى الكيرانوى » ونشر بمجلة « ثقافة الهند » التى يصدرها « مجلس الهند للروابط الثقافية » بـ « أزاربهون ـ دلهى الجديدة » الأعداد الأول والثالث والرابع . يناير ، يوليو ، أكتوبر ١٩٦٥ ـ والموضوع أيضاً لدى الإمام الطبرى ـ رضى الله عنه ـ فى حروب الردة فقد كان هؤلاء من أعوانها على الإسلام .

صنف بمشارف الشام هو ومن لاذ به خاضع لتوجيه بيزنطة ، للروم عليه التزامات وحقوق ، ومثله بمشارف الشرق من الشمال يسيطر عليه الفرس، لهم عليهم بدورهم التزامات وحقوق .
وهؤلاء وهؤلاء لا يُعطُون عهودهم عن خيار ، فلابد من « جواز » لها من الفرس والروم .

ولعل قارئنا على ذكر من قبائل الشمال والتزاماتها ، وقد أسلفنا ـ فى ذلك ـ واقعة حين عرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه على بعض قبائل تتبع فارس طالباً جوارها ، فكان أن اعتذروا بـ « رَدّ » جميل ؛ فقالوا :

« إنّا نزلنا بين صَرّيَيْن : أحدهما « اليمامة » والآخر « السماوة »[٣] ، أما أحدهما فطفوف البرّ وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى : الا نحدث حدثاً ولا نؤوى محدثاً ، ولعل هذا الأمر الذى تدعونا إليه مما تكرهه الملوك .
فأما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول .
وأما ما كان مما يلى فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول .
فإن أردت أن « ننصرك » و« نمنعك » مما يلى العرب فعلنا . »
وأنت ترى نفوذ الفرس واضح فى الإجابة ، وليس دونهم الروم

وصنف من القبائل لا سبيل لهؤلاء وهؤلاء عليه ، وأولئك لا يرهقهم عهد ولا وعد فأمرهم ميسور .
وَنُذَكِّرُ بأمر « الحبشة » فإن قوافل هاشم إذا أرادت أن تطرقها فلابد من « جواز » يُعطِيه مَلِكُها ، فيكون له بها سوق ، لا سيما وبالحبشة جالية عربية كبيرة .
وإذاً ؛ فلن يسلم الطريق ويأمن إلا بإذن الثلاثة .
وقرر هاشم الاتصال بهم ؛ فإن له من منزلته ما ييسر ذلك .

●● ●● ●●

وتستمر رؤية « الأمير » كشفاً وتذليلاً :
فإنه فى « ميزان اقتصاد الجزيرة » ترجح كفة الروم على فارس :
فالروم ـ ومن ورائهم الغرب ـ أصحاب السوق المستهلكة الأولى من قديم لصادرات الجزيرة مما كانت تجلبه من ديار الهند مضافاً إليه عطور الجزيرة النادرة ومنتجاتها .

ثم للروم ديارهم المفتوحة على البحر الأبيض ؛ فهم سوق من ورائها سوق .
ثم للروم نفوذهم الأدبى على « الحبشة » فإذا تيسر له إذن الروم سهل عليه أمر الحبشة .
وليس لفارس من ذلك شىء ؛ بل هى عدو مناهض للحبشة ، وثغورها لا تنال أوروبا من قليل أو كثير ، وليس يعنى وضع فارس من اقتصاد الجزيرة إهمالها ، إنما يعنى أن يكون الاهتمام بأمرها مساوياً لحجم استهلاكها من السوق العربية وإفادة القبائل العربية المتاخمة لحدودها .

●● ●● ●●

طرح هاشم على إخوته : عبد شمس ونوفل والمطلب رؤيته فاستجابوا له .

←

---

(٣) الصرى : كل ماء مجتمع . راجع مجلة الأزهر شوال ١٤٠٨هـ .

وكان « الامبراطور » ـ وهو الذى سيبدأ هاشم به ـ كثيراً ما يتردد على املاك الدولة الرومانية بالشام ، وله منازله فى الجزء الغربى منها حيث « القسطنطينية » أو « انقرة » وعزم الأمير على لقائه .

وكان لهاشم ثقله السياسي الذى له وزن ترحب به بيزنطة التى تستقبل من العرب بعض الشعراء إلى جانب امير غسان عميلها فى الشمال :

فهاشمُ أميرُ مكة وراس مشيختها ، وولى امر البيت الذين تدين له العرب فى عقيدتها وشئونها الروحية ، ومن بينهم كثرة من نفس الغساسنة الذين يدينون بالولاء لبيزنطة ، ولا يفتأون يحجون البيت ويعتمرون .

وإن الأمبراطور ليعلم ذلك منهم ، وعن طريقهم ايضاً يعلم أن العرب تختلف ما تختلف وتفترق ما تفترق ما لم يعلق بالبيت حادث فهم رجل واحد ، وقلب واحد لا يختلف على نفسه، ولا ينشق على أمره .

وذلك يعنى أن لمكة سلطانها الروحى على أتباع الامبراطور نفسه .

وهذه تحسب لهاشم فى ميزانه السياسي .

ثم هاشم ـ من بعد ذلك ـ رأس البيت الهاشمى الذى ارسى سياسة « الحياد » لمشيخة مكة ، ورفع من شأنها فأقرت بها القبائل ؛ فلم تشركه فى نزاع ، أو تدفع به إلى خصومة .

ولعل هذا الحياد الشريف هو الذي منع « بيزنطة » أن تمد يد التعارف إلى الأمير ، فتبدأ بالخطوة الأولى ؛ فـ « الديبلوماسية » عادة ما تحجم عن خطوة يترتب على رفضها مساً بالكرامة ، فأما إذا لوّح الأمير بها فما أسرع ما تستجيب لأمير يفوق إمارة غسان منزلة ونفوذاً .

وسعى هاشم تسبقه أريحيته الجميلة ، وتمثيله العزيز لبلده ، وعرفت فيه حاشية الأمبراطور هذه الشمائل الطيبة والشمم العزيز ، ونجح لقاؤه بالأمبراطور ، ثم تكرر .

يقول ابن سعد ـ فى طبقاته عن رحلات الأمير التى بلغت احياناً «انقرة» ولم تقتصر على الشام :

« وربما بلغ أنقرة فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه » (٤) .

حتى إذا تمكن من نفسه ، وعزت منزلته عنده ، ونال إعجابه ـ كما يقول صاحب « النوادر » وجد هاشم الفرصة لتحقيق هدفه فى الأمرين معاً ، وكلل الله ـ سبحانه ـ مسعاه بالنجاح .

قال صاحب « النوادر » .

فلما رأى نفسه تمكن عنده ، قال :

ايها الملك ، إن قومى تُجارُ العرب ؛ فإن رأيت أن تكتب لى كتاباً تُؤَمِّنُ تجارتهم ؛ فَيَقْدَمُوا عليك بما يُسْتَطْرَفُ من أَدَمِ الحجاز وثيابه ، فتباع عندكم فهو أرخص عليكم ، فكتب له كتاب امان لمن يقدم منهم » (٥) .

---

(٤) طبقات ابن سعد ١/٧٥ دار صادر بيروت ١٣٨٨ .

(٥) ابو على القالى ـ النوادر ص ١٩٩ ط دار الكتب ١٣٤٤ .

زاد صاحب الطبقات :

« وكتب إلى النجاشي أن يدخل قريشاً أرضه »(٦) .

ففاز هاشم بالأمرين جميعاً .

« فأقبل ـ والحديث للنوادر ـ بذلك الكتاب ، فجعل كلما مَرَّبحى من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم (إيلافاً) .

والإيلاف : أن يَأمَنُوا عندهم ـ في أرضهم ـ بغير حِلف ، إنما هو أمان الطريق » .

ونال الأمير بذلك عهد الإيلاف من القبائل المدينة لبيزنطة دون أن يرهقها بعهد تنال به سخط الامبراطور .

وعَقدَ « إيلافَه » مع قبائل الطريق حتى مكة .

وتجلت أريحية هاشم في تطبيقه لإنعاش الجزيرة ، فهو ـ وقد أَمِنَ الطريق ـ واصبحت كل قبيلة كفيلة بتوفير حاجة القوافل على شتى ضروبها ـ تَأَلَّفَ القبائل بأمرين :

١ ـ أن تحمل قريش إليهم بضائع فيكفونهم السعى لحملها .

٢ ـ وأن تحمل عنهم قريش ما لديهم من سلع يريدون الاتجار فيها ، ويؤدون إليهم رءوس أموالهم وربحهم ، ولاكراء على قبائل الطريق ، ويعنى ذلك أيضاً أن يشاركه العمل بعضُ أبناء هذه القبائل .

وكان لذلك فعل السحر في تأليفها إيلافاً (٧) جميلاً فأدوا للقوافل خير الأداء ، وانتعشوا وأصابهم جزيل الثراء .

●● ●● ●●

قدم هاشم من تلك السفرة الميمونة إلى مكة ، ودخل على قومه .. « بأعظم شيء أُتُوا به بركة » ، ثم وَجَّهَ إخوته لإيلاف القبائل بمختلف أرجاء الجزيرة :

فوجه .. « عبد شمس » إلى الحبشة برسالة الامبراطور فنال عهد إيلافها من ملكها بـ « حَبْلٍ » متين ، و« عصمة » مُوَثَّقَة (٨) .

ووجه « نوفلا » إلى فارس فنجح إيلافه ، ونال حق الاختلاف بقوافله إلى العراق وأرض فارس .

ووجه « المطلب » إلى التبابعة باليمن فنال من « الحميريين » إيلافاً بالاختلاف إلى اليمن .

قال الإمام الطبرى ـ في الإخوة الأربعة :

فَجَبَرَ الله بهم قريشاً فسموا « المُجَبِّرِين »(٩) .

●● ●● ●●

وبدأت قوافل قريش تمارس العمل ، وقام كل أخ من الإخوة الأربعة وبخاصة في القافلة الأولى برياستها في طريق إيلافه ، إذ كل منهم هو الشخصية المعروفة لدى القبائل التى نال عهدها .

قال ـ في النوادر ـ بصدد هاشم :

« فخرجوا بتجارة عظيمة ، وخرج هاشم يُجَوِّزُهُمْ يُوَفِّيهِمْ إيلافهم الذى اخذ لهم من العرب حتى

---

(٦) طبقات ابن سعد ٧٨/١ .

(٧) الإيلاف : من الألفة والتألف .

(٨) « الحبل » و« العصمة » و« العهد » ألفاظ بمعنى واحد ترددت في مختلف المراجع بصدد الإيلاف في أخذ عهده من القبائل .

(٩) هذا اللفظ (المجبرين) محرر لدى كل من الطبرى وابن الاثير ـ رضى الله عنهما ، ووقع فيه أكثر من تصحيف لدى آخرين .

أوردهم الشام ، وَأَحَلَّهُمْ قُرَاها » .

وفى « المُحَبرّ » عن بقية الإخوة واتجاهاتهم :

« وكان « مَتْجَرُ » عبد شمس إلى الحبشة ....

وكان متجر المطلب إلى اليمن ....

وكان متجر نوفل إلى العراق ....

...... وكل من هؤلاء كان رئيسَ مَنْ يخرج معه ممن يتجر فى وجهه .....

فهؤلاء سادة قريش وناعشوهم » أ هـ

وتوالت الرحلات فأصبحت مكة قلب اقتصاد الجزيرة .

ذاك « إيلاف قريش » عن مراجعنا الإسلامية العربية .

●● ●● ●●

وتلك مادة الغرب عن أثره على مكة

ينقلها لنا الأستاذ محمد مبروك نافع بصدد حديثه عن « مفخرة هاشم » قال :

« وقد ازدهرت الحياة فى مكة فى عهده ازدهاراً كبيراً ، وأصبحت تعج بالتجار من الشمال والجنوب ، حتى لقد سماها بعض المستشرقين بندقية بلاد العرب (فينيسيا) .

وذكر المستشرق (أوليرى) فى كتابه : (بلاد العرب قبل الإسلام) ما خلاصته :

[أصبحت مكة مركزاً للصيرفة يمكن أن يدفع فيه التجار أثمان السلع التى ترسل إلى بلاد بعيدة ، كما كانت عملية الشحن والتفريغ لهذه التجارة الدولية تتم هناك .

كذلك كان يتم التأمين على المتاجر ، وهى تجتاز الطريق المحفوفة بالمخاطر (١٠)]

واستطاعت مكة أن تحتكر النقل فى الطريق الذى يصل مابين مكة والشمال وتتقاضى على ذلك أجوراً لا تقل عن أثمان المتاجر التى تحملها (١١) .

وكان للدول المجاورة : بيزنطة وفارس ممثلين فى قلب مكة نفسها (ذكر ذلك الواقدى وأيده الأستاذ لامنس) ، وملأت الأعمال التجارية فراغ كل المكيين حتى لم يكن من أهل مكة من كان يرى أن ينفق وقتاً فى القيام بأعمال الشرطة والجيش ، ومن أجل ذلك كانوا يستأجرون جنداً مرتزقة ـ من أفريقيا هم الأحباش ـ للقيام بحراستهم .

« ولكثرة ما كانت تعج به مكة من أفراد من أمم مختلفة اصطبغت بصبغة دولية ، ودوليتها هذه تفسر لنا ـ إلى حد كبير ـ ما دخل لغة قريش من ألفاظ رومية أو فارسية أو حبشية أو غيرها » (١٢) .

ذاك إيلاف قريش كما عرفه الشرق والغرب وسجله الكتاب العزيز

د. على أحمد الخطيب

---

(١٠) تفسر نصوص هؤلاء الغربيين فى ضوء ما نعرفه نحن عن الشمائل العربية وعهود العرب ، فالمخاطر هنا ليست مخاطر تقوم بها القبائل فذلك ما لا يكون كما قد عرفنا من بسطنا للإيلاف ، وإنما هى مخاطر تلف السلعة نفسها بفسادها فى الطريق .

(١١) ما تتقاضاه مكة هنا ليس من القبائل ، وإنما من الدول التى تطلب إلى مكة متاجر بعينها : فقد كانت شروط هاشم مع القبائل واضحة ، فإنه لاكراء على أهل الطريق .

(١٢) محمد مبروك نافع ـ تاريخ العرب : عصر ما قبل الإسلام ص ١٧٢ نشر مكتبة النهضة المصرية ط ٢ ـ ١٩٥٢ .

نص كلمة السيد رئيس الجمهورية بالمسجد الأحمدى بطنطا

ليلة السابع والعشرين من رمضان

قال السيد الرئيس محمد حسني مبارك :

الإمام الاكبر شيخ الازهر .

العلماء الأجلاء .

الاخوة الكرام ابناء مصر وسائر بلاد العروبة والإسلام .

يسعدني كل السعادة ان اشهد هذا الحفل الكريم الذي يقام في ذكرى لها في قلوبنا كل الإجلال والتعظيم وهي ذكرى بدء نزول القرآن على نبينا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التسليم ... إنها ليلة القدر التي هي خير من الف شهر لانها الليلة التي تمثل فجر الرسالة المحمدية ومطلع المعجزة القرآنية وميلاد الدين الخالد الذي جاء منجاة للبشرية .

فتهنئة من القلب لكم ـ ولكل ابناء الوطن والعروبة والإسلام ـ بهذه المناسبة المجيدة ودعاء إلى الله سبحانه أن يرعى امتنا ويحفظ عليها سلامها وامنها وان يصون وحدتها وعزتها وان يحقق لها دوام الاستقرار والانتصار والازدهار .

وبعد ... فالاحتفال بليلة القدر يلفتنا ـ بكل التقديس والإجلال إلى الآيات المضيئات التي اشرقت بها تلك الليلة المباركة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً وهي تلك الآيات التي كانت أول ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ـ صلوات الله عليه ـ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين ... وهذه الآيات الأولى هي قوله سبحانه: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ والتفاتنا إلى هذه الآيات المطهرات أمامنا حقيقة خالدة يجب أن نتخذها دائماً هاديا ودليلاً حتى تكون مسيرتنا أبداً على هدى من دستور ربنا وعلى بصيرة من نور نبينا ، وتلك الحقيقة التي تشرق بها تلك الآيات أمامنا هي أن الرسالة المحمدية دعوة ربانية شاملة تقوم على دعامتين أساسيتين هما :

الإيمان والعلم . فالآيات الأولى من وحي الله إلى نبيه الكريم تدعوه « باسم ربه الذي خلق » وفي هذا وضع للدعامة الأولى وهي دعامة الإيمان ... والآيات تدعو الرسول الكريم إلى القراءة وتلفت النظر إلى تعليم الله للإنسان وتذكر القلم رمزاً لأدوات التعليم ... وفي هذا وضع للدعامة الثانية وهي دعامة العلم .

←

دعوة للإيمان والعلم :

ومع هذه البداية وما حفل به القرآن الكريم بعدها من آيات وسور يتضح أن دعوة الإسلام تقوم على الإيمان والعلم وهذا حق لامراء فيه فالإيمان الصحيح يدعو إلى العلم ويحث عليه والعلم الصحيح يدفع إلى الإيمان ويعمق الإحساس به .

وقد سار الرسول الكريم على هدى هذا التوجيه الإلهي الخالد فحرص على أن يكوّن مجتمعاً تعمر قلوب أصحابه بالإيمان وتتالق عقولهم بالعلم ، وكان يدعو إلى تنوير العقول بالمعارف القويمة في نفس الوقت الذي يدعو فيه إلى تطهير القلوب بقيم الإيمان السليمة ، ومضى المسلمون في العهود الأولى على دستور ربهم وسنة نبيهم يقيمون دولتهم على دعامتي الإيمان والعلم وبهذا استطاعوا أن يقيموا دولة كبرى وأن يصنعوا حضارة عظمى شهد لها كل المنصفين حتى من غير المسلمين ... وقد كان التفوق هو النتيجة الطبيعية لهذا الوعي الرشيد بالتوجيه الإلهي السديد فالإيمان - في حقيقته - قوة إيجابية دافعة وليس عاطفة سلبية متقوقعة ، وذلك أن الإنسان حين يؤمن أن لا إله إلا الله يتحرر من كل عوامل الضعف والخوف ويستشعر قوة الله مدداً ويحس رعاية خالقه سنداً فيقدم ولا يحجم ويمضي مقتحماً كل الصعاب وقد وضع روحه على كفه ، لا ينافق ولا يكذب ولا يداهن ولا يستكين ، لانه يؤمن ان مصيره بيد الله وحده وأن احدا لا يملك له ضراً ولا نفعاً ولأن ضميره عامر بقول الرسول العظيم : « واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف » .

الإسلام والسلوك المتحضر :

والإيمان - في حقيقته - موجه إلى التعامل الراقي والسلوك المتحضر والتمسك برفيع القيم لأن المؤمن الحق هو من أمن الناس شره ، والمسلم الحق من سلم الناس من لسانه ويده ، ولأن صادق الإيمان هو من يحب لأخيه ما يحب لنفسه كما أن أكرم الناس عند الله اتقاهم وأحسن الناس أحسنهم أخلاقاً وخير الناس أنفعهم للناس .. هذا ما يستفاد من آيات الله وأحاديث رسوله وغير هذا كثير مما يؤكد على أهمية الجانب السلوكي للإيمان .

والإيمان الصحيح - يدعو إلى العمل ولا يكتفي من المؤمن بالعبادة لأن الله قد خلق الأرض ليعمرها عباده وطلب منهم أن يمشوا في مناكبها ليأكلوا من رزقه كما طلب منهم إذا قضيت الصلاة أن ينتشروا في الأرض وأن يبتغوا من فضل الله ... وأكد النبي الكريم دعوة ربه إلى العمل فقال : « خيركم من أكل من عمل يده » وفضل الإنسان العامل الذي يكدح ليربح رزقه ورزق أخيه ، على هذا الأخ الذي آثر الانقطاع للعبادة فقال صلى الله عليه وسلم عن هذا الأخ « أخوه خير منه » .

والإيمان - الصحيح - سماحة ومحبة وأخوة ، وليس عداوة ولا تفرقاً ولا كراهية .. وما أصدق قول الله سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ وما اعظم قوله جل شأنه : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ وما أدق قوله أيضاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ وما أروع الرسول الكريم ﷺ حين حدد لأصحابه من هم أحب الناس إلى قلبه ومن هم أقربهم منه مجالساً يوم القيامة فقال : « أحاسنكم أخلاقاً ،

الذين يألفون ويؤلفون »، وما أرفع إنسانيته صلوات الله عليه حين قال : « تبسمك في وجه أخيك صدقة »، أو شعبة من شعب الإيمان ».

وإذن فالإيمان - إلى جانب تحقيقه للعقيدة الصحيحة - يحرر الإنسان فكراً وضميراً ويصوبه سلوكاً وخلقاً ويدفعه إنتاجاً وعملاً، ويربطه بأبناء أمته إحساساً وشعوراً ويجعله يفيض حباً وودأ وسماحة .

أما العلم - وهو الدعامة الثانية من دعامتي الدعوة الإسلامية - فأعتقد أنه العلم الشامل الذى يضم علوم الدنيا مع علوم الدين فبعلوم الدين يستقيم أمر الإنسان فى علاقته بخالقه وبالناس وفى كل ما يتصل بأمور دينه من عبادات ومعاملات يجب أن تكون فى إطارها الإسلامى الصحيح وبعلوم الدنيا يستقيم أمر الإنسان فى علاقته بالحياة من حوله وبكل ما يرتبط بهذه الحياة من طبيعة ومكان وزمان بحيث يسخر كل شىء من أجل حماية الإنسان وسعادته وتحقيق العمران وتقدم حضارته .

والعلم المطلوب فى كل الأحوال هو العلم النافع البناء الذى يسعى إلى سعادة الإنسان ويعمل على تقدم الحياة وهو العلم الذى يراقب أصحابه الله ويحكمون الضمير فلا يسخرون علمهم لأذى أو يوجهونه إلى ما يمس استمرار عمار الأرض وحق أبنائها فى أن يعيشوا سالمين آمنين .. وهذا العلم هو الذى قامت عليه كل حضارة راقية وخير نموذج هنا هو حضارة الإسلام الباقية .

إسلامنا وصحوتنا الكبرى

أيها الأخوة :

إننا ونحن نطالب بالصحوة الكبرى لبلادنا ولعالمنا العربى والإسلامى لا نرى طريقا أكثر استقامة من الطريق الذى رسمه ديننا الحنيف والذى وضحه القرآن الكريم ونبه إليه ربنا فى الآيات الأولى التى أضاءت بها الدنيا منذ أكثر من أربعة عشر قرنا هذا الطريق هو طريق الإيمان والعلم ، الإيمان الصحيح والعلم الصحيح .. ففى يقينى أن كل ما نشكو منه على المستوى الوطنى أو العربى أو الإسلامى إنما سببه الخلل فى تعاملنا مع إحدى هاتين الدعامتين أو مع كلتيهما أى أن السبب فيما نعانيه يكمن إما فى عدم الأخذ الدقيق بما يقتضيه الإيمان أو فى التخلف فى مجال العلم أو فى الأمرين جميعا .

فإذا أردنا أن نسير فى صحوتنا الكبرى على الطريق الصحيح فلنأخذ أنفسنا بما يقتضيه الإيمان الصحيح والعلم الصحيح ولنجعل من هذين الأمرين ركيزتين أساسيتين لنهضتنا المأمولة فإنه لن يصلح أمر أمتنا اليوم إلا بما صلح به أمرها بالأمس ولن تقوم نهضتها من بعد إلا على ما قامت عليه نهضتها من قبل يوم كانت لنا دولة تمتد من حدود الهند شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا ومن الأندلس وحدود فرنسا شمالا إلى أواسط أفريقيا جنوبا ويوم كان آباؤنا يحملون إلى كل العالم مشاعل النور ويمثلون كتائب التحرير والتحضر والتنوير ويوم كان العالم يتلقى عنهم مبادىء الدين القويم والفكر الراقى والفن الرفيع ويوم كانت أمتنا تتصدر الأمم وتعيش عصر النور الباهر والتحضر الشامل والتقدم الرائد على حين كان غيرها يتخبط فى ظلمات العصور الوسطى ويحيا فى كهوف التخلف والضياع والتردى .

تصحيح المسيرة

لقد كان لنا كل ذلك فى عهود ازدهار حضارة الإسلام لأننا كنا نفهم جيدا أن النهضة إنما

كلمة الرئيس بالمسجد الأحمدى

تقوم على الإيمان الصحيح والعلم الصحيح .. ولذا لابد لنا من أن نعى هذه الحقيقة أو أن نأخذ أنفسنا بما تتطلبه من عمل جاد لتصحيح مسيرتنا وترشيد خطانا .. إن علينا أن نعمل بكل الجهد على أن يفهم شعبنا حقيقة ما يتطلبه الإيمان وأن يتعمق فى القلوب هذا الفهم حتى تنبعث من الإيمان طاقات خلاقة وقوى مبدعة تحقق الإنتاج الوفير وتصل بنا إلى حد الكفاية التى نستغنى بها عن الاحتياج إلى الآخرين فالإيمان يدعونا إلى العمل الجاد المجود وقبل ذلك يدعونا إلى عزة النفس والترفع عن سؤال الغير .

ويدعونا إلى تحمل كل الصعوبات والصبر على كل الملمات فى سبيل الاعتماد على النفس ومن أجل صون الكرامة وحماية حرية الإرادة وهذا كله يدفع إلى مضاعفة الجهد ـ من منطلق الإيمان ـ لكى نحقق لأنفسنا الكفاية فى إباء بل لنصل إلى مجتمع الوفرة والرخاء .

والإيمان الصحيح يدعونا ابتداء إلى تقوى الله وإلى مراقبته فى كل ما نأخذ وما ندع وهذه التقوى ـ أو المراقبة ـ هى أساس الفضائل .. ولو أخذنا بها ـ من منطلق الإيمان ـ لما كان بيننا انحراف عن حق أو اقتراف لمنكر ولتحقق مجتمع الطهارة والاستقامة واستقر الأمن والسلام والإيمان الصحيح يدعونا إلى الاقتصاد وعدم الإسراف كما يدعونا إلى الأمانة ويحثنا على رعاية حقوق الآخرين ويبغض إلينا الاحتكار والاستغلال والمغالاة فى الربح ويفرض علينا الحفاظ على المال العام وكل ما من شأنه أن يمس مصالح الجماعة .. ولو أخذنا أنفسنا بهذا ـ مع وفرة الإنتاج وتجويده ـ لحلت مشكلاتنا الاقتصادية أو خفت وطأتها فى أقل تقدير .

دعوة للمحبة والتراحم

والإيمان الصحيح يدعونا إلى المحبة والتكافل بل ، يحضنا على التراحم والتآخى ويحث كلا منا على تخفيف أعباء الحياة عن الآخرين باعتبار أننا جميعا أخوة ولو أخذنا أنفسنا بهذا لاختفت من حياتنا المشكلات الطبقية أو أصبحت فى أضيق نطاق .

الإيمان الصحيح يدعونا إلى رعاية أنفسنا ويحثنا على صيانة هذا الكيان . الإنسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم ويأمرنا بحفظه جسداً وعقلا ونفسا من كل ما يؤذيه أو يلحق الضرر به ولقد بلغ الأمر إلى حد اعتبار إساءة الإنسان إلى نفسه جرما وإدخال المنتحر فى دائرة القاتلين للنفس التى حرم الله .

ومن هنا كان تحريم المسكرات والمخدرات وكل ما يذهب العقل أو يقلل من قدرته أو حتى يصيبه بالفتور .. ولو أخذنا بهذا ـ من منطلق الإيمان الصحيح ـ لما عانينا من مشكلات التعاطى التى تهدد المجتمع فى صحة أبنائه ومستقبل شبابه والتى تدفع إلى أبشع الجرائم وتنذر بأوخم العواقب .

العلم أساسنا للحياة الكريمة :

والعلم ـ وهو الدعامة الثانية من دعامتى الدعوة المحمدية ـ لو أخذنا به على الوجه الصحيح ، لكثفنا استثمارنا للأرض ، وضاعفنا إنتاجنا فى الصناعة ولزدنا من فرص العمل للشباب ، ووفرنا المزيد من الدخل والكفاية للوطن والمواطنين ، ولحققنا ـ آخر الأمر ـ حياة أكرم لشعبنا ومستوى أرقى لأمتنا ولخرجنا من تلك الدائرة المنزوية على خريطة العالم الثالث ، ولتصدرنا ـ بجدارة ـ مع الدول الراقية ، واسترجعنا مكانتنا الكريمة التى كانت لأمتنا ذات يوم .

إنه لما يحز فى النفس أن تظل أمتنا الإسلامية ـ ومعها عالمنا العربى ـ إلى اليوم تلهث وراء العالم الأول ، وتعيش ـ فى كثير من المجالات الحيوية ـ على نتاج عقول أبنائه ـ ومكتشفات علمائه ، وقد آن الأوان لكى نصحح هذا الوضع الذى لا يليق بأمة قامت دعوة دينها أساسا على العلم إلى جانب الإيمان ، وكان علماؤها ومفكروها أساتذة للعالم ابتكارا وأقر لهم العالم بما صانوا من علوم سابقيهم ، وبما أبدعوا من ابتكاراتهم وبما مهدوا به لقيام النهضة الأوروبية على أصول من تراثهم .

ويحز فى النفس أكثر أننا فى مصر كنا قد بدأنا صحوتنا العلمية منذ أوائل القرن الماضى ، وسبقنا بذلك بعض البلاد التى أصبحت اليوم تحتل الصدارة مع المتصدرين فى مجال العلوم .. ولكننا ما لبثنا أن تثاقلت خطانا ، وعوقت ـ لكثير من الأسباب ـ مسيرتنا وقد آن الأوان لنجدد المسيرة ونسرع الخطى ، حتى نعوض مافات فلا سبيل إلى النهوض الصحيح إلا على أساس من العلم الصحيح والإيمان الصحيح .

وليس المهم أن نحشد الملايين من التلاميذ والطلاب فى المدارس والمعاهد والجامعات ، ثم نخرج الآف كل عام دون أن يرتبطوا ـ فيما حصلوا ـ باحتياجات مجتمعهم ومتطلبات معيشتهم ودون تنمية لملكاتهم أو تسليح لكفاءتهم أو توجيه لقدراتهم إلى الطريق الصحيح ، الذى ينفعهم وينفع بلدهم .

إن العلم الذي يجب أن نعنى به ـ فى المقام الأول ـ هو العلم الذى يمنح المتعلمين القدرة على تحقيق الحياة الكريمة ، والذى يمنح الوطن مزيدا من التقدم والاكتفاء ويحقق له الازدهار والرخاء .. وليس العلم الذى يزيد عدد العاطلين السافرين ، أو المقنعين ، من المنتظرين للوظائف ، أو الموظفين الذين تضيق بهم المكاتب ، دون عمل مثمر يكافىء ما بذلوا فى التعليم من جهد ، وما بذلت الدولة لأجلهم من مال .

والعلم المطلوب هو العلم المرتبط بروح العصر ، والآخذ بمستحدثاته بل المشارك فى مسيرته والمستفيد من أرقى منجزاته .

العلم المطلوب هو العلم المحوط بالخلق المصون بالضمير الموظف لخدمة الإنسان وتقدم الحياة ، والمشارك ابتداء فى حل مشكلات الوطن ، وتحقيق انتصاراته فى كل معاركه وملاحمه وتحدياته .

نصـــر رمضـــان

وإن لنا لشاهد صدق مازال منا قريب ، بل إنه محفور فى ذاكرتنا ليؤكد لنا دائما على ما يمكن أن يصنعه العلم مع الإيمان ، فى تحقيق ما يشبه المعجزات التى لا تنسى على مر الأزمان .. هذا الشاهد هو ما تحقق فى حرب رمضان منذ ستة عشر عاما ، حيث توفر الإيمان بالله والوطن من جانب ، والأخذ بالعلم وأرقى تكنولوجيا العصر من جانب آخر ، فكانت النتيجة هذا النصر العظيم الذى نفض عن جبين أمتنا غبار الهزيمة ، ورد إلى قلبها روح العزة وشموخ الكرامة ، والذى أذاقنا نشوة النصر ، بعد سنوات من معاناة مرارة القهر ، والذى رفع ـ من جديد ـ أعلامنا عالية خفاقة على كل أرضنا ، تؤكد سيادتنا على ترابنا ، وبسالتنا فى الذود عن حمانا وعرضنا .. ولقد اجتزنا لتحقيق هذا النصر العظيم عوائق رهيبة ، كان كثيرون يعتقدون أنها لا يمكن أن تتخطى وأن التغلب عليها ضرب من المحال ، بل إن الاقتراب منها هو الانتحار والوبال .. ولكننا رغم كل شىء ـ وبفضل العلم

كلمة الرئيس بالمسجد الأحمدى

والإيمان ـ عبرنا أكبر مانع مائى فى تاريخ الحروب ، وهو قناة السويس .

كما أزلنا فى حرب رمضان المبارك أكبر ساتر ركامى عرفته الحروب وهو الذى قيل عنه ـ قبل ذلك ـ إنه لن تجدى فى إزالته أعتى القنابل ولكنه قد انهار ـ مع ذلك ـ أمام استخدام قواتنا المسلحة للعلم الذى يسانده الإيمان ، فشقت فيه الطرق للمدرعات والدبابات بوسائل مصرية فعلت ما عجزت عنه القنابل والكاسحات . كما تسلق جنودنا هذا الساتر فى الأماكن التى لم تدع الحاجة إلى شقها تسلقوا ومعهم معداتهم ليرفعوا علم مصر خفاقا على الأرض المستردة والحصون المتهاوية .

وكان الأداء القتالى على أروع صورة ، بعد التخطيط الدقيق والتدريب الشاق ، والتسليح الواعى والتمويه الذكى والتكامل الرائع .. وكل هذا من منطلق علمى يقوم على أحدث ما وصل إليه العلم من نظريات ، وما بلغته التكنولوجيا من منجزات ، وقبل ذلك كان الإيمان الراسخ ، الذى تعمق فى قلوب كل المقاتلين ، وجعلهم يقدمون على المعارك فى لهفة وشوق .. طالبين إحدى الحسنيين مثوبة الشهادة أو عزة النصر .

وهكذا كانت معركة رمضان ـ وما تحقق فيها من نصر عظيم ـ دليلا ساطعا ومثلا خالدا على أن أى عمل عظيم يقوم ابتداء على ما دعا إليه ربنا فى دينه القويم ، من الإيمان الصحيح والعلم الصحيح .

وهكذا نستلهم من ذكرى ليلة القدر ـ ليلة بدء الوحى بنزول القرآن وفجر الرسالة المحمدية ـ نستلهم منها الدرس الأول من دروس كتاب الله ، وهو الدعوة إلى الإيمان والعلم ونرى أنهما الركيزتان الأساسيتان لدولة الإسلام وحضاراته فى الماضى ، ونرجو أن يكونا الركيزتين الأساسيتين لدولة الإسلام وحضاراته فى الحاضر والمستقبل .. فبالإيمان والعلم كانت نهضتنا وبالإيمان والعلم سوف تكون نهضتنا من جديد فعلى بركة الله نضع هذا المنهج دليلا ، ونمضى فى طريقه سبيلا ، والله الموفق ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

وكل عام وانتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله .

اللقاء الصحفى

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

ومراسلة راديو الفاتيكان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر - بمكتب فضيلته ظهر الخميس ١٩٨٩/٥/٢٥ مراسلة إذاعة الفاتيكان بالقاهرة « بياتريز أجير » والمصور الصحفى « أنطوان جيرارد » وذلك بناء على كتاب المركز الصحفى الموجه إلى مدير عام الإعلام لمكتب فضيلة شيخ الأزهر والذى يفيد رغبة المراسلة الإذاعية فى هذا اللقاء لإجراء حديث حول موسم الحج ، وكيفية اختيار الحجاج .

بدأ اللقاء بسؤال عن الحج والعمرة فى الإسلام .

وهل تغير معنى الحج بين القديم والحديث ، وأن المراسلة قد قرأت فى الصحف المصرية أن البعض يذهب للشراء أو للتجارة أكثر منه اهتماما بتأدية الفريضة فهل هذا صحيح ؟

فأجاب فضيلة الإمام :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحج فريضة من فرائض الإسلام بالقرآن والسنة ...

والعبادات لاتتغير فهى كما فرضها الله ، وكما بينها الرسول ﷺ بفعله فقال فى شأن الحج : « خذوا عنى مناسككم » فمناسك الحج وشعائره ثابتة لاتتغير ، ولايجوز أن تتغير ، كما أن الأماكن التى تؤدى فيها هى هى كما حددت فى فعل رسول الله ، وكما حدد بعضها فى القرآن الكريم .

أما الذى قد يطرأ عليه التغيير فهو التعمير الذى قد يحدث فى هذه الأماكن ..

فـ «منًى » و «المزدلفة» وأماكن رمى الجمار ليس حالها الآن كما كانت وقت نزول التشريع ، فقد صارت الآن مدنا وكانت من قبل صحراء ، وجبل عرفات الذى يتجمع عليه الحجاج فى التاسع من ذى الحجة هو هو جبل عرفات ، وإن كان قد دخل عليه التحديث بتزويده بالمرافق من مياه و مجار ووسائل اتصالات ومواصلات ، والذى يجب أن يعلم إجمالا أن العبادات فى الإسلام التى بينها الرسول ﷺ فى قوله الشريف : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » .

هذه العبادات لاتغيير فيها من حيث المواقيت والمناسك والشعائر وكافة الشروط التى جرت منذ أن نزل التشريع لكن كما قلت : قد يدخل على أماكنها إعمار جديد أو تنظيم حديث .

أما الذين يسافرون لأداء فريضة الحج أو

العمرة ويتاجرون او يشترون بضائع فهذا ليس ممنوعا فى الإسلام مادام قد سافر بنية اداء فريضة الحج او بنية اداء العمرة وقد رخص الله لهم ان يزاولوا مايشاءون من عمل مشروع اثناء اداء هذه الفريضة او تلك السنة كما جاء فى قوله تعالى : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ (الحج ٢٨) وقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (البقرة ١٢٨) .

كل هذا بشرط انعقاد النية أولاً على أداء العبادات ؛ ذلك لأن العبادة مشروطة بالنية وفقا لقول النبى ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » .

وفى سؤال حول مشروعية جعل الحج أو العمرة جائزةً تُمْنَح للمسلم ؟

قال فضيلة الإمام :

هناك جهات تعلن عن مسابقات دينية كحفظ القرآن ، أو كتابة مقال أو مؤلف فى موضوع ثقافى إسلامى وتَعِدُ المُجيد بمنحه جائزة عليها ، من هذه الجوائز : الحج أو العمرة ، وأظهر مثل لهذا ما تجريه وزارة الأوقاف بمصر من مسابقات لحفظ القرآن الكريم ، ومنح جوائز على هذا ، منها الحج والعمرة ، كما حدث فى احتفال ليلة القدر فى طنطا هذا العام ..

وهذا امر جائز ، والحج بهذا الطريق جائز ، لأن الوزارة فى هذه الحالة قد ملكت نفقات الحج لهذا الفائز جائزة له على ما بحث او حفظ ومن ثم صار هذا المال ملكا له وجاز الحج او العمرة به .

والاصل فى مثل هذه الجوائز انها مشروعة باعتبارها وعدا بمثوبة عن عمل مشروع وكما قيل : (وعد الحر دين عليه) يلتزم بادائه ، ثم ان الله سبحانه وتعالى ـ وعد الطائعين بالثواب ومضاعفة الحسنة بعشر امثالها ، وهذه جائزة من الجوائز .

وفى سؤال عن تحديد عدد الحجيج من كل دولة ، وعن المسئول عن تحديد هذا العدد ومدى مشروعيته ؟ قال فضيلة الإمام : قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ فمن شروط وجوب الحج الاستطاعة : من نفقات وقدرات ذاتية لأداء المناسك .

اما عن تحديد عدد الحجيج من كل دولة او شعب فهذا امر تحكمه ظروف الدولة التى تقع فيها اماكن الحج ، وهى السعودية . ومن حقها ـ بحكم ولايتها على هذه الأماكن ـ أن تقدر الأعداد التى تستوعبها هذه الأماكن ، وقد أخذت السعودية قراراً من منظمة المؤتمر الإسلامى فى هذا الشأن وهو قرار سيادى وسياسى جائز فى الإسلام .

وفى سؤال عن نظام تقسيم الحجاج إلى مجموعات ، وجعل أحد الشيوخ أو العلماء مسئولا عنهم قال فضيلته :

هو نظام وضعته مصر ، فهناك حجاج يخرجون عن طريق (القرعة) ويخرج معهم علماء من الأزهر . كل جماعة يرافقها عالم لتوعية الحجيج بتأدية مناسك الحج بطريقة صحيحة كذلك توجد أيضا بعثات من وزارة الأوقاف لنفس الغرض .

سؤال : هل الحجاج فى حاجة إلى التطعيم ؟

قال فضيلة الإمام : نظراً لأن موسم الحج يوجد به حجاج من أماكن مختلفة وقد تكون هناك فرص لنشر أمراض معدية ، فمن باب الاحتياط يتم تطعيم الحجيج ، وهذا أمر وقائى يؤيده الإسلام .

وحول سؤال عن حج العلماء وكيف يتم قال فضيلته :

من شاء أن يذهب من علماء الأزهر ولديه

الاستطاعة فلا حجر عليه ، ويمكن أن يتقدم مع وفود (السياحة) أو (الداخلية) أو (الأزهر) أو (الأوقاف) ثم تجرى بينهم القرعة لاختيار العدد المناسب .

وعن مشاهد الموالد وما يفعله روادها والتمسح والتبرك قال فضيلة الإمام : كل هذه المظاهر ليست من الإسلام كرفع الصوت والتمايل والرقص والتمسح بالأضرحة .

والصوفية المشروعة فى الإسلام هى الإخلاص فى العبادة ، وهذه الصور المشاهدة إنما هى عادات غير شرعية وهى أخطاء يرشد العلماء إلى الكف عنها .

وعن تطبيق أحكام الشريعة فى مصر والبلاد الإسلامية قال فضيلته :

كل المسلمين يتبعون الإسلام ، والكعبة الموجودة فى مكة هى قبلتهم للصلاة ، يتوجه إليها جميع المسلمين فى ربوع العالم ، وكل البلاد الإسلامية تطبق بها الشريعة الإسلامية ، ولكن تختلف من حيث الكم ، والكل يتفق على أن هناك أحكاما إسلامية قائمة ، وجميع الشعوب الإسلامية راغبة فى أن تكون قوانينها حسب الشريعة الإسلامية ، بيد أن هذا أمر يحتاج إلى وقت .

وحول استفسار عن اعتقالات جرت فى رمضان الماضى فى مصر كاعتقال الدكتور/ عمر عبد الرحمن أوضح فضيلة الإمام :

اعتقال الشيخ عبد الرحمن أو غيره بدعوى أنهم يتكلمون بما يخالف النظام هو أمر أمنى أكثر منه دينى .. وإذا تصدت لهم الحكومة فهى تقوم بعمل أمنى وليس عملا دينيا ، والإسلام لايقر العنف ، وإنما يحتكم إلى العقل والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ .

فإذا كان هناك من يحاول فرض الرأى بالقوة فللحكومة أن تتصدى له ، والذى أمر بحبس الشيخ عمر عبد الرحمن هو فيما أظن النيابة والقضاء ..

سجل اللقاء

احمد عبد الخالق محمد

التفسير

أمراض القلوب

قال الله تعالى : ﴿ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ .

بعد أن ذكر الله عن المنافقين صفتين من صفاتهما هما : الكذب فى ادعائهم الإيمان ، وفقدان الشعور بخداعهم وحيلهم التى يعود وبالها عليهم ، علل لوجود ذلك فيهم بأنهم مرضى القلوب ، وهم الذين جلبوا على أنفسهم تلك الأمراض بسوء اختيارهم .

والقلب فى الإسلام : هو مستقر الحياة والعقل معا ، والتعبير به عن العقل يعنى أمراً هاما هو أن الإدراك مناط الحياة ، فإذا فقد الإنسان ذلك الإدراك فكأنه فقد الحياة ، وكان أشبه بالعجماوات والجمادات .

والعقل الذى يخاطبه الإسلام ، هو الذى يدرك الحقائق ، ويعصم الضمير ويميز المتشابهات ، ويوازن بين الأفراد ، وليس هو العقل الذى يُعد فاقده مجنوناً ، فإن الجنون يسقط التكليف ، ولا كذلك العناد والضلال .

وقد وضع الإسلام لعلاج تلك الأمراض القلبية ، العبادات التى هى تعد بحق أدوية للقلوب ، مختلفة المقادير ، شريطة أن تكون ـ تلك القلوب ـ قابلة للانتفاع والاقتناع بما يقام لها من حجج .

وإذا كنا ننصح الشباب المتدين بتعلم الدين ، فإننا نتوجه بالإرشاد لمن يجحدون الدين ، أن يناقشونا بالحجة ، وليس هناك معنى لأن تقيم على المجادل الحجج من ثلاث قضايا يطلب هو بعدها الانتقال إلى رابعة ، وسألته : هل اقتنعت ؟ قال : لا ، مع أنه هو الداعى للانتقال ولست أنا ، وكان ذلك أمام جمهور من الناس يشهدون بذلك ، وذكرت قول الله : ﴿ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ﴾ .

وأمراض القلوب متنوعة ، كما أن أمراض الأبدان عديدة ، ويمكن للباحثين أن يصلوا إلى

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعي

علاجها ، أو ما يخفف من وطأتها ، أما أمراض القلوب فتلك أمراض فتاكة ، يستعصى علاجها إلا على من وفقه الله ، وكان عنده استعداد لأن يتخلص من أمراضه .

وقوله تعالى : ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً ﴾ يحتمل أن تكون الجملة دعائية ، وهذا كما يقول الإنسان لآخر : «اخزاه الله» .

ويحتمل أن تكون جملة خبرية مرتبة على ما قبلها ، فلما توطنت الأمراض فى قلوبهم زيدت عليهم ، وأسندت الزيادة إلى الله ، لأن شيئا لا يقع فى الكون إلا منه ، فهو الخالق ، والعبد هو المكتسب ، والحق أن الإنسان ـ كما قلت غير مرة ـ مُخَيرٌ قبل مباشرة الأسباب ، مسير بعد الدخول فيها ، فإنها تجبره على مسبباتها ، كالنار تجبر من يلامسها أن يحترق ، ونسبت الزيادة إلى الله لأنه واضع الأسباب ، ومرتب المسببات على أسبابها ، وخالق كل شىء ، ثم توعد المنافق بالعذاب المؤلم ، وعلل سبب العذاب بكذبهم وما افتروا به على الله .

والقاعدة : أن «ما» إذا وقعت بعد حرف الجر احتملت أن تكون مصدرية فتعنى الحديث نفسه ، وهو هنا : الكذب ، واحتملت أن تكون موصولة ، وتعنى : المكذوب . وعبر بالفعل الماضى : «كانوا» وبالفعل المضارع : «يكذبون» ليبين أن الكذب ملازم لعقلية المنافق ، وباعث لنفسيته ، ومنطبع فى خلائقه الفكرية والعاطفية .

ثم قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ الآية ، إعلم أيها القارىء ، أن الجمل الشرطية ، يقصد جزاؤها ، فإذا قلت : إن جئتنى اكرمتك ، كان المقصود هو الإكرام ، وفى هذه الآية ، المقصود : إظهار أن المنافقين ليسوا على الجادة ، فدعواهم تملأ الآفاق ، وتصدع الأدمغة بقولهم : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ردا على الذين ينهونهم عن الإفساد فى الأرض .

وادعاء الناس ـ على أى عمل ـ أنه فساد ، أو إصلاح ، أمر ميسور لجميع الناس ، والحَكَم : هو الواقع الذى يحس به الناس ، ويترجمون عنه بأساليبهم ، وكل كلام نطق به اللسان عليه كسوة القلب الذى خرج منه . إن الرفض ممكن دائما ، والاستهتار بكل ما يقال ميسور لجميع الناس ، والاستسلام للعبث والمحال أمر سهل هين ، وإنما العبرة ، أن يحسن المرء الاختيار ، وأن يحاول كشف المعانى التى تكمن وراء الأحداث ، ثم يعمد إلى استخلاص العبر من خلال الحقائق الموضوعية ، أما حين يغلق المرء عينيه إغلاقا ، ويسد أذنيه عمداً ، فهنالك لن يَمْثُل أمامه إلا العدم ، ولن تصك أذنيه سوى أصوات العماء .

وتأمل رد الله عليهم ، وتكذيبه إياهم ، وتعليل ما خفى عنهم ، واشتبه عليهم ، وهو : فقدانهم للشعور ، فقال سبحانه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فاستخدم سبحانه أولا : أداة التنبيه (ألا) ، وهى مكونة من همزة الاستفهام ، و(لا) النافية ، وفيها من التنبيه والتوكيد ما لا يخفى .

والأمر الثانى : «إن» وهى للتوكيد وللتعليل أيضاً .

←

أمراض القلوب

والأمر الثالث : ضمير الفصل : «هم» وهو للتوكيد ويأتى للفصل فى الدعاوى الكاذبة .

وتأمل قوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ ، وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ فلم يدع أحد انه خلق شيئا من تلقاء نفسه ، بل خلقه ربه ، ولا نزاع فى ذلك ، لكن الضحك والبكاء قد يدعيه أحد (الممثلين) أو (الممثلات) ، فجاء بضمير الفصل ليفصل بين دعواهم ، وبين حقيقة الأمر فى نفسه .

والأمر الرابع : عرف بالألف واللام الدالة على تمام الإفساد فى واقع الأمر ، وإن كابروا فى وجوده .

والأمر الخامس : الاستدراك «ولكن» وهو لرفع التوهم ، فهم يعلمون بالتجربة والملاحظة انهم مفسدون ، والذى فقدوه عدم شعورهم بما هم عليه ، والشعور يختلف عن العلم ، فقد يعلم الإنسان بسوء حال نفسه ، ولا يغيره لأنه لم يشعر بسوء حاله .

وزعم الماديون أن المادة هى كل شىء ، وليس وراءها شىء ، فجردوا بذلك الإنسان من أهم ما يميزه عن العجماوات من فضائل ، كالشرف ، والكرامة والشعور ، والعواطف ، وما إلى ذلك .

وإذا كان الفقير يعلم أنه فقير ، ولا يشعر بسوء حاله ، فإنه لن يغير من أمره شيئا إلا إذا شعر بخطورة الفقر عليه وعاقبته الوخيمة .

والإسلام من جانبه لا يحرص على حشو البطون ، قدر ما يحرص على السمو بالأفكار ، والوصول إلى القيم العليا .

قال ابن الرومى :

فإن الداء أكثر ما تراه
يكون من الطعام أو الشراب

وقد لهج أدعياء الإسلام بمغالطات نقلوها من كتب التاريخ مبتورة ، وأخذوا من أكاذيبه ما يسعفهم فى تحقيق مآربهم ، مع انه لو سلم جدلا ما زعموه ، وهيهات أن يكون صحيحا ، فإن تقصير المنتسبين إلى الإسلام لا يُحسب عليه سلوكهم ، والمنافقون يمتلىء بهم كل مكان ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ الأنعام .

أرادوا أن ينالوا من علماء السلف الصالح ، واتهموهم بالتواطؤ مع غيرهم متناسين مواقفهم التى يذكرها التاريخ لهم ، كوصية الأوزاعى لأبى جعفر المنصور ، واعتراض الأفذاذ على الزهرى ، وكسر ذراع مالك بن أنس وضرب أبى حنيفة ، وجهاد غيرهم ، ولكنهم لا يشعرون ، فهناك عشاق الجثث والخرائب الذين يصابون بداء ، ولا تقع أعينهم على شىء من هذه الدنيا غير العفونة والبلى والرثاثة وسائر الأعراض التى تبتعد بهم عن حياة الصحة والسلامة والجمال ، وإن القرآن الكريم يذكرنا بهؤلاء الأوغاد كلما قرأنا أو فسرنا آية تتعلق بالمنافقين وما أكثرهم فى مجتمع قلَّ ما يميز بين الخير والشر ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ .

ومن لغو القول أن يتحدث المتحدث عن صيحات هؤلاء المنافقين كأنها ضرب من الشكاية الاجتماعية ، أو ضرب من الصياح فى طلب الإصلاح .

وفرق بين ما يخفيه الإنسان عن أعين الناس

ـ البقيـة ص ١٢٤٢

العبادات وأثرها في السلوك

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ . « سورة البينة ـ ٥ » . فرض الله العبادات على عباده لتكون صلة بين العباد وربهم الذى لا إله غيره ولا رب سواه فلا ملجا إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه ، وهو الذى بيده ملكوت كل شىء وهو المعطى المانع الضار النافع ، وكل البشر محتاجون إليه يتساوى فى ذلك الضعفاء والأقوياء ، والفقراء والأغنياء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ . سورة فاطر ـ ١٥ .

والإسلام دين خالد قد ارتضاه لنا ربنا دينا فأكمل به الملة وأتم به النعمة ، فلا يقبل تعديلاً ولا تبديلاً ولا تعطيلاً .

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (سورة المائدة)

وليس بعد دين الله دين ، وليس بعد رسول الله ـ ﷺ رسول ـ وليس بعد كتاب الله كتاب ، وذلك لأن عقيدة الإسلام ليست معقدة فهى تطهر الاعتقاد من الإلحاد بكلمة التوحيد وهى : « لا إله إلا الله » : وفيها تكمن القوة ، وقد جاء بها النبيون من ربهم ، وكل رسول كان يقول : « لا إله إلا الله » ليؤمن بها قومه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ « سورة الأنبياء ـ ٢٥ » .

ورسول الله ﷺ يقول : أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، « رواه البخارى ومسلم » .

وكلمة : « لا إله إلا الله » فيها رشد الضالين ، وهداية الحائر ، فهى طريق المهتدين ، وسبيل المتقين ، ودليل الإيمان بالله رب العالمين .

وتوحيد الله لا ينكره العقلاء الذين لم

←

العبادات وأثرها فى السلوك

تخدعهم بينات الملاحدة ، لأن التوحيد أمر فطرى عند أولى الألباب ، ودليل ذلك أن الإنسان عندما يقع فى مأزق ويحاط به ، يعلم بفطرته حقيقة التوحيد كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ « سورة لقمان ـ ٣٢ » إنهم قد دعوا الله بفطرتهم التى غرست فى طبيعتهم البشرية ، ثم جحدوا لما زال الرعب عنهم ، والله يقول : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ « سورة العنكبوت ـ ٦٥ ـ » .

وكلمة « لا إله إلا الله » تحرر البشر من عبادة البشر ، فلا تذل الرقاب إلا لله ولا تركع لأحد سواه ولا يقال لغير الله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ . . ﴾ « سورة الأنعام ـ ١٦١ ـ ١٦٢ » . ولقد جاء رسل الله عليهم السلام بكلمة التوحيد ، من أولهم لآخرهم ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ « سورة النمل ٣٦ » .

« الإيمان أولا »

والإيمان يسبق العبادات فلا عبادات بغير إيمان بالله الواحد الأحد والله يقول : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ « سورة العصر ـ ١ ـ ٣ » .

وآيات الله فى الأكوان تتلاقى مع آيات الله فى القرآن فى وضوح الأدلة وشهادة البينات على وحدانية الخالق البارىء ، ولكن طبيعة الإنسان صالحة للميل إلى الخير وإلى الشر ، والميل إلى الخير غالب دائما إذا ابتعد عنه الإغراء الضار ، والله يقول : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . « سورة الروم ـ ٣٠ » .

والإنسان فى صراع مع الوساوس والهواجس والأهواء ليتحصن من هجمات الأعداء من الشياطين ولقد كان فضل الله عظيما على العباد إذ أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب ، وبين لهم الرشد من الغى ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ « سورة فاطر ـ ٢٤ » .

والقرآن يسوق الأدلة تلو الأدلة إلى العقول لتنظر إلى ظواهر الكون الواسع الفسيح وكلها آيات للمؤمن بربه ليزداد بها إيمانه ، والله يقول : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ « سورة النحل ـ ٧٩ » .

الإيمان يقود إلى الطاعات

والإيمان يمهد الطريق للأعمال الصالحات ليسعد بها الإنسان ويصلح بها البال ، والله يقول : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ « سورة محمد ـ ٢ » والقرآن يكرم المؤمنين فيناديهم بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وهذا يميزهم عن غيرهم تمييزا بالغ الأهمية حتى لقد نادى الله الأمة المحمدية بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تسعا وثمانين مرة : ومنها قوله الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ « سورة البقرة ـ ١٥٣ » وللصلاة جلالها فى الإسلام .

مكانة الصلاة وأثرها في حياة المسلم

والصلاة آية الإيمان ، وصلته بالرحمن ، وهى تحفظ للإنسان نقاءه وصفاءه فتزكى نفسه ، وتطهر قلبه وحسه ، وهى التى تنهاه عن الشر والضر ، وتأمره بالبر والخير وتجعله رجلا يمشى فى الحياة إلى مرضاة الله بخطوات مسددة موفقة لا تزل ولا تضل ، ولا تشقى ، والله يقول : ﴿ أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ « سورة العنكبوت ـ ٤٥ » والنهى عن الفحشاء والمنكر ـ الذى تحققه الصلاة ـ فيه التربية النفسية بالالتزام بالأخلاق الكريمة المرضية . وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : قال : « قال الله تعالى إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصراً على معصيتى ، وقطع نهاره فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب وذا الحاجة ، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتى وأستحفظه ملائكتى ، أجعل له فى الظلمة نوراً ، وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة » « رواه البزار » .

والله يقول : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ « سورة البقرة ـ ٢٣٨ » ، والصلاة ركن من أهم أركان الإسلام وهى عماد الدين ، من أقامها على حقيقتها فقد أقام الدين ومن ضيعها فقد هدم الدين ، وهى عبادة الأنبياء والمرسلين .

والصلاة صفة للمتقين والمخبتين والمؤمنين وأولى الألباب : والله يقول : ﴿ وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة .. ﴾ « سورة الحج ـ ٣٥ ـ » وذلك لأن الصلاة تقى من الهلع وتصون صاحبها من الجزع إذا مسه الشر ومن المنع إذا مسه الخير ويقول عز وجل : ﴿ إن الإنسان خلق هلوعا: إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ « سورة المعارج ـ ١٩ ـ ٢٣ » .

المصلى موصول بالله

وذلك لأن المصلى دائم الصلة بالله ، فالعبادة الوحيدة المتكررة يوميا هى الصلاة والله يقول : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ « سورة النساء ـ ١٠٣ » فأوقات الصلاة محددة وتؤدى فى خشوع تام مع المحافظة عليها فى أوقاتها : ﴿ قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ « سورة المؤمنون » وهى صلة بين العبد الفانى وربه الباقى ، بين العبد الضعيف وربه القوى ، بين العبد الفقير وربه الغنى ، وعجيب أمر امرىء يرى خيراً وبراً فى إقام الصلاة فيعرض عن ذكر ربه ، فيعرض نفسه لمعيشة ضنكا مريرة ، لأن الصلاة ذكر وتسبيح وتحميد وتمجيد وتضرع ودعاء وخشية ورجاء ، وهى توحيد وتكبير .

الصلاة وسيلة

والاستعانة بالصلاة وبالصبر وسيلة لمواجهة المصاعب والمتاعب ولا يخفى أن الزمن مشحون بالضوائق والمكاره والله يقول : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ « سورة البقرة ـ ٤٥ » وهى وسيلة لخشوع القلب المؤدى إلى طهارة اللسان وكريم الأفعال ونقاء السريرة وحسن السيرة ليعيش المسلم

←

رحيماً كريماً ، عطوفاً عفيفاً ، عالى الهمة صادق العزيمة ، ينأى بنفسه دائما عن الجهالات والضلالات لأن الحسنات يذهبن السيئات ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ « سورة هود ـ ١١٤ » .

ومن الخير أن يأمر المسلم أهله بالصلاة عملا بقول الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ « سورة طه ـ ١٣٢ » والصلاة تشعر المؤمنين بوحدة الصفوف وجمع الكلمة مهما اختلفت الألوان والأوطان .

وإذا كانت الصلاة تسبقها الطهارة التامة فى البدن والثوب والمكان ، فإن غايتها طهارة القلب والنفس فى الوجدان والسلوك . ولهذا قال رسول الله ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن : « إن أهم أمرك عندى الصلاة » وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لحكام الأقاليم : إن أهم أموركم عندى الصلاة فمن حافظ عليها وحفظها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة » .

ويقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « وما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم يأت كبيرة » . « رواه مسلم » .

ولا ينبغى لذى إرادة قوية وعزيمة مخلصة أن يؤدى الصلاة جسماً بلا روح جهلاً بجوهرها وروعتها ، وليحذر المؤمنون أن يكونوا من الذين هم عن صلاتهم ساهون ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا » .

صلاة الجمعة

والإسلام يفرض على المسلمين فريضة جامعة يوم الجمعة من كل أسبوع يجتمع فيها المصلون فى بيت من بيوت الله يؤدون الصلاة فى جماعة ليتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى ، والله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ « سورة الجمعة ٩ ـ ١٠ » فلا انقطاع عن العمل إلا فى أثناء الصلاة وهى الصلاة الوحيدة التى أوجب الله السعى إليها عند النداء لها دون تأخير ، وهذا هو مقياس الإيمان الصادق الذى يعمل عمله فى نفوس المتقين . ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ « سورة الرعد ـ ٢٨ ـ ٢٩ » .

ومعلوم أنه لا واسطة بين العبد وربه إلا بصالح العمل : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ « سورة البقرة ـ ١٨٦ » .

فليس ثمة حجاب يكون بين العبد الصالح وربه إذا أخلص دينه لله وتضرع إلى الله وحده فهو الذى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه .

الزكاة فريضة اجتماعية

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ « سورة التوبة ـ ٧١ » .

والزكاة ركن من أركان الإسلام شرعها الله لضمان حياة كريمة للمحتاجين وجعلها حقاً معلوماً للسائل والمحروم بدون من ولا استعلاء ولا أذى ولا رياء ، لأن الإسلام غايته من فريضة الزكاة صيانة الهيئة الاجتماعية وعزتها بمحاربة الشح الكريه والأنانية البغيضة : « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه » والله يقول : ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ « سورة الحشر ـ ٩ » وهذا لا يتحقق إلا بالسيطرة على النفس ليزول البخل ويحل محله البذل ، ومن ثم كانت الزكاة تطهيراً لصاحبها وتزكية لنفسه وتنمية لماله وتنقية لأخلاقه وسمواً بتصرفاته في أمواله بأداء حق الله الذى أنعم الله عليه بالتوفيق للقيام به ابتغاء مرضاة الله ، وبهذا يزول غل الفقراء على الأغنياء وحقدهم وبغضهم ، ومن ثم كانت الزكاة إحدى دعائم الإسلام وأركانه الخمسة ومن جحدها فقد كفر ، والله يقول : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ « سورة المزمل ـ ٢٠ » . ويقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ « سورة الأعلى ـ ١٤ ـ ١٥ » والله يقول ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ « سورة آل عمران ـ ١٨٠ » .

ولقد شرع الإسلام لمحاربة الفقر زكاة الفطر وهى واجبة على رأى جمهور الفقهاء ، وهناك الكفارات فمن أفطر عامداً فى نهار رمضان كان عليه صيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكينا ، وكذلك فى كفارة الظهار ، ومن حلف على شىء ليمنع نفسه منه ورأى الخير فى الحنث كان عليه كفارة « إطعام عشرة مساكين » .

وشرع الفدية للعاجز عن الصوم وهى إطعام مسكين وجبتين كاملتين . ففدية طعام مسكين يفطر ويتغدى .

وكل هذه الكفارات شرعت لصالح الفقراء وحتى الهدى فى مناسك الحج ، لأن إطعام الفقراء كفارة للذنوب أو درء للتقصيرات ، ولقد حارب أبو بكر رضى الله عنه ما نعى الزكاة كما حارب المرتدين لما امتنعوا عن أدائها ورضوا بالصلاة دونها حيث قالوا : نقيم الصلاة ولا نؤدى الزكاة فاعتبرهم الخليفة الأول أبو بكر خارجين على الطاعة مفارقين للجماعة ، والزكاة عبادة مالية ، ومن الخير أن يعمل كل قادر ، ولا يسأل أحداً شيئا والله يقول : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً .. ﴾ « سورة البقرة ـ ٢٧٣ » .

وقد يتزيا ناس بزى الفقراء أو المساكين طمعاً فيما فى أيدى الناس ليدخل أحدهم فى دائرة المستحقين للزكاة وهذا يدل على احتراف حب التسول أو الاستجداء الرخيص مع القدرة على العمل ، وهذا ما يأباه الإسلام ويمقته ، فلا ذلة فى الإسلام باستغلال ماء الوجه فى خديعة تحجب أمرهم وتصرف النظر عن واقعهم الحقيقى والله يقول : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ « سورة المنافقون ـ ٨ » .

الصوم جنة وجزاؤه الجنة

والصوم عبادة بدنية : كالصلاة وكلاهما من أركان الإسلام .

والصوم فرضه الله ليوصل إلى التقوى . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ « سورة

←

العبادات وأثرها فى السلوك

البقرة ـ ١٨٣ » وكلمة « لعل » صادرة من الله وليس معناها الترجى فهذا لا يليق ، بل إن معناها إعداد النفوس للتقوى ، هذا ما يؤدى إليه الصوم الذى يوصل ـ بما يحدثه من مراقبة لله ـ لمرضاة الله وخشيته وبره وطاعته واستحضار عظمته ، والصوم المنبعث من الإيمان الصادق يسطع نوره فى قلوب الأبرار ، ويشرق بأشعته على الجوارح فينير البصائر ، ويطهر السرائر ، ويوقظ الضمائر ، ويطهر السيرة ، فيصحح السلوك ، ويجعل العبادات خالصة لله رب العالمين .

الصوم ليس سلبية

والصوم يتساوى فى أدائه الموسر والمعسر ولا ينبغى التحايل على ترك الصيام . بحجج واهية يصنعها أصحاب الشهوات الجسدية والأمراض النفسية لتمييع الفرائض الشرعية فى قلوب أصحاب الأهواء الشيطانية جهلا منهم بأن الله يعلم ما فى نفوسهم فلا تخفى عليه خافية .

والصوم مراقبة لله الواحد الأحد ، وهو درس تربوى يومى فى الأدب النفسى للتفلت من سلطان الشهوات والنزوات فهو أعظم مرب للإرادة ، لهذا كان فريضة محكمة تترفع به النفس عن الخضوع المذل للنزوات الطائشة ، فإذا ارتفع المسلم بعمله إلى درجة الإحسان كان عند الله وجيها ، وبذلك يطمئن قلبه وتهدأ نفسه ، وتقر عينه ويصلح باله ويستقيم حاله .

﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ .. « سورة التغابن ـ ١١ » وإذا كانت الصلاة معراجا روحيا وصلة بين العبد وربه فإن الصوم يمد الإيمان ويغذيه وينميه لينهى عن كل شر وضر ، فهو جنة ، ووقاية من الذنوب والعيوب والدنايا والخطايا ، وعصمة من الخبائث والنقائص ، فلا نجاح فى الدنيا ولا فلاح فى الآخرة إلا بالتقوى ..

والصوم يحقق التوازن بين مطالب الجسد ومطالب الروح ، وللجسد مطالبه من غذاء وماء وهواء ليعيش صاحبه ويحيا ، ولكن حياة البدن وحدها لا تكفى لتكوين إنسان مثالى سوى لأن هذه ضرورات لكل كائن حى وللروح مطالبها التى تحيا بها من عبادات وطاعات وذكر لله ، وتلاوة لكتاب الله ، وصوم وصلاة وخشية لله الذى بيده ملكوت كل شىء ويسبح بحمده كل شىء وليس الصوم صورة سلبية جرداء ، ولكنه عبادة إيجابية تغمر الناس بالجود والإحسان ، وتغمر النفس بالحمد والثناء والتكبير والدعاء والتوحيد والتمجيد لتتحرر النفس من الظلمات إلى النور ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ يقول : قال الله تعالى : « كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة . فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل أنى أمرؤ صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه» . « رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى » .

وعن سهل رضى الله عنه عن النبى ﷺ « إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ،لا يدخل منه أحد غيرهم . يقال:أين الصائمون ؟ فإذا دخل آخرهم اغلق فلم يدخل منه أحد » « رواه الشيخان البخارى ومسلم »

وللصوم أسرار

وللصوم أسرار لأن الله يقول : « إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » فلا يعلم إلا الله جزاءه

لأن للصائم صلة خاصة بربه فلا رياء ولا مفاخرة ولكن مراقبة لله ومحاسبة للنفس على ما قدمت وأخرت ، ويذكر الإمام الغزالي أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم . صوم الخصوص . صوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة . وصوم الخصوص فهو الكف المذكور مع كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

وصوم خصوص الخصوص : فهو صوم القلب من الهمم الدنيئة والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية .. وهذه رتبة الأنبياء والصديقين » .

وكل عمل دينى يعتبر عبادة إذا صاحبه الإخلاص الذى يوصل العبد بربه : « وأخلص العمل فإن الناقد بصير » والله يقول : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ . أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ « سورة الزمر - ٢ - ٣ » .

الحــــج

والحج ركن من أركان الإسلام جعله الله فرضاً على المستطيع مرة فى العمر وهو رحلة قدسية وفريضة دينية ، وفيه يحس الحاج بلمسات نورانية غير عادية ، ومن ذاق عرف ومن حرم انحرف : والحج دعوة موجهة من الله لزيارة بيت الله المحرم الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وهو أول بيت وضع للناس ببكة مباركا وهدى للعالمين ، وقد ذهب الملبُّون إلى الحج بقلوب تهوى إلى الله غافر الذنب وقابل التوب عند بيته العتيق العريق والنفوس مطمئنة راضية مرضية داعية خاشعة ضارعة هاتفة بصوت جهورى قوى يصعد إلى السماء - قائلين : جئناك يارب نسعى إليك وهتفنا ضارعين مقبلين ملبين بين يديك ونحن نقول : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك » .

والحج المبرور يسمو بالمسلم إلى معارج الكمال فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ولا عدوان ولا عصيان ولا بغى ولا طغيان ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ « سورة الحج - ٣٢ » . والبيت الحرام قبلة المسلمين أجمعين يتجهون إليه فى صلاتهم ويطوفون حول الكعبة بداخله فى حجهم ، وأما الصفا والمروة فمن شعائر الله ويسعون بين الصفا والمروة ، يوم الحج الأكبر والله يتقبل من المتقين ، وهو القائل فى كتابه الكريم : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ . وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ « سورة الحج - ٢٦ - ٢٧ » .

محمد حافظ سليمان

في رياض السنة النبوية المطهرة

المسلم السوى والتجافى عن المنكرات

روى البخارى رضى الله عنه بسنده عن سعد بن حفص حدثنا شيبان عن منصور عن المسيب عن وراد عن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ قال : « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعا وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال » وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » . رواه البخارى فى كتاب الأدب وكتاب الاستقراض

.. وهذا الحديث أيضا علامة من علامات صدق النبى ﷺ فكأنما يعيش معنا فى هذا القرن حيث امتلأت حياة المسلمين بهذه المنكرات التى حذر من الوقوع فيها وكرر تحذيره فى شتى صور البلاغ والتهذيب ، فقد قيلت هذه الكلمات فى عصر النبوة حيث البر بالأمهات وحيث لا وأد للبنات ، وحيث ابتعد الصحابة عن كثرة السؤال عندما نزل قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ « سورة المائدة ١٠١ » ..

إن رؤية النبى ﷺ لأحوال أمته لا تنقطع فهى مكشوفة لمقامه الكريم ، كذلك فإلهامات الله له ليأخذ بحجز أمته خوفا عليها وإشفاقا وحماية لها من الوقوع فى التهلكة لعل العبرة تصل لمن له قلب أو بقية من إيمان ، والذى ذكر فى الحديث ليس هو كل المحرمات والمكروهات فهى كثيرة فقد جاء فى حديث آخر عن النبى ﷺ عن ابن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس .

« رواه البخارى فى باب اليمين الغموس من كتاب الإيمان والنذور » .

وفى رواية أخرى بزيادة : وشهادة الزور .

« رواه البخارى فى كتاب الديات » .

فالكبائر متعددة ومتنوعة والنبى - ﷺ - لم يجمعها كلها فى حديث واحد ليحيط بكل ما هو محرم أو مكروه فإنه - ﷺ - لا يعلم الناس الكبائر ولا المكروهات ، ولكنه يداوى المرضى والمدمنين ، وهذا لا يتأتى إلا بعلاجها متفرقة كلما سنحت الفرصة أو كانت الظروف مناسبة حتى لا يسأم الناس الموعظة فقد كان من منهج النبوة فى الوعظ والإرشاد أنه كان يتخول الناس بالموعظة مخافة السآمة عليهم .

عقوق الأمهات :

وهذه الكبائر تحدث فى حياتنا المعاصرة

د. رءوف شلبي

وللأسف قد تحدث باسم الدعوة من بعض الجهالات المراهقة التى تستحوذ على المنبر لبث فكرها الفقير الساذج ، فقد وقع لى أن عشت أياما مع بعض الشباب الذى خاصم أمه وعمته وكفّرهما وجعل بينه وبين أهله حاجزاً باسم أنهم ليسوا على الإسلام الذى يدعو إليه ، وهذه صورة ممقوتة إسلاميا بالنص الواضح والصريح والعمل الملموس المحسوس .

أما النص فقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ .فلا طاعة لهما فى الدعوة إلى الكفر بالله ولكن مصاحبتهما بالمعروف أمر واجب على كل مسلم ؛ وقد دلت السنة العملية على ذلك عندما جاء أبو سفيان إلى ابنته أم حبيبة - رضى الله عنها - وهى أم المؤمنين - يطلب إليها أن تتشفع عند رسول الله - ﷺ - فى أمر خرق قريش صلح الحديبية بعد أن أغارت بكر حليفة قريش على خزاعة حليفة سيدنا رسول الله - ﷺ - فطوت حصير رسول الله - ﷺ - وقالت : إنك امرؤ مشرك لا تجلس عليها ، وكذلك جاءت إلى أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنها - والدتُها - وهى مشركة - فسألت النبى - ﷺ - أتصلها ؟ قال : نعم ، صليها ، فالعقوق للأمهات محرم على المسلم سواء كانت أمه مسلمة أم كافرة ، ذلك لأن الوفاء ذمة فى رقبة كل مسلم يجب أن يؤديه إلى أصحاب الحقوق . والوالدة سبب مباشر لوجود الولد وقد حملته كرها ووضعته كرها فلا أقل من أن يحفظ لها هذه المروءة وإلا كان جاهليا فى فهمه لمعنى الإسلام الذى جاء ليبسط على الدنيا ذمة ومعروفا ووفاء واحتراما .

وإنما خص الأمهات فى هذا الحديث لعلل منها :

أن الأم أكثر تأثرا بالعقوق لضعفها الطبيعى ، وقوة عاطفتها نحو أولادها .

ولأنها تذكر الكُرْهَ الذى حملت فيه ولدها وهى تتمناه وتريده فالعقوق يبعث فى نفسها شجونا ويذكرها بآلام عديدة أثناء الحمل .

ولأن الولد أو البنت قد تنشغل فى مستقبل حياتها بأمور بيتها وملابسات المعايش التى قد تنسى الإنسان ما عليه من حقوق وكأن النبى - ﷺ - يرى ما تعانيه الأم المعاصرة من قسوة أبنائها الذين أهملوها مع كثرة أموالهم وكثرة عددهم ، لكنهم جميعاً فى شغل شاغل وهمٍّ مهموم .

أو ما تعانيه من الأطماع فى أملاكها فيؤذونها أو يعتدون عليها للتخلص منها .. الخ مانسمع عنه كل يوم من جرائم تجاه الأمهات ، ولعل اتخاذ الأم كخادمة لابنتها التى تعمل وتترك أولادها مع أمها لأكبر مهانة للأم دون شعور من أولادها بذلك فلا ينبغى أن تتحمل مسئولية الأحفاد فى الكبر بعد أن تحملت مسئولية أولادها وهى فى الشباب .

إن المعروف الذى ينبغى أن يسدى إليها أن يكرموها فى الكبر بالراحة والخدمة لها لا أن يأخذوا منها ذلك لأولادهم وهى فى هذه السن .

فانظر كم يرى رسول الله - ﷺ - أحوال أمته . وكم يحذرنا من الوقوع فى هذه الكبيرة التى تحدث دون شعور أو قصد أو تحدث مع الشعور والقصد ، وكلاهما كبيرة محرمة علينا

←

فمتى نفيق من الهم الذى علانا ونحن غافلون ؟

وإن عقوبة العقوق لهى فى الدنيا قبل الآخرة :

أما فى الدنيا ففى الحديث الشريف : « اثنان يعجلهما الله فى الدنيا : البغى وعقوق الوالدين » . « الطبرانى » . والمراد من البغى : الظلم والتجبر بغير وجه حق .

وأما فى الآخرة فإن الله لا ينظر إليه ففى الحديث الشريف : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر والنمام » .

فجمع الحديث بين هذه الخبائث ليُعرفها ويساوى بينها فى حجم الكبيرة وفى العقاب المؤجل يوم القيامة .

فهل سينتهى الشباب الإسلامى الذى يعق أمه ووالده على النحو الذى شاع وذاع وليس له من الإسلام أصل ؟

ومنعاً وهات :

فى رواية البخارى فى كتاب الاستقراض : « وَمنَعَ وهات » بغير تنوين . قال ابن حجر : والمراد من النهى منع ما أمر بإعطائه وطلب مالا يستحق أخذه يعنى : النبى - ﷺ - يحرم على المسلمين الا يمنعوا ما أمر الله أن يعطى من الحقوق ، وألا يطلبوا شيئا لا يحق لهم أخذه فلابد من انضباط المنع والعطاء لا يعطى أحد شيئا لا يستحقه ، ولا يمنع أحد من شىء هو حقه ولا دخل للبغضاء فى ذلك ، ولا اثر للمحبة والقرابة فيه ايضا ، فيجب أن يكون المنع قائما على أساس من توجيهات الإسلام ، وأن يكون العطاء على أساس من قواعد الإنفاق والعطاء فى الإسلام ففى الحديث الشريف :

« من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » « رواه أبو داود صحيح » .

وإنه لما يؤسف له أن كثيرا من المتصرفين فى شئون الأموال الإسلامية يبتعدون بها عن أوجه البر والمعروف ودور العلم وينفقونها فى أبواب سوف تكون عليهم حسرة يوم القيامة فبينما يتضور المسلمون جوعا فى افريقيا المسلمة وآسيا المؤمنة نجد الأغنياء ينفقون أموالهم تبرعات لمؤسسات أجنبية من أجل حيوانات أو غيرها ففى ذلك شهرة وسمعة لهم ، ومن هنا ندرك مقدار صدق النبوة فى رؤيتها للواقع الذى يعيشه المسلمون المعاصرون ، وفى الوقت الذى يتمتع فيه فرد واحد بالذهاب والإياب فى شتى بقاع العالم للنزهة باسم العمل الإسلامى نجد معاهد الأزهر الشريف فى أمس الحاجة إلى مقاعد للطلاب ، ونجد مدينة البعوث الإسلامية فى حاجة إلى تجديد مطابخها حتى تؤدى خدمة لأبناء العالم الإسلامى من كل صوب فقد أغلق المحسنون آذانهم وعيونهم عن الأزهر والدور الذى يقوم به تاريخيا نحو المسلمين وأوطان الإسلام وانصرفوا ينفقون أموالهم فى شتى صنوف « هات » التى حذر منها رسول الله - ﷺ - وصدق الله العلى العظيم : « بئر معطلة وقصر مشيد » : مال كثير ينفق ، ومؤسسات علمية للإسلام ضائعة فمتى يفيق الأغنياء ومتى يعرف المحسنون مواطن القبول للتبرعات ؟

كذلك بينما ينفق « التبشير » أمواله الطائلة ومِنَحَهُ الدراسية الكثيرة وأرزه وسكره .. و .... الخ نجد الأموال التى تصرف على بعض الشباب الإسلامى تنفق فى ملصقات على الحوائط لإحداث مظاهرة إعلامية فقط لا تسمن ولا تغنى من جوع فقد بات منهج العمل الإسلامى لدى الشباب المعاصر عبارة عن مظاهرة .. أو مسيرة أو ملصقات وحسب ، أما كيف يبنون وكيف يحيون ؟ وكيف يكون هناك رأى عام صادق نحو

الفكرة .. فهذه أمور لم يفهموها ، وإن فهموها فمن خلال منهج الملصقات والشعارات وهو أمر لم يحترمه القادة المخلصون من لدن سيدنا رسول الله - ﷺ - إلى آخر داعية حاذق حصيف .

وواد البنات :

وأد البنت . دفنها في المقبرة وهي حية وأول من فعل هذه الجريمة النكراء البشعة في أيام الجاهلية « قيس بن عاصم التميمي » ؛ وذلك بقصد الحفاظ على العرض حسب فهم العرب في الجاهلية فقد تعرض قيس بن عاصم لغارة من غارات النهب والسلب والسبي التي كانت تمارس في الجاهلية فأسرت إحدى بناته من القاصرات فاتخذها العدو لنفسه ومضت أيام ثم حصل بينهم صلح فخيرت ابنته بين أن تبقى في القبيلة التي أسرتها تحت زوجها ، أو تعود إلى أبيها فاختارت زوجها فآلى قيس بن عاصم التميمي على نفسه أن لا تولد له بنت إلا دفنها حيَّة فتبعه بعض العرب في سنته السيئة حتى صارت فيهم عادة قبيحة .

واختلفت أمزجة العرب في أسباب وأد البنت .

فبعضهم كان يئدها حماية للعرض من السلب مخافة العار والسبي .

وبعضهم كان يئدها مخافة الفقر أو لوجود الفقر بالفعل وعدم قدرته على تربيتها ، وإنما تُرك الولد لأنه عصب الدفاع عن القبيلة من جانب ولأنه عنصر الإنتاج والعمل والسعي من جانب آخر .

وكان عبد المطلب جد النبي - ﷺ - ممن تحملوا مؤنة تربية الموؤدات ، كما كان صعصعة ابن ناجية التميمي جد الفرزدق يفعل ذلك ، وللفرزدق في ذلك شعر يفاخر به ومنه :

وجدى الذى منع الوائدا ... ت وأحيا الوئيد فلم يوأد

حتى جاء الإسلام فوضع هذه العادة السيئة في خضم هائل من أسئلة يوم القيامة ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله ﴾ يقول الله تعالى :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ . وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ . وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ . وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ . وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ . وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾[1] فيقيم المولى جل جلاله مسئولية هذه العادة الشنيعة في سياق هذا الهول الهائج المائج يوم القيامة كائنا هو حدث كوني من الأحداث العظام مع الشمس والنجوم والجبال والوحوش[2].. ليقلع من نفوس العرب بهدى هذا الإسلام تلك الجريمة الكبرى في حق النفس البشرية التي جاء الإسلام ليضعها موضع الاحترام والتكريم والأمن والأمان .

ولقد تفنن العرب في وأد البنات بأساليب ذكرها الكاتبون ، ولا نحب أن ننقلها اتباعا لمنهج الإسلام .

الا ، لا نكرر المنكر الذى جاء الإسلام ليقلعه من النفوس قلعا وتقليعا[3] .

وكره لكم قيل وقال :

جانب جديد ليس من المحرمات ، ولكنه من المكروه المعطوف على المحرمات فيكتسب بذلك ←

(١) ١ - ١٤ سورة التكوير - مكية .

(٢) استوصوا بالنساء خيرا ص ١٢، ١٣ الفخر الرازي جـ ٢٣ ص ٩٥ .

(٣) راجع فتح الباري ص ٤٠٦ - ٤٠٧ جـ ١٨ المطبعة السلفية .

وصف كراهة التحريم ، والرسول - ﷺ - يعلم أن الأمة - من بعد - سوف لا تمسك لسانها عما تبتلى به البشرية من الشائعات والقالات والمزايدات ، وأن تلك الفرى ستكون محط الخَبَل فى عقل الأمة ، وعنصر الفساد فى وحدتها وتقدمها ، وعاملا سيتخذه الأعداء فى تخذيلها وإرهاقها بالعنت حتى تضمحل وتضعف ثم تشيخ وتموت .. فذاك هو الجدل الذى نهى رسول الله - ﷺ - أمته من أن تتخذه صنعة لها ففى الحديث الشريف : « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ».

« رواه أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم حديث حسن » .

وكلمة « قيل وقال » على ثلاثة أوجه :

الأول : أنهما مصدران للقول : تقول : قلت قولا ، وقلت : قيلا وقالا .

الثانى : المراد منهما حكاية أقاويل الناس والبحث عنها ليخبر عنها كما هو مشهور فى المجتمعات المعاصرة من حبك الشائعات ونقلها وترديدها .

الثالث : المراد منهما الكف عن الاختلاف فى فروع الفقه والتمطيط فى إبراز هذا الخلاف بصور تفرق وتملأ القلوب نفرة وغلظة كالذى نجده بين الشباب المعاصر فى شكليات المظهر الإسلامى الذى انصرفوا كلية إليه وتركوا أخص خصائص الإسلام فى بناء الأمة والمجتمع والدولة .

ومهما يكن من أمر « فالقيل والقال » على أى وجه من هذه الوجوه مرفوض إسلامياً ، وقد حذر النبى - ﷺ - جملة من مغبة الوقوع فى هذه البلايا فقال فى حديث جامع :

« كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع »

« رواه مسلم » .

ولعل صوت المعارك الكلامية التى يموج بها المجتمع الإسلامى المعاصر تدل على أن النبى - ﷺ - كان حريصا على أن يحذر المسلمين من هذا الوباء الخطير الذى إذا تفشى أهلك الأمة .

والظاهرة التى يراها المسلم المنصف أنك كلما ذهبت إلى مجتمع إسلامى فى أفريقيا أو آسيا أو أوروبا وجدت اللهجة واحدة ، والمنطق واحد حتى مع اختلاف الشباب فى تجمعات فهم يتخذون شعارات وعبارات ويجادلون فى أسماء تناقلوها ويتبعون شيوخا محددين قد أجمعوا على السماع لهم دون أن يفتحوا عقولهم لنداء القرآن وتحذيرات السنة النبوية مما وقعوا فيه من المخالفات ، وبينما تجد شباب الإسلام فى كل صقع على هذه الوتيرة والنغمة من الجدل والمراء والخلاف والاختلاف والعداوة تجد الشباب الآخر من أتباع كل دين آخر : بوذى أو هندوسى أو يهودى أو مسيحى بشتى الألوان يعملون فى دأب ويتحكمون فى كل شىء : اقتصادى أو اجتماعى أو سياسى أو عسكرى أو ترفيهى .. وانغمس الشباب المسلم فى « ملهاه » وبلاد الإسلام جوعى وظمأى تلفح جلود أبنائه الأمراض والأوبئة وتسوده المسغبة والفقر والجهل والأمية الواسعة ، وإذا نصحوا لا ينتصحون ، وإذا ذكرتهم لا يبالون فقد أصبح صوتهم العالى لشعارهم يعلو فوق كل نصيحة مخلصة من أجل أن يضعوا أقدامهم على السبيل السواء .

وصدق الله العلى العظيم : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

وكثرة السؤال :

السؤال للعلم من أجل السلوك الفاضل أمر يقره الإسلام فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يفزعون إلى سيدنا رسول الله - ﷺ -

بالسؤال إذا عنَّ لهم أمر ، ثم جاء التابعون فتأدبوا ولم يكثروا من السؤال - يروى ابن كثير فى تفسيره :

قال الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يتكلم إلا فى المعلوم من القرآن .

وقال شعبة عمرو بن مرة قال : سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال : لا تسألنى عن القرآن ، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شىء ؟؟ وقال : كنا نسأل سعيد ابن المسيب عن الحرام والحلال ، وكان أعلم الناس فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع(٤) .

واليوم نجد بعض الحرفيين اليدويين يتكلم فى الفقه وعلوم الحديث والتفسير كأنما أصبح الإسلام وعلومه كلأ مباحاً وليس للإسلام من يحميه وتلك الآفة نتيجة كثرة السؤال التى نهى عنها رسول الله - ﷺ .

والغريب فى الأمر أن عقائد الإسلام أوضح من الشمس فى رابعة النهار من حيث مفهومها والبراهين والحجة الواضحة الدالة على أحقيتها ، ومن حيث أصول العبادات والمعاملات ، وما اختلف الفقهاء إلا فى فرعيات علمونا الأدب فى فهمها ، أو فى العمل بالفتوى بأى رأى فيها .. وهناك من الأديان مالايقبل فيه أصل لا بعقل ولا بنص ومع ذلك لا تجد وسط الشباب البوذى الذى يعبد الأصنام جدلا وكثرة سؤال مثل الذى تجده داخل مجتمعات الشباب الإسلامى كأنما آفة كثرة السؤال التى حذرنا منها سيدنا رسول الله - ﷺ - قد أصابت حياتنا المعاصرة كيف وقد حذرنا منها رسول الله - ﷺ - فما بالنا إذا لم يكن النبى - ﷺ - قد حذرنا من « قيل وقال ، وكثرة السؤال » كيف يكون حالنا ؟ اللهم إنى أشهدك أن نبيك - ﷺ - قد بلغ وقد حذر ، وأننا من بعده نبلغ عن نبيك ونحذر ، فارفع - اللهم - مقتك وغضبك عنا ؛ فإن الفتنة التى نعيشها لا يصرفها أحد إلا أنت .

وإضاعة المال :

إن هذه جملة من كبرى أدلة صدق النبوة فقد قالها - ﷺ - والمسلمون من معاصريه ﷺ ليس عندهم إلا التمر والحليب وهما الأسودان اللذان كانا يشكلان مصدر القوت وعصب الاقتصاد فى الأيام الخوالى للأمة العربية فكيف يحذرنا النبى - ﷺ - من إضاعة المال والحال هذا ؟

تلك معجزة كبرى لرسول الله - ﷺ - حيث تنبأ لهذه الأمة بأموال وحذر من إضاعتها وأنذر .. وهذا هو البترول !!

كم يبلغ دَخْلُه وَكَسْبُه ؟

وكم من « بنوك » فى بلاد غير إسلامية قد أثرت ثراءً باهظاً من ودائعه .

ثم انظر كم من أرض إسلامية تركت خلاء ، وكان يسيرا أن تمتد عليها شتى المصانع فتغطى حاجة المسلمين إلى الغذاء والكساء ومطالب الحياة ؟

ثم هذا الحال ، وليس فى الأمة الإسلامية أدنى عجزة .

- لا فى المال .
- ولا فى الأرض .
- ولا فى القوى العاملة .
- ولا فى العلم .

ومع كثرة المال لم تحظ قضية إسلامية دولية واحدة كفلسطين بحل تنال به سيادتها واستقلالها .

يضاف إلى هذا الإسراف الباهظ فى النفقات

←

---

(٤) راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ١ص ٤، ٥، ٦ .

الفردية نتيجة إشاعة نظرية الإشباع والتفكه لوفرة المال ، ورقى عرض نتاج الصناعات الحديثة في أوروبا وغيرها مما أوجد رواجاً باهظاً في الصناعات الأجنبية وفتح لها أسواقا متعددة في بلدان الأمة الإسلامية مع أننا عرفنا إسلاميا أن المبذرين كانوا إخوان الشياطين .

وعرفنا أيضا أن الإسلام قد وضع منهاجا للقوى الشرائية :

١ ـ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ « الفرقان » .

٢ ـ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ . « الإسراء » .

٣ ـ المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء . « رواه البخاري ».

ويستفيد المسلم المعاصر من الحديث :

أولا : أن البر بالأمهات خلق ينبغى أن ينفذ في جوه الإسلامي ، وأنه لا ينبغى أن تدفعنا الحياة الحديثة إلى تغيير قيمنا الإسلامية ، وأنه يجب أن نربط التطور للحياة المعاصرة بقيم الإسلام الحنيف حتى تحل البركة ويعم الخير والمعروف .

ثانيا : وأن نتربى على إعطاء الحق لأصحابه ، وأن نمنع غير أصحاب الحقوق من السطو على أموال الرعية فإن فعلنا حفظت الحياة من العبث وقل الخلل وعمت البركة واطمأن الناس على حقوقهم فتسير عجلة الحياة آمنة مطمئنة يأتيها رزقها مباركا بإذن الله .

ثالثا : أن نحفظ أولادنا من كل سوء وآفة ، وأن نربيهم على التقوى والصلاح والطاعة ، وأن نهيئهم لغد هم رجاله وقادته .

رابعا : أن يعف اللسان عن كل معصية وقالة وأن نحسن الظن بالمسلمين فخير أخلاق المسلم أن يحمل أمر أخيه المسلم على أفضل الأحوال وإلا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا .

خامسا : ألا نسأل إلا لنتعلم لكى نسلك الطريق لا أن نسأل للمراء والجدل واللجاج .

سادسا : أن نحافظ على أملاكنا وأموالنا وأن نضع كل قرش في بلاد المسلمين في موضعه وأن نوسع أبواب الرزق لكل مسلم ، فذلك واجب الأمة التى آمنت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبسيدنا محمد ـ ﷺ ـ نبيا ورسولا .

والله ولى التوفيق .

أ . د رءوف شلبى
وكيل الأزهر سابقاً

مشيخة علماء الإسكندرية أو

معهد الإسكندرية الديني

د. مجاهد توفيق الجندى

مقدمة

تعتبر مدينة الاسكندرية مركزا من مراكز العلم الهامة فى العصور الإسلامية المختلفة كالفسطاط ودمشق وبغداد والكوفة والبصرة والقيروان والرباط وقرطبة وطليطلة وغيرها .. وكانت محطا لرحال الحجاج إلى بيت الله الحرام من افريقيا شمالها وجنوبها وغربها ذهابا وعودة يجلسون فيها مدة ـ طويلة او قصيرة ـ يتدارسون العلم ويتشاورون مع علماء الأسكندرية فيما يعن لهم وما يستجد من مشكلات علمية وغير ذلك ..

وكانت الدراسة عادة على نظام الحلقات العلمية فى مساجد وجوامع الأسكندرية قديمها وحديثها ، يجلس فيها الطلاب مع شيوخهم يتجاذبون اطراف الحديث فى العلوم الشرعية والعربية والعقلية .

وللأسكندرية تاريخ طويل عريق خاصة فى العصر الإسلامى منذ أن فتحها عمرو بن العاص نحو عام ٢٤ هـ تقريباً ، وسوف نقصر حديثنا على مشيخة علماء الأسكندرية التى وقف علماؤها صامدين أمام التيارات والحملات التبشيرية الآتية إلى مصر من بلاد الافرنج .. وكما وقف علماء قبلهم فى العصر المملوكى وغيره يجهزون على نفقتهم الخاصة الحملات الحربية للقضاء على الحملات الصليبية الآتية من الغرب ، وكانوا لها بالمرصاد ..

■ متى قامت مشيخة علماء الأسكندرية ؟ وما سبب قيامها ؟

صدر الأمر بإنشاء مشيخة علماء الأسكندرية سنة ١٣٢١ هـ ـ ١٩٠٣ م فى عهد خديوى مصر « عباس حلمى الثانى » وقد اتجهت الرغبة فى مطلع القرن العشرين أن يكون « الازهر » رأساً لنهضة علمية وثقافية فيدرس الآداب والرياضة والعلوم بالإضافة إلى مناهجه الدينية والعربية ، فلقد كانت مصر ـ كما كان شأنها دائماً ـ محط تفاعل علمى بين الشرق والغرب فاستقر الأمر على

←

إنشاء « معهد الأسكندرية » ليكون مصدر التجربة ونشرها .

وفى ضوء الاعتبارات السابقة صدر الأمر بإنشاء مشيخة « علماء الأسكندرية » فأصبح هذا اللقب درة مجيدة ، جرى العرف فى تلقيب معهد الاسكندرية بها ، وميزة امتاز بها على غيره من معاهد العلم ، وكانت كذلك الكلمة الأولى فى سطر تاريخ هذا المعهد العظيم خصيصة التشريف والتكريم .

اول شيخ لمعهد الأسكندرية الدينى

الحقيقة أن قيام معهد الاسكندرية الدينى كان حدثاً ضخماً فى التاريخ والعلم معا . وما أصدق القول : « إن الأقدار تختار للأحداث الضخام الرجال العظام » ولم يكن كفئا لذلك إلا رجل من ذوى العلم والفضل هو فضيلة الأستاذ الجليل المرحوم الشيخ محمد شاكر(١) الذى كان رئيساً لدار الإفتاء وطوف مدة غير قصيرة فى المحاكم الشرعية ، ثم صار قاضى قضاة السودان ، ثم آل إليه أمر هذه المشيخة فى أبريل سنة ١٩٠٤ م فهو بذلك أول رائد للدراسات الحديثة بالجامع الأزهر .

اختيار اعضاء هيئة التدريس

ولما كانت العلوم الحديثة ستصبح إجبارية فى التدريس والامتحان لأول مرة فى تاريخ الأزهر ـ وكانت من قبل اختيارية ـ فقد وضع الشيخ « محمد شاكر » أساس النظام فى تدريسها ، وأحسن اختيار الكتب فى المناهج جميعاً ، وأحسن أيضاً اختيار الصف الأول من أعضاء هيئة التدريس ، فكان من الرعيل الأول الشيوخ : عبد الله دراز ، إبراهيم الجبالى ، عبد الهادى مخلوف ، عبد المجيد الشاذلى الذين تضلعوا بتدريس العلوم الحديثة ، وإن لم يهيأوا لها أولاً . لأن لرجل الأزهر طاقة خاصة تتولد حرارتها من شعوره بالواجب الملقى على عاتقه ، وإيمانه بالغرض وسلامته ، وتقديره للمسئولية .

مكان الدراسة بمعهد الأسكندرية !!

لما لم يكن هناك مكان مبنى مُعَدٌ للدراسة ، فقد تخير لها المسئولون من المساجد ما يسد الحاجة ويفى بالغرض ، واستهل المعهد عمله بخمس فرق دراسية من السنة الأولى إلى السنة الخامسة وبلغ مجموع الطلاب بهم ٤٤٠ طالباً .

وكانت الدراسة فى ثلاثة مساجد .. **اولها** : (مسجد الأرضى) بحى المنشية ، **ثانيها** : (جامع سيدى ياقوت العرشى) بميدان المساجد بجوار سيدى أبى العباس المرسى . **ثالثها** : (جامع الشيخ) الذى أسسه الشيخ إبراهيم باشا وخصصه لدراسة العلم بمدينة الأسكندرية سنة ١٢٤٧ هـ ـ ١٨٣١ م دون التقيد بسن معينة خدمة خالصة لله وكان عدد مدرسيه وطلابه سنة ١٣١٩ هـ ثلاثة وأربعون مدرساً ، وثلاثة وسبعون وسبعمائة طالب(٢) ثم أنشىء أول معهد رسمى بالأمر العالى عام ١٣٢٢ هـ ـ ١٩٠٢ م القسم الابتدائى منه بحى « الورديان » وهو

(١) راجع كتاب : السياسة والأزهر ص ١٣٦ من مذكرات شيخ الإسلام الظواهرى بقلم فخر الدين الأحمدى الظواهرى طبع بمطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٣٦٤ م ، ١٩٤٥ م .

(٢) راجع كتاب : كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر للشيخ سليمان رصد ص ٢٠٧ د . ت .

« معهد الأسكندرية الابتدائى » والقسم الثانوى منه بحى راس التين ، ونظراً لإنشاء حوض جاف للسفن سنة ١٩٥٩ م تقريباً ، هدم المعهد الابتدائى فحولت الدراسة منه إلى قصر « المسافر خانة » الخاصة براسم باشا[٣] فى عهد شيخ المعهد الشيخ عبد الغنى محمود ، وساعده على ذلك تعيين الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى شيخ علماء الأسكندرية السابق شيخا للأزهر ، ولما تسلمت وزارة المعارف مبناها القديم برأس التين ، نقل المعهد الثانوى إلى سراى « عمر طوسون » بحى محرم بك ، الشهير « بغيط الصعيدى » ، وذلك فى عهد الشيخ محمد الصادق عرجون شيخ المعهد وكان يوجد سكن داخلى للطلبة من أهل الريف .

ثم انتقلت الدراسة والسكن ـ بجهد المسئولين فى الأزهر ـ إلى حى سموحة[٤] سنة ١٩٦٤/١٩٦٥ م حيث مقر المعهد المعمور الكائن بها إلى الآن يؤدى رسالته فى خدمة الإسلام .

مقر الإدارة لمشيخة علماء الأسكندرية

أما إدارة مشيخة علماء الأسكندرية فقد اتخذ الشيخ محمد شاكر لها مبنى « مدرسة الجمعية الخيرية الأميرية » المواجهة لمسجد « الموازينى » ، وفى عهد الشيخ محمد أبى الفضل انتقل بإدارة المشيخة إلى سراى الخديوى محمد سعيد باشا فى نفس الجهة ، وفى سنة ١٣٧٢ هـ نقل مقر المشيخة إلى استراحة عثمان بك محرم وزير الرى ، بجوار مدرسة إبراهيم الاول وسراى الملك برأس التين .

شيوخ المعهد منذ إنشائه إلى الآن

● هم على الترتيب :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد شاكر من ١٩٠٤ ـ ١٩١٣ م ١٣٢٧ ـ ١٣٣١ هـ ، ثم نقل وكيلاً لمشيخة الجامع الأزهر عام فاستأنف تحقيق الرسالة فى محيط عمل أوسع ومنصب أرفع .

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد أبو الفضل الجيزاوى إلى ١٣٣٧ هـ ، ١٩١٨ م وهو الرجل الثانى لمشيخة علماء الأسكندرية .

بدأ عمله وقد جاوزت الطليعة من طلاب المعهد مرحلة القسم الثانوى إلى مرحلة القسم العالى « السنة التاسعة » فسار بالقافلة ، واستقام بها فى أوسع دائرة ، .. ذلك أن الشيخ أبا الفضل لم يضع شخصه وجاهه العلمى فى محيط الإدارة المهيمنة على بعض مرافق الأزهر ، بل وضع نفسه حيث يضعه علمه وفهمه فى رسالة الإسلام ، وواجب الأزهر ومقدور العلماء .

وكتب الله للشيخ أبى الفضل أن يحظى بتخريج أول رعيل من علماء معهد الأسكندرية فى مدى ست سنوات من مشيخته ، ثم استمر ذلك لعامين من بعده ، ثم صدر الأمر بعد ذلك بتعيينه شيخاً للجامع الأزهر فى سنة ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م .

←

---

(٣) كان مقراً للمحكمة فى العصر العثمانى ، وكان يوجد بالمسافر خانة سجن ، ومشنقة ، وبئر ، وقد استمرت الدراسة به ما يقرب من ثلاث سنوات حتى سنة ١٩٦١ م ، كما حكى لنا الشيخ السيد أحمد جمال الدين ملاحظ المعهد .

(٤) كانت الحكومة قد أعطت للأزهر قطعة من الأرض ليقام عليها المعهد بقسميه والملاعب الرياضية والمدينة السكنية وغيرها « بالرأس السوداء » بحى « فيكتوريا » ، ولكن العلماء كرهوا هذا المكان وصاروا يدعون الله فى المساجد ليل نهار الا يبنى المعهد فى هذا المكان ، ثم حدثت خلافات بين المرحوم الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف والسيد حمدى عاشور محافظ الأسكندرية فى ذلك الوقت على مكان المعهد ، واستقر الرأى على أرض سموحة فوضع بها حجر الأساس سنة ١٩٦٢ واستجاب الله دعاء العلماء .

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد الغنى محمود إلى سنة ١٩٢٥ م ثم نقل شيخاً للمعهد الأحمدى بطنطا وما أن يهم الشيخ بتعليته القواعد التى أرساها سلفاه العظيمان ، حتى اشتدت الثورة الوطنية سنة ١٣٣٨ هـ ـ ١٩١٩ م واشتعل أوارها فى الأسكندرية ثاراً لمعركة الاحتلال فيها سنة ١٣٠٠ هـ ـ ١٨٨٢ م ، وما أن يمضى من عمر هذه الثورة عامان حتى يثأر الانجليز من تزعم معهد الأسكندرية لها وكان الجزاء صدور القرار المتعسف بقصر الدراسة فى القسمين الابتدائى والثانوى على معهد الأسكندرية ، وبقصر التحضير فى القسم العالى لشهادة العالمية ، على الجامع الأزهر فقط وكان ذلك سنة ١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢١ م .

٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الفحام[٥] إلى سنة ١٩٢٨ م ثم نقل شيخاً للمعهد الأحمدى بطنطا .

٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان[٦] إلى سنة ١٩٣١ م ثم نقل شيخاً لكلية أصول الدين .

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الشافعى الظواهرى[٧] إلى سنة ١٩٣٥ م ثم أحيل إلى التقاعد حيث بلغ سن المعاش .

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد سليمان السرتى إلى سنة ١٩٣٦ م ثم نقل شيخاً لمعهد طنطا .

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / أحمد حميدة إلى سنة ١٩٣٧ م ثم نقل شيخاً لمعهد طنطا .

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمود أبو العيون إلى سنة ١٩٤٦ م ثم نقل سكرتيرا عاماً للأزهر .

١٠ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد السلام العسكرى إلى ١٩٥٢ م وقد توفى فى تلك السنة رحمه الله .

١١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد البسيونى زغلول بالندب من ١١ فبراير ١٩٥٢ م إلى آخر يوليه من نفس العام ثم نقل شيخاً لمعهد الزقازيق .

١٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد التواب البربرى بالندب من ٣٠ يوليه إلى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٥٢ م ثم اقتصر عمله على الوكالة .

١٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ /عبد الرحمن عيسى إلى أكتوبر سنة ١٩٥٣ م ثم نقل للتفتيش .

١٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد البسيونى زغلول إلى مارس سنة ١٩٥٤ ثم نقل شيخاً لمعهد طنطا .

١٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الصادق عرجون من مارس ١٩٥٤ م .

١٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ /عبد المجيد ياسين[٨] من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٦م تقريباً .

---

(٥) عين الشيخ الفحام وكيلاً للأزهر والمعاهد الدينية بالأمر الملكى رقم ٧٤ لسنة ١٩٣٠ م فى غرة رجب سنة ١٣٤٩ هـ ، ٢٢ نوفمبر ١٩٣٠ م وكان شيخ الأزهر هو محمد الأحمدى الظواهرى فى عهد الملك فؤاد ، بسراى القبة ، وكان رئيس الديوان الملكى توفيق نسيم .

(٦) عين الشيخ اللبان شيخ القسم العالى بالجامع الأزهر ، شيخاً لمعهد الأسكندرية بالأمر الملكى رقم ٧٧ لسنة ١٩٢٩ م فى عهد الملك فؤاد بسراى عابدين فى ٢ رجب ١٣٤٨ هـ وكان رئيس الوزراء ، عدلى يكن ، .

(٧) عين الشيخ محمد الشافعى الظواهرى المدرس بقسم التخصص ومن هيئة كبار العلماء شيخاً لمعهد الأسكندرية بالأمر الملكى رقم ٥٥ لسنة ١٩٣١ م فى عهد الملك فؤاد بسراى عابدين فى ٧ صفر سنة ١٣٥٠ هـ ٢٣ يونيه سنة ١٩٣١ م .

(٨) من مواليد شبراخيت إحدى مدن ومراكز محافظة البحيرة .

١٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ /إبراهيم محمد بديوى[٩] ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨ م تقريباً .

١٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد عثمان اغا[١٠] من ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ م تقريباً .

١٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد محمد أبو خوات[١١] من سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٩ م تقريباً .

٢٠ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد العزيز أحمد عيسى[١٢] من سنة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ م تقريباً .

٢١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / فتحى محمد عبد الوهاب سالم[١٣] من سنة ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ م تقريباً .

٢٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد كامل خراشى[١٤] من سنة ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ م تقريباً .

٢٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / السيد محمد محمد خليل اللامى[١٥] وهو شيخ المعهد الحالى ، بارك الله فى عمره .

اول تقرير لمشيخة علماء الأسكندرية يحض على ترقية التعليم الدينى

فى أول تقرير أصدره الشيخ محمد شاكر سنة ١٩٠٤ م ١٣٢٢ هـ .. يروعك منه منهج الشيخ الكامل وإيمانه الشامل بوجوب ربط الدين بالحياة ، وقد جاء فيه : « ومما يجب أن يتنبه له عقلاء الإسلام وعظماء الأمة أن التعليم الدينى يكاد يكون منحصرا فى طبقات الفقراء وبعض الطبقات الوسطى دون الطبقات العليا . وذلك خطر غير قليل على الجامعة الإسلامية . إذا قدّر أن ينتهى الأمر بانحصار التعليم فى تلك الطبقات ، فتكون الرئاسة الدينية منحصرة فيهم . لا يتولاها سواهم من الطبقات الأخرى ، فتكون الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية ، والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية ، وبين أيدينا من نتائج هذا التفريق فى القوى الفعالة ، وهذا التدلى فى التربية الدينية ، ما يصلح عبرة لخاصة المسلمين وعقلاء الأمة . فلينظروا فى موقفهم ، إذا فكروا فيه كثيرا ، يترجح عندهم أن يتربى أبناؤهم تربية دينية إسلامية محضة ، يخدمون بها أمتهم ودينهم ، ويترفعون عن الدناءة والسقوط ، ويساعدون على ترقية التعليم الدينى ، ويجعلون له المكانة العاليا فى أفئدة الناس أجمع ... » وحسب القارىء هذا ليدرك بماذا سنعقب على هذا المنطق السليم الخالص لوجه الله ولدينه وللمسلمين ولهذه الأمة .

وفى جوانب هذا التقرير أيضا ما يرد فريقا من الناس إلى سلامة القصد . حيث يدعو الشيخ الفاضل إلى إعداد الأمة جميعها ، إعدادا علميا دينيا إلزاميا فيقول : « وإن المشيخة ليسرها أن

←

(٩) من مواليد دمنهور عاصمة محافظة البحيرة بمصر ، وكان وكيلاً لمعهد طنطا وهو من الشعراء الفطاحل ، وعلماً بارزاً من اعلام البحيرة ، وقد رأيته يلقى القصائد الطويلة فى المناسبات الوطنية بمعهد طنطا .. وكان آخر منصب شرفى تولاه هو رياسته لجمعية الشبان المسلمين بمحافظة البحيرة كما حكى لى فضيله الشيخ احمد حسن الباقورى الذى كان زميلاً له فى أول اتحاد طلاب ازهرى ، وكما حكى لنا المستشار عبد المجيد الغايش زميلهما فى هذا الاتحاد « الباحث » .

(١٠) من مواليد البرلس ـ إحدى مدن محافظة كفر الشيخ .

(١١) من مواليد بلدة « الأصيفر » التابعة لمركز سيدى سالم محافظة كفر الشيخ .

(١٢) من مواليد محافظة المنوفية .

(١٣) من مواليد « الدلنجات » إحدى مدن محافظة البحيرة .

(١٤) من مواليد دمنهور عاصمة البحيرة .

(١٥) من مواليد « جزى » إحدى مدن منوف محافظة المنوفية .

صفحات مطوية من تاريخ الأزهر

تقرأ لأصحاب الاقلام بحوثهم فى ترقية التعليم الدينى استنهاضا للهمم ، وترغيبا فى تربية الناشئة من الشبيبة المصرية من كل الطبقات ، تربية مؤسسة على اتباع الشريعة فتكون دعائم التعليم هى تلك الدعائم التى بنى عليها الإسلام ، حتى لا نرى فى الشبيبة المصرية - رجال الغد - من يجترىء على ترك فريضة أو سنة ، أو يستطيع الصبر على مسلم يتركها وهو على فعلها قدير !! »

من هذا الجزء من التقرير يتضح غَيْرة الشيخ رحمه الله ، حيث كان يحدوه الأمل والتفاؤل - فى حال عصره - أن يحصن رجال الأمة بدرع الإسلام وحفظه ، وكان تخوفه على رجال الغد ترك فريضة أو سنة !! ولكن حال ما بعد عصره قد انتهى لا إلى ذلك فحسب ، بل عداه إلى هتك الحرمة للفريضة والسنة ، فى غير تَحرُّج ولا تأثُّم .. بل فى ادعاء واغتصاب وافتراء .

ومن خلال تقريرات الشيخ محمد شاكر نلمس جوانب عظيمة فى القيم المنهجية والإعدادية لطلب العلم وما يتصل به أو يتفرع عنه ، ومن هذه الجوانب :

١ - الكتاتيب أو المكاتب الإسلامية التى تعد الصبيان الصغار للانتساب للمعاهد الدينية بحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب مع تجويده ، ومعرفة أحكامه الأولية ، ويؤكد الشيخ حرصه على ذلك فينقل عن مقدمة ابن خلدون قوله : « اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملّة ودرجوا عليه » .

٢ - دعوة الأمة والمسئولين فيها إلى التركيز على نوع آخر من التعليم العام لا يلتقى بالمناهج والاختبارات ، أطلق عليه التعليم العام بالدراسة فى المساجد إما حسبة لوجه الله تعالى ، او بالوظيفة الراتبة لمن يرغب فى ذلك .

وهذه الامكانيات التى اعتمد عليها المسئولون الأولون كانت بسيطة ، يقابلها مجهودات ضخمة فى تنفيذ هذه المهمة الشاقة فى العاصمة الثانية ، ومن ثم نعرف إلى اى مدى كانت النية خالصة والعمل مستقيما ، والنتيجة سارة ..

فقد كان المدرس من علماء الدرجة الأولى بالأسكندرية يتقاضى راتبا شهريا قدره ٥٠٠ قرش خمسمائة قرش ، وفى الدرجة الثانية ٤٠٠ قرش ، أربعمائة قرش ، وفى الدرجة الثالثة ٣٠٠ قرش ، ثلاثمائة قرش ، بينما كان المدرس بالجامع الأزهر فى القاهرة يتقاضى مرتبا قدره ٨٠٠ قرش ، ثمانمائة قرش ..

وهو يعطينا صورة جلية للتضحية الكبيرة فى سبيل تثقيف الناس فى مساجد وجوامع مدينة الأسكندرية ، ومعظمهم (أى العلماء) درّس حسبة لوجه الله ، والآخرون رضوا بالقليل الذى يسد الرمق فى سبيل نشر العلم والصمود أمام الغزو الفكرى الذى يستهدف الأسكندرية بالذات باعتبارها الثغر الأقرب إلى إيطاليا وفرنسا وغيرهما ..

مكتبة ووثائق معهد الأسكندرية !!

لم نستطع - بكل أسف بالغ وحزن عميق - أن نحصل على السجلات والدفاتر القديمة والأوراق الخاصة بمشيخة كبار العلماء بالأسكندرية ، فبعد ان رقى آخر عالم كان يتولى أمانتها صارت هذه الوثائق بعيدا عن إدارة العلماء فتوالت عليها تصرفات مشينة لم ترع فيها حق الله تعالى ، ولا حرمة أمانة ، ولا اهتماما بالآثار القومية وما بها من وثائق تاريخية على جانب عزيز من الأهمية ، فبيعت بثمن بخس لشركات الورق مقابل ستة مليمات فقط لكل (كيلو) من هذه

الوثائق التى لا تقدر بمال ، وكاد يمتد التبديد الشائن إلى مكتبة المعهد ، وفعلا ضاع منها بعضها أثناء نقل المكتبة من (سراى عمر طوسون) بحى (محرم بك) الشهير بـ (غيط الصعيدى) إلى مقر المعهد الجديد بأرض (سموحة) عام ١٩٦٥ .

ومكتبة معهد الأسكندرية بها مجموعة كبيرة من الكتب ، منها مخطوطات نادرة ، وربما فريدة من نوعها فى فنون العلم المختلفة ، وبعضها نفدت طبعاته منذ مدة طويلة ، والمكتبة فى حاجة ملحة إلى رعاية سريعة لها تهتم أول ما تهتم بتصوير المخطوطات على « ميكروفيلم » بعد ترميمها وتجليدها ثم النظر فى تلفيات الرطوبة وغيرها تلك التى زحفت على الكثير من هذه المخطوطات بل الكتب المطبوعة أيضا .

تزويد المكتبة بالكتب :

وكانت المكتبة تزود بالكتب من ثلاثة مصادر :

أولها : النَسْخُ ، حيث يقوم نُسَّاخُ الكتب بكتابة عدة نُسَخ من المخطوط الواحد ، الذى كاد يهلك ومن ثم كان للنَسْخِ أهمية كبرى لزيادة عدد النُسَخ من المخطوط الواحد ولتجديد شباب المخطوطات النادرة الفريدة من ناحية أخرى .

ثانيها : عن طريق الشراء ، حيث ترصد ميزانية لشراء الكتب ، أو يتبرع بعض الموسرين وأهل الخير من أهالى الأسكندرية بمبلغ من المال لشرائها ، أو عن طريق الوقف الخيرى لشراء الكتب وترميمها وتجليدها ، خدمة لطلاب العلم[١٦] بالمعاهد العلمية الإسلامية .

ثالثها : الإهداء ، حيث يقوم العلماء قبل وفاتهم بإهداء مكتباتهم الخاصة إلى معهد الأسكندرية أو بوصية بعد مماتهم ، فيقوم ورثتهم بإهداء مكتبة والدهم الخاصة إلى مكتبة المعهد ، ويوجد من النوْع الثانى مكتبة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحفيظ الشناوى إمام وخطيب جامع القائد إبراهيم بالأسكندرية ، وهى المكتبة الوحيدة التى أهديت إلى المعهد من أبناء العلماء[١٧] .

أعلام معهد الأسكندرية !!

خرّج معهد الأسكندرية ومازال يخرج علماء اعلاما خدموا الحركة العلمية فى الأسكندرية خاصة وفى مصر وغيرها من بلدان العالم عامة ، وإذ لم نستطع الحصول على السجلات والوثائق لبيعها لشركات الورق ، فإننا استطعنا بالحديث مع كل من الأستاذ عبد اللطيف العزازى والأستاذ محمد إبراهيم الشيمى وكيلى معهد الأسكندرية أن نحصل على مجموعة من الأعلام خريجى المعهد ومنهم بالإضافة إلى شيوخه الذين تحدثنا عنهم سالفا :

ـ البقيـة ص ١٢٨٣

---

(١٦) راجع ما كتبناه عن دراسة وثيقة علي بن سليمان الابشادى بوقف كتب وأدوات كتابة على رواق الريافة (أهل الريف) بالجامع الأزهر ، فى مجلة الأزهر ـ عدد ربيع الأول سنة ١٤٠٢ هـ (الباحث) .

(١٧) أهديت مكتبة الشيخ عبد الحفيظ الشناوى لمعهد الأسكندرية سنة ١٩٨١ م بعد وفاته عن طريق ابنائه ، الذين اشترطوا على المعهد أن توضع فى مكان بارز داخل دواليب وكُتْبِيَات ، وأن يوضع اسمه عليها بصورة مشرفة تتناسب مع كفاحه الوطنى ..

رسل الأزهر

في بـلاد النـيجر

أخذت مدينة نيامى زخرفها وازينت ، وأعلن على الملا نبأ اعتزام رئيس جمهورية فرنسا ، چورج بومبيدو ، القدوم إلى البلاد يوم ٢٤ يناير ١٩٧٢ ، فى زيارة رسمية تستغرق ٤٨ ساعة . واستعدت حكومة النيجر استعداداً خاصاً لهذه المناسبة الاستثنائية والهامة ، مناسبة زيارة أول رئيس فرنسي للبلاد منذ الاستقلال ، فاعلنت يوم وصوله عطلة رسمية فى طول البلاد وعرضها .

وينبغى الا ننسى أن النيجر من دول (الفرنكوفون) ، وأنها برغم استقلالها عن فرنسا عام ١٩٦٠ إلا أن كل مصالحها ، سياسية كانت أم اقتصادية أم ثقافية أم عسكرية ، مازالت مرتبطة بفرنسا ارتباطاً وثيقاً ، وما يقال عن النيجر ينطبق بطبيعة الحال على جميع دول غرب أفريقيا الفرنسية (باستثناء غينيا التى اختار رئيسها أحمد سيكوتورى الاستقلال عن فرنسا منذ البداية ، فكان أن عوقب بسحب فرنسا كل معوناتها له مما اصاب بلاده بالشلل الكامل) .

فاللغة الفرنسية هى اللغة الرسمية فى البلاد ، والعملة المتداولة هى الفرنك الأفريقى المرتبط نقدياً بالفرنك الفرنسى (الفرنك الفرنسى يساوى ٥٠ فرنكاً أفريقياً) .

ثم أن ميزانية الدولة السنوية تتكفل فرنسا بموازنتها .

والسفير الفرنسى هو عميد السلك الديبلوماسى الأجنبى ، كما أن المستشارين الفرنسيين منبثون فى جميع الوزارات والمصالح .

كذلك فإن جيش النيجر مسلح بمعرفة الحامية الفرنسية ..

وهذا بالإضافة إلى أن خطوط الطيران المحلية فى غرب أفريقيا هى « اير افريك » التى تعد فرعاً من فروع شركة الطيران الفرنسية « اير فرانس » ، وكلها تصب فى باريس مباشرة ، (ولنتصور أننى أريد أن اسافر من النيجر إلى دولة مجاورة ، فلا أجد طائرة تنقلنى إلا عن طريق باريس ومنها للدولة المجاورة !!) .

كما أن السوق التجارية فى النيجر وبالأخص فى مادة اليورانيوم ، هو فى قبضة الاعتبارات الفرنسية . ففرنسا هى المصدر الأول للنيجر . وهى المستورد الاكبر منها .

وأخيراً وليس آخراً فالهلال الأحمر اسمه هناك الصليب الأحمر ..

السيد السفير
جمال الدين محمود ابو العيون

وبالجملة كانت النيجر حتى ١٩٧٢ منطقة من مناطق النفوذ الفرنسى برغم الاستقلال الرسمى الذى حصلت عليه ..

تلك هى صورة مصغرة للأوضاع فى النيجر فى ظل زيارة الرئيس بومبيدو المرتقبة ..

ولقد استعدت الجالية الفرنسية بالنيجر ـ وهى جالية قوية وتقدر بعشرات الألوف ـ للترحيب بالرئيس الفرنسى ، وبعض أفراد هذه الجالية يقيمون هناك بصفة مؤقتة ، مثل الموظفين الرسميين بالحكومة النيجرية ، ومثل الشبان المجندين الذين تخيرهم حكومة فرنسا بين أداء الخدمة العسكرية فى فرنسا أو قضاء سنوات الخدمة فى دول (الفرانكفون) حيث يمارسون مهنهم الأصلية كالطب أو الهندسية أو التدريس بأمر تكليف .. أولئك هم المستوطنون المؤقتون ..

لكن هناك نسبة كبيرة جداً من الجالية الفرنسية تقيم فى النيجر ، وفى شمال وغرب افريقيا منذ أجيال .. وكثير منهم ولدوا فى أفريقيا ، ومعظمهم لم يروا فرنسا قط ، وإنما سمعوا عنها ، وهم الذين يطلق عليهم اسم « ذوى الأقدام السوداء » ، وهؤلاء هم أشرس طبقة من المستثمرين ، لأنهم يرون أنهم أصحاب المصالح الحقيقية فى البلاد ، وأنهم أصحاب الفضل فى تحضرها ورقيها وازدهارها ، ويقولون متباهين فى تبجح .. انظروا إلى الشوارع الفسيحة ، وإلى الحدائق الجميلة ، وإلى الأبنية الأنيقة ، وإلى الأسواق النظيفة .. وانظروا إلى المطارات والمصانع والمستشفيات والمدارس بنيناها بعرقنا وجهدنا ، ولولانا نحن لبقيت افريقيا فى ظلام الجهل والفقر والتخلف ، ناسين أو متناسين أنهم إن فعلوا ذلك فلمصلحتهم الشخصية .. ولرفاهيتهم هم .. لا لمصلحة ولا لرفاهية أهل البلاد الأصليين الذين مازالوا يعيشون بسببهم فى أدنى مستوى يمكن أن يعيش فيه البشر .

ولقد تزامنت زيارة رئيس فرنسا مع افتتاح مطار نيامى الجديد الضخم الذى أنشىء على طراز افريقى جميل ، والذى قيل فى وصفه أنه يسبق احتياجات البلاد بعشر سنين على الأقل .

كما تزامنت الزيارة كذلك مع حاجة النيجر لتمويل اتفاقياتها الاقتصادية مع فرنسا ، وبخاصة (اتفاقية اليورانيوم) المجحفة ، حيث تشتريه فرنسا من النيجر ، بفضل احتكارها لمناجمه ، بأبخس الأسعار ، فى حين تلح النيجر فى رفع سعره لسد حاجات البلاد المتزايدة ، ـ خاصة ـ وقد أصيب النيجر وجيرانها الافريقيات بالجفاف الشديد لقلة سقوط الأمطار خلال السنوات السبع الأخيرة .

لذلك ، فإنه على الرغم من الاستقبال الحافل ، والرعاية المكثفة التى أعدتها حكومة النيجر للضيف الكبير ، فقد شابت الزيارة بعض القلاقل ، وظهرت لافتات عدائية ، وقذف البعض موكب الرئيس الفرنسى بالبيض الفاسد والطماطم ، الأمر الذى حدا بالحكومة إلى إلقاء القبض على أعداد من الشباب المثقف والمشتبه فى ميولهم اليسارية ، وإن سرى همس بين

رسل الأزهر

الكواليس أن هذه المظاهرات كانت من تدبير بعض غلاة المستوطنين الفرنسيين ، ممن أزعجهم احتمال تساهل الرئيس الفرنسى مع حكومة النيجر بالنسبة لبعض مطالبها .

كذلك قيل من بين ما قيل : إن إحدى السفارات التى يقلقها تقارب النيجر من فرنسا كانت وراء محاولة تشويه الزيارة .

أما من جهة السفارة المصرية فهى لم تجد غضاضة فى مجاملة حكومة النيجر ، وكذا سفارة فرنسا ، التى كانت حريصة على كسب ودها وعلى حسن التفاهم بيننا برغم اختلاف مفاهيمنا معها فى كثير من المواقف فاتفقنا مع إدارة شركة النصر على إضاءة أنوار العمارة ليلاً حتى تبدو فى أجمل زينتها أثناء الزيارة ، فكانت مساهمة طيبة قابلتها حكومة النيجر وسفارة فرنسا والجالية الفرنسية بالتقدير والامتنان .

وعاد بومبيدو إلى بلاده ، وظلت أصداء الزيارة تتردد إلى حين ، ومعها شعار الثورة الفرنسية « الحرية والإخاء والمساواة » الذى ظل فى النيجر شعاراً معلقاً بين السماء والأرض ..

أمراض القلوب - بقية

رياء وتصنعا ، وبين ما يخفيه حياء من ضميره والمجاهرة به .

وأول مضعفات الشعور بالتبعة حديث (الدجاجلة) من سماسرة الدعوة الاجتماعية وهم فى حقيقة الأمر أعداء المجتمع .

يقولون : الحطام به فساد
وهم فسدوا وما فسد الحطام

والحق أنه يتعين على كل غيور على دينه أن يتأهب لدفع الشبهات ، وكأنى أشعر فى قرارة نفسى بتخطيط يستهدف النيل من الإسلام ، وأَنْ نُصاب ونحن متحفزون للخطوب ، متقلدون عدتنا للشدائد ، خير من أن نصاب ونحن وادعون لا نتوقع هولا من الأهوال ، ولا تخطر لنا الشدة على بال .

ومن العجيب أن نرى غوثا من العناية الإلهية يُساق إلى معترض أمين ليذكر العناية الإلهية نفسها !

ومن نكد الدنيا أنك لا تزال ترى المصلحين حيث ترى نفسك ، لا تفقدهم فى مكان ، ثم لا يزيد الأمر بهم إلا فسادا ، لأنهم مصلحون بالتشبه والتقليد ، يبحثون عن الفساد فى الأرض حتى يَجدوه أو يُوجِدُوه ، ولا يتخذون من الوقائع ما يتخذه العلماء من تجاربهم ، ينكرون الوقائع ، ويتشبثون بالأحلام والأوهام التى لا تروج إلا فى سوق المتاجرة ، ومن خسر نفسه وربح الدنيا ، فلا قيمة لكل ما جناه .

إن مهمة الفرد أن ينظر إلى حال نفسه ، فإن التطلع لما بَطَن فيه من العيوب خير من التطلع إلى ما حجب عنه من الغيوب .

ولابد للمناقش من خطوة ضرورية يدحض بها مذهب الشك الذى يتلجلج فى صدره إزاء بعض المدركات العقلية ، والحياة لا يعزيها أن تعلم أنها منتهية ، وإنما يُعزيها أن تشعر بالخلود ، وفى مفهوم العقل : ذكاء ومعرفة وإرادة ونوازع ومشاعر وإدراك بالحواس ، واستنباطات رياضية وخيال وتذكر وعشرات الجوانب الأخرى ، وفى القرآن : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

أ . د/ محمد عبدالمنعم القيعى

إنشاء الأسطول الإسلامي
لأول مرة في التاريخ

للواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

● من ابرز صفحات تاريخ الامة الإسلامية ان المسلمين ـ بعد عصر النبوة ـ اقتحموا مجال الحرب البحرية وهو مجال جديد عليهم . وادخلوا السلاح البحرى وحرب الأساطيل في استراتيجيتهم العسكرية لأول مرة في التاريخ

● وليس ذلك فحسب ، بل إن المسلمين استوعبوا هذا الفن الحربى الجديد بسرعة فائقة وجودوا فيه وأضافوا إليه حتى استطاعوا أن يواجهوا أقوى أساطيل زمانهم وهو الأسطول البيزنطى فيهزموه في معركة ذات الصوارى سنة ٣٤ هجرية ، وسجل التاريخ بذلك نهاية السيطرة البحرية البيزنطية وبداية عصر القوة في تاريخ البحرية الإسلامية .

العرب والبحر :

● وقبل الإسلام لم يكن العرب يعرفون ركوب البحر إلا ما كان من سفائن ممالك حِمْيَر وسبأ في أيام التبابعة لأنهم كانوا أهل تجارة في البر والبحر[1] ، أما عرب الحجاز فكانوا يخافون ركوب البحر ، وليس ذلك بمستغرب من قوم قضوا حياتهم في صحراء قفراء ، لا سبيل لها إلى البحر ، ولا مصلحة لهم عنده ، إذ كانوا يستغنون عن البحر بطريق البر في التجارة والانتقال بين شبه الجزيرة والشام ومصر ، يقول ابن خلدون : « والسبب في ذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الأمر مَهَرة في ثقافته وركوبه (أى البحر) والروم والإفرنجة لممارستهم أحواله ، ومَرْباهم في التقلب على أعواده ، مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته »[2] .

←

(١) جورجي زيدان : التمدن الإسلامي جـ ١ ص ٢١٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٠ .

انشاء الأسطول اسلامى

● وقد كان الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ متخوفاً من البحر ، وكان يحرص على الا يفصل بينه وبين المسلمين ماء ، فبعد فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص (قائد فتح مصر) أن صِفْ لى البحر ، « فكتب إليه أن البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف ، دود على عود ، فأوعز حينئذ بمنع المسلمين من ركوبه »[٣] .

● ولما أراد عمرو بن العاص أن يجعل الأسكندرية عاصمة القطر ، كتب إلى الخليفة بذلك فسأله الخليفة : « هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ؟» فقال : « نعم ياأمير المؤمنين إذا جرى النيل » فكتب إليه : « إنى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف ، فلا تجعلوا بينى وبينكم ماء ، وانزلوا موضعاً متى أردت أن أركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت ».

● هذه الرهبة من البحار هى التى جعلت الفتوحات الإسلامية خلال السنوات العشرين الأولى (العراق والشام ومصر) تنحصر فى ميادين البر دون البحر .●

بناء الأسطول ضرورة استراتيجية :

● لكن المسلمين سرعان ما أدركوا من تطور أحداث الفتوح والدروس المستفادة منها أن بناء أسطول إسلامى ضرورة استراتيجية حيوية :

(١) فخلال سنوات الفتح بين عامى ١٣ إلى ٣٠ من الهجرة (٦٣٤ ـ ٦٥٠ م) لم يجد المسلمون عدواً لهم فى معاركهم أقسى من البحر وما يأتى منه من أخطار ، فبينما كانت مدن الشام الداخلية تتساقط دون عناء كبير ، كانت موانىء الساحل تصمد طويلاً وتتحمل الحصار بسبب إمدادها المستمر عن طريق البحر ، ومن ذلك على سبيل المثال أن قيسارية لم تسقط إلا بعد حصار سبع سنوات من جمادى الأولى سنة ١٣ إلى شوال سنة ١٩ من الهجرة[٤] .

(٢) وبينما كانت مدن الداخل تخضع للمسلمين بعد فتحها وتسلم إليهم مقاليد ولائها ، كانت مدن الساحل دائمة الفتن والثورات والاضطرابات بسبب تحريض الروم (بيزنطة) ووجود اتصال بحرى بينها وبين تلك المدن ، حتى تمكنت مدن كثيرة منها أن تنشق بمعونة الأسطول البيزنطى عن الحكم الإسلامى ، ومن ذلك مدن صيدا وجبيل وعرقة فى الشام ، والأسكندرية فى مصر ، كما كانت جزر قبرص

---

(٣) نفسه : ص ٢٢٠ .

● .. ولمجلة الأزهر في هذا الأمر كلمة :

إنه لا خوف ولا رهبة عند العرب من البحر ، وأن كل هذه النصوص مجتمعة لا يؤخذ منها بحال رهبة عرب الحجاز ، أو شمال الجزيرة ـ من ارتياد البحر ، فأين غاب عنا كلمة سيدنا سعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ».

إنما الأمر ـ يومئذ ـ كان حتمية طبيعة الأحداث ... هذه الأحداث التي اقتضت أن يُحَارِبَ المسلمون في مؤتة واليرموك فلا يركبوا بحرا ، فأما إذا اقتضى الأمر عبور البحر فقد عبروه والحاكم عمر بن الخطاب ، وذلك لفتح بعض مدائن فارس ، ونحن ـ جميعاً ـ نعلم أن خالد بن الوليد خاض بجنده نهرا ، إنما كان عمر ـ رضى الله عنه ـ حريصاً على أن تكون جيوشه بعيدة عن احتمال هجوم بحري عليها ، كما كانت طبيعة الأحداث تقتضي دربة المسلمين أولاً على صناعة السفن ، ثم دربتهم على الدفاع عنها ، وممارسة آلات هذا الدفاع وإلا فإن عمر نفسه كان (غطاساً) يقول لابن عباس ـ وهو أشبّ منه : « تعال : أباقيك في الماء لنرى : أيُّنا أطول نفساً » ولابن خلدون منزلته ، وكذلك لكلامه في العرب مقال .

● فأما كون الفتوحات الإسلامية ـ خلال السنوات العشرين ـ تنحصر في ميادين البر ، فتلك أيضاً طبيعة الأحداث ، وإلا ، فهل كان على المسلمين أن يتركوا حرب الروم ـ في فلسطين ـ مثلاً ثم يركبوا البحر المتوسط ليحاربوا الروم في القسطنطينية ..؟! اللهم لا ...

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

وصقلية وسردينيا مسرحاً لحملات متواصلة بين الطرفين يتبادلونها من وقت لآخر .

(٣) وكان الأسطول البيزنطى ـ عندما يدرك استحالة المقاومة والصمود أمام الحصار الإسلامى على الموانىء فى الشام ومصر ـ يتولى إجلاء الجنود والمدنيين منها لحمايتهم من ملاحقة المسلمين ، فكان المسلمون حين يدخلونها يجدونها خالية تماماً من السكان ، ومن ذلك على سبيل المثال ما حدث فى طرابلس حين حاصرها المسلمون ، فلما اشتد الحصار على أهلها « اجتمعوا فى أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدهم ، أن يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى ما قبله ، فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا ، فلما أصبح سفيان (هو سفيان بن مجيب الأزدى قائد قوات الحصار) وكان يبيت كل ليلة فى حصنه ويحصن المسلمين فيه ثم يغدو على العدو ، وجد الحصن الذى كانوا فيه خالياً فدخله »[٥] .

(٤) ثم إن شواطىء الدولة الإسلامية امتدت من طرسوس شمالاً إلى برقة جنوباً (أكثر من ١٥٠٠ ميل) وهذه الشواطىء الطويلة تواجه تهديداً خطيراً من البيزنطيين وأساطيلهم ، فكان لابد من حمايتها والدفاع عنها ضد الغزو البحرى .

من أجل هذه الأسباب كان إنشاء الأسطول البحرى الإسلامى ضرورة استراتيجية .

مراحل إنشاء الأسطول :

● **المرحلة الأولى : استخدام غنائم المسلمين من البحرية البيزنطية .**

فقد تمكن المسلمون من إنشاء « نواة » الأسطول الإسلامى مما غنموه من السفن البيزنطية خلال فتوح الشام ومصر ، يقول أرشيبالد لويس : « كما أن العرب ، بفضل استيلائهم على دور الصناعة البيزنطية فى الأسكندرية وسورية سليمة ، استطاعوا أن يكونوا لديهم سفناً حربية إما جاهزة أو من السهل بناؤها ، وكانت تحت أيديهم ـ فضلاً عن ذلك ـ السفن التجارية التى يملكها السوريون والمصريون وهى مما يمكن استخدامه فى أغراض الحرب مع ما يكفيها من ملاحى تلك الثغور الخبيرين بشئون الملاحة »[٦] .

● **المرحلة الثانية : صناعة السفن :**

وبدأ المسلمون فى صناعة السفن فى دور الصناعة فى الشام ومصر ، يقول فيليب حِتِّى : « وكان (أى معاوية بن أبى سفيان) قد ظفر فى عكا بأحواض بيزنطية لبناء السفن وافية التجهيز ، فعمد إلى تشغيلها بحيث غدت الأولى من نوعها بعد دار الصناعة فى الأسكندرية ، وكانت أحراج لبنان آنئذ غضة ، فكانت تمد هذه الصناعة بالخشب اللازم ، وقد نقل الأمويون هذه الأحواض إلى مدينة صور »[٧] .

ويقول البلاذرى : « وكانت الصناعة (صناعة السفن) بمصر فقط ، فأمر معاوية بن أبى سفيان بجمع الصناع والنجارين ، فجُمعوا ورتبهم فى السواحل وكانت الصناعة فى الأردن بعكا .. وكانت لرجل من ولد أبى معيط بعكا أرحاء (أرض واسعة) ومستغلات فأراده هشام بن عبد الملك على أن يبيعه إياها فأبى المعطى ذلك عليه ، فنقل هشام الصناعة إلى صور »[٨] .

←

---

(٥) نفسه : ص ١٢٩ (وكانت طرابلس تضم ثلاثة حصون مجتمعة) .

(٦) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ص ٩٠ ترجمة أحمد محمد عيسى .

(٧) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان جـ٢ ص ٢٤

(٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٠ .

إنشاء الأسطول إسلامي

● الإفادة من الخبرات البحرية فى الشام ومصر :

لقد كان للشام ومصر تاريخ عريق فى ميدان البحر سواء فى التجارة أو الحرب ، فكان من الطبيعي أن يفيد المسلمون من الخبرات البحرية فى هذه البلاد وكان ذلك من أكبر العوامل التى ساعدت على بناء الأسطول الإسلامي ، وفى ذلك يقول ابن خلدون : « فلما استقر المُلك للعرب ، وشمخ سلطانهم ، وصارت أمم البحر خَوَلاً لهم (أى تابعين لهم) وتحت أيديهم ، وتقرَّب كل ذى صنعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية فى حاجاتهم البحرية أمماً ، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته ، استحدثوا بُصَراء بها (أى خبراء) فشرهوا إلى الجهاد فيه (أى البحر) ، وأنشأوا السفن فيه والشواني[9] وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها (أى أركبوا فيها) العساكر والمقاتلة لمن وراء البحار من أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وأفريقية والمغرب والأندلس »[10]

● غرس « الوعى البحرى » فى نفوس المسلمين :

وخلال خلافة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أخذ معاوية بن أبى سفيان والى الشام فى تقوية حصون الساحل الشامى ومدنه ، وإنشاء الرباطات البحرية فيها وتدعيمها ، ثم جعلها قواعد هجوم وإغارة ، بعد أن كانت أماكن حصينة للدفاع والاحتماء ، فلما تولى عثمان بن عفان رضى الله عنه الخلافة ، بدأ معاوية فى سياسته البحرية فى البحر المتوسط ، فشجع الناس على سكنى السواحل لتنمية ملكة حب البحر وركوبه لديهم ، ومما ساعده على ذلك أن عثمان بن عفان نفسه وافق على منح كل من يقيم فى السواحل قطعة أرض ليستغلها ويظفر بخيرها ، فعمرت السواحل بذلك ، ولم يعد المسلمون يخشون خطر البيزنطيين أو عدوانهم ، وهذا بفضل وجود الجيوش والحاميات بصفة دائمة فى هذه المدن أو الموانىء الساحلية للدفاع عنها ، إلى جانب قوات الهجوم والإغارة ، وكان كل من يتخلف عن غزو العدو تؤخذ منه أرضه وتعطى لغيره ممن يقيم فى السواحل[11] .

ويقول البلاذرى : « فتح عبادة بن الصامت والمسلمون معه انطرطوس ، وكان حصناً ثم جلا عنه أهله ، فبنى معاوية انطرطوس ومصَّرها وأقطع بها القطائع ، وكذلك فعل بمرقية وبلنياس »[12] .

قوة الأسطول الإسلامي وإنجازاته :

● ولم يمض وقت طويل حتى بدأ الأسطول الإسلامي الناشيء في ممارسة العمليات البحرية التي اشتملت على نوعين من العمليات :

(١) النوع الأول عمليات الإغارة البحرية وغزو الجزر التابعة للبيزنطيين والتي تشكل تهديداً مباشراً للشام ومصر مثل قبرص وكريت

---

(٩) الشواني :جمع شيني أو شاني أو شينية أو شونة ، وهي السفينة الحربية الكبيرة التي يتكون منها الأسطول الإسلامي ، ويستدل من النصوص التاريخية العديدة أن الشيني هو الأصل الذي يتفرع منه أسماء السفن الحربية الأخرى ولواحقها ، فكل سفينة حربية : « شيني » تحمل إسماً معيناً يدل على وظيفتها ، فمنها الغراب والطريدة والجفنة والحراقة .. إلخ (راجع درويش النخيلي : السفن الإسلامية على حروف المعجم ـ جامعة الإسكندرية ١٩٧٤).

(١٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٧٠ .

(١١) صابر محمد دياب : دراسات فى التاريخ الإسلامي ص ١٨ .

(١٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٥ .

وصقلية ومالطة وسردينية وأرواد وقد بدأت هذه العمليات في عام ٢٨ للهجرة بغزو قبرص .

(٢) والنوع الثاني ، هو المعركة البحرية ضد الأسطول البيزنطي مثل معركة ذات الصوارى التي هزم فيها الأسطول البيزنطي عام ٣٤ هـ[١٣] ، وتعد هذه المعركة مفخرة البحرية الإسلامية بكل المقاييس ، فقد غيرت مجرى تاريخ البحر الأبيض المتوسط ، لأن أهم نتائجها الاستراتيجية انتهاء عصر السيادة البيزنطية في البحر المتوسط ، وبروز المسلمين كقوة مؤثرة ذات ثقل عسكري وسياسي واقتصادي في عالم هذا البحر .

● ويضيف ابن خلدون كيف كان للأسطول الإسلامي السيادة والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط وكيف أوقع الرهبة في أساطيل الأعداء وأرغمها على أن تلزم حدودها فيقول : « وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي منه (أي البحر المتوسط) من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية ، لا يعدونها ، وأساطيل المسلمين قد ضَرِيَت عليهم ضراء الأسد على فريسته ، وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعدداً واختلفت في طرقه سلماً وحرباً ، فلم تظهر للنصرانية فيه الواح (اي سفن)[١٤] .

الدروس المستفادة :

ولابد أن نستخلص من هذه الحقائق التاريخية الدروس التي ينبغي أن نتدبرها ونسترشد بها في سعينا نحو النهضة الحضارية المنشودة :

أولاً : التطور وبناء القوة الذاتية :

● لقد أدرك المسلمون بعد عصر النبوة أن افتقارهم إلى القوة البحرية يضعف سلطانهم على السواحل الإسلامية أمام قوة بيزنطة البحرية ، ويعيق حركتهم لنشر الدعوة ، وكانت أمامهم لتصحيح هذا الوضع تحديات جسام :

(١) فهم رجال بادية لا يعرفون ركوب البحر فضلاً عن القتال فيه .

(٢) وعدوهم الرئيسى «قوة عالمية كبرى» لديها قوة بحرية منحتها السيادة في البحر الأبيض المتوسط حتى أصبح يسمى بالبحيرة الرومانية او البحر الرومي كما يقول ابن خلدون[١٥] .

(٣) وعنصر الزمن « ليس في صالحهم » ، نهم « في حالة حرب » مع هذا العدو ، يفتحون من الأراضي التي تحت يده أغلاها وأغناها ، فهو لابد وأن يسعى بكل ما أوتى من قوة نحو استرداد تلك الأراضي ، ومنعهم من بناء قوتهم البحرية من ناحية أخرى .

● لكن المسلمين ـ أمام هذه التحديات الجسام ـ لم يقفوا مكتوفي الأيدي ، بل « اقتحموا » مجال الحرب البحرية وبناء الأساطيل ، مدفوعين بأقوى الدوافع النفسية والمعنوية :

(١) فقد رأوا ـ دون انتظار لنص موجه ـ

←

(١٣) سوف نتناول معركة ذات الصوارى البحرية في بحث قادم إن شاء الله .

(١٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢١ (ومعنى « ضريت عليهم ضراء الأسد على فريسته » أن أساطيل المسلمين كانت تطارد أساطيل الأعداء) .

(١٥) نفسه : ص ٢١٩ .

انشاء الأسطول اسلامى

أن كتابهم لا يعلو في عالم يجهلون فيه شئونه البحرية ، فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج .

(٢) وعملوا بأمر ربهم : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠) ، وفهموا مغزى هذا الأمر وعملوا بمقتضاه وهو الا يدع المسلمون الفرصة لعدوهم لكي يتفوق عليهم في القوة ، وإلا أصبحت قوتهم « مفرغة من قوة الردع التي ترهب أعداءهم » فيتعرضون للهلاك .

(٣) وادركوا ـ كذلك ـ أن مقتضى هذا الأمر أن يتطوروا في بناء قوتهم وفي تركيبها وأساليب استخدامها واسلحتها لكي تناسب روح العصر الذي تعيش فيه والظروف والأحوال الاستراتيجية التي تحيط بها .

ثانياً : ضرورة تجاوز مرحلة « نقل التكنولوجيا » :

● لم يجد المسلمون حرجاً في أن يستعينوا بغيرهم في حاجاتهم البحرية ، لكنهم لم يقفوا عند حدود « النقل » بل تجاوزوها حتى كانت لهم ـ بعد فترة قصيرة من الزمن ـ خبراتهم الخاصة في كل مجالات الحرب البحرية ، وذلك مطلب حيوى لكل أمة تقتضي ظروفها الاستراتيجية أن تأخذ عن غيرها من الامم شيئاً من المعارف أو الخبرات بشرط الا يكون ثمن ذلك هو « التبعية » لهذا الغير ، وذلك هو السبيل الصحيح إلى بناء « القوة الذاتية » التي ترهب الأعداء .

● ولقد حقق أجدادنا المسلمون الأوائل هذا المستوى بطرق تستحق الدراسة :

(١) السرعة الفائقة في « استيعاب » المعارف واكتساب المهارات الجديدة ، وإذا كان المسلمون في النصف الأول من القرن الأول الهجري قد فعلوا ذلك ، فإن المسلمين اليوم مطالبون بذلك بصورة أشد وأقوى ، فالتقدم والتطور في عصرنا بالغ السرعة ، وملاحقته « سباق مع الزمن » ، والنصر في الحرب لمن يسيطر « قبل » خصمه ، بل « واكثر منه » على العلم والأساليب العلمية والعملية للقتال وإدارة الصراعات ، وقد شهد المؤرخون الأجانب لأجدادنا بسرعتهم الفائقة في الاستيعاب فيقول فلهاوزن[١٦] :

« إن العرب استبدلوا الصحراء والجمل ، بالبحر والمركب في سرعة مدهشة ».

(٢) ولم يكتف المسلمون باستيعاب المعارف البحرية بسرعة ، بل مضوا في طريق التقدم والارتقاء حتى أصبحوا « خبراء » في فنون الحرب البحرية كما يقول ابن خلدون ـ كما ذكرنا ـ : « استحدثوا بصراء بها »، وواصلوا التفكير والبحث حتى كانت لهم أساليبهم الخاصة التي استخدموها في القتال البحري فكانت من اهم عوامل انتصارهم على أعدائهم ، يقول

(١٦) علي فهمي شتا : القوة البحرية الإسلامية ص ٧٨ .

أرشيبالد لويس في معركة ذات الصواري البحرية : «ويبدو أن انتصارهم (أي المسلمين) جاء نتيجة لخطط غير عادية ، إذ ربطوا سفنهم بعضها إلى بعض بسلاسل ثقيلة ، فاستحال على أعدائهم اختراق صفوفهم ، واستخدموا في تلك المعركة خطاطيف طويلة يصيبون بها صواري وأشرعة سفن الأعداء الأمر الذي انتهى بكارثة بالنسبة للبيزنطيين»[١٧].

الشيني
من سفن الأسطول الإسلامي

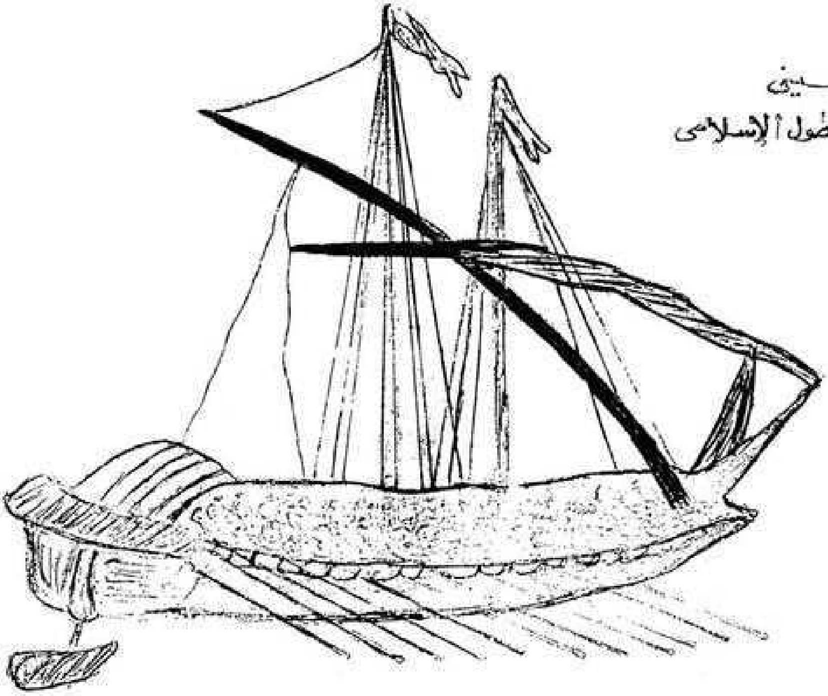

(سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية لوحة ٤٨ ص ٤٧١)

---

(١٧) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص ٩٢ .

الفتاوى

فى الحج وأركانه

س ١ : ما أركان الحج ، وما الذى يفسده ؟
ب : من هم الصابئون . ؟
محمد السيد إسماعيل
المعهد التجارى بالزقازيق

جـ أ : أركان الحج أربعة عند المالكية والشافعية والحنابلة ـ وهى الإحرام والطواف للإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة وزاد الشافعية ركنين على الأربعة الحلق أو التقصير ، وترتيب الأركان :

وقال الأحناف : للحج ركنان : ١ ـ الوقوف بعرفة ـ ومعظم طواف الإفاضة .

ويفسده ترك ركن من أركانه . وخاصة الوقوف بعرفة فى وقته المعين . وكذلك يفسده الجماع قبل طواف الإفاضة عند المالكية ـ وقال الأحناف : الجماع يفسد الحج إذا كان قبل الوقوف بعرفة . فإن الحج عندهم لا يكون قابلاً للفساد بعد الوقوف بعرفة ، فإذا فسد الحج كان عليه أن يستمر فى إتمامه فاسداً ـ عند الأربعة وعليه دم ـ شاة فأكثر ـ والحج فى عام قادم .

وقال الحنابلة : يفسد الحج بالجماع قبل التحلل الأول ويتحقق برمى الجمار والحلق ، وكذلك الحال عند الشافعية .

جـ ب الصابئون : هم عبدة الكواكب أو عبدة الملائكة .

تقبيل الحجر الأسود

س ٢ : ما الحكمة فى تقبيل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : الحجر الأسود ؟!
احمد محمود ـ البدارى

جـ ٢ : إن الإسلام لم يأمرنا بالتمسح بأى موضع ، بل إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يغلق كل باب يخشى منه الفتنة .

لهذا : قال عليه الصلاة والسلام : « لا تتخذوا قبرى وثناً يعبد » .

وقال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجداً » .

ولقد سار صحابة رسول الله على هذا المنهج ، فهاهو عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقطع شجرة الرضوان التى بايع المؤمنون رسول الله تحتها فى الحديبية ، تلك الشجرة التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم حيث قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

إعداد: على حامد عبد الرحيم

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ .

لقد قطعها عمر ـ رضى الله عنه ـ حين علم أن بعض الناس يذهبون إليها للتبرك .

أما تقبيل الحجر الأسود فهو أمر « تَعَبُّدِى » والأمور التعبدية امتثال محض لله ، ولا نبحث عن علتها ، ولذا قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه فى شأن الحجر الأسود : إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

الفرق بين المكى والمدنى

س ٣ : ما الفرق بين الآيات المكية والآيات المدنية

أحمد عبد العال ـ العقال البحرى ـ البدارى

جـ ٣ : هناك أمارات وخصائص تميز المكى من المدنى ـ غالباً ـ ماياتى :

أولاً : إن الآيات المكية تتحدث عن الآتى :

١ ـ الإيمان بالله واليوم الآخر ، وتصوير الجنة والنار ، والحديث عن الكون وقوانينه .

٢ ـ النشأة الأولى للإنسان وعن آدم وحواء ـ ومراحل خلق الإنسان ، وغرائزه وصفاته النفسية .

٣ ـ قصص الأنبياء والأمم السابقة ، وتصوير مصير الضالين المكذبين ، ومصارع الجبابرة والمتألهين : كما يغلب عليها قصر الآيات وكثرة السجع ، وكثرة التشبيه والأمثال ..

ثانياً : إن الآيات المدنية تتحدث غالباً عن :

١ ـ التحدث عن دقائق التشريع فى الأحكام والحدود والفرائض والجهاد والسلم والحرب ـ والمعاملات والعبادات ذات الطابع الاقتصادى كالزكاة والحج .

٢ ـ ذكر المنافقين وبيان أحوالهم وفضائحهم وسائر شئونهم .

٣ ـ مجادلة أهل الكتاب ومناقشتهم فى عقائدهم ـ كما تؤكد على إخلاص العبودية لله ، وتوضح صورة التعامل الصحيح بين المؤمنين كما يغلب عليها طول الآى والأطناب .

وهناك اصطلاحات للمكى والمدنى :

١ ـ إن المكى : ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدنى : ما نزل بالمدينة ويدخل فى مكة ضواحيها ـ كالمنزل ـ فى بدر وأحد .

٢ ـ المكى ماوقع خطابا لأهل مكة وعليه يحمل ما صدر بلفظ ياأيها الناس أو يابنى آدم والمدنى : هو ما وقع خطابا لأهل المدنية وعليه يحمل ما صدر بلفظ ياأيها الذين آمنوا لأن الكفر غالب على أهل مكة كما أن الإيمان غالب على أهل المدينة .

٣ ـ أن المكى ما نزل قبل هجرة النبى ـ والمدنى ما نزل بعده هجرة النبى ـ وهذا هو المشهور .

حكم الاستمناء باليد

س ٤ : بعد إن انتشرت ظاهرة العادة

←

السرية بين الشباب ـ نرجو بيان حكم الإسلام فيها ـ وكيف الإقلاع عنها . ؟

ف . ا . ا جرجا

ا . ف ـ م ـ كلية العلوم ـ الزقازيق

جـ ٤ : أن العادة السرية ـ عادة مستهجنة ـ وقد رسم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطريق أمام الشباب الذى يخشى ثوران الغريزة ولا يجد ما يستطيع به الزواج ، فلم يصف لهم الاستمناء باليد ، وإنما : قال صراحة وهو الذى لا ينطق عن الهوى : فقال : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » ـ البخارى ـ

وجاء فى جامع أحكام القرآن للقرطبى ـ عامة العلماء على تحريمه وقال بعض العلماء ـ إنه كالفاعل بنفسه ، وهى معصية أحدثها الشيطان .

ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها .. وإن قال به قائل ..

وقال ابن كثير رحمه الله : إن الشافعى ـ رحمه الله ـ ومن وافقه على تحريم الاستمناء بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين .

وقد قال : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ .

فعلى الشاب المؤمن أن يجاهد نفسه ، ويراقب ربه ، ويكثر من الصيام الذى يقوى ملكة التقوى والمراقبة فى نفس المسلم .

اخراج الزكاة قبل موعدها

س ٥ : هل يجوز إخراج الزكاة قبل ان يحول عليها الحول . وإذا كان المال فى تجارة فما نصاب الزكاة وما مقدارها . ؟

ع . ر خفاجة

جـ ٥ : نعم يجوز إخراج الزكاة قبل حولان الحول . فقد أجازها الشافعية والأحناف والحنابلة لحديث على ـ رضى الله عنه ـ « أن العباس ابن عبد المطلب سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له فى ذلك ـ رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى .

وقال المالكية : لا يجوز تعجيل الزكاة قبل الحول .

قال ابن رشد ـ وهو من المالكية ـ وسبب الخلاف : هل هى عبادة أو حق واجب للمساكين ؟

فمن قال : إنها عبادة وشبهها بالصلاة لم يجز إخراجها قبل الوقت ، ومن شبهها بالحقوق الواجبة المؤجلة أجاز إخراما قبل الأجل على جهة التطوع .

والمال المتخذ فى التجارة تجب فيه الزكاة ـ وتسمى زكاة العروض إذا حال عليه الحول وبلغ نصاب الزكاة بعد تقويمه فيجب فيه ربع عشر قيمته ، لما رواه أبو داود والبيهقى عن سمرة بن جندب قال :

أما بعد : فإن النبى صلى الله عليه وسلم : كان يأمرنا ان نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع .

من أعلام الأزهر

الشيخ حسن خالد

الدكتور محمد أنيس عبادة

الشيخ حسن خالد

شهيد المبدأ والعقيدة

الموت حق على كل كائن .. والنهاية قدر على كل حيّ .. ولكل اجل كتاب .. مات مفتي لبنان .. ورحل الشيخ حسن خالد .. مات ليحيا .. وغاب ليبقى .. وارتقى بروحه إلى الملا الأعلى .. لينتظم بين صفوف الصديقين والشهداء والصالحين وحُسن اولئك رفيقاً .. وليطير باجنحته في علياء المحشر ودماؤه اطيب من ريح المسك .. ولئن كان كل الخلق يحاسبون يوم القيامة فإن الشهداء لا يحاسبون بل تُفتح لهم ابواب الجنان فيدخلون من ايها شاءوا ..

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ..

فطوبى لهؤلاء الذين كتبوا بدمائهم الحمراء على صفحات التاريخ البيضاء .. آيات بينات .. من المجد والفخار .. والعز والإكبار .. هؤلاء الذين تظل ذكراهم باقية في مسمع الوجود .. عَبر الأزمان والقرون .. أنشودة طيبة مجيدة .. يُغنيها الدهر .. ويُغردها الزمن .. وتُرتلها الأيام .. فتطرب لها الآذان .. ثم الويل لتلك الأيادي الآثمة الغاشمة التي امتدت بالعدوان الظالم على النفس الطيبة الطاهرة البريئة التي كانت تفيض بالمبرات .. وتتندى بالمكرمات .

إنها الفتنة المسعورة الحاقدة لا تُبقى ولا تذر ..

إنها النار المتأججة المشتعلة تأكل اليابس والأخضر ..

إنها الجائحة الجامحة الجانحة التي تُخرِّبُ وتُبيد ..

إنها الأعاصير الهوجاء التي لم ترحم الشيخ أو الوليد ..

إنها الجهالة العمياء العوجاء التي تضرب السلام بمطارق من حديد ..

عرفتُ الشيخ حسن خالد شاباً فتياً .. يوم أتى من لبنان يحمل من وطنه رقته ووداعته .. ويعكس جماله وجلاله .. ويُترجم مجده وبهاءه .. يوم أن جاء إلى وطنه الثاني .. مصر الغالية الحبيبة ـ كما كان يسميها ـ فكان سعيداً بنهرها العظيم .. بشعبها المجيد .. بتراثها العريق ..

بقلم: جابر حمزة فراج

بأزهرها العتيق .. ذلك الصرح الشامخ الذي فتح أبوابه لكل قاصد .. وتدفقت ينابيعه لكل ظامىء .وفى ظلال هذه الدوحة الوارفة الندية .. نَمَتْ مواهبه .. ونَصَعتْ عبقريته .. وصار فريداً بين أقرانه بفهم اللغة والتمكن منها صياغة واستيعاباً .. وبحفظ القرآن تلاوة وتجويداً .. حتى كان إذا قرأ بكى وأبكى .. وكأن كل شيء حوله يبكي .. فلقد كان ـ رحمه الله ـ حسن الصوت .. عميق التأثير لدرجة تذيب القلوب .. لما فيه من وقار وخشوع ..

قضى شطراً من حياته في رحاب الأزهر .. متردداً بين أروقته العديدة .. ومكتبته الغنية العريقة .. فعكف على الكتب والمجلدات الزاخرة بأنواع المعارف والعلوم .. حتى استغرقت منه وقته وراحته .. أخذ يعب من مناهل العلم ولا يرتوى .. ويعطي من كنوز قلبه ولا ينتهي .. تفتحتْ أزاهير عبقريته في مصر .. فأشرقتْ في لبنان .. ثم تألّقتْ في ربوع العالم ..

كان مثالاً طيباً لطالب العلم لما يتمتع به من دقة الفهم .. وسلامة الذوق .. ورفاهية الحس .. وعمق الإيمان .. وثبات اليقين .. ثم عاد إلى لبنان يحمل بين جوانحه ما تلقاه في رحاب الأزهر من علوم الدين والدنيا .. واشتغل هناك بالقضاء الشرعي قاضياً يحكم بالقسط والعدل بين الناس .. فوضع الحق في نصابه .. وصار مضرب الأمثال في الأمانة والنزاهة والنقاء .. ثم شق طريقه بقلبه المشرق .. وضميره الحي .. ووجدانه السليم .. حتى اختاره العلماء لمنصب الإفتاء .. ولريادة المسلمين السنيين في لبنان .. فظل يشيد بمصر وأزهرها في كل مكان وزمان .. وأخذ بأيدي الحيارى في متاهات الحياة إلى واحة الأمان

والايمان .. شهدتْ له المنابر بالمواقف والمواعظ .. فنبرات صوته تخرج كالنغم الصادر من الوتر الحنون .. وحديثه يصعد من الأعماق .. ليتسلل إلى الأعماق .. وكلماته تطفر من القلب لِتصُبَّ في القلوب .. كان ـ رحمه الله ـ لا يُحمَل على الكلام حَملا .. ولا يُدفَع إليه دفعاً .. وإنما إحساس داخلي يستثيره ويثيره .. يستفزه ويستحثه .. ثم يكون العطاء تنبع الفكرة من ضميره ولا تنساق إليه من أحد .. عرفه الناس جميعاً في لبنان حراً أبياً عزيز النفس .. لا يهتم بمنكب يترنح خيلاءً .. أو رأس يشمخ كبرياءً .. أو قامة تتمطى غروراً وادعاءً .. يقول ما يمليه عليه إيمانه .. وما يقتنع به وجدانه .. مع طهارة القلب .. ونظافة اليد .. وعفة اللسان .. ليس بينه وبين الناس إلا ما يتسم الطابع الإنساني النبيل .. يقابل التحامل بالتسامح .. والتجاوز بالابتسام .. والإساءة بالصفح ..

←

الشيخ حسن خالد

لقد اهتم -رحمه الله- بالتعليم الديني اهتماماً بالغاً .. وتعهد طلاب العلم بالرعاية الكاملة والعناية الشاملة .. وارسلهم في بعثات إلى الأزهر الشريف .. ليرتشفوا من ينابيعه الدافقة ليعودوا إلى لبنان هداة مرشدين .. كما أصدر مجلة الفكر الديني .. توجه المسلمين توجيهاً رشيداً وتعرفهم بأحكام دينهم الحنيف .. فكان لذلك أثر بالغ في التوعية والتهذيب .. كما حرص -رحمه الله- على تدريس الثقافة الإسلامية في جميع المدارس ..

عرفته وعرفه المسلم وغير المسلم بالاعتدال والاستقامة .. والتواضع والزهد .. لم تخدعه الدنيا ولم تبهره الحياة .. فلا تراه إلا عابداً يتبتل .. وداعيا يتوسل .. كان رمزاً للسلام في لبنان .. ينادي بالصلح والوفاق في كل مكان .. ويطالب دائماً بتطهير البلاد من كل الأجانب والدخلاء .. وأعطى للناس جميعاً صورة وضيئة عن الإسلام بأنه دين المحبة والإخاء .. دين الأمن والاستقرار .. دين البذل والعطاء .. إن كل الذين عرفوا الشيخ حسن خالد عرفوا فيه دماثة الخلق .. وصفاء النفس .. ويقظة الضمير ..

كان محباً لوطنه .. وحب الوطن من الإيمان ..

فلقد وقف في صلابة وصمود ضد فكرة تقسيم لبنان إلى دويلات ومقاطعات حتى لا يصير نهباً للمطامع والاغراض .. كما انه لم يلجأ إلى العنف الطائفي .. أو التعصب العقائدي .. ابتعاداً عن الحروب الطاحنة .. والمعارك الساحقة إذ كان من الممكن لديه تكوين الجيوش والميلشيات وطلب الإمدادات .. لكنه رفض بكل إباء إزهاق الأرواح وإسالة الدماء وكل مظاهر العدوان والإفساد .. ليقدم بذلك البرهان الصادق والعمل للعالم أجمع بأن الإسلام هو دين المحبة ودين الإنسانية ودين المجتمع .. فتألقتْ شخصيته في إطار من الفضيلة والسماح والوقار ..

وهذا وذاك شأن المسلم الحقيقي ..

فالمسلم الحقيقي .. لا يَحيف لأنه العدل .. لا ينحرف لأنه الإنصاف .. لا يَضعُف لأنه القوة .. لا يتذلل لأنه العزة .. لا يُهون لأنه الكرامة .. لايَخُون لأنه الأمانة .. لا يَغدُر لأنه النزاهة .. لا يكذب لأنه الصدق .. لا يظلم لأنه الحق ..

لقد ظل -رحمه الله- طوال الأحداث دامع العين .. جريح القلب .. مكلوم الفؤاد .. على لبنان الشهيد الذي اندثرت معالمه .. وضاعت ملامحه .. وسالت دماء ضحاياه على التراب .. على لبنان الذي امتلأت آفاقه بالسموم والدخان والرصاص فألحقت به الدمار والخراب .. على لبنان الذي تمزقت وحدتُه .. وتوقفت مسيرته .. لبنان الذي تغيرت أحواله .. وزال جماله .. وتشرد أبناؤه فذاقوا مرارة الحرمان والعذاب .. على لبنان الذي ذبلت وروده .. وجفت زهوره .. وناحت طيوره على أشجار طمسها الركام والضباب .. على لبنان الذي كانت تغمره البهجة .. وترفرف على أبنائه السكينة فاختنقوا بالمخالب والأنياب .. هكذا كان الشيخ الراحل .. يستعرض الصور الأليمة .. والمواقف المريرة .. والمصير المظلم .. فتتصاعد أنفاسه غصة كاوية .. وزفرةً لاهبة .. ويذوب فؤاده حسرة وأسى على تلك المأساة الدامية التي وهب حياته للقضاء عليها .. ليعود إلى لبنان رونقه وبهاؤه .. وجماله وصفاؤه .. ثم يعود فيقول: "ليس لها من دون الله كاشفة".

ولا عجب أن احتشد لبنان بكل طوائفه لتشييع جثمانه الطاهر .. وقد ذابت القلوب .. وانهمرت الدموع .. يبكون فضائله وشمائله .. يبكون سماحته ووداعته .. يبكون صفاءه ونقاءه .. يبكون جلاله ووقاره .. يبكون طهره وعفافه .. ونحن معهم .. ولا نقول إلا ما أمر به ربنا: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ..

العالم الجليل الأستاذ الدكتور
محمد أنيس عبادة
وطرف من تاريخ حياته

إعداد الأستاذ
ناصر محمود وهدان

كانت بداية الشيخ العلمية ، من وقت حصوله على شهادة « العالمية الدكتوراه » بعد مضى عشرين عامامن التعليم والبحث المتواصل .
.. إنه الشيخ العلامة الدكتور / محمد أنيس عبادة .
.. التقيت به فى منزله بحى مصر القديمة فأملَى عَلىَّ طرفاً من تاريخ حياته ، واذن لى فى نشره ، وختمه بتوقيعه فقال عن :

* حياته | مولده ونشأته |

.. وُلِدتُ فى بلدة ، بير عمارة التابعة لمحافظة الشرقية فى أوائل عام (١٩١٢م) أى فى (١٧ يناير ١٩١٢م) وكان التعليم فى ذلك الوقت يقوم به الفقهاء فى الكتاتيب ، فقد كان للكتاتيب فى القرى دور بارز فى الاهتمام بكتاب الله الكريم حيث كان الشيوخ الذين يحضرون العلم فى الأزهر يعودون إلى بلادهم وهم على درجة من العلم والتقوى ، ويحبسون أنفسهم على تحفيظ القرآن الكريم مع ماتعلموه فى الأزهر .. وبعد بلوغى سن السادسة من عمرى أخذنى والدى محمد عبد العزيز سلامة إلى كُتَّاب الشيخ (محمد البنا) فى بلدة (السعيدية) التى تبعد عن بلدة بير عمارة بنحو كيلو تقريبا ، حيث انتظمت فى هذا الكُتَّاب ست سنوات حفظتُ فيها القرآن الكريم ، ومجموع المتون الخاصة بعلم التجويد ، والفقه والتوحيد ، وبقية المتون الجامعة لعلوم السنة الأولى بالأزهر . فقد كان هذا الجيل من بعض الشيوخ يحضر علوم الأزهر ، ويعود إلى بَلَدِه ليُحفِّظ أطفال بلده وما جاورها كتاب الله تعالى ومتون العلوم التى درسها فى الأزهر رحمهم الله تعالى .

.. وكان حظى أن اكون أحد الأولاد الذين تعلموا على أيديهم .

* تعليمه | القسم الابتدائى والثانوى |

.. وانتظمتُ فى الدراسة الأزهرية فى مسجد

الدكتور محمد أنيس عبادة

من مساجد القاهرة ، وهو مسجد (إبراهيم أغا) بجوار القلعة . وكان نظام الالتحاق بالتعليم الأزهرى يسبقه عدة أختبارات للطلاب المتقدمين .

أولها : الكشف الطبى ـ فكان يُوقَّع عليهم الكشف الطبى للتأكد من خلوهم من الأمراض المعدية .

ثم يمتحنون فيما يحفظونه من القرآن الكريم .

ومن ينجح فى الكشف الطبى ، واختبار القرآن الكريم يلتحق بالسنة الأولى من التعليم الابتدائى الأزهرى وكان على عهدنا أربع سنوات .

وتقدمت ضمن الطلاب المتقدمين للالتحاق ، وحضرت السنة الأولى بمسجد « أغا » بالقلعة ، نجحت فى السنة الأولى من القسم الابتدائى بالأزهر سنة ١٩٢٥م .

.. وكانت المعاهد الأزهرية فى ذلك الوقت محصورة فى معهد طنطا والاسكندرية ومصر ثم افتتح على عهدنا معهد الزقازيق ، الذى اختص بطلاب محافظتى الشرقية والدقهلية ، ثم جاء الملك فؤاد بعد ذلك وافتتح معهد أسيوط الذى اختص بطلاب الوجه القبلى .

.. وفى بداية السنة الثانية من القسم الابتدائى حولت أوراق الطلاب من الشرقية ـ وأنا منهم ـ والدقهلية إلى معهد الزقازيق لإتمام الدراسة حتى آخر سنين القسم الثانوى ، وكانت مدته خمس سنوات .. وفى عام ١٩٣٣م حصلت على الشهادة الثانوية الأزهرية .

فى كلية الشريعة بالقاهرة

الشهادة العالية

.. ثم التحقت بعد ذلك بكلية الشريعة

بالقاهرة ، فأتممت الدراسة بها ، وحصلت على الشهادة العالية عام ١٩٢٧م ـ وكانت قد أنشئت الكلية أولاً قبل كليتى أصول الدين ، واللغة العربية بسنة كاملة ـ .

نجحت فى هذا الامتحان المنعقد سنة ١٣٥٦ هجرية ، الموافق سنة ١٩٣٧ ميلادية ، وكان ترتيبى فيها السادس من مجموع الناجحين ، وعددهم ثمانون من المبصرين المنتسبين ، وذلك فى عهد شيخ الجامع الأزهر آنذاك فضيلة الشيخ الجليل / محمد مصطفى المراغى رحمه الله .

* شهادة العالمية

.. وقد أنشىء قسم تخصص المادة لتخريج علماء للدراسة بنفس الكلية يختار له المتقدمون من الطلاب من نفس الكلية مباشرة . وكانت مدة الدراسة فى هذا القسم ـ قسم التخصص ـ سبع سنوات متواصلة فى البحث العلمى الشاق للحصول على درجة الأستاذية (الدكتوراه) فى فرع علمى معين .

وبعد مُضى المدة المذكورة ، أُجرى الامتحان النهائى لشهادة العالمية فى سنة (١٣٦٤هـ) ، وحصلت على شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الفقه والأصول ، فى عهد الملك فاروق ، وترى نصها .

« براءة بمنح شهادة العالمية
من درجة أستاذ فى الفقه والأصول »

من فاروق ملك مصر بعناية الله تعالى إلى حضرة الأستاذ الشيخ محمد أنيس محمد محمد عبادة سلامة الحنفى المذهب من بير عماره بمركز بلبيس بمديرية الشرقية .

رفع إلينا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ما أقره المجلس الأعلى للأزهر فى (٢٣ صفر ١٣٦٥هـ ـ ٢٧ يناير سنة ١٩٤٦م) من نجاحكم فى امتحان شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الفقه والأصول الذى أجرى فى سنة ١٣٦٤هـ .

لذك أمرنا بإصدار براءتنا الملكية هذه من ديواننا بمنحكم هذه الشهادة مع حقوقها التى تخولكم إياها القوانين والأوامر المتبعة ، نفع الله الناس بعلمكم ، ووفقكم لما فيه الخير .

تحريرا بسراى القبة الملكية بالقاهرة فى اليوم الخامس والعشرين منْ شهر جمادى الأولى لسنة ألف وثلاثمائة ، وخمس وستين من هجرة خاتم المرسلين ، وفى السنة العاشرة من حكمنا .

الختم

صدر بأمر مولانا الملك المعظم(*)

وقد نجح معى فى هذا التخصص أربعة من إخوانى هم فضيلة المرحوم الشخ / محمد حسن فايد الذى تولى منصب رئيس جامعة الأزهر الأسبق ، وفضيلة الشيخ / محمد مصطفى شلبى عضو مجمع البحوث الإسلامية الآن ، وفضيلة المرحوم الشيخ / زكى الدين شعبان أستاذ الفقه وأصوله بجامعتى عين شمس والكويت .. وهم من الأزهريين الذين نشروا علم الشريعة فى بلاد المسلمين .

* التدرج الوظيفى

عُيِّنْتُ مدرسا فى معهد دمياط عام (١٩٤٥م) ، ومكثتُ فيه عاماً واحداً ، نُقِلتُ بعده إلى مشيخة علماء الاسكندرية مدرساً للفقه الإسلامى سنتين هما عام ١٩٤٦م ، ١٩٤٧م ، ثم احتاجت كلية الشريعة بالقاهرة إلى أساتذة فى علم الأصول ، وكان نظام الاختيار أن يؤخذ خمسة من المتقدمين فى الشريعة فى الفقه الحنفى ، ومثلهم فى الشافعى ، وكذلك مثلهم فى الفقه الملكى ، وأيضاً خمسة فى الفقه الحنبلى إذا وجدوا .

المهم نقلت من معهد الاسكندرية إلى كلية الشريعة عام ١٩٤٧م مدرسا للفقه وأصوله ، وتاريخ التشريع ، وهى العلوم التى تخصصت فيها بالكلية . وكان ذلك مع زميلى : المرحوم الشيخ محمد حسن فايد رحمه الله تعالى واشترك معنا الشيخ المرحوم زكى الدين شعبان .

ولكثرة المقبلين من الطلاب على هذه المادة قسمنا الطلاب إلى فصول ثلاثة ،وقمنا بوضع منهج موحد لهم فى علم الأصول شامل لسنى الدراسة الأربعة . واخترنا كتاب (التنقيح) وشرحه (التوضيح) لعبيد الله بن مسعود الملقب

←

* صدق على هذه البراء فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الأزهر فى ٢٣ من صفر ١٣٦٥ هـ ـ ٢٧ يناير ١٩٤٦ م ، وسجلت فى الكلية برقم (٦)

الدكتور محمد أنيس عبادة

بصدر الشريعة . وظللنا نُدرِّس هذا الكتاب للطلاب مع مواد دراسية أخرى .

وفى البداية واجهتنا مشكلة « إنخفاض نسبة النجاح الكُلِّية للطلاب ، تلك التى لم تتجاوز الـ ٢٥٪ فاجتمعنا ـ أساتذة القسم ـ سوياً وأخذنا نبحث عن الأسباب وكيفية تداركها ، فكان من أهمها : صعوبة فهم لغة الكتاب بأقسامه ، والثانية : إن الطالب حينما ينتقل من جزء من الكتاب إلى الذى يليه ينسى القسم السابق منه . واشتركنا سوياً فى وضع الحلول وكان من أهمها : تبسيط لغة الكتاب وشرحه بلغتنا مع وضع الحواشى والتعليقات اللازمة ، فكان فى ذلك تخفيف للطلاب ورفع لنسبة نجاحهم فى هذه المادة .

وبحكم عملى كأستاذ جامعى انتدبت للعديد من الكليات لتدريس الفقه وأصوله لطلاب وطالبات الدراسات العليا حتى أُحِلتُ إلى المعاش عام ١٩٧٨م . ولا زلتُ أُدَرِّس لطلاب الدراسات العليا بكلية الشريعة كأستاذ متفرغ بها حتى الآن .

* فى كلية أصول الدين

وفى أثناء فترة من عملى انتدبت لدراسة الفقه وأصوله فى كلية أصول الدين ـ قسم الدعوة ـ للأئمة الذين تنتدبهم مشيخة الأزهر للتوسع فى الدراسة حيث يؤدى هؤلاء الأئمة الفتاوى التى يستفتون فى أى بلد يعينون فيه سواء فى مصر والوطن الإسلامي .

* إعداد الرسائل الجامعية

وفى أثناء رياستى لقسم الفقه المقارن بالكلية وبعده أشرفت ـ مع زملائى الأفاضل ـ على رسائل الدراسين ـ فى سائر أبواب الفقه والأصول ، وتاريخ التشريع ، وتحقيق المخطوطات لكبار العلماء المسلمين الأوائل فى هذه العلوم ـ تَقَدَّم فيها أصحابها للحصول على الشهادة العالمية « الدكتوراه » رجالاً ونساءاً بلغ عددها نحو الثلاثمائة رسالة لمتخرجين من جميع البلاد الإسلامية بمصر والسودان والسعودية ، وأندونيسيا ، وماليزيا ، والأردن ، وليبيا ، وسوريا ، والعراق ، ولبنان .

وهم الذين عَمُرَتْ بهم الكليات الإسلامية فى هذه البلاد ، وتتلمذ عليهم أساتذة هذا الجيل نفع الله بهم ، وأعانهم على نشر شريعة الله تعالى إنه سميع مجيب . وقد أودعت هذه الرسائل بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة .

* تقنين الشريعة الاسلامية

وهذه مهمة أخرى لا تقل عن سابق المهام العلمية أثراً ، وهى اشتراكى فى لجان تقنين أحكام الشريعة الإسلامية فى جميع أبواب الفقه الإسلامى فى صور مواد « قانونية » لتطبيقها على الحوادث التى تَجِدُّ وتكون المرجع الذى يرجع إليها القضاة المسلمون فى سائر البلاد الإسلامية .

وهذه القوانين تعوِّض المسلمين عن القوانين المستوردة التى زَجَّ بها الاستعمار فى حياة المسلمين .

وقد أصدر هذا القرار المرحوم الأستاذ / عادل يونس[1] ، وتولى الرياسة فى هذه اللجنة السيد المستشار / جمال المرصفاوى طول مدة

---

(١) وزير العدل حينئذ

رياسته لمحكمة النقض ، ومن بعده المستشار / أحمد حسن هيكل رئيس محكمة النقض بعد ذلك ، مع لجنة من كبار رجال القضاة وعلماء الأزهر .

ثم واصلت المهمة لجان من مجلس الشعب برياسة الأستاذ الدكتور / صوفى أبو طالب فأتَمّتْ اللجنة هذه المهمة الجليلة فى جميع أبواب الفقه من الجنايات (الحدود والقصاص) والمسائل المالية ، والاجتماعية ، واضعة نصب أعينها الفقه من المذاهب الأربعة وغيرها من واقع آرائهم المدونة فى المذكرات الإيضاحية التى دونها العلماء المشتركون فى هذا العمل .

ولقد ساهمت مع أعضاء اللجنة حتى أتممت مهمتها النبيلة ، نسأل الله ـ تعالى ـ قبول عملهم ابتغاء وجهه وإخلاص النوايا جل شأنه .

* انتاجه العلمى

وقد اجتهدت أن أكتب ـ فى كل علم توليت دراسته ـ كتاباً يُسهِّلُ على طلابى فهم المقررات الدراسية نذكر منها الآتى :

١ ـ كتاب نظام الأسرة :

وهو كتاب فى أحكام الزواج والطلاق ، وبيان سمو التشريع الإسلامى .

٢ ـ أصول الفقه :

بالاشتراك مع زميلىَّ المرحوم فضيلة الشيخ / محمد حسن فايد ، وفضيلة الشيخ المرحوم زكى الدين شعبان ، وقد أُلِّف الكتاب على نظام كتاب التنقيح والتوضيح لصدر الشريعة عبيد الله بن مسعود .

٣ ـ السنة :

بالاشتراك مع المرحومين الشيخين / محمد عيسى الشنتلى ، ومحمد حسن فايد رحمهما الله .

٤ ـ فى علم الأصول :

وهو كتاب يبدأ بالإحكام ومباحثها .

٥ ـ فى العبادات :

وقد وضعتُه حسب المنهج الذى وضعه العلماء لطلبة السنة التأهيلية المرشحين للالتحاق بالكليات الأزهرية من طب وهندسة ، وتربية وزراعة وغيرها ، التى تقبل فيها الطلاب الحائزون على الشهادة الثانوية العامة .

٦ ـ أحكام الاحتكار وآثاره :

لطلبة الدراسات الإسلامية والعربية .

٧ ـ المعاملات والبيوع ، وقد جمعتها من فقه الأئمة .

٨ ـ التشريع الإسلامى أهدافه واتجاهاته .

٩ ـ فقه الكتاب والسنة ـ قسم الجنايات .

١٠ ـ من الشمائل النبوية :

وقد جمعت فيه بعض شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم عن جلال الدين السيوطى ـ رضى الله عنه .

١١ ـ الصلاة والصوم :

وتجاوزت ذلك إلى كتابة أركان الإسلام الخمسة .

(الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج) بعبارة سهلة فيها من حكم التشريع وأسراره ، ويقع فى أكثر من (٥٠٠) خمسمائة صفحة .

١٢ ـ تاريخ التشريع الإسلامى :

« ٤ » أجزاء من أول نزول القرآن ، والأدوار الخمسة التى تطور فيها الفقه ، وترجمة للفقهاء فى كل دور من التشريع ، والاجتهاد والتقليد ، ومذاهب الأئمة ، وتمييز كل دور من الأدوار بمميزاته ، وبيان صلاحية الشريعة للعموم والخلود .

١٣ ـ العقـــود :

ذكرت فيه موضوع كل عقد وشروطه ، وفرض العين والكفاية ، وعلاقة القانون بالفقه

←

الإسلامى ، والقانون الفرنسى .

١٤ ـ حكم القضاء بالشاهد الواحد ، ويمين المدَّعى عند الأئمة .

١٥ ـ مدخل لدراسة الفقه الإسلامى :

ذكرت فيه الأحكام الفقهية .

..ومن أهم الرسائل التى نشرها لى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية :

١٦ ـ من كنوز القرآن :

وهو تفسير لبعض الآيات التى تتناول أحكاما شرعية .

١٧ ـ الصوم تربية وجهاد :

وهو كتاب جامع للصوم فى كل موطن شرع فيه .

١٨ ـ عمر والتشريع الإسلامى :

وقد أوجزت فيه نظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب واجتهاداته فى الأحكام المستنبطة من الكتاب والسنة ، ثم بينت أثره فى المدرستين مدرسة أهل الحديث ، ومدرسة أهل الرأى فى كل من المدينة والعراق .

١٩ ـ ملامح العظمة فى حياة النبى ﷺ .

٢٠ ـ فى ولاية القضاء والفتوى :

وهو كتاب تحت الطبع ـ بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ حتى الآن !!

٢١ ـ ولم أنس أن أكتبُ عن أمهات المؤمنين وذكر سيرتهن ، وحكمة تعددهن لتستفيد منهن نساء المسلمين . وهن :

١ ـ خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ .

٢ ـ سودة بنت زمعة ـ رضى الله عنها ـ .

٣ ـ عائشة بنت الصديق ـ رضى الله عنهما ـ .

٤ ـ حفصة بنت الفاروق عمر ـ رضى الله عنهما ـ .

٥ ـ زينب بنت خزيمة ـ رضى الله عنها ـ .

٦ ـ زينب بنت جحش ـ رضى الله عنها ـ .

٧ ـ جويرية بنت الحارث ـ رضى الله عنها ـ .

٨ ـ صفية بنت حُيى ـ رضى الله عنها ـ .

٩ ـ رملة بنت أبى سفيان « أم حبيبة » ـ رضى الله عنهما ـ .

١٠ ـ هند بنت أبى أمية المخزومى « أم سلمة » ـ رضى الله عنها ـ .

١١ ـ ميمونة بنت الحارث الهلالية ـ رضى الله عنها ـ .

١٢ ـ أسماء بنت النعمان الكندية ـ رضى الله عنها ـ .

١٣ ـ عُمرة بنت يزيد الكُلابية ـ رضى الله عنها ـ .

١٤ ـ مريم المصرية « القبطية » ـ رضى الله عنها ـ .

٢٢ ـ وفى الإذاعة :

ألقيت مجموعة من الدراسات الإسلامية باسم « رأى الدين » تقديم كل من المرحوم الشيخ عبد الرحمن عبد اللطيف ، والمرحوم السيد على السيد ، والسيدة / هاجر سعد الدين .. وكان البرنامج على هيئة سؤال وجواب لكل ما يعرض للمسلم من أسئلة واستفتاءات .

..هذا فضلاً عن المقالات والبحوث العلمية بالمجلات والصحف العربية والإسلامية .

* خاتمة

.. وبعد

هذا هو الشيخ العلاّمة الدكتور / محمد أنيس عبادة ـ مد الله فى عمره ـ وذلك طرفا من مسيرة حياته العلمية حتى صاحب فيها طلابه وطلابهم ، وطلاب طلابهم ، واستمر ـ ولا يزال ـ فى التلقى عليه أجيال وأجيال .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُمتِّعه بالصحة والعافية والعطاء ، وسائر علماء المسلمين ، آمين .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

دمية الشيطان

أنشودة المسلم

أنا مصر

دمية الشيطان..!

سلمانُ لا سلِمَتْ يَدَاكَ ولا سلِمتَ من الزَّلَلْ
من أنتَ في دنيا العقائِدِ والشرائعِ والمِلَلْ ؟
أوَ لستَ مُرتدا أثيماً قد تطَاولَ واختَبَلْ ؟
أولَستَ أفاقا تَقطّع دون فريته السبل ؟
أولَستَ ذيْلا ألبسوه لِكفرِهم ثوبَ البَطل ؟
وهجرتَ قومَكَ وانتميتَ لقاتليك ولم تزلْ
وخلعتَ جلدَك وارتديتَ مُنافقاً كُلَّ الحُلل

••

يادميةَ الشيطانِ أرضعَك الغِوايةَ والخبلْ
ياأيها الصُّعلوكُ مهلاً لن تنَالَ من الجَبَلْ
ستظَلُّ تقبضُ الريح في كفَّيك يَقتُلكَ الأمَلْ
كَمْ مِن مُضلٍّ حاقِدٍ نَثر الغُبَارَ وَمَا وَصَلْ
كَمْ مِنْ «مُسَيلِمةٍ» تبدَّدَ في الظلامِ وكم «هُبَلْ»

••

قُلْ مَا تَشَاءُ لِمَن تشاءُ وَلا تَمَلَّ مِنَ المَلَلْ
لَنْ يَقتلوكَ فأنتَ في أمْنِ الحَضَارة تَنتَقِلْ
مِنْ حَوْلِك الغَرْبُ المضَلِّلُ والتَّعصبُ والشُّلَلْ
يَستقبلونكَ بالوُرودِ وبالعِنَاقِ وَبالقُبَلْ
مَادمْتَ في آياتِ كفْرِكَ تَستَميلُ وَتَبْتَهِلْ
وَتعيثُ فِي الإسلامِ مِنْ دُون العَقائِدِ والنِّحَلْ

شعر: رشاد محمد يوسف

وتُسِيءُ للقرآنِ لِلذِّكْرِ الحَكِيمِ .. وَتَرْتَجِلْ
وتُسِيءُ للمُخْتَارِ وَهْوَ المُصْطَفَى زَيْنُ الرُّسُلْ
فَلَقَدْ شَفَيْتَ غَلِيلَهُمْ أَطْفَأْتَ نِيرَانَ الغُلَلْ
عِشْ فِي ضَلَالِكَ آمِنًا تَحْمِيكَ حَامِيَةُ الدُّوَلْ !!
لا يَشْغَلَنْكَ مَا يُثَارُ وَمَا يُقَالُ وَمَا حَصَلْ !!
وَقَفُوا وَرَاءَكَ كَالحُصُونِ يُدَافِعُونَ عَنِ الخَطَلْ
قد قلدوك بلا حياء كل أوسمة البطل
يَا أَيُّهَا المُتَفَلْسِفُونَ إِلَى مَتَى هَذَا الخَبَلْ ؟
أَحَضَارَةٌ سَبُّ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ الغُرِّ الأُوَلْ ؟!
أَحَضَارَةٌ غَسْلُ العُقُولِ وَحَشْوُهَا هَذَا الدَّجَلْ ؟!
عَادَ القَرَاصِنَةُ القُدَامَى بِالجَدِيدِ مِنَ الحِيَلْ
يَا لَيْتَكُمْ تَسْتَيْقِظُونَ بِلَا تَرَاخٍ أَوْ كَسَلْ

●●

سَلْمَانُ فِي زَمَنِ الغِوَايَةِ لَا حَيَاءَ وَلَا خَجَلْ
لَنْ يَقْتُلُوكَ وَإِنَّمَا تَحْيَا يُطَارِدُكَ الفَشَلْ
دَمُكَ المُدَنَّسُ بِالضَّلَالَةِ وَالمَفَاسِدِ وَالعِلَلْ
لَنْ يَغْسِلَ القَوْلَ الأَثِيمَ وَيَمْسَحَ الأَمْرَ الجَلَلْ
سَتَظَلُّ تَرْجُمُكَ الحَقِيقَةُ وَالمَبَادِئُ وَالمُثُلْ
وَتَمُوتُ كُلَّ دَقِيقَةٍ وَالرُّعْبُ يَسْلُبُكَ الأَجَلْ
أَمَّا عَنِ الدِّينِ الحَنِيفِ، عَنِ البِنَاءِ المُكْتَمِلْ
سَيَظَلُّ فِي وُجْدَانِنَا شُعَلًا تُوَاكِبُهَا شُعَلْ
نُورٌ عَلَى نُورٍ تُعَانِقُهُ المَشَاعِرُ وَالمُقَلْ
نَقْفُو بِهِ خَطْوَ الرَّسُولِ وَمَا تَسَلْسَلَ أَوْ نَزَلْ
وَنَعِيشُ بِالإِسْلَامِ تَغْمُرُنَا الهِدَايَةُ وَالأَمَلْ

أنشودة المسلم

شعر: مصطفى أحمد درديرى

فُطمتُ على هُدى التَّوحيدِ فضلاً   وكُنْتُ رَضَعْتُه قبْلَ الفِطامِ
ففي أعماقِ شرياني سَناهُ   وفي لحمي ضِياهُ وفي عِظامي
على كفيَّ حملتُ القلبَ نورا   وسُقتُ الآيَ فجراً للنِّيامِ
على دربِ الهُدى والبرِّ روحي   تُسافرُ بَيْنَ دمْعي وابتِسامِ
وشمسُ الحقِّ تسطعُ في سَمائي   تشُقُّ بنورِها حُجُبَ الظَّلامِ
تَراني ساجداً في الليلِ أبكي   وفي الإصباحِ مُمْتشِقاً حُسامي
أعِفُّ عنِ الصَّغائرِ والدَّنايا   وأُحْجِمُ عنْ مُجالسةِ اللِّئامِ
أجوعُ ولا يَراني الناسُ أحْني   لغيرِ اللّهِ رب العرشِ هامي
وأسْتَفُّ التُّرابَ أصونُ عِرْضي   ونفْسي عنْ مقارفةِ الحَرامِ
ولا ألِجُ العُلا مِنْ غيْرِ بابي   ولا أُلْقي إلى غيْري زِمامي
فلا يَحْزُنْكَ أمْري يابْنَ أُمّي   وأنّي من سِهامِ القومِ دامي
وأنّي قدْ حُصِرْتُ فلا ورائي   يُرى رَهَجُ الخيولِ ولا أمامي
ولا أنَّ القُصورَ قدِ اسْتُبيحَتْ   وقد كنتُ المُمَنَّعَ في الخِيامِ
ولا أنَّ العِدا بيَ قدْ أحاطوا   يُرَجُّونَ الرُّقيَّ على حطامي
فإني لمْ أزلْ حُرّاً أبيّاً   وعزْمي لا يُنالُ أو اعتزامي
فإنّي في غدٍ ساجيءُ سَيْلاً   يطُمُّ فليس يُبْقي منْ رُكامِ
وخيْلُ اللّهِ سوْفَ تكرُّ تَتْرى   لِتُرْجِعَ مجْدَ أسْلافي الكِرامِ

أُنا مصر

للشاعرة وفيقة عواد سلامة

أُنا اختُ الدهر رفيقتهُ … مذ كنتُ منارة ازماني
نيلي يتدفق في يُسْرٍ … والخيرُ يفيض بشطاني
اهرامي صرحُ لخلوديَ … تسمو بشموخ البنيان
والمجدُ إزاري وردائي … قد صيغ بريشة فنان
ابنائي كم ذادوا عني … كاسود عند العدوان
كم ذاقوا الموت بترحاب … بإشارة طرفٍ لِبَنَانِ
شهدائي إحياء دوما … برحاب كريم رحمن
شهدائي خَطّوا بدماهم … اسطورة حب وحنان
علمتُ الكون حضارته … وسبقتُ الكون بعرفاني
والعالم يتلقى عني … مذ كنتُ : علومي وبياني
شرفني الحقُّ وزكاني … بالذكر بآي القرآن
أرضِي للغازي مقبرةٌ … وكنانة رب الأكوان
تزهو بسماء صافية … وبنيل زاهي الشطآن
وبساط مروج ورياض … وربيع زاه فتّان
اتلقى القادم في شوق … وحنان يملأ احضاني
وَأُذِيبُ الوحشة عن آتٍ … واقدم سلوى للعاني
اسعُ الاحرار واجمعهم … في باقة حبٍّ وأمان
عشاقي سكروا من نيلي … فرحيقي ري الظمآن
ويغني الحبُ بقافيتي … وترا مصريَّ الوجدان
قد يغفل دهري احيانا … ويتوه على الدرب العاني
لكني انهضُ شامخة … ازري بقيود الحرمان
واحطمُ قيدي ثائرةً … ويتيهُ بفخر إنساني

قصة الثقوب

فى العلوم الكونية

٢

ثانياً : الثقوب الكهربية وفيزياء أشباه الموصلات :

تبدأ دراسة البنية الداخلية للمادة الصلبة بالتعرف على تركيب ذراتها وجزيئاتها ، ثم بتحديد النسق الذى ينتظم ترتيب هذه الذرات او الجزيئات فى وحدات بنائية متماثلة يتالف منها البناء البللورى للمادة Crystal Structure Of matter وكما هو معروف ، تتكون الذرة من نواة دقيقة موجبة الشحنة تدور حولها الكترونات تحمل كمية مساوية من الشحنات الكهربية السالبة ، ولهذا تعتبر ذرات المادة الموجودة فى الطبيعة متعادلة كهربياً . ويمكن تصنيف المواد الصلبة حسب خواصها الكهربية إلى ثلاث مجموعات رئيسية هى :

١ ـ مجموعة الموصلات Conductors وهى مواد جيدة التوصيل للتيار الكهربى عن طريق الإلكترونات التى تدور فى المدارات الخارجية للذرات . ذلك لأن طاقة ترابط هذه الإلكترونات بذراتها تكون ضئيلة لدرجة تكفى لجعلها حرة الحركة من ذرة إلى أخرى فى درجات الحرارة العادية ، ومن ثم فإن هذه الالكترونات الحرة Free electrons تُسهم كحاملات للشحنة السالبة فى توصيل التيار الكهربى بسهولة عبر هذه الموصلات[1] .

ومن أمثلة هذه المجموعة كل المعادن المعروفة تقريباً ؛ كالفضة والنحاس والألومنيوم وغيرها .

٢ ـ مجموعة العازلات Insulators وهى مواد رديئة التوصيل للتيار الكهربى نظراً لشدة ارتباط الالكترونات بذراتها ، ومن أمثلتها : الخشب والزجاج والمطاط والميْكا وغيرها .

٣ ـ مجموعة أشباه الموصلات ، أو أنصاف الموصلات ، Semiconductors وتشمل العديد من المواد التى تتوسط المعادن Metals والعازلات فى خواصها الكهربية ، ومن أمثلتها عناصر الكبريت والجرمانيوم والسيليكون والكربون ومعظم أكاسيد المعادن ، بالإضافة إلى العديد من السبائك والمركبات البسيطة والمعقدة .

---

(١) راجع ما كتبناه عن أساسيات ظاهرة الكهربية فى مقالنا بمجلة الأزهر ، الجزء الثامن ، شعبان ١٤٠٩ هـ ـ مارس ١٩٨٩ م، ص ٩٣٥ وما بعدها .

أ.د.أحمد فؤاد باشا

وقد بدأت قصة « الثقوب الكهربية » Electric holes مع بداية الاهتمام بدراسة خواص أشباه الموصلات كمجموعة مستقلة ذات خصائص متميزة ، وذلك عندما أُثبت بالتجربة العملية أن توصيل التيار الكهربى يمكن أن يتم فى بعض المواد بواسطة حاملات للشحنة الموجبة ، بالإضافة إلى الالكترونات المعروفة كحاملات للشحنة السالبة[٢] .

وبدا هذا الكشف غريباً فى بادىء الأمر لأن حاملات الشحنة الموجبة التى كانت معروفة حتى ذلك الوقت هى الأيونات المسئولة عن التوصيل الكهربى فى المحاليل الكهربية Electrolytes[٣]، وليس الحال كذلك مع المواد الصلبة التى لا تسمح حالتها بانتقال ذراتها أو أيوناتها فى عملية التوصيل الكهربى . لكن أنظار العلماء اتجهت فى العقود الأخيرة إلى الدراسة المكثفة لخواص أشباه الموصلات ، نتيجة لتزايد الحاجة فى مجال الصناعة عموماً ، ومجال تطوير تقنية الأجهزة الالكترونية فى وجه الخصوص ، لمواد جديدة ذات خواص معينة . وكان إدخال مفهوم « الثقوب » إلى جانب الالكترونات أمراً ضرورياً ، وتصوراً مقبولاً من الناحية الاصطلاحية لصياغة نظرية أفضل فى فيزياء الجوامد ، على نحو ما سيتضح من المثال التالى لبللورة السيليكون (Si) .

فعندما تتكون بللورة السيليكون النقى ، تترتب الذرات بنظام معين ثابت مكونة نسقاً بللورياً محدداً[٤] . وإذا علمنا أن ذرة السيليكون تحتوى على أربعة عشر الكترونا ، منها أربعة الكترونات تدور فى الغلاف الخارجى للذرة وتعرف باسم « الكترونات التكافؤ » Valence electrons فإن هذا يعنى أن ذرة السيليكون تمتلك أربعة روابط الكترونية تهيؤها للارتباط بأربع ذرات أخرى من السيليكون فى إطار البناء البللورى الكامل . وتكون كل رابطة بين ذرتين متجاورتين ناتجة عن مشاركة الكترونية ، بواقع الكترون واحد من كل ذرة ، ولذلك توصف هذه الرابطة بأنها رابطة تساهمية Covalent bond وتصبح كل ذرة فى وضع الارتباط محاطة بثمانية الكترونات مشتركة تكفى تماماً لملء حالات الطاقة المتاحة فى الغلاف الإلكترونى الخارجى للذرة[٥]

←

---

(٢) يمكن تحديد نوع وتركيز حاملات الشحنة عملياً بطرق كثيرة من بينها تطبيق « ظاهرة هال » Hall effect التي تقضي بأنه إذا مر تيار كهربي في شريحة من مادة موصلة أو شبه موصلة عمودياً على مجال مغنطيسي ينشأ نتيجة لذلك مجال كهربي إضافي عمودي على كل من التيار والمجال المغنطيسي .

(٣) تسمى المحاليل التي تسمح بمرور التيار الكهربي خلالها بالمحاليل الكهربية ، مثل محاليل الاحماض والقواعد والاملاح في الماء ، وفيها تتحلل المادة إلى ايونات موجبة تتحرك في اتجاه القطب السالب وأيونات سالبة تتحرك في اتجاه القطب الموجب لمصدر التيار الكهربي (البطارية) . وتستخدم ظاهرة التحليل الكهربي هذه صناعيا في طلاء المعادن .

(٤) يعنى علم البللورات Crystallography بدراسة كل ما يتعلق بخصائص التركيب البللورى للمواد المختلفة وتماثل وحداته البنائية وطرائق تعيينه وتحليله عملياً ونظرياً .

(٥) تقضي قواعد النظرية الذرية بأن يتم توزيع الالكترونات حول النواة في أغلفة لا يزيد عددها على سبعة أغلفة يرمز لها بدءاً من النواة بالأحرف الاجنبية K,L,M,N,O,P,Q ، بحيث لا يمكن أن يتسع الغلاف الاول لاكثر من الكترونين ، والغلاف الثاني لاكثر من ثمانية الكترونات ، والغلاف الثالث لاكثر من ثمانية عشر الكتروناً ، والغلاف الرابع لاكثر من اثنين وثلاثين الكتروناً . أما الاغلفة المتبقية فلا تخضع لهذه القاعدة . كما تقضي النظرية بألا يستوعب الغلاف الالكتروني الخارجي أكثر من ثمانية الكترونات . ترى كم غلافاً مملوءاً بالالكترونات في ذرة السيليكون ؟

قصة الثقوب

ومثل هذه الرابطة التساهمية الكهروستاتيكية تكون قوية إلى حدٍّ ما وتعمل على تقييد الكترونات التكافؤ ، ومن ثم تكون البلورة النقية عازلة للكهرباء في درجات الحرارة المنخفضة ولا تستطيع أن توصل التيار الكهربي إلا إذا ظهرت فيها الكترونات حرة نتيجة لتحطيم بعض الروابط بتأثير طاقة حرارية أو إشعاعية مثلاً .

عند هذه النقطة من الحديث عن أشباه الموصلات نكون قد وصلنا إلى لحظة ميلاد « الثقوب الكهربية » وبداية تسجيل في معجم المصطلحات العلمية . ذلك أن الطاقة الإضافية التي يمتصها شبه موصل سوف تكسر الروابط بين الذرات وتحرر الكتروناتها من القيود المفروضة عليها ، وتكون النتيجة أن كل الكترون يتم تحريره أو انتزاعه من رابطته يخلّف مكانه « ثقبا » Hole ، أو حيِّزا شاغراً . وعندما تفقد ذرة ما الكْترونا حاملاً لشحنة سالبة فإنها تصبح موجبة الشحنة بعد أن كانت متعادلة ، ولذا يمكن القول بأن الالكترون يحمل شحنة سالبة ، بينما يحمل الثقب شحنة موجبة . وبطبيعة الحال يمكن أن يتحرك الكترون مجاور إلى الثقب ويتبادل مكانه معه ، وبذلك تستطيع الالكترونات والثقوب أن تتحرك من ذرة إلى ذرة داخل البلورة ، وإذا ما طبق عليها جهد كهربي فإن تياراً كهربياً سالباً سوف ينشأ من حركة الالكترونات وتياراً كهربياً موجباً سوف ينشأ من حركة الثقوب في اتجاه معاكس . إن وجود الثقوب الكهربية في بلورة ما أشبه بوجود فقاعات هوائية في سائل . وتمتلك أشباه الموصلات النقية ، كما هو الحال في بلورة السيليكون ، خاصية التوصيل الذاتي بالالكترونات والثقوب معاً بأعداد متساوية . لكن الميزة الأساسية لهذه المواد تكمن في أنه يمكن التحكم بدقة في قدرتها على التوصيل الكهربي ، كما يمكن حقْنها أو تطعيمها بمقادير صغيرة من الشوائب لتغليب أحد نوعيْ التوصيل على الآخر : إما التوصيل بالالكترونات ويعرف النوع السالب (س) n-type أو التوصيل بالثقوب ويسمى النوع الموجب (م) P-type .

فعلى سبيل المثال ، عندما تُحقن بلورة من السيليكون بمقدار صغير من عنصر الزرنيخ (As) الذي تحتوي ذراته على خمسة الكترونات تكافؤ ، فإن أربعة من هذه الالكترونات ترتبط بالالكترونات الأربعة لذرات السيليكون المجاورة ، بينما يظل الالكترون الخامس حراً لأنه لا يتلاءم مع الغلاف الخارجي لأية ذرة سليكون . وتكون نتيجة إحلال بعض ذرات الزرنيخ محل بعض ذرات السيليكون في النسق البللورى أن يتوافر عدد من الالكترونات الحرة وتصبح البللورة المشوبة موصلة لتيار من النوع السالب (س) . وبصورة مماثلة ، عندما تزوّد بللورة السيليكون بكمية صغيرة من عنصر مناسب ثلاثي التكافؤ مثل الإنديوم ، ورمزه الكيميائي In ، فإن البللورة المشوبة ستتضمّن ثقوباً حرة موجبة الشحنة وتصبح موصلة لتيار غالب من النوع الموجب (م) . إذْ أن الكترونات التكافؤ الثلاثة لذرة الإنديوم يمكنها أن ترتبط بثلاث ذرات مجاورة فقط من ذرات السيليكون ، وبهذا تظل الرابطة الرابعة خالية ، وهو ما يعنى من الناحية الإصطلاحية أن « ثقباً » قد تكوّن على حساب مكان شاغر لإلكترون . ويمكن لهذا الثقب أن يمتلىء بالكترون من إحدى الذرات المجاورة بعد أن يقطع رابطته بها تاركاً مكانه « فجوة » أو ثقباً جديداً يمكن أيضاً أن يُملأ بالكترون جديد على حساب ذرة أخرى مجاورة وهكذا . وبهذه العملية تكون الثقوب الناتجة عن إحلال شوائب الإنديوم محل بعض ذرات

السيليكون سبباً في غلبة التوصيل الموجب[٦] .

وهكذا يتضح أن « الثقوب الكهربية » ما هي إلا تسمية مجازية اصطلح عليها العلماء اتفاقاً لكي تعبر عن تصوّرهم لما يمكن أن يكون عليه سلوك المادة شبه الموصلة للتيار الكهربي . ومن ثم لا يصحّ أبداً أن ينصرف الذهن إلى الربط التام بين ما يعنيه لفظ « الثُّقب » هنا كمصطلح علمي ذى دلالة خاصة ، وبين ما يعنيه في لغتنا العربية من أنه « الخرق النافذ »[٧] .

اما فيما يتعلق بالثورة التي أحدثتها أشباه الموصلات وتقنياتها في مجالات أبحاث علوم الاتصالات والطاقة والفضاء والقياسات والحاسبات وغيرها فربما يكون لنا عنها حديث آخر بإذن الله .

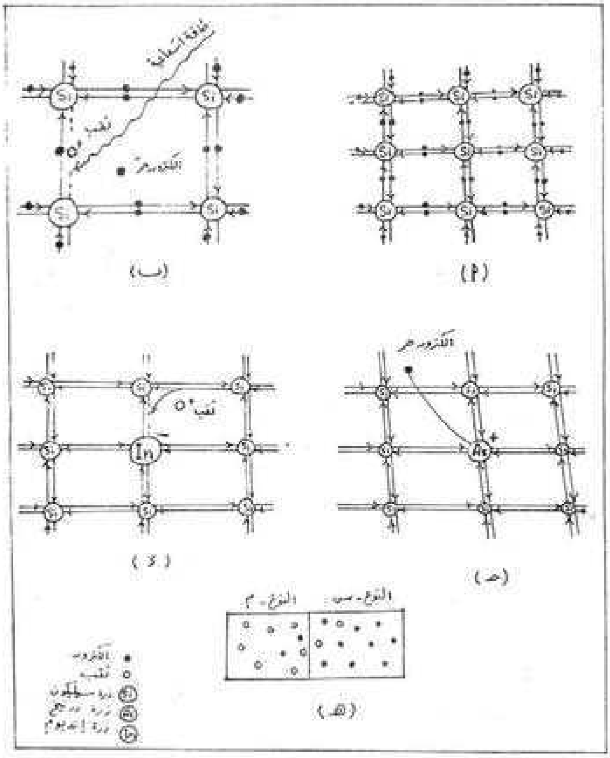

رسم يوضح : (ا) الروابط التساهمية في بللورة نقية من السيليكون .
(ب) تحطيم رابطة تساهمية بتأثير طاقة مناسبة لتحرير الكترون وتكوين ثقب .
(جـ) شبه موصل من النوع السالب (س)، تغلب فيه الالكترونات على الثقوب .
(د) شبه موصل من النوع الموجب (م)، تغلب فيه الثقوب على الالكترونات .
(هـ) وصْلة ثنائية س ـ م تستخدم كثيراً في التقنيات الحديثة .

(٦) يطلق على شوائب التوصيل السالب في أشباه الموصلات اسم « الشوائب المانحة » Donors ، لأن كلا من ذراتها تصبح « أيون موجب » بعد أن توفر الكتروناً حراً دون تكوين ثقوب ، كما في حالة الزرنيخ والسيليكون . أما شوائب التوصيل الموجب فتسمى « الشوائب المستقبلة » Acceptors ، لأن كلا من ذراتها تصبح « أيون سالب » بعد أن تأسر الكتروناً وتوفر ثقباً حرّاً لعملية التوصيل ، كما في حالة الإنديوم والسيليكون .

(٧) راجع الجزء الأول من هذا المقال في العدد السابق من مجلة الأزهر .

طرائف

« رسالة »

كتب سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى ابنه عبد الله فى غيبة غابها :

أما بعد : فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى جلاء بصرك ، وعماد ظهرك ، فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له .

« طاعة الله »

شتم رجل أبا ذر ـ رضى الله عنه ـ فقال لشاتمه : لا تغرق فى شتمنا ، ودع للصلح موضعاً ، فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .

« حقا »

خلِّ الذنوبَ صغيرها
وكبيرَها فهو التُّقى

واصنع كماشٍ فوق أر
ض الشوك يحذر ما يَرَى

لا تحقِرَنَّ صغيرة
إن الجبال من الحصى

« كفى بك »

قال ابن عباس :

كفى بك ظالماً الا تزال مخاصماً ،
وكفى بك إثماً الا تزال ممارياً ،
وكفى بك كاذباً الا تزال محدثاً بغير ذكر الله .

إنما الذليل من ظلم

شكا رجل إلى جعفر الصادق أذية جاره فقال له : اصبر عليه .

فقال : ينسبنى إلى الذل .

قال له : إنما الذليل من ظَلَم .

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

« قالوا ... »

- من جهل قدر نفسه ، كان بقدر غيره أجهل .
- لن يكمل رجل حتى يُؤْثِر دينه على شهوته ، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .
- كل قرين بالمقارن يقتدى .
- أهل البلاء هم أهل الغفلة عن ذكر الله .
- ما عوقب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب .
- اللسان أجرح جوارح الإنسان .
- ليس هناك حقد قليل أو حقد كثير .
- العدل جنة المظلوم ، وجحيم الظالم .

« كيف تصنع » ؟

قيل للحسن البصري : كيف تصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا ، حتى تكاد تطير قلوبنا ؟ .
قال : والله لأن تجالس من يخوفك حتى يدركك الأمن ، خير من أن تجالس من يؤمنك حتى يدركك الخوف !! .

الذكر

للذكر سبعة أنواع :

- ذكر العينين : البكاء .
- وذكر الأذنين : الإصغاء .
- وذكر اللسان : الشكر .
- وذكر اليدين : العطاء .
- وذكر البدن : الوفاء .
- وذكر الروح : الخوف والرجاء .
- وذكر القلب : التسليم والرضا .

دعاء

اللهم اغفر لى ذنبى كله ، دقه وجله ، وأوله وآخره ، وعلانيته وسره .

«حرمة الحج»

فتوى وجوابها

صادرة من لجنة الفتوى بالأزهر

دعا الإسلام فيما يدعو إلى الوحدة والترابط، ونهى فيما ينهى عن الفرقة والشتات، وحذر من البغضاء واتباع وساوس الشيطان.

وشياطين الإنس لا يقلون خطراً عن شياطين الجن، وهم في كل موقع يوسوسون ويزينون.

وليس لهم من هم إلا الإضلال والتضليل، وصرف المؤمنين عن إقامة شعائر الله كاملة.

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى:

نشطت دعاية الكفار المحاربين فى بعض البلاد الإسلامية التى نزلوا فيها، تدعو المسلمين المقيمين فيها إلى تأديه فريضة الحج على أن يستقلوا إلى البلاد المقدسة بواخر هؤلاء الكفار مجاناً. وغرضهم من هذه الدعاية إيهام العالم الإسلامى بأن هؤلاء المسلمين يوالونهم ويخضعون لهم، وأنهم متسامحون مع المسلمين فى دينهم، مع حرصهم على تحويل المسلمين عن دينهم والتضييق عليهم في حياتهم.

ولقد أعرض المسلمون عن هذه الدعاية، ولكن شدة نشاطها وكثرة وسائل الإغراء التى يستخدمونها، والتجاءهم إلى التهديد والضغط، تجعلنا نخشى أن يترك كل ذلك أثراً فى بعض ضعاف الإيمان.

لذلك نتقدم إلى اللجنة الموقرة للتفضل بالإفادة عن السؤال الآتى:

ما حكم المسلم الذى يستمع إلى دعاية هؤلاء الكفار الذين يحاربون بلاده فيذهب إلى الحج على ظهر بواخرهم تاركاً الجهاد المقدس الذى خاضته بلاده ضد هؤلاء الكفار؛ مع العلم بأن ركوبه باخرة أعداء بلاده وانحيازه إليهم يجلبان ضرراً شديداً لبلاده المسلمة. وخيانة لإخوانه المسلمين الذين لا يزالون يخوضون غمار الحرب ضد أعدائهم؛ ومع العلم أيضاً بأن سفره على تلك البواخر يوجب عليه أن يحمل جواز سفر يقرر فيه انتسابه إلى جنسية هؤلاء الكفار؛ مع الرجاء ببيان حكم حجه وحكم دينه وإسلامه.

محمد زين حسن

رئيس جمعية استقلال أندونيسيا

تقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه .

الحج فريضة عينية كتبها الله على كل مسلم مكلف تُيَسِّر له قوته البدنية ومقدرته المالية أداءها إذا لم يكن هناك مانع .

وقد شرعه الله لمصالح كثيرة دينية ودنيوية ، منها ما يعود على الفرد ، ومنها ما يعود على مجموع الأمة الإسلامية .. ومن أهم هذه المصالح تمكين المسلمين بذلك الاجتماع السنوى العام الذى يفدون إليه من مختلف الأقطار من النظر فى مصالحهم الوطنية الخاصة ، ودراسة شئونهم الدينية العامة ، والإتفاق على تكميل ما ينقصهم فى هاتين الناحيتين ، والعمل على ما يرفع شأنهم ويكفل لهم سعادة الحياة فى أوطانهم ، ويضمن لهم الأمن والسلامة فى علاقاتهم مع الأمم الأخرى على أساس من أحكام الدين الحنيف ؛ وهو من أجل ذلك كان من أعظم العبادات ، وأقوى دعائم الإسلام .

غير أنه قد تعرض حالات لا يكون الحج معها مطلوباً بل ولا جائزاً شرعاً . ويتقدر الحكم فى كل حالة بقدرها وعلى حسبها ، فإن من أصول الشريعة التى لا ينبغى الامتراء فيها ما يقضى بأن العمل إذا كان يحصِّل مصلحة ومفسدة وغلبت مفسدته على مصلحته فإنه يكون ممنوعاً شرعاً درءا للمفسدة الغالبة .

وتطبيقاً لهذا المبدأ كان من المُسَلَّم فى نظر الشريعة الإسلامية :

(١) أن الرجل إذا خاف على زوجته الفتنة إذا هو خرج للحج وتركها من غير محرم يحفظها لم يجز له أن يخرج للحج .

(٢) وأن المرأة لا يجوز لها أن تخرج للحج من غير أن يكون معها زوج أو من يؤمن معه جانب الفتنة .

(٣) وأن قائد الجند أو متولى حراسة البلد إذا غلب على ظنه أن تغيبه فى الحج يمكن للعدو أن يتغلب على الجند أو يترتب عليه الأضطراب واختلال الأمن فى البلد ، لم يجز له شرعاً أن يخرج للحج . ولقد أبيح للمجاهد أن يفطر فى رمضان إن لم يكن مسافراً ولا مريضاً إذا غلب على ظنه أن صومه يضعفه عن الجهاد .

ولا ريب أن من هذا القبيل أنه إذا كان أهل بلد إسلامى أو قطر من الأقطار الإسلامية فى مهم دينى أو وطنى وعلم أن خروج واحد أو طائفة منهم للحج يحدث فتنة فى الباقين أو ضعفاً أو اختلافاً يفسد أمرهم ويفرق كلمتهم وتتمزق به جماعتهم ، كان حراماً أن يخرج أحد منهم للحج .

ومن هذا يتضح الجواب على الاستفتاء المذكور ؛ فإنه إذا علم أن سفر جماعة من

←

من روائع الماضي

المسلمين للحج على نفقة عدوهم وفى سفن أعدها لهم يتخذه ذلك العدو وسيلة لفتنتهم وإحداث الانقسام فى صفوفهم وإضعاف شوكتهم ، كان من أعظم المحرمات موافقة ذلك العدو والخروج إلى الحج ؛ وذلك لأن مفسدته تربو على مصلحة أداء الحج . هذا إلى أن فيه موالاة لأعداء الله أو ظهوراً بمظهر هذه الموالاة من غير مصلحة راجحة أو دفع مضرة .

وما مثل الذين يستجيبون لدعوة الأعداء فى هذا الشأن ويخدعون بمظاهر عطفهم المدخول الذى يفرقون به وحدتهم ويركزون به على المسلمين سلطانهم إلا كمثل من مال إلى ممالأة أولئك المنافقين الذين اتخذوا على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسجد الضرار تفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله ، فقد ادعوا أنهم لم يتخذوه إلا لما تتخذ له المساجد من العبادة وإقامة الصلاة ، وكانوا يحلفون أنهم ما أرادوا بذلك إلى الحسنى ؛ ولكن الله فضح أمرهم وكشف عن سوء نواياهم وكيدهم للإسلام والمسلمين ؛ وذلك هو قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ . وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى . وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

ثم إن قبول المال للحج به من العدو الذى أراد تفريق المسلمين وإفساد أمرهم من هذا السبيل إثم كبير وجرم عظيم . والحج بذلك المال أكثر شناعة وأعظم إثماً من الحج بمال الرشوة والسرقة والمال المغصوب . ولا شك أن الحج بهذه الأموال غير مقبول .

ومن يعلم حكم الشرع فى هذا ويقدم عليه مُسْتَحِلاً له فهو غير مسلم .

ولقد طلب الله من المؤمنين أن يعتصموا بحبله المكين ، وأن يكونوا يداً واحدة على من عاداهم ، وحذرهم أن يقعوا فى مخالب الفتنة عن طريق الإغراء بالمال أو الإغواء بالجاه والسلطان ، حفظاً لوحدتهم ، وبُعداً بهم عن أسباب التنازع والفشل ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾ . . ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ . . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ . أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ . . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ . بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثم يقول : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً . وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ . قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ . وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ . . ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً . يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ ﴾ . . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

ولا ريب أن فى مطاوعة بعض المسلمين للكفار فى مثل حادثة الاستفتاء تفريقاً لوحدة المؤمنين ، وعملاً على تحقيق الفتنة التى يقصدها الكافرون ، وعلى تمكين سلطانهم فى بلاد

ـ البقية ص ١٢٩٦

اللغة والأدب والنقد

من صور الحذف البليغ

ابن قتيبة

السينما الإسرائيلية

من صور الحذف البليغ

الاحتباك

٣

نماذج من الاحتباك في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية

١ ـ قال تعالى في تصوير أحوال الكافرين مع النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى اتباع ما أنزل الله : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ « البقرة : ١٧١ ».

لما ذكر سبحانه وتعالى ما أجابوا به النبي حين دعاهم إلى اتباع ما أنزل الله ، ونعى عليهم تقليدهم الأعمى لآبائهم فيما يضر ولا ينفع أراد سبحانه أن يقرر هذا الموقف بطريق التصوير ، فذكر هذا التمثيل العجيب .

يذكر ابن أبي الإصبع من أسرار حذف ما حذف في الطرفين أنه يتضمن أدباً كريماً مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعلمنا به المولى تبارك وتعالى كيف نحفظ للرسول قدره ونلتزم بالأدب في مخاطبته أو الحديث عنه ، ولذا لم يصرح بداعي الكفار في جانب المشبه ، حتى لا يؤدي إلى تشبيهه صراحة بالراعي الذي ينعق بالضأن ، ففي التصريح بذلك غض من جلالته ، ومخالفة للأدب في مخاطبته ، مع أن مكانته قد علت عند ربه ، وتلطف معه في مخاطبته .

كما أنه لم يصرح بالضأن في جانب المشبه به وأومأ إليها حتى لا يكون في ذلك تنفير عن نبيه ، فالضأن عند العرب شرمال ، بدليل قول الصغرى من بنات ذي الأصبع العدواني لما سألها أبوها عما سأل أخواتها ، عن مالهم فقالت : الضأن ، فقال لها : كيف تجدونها ؟ قالت : شرمال : جوف لا يشبعن ، وهيم لا ينقعن ، صم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن[١].

وأضيف إلى ما تقدم أن راعي الضأن مثل عند العرب في الجهل ، ولذا قالوا : « أجهل من راعي ضأن »[٢] ، وذلك لبعده عن الناس بحثاً عن منابت الكلأ ، وربما مكث على ذلك أزماناً طوالاً ، فهو أبعد عن التعلم ومعرفة آداب الاختلاط والتخاطب ولذا يقول حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت ٣٥١هـ) في التعليق على المثل السابق ، وأما قولهم : أجهل من راعي ضأن ، فلأن بعده عن الناس فوق بعد راعي الإبل قال ذلك الأصمعي ، وأنشد لحميد بن ثور يصف بعيرا :

محل بأطواق عتاق يبينها
على الضر راعي الضأن لو يتقوف

---

(١) راجع بديع القرآن : ١٣٦ ، ١٣٧.

(٢) راجع مجمع الأمثال للميداني ١/٢٢٧ المثل رقم : ١٠١٠.

د. عبد الحميد محمد العيسوي

قال : وإنما قال : راعي الضأن ، لأنه لا يعرف من أمر الإبل شيئا ، فإذا عرفه مع جهله عرفه كل الناس »[٣] .

فإذا كان الأمر كذلك فإن البيان المعجز لا يصرح بداعي الكفار لفتا إلى هذا السر البلاغي الفائق ، واتساقاً مع شأنه سبحانه في مخاطبة نبيه في الكتاب الكريم ، وهو ما نلمح نظيره في مواطن عديدة ، منها ما جاء في أول سورة الضحى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ حيث لم يوقع الفعل قلا - مع أنه منفى - على الضمير العائد إليه عليه الصلاة والسلام ، وإن كان المفهوم أنه نفى للفعل عنه صلى الله عليه وسلم ، لكن هناك فرقا بين ما نفهمه وما يعبر به عن هذا المفهوم ، وفي ذلك إشارة إلى أن إيقاع الفعل صراحة على ضميره لا يليق بمكانته ، وإن كان الذي يخاطبه ربه .. فإذا كان هذا شأنه مع نبيه فكيف يكون شأن اتباعه معه ؟

وأما مع الكفار فإنه سبحانه لم يشأ أن ينفرهم عن نبيه بالتصريح بالضأن ، وكأنه سبحانه يفتح أمام رسوله باب الأمل في أن تستمع هذه الآذان الصم لتعى حقيقة الدعوة وان تتكلم الأفواه البكم بكلمة التوحيد ، وأن تنفتح الأعين العمى على دلالات الوجود .. وفي ذلك إشارة يجب أن يتعلمها من يتصدون للدعوة والإصلاح ، فلا يوصدون باب الأمل ، ولا يقطعون حبل الرجاء ، بل يستمرون في دعوتهم بالرفق واللين ، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي احسن ، فعسى أن تثمر خيراً في قابل الأيام ، فإن لم تثمر خيراً فيكفينا التزام آداب الدعوة كما علمنا الله .. وكم في آيات الكتاب المبين من أسرار !

٢ - قال تعالى في جواب من سأل عن أحكام الحيض : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٢٢).

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وغيرهم ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ بالتخفيف ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ يطَّهَّرن ﴾ بالتشديد للطاء والهاء . والطهر : هو زوال دم الحيض لأنه من طهرت المرأة من حيضها ، إذا انقطع الحيض ، المعنى : لا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم ، والتطهر : الغسل بالماء ، وهو معنى لغوي وشرعي مناسب لصيغة التطهر التي تفيد المبالغة ، كما أن معنى الطهر الذي سلف مناسب لمضاده الثلاثي وهو الطمث كما نقله أبو حيان عن الفارسي .

وقد ترتب على هاتين القراءتين اختلاف الفقهاء في إتيان النساء بعد انقطاع الحيض ، فذهب الإمام مالك والشافعي ومن وافقهما إلى أن المرأة إذا انقطع حيضها لا يحل للزوج إتيانها إلا بعد أن تغتسل من الحيض - على خلاف في كيفية الاغتسال وحجتهم في ذلك : أن القراءة المتواترة حجة بالإجماع ، فإذا وجدت قراءتان متواترتان وأمكن الجمع بينهما وجب الجمع بينهما ،

من صور الحذف

والجمع بينهما هنا بوجوب الطهر والتطهر فلا تنتهي حرمة إتيانهن إلا عند حصول الأمرين ، كما أن قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾ فيه تعليق الإتيان على التطهر بكلمة إذا التي للشرط ، والمعلق على الشرط معدوم عند عدم الشرط فوجب عدم الإتيان عند عدم التطهر .

وأما الإمام أبو حنيفة فقد رأى قراءة التخفيف تدل على توقف الحل على انقطاع الحيض وقراءة التشديد على الغسل ، وكلاهما متواتر يجب العمل به ، ولا يمكن ذلك في حالة واحدة ، فعمل بهما باعتبار حالتين : فحمل قراءة التخفيف على أنه إذا انقطع الدم لأكثر مدة الحيض وهي عشرة أيام في مذهبه جاز لزوجها أن يقربها قبل الغسل ، وقراءة التشديد على الانقطاع لأقل من هذه المدة فلا تحل المباشرة إلا بالاغتسال(٤) .

والحاصل من ذلك أن رأى الإمام الشافعي على قراءة التخفيف يكون مبنياً على أن التقدير في الأصل : ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، واقتصر في كل من المتقابلين على ذكر أحدهما لدلالة المذكور على المحذوف في كل منهما ، وهذا هو ما تؤيده قراءة التشديد ، فصارت القراءة الثانية مؤيدة لهذا التقدير كما يؤيده ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾ وبذا يفسر القرآن بعضه بعضاً ، كما تفسر القراءات المتواترة بعضها بعضاً .

وأما على رأي الإمام أبي حنيفة فإنه حمل كل واحدة من القراءتين على حالة مغايرة للحالة الأخرى ، وبذا لا يتسنى تقدير الأصل على ما رأيناه عند الشافعي ، فتكون قراءة التخفيف خاصة بالحالة الأولى للدلالة على جواز الإتيان قبل الغسل ، وهو جواز فقط ، ويكون قوله : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ للدلالة على الأفضل والأتم ، أما قراءة التشديد فهي خاصة بالحالة الثانية التي لا تحل فيها المباشرة إلا بالاغتسال ويكون قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ كالتأكيد على وجوب التريث في الإتيان حتى إتمام الغسل مع زيادة الإفادة ببيان موضع الإتيان .

ومذهب الإمام أبي حنيفة في هذه المسألة يميل إلى التيسير في حد شقيه .

ومذهب الإمام الشافعي يميل إلى وجوب الكمال ، وأنا أميل إلى الأخير لما فيه من مراعاة الفطر السامية التي تنفر من الإتيان دون أن تكون الزوج في أحسن حالاتها .

وعلى ذلك معظم فقهاء الأمصار كما ذكر أبو حيان ، ولكل إنسان بحسب مرتبة فطرته أن يختار ما يتوافق مع هذه المرتبة .. والله أعلم بمراده .

---

(٣) الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة : ١٢١/١ تحقيق عبدالمجيد قطامش ـ دار المعارف ١٩٧١م. ومعنى يبينها : يتبينها ويعرفها ويتقوف من القيافة وهي تتبع الآثار لمعرفتها ، ومعرفة شبه الشخص بأخيه وأبيه يقول : أن هذا التعبير محلي بأطواق هو سمة الكرم والعتق يعرفها فيه هذا الراعي عندما يتقوف على ما بالبعير من الضر .

(٤) راجع ذلك في الكشاف : ٣٦١/١ ، والتفسير الكبير للفخر الرازي : ٦٨/٦ ، ٦٩ وتفسير البحر المحيط لأبي حيان : ١٦٨/٢ وحاشية الشهاب على البيضاوي : ٣٠٧/٢ ، ٣٠٨ .

وعلى أية حال فإن رأى الشافعي قد عمق دلالة الأسلوب القرآني على قراءة التخفيف بحيث اشتمل على انقطاع الدم والاغتسال معاً واكتفى بذكر كل واحد في الطرفين لشمولهما للأمرين مما يغني عن ذكر المحذوفين اللذين لا يحسن ذكرهما في الأسلوب الفصيح العالي، وهذا هو ما تعضده قراءة التشديد كما تعضده نهاية الآية لأنها تبغى الكمال، ولأن صيغة الأمر من الله تعالى لا تقع إلا على الوجه الأكمل كما ذكر أبو حيان، وإن كان الأمر للإباحة، وهذا مرجح آخر لميلي إلى رأي الشافعي.

وهكذا أفادتنا قراءة التخفيف فائدة مضاعفة من الحذف الذي يبدو في ظاهره كأنه نقصان، وهو في حقيقته غاية التمام وآية الكمال.

٣ ـ قال تعالى في التوجيه للاعتبار بما كان من شأن فريقي المؤمنين والكافرين في غزوة بدر: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ...﴾ الآية (آل عمران: ١٣).

ذكر المفسرون في الخطاب عدة أقوال: أن يكون لقريش أو لليهود أو للمؤمنين أو هو عام لكل من يتأتى خطابه، وأيد كل وجهته بأدلة تهدف إلى ربط الآية بما قبلها، وليس هنا مقام التعرض لها.

وتقدير الكلام في الأصل: فئة مؤمنه تقاتل في سبيل الله وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان فحذف من الأولى ما أثبت مقابله في الثانية، ومن الثانية ما أثبت مقابله في الأولى، وذكر في الأولى لازم الإيمان وهو القتال في سبيل الله، وذكر في الثانية ملزوم القتال في سبيل الشيطان وهو الكفر(٥).

فحذف مؤمنة وذكر مكانها من أحكام الإيمان ما يليق بالمقام مدحاً لهم واعتداداً بقتالهم وإيذانا بأنه المدار في تحقق الآية وهي رؤية القليل كثيراً، ولم توصف الفئة الكافرة كما وصفت المؤمنة إسقاطاً لقتالهم عن درجة الاعتبار، وإيذانا بأنهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة(٦).

فقوة دلالة الكلام أشارت إلى المحذوف، في الأولى لما هو معلوم من أن القتال في سبيل الله وهو القتال الحق لا يتأتى إلا من المؤمنين الصادقين فاكتفى بالصفة عن الموصوف، وهذا هو المصحح للحذف، وأما مرجحه فلأن هذا هو ما يليق بمقام المدح والاعتداد بهذا القتال في سبيل الدين الحق، والإشعار بأن ـ هذا القتال هو الأساس في تحقق العظة والعبرة من رؤية القليل كثيراً، وربما لأمر آخر هو الإشعار بأن الإيمان القلبي لا يكفي وحده، وإنما يجب أن يصدقه العمل كما توضحه آيات أخرى كثيرة وأحاديث نبوية عديدة.

وكذلك الشأن في حذف صفة الكافرين، فقد أشعر بها ما ذكر في وصف المؤمنين ولكن الحذف أعطى زيادة فائدة، حيث أشعر بإسقاط قتالهم عن درجة الاعتبار بالذكر لكونه قتالا في سبيل عقيدة زائغة عن سنن الحق، فهو قتال لا يرتكز على حقيقة ثابتة في الفطرة، ولا يقوم على أساس من عقل سليم متثبت، وإنما دفع إليه وسوسة الشيطان، هو قتال مهتز الدوافع فزلزل الأساس، وربما كان ذكر الفئة الكافرة ـ للتسجيل بأن الكفر لا يجدى معه عمل، سواء

←

(٥) راجع تفسير البحر المحيط: ٢/٣٩٣.

(٦) راجع تفسير أبي السعود: ٢/١٢.

من صور الحذف

الصالح منه والطالح ، ولذا فهو أجدر بأن يضرب عنه صفحا .

ولنا أن نستخلص من هذا البيان الرائع أن المؤمنين لا يهزمون ابدا إلا بذنوبهم وتقصيرهم عن بلوغ مرتبة الإيمان الصادق ، لا بكثرة عدد أعدائهم وعتادهم ، وأن النصر حليفهم ماداموا مخلصين لعقيدتهم عاملين من اجلها مهما كان عددهم وعتادهم .. ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَالِبُونَ ﴾ .

٤ ـ قال تعالى في تحذير الناس من وسوسة الشيطان : ﴿ يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ الأعراف الآية (٢٧) .

ذكر الزمخشري تفسير قوله تعالى :﴿ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ ان المعنى : لا يمتحننكم بالا تدخلوا الجنة كما امتحن أبويكم بأن أخرجهما منها[٧] . ومعنى ذلك أن عدم دخولهم الجنة المتوقع لهم إن هم أطاعوا الشيطان والمسبب عن فتنته قد حذف من المشبه لدلالة كما أخرج أبويكم من الجنة عليه في المشبه به ، كما أن محنة أبويهم في جانب المشبه به قد حذفت اكتفاء بسببها وهو إخراجهما من الجنة لدلالة فتنة أبنائهما عليها في جانب المشبه ، أي : أن المسبب قد حذف من المشبه لدلالة السبب في جانب المشبه به عليه ، وحذف المسبب من المشبه به لدلالة السبب في المشبه عليه ، وهذا تقدير لأصل الكلام حتى يتلاءم طرفا التشبيه ، وهذا هو الاحتباك بعينه دل فيه ما ذكر على ما حذف دلالة بينة .

وقد جوز أبو حيان وأبو السعود والشهاب الخفاجي أن يكون في الآية تقديران آخران :

أحدهما : لا يفتننكم الشيطان فتنة مثل فتنة أخراج أبويكم ، فيكون التصوير لتفتنتهم المنهي عنها لو وقعت بفتنة أخراج الأبوين الواقعة ، ويكون الكلام على تقدير مضاف في جانب المشبه به ، حتى يستقيم تشبيه فتنة بفتنة .

وثانيهما : لا يخرجنكم الشيطان عن الدين بفتنته إخراجاً مثل إخراجه أبويكم[٨] فيكون التشبيه لإخراج بإخراج عبر عن الأول بالسبب فيه ، وعلى ذلك فليس في الآية احتباك وان كان فيها حذف من لون آخر لكن الملاحظ انهم ذكروا هذين التقديرين بعد ذكر التقدير الأول الذي قدره الزمخشري ، وهذا مشعر في كلام العلماء غالباً بأن ما ذكر أولاً ارجح واقوى .

وعلى اية حال فقد ظهر مصحح الحذف على التقدير الأول ، وهو قوة دلالة المذكور على المحذوف في الطرفين ، وأما مرجحه فلم أجد أحداً ذكر عنه شيئاً ، ولعل ذلك ـ والله أعلم بمراده ـ راجع إلى أن المنع من دخول الجنة بالنسبة لبني آدم متوقع في المستقبل إذا لم يلتزموا بهذا النهي الناصح لهم والمحذر من الوقوع في فتنة الشيطان ، ولذا ذكر السبب الواقع في كل يوم من أيام الدنيا وترك المسبب لمعرفة المآل مما ذكر في المشبه به ، فكان ذكر السبب الواقع أهم من ذكر

---

(٧) راجع الكشاف : ٢/٧٤.

(٨) راجع تفسير البحر المحيط : ٤/٢٨٣ ، وتفسير أبي السعود : ٣/٢٢٢ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي : ٤/١٦١ .

المتوقع في الآخرة ليأخذوا حذرهم من البداية، فلا تضعف مقاومتهم له لحظة، ولا ينخدعوا بوسوسته وتزيينه هنيهة. وأما في جانب المشبه به فقد أكتفى بذكر السبب عن المسبب لأن محنة الاخراج من الجنة قد وقعت، وهي محنة تفوق كل ما عاناه من المحن بعد الهبوط إلى الأرض، فكان النص عليها في ظاهر الكلام أهم وأجدر، ولأن الآيات ـ السابقة على هذه الآية قد ذكرت ما محنا به بعد الهبوط، ولم تذكر شيئا عن الاخراج لذا يذكر البيضاوي والشهاب أن آية التحذير والنهي التي معنا هي المقصود من ذكر قصة آدم وحواء والاجمال لها أيضاً.

فمراد نهي المخاطبين عن المحنة أهم في الاول، والإخراج أهم في الثاني باعتبار الواقع وان كان البيان المعجز لم يهمل أيا من السبب والمسبب بهذا النظم الدال بما أبقى على ما ألقى، مع ترتيب في الأولويات يتناسب مع المقصود من الآية في سياقها.

يتبع

د. عبد الحميد محمد العيسوى

صفحات مطوية من تاريخ الأزهر

بقية

١ ـ الأستاذ المرحوم الدكتور/ محمد البهى وزير الأوقاف، ومدير جامعة الأزهر.

٢ ـ الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبد النبى خليف نائب رئيس جامعة الأزهر الحالى.

٣ ـ الشيخ عبد المجيد اللبان.

٤ ـ الشيخ عبد المنعم النمر.

٥ ـ الشيخ محمد الشافعي الظواهرى.

٦ ـ الشيخ محمود شلتوت.

٧ ـ الشيخ محمد الفحام.

٨ ـ الدكتور عبد الله عبد الشكور وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة الإسلامية.

٩ ـ الشيخ محمد الغزالى.

١٠ ـ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر الأسبق.

١١ ـ الأستاذ الدكتور إبراهيم البسيونى رئيس الكنترول العام بكلية اللغة العربية والأستاذ المتفرغ بالدراسات العليا بها.

١٢ ـ الأستاذ الدكتور محمد محمود العكازى عميد كلية البنات بالاسكندرية (جامعة الأزهر سابقا).

١٣ ـ الأستاذ الدكتور محمد محمد شتا زيتون رئيس قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة سابقا.

١٤ ـ الأستاذ الدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر الحالى والمحقق المعروف.

بقى أن نذكر مجموعة من خريجى المعهد من زملائنا: الدكتور عبد الستار زموط، والدكتور حسن زكرى مدرة، والدكتور مصطفى حبالة وغيرهم ممن لا يحيط بهم الحصر..

يتبع

ابن قُتَيبة

وكتابه «الشعر والشعراء»

(٢)

٣ ـ القدماء والمُحْدَثون : تلاحظ أن ابن قتيبة نظر إلى هذه القضية بمعيار علمي محايد ، وساعده على ذلك كونه قاضياً يحكم بين الناس في تجرد وبُعْدٍ عن الهوى والتعصّب ، وإذا كان ابن سلام الجمحي قد جعل القدماء مقياساً ومرجعاً يحكم به ويقيس عليه ، فإن ابن قتيبة ، قد نظر للمسألة من وجه آخر ، هو القيمة الفنية للشعر ، سواء كان صاحبه من القدماء أو من المحدثين ، وقد مر بنا كيف عاب على الأعشى قوله في امرأة :

وَفُوهاً كـأقـاحِيّ غَـذاهُ دائـمُ الـهطْـلِ
كمـا شيـب بـراحٍ بـا رِدٍ مـِنْ عَسَـلِ النَّحْـلِ

بل إنه عابه وعاب غيره في مواضع أخرى ، ومن ذلك أنه رأى في بيت الأعشى :

وقد غَدَوْتُ إلى الحانوتِ يتبعني
شاوٍمِشَلٌ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ[١٤]

نوعاً من الزيادة لا مبرر له ، وقد أشار إلى الشطر الثاني من البيت قائلاً : «وهذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد ، وكان يستغني بأحدها عن جميعها ، وماذا يزيد هذا البيت إن كان للأعشى أو ينقص»[١٥] .

بل إنه يجد في نفسه الجرأة ليعامل القدماء معاملة محايدة تماماً ، تعتمد على الرأى الصريح بل نراه وكأنه يدعو إلى عدم اتباع المحدثين للقدماء في كل شيء فيقول : وليس للمحدث أن يتبع المتقدم في استعمال وحشي الكلام الذى لم يكثر ، ككثير من ابنية سيبويه ، واستعمال اللغة القليلة في العرب كإبدالهم الجيم من الياء ، وكقول القائل «يارب إن كنت قبلت حجيج يريد «حجتي» ، وكقولهم «جمل بختج» يريدون «بختي» ، و«علج» يريدون «عليّ» ...[١٦]

وقد وضع ابن قتيبة خطته على هذا الأساس ، وسار في منهجه على هدى تلك النظرة التي لا تقدس القدماء لقدمهم ، ولا تستهين بالمحدثين لحداثتهم ، وإنما سبيله في ذلك إعطاء كل ذي حق حقه ، ويتحدث عن ذلك بصراحة قائلاً : «ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له ، سبيل من قلد ، أو إذا استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره . بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كُلاً حظه ، ووفرت عليه حقه» .

١٤ ـ الشاوى : الذى شوى ، الشلول : الخفيف ، والمشل : المطرد ، والشلشل : الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والالفاظ متقاربة ، واريد بذكرها والجمع بينها المبالغة .

١٥ ـ الشعر والشعراء : ٧١/١ .

١٦ ـ السابق : ١٠١/١ .

ويبرر رأيه هذا بما رآه من سيطرة الاتجاه الذى يحترم كل ما قاله القدماء ، لأنه قديم ، ويسخر من الجديد لأنه جديد : « فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه فى متخيّره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل فى زمانه ، أو أنه رأى قائله » .(١٧)

ويبدو ابن قتيبة كأنه يعالج ظاهرة أدبية مرضية سائدة ، فيستطرد فى شرح رأيه وتفصيله موضحاً أن الله لم يخص أحداً أو زماناً بالعلم والشعر والبلاغة ، وأن سنة الله فى خلقه أن تتتابع الأجيال ، وأن يكون فى كل جيل ما هو حسن وما هو ردىء ، ويؤكد ابن قتيبة إصراره على منهجه الذى لا يحابى عصرا بعينه ولا شخصاً بذاته ، ويشير إلى أبى عمرو بن العلاء الذى كان ممن يقيسون على القدماء ، ويروى أنه هَمَّ برواية شعر المحدثين الحسن ، ولكنه لم يفعل لتمسكه بالقياس على الأقدمين .

يقول ابن قتيبة

« ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً فى عصره ، وكُلّ شرف خارِجيّةً فى* أوله ، فقد كان جرير والفرزدق ، والأخطل وأمثالهم يُعَدُّون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته ، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد عنهم ، وكذلك لا يكون من بعدهم لمن بعدنا : كالخريمى والعتابى والحسن بن هانىء وأشباههم . فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه ، كما أن الردىء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه » . (١٨)

وأُذكِّر - مرة أخرى - بأن طبيعة ابن قتيبة كقاضٍ أثرت فيه تأثيراً واضحاً ، فلم يستطع الهوى أو الغرض أو التعصب أن يجد مكاناً لديه ، أو فى أحكامه النقدية ، ولذا نجده يلح على أن من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله ولا حداثة سنه ، وكذا الحال بالنسبة للردىء .. وهذه آية الموضوعية والحكم المنصف .

٤ - عمود الشعر :

بالرغم من أن « ابن قتيبة » يطرح قضية الحيدة بين القدماء والمحدثين ، والانتماء للحسن والجيد من الشعر فحسب ، ودون تأثر بما قاله غيره ، كما رأينا ، فإنه بالنسبة لما يسمى الآن بالتقاليد الفنية يقف موقفاً أقرب إلى الاتباع ، والتمسك بالتقاليد الفنية الموروثة ، وقد تحدث بعبارته المشهورة عن هذه القضية فقال : « وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين فى هذه الأقسام ، فيقف على منزل عامر ، أو يبكى

←

---

١٧ - الشعر والشعراء : ٦٢/١ - ٦٣ .

١٨ - السابق : ٧٦/١ = الخَنْزة : نبات سَهْلى طيب الريح قيل هو الريحانة ، والعرارة مثلها وقيل هى النرجس البرى .

عند مشيد البنيان ؛ لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافى ، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما ؛ لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير أو يرد على المياه العذاب الجوارى ؛ لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامى ، أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد ؛ لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحَنْوةِ والعرارة .[19]

إن « ابن قتيبة » لا يبدى أية رغبة فى تجاوز هذه التقاليد ، بل يعلن أنه متبع حين يقول : « وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مُقَصِّد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق .. إلخ . حيث يمر الشاعر فى قصيدة . بذكر الظَّاعنين وتتبعهم الماء ثم النسيب ، ثم الرحلة ، ثم المديح .. ويقول « ابن قتيبة » بعد ذلك : « فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب » .. فهو هنا يدعو بوضوح إلى التمسك بعمود الشعر ونظام القصيدة الموروث متبعاً فى ذلك الإسلاف دون أن يعترض على أى جانب من جوانب هذا النظام أو ذلك العمود .. ولكنه يشير إلى نقطة هامة فى نظام القصيدة ، إذ يطلب من الشاعر أن يعدل بين هذه الأقسام : (الوقوف على الأطلال ، وذكر الديار والظاعنين والنسيب والرحلة والمديح .) ولا يجعل لواحد منها الغلبة على القصيدة حتى لا يمل السامعون ولا يقطع النشوة على المترقبين .

« فقد كان بعض الرُّجَّاز أتى نصر بن سيار والى خراسان لبنى أمية فمدحه بقصيدة ، تَشْبِيبُها مائة بيت ، ومَدِيحُها عشرة أبيات ، فقال نصر : والله ما بقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً ، إلا وقد شغلته عن مديحى بتشبيبك ، فإن أردت مديحى فاقتصد فى النسيب ، فأتاه فأنشده :

هـل تعرف الـدَّار لِأُمِّ الغَمْرِ
دَعْ ذا وحَبِّرْ مدحـةً فى نَصْرِ

فقال نصر : لا ذلك ولا هذا ولكن بين الأمرين[20] .

وهكذا يبدو طابع الاعتدال على نظرة ابن قتيبة فى بناء القصيدة ، وهو هنا يستشهد بواقعه الراجز الذى أطال فى التشبيب أولاً ولم يبق من القصيدة إلا عشرة أبيات لممدوحه ، ثم رجع عن ذلك ، وأتى بشطر واحد يتساءل فيه عن دار أم الغمر ، لينتقل بعدئذ إلى مدح نصر بن سيار .. وكلا الموقفين فيه تطرف وانحراف عن الاعتدال والاتزان .

وخوف الإطالة فإننا نكتفى بهذه القضايا التى يظهر فيها تصور ابن قتيبة للشعر وحكمه على الشعراء ، وهى بصفة عامة توضح لنا أن الرجل يمتاز بقدرة فائقة على فهم النصوص ، ووعى ملحوظ بواقع الشعر ، مع نزاهة ومَوضوعية فى الحكم على النماذج موضوع الحكم .

أما عن المنهج والخطة : فى كتاب « الشعر والشعراء » فإنه يمكننا أن نتعرف على بعض ملامحها من خلال التصور والمفهوم الذى عرفناه فيما سبق ، ومن هذه الملامح أن « ابن قتيبة » سيتعامل مع النصوص من خلال نظرة علمية محايدة لا يميل مع الهوى ، وأنه يضع الشعر الذى يجمع بين جودة اللفظ والمعنى فى المرتبة الأولى ، وأن هذه الجَوْدة ستكون معيار حكمه

١٩ ـ السابق : ١/٧٦ وما بعدها .
والحنوة بفتح الحاء : نبات سهل طيب الريح ، وقيل هى : الريحانة ، والعرارة : واحدة العرار ، وهو نبت طيب الريح ، وقيل : هو النرجس البرى .
٢٠ ـ الشعر والشعراء : ١/٧٦ .

بالنسبة للقدماء والمحدثين على السواء ، كذلك فإن ابن قتيبة يشير في مقدمته إلى عيوب اللغة والعروض ، والقافية [٢١] وهي معايير يعتمد عليها النقاد اللغويون عادة .

هذه الملامح التي تحرك بها ابن قتيبة عبر كتابه ، قامت على مجموعة من النقاط ارتأى أن يسير عليها عبر صفحات الكتاب ، ويمكن تلخيص أهم هذه النقاط فيما يلي :

١ ـ الحديث عن الشعراء من خلال « بانوراما » تتحدث عن الظروف الخاصة بالشاعر تاريخياً واجتماعياً ، مع بيان قيمة شعره ، ومدى تأثره بمن سبقه ، وكأنه يرى أن الشاعر جزء من بيئته وتاريخه وثقافته والأحداث التي يمر بها ، يقول ابن قتيبة :

هذا كتاب ألفْتُه في الشعراء ، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم ، وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم ، وأسماء آبائهم ، ومن كان يعرف باللقب والكنية منهم ، وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم ، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون ...[٢٢]

٢ ـ اعتماد المشهورين من الشعراء غالباً ، الذين يحتج بشعرهم ، وهم الذين لهم قيمة فنِّية عالية يقول ابن قتيبة : « وكان قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب ، والنحو وفي كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأما من خفي اسمه ، وقلَّ ذكره ، وكَسَد شعْرُه ، وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص ، فما أقل من ذكرت من هذه الطبقة ، إذ كنت لا أعرف منه إلا القليل ، ولا أعرف لذلك القليل أيضاً أخباراً ، وإذ كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمي لك أسماء لا أدل عليها بخبر أو زمان أو نسب أو نَادِرَةٍ ، أو بَيْتٍ يستجاد أو يستغرب .

« والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام ، أكثر من أن يحيط بهم محيط ، أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنفذ عمره في التنقير عنهم ، واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال ..» [٢٣]

وابن قتيبة في هذه النقطة يصدق مع نفسه ومع الناس ، فهو لا يعتمد في كتابه الشعراء المغمورين إلا نادراً ، ويعلل لذلك بأنه لا يعرف عنهم شيئاً ، ولذا فهو ليس بحاجة إلى تعدادهم لأن القارىء ليس بحاجة إلى الأسماء أيضاً ، ثم يبين أن هذا أمر طبيعي بالنسبة له ، لأن عدد الشعراء المعروفين بقول الشعر عند العرب أكثر من أن يحصى ، حتى لو وقف الباحث جهده على الإحصاء وحده .

ويلاحظ أن ابن قتيبة يريد أن يفيد القارىء ، فيحرص على الحديث عن الشاعر الذي يعرف عنه الأخبار ويُرْوَى عنه الأشعار ، فيضيف بذلك إضافة مهمة في مجال تأليفه وتصنيفه ، وتلك سمة العلماء الجادين في كل زمان ومكان .

٣ ـ الشعراء الذين يتناولهم ابن قتيبة من المشهورين بالشعر ، وليس الذين غلبت عليهم شهرة أخرى غيره ، أي بتعبير آخر ، فإن ابن قتيبة لم يتناول إلا الذين كانت صنعتهم الفنية الأولى الشعر ، وعرفوا بها بين الناس ، وهذا

←

٢١ ـ خصص ابن قتيبة جزءاً من المقدمة تحدث فيه عن عيوب الشعر ، مثل الإقواء والإكفاء والسناد والإيطاء والإجازة ثم تناول العيب في الإعراب ، وتحدث عن الوحشي في الكلام والإبدال في لغة بعض العرب ، وأتى بأمثلة على ذلك وناقشها . (الشعر والشعراء : ١/٩٥ ـ ١٠٣) .

٢٢ ـ الشعر والشعراء : ١/٥٩ .

٢٣ ـ السابق : ١/٥٩ ـ ٦٠ .

ابن قتيبه

الأمر يتسق مع النقطة السابقة ،إذ أن الشعراء المشهورين بين أهل الأدب ، لابد أن يكونوا مشهورين بالشعر أكثر من غيره من الفنون ، ويعبر ابن قتيبة عن ذلك قائلا : ولم أعرض فى كتابى هذا لمن كان غلب عليه غير الشعر .. ويرى أنه لو خالف هذه الخطة وسار فى ذكر من لايعرف بالشعر ، لذكر أكثر الناس [٢٤] وهذا يخرج به عما انتهجه فى تأليف الكتاب .

ويلاحظ أن ابن قتيبة بدأ كتابه بشاعرين جاهليين : أولهما « امرؤ القيس » ، وثانيهما « زهير بن أبى سلمى » ، ويأتى بعدهما بـ « كعب بن زهير » (وهو مخضرم) ثم يعود إلى النابغة الذبيانى (وهو جاهلى) ، ويتتابع الشعراء من الجاهلية والإسلام دون ترتيب لطبقة أو اعتبار بقيمة .

كما يلاحظ أنه يتوقف عند المعروفين من الشعراء بشىء من التفصيل يمتد عدة صفحات ، ولكنه يكتفى عند البعض من غير المشهورين بنسبته إلى قبيلته ، ورواية بيت واحد له كما فعل مع أمية بن أبى عائذ حيث يقول عنه : « وهو من شعراء هذيل ، وهو القائل :

يمرّ كجندلة المنجنيـ
ـقِ يُرْمى بها السوُر يوم القتال [٢٥]

أو يورد اسمه ويروى له البيت فقط ، كما فعل مع « صخر الغىّ » حيث يقول عنه : وهو القائل :

إلىّ بدهماء قَلَّ ما أجد
عاودنى من حِبَابها زُؤُدُ [٢٦]

ويرى بعض المعاصرين أنه « يتضح تأثر المؤلف بمن سبقه من العلماء ، خاصة ابن سلام والجاحظ تأثراً واضحاً ، وقد نقل كثيراً من آرائهما دون الإشارة إلى أحد منهما . واختصر القول فى بعض خصائص الشعر الجيد فيما يتعلق بلفظه ومعناه ووزنه وقافيته ، وأقسام الجيد والقبيح مما فتح الباب بعد ذلك لمن بعده من النقاد ليتوسعوا فى هذه الخصائص كـ « ابن طباطبا » و « قدامة بن جعفر » و « أبى هلال العسكرى » .

وتكلم فى الضرورات الشعرية كلاما عابراً تلقفه من بعده كثير من العلماء وألفوا فيه وأبرزهم فى القرن الخامس عبد الله القزاز »[٢٧] .

وأعتقد أن هذه الملاحظات لا تؤثر على الجهد الكبير الذى بذله ابن قتيبة فى كتابه المهم ويكفيه أنه قدم إلينا أكثر من مائتى شاعر بأخبارهم وأشعارهم ، منطلقاً من مفهوم راق للشعر ، ومعتمداً على منهج علمى من أهم سماته : الحياد والعدل والوضوح .

---

٢٤ ـ السابق : ٦٢/١ .

٢٥ ـ السابق : ٦٦٧/٢ .

٢٦ ـ الشعر والشعراء : ٦٦٨/٢ ، والحباب : هو المحابة والموادة والحب ، والزؤد : بضم الزاى وضم الهمزة ، وتسكن أيضاً ، وهو الذعر والفزع ، أما (صخر الغى) ، فهو صخر بن عبد الله الخيثمى الهذلى ، ولقب بصخر الغىّ لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره .

٢٧ ـ تاريخ النقد العربى إلى القرن الرابع الهجرى ، ص ١٢٣ .

● قال محققه مشيراً إلى بعض نسخ مراجعته أن فيها : « وكل شريف خارجياً » ، والخارجى : الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم ، ومنه « الخارجية » وهى خيل لا عرق لها فى الجودة فتخرج سوابق ، وهى مع ذلك جياد . اهـ/٦٣.وما ساقه فى هذا المقام إنما هو تأكيد لمذهبه هذا .

السينما الإسرائيلية

تأليف : الأستاذ شفيق عبد اللطيف
عرض : عاطف شحاته زهران

تمهيد :

يسر التقدم العلمى لصناعة السينما تحقيق آثار أكثر عمقاً على المشاهدين حين تغوص فى أغوار الغريزة ودهاليز النفس . وتضرب فى الأرض من مكان إلى مكان ، وتنتقل عبر حقب عديدة من الزمان ..

وتعرض الواناً شتى من الثقافات . وتستثير بذلك الجوانب العاطفية والخيالية والجمالية فى تكوين الإنسان ، وذلك هو الذى جعلها تؤدى دوراً خلاباً جاذباً . مما جعل أصحاب المذاهب و"الأيدلوجيات" يوظفونها فى خدمة أفكارهم بطرق مباشرة أو غير مباشرة ..

فالمشاهد يسترخى تماماً أمام الشاشة الكبيرة ويسلم عقله وعاطفته ، ولا يلبث أن يخرج بانطباع ما نحو قضية ما . وبطريقة التكرار والتركيز على فكرة بعينها يتكون رأى عام حول الفكرة أو القضية المراد نشرها أو تثبيتها بطريق التأثير التراكمى .

يقول ماكس ليرنر أستاذ الحضارة الأمريكية :

« لم يحدث قط عبر التاريخ أن انبثقت صناعة عالمية العمد كصناعة السينما انبثاقاً مباشراً سافراً من أحلام الناس » (١)

الكتاب : ومن هنا تأتى أهمية هذا الكتاب الذى صدر عن دار المعارف فى سلسلة (اقرأ) فى (١٥٠) صفحة من القطع الصغير ، وضم بين صفحاته موضوعات عديدة منها : البداية ،

←

(١) انظر : عالم بلا حواجز فى الاعلام الدولى ـ محمد فتحى ص ١٣١ .

السينما الاسرائيلية

شعب الله المختار، الصهيونية ومنطق السينما العنصرية، عقدة النازى، عقدة الأرض اليهودية، اليهود السوفييت فى السينما الإسرائيلية، عقدة السامية، صناعة السينما فى (إسرائيل)، الشخصية اليهودية فى السينما الإسرائيلية، اليهودى التائه وضياع التراث، السينما الإسرائيلية .. صناعة وتجارة، رأس المال الصهيونى فى السينما، صناعة السينما بعد يونية ١٩٦٧، وبعد اكتوبر ١٩٧٣ م، السينما الإسرائيلية فى مهرجان (كان)، إسرائيل وسينما الجنس ..

وأظن أن هذه الموضوعات تهم كثيراً من القراء العرب والمسلمين، خصوصاً مع قلة الصفحات المخصصة لكل منها مما يسهل المهمة على القارىء لمطالعتها فى جلسة أو اثنتين.

وسنحاول فى هذه السطور تقديم عرض عما جاء بالكتاب عن السينما الإسرائيلية.

● **الأهداف والتطورات:**

المشاهد للسينما الإسرائيلية قد يفطن للأهداف التى ترمى إليها وقد لا يفطن ولكنه يكوّن رأياً معيناً أو تترسب لديه وجهة نظر فى بعض القضايا التى تهتم بها هذه الصناعة، وفى الصفحات الأولى من الكتاب يضع المؤلف أيدينا على ما تهدف إليه السينما الإسرائيلية:

أ - اجتذاب أموال المشاهدين فى أمريكا وخارجها.

ب - إحلال قضية اليهود فى عقلية المشاهد لفرض وجهة نظر صهيونية حول وضع اليهود فى العالم، والتركيز على أرض الميعاد فى فلسطين مع التقليل من شأن العرب ووصفهم بما يحط من قدرهم بوسائل التضليل غير العاقلة .. ص ٦.

كما أننا سنعلم من الكتاب أن السينما الإسرائيلية مرت بخمس مراحل هى:

الأولى: إحياء مجد اليهود القديم بتصويرهم جنساً فوق كل الأجناس، وأنهم صانعوا التاريخ الحضارى للإنسان. (*)

الثانية: إبراز الجوانب البطولية والأنشطة الخارقة لليهود فى أرض فلسطين، ونزعة أرض الميعاد التى تملأ قلوبهم مع إغفال الجانب العربى كلية.

الثالثة: تُصَوِّر حال اليهود بعد قيام إسرائيل فى فلسطين العربية وتبرز الضعف فى العرب. فإسرائيل واحة متقدمة وسط البلاد العربية المتخلفة!

الرابعة: مرحلة التفوق والمجد والإشادة بدور الجندى الإسرائيلى أسطورة زمانه الذى لا يقهر وتبدأ هذه المرحلة بعد نقطة وقف إطلاق النار بعد حرب يونية ١٩٦٧ مباشرة.

الخامسة: مرحلة الهزيمة بعد (١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ) ٦/١٠/١٩٧٣ م التى دمرت كل شىء بنته إسرائيل فى المراحل المتقدمة، حيث توقفت السينما الإسرائيلية، وهرب تجارها إلى أوروبا وامريكا، ولم يعد أمام السلطة الحاكمة إلا الجنس كمخرج من الصدمة القاتلة ص ١٤٧، ١٤٨ بتصرف.

● **عقدة الأرض اليهودية:**

كانت بدايات السينما الإسرائيلية فى سنة ١٩٥٤ م حيث ظهرت أفلام عديدة تركز فى مجموعها على إبراز البطولة المفتعلة لدى

(*) ينبغى الا ننسى (بيجن) فى زيارته لمصر فقد حاول أن ينسب لجنسه حضارة الأهرام وبناءها.

العصابات اليهودية المقاتلة للعرب الفلسطينيين فى أراضيهم ومدى التفكك العربى .

ويرى المؤلف أن بدايات السينما الإسرائيلية كانت تعكس قلق الإنسان اليهودى وضياعه الأبدى بين رواسب ألمانيا النازية ، ثم طغيانه بسلسلة من الادعاء الكاذب على العرب .

« إن قضية السينما الإسرائيلية منذ بدايتها تتركز فى الإنسان اليهودى القلق الذى دمرت ذاته ضربات النازية المستمرة ، وها هو ذا يلاقى العذاب فى أرض العرب .. كلها تتلاقى فى إطار الضياع الأبدى للشخصية الإسرائيلية . وهو ضياع يتجسد بشكل خطير يوماً بعد يوم .. » صـ ١٣ .

● صورة العربى فى السينما الإسرائيلية :

يعتبر الحط من شأن العرب بكل وسيلة وفى كل مناسبة قاسماً مشتركاً فى أعمال الدعاية اليهودية عموماً فبينما يرى اليهود أنهم شعب الله المختار يضعون غيرهم فى الدرجات الدنيا ، فهم أبناء (إسحاق) وهو من نسل السادة وأمه سارة كانت أميرة فى الأصل ، وأما العرب فهم أبناء (إسماعيل) وهو من العبيد أصلاً وأمه (هاجر) من جنس العبيد ، لذا يجب احتقارهم دائماً .

وحسبنا أن نقدم صورتين من فيلم (الخروج) الذى شجعته الصهيونية العالمية حتى وصل إلى الرأى العام العالمى ، لأنه يحمل قصة اليهود الذين بنوا وعمروا فى أرض فلسطين ، بينما العرب كسالى لا يلقون بالا لقدسية الأرض . !

وورد فى هذا الفيلم الكثير من السباب والشتائم للعرب بلا مبرر ..

ومحاولة طمس الحضارة العربية وتجاهلها .

استمع إلى ذاك الحوار :

« قال جوس : بالنسبة للأتراك يمكنك أن تشترى رضاهم ، أما بالنسبة للعرب فيجب أن تعلم كيف تعيش معهم بسلام ، شىء واحد يفهمه العرب ويعوه ، إنهم يفهمون هكذا !! الضرب .. القوة .. » ص ٢١ ، وذلك لا يكفى . فالفيلم يستنطق شخصاً عربياً ليعترف بوضاعته ، وذلك فى حوار يدور بين شاب عربى (طه) وآخر يهودى (آرى) :

قال آرى : رجاء مساعدتى .

قال طه : إننى عربى !

ـــ ولكنك إنسان تعرف الفرق بين الخير والشر .

ـــ لا .. أنا عربى قذر ، يجب أن تعرف هذا .. صـ ٢٢ .

فماذا ننتظر من الرأى العام العالمى الذى وقع فريسة هذه الدعاية السوداء فترسبت لديه تلك الصورة المشوهة للعربى ؟

صحيح أن هذه الحملات الدعائية المغرضة قد لا تنطلى على البعض ، ولكن المؤكد أن كثيرين خدعوا بها ووقعوا فى أسرها .

وقد أنتجت إسرائيل فيلماً يدور حول العمليات الفدائية الفلسطينية فى الأراضى العربية المحتلة هو فيلم « الأحد الدامى » ملأته كذباً وتضليلاً .

حتى قال عنه المعلق السينمائى (شارل) ، (شارل ميشتر) :

« إن هذا الفيلم الذى تنتجه الصهيونية لن يقول كلمة صادقة للرأى العام عن العرب ، وأن اليد الصهيونية تعمل لتشويه الحق العربى ولتشويه الثوار العرب (الفدائيين) على أنهم قتلة يهددون الأمن .. » صـ ٦٤ .

وقليل ما هُمْ أولئك الذين يصرحون بهذه الآراء . وكثير ما هُمْ الذين يُخدعون بذلك التزييف ولن نصلح ذلك إلا بالجهد والعمل المخطط والمدروس .

● تشويه صورة الأنبياء :

لم يقتصر الأمر على الحط من شأن العربى

←

السينما الاسرائيلية

وتشويه صورته فى السينما الإسرائيلية بل تعداه إلى تشويه صورة انبياء الله عليهم صلوات الله وتسليماته . فالغاية تبرر الوسيلة ولا ترى إسرائيل كرامة أولى بالصيانة من كرامتها وكرامة شعبها ، وما بعد ذلك فأمر يهون لا حساب له .

وسنقف مع صورتين ظهرتا فى السينما الإسرائيلية ضمن صور عديدة لنبرهن على ذلك :

أ ـ إسماعيل عليه السلام : الذى ولد من أم مصرية . بينما ولد إسحاق عليه السلام من أم يهودية ، فاستحق أن يتفاضل على إسماعيل بذلك ، ولكنهم يصورون إسماعيل ضائقاً بتلك المسألة ، متمنياً لو كان اخاً لإسحاق من أمه .

ففى فيلم « البداية » يدور ذلك الحوار بين إسماعيل واحد اليهود .

يقول إسماعيل : لماذا تسخرون منى ؟

ــ الا تعرف يا إسماعيل أنك ابن أمة ، إنك أشبه بالمخلوقات التى تعمل فى الطحين مع البهائم ، أنت تحمل وزر أمك !!

ــ كيف ؟ لأن أبى ..

ــ الأبناء يشربون الحصرم دائماً ، لو كنت ابناً لسارة يا إسماعيل لاختلف الأمر عليك ، أنت لم تكن من سلالة الدم الأزرق .. !

ويبكى إسماعيل ويركع ساجداً ثم يصيح فى الوجود :

يا إلاهى لماذا لم تخلقنى من ظهر سارة ؟ كيف تركتنى هكذا .. ماذا جنيت ؟! ص ١٨ ، ١٩ ..

كذا نعوذ بالله ، ونصلى ونسلم على أنبيائه الكرام صفوة خلقه المختارين الأطهار .

ب ـ صورة المسيح عليه السلام :

لم تخمد جذوة العداء والصراع الصهيونى مع السامية ، فإذا اليهود يظهرون المسيح بصورة تتنافى مع ما للأنبياء من توقير وإجلال وعصمة . محاولين تبرئة يهوذا الاسخريوطى من أسطورة الدم فى العقيدة النصرانية فظهرت مسرحية مشهورة هى (المسيح .. النجم الأعظم) عرضت لمدة عام فى لندن على مسرح (البالاس) ، كما عرضت (سينمائياً) فى دار سينما تبعد بضعة أمتار عن المسرح المذكور ، وتشير قصة المسرحية إلى أن يهوذا كان مساقاً بقوى غيبية ، ولم يدر كيف فعل فعلته الشنعاء .

« .... إلى جانب إبراز شخصية المسيح فى بداية القصة فى صورة إنسان يرقص ويغنى ويتمايل هنا وهناك لإضحاك المشاهدين .. » ص ٥١ .

● سينما ما بعد يونية ٦٧ :

استغلت إسرائيل انتصارها فى سنة ٦٧ أنجح استغلال ؛ فحاولت عن طريق السينما إفهام الرأى العام العالمى بانها قوة لا تقهر مركزة على ما تسميه المعجزات التى حققها الجندى الإسرائيلى فى تلك المعركة ، مستغلة عنصر السينما كسلاح بالغ الإغراء ، والتفوق لغرس ما يسمى بعظمة إسرائيل وقوتها الخارقة فى المشاهد ، ولتاكيد ذلك انتجت اكثر من مائتى فيلم سخرت لها الخبرة الأجنبية من إنتاج وإخراج وتمثيل ، حيث جذبت الوجوه العالمية من السينمائيين اليهود الذين يتسمون بالميول الصهيونية العنصرية .. وهذه الأفلام حملت الكثير من المغالطات والأكاذيب التى توجه للرأى العام الإسرائيلى والعالمى عن ذلك الجندى الذى لا يقهر والذى حقق المعجزات الخارقة » ص ٩٧ .

وتعتمد السينما الإسرائيلية فى تمويلها على موارد مالية وفنية من خارجها ، ويساعد هذا التمويل الخارجى فى توظيف المخرجين العالميين والنجوم المشهورين لإيصال وجهة نظر إسرائيل

لأوسع قاعدة من الرأى العام فى أى مكان .

إن أكثر من ٧٥٪ من هذه الأفلام تمولها الصهيونية العالمية فـ « إلى جانب ما تنتجه إسرائيل من أفلام[٢] يدخلها ما بين ٢٥٠ ـ ٢٨٠ فيلماً سنوياً غالبيتها من إنتاج هوليود ، وكلها تخدم الأغراض الصهيونية وأهدافها فى تشكيل عقول الرأى العام العالمى وفق ما تريد وما تشتهى » ص ٩٢ .. « فبعد حرب يونية وجدت السينما الإسرائيلية طرائقها بالأسلوب المفتعل متأبطة ذراع السينما الأمريكية فى إنتاج مشترك . حتى أن كمية الأفلام التى أنتجت داخل إسرائيل وخارجها منذ ٦٧ حتى ٧٣ تفوق أى إنتاج فى العالم من حيث كمية الأفلام » ص ١٣٠ .

● **تعقيبات :**

اجتهد المؤلف ليقدم لنا من خلال هذه الدراسة صورة قريبة واضحة عن السينما الإسرائيلية كقناة من قنوات عديدة تعبر من خلالها الدعاية الصهيونية إلى العالم كله ، ولقد كشف الكتاب عن بعض ما تقرره معامل الإنتاج السينمائى من أفلام ، وهو حتماً ليس فى صالحنا ، وبانتشار هذه الأفلام عالمياً نعتقد أنها أدت دورها ونشرت فكرها المعادى للعرب وللمسلمين وللسامية .(*) ولا يهم أن يتنافى ذلك مع الحق الثابت والتاريخ والواقع . فمن ذا يقول ذلك أو يثبته ومتى ؟

والمؤلف قد نجح فى وضع أيدينا على الداء من خلال دراسته الشاملة والمؤلمة فإنها قدمت شيئاً نحتاجه بطريقة ميسرة ، ولأنها قدمت بين صفحاتها مشاهد من بعض الأفلام تدعيماً للأفكار التى تتناولها ، ولأنها كشفت لنا بعض الحقائق التى ينبغى أن نتجرع مرارتها . وليت هذه المرارة تدفعنا إلى جهد جاد لمواجهتها .

ولنا بعض ملاحظات نود أن يتسع لها صدر المؤلف ، بل الجندى الكريم الذى سد لنا هذه الثغرة بدراسته ، منها :

أ ـ هذا التكرار .. الذى وقع بالرغم من صغر حجم الدراسة .

فنرى أن صفحتى (٧٠ ، ٧١) قد تكرر ما فيها من معلومات ص (٩٠ ، ٩١) ، كما أننا سنقرأ موضوعين منفصلين عن السينما الإسرائيلية فى مهرجان (كان) وفضائحها أولهما ص ١٠١ ، والثانى ص ١١٦ . وكان من الأولى سياقهما معاً لتتم وحدة الموضوع ، ولعل لسيادته عذراً فى هذا التكرار الذى حدث فى أكثر من موضوع .

ب ـ من وجهة نظرى كان الترتيب التاريخي ضرورياً فى معالجة بعض الأحداث ، هذا الترتيب الذى فقدناه ، وبخاصة فى موضوعى « سينما ما بعد أكتوبر ١٩٧٣ » ، ص ٩٧ و« سينما ما بعد يونية ١٩٦٧ » فالكاتب الفاضل أخر وقدم ثم عاد ص ١١٢ ليحدثنا عن « سينما أكتوبر » .

وتلك ملاحظات لا تحط من قيمة الكتاب فإن مادته فى حاجة إلى الاستشهاد بين أمر وآخر والكمال لله وحده ، والعصمة لرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(٢) تنتج إسرائيل مابين ١٦٠ ـ ١٨٠ فيلماً سنوياً بين روائى وتسجيلي ودعائى .

(*) ينبغى أن نضيف ـ إلى ذلك ـ رضا الغرب بـ « دناءاته » عن هذا الموقف لما يكنّ من حقد على الإسلام والمسلمين ، والسينما الإسرائيلية هنا تقدم له مُشْتَهاهُ ، وعلى حسابها هى مما يرضيه عنها كل الرضا .. ويرحم الله أقوامنا ..... مجلة الأزهر ..

من خير ما نشر

توجيه أجهزة الإعلام

قال الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي : إنني لا أجد سبباً واحداً يمنعنا من العمل على تطويع أجهزتنا لخدمة عقيدتنا وللانتصار لشرع الله ، وكما برع الخصوم في استخدام تلك الأجهزة لعرض أفكارهم وبث سمومهم على الناس ، فإنه ينبغي لنا ونحن أهل الحق الإلهي أن نزاحم في هذا ولكن ببث الحق والصدق انتصاراً لدين الله عز وجل .

عـــن

(الاتحاد) الإماراتية

● من كلمة للدكتور أسامة الباز:

قال:

إنه على قناعة مؤكدة بأن الإسلام جزء رئيسي من تراثنا التاريخي ، وإنه حركة يتردد صداها في أرجاء العالم ، وأننا نعيش صحوة إسلامية كما أن الإسلام أشمل من القومية العربية .

وأضاف الدكتور الباز في نفس التصريحات أن الأقطار العربية قد استقرت على هوية خاصة نابعة من التراث ومتفاعلة مع ميراث الحضارة الإنسانية بدلاً من الانبهار بالثقافة الغربية واستيراد (أيديولوجيات) خارجية .

وراء الأحداث

للأستاذ : يوسف خاطر

إن ما حدث في السنغال وموريتانيا من مذابح أمر يؤسف له ويدعو إلى الحسرة . فمن المعروف أن شعبي البلدين تربطهما علاقات حسن الجوار ، ولكن يبدو أن هناك قوى عنصرية وأجنبية تريد النيل من العلاقات المتينة التي تربط الشعبين المسلمين الموريتاني والسنغالي .

وإزاء هذا التطور الخطير بين البلدين المسلمين لابد أن يكون هناك تحرك عربي سريع وحاسم ـ لوقف نزيف الدم ـ بالإضافة إلى المحاولات الإيجابية التي تبذل من جانب حكومتي (نواكشوط) و (داكار) والتي تتمثل في سرعة إعادة الموريتانيين والسنغاليين إلى بلادهم .

وكذلك التأكيد على الروابط العربية الافريقية الضاربة في عمق التاريخ وخاصة أن الدول العربية ساهمت ولا تزال في دعم التنمية في أفريقيا وأن هناك دولاً عربية كبرى تعتز بانتمائها لافريقيا .. ولابد أيضاً من اليقظة للمخططات الأجنبية ضد الوجود العربي في افريقيا .

عـــن

(الاتحاد) الإمارتية

إعداد: د. أحمد عبد الرحيم السايح
عادل رفاعي خفاجة

● الأستاذ حسن مناع ..

الأمة والإعلام الاسلامى

عن « الوعى الإسلامى »

كان الإعلام وما زال ضرورة إنسانية ملحة وخاصة فى عصر التقدم التقنى المتطور . وإذا كان الإعلام امراً مستحدثاً بالنسبة لكثير من الأمم فهو بالنسبة للأمة الإسلامية قديم العهد ، وثيق الصلة . فالإسلام دين الإنسانية كافة ودعوته غير محصورة فى ارض أو جنس او لون بل هو للناس فى كل زمان ومكان .

قال تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

إن طرق مواجهة الغزو الفكرى إعلامياً متاحة للمسلمين فى كل مصر وكل عصر . غير أن نجاحها يحتاج إلى صدق النوايا وصحة العزائم وسلامة التنفيذ . وكم نادى بها المخلصون فى مؤتمرات تعقد تباعاً . وفى الجلسات الختامية تصدر قرارات لا تحظى بالتنفيذ . الأمر الذى جعل الإعلام الداخلى محبوسا فى قوالب جامدة لا يقوى معها على التطور والحركة . واصبحت قنواته لا تقدر على تحصين الشباب وصيانته من الأوبئة الوافدة . ولا تنهض على حماية العقيدة والتقاليد الأصيلة للأمة .

وإعلامنا الإسلامى فى الخارج يحتاج إلى تخطيط أمين يرد السهام المسمومة إلى نحور أربابها عبر مراكز إسلامية ، ووكالات انباء متخصصة وأجهزة قادرة على المحاورة العلمية ، تلتزم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال الهادف دون ثورة أو انفعال . حتى لا يجد الإعلام المنحرف مجالاً لنشر الضلالات ، وتشتيت الأمة فكراً وولاء وحتى لا تتاح له فرصة استعداء بعض الأنظمة .

ومن هنا تتحدد مسئولية القيادة الفكرية ، والمراكز الثقافية فى دعم الكلمة المكتوبة والمسموعة والمرئية .

* * *

اعلن الأسقف الكاثوليكى « إيميت ولكنسن » فى « منروفيا » عاصمة « ليبريا » فى افتتاح « مؤتمر شباب جمعية الكتاب المقدس » :

ان قراءته للكتاب المقدس لا تجعله يعتقد أن المسيح إله ، وإنما هو إنسان بمعنى الكلمة .

وجاء فى قرارات المؤتمر أنه :

● لم ينسب المسيح إلى نفسه الالوهية ـ فلم يوجد ـ مطلقا ـ فى اقواله الثابته ما يشير إلى أن صلته الشعورية بالله تعالى هى صلة تداخل فى الذات الإلهية ... إنما هى صلة إنسان بربه .

عن « الرابطة الإسلامية »

سبق فى دراسة بروتستنتية لسبعة من اقطاب اللاهوت فى انجلترا أن فعلت الشىء نفسه وقدمته فى كتاب بعنوان :

أسطورة الاله المتجسد

« The myth of God incarnate » نشرت مجلة الأزهر دراسة مفصلة لهذا الكتاب بعددها الخامس عام ١٤٠٦ .

السوفييت والاتجاه السلفى

خلال الندوة التى نظمتها كلية الاقتصاد

من خير ما نشر

والعلوم السياسية أعلن الدكتور صلاح بسيوني سفير مصر لدى الاتحاد السوفيتي : أن من أخطر الأمور التى تقلق القادة السوفيت نمو النزعات السلفية والدينية بالمشرق العربى ولا يكاد يخلو أى لقاء بين القادة السوفييت والقادة العرب إلا ويؤكد السوفييت للقادة العرب أهمية عدم السماح لنمو مثل هذه الاتجاهات الإسلامية وضرورة القضاء عليها .

وأضاف السيد السفير : أن أكثر مايقلق القادة السوفييت أيضا فى الوقت الحالى الصحوة الإسلامية التى تجتاح الجمهوريات السوفيتية الإسلامية وخاصة فى جمهورية أذربيجان .

● التعامل العربى موضوع مصيرى

فى مقدمة أولويات القضايا .

ركزت مصادر دبلوماسية واسعة الاطلاع على التحذير الذى أطلقه وزير الإعلام الشيخ جابر مبارك الحمد الصباح بشأن المأزق الحقيقى الذى ستقع فيه الأمة العربية فى عام ١٩٩٢ .

فهذا العام هو الموعد المحدد لتكامل الوحدة الاقتصادية والسياسية الأوروبية .

ولاحظت هذه المصادر بكثير من الأهمية النقطة التى أكد فيها أن الدول العربية إذا بقيت على الحال الذى هى عليه الآن ستكون أكبر سوق مربح اقتصاديا لأوروبا . بالإضافة إلى كونها ميدانا رهيبا لسياساتها .

وسيكون تعامل أى دولة عربية مع هذا التجمع القوى من موقع ضعيف .

وأيدت المصادر بشدة دعوة الوزير لجعل هذا الموضوع على سلم الأولويات ، لأنه لايقل أهمية عن القضايا العربية المصيرية الخطيرة .

عن « السياسة الكويتية »

من روائع الماضى بمجلة الأزهر - بقية

الإسلام . وكل ذلك وما يؤدى إليه من وسائل مما يأباه الدين وتحرمه الشريعة وتراه حرباً على جماعة المسلمين . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ . وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

فعلى المسلمين جميعاً أن يتنبهوا لما يصطنعه الأعداء من صور التعامل والتعليم والتنظيم والتمريض والمعالجة وغير ذلك مما يخفون وراءه مقاصدهم السيئة ضد الإسلام والمسلمين .

وإذا كان الإسلام قد نبه المسلمين إلى وجوب اليقظة والحيطة خوف الوقوع فى حبائل الشر التى يصطنعها لهم أعداؤهم ، فإنه لم يفته أن ينبههم إلى وجوب الوفاء بالعهود التى يراد بها الخير وإسعاد الإنسان ، وإلى مسالمة من لا يريدون للمسلمين شراً ولا أذى ومن يقفون منهم موقف السلم والحياد . قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ . وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

فهاتان الآيتان تعتبران دستوراً إسلامياً يرجع إليه فى معرفة ما يحل وما لا يحل من وجوه العلاقات التى تكون بينهم وبين غيرهم من المخالفين لهم فى الدين . والله أعلم .

أنباء وآراء

تقديم : عبد المنعم فودة
صفوت عبد الجواد

مؤتمر الدار البيضاء يعلن قراراته التاريخية

بدعوة من الملك الحسن الثانى انعقد مؤتمر القمة العربى الاستثنائى فى الفترة ١٧ - ٢٠ من شوال ١٤٠٩هـ الموافق ٢٣ - ٢٦ من مايو ١٩٨٩ م وكان من أهم قراراته :

الترحيب بعودة مصر للجامعة العربية . دعم الانتفاضة الفلسطينية . بارك المؤتمر قيام الدولة الفلسطينية المستقلة . العزم على تقديم كل مقومات العون والدعم والمساندة لها - رفض الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية الفلسطينية والعربية المحتلة . الالتزام بوحدة لبنان . الدعوة لاستئناف المفاوضات بين إيران والعراق . تعزيز التضامن العربى المشترك ودعم وحدة الصف العربى لما فيه خير الأمة العربية ونبذ الخلافات . ضرورة التزام وسائل الإعلام العربية بالمقاييس الأخلاقية ، والابتعاد عن المهاترات وتأجج الخلافات . تأييد عقد المؤتمر الدولى للسلام فى الشرق الأوسط .

استنكار الإرهاب بجميع أنواعه وأشكاله . التمسك بمبادىء الحق والعدل والشرعية الدولية فى سبيل الدفاع عن المصالح الوطنية وتحقيق الأهداف النبيلة .

•••

الأزهر ودار الإفتاء يستنكران حادث اغتيال مفتى لبنان :

استنكر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق وعلماء الأزهر وطلابه وهيئاته ، اغتيال سماحة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان كما استنكر الحادث فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية .

•••

جمعية للدراسات القرآنية فى الأمم المتحدة

● أنشئت لأول مرة جمعية للدراسات القرآنية لتلاوة وتفسير القرآن الكريم داخل مقر الأمم المتحدة فى (فينا) .

وقد بدات انشطة الجمعية بتقديم محاضرات وندوات دينية مساء كل خميس بتلاوة وتفسير

←

أنباء وآراء

القرآن الكريم يلقيها بعض العلماء المسلمين باللغتين العربية والانجليزية .

كما تقام صلاة الجمعة بنفس المبنى وتلقى خطبة الجمعة باللغتين الانجليزية والعربية .

● ● ●

أعلنت وزارة الدفاع الهولاندية استعدادها لتقديم خدمات خاصة لجنودها المسلمين ، وذلك بأن يسرت لهم إقامة صلواتهم اثناء ساعات العمل .

تقول إحصائية رسمية : إن عدد الجنود المسلمين بالجيش الهولاندى سيصل إلى نحو خمسة آلاف جندى قريبا .

بعض هؤلاء الجنود يحمل رتبة عسكرية عليا لم تتكرر فى العالم لأكثر من مرة .

كانت أندونيسيا ـ الدولة المسلمة ـ صاحبة الفضل الذى يسره الله تعالى ـ لأولئك الهولانديين فانخرطوا به فى الإسلام ..

● ● ●

قريبا سوق إسلامية مشتركة

● أصبح من المؤكد أن يتم الاتفاق بشكل نهائى على إقامة سوق إسلامية مشتركة لمواجهة المنافسة التجارية للدول الصناعية .

وكان ٣٧ .. سبع وثلاثون دولة إسلامية قد دعت إلى إقامة هذه السوق خلال مؤتمر عقدته الوفود التجارية لتلك الدول فى (أبو ظبى) وشددوا على الانتهاء من الصياغة النهائية لهذه السوق لمقاومة الضغوط الاقتصادية العالمية والضغوط الاقتصادية من الدول الكبرى .

أوضحت إحصائية صدرت حديثاً عن المساجد في قارة آسيا انه يوجد بالصين ٢٣ الف مسجد تنتشر في مختلف الولايات الصينية ، وذكرت الإحصائية أن مسلمي الصين يبلغون الآن (١٦) مليون مسلم في حين أن عدد سكان الصين يزيد على الف مليون نسمة وأن المسلمين بها موزعون في عشر ولايات صينية .

● ● ●

انشأ المركز الإسلامي في ميونيخ مدرسة لحماية ابناء المسلمين من حملات التغريب التي يتعرضون لها في المدارس الألمانية الأخرى .

أطلق على المدرسة اسم « المدرسة الإسلامية الألمانية ».

وفي هذه المدرسة يجمع التلاميذ بين المنهجين الألماني والعربي والتربية الإسلامية .

وقد اعترفت الحكومة الألمانية بالمدرسة وبشهاداتها مما يسمح للتلميذ باستكمال دراسته في المدارس الثانوية الألمانية .

● ● ●

● قررت حكومة تونس منع السائحين والسائحات من التجول فى شوارع الجمهورية عامة بملابس البحر أو ما يماثلها مراعاة لتقاليد البلاد الإسلامية .

● ● ●

تقرر إنشاء معهد إسلامي في مدينة مومباسا بكينيا يقوم بتخريج الدعاة الكينيين لنشر الوعي الإسلامي بين المسلمين في كينيا .

وسيتم إنشاء المعهد بتبرعات الهيئة العالمية للإغاثة والدعوة الإسلامية بمبلغ ١٥٠٠ الف دولار .

لحم الخنزير يؤدى إلى تليف الكبد

اكتشف كبار علماء الجهاز الهضمي في مؤتمرهم المنعقد خلال شهر مايو ١٩٨٩م في كندا ، أن لحم الخنزير يسبب مرضاً قاتلاً هو تليف الكبد وأن الحالات التي فحصت والتي كان فيها استهلاك لحم الخنزير مرتبط باستهلاك الكحول كانت نتائج التلازم فيها مذهلة .

وكم من معجزة للإسلام اغنت عن كشف وَأَثَرَتْ بإيمان .

●●●

قررت المنظمات الثماني الإسلامية التي تسعى للحصول على استقلالها في ارتيريا توحيد نشاطها تحت مظلة تنظيم موحد ، وقد وجدت هذه الفكرة ترحيباً كبيراً من المسلمين في ارتيريا .

●●●

الخمور تقتل ٢٠٠٠ شخص يوميا فى أمريكا

● ذكرت إحصائية امريكية رسمية ان (٢١٢٩) شخصاً يلقون مصرعهم فى انحاء الولايات المتحدة بسبب (٦٣٢٨٨)حادث تصادم سيارة يحدث يومياً ،وذلك نتيجة الإسراف فى شرب الخمور وتعاطى المخدرات .

وأضافت الإحصائية: أن الخمور والمخدرات هى المسئول الأول عن هذه الحوادث حيث بلغ متوسط استهلاك زجاجات الخمر فى الولايات المتحدة نحو ٩٠ مليون زجاجة يوميا .. وتبين هذه الإحصائية أن أكثر من نصف الشعب الأمريكى يكون مخمورا ساعات طويلة على مدى ساعات اليوم .

●●●

أوضحت نشرة خاصة صدرت في روما أن أكثر من عشرة آلاف إيطالي اعتنقوا الإسلام في السنوات القليلة الماضية .

وأوضحت النشرة أن عدد المسلمين في إيطاليا يتراوح بين ٢٠٠ و ٥٠٠ الف مسلم .

●●●

ابنة جوليوس نيريرى تعتنق الإسلام

ذكرت مجلة فانكوفر الكندية أن ابنة الرئيس التانزاني السابق جوليوس نيريرى قد اعتنقت الدين الإسلامي بعد أن ترددت كثيراً على أحد المراكز الإسلامية خلال دراستها في إحدى الجامعات الكندية .

والمعروف أن جوليوس نيريرى هو أحد التنزانيين الذين تم تنصيرهم على أيدي الإرساليات التنصيرية منذ نعومة أظافره حتى شب قسا شديد التعصب ، ثم تولى رئاسة الحكم في تنزانيا .

ويقول الخبر : إنه بإسلام ابنة جوليوس نيريرى يكون جميع أبنائه قد دخلوا في دين الإسلام الذي كرس نفسه لمحاربته .

●●●

فى سريلانكا :

حملة حكومية منظمة لإهانة الإسلام .. والمسلمين

● يتعرض المسلمون فى سريلانكا حاليا لحملة حكومية منظمة تستهدف الدين الإسلامى يقودها وزير الثقافة فى سريلانكا ويدعى (جياديرا كوليايندر) والقصة تتلخص فى أن هذا الوزير يرغب فى إعادة احترام التلاميذ لمدرسيهم عن طريق السجود لهم عند دخول الفصل ويطبق هذا الكلام بالنسبة لجميع التلاميذ من مختلف الأديان .

والأمر لا يثير مشكلة بالنسبة للأغلبية السينهالية التى تدين بالبوذية حيث يعد ذلك نوعا من الاحترام للأكبر سنا فى عقائدهم . اما

أنباء وآراء

عند المسلمين فهو أمر يخالف العقيدة التى تحظر السجود إلا لله تعالى .

والغريب أن هذا الوزير أدخل ابنه مدرسة خاصة ذات نظم تعليمية غربية لا تتبع هذا التقليد مما يؤكد أن القانون موجه أساسا لإهانة المسلمين والحط من ديانتهم ، وتبذل الأقلية المسلمة جهوداً هائلة لمنع تطبيق هذا القانون على المسلمين،وقررت الأسر الإسلامية عدم إرسال أبنائها إلى المدارس الحكومية لحين التوصل إلى قرار فى هذا الشأن .

• • •

ضم ستة معاهد ازهرية جديدة ببنى سويف إلى الازهر

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على ضم ستة معاهد جديدة بمحافظة بنى سويف إلى ادارة المعاهد الأزهرية وهذه المعاهد هى :

معهد الشقر الابتدائى
معهد اطواب الابتدائى
معهد قمن العروسى الابتدائى
معهد اشمنت ابتدائى وإعدادى وثانوى
معهد أبوصير الابتدائى
معهد ياها الابتدائى
ومعهد قاى الابتدائى

صرح بذلك فضيلة الشيخ أبو المجد محمد رضوان مدير عام منطقة بنى سويف الأزهرية ..

• • •

انتهى مجلس الشورى للمجاهدين الأفغان بانتخاب السيد / صبغة الله مجددى . رئيساً للدولة .

والسيد /عبد رب الرسول سياف . رئيساً لمجلس الوزراء .

وكلا الزعيمين من قادة منظمات الجهاد التي أبلت بلاء حسنا في طرد الاتحاد السوفيتي من الأفغان خلال شهر فبراير الماضي .

هذا وقد اعترفت المملكة العربية السعودية في بيان صدر من الخارجية السعودية في ٩ مارس ١٩٨٩م بالحكومة الأفغانية الجديدة .

صدر بيان من شباب النمسا بالتضامن مع مجاهدي أفغانستان، وجمع التبرعات لنصرة الشعب الأفغاني .

• • •

أعلن جمال مهجيو جلو الأستاذ في كلية العلوم السياسية بأنقرة أن حكام الاقاليم التركية ومساعديهم سيصبحون خلال العشر سنوات القادمة من أصحاب الاتجاه الإسلامي في دولة تريد الانضمام للمجموعة الاقتصادية الأوروبية في عام ١٩٩٢ م .

وأوضح جمال مهجيو جلو أن ٤٠ ٪ من الطلبة المسجلين عام ١٩٨٧ م في قسم الإدارة العامة بكلية العلوم السياسية متخرجون من مدارس إسلامية مما يعنى تغيراً كبيراً على مسرح الحياة السياسية في تركيا خلال الأعوام القادمة .

والمعروف أن المدارس الإسلامية في تركيا يبلغ عددها ٣٨٤ مدرسة في العام الماضي، ومسجل بها ٢٩٠ الف طالب .

مجلة الأزهر : نسأل الله ـ سبحانه ـ تحقيق ذلك وصيانة هذه البراعم مما يراد لها ؛ فإن هذه الأخبار وأمثالها تعطى مؤشراً لكل عدو من أعداء الإسلام .

فهرس العدد

- الافتتاحيــة
  - د . على أحمد الخطيب ١٢٠١
- نص كلمة رئيس الجمهورية بالمسجد الاحمدى ١٢٠٧
- اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الازهر ١٢١٣
- التفسير «امراض القلوب» ١٢١٦
- العبادات واثرها فى السلوك
  - للشيخ محمد حافظ سليمان ١٢١٩
- فى رياض السنة المطهرة «المسلم السوى والتجافى عن المنكرات»
  - د . رءوف شلبى ١٢٢٦
- صفحات مطوية من تاريخ الازهر
  - د . مجاهد توفيق الجندى ١٢٣٣
- رسل الازهر فى بلاد النيجر
  - للسفير جمال الدين ابو العيون ١٢٤٠
- إنشاء الاسطول الإسلامى لاول مرة فى التاريخ
  - لواء ا . ح محمد جمال الدين محفوظ ١٢٤٣
- الفتــاوى
  - عبدالحميد السيد شاهين ١٢٥٠

أعـلام الأزهـر

- الشيخ حسن خالد
  - بقلم : جابر حمزة فراج ١٢٥٤
- الاستاذ الدكتور محمد انيس عبادة
  - للاستاذ ناصر محمود وهدان ١٢٥٧

الشعر والشعراء
اشراف د . حسن جاد

- دمية الشيطان
  - رشاد محمد يوسف ١٢٦٤
- انشــودة المســلم
  - مصطفى احمد دردير ١٢٦٦
- انـــا مصـــر
  - وفيقة عواد سلامة ٢٦٧
- قصة الثقوب فى العلوم الكونية
  - ا.د احمد فؤاد باشا ٦٨
- طرائـــف ومواقـــف
  - للاستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٢٧٢
- من روائع الماضى لمجلة الازهر «حرمة الحج»
  - للاستاذ عبدالفتاح حسين الزيات ....

اللغـة والأدب والنقـد

- من صور الحذف البليغ «الاحتباك»
  - د . عبدالحميد محمد العيسوى ٧٨
- ابن قتيبة وكتابه الشعر والشعراء
  - د . حلمى محمد القاعود ٨٤
- الســينما الإســرائيلية
  - تاليف : شفيق عبداللطيف
  - عرض : عاطف شحاتة زهران ٨٩
- مــن خيــر مــا نشــر
  - د . أحمد عبدالرحيم السايح
  - عادل رفاعى خفاجة ٩٤
- انبــاء واراء
  - عبدالمنعم فودة
  - صفوت عبدالجواد ٩٧

القسم الانجليزى
اشراف د . أنس النجار

- المقالــة الثانيــة
  - د . توفيق شاهين ٦
- المقالــة الاولــى
  - د . أنس النجار ١٠

well as the laws of the religion and do that based on the original sources: The Quran, the Sunnah, and other responsible reliable Islamic origins. That would provide him with a clear picture of Islam, its laws, objectives, etc. If he understands it well, then he can communicate it to the people. This requires having special, well-planned programs and institutions to prepare the preacher from his early stages of development. He would thus be able to contribute to the course of Da'wa. However, he should always remember that no matter how knowledgeable he may be, he should never stop seeking a better understanding.

For the preacher, to be effective in delivering his message to is listeners, his knowledge should not be one of limited scope, rather it should be wide, varied and deep at the same time. At all times, he should remember that no matter how well he understands what his teacher explained, his teacher will still have a more global view of the issues, a deeper more concrete understanding by virtue of his experience. The Holy Quran provides the most fundamental methodology of Da'wa.

> "Invite all to the Way of Allah with wisdom and beautiful preaching. And argue with them in ways that are best and most gracious. For Allah knoweth best who has strayed from His path. And those who accept guidance. (Surat Al-Nahl, XVI, 125)

The individual undertaking the responsiiblity of Da'wa is first and foremost a human being. Being a preacher does not change that human nature. The Prophet himself the model for Da'wa, declared he was a mere mortal, a human being undertaking to deliver a Message from Allah, honestly, accurately and sincerely. Even though, he was human, he cleansed himself from all personal ambitions, aspirations and inclinations or longing for life's temptations. He thus excelled as a human being by controlling his human desires.

Undertaking Da'wa does not by itself make the preacher a better person. What makes a person better suited for Da'wa is his abundance of patience, true belief, sacrifice and persistence. He does not have nor is he expected to have super human qualities to foretell the future, forgive sins, control people's livelihood, etc... If a preacher behaves as though he possesses those powers then his Da'wa is false and so is he. The best we could do as humans is to control our desires and instincts and not fall for life's temptations. The advancement we achieve this way is internal and we are rewarded for it as humans.

The preacher should literally live his Da'wa since he will be viewed as an example or model of what he is preaching. He has to have tremendous inner strength to control his behaviour, beliefs and actions so he can be an accurate reflection of the message. The preacher takes it upon himself to stand in support of sincere believers and not be on the side of those fighting against the call to Islam, following thier own desires and closing their ears and hearts to the message of Allah.

The preacher's approach should be one of befriending the sincere believers, forgiving their minor insensitivities. A preacher who follows that route strengthens his beliefs and ensures that he does not end up forcing his message on someone but rather have them embrace it willingly.

The responsibility of Da'wa is not an easy one to undertake. Da'wa path is full of obstacles and requires endurance, persistence and patience. The caller to Islam is expected to persevere and stand fast in the face of difficulties. His belief in the truth of his message and its strength should be his source of patience and persistence. Knowing that he depends on Allah, should provide him with an inner strength irrespective of the materialistic means.

The preacher must have a depth of understanding of the teachings of Islam. He should fully comprehend the spirit as

Anyone who undertakes Da'wa must confront evil with good. The Message of Islam includes rules to improve and refine human behaviour; so if it is rejected or reviled, the preacher must remain benevolent and considerate. He must confront evil with kindness because Islam does not repel evil with evil, stubornness with recalcitrance or falsification with fallacy. The discussion must always remain courteous and the dialogue rational.

The preacher must not get tired to repeat his call to the truth. He must emphasize the fact that Allah forgives sins and overlooks the past, and he must warn of the terrible consequences of a continual rejection of the truth. By giving hope to people that they will be forgiven, by giving them confidence in Allah's mercy, the preacher can soften the most cruel hearts and encourage the most desperate.

The objective of Da'wa is to bring guidance to the whole of mankind, that is why the preacher should not get angry whatever obstacles he may encounter. Da'wa is for everybody, not only for the believers. Islam worries about all people, about the integrity of society as a whole and about the security, prosperity and happiness of all mankind.

Muhammad ibn Abdullah, the last Messenger of Allah, spent his entire life inviting people to the Truth, i.e. the Deen of Allah. His method was simple. It consisted of presenting cogent arguments with compassion and wisdom, without giving offense to anyone and without getting involved in irrelevant debates. The Holy Prophet, did not seek himself a position of leadership or prestige or special honour or wealth. Instead, he trusted the human intellect and expected the human mind. Not once in his entire life can anyone find a single instance or hint of his method of force or threat. Instead, he believed in the freedom of choice and in the acceptance of Truth.

By his personal example and through his teachings, the Prophet exhorted his followers to appeal to the inner goodness and sense of truth and honour in the individual to persuade him to the right path. This approach makes Islam and invitation to Islam or dawa free of all constraints-constrains of time, place, race, colour or creed.

The Qur'an clearly specifies what constitutes Dawa. Dawa in Islam is to proclaim Islam as the religion of Allah, The Qur'an is the book of Allah; and The Message of Islam is for all mankind and forever.

Da'wa is pacific. The call to Islam is based on peace. Islam does not ask its followers to fight opponents of Da'wa just because they reject Islam. Allah allowed believers to fight only to repel an aggression in order to allow Moslems to worship and lead their life according to the principles of their religion. Moslems are not supposed to fight to conquer, expand, oppress, exploit or rob people out of their wealth.

The call to Islam means peace in the literal as well as the figurative sense and whoever wants to spread the word must behave accordingly, showing faith and love but also courtesy, compassion and kindness. Da'wa is gentle in its ways and means.

The message of Islam must be presented with honesty. The transmission of the Islamic message requires honesty and trustworthiness, nothing has to be added to it or omitted, nothing must be concealed or falsified. The preacher must show his conviction and his faith in what he is preaching and at the same time emphasize the fact that the message is a Divine Message and that he is only transmitting it. This is a difficult test for the preacher and only those who are absolutely honest can pass it. He must show that truth is indivisible and that Islam does not accept half-baked solution. All the principles of Islam are based on the belief in the Oneness of Allah. To be loyal to the values and principles of Islam, the faith of the believers must be based on conviction and choice. To insist on the truth and present it candidly shows the preacher's honesty and loyalty and demostrates his strength and his wilingness to proceed with his Da'wa despite any difficulties or challenges he may encounter.

Anyone who undertakes Da'wa must accept criticism with open-mindedness. The loyal, trustworthy preacher is required to accept criticism from opponents and scoffers and must respond to them politely with strong and convincing arguments and point out to them the truth and the soundness of Da'wa. If opposition increases and the discussion gets out of hand, the best thing to do is not to fight but to cut it short and leave because Da'wa should not deviate from wisdom, exhortation and polite discussion. To avoid any suspicion of direct or indirect coercion, the preacher should not associate with those who stubbornly oppose the truth of Da'wa. Avoiding those who oppose the truth is an expression of dissatisfaction but it leaves the door open to those who want to reconsider and acccept the truth once they have thought about it and have been convinced by it.

DA'WA IN ISLAM

By : Dr. Tawfik M. Shahin

Da'wa is the call of Islam to ALLAH, the call to the highest ideals of mankind. So, anyone who undertakes Da'wa must be totally devoted to truth and reality. He must avoid any embellishment or ingratiation. Anyone who undertakes Da'wa must consider it as a general invitation extended to every human being whether he is close to him or far removed. He must not discriminate against any group of people. He must be tolerant and avoid anger or hate even towards those who reject the Da'wa.

Anyone who calls to Islam must do it without exercising any undue pressure or coercion because Da'wa is the call to ideals such as peace, non-aggression, respect of the dignity of man and his basic rights. Whoever accepts guidance does it for the good of his own soul and whoever strays harms himself. People must accept da'wa of their own free will and be allowed to use their right to choose to agree to it or reject it. This is the way to preach Islam, using the best arguments without forcing anybody and without deviating from the truth.

Da'wa is an expression of faith and love. It is an objective in itself and not a means of gaining wealth or leadership. It is not a profession bringing material or spiritual profits to the one who exercises it. It is just preaching values and ideals for the sake of Allah. None of Allah's Messengers, peace be upon them, asked for material rewards for transmitting their message and fulfilling their mission. They believed Allah would reward them in the hereafter and gave an example of absolute selflessness and devotion.

significance of freedom, justice, equality and human rights which are inherent in Islamic doctrines.

The preservation of the integrity of Islamic thought and the safeguards of its teachings were the axial concentrate of thought in the mind of Abu Bakre throughout his life. It was reflected in all his behaviours, conceptions, actions, characters and policy in office as Khalifah of Rassul Allah. This rational axiom was the potential that dominated the total life of Abu Bakre; it was the rational belief that formulated his decisions; it was the yard stick by which he evaluated his success and fault; it was his ultimate aspiration and essential function in life. This maxim of thought was dominant in the mind of Abu Bakre as he was recumbent in bed spending the last few hours of life. His intense concern about muslims motivated him to choose the man who would govern and administer their affairs by the same mental patterns and understanding conceptions of Islamic thought. Abu Bakre consulted, thought, deliberated, thought again, supplicated to Allah to grant him the wisdom in choice. He formulated the characters, the personality, the qualifications, the knowledge, wisdom, and aptitudes of the man who would be most suitable to govern the affairs of Muslims in a manner to conform and optimize the preservation of the essential elements of Islamic thought, and to safeguard the teachings of the Prophet. That was the final and most crucial concern of Abu Bakre on his death bed.

History indicates that the choice of Abu Bakre was most precise to the purpose. Abu Bakre chose Omar Ibn Al-Khatab to administer the Muslim affairs after the death of Abu Bakre. The total Muslim populous at Al-Madinah gave concensus, and proclaimed Omar Ibn Al-Khatab to succeed Abu Bakre Al-Siddiq. The sagacity and wisdom of the dying man made him reach a perfect choice that conformed exactly with what Abu Bakre knew to be the requirements of the Muslim Ummah.

preserve the elemental integrity of Islamic thought, and to safeguard the exemplary traditions and teachings of the Prophet. In order to achieve this goal, it was necessary to choose a man whose character was coinciding with the thoughts to be preserved, and whose knowledge was compatible with the teachings to be safeguarded. The choice of the Muhagereen and Ansars to proclaim Abu Bakre as Khalifah of Rassul Allah was most concordant to the requirements of the Muslim Ummah at that critical time after the death of the Prophet. Certainly, no other man at that particular time was more qualified to succeed the Prophet than Abu Bakre. He was most conversant with Islamic doctrines, most knowledgeable in Islamic thought, most cohesive and hormonious in his faith, and his life style. Abu Bakre Al-Siddiq the first companion, the closest friend, the man who absorbed the totality and quality of the essence of Islam from the Messenger of Islam.

During his life, as companion to the Prophet or as his successor; Abu Bakre never accepted to compromise at the expense of his belief or his faith. At the early days after his succession he insisted with stone stubborness to dispatch the army of Ussamah ibn Zayed as ordered by the Prophet. He refused to reconcile and compromise with the tribes who held back the Zakah and waged a war against them. With audacious courage, he recruited and mobilized armies to confront and go on the warpath against the apostate tribes. All the trends and policies of governance during the term of Abu Bakre were trends and policies of governance during the term of Abu Bakre were optimized to preserve the elemental integrity of Islamic thought and to safeguard the exemplary traditions and teachings of the Prophet. Abu Bakre was very adamant and steadfast to achieve this optimization and to conserve it. The proliferation and propagation of Islamic thought and knowledge as fundamental doctrinal function of Islamic Theism was a major part of the Prophet's achievements and aspirations. The Prophet succeeded to proliferate Islam into the whole expance of the Arab Peninsula; and Abu Bakre succeeded in establishing this Islamic proliferation and rooting it to become concrete in the social, political, tribal, financial and theological structures of the inhabitants of the Peninsula. Abu Bakre succeeded further in crossing the geographic boundaries of the Peninsula, and drove Islam into other population groups defying all antagonist forces that confronted the proliferation of Islam. Abu Bakre fully recognized that true proliferation of Islam was through the practice of its humane doctrines and the reality of its teachings. That was the most stable and proficient means of establishing Islam in the hearts and minds of people who came in touch with Islam. With free determination, people came to understand the meanings and

who believed, the basic true doctrines of the faith were elements which advanced the Faith to be established without regression, to be strong without fault of weakness. To Muslims, the doctrines and teachings of the new faith became the fundamental ingredients of thought, the new faculty of intellect and congitation, the guidance of rational reasoning and the source of personal attitude and judgement. Based on free choice without compulsion, the new system of belief became a conviction that controlled and geared the angle of individual and community life.

The magnitude of tansformation that took place in the characters and intellectual systems of early Muslims was so enormous and of such high pitch that invoked the mind of others to wonder and inquire within the self. These early Muslims were the superb examples of mankind; they beleived with free self determined conviction in the Holy Revelation, and they were close to the Messenger. As companion to the Prophet, they conceived the factual objects and articles of the new faith. They were dedicated in theory and practice by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). His words were understood and remembered, and his life's conduct and behavior were exemplary. The early Muslims learned the maxim and axiom of Monotheism, the purpose of Creation, the role of mankind, the preparation and development of man's capabilities and potentialities to suit that role. They were educated about justice, freedom, individual, familial and community human rights, virtue, truth, magnanimity, ecumenism and liberty. These companions were educated and trained to live by the code and spirit of Islam. They were taught to shield themselves from the disease of sin and unchastity; to renounce and deny beligerence and transgression; to scorn arrogance and conceit; to refuse untruth; and to challenge greed and envy. They learned to supress the ego and to control wanton desires and lust. These companions were taught to develop love, kindness, devotion, stability in confidence, piety, and the excellence of human behavior and conduct. Those were the lessons instructed to the Muslims during the years throughout the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The years of the Prophet ended by his death, and what remained in the hands of Muslims was the Holy Revelation (The Quran), and the Traditions (Sunnah) of the Prophet. Then, came Abu Bakre Al-Siddiq, unanimously chosen by Muslims to administer their affairs as the Khalifah of Rassul Allah. Abu Bakre was proclaimed against his own desire, preferring that some other companion could carry the heavy burden. His main concern as evidenced by his words during the historical meeting with the Ansars at the roofing of Bani Saaida, was to

ABU BAKRE AL-SIDDIQ

THE EPILOGUE

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The life of Abu Bakre Al-Siddiq represents not only the life of one man, but signifies the life of a whole nation through a limited period of few decades. A whole nation that emerged, from total ignorance and complete entropy, to surge with progressive dynamism to carry the banners of the most sustained civilization ever to be carried by mankind. This civilization extended in space to encompass every corner of the Earth; and extended into time to reach the limits of time. A civilization whose roots and stem go beyond space and time. The life of Abu Bakre is a living documentary of a nation's history, education, psychology, social behavior, potentialities, aptitudes and belief.

A study of the Arab tribes during pre-Islamic era reveals the extent of the chaos, disorder and anarchy that prevailed among the inhabitants of the Arab Peninsula at that time. What miracle phenomenon happened to change that environment of total weakness of disruption and disorder into one of optimized highly efficient organization and cohesion, one of solidity and progressive potency. The miracle phenomenon was that of Belief, the Belief in the Divine Message of Islam. The Message that started in the heart of one man, to extend to his tongue as he summoned men to listen and understand the genuine truth and reality of the Message. Men listened at first the very selective few, men like Abu Bakre Al-Siddiq; later, more men came to listen, to recognize the Light of Reality and radiant brilliance of Truth. The Message relayed to that chosen Messenger through the Holy Revelation. The proliferation and propagation of the Holy Message was ineffable and miraculous inspite of all the deterrent conditions that surmounted at the time. The devoutness of Belief, the changing mental patterns of those

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION

VOL. 61, PART 11
ZU AL QIDDA, 1409, HIJRAH

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

CONTENTS

1. Abu Bakre Al-Siddiq
The Epilogue
By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. Da'wa in Islam.
By: Tawfik M. Shahin.

Preparation of Prints by : Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ذو الحجة ١٤٠٩ هـ

يوليو ١٩٨٩ م

الجزء الثانى عشر

السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

إيلاف قريش

النعمة ... والجحود

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (١) إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ (٣) ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾

●●●

نزلت الآيات الكريمات بمكة وقريش ممعنة فى كفرها عاكفة على وثنيتها وكيدها لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا غرو أن تستفتح بالتعجب فى أول حرف من حروفها « اللام » التى أولاها كبار المفسرين تحقيقا قيما شريفاً .

وفى الحق أن نِعَمَ الله ـ سبحانه ـ على قريش ـ لا تحصى .

ولئن شَغَلَ قرشياً لهوُ الحياة ، أو صرفه مرح الشباب ، أو ألهاه ثراءُ الإيلاف فلم يجنح إلى تَذَكُّرِ ما أنعم الله ـ تعالى ـ به عليه من لطيف نعمتة ودقائق رحمتة فتيسرت له المتعةُ بالقوة والنعمة . فاغترف من لهو الحياة .

←

إيلاف قريش

فإنه ـ أبداً ـ لا يمكنه أن ينسى فضل الإيلاف عليه وعلى قومه ؛ فإنه ـ وحده ـ نعمة فذة أدارت عجلتُها حياتَه جميعاً فقفزت بها من جوع أكل الأبدان ، وأشرف بها على هلاك وَضَيْعَة .

ومن قبل الإيلاف أسكنهم ـ سبحانه ـ أرضاً حراماً بَثَّ قدسيةَ أمنها ، وحُرْمَةَ أهلها فى نفس كل عربى : فَدَان لقريش :

بـ« طاعة » لم تفرضها عليه مكة بقوة حكومتها .

وبـ« وَلاءٍ » لو أنفقت قريش من أجله كنوز الأرض مانالت من نسيجه فتيلاً ، ولا من وزنه قطميرا .

فكان لها من قلوب العرب حبٌ يحوطها بالتجلة والإكرام ، ومن أيديهم سلاح يذود عنها ، ويُقِرُّ بها الأمان ..

بينما أولئك العرب أنفسهم ـ خارج هذا الحرم يتقاتلون وَلأَوْهَى الأسباب ، حتى ليخطف بعضهم بعضاً لدى أدنى غِرَّةٍ فى ذهاب أو إياب ثم يباع رقيقاً ـ وهو الحر الخالص ـ فيسام سوء العذاب .

فى تلك الأراضى الملتهبة بالإرهاب تنطلق رحلات الإيلاف لقريش بين طرقهم ، وفى سواء أشجانهم آمنة قريرة العين كريمة الكيان ، وقد أَلِفَ القرشيون تلك الرحلات فَأَنِسُوا إليها وأحبوها فلم يضيقوا بمشقات السفر أو يستطيلوا زمنه ، وفى الكتاب العزيز :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ العنكبوت ٦٧ .

ومع ذلك كفرت قريش .

أفليس عجيباً ـ والحال هذا ـ أن تُشرِكَ قريش ، كما أشركت العرب ، فتكفر بوحدانية ربها ، وتعبد غيره ، وتسبغ على معبوداتها قُوًى من صنع خيالها ، وما هى إلا أوثانٌ لا تملك مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، وليس لها من شركةٍ فى مُلْكٍ أو خَلْقٍ ، وليس لله منها معين ، تعالى الله علواً كبيراً فليس له شريك فى الملك،وهو المنفرد بالعزة والقدرة والقهر والجلال ، وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

كان ذلك واقع قريش ، وتلك كانت نعمة الله .

فكان هذا التعجب الذى صورته الآية ليكون المعنى ـ والله أعلم :

اعجبوا ـ أيها الناس ـ لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، وامتيازهم بهذه النعمة الواضحة مع عكوفهم على وثنية وتركهم عبادة الله الواحد الصمد رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .

فاعبدوه بغير شرك ، واشكروه فى إخلاص ، فهو المولى : لا إله غيره ، ولا رب سواه .

د. على أحمد الخطيب

كلمة الأزهر الشريف

في اليوم العالمي لمكافحة المخدرات

لفضيلة الإمام
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

تقديم: معنى لفظ الخدر الذى منه المخدرات .

(أ) الخدر بالتحريك: استرخاء يغشى بعض الأعضاء او الجسد كله

والخدَر: الكسل والفتور .

وخدر العضو تخديراً : جعله خدرا وحقنه بمخدر لإزالة إحساسه .. ويقال : خدره الشراب وخدره المرض . والمخدر : مادة تسبب فى الإنسان والحيوان فقدان الوعى بدرجات متفاوتة كالبنج والحشيش والأفيون والجمع مخدرات وهى محدثة(1) .

(ب) التفتير: يقال : فتر عن العمل فتوراً : انكسرت حدته ولان بعد شدته ومنه قولهم : فتر الحر إذا انكسر(2) .

ومن ثم يكون التفتير تكسيراً للحدة وتليينا بعد الشدة ويكون اعم من التخدير إذ هذا نوع من ذاك .

(جـ) الاغماء: يقال اغمى عليه :عرض له ما افقده الحس والحركة .. والإغماء فتور غير أصلى يزيل عمل القوى لا بمخدر .. فالتخدير مباين للإغماء(3) .

(د) الاسكار: يقال : اسكره الشراب أزال عقله . فالإسكار : إزالة الشراب للعقل دون الحس والحركة .. ومن ثم يكون التخدير أعم من الإسكار(4) .

هذا :

وتوجد الفاظ اخرى لها صلة بالتخدير كالمفسد والمرَقِّد .

قال الحطاب :

فائدة تنفع الفقيه ، يعرف بها الفرق بين المسكر والمفسد والمرقِّد .

● اليوم العالمى لمكافحة المخدرات بتاريخ ٢٢ من ذى القعدة سنة ١٤٠٩ ٢٦ / ٦ / ١٩٨٩ .

(١) لسان العرب و « تاج العروس » والمعجم الوسيط مادة (خدر) .

(٢) المصباح المنير مادة (فتر) .

(٣) المعجم الوسيط .

(٤) المصباح المنير مادة (سكر) .

فالمسكر : ما غيب العقل دون الحواس مع نشوة الفرح .

والمفسد : ما غيب العقل دون الحواس ، لا مع نشوة وفرح .

والمرقد : ما غيب العقل والحواس(٥) .

أنواع المخدرات :

تتنوع المخدرات بتنوع اصولها المستخرجة منها ، وهى تتناول فى جملتها نبات القنب وما يستخلص منه ، والأفيون الذى يستحضر من الخشخاش ، والقات والكوكايين ، والبنج وغير هذا .. مما يستعمل بالمضغ او التدخين او الحقن او غيرها وينتج عنه تغييب العقل ويؤدى إلى الإدمان ، ويسبب تدهوراً فى عقول المدمنين وصحتهم بوجه عام ، بل وتغير الحال المعتدلة فى الخَلق والخُلق .

حكم المخدرات فى الاسلام :

لما كان الحفاظ على عقل الإنسان وصونه إحدى الضرورات الخمس التى جاءت نصوص الشريعة حاسمة فى المحافظة عليها وكانت اضرار المخدرات ـ بالعقل وبسائر الجسد ثابتة واضحة للعيان كانت محرمة سواء اكانت طبيعية ام مخلقة ، سائلة او جامدة ، فلايحل تناولها باى قدر قليل او كثير وباى طريق إلا لغرض معتبر شرعاً ، وهى محرمة لضررها باعتبارها مفسدة للعقل وللجسد وللخَلق وللخُلق ، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وقد قال العلماء : إن المضرات من أشهر المحرمات .

وقد اتفقت كلمة فقهاء المذاهب المعتبرة على تحريم تعاطى المخدرات ـ وصناعتها والاتجار فيها والجلوس فى محال تعاطيها .

وقد ساق الفقهاء للاستدلال على ذلك ادلة عديدة منها :

مارواه الإمام احمد فى مسنده وابو داود فى سننه عن ام سلمة ان الرسول ﷺ « نهى عن كل مسكر ومفتِّر » ورواته رجال الصحيح ..

وهذا نص فى الموضوع لان المسكر غير المفتر إذ العطف بالواو يقتضى المغايرة ـ والمخدرات ـ جميعها من نوع المفتر والنهى يدل على التحريم ، لاسيما وقد قرن بين المسكر الثابت تحريمه بالقرآن الكريم وبين المفتر ومن ثم يتساويان فى التحريم ..

وقد استدلوا ايضاً بحديث « لا ضرر ولا ضرار .. » قال ابو داود فى شانه : إنه من الاحاديث التى يدور الفقه عليها .. وتدخل المخدرات فى التحريم فى نطاق قول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ . وفى سور النساء : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ وفى سورة الحشر : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

وفى شان الاتجار فى المخدرات وجلبها وتصنيعها وترويجها تسرى نصوص الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة فى تحريم صنع وبيع وترويج المحرمات والاتجار فيها مثل ما رواه البخارى ومسلم عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » .

(٥) الحطاب جـ ١ ص ٩٠ والفتاوى الكبرى الفقهية لابن تيمية جـ ٤ ص ٢٢١

وما رواه ابن ابى شيبة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه » .

هذا فضلاً عما فى ترويج المخدرات وإعدادها للتداول والتناول من التعاون على المعصية وهذا من المحرمات بنص قول الله تعالى فى سورة المائدة : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

وتجريم كل من ضبط فى أمكنة تعاطى هذه المخدرات أمر له سنده فى نصوص الشريعة حيث حرم الله سبحانه مجالسة من يكفرون بآيات الله وينتهكون بذلك حرمات الله .

ففى سورة النساء قول الله سبحانه : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ . وفى سورة المؤمنون : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ .

وفى سورة الفرقان : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ .

وفى سورة القصص : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ ..

إذ كل هذه الآيات وغيرها تحرم على المسلم الجلوس فى مواطن الريب وتمتدح الذين يتجنبون مجالس اللهو واللغو ..

وقد روى الطبرانى عن ابن عباس عن النبى ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر » .

وعن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد فى مجالس الخمر » .

وقد نقل عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يجلد شاربى الخمر ومن شهد مجلسهم وإن لم يشرب معهم ، وقد رفع إليه قوم شربوا الخمر فأمر بجلدهم ، فقيل له : إن فيهم فلاناً وقد كان صائماً فقال : أبدأوا به .

ومن ثم فإن عقاب كل من ضبط فى أمكنة تعاطى المخدرات أمر له سنده فى نصوص الشريعة الإسلامية وجرى تطبيقه قضاء ..

وإذا كان القرآن الكريم قد حرم الخمر تحريماً قاطعاً فى آية سورة المائدة : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ شارحة ، وقضاؤه تطبيقاً لهذه الآية وللحد من ارتكاب هذه الكبيرة ..

وكان تحريم المخدرات ـ للضرر المحقق الماحق لمتعاطيها كانت مصلحة الأمة تقضى بالعقاب الرادع على مقارفتها سواء بالزراعة او بالصناعة أو بالجلب أو بالاتجار أو بالاستعمال الذاتى والتعاطى وكان الجزاء داخلاً فى باب التعازير . التى جرت عليها الشريعة الإسلامية كعقوبة لما لم يرد فى شأنه حد مقرر .

فالتعزير عقوبة لم تقدر من الشارع ، وتجب حقاً لله تعالى أو لآدمى .

« المغنى لابن قدامة الحنبلى جـ ٩ ص ٢٦ ، وفتح القدير للكمال بن الهمام الحنفى جـ ٧ ص ١١٩ والأحكام السلطانية للماوردى ص ٢٢٤ » ..

والمعتمد عند الحنفية أن التعزير عقوبة مفوضة إلى رأى الحاكم ـ من حيث المبدأ ـ وأن على الحاكم فى تقدير العقوبة مراعاة حال الجريمة والمجرم ..

←

وهل تجاوز العقوبة التعزيرية الحد المقرر لجنس الجريمة ؟

اجاز الفقه المالكى - فى بعض الاقوال - للإمام ان يزيد فى التعزير على الحد ، رعاية للمصلحة التى لا يشوبها هوى ومنعاً للفساد والإفساد فى الارض « تبصرة الحكام لابن فرحون جـ ٢ ص ١٦٠ » ط سنة ١٣٠١ هـ - ومواهب الجليل جـ ٣ ص ٣٧ » ..

واجاز الحنفية القتل تعزيرا سياسة منعا للسعى فى الارض بالفساد (حاشية ابن عابدين حـ ٣ ص ١٨٤ ، ١٨٥ والبحر الرائق لابن نجيم جـ ٥ ص ٤٥) .

ومثل هذا نقل عن الحنابلة . واذا نظرنا إلى - تداول المخدرات - كفساد وإفساد للناس انطبق على متداوليها - أياً كان وضعهم - حكم آية الحرابة بوجه عام ، باعتبار ان العمل فى ترويجها إفساد فى الأرض ، فجاز فرض عقوبة الإعدام فى بعض حالات تداولها ..

على انه ينبغى التنبه إلى ان ما تداولته الالسنة اخيراً من ان المخدرات اشد حرمة من الخمر لايصادف محله ، لان حرمة الخمر ثابتة بالنص القطعى القرآنى الخاص حسبما تقدم بيانه .

وهذه المخدرات ثبتت حرمتها باعتبار ضررها فهى مشاركة للخمر فى الإضرار بتعاطيها وإن كانت المخدرات اخبث وافدح فى الضرر ..

وتحريم المخدرات فى الإسلام ثابت مما سلفت الإشارة إليه من النصوص باعتبارها افدح فى الضرر . وبهذا صارت من الخبائث التى نص القرآن الكريم على تحريمها فى قوله تعالى فى سورة الاعراف الآية رقم ١٥٧ (.... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ..) ..

والأزهر الشريف يهيب بالناس عامة وبالشباب خاصة ان يقدروا خطر هذه السموم التى تفتك بكيان الامة فى اعز ماللديها من ثروة بشرية .

إن الواجب مواجهة هذا الخطر الداهم - الذى يستهدف الامة الإسلامية والعربية ومصر بوجه خاص بكل الإمكانات على مستوى الحكومات والجامعات والمعاهد والمدارس ورجال الدين والعلم والأدب والفن ووسائل الإعلام بكافة اجهزتها وعلى مستوى الافراد وبخاصة الاسرة (الأب والأم) فهى اللبنة الاساسية الأولى فى تربية الابناء وتنشئتهم على الخلق والدين ومراقبتهم بالحكمة الرشيدة والتوجيه السليم،والقدوة المسئولة التى تمنعهم من الانحراف او على الاقل تدارك الامر قبل ان يستشرى - ويستفحل . وإنه لمن واجب كل مسلم ان يبلغ المسئولين عن كل من يتعامل معها - باى صورة من صور التعامل - وهذا من النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم حماية للمجتمع من هذا الخطر .

لقد آن لنا ان نطبق احكام الشريعة الإسلامية على جميع المتعاملين مع هذه السموم بكافة اشكالها ومسمياتها استجابة لاحكام ديننا وإرضاء لربنا الذى احل الطيبات وحرم الخبائث وفى مقدمتها الخمور ..

قال الله تعالى فى سورة الانفال :﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ - صدق الله العظيم ..

وفق الله الجميع للتمسك بدينه والعمل بشريعته وهو حسبنا ونعم الوكيل ..

شيخ الأزهر

« جاد الحق على جاد الحق »

مسلك ذى الوجهين

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعى

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ . وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾
(سورة البقرة ١٣ ـ ١٦) .

مناسبة هذه الآية لما قبلها : هى الأمر بعد النهى ، والتحلية بعد التخلية .

فلما نهى المنافقين عن الإفساد فى الأرض ، أمرهم بالإيمان الذى هو فى نفسه صلاح وإصلاح ، ولكن الحديث مع المنافقين ، وما أدراك من هم !؟ فما خاب الملعون منهم قط فى رأى نفسه ، وإن كان كله خيبة فى آراء الصالحين ، وكل الصفات السامية ، متى نزلت على الدهماء والأوشاب ، وهذا الهمج الهامج فى إنسانية الحياة ، نحلوها أسماء من طبيعتهم لا من طبيعتها .

فالفضيلة عندهم غفلة ، والسمو كبرياء ، والصبر بلادة ، والأنفة حماقة والروحية ضعف ، والإيمان سفه .

ومتى اضطربت الحياة تشابكت الأضداد وقلما تتميز ، والحق أن التفريق بين المتشابهات ضرورة يقتضيها فهم الواقع .

وهذه الآية قد صُدرت بأداة الشرط ﴿ إِذَا ﴾ وختمت بالاستدراك ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وافتتاح الآية بـ ﴿ إِذَا ﴾ يدل على التحقق والقطع بما يقال ، بخلاف ما إذا بدأها بـ ﴿ إِنَّ ﴾ التى هى للشك والتوهم ، وكل ما صُدر بالشرط وأداته فالمقصود منه الجواب ، إذ الشرط وسيلة له ؛ فمثلاً « إذا ذاكرت نجحت » ، كان المقصود منه إحراز النجاح ، والمذاكرة وسيلته .

وعليه فليس المراد هنا حكاية دعوة المؤمنين للمنافقين ، وإنما المراد قلب المنافقين للحقائق ورميهم المؤمنين بخلال المنافقين .

وبناء الفعل للمجهول ، يدل على العلم بالقائل ، فإنه إما أن يكون هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أحد أفراد المؤمنين الذين دَعُوا المنافقين إلى صحة الإيمان .

مسلك ذى الوجهين

ومقول القول هو : ﴿ آمِنُوا ﴾ ، فالقائل ما قال قولاً منكراً ؛ بل قال قولاً معروفاً ، يُصحح به انحراف قصد المنافقين فى دعواهم الإيمان ، فهم فهموه أنه إقرار ولا شىء وراءه ؛ لأن الإقرار يُنجيهم فى نظر المؤمنين الذين أمرهم الله أن يُعاملوا الناس على ما ظهر منهم ، وأن يكلُوا سرائرهم إلى خالقهم ، والحق أن (الظاهر) كافٍ فى إجراء الأحكام فى الدنيا ، إلا أن فقه الإيمان يُرشدنا إلى أن (الظاهر) ما لم يقم على الإخلاص فإنه لا قيمة له عند الله ، وإن كان له اعتبار عند الناس .

طلب المؤمنون من المنافقين أن يُصححوا إيمانهم بأن يُلحقوه بإيمان المؤمنين وما هم عليه من إخلاص ، فهو تشبيه إيمان بإيمان لكن المنافقين عدلوا عن ذلك ، ونظروا إلى الداعى وقالوا : ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ ، وخلاصة ما يقال عن الإيمان أنه : اطمئنان قلبى والتزام بكل ما جاء به الشرع ، وينقص الإيمان بقدر ما يفرط الإنسان فيما ألزمه الله به .

ومتى وقعت « ما » بعد « الكاف » تعين أن تكون « ما » مصدرية والتقدير : (آمِنُوا كإيمانِ الْمُؤْمِنِينَ الذين هم جمعوا معاني الإنسانية في إيمانهم ، فما فى دينهم تعصب لجنس أو لقبيل أو لحضارة معينة ، بل هو إيمان تخطى حدود الإقليمية إلى العالمية ، وتجاوز الأنانية الفردية لينتهى إلى الإيثار فى سعة الغيرية ، فالمؤمنون هم الناس ، وَفُوا للإنسانية جمعاء بحقوقها ، وإن تخلف المسلمون اليوم فالعيب منهم لا فى دينهم الذى تحلى به غيرهم .

﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ لم يُدَّع على المنافقين بل هو تسجيل لأقوالهم ، وما فيها من إنكار على المؤمنين .

والاستفهام إنكارى بمعنى النفى ، أى : لا نؤمن إيماناً كإيمان السفهاء ؛ فإن سألتهم : لماذا اعتبر المنافقون غيرهم سفهاء ؟ كان جوابهم : أن السفيه من خف عقله وضعف تصرفه ، وهم يرون أنفسهم أصحاب الرياسة ولهم من الامتيازات ما يسلبه إيمان المؤمنين ، حيث لا فضل فيه لأحد على أحد إلا بالعمل ، فالمؤمنون بهذا (التقييم) فى نظر المنافقين سفهاء ، ولكن الله رد عليهم دعواهم فقال - بالاستفهام التقريري بما بعد النفى : ﴿ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ .

ذلك أن التفريق بين الحق والباطل أمرعقلى ، والسَّفَهُ جهل ، فَنَاسَبَهُ نفى العلم ، بخلاف الإفساد فى الأرض فإنه يُدركه الإنسان بالضرورة كما يُدرَك بالحواس ، ومن ثم قال فى الإفساد ﴿ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ وقال فى السفه : ﴿ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ .

والقاعدة : إذا كان جواب الشرط (طلباً) أفاد العموم ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ ، وإن كان (ماضياً) لم يُفد العموم كما هنا ، فليس كل المنافقين قالوا ما حُكى عنهم ، بل منهم من كان نفاقه ضعفاً ليحصل على رزق ، ومنهم من كان نفاقه ليتخذ لنفسه نصيراً .

والحق أن الإيمان لا يبقى فيه موضع لنفاق ، والمؤمن صادق صريح لا يقبل مساومة على دينه وشر الناس من يأتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، تلك خصلة من خصال النفاق

لا ظاهر له مستقر ، ولا باطن له مطمئن ، يخاطب كل قوم بما يُرضيهم وفى النهاية يركن المنافق إلى من يُشاكله ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ ، يُرضون المؤمنين إذا لاقوهم بقولهم : ﴿ آمَنَّا ﴾ ، وإذا انفردوا بشياطينهم وهم كبار الكفار قالوا : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، ولا تصاب الحياة بأكثر من النفاق ، ولا يُحطم قِيَمَهَا إلا الرضى به ، ولا يدرى المخدوع بالمنافقين أنهم سينافقون غيره مثل ما نافقوه ، ويكذبون عليه مثل ما كذبوا على غيره .

و(لقى) و(التقى) بمعنى ، و(خلا إلى) او(خلا به) بمعنى : انفرد به ومضى إليه ، و(الشيطان) من : (شاط) بمعنى احترق ، أو من (شطن) بمعنى بَعُدَ عن رحمة الله .

وشياطين المنافقين هم : المتمردون العتاة منهم ، والذاهبون لهم هم صغار المنافقين الذين يُنافقون سادتهم .

وتأمل لقاءهم للمؤمنين والتقاءهم بالشياطين ، فمع المؤمنين يدعون الإيمان بمجرد إحداثه لأنهم يظهرونه أمام المؤمنين ، وادعاؤهم كمال الإيمان لا يخفى بطلانه عند المؤمنين ، فأما لقاؤهم مع الشياطين فيؤكدون مذهبهم بقولهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، وكأنهم سُئلوا عن دعواهم عند المؤمنين ، فأجابوا بأنهم : مستهزءون ساخرون منهم ومن معتقداتهم .

والعقيدة ملاذ جسد ، وملاذ روح ، وتعويض عن فخر الدول وعصبية الأقوام ، وإن الإسلام لا يصف بالجبن إنساناً يتقى مكامن اللصوص وجحور الحيات ، فالإسلام ـ سر وعلانية ـ يدعو المؤمن أن يأخذ حذره مما يحيط به من أخطار وينهاه أن يُلقى بيده إلى التهلكة ، وفى الوقت نفسه يدعو أبناءه إلى الصلابة فى الحق ، وتبذ

المساومة عليه ، إذ هو يُلقنهم : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ ، وخليق بالمنافق أن يسأم نفاقه قبل أن يسأم من يُنافقه الصبر على نفاقه ، فما أخس وأصغر من المنافق إن كشف أمره ، والمؤمنون لا يُضللون العقول ، ولا يحاولون أن يخدعوا أصحابها . أما المنافقون فليس لهم مبدأ يستندون إليه : ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ . وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ .

وهنا أسئلة :

١ ـ كيف يجوز وصف الله تعالى بأنه يستهزىء ، وقد ثبت أن الاستهزاء لا ينفك عن التلبيس ، وهو على الله محال ؟ وهو ـ كذلك ـ لا ينفك عن الجهل لقوله ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، والجهل على الله محال ؟

والجواب :

أنه سبحانه سمى الجزاء باسم العمل المجازى عليه مُشاكلةً ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ ، وأن ضرر استهزاء المنافقين بالمؤمنين راجع إليهم وغير ضار بالمؤمنين ، فيصير كأن الله استهزأ بهم .

روى ابن عباس : « إذا دخل المؤمنون الجنة ، والكافرون النار فتح الله من الجنة باباً على الجحيم فى الموضع الذى هو مسكن المنافقين فإذا رأى المنافقون الباب مفتوحاً ، أخذوا يخرجون من الجحيم ، ويتوجهون إلى الجنة ،

البقية ص ١٣٤٧

مكانة الحج

والعمرة في الإسلام

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « أيها الناس : قد فرض الله عليكم الحج فَحُجُّوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : لوقلت نعم : لوجبت ولما استطعتم .. ثم قال : ذرونى ماتركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم : بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم .. فإذا أمرتكم بشىء : فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء : فدعوه » أخرجه مسلم فى صحيحه ..

● الحج لغة :

القصد إلى معظم ، وأصله من قولك : حججت الشىء أحجه حجا ، إذا قصدته .. ويقال : حججت فلاناً أحجه : إذا عدت إليه مرة بعد أخرى ، ولذا قيل : حج البيت ؛ لأن الناس يأتونه فى كل سنة ..

● وشرعـاً :

قصد البيت العتيق : للزيارة والنُّسُك على وجه التعظيم ، بأفعال مخصوصة ، فى أشهر معلومة هى : شوال ، وذو القَعدة ، وعشر من ذى الحجة ، استجابة لأمر الله ، وابتغاء مرضاته ، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ « آل عمران : ٩٧ .. » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » أخرجه البخارى .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال . « الحج المبرور : ليس له جزاء إلا الجنة ، قيل : ومابرُّه ؟ قال : إطعام الطعام ، وطيب الكلام » . أخرجه أحمد والطبرانى والبيهقى ..

● سببه :

البيت الحرام؛ لأنه يضاف إليه ، ولهذا لا يجب فى العمر إلا مرة واحدة لعدم تكرار السبب ، إلا أن ينذره المرء ، فيجب عليه الوفاء بالنذر ، ومازاد فهو تطوع ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ياأيها الناس : كتب عليكم الحج ، فقام الأقرع بن حابس ، فقال : أفى كل عام يا رسول الله ؟ قال : لو قلتها :

للأستاذ:
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولم تستطيعوا . الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » .. رواه أبو داود والنسائي واحمد ..

وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : « قالوا : يارسول الله .. الحج فى كل عام ؟ قال : لوقلت نعم ، لوجبت ، ولو وجبت : لم تقوموا بها ، ولو لم تقوموا بها : لعذبتم » . رواه ابن ماجه ..
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قيل يارسول الله الحج كل عام ؟ قال : لا ، بل حجة ، قيل : فما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة » ، رواه الدراقطنى ..

والأمر فى قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا .. » هل تقتضى التكرار أم لا ؟ اختلف الأصوليون فى ذلك على ثلاثة أقوال :

١ ـ لا يقتضيه .
٢ ـ يقتضيه .
٣ ـ يتوقف فيما زاد على مرة على البيان فلا يحكم باقتضائه ولا بمنعه .. وهذا الحديث قد يستدل به : من يقول بالتوقف ؛ لأن الأقرع بن حابس : سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مستفهماً مستوضحاً ، فقال : أكل عام ؟ ولو كان مطلقه يقتضى التكرار أو عدمه : لم يسأل ، ولأجابه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : لا حاجة إلى هذا السؤال ؛ لأن مطلق الأمر محمول على كذا .

وقد يجيب القائلون بعدم الاقتضاء : بأنه سأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : استظهاراً واحتياطاً .

قال الماوردى : « ويحتمل أنه إنما احتمل التكرار عنده من وجه آخر ؛ لأن الحج فى اللغة : قصد فيه تكرار ، فاحتمل عنده التكرار من جهة الاشتقاق ، لا من مطلق الأمر ..

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ذرونى ما تركتكم » ظاهر فى أن الأمر هنا لا يقتضى التكرار : على سبيل الوجوب بل على سبيل الندب ، لما روى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن ربه : يقول الله عز وجل : « إن عبدا صححت له جسمه ، ووسعت عليه فى المعيشة : تمضى عليه خمسة اعوام . لا يفد إلىَّ لَمَحْرُوم » أخرجه ابن حبان والبيهقى ..

● حكمه :
الحج فرض عين على كل مكلف حر مسلم بالغ مستطيع ، وهو أحد أركان الإسلام الخمسة التى بنى عليها ديننا الحنيف ، وفريضة محكمة : يكفر جاحدها ، وهو عبادة : تنتظم من الإنسان : قلبه وبدنه وماله ، وتعود عليه بخيرى الدنيا والآخرة .. حسبما قال الله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ

←

مكانة الحج في الاسلام

لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ « الحج : ٢٧ ـ ٢٩ » .. فقوله تعالى ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ اى ليحضروا منافع لهم مختصة بهذه العبادة : من أمور الدنيا والدين ، وقيل : المنافع : التجارة ، وقيل : العفو والمغفرة ، وعلى كل : فهى عامة مطلقة تشمل كل ما ينفع الفرد والجماعة ، بل والأمم والشعوب ، لاسيما أن الوقوف بعرفة : يعتبر اجتماعاً عالمياً ومؤتمراً دولياً للتعارف والتشاور ، وتبادل الخبرات والتجارب ، ودراسة مشكلات الشعوب .

واختلف فى وقت فرضيته : فقيل سنة ست من الهجرة ، لأنه نزل فيها قول الله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ « البقرة : ١٩٦ » .. وقيل : سنة تسع .

وهل هو واجب : بالنسبة للقادر المستطيع على الفور ، أو على التراخى ؟ .

قال أبو حنيفة وأحمد وأبو يوسف ، وبعض أصحاب الشافعى والمزنى : هو : على الفور ، لما روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من أراد الحج فليعجل ؛ فإنه يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتكون الحاجة » .. رواه ابن ماجة وأحمد والبيهقى ..

وفى رواية أخرى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « تعجلوا إلى الحج يعنى الفريضة ، فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له » اى ما يحدث له : من مرض أو حاجة ، أخرجه أحمد والبيهقى والأصبهانى .

وقال الشافعى والثورى والأوزاعى وبعض المالكية ومحمد بن الحسن : إنه على التراخى ، فيؤدى فى أى وقت من العمر ، ولا يأثم من وجب عليه بتأخيره متى أداه قبل مماته وإن كان يستحب تعجيله والمبادرة إليه ، متى استطاع الإنسان أداءه ، عملاً بقول الله تعالى : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ « البقرة : ١٤٨ » . فقد ثبت أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لم يحج سوى حجة واحدة : هى حجة الوداع ، وذلك فى السنة العاشرة من الهجرة . وكان معه أزواجه : أمهات المؤمنين ، وكثير من أصحابه ، مع أن إيجابه : كان سنة ست أو تسع من الهجرة ، ولإجماع العلماء : على ترك تفسيق القادر على الحج ، إذا أخره عاماً أو أكثر ، وأنه إذا حج بعد مضى عدة أعوام من حين استطاعته : فقد أدى الحج الواجب عليه فى وقته .. اللهم إلا أن ينتهى إلى حالة : يظن فواته لو أخره عنها فحينئذ : يجب عليه التعجيل بأدائه ..

وقد أخذ من قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لو قلت : نعم لوجبت ولما استطعتم » :

أنه يجوز أن يُفَوِّض الله تعالى : إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : شرح بعض الأحكام عن طريق الاجتهاد ، ولا يشترط فى حكمه : أن يكون بوحى عن الله تعالى ، وقيل : يشترط ذلك .

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم » يدخل فيه ما لايحصى من الأحكام على سبيل : التخفيف والتيسير .. ورفع الحرج والمشقة ، وهذا الحديث موافق لقول الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ « التغابن : ١٦ » .

وأما قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ « آل عمران : ١٠٢ » فقيل إنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ

مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ وقيل إنها ليست منسوخة بل هي مفسرة ومبينة للمراد منها .

قالوا : ويراد من قوله تعالى : ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِ امتثال أمره ، واجتناب نهيه ، ولم يأمر الله عز وجل : إلا بالمستطاع ، قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ « البقرة : ٢٨٦ » .. وقال جل شأنه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ « الحج : ٧٨ » .. وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ « البقرة : ١٨٥ » ..

العمرة : شروطها وأركانها :

ـــ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « العمرة إلى العمرة : كفارة لما بينهما ، والحج المبرور : ليس له جزاء إلا الجنة » . أخرجه البخارى ومسلم ..

العمرة لغة : الزيارة .

وشرعاً : زيارة البيت الحرام للنسك ..

● **حكمها** :

ذهب أحمد والشافعى فى أحد قوليه : إلى أنها : فرض عين على القادر المستطيع ، لقول الله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ « البقرة : ١٩٦ » .. وقد عطفت على الحج وهو فرض ، فهى فرض كذلك ، وبما روى عن عبدالرازق قال : أخبرنا معمر عن قتادة أنه كان يحدث : أنه لما نزلت : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ « آل عمران : ٩٧ » .. قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : باثنتين : حجة وعمرة ، فمن قضاهما فقد قضى الفريضة » .

وعن زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « الحج والعمرة فريضتان لا يضرك بأيهما بدأت » .

وذهب المالكية والحنفية : إلى أنها سنة مؤكدة فى العمر مرة ؛ لما روى عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال : سأل رجل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن العمرة : أواجبة هى ؟ قال : لا ، ولأن تعتمر خير لك ، وما روى عن أبى صالح الحنفى قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « والحج واجب والعمرة تطوع » رواه ابن ماجه ..

وأما قول الله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ ، فهو أمر بالإتمام بعد الشروع ، والعبادة متى شرع فيها : يجب إتمامها ، ولو كانت نفلا ، فلا يدل على الفرضية وهو الأرجح ..

● **شروطها** : الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة .

● **أركانها** : الإحرام والطواف والسعى بين الصفا والمروة والحلق أو التقصير ..

زاد الشافعية : والترتيب بين هذه الأركان .

وصفة الإحرام بالعمرة : كصفة الإحرام بالحج : من حيث الغسل أو الوضوء ونية الإحرام بها والتطيب ، والتنظيف ، وما يلبسه المحرم ، وما يحرم عليه من اللباس ، والتطيب ، وصيد البر وغير ذلك .

ويجب للعمرة ما يجب للحج : فهى كالحج فى الإحرام والفرائض والواجبات والمحرمات والمكروهات والمفسدات والإحصار .

ولكن العمرة تخالف الحج فى أمور منها : أنها ليس لها وقت معين ، وليس لها وقوف بعرفة ، ولا نزول بمزدلفة ، وليس فيها رمى جمار ، ولا جمع بين صلاتين ، ولا طواف قدوم ؛ وليس لها طواف صدر (وداع) وإن ميقاتها الحل لجميع الناس .

مكانة الحج في الإسلام

● ميقاتها : ميقات مكاني ، وميقات زماني ..

فأما المكاني : فإنه كميقات الحج ، وأفضل ميقات لها : التنعيم وبينه وبين مكة عشرة كيلو مترات ، وهو المعروف الآن بمسجد عائشة ، ثم الجعرانة : مكان بين مكة والطائف .. وأما الزماني : فإن جميع السنة وقت للعمرة ، فيجوز للإنسان الإحرام بها فى أى وقت شاء .

وفى كل زمان أراد بلا كراهة ، خلافاً للحنفية : فإنها تجوز عندهم فى كل السنة : إلا يوم عرفة ، ويوم النحر ، وأيام التشريق الثلاثة ، فإنها تكره فى هذه الأيام الخمسة ..

وأفضل وقت لأدائها : هو شهر رمضان لما روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « عمرة فى رمضان تعدل حجة » أخرجه البخارى ومسلم وفى رواية للبخارى « قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لامرأة من الأنصار سماها : ما منعك أن تحجى معنا ؟ قالت : كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه (لزوجها وابنها) وترك ناضحاً ننضح عليه ، قال : فإذا كان رمضان : اعتمرى ، فإن عمرة فى رمضان : حجة أو نحوا مما قال » وفى أخرى لمسلم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فعمرة فى رمضان : تقضى حجة ، أو حجة معى » فالعمرة فى رمضان ، وإن كان لها ثواب كبير : يساوى حجة : إلا أنها لا تسقط فريضة الحج : عمن وجبت عليه ، بل يتحتم عليه الإتيان بها عندما يتيسر له السبيل لأدائها ..

ويجوز أداؤها فى موسم الحج ، وقد ثبت اعتماره ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أشهر الحج ، وخاصة فى شهر ذى القعدة ، ليكون ذلك منه : رداً عملياً على ما كان يعتقده المشركون من أن العمرة فى أشهر الحج : من أفجر الفجور .

روى عن أنس رضى الله عنه : « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اعتمر أربع عمر كلهن فى ذى القعدة : إلا التى (كانت) مع حجته : عمرة من الحديبية ، أو زمن الحديبية : فى ذى القعدة ، وعمرة من العام المقبل : فى ذى القعدة ، وعمرة من جعرانة ، حيث قسم غنائم حنين : فى ذى القعدة ، وعمرة مع حجته » ..

● التمتـــع :

التمتع : هو أن يُهل الشخص : بالعمرة فى أشهر الحج من الميقات ، ثم يأتى حتى يصل البيت فيطوف لعمرته ، ويسعى ويحلق أو يقصر ، ثم يحل بمكة ، ثم ينشىء الحج فى هذه الأشهر بعينها ، وعليه هدى تمتع قال الله تعالى : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْىِ ﴾ « البقرة : ١٩٦ » .

● القـــران :

القران : هو أن يهل بالنسكين معاً : الحج والعمرة ، لما رواه البخارى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لبيك عمرة وحجة » .

وروى البخارى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : « سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول وهو بوادى العقيق أتانى الليلة آت من ربى فقال : أهل فى هذا الوادى المبارك ، وقل عمرة فى حجة » .

فضل الحج والعمرة :

عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تابعوا بين الحج والعمرة ؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب : كما ينفى الكير : خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة : ثواب إلا الجنة » أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى ..

السنة والحج المبرور

للأستاذ
معوض عوض ابراهيم

لا ينتهي عطاء الرسول ﷺ وهداياته لمريدى الحج والعمرة ، منذ صح عزمهم وانعقدت على ذلك نيتهم . وتوافرت لهم الاستطاعة التى اشترطها الله للفريضة الخاتمة فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ « آل عمران ٩٧ » .

وهدايات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك وجه من وجوه قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ « التوبة ١٢٨ » .

وقوله : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ..... ﴾ « الأحزاب ٦ » .

أخرج الإمام البخارى بسنده عند ذكر هذه الآية عن أبى هريرة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى به فى الدنيا والآخرة ، اقرأوا إن شئتم، ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ « فأيما مؤمن ترك مالا فليورثه عصبته من كانوا ، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتنى به فأنا مولاه » ، وهو عند أحمد وأبى داود وغيرهما .

وهى هدايات يريد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نستثمرها حتى يكون حجنا مبروراً تصلح به الحياة ، ويطيب المصير .

وقد روى جابر رضى الله عنه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة قيل : وما بره ؟ قال : إطعام الطعام ، وطيب الكلام » رواه أحمد فى مسنده ، والحاكم . وقال صحيح الإسناد وهو عند الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن وابن خزيمة فى صحيحه .

وتفسير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمبرور بإطعام الطعام ولين الكلام ، جليل وجميل فإن لين اللسان بطيب القول أمارة إيمان قوى وضمير

السنة والحج المبرور

حى وشعور بجميل إسداء الخير حباً لله العليم الذى لا تخفى عليه خافية وخشية تعصم من اقتراف الآثام وإتيان ما نهى الله عنه من قبض اليد عن المعروف ، وإرسال اللسان بما لا يجمل بإنسان .

وقد أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه » .

إن الحج دورة عملية لدعم العقيدة وتصحيح العبادة ومراجعة السلوك حين يأتى الحاج هذه المشاعر التى عجت حينا بالآثام وعبادة الأصنام بعد أن كانت فى مراحل من الزمان مهاجر إبراهيم وإسماعيل أول أمرها منذ أن قام فيها « أول بيت وضع للناس » لا تشوبه شوائب الوثنية التى أطلت برأسها من قبل حين أرسل الله نوحاً ـ عليه السلام ـ فلم يغن عن قومه فيها شيئاً فكان الطوفان ماسحاً كاسحاً مطهراً الأرض كلها من هذا الشر ، ثم عاود الشرك الناس فكان إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى قومه ، كما كان مقيماً قواعد البيت على التوحيد الذى أرسى الإسلام بنيانه وأعلى جدرانه .

وكان الحج آخر لبنة فى كيان عقيدة المسلم فهو يأتى من أقصى البلاد منزل الوحى ، ويلقى أخوة العقيدة فى صلاته ومعاملاته فيتعلم القدوة ويعلم غيره كيف تكون العبادة ويكون السلوك والمعاملات على أساس رضوان الله تعالى ، ويعودون إلى الديار نموذجاً صادقاً للحج المبرور ، فلا يراهم الناس إلا وقد صلح منهم القول والعمل على نحو جديد فريد لم يكن معروفاً عنهم ولا مألوفاً قبل الحج منهم ، ويتابعون مسيرة الحياة إخواناً متوادين، لا تفسد الأنانيات بينهم ودأ ولا توهن النعرات الآثمة من إخوتهم شيئاً .

ولقد سن لنا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نتعجل الحج ، وأن لا نفلت أول فرصة تتاح لأداء فريضة العمر ، فإن الفرص لا تواتى دائماً ، وكم تصير الفُرْصَةُ حين تنفلت غصة ، لأننا نريدها بعد انقلاب الزمان ، وتعذر الإمكان فتشق وتمتنع ، وليس من الإسلام أن اقترض لأحج أو أعرض للضياع أهلاً وزوجاً تتناق نفقتهم والاستطاعة .

أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تعجلوا إلى الحج » يعنى الفريضة ـ فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له » .

وهو واجب على الفور عند الأحناف والمالكية والحنابلة وبعض أصحاب الشافعى رضى الله عنهم جميعاً .

والحديث المذكور عن ابن عباس ، وحديثه الذى أخرجه أحمد والبيهقى وغيرهما ، شاهد ذلك التعجل أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة ، وتكون الحاجة » ... وقد صححه الشيخ أحمد شاكر نظراً إلى طرقه المتعددة .

والإمام الشافعى يرى وجوبه على التراخى ، يؤدى فى أى وقت ناظراً إلى تأخير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجة الوداع إلى السنة العاشرة بعد إيجاب الحج فى السنة التاسعة على الأصح ، وهو بذلك يرى قول الجمهور على الندب فيما أوردوا من الأحاديث الصحيحة ويقرر استحباب المكلف أداءه مبادراً أول فرصة يستطيع فيها الحج .

ويحفز الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ العزائم على الحج بمثل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحجاج والعمار وفد الله ، إن دعوه

أحبابهم ، وإن استغفروه غفر لهم » .. رواه أبو هريرة وأخرجه النسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .

والعمار هم قاصدوا البيت للعمرة فى أشهر الحج أو غيرها ، وإليهم يتجه قول الله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ .. « سورة البقرة ١٩٦ » والآية أقوى دليل على أن العمرة والحج سواء فى الحكم كما قرر جمهور العلماء واستأنسوا بالأحاديث الصحيحة .

والعمرة فى رمضان تعدل حجة كما صح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والإمام مسلم يورد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

أجل إن العمرة فرض كالحج عند الشافعى وأحمد بن حنبل وحجتهم هذه الآية : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ والحديث الذى أخرجه مسلم بسنده عن جابر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فى حجة الوداع : « دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » .

ويراها الأحناف والمالكية سنة وتطوعاً لأن شواهد إيجاب الحج : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ « سورة آل عمران ٩٧ » .. ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ .... ﴾ « سورة الحج ٢٧ » . لم تذكرها كما لم تذكرها الأحاديث التى ذكرت قواعد الإسلام ، فإنها اقتصرت على ﴿ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ ...

وأن الرسول ﷺ قال لعائشة وهى تستأذنه فى الجهاد : « جهادكن الحج » .. وقد صح قوله عليه الصلاة والسلام للمرأة : « حجى عن أبيك واعتمرى » فى سؤالها عن أبيها .

وقد روى جابر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله ، إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رده أن يرده ، بأجر وغنيمة » ، وهو صحيح الإسناد .

وليحرص الحجاج والمعتمرون على طيب النفقة وطهارة المال من حقوق الآخرين وبراءة الذمة من ديونهم إلا أن يستأذنوهم فيما هو فى ذمتهم ، وهو فى مكنتهم .

فقد روى الطبرانى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إن الرجل إذا خرج حاجاً بنفقة طيبة ، ووضع رجله فى الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه منادٍ من السماء لبيك وسعديك ، زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور .

وإذا خرج الرجل بنفقة خبيثة فوضع رجله فى الغرز ، فنادى : لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء ، لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك زادك حرام ونفقتك حرام » .

والطيبات من الرزق هى حاجة المسلم ونهمته ، وزاده إلى حسن الخلافة فى الدنيا ، والتزود بالصالحات التى لا تطيب بغيرها .

والحاج ذكراً كان أم أنثى يجد السنة النبوية معه فى كل مقام ومشهد من مشاهد الحج ، منذ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حجة الوداع : « خذوا عنى مناسككم » ..

وبيان المواقيت الزمانية والمكانية تجلوها السنة كما فى البخارى ومسلم وغيرهما ، فلا يجاوزها الحاج إلا محرماً مهلاً بنسكه والتلبية والتكبير يغلبان على كلام الحاج كلما لقى وفدا أو علا شرفا ، أو نزل وادياً ، وتعطى السنة ضروباً من الذكر والدعاء إذا شاهد الحاج مكة ،

السنة والحج المبرور

أو رأى البيت ، أو دخله فأخذ نفسه بتحيته « وتحية مسجدنا الطواف » ، كما سن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمن أتى البيت الحرام ، سنة عملية فى حجة الوداع . أخرج ذلك مسلم وأبو داود ، والنسائى فى صفة حج النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وسن بدء الطواف من الحجر وإليه ، وكيفيته وبيان عدده .

أخرج ابن كثير بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « والله ليبعثه الله عز وجل يوم القيامة له عينان ينظر بهما ولسان ينطق به ، ويشهد لمن استلمه بالحق فمن استلمه فقد بايع الله تعالى » . ثم قرأ - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ « سورة الفتح ٩ » .

وقد صحح الحاكم وابن حبان وغيرهما عن ابن عمر وأنس وابن عباس رضى الله عنهم أطرافاً من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة » ، وأنه يبعث يوم القيامة كما مر فى رواية ابن عباس رضى الله عنهما ويشهد لمن استلمه بحق والتزام لأدب الإسلام فى الفهم والاستلام ، ولا مرية فى نطقه يوم القيامة ، ونحن نقرأ فى سورة الزلزلة / ٣ - ٥ حديث الأرض ﴿ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ .

وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما ، قول عابس بن ربيعة رحمه الله قال : رأيت عمر يقبل الحجر ويقول : « إنى لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أنى رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقبلك ما قبلتك » أخرجه الجماعة . وليس ذلك الاستلام والتقبيل من عمر من صنيع الجاهلية فى شىء ، ولكنه اتباع لفعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهو حجر يحدد لنا ركن الطواف بدءاً وانتهاء ، ويقوم أثراً مادياً وحيداً محفوظاً من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وحسب المؤمن أن يحتفى بالحجر الذى تحفّى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإن لم يعرف لذلك حكمة .

وتضيىء السنة المطهرة طريق ضيوف الرحمن إلى الحج المبرور وما أسعدهم يوم يرجعون إليها ، أو إلى من يقنعهم بها من الثقات من أهلها ، فما أكثر ماغفل الناس عن السنة ، ودخل عليهم من أقوال لا تثبت أمام النظر .. وما أخلق الفريضة الخاتمة بالتماس أحكامها وأسرارها وتحصيل أكثر ما يعين الله تعالى عليه من ذلك بالحرص والتثبت والاهتمام ، وبلوغ الغاية فى ذلك سهل المدرك ميسور المنال ، وكتاب الله وسنة مصطفاه ، وأهل الذكر لا يخفُون على طالب الحقيقة فى أى زمان ومكان .

وبعد فجزى الله عنا نبينا محمداً - صلى الله عليه وسلم - ما هو أهله ، فما ترك فى أمر الحج وأركان الدين وشرائع الله شيئاً إلا فصله وجلاه .

وإن حاجة المجتمع المسلم لماسة إلى إعادة النظر فى خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى عرفه .. لنأخذ منها لدنيانا المدد والضياء ، ولنكون مرة أخرى « خير أمة أخرجت للناس » بالتأسى والاقتداء فى العبادات والسلوك والعلاقات بين الأفراد والجماعات بعد تزكية الأنفس وكمال الإيمان بالله رب العالمين .

معوض عوض إبراهيم

مشيخة علماء الإسكندرية أو معهد الإسكندرية الديني

د. مجاهد توفيق الجندى

بعض الأحداث الهامة بمشيخة علماء الاسكندرية :

(١) **فى عهد الشيخ محمد ابو الفضل الجيزاوى شيخ علماء الإسكندرية** ، حدث أن اجتاحت مدينة الاسكندرية موجة تبشيرية مسيحية من المستعمرين ، يتخذون الدين ستاراً لغشهم السياسي فى بلاد العرب والإسلام ، فتآلفت بالمعهد « جمعية إرشاد الخلق إلى طريق الحق » التى افسدت على المبشرين خطتهم وقعدت لهم كل مرصد ، وقد شكا المبشرون مما قام به علماء المعهد إلى الخديو عباس حلمى الثانى ، ورئيس نُظَّارِهِ رشدى باشا ، الذى راسل بدوره الشيخ أبا الفضل فى هذا الشأن وكانت إجابة الشيخ لطمة على وجه رئيس النظّار ، حيث قال له : « إن امركم لعجيب تتركون المبشرين يعيثون فى أرضنا فساداً ضد الدين الحنيف ، ثم تحظرون على العلماء أن يعملوا لدينهم فى أمر واجب ، هذا مالا ينبغى أن يكون !! » وارفق بالرد عليه حجة دامغة . اربعة عشر كتاباً من اختراعات التبشير ، ولم يكن هناك بدٌ - إزاء وقفة العلماء - من الاستجابة للداعين إلى الله فكتب الخديو إلى رئيس نُظَّارِهِ رشدى باشا : « لا تتعرض للعلماء ، ودعهم يعملون ويؤدون واجبهم مادام عملهم فى حدود القانون » ، وهى بدعة جديدة أن يخضع العمل فى سبيل الدين والدعوة إلى الله للقانون !! ثم ترجح كفة القانون ، فلا يخضع العمل فى شأنه لحدود الدين .

(٢) **وفى عهد الشيخ عبدالمجيد اللبان شيخ علماء الإسكندرية** وكان شخصية فذة كريمة موهوبة ، وكان مدرساً بالمعهد فى أحداث ١٩١٩ ، وكان الرجل كفاء الاخطار التى جدّدها الانجليز المحتلون بأخذهم أعضاء الثورة وزعمائها تشريداً وتنكيلاً ، ولم يكتف الانجليز بذلك ، بل عاودوا إلى الدس والوقعية بين المصريين والاجانب ، وظهرت فِتْنَتُهم فى طائفة « الاروام » مع بعض المصريين ، وأسفرت المعركة عن موت عشرات من الجانبين ، ليكون

←

صفحات مطوية من تاريخ الأزهر

ذلك ذريعة للانجليز للتشهير بزعماء الثورة .. وإذ ذاك زار الشيخ اللبان وبصحبته فريق من العلماء ، زعماء الأروام وقساوستهم وبطارقتهم ثم جمعهم فى بيته وأمنهم من مخاوفهم ، وسجل ذلك الصنيع فى صورة محضر جامع بتوقيعات الجميع حمل منها « مدكور باشا » نسخة إلى « سعد زغلول » فى اوروبا ، فدمغ بها سعد فرية المفاوض الانجليزى عن تعرض الأجانب لأخطار الثورة .

وهذه اليقظة من رجال الدين قد ترضى فريقاً من المصريين ، إذا كان فيها ما يتصل بعدو خارجى ، وقد لا يرضى عن قريب منها ومشابه لها ... ذلك أن الانجليز لما عرضوا مشروع « ملنر » على المفاوض المصرى فى سنة ١٩٢١ م ، وطرح مناقشة الموضوع فى بلدية الإسكندرية ، ووقف كثير من المصريين الممالئين للمفاوض المصرى – تحزبا لا وطنية – وقف الشيخ اللبان وقفته المشهورة ، ونادى باسم علماء الأمة المعبرين عنها . نادى أنه لابد أن يُحاطَ المشروع بضمانات وتحفظات يسلم بها حق مصر فى تقرير مصيرها وفى استقلالها كاملاً غير منقوص ، وكانت النتيجة أن اعلن سعد زغلول ما نادى به الشيخ اللبان : أنه لا يقبل المشروع دون تحفظات .

معمل الكيمياء والطبيعة والأحياء بمعهد الاسكندرية يعتبر متحفاً فريداً :

حوى معمل معهد الأسكندرية – باعتباره حقل التجربة الأولى لتدريس العلوم الحديثة بالأزهر مجموعة نادرة من الكئوس والمخابير والقنينات والسّاكات والخرائط التوضيحية ، والأملاح بأنواعها المختلفة والأجهزة التى لم تعد موجودة منذ مدة طويلة . كما يوجد به مجموعة من أوراق الزنك والترشيح ، والمرشحات والمبخرات والأنابيق و « الصنج » ، وبه فانوس سحرى عتيق وآلة (سينما) وآلات تصوير ومكبر وغيرها ... كما يوجد جهاز عظمى لجسم انسان ، وهو لآنسة انجليزية ، اصيبت فى حادثة تصادم وتهدج صدرها ورمم ، والباقى سليم اهدى إلى المعهد من جامعة الإسكندرية ...

هيئة كبار العلماء بالإسكندرية :

كان لهيئة كبار العلماء لجنة فرعية بمشيخة علماء الأسكندرية علمنا ذلك من خلال ختم قديم عثرنا عليه بمحض الصدفة فى معهد الاسكندرية ضمن مجموعة أختام فى خزينة المعهد ، وقد كتب عليه السطر الأول « لجنة الإسكندرية الفرعية» السطر الأوسط « لهيئة كبار العلماء» السطر الثالث « فى حماية الدين والدعوة إلى سبيل الله » وهو من النوع البيضاوى الشكل ، ولم نعثر على اسم من أسماء هؤلاء العلماء أعضاء اللجنة الفرعية لهيئة كبار العلماء وإن كان الختم فى ذاته وثيقة نادرة وهامة ، وضياع الوثائق والسجلات وغيرها يسبب للباحث حيرة وألماً شديدين .

نشاط طلاب وشيوخ معهد الاسكندرية فى شهر رمضان :

عثرنا ضمن ما تبقى من وثائق المعهد على برنامج عن نشاط طلاب المعهد وشيوخه فى شهر رمضان سنة ١٣٧٨ هـ مارس ١٩٥٩ م .. موزع على جدولين ، رصد بأحدهما أسماء أساتذة المعهد الذين سيقومون بإلقاء دروس ومحاضرات بمساجد المدينة وأنديتها الاجتماعية وإذاعتها المحلية ، وقد وزع فيه الأساتذة بحيث يقومون بتغطية كاملة لأكثر مساجد المدينة ، سواء منها ما كان داخل المدينة أم بضواحيها

وبدأ ذلك ببداية شهر رمضان وانتهى فى التاسع والعشرين منه ، ومن أولئك الأساتذة : أصحاب الفضيلة : الشيخ محمد الصادق عرجون ، والشيخ عبدالمجيد عمارة ، والشيخ أحمد الإمام ، والشيخ محمد أبو خوات ، والشيخ حسين المصرى والشيخ عبدالمحسن بنوان وغيرهم من أقطاب علماء الإسكندرية .

وفى الجدول الثانى قائمة بأسماء الكثير من نوابغ الطلبة الذين ألقوا كلماتهم بالإذاعة المحلية لمدينة الأسكندرية ، وكانت تذاع يومياً طوال شهر رمضان قبل تلاوة القرآن الكريم قبيل المغرب وشاركوا فى هذا النشاط بجد واهتمام إلى جانب أساتذتهم .

مجلة معهد الأسكندرية

أصدر معهد الإسكندرية مجلة دينية علمية ثقافية اجتماعية أدبية سنوية ، ظهر العدد الأول منها فى سنتها الأولى فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٧٤ هـ يولية ١٩٥٥ م ، باسم « مجلة معهد الاسكندرية الديني » صدر منها خمسة أعداد فقط ، ثم توقفت كل من العدد الأول والثانى والثالث مستقل ، بينما الرابع والخامس مجموعان فى نسخة واحدة .

وقد احتوت المجلة على موضوعات شيّقة تنم عن علم وثقافة كُتّابُها الأفاضل من الشيوخ والطلاب .

وكانت هيئة تحرير العدد الأول من المجلة مُكونة من السادة الأساتذة أصحاب الفضيلة :

عبدالرحيم الجندى ـ تاج الدين الدلتونى ـ محمد أبو خوات ـ عبدالله العزازى ـ محمد حافظ الدسوقى ـ كمال أبو زيد شلال .

وقد جاء فى كلمة شيخ الازهر فى افتتاحية العدد الأول من المجلة بعد حمد الله « اما بعد .

فيسرنى أن أعرب لعلماء معهد الإسكندرية وطلابه عن تقديرى لجهودهم الطيبة ، وإعجابى بما رأيته من نهضة مباركة ، ووثبة قوية تجلت فى هذه الصحيفة التى جاءت عنواناً لما بلغه هذا المعهد العظيم . فى هذا العهد الجديد من نشاط مشكور فى النواحى العلمية والأدبية .

....

ولى كبير الأمل أن أرى لكل معهد من المعاهد الدينية صحيفة تتجلى فيها آراء العلماء وتتبارى فيها أقلام الطلاب ، وتبدو فيها مواهبهم الكامنة وآثار عقولهم الناضجة ..

اما كلمة وكيل الأزهر فقد جاء فيها :

ليس غريباً على معهد الاسكندرية ، أن يتسنم هذه المكانة من النشاط الثقافى ، فإنه أول معهد نظامى ، وإنه لتصلنى به صلات وثيقة ذات ذكريات كريمة ، فقد أمضيت به ايام الطلب ، كما قضيت به زهاء عشرة أعوام مدرساً ..

ولكم سرنى ما لمسته هذا العام من الوان النشاط فى المعهد الإسكندرى بفضل جهود شيخه يُعاونه إخوانه الأجلة .. وقد اطلعت على فهرست المجلة وتتبعت الموضوعات التى كتبت فحمدت لهم ـ بعد الله ـ هذا التوفيق وسألت الله لهم المزيد .. الخ .

اما كلمة فضيلة السكرتير العام للازهر فقد جاء فيها :

إن الأزهر ليسره أن يرى من أبنائه حملة اقلام لنشر الثقافة الإسلامية ، ولبيان ما فى الشريعة الإسلامية الغراء من سماحة وسعادة ، وعلى هذه الأقلام واجب الدعوة والإرشاد

←

صفحات مطوية من تاريخ الأزهر

والنصح وتوجيه الشباب إلى التسلح بالفضيلة والتمسك بأهدابها ، فذلك أجدى لهم من حياة ماجنة مستهترة لا تفيد ديناً ولا وطناً .. كما يجب على هذه الاقلام ان توجه كل عنايتها إلى الذود عن حياض الدين بالحجج الساطعة ، والأدلة القاطعة ، لتقمع دعاة الإلحاد والتحلل من كل دين بحجة حرية الراى ، فهم يتمسكون بها ولو صدمت الاراء نصاً من كتاب أو سنة ..

وإن معهد الاسكندرية الذى اشتهر بالجد فى طلب العلم وخدمته ، والسبق فى مضماره ، قد عرف هذا الواجب ، وأدرك تلك الأمانة الملقاة على عاتقه قد فكر فى إصدار مجلة تحوى الكثير من التوجيهات الدينية والاحكام الإسلامية وغير ذلك من ابحاث شاملة ونافعة للمجتمع .

واما كلمة فضيلة الشيخ محمد الصادق عرجون شيخ المعهد فقد جاء فيها بعد (حمد الله) :

اما بعد : مهده مجلة « معهد الإسكندرية الدينى » ارفعها إلى كل مسلم فى ارض الله تقع بين يديه ، رمزاً إلى وشيجة الإيمان التى جعلها الله أعز وشائج الإخاء ، وإلى كل أزهرى فى ارض الكنانة ووادى النيل وإلى كل عربى فى اقطار العروبة .. ثم قال :

ولست أريد أن أعرض هنا لما فى المجلة من مقالات توشك الا تكون تركت غرضاً مما تكتب فيه مجلة معهدية تمثل معهداً دينياً إسلامياً إلا كتبت فيه مما يكون قرة عين المؤمنين ..

ويقترح الشيخ تكوين « شركة مساهمة » تغذيها اموال أزهرية من قوتنا وقوت أولادنا ، لإصدار صحيفة يومية أزهرية إسلامية خالصة ، وتحررها أقلام أزهرية من قلوبنا ودمائنا وأرواحنا .

اما الجواب على هذا التساؤل فالشيخ يتركه لكل أزهرى يغار على دينه ومعهده !!

كيف كان الطالب المبتدىء يلتحق بمشيخة علماء الإسكندرية ؟

كان لابد لالتحاق المبتدىء بمعهد الإسكندرية أن يكون حافظاً للقرآن الكريم كله، وأن يكون خطه حسناً وجيد الإملاء ، ويتقن الفنون الرياضية ، وأن يكون كفئاً فى الامتحانات التى تعقد له فى هذه المواد شفوياً وتحريرياً ، ولابد أن يمر على طبيب المشيخة ليتم فحصه ..

وقد عثرنا فى انقاض مخزن من مخازن المعهد على طلب انتساب قديم ، وهو فى نفس الوقت ورقة امتحان ، وتلك صورته :

طلب انتساب

اسم الطالب ولقبه عبد العزيز شبل حاتم	ولى أمره والده عوض الحرة
بلده الحوت	مذهبه حنفى
المركز ايتاى البارود	ما يحفظه من القرآن الشريف جميعه
المديرية او المحافظة البحيرة	الجهة الرسمية التى كان تابعا لها —
سنه ١٦	المدة التى قضاها فى التحصيل —

فضيلتلو افندم شيخ علماء الاسكندرية

انا الطالب الموضح اسمى بعاليه التمس من فضيلتكم قبول انتسابي هذا وادراج اسمى بسجلات طلبة

العلم التابعين للمشيخة . وأني أتعهد بالتفرغ لتحصيل العلم والامتثال لما تصدره المشيخة للطلاب من الاوامر والمحافظة على شرف العلم والتخلق بالاخلاق الحميدة بحيث يكون للمشيخة الحق فى مراقبتى وتأديبي بما تراه مناسبا لما يصدر منى مخالفا للاوامر هاوقد فوضت اليها ان تطالب عني بجميع ما يخول لطلبة العلم من الحقوق وأن يباشر فضيلة الاستاذ شيخ العلماء أو من ينوب عنه كل ما يتعلق بشؤنى العلمية افندم

الامضاء
عبد العزيز ...

الاسكندرية فى يوم ... شوال سنة ١٣٢٦ ... نوفمبر سنة ١٩٠٨

صاحب هذا الطلب بلغ من العمر ١٦ سنة تقريبا وحالته الصحية جيدة

طبيب المشيخة

محول على مشيخة .... لايضاح مدة مقدمه

شيخ علماء
الاسكندرية

انتسب هذا الطالب من .... وانقطع من تاريخ ....

بسبب

الامضاء

بامتحانه فى القرآن الشريف وجد انه حفظ ... جيد

الامضاء

بامتحانه امام اللجنة العلمية المنعقدة بتاريخ ....
وجد انه يستحق الاندراج مع طلاب السنة ....
الدراسية

الامضاءات

بامتحانه فى الخط والاملاء وجد انه يستحق ٪

المصحح

« قرار التسجيل »

يسجل اسم هذا الطالب مع طلاب السنة الاولى الدراسية وتصرف له الجراية اعتبارا من يوم ... ٢٩ ... سنة ٩٠٨

شيخ علماء
الاسكندرية

سجل بنمرة ٢٢٧٩ كاتب السجل

(هنا)

« يكتب الطالب ما يلي عليه »

•••

من ... ويميز البياض من السواد لا يتوقف فى رفعة شأن بلاده ... وطنه الا ... ببذل غاية الاجتهاد فى تحصيل العلوم ... ونشرها فان العلم هو السبب الوحيد لنوال الرغائب

بامتحانه فى الفنون الرياضية وجد أنه كفء لتلقى دروس السنة ....

الممتحن

وبعد فهذا حديث شيق عن مشيخة علماء الإسكندرية ، أو معهد الإسكندرية الدينى ، لم نستطع أن نقول فيه كلمة أخيرة ، فالحديث لم ينته عنه بعد ، نظراً لوجود بعض الوثائق تحت الأنقاض وسنرجع إليه قريباً إذا كان هناك فى العمر بقية*.

---

*) رجعنا فى مقالنا هذا إلى مجلة معهد الاسكندرية (العدد الأول يولية سنة ١٩٥٥ م من صـ ١٣ ـ ٢٢) ، كتاب كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ، وأحاديث طويلة لمدة عشرة أيام متواصلة تقريباً مع شيخ معهد الاسكندرية فضيلة الشيخ السيد محمد محمد خليل اللامى والأساتذة الشيوخ : محمد إبراهيم الشيمى ، عبداللطيف العزازى وكيل المعهد وملاحظ المعهد الشيخ السيد أحمد جمال الدين ، والأستاذ محمد ناصف البدوى مدرس أول بالمعهد ، ورجعنا إلى بعض دفاتر الكوبيا وبعض الأوامر الملكية وأعمال مجلس الأزهر الأعلى ويشكر الباحث كل من قدم له أدنى مساعدة .. والله الموفق ..

في مسألة فوائد البنوك

لواء - أ - ح
د. فوزى محمد طايل

استجابة لدعوة فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر لمناقشة موضوع (تحديد ربح القروض والوديعة الاستثمارية) ، وفى إطار حرية الراى ، فإن الاجتهاد فريضة دينية فيما ليس فيه نص قطعى الدلالة والثبوت .

لقد حرم الله تعالى الربا فى الشرائع السماوية السابقة . قال الله تعالى : ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (سورة النساء الآية ١٦١) .

ثم كان آخر الآيات نزولا مشتملة على التحريم القطعي للربا ، والوعيد لمن يخالف هذا الحكم : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة : ٢٧٩) .

وكان من اواخر ما اوصى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى حجة الوداع قوله : « ... قضى الله أنه لا ربا ... » فلا سبيل بعد هذا للاجتهاد من اجل تغيير هذا الحكم حتى تقوم الساعة ، والانصياع لهذا الحكم هو التزام لحكم الله ، وليس فيه اتباع لأقوال الأقدمين .. والاجتهاد المطلوب هو تحديد طبيعة الفوائد ، وهل هى ربا ام لا ؟

إن المصلحة من وراء تحريم الربا هى ضمان أن يقوم الإنسان بوظيفته فى إعمار الأرض من خلال عمل حقيقى منتج ينفع به نفسه وينفع

←

● الكاتب : لواء اركان ، حرب ، وزميل أكاديمية ناصر العسكرية العليا .

فى مسألة فوائد البنوك

المجتمع ، فلا يقعد منتظرا أن يلد له المال مالا ، لذا ردّ القرآن الكريم على من قالوا : ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ بقول الله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ، لأن البيع نشاط اقتصادى والربا لا نشاط فيه .

●●●

والربا فى اصطلاح الفقهاء هو : زيادة المال بلا مقابل فى معاوضة مال بمال ، أى الحصول بالانتظار على ما يتولد عن ماله دون أن يقوم بعمل أو يساهم بجهده فى الانتاج . كما أن الربا فى الانجليزية USURY يعنى صراحة الإقراض بفائدة INTEREST (اكسفورد) ، ولا عبرة بما إذا كان القرض سوف يستخدم فى أغراض استهلاكية أو استثمارية ، فمعظم ربا الجاهلية المحرم كان يستخدم فى تمويل قوافل التجارة ، وهو نشاط استثمارى .

لقد نشأت البنوك التجارية كتطور تاريخى لفئة المرابين التى عرفتها أوروبا فى العصور الوسطى فاستخدمت نفس أساليبهم فى حساب الفائدة ، بل إن المسيطرين على معظم البنوك الكبرى فى الدول الغربية هم امتداد للفئة المذكورة .

ومن جهة أخرى فإن وظيفة « خلق الائتمان » التى تعد أهم وظائف البنوك التجارية ما هى إلا سلسلة من الإيداعات (بفائدة) ، ثم الإقراض ، ثم إعادة الإيداع ، وإعادة الإقراض ، وهكذا ، بحيث يستطيع الجهاز المصرفى أن يقرض أضعاف المبالغ الحقيقية المودعة لديه .. فَأَنَّى له هذا ؟

إن هى إلا عملية « توليد لنقود » (غير حقيقية) دون أن يكون الاستثمار عنصرا فيها . وهنا نتساءل : من أين يدفع البنك (فوائد) الإيداعات إذا كان نشاطه ينصب أساسا على الإقراض (بفائدة) ؟ : أى يَنْصَبُّ على التعامل (بالربا) .

فإذا ما سلمنا بالتدهور المستمر للقيمة الشرائية للنقود كواقع نلمسه ، فإن الخسارة الحقيقية تصيب كلا من المودع والمقترض ، والنتيجة الماثلة أمامنا منذ عشرات السنين هى تدهور الاقتصاد القومى .

●●●

ولا تحسبن الاقتصاد الغربى ـ الذى ابتكرت فيه فوائد البنوك ـ بمنأى من هذه النتيجة ، فعملاتهم (الحرة) تتناقص قواتها الشرائية ، هى الأخرى ، واقتصادهم القومى معرض للخراب لولا اتباعهم للأساليب التالية :

١ ـ قام الاقتصاد الغربى ولمّا يزل قائما على إيجاد خلل مجحف فى شروط التجارة الدولية لصالح الدول الغربية .

٢ ـ تقوم البنوك المحلية والأفراد فى الدول النامية بدعم البنوك الغربية ، من حيث لا يعلمون ، من خلال الإيداعات الضخمة وعمليات التهريب إلى البنوك الغربية .

٣ ـ تقوم البنوك الغربية بإقراض الأموال المودعة لديها للدول النامية ، ثم يتم استرداد معظم هذه القروض من خلال (طرائق احتيالية لا يتسع المقام لسردها) .

٤ ـ نجحت الدول الغربية فى ربط عملات الدول النامية بعملاتها (الحرة) فأصبح بوسع

الدول الغربية أن تسترد القروض التى منحتها للدول النامية أضعافا مضاعفة من خلال تغيير أسعار الصرف وتخفيض أسعار المواد الخام التى تستوردها من الدول النامية (جبرا) .

●●●

فإذا ما نظرنا للظروف الخاصة بمصر فسوف نجد أن معدل تدهور العملة يزيد على ٣٠٪ سنويا ، فهل يمكن للبنوك فى مصر أن تمنح المودعين (فائدة) تزيد على هذا القدر ؟

وهل يتصور أن تقرض البنوك بفائدة سنوية تصل ٤٠٪ مثلا ؟

إن النتيجة الحتمية ـ التى نراها الآن ـ للدوران فى الحلقة المفرغة للفوائد (الربوية) للبنوك هى إفلاس العديد من المشروعات فى ظل (الفائدة) التى لا تبلغ نصف المثال المذكور ، فيتدهور الإنتاج القومى .

هذا فضلا عن قيام الكثيرين من المقترضين بتحويل ما اقترضوه إلى عملات أجنبية تتسرب معظمها إلى البنوك الأجنبية إما مباشرة أو من خلال البنوك المحلية فيزداد الحال سوءا .

﴿ ... فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ .

●●●

إن المنهج الاقتصادى الإسلامى الذى أصبح متبلوراً واضحاً من خلال العديد من الرسالات العلمية والبحوث والاجتهادات المعاصرة ، والذى طبق بالفعل وأعطى نتائج مشجعة للغاية ، يستبعد الأسلوب (الربوى) ويستبدل به (الاستثمار المباشر) لإيداعات البنوك فلا يقع المسلمون فى حرج ، ويحترم جهد الإنسان ويكرمه ، ويساهم مال المسلمين فى عمليات إنتاج حقيقية ، ويوزع العائد الحلال الحقيقى فى مرحلة لاحقة على الاستثمار ، فيتحقق العدل ويتقاسم الجميع المسئولية .

قال الله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . (٩٦ سورة الأعراف) .

و قال تعالى :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾

(١٩ ـ سورة الجاثية).

رسل الأزهر

في بلاد النيجر

جولات دبلوماسية

٢

يخطىء من يظن أن الدبلوماسية مكر وخديعة ، أو رياء ونفاق ، أو أنها زينات مرفوعة وموائد منصوبة !!

إنما الدبلوماسية عمل شاق ، وجهد دائب ، فى سبيل تحقيق أهداف الوطن العليا ، وأمنه الخارجى ، وهى علم وفن ، وثقافة واطلاع ، وهى حسن المقابلة ، وصدق المودة ، وأدب الحديث ، والكلمة الطيبة ، وهى بعد ذلك كله عقد الصداقات بين الدول ، وتبادل المصالح السلمية والمشروعة فيما بينها .

وكان فى النيجر على أول عهدى بها تسع سفارات فقط ، منها خمس سفارات تمثل الاتجاه الغربى الرأسمالى ، والأخرى ، ومن بينها مصر ، تمثل الاتجاه الإسلامى . وكنا على علاقة طيبة مع المجموعة الأخيرة ، أما الأولى فتصادف أن كانت علاقاتنا الدبلوماسية مقطوعة معها جميعا باستثناء فرنسا .

وأولى هذه السفارات هى ألمانيا الغربية التى قطعنا علاقاتنا بها عام ١٩٦٥ لاعترافها بإسرائيل ، وكانت تقوم فى النيجر بمشروعات استثمارية واسعة تساند بها فرنسا باعتبارهما عضوين فى السوق الأوروبية المشتركة .

أما الولايات المتحدة التى قطعنا علاقاتنا بها فى أعقاب حرب ١٩٦٧ فكانت تقوم بدور الوريث المنتظر لفرنسا وبريطانيا فى أفريقيا ، وكانت تقدم بعض المعونات للتنمية وبعض المشروعات المفيدة ، ومن أهمها إنشاء «كوبرى كنيدى» وهو الجسر الوحيد الذى يربط ضفتى النيجر عند العاصمة (نيامى) ، وقد أدى إنشاؤه إلى نمو وازدهار الضفة الغربية للنهر بسرعة وفى فترة وجيزة .

وأما (الصين الوطنية) المعروفة باسم (فورموزا) أو (تايوان) ، فقد سبق أن سحبنا اعترافنا بها منذ أن اعترفنا فى الخمسينيات بالصين الشعبية كممثلة شرعية للصين كلها ، وتبعتنا فى ذلك دول كثيرة ، وبذلك انكمش وجود

للسفير
جمال الدين محمود أبو العيون

الصين الوطنية وانحصر فى دول قليلة من بينها النيجر التى كانت الصين تساعدها عن طريق مشروع ناجح لزراعة الأرز اقامته فى (ساجا) الواقعة على نهر النيجر بالقرب من (نيامى) .

وقد يتساءل البعض عن السر فى اهتمام دول كبيرة وغنية بدولة صغيرة نامية مثل النيجر ، وتهافتهم على كسب ودها بمختلف المشروعات والمساعدات ، وماذا تبغى تلك الدول من النيجر فى مقابل ذلك ؟

والواقع انها تنتظر الكثير .. والكثير جداً .. ومن بين هذا الكثير محاولة احتواء البلاد اقتصادياً وسياسياً وثقافياً ، ولتكون منطقة نفوذ ، واداة لها فى المنظمات الدولية كالأمم المتحدة ومجموعة عدم الانحياز ، ومنظمة الوحدة الأفريقية ، وغيرها .

والأخطر من ذلك أن تتخذ من النيجر وجيرانها وقت الحاجة نقطة وثوب إلى الدول العربية فى الشمال ، فهى حلقة فى الحزام الإسلامى الأفريقى الذى يحمى ظهر العرب فى افريقيا ، والذى يرتبط امنه بأمننا القومى على طول الخط ، ومن هنا كان اهتمام إسرائيل بالنيجر ...

وقد اختارت إسرائيل لتمثيلها هناك سفيرا ذكيا من أصل بلجيكى ، يتكلم الفرنسية كأبنائها ، ويكتب دواوين الشعر ، وقد أوفد إلى النيجر خبيرين ، أحدهما طبيب بيطرى ، والآخر خبير للرياضة والشباب ، وهما اللذان حل محلهما الخبيران المصريان المعاران للنيجر عن طريق حكومة ليبيا ...

وكان البيطرى يتعرف من خلال عمله على كبار الملاك واصحاب المصالح ويعقد معهم أوثق الصلات . أما خبير الرياضة والشباب فكان ركيزة على الجيل الجديد ، فهو يجتذب الشباب اليافع يدربه على فنون الرياضة ، وهو يندس بين صفوف المجندين بتكوين فرقة للموسيقى العسكرية تشارك فى الاستعراضات العسكرية والمناسبات القومية وتجذب الأنظار بموسيقاها ونظامها الرائع ، فتثير إعجاب الجماهير البسيطة الطيبة ، وهو يقدم صندوق إسعاف صغير لاستخدامه فى مباريات كرة القدم حين يصاب أحد اللاعبين وينفخ الحكم فى صفارته فيسرع المسئول لنجدة المصاب حاملا الصندوق المرسوم عليه (نجمة داود) وسط ألوف النظارة الذين يحمدون لإسرائيل شهامتها وإنسانيتها !!

ويوم رأيت السفير الإسرائيلى جالسا بالقرب منى فى العرض العسكرى الذى أقيم فى ٢٨ ديسمبر ١٩٧١ احتفالا بذكرى استقلال النيجر ، وكان فى قمة النشوة لنجاح العرض يومها ، اقسمت الا يهدأ لى بال حتى اقتلع سفارة إسرائيل فى النيجر من جذورها ، مستعيناً بكتاب الله ادخل به بيوت العبادة واثقاً من نصرة الحق ، ومتدثراً بعباءة افترش بها الحصير فى بيوت إخوتى فى العقيدة ، ومتسلحا بسلاح الإيمان اسير به آمنا مطمئنا فى الأزقة والحوارى التى

←

رسل الأزهر

تضيق بمرور سفير إسرائيل الصهيوني فيها ، في حين يتسع لمرور سفارة مصر كلها ، فهي سفارة الإسلام وسفارة الأزهر .

ونظرة إلى السفارات الصديقة نجد أولا سفارة نيجيريا ، وكان يمثلها الحاج محمد ساني كونتاجورا الذي كانت تربطني به أواصر الاخوة والمحبة ، وكان يعمل قبلا رئيسا للإذاعة في نيجيريا ثم نقل بعد النيجر سفيراً لبلاده في (جدة) .

والنيجر ونيجيريا شقيقتان ، تفصل بينهما حدود وهمية شقها الاستعمار لتصبح إحداها فرنسية والأخرى إنجليزية ، ورغم ذلك فالعلاقات بينهما أشبه بالعلاقات بين مصر والسودان في تلاحمهما وترابطهما .

وكانت هناك سفارة الجزائر ، ويمثلها السفير عبدالرحمن النقلي الذي كان يعمل مديرا للمدرسة العربية في تمبكتو (في مالي) ، وكان يتحدث الفرنسية بطلاقة ، ويهتم في المقام الاول بجاليته التي تضم عدداً كبيراً من التجار الناجحين ، وبتعزيز روابط الجوار بين بلاده والنيجر وربطهما بطرق المواصلات البرية وخطوط الطيران المنتظمة .

أما سفارة ليبيا فكانت من أنشط السفارات في النيجر ، وكان القائم بأعمالها هو الأخ محمد شنيب الذي كان ضابطا طيارا في الجيش الليبي ثم ألحقه العقيد القذافي بالسلك الدبلوماسي لتوثيق علاقات ليبيا مع جيرانها ، ومن بينها تشاد والنيجر ، في جميع المجالات ، وقد بذلت ليبيا في سبيل ذلك مساعدات سخية للنيجر .

ولقد حاولت السفارة الليبية وسعها لتشكيل (رابطة) عربية أو (ناد) عربي في (نيامي) ولكن لم تنجح المحاولات التي بذلت في هذا السبيل ، لاختلاف أوضاع ومفاهيم الجاليات العربية في النيجر ، فالجالية الليبية صغيرة والجالية المصرية عبارة عن عدد محدود من الخبراء والموظفين الرسميين ، مثلهم في ذلك مثل المغاربة والتوانسة .

بقيت بعد ذلك جاليتان كبيرتان نسبيا ، وقوامهما من التجار ، وهما : الجالية اللبنانية والجالية الجزائرية .

أما الجالية اللبنانية فقد قدم افرادها تباعا من دول بعيدة ، واحتفظوا في النيجر بخصائصهم العرقية ، وكانوا دوما منشغلين بمصالحهم الذاتية ومشاكلهم الخاصة ، لذلك كانت ظروفهم تختلف اختلافا بينا عن التجار الجزائريين الذين كانوا يعيشون آمنين ومندمجين مع جيرانهم من أهل النيجر ، فضلا عن أن سفير الجزائر قد قصر اهتمامه على بني وطنه دون أن يحاول الدخول في متاهات لا يعلم منتهاها .

ولقد فكرت السفارة المصرية من جهتها في تحقيق لون من التقارب المنشود بين الجاليات العربية ، وساعد على ذلك وجود (كافيتريا) عمارة النصر باعتبارها ركيزة صالحة للتجمع المرجو ، وبخاصة بعد أن بدأنا فيها حفلات السمر الأسبوعية التي اتسعت تدريجيا لتشمل إلى جانب المصريين أشقاءنا من السفارات العربية ومن المغاربة والتوانسة واللبنانيين وغيرهم الذين رحبوا بالمشاركة في هذه اللقاءات بشدة ..

جمال الدين ابو العيون

الأصمعي
بين يدي معاصريه

للأستاذ :
أيمن محمد ميدان

حقق الأصمعي شهرةً واسعةً الأرجاء ، عميقة الأغوار ، تجاوبت أصداؤها في حياته وبعد مماته ، فقد رحل تاركاً الألسن تلهج بفضائله الكثيرة ، ومجهوداته المضنية .

يقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي : « عجائب الدنيا معروفة معدودة منها الأصمعي » .(١)

ويقول الأخفش عنه : « ما راينا احداً اعلم بالشعر من الأصمعي وَخَلَف ، فقيل له : أيهما كان أعلم ؟ فقال : الأصمعي » . (٢)

وسأل الدوديُّ ابن معين ، فقال : « أريد الخروج إلى البصرة ، فعمن اكتب ؟ فقال : عن الأصمعي ، فهو ثقة صدوق » . (٣)

أما خلف الأحمر فإنه ينهر « كيسان » ويقول له : « ويلك ! الزم الأصمعي ، ودع أبا عبيدة ؛ فإنه أَفْرَسُ الرجلين بالشعر » .(٤)

ويقول الفراء عن الأصمعي : « أعلمهم بالشعر ، واتقنهم للغة ، وأحضرهم حفظاً » (٥).

ويقول المُبَرِّد : « كان الأصمعي بحراً في اللغة ، لا يُعرفُ مثله منها ، وفي كثرة الرواية » .(٦) ويقول أيضاً : « كان الأصمعي اسد الشعر والغريب والمعاني وكان ابو عبيدة كذلك ، ويُفضَّلُ على الأصمعي بعلم النسب ،

(١) المزهر ٢/٤٠٤ .
(٢) نزهة الألباء ٧٥ .
(٣) تهذيب التهذيب ٤١٧/٦ .
(٤) تاريخ بغداد ٤١٦/١٠ .
(٥) مراتب النحويين ٤٨ .
(٦) تهذيب التهذيب ٤١٧/٦ .

الأصمعي بين يدي معاصريه

وكان الأصمعي أعلم منه بالنحو » . (٧)

وكان الأصمعي أثيراً عند خلفاء بني العباس ، ووجهاء القوم ، يقربونه من مجالسهم ، ويجزلون له العطايا ، يستشيرونه فيما يَعِنُّ لهم من قضايا اللغة وما يعترضهم من غريب اللفظ .

قال سلمة بن عاصم : « كان هارون الرشيد استخلص الأصمعي لمجلسه ، وكان يرفعه على أبي يوسف القاضي ، ويجيزه بجوائز كثيرة .. » .(٨) وكان هارون الرشيد يطلق عليه : « شيطان الشعر » .(٩)

وقال أبو أحمد العسكري : « لقد حرص المأمون على الأصمعي وهو بالبصرة أن يصير إليه ، فلم يفعل ، واحتج بضعفه وكبره ، فكان المأمون يجمع المُشْكِلَ من المسائل ، ويُسَيِّرُها إليه ، ليجيب عنها » (١٠) .

ويقول الخشني : « .. لم يتهم الأصمعي في شيء من دينه .. » (١١) .

ويقول عنه نصر بن علي الجهضمي : « كان الأصمعي يتقي أن يُفَسِّرَ حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، كما يَتقي أن يُفَسِّرَ القرآن .. » .(١٢)

ويقول تلميذه الرِّياشي : « كان الأصمعي شديد التوقي لتفسير القرآن ، صدوقاً صاحب سُنَّة » . (١٣)

ويقول أبو علي القالي : « .. وكان ثقة عند أصحاب الحديث أيضاً .. » .(١٤)

وعليه فليس عجيباً أن يحظى الأصمعي بتقدير الفقهاء ورواة الحديث ، فها هو ذا الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ يقول عنه : « ما عَبَّرَ أحدٌ عن العرب بمثل عبارة الأصمعي »(١٥) .

وقال أيضاً : « ما رأيت بذلك المعسكر أصدق من الأصمعي .. » . (١٦)

وكان الأصمعي يبادلهم تقديراً بتقدير ، فعندما توفي سفيان بن عُيينة ، وكان إماماً عالماً مثبتاً زاهداً ورعاً مُجْمَعاً على صحة حديثه وروايته ، رثاه الأصمعي رثاء مكلوم ؛ فقال : (١٧)

فَليبكِ سُفيانَ باغي سُنَّةٍ درست
وَمُستَبِيتُ آثاراتٍ وآثار

ومبتغي قرب إسنادٍ وموعظةٍ
وَآفقِيُّون من طار ومن طار(١٨)

أَمسَت مجالِسُه وحشاً مُعطَّلة
من قاطنين وحُجَّاجٍ وَعُمَّارِ

من للحديث عن الزهري حين توى
أو للأحاديث عن عَمروبن دينار(١٩)

لو يسمعوا بعده من قال حدثنا الزُّ
هْرِي من أهل بدو أو بأمصار

لا يهنأ الشامت المسرور مصرعهُ
من مارقين ومن جُحَّاد أقدار

---

(٧) أخبار النحويين للسيرافي ٤٥ .
(٨) تهذيب اللغة ١/١٤ .
(٩) نزهة الألباء ٧٤
(١٠) وفيات الأعيان ٣/١٧٢
(١١) طبقات النحويين ١٨٨ .
(١٢) بغية الوعاة ٢/١١٢ .
(١٣) طبقات النحويين ١٩٢ .
(١٤) تهذيب اللغة ١/١٤ .
(١٥) نزهة الألباء ٨٢ .
(١٦) نزهة الألباء ٨٤ .
(١٧) عيون الأخبار ٢/١٣٥ .
(١٨) افقيون : جمع افقي أو افقي (نسبة إلى الآفاق أو الأفق) .
(١٩) الزهري : هو أبو بكر محمد بن مسلم ، أحد الفقهاء والمحدثين بالمدينة ، رأى عشرة من الصحابة ، وروى عن جماعة من الأئمة منهم : مالك بن أنس وسفيان بن عُيينة ، وسفيان الثوري ... وعمرو بن دينار المكي ، كان من أشد الناس إتقاناً للحديث ، روى عن ابن عباس وأبي هريرة ، توفي سنة ١٢٥ هـ .

ومن زنادقة جَهْمٌ يقودهم
قَوْداً إلى غضب الرحمن والنار[٢٠]
وملحدين ومرتابين قد خلطوا
بُسُنةِ الله أهتاراً بأهتار[٢١]

وقال ابن خِلِّكَان : [٢٢] « قال أبو العيناء : كنا في جنازة الأصمعي ، فجذبني أبو قُلَابَةَ .. وجذبني أبو العالية الشامي وأنشدني ، واسم أبي العالية الحسنُ بنُ مالك :

لادرَّ درُّ الأرض إذ فُجِعَتْ
بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفا
عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى
في الناس منه ولا من علمه خلفا

ونظراً لمكانة الأصمعي العلمية في نفوس الناس ، فقد كانت عداوة ابن الأعرابي له مُنَفِّرَة للناس عنه ، وعن ارتياد مجالسه العلمية ؛ فقد قيل لأبي زيد الإقليدسي : لِمَ لَمْ تأت ابن الأعرابي ، ولم تقرأ كتبه ؟ فقال : بلغني أنه يستنقص الشيخين : يعني الأصمعي ، وأبا عبيدة » .[٢٣]

وإذا كان الأصمعي قد حاز هذا الإعجاب والتقدير من معاصريه ـ خلفاء وعلماء وفقهاء ـ فإنه لم يعدم ـ أيضاً ـ من يفترى عليه ويذمه ، ويشدد النكير عليه وتلك أمارة كل زمان ومكان .

يقف ابن الأعرابي على رأس قائمة خصومه ، وألدهم عداوة ، فمن مظاهر عداوته للأصمعي ما يرويه ثَعْلَبُ عن أستاذه : « سمعت ابن الأعرابي يقول في كلمة رواها الأصمعي : سمعت من ألف أعرابي خلاف ما قاله الأصمعي »[٢٤]. وقوله أيضاً : « إن الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان قليلاً ولا كثيراً » .[٢٥]

ولعداوة ابن الأعرابي للأصمعي جذور عميقة الأغوار ، يكشف عنها القفطي بقوله : « وكان ابن الأعرابي يطعن على الأصمعي ، وسَبَبُهُ أن الأصمعي دخل يوماً على سعيد بن سلم وابن الأعرابي يؤدب حينئذ ولده ، فقال لبعضهم أنشد أبا سعيد . فأنشد الغلام لرجل من بني كلاب شعراً ، رواه ابن الأعرابي ، وهو :

سمين الضواحي لم تؤرقه ليلة
وأنعم أبكارُ الهموم وعونها

ورفع « ليلة » . فقال له الأصمعي : من رَوّاك هذا ؟ فقال مُؤَدِّبي . فأحضره واستنشده فأنشده ، ورفع « ليلة » فأخذ ذلك عليه ، وفسر البيت ، فقال : إنما أراد : لم تؤرقه ليلة أبكار الهموم .. ثم قال لابن سلم : من لم يحسن هذا المقدار ، فليس موضعاً لتأديب ولدك ، فَنَحَّاهُ » .[٢٦]

وليحيى بن المبارك اليزيدي شعر يهجو فيه الأصمعي ، يقول فيه :

ومن أنت هل أنت إلا امرؤ
إذا صح أصلك من باهله
وحسبك لؤم قبيل بها
لمن هي في كفه حاصله

←

(٢٠) جَهْم : هو جَهْم بن صفوان ، صاحب الجهمية ، وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بِدْعَتهُ بترمذ ، وقتله سالم بن أحوز المازني بمرو في آخر مُلْكِ بني أمية .
(٢١) أهتار جمع هِتْر ، وهو السَّقَطُ .
(٢٢) وفيات الأعيان ١٧٦/٣ .
(٢٣) طبقات النحويين ٢١٣ .
(٢٤) تاريخ بغداد ٢٨٣/٥ .
(٢٥) تاريخ بغداد ٢٨٥/٥ .
(٢٦) إنباه الرواة ١٣٢/٢ .

فكيف لمن كان ذا دعوة
وَكِفَّةُ نسبته شائله[27]

وقال أبو العيناء: كنا في جنازة الأصمعي، فجذبني أبو قُلابة، حبيش بن عبدالرحمن الجرمي، وقيل: حبيش بن منقذ - قاله المرزباني في المعجم - الشاعر، فأنشدني لنفسه:

لعن الله أعظماً حملوها
نحو دار البلى على خشبات
أعظماً تبغض النبي وأهل الـ
ـبيت والطيبين والطيبات[28]

وفي النهاية: إذا كانت هذه الصفحات القليلة استطاعت أن تجسد مكانة راقية اعتلاها الرجل، واهتماماً بالغاً ناله، فإن هذا الاهتمام به وبتراثه لم يقف عند حدود فترة زمنية محددة، أو خلف أسوار جنس بعينه.[29] فقد شرّق تراث الرجل وغرّب، وما عبر حدود أمة، أو حلق بأفقها إلا ونال من علمائها حفاوة تعكس تقديراً للرجل وجهوده، وشغفاً عميق الجذور بالإسلام وحضارته، العربية وتراثها الخالد.

المصادر

١ - أخبار النحويين البصريين للسيرافي، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة ١٩٤٧ م.
٢ - اشتقاق الأسماء للأصمعي تحقيق دكتور رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهادي. القاهرة ١٩٨٠ م. (اعتمدنا عليه كثيراً).
٣ - إنباه الرواة على إنباه النحاة للقفطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥٥ م.
٤ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م.
٥ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي القاهرة ١٩٣١ م.
٦ - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني. الهند ١٣٢٥ هـ.
٧ - تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري تحقيق عبد السلام هارون وآخرين القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م.
٨ - طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة ١٩٥٤ م.
٩ - عيون الأخبار لابن قتيبة. القاهرة
١٠ - مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة ١٩٥٥ م.
١١ - المزهر في علم اللغة وأنواعها للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين. القاهرة ١٩٥٨ م.
١٢ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات ابن الأنباري تحقيق إبراهيم السامرائي - بغداد ١٩٥٣.
١٣ - الورقة لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح تحقيق عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج. القاهرة ١٩٥٣ م.
١٤ - وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان لابن خلكان تحقيق محيي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٩٤٨ م.

---

(٢٧) الورقة ٣٠.
(٢٨) وفيات الأعيان ٣/١٧٦.
(٢٩) هذا ماسنقوم بمناقشته في مقال قادم إن شاء الله.

مسلك ذى الوجهين

بقية

وأهل الجنة ينظرون إليهم ، فإذا وصلوا إلى باب الجنة ، فهناك يُغلق دونهم الباب ، فذاك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ ، فهذا هو الاستهزاء بهم .

٢ ـ كيف ابتدأ قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ولم يعطف ؟

والجواب : أنه استئناف فى غاية الجزالة والفخامة ، وفيه أن الله تعالى هو الذى يستهزىء بهم الاستهزاء العظيم الذى يصير استهزاؤهم بالمؤمنين فى مقابلة استهزاء الله كلا شىء ، فمهما بالغ العبد فى الاستهزاء فإنه لا يساوى شيئاً بجانب استهزاء الله سبحانه .

٣ ـ ولم يُطابق استهزاء الله استهزاء المنافقين فى الجمل ، لبيان أن استهزاء الله متجدد بخلاف استهزائهم فليست له إلا صورة واحدة .

﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ (المد) غالباً ما يكون فى الشر ، أما (أمدّ) فغالباً ما يكون فى الخير ، وهنا مد فى الطغيان ، والعَمَهُ : هو (التخبط) ، وكثيراً ما يكون فى البصيرة بخلاف العمى الخاص بالبصر ، ثم وصفهم سبحانه وحكم عليهم بما هم أهلٌ له ، فقال : ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ وفيه إشارة إلى بُعد منزلتهم فى الدرك الأدنى وهؤلاء المنافقون قد اشتروا الضلالة بالهدى ، فباعوا الآخرة ، وآثروا الحياة الدنيا . واعلم أن الاشتراء مستعمل فى معنى البيع ومعنى العوض عن البيع . والباء تدخل على المتروك ، وهنا استعارة حيث شبه الكفر بالضلال ، وشبه الإيمان بالهدى ، ومن باع الغالى واشترى الرخيص تعرض للخسران لا محالة ، ومن ثم قال : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾ اى فما ربحوا فى تجارتهم ، ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ اى منتفعين بما يسره الله لمن يريد الهدى .

وبعد : فإن المنافقين استدفأوا فراش الشهوات وإنه لبارد ، واستلحفوا لحاف الملذات وفيه مناخس ، وبعد ذلك يُنذرهم الله بقوله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾

وويل لمن يُصافح الموت بيد ملوثة بالآثام ، مغلولة بالشهوات ، ذاك يجد يد الموت أبرد من الجليد ، وأقسى من الحديد ، وإن العطاء الذى يكون مصدره العدل لهو أعظم من الذى يبتدىء من الحسنة ، وإن المحبة التى تبتدعها الظروف تشابه مياه المستنقعات .

الفتاوى

الحج عن الغير

س ١ : أرجو الإفادة عن :
(أ) ما حكم الحج عن شخص ميت أو عاجز .
(ب) هل يصل ثواب الصدقة للميت من غير ولده .

جابر محمد ـ الجيزة

جـ ١ (أ) : الحج عن الميت أو العاجز عن أداء الفريضة بنفسه جائز عند جمهور العلماء ، جاء فى مسند الإمام أحمد . « جاءت امرأة إلى النبى ﷺ ، فقالت : إن فريضة الله فى الحج أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة . أفأحج عنه .

قال : أرأيت إن كان على أبيك دين أكنت قاضيته ، قالت : نعم . قال : فدين الله أحق أن يقضى » .

(ب) : ويصل ثواب الصدقة للميت ولو كان من غير ولده ، قال النووى فى شرح مسلم : الإجماع على أن الصدقة تنفع عن الميت ويصل ثوابها إليه من غير تقييد بكونها من الولد .

ـــ نيل الأوطار ـــ

حج المرأة ..

س ٢ : إمرأة وجب عليها الحج وهى مستطيعة لأداء الفريضة إلا من المحرم فهل يجوز لها أن تحج فى صحبة مأمونة ؟

جـ ٢ : مما أوجبه الإسلام على المرأة ألا تسافر مسافة قصر أو أكثر إلا فى صحبة زوج أو ذى محرم ، صيانة لكرامتها وسمعتها وحماية لها من طمع الطامعين ، وعدوان المعتدين .

وإذا تحقق المقصود ووجدت الرفقة المأمونة من الرجال الثقات أو النساء جاز للمرأة أن تخرج لأداء الحج . لما رواه البخارى أن عمر رضى الله عنه أذن لأزواج النبى ﷺ : فى آخر حجة حجها ، فبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن . (فتح البارى ج ٤ ص ٤٤٧) .

الولى فى الزواج

س ٣ : فتاة مسلمة تلتزم بتعاليم دينها بارتداء الزى الإسلامى على غير رغبة أبويها اللذين طرداها من المنزل

فهل يجوز لأحد أقاربها أن يتولى أمر تزويجها مع وجود الأب أم لا ؟

س . ى . القاهرة

جـ ٣ : قال رسول الله ﷺ : إذا بلغت المرأة المحيض فلا يظهر منها إلا هذا وذاك ، وأشار إلى

إعداد:
علي حامد عبد الرحيم

الوجه والكفين . أو كما قال .

وعلى ذلك : فواجب المرأة المسلمة أن تستر جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين ، وذلك عند أمن الفتنة ، وأما إذا لم تؤمن الفتنة فيجب عليها ستر جميع البدن ، وهكذا كانت تفعل الصحابيات على عهد رسول الله ﷺ ، وبعده .

وليس لإنسان أن يمنع المرأة من الالتزام بأمر الإسلام فى الملبس ، حتى ولو كان أحد الأبوين أو الأبوين ، لأنه : لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وعلى الأقرباء والمحيطين بها وبوالديها أن يصلحوا بينهما حتى يتم الزواج عن طريق الأبوين وحتى تكون المودة بينها ومن تختاره وبين أبويها . قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ فإذا لم يتم ذلك ، دخلنا من باب الضرورات تبيح المحظورات وكان لأحد أقربائها أن يزوجها ممن يرضى دينه وخلقه .

الزواج ممن مال أبيها من حرام

س ٤ : أسرة كان عائلها يتاجر فى المحرمات ، وبعد موته تركوا هذه التجارة فهل عليهم ذنب أم لا ؟ وما حكم الإسلام فى ميراث هذا المال ؟ وهل يجوز لى أن أتزوج من إحدى بناته ؟

هـ . ع . هـ سوهاج

جـ ٤ : لا ذنب عليهم إذا كانوا قد قدموا لعائلهم النصحية وحاولوا منعه عن الاتجار فى المحرم ، ويجوز لهم توزيع التركة حسب قواعد الميراث دون النظر إلى الوسائل التى تكون منها هذا المال ـ ولأنهم لا يعرفون صاحبه ـ .

والتحريم هنا ينصب على فعل المورث لا على ما عنده من أعيان أو نقود وهو المسئول أمام الله عما جمعه من أموال ولا شىء عليهم ، لأنها لم تكن نتيجة لفعلهم وتصرفاتهم .

يقول علماء أصول الفقه : « لا تكليف إلا بفعل » وبناء على ما تقدم يجوز للسائل أن يتزوج بإحدى بنات هذا المورث مادامت ذات خلق ودين والله أعلم .

حكم العمل فى مجال التصوير

س ٥ : أمتلك محلاً للتصوير « الفوتغرافى » وأقوم بتصوير الناس للمصالح الحكومية والمعاملات الرسمية . كما أقوم بتكبير الصور الملونة وغيرها الخاصة بالمناسبات . فما حكم هذا العمل الذى يعتبر مورد رزقى الوحيد ؟

ف . ح . خ شبين الكوم

جـ ٥ : يجوز ذلك شرعاً لعدم ورود النص الصريح القطعى بتحريمه ، ولأنه لا ضرر منه ، بل وتتوقف حياة المصور على هذا العمل .

وهذا ما لم يقم المصور بتمثيل الصور الفاتنة التى تسبب انحراف الشباب والشابات .

←

تفســـير

س ٦ : ارجو تفسير قول الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ . الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ . الخ ..

جابر محمود صبيح ـ جرجا

جـ ٦ : ويل شديد ، وعذاب اليم لكل شخص يطعن فى أعراض الناس ويغض من شأنهم .. بالهمز وهو ما يكون بالحركات كالعين والشدق واليد بقصد التحقير ، واللمز ويكون باللسان .

ومن دعاه إلى ذلك إعجابه بنفسه وغروره بماله وجمعه وتعديده مرة بعد مرة شغفا به . وتلذذا بإحصائه لأنه لايرى شرفاً ولا مجداً فى سواه .

إن غروره بالمال انساه الموت فهو يحسب أن ماله أخلده ، وكأن البارى سبحانه وتعالى يقول له : ارتدع عما ظننت فليس الأمر كما تظن من أن المال يخلدك ، بل الذى يخلدك ويبقى إنما هو العمل الصالح ـ لأن خزان الأموال يموتون وهم أحياء ، إذ يمقتهم الناس ، وأما العاملون للخير فذكرهم باق بقاء الدهر .

وكأن الله سبحانه بعد أن زجره عن البقاء على ظنه يقول والله ليطرحن فى الحطمة وهى النار التى تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب .

إن هذه الحطمة مما لاتحيط به المعرفة ـ إنها نار الله الموقدة التى لا تخمد ، فهى ملتهبة التهابا لا يدرك كنهه وحقيقته إلا الله ، فهى تصل إلى القلوب التى أودعت باطن الإنسان فى أخفى مكان منه .

إنها عليهم موصدة أى مطبقة لا يستطيعون الخروج منها .

قال مقاتل : فى قوله تعالى : ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ : إن الأبواب أطبقت عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد مطولة تمتد من أول الباب إلى آخره فلا يفتح عليهم باب .

والمقصود تصوير شدة إطباق النار على أهلها .

نسأل الله أن ينجينا من عذاب النار ، وأن يوفقنا لصالح الأعمال .

العلوم الكونية

قصة الثقوب في العلوم الكونية

مفاعل نووي يعمل منذ نحو اثنى بليون عام

قصة الثقوب في العلوم الكونية

٣

ثالثا : نظرية الثقب في الفيزياء النووية :

نعلم من المبادىء الأساسية للفيزياء الذرية والنووية ان نواة الذرة يتركز فيها اكثر من ٩٩,٩٪ من كتلة الذرة وتحمل كل الشحنة الكهربية الموجبة اللازمة لتعادل شحنة الألكترونات السالبة التى تطوف حولها ، ويوصف عنصر ما من العناصر الموجودة في الطبيعة بانه ذو نشاط إشعاعى طبيعى إذا كانت ذراته تتحلل ببطء مع مرور الزمن عن طريق التخلص التلقائى من جزء من النواة .

كما تمكن الإنسان من صنع الكثير من العناصر المشعة عن طريق المفاعلات النووية التى تنتج كميات وافرة من النوى التى يندر وجودها على الأرض ، او ربما تكون قد وجدت مع تكون الأرض ثم تحللت منذ زمن بعيد ، وقد وجد ان الإشعاعات الصادرة عن العناصر المشعة تتكون من واحد او اكثر من الانواع الآتية :

١ ـ أشعة «ألفا» وقد ثبت بالتجربة أن وزنها يساوى حوالى أربع مرات قدر وزن ذرة الهيدروجين ، وأن شحنتها الموجبة تساوى ضعف شحنة الألكترون وأن لها قدرة كبيرة على «تأيين» الغازات .

٢ ـ أشعة «بيتا» ، وقد ثبت بالتجربة أنها عبارة عن سيل من الألكترونات التى تنطلق بسرعات كبيرة جداً تقترب من سرعة الضوء ، ولها القدرة على النفاذ في الأجسام بمعدل اكبر من مدى جسيمات «ألفا» .

٣ ـ أشعة «جاما» ، وهى عبارة عن موجات كهرومغناطيسية لها نفس طبيعة الضوء العادى ولكنها تتميز بطاقتها العالية وقدرتها الكبيرة على «التأيين» واختراق الأجسام .

٤ ـ يمكن لبعض نوى الذرات أن تبعث أنواعاً أخرى من الإشعاعات مثل البروتونات والنيوترونات والبوزيترونات وغيرها . والبروتون جسيم يحمل شحنة موجبة مساوية عدديا لشحنة الألكترون وكتلته تبلغ حوالى ١٨٣٦ مرة

أ. د. أحمد فؤاد باشا*

قدر كتلة الألكترون ، بينما يعتبر النيوترون جسيما بلا شحنة كهربية وكتلته تعادل كتلة البروتون تقريباً .

أما البوزيترون Positron فهو جسيم له نفس كتلة الألكترون ولكنه يحمل وحدة الشحنة الكهربية الموجبة . وتجدر الإشارة إلى أن كلا من الألكترون والبوزيترون لا يمكن أن يتواجدا بداخل نواة الذرة ، ولكن عملية تكوينهما يمكن أن تبدأ أثناء عملية التحلل الإشعاعي .

وهناك تفاعل نووى نموذجي يسمى «الإنتاج الزوجي» Pair Production وفيه يحدث لشعاع جاما ذى طاقة أكبر من ١,٠٢ مليون الكترون ڤولت عندما يتصادم مع نواة ذرية ثقيلة أن يختفى ليحل مكانه «زوج الألكترون - بوزيترون» وكلما زادت طاقة شعاع جاما عن الحد المذكور فإن فرق الطاقة يتحول إلى طاقة حركة تستغل فى انطلاق كل من الألكترون والبوزيترون . ونظراً لأن البوزيترون يختلف عن الألكترون فى استحالة إمكان تواجده فى الفراغ المطلق ، فإن العملية العكسية المعروفة باسم «الإفناء الزوجى» Pair annihilation تتم بفقد البوزيترون لطاقة حركته تدريجيا عن طريق تصادماته المتوالية مع الذرات المحيطة . وعندئذ يمسك البوزيترون بأى الكترون حر فى طريقه ويكون ما يسمى «بالذرة البوزيترونية» Positronium atom غير المستقرة التى لا تلبث أن تختفى فى أقل من جزء من عشرة آلاف مليون جزء من الثانية (أى ١٠⁻¹⁰ ثانية) ويظهر بدلا منها شعاعان متعاكسان طاقة كل منهما تساوى ٠,٥١ مليون الكترون فولت (لاحظ أن مجموع طاقتى الشعاعين الجديدين تساوى تماما الطاقة الحرجة الكلية اللازمة للإنتاج الزوجى) .

ويعتقد العلماء أن جميع الجسيمات المكونة للكون الذى نعيش فيه يوجد لها «جسيمات مضادة» Antiparticles ، والعكس صحيح ، اى أنهم يعتقدون بوجود «الكون النقيض» Antiuniverse فى مكان ما من الوجود تكون فيه «الجسيمات المضادة» أكثر ثباتا واستقرارا من الجسيمات Particles وبناء على ذلك يطلقون على «البوزيترون» الجسيم المضاد للألكترون ، وعندما يتحد جسيم ما مع جسيمه المضاد تحدث عملية الإفناء التى أشرنا إليها .

وهنا ، ربما تكون الفرصة قد سنحت لنعرض لنظرية الثقب Hole theory التى وضعها العالم الفيزيائى «ديراك» فى عام ١٩٣٠ م لتفسير ظاهرة «الإنتاج الزوجى» نظريا . وتقضى هذه النظرية بافتراض نموذج لبنية الطاقة المميزة للإنتاج الزوجى ، حيث تشغل الألكترونات جميع حالات الطاقة السالبة . وعندما يستمد أى من هذه الألكترونات قدراً من الطاقة مساويا للطاقة الحرجة (١,٠٢ مليون الكترون فولت) أو أكبر منها ، فإنه يرتفع عبر منطقة محظورة لا يستطيع فيزيائيا أن يمكث فيها ، ويصل إلى حالة من الطاقة الموجبة تاركا وراءه «ثقبا» فارغا يعرف باسم «البوزيترون»[١] .

←

* الكاتب : أستاذ الفيزيا بكلية العلوم - جامعة القاهرة .

(١) نال «بول ديراك» جائزة نوبل عام ١٩٣٣ م على هذا الكشف العلمى الهام . لمزيد من التفصيل راجع : د . عبدالمحسن صالح ، «هل لك فى الكون نقيض» ، الهيئة المصرية العامه للكتاب ، ١٩٧٩ .

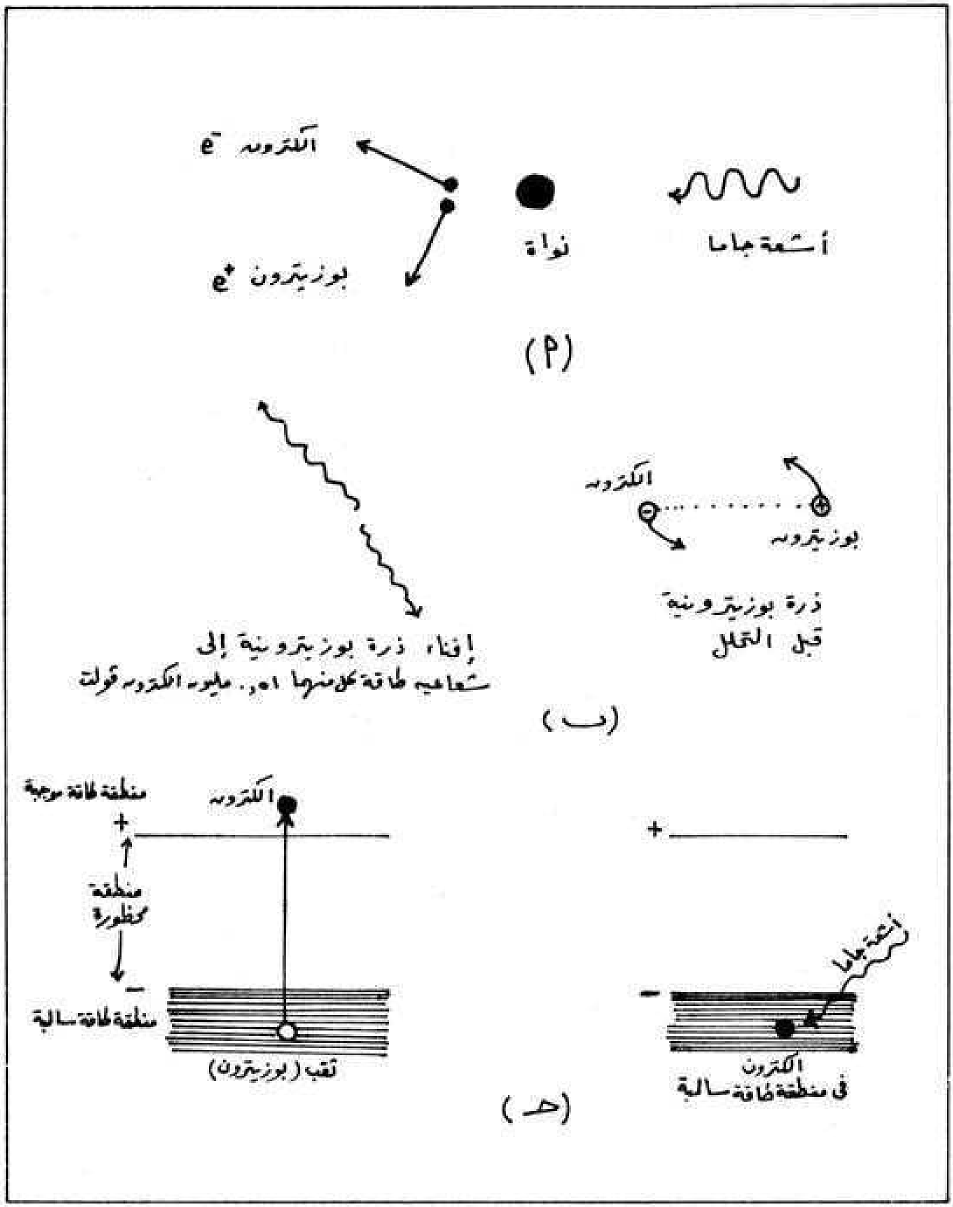

رسم يوضح : (أ) عملية الإنتاج الزوجى (الكترونى - بوزيترون) .
(ب) تكوين وإفناء ذرة بوزيترونية .
(جـ) تكوين الزوج الكترون - بوزيترون حسب نظرية الثقب لديراك .

رابعا : الثقوب السوداء والفيزياء الفلكية

عندما نصل الآن إلى قصة الثقوب السوداء Black holes أو الثقوب البيضاء White holes فى أعماق الفضاء الخارجى فإن الحديث يكون أقرب إلى قصص الخيال العلمى منه إلى الأسلوب المتعارف عليه فى لغة العلم الموضوعية . ذلك لأننا سنكون أمام ظاهرة غريبة على العقل والمنطق ، لا يجدى فى وصفها إلا استخدام أرقام خيالية وتصورات هلامية تخرج عن إطار كل ما نعرفه الآن عن خصائص المادة وأبعاد الزمان والمكان ، لكن الموضوع من جهة أخرى يحظى باهتمام كبير لدى فئات متنوعة من الباحثين فى علوم الفيزياء والفلك لاعتقادهم بأنه يشكل حلقة هامة من حلقات البحث عن أسرار الكون وخبايا الوجود ، خاصة بعد أن ظهرت حديثا نظرية «المادة المظلمة» التى تقضى بأن ما يزيد على ٩٧٪ من المادة الكلية لهذا الكون لايزال مجهولاً بالنسبة للإنسان .

ولكى نتعرف على حقيقة هذا النوع من الثقوب كما تصورها الحسابات النظرية وكمية النتائج العملية الضئيلة التى توصل إليها العلماء حتى الآن يجب أن نشير إلى خاصتين هامتين تتعلق إحداهما بعملية التطور النجمى وتتصل الأخرى بجاذبية المادة ، أما خاصية التطور النجمى فتعنى أن النجوم بعد «مولدها» تمر بمراحل من التطور تختلف باختلاف أنواع النجوم وأحجامها ، ويصل الحال ببعض هذه النجوم إلى درجة من الخمود فى تفاعلاتها الداخلية والتقلص فى مكوناتها المادية تجعلها فى عداد «الموتى» ، ولقد اكتشفت بالفعل أمثال هذه «النجوم الميتة» وأمكن التعرف عليها ، والاستدلال على وجودها ، مثلما حدث لبعض النجوم الصغيرة نسبيا التى تقلصت خلال عدة عشرات من ملايين السنين إلى أجسام كثيفة وساخنة لدرجة الابيضاض ، أطلقوا عليها اسم «الأقزام البيضاء» White dwarfs وأما خاصية الجذب المادى فترجع أساسا إلى تلك القوة الخفية التى استدل على وجودها علماء المسلمين فى عصر الحضارة الإسلامية ، وصاغ قانونها الرياضى من بعدهم السير إسحاق نيوتن ، فأمكن تفسير الحركة الدائبة المتوازنة للأجرام السماوية ، وحقق الإنسان على أساسها حلمه فى ارتياد الفضاء والسفر إلى الكواكب البعيدة . ومن أهم سمات هذه القوة الكامنة فى طبيعة المادة ذاتها أنها تتعاظم مع ازدياد كتلة المادة حتى تصبح قريبة من حدودها اللانهائية ، وعندئذ يكون لها من الآثار ما يتجاوز حدود علمنا . فإذا كانت الجاذبية الأرضية هى التى تشدنا إلى الأرض شدا بما يتناسب مع كتلة الأرض وكثافة مادتها ، فإلى أين يمكن أن يصل الخيال بنا لتصوير جاذبية جرم تقترب كثافته من اللانهاية وتزيد كتلته عن كوكبنا ملايين الملايين من المرات ؟!

إلى هنا يمكن أن نتخيل الثقوب السوداء التى تنبأت بها نظريات اينشتين على أنها أجرام كثيفة وصلت إلى حالة «الموت» التى تحل ببعض النجوم فى السماء وتشير المعادلات الرياضية إلى أن موت النجوم الصغيرة والمتوسطة يؤدى إلى انهيار مادتها فى جوفها تحت وطأة قوى الجاذبية ، وكلما كانت كتلة النجم كبيرة كانت الكثافة فى جوفه عند موته جد عالية . ويظن أن النجوم التى ينتهى بها المطاف فى تطورها إلى ثقوب سوداء تبلغ حداً من الكبر فى جاذبيتها لا يسمح حتى للضوء نفسه من الإفلات خارج سطحها ، وقد تبتلع فى جوفها كل الأجسام والنجوم التى تدنو من مجالها .

وبعد أن وقع العلماء فى جب الثقوب السوداء وتاهوا فى غياهب «اللانهاية» التى تستعصى على الحس والإدراك ، لجأوا إلى البحث عن معنى التناسق فى ظواهر الكون الطبيعية . وعلى غرار

ما عرفوه من ثنائيات الأضداد فى الخير والشر ، والنور والظلام ، والسواد والبياض ، والموت والحياة ، قالوا بأن الثقوب السوداء لابد لها من وجود «ثقوب بيضاء» White holes تحمل الخصائص النقيضة . لكن هذه بدورها حالة أخرى لا ندرى عن طبيعتها شيئا ، وإن كانت بعض نتائج الأرصاد تشير إلى إمكانية تكرار عملية التطور النجمى وتكوين نجوم جديدة .

ويبحث العلماء عن طرق علمية لمعرفة المزيد عن هذه الثقوب التى لا تأتينا بما تعودنا على رصده وقياسه من إشعاعات وموجات . وقد توصلوا أخيراً إلى القول بإمكان وجود «موجات جاذبية» Gravitational waves- تؤثر عليها الأجرام السماوية بطريقة مماثلة لتأثير العدسات الزجاجية على مسار الأشعة الضوئية وخصائص الصور التى تكونها للمرئيات المختلفة ، وأصبح ما يعرف باسم «العدسات الجاذبية» Gravi-tional lenses موضوعا بحثيا جديداً يعول عليه كثيراً فى الكشف عن معلومات هامة كسرعة تمدد الكون وكثافة المادة المظلمة فيه . وإذا كان الجزء الأكبر من كتلة الكون مختفيا على شكل ثقوب سوداء ، فمن المرجح أن تحدث فيما بينها تصادمات عديدة قد يصدر عنها ما يكفى لكشفها . وتعتمد الفكرة النظرية للعدسات الجاذبية على حسابات علمية نشرها اينشتين عام ١٩٣٦ م وتقضى بأنه إذا وقع نجمان على مسافتين مختلفتين من الأرض وفى موقع ظاهرى واحد من السماء ، فإن صورة النجم الأبعد لابد أن تكون حلقية الشكل . لكنه استبعد أن يكون لهذه النتيجة أهمية عملية بسبب ضآلة احتمال أن يقع نجمان على خط بصرى واحد ، وظل هذا الاعتقاد خيالا نظرياً حتى عام ١٩٧٩ م عندما بدأ توالى اكتشاف مجموعات من هذه العدسات تنشأ عن وجود جرمين أو أكثر خارج مجرتنا على استقامة خط النظر .

ويجرى حاليا التخطيط لتجارب جديدة أكثر حساسية لكشف الموجات الجاذبية ، وذلك فى المراصد التى يشيدها الباحثون لتكون قادرة فى أوائل العقد القادم على رصد الإشارات الجاذبية الآتية من خارج المجرة . وقد تم فعلا ، فى مختبرات الولايات المتحدة وأوروبا ، بناء واختبار نماذج أولية من أجهزة كشف تعتمد على تداخل أشعة الليزر . وهذا النوع من المراصد الجديدة من شأنه أن يساعد على رؤية أوضح للعمليات التى لا تستطيع كشفها أجهزة الرصد التقليدية المعتمدة على الموجات الكهرومغناطيسية ، كما هو الحال بالنسبة لانفجارات النجوم العظمى وتكوين الثقوب السوداء أو البيضاء(٢) .

وهكذا يتضح أن الثقوب السوداء أو البيضاء التى يتحدث عنها العلماء ليست الثقوب التى تعنيها لغتنا ، ولاهى سوداء أو بيضاء كما تدل الأوصاف التى نتداولها فى حياتنا ، ولكنها تسمية أطلقت على ظاهرة كونية لا تراها عيوننا ولا تكشفها حواسنا وأجهزتنا .

وكم فى العلوم من مصطلحات وألفاظ خرجت عن معانيها الأصلية فى اللغة لتدل على معان اصطلاحية تختلف من علم إلى علم ، وأحيانا تختلف باختلاف فروع العلم الواحد(٣) .

---

(٢) لمزيد من من التفصيل يمكن الرجوع إلى المقالين الآتيين :

ـ «قبور فى السماء سوداء وبيضاء» ، د . عبدالمحسن صالح، مجلة العربى ، العدد ٢٨٧ ، أكتوبر ١٩٨٢ م .

ـ «مراصد الموجات الثاقلية» ، أ . د . جفريز وآخرين ، مجلة العلوم الأمريكية ، الترجمة العربية ، المجلد ٦ ، العدد ٤ ، أبريل ١٩٨٩ م .

(٣) لمعرفة المزيد عن تصنيف المصطلحات العلمية انظر : العربية لغة العلوم والتقنية ، د . عبدالصبور شاهين ، دار الاعتصام ١٩٨٦ م

مفاعل نووى

يعمل منذ نحو بليونى عام

للأستاذ الدكتور
محمد عبد الرحمن سلامة

تتميز بعض العناصر الموجودة فى الطبيعة بظاهرة طبيعية يطلق عليها «النشاط الإشعاعى» وتنشا هذه الظاهرة من وجود هذه العناصر فى (حالة عدم استقرار فى تركيبها الداخلى) ولذلك فهى تُعَدِّلُ نفسها باستمرار للوصول إلى حالة الاستقرار. وهذه التعديلات تتم عن طريق خروج جسيمات كبيرة ذات سرعة تسمى (اشعة) وتطلق على ذرات هذه العناصر غير المستقرة «الذرات المشعة» وتعرف التحولات التى تطرا بالتحلل الإشعاعى وتسمى العناصر التى تتحلل (انويتها) طبيعيا بالعناصر المشعة.

وتحتوى (نويات) العنصر الواحد على نفس العدد من (البروتونات) ولكنها قد تحتوى على أعداد مختلفة من النيوترونات، وهذه الأنواع المختلفة من (نويات) العنصر الواحد تسمى (نظائر العنصر).

وعنصر اليورانيوم هو أحد العناصر الموجودة فى الطبيعة على شكل نظيرين:

(اليورانيوم ٢٣٥) ويحتوى على (٩٢ بروتون) و(١٤٣ نيوترون).

وكذلك (اليورانيوم ٢٣٨) ويحتوى على (٩٢ بروتون)، (١٤٦ نيوترون).

ويعتبر (اليورانيوم ٢٣٥) من الأهمية من حيث الانشطار النووى، كما أن له خاصية نادرة حيث أنه بامتصاص نواته لأحد (النيوترونات) تنشطر إلى نَوَاتَىْ عنصرين مختلفين يطلق عليهما نواتج الانشطار ويطلق على هذه الظاهرة الانشطار النووى، ويصاحب الانشطار النووى

←

● الكاتب: استاذ بجهاز التنظيم والأمان النووى «هيئة الطاقة الذرية».

مفاعل نووى

انطلاق عدد يتراوح بين ٢ - ٣نيوترونات . وتتحرك النيوترونات بسرعة عالية تصل إلى ٢٠ الف كيلومتر/ثانية ، ويقل مجموع كتلتى نواتج الانشطار و(النيوترونات) المصاحبة له عن مجموع كتلة نواة ذرة (اليورانيوم) و(النيوترون) المسبب للانشطار ، ويتحول هذا الفرق فى الكتلة إلى مقدار هائل من الطاقة يظهر معظمه فى صورة طاقة حركية تنطلق بها نواتج الانشطار .

وسرعان ما تتحول هذه الطاقة الحركية إلى طاقة حرارية نتيجة لاصطدام نواتج الانشطار بنويات الذرات الأخرى المحيطة بها ، وهذا يفسر لنا تولد الطاقة الحرارية العالية من الانشطار النووى ، اما النيوترونات المنطلقة من الانشطار النووى فيمكنها بدورها عمل انشطارات أخرى مولدة (نيوترونات) أخرى عديدة تدخل بالتالى فى (انشطارات) متتالية ، ويحدث ما يسمى بالتفاعل الانشطارى المتسلسل ، ولزيادة احتمال امتصاص هذه (النيوترونات) بواسطة نويات (اليورانيوم - ٢٣٥) دون نويات نظائر (اليورانيوم) الأخرى ، ثم لإحداث الانشطارات المطلوبة يلزم للتحكم فيها تخفيض سرعة هذه النيوترونات ويتم ذلك عن طريق إتاحة الفرصة لاصطدام النيوترونات عند انطلاقها بنويات مادة أخرى خفيفة يطلق عليها (المُهَدِّىء) وعادة ما يستخدم الماء العادى ، أو الماء الثقيل أو الجرافيت كمواد مهدئة .

وقد وجد أنه منذ حوالى ٢ بليون عام بدأ تفاعل انشطارى متسلسل فى احد العروق الغنية بخام اليورانيوم والمغمورة فى باطن الأرض فى الجزء الغربى من القارة الأفريقية ، وقد استمر هذا المفاعل يعمل حوالى مائتى ألف عام بعد بدء التفاعل ، ولم يتم بناء أى احتواء لهذا المفاعل ، ولم تنشر على الإطلاق أية بيانات عنه تتضمن أية تاثيرات بيئية لهذا المفاعل على الإطلاق .

وقد اكتشف وجود هذا المفاعل حينما اعلنت هيئة الطاقة الذرية الفرنسية فى عام ١٩٧٢ أن بقايا هذا المفاعل الإنشطارى قد اكتشفت فى منطقة (أوكلو) المعروفة الآن (بجمهورية الجابون) فى غرب أفريقيا ، وقد قام أربعة وسبعون عالماً من مختلف التخصصات الكيميائية والفيزيائية والهندسية والجيولوجية من عشرين دولة بمناقشة (ظاهرة أوكلو) فى المؤتمر الدولى الذى عقدته الوكالة الدولية للطاقة الذرية تحت إشرافها فى عام ١٩٧٤ .

وكان التصور المقبول لما حدث عن (ظاهرة اوكلو) أن تركيز خام (اليورانيوم) قد حدث على ثلاث مراحل وانه خلال المرحلة الأولى التى كانت قبل حوالى ٢ بليون سنة حدث خلالها تركيز لخام اليورانيوم الموجود فى أخدود للمياه فى دلتا النهر الذى كان موجوداً فى هذه المنطقة فى العصور الجيولوجية القديمة ، وأن ترسيبات خام (اليورانيوم) التى هى عبارة عن قطع وحبيبات من (اليورانينيت) غير القابل للذوبان تحتوى جزئيا على أكسيد (اليورانيوم) قد انفصلت تدريجيا بتأثير عوامل التعرية من تكوينات الصخور البللورية وترسبت فى مجرى النهر . ونتيجة لكثافتها العالية تجمعت فى رواسب المجرى . .

وخلال المرحلة الثانية كان تواجد عنصر الاوكسجين هو المسئول عن تركيز خام اليورانيوم . فقد ثبت انه منذحوالى ٢ بليون عام بدات الطحالب الزرقاء المائلة للخضرة المتواجدة

بالمجرى فى ذلك الوقت فى تكوين وإنتاج غاز الأوكسجين النشط (الذرى) وذلك للمرة الأولى فى تاريخ البشرية ، وبالتالى فقد تعرضت حبيبات اليورانيوم لهذه البيئة الجديدة المشبعة بالأوكسجين فتحولت إلى مركبات ذاتية ، بالإضافة إلى ذلك فقد تعرض اليورانيوم الموجود فى رواسب المجرى أيضاً للأوكسجين وذاب فى ماء المجرى وانحدر مع التيار فى العصور الأولى ، وقد أدى ذلك إلى ترسيبات كبيرة من الخام وبتركيزات عالية . وقد أمكن لهذه الجيوب الغنية باليورانيوم ، والتى تكونت على مدى الزمن أن تحدث تفاعلات (نيوترونية) متسلسلة محاطة برواسب من تكوينات الخام خلال فترة تكوين القشرة الأرضية ، وقد اتضح أن فترة تكون الخام الأساسية قد انتهت منذ حوالى بليون عام مضى .

وكما هو معروف ، فإن التفاعل النيترونى المتسلسل لا يمكن حدوثه تلقائيا فى خام اليورانيوم الطبيعى حينما يكون محاطاً بالماء ، حيث إن خام اليورانيوم الطبيعى خليط من النظيرين من (٩٩,٠٣٪ يورانيوم ـ ٢٣٨) و(٧٪ يورانيوم ٢٣٥) والنظير الأخير (اليورانيوم ٢٣٥) هو القابل للانشطار بالنيوترونات ، وحيث إن (نظير اليورانيوم ٢٣٨) نسبته كبيرة فى الخام الطبيعى ، وأيضاً له قدرة مع الماء على امتصاص النيوترونات الموجودة فى محيط التفاعل فهو ـ فى هذه الحالة ـ لايسمح بحدوث الانشطار فى (نظير اليورانيوم ٢٣٥) المصاحب له فى الخام .

وبالرجوع إلى العصور الجيولوجية القديمة نجد أن تكوين خام اليورانيوم الطبيعى الموجود فى ذلك الوقت لم يكن به هذا القصور (أى عدم السماح بحدوث الانشطار فى اليورانيوم ٢٣٥) حيث كانت نسبة (نظير اليورانيوم ٢٣٥) أكثر فى الخام الطبيعى وقت ذاك منها فى الخام المعروف حالياً ، وعليه فإن عملية الانشطار النووى فى خام اليورانيوم الطبيعى فى ذلك الوقت قد تمت .

وقد دلت الدراسات على أن نسبة نظير اليورانيوم ٢٣٥ فى خام اليورانيوم فى العصور القديمة كانت أعلى مما هى عليه الآن ، ووصلت حينئذ إلى حوالى (٣,٥٪) فى خام اليورانيوم الموجود فى منطقة (أوكلو) .

وبناء على هذه المقارنة ، فإنه يمكن القول بنوع من الإيجابية بأن التفاعل المتسلسل فى كل من اليورانيوم والماء يمكن له أن يحدث منذ حوالى (٢ بليون عام) فى العصور الجيولوجية القديمة فى هذه المنطقة .

وحاليا تقوم الصناعات النووية بإنتاج خام يورانيوم مصنع مثرى ، أى أن نسبة (نظير اليورانيوم ٢٣٥) أعلى فيه من نسبة نظير اليورانيوم ٢٣٨ ، وهذا اليورانيوم المصنع يستعمل كوقود فى مفاعلات الماء الخفيفة .

ويوجد خام اليورانيوم على مستويات عميقة تحت مستوى سطح الأرض فى (أوكلو) فقد بدأ تفاعل متسلسل فى أماكن عديدة ومتفرقة ، واستمر لأزمنة تراوحت بين مائتى ألف إلى ستمائة ألف عام إلى أن انخفضت نسبة نظير اليورانيوم ٢٣٥ فتوقف التفاعل .

ولقد كان التفاعل الحادث غير قابل للانفجار ، ويبدو أنه حدث على مستوى (قدرة) يتراوح بين ١٠ إلى ٢٥ كيلوات والتى تكافىء قدرة تبلغ ٣٠ حصاناً ، ولقد كانت المفاعلات المتكونة تحت الأرض تعمل على عمق حوالى ٤ كم تحت الأرض ، وكان لتآكل سطح القشرة الأرضية على

←

مفاعل نووى

مدى فترة الـ (٢ بليون عام) الماضية قد تركت هذه المفاعلات فى الوقت الحالى على عمق يتراوح بين (٢ - ٣٠) مترا تحت الأرض ، وقد أمكن التحكم فى قدرة هذه المفاعلات بتأثير كثافة الماء المحيطة بها .

ولقد بلغت مجموعة المفاعلات المتكونة والموجودة فى (أوكلو) حوالى ستة مفاعلات تقريباً فى سلسلة من ترسيبات اليورانيوم بلغ سمكها (مترا) تقريباً وعرضها عشرة أمتار ، وأنه لمن الجدير بالذكر أن الفترة الزمنية التى انقضت منذ توقف مفاعل (أوكلو) كانت طويلة بحيث إن النشاط الإشعاعى المتبقى فى الموقع أصبح ضعيفاً جداً فى الوقت الحالى لإعطاء اية معلومات تساعد على معرفة أى (بارامترات)[1] عن تصميم مفاعل عمره ٢ بليون عام .

وقد قدمت ظاهرة (أوكلو) للعاملين فى مجال تكنولوجيا إدارة المخلفات الإشعاعية إمكانية دراسة هجرة النواتج الانشطارية خلال فترة نشاط المفاعلات فى موقع (أوكلو) بعد أن تم استهلاك حوالى ستة أطنان من نظير (اليورانيوم ٢٣٥) وعلى الوجه الآخر قد أنتج ستة أطنان مماثلة من النواتج الانشطارية بالإضافة إلى كمية الطاقة المتولدة من جراء تشغيل هذه المفاعلات قدرت بحوالى (١٥,٠٠٠) ميجاوات سنة وهذا يكفى لتشغيل مفاعل قدرة (٥٠٠ ميجاوات) لمدة عشر سنوات ، وقد دلت الدراسات التى أجريت على موقع المفاعل أن تسرب النواتج المشعة من منطقة (أوكلو) كانت محدودة للغاية ، وقد حدث استقرار للعناصر الثقيلة ولكن حدث بعض الانتقالات خلال الحقبة الزمنية (٢ بليون عام) لعناصر (الزينون) و(الروبيديم) و(الباريوم) و(الوليبدنم) و(اليود) ، ولازالت الدراسات مستمرة فى موقع أوكلو لدراسة النواتج الانشطارية الثابتة الموجودة فى الوقت الحالى .

وقد بدأ التنقيب فى دول عديدة بحثا عن مفاعلات انشطارية أخرى والذى يجب أن نؤكده أخيراً أن الانشطار النووى ظاهرة طبيعية وليست من اختراع الإنسان .

(١) أى تصميمات .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

حنين إلى عرفات

شعر طفلنا وسعينا

مناط الرجاء

حنين إلى عرفات

للشاعر: عمر موسى البرعى

يارب اشهدنى سنا عرفات — كرماً وَوَجِّهْ نحوها خطواتى
لجلالها يصبو فؤادى لهفةً — جَمَّ الحنين لمهبط الرحمات
هى موقف غَمَرَ التجلى ساحَهُ — تهفو إلى نفحاته خطراتى
بخُطَى النبى على ثَرَاهُ تعطَّرت — أرجاؤه بالخير والبركات
وبفضله حلّت عليه مكارم — أهدت إلينا حكمة وعظات
فإليه ياتى العابدون ببهجة — وخواطرٍ تشتاق للرحمات
ولديه يبتهج الحجيج برحمة — تُضفِى عليهم أطيب النفحات
هو مشهد أرنو إلي تحقيقه — وإليه يصبو القلبُ طول حياتى
فيه تفيض عوارف ومعارف — ولطائف تصفو بها أوقاتى
يامبدع الأكوان فى تكوينها — هب لى الوقوفَ على ثرى عرفات
مالى سواك اليوم فى أمنيّةٍ — عنها الدعاء يطول فى صلواتى
فخواطرى لَهْفَى وشوقى عارم — لمنازل السورات والآيات
فامنن علىَّ بزورة لرحابها — فرحابها ركن من الجنات
انت الكريم يصيب فضلك دائماً — من يرتجيك بصادق الدعوات

ثم طفنا وسعينا

للشاعر: محمود محمد بكر هلال

املأ الكأسَ وهاتِ واسقني سر حياتي
ليس يُرويني سواها في مسائي أو غَدَاتي
طالما كانت شفاء لجروحي النازفات
طالما كانت دعاء في قيامي وصلاتي
طالما كانت غذاء وارتواء في فلاتي
طالما كانت نداء ايقظتني من سُباتي
طالما تُقتُ إليها دون غيري من لِداتي
وصَبَرْتُ العمر حتى جاءني يومُ النجاة
وأتيتُ اليوم أسعى في أمانٍ وثبات
حول بيت الله سعياً طائفاً بين السُّعاة
طالب الغفران مما آتيِ من سيئاتي
بعد أن كنا وقفنا فوق وادي عرفات
وابتهلنا ورجونا ودعونا في الصلاة
ثم بِتْنا في رُباها ورمينا الجمرات
في منىً والخيف فيها وهْوَ نبع البركات
وطعمنا وشربنا ونحرنا الأضحيات
وافضْنا ونفضْنا ما بنا من مُنكرات
ثم طفنا وسعينا ورجونا الصالحات
وطربنا وسكرنا من كئوسٍ مترعات
ليت أنا ما افقنا من لذيذ النشوات
وبقينا في ابتهال لإله الكائنات
نسعد الروح صلاة فوق تلك الربوات

مناط الرجاء

للشاعر: اسماعيل يحيى

تهاوت نجومي فما من شعاع ... وغامت سمائي فما من هُدى
إلامَ أسيرُ بدرب الضيَّاع ... وهذا الطريق طويل المدَى

* * *

قطعت الزمانَ نديمَ الليالى ... أعيشُ الحياة كما اشْتهى
نهارى عزاء جميل لحالى ... وليل الهناءة لا ينتهى

* * *

احاكى فراشاً يطوف بنارٍ ... يقيم صلاة على روحِه
وأىُّ صلاةٍ وأى مزارٍ ... عكفْت سنيناً على صرحِه

* * *

إلى أن سمعتُ لصوت الضمير ... « زرعت القتاد فهاكَ الجنى »
أهذا المصير بحق مصيرى ... وهذا الهزيل المعنَّى : أنا

* * *

وأين الصِّحابُ وأين النَّدامى ... فبالأمس كانوا عداد الثرى
سرابٌ تبدّى قليلاً وغاما ... وها نحنُ ننفضُ عنَّا الكرى

* * *

رفعتُ يَدَىّ لربِّ السماء ... إلهى أعنّى على محنتى
إذا لم يَسَعْنى مناط الرجاء ... فمن ذا يُقيلُ إذن عثرتى

من أعلام الأزهر

الشيخ عبد العزيز جاويش

للمستشار: محمد عزت الطهطاوى

كم أنجبت أمة الإسلام من رجال مخلصين قادوا على مر الزمان جنوداً أعزوا الدين، ودكوا عروش الظالمين. فلم يطمع فى أرضهم طامع ولا رضوا بجبروت الطاغين، ومنهم قادة حركات التحرير التى تطارد الاحتلال الأجنبى وتجعل بقاءه منكراً، والتعاون معه جرماً، والرضا به كفرا وبلاؤهم الحسن فى خلاص الأوطان تشرق به صحائف التاريخ، لقد كرسوا أنفسهم وأموالهم للكفاح فرفعوا أصواتهم بالنذير وتقدموا شعوبهم فى ساحات الفداء والتضحية وهم مرتبطون قلبيا وفكرياً بدينهم يصدرون عنه وينطلقون منه.

ولئن كان الشيخ عبدالعزيز جاويش من هؤلاء الصفوة إلا أنه لم يكن علما فى الوطنية فحسب بل كان علاّمة فى التربية أيضاً، فلقد تقلب بين أجواء ثلاثة فى حقل التعليم إذ تعلم بالأزهر الشريف ودار العلوم ثم سافر إلى انجلترا طالبا مرة وأستاذاً للغة العربية بجامعة اكسفورد مرة أخرى، وهناك لمس عن كثب ما بلغته التربية الانجليزية فى مدارس الانجليز من تفوق رائع ساعد على النهوض بالدولة ومكن لرجالها فى العصر الحديث أن يكونوا فى مراكز الصدارة بين الأمم، ثم قرن ذلك بما انحدرت إليه التربية فى مصر على يد الاحتلال البريطانى فأيقن أن اصلاح طريق التعليم وإعداد مناهج التربية على وجه سليم هو مما يدفع البلاد إلى الحرية الصحيحة والكرامة المثلى.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ عبدالعزيز جاويش بمدينة الاسكندرية فى ٣١ اكتوبر سنة ١٨٧٦ م وبهذه المدينة بدأ حياته التعليمية بالأزهر سنة ١٨٩٢ م ثم التحق بمدرسة دار العلوم ولما تخرج فيها سنة ١٨٩٧ م عين مدرساً فى مدرسة الزراعة إلا أن وزارة المعارف (التربية والتعليم حالياً) أرسلته فى بعثة تعليمية إلى جامعة (برورود) بانجلترا فبقى بها مدة سنتين عاد منها إلى مصر سنة ١٩٠١ م

←

الشيخ عبدالعزيز جاويش

فعينته وزارة المعارف مفتشا بها ، ثم طلبته جامعة اكسفورد ليعمل بها استاذاً للغة العربية فبقى بانجلترا حتى عاد إلى مصر سنة ١٩٠٦ م حيث تولى منصب المفتش الأول بوزارة المعارف إلى أن استقال فى ابريل سنة ١٩٠٨ ليتولى تحرير (جريدة اللواء) لسان حال الحزب الوطنى وقتئذ (١)

كيف حاول الشيخ عبدالعزيز جاويش إصلاح حال التعليم بمصر ؟

عندما اسندت إلى الشيخ وظيفة التفتيش لاحظ ما فعله المستر دنلوب مستشار الاحتلال البريطانى فى وزارة المعارف من إطفاء لجذوة التفكير ومسخ لمنهجية الدرس فى معاهد التعليم فالطلاب آلات تحفظ دون أن تفهم ، وكل ما تفعله المدرسة أن تخرج جماعات من الموظفين يسدون ثغرات النقص فى مصالح الحكومة والإدارات المهنية دون أن تعمل على تخريج جيل ينمى الفكر ويعشق الإبداع . فشن الشيخ عبدالعزيز جاويش حملته على أسلوب التلقين الشفوى دون استبصار وتمحيص وسجل افكاره فى مؤلف تربوى يقود المدرس إلى مراشد النور ودعاه بكتاب (غنية المؤدبين) فرق فيه بين معنى التربية ومعنى التعليم ، ودعا فيه إلى الاستنباط والتعليل واستخدم الحوار فى الدرس ونعى على الإلقاء الخطابى والاستظهار اللفظى وطلب من المدرسين :

الشيخ عبد العزيز جاويش

اولا : أن يكون المدرس منهم مثالا حيا بشخصيته لا كتاباً جامداً بالمعلومات .

ثانيا : وأن يكون المعلمون مثلا حسنة فى سيرهم وأخلاقهم من جميع الوجوه لتلاميذهم ولمن جاورهم من الناس .

ثالثا : وألا يقتصروا على تعليم تلاميذهم المواد المقررة بل يجتهدوا فى بث وإحياء عادة الاطلاع فيهم مع المحافظة على الأوقات وعلى الجد والطاعة والتأمل فى الأمور والذوق فى المعاملة ، والشفقة بالناس .

ولقد كان من إخلاص الشيخ جاويش فى عمله أن كان يظل فى مكتبه بوزارة المعارف عشر ساعات يوميا ليؤدى واجبه كما يطمئن هو إليه لا رغبة فى حظوة فقد كان وهو مراقب التعليم الأوّل يتقدم الكثير من كبار موظفى وزارة المعارف ويراهم فى منطق الواقع بعضا من تلاميذه (٢) .

(١) كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تاليف الشيخ عبدالعزيز جاويش - كتاب الهلال - ذو الحجة سنة ١٣٧١ هـ - سبتمبر سنة ١٩٥٢ م .

(٢) كتاب النهضة الإسلامية فى سير اعلامها المعاصرين تاليف الدكتور محمد رجب البيومى الجزء الأول سلسلة البحوث الإسلامية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

نظرته للمبعوث الذى يتزوج من فتاة جنبية :

يحكى عنه الدكتور زكى مبارك فيقول : (دخلت عليه مرة فوجدت عنده إنسانا منزويا فى إحدى نواحى المكتب ، ورايت الشيخ جاويش غضبان والشرر يتطاير من عينيه فسلمت تسليما مختصرا وجلست ، وما هى إلا لحظات حتى انفجر الشيخ كالبركان فى وجه ذلك الجليس فقد صرخ : من يتزوج بناتنا إذا جاز لكل شاب مأفون الا يزور أوروبا إلا عاد ومعه زوجة فرنسية او انجليزية أو المانية ؟

إن الأتراك لا يتزوجون بناتنا غطرسة منهم وكبرياء ، والمغاربة وهم فى مثل حالنا لا يتزوجون بناتنا إلا فى قليل من الأحوال فكيف يجوز لشاب أن يترك بنات وطنه للبوار وهو يعرف فى سريرة نفسه أن الفتاة المصرية معدومة النظائر فى الجمال وفى أدب النفس ، وما الذى يبهرك فى الفتاة الأوروبية حتى تنسى بها بنت وطنك ومتى يصير أمثالك رجالا يعتمد عليهم الوطن وقد حرمكم الله نعمة الوطنية .

ثم خرج الشاب وهو آسف ، وكانت لحظة صمت توهمت فيها عينى الشيخ جاويش مغرورقتين بالدمع ثم تكلف الابتسام وقال : لا تؤاخذنى فذاك فتى كان ابوه من أعز أصدقائى وما كنت احب أن ينسلخ من وطنه بالزواج من امراة اجنبية[٣] .

اهتمامه بمتابعة منهجه التربوى بعد تركه العمل فى وزارة المعارف :

تابع الشيخ عبدالعزيز جاويش منهجه التربوى حتى بعد استقالته المفاجئة من وزارة المعارف وخوضه معركة الحرية رئيساً لتحرير جريدة اللواء فقد كان الحزب الوطنى يقيم الاحتفالات الكثيرة فى عواصم البلاد لمحاربة الاحتلال يحمل فيها الخطباء على المستعمر الانجليزى ويندددون بالاحتلال فإذا جاء دور الشيخ جاويش أعلن انه يكتب كل يوم فى افتتاحية اللواء كلمة سياسية تعبر عن رأيه ، وانه بعد أن أسهب زملاؤه فى مسائل السياسة يخص بكلمته معاضل التربية والتعليم فيتحدث عن اقسام التربية وأنواعها من **خلقية وعقلية ووجدانية** ويدعو إلى إنشاء مدارس رياض الأطفال وضرورة إنشاء معاهد خاصة بالتجارة والصناعة والزراعة والتربية النسوية ويفصل الكلام على كل معهد ثم يعد المستمعين بأنه سيفيض فى برامج هذه المدارس بصحيفة الهداية التى كان يديرها ثم يفيض فى الحديث عن مدارس البلاد ومبلغ تأخرها الصارخ عن ركب التقدم الثقافى ويستعرض المدارس الحكومية والمدارس الأجنبية والكتاتيب الابتدائية فيصور عيوب كل منها ويدعو إلى تغيير أساليبها وتعديل برامجها مقارناً ما انحدرت إليه التربية فى مصر بما ارتفعت إليه فى شتى عواصم أوروبا ، ثم نزل الشيخ جاويش إلى الميدان التطبيقى فأسس المدرسة الإعدادية لتكون بعيدة عن سلطة المستشار الانجليزى فى وزارة المعارف[٤] .

نضاله فى إصلاح الأسرة :

كانت الدعوة المزعومة إلى تحرير المرأة قد احدثت بلبلة فكرية فأخذ الشيخ على عاتقه أن يبين وضع الأسرة فى الإسلام فأفرد فى جريدة اللواء مكاناً لمعالجة موضوع المرأة وسمح للأقلام المتعارضة أن تبدى وجهات نظرها المختلفة ، ولما عقدت الحكومة المصرية سنة ١٣٢٩ هـ مؤتمرا

←

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

الشيخ عبدالعزيز جاويش

عاما لمناقشة وسائل التقدم الاجتماعى نهض الشيخ جاويش بعبئه الضخم فالقى بحثا شافيا عن الأسرة فى رأى الإسلام مهد له بأصول فقهية هامة تجعل رعاية الأصلح واختيار أهون الشرين وتقديم درء المفاسد على جلب المصالح ، وتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام وأشباه ذلك قواعد عامة فضفاضة تتسع لما يتطلبه العلاج الاجتماعى من تقنين ، ثم تحدث عن الزواج والطلاق ، وأبدى الأصول النظرية لوضع الزوجة فى التشريع الإسلامى(٥) .

جهاده الوطنى :

كان المرحوم محمد فريد من أشد المعجبين بالشيخ عبدالعزيز جاويش خصوصا بعد اجتماعه معه وسماعه له فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد سنة ١٩٠٥ م فى مدينة الجزائر ، كما عرفه بصديقه الزعيم مصطفى كامل فتمكنت بينهم أواصر الصداقة والميول الوطنية ، ولما توفى مصطفى كامل وتولى زعامة الحزب الوطنى محمد فريد أسند رئاسة تحرير جريدة اللواء إلى الشيخ جاويش فافتتح مقالاته بها بكلام ناصع البيان يفيض بوطنيته وشجاعته وكريم خلقه نقتطف منه قوله (بعونك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن وخور العزيمة ومطيتها الدهان والتلبيس ، فى أسواقها النافقة تشترى نفيسات النفوس بزيوف الفلوس ، وتباع الذمم والسرائر بالابتسام وهز الرءوس ، وبيُمْنِكَ اللهم استقبل فاتحة الحياة الجديدة .....)

هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر ، مُنْبَرِياً فى ميدانها فإما إلى الصدر وإما إلى القبر ، موقنا بما أعد الله لعباده العاملين المخلصين من الظفر والفتح المبين عارفا أن :

الحى لا يمـوت إلا مـرة
والموت أحلى من حياة مرة

وكيف لا نقدم من أنفسنا قرابين بين أيدى أهرام هذا القطر ونيله ؟

أم كيف لا نصرف كل مرتخص وغال فى سبيل تحريره وقطع اليد الغاصبة له جزاء بما كسبت فلنتمسك بذلك المبدأ الشريف ماحيينا ، ولنعتصم به ما بقينا ولنرفع أصواتنا حتى نطرق بها أبواب السماء فنستنزل المقت والسخط على من دخلوا بلادنا وقبضوا بأيدى جبروتهم على نواصينا واستخدموا فى سبيل إصابة غرضهم أفرادا إذا ما لقوكم قالوا : إنا لكم ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزءون ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

سيسير اللواء كما كان عليه خادما للأمة المصرية ، مجاهدا الانجليز ما بقوا فى بلادنا ، حاثا على الفضيلة والأخلاق الكريمة ، داعيا إلى توحيد عناصر الأمة على اختلاف مللها ونحلها وتباين مشاربها ولهجاتها .

فاللهم اسألك لسانا ناطقا بالصواب والحكمة وقلما لا جولة له فى ميادين القحة ولا علم له بمعاهد الفحش والسباب .

فما أحوج الأمة إلى كلمة حق يستمعونها وجميل عظة يعونها ، وما أضمن الجرائد أن تتضامن وتتعاون على البر والتقوى ، وما أخلقها أن تجتمع حتى تكون يداً واحدة على أعدائها يحذرونها ويخشون بطشها وما أحراها أن تعلم أنها بتفرقها وتخاذلها إنما تشمت عدوا مبينا وتكمد صديقاً شفيعاً فأرسل اللهم على قادة هذه

(٥) المرجع السابق .

الأمة ومرشديها من عندك روحا يجمع شتيتها ويوحد كلمتها ويعصم أقدامها من الزلل وأراءها من الخطأ والخطل آمين[٦] .

محاكمته بسبب نشره انباء ثورة مدينة الكاملين فى السودان :

كان لقلم الشيخ عبدالعزيز جاويش فى الصحافة من التأثير والسطوة مكان مهيب وإذ ضاق به رجال الاحتلال وأذنابهم تحينوا الفرص لمحاكمته والقذف به فى أعماق السجون ليستريحوا من نضاله المرير وقد واتتهم الفرصة عندما نشر بجريدة اللواء بعددها المؤرخ فى ٢٨ مايو سنة ١٩٠٨ مقالا تحت عنوان (دنشواى اخرى فى السودان) بسبب ما وقع من ثورة فى بلدة الكاملين تزعمها «الشيخ عبدالقادر» فجردت عليه الحكومة قوة من الجيش نكلت بالثائرين وقتلت عدداً كبيراً منهم وقبضت على زعيم الثورة وكثير من اتباعه وقدمتهم للمحاكمة امام المحكمة المدنية الكبرى طبقا لنظام العقوبات فى السودان واستمرت المحكمة منعقدة من يوم ١٩ مايو سنة ١٩٠٨ إلى ٢٣ منه وفى هذا اليوم أصدرت حكمها على اثنى عشر شخصا منهم الشيخ عبدالقادر بالإعدام وعلى ثمانية بالسجن المؤبد ومصادرة أملاكهم ، لكن حاكم السودان استبدل بحكم الإعدام السجن المؤبد .

ولما امسكت الجهات الرسمية عن نشر انباء تلك المحاكمة كتبت جريدة اللواء أن حكم الإعدام كان على سبعين رجلا ، والسجن على ثلاثة عشر ، وانه أعدم من المحكوم عليهم اربعون شخصا ، وعندئذ قامت وزارة الحربية بإصدار بلاغ تصحح فيه تفاصيل الخبر ونشرت الصحف ومنها جريدة اللواء بلاغ الوزارة ، وفى ٣١ مايو نشر اللواء مقالا آخر عن نفس الموضوع تحت عنوان : (الحكم على أتباع الزعيم عبدالقادر) أظهر فيه الشك فى بلاغ وزارة الحربية وأشار إلى أن عدد المحكوم عليهم بالإعدام يزيد على اثنى عشر شخصا فعدت الحكومة هذا المقال إهانة لوزارة الحربية كما عدت المقال الأول إذاعة لأخبار كاذبة يترتب عليها تكدير السلم العام ، وبناء على ذلك أقامت النيابة الدعوى العمومية على الشيخ جاويش لمحاكمته عن التهمتين ونظرت القضية أمام محكمة عابدين الجزئية فى شهر يوليو سنة ١٩٠٨ وأصدرت حكمها فى ٤ أغسطس سنة ١٩٠٨ بالبراءة من تهمة نشر الخبر الكاذب وبمعاقبته بغرامة عشرين جنيها عن تهمة إهانة وزارة الحربية ، وقد استؤنف الحكم من جانب الشيخ جاويش ، كما استأنفته النيابة لقلة العقوبة وأمام محكمة الجنح المستأنفة بتاريخ ٣٠ أغسطس سنة ١٩٠٨ صدر الحكم بالبراءة من التهمتين فكان لهذا الحكم دوى كبير فى الأوساط السياسية والعالمية[٧]

المحاكمة الثانية للشيخ عبدالعزيز جاويش :

لما كان شهر يونيو يقترن عادة بذكرى مذبحة دنشواى التى وقعت فى ١٣ من ذلك الشهر سنة ١٩٠٦ م وأعدم بسببها - ظلما - عدد من المصريين حرر الشيخ مقالا نشر باللواء بتاريخ ٢٨ يونيو سنة ١٩٠٩ م بلغ من قوته أنه أحدث من التأثير والفزع فى نفوس رجال الاحتلال وعملائه والإدارات الخاضعة له ما جعل النيابة تعده طعنا فى حق هيئة المحكمة المخصوصة التى حاكمت الزراع البؤساء فى تلك الحادثة وقدمته

←

(٦) كتاب محمد فريد - تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ تأليف المرحوم عبدالرحمن الرافعى .
(٧) المرجع السابق .

الشيخ عبدالعزيز جاويش

للمحاكمة أمام محكمة عابدين الجزئية فحكمت عليه بتاريخ ٥ أغسطس سنة ١٩٠٩ بدفع غرامة مقدارها أربعون جنيها ، فاستأنف الشيخ جاويش هذا الحكم كما استأنفته النيابة فجاء الحكم فى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٠٩ م بتعديل الحكم الابتدائى إلى الحبس ثلاثة أشهر ، فرفع محاموه نقضا للحكم قضى برفضه ، وفى نفس اليوم أنذرت الحكومة جريدة اللواء مما يشير إلى خضوعها لسطوة الاحتلال والاضطهاد المتعمد للحركة الوطنية .

ونظراً لما قوبل به الحكم من الاستياء الشديد من جانب الرأى العام عمل أفراد الشعب على رد ذلك الظلم الصارخ فَأُعْلِنَ عن اكتتاب عام بين طوائفه لإعداد وسام للشيخ المجاهد حتى إذا أخلى سبيله ، أقيمت له حفلة تكريم كبرى فى (فندق شبرد) تقلد فيها وسام الشعب فى مظهر وطنى رائع[8] .

محاكمته للمرة الثالثة :

كان الأستاذ الشاعر على الغاياتى المحرر بجريدة اللواء قد أصدر فى شهر يوليو سنة ١٩١٠ ديوانه الشعرى المسمى (وطنيتى) ضمنه قصائده عن الحوادث التى وقعت خلال العامين الماضيين وقد كتب الزعيم محمد فريد مقدمة له كما كتب الشيخ عبدالعزيز جاويش مقدمة أخرى لذلك الديوان ، ولما كانت الحكومة قد انتهجت سياسة الشدة حيال الحركة الوطنية فإنها أمرت بمصادرة نسخ ذلك الديوان وأوعزت للنيابة بالتحقيق فيما ورد به رغم أن ما به من قصائد سبق للصحف نشرها ، ولم تجد النيابة فيها وقتئذ ما يستدعى المحاكمة ، وقد أرجأت النيابة التحقيق مع المرحوم محمد فريد لحين عودته من أوروبا ، لكنها سارت فى تلك الإجراءات مع المؤلف ومع الشيخ جاويش وأحالتهما إلى محكمة الجنايات حيث عرضت القضية فى أغسطس سنة ١٩١٠ فتبين غياب المؤلف ، بسبب سفره إلى (استامبول) ومنها إلى (سويسرا) وبعد نظر القضية وأداء الدفاع لمهامه أصدرت المحكمة حكمها على الشيخ على الغاياتى مؤلف الديوان غيابيا بالحبس سنة مع الشغل ، وعلى الشيخ عبدالعزيز جاويش بالحبس ثلاثة أشهرمع النفاذ ونفذ عليه الحكم فوراً[9] .

مغادرته البلاد واستئنافه الكفاح خارج وطنه :

كان لاضطهاد الحكومة للحركة الوطنية وتقديمه للمحاكمة وحبسه فى محاولة لإسكات صوته وتحطيم قلمه ما جعله يضيق بهذا الوضع فغادر مصر سنة ١٩١٢[10] متنقلا بين تركيا وعواصم الدول الأوروبية والشرقية داعيا إلى الحرية والاستقلال ولم ينس مع ذلك واجبه نحو الإسلام والمسلمين إذ قام بالآتى :

أولا : فى تركيا أصدر صحائف الهداية ـ والهلال العثمانى ـ والحق يعلو للدفاع عن حقوق العالم الإسلامى .

ثانيا : وفى المدينة المنورة أنشأ الجامعة الإسلامية سنة ١٩١٤ ووضع أساسها العلمى .

---

(٨) المرجع السابق .

(٩) المرجع السابق .

(١٠) كتاب ذكرى فقيد الوطن أمين الرافعى بقلم محمد صادق عنبر سنة ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م .

ثالثا : وفى مدينة القدس أعاد إصلاح كلية صلاح الدين .

رابعا : ثم اشترك فى مؤتمر الدفاع عن الأمم المهضومة فى مدينة استوكهولم .

خامسا : كما سافر إلى انجلترا لإنشاء أسطول إسلامى بوساطة بعض الأغنياء من مسلمى الهند فى ذلك الوقت .

سادسا : وتزعم الدعوة إلى التبرعات وإرسال الذخائر وتهريب القواد لمحاربة الإيطاليين الذين حاولوا احتلال الاراضى الليبية(١١) .

عمله فى تركيا وخلافه مع كمال اتاتورك :

بعد سقوط الدولة العثمانية فى تركيا عينته الحكومة التركية الحديثة رئيسا للجنة الشئون الإسلامية بأنقرة ، لكنه لم يرض بما آلت إليه الدولة هناك بسبب إلغاء الخلافة ومعارضتها للقوانين الدينية الإسلامية فحمل لواء المعارضة لكمال أتاتورك وعول على العودة إلى الوطن خصوصا بعد إعلان الدستور سنة ١٩٢٣ وقيام الحياة النيابية فى مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وإلغاء الحماية الانجليزية عن البلاد(١٢)

عودته إلى أرض الوطن ثم وفاته :

وبعد كفاح مرير طال أمده فى سبيل تحرير وطنه اضطره بسبب ضيق ذات اليد إلى الاحتطاب بمدينة برلين فى بعض سنى الحرب العالمية الأولى ليجد ما يمسك الرمق من الطعام رجع إلى مصر متخفيا ليواصل جهاده ، وفى تاريخ وصوله يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢٣ نشرت جميع الصحف مقالا بتوقيعه تحت عنوان : تجديد العهد ثم بعد عشرة أيام صرحت الحكومة المصرية فى ذلك الوقت وقد كان يرأسها يحيى إبراهيم باشا للشيخ عبدالعزيز جاويش بالإقامة ، ولما كانت الغربة والضائقة والتشرد قد نالت من صحته آثر العمل الهادىء فى وزارة المعارف فعين فى سنة ١٩٢٥ م مراقبا عاما للتعليم الأولى ، وقام فيه بجملة إصلاحات معروفة ، وظل فى ذلك المنصب حتى لقى ربه فى ٢٥ يناير سنة ١٩٢٩ بعد حياة حافلة بالجهاد والوطنية وسنه لا تتجاوز الثالثة والخمسين(١٣) .

وقد رثاه كثير من شعراء مصر فى ذلك الوقت كان منهم المرحوم الشيخ محمد عبدالمطلب الذى قال فيه :

عبدالعزيز تحية من أمة
فقدتك فى ليل الخطوب سراجا
لم ينس برك من بينها معشر
سلكوا بهديك فى التقى منهاجا
هذا شباب المسلمين وهذه
عبراتهم تجرى دما أفلاجا*
نظموا خلالك فى القصيد وأقبلوا
يتساجلون بلحنها أهزاجا

(يتبع)

---

(١١) كتاب النهضة الإسلامية فى سير اعلامها المعاصرين تاليف الدكتور محمد رجب البيومى - الجزء الأول .
(١٢) المرجع السابق .
(١٣) كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تاليف الشيخ عبدالعزيز جاويش - كتاب الهلال ذو الحجة سنة ١٣٧١ هـ سبتمبر سنة ١٩٥٢ م .
* الفلج - بزنة العدل - النهر الصغير .
(١٤) ديوان عبدالمطلب وقف على طبعه رفيقه وصديقه محمد الهراوى - نشر مطبعة الاعتماد بالقاهرة

طرائف

أعرابـــى

ضل اعرابى الطريق ، فمات جزعا وأيقن بالهلاك فلما طلع القمر اهتدى ووجد الطريق ، فرفع إليه راسه ليشكره .

وقال له : والله ما ادرى ، ما اقول لك ، ولا ما اقول فيك .

اقول : رفعك الله ، فالله قد رفعك .

أم اقول : نوّرك الله فالله قد نوّرك .

أم اقول : حسّنك الله فالله قد حسنك .

ولكن ما بقى إلا الدعاء أن ينسىء الله فى أجلك ، وأن يجعلنى من السوء فداك .

«قالـــوا ..»

- خف الله تأمن غيره .
- نسيان الموت صدأ القلب .
- إمام عادل خير من مطر وابل .
- فى الدنيا عمل ولا حساب ، وفى الآخرة حساب ولا عمل .
- من رفعك فوق قدرك فاتقه .
- للباطل جولة ثم يضمحل ، وللحق دولة لا تنخفض ولا تذل .

قـــدر الانســـان

أخى : لا تتكلف ما لا تطيق ، ولا تتعرض لما لا تدرك ، ولا تعد بما لا تقدر عليه ، ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ، ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ، ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله تعالى - ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك أهلا له .

«حقيقـــة»

خلـوة الإنسـان خيـر
مـن جليس السـوء عنـده
وجليس الخيـر خيـر
من جلوس المرء وحده

«كفانـــى ذلـــك»

لقى هارون الرشيد الكسائى فى بعض طرقه ،

للأستاذ

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

فوقف عليه ، وتحفى بسؤاله عن حاله !! فقال : انا بخير ياامير المؤمنين ، ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله ـ تعالى ـ لى من وقوف أمير المؤمنين لكان ذلك كافيا محتسبا .

«أنـــت الزمـــان»

سأل معاوية الأحنف بن قيس ، فقال : ياابا يحيى كيف الزمان ؟

قال : الزمان أنت ياأمير المؤمنين ، إن صلحت صلح الزمان ، وإن فسدت فسد .

«نصيحـــة»

العدو عدوان ؛ عدو ظلمته ، وعدو ظلمك . فإن اضطرك الدهر إلى أن تستعين بأحدهما ، فاستعن بالذى ظلمك ، فإنه أحرى ان يعينك .

«كسـر ميـم الأيـام»

جلس أبو إسحاق النجيرمى عند كافور الإخشيدى ، فدخل عليه أبو الفضل بن عباس .

فقال : ادام الله أيام مولانا (وكسر ميم أيام) فتبسم كافور إلى أبى إسحاق ، ففطن لذلك ، وقال ارتجالا :

لا غرو أن لحن الداعى لسيدنا
وغص من دهش بالريق أو بهر

فمثل سيدنا حالت مهابته
بين الأديب وبين الفتح بالحصر

وإن يكن خفض الأيام عن غلط
فى موضع النصب لا عن قلة البصر

فإن أيامه خفض بلا نصب
وإن دولته صفو بلا كدر

فأمر له بثلاثمائة دينار ، وللنجيرمى بمائتين .

«دعـــاء»

اللهم بنورك اهتديت ، وبفضلك استغنيت ، وبك أصبحت وأمسيت ، ذنوبى بين يديك وأستغفرك وأتوب إليك فلا حول ولا قوة إلا بك .

هل بعث الرسول إلى الجن؟

نص الكتاب العزيز على أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث إلى الإنس والجن . ولذلك أدلة ثابتة ولكن عندما تثار هذه المسالة منسوبة إلى علمين جليلين من أعلام الإسلام البارزين هما : عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم فإن الأمر يحتاج إلى استيعاب مذهبهما .. قال الكاتب ـ رحمه الله .

المستفيض على ألسنة العلماء فى كتب الشريعة الإسلامية أن الله تعالى بعث رسوله محمداً ﷺ إلى الجن كما بعثه إلى الإنس .. وهناك روايتان مشهورتان فى هذا الموضوع .

رواية « ابن مسعود » .

ورواية « ابن عباس » سنذكرهما ، ونذكر أقوال العلماء فيهما ، بعد أن نبين أن بعض الفرق أنكر وجود الجن إطلاقا ، وأن العلماء حكموا عليهم بالكفر ، ونبين آراء الذين أثبتوا وجود الجن من ناحية أنهم أجسام ، أو حالُّون فى الأجسام ، أو أنهم قوى خفية ، إلى غير ذلك مما يتصل بهذا الموضوع اتصالا وثيقا ، فنقول :

أنكر بعض الفلاسفة ، والمعتزلة ، والقدرية ، وبعض أهل الكتاب ، وجود الجن إطلاقا . وهؤلاء لا يشملهم بحثنا ؛ لأن بعثة النبى ﷺ إلى الجن إنما تكون حيث يوجد الجن ولا وجود لهم فى نظر هؤلاء ، وقد حكم العلماء على هذه الطوائف التى أنكرت وجود الجن بالكفر ، لمصادمة آرائهم صريح القرآن الكريم .

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ إلى آخر سورة الجن وقوله تعالى فى سورة الأحقاف : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ

لفضيلة الأستاذ
الشيخ حسن حسين
إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ . قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ إلى آخر الآيات الواردة فى الجن فى هذه السورة الكريمة ،

وقوله تعالى فى سورة الحجر :
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ . وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى تثبت وجود الجن صراحة .

ولمصادمة آرائهم ايضا ما وقع عليه إجماع طوائف المسلمين ، وعلى رأسهم الصحابة والتابعون . مما يكاد يكون معلوماً من الدين بالضرورة .

ولما عرّف الشيخ الرئيس ابن سينا « الجن » فى رسالته التى الفها فى حدود الأشياء بأنه : حيوان هوائى ، متشكل بأشكال مختلفة ، وقال « هذا شرح للاسم » ، فَهِم العلماء أن ابن سينا ينكر حقيقة الجن ، وأنها ليس لها وجود فى الخارج ، إذ لو كان لما عدل عن تعريفها إلى شرح اللفظ ، وعندى أنه استنتاج من العلماء ، فإن الرئيس لم يصرح بنفى الحقيقة والماهية ، وإنما اكتفى بشرح الاسم ، وهذا لا يعنى حتما اعتقاده نفى الوجود الخارجى . ولم لا يجوز أن يكون سلك هذا السبيل لعدم معرفته ذاتيات الجن ؟ ومعلوم أن تعريف الشىء بحقيقته وماهيته فرع العلم بذاتيات الماهية .

ولاشك عندى أن « الصيرورة » إلى هذا أفضل من أن نحشر ابن سينا فى زمرة المنكرين المحكوم عليهم بالكفر .

هذا وقد أثبت وجود الجن طوائف المسلمين على اختلاف طبقاتهم ، وتواتر ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وعن التابعين وعلماء أهل الكتاب وأتباع الرسل السابقين ، ومشركى العرب وغيرهم ، مما صار مشهوراً مستفيضاً متواتراً .

وافترق المثبتون إلى فرقتين :
فرقة ترى أنها ليست أجساما ولا حالَّة فى الأجسام ، وإنما هى جواهر قائمة بأنفسها كالأرواح ، إلا أن أنواعها مختلفة بالماهية ؛ فبعضها خيرة ، وبعضها شريرة ، وبعضها كريمة محبة للخير ، وبعضها دنيئة محبة للشرور والآفات . وأصحاب هذا الرأى لا يجدون مانعاً من أنها تتعلق وتتصل ببعض أجسام هذا العالم ـ البشر ـ مادامت كالأرواح .

وفرقة ترى أنها أجسام خفية عاقلة تغلب عليها النارية ، كما يشهد له قوله تعالى

←

من روائع الماضى

﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾ وهى قابلة للتشكل بأشكال مختلفة ترى بصور غير صورها الأصلية ، ولا يراها بصورها الأصلية إلا الأنبياء عليهم السلام وخواص الخواص من المؤمنين .

وأصحاب هذا الرأى انقسموا إلى فرقتين :

إحداهما تقول : إن هذه الأجسام مشتركة فى كونها حاصلة فى الحيز والمكان والجهة ، وموصوفة بالطول والعرض والعمق ، ومختلفة فى ماهيتها ؛ لأن الاشتراك فى الصفات لا يقتضى الاشتراك فى تمام الماهية .

وثانيتهما تقول : إنها مشتركة فى الصفات ، ومتساوية فى تمام الماهية .

وقد وجه إلى أصحاب هذا المذهب « مذهب المجسمة » وإلى أصحاب المذهب الأول « مذهب القوى الخفية » ، اعتراضات كثيرة وجدل عنيف ، ومناقشات حادة قاموا بدفعها والردود عليها ، ولو نقلناها هنا لطال بنا المقام .

والذى يعنينا فى هذا البحث هو أن الجن موجود ، سواء كان « قوى » أو « أجساما » فإن بعثة الرسول ﷺ إليهم تتوقف على وجودهم كما أسلفنا .

وهناك فى هذا الموضوع مذهبان مشهوران : مذهب ابن عباس ، ومذهب ابن مسعود .

مذهب ابن عباس :

يتلخص فى أن النبى ﷺ لم يبعث إلى الجن ، ولم يأمره الله بتبليغهم ، وإنما استمع الجن للقرآن الكريم صدفة واتفاقا فآمنوا به ، وكان استماعهم له أثناء مرورهم بناحية عكاظ للبحث عن السبب الذى منعهم من استراق السمع من السماء ؛ وذلك أن الجن والشياطين كانوا - فى المدة الواقعة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام - يسترقون السمع ويخطفون الخطفة من ملائكة السماء ويبلغونها للكهنة ، فتضيف الكهنة على الكلمة الصادقة مائة كذبة ، كما ورد فى صحيح البخارى ؛ فلما بعث محمد ﷺ ، رميت بالشهب ، ومنعت من استراق السمع ؛ وذلك ما حكاه الله عنهم فى سورة الجن ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا . وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ فالتفوا حول إبليس وشكوا له منعهم من أمر السماء . ففرقهم طوائف وأمرهم أن يطوفوا حول الأرض كلها للبحث عن هذا الحدث العظيم ؛ فاتفق أن مرت طائفة منهم جهة عكاظ ، وكان الرسول ﷺ يصلى الصبح بأصحابه ويجهر بالقراءة ، فاستمع له الجن وقالوا : هذا والله هو الذى منعنا من أمر السماء ؛ ثم ولوا إلى قومهم منذرين ، دون أن يعلم الرسول من أمرهم شيئاً حتى أخبره الله بقوله ﴿ قُلْ أُوحِيَ ﴾ الخ .

وإليك نص رواية البخارى عن ابن عباس : قال البخارى فى باب تفسير سورة ﴿ قُلْ أُوحِيَ ﴾

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال :

انطلق رسول الله ﷺ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين فقالوا : مالكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب ،

قال : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث ؛ فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذى حدث ؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذى حال بينهم وبين خبر السماء ؟ قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ - وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر - فلما سمعوا القرآن تسمعوا له ، فقالوا : هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم ، فقالوا : « ياقومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً » .

وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن أ ـ هـ .

هذه رواية البخارى بنصها عن ابن عباس . وقد رواها غيره بزيادات ، وسنذكر أقوال العلماء فى مذهب ابن عباس بعد أن نبين مذهب ابن مسعود .

مذهب ابن مسعود :

هو صريح فى أن الله تعالى أمر محمداً ﷺ بأن يبلغ الجن ، وأنه ﷺ رسول إلى الجن كما هو رسول إلى الإنس ، وأن الجن مكلفون بأصول الشريعة وفروعها كالإنس سواء . فقد جاء فى رواية عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال : « أمرت أن أتلو القرآن على الجن » وفى رواية أخرى عنه « أرسلت إلى الجن » .. وهذا صريح فى أنه ﷺ بعث إلى الجن .

واسمع رواية ابن مسعود بنصها : قال ابن مسعود : قال عليه الصلاة والسلام :

« أمرت أن أتلو القرآن على الجن ، فمن يذهب معى » ؟ فسكتوا ، ثم قال الثانية فسكتوا ، ثم قال الثالثة ، فقال عبد الله : قلت : أنا أذهب معك يارسول الله .

قال : فانطلق حتى إذا جاء « الحجون » عند « شعب أبى دب » خط علىّ خطا فقال : لا تجاوزه . ثم مضى إلى الحجون ، فانحدروا عليه أمثال الحجل كأنهم رجال الزُّط يقرعون فى دفوفهم كما تقرع النسوة فى دفوفها حتى غشوه ، فغاب عن بصرى ، فقمت ، فأومأ إلىّ بيده أن اجلس ؛ ثم تلا القرآن ، فلم يزل صوته يرتفع ، ولصقوا بالأرض حتى صرت أسمع صوتهم ولا أراهم ، فلما عاد إلىّ قال : أردت أن تأتينى ؟ فقلت : نعم يارسول الله . قال : ما كان ذلك لك ؛ هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ، ثم ولوا إلى قومهم منذرين أ هـ .

وروى أبو داود عن علقمة عن ابن مسعود عن النبى ﷺ ، قال :

أتانى داعى الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن ؛ قال :

وانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم .

وفى شرح البيهقى من طرق شتى عن ابن مسعود أن النبى ﷺ صلى العشاء ثم انصرف فأخذ بيدى حتى أتينا مكان كذا . وفى آخر هذه الرواية ما نصه : فقلت : أين كنت يارسول الله ؟ فقال : « أرسلت إلى الجن » فقلت : ما هذه الأصوات التى سمعت ؟ قال : هى أصواتهم حين ودعونى وسلموا علىَّ أ هـ .

من هذه الروايات يتبين لك منها أيها القارىء الكريم ، أن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الجن كما أرسله إلى الإنس ، وأنه أمره بأن يتلو

←

من روائع الماضى

عليهم القرآن ، وأن بعض الجن مؤمن وبعضهم كافر ، مثلهم فى ذلك مثل الإنس ، انظر إلى قول الله تعالى حكاية عنهم فى سورة الجن : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا . وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا . وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ وتثبت آيات الأحقاف بأن من الجن دعاة إلى هداية قومهم .

انظر إلى قوله تعالى :

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

وبعد ، فاعلم أيها القارىء الكريم أن الذى عليه المعول لدى العلماء إنما هو مذهب ابن مسعود الموافق لصريح القرآن الكريم ، وأن مذهب ابن عباس لا يتنافى مع مذهب ابن مسعود ، فإن ما ذكره ابن عباس وقع أولاً ، فأوحى الله تعالى إلى الرسول - ﷺ ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ ثم أمر بعد ذلك بالخروج إليهم . وقد قال العلماء : إن واقعة الجن تكررت ست مرات ، وإن الواقعة التى رواها ابن عباس كانت أول الواقعات ، فإنها كانت قبل الهجرة بثلاث سنين .

ونَفْىُ ابن عباس بعثَ الرسول إلى الجن ليس على إطلاقه ، وإنما هوخاص بهذه الواقعة الأولى فقط . وحاشا ابن عباس أن يخالف صريح القرآن . ومتى أمكن الجمع بين الروايات وجب الجمع ، كما أسلفنا .

ويقول العلامة ابن تيمية : إن ابن عباس علم ما حكاه القرآن ، ولم يعلم ما علمه ابن مسعود ؛ فإن الواقعة الأولى التى رواها ابن عباس رضى الله عنهما وقعت فى وقت كان ابن عباس فيه شابا حدثا ، لأنه لم يناهز الحلم إلا فى حجة الوداع . ومهما يكن من شىء فالواقعة تكررت . وهذا هو سبيل الجمع بين الروايات .

وقبل إن أختم هذا المقال أود أن ألفت النظر إلى ماف قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ الآية من أسرار - ففيها .

١ - أن الصحابة عرفوا انه عليه الصلاة والسلام بعث إلى الجن كما بعث إلى الإنس .

٢ - توبيخ قريش بأن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فآمنوا به ولم يعاندوا كما عاندت قريش .

٣ - أن يعلم القوم أن الجن مكلفون كالإنس .

٤ - أن الجن يسمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا .

٥ - أن فيهم مرشدين يدعون أقوامهم إلى التوحيد . وفى آيات الأحقاف ما يدل على أن الرسول ﷺ رأى الجن وكلمهم ودعاهم إلى الإسلام وجعل منهم رسلاً إلى أقوامهم .

وفقنا الله جميعا إلى ما فيه الرشاد

اللغة والأدب والنقد

من صور الحذف البليغ

عبد الصمد بن المعتزل

من صور الحذف البليغ

الاحتباك

الجزء الرابع والأخير

نمـــاذج :

(٥) ـ قال تعالى فى بيان حال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم فى أمور الدين ، تخلفوا عن الغزو مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك ثم أبدوا ندمهم وتوبتهم : ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ « التوبة : ١٠٢ » .

ذكر الزركشى فى «البرهان» والسيوطى فى شرح أرجوزة عقود الجمان «أن فى الآية حذفا تقديره : خلطوا عملا صالحا بسيء ، وآخر سيئا بصالح ، لأن الخلط يستدعى مخلوطا ومخلوطا به ، أى : تارة أطاعوا وخلطوا الطاعة بكبيرة ، وتارة عصوا ، وتداركوا المعصية بالتوبة[1] .

وقد اختلف العلماء فى الصالح والسيىء فقيل : الصالح هو الاعتراف بالذنب والندم عليه والتوبة منه ، والسيىء هو التخلف عن الغزو . وقيل : الصالح هو خروجهم مع الرسول ﷺ إلى سائر الغزوات ، والسيىء هو تخلفهم عن غزوة تبوك ـ وقيل هما التوبة والإثم .

والعبرة كما نعلم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ولذا فالآية تفتح باب الرجاء لمن هذه أوصافهم .

ومن الظاهر على تقدير الزركشى والسيوطى أن الذى دعا إلى هذا التقدير إنما هو لفظ «خلط» الذى يستدعى مخلوطا ومخلوطا به .

وقد ذكر المفسرون أن الواو إما أن تكون بمعنى الباء ، كما فى قولهم : بعت الشاء وشاة ودرهما ، بمعنى شاة بدرهم ، لأن الباء للإلصاق والواو للجمع فهما من واد واحد فاستعيرت الواو للباء[2] .

وعلى ذلك فلا حذف ولا تقدير فى الآية ، لكن

---

(١) راجع البرهان : ٣/١٣٠ ، ١٣١ ، وشرح أرجوزة عقود الجمان : ١٣٨ .

(٢) راجع الكشاف : ٢/٢١٢ ، وتفسير البيضاوى وحاشية الشهاب عليه : ٤/٣٦٠ .

الشهاب ذكر أن فى ذلك تكلفا ، ولذا قالوا : إنه تفسير معنى لا إعراب ، وإما أن تكون الواو للدلالة على أن كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به ، لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر ، كقولك : خلطت الماء واللبن ، تريد : خلطت كل واحد منهما بصاحبه ، وفيه ما ليس فى قولك : خلطت الماء باللبن ، لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به ، وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت : خلطت الماء باللبن ، واللبن بالماء .. هذا ما ذكره الزمخشرى أولا قبل أن يذكر الرأى الثانى الذى ضعفه الشهاب الخفاجى .

لكن ابن المنير فى الانتصاف ذكر تحقيقاً فى المسألة : وهو أنك إذا قلت : خلطت الماء باللبن فالمصرح به أن الماء مخلوط واللبن مخلوط به ، ودل بطريق اللزوم لا التصريح على كون الماء مخلوطا به واللبن مخلوطا وأما إذا قلت بالواو فالمصرح به جعل كل واحد منهما مخلوطا ، وأما ما خلط به كل واحد منهما فغير مصرح به ، بل من اللازم أن كل واحد منهما لمخلوط به ، محتمل أن يكون قرينه أو غيره ، فقول الزمخشرى : إن قولك خلطت الماء واللبن يفيد ما يفيده مع الباء وزيادة ليس كذلك ، فالظاهر أن العدول فى الآية عن الباء لتضمين الخلط معنى العمل ، كأنه قيل : عملوا صالحا وآخر سيئا ومعنى ذلك خروج الآية عن الاحتباك .

ولكن الشهاب الخفاجى يذكر تحقيقا آخر فى المسألة عن أحد شراح الكشاف ، يرى فيه صاحبه أن الزمخشرى يريد أن الواو كالصريح فى خلط كل بالآخر بمنزلة قولك : خلطت اللبن بالماء وخلطت اللبن بالماء ، بخلاف الباء فإن مدلولها لفظا ليس إلا خلط الماء باللبن وأما خلط اللبن بالماء فلو ثبت لم يثبت إلا بطريق الالتزام ودلالة العقل .

وهذا قريب من تقدير السكاكى حيث جعل التقدير خلطوا عملاً صالحا بسيىء وآخر سيئا بصالح ، إلا أنه جعل الصالح والسيىء فى أحد الخلطين غيرهما فى الآخر حيث قال : بأن أطاعوه وأحبطوا الطاعة بكبيرة وأخرى عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة ، فالمخلوط على ذلك هو ما يقابل المخلوط سواء كان هو المذكور بعد الواو وبالعكس أولا ، إلا أن ما ذكر السكاكى من الإحباط مبنى على مذهب المعتزلة ، وهو مخالف لما عليه أهل السنة ، فالإحباط عندهم باطل .

ثم يذكر الشهاب تفريقاً بين الخلط والاختلاط ، فاختلاط أحدهما بالآخر مستلزم لاختلاط الآخر به ، وأما خلط أحدهما بالآخر فلا يستلزم خلط الآخر به ، لأن خلط الماء باللبن مثلا معناه : أن يقصد الماء أولا ويجعل مخلوطا باللبن ، وهو لا يستلزم أن يقصد اللبن أولا بل ينافيه .

وبناء على ذلك فخلط العمل الصالح بالسيىء معناه : أنهم أتوا أولا الصالح ثم استتبعوه سيئا وخلط السيىء بالصالح معناه : أنهم أتوا بالسىء ثم أردفوه بالصالح فأحدهما لا يستلزم الآخر ، وفى ذلك ترجيح لما ذهب إليه السكاكى[٣] .

والذى يؤخذ من ذلك أن فى تعبير القرآن الكريم بالخلط دون الاختلاط مزية معنوية ، يؤديها الاحتباك بحذف السيىء من الأول للدلالة

(٣) راجع حاشية الشهاب على البيضاوى : ٤/٣٦٠ ومفتاح العلوم للسكاكى : ١٣٥ .

من صور الحذف البليغ

على أنهم قصدوا الصالح أولا ثم عرضت لهم بعض المعاصى بعده دون قصد أولى ، وإنما لخور فى الطبيعة وضعف فى المقاومة ، وفى مرة ثانية قصدوا إلى المعصية قصداً أوليا ثم عرضت لهم بعض الأعمال الصالحة فأتوها ، ومع ذلك يثابون عليها ، مع بيان أنه ليس هناك استلزام بين عمل الطاعة وعمل المعصية فى عمل المحترزين ، وإنما هو من شأن ضعاف الهمم بحسب الواقع ، ثم إن فى الآية على هذا التقدير أيضاً فتحا لباب الرجاء فى التجاوز عن المعاصى الطارئة على الأعمال الصالحة وفتحا لقبول الأعمال الصالحة وإن لم يكن مقصودا إليها ، ولا غرابة فى ذلك فقد يثاب المؤمن رغم أنفه ،وهذا هو ما يشعر به قوله تعالى : ﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ ومع ذلك فإنه يجب على المكلف أن يكون على الطمع والإشفاق فلا يتواكل .

هذه هى الأسرار المعنوية التى وراء هذا النظم البديع حسب ما فهمته من كلام العلماء .. والله أعلم بمراده .

(٦) قال تعالى منكرا ما نسبه قوم نوح ـ عليه السلام ـ إليه من افتراء الوحى الذى كلف تبليغه لهم : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ «هود : ٣٥» .

ذكر السيوطى فى «الإتقان» نقلا عن الزركشى فى «البرهان» أن فى هذه الآية حذفا فى الطرفين ، وأن التقدير : إن افتريته فعلى إجرامى وأنتم براء منه ، وعليكم إجرامكم وأنا برىء مما تجرمون ، فاكتفى من كل متناسبين بأحدهما لدلالة المذكور فى كل جانب على المحذوف فى الجانب الآخر[٤] .

والزمخشرى ذكر فى تفسير الآية : إن صح وثبت أنى افتريته فعلىّ عقوبة إجرامى أى : افترائى ، وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عنى وتتألبوا علىّ ، ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ ﴾ يعنى ولم يثبت ذلك وأنا برىء منه ومعنى ﴿ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ من إجرامكم فى إسناد الافتراء إلىّ فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم[٥] .

والذى يؤخذ من ذلك أن رسول الله نوحا لما يئس من استجابتهم تنزلّ معهم إلى فرض غير الواقع واقعاً وأن هناك مضافا محذوفا فى قوله تعالى : ﴿ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي ﴾ ويتولد عنه أن يكونوا أحقاء فى إعراضهم عنه وتألبهم عليه وألا يشاركوه فى وزر ما فعل ، لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، وكذلك يكون فى قوله : ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ ﴾ حذف أيضاً تقديره : والحاصل أنه لم يثبت على ذلك حقيقة وأنا برىء من إجرامكم فى إسناد الافتراء إلىّ .

وقد قدر الفخر الرازى المحذوف على وجه آخر بأن جعل المعنى على تقدير : إن افتريته فعلىّ عقاب إجرامى ، وإن كنت صادقا وكذبتمونى فعليكم عقاب ذلك التكذيب إلا أن ما حذف دل عليه الكلام[٦] .

وقدره الشهاب الخفاجى : إن افتريته فعلى عقوبة افترائى ، ولكنه فرض محال ، وأنا برىء من افترائكم أى : نسبتكم إياى إلى الافتراء ، وعدل عنه إدماجا لكونهم مجرمين ، وأن المسألة معكوسة[٧] .

وهذه الآراء فى تقدير المحذوفات تئول فى النهاية إلى معنى واحد اختلفت فيه العبارات ، والظاهر أن هذه التقديرات تفسيرات للمعنى لا تفسيرات للإعراب ، لأنه لا حاجة إلى هذه

---

(٤) راجع البرهان : ٣/١٢٩ والإتقان : ٢/٨٠ .
(٥) راجع الكشاف : ٢/٢٦٧ ، ٢٦٨ .
(٦) التفسير الكبير : ١٧/٢٢٠ .
(٧) راجع حاشية الشهاب على البيضاوى : ٥/٩٦ .

التقديرات من ناحية الصناعة ، لأن قوله : ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ ﴾ معطوف على الجملة الشرطية بتمامها ، وهو من المقول الذى أمر به .

وأما تقدير الزركشى والسيوطى ، فعلى الرغم من كونه تفسير معنى أيضاً فهو داخل فيما نحن فيه من الاحتباك بعمق دلالة النظم القرآنى على حسب المعانى المرادة ، وإن كان المآل إلى التقاء المعانى السابقة كلها ، ويكون ذكر الإجرام المترتب على الافتراء على سبيل الفرض والتقدير والتخيل ، تنزلا معهم وملاينة ، كما يوحى به النظم فى بنائه ، بينما لم تذكر براءتهم إشارة إلى أنها لن تقع لأنهم أجرموا فعلا بإسنادهم الافتراء إليه ، هذا فى الجانب الأول من الآية ، وأما فى الجانب الثانى فقد ذكر براءته لأنها حقيقة واقعة وهى الأهم فى السياق ، وقد اكتفى بدلالة الإنكار الذى صدرت به الآية عن ذكر عقوبة جرمهم ، ولأن فى إدماج تسجيل الإجرام عليهم إشارة إلى الجزاء المترتب عليه كما أن تنزله معهم إلى الفرض والتقدير وملاينته لهم رجاء أن يثوبوا إلى عقولهم ورشدهم لا يلائمه مصارحتهم بتسجيل جرمهم قصداً ، بله عقوبة ذلك الإجرام .. فلهذه الأسرار حذف من الجانبين ما حذف اكتفاء بقوة دلالة النظم على المحذوف فى الطرفين .

(٧) ـ قال تعالى ـ فى شأن ما جابه به الكفار سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام من إنكار أن يكون القرآن الكريم منزلاً من عند الله : ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ «الأنبياء : ٥» .

ذكر الزركشى فى «البرهان» أن التقدير : إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية ، وجعله من الحذف المقابلى[٨] أو ما استقر أخيرا تحت اسم الاحتباك .

فإذا ما عدنا إلى الزمخشرى فى «الكشاف» وجدناه يذكر تقديراً آخر فيقول : صحة التشبيه فى قوله : ﴿ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ من حيث أنه فى معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات[٩] .

وأبو السعود يذكر أن «ما» ، إما موصولة ، أى فليأتنا بآية مثل الآية التى ارسل بها الأولون ، كاليد والعصا ونظائرهما ، وإما مصدرية ، والكاف نعت لمصدر محذوف ، أى : فليأتنا بآية إتيانا كائناً مثل إرسال الأولين بها ، وصحة التشبيه من حيث أن الإتيان بالآية من فروع الإرسال بها ، أى : مثل إتيان مترتب على الإرسال ، ويجوز أن يحمل النظم الكريم على أنه أريد كل واحد من الإتيان والإرسال فى كل واحد من طرق التشبيه ، لكنه ترك فى جانب المشبه ذكر الإرسال ، وفى جانب المشبه به ذكر الإتيان اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عما ترك فى الموطن الآخر[١٠] .

وذكر الشهاب أن العدول عن الظاهر ، وهو : فليأتنا بما أتى به الأولون ، أو بمثل ما أتى به الأولون ، لأن الإرسال يدل على ما دل عليه الإتيان مع زيادة كونه مرسلا به من الله لا إتيانه من نفسه[١١] .

والأمر على ما هو ظاهر فى هذه التفاسير يعود إلى محاولة إيجاد التلاؤم بين المشبه وهو الإتيان والمشبه به وهو الإرسال ، فعلى تفسير الزمخشرى من أن الإرسال متضمن للإتيان بالآيات ، أى : إنه كناية عنه ، يظل سر إيثار الإرسال على الإتيان غامضاً ، فما ذكر مصحح فقط ، ولم يذكر المرجح ، وتفسير أبو السعود يحاول إيجاد هذا

---

(٨) راجع البرهان فى علوم القرآن : ٣/١٢٩ .
(٩) الكشاف : ٢/٥٦٣ .
(١٠) راجع تفسير أبى السعود : ٦/٥٥ .
(١١) راجع حاشية الشهاب على البيضاوى : ٦/٢٤٢ .

من صور الحذف البليغ

التلاؤم بأن يجعل فى الآية تشبيه آية بآية ، أو تشبيه إتيان بإرسال كما ذهب إليه الزمخشرى ، دون بيان أيضاً لإيثار لفظ الإتيان فى جانب المشبه ولفظ الإرسال فى جانب المشبه به ، وعلى التفسير الثالث الذى ذكره ، والذى يتواءم مع ما ذكر الزركشى من إرادة الإتيان والإرسال فى كل واحد من الطرفين يبقى الحال أيضاً غير موضح للسر البلاغى الكامن وراء هذا النظم العجيب .

ولعل السر فى ذلك أن الكفار لما تدرجوا فى وصف القرآن الكريم من كونه سحراً ، إلى كونه تخاليط أحلام ، إلى كونه مفترى من عند الرسول عليه الصلاة والسلام من غير أن يكون له أصل أو شبهة أصل ، إلى كون الرسول شاعراً ، وما أتى به شعر يخيل إلى السامع معانى لا حقيقة لها ولا ثبوت ، وبان من هذا تحيرهم ، وانتقالهم من فاسد إلى أفسد ، انتقلوا بعد ذلك إلى أن قالوا : وإن لم يكن الأمر على ما قلنا ، بل كان رسولا من الله حقا فليأتنا بآية يرسل بها ، كما أن الأولين من الأنبياء والرسل أرسلوا بآيات أتوا بها .

ومعنى ذلك أنهم ـ قاتلهم الله ـ يرفضون المعجزة الباقية بقاء الدهر لعجزهم عن تحديها ، ويقترحون معجزة حسية وقتية يلمسونها بحواسهم ، مع أن نظراءهم الذين أوتوا المعجزات الحسية من قبل قد صرحوا بعدها بقولهم : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ «الأعراف : ١٣٢» .

فالمسألة إذن تعنت ولجاج ، كأنهم يضمرون فى أنفسهم أنه لو أتاهم بآية حسية فسينكرونها بحجة أنها سحر ، أو يصرحون كما صرح كفار القبط بأنهم لن يؤمنوا على أية حال ، وما دروا أن عدم الاستجابة لما اقترحوا كان خيرا لهم ورحمة بهم ، فإنه لم يأت الله تعالى بآية مقترحة فكذب بها إلا أتى بعدها بالعذاب .

والمهم بعد استحسانى أن تكون الآية من قبيل الاحتباك البحث عن سر عدم تصريحهم بالإرسال فى جانب النبى ﷺ والاكتفاء فى التعبير بالإتيان ، وذلك ـ والله أعلم ـ راجع إلى أن فى التعبير به وعدم التصريح بالإرسال إيماء إلى أن ما أتى وما يأتى به ـ على فرض استجابته لهم ـ من عنده ، وإنكاراً لأن يكون مرسلا به من عند الله ، نفيا لرسالته من أصلها ، ففيه كما يقول الشهاب الخفاجى تعريض مناسب لما قبله من ذكر الافتراء ، كما أن ذكر الإرسال فى جانب الرسل الأولين فيه إيماء إلى أن ما أتوا به من عند الله ، وتعريض بأن ما أتوا به حق ، لأنهم رسل الله حقا ، فكان ذكر الإرسال هنا أهم لهم كما كان ذكر الإتيان أهم فى الأول ، وحذف الإرسال من الأول فيه إشارة إلى هذه الأسرار النفسية التى تجول بهذه الأنفس المريضة المصرة على الكفر على أية حال ، كما حذف الإتيان من الثانى ، لأن الإرسال الذى أثبتوه للسابقين لابد أن يتضمن إتياناً بالآيات .

وما درى هؤلاء الكفرة أن الأنبياء والرسل كلهم من بحار التوحيد يغترفون ، وعلى المحجة البيضاء يسيرون ، ولكنهم أثبتوا بما أنكروه وما اقترحوه أن الكفر كله ملة واحدة على مر الأزمان ، وأنهم فى اقتراحهم الآيات الحسية على الرسول ﷺ قد انتقصوا من شأن أنفسهم ، فهم يريدون العودة إلى الوراء بعد أن أكرمهم الله بالمعجزة الباقية الملائمة للطور الذى بلغته إنسانية الإنسان .

(٨) ـ قال تعالى فى جزاء من صدق من المؤمنين فيما عاهدوا الله عليه ، وجزاء من كذب وأخلف فيما أوجبه على نفسه من الثبات فى القتال مع الرسول ﷺ : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا

مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً . لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ « الأحزاب : ٢٣ ، ٢٤» .

ذكر الزركشي في «البرهان» أن الآية الثانية فيها حذف مقابلي ، وأن التقدير كما قال المفسرون : ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم ، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم وعند ذلك يكون مطلق قوله : فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم مقيداً بمدة الحياة الدنيا[١٢] .

وقد ذكر أبو حيان أن الله تبارك وتعالى قد شاء عذابهم وأخبر أنه يعذب المنافقين حتما لا محالة في مواضع أخرى من القرآن الكريم ، فكيف يصح تعليق عذابهم على المشيئة هنا ، وهو قد شاء تعذيبهم إذا بقوا على النفاق ؟ ونقل عن ابن عطية جوابا لذلك مفاده : أن تعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم ، والتوبة موازية لتلك الإقامة ، وثمرة التوبة تركهم دون عذاب ، فهما درجتان : إقامة على نفاق أو توبة منه ، وعنهما ثمرتان : تعذيب أو رحمة ، فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدة من هاتين ، وواحدة من هاتين ، فدل ما ذكر على ما ترك ، ومما يدل على أن معنى قوله : ليعذب أي : ليديم على النفاق قوله : ﴿ إِنْ شَاءَ ﴾ ومعادلته بالتوبة . ثم يخلص أبوحيان من ذلك بأنه يئول إلى أن التقدير : ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه إن شاء فيعذبهم ، أو يتوب عليهم فيرحمهم ، فحذف سبب التعذيب وأثبت المسبب ، وأثبت سبب الرحمة والغفران وحذف المسبب ، وهذا من الإيجاز الحسن[١٣] .

ومن الواضح أن هذا التقدير في النهاية يلتقي مع تقدير الزركشي مع زيادة تفصيل لأسباب القول بالحذف ، ومع أن القول به من الإيجاز الحسن ومن البلاغة العالية ، فإنهما لا يعللان لسر الذكر والحذف في الآية .

ولعل ذلك ـ والله أعلم بمراده ـ راجع إلى أن ذكر التعذيب في الآخرة إن لم يتوبوا في الدنيا إنما صرح به ردعاً وتخويفاً من العاقبة التي تنتظرهم لو استمروا على ما هم فيه ، فكان ذكره أهم لتحقيق هذه الغاية ، ولم يشأ سبحانه أن يصرح بعدم التوبة عليهم حتى لا ييأس النبي ﷺ والمؤمنون من إيمانهم ، وقد آمن منهم أناس بعد ذلك بالفعل وحسن إسلامهم ، وكذلك حتى لا ييأس المنافقون من قبول التوبة إن هم تابوا وفي ذلك فتح لباب الرجاء ، وبعث على التوبة .

وأما في الجانب الآخر من الأسلوب فقد ذكر التوبة عليهم للسر الذي لم يصرح فيه بعدم التوبة عليهم ، وحذف عدم التعذيب ، لأن واقعهم وقت نزول الآية لم يكن ليساعد على التصريح به ، فالآية بما تحمل من معان تشتمل على التخويف الظاهر والمستتر والرجاء الظاهر والمومى به إنما تحض هؤلاء على المراجعة وعلى الإيمان الصادق والدائم إلى الممات ، وتجعلهم بين الخوف والرجاء أملا في الوصول إلى درجةالحسن والإحسان قولاً وعملاً .

● ● ●

وسأكتفي بما عرضته وحللته هنا من نماذج ، لتكون دليلاً يهدي إلى كيفية السير في غيرها من شواهد الاحتباك .

ونستطيع الآن أن نستخلص من هذا العرض والتحليل عدة أمور :

أولا : أنه لا يكفي في السر البلاغي لهذا اللون

←

(١٢) راجع البرهان في علوم القرآن : ٣/١٢٩ .

(١٣) راجع تفسير البحر المحيط : ٧/٢٢٣ .

من صور الحذف البليغ

العزيز أن نذكر أن ما حذف إنما كان لدلالة المذكور عليه ، فذلك مصحح فقط ، ولابد من مرجحات لدلالات الذكر والحذف ، وإذا كانت القيمة البلاغية العامة لهذا الحذف مما يعد به الأسلوب حسناً بديعاً فصيحاً بليغاً ، وتتحقق منه الإفادة ويتزين بالإجادة فإنه لابد من البحث فى كل شاهد عن أسرار خاصة أو علة تتلاءم مع السياق العام أو السياق الخاص ، وما أشبه ذلك بما ذكره المحققون فى أسلوب الالتفات من أنه لا يكفى فى تعليل حسنه أن يقال إنه أحسن تطرية لنشاط السامع واكثر إيقاظا للإصغاء ، فذلك وجه عام لحسنه ، وإنما لابد فى كل موضع من سر خاص إلى جانب العلة العامة .. ومعنى ذلك أن أسرار الذكر والحذف ، كأسرار الالتفات ، فيها العام وفيها الخاص ، وإن كان الخاص لا يمكن حده بحدود أو ضبطه بضوابط ، وإنما لكل سياق اتيا فيه أسرار يبحث عنها المتذوقون وراء القيمة الجمالية العامة .

ثانيا : أن صور هذا اللون العجيب من الحذف الذى يقوم على تدبر المعانى التى تدل عليها قوة التراكيب وفحواها لا تقف عند صورة معينة من صور الحذف التى عددتها البلاغة المتأخرة ، وإنما تشملها وتشمل ما هو أعم منها .

ثالثا : أن المعول عليه فى التقدير إنما هو جانب المعنى لاستخلاص وفقه دلالات التراكيب وما يستكن فيها ، وليس الصناعة الإعرابية الشكلية ، فذلك مما يمكن تخريجه بناء على ظاهر الأساليب التى وقع فيها الحذف .

● ● ●

وأخيرا هذا ما فتح الله به علىّ فى تاريخ هذا اللون من الإيجاز ومصطلحه ومعناه ، وفى استخلاص بعض أسراره ولطائفه ، أرجو أن أكون قد وفقت فيه عرضا وفهما واستنباطاً ولله الحمد دائماً ، وعلى رسوله أفضل الصلاة وأزكى السلام .

د . عبدالحميد العيسوى

عبد الصمد بن المعذل

وموقف نقاد الشعر منه

بقلم : السيد حسن قرون

هذا الشاعر[1] من مواليد البصرة فى العصر العباسى نشا فيها ولم يعرف طريق البادية ، فشعره فيه طبيعة المدن وإن لم يخل من رواسب الشعر العربى فى الجاهلية او الإسلام ، وانت تعلم ان رواة الشعر فى العصر العباسى الأول كانوا يحجمون عن رواية الشعر المحدث اى الذى ظهر بعد بشار ، ويرونه مولدا لا يحسن الاستشهاد به فى اللغة ، ولك ان تستشهد به فى المعانى ومحمد بن يزيد «المبرد» فى كتابه الكامل تراه يروى شعر المحدثين ويصدر مختاراته بشعر للشاعر عبد الصمد بن المعذل ، وتاتى الديباجة فى الرواية هكذا :

قال أبو العباس هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة يحتاج إليها للتمثل ؛ لانها أشكل بالدهر ، ويستعار من ألفاظها فى المخاطبات والخطب والكتب . قال عبد الصمد بن المعذل :

ـ والخطاب لزوجته ـ

تُكَلِّفُنِى إذلالَ نفسى لِعِزّها
وهان عليها ان أُهان لتكرما

تقول: سل المعروف يحيى بن اكثم
فقلت: سليه رَبَّ يحيى بن اكثما

وهذا الشعر يمثل عزة النفس ، والاحتفاظ بالكرامة الإنسانية ، ويعطيك صورة عن الحياة القائمة فى العصر العباسى ، وأن هناك شعراء وعلماء ورجال تعليم يختلفون فى المذهب والتعامل مع مطالب العيش وأن هناك رؤساء وقواداً وفى مقدمتهم الخلفاء والأمراء وسوق الادباء والعلماء رائجة عندهم ، ولكن عبدالصمد بن المعذل يرى انه أعلى قدرا ، وأعظم مقاماً من الذين يعيشون فى كنف السادة والحكام ؛ ولذلك كان الخلاف بينه وبين أخيه احمد شديدا يصل إلى حد المهاجاة ، والنقاد والرواة فى رواية الأدب والشعر يصفون

←

(1) توفى سنة ٢٤٠ هـ ـ ٨٥٤ م .

عبد الصمد بن المعذل

عبدالصمد بأنه «كان هجاء خبيث اللسان» وهذا الوصف تراه عند كل من كتب عنه ووازن بينه وبين أخيه وأغلب الظن انه من آراء أبى الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى . يقول أبو الفرج وكان أخوه أحمد شاعرا إلا أنه كان عنيفا ذا مروءة ودين وتقدم فى المعتزلة وجاه واسع فى بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبدالصمد فيه فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه .. وعبدالصمد أشعرهما .

ومن هذه النبذة ندرك أسباب الاختلاف ، فعبدالصمد كان يعيش على الشعر وينتهج نهج والده فى الترفع عن التزلف والتمرغ على أعتاب الأمراء والخلفاء ولاسيما قاضى القضاة يحيى بن أكثم .. ويحيى هو راس المعتزلة والذين يحطبون فى حبله يقربهم ويغدق عليهم الأموال ، ولاشك أن عبدالصمد كان بعيداً عن الاعتزال أو قل لا يكلف نفسه دراسة المذهب والتعمق فيه والتعرف على وسائل الجدال لاستحضار البراهين والحجج للرد على المخالفين .

قلت إن أباه «المعذل بن غيلان» وهو من ربيعة من قبيلة عبد القيس كان يقول :

إلى الله أشكو لا إلى الناس إننى
أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى خلة فى أخوة وقرابة
وذى رحم ما كان مثلى يضيعها
فلو ساعدتنى فى المكارم قدرة
لفاض عليهم بالنوال ربيعها

فهو رجل ذو مروءة ويجعل من نفسه مسئولا عن قرابته ، ولكن ما فى يديه لا يقوم بما يريد غير أنه يتجه إلى الله بالشكوى لا إلى الناس .

ومن شعره أيضاً قوله :

ولست بميال إلى جانب الغنى
إذا كانت العلياء فى جانب الفقر
وإنى لصبار على ما ينوبنى
وحسبك أن الله أثنى على الصبر

وهو شعر يذهب بالإنسان إلى منازل العلا ، ويضع القدوة ماثلة أمام السامع والقارىء لعل وعسى أن ينسج الناس على منواله ، وأغلب ظنى أن عبدالصمد اقتدى بأبيه ، وإن خالفه فى الاتجاه إلى الهجاء والطعن فى أعراض الناس أعنى أشخاصهم ، لا أشك فى أن أخاه أحمد كان من أصحاب يحيى بن أكثم وأنه انتفع باعتزاله وانظر إلى رأى عبدالصمد فى قاضى القضاة .. ذكر أن عبدالصمد كان له ميل إلى جارية لبعض وجوه أهل البصرة ، وكانت لا تخرج إلا مُنقبة ، فخرج عبدالصمد يوما إلى نزهة ، وقدمت الجارية واسمها «مُتَيّم» إلى القاضى العنبرى ، فاحتاج أن يشهد عليها فأمرها أن تسفر ، ورجع عبدالصمد من نزهته فقيل له : لو رأيت متيم وقد أسفرها القاضى لرأيت شيئا حسنا ، فقال عبدالصمد :

ولما سرت عنها القِناعَ متيم
تروَّح منها العنبرىُّ متيما(٢)
رأى ابن عبيد الله وهو محكم
عليها لها طرْفًا عليه محكما(٣)
وكان قديما كالح الوجه عابساً
فلما رأى منها السفورَ تبسما
فإن يَصْبُ قلب العنبرى فربما
صبا باليتامى قلب يحيى بن أكثما

(٢) متيما : صار عاشقا .

(٣) محكما : مسيطرا عليه .

ولقد سقت هذا الشعر لطرافته ولأنه ذكر فيه قاضي القضاة يحيى بن أكثم . قالوا : وبلغ قوله يحيى بن أكثم فكتب إليه : عليك لعنة الله ، أى شيء أردت منى حتى أتانى شعرك من البصرة ، فقال لرسوله : قل له : متيم أقعدتك على طريق القافية . وموقف يحيى بن أكثم منه لا يدل على غضب عليه ، ولا تفكير فى مساءلته أو محاسبته ، ويحيى بن أكثم عربى أصيل من نسل «أكثم بن صيفى» التميمى حكيم العرب فى زمانه ، ترضيه الطرافة ويعجبه القول الجميل ، وكان مجلسه عامراً بكل لسن وفقيه .

فماذا كان بين الأخوين : المتدين والمستهتر بالعبث ؟ والغريب أن الجاحظ روى شعرا غزلا فى البيان والتبيين لأحمد ، ولم يرو لعبدالصمد ، ولا بأس من ذكر بعض غزل أحمد المتدين المعتزلى ، ونحن لا ننكر عليه شاعريته ، وإنما نرى فيه طبائع البشر ومطالب الشعر ، وهو دائما يرى فى الأنثى المؤنس الذى يبكى على فراقه . يقول أحمد[٤] :

تواعد للبين الخليط لينبتوا
وقالوا لراعى الظهر: موعدك السبت
ففاجأنى بغتا ـ ولم أخش ـ بينهم
وأفظع شيء حين يفجؤك البغت

إلى أن يقول :

تأيمت حتى لامنى كل صاحب
رجاء سليمى أن تئيم كما إمْتُ
لئن بعت حظى منك يوما بغيره
لبئس إذاً يوم التغابن ما بعت

فهذا الزاهد يطلب من سليمى أن تعيش بلا زوج : لأنه عاش هو بلا زوج ويعلق حظه على يوم القيامة إذا باعه ، لا تقل إنه شعر فيه تدين ، فالشعر يحكى ما يحمله قلب الإنسان وعقله من هواجس وأفكار .

وما جرى بين الأخوين من ملاحاة يصور مسالك كل منهما . قالوا : كتب أحمد إلى أخيه عبدالصمد يقول : إنى أرى المكروه من حيث يرتجى المحبوب ، وقد شمل عدك[٥] وعم أذاك ، وصرت فيك كأبى الابن العاق ، إن عاش نغصه ، وإن مات نقصه ، وقد خشنت بقلب حبيبه لك ناصح . والسلام .

وهذه الرسالة العاتبة الغاضبة تعد من نماذج الإيجاز ، وإن فيها معانى دقيقة تحل فى ألفاظ جزلة ، وتدل على عميق الحزن فى قلب المرسل لما يعانيه من المرسل إليه .. وكان ينبغى للمرسل إليه أن يقبل على أخيه مسترضيا عاملا على إزالة المكروه لبلوغ المحبوب الذى يرضى الشقيق الشفيق ، ولكن الرد كان من عبدالصمد شعرا ، فيه سخرية ، وفيه إهانة ، وكأنه يلومه على عظاته وتوجيهاته ، بل يعرفه أنه لم ينجح فى أهدافه ، ولم يوفق فى نصائحه . واقرأ معى رده . قال :

أطاع الفريضة والسُّنَّهْ
فتَاهَ على الإنس والجِنَّهْ
كأن لنا النارَ من دونه
وأفرده اللهُ بالجَنَّه
وينظر نحوى إذا زرته
بعين حماةٍ إلى كَنَّهْ[٦]

←

(٤) البيان والتبيين جـ ٢ تحقيق السندوبى .

(٥) عدك : قدرك .
(٦) الكنة : زوجة الابن .

عبد الصمد بن المعذل

وقارىء هذا الشعر يعتقد أن مهمة الواعظ عسيرة ، وتقتضى صبراً جميلاً ، وأسلوباً سديداً ، بعيداً عن العنف ، وأنا لا أبعد العنف عن أحمد بن المعذل ، فصاحب الأغانى يصفه بأنه كان عنيفا ، والقرآن الكريم قد رسم الطريق المستقيم للوعاظ والسالكين مسالك الدعوة فقال : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (١٢٥ - النحل) .

ويخيل إليك من الموازنة بين الأخوين أن أحمد لا يتخذ الهجاء سبيلا إلى تقويم أخلاق أخيه كلا ، فلقد كان على نظم الشعر وتوجيه الهجو فى اقتدار ملحوظ يقول هاجيا عبد الصمد :

قال لى: أنت أخو الكلب، وفى
ظنه أنه قد هجانى واجتهد
أحمدُ اللهَ تعالى إنــه
مـا درى أنـى أخو عبد الصمد

وهذا الشعر فى غاية الإقذاع ، والحط من شأن المهجو ، ففيه سخرية تجىء فيما يشبه النادرة، وأنا لا أدرى هل زال ما بينهما من شقاق ، وتقاربا بعد الابتعاد ؟ على أن الأخوين لو أخذ كل سبيله إلى منحى آخر لأتيا بما يمتع ويفيد .

ومهما يكن من شىء فإن عبد الصمد جال فى مجالات أخرى ، وعرفته الأوساط الأدبية شاعرا فى عداد الفحول ، ولكنى أقول إنه شغل نفسه بما نعده اليوم من أعمال محررى الصحف ، تعليق على الأنباء ، وتعبير عن سياسة الصحيفة ، وتوجيه للرأى العام نحو فكرة جديدة ، أو نظرية حديثة ، فإذا كان أحمد هو النبأ حيث أحب سليمى فهو المعلق على الأحداث حين قدمتْ (مُتَيم) على قاضى البصرة وطلب منها كشف وجهها حتى يشهد عليها ، وكذلك كان شأنه فى أغلب ما قرأت له ، كان فى مدينة « سر من رأى » التى بناها الخليفة المعتصم لجنده من الترك حين استغنى عن العرب والفرس معا ، لأنهما كانا فسادا فى خلافة الأخوين (الأمين والمأمون) .

رأى عبد الصمد أمام معسكر المعتصم فى مدينته (الأفشين) وكان شابا جميل المنظر ماهر الفروسية فوصفه لا لمدحه ، وإنما ليصور إحساسه برؤيته ، ونحن نعرف تاريخ (الأفشين بن كاوس) وقيامه بخدمة المعتصم وحربه للخارج على الدولة «بابك الخرمى» الذى دوخ الدولة وقتل كثيرا من جند الخلافة على مدى سنين طويلة ، فضيق عليه الخناق ، وعرف الهزيمة ففر إلى الروم ، ولكن الأفشين قبض عليه وسلمه للخليفة المعتصم .. إلا أنه تبين فيما بعد فساد سريرته وأنه يعمل على تقويض ملك العرب والكيد للإسلام ، فقبض عليه المعتصم وقتله وأحرقه ، فنظم أبو تمام شعراً فى تلك الحادثة منه فى وصف الأفشين ومآله منه هذا البيت :

صلى لها حيا وكان وقودَها
ميتا ويدخلها مع الفجار

لم يفعل عبد الصمد ما فعل أبو تمام ، وراح فى حياة العبث التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وما أتى به من تشبيب لا يذكر بجانب ما كان يصنعه معاصروه من أمثال أبى تمام وصريع الغوانى ولذا تعده مقصرا فى حق أدبه وفنه ، ولكن لشعره الفكه حلاوة وجاذبية ..

عده أبو الفرج حاسدا لأخيه ، وأعده أنا

حاسدا لأبى تمام ، والنادرة التى ذكرها أبو الفرج دليل على حسده .

قال أبو الفرج : وذكر أنه جمع بين أبى تمام وعبد الصمد بن المعذل مجلس ، وكان عبدالصمد سريعا فى قول الشعر ، وكان فى ابى تمام إبطاء ، فأخذ عبدالصمد القرطاس فكتب فيه :

أنت بين اثنتين تبرز للنا
س بكلتيهما بوجه مذال(٧)
لست تنفكُّ طالبا لوصال
من حبيب أو راغبا فى نوال
اى ماء لحر وجهك يبقى
بين ذل الهوى وذل السؤال

وواضح من تلك الأبيات أن أبا تمام انحصرت حياته بين أمرين فيهما الهوان ، ذل الهوى وذل السؤال ، وليس هناك ما يدعو إلى ذلك الهجاء .. فأخذ أبو تمام القرطاس وخلا طويلا وجاء وقد كتب فيه :

أَفِيَّ تَنْظِمُ قول الزور والفَنَدِ(٨)
وأنت انزر من لا شيء فى العددِ ؟
أشرجت قلبك من بغضى على حُرَقٍ
كأنها حركات الروح فى الجسد

لم يحتمل هذا الشعر عبد الصمد ، فسب أبا تمام سبا قبيحا .. مثل « ياماص » ياغث . اخبرنى من قولك « انزر من لاشىء فى العدد » ؟ اخبرنى عن قولك « أشرجت قلبك » قلبى مفرش او عبية - حقيبة - أو خُرج فأشرجه ؟ عليك لعنة الله .

ومن العجيب أن صاحب الأغانى يرى أنه أشعر من أبى تمام فعبد الصمد أسرع ، وأبو تمام أبطأ ، ويصف سكوت ابى تمام قائلا : فانقطع أبو تمام انقطاعا ماروى اقبح منه .

أما أنا فأرى أن أبا تمام أصاب المحز وطبق المفصل وغلب عبدالصمد ، والدليل على ذلك هو السباب الذى فَاهَ به ولم يستجب له أبو تمام ترفعا وحفاظا على مكانهِ ومكانته ، وليس السباب من شأن الشعراء ولا هو من مسالك الأدباء ، وأين الاثنتان اللتان وصم بهما عبدالصمد أبا تمام وهما ذل الهوى وذل السؤال من «انت أنزر من لا شىء فى العدد» ؟ ولقيمة هذه العبارة جعلها عبدالقاهر الجرجانى من مطلب بلاغة التشبيه فى كتابه «أسرار البلاغة» .

لقد وصفه أبو تمام بالقلة كأنه معدوم ، وجعل قلبه مملوءا بالحقد الذى لا يهدأ ولا يريح حامله . ولست متحيزاً لأبى تمام ولكنى اعطى كل ذى حق حقه . وماذا اقول فى رجل لقى الإساءة من إنسان ثم يختار له شيئا من شعره فى مؤلفه ؟ لقد روى أبو تمام شعرا لعبدالصمد بن المعذل فى كتابه «الحماسة» والشعر هو . قال عبدالصمد :

وفارقت حتى ما أبالى من النوى
وإن بان جيرانٌ علىَّ كِرام
فقد جعلتْ نفسى على النأى تنطوى
وعينى على فقد الحبيب تنام

وخلاصة القول: إن عبدالصمد ظاهرة لعصر أفرز لنا شعراء ننهل من حياضهم المترعة ونقطف من أزهارهم المونقة ، ونجعل من أساليبهم نماذج للشعر الجيد والتفوق المنشود .

---

(٧) مذال : مهان .

(٨) الفند : الخطأ ، اشرجت قلبك : جعلته وعاء الحقد .

من خير ما نشر

لابد أن نستفيد

للأستاذ/ محمد السيد على بلاسى

لعل من أسباب ضعف المسلمين اليوم أنهم لم يعودوا يستفيدون من مواقفهم ، ولم يعتبروا من ماضيهم . فالأمور عندهم أصبحت وقتية تنتهى بانتهاء وقوعها دون عبرة .

ولو قلبنا صفحات ماضينا التليد لوجدنا أن المسلمين الأوائل كانوا يطبقون مبدأ الاستفادة خير تطبيق .

ففى غزوة حنين مثلاً على الرغم من كثرة الغنائم التى تركها العدو فى انسحابه فإن المسلمين لم ينشغلوا بالاستيلاء على غنائم العدو بل أوغلوا فى تعقبه ، مستفيدين فى ذلك من درس غزوة أحد ، لذلك وجدناهم فى سنين قلائل يفتحون العالم ، وينشرون الإسلام على ربوعه ، ويقيمون حضارة فريدة فى وقتها دانت لها جميع الحضارات .

أما حين ترك المسلمون مبدأ الاستفادة ، فقد تراخت فيهم روح الطموح ، وأسلموا راية حضارتهم إلى أعدائهم . وقد نبه القرآن الكريم الأذهان إلى أهمية الاستفادة . حين سرد قصص الأنبياء السابقين .

قال جل وعلا : ﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ .

عن « منار الإسلام »

محنة الحصار.. وبطولة الانتفاضة

إذا كان الإعتقاد (الإسرائيلى) بإنهاء الانتفاضة بأقصر الطرق وفقاً لتصريحات زعماء إسرائيل قد جاء مخيبا لآمالها . حتى إن هذا الاعتقاد تزامن مع اغتيال أبو جهاد باعتباره مطلق الانتفاضة فإن الظروف اللاحقة ولَّدت العشرات من الزعامات ، وصار الطفل الفلسطينى الذى يحرم من الذهاب إلى المدرسة ، يجد البيوت فصولاً للتعليم وتلقى الدروس الأساسية فى المقاومة الطويلة ومثل هذا أصبح مجالاً تتحدث عنه وسائل الإعلام العالمى وتعتبره نوعا من البطولة الخارقة لشعب يصعب قهره أو تدجينه وصار العديد من الصهاينة يؤمنون باستحالة قهر الإنتفاضة وأن أقصر الطرق لتوفير الأمن الذاتى (لإسرائيل) هو الدخول المباشر فى حوار مع الفلسطينيين .

إسرائيل الآن تجرب الحصار الطويل الأجل لمدن الضفة والقطاع ولكن التكلفة ستكون عظيمة ، لأن سياسة الحجر والضرب بقوة ، سوف تفرز أسلوبا فلسطينيا آخر لفك الحصار يضع إسرائيل أمام حقائق قد لا تخطر على بالها .

لأن طبيعة الفلسطينى أن يقاوم للحصول على حريته ، وهى أثمن من خرافة (الشعب المختار) الذى قهرته الحجارة ، وزلزلت كيانه أكف الأطفال الصغار .

عن « الرياض » السعودية

إعداد : د. أحمد عبد الرحيم السايح
عادل رفاعى خفاجة

العمل الجماعى فى الاسلام

الإسلام شديد الحرص على العمل الجماعى لا لشىء إلا أنه قوة القوة ، وعزة العزة ، ... ولقد ظهر هذا الحرص فى اختلاف تقدير الأجر للعمل الواحد .

فالصلاة مثلا فى جماعة تفضل صلاة الفرد سبعاً وعشرين درجة .

ولعل الإسلام حين رغب فى صلاة الجماعة ، وحين شرع للناس صلاة الجمعة وحين دعا إلى اجتماع كبير فى صلاة العيد ، وحين أذن إلى حشد أكبر فى حج بيت الله الحرام ، لعل الإسلام بهذا كله قد أراد أن يطبع الناس على العمل الجماعى وصولاً إلى النفع الاعم والخير الأشمل وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » .

والإسلام بهذا الحرص الشديد يكره للمسلم أن ينطوى على نفسه أو ينعزل فى تفكيره وإحساسه ، ذلك لأن الله تعالى لم يخلق الناس ليختلفوا أو ينعزل بعضهم عن بعض ولكن خلقهم ليتعاونوا على البر والتقوى .

عن « الهداية » البحرينية

جامعة إسلامية بالمراسلة

أعلن الدكتور نديم إلياس عضو مجلس إدارة المركز الإسلامى بمدينة آخن بألمانيا الاتحادية إنه سيتم تأسيس أول جامعة إسلامية بالمراسلة فى العالم ، وقال : إن المشروع يحظى بالدعم العلمى والمعنوى من قبل عدد من الجامعات الإسلامية فى العالم وعلى رأسها جامعة الأزهر كما أن السعودية رحبت بالفكرة ، وسوف يدرس بالجامعة الشريعة الإسلامية واللغة العربية والعلوم الإنسانية إلى جانب كافة المواد والعلوم الدينية ، ووفقا للمشروع فإن الدراسة بالمراسلة تؤدى إلى الحصول على شهادة معترف بها رسميا من الجهات الإسلامية أو الألمانية ويمكن لكل مسلم فى أوروبا والعالم الإسلامى أن يلحق بها وسيتم تمويلها بأموال خاصة كما هو الحال بالنسبة للمركز الإسلامى .

عن « القبس » الكويتية

نقاط وحروف
للأستاذ/ محمد زين

عندما ترسم بإصبعيك الإبهام والسبابة شكل دائرة ، فإن ذلك يعنى أنك تهدد من تخاطبه بهذه الإشارة بالانتقام منه أو تنذره بالضرب أو ربما بالموت !

هذا هو ما تعارفنا على فهمه من هذه الإشارة فى عالمنا العربى أو فى معظم أجزائه ، أما فى بلد آخر كالولايات المتحدة فإن نفس هذه الإشارة تعنى « برافو » فى حين أن معناها فى فرنسا « لا شىء » أو « صفر » ولكن إذا كنت فى اليابان ورسمت هذه الإشارة بيدك فى الشارع فسيعتقد الناس أنك متسول تطلب منهم إحسانا . ويقول

من خير ما نشر

د . ويزموند موريس عالم الانثروبولوجيا الشهير فى كتابه « مراقبة الناس » : إن لغة الإشارات تختلف باختلاف الثقافات ، ولذلك فإنه يحذرك من الإتيان بأى إشارة وأنت فى بلد غريب عليك ، إلا إذا كنت واثقاً من معناها فى هذا البلد حتى لا توقع نفسك فى مشكلة .

ويضرب مثالاً على ذلك ، عندما تضرب بيدك على ركبة شخص تجالسه ، فهذه الحركة الشائعة بين المتحدثين فى بعض البلدان لها دلالة خطيرة فى بلد مثل فنلندا ، إذ أن فيها انتقاصاً من رجولة الشخص الذى تحادثه .

عن « السياسة » الكويتية

سلاح ذو حدين « فقر وجوع »
للأستاذ/ على صالح

بعد خمسة عشر عاماً من الاجتماعات الدورية السنوية انتهى مجلس الغذاء العالمى بإصدار « إعلان القاهرة » الذى جاء فيه أن السلام هو الشرط المسبق لتحقيق التنمية وتوفير العيش الطيب للعالم أجمع ، مما يحتم تحويل الانفاق على التسلح إلى البرامج التنموية للدول النامية .

وإذا كان مجلس الغذاء العالمى قد وضع خطة للقضاء على الجوع والوفيات الناجمة عن المجاعات بحلول عام ٢٠٠٠ فإن مثل هذه الخطة لن تحقق أهدافها إلا بتعاون حقيقى من الدول الغنية الصناعية التى عليها أن تتخذ خطوة جماعية بمؤتمرها فى يوليو القادم بإلغاء[1] ديون الدول الفقيرة كما فعلت فرنسا وتعمل بجد من أجل إشاعة أجواء السلام وتشجيع التنمية فى هذه البلاد المنهكة .

عن « الاتحاد » الإماراتية

العلم المحـــروق
للأستاذ/ يوسف الشهاب

مع نهاية كل عام دراسى ... تستقبل صناديق القمامة « أطناناً » من الكتب الدراسية على مختلف أنواعها .. وتأتى سيارات البلدية وتحمل « العلم » إلى المحرقة ، وتذهب بعد ذلك تلك الأموال التى دفعت على طباعة هذه الكتب ..

هناك دول تعانى من نقص الكتب فى مدارسها وبالتالى فإن الطالب فيها لا يجد مايمكن أن يساعده فى دراسته أو قد يدفع مبالغ طائلة فى سبيل توفير الكتب الدراسية اللازمـة له ولمستقبله .

وزارة التربية فى إمكانها أن تضع « تأميناً » على كل طالب وتطالبه بإعادة الكتب فى نهاية العام وبالتالى يعاد له التأمين ، وفى إمكان الوزارة بعد ذلك أن تصرف الكتب لجيل لاحق حتى يستفيد من الكتاب أكثر من طالب ... أو أن تتبرع بالكتب التى جمعتها إلى دول فقيرة ، توثيقاً للعلاقات الثقافية .

عن « القبس » الكويتية

(١) يبدو أن هذا التنازل جزئى

أنباء وآراء

تقديم : عبد المنعم فودة

● المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة يقرر :
– رفع دعوى ضد إسرائيل امام محكمة العدل الدولية .
– تشكيل لجنة عليا لإنهاء الخلافات بين الدول الإسلامية .

قرر المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في اجتماعه المنعقد بالقاهرة مؤخراً برياسة فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق رفع دعوى ضد إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية لاعتداءاتها المتكررة على المسجد الأقصى والأوقاف الإسلامية في القدس .

ووجه المجلس نداء لكل دول العالم بضرورة دعم الانتفاضة الفلسطينية والقيام بحملة اتصالات دولية لفضح الأساليب والممارسات الإسرائيلية التعسفية ، والوقوف بحزم أمام الصلف الصهيوني وعدم الإخلال بأوضاع الأوقاف الإسلامية وضمان حرية العبادة .

كذلك بحث المجلس نتائج أعمال الإغاثة للاجئين الأفغان وإغاثة اللاجئين الذين يتوافدون على العواصم الإقليمية بالسودان نتيجة للحرب في الجنوب .

وناقش المجلس النزاع السنغالي الموريتاني واستغلال التيارات المعادية للإسلام لهذا النزاع في تشويه صورة الإسلام والمسلمين . وقرر في هذا الصدد تشكيل لجنة إسلامية عليا تتولى إنهاء الخلافات التي تنشب بين الدول الإسلامية .

وفي نطاق لجنة المتابعة والمعلومات بمكة المكرمة قرر المجلس إنشاء مركز موحد للمعلومات على أن يكون نواة لشبكة معلومات لإمداد المنظمات الأعضاء وغيرها بأحدث المعلومات عن واقع العالم الإسلامي .

كذلك تقرر عقد ندوة عن « الإعلام الإسلامي » في أواخر العام الحالي ببغداد لمتابعة وبحث ما ينشر عن الإسلام في الغرب والرد على الأفكار الهدامة التي تحركها التيارات المعادية للإسلام .

وناقش المجلس إنشاء مؤسسة قرآنية تهدف إلى توفير مطبوعات لمعاني القرآن الكريم بلغات الشعوب الإسلامية كافة ، ومجمعات لترجمات القرآن الكريم .

كما بحث المجلس مشاكل الجمعيات الإسلامية في (الاتحاد السوفييتي) ، ومعهد النور والتربية الإسلامية في (جيبوتي) و (معهد جنوب الفيلبين) و (جمعية الدعوة الإسلامية) بسنغافورة .

←

أنباء وآراء

واصدر المجلس قراراً بإنشاء اربعة معاهد إسلامية في كُلٍّ من: فرنسا والبرازيل وباكستان وأندونيسيا وإنشاء مركز إسلامي عالمي بلندن.

وقد أقر المجلس خطة لإمداد كليات وأقسام الدراسات العليا الإسلامية بجامعات أندونيسيا بالبرامج والمناهج وهيئات التدريس وتكليف الأزهر بإمداد هذه الجامعات بأساتذه متخصصين.

وفي نهاية الاجتماعات أعلن المجلس تأييده الكامل للسياسات الرشيدة الرامية إلى توحيد الأمة الإسلامية وأكد على أن إنشاء مجلس التعاون العربي ثم اتحاد المغرب العربي بعد النجاح الكبير الذي حققه مجلس التعاون لدول الخليج يعطي مؤشراً كبيراً على إمكانية توحيد الأمة الإسلامية كلها تحت راية الإسلام استجابة لقول الله عز وجل: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾..

الملتقى الإسلامي في الجزائر

تشهد الجزائر في أواخر "المحرم" القادم تجمعاً إسلامياً كبيراً يستمر ثمانية أيام لمناسبة انعقاد الملتقى الإسلامي الثالث والعشرين.

يناقش الملتقى موضوع «مشروع مجمع إسلامي» وذلك في ضوء مفهوم المجتمع الإسلامي بالمدينة المنورة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجتمع الإسلامي عبر التاريخ

وتدور مجالات البحث في الملتقى حول أسس المجتمع الإسلامي، وقيمه، وعقيدة التوحيد، ومفهوم الحرية في الإسلام، والشورى، والعدالة الاجتماعية ومكارم الأخلاق، وأخيراً المحاولات النظرية والتطبيقية لبناء مجتمع إسلامي في العصر الحديث.

ويعقد الملتقى هذا العام تحت رعاية الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ومن المنتظر أن يشارك في أعماله عدد من الشخصيات الإسلامية البارزة وفي مقدمتها: فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر.

● أصدر فضيلة الإمام الأكبر القرار رقم ٣٦٢ سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م بتكوين بعثة الأزهر للحج لهذا العام ١٤٠٩ هـ برياسة فضيلة الشيخ عبد الرازق ناصر محمد ناصر رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية.

تضم البعثة تسعة عشر عالما سوف يقدمون خدماتهم لتوعية الحجاج في أداء المناسك والرد على استفتاءاتهم فيما يتعرضون له من حاجة إلى الأحكام الشرعية.

● تقرر قبول ٥٠٠ طالب من الوافدين في مِنَح دراسية على نفقة الأزهر الشريف في العام الدراسي ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م وتسكينهم بمدينة البعوث الاسلامية.

هذا وقد بلغ عدد الطلبة الوافدين خلال العام الدراسي الحالي ٢٠٠٠ طالب من ٧٠ دولة عربية وإسلامية من أبناء الأقليات الإسلامية في آسيا وأفريقيا وأوروبا بالاضافة إلى سبعمائة طالب من الخارج.

عالم مصري مقرر للمعجم العربي الحديث

إختار الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي الأستاذ الدكتور أحمد مختار ليكون مقررا للجنة الإشراف العلمي على أصدار المعجم العربي الحديث الذي سيصدره الصندوق بتكلفة مبدئية قدرها ثلاثة ملايين دولار.

تضم اللجنة التي سيرأسها الدكتور أحمد مختار عمر رؤساء المجامع اللغوية في دمشق وبغداد وعمان والرباط.

● تقرر إنشاء قسم للدراسات الإسلامية بجامعة ويلز البريطانية يهتم بدراسة الإسلاميات

والتاريخ والحضارة الإسلامية .

ثمة جزء من هذه الابحاث والدراسات التى سوف يقوم بها القسم تتركز حول تعريف المسلمين البريطانيين بأمور دينهم .

مجلة الأزهر :

نأمل أن يقوم هذا المركز وأمثاله بدراساته على وجه من الإنصاف العلمى تسطع من خلاله تعاليم هذا الدين وأحقيته فى ميراث الأديان السماوية .

مسابقة حول الأقليات الإسلامية ومستقبل الدعوة الإسلامية

وضع الأستاذ الدكتور حامد جوهر أستاذ علوم البحار ١٥ ألف دولار بمصرف فيصل الإسلامى يخصص عائدها السنوى لإقامة مسابقة لطلبة العالم الإسلامى .

يدور موضوع المسابقة حول مشكلات الأقليات الإسلامية ومستقبل الدعوة الإسلامية فى العالم .

يشرف عليها عدد من رجال الدعوة الإسلامية .

النصرانية وتعدد الزوجات

ذكرت وكالة الأنباء اللندية .

أن أساقفة الكنيسة الانجليكانية المجتمعين فى بريطانيا قد اتخذوا قراراً بالسماح لمتعددى الزوجات باعتناق الديانة المسيحية .

مجلة الأزهر :

هذه الواقعة وأمثالها كثيرة تعزز من قيم ضبط السلوك الإنسانى فى إطار يحدد للإنسان الا يَظْلَم ولا يُظْلَم وذلك مبدأ الشريعة الإسلامية التى فرضت وجود بعض قوانينها على المجتمع الأوروبى ، فهذه الشريعه تقرر أنه لا ضرر ولا ضرار وقد سبق لإيطاليا أن اتخذت قرارا بإباحة الطلاق .

وقد يكون الطلاق فى كثير من أحواله بابا للسعادة الإنسانية ويعتبر قرار الكنيسة الانجليكانية هذا مخالفا لقرار سابق بتحريم التعدد اتخذ من نحو مائة عام .

●●●

وافقت لجنة الاقتراحات بملجس الشعب فى اجتماعها الذى عقد يوم ٨ من ذى القعدة الموافق ١٣ من يونيو ١٩٨٩ م على تدريس مادة الثقافة الإسلامية فى كافة مراحل التعليم ، وخاصة التعليم الجامعى أخذاً بتوصية اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف التى اتخذتها فى إحدى جلساتها .

فى سبيل إعلام إسلامى

عقدت بالرباط فى الفترة من ٤ إلى ٢٦ من ذى القعدة دورة تدريبية للمهندسين الإعلاميين فى الدول الناطقة بالفرنسية الأعضاء بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) .

ويشارك فى هذه الدورة التدريبية قادة فى ميدان الإعلام من أربع عشرة دولة إسلامية .

***

استغاثة من بلغاريا

نشرت منظمة العدل الدولية عدة إعلانات فى صحف المانيا الاتحادية دعت فيها المواطنين إلى توجيه خطابات إلى الرئيس البلغارى تيودور جيفكوف تناشده فيها إطلاق سراح « إسماعيل محمد حسين » المعتقل فى سجن بيلينة منذ عام ١٩٨٥ لاحتجاجه على قرار السلطات البلغارية بتغيير اسمه إلى « صموئيل دميروف ديولفاروف » وذلك ضمن حملة تعسفية تشكلها الحكومة البلغارية ضد الأقلية المسلمة .

الفهرس السنوى

للمجلد الحادى والستين سنة ١٤٠٩ هـ
مرتبا حسب الحروف الهجائية

المقالات

حرف الألف		أشعة الليزر ومجالات استخدامها	٣٣٤
			٤٥٦
أيات موسى التسع	١٤٢		
		أشواق وذكرى	٤٣٨
أحمد عبدالجواد الدومى	٩٢٠		
		(قصيدة)	
(من أعلام الأزهر)			
			١٣٤٣
الإبداع الأدبى بين اكتشافه	٩٦	الأصمعى بين يدى معاصريه	
الواقع وتحويله إلى		إعداد الامه للدفاع وتوجيهات الإسلام	٦٦٨
وعاء للمعتقدات السياسية	٢٣٣		٩٠٥
ابن سلام الجمحى وكتابه طبقات		الإعلام الإسلامى الطباعى فى الدول	
فحول الشعراء	٦٠٤	غير الإسلامية فى أفريقيا	٣٤٨
ابن قتيبة وكتابه الشعر والشعراء	١١٧١	أفيقى (قصيدة)	٤٣٩
	١٢٨٤	إلى أبطال الانتفاضة	١٠٣٤
أبو سفيان بن الحارث		(قصيدة)	
شاعر بنى هاشم على عصر النبوة	٦٦٥	إلى الرسول فى يوم ميلاده	٣٢٦
أحب الله	٧٠٣	(قصيدة)	
(قصيدة)		إلى الله ضياء الحق	١٣٣
أخلاق الإيمان	٦٤١	إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث	١٠١
أدب الجدل فى القرآن الكريم	٩٣٠		٢٢٤
(من روائع الماضى)			٣٤٠
أزهر النور (قصيدة)	٩٢٥		٤٧٠
إسلام عمر (قصيدة)	٥٦٦		٦١١
الإسلام فى جنوب أفريقيا	١١١٦	الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر	
الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة	٨٤٠	شيمة من مكارم الأخلاق الإسلامية	٦٥٨
	٩٥٠	أنا مصر (قصيدة)	١٢٦٧
	١١٧٦	أنباء وآراء	١١٠

(١) جرى الترتيب على نظم الحروف الهاجئية بدون اعتبار (ال) فى اسم المقال فعلى الباحث فى هذا الفهرس أن يسقط (ال) من اسم المقال وينظر ما يليه. وإذا كن (ال) فى علم فإنه يعتد به ويدرج فى باب الألف

إعـــداد
أبو القاسم عبد الكريم عبد الموجود
محمد عبد اللطيف عثمان

	٢٤٠، ٣٥٦، ٤٩٢، ٦٢٠، ٧٣٣، ٨٤٨، ٩٥٩، ١٠٦٨، ١١٨٤، ١٢٩٧، ١٣٩٦
الانتفاضة وإعلان قيام الدولة الفلسطينية	٨٩٧
الإنسان وأبحاث الفضاء الكونى	٥٨٤، ٦٩٢
إنشاء الأسطول الإسلامى لأول مرة فى التاريخ	١٢٤٣
أنشودة المسلم (قصيدة)	١٢٦٦
أنوار رمضان (قصيدة)	١٠٣٢
أيــام (قصيدة)	٢٠١
الإيدز الرعب القاتل	٦٩
حرف الباء	
البحث عن الأديان القديمة	٢٨، ١٥٩، ٢٩٣
	٤١٩
البرق والرعد وفيزياء السحاب	٨١٢، ٩٣٥
بيان الأزهر والمجلس الإسلامى العالمى بمناسبة الانقلاب الغاشم على المالديف يوم الخميس ٣/١١/١٩٨٨	٥٢٥
بيان الإمام الأكبر بشأن الأحداث التى وقعت بالقاهرة فى ١٤ من جمادى الأولى ١٤٠٩ ـ ٢٤/١٢/١٩٨٨	٦٤٢
بيان بشأن مفتريات بريطانى هندى	٥٢٠، ٨٧١
بيان العلماء فى الإصلاح الذى ينشده الإسلام	٦٤٩
حرف التاء	
تجلى الذى لا ينام (قصيدة)	٨١٠
التحذير من السفر إلى الغرب وخطره على العقيدة والأخلاق	٢٩٨
تضرع وإنابة (قصيدة)	٢٠٠
تطوير الكفاءة القتالية لجيش الإسلام فى عصر النبوة وآثاره الاستراتيجية	١٥١
تعقيب على موضوع حرمان العصبة من إرث الباقى من البنات	٧٥٨
التفسير : أمراض القلوب	١٢١٦
تفسير سورة الفاتحة	٦٥٠
تفسير قريش	١٢٩، ٢٥٧

حرف الثاء	
ثبوت رؤية الهلال يوجب	١٠٠٥
العمل بلا معارضة	
ثم طفنا وسعينا	١٣٦٣
(قصيدة)	
حرف الجيم	
الجراد حياته وانتشاره وأثاره	٥٩٠
	٦٩٧
جعفر الطيار	١١١٨
الجغرافيا عند العرب	٤٦١
جمال الأسلوب	٥٧٨
(من روائع الأزهر)	
الجوار فى الإسلام	٥١٣
الجوار المتبادل	٩
حرف الحاء	
حاجة البشرية إلى هداية الإسلام وعلمه	٤٠١
الحب بين العباد والرب	١٠٣٥
(من روائع الماضى)	
الحرية والطير	٥٨
(قصيدة)	
حرمة الحج	١٢٧٤
(من روائع الماضى)	
حديث عن الجمعة وأول مسجد	١٤
وخطبة الجمعة فى الإسلام	
حسن خالد (الشيخ)	١٢٥٤
(من اعلام الأزهر)	
حقيقة الإسلام تسفر للرافعى العبقرى	٢٢٩
حمزة والإسلام بطولة عقيدة	٣٤٤
حنين إلى عرفات (قصيدة)	١٣٦٢
حرف الخاء	
خالد بن عبدالله بن أبى بكر	٨٠٤
الجرجاوى الشهير بالأزهرى	
(من أعلام الأزهر)	

خصائص المنهج العلمى	
فى التراث الإسلامى	٢٠٤
خلق المسلم (قصيدة)	٧٠٢
خلق الإنسان ومبعثه	٨٧٥
خواطر متقاعد	٥٦٧
(قصيدة)	
الخير فى الصيام لأسباب علمية وطبية	١٠٠٢
	١١٢٨
حرف الدال	
دراسات فى بدر	١٠٠٩
بدر وفداء الأسرى	
دراسة قرآنية تفسير سورة الفجر	٢٦١
الغِنَى ليس دليل الكرامة عند الله	
والفقر ليس دليل المهانة عنده	
دراسة قرآنية فى وصف المؤمنين	٧٦٤
دروس فى إدارة الصراع	١٠٦٢
من غزوة بدر الكبرى	
دروس من يوم الهجرة النبوية الشريفة	١
دعوة الإسلام إلى الإخلاص فى العمل	٥٢٧
الدعوة إلى الإسلام والداعى لها	٩١١
فى ضوء القرآن الكريم	
دمية الشيطان	١٢٦٤
(قصيدة)	
دور الأزهر فى استقدام الطلاب الوافدين	٤٢٢
	٥٥٦
الدولة الفلسطينية أمل فى الأفق	٥١٨
الدين روح الإنسان	٢٨٥
ديوان شعر جابر بن حنى التغلبى	٧١١
	٩٤٥
	١٠٤٨
حرف الذال	

حرف الراء

الربعى وآراؤه النحوية ٨٦
الردع الإسلامى فى غزوتى بدر والفتح ١١٢٢
رجال القراءات الإمام خلف البزار الكوفى ٣٢
رسل الأزهر فى بلاد النيجر ٤٤، ١٦٣، ٣٠١، ٤٢٧، ٥٥٢، ١٢٤٠، ١٢٤١
رسل الله إلى إبراهيم ٢٥

حرف الزاى

زهور الربا (قصيدة) ٩٢٦

حرف السين

سبق الإسلام إلى منع الاستكفاف (من روائع الماضى) ٧٢٦
سر إخلاص المسلم لدينه (من روائع الماضى) ٨٢٢
السنه والحج المبرور ١٣٢٧
السمات العامة لأسلوب الرافعى ٧١٨، ٨٣٤
سوف تبقى حروفها مشرقات (قصيدة) ١١٥٤
السينما الإسرائيلية ١٢٨٩

حرف الشين

حرف الصاد

صفحات مطوية من تاريخ الأزهر ١٢٢٣
مشيخة علماء الأسكندرية أو معهد الأسكندرية الدينى ١٣٣١
الصلاة على النبى - ﷺ - فى القرآن والسنة ٢٨٠
الصوم فى السفر ٩٩٨

حرف الضاد

حرف الطاء

طرائف ومواقف ٨٢، ٢١٤، ٣٠٦، ٤٦٦، ٥٧٦، ٧٠٤، ٨٢٠، ٩٢٨، ١٠٦٤، ١١٥٨، ١٢٧٢، ١٢٧٢
طلع البدر علينا ٢٧٥

حرف الظاء

حرف العين

العبادات وأثرها فى السلوك ١٢١٩
عبدالرحمن البرقوقى صاحب مجلة البيان ومحقق التراث ١٠٢٦، ١١٤٤

عبد الصمد بن المعذل ١٣٨٧
(من أعلام الأزهر)
عبد العزيز البشري جاحظ ٦٢
العصر الحديث ١٨٦
(من أعلام الأزهر) ٣١٠
عبدالعظيم الغباشى ٦٠
«الدكتور»
(من أعلام الأزهر)
عبدالمجيد سليم ٥٦٨
عالم الشريعة ومفتى الإسلام ٦٨٥
(من أعلام الأزهر)
الشيخ عبد العزيز جاويش ١٣٦٥
(من أعلام الأزهر)
العباس عم الرسول - ﷺ - ٩٠
عزل الحاكم ممنوع بإجماع علماء ٥٣١
أهل السنة الصالحين
العسل في القرآن والسنة والطب ٥١
العقاد بين نبوءة الإمام محمد عبده ٤٧٥
وتجهم مصطفى كامل لنزعته
عندما يتنفس الصبح ٢٠٢
(قصيدة)
عهد الحديبية وآثاره الاستراتيجية ٢٨٩
٤٠٦
عيد الفطر يوم الجائزة لانتصار الإرادة ١٠٨٩

حرف الغين

غاز الأوزون في جو الأرض والفجوة التي ٨١٧
حدثت في نصف الكرة الجنوبي

حرف الفاء

الفتاوى ٥٤
١٨٣
٣٠٨
٤٢٤
٥٦٠
٧٢٣
٨٠١
٩١٨
١٠٢٥
١١٤٢
١٢٥٠
١٣٤٩
فضل الإسلام على البشرية ١٦٨
فضيلة كتمان السر (من روائع الماضي) ٣٣٠
في ذكري الإسراء والمعراج معارج الأرواح ٧٨٤
في ذكري الهجرة (قصيدة) ٥٦
في رثاء فضيلة الشيخ مصطفى محمد ١١٥٣
الحديدي الطير (قصيدة)
في رحابك يارسول الله (صلى الله عليه ٣٢٩
وسلم) (قصيدة)
في مسألة فوائد البنوك ١٣٣٧
فتح مكة ومكارم الأخلاق ٩٩٢
١١٠٤

حرف القاف

قراءة إسلامية في كتاب الكون ١٠٤٠
القصاص أساس صالح للعقاب (من ٤٥٠
روائع الماضي)
قصة الإيلاف ٧٥٣
٨٦٥
٩٨١
١٠٩٣
١٢٠١
١٣١٣
قصة الثقوب في العلوم الكونية ١١٥٥
١٢٦٨
١٣٥٢

قضية من يوجسلافيا ماذا يجري ٩٨٦
وكوسوفو الإسلامية ١١١٠
القيم الدينية للمقدسات الإسلامية ٧٧٥
٨٨٥
١٠١٨

حرف الكاف

كامل السيد أحمد شاهين ٣١٧
(من أعلام الأزهر)
كتاب الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفي ١٨٢ هـ ـ ٧٩٨ م ١٧٥
كتاب يهذي في تأويل القرآن الكريم ٧٣
(من روائع الماضي) ٢١٦
كفوا السنتكم عن أمة لا إله إلا الله ٧٦٧
كلمة شيخ الأزهر إلى المسلمين في مستهل شهر رمضان ٩٧٧
كلمة شيخ الأزهر عن حقوق الطفل في الإسلام وتحفظاته على مشروع الأمم المتحدة ٥٢٢
كلمة شيخ الأزهر في المؤتمر العالمي الخامس للطب الإسلامي ٥٢١
١٣١٥
كلمة الشيخ الشعراوي ٦٤٦
كن على الأرض مؤمناً (قصيدة) ٥٦٤

حرف اللام

لا طيرة ولا صفر ١٤٧
اللبن ومكوناته ١٠٤٥
اللقاء الصحفي لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ومراسلة راديو الفاتيكان ١٢١٣
لماذا يحلف الله بمخلوقاته ونحن لا نحلف بها ؟ ١٣٤

حرف الميم

ما بعد الإيمان ٩٨٢
المؤمن يأتي الطاعة راغباً لا يريد إلا وجه الله ٤١٦
محاولة لاستكشاف الثقافة الإسلامية ٥٤٦
٦٧٤
محمد أنيس عبادة ـ العالم الجليل وطرف من حياته ١٢٥٧
(من أعلام الأزهر)
محمود بن سعيد عياد الطنطاوي ١٩٢
(من أعلام الأزهر)
مرحباً بصاحب النسب الزكي وسيد البشر في الدنيا والآخرة ٢٦٦
مسئولية المدرسة والإعلام نحو أبنائنا ١٧٩
مسلك ذى الوجهين ١٣١٩
المسلم السوى والتجافي عن المنكرات ١٢٢٦
مصطفى محمد الحديدي الطير وطرف من حياته ـ رحمه الله ٤٤٢
(من أعلام الأزهر)
مع القرآن الكريم الأحرف السبعة ٤١٠
مكانة الحج والعمره فى الإسلام ١٣٢٢
مكانة بيت المقدس وموقف المسلمين منه ٧٨١
مفاعل نووى ١٣٥٧
مكانة النفس في القرآن ٦٥٤
المنافقون ١١٠٠
من أسلوب المعاهدات في القرآن الكريم ٧٨٩
من أناشيد التوحيد (قصيدة) ١٠٣٣
من تاريخ الإسلام ومدرسة القضاء إلى ٩٠٠
عهد الإمام المراغي ١١٣٤
من التراث الإسلامي الخالد مدينة قرطبة ١١٣٩
من تمام الحديث عن الأستاذ كامل السيد شاهين الرائد الحديث وتصريف الأفعال ٩٤٢
من حديث الإسلام في جنوب أفريقيا ٧٩٨
٨٩٤

من خير ما نشر	١٠٥	**حرف النون**	
	٢٣٦	النبي وأمته ـ بعض خصائصه صلى الله	٦٨١
	٣٥٢	عليه وسلم	
	٤٨٩	نص كلمة السيد رئيس الجمهورية	١٢٠٧
	٦١٧	بالمسجد الأحمدي بطنطا ليلة السابع	
	٧٣٠	والعشرين من شهر رمضان	
	٨٤٥	نظرات في اللغة وأصولها للعلامة ابن القيم	٤٨٢
	٩٥٦		٥٩٦
	١٠٦٦	نظرية الاختيار الأمثل وتطبيقاتها	٢٠٩
	١١٨١	نموذج القدوة ودراسة تحليلية	١٠٦٠
	١٢٩٤		
	١٣٩٢		
من دلالات النبوة عند خاتم الرسل	٥٤٠	**حرف الهاء**	
والأنبياء		الهجرة الشرعية فريضة تمت	٢١
من صفات المؤمنين	٨٧٢		
من صور الحذف البليغ الاحتباك	١٠٥٢	هل بعث النبى إلى الجن ؟	١٣٧٣
	١١٦٤	هل يؤدي العلم إلى الإلحاد ؟ (من روائع	١١٦٠
	١٢٧٨	الماضي)	
	١٣٨٠	**حرف الواو**	
مداط الرجاء (قصيدة)	١٣٦٤	وضاع جوارقريش	٣٨٥
من محاسن الإدارة في الإسلام الستر على	٨٧٩	وضع الأسرة في الإسلام	٣٦
المسلم		وفد نجران المسيحي في سورة آل عمران	٣٩٥
من ملامح المنهج العلمي في الصاحبي لابن	٧٠٦	**حرف الياء**	
فارس	٨٢٨	يا إنسان (قصيدة)	٤٤١
من النفس اللوامة إلى العمل الصالح	٥٢٦	ياظماء النفوس (قصيدة)	٤٤٠
من وحي الإسلام (قصيدة)	٨٠٩	ياقلب (قصيدة)	١١٥٢
مولد رسول الرحمة ـ صلى الله عليه	٣٢٨	ياليلة الإسراء (قصيدة)	٨٠٨
وسلم ـ (قصيدة)		يانفس (قصيدة)	٩٢٤
ميلاد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم	٣٩١		

الفهرس السنوي

للمجلد الحادي والستين سنة ١٤٠٩ هـ
مرتبا حسب الحروف الهجائية

أسماء الكتّاب

إعداد

حسن سليم حسن صالح

سامي عزالدين محمود أحمد

حرف الألف

إبراهيم عطوة عوض (الشيخ) ٣٢، ٤١٠

أحمد المنشاوي الورداني (الشاعر) ٣٢٦، ١٠٣٤

أحمد حلمي عزت (الأستاذ) ١٠٤٥

أحمد عامر (الشاعر) ٨١٠

أحمد عبدالحميد غراب (الدكتور) ٥٤٦، ٦٧٤

أحمد عبدالرحيم السايح (الدكتور) ١١٠، ٢٤٠، ٤٩٢، ٦٢٠، ٧٣٣، ٨٤٨، ٩٥٩، ١٠٦٨، ١١٨٤، ١٢٩٤، ١٣٩٢

أحمد عبدالمؤمن بركات (الدكتور) ١٠٠٢، ١١٢٨

أحمد عبدالخالق محمد (الأستاذ) ١٢١٢

أحمد فؤاد باشا (الدكتور) ٢٠٤، ٣٣٤، ٤٥٦، ٥٨٤، ٦٩٢، ٨١٢، ٩٣٥، ١٠٤٠، ١١٥٥، ١٢٦٨، ١٣٥٢

أحمد قاسم أحمد (الشاعر) ١١٥٣

أحمد محمد إبراهيم (الدكتور) ٤٥٠

أحمد محمد الخواص (الأستاذ) ٤٤٢

أحمد محمود مبارك (الشاعر) ١١٥٤

السيد حسن قرون (الأستاذ) ٩٠، ٣٤٤

٤٧٥ – ٦٦٥ – ٨٩٧ – ١١١٨ – ١٢٨٧

السيد خضير (الأستاذ) ٣٥٦

السيد رزق الطويل (الدكتور) ١٠١ – ٢٢٤ – ٣٤٠ – ٤٧٠ – ٦١١

أيمن محمد على ميدان (الأستاذ) ٧١١ – ٩٤٥ – ١٠٤٨ – ١٣٤٣

حرف الباء

حرف التاء

توفيق إسلام يحيى (الشيخ) ٩٨٦ – ١١١٠

توفيق محمد شاهين (الدكتور) ٣٦ – ٤٨٢ – ٥٩٦ – ٩١١

حرف الثاء

حرف الجيم

جابر حمزة فراج ١٢٥٤

جاد الحق علي جاد الحق (شيخ الأزهر) ١ – ٣٩١ – ٥١٨ – ٥٢٠ – ٥٢١ – ٥٢٢ – ٥٢٥ – ٦٤٢ – ٧٥٨ – ٨٧١ – ٩٧٧ – ١٠٨٩ – ١٢١٣ – ١٣١٥

جمال الدين محمود أبو العيون (السفير) ٤٤ – ١٦٣ – ٣٠١ – ٤٢٧ – ٥٥٢ – ١٢٤٠ – ١٣٤٠

حرف الحاء

حامد بدر (الأستاذ) ٥٢٦

حلمي الخولي (الأستاذ) ١٤٢

حلمي محمد القاعود (الدكتور) ٦٠٤ – ١٧٧١ – ١٢٨٤

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

رءوف شلبي (الدكتور) ٢١ – ٦٠ – ١٤٧ – ٢٦٦ – ٤٠١ – ٥٣١

٦٥٨ - ٧٦٧ - ٨٧٩ - ٩٩٢ - ١١٠٤ - ١٢٢٦
ربيع سيد فولي (الدكتور) ٨١٧
رجاء إبراهيم سليم (الدكتورة) ٤٢٢ - ٥٥٦
رشاد محمد يوسف (الشاعر) ٥٦ - ٤٤٠ - ٥٦٤ - ٧٠٢ - ٩٢٥ - ١٠٣٢ - ١٢٦٤
رفعت عبدالوهاب المرصفي (الشاعر) ٧٠٣

حرف الزاي

زكريا أحمد محمد نور (الأستاذ) ٢٨٠

حرف السين

سامية أحمد أحمد علي (الدكتورة) ١٠٦٠
سعيد منصور عرفة (الدكتور) ٨٦
سيد عبدالرءوف سيد (الشاعر) ٥٨

حرف الشين

شفيق عبداللطيف (الأستاذ) ١٢٨٩
شلتاغ عبود شراد (الدكتور) ٧١٨ - ٨٣٤

حرف الصاد

صفوت عبدالجواد (الأستاذ) ٥٤ - ٩٥٦ - ١٠٦٦ - ١١٨١ - ١٢٩٧

حرف الضاد

حرف الطاء

طه الساكت (الشيخ) ٢٣٠

حرف الظاء

حرف العين

عادل رفاعي خفاجة (الأستاذ) ١٠٠٥ - ٢٣٦ - ٣٥٢ - ٤٨٩ - ٦١٧ - ٧٣٠ - ٨٤٥ - ٩٥٦ - ١٠٦٦ - ١١٨١ - ١٢٩٤ - ١٣٩٢
عاطف شحاته زهران (الأستاذ) ٣٤٨ - ١٠٦٠ - ١٢٨٩
عبدالجليل شلبي (الدكتور) ٢٨ - ١٥٩ - ٢٩٣ - ٤١٩ - ٧٩٨ - ٨٩٤ - ١١١٦
عبدالحفيظ فرغلي علي القرني (الأستاذ) ٢٧٥ - ٧٨٤ - ٩٢٠
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم الخطيب (الأستاذ) ٨٢ - ٢١٤ - ٣٠٦

	٤٦٦
	٥٧٦
	٧٠٤
	٨٢٠
	٩٢٨
	١٠٦٤
	١١٥٨
	١٢٧٢
	١٣٧٢
عبدالحليم حفني (الدكتور)	٧٨٩
عبدالحليم محمود (الدكتور)	٥٧٨
عبدالحميد السيد شاهين (الأستاذ)	٥٤
	١٨٣
	٣٠٨
	٤٣٤
	٥٦٠
	٧٢٣
	٨٠١
	٩١٨
	١٠٢٥
	١١٤٢
عبدالحميد محمد العيسوي (الدكتور)	١٠٥٢
	١١٦٤
	١٢٧٨
	١٣٨٠
عبدالرحيم العدوي (الشيخ)	٩٣٠
عبدالستار سليم (الشاعر)	٤٣٩
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (الشيخ)	٢٩٨
	١٠٠٥
عبدالفتاح السيد عبدالسلام (الأستاذ)	١٠٥
	٢٣٦
	٣٥٢
	٤٨٩
	٦١٧
	٧٣٠
	٨٤٥
عبدالفتاح عبدالله بركة (الدكتور)	٧٧٥
	٨٨٥
	١٠١٨
عبدالفتاح حسين الزيات (الأستاذ)	٧٣
	٢١٦
	٣٣٠
	٤٥٠
	٥٧٨
	٧٢٦
	٨٢٢
	٩٣٠
	١٠٣٥
	١١٦٠
	١٢٧٤
	١٣٧٤
عبدالله محمد أبو هشة (الدكتور)	٩٦
	٢٣٣
عبدالمتعال الصعيدي (الشيخ)	٧٢٦
عبدالمنصف محمود عبدالفتاح (الشيخ)	١٣٢٢
عبدالمنعم عبدالخالق على (الأستاذ)	٩٤٢
عبدالمنعم فودة (الأستاذ)	٤٩٢
	٦٢٠
	٧٣٣
	٨٤٨
	٩٥٩
	١٠٦٨
	١١٨٤
	١٢٩٧
	١٣٩٧
عبدالوهاب الشامي (الشاعر)	٩٢٤
عمر عمران أحمد (الشاعر)	٣٢٨
على أحمد الخطيب	٩

١٢٩ – ١٣٣ – ٢٥٧ – ٢٨٥ – ٥١٣ – ٩٤١ – ٧٥٣ – ٨٦٥ – ٩٨١ – ١٠٩٢ – ١٢٠١ – ١٣١٣

علي أوزاك (الدكتور) ١٧٥

على حامد عبدالرحيم (الأستاذ) ١٨٣ – ٣٠٨ – ٤٣٤ – ٥٦٠ – ٧٢٣ – ٨٠١ – ٩١٨ – ١٠٢٥ – ١١٤٢ – ١٢٥٠ – ١٣٤٨

علي حسن سرحان (الشاعر) ٥٦٧

عمر البسطويسي (الأستاذ) ٣٥٦

عمر موسى البرعي (الشاعر) ٥٦٦ – ١٣٦٢

حرف الغين

حرف الفاء

فوزى محمد طايع (الدكتور) ١٢٣٧

حرف القاف

حرف الكاف

كارم السيد غنيم ٥٩٠ – ٦٩٧ – ٨٤٠ – ٩٥٠ – ١١٧٦

حرف اللام

لجنة الفتوى بالأزهر انظر عبدالحميد السيد شاهين وعلي حامد عبدالرحيم

حرف الميم

ماهر الشيمي (الأستاذ) ٤٦١

مجاهد توفيق الجندي (الدكتور) ٩٠٠ – ١١٣٤ – ١٢٣٣ – ١٢٣١

محمد ابراهيم حسين (الدكتور) ٢٠٩

محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر الأسبق) ٧٣ – ٢١٦

محمد السيد عطية بكر (الدكتور) ٧٠٦ – ٨٢٨

محمد جمال الدين محفوظ (اللواء) ١٥١ – ٢٨٩ – ٤٠٦ – ٦٦٨ – ٩٠٥ – ١٠١٢ – ١١٢٢ – ١٢٤٣

محمد حافظ سليمان (الشيخ) ١٦٨ – ١٢١٩

محمد حسني مبارك (الرئيس) ١٢٠٧

محمد رجب بيومي (الدكتور) ٦٢ – ١٨٦ – ٣١٠

٥٦٨، ١٠٢٦، ١١٤٤
محمد زكي إبراهيم (الشيخ) ٢٠٠، ١٠٣٣
محمد صابر البرديسي (الأستاذ) ٢٨٥، ٥٣٧، ٧٨١، ٩٩٨
محمد عبدالخالق ندا (الشاعر) ٢٠٢
محمد عبدالرحمن صان الدين (الشاعر) ٢٢٩
محمد عبدالرحمن سلامة (الدكتور) ١٢٥٧
محمد عبدالسميع شبانة (الأستاذ) ١٧٩
محمد عبدالمنعم القيعي ٦٥٠، ٧٦٤، ٨٧٢، ٩٨٢، ١١٠٠، ١٢١٦، ١٣١٩
محمد عزت الطهطاوي (المستشار) ١٩٢، ٥٤٠، ٨٠٤، ١١٣٩، ١٣٦٥
محمد على جمعة الشايب (الشاعر) ٨٠٩
محمد فريد وجدي (الاستاذ) ١١٦٠
محمد مأمون الشناوي (الشيخ) ٨٢٢
محمد متولي الشعراوي (الشيخ) ٦٤٦، ٦٤٩
محمد محمد المدني (الدكتور) ١٠٣٥
محمد محمد خليفة (الدكتور) ٢٥
محمد محمد علي الرماح (الشيخ) ٤١٦
محمود عبدالرازق عقباوي (الاستاذ) ٣١٧
محمود محمد بكر هلال (الشاعر) ١٣٦٣
محمود محمد رسلان (الدكتور) ٦٥٤، ٨٧٥، ١٠٠٩
مرعي مدكور (الدكتور) ٣٤٨
مصطفى أحمد حماد (الدكتور) ٦٩
مصطفى أحمد درديو (الشاعر) ٤٣٨، ١١٥٢، ١٢٦٦
مصطفى أحمد درويش (الشاعر) ٨٠٨
مصطفى محمد الحديدي الطير (الشيخ) ١٤، ١٣٤، ٢٦١، ٣٩٥
معوض عوض ابراهيم (الشيخ) ٦٨١، ١٣٢٧

حرف النون

ناصر محمود وهدان (الاستاذ) ٤٤٢، ١٢٥٧
نعمت عامر (الشاعرة) ٩٢٦
نور نافع (الشاعرة) ٢٠١، ٣٢٩، ٤٤١

حرف الهاء

حرف الواو

واصف عبدالحليم عبدالله (الاستاذ) ٥١
وفيقة عواد سلامة (الشاعرة) ١٢٦٧

حرف الياء

يحيى هاشم حسن (الدكتور) ٨٤٠، ٩٥٠، ١١٧٦

الهدايا الصادرة عن مجلة الأزهر عام ١٤٠٩ هجرية

اسم الهديـــة	اسـم المؤلف	الشهر
١ ـ سمات الحلال والحرام .	للإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق	المحرم
٢ ـ الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة	للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٨هـ ـ ٩١١ هـ	صفر
٣ ـ عالمية الإسلام ـ حقيقة أولية ـ دليلها النص القرآني والممارسات الواقعية	فضيلة الاستاذ الدكتور رءوف شلبي	ربيع الأول
٤ ـ ٧ السيرة النبوية في ضوء روايات الإمام الطبري الجزء الأول	الإمام الطبري	ربيع الآخر
الجزء الثاني		جمادي الأولى
الجزء الثالث		جمادي الآخرى
الجزء الرابع		رجب
٨ ـ الاقتصاد في الإسلام	الاستاذ الدكتور رءوف شلبي	شعبان ١٤٠٩
٩ ـ ١٢ كتاب المراسيل	للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب السنن جـ ١ (٢٠٠ ـ ٢٧٥هـ)	رمضان
		شوال
		ذو القعدة
		ذو الحجة

الفهـــرس

- إيلاف قريش
  د . علي أحمد الخطيب ١٣١٣
- كلمة الأزهر الشريف
  الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ١٣١٥
- مسلك ذي الوجهين
  د. محمد عبدالمنعم القيعي ١٣١٩
- مكانة الحج والعمرة في الإسلام
  للأستاذ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ١٣٢٢
- السنة والحج المبرور
  للأستاذ معوض عوض إبراهيم ١٣٢٧
- صفحات مطوية من تاريخ الأزهر
  د . مجاهد توفيق الجندي ١٣٣١
- في مسألة فوائد البنوك
  لواء أ . ح.د . فوزي محمد طايل ١٣٣٧
- رسل الأزهر في بلاد النيجر
  للسفير جمال الدين محمود أبو العيون ١٣٤٠
- الاصمعي بين يدي معاصريه
  للأستاذ أيمن محمد ميدان ١٣٤٣
- الفتـــاوى
  للأستاذ علي حامد عبدالرحيم ١٣٤٨

العلـوم الكونيـة

- قصة الثقوب في العلوم الكونية
  أ . د أحمد فؤاد باشا ١٣٥٢
- مفاعل نووي يعمل منذ نحو بليوني عام
  د . محمد عبدالرحمن سلامة ١٣٥٧

الشعر والشعراء
إشراف د . حسن جاد

- حنين إلى عرفات
  للشاعر عمر موسى البرعي ١٣٦٢
- ثم طفنا وسعينا
  للشاعر محمود محمد بكر هلال ١٣٦٣
- مناط الرجاء
  للشاعر إسماعيل يحيى ١٣٦٤
- من اعلام الازهر «الشيخ عبدالعزيز جاويش»
  للمستشار محمد عزت الطهطاوي ١٣٦٥
- طرائف ومواقف
  للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٣٧٢
- من روائع الماضي في مجلة الأزهر «هل بعث الرسول إلى الجن» ؟
  للأستاذ حسن حسين
  إعداد : عبدالفتاح حسين الزيات ١٣٧٤

اللغة والأدب والنقد

- من صور الحذف البليغ
  د . عبدالحميد محمد العيسوي ١٣٨٠
- عبدالصمد بن المعذل وموقف نقاد الشعر منه
  بقلم : السيد حسن قرون ١٣٨٧
- من خير ما نشر
  د . أحمد عبدالرحيم السايح
  علي رفاعي خفاجة ١٣٩٢
- انباء وأراء
  تقديم : عبدالمنعم فودة ١٣٩٦
- الفهرس السنوي العام (المقالات)
  إعداد : أبو القاسم عبدالكريم
  محمد عبداللطيف عثمان ١٤٠٠
- الفهرس السنوي العام (الكتاب)
  إعداد : حسن سليم حسن
  سامي عز الدين محمود أحمد ١٤٠٧

القسم الانجليزي
إشراف : د . أنس النجار

- الفهرس السنوي العام .... ١٥..
- المقالة الثانية :
  للأستاذ لطفي علي سلطان ١٤١٨
- المقالة الأولى :
  د . أنس مصطفى النجار ١٤٢٢

RAMADAN:

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Illness and Death.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.
   Al Hajj.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

SHAWAL:

1. Abu Bakre Al-Siddiq.
   The Paradigm of True Faith.
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Fundamental Articles of Faith in Islam.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

ZU AL QIDDA:

1. Abu Bakre Al-Siddiq
   The Epilogue
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. Da'wa in Islam.
   By: Tawfik M. Shahin.

ZU AL HIJJAH:

1. Abu Bakre Al-Sidiq
   The Choice
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Injunction of Jihad in Islam.
   Lotfi Aly Sultan.

JUMMADA AL-ULA:

1. Abu Bakre Al Siddiq
   The Syrian Crusade (Part I)
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

3. Suuplications from the Holy Quran.
   Collected by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

JUMMADA AL-AKHERA:

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Syrian Crusade (Part II)
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Pillars of Islam.
   The Performance of Salah. (Prayers).
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

RAJAB:

1. Abu Bakre Al-Siddiq.
   The Compilation of the Holy Quran.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.
   The Zakah.
   By: Abdel-Hakim Ahmad Taha.

SHABAAN:

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Khalifah of Rassul Allah.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.
   The Fasting of the Month of Ramadan.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

→

INDEX OF YEAR 1409 HIJRAH

(VOL. 61)

MUHARRAM:

1. Abu-Bakre Al-Siddiq.
   War Against Apostates, part V.
   The Last Campaigns.
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Muslim Theism.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

SAFAR:

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Administration.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Lessons From the Hadith.
   By: Abdel Hakim Ahmed Taha.

RABIE AL-AWAL:

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Iraq Crusade.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. What is Islam?
   By: Abdel Hakim Ahmed Taha.

RABIE AL-AKHAR:

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Iraq Crusade, Part II.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.
   There is no god save Allah.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

3. Supplications from the Holy Quran.
   Collected by: Fatimah Muhammad Sirry.

intolerant and aggressive, and was propagated by the sword.

There is a great misconception which prevails in the minds of non Muslims with regard to the Islamic injunction of Jihad, and that the word Jihad is supposed to be synonymous with war, and aggression. Most non Muslim writers intentionally or unintentionally fail to understand the true meaning of Jihad. It is really a great pity that such learned scholars had not taken the trouble to consult any ordinary dictionary of the Arabic language,or to refer to the meanings of the Glorious Quran to find out the true significance of the word, so that they could avoid such a glaring misrepresentation of a vital concept in Islam, and comprehend the real understandings of Islamic theology.

The word "Jihad" in Arabic is derived from "Jahd" or "Juhd", meanning ability, exertion of power; and "Jihad" and "Mujahadah" mean the exerting of one's power and effort. The same authority then goes on to say: Jihad is of three kinds. The carrying on of struggle against a visible enemy; the struggle of one's self against the devil; and the struggle against one's self "Alnafs". A second authority gives the significance that "Jihad" is the infinitive noun of "Jahada, Yujahidu, "Jihadan". This signifies the exerting or using of one's utmost power, efforts, endeavours or ability in contending with an object of disapprobation; and this is of three kinds, namely, a visible enemy, the devil, and one's own self, all of which are included in the term as used in the Glorious Quran.

Jihad is therefore far from being synonymous with war, or aggression; while the meaning of war undertaken for the propagation of Islam, which is supposed by Western writers to be the only significance of Jihad, is unknown equally to the Arabic language and to the teachings of the Glorious Quran. Equally, or even more important is the consideration of the sense in which the word is used in the Glorious Quran. There, the word Jihad is freely used in the sense of exerting one's power and ability, without implying war or aggression.

In the text of the Holy Quran "And those who strive hard in Our Cause, We will certainly guide them to Our Ways, for Allah is surely with those who do right" (Surat Al-Ankabut, XXIX, 69). Here, indeed, the word Jihad means: all that man can do to strive in the Cause of Allah. As soon as he does that with might and main, with patience and endurance, with constancy and determination, the Light and Mercy of Allah are his reward. With these, mankind can cure his defects and shortcomings, can provide him with the means by which he can raise himself above his own self, and point out the way and path leading to that. The Jihad in this case is the spiritual striving to attain nearness to Allah and gain His mercy, and the reward is Allah's guidance.

The propagation of Islam is no doubt a religious duty incumbent upon every true Muslim who must follow the example of the Prophet. However, the spread of Islam by force is a thing of which no trace can be found in the Glorious Quran or in the sayings and practice of the Prophet. Islam is against aggression; sanction is given for war only in self defence. The Quran says: "Fight in defence of the cause against those who fight against you, but begin not hostilities; verily Allah loves not the transgressors"(Surat Al Baqarah II,190). "And fight them on until there is no more tumult or persecution and there previal justice and faith in Allah; but if they desist, then let there be no hostility except to those who practise oppression" (Surat Al Baqarah II, 193).

Therefore, war is only permissible in self defence, and under well defined requirements and justification. If it becomes necessary, it must be pushed with vigour, when undertaken, only to restore peace and freedom for the worship of Allah. In any case strict limits must not be transgressed; women, children, old and infirm persons should not be molested, nor trees and crops cut down, nor peace objected when the enemy comes to terms.

It is a sacred religious duty incumbent on the Muslim nation at large to set forth defensive confrontation against unbelievers to repel their persecution upon the believers or agression against Muslim territories. This injunction is to end persecution, and to establish religious freedom, and to save the houses of worship of every true religion from being ruined. The principle involved was that all worship, Jewish or Christian as well as Muslim, and all foundations built for that purpose should be sanctified and secure.

If ever in the history of the world a people were compelled to fight in defence of a grand cause, no nobler example of it could be given than that of the Prophet Muhammad with his few faithful followers braving the whole of Arabia in the midst of idol worshippers, who had taken the sword to annihilate Muslims for no other reason except that they were holders of the cause of the Unity and Oness of Allah. Hostile critics, however, fail to appreciate that a religion which has such an enormous following and is gaining more and more adherents every day, could not have spread through aggression but only on the basis of the merits of the divine doctrines of Islamic Theism.

Historical truth indicates that Islam has spread in the peninsula of Arabia after the enterance of Mecca, without any bloodshed, and only on the basis of its genuine excellence and its sterling merits. Therefore, there is not the least ground for the oft repeated allegation that Islam is

THE INJUNCTION OF JIHAD IN ISLAM

By :

Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed., M.A.

The mission of Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him) was to proclaim the Oneness of Allah and the unity of mankind, and to guide humanity to the path of virtue and righteousness. In conveying his message to mankind, the Prophet was not to exercise any compulsion. The Glorious Quran ordained: "There is no complusion in religion, right has become distinct from error" (Surat Al-Baqara II,256).

"There is no compulsion in religion", and the reason is added: "the right course is clearly distinct fromn the wrong one". Compulsion is incompatible with religion; because religion depends on faith and will, and these would be meaningless if induced by force. Truth and error have been so clearly shown up by the mercy of Allah that there should be no doubt in the minds as to the fundamentals of faith. Allah's protection is continuous, and His Plan is always to lead us from the depths of darkness into the clearest light.

The Prophet, was not out to coerce anyone into submitting to Allah, but only to call unto the way of Allah with wisdom and fair exhortation, and reason with them in the better way. In most beautiful text of the Glorious Quran, the principles of religious teaching, which are good for all times. We have to invite all to the Way of Allah and expound His Universal Will. We must do this with wisdom and discretion, meeting people on their own ground and convincing them with illustrations from their own knowledge and experience, which may be very narrow, or very wide. Our preaching must not be dogmatic, nor selfregarding, not harsh, not offensive; but gentle, considerate and such as would approach the hearts and minds of people. Our manner of arguement should not be acrimonious, but modelled on the most courteous and the most gracious example, so that the listener may understand that the matter is not dealing merely with dialectics but sincerely expounding the faith with the motive of the love Allah, and the love of mankind.

time of his death, the Muslim Empire extended East to the borders of China, to Africa from the West, and to the Agean Sea from the North. All this was achieved during the short period of ten years. That Empire was not established by the force of the sword, or else it would have collapsed soon after. That Empire was built on the foundation of firm conviction and adherent belief in the faith of Islam, and the love to Allah above all other.

That particular quality still lives very much animated and vivacious in the hearts of the races that inhabit that vast Empire. It was essentially Abu Bakre Al-Siddiq, and Omar Ibn Al-Khattab who planned, engineered and devloped propagation of the Islamic faith. The middle of the twentieth century shows that the Muslim creed embraces a world population of one billion capita distributed in the world continents, with maximum intensity in North Africa, Middle and Far East. Every corner of the earth, the Islamic faith is being practiced. Every Muslim over the ages pays hommage to the founders of Islamic propagation and expansion of Islam.

In the whole history of Islam, with the exception of the name of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), there is no other name that is known to be as popular as the name of Omar Ibn Al-Khattab. He was an example of justice, firmness, kindness, piety, perception, sagacity, humbleness, and objective in decision. Such characteristics were enough to qualify him to be chosen as the successor of Abu Bakre. These qualities, however, were most centainly not the only factors that resulted into the surmounting success of Omar Ibn Al-Khattab, the Ameer Al-Muemineen as was his title after the death of Abu Bakre Al-Siddiq, the Khalifah of Rassul-Allah. There were other more basic and more fundamental requirements for such success of achievements in all and every aspect of governance and administration. What was the real secret behind that unparalleled success; what was the true driving energy that makes mankind reach the upmost excellence in performance of his inherent inborn qualities.

The inborn qualities, however, no matter how great they are in any man, are limited and fall behind the status of perfection. In any human individual, the qualities of character and mind form the matrix of the soil of that individual. What is essential and crucial is the seed implant that fertilizes that soil. The ultimate outcome is the interacting homogenate of soil and seed. Abu Bakre Al-Siddiq, Omar Ibn Al-Khattab, Aly Ibn Abi Taleb, Khalid Ibn Al-Walid, and scores of several others of Muslim celebrities along the ages of history are renouned for their astounding success and excellence in all disciplines of life. In administration, in warfare, in science, in language, in knowledge, in wisdom, and in all aspects of human function and manifestation. What is that seed implant that makes the qualities of mankind reach that charisma of radiance and splendor of character and performance. It is the seed of true faith and genuine belief; it is the consolidate devotion, credence, conviction,and absolute sanctification of the ordinances and doctrines of the faith. That was the real secret that made Abu Bakre Al-Siddiq, a man of such unique character reach the climax of triumph in all performance. It was also the illumination of the soul, and the divine providence that guided Omar Ibn Al-Khattab to the summit of eminence in the administration of the affairs of the Muslim Ummah.

Omar Ibn Al-Khattab as Ameer Al-Muemineen lived in poverty when he could live as the most opulent of kings. He was absolute in justice; he was pious and learned, he was strong in determination and decision. He was humble in his greatness, and very great in his humbleness. He came to office at the most crucial and critical times; and at the

of Abu Bakre to nominate Omar Ibn Al-Khattab and elect him for the Muslims to give him fealty as his successor, was one of the most important justified and crucial achievements that crowned the reign of Abu-Bakre. The situation of the Muslim Ummah at that critical time during the last days of Abu Bakre required a man of unique qualifications. The man had to be strong in personality; precise in justice; strict in virtue; objective in thought; rational in reasoning; truthful in advice; honest in faith; loving to Allah, the Prophet of Islam, and Muslims; pious, tolerant, humble and tender in feelings; capable to decide; and knowledgeable in relgion. No man was known to possess the totality of such qualities except Omar Ibn Al-Khattab.

That was the process of thoughts in the mind of Abu Bakre when he elected Omar for the Muslim Ummah, to be his successor; and that was why Omar gained the unanimous concensus of the Muhagereen and Ansars to succeed Abu Bakre Al-Siddiq. The preservation of the Islamic Theism, and the Traditions of the Prophet as the practical application and implementation of that Theism was the optimal dominant concern in the mind of Abu Bakre when he made the choice of his successor. In his true judgement, Omar Ibn Al-Khattab was the most eligible and qualified man to bear the grave responsibility of administering the affairs of the Muslim nation after the death of Abu-Bakre.

The years that followed with all the major events that history recorded to have taken place during the reign of Omar Ibn Al-Khattab, gave absolute proof of the concrete justification of the choice of Abu Baker. The foresight, perception, clairvoyance and exactness of Abu Bakre in his choice were certainly a matter more than just human capability. The extreme and true piety of Abu Bakre and his devout purity of purpose, must have been worthy of divine transcendant support in making the choice. All choniclers agree that the reign of Omar Ibn Al-Khattab was an unparalleled example of justice and prosperity. These choniclers coin the reign of Omar as the most unique. He achieved and established to the Muslim nation with all its various fractions of ethnic backgrounds a status of life style of social security, safety and justice, and an economic affluence and prosperity that embraced every single individual of the Ummah; with Omar and his family by far the last to be included. With all the modern trends of governmental administrations, management systems, economic theories, and paradigms social justice; the nations of the world nowdays have completely failed to achieve even a fragment of what Omar Ibn Al-Khattab accomplished fourteen centuries ago.

ABU BAKRE AL-SIDDIQ
The Choice

By :

Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D. PhD.

The perpetual conservation of Islamic doctrines, teachings, and thought; and the safeguards of the guidance of the traditions of the Prophet; were the paramount issue of concern in the mind of Abu Bakre as he lay on his bed awaiting his death. The preservation of the theo-political unity of the Muslim Ummah was a very major issue which Abu Bakre considered as his personal responsibility even after his death. He formulated the character, the personality, the qualifications, the wisdom and firmness, the diplomacy, aptitudes and talents of the man who would be most suitable to succeed him in governing the affairs of the Muslim ummah.

Abu Bakre could not dictate his choice, he only advised the Muslim Ummah of his choice of who was in his opinion most suitable to succeed him. In fact Abu Bakre elected Omar Ibn Al-Khattab to be his successor, and it was left to the Muslim Ummah of the Muhagereen and Ansars to proclaim fealty and allegiance to that man, or to deny it. The total Muslim community at Al-Madinah agreed and gave concensus and agreed to the choice of Abu Bakre that Omar Ibn Al-Khattab would succeed him. They all trusted Abu Bakre, knew of his sagacity, wisdom and honest intentions; and were confident of his choice. No body challenged the choice of Abu Bakre, every body of opinion accepted his choice with total consent and willingness. All the Muslim Ummah recognized the need for absolute unity and stability among the various fractions of the Muslims; they also realized the great necessity for continuity of an administration of similar patterns of governance to that of Abu-Bakre. Muslim warriors were confronting the throngs of Persian forces in Iraq, and the Roman legions in syria. The Arab tribes of the Peninsula had only lately emerged from the apostate wars, and were still vunerable to contention and dispute. The whole Muslim nation was in need of absolute cohesion projected upon them by the man who was to succeed Abu Bakre after his death. The choice

→

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION
VOL. 61, Part 12
ZU AL HIJJAH, 1409, HIJRAH

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Abu Bakre Al-Siddiq
The Choice
By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Injunction of Jihad in Islam
By: Lotfi Ali Sultan.

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION